بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيهاً مصرياً - الدول العربية ٥٠ دولاراً أمريكياً

أوربا وأمريكا ٨٥ دولاراً أمريكياً - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولاراً أمريكياً

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩٠

المحرم ١٤٣١هـ - يناير ٢٠١٠م - الجزء الأول - السنة الثالثة والثمانون

افتتاحية العدد

قل الحق ولو على نفسك !

طوفان الدكتوراه .. إلى أين؟

أبدأ مقالى بهذه الطرفة النادرة..

كان الأستاذ سليمان نوار -رحمه الله- شيخا لمعهد الزقازيق الدينى، وقد تقدم إليه طالب بالسنة الثانية من القسم الثانوى بقصيدة متواضعة يقضى بها حاجة فى نفسه، واستمع الشيخ إلى أبيات القصيدة فوجد بها أربعة أبيات مكسورة، فقال له فى حدة: أنت فى السنة الثانية ودرسُ العروض الشعرى مقرر عليك بالسنة الأولى فكيف نجحت فى امتحانه، وأنت تكسر الأبيات؟ إما أنك قد غششت، وإما أن يكون المصحح قد أخطأ، ثم أمر بمن يحضر ورقة الإجابة من الكنترول فوجد التقدير عادلاً، والإجابة تستأهل النجاح، فسأل عن مُراقب المادة، فعرف أنه دقيق ملتزم ومحالٌ أن يسمح بالغش. وتأزم الموقف فى رأى الشيخ حتى حار جلساؤه فيما يقولون؟ ثم رأى وكيل المعهد أن يرطب جفاف الموقف فقال للشيخ: يا مولانا؟ إن المسامحة الصيفية أربعة أشهر وقد ينسى الطالب فيها بعض ما حصّل. وهذا ما جعل الشاعر الصغير يخطئ، فضرب الشيخ كفاً بكف، وقال: عليه إذن أن يذاكر المادة فى أسبوعين، وسأمتحنه شفويًا، وخرج الطالب المسكين مبهوتا، ولا يصدق أنه نجا من قبضة الشيخ!

أقول: لو امتدت الحياة بالشيخ، وجلس يستمع إلى الإذاعة اليوم فوجد حامل الدكتوراه يقرأ البيت مكسورا، ويخلط فى النطق بين الفاعل والمفعول، فماذا كان يصنع؟ يُخيّل إلىّ أنه فى ذهوله سيرفع عصاه الغليظة ويهوى بها على الراديو مُنفعلا فيفلقه نصفين، فإذا رجع إليه صوابه ضرب كفاً على كف، وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله!

الكلية والمدرسة الثانوية

ولعل القارئ فى حاجة إلى أن أؤكد له، أنى لا أقصد جامعةً بذاتها، ولا كلية خاصة أعنيها بالنقد، ولكنى أعالج ظاهرة ملموسة تجسّمت أمامى فصارت سدًا منيعا يعوقنى عن المسير، هذه الظاهرة الأليمة هى أميّةُ بعض حملة الدكتوراه! لقد كنا نصرخ فزعين من جهالة حاملى الليسانس والبكالوريوس ممن يتقدمون إلى امتحان المسابقات للتعيين، فلا يعرفون البدهى من الحقائق، ومنهم من لا يعرف أسماء محافظات وطنه، واليوم نجد من بعض حاملى الدكتوراه أميّة مماثلة، لكن مع استعلاء خادع، واحتقار لمن يُصحح له الواضح من الخطأ، وكأنه يلبس درعا واقية حصينة تردّ عنه الهام لأنه دكتور! وقد يكون هذا المخدوع مُدرّسا أو أستاذًا مساعدا، فيزداد استعلاء، وينظر إلى مُنتقده فى اشمئزاز صائحا: من أنت؟

أمّا كيف صار هذا المتعاظم دكتورا وأستاذا، فإليك:

كانت الجامعة محافظةً كل المحافظة على مستواها العلمى المشهود فى القاهرة والإسكندرية، قبل أن تنشأ جامعات الأقاليم، إذ حرص كل محافظ يعين فى عاصمة على أن تكون الجامعة الجديدة فى مقدمة أعماله، وأولياء الأمور مبتهجون. وحقّ لهم ذلك، حيث تخفف الأعباء، وتتيسر النفقة، وطبيعى أن تكون القاهرة والإسكندرية بجامعاتها موضع اختيار الأساتذة الذين سيتولون مهام الجامعة الجديدة فى الإقليم فانتقل بعض هؤلاء تباعا، وبعض آخر كان ينتدب للتدريس المؤقت، وترتب على ذلك أن ضعف الأصل ولم يقو الفرع، ضعف الأصل لأن الذين انتقلوا نهائيا أحدثوا فراغا لم يحسن امتلاؤه على وجهه الصحيح، ولم يقو الفرع لأن الكثرة من المنتدبين كانوا يجمعون المحاضرات فى يوم أو يومين على الأكثر، فيظل الأستاذ بالكلية من الصباح إلى المساء ليتنقل بين المدرجات!! وهو إنسان له طاقته، ولابد أن يضعف بعد ثلاث محاضرات على الأكثر، ولكنه مصمم عازم، وقد استكمل المظهر الخارجى للجامعة الإقليمية بدءاً، ولم يبد أثر ما للتعليم الجامعى على وجهه الصحيح، بحيث كان التلميذ يتساءل فى نفسه ما الفرق بين المدرسة الثانوية والكلية الجامعية؟

إن الأستاذ هنا هو الأستاذ هناك يُعطى الدّرس من الكتاب، ويحدّد الصفحات ويرحل، بل إنّ أستاذ المدرسة الثانوية كان أهدى سبيلا، لأنه يُدرّس فى فصل لا فى مدرج.. ويعرف الطالب المجتهد من الطالب الخامل، ويتسع وقته للإجابة والرّد. أما الأستاذ المنتدب فهو يتلو متسرعا وكأنه مسوق بقوة دافعة غير مرئية، ولا مجال للنقاش والرد.

أجل لم يشعر التلميذ بفارق ما بين المدرسة الثانوية والكلية الجامعية، فهو مكتف كل الاكتفاء بكتاب الأستاذ، لا يكلف ببحث، ولا يهتدى إلى مرجع مساعد، وليت كتاب

الأستاذ كان محافظا على سَمته اللائق، فهو أوراق متراصة قيل إنها مذكرات، وبعضها مطبوع على ورق الجريدة اليومية طباعة تنذر بالتلف العاجل، وتمر السنوات وقد خرج الطالب من الكلية، وهو لا يعرف كتابا هاديًا، ولا يُصادق مدرسا موجّها!، وليس لديه مكتبة تضم كتابا محترما!

ولابد أن يمر الزمن على أى وجه كان، وأن يتخرّج طلاب الفرق النهائية ليُختار منهم المعيدون، وليُلحقوا بالدراسات العليا فى الكليات المستوفاة، وأن تشتد رغبة الكليات فى سرعة الإنجاز، لأن الحاجة مُلحة وبقدرة قادرة يصير الطالب حاملاً للماجستير بعد ثلاثة أعوام ثم للدكتوراه بعد عامين، ويُصبح عُضوا فى هيئة التدريس! ولست أنكر أن أفراداً من هؤلاء ذوو مواهب وضعتهم حيث يستحقون ولكنهم قلة ضئيلة جوار كثرة كاسحة، وجاء المدرس الناشىء وكل همه أن يؤلف، وأن يبيع الكتاب لجميع الطلاب، وأن يصير كتابه المتواضع هو المرجع الأوحد فى موضوعه! ولا أدرى كيف أسير فى المقال على وجه يعصم من النشاز الناقر، حين أعلن أن المؤلفين (الأفاضل) قد ابتدعوا أحسن الحيل فى ربط كل طالب بشراء الكتاب، فمنهم من يضع ورقة حمراء أو صفراء فى آخر الكتاب، وبها بعض الأسئلة التى يتحتم على الطالب أن يُجيب عليها، وأن يُلحق الإجابة بهذه الورقة! وقد وقع فى روع الطالب المسكين أن الأستاذ سينتقم منه إذا لم يجب عن أسئلة الورقة الحمراء! وإذن فلابد أن يشترى! وبعض القراء سيحسبون كلامى تخيّل متخيّل، ولكنه واقع مشهود! فإذا نفدت النسخ. وجاء الشهر الأخير، شاهدت الكتاب المقرر قد خص فى بضع صفحات تُطبع على الآلة الكاتبة تارة، وعلى الكربون تارة أخرى، ويُذاع أن الامتحان لن يخرج عنها، فلابد من شرائها، والواقع أن الامتحان لم يخرج عنها! فإذا سألت بعد ذلك عن خواء الطالب الجامعى وأميّته الأليمة فاعلم أنه لم يدرس شيئا ذا بال، ولم يقرأ شيئاً ذا بال، وإنما حفظ فى كل مادة مُلخصاً كملخصات الكتب المدرسية فى المراحل الأولى، فساعده على النجاح.

حدثنى أستاذ فاضل أن أحد تلاميذه صار مدرسا بكلية جامعية، وأن خادمته الفقيرة وجدت ابنتها تلتحق بالجامعة لأن الله قد جبر خاطرها ورعى المنكسرات من أمثالها فأخذت الدرجات دون درس خصوصى، وفوجئت الوالدة المسكينة بأثمان الكتب الفادحة، فرأى الأستاذ أن يستهدى تلميذه كتاباً للطالبة التى لا تملك غير ثوب واحد!! وظن المسألة من السهولة بحيث لا يتكرر الرجاء؟ أتدرى ماذا كان الرد؟ لقد أقسم المدرس ألاّ يهدى أحدا كتابا! فماذا يفعل بيمين الله؟ قال ذلك بعد أن عرَف وضع الطالبة الاجتماعى وأنها تقف على شفير هار!

ومن المعروف بدهيًا أن طالب المدرسة الثانوية لا يستطيع وحده أن يُشارك فى تلقى المعلومات، حيث يقوم المدرس بإعدادها وتهيئة الطريق إلى استيعابها وهضمها، أما الطالب الجامعى فالمفروض فيه أن يشترك فى تلقى المعلومات فيعرف مصادرها، وطريقة البحث عنها، ويجد من سعة صدر الأستاذ ما يشجعه على ارتياد سبيل جديدة يستشعر لذة عقلية فى اجتيازها، فهل نجد أثراً لذلك فى أكثر ما نشاهد من الكليات! قد يكون بالقاهرة والإسكندرية أساتذة كبار من رجال التربية يحرصون على استمرار هذا الاتجاه، ولكن الأمر يختلف تماما فى كليات أخرى، لأن فلسفة التدريس الجامعى ليست واضحة فى أذهان الكثرة ممن يكتبون المذكرات، وكأنها كل شيء، فى مجال التدريس، وأقول المذكرات عن عمد لأن الكتاب العلمى الأصيل يكاد يفقد تماما! وإذن فالطالب الجامعى ينتهى من دراسته وليس لديه كتاب أصيل يعتز به، ولا أريد أن أحرك على الثوائر حين أزعم أن بعض الأقسام تنسى واجبها فى الإشراف على الكتاب المقرر، ومعرفة مدى نفعه للطالب! لقد فوجئت ذات يوم بكتاب نحوى مقرر على الطلاب فى كلية ما، هذا الكتاب هو رسالة الدكتوراه التى نالها المدرس، وقد أراد أن يطبعها فى جزءين لسنتين متواليتين. فيسهل سبيل توزيعها بعد الطبعة ولكن طالب كلية التربية المسكين ماله ولدراسة علمية عن علم من أعلام النحو؟ إنه سيصير مدرسا للغة العربية فى المدارس، وقد جاء من المدرسة الثانوية بغير زاد علمى كاف، فلابد أن يدرس قواعد النحو التى سيقوم بتدريسها فيما بعد، لا أن يظل عامين متواليين يقرأ صفحات عن إمام سابق، له آراؤه المتنازع عليها مع الردود الدافعة، وإذا كان الطالب لا يُلم بالضرورى من مبتدئات المادة، أفيتصدى للفصل فى نزاع بين المذهب الكوفى والمذهب البصرى مثلا؟! لم أسكت على ما رأيت. واتصلت بالدكتور لأسأله عن جدوى رسالته التى ابتلى بها طلابه. أفيدرى القارىء ما قال لى؟ قال: إن طريقة الأزهر فى تدريس النحو عقيمة!! وأن النحو الآن نحو مذاهب ونظريات! فكظمت غيظى وسألته: أى كتاب فى النحو لا يعجبك من كتب الأزهر؟ فقال: ألفية ابن مالك! قلت له: أتحداك أمام أساتذتك وزملائك أن تشرح لى قول ابن مالك (وذكرت عدة أبيات) وأن تدرك المعنى!! فلم يستطع قراءة الأبيات فضلا عن شرحها! فيالله، كيف يخرج الطالب بعد ذلك مهيئا لدراسة النحو؟ ومن الملوم؟ أهو؟ أم الأستاذ؟ أم القسم الذى يعلم ويسكت!

وليس درس النحو إلا مثالاً نجد نظائره فى مواد كثيرة يدرسها الأساتذة المبجلون فقد يكون المنهج خاصا بالحروب الصليبية مثلا وقد امتدت تسعين عاما ورأت سبع حملات جبارة وفدت من الغرب لتزلزل دنيا المسلمين فى الشرق. وكان من المنتظر أن يجد الطالب بين يديه كتاباً مختصرا عن هذه الحملات، أو مذكرة متواضعة تتابع خطواتها المتلاحقة واحدة وراء الأخرى، ولكن من حظ الطالب أن مدرسه قد أخذ الدكتوراه فى الظاهر بيبرس، والظاهر بيبرس وحده!! فلابد أن تُطبع الرسالة، وأن يجبر الطالب على شرائها، وأن تختار منها صفحات تخص الحملة الصليبية فى عهده، ويكتب على الصفحات الأخرى (غير

مقروء) ويتخرج الطالب ليدرس التاريخ في المدرسة، وليس أمامه غير الكتاب المدرسي، فيحاول أن يستعين على فهمه بالملخص من الكتاب الخارجي، ويملي تلميذه سطوراً لا تسمن ولا تغني من جوع.

أأستطرد إلى مواد أخرى غير النحو والتاريخ! إن الأمر متفق تماما، وإن الحرج ليبلغ أقصاه، حين يصر المدرس أحيانا في الكلية على ألا يدرس غير ما كتب في رسالتي الماجستير والدكتوراه، لأنه لا يدري شيئاً عما سواهما، وأثناء عمادتي بالكلية جاءني من يشكو إذ فرض عليه أن يدرس نصوصا من الأدب العباسي، وهو متخصص (كذا) في الأدب الأندلسي، وتلك حالة شاذة ولكنها موجودة! هذا الخواء العلمي المضحك انتقل إلى خواء عملي أشد ضحكا، وأذكر أن الأستاذ الدكتور محمد مندور -رحمه الله- قد كتب في أوائل الأربعينيات، مقالاً تحت عنوان (أمية المتعلمين) قال فيه: إن جامعات أوروبا تلزم طلاب الدراسات في الهندسة والطب والصيدلة والتجارة أن يدرسوا علوم النفس والاجتماع والتاريخ لتكون لديهم محصلة ثقافية عامة تؤهلهم للمشاركة في الجو العلمي، وتجعلهم أساتذة في التوجيه السلوكي فلا يتحجرون في مادة واحدة، فيظهرون بمظهر الجمود في الوسط التعليمي جامعة ومدرسة! كتب هذا الدكتور في الأربعينيات والجامعة هي الجامعة حينئذ، والمدرسة هي المدرسة، ولكنهما في مستواهما الماضي لم ترضيا آمال الدكتور مندور، فكيف به إذا رأى المستوى اليوم، وشاهد من غرائب (العلم) ما تنشق له المرائر رعباً، وليس الحديث عن مدرسة ابتدائية، بل عن الجامعة نفسها!

لقد وقر لدى العامة والخاصة معاً أن عضو التدريس في الجامعة هو المثل المحتذى في السلوك الاجتماعي، فقد سُلح بأرقى الثقافات، وتبوأ خير المناصب، والمنتظر منه أن يكون مثال الإنسانية الرحيمة في سلوكه الاجتماعي، وأن يكون أرحب صدراً وأوعى لوجهات النظر المختلفة ممن هم دونه، ولكن الواقع غير ذلك، فقد تجد -وكثيرا ما تجد- في القرية أو المدينة، إذ ليس البلاء بواحد، تجد أخوين شقيقين نشآ في أسرة واحدة، وترعرعا في بيئة واحدة، وأحدهما جامعي قد استكمل أدوات ثقافته، والثاني لم يبرح قريته، أو شارعه المحدود في المدينة الواسعة، و تحدث مشكلة ما في الأسرة الصغيرة بالمنزل، أو الأسرة الكبيرة في الشارع، ويجتمع الأخوان الشقيقان فيمن اجتمع من الناس، فينظر الحاضرون دهشين حين يجدون السلوك مختلفاً إلى حد كبير بين الأخوين الشقيقين، فالأخ الجامعي متكبر لا يريد أن يسمع غير رأيه، شامخ لا يُصغي إلى منطق معارض، متأفف وكأنه يكابد حرجاً ضاق به خناقه، وأخوه الريفي مبتسم هادىء يدلي برأي المجرب الواعي، ويستمع إلى إخوانه ضاحكا، وقد يأتي الحل الموفق على يده، وعلى أيدي نفر من زملائه ممن تلقوا التجربة في محيط الحياة، فعرفوا من الدروس الواعية مالم يعرفه المعتز بشهادته ومنزلته

الاجتماعية، وإذا كان هذا في الوسط الريفي الهادىء، أو المدني المتواضع، فماذا ينتظر من هذا المتكبر وأمثاله، في المحيط الجامعي وكلهم طالب صيد، فالتنافس على أشده، والتنابذ ينتهي إلى أقصى مداه، والطلاب يضحكون حين يسمعون الانتقاص المتبادل بين زميل وزميل! وكلاهما دكتور! لا يرى غير نفسه فحسب.

إن كل ما أقوله مشهور متعالم، ولا يكون المقال مؤديا رسالته إلا إذا بحث عن العلاج الناجع، إذ السكوت جريمة أية جريمة لاسيما وقد مر الزمن فصار هؤلاء أساتذة وسعوا إلى إنشاء أقسام للدراسات العليا في الكليات، وهم أصحاب الأمر والنهي، وكل همهم أن يلتحق بالدراسة العليا نفر كبير أخذ درجة الامتياز ممن لا يحسن تقديرها في أكثر أحواله، ليصبح الطالب بعد سنتين كاتبا لرسالة الماجستير كما اتفق، إذ أن الدكتور المشرف ليس فوقه بكثير، وينتقل إلي الدكتوراه فيناقشه أساتذته الرسميون، ومن على شاكلتهم ممن يختارون من الخارج بناء على التبادل المشترك، وينجح الطالب، ويعين في هيئة التدريس ليتضخم الهيكل الجامعي كماً لا كيفا؟ ونسأل بإلحاح لماذا انحط مستوى الطالب؟ ونضع رءوسنا في الرمال فلا نسأل: لماذا تخلف الأستاذ؟ وكيف نسأل؟ والوضع الشكلي لا غبار عليه؛ دراسات عليا، أساتذة، درجات الماجستير والدكتوراه، وألقاب الشرف والامتياز والمرتبة الأولى، ووراء ذلك كله يجلجل في الأسماع قول الشاعر القديم:

أما الخيام فإنها كخيامهم
وأرى ظباء الحي غير ظبائها!

ومن الغرور الذي لا حد له، أن أزعم لنفسي قدرة على حل هذه المعاضل الجامعية، وقد استعصت على الكبار من الأعلام، ولكن مما يجوز لمثلي أن يتقدم على استحياء ببعض الاقتراحات، لعلها تجد من ينظر إليها بعين التصويب، وقد تفضل المربي الكبير الأستاذ سعيد إسماعيل علي، بالتعقيب على مقالي الخاص بتدهور الخطابة، فأسعدني سعادة لا حد لها، ولعله أو أحد نظرائه من كبار المربين يقوم بتعقيب مماثل في صميم اختصاصه فيعلن رأيه فيما اقترحه الآن، حين أرى أن يكون الكتاب الجامعي من شأن الإدارة وحدها، حيث تطبع الجامعة الكتاب المختار، وتقوم بتوزيعه على من أراد الشراء اختياراً بما لايزيد عن التكاليف، وللمؤلف حقه المناسب الذي يتعارف عليه ذوو الدراية دون إجحاف، أما الدراسة العليا، فلابد أن تخضع لشروط تناسب التقهقر العلمي الملحوظ في أبناء اليوم، فيزيد عدد السنوات في كل مرحلة بما يكفل ضمان التحصيل بدءا، وكتابة الرسالة الجامعية خاتمة، ثم تكون لجنة النقاش مكونة من خمسة أساتذة لا ثلاثة: ليس فيهم أستاذ مساعد، على أن يكتب كل فاحص تقريرا مستوفى يوضح ناحيتي الضعف والإجادة، وعلى أن يوضع اختبار شخصي حقيقي بعد نوال الدرجة، لكل متقدم للتعيين يشمل معارفه العامة، ولا

يقتصر على ناحية التخصص، إذ من المرارة كل المرارة أن تناقش المسائل العامة في مجتمعات شتى، ويُسأل عنها عضو هيئة التدريس فلا يدرى شيئاً مما يُصبحه ويُمسيه في مجتمعه من أحوال العالم الذى أصبح قرية صغيرة، والذى تدهمنا به غرائب المفاجآت السياسية والاكتشافية والاقتصادية، وكلها ذات تأثير نفاذ في مجتمعنا الراهن! إن المدرس الجامعي مصدر إشعاع لطلابه، وسيسألونه عما يجد من الأحداث فلابد أن يكون متفتح الذهن، بصير النظر في أرجاء محيطه، إذ من الغرائب أن نجد اليوم من الطلاب من يحيطون بتيارات مجتمعهم أكثر من إحاطة بعض المدرسين، إذ رشحتهم بيئتهم المثقفة إلى استشراف آفاق عالية لا يملون التطلع إليها مستبصرين، وقد يعجزون عن تعليل بعض الأحداث. فيلجئون إلى الأستاذ أو المدرس باعتبار أنه واع مدرك نقاد، فلا يجدون غير الخواء!

وقد كابدت ضيقاً شديدا حين حاولت أن أزجر قلمى عن مأساة الدروس الخصوصية بالجامعة، وهى مما يصح الاستشهاد فيه بالمثل العربى القائل (ما يوم حليمة بسر) فالأساتذة يأخذون الدروس جهاراً بأثمان فلكية، والمعيدون والمدرسون المساعدون يعطون الطلاب دروساً في مجموعات، ومع أنهم بعيدون عن وضع الأسئلة الخاصة بالامتحان فإنهم يوحون ببعض الأسئلة ويملونها، ويأتى الامتحان ببعضها عن يقين، وواضع السؤال هو الأستاذ لا المعيد؟ فهل نحن في حاجة إلى ذكاء خارق يعقد صلة ما بين المعيد والأستاذ، أو أننا نشط في الاستنتاج لنجرح قوماً هم أنفسهم يزاولون هذه الدروس دون نقاب!

لقد قال نبى الله شعيب لقومه حين رأى تطفيف الكيل، وبخس الحق:

﴿ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾

(الأعراف: ٨٥)

فكابروه واضطهدوه، فلم يسعه إلا أن يقول:

﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾

(هود: ٨٨)

د. / محمد رجب البيومى

تفسير سورة النساء

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال تعالى:

﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾

(الآية: ٢٠-٢١)

وبعد أن بين - سبحانه - أنه يجوز للرجل أن يأخذ من المرأة بعض ما أعطاها من صداق إذا أتت بفاحشة مبينة.. عقب ذلك ببيان الحكم فيما إذا كان الفراق من جانب الزوج دون أن تكون المرأة قد أتت بفاحشة فقال - تعالى -:

﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ﴾

والاستبدال: طلب البدل، بأن يطلق الرجل امرأة ويتزوج بأخرى.

والقنطار: أصله من قنطرت الشيء إذا رفعته ومنه القنطرة، لأنها بناء مرتفع مشيد، والمراد به هنا المال الكثير الذى هو أقصى ما يتصور من مهر يدفعه الرجل للمرأة.

والمعنى: وإن أردتم أيها الأزواج ﴿ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ ﴾ أى تزوج امرأة ترغبون فيها «مكان زوج» أى مكان امرأة لا ترغبون فيها، بل ترغبون في طلاقها:

﴿ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا ﴾

أى أعطى أحدكم إحدى الزوجات التى تريدون طلاقها مالا كثيرا على سبيل الصداق لها:

﴿ فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ﴾

أى فلا تأخذوا من المال الكثير الذى أعطيتموه لهن شيئا أيا كان هذا الشيء، لأن فراقهن كان

بسبب من جانبكم لا من جانبهن.

وعبر - سبحانه - بـ ﴿ إِنْ ﴾ التي تفيد الشك في وقوع الفعل، للتنبيه على أن الإرادة قد تكون غير سليمة، وغير مبنية على أسباب قوية، فعلى الزوج أن يتريث ويتثبت ويحسن التدبر في عواقب الأمور.

والمراد بالزوج في قوله:

﴿ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ ﴾

الجنس الذي يصدق على جميع الأزواج.

والمراد من الإيتاء في قوله ﴿ وَءَاتَيْتُمْ ﴾ الالتزام والضمان أي: التزمتم وضمنتم أن تؤتوا إحداهن هذا المال الكثير.

والجملة حالية بتقدير قد. أي: وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج، والحال أنكم قد آتيتم التي تريدون أن تطلقوها قنطارا فلا تأخذوا منه شيئاً.

والاستفهام في قوله:

﴿ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾

للإنكار والتوبيخ، والبهتان: هو الكذب الذي يدهش ويحير لفظاعته. ويطلق على كل أمر كاذب يتحير العقل في إدراك سببه أو لا يعرف مبررا لوقوعه، كمن يعتدي على الناس ويتقول عليهم الأقاويل، مع أنه ليست هناك عداوة سابقة بينه وبينهم.

قال صاحب الكشاف: والبهتان: أن تستقبل الرجل بأمر قبيح وتقذفه به وهو بريء منه ولأنه يبهت عند ذلك. أي يتحير.

والإثم: هو الذنب العظيم الذي يبعد صاحبه عن رضا الله - تعالى - ﴿ مُّبِينًا ﴾ هو الشيء الواضح الذي يعلن عن نفسه بدون لبس أو خفاء.

وقوله ﴿ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا ﴾ مصدران منصوبان على الحالية بتأويل الوصف، أي: أتأخذون ما تريدون أخذه منهن باهتين، أي فاعلين فعلاً تتحير العقول في سببه، وآثمين بفعله إثماً واضحاً لا لبس فيه ولا خفاء؟!

ويصح أن يكون المصدران مفعولين لأجله، ويكون ذلك أشد في التوبيخ والإنكار، إذ يكون المعنى عليه: أتأخذونه لأجل البهتان والإثم المبين الذي يؤدي إلى غضب الله عليكم؟! إن إيمانكم يمنعكم من ارتكاب هذا الفعل الشنيع في قبحه.

قالوا: كان الرجل في الجاهلية إذا أراد التزوج بامرأة أخرى، بهت التي تحته - أي رماها بالفاحشة التي هي بريئة منها - حتى يلجئها إلى أن تطلب طلاقها منه في نظير أن تترك له ما لها عليه من صداق أو غيره، فنهوا عن ذلك.

ثم كرر - سبحانه - توبيخه لمن يحاول أخذ شيء من صداق زوجته التي خالطته في حياته مدة طويل فقال:

﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾

وأصل أفضى - كما يقول الفخر الرازي - من الفضاء الذي هو السعة يقال: فضا يفضو فضوا وفضاء إذا اتسع. ويقال: أفضى فلان إلى فلان أي: وصل إليه وأصله أنه صار في فرجته وفضائه.

والمراد بالإفضاء هنا: الوصول والمخالطة: لأن الوصول إلى الشيء قطع للفضاء الذي بين المتواصلين.

والاستفهام في قوله:

﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ ﴾

للتعجب من حال من يأخذ شيئاً مما أعطاه لزوجته بعد إنكار ذات الأخذ.

والمراد بالميثاق الغليظ في قوله:

﴿ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾

هو ما أخذه الله للنساء على الرجال من حسن المعاشرة أو المفارقة بإحسان كما في قوله - تعالى -:

﴿ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ﴾

(البقرة: ٢٢٩)

وليس أخذ شيء مما أعطاه الرجال للنساء من التسريح بإحسان، بل يكون من التسريح الذي صاحبه الظلم والإساءة.

والمراد بالميثاق الغليظ الذي أخذ: كلمة النكاح المعقودة على الصداق، والتي بها تستحل فروج النساء، ففي صحيح مسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ قال في خطبة حجة الوداع: «استوصوا بالنساء خيرا فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله»[1].

والمعنى: بأي وجه من الوجوه تستحلون يا معشر الرجال أن تأخذوا شيئاً من الصداق الذي أعطيتموه لنسائكم عند مفارقتهن، والحال أنكم قد اختلط بعضكم ببعض، وصار كل واحد منكم لباساً لصاحبه، وأخذن منكم عهداً وثيقاً مؤكداً مزيد تأكيد، لا يحل لكم أن تنقضوه أو تخالفوه!!؟

فأنت ترى أن الله - تعالى - قد منع الرجال من أخذ شيء من الصداق الذي أعطوه لنسائهم لسببين:

● أحدهما: الإفضاء وخلوص كل زوج لنفس صاحبه حتى صارا كأنهما نفس واحدة.

● وثانيهما: الميثاق الغليظ الذي أخذ على الرجال بأن يعاملوا النساء معاملة كريمة.

والضمير في قوله ﴿ وَأَخَذْنَ ﴾ للنساء. والآخذ في الحقيقة إنما هو الله - تعالى - إلا أنه سبحانه - نسبه إليهن للمبالغة في المحافظة على حقوقهن، حتى جعلهن كأنهن الآخذات له.

قال بعضهم: وهذا الإسناد مجاز عقلي، لأن الآخذ للعهد هو الله. أي: وقد أخذ الله عليكم العهد لأجلهن وبسببهن. فهو مجاز عقلي من الإسناد إلى السبب»[2].

ووصف - سبحانه - الميثاق بالغلظة لقوته وشدته. فقد قالوا: صحبة عشرين يوماً قرابة. فكيف بما جرى بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج؟!

هذا، ومن الأحكام التي أخذها العلماء من هذه الآيات الكريمة ما يأتي:

١- تكريم الإسلام للمرأة: فقد كانت في الجاهلية مهضومة الحق، يعتدى عليها بأنواع من الاعتداء، فرفعها الله - تعالى - بما شرعه من تعاليم إسلامية من تلك الهوة التي كانت فيها، وقرر لها حقوقها، ونهى عن الاعتداء عليها.

ومن مظاهر ذلك أنه حرم أن تكون موروثة كما يورث المال، وكذلك حرم عضلها وأخذ شيء من صداقها إلا إذا أتت بفاحشة مبينة، وأمر الرجال بأن يعاشروا النساء بالمعروف، وأن يصبروا على أخطائهن رحمة بهن.

٢- جواز الإصداق بالمال الكثير: لأن الله -

(١) تفسير ابن كثير جـ١ ص ٤٦٧.

(٢) حاشية الجمل على الجلالين جـ١ ص ٣٦٩.

تعالى - قال:

﴿ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا ﴾

والقنطار: المال الكثير الذى هو أقصى ما يتصور من مهور.

قال القرطبى ما ملخصه قوله تعالى:

﴿ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا ﴾

دليل على جواز المغالاة فى المهور، لأن الله - تعالى - لا يمثل إلا بمباح.

وخطب عمر - رضى الله عنه - فقال: ألا لا تغالوا فى صدقات النساء، فإنها لو كانت مكرمة فى الدنيا أو تقوى عند الله، لكان أولاكم بها رسول الله ﷺ ولكن رسول الله ﷺ ما أصدق قط امرأة من نسائه ولا من بناته فوق اثنتى عشرة أوقية، فقامت إليه امرأة فقالت: يا عمر.. يعطينا الله وتحرمنا!! أليس الله تعالى - يقول:

﴿ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ﴾

فقال عمر: أصابت امرأة وأخطأ عمر.

وفى رواية أنه أطرق ثم قال: امرأة أصابت ورجل أخطأ وترك الإنكار.

ثم قال القرطبى: وقال قوم: لا تعطى الآية جواز المغالاة فى المهور، لأن التمثيل بالقنطار إنما هو على جهة المبالغة: كأنه قال: وآتيتم هذا القدر العظيم الذى لا يؤتيه أحد.

ولقد قال النبى ﷺ لابن أبى حدرد - وقد جاءه يستعين فى مهره فسأله عنه فقال: مائتين، فغضب ﷺ وقال: كأنكم تقطعون الذهب والفضة من عرض الحرة، أى من ذلك المكان الذى به حجارة نخرة سود - فاستنتج بعض الناس من هذا منع المغالاة فى المهور»[٣].

والذى نراه أن الآية الكريمة وإن كانت تفيد جواز الإصداق بالمال الجزيل، إلا أن الأفضل عدم المغالاة فى ذلك، مع مراعاة أحوال الناس من حيث الغنى والفقر وغيرهما.

ولقد ورد ما يفيد الندب إلى التيسير فى المهور، فقد أخرج أبوداود والحاكم من حديث عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الصداق أيسره»[٤].

٣- أن الرجل إذا أراد فراق امرأته، فلا يحل له أن يأخذ منها شيئا مادام الفراق بسببه ومن جانبه، كما أنه لا ينبغى له أن يأخذ منها أكثر مما أعطاه إياها إذا كان الفراق بسببها ومن جانبها.

٤- اتفق العلماء على أن المهر يستقر بالوطء، واختلفوا فى استقراره بالخلوة المجردة.

قال القرطبى والصحيح استقراره بالخلوة مطلقاً.. وبه قال أبوحنيفة وأصحابه قالوا: إذا خلا بها خلوة صحيحة يجب كمال المهر والعدة، دخل بها أو لم يدخل بها، لما رواه الدارقطنى عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «من كشف خمار امرأة ونظر إليها وجب الصداق»، وقال مالك: إذا طال مكثه معها السنة ونحوها واتفقا على ألا مسيس وطلبت المهر كله كان لها»[٥].

(٣) تفسير القرطبى جـ٥ ص٩٩ بتصرف وتلخيص.

(٤) أخرجه أبوداود فى باب «من تزوج ولم يسم صداقاً حتى مات» من كتاب النكاح جـ٢ ص٢٣٦.

(٥) تفسير القرطبى جـ٥ ص١٠٢.

السنة

المنهج التربوى فى حياة الرسول ﷺ

لفضيلة الشيخ إبراهيم عطا الفيومى

روى الإمام البخارى بسنده فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه: أن رجلاً أتى النبى ﷺ فقال:

(يا رسول الله، وُلد لى غلام أسود! فقال: «هل لك من إبل؟» قال: (نعم). قال: «ما ألوانها؟» قال: (حمر). قال: «هل فيها من أورق؟» قال: (نعم). قال: «فأنىَّ ذلك؟». قال: (لعلَّ نزعه عرق). قال: «لعل ابنك هذا نزعه».

اللغــويات

أنَّ رجـلاً: أى: أعرابياً.. وجاء فى رواية للنسائى: «جاء رجل من أهل البادية»، وفى رواية ابن وهب عن أبى داود «أن أعرابياً من بنى فزارة» وكذا عند مسلم وأصحاب السنن من رواية سفيان بن عيينة عن ابن شهاب.. واسم هذا الأعرابى ضمضم بن قتادة.

● ولد لى غلام أسود: أى: ولد لى غلام أسود وأنا أبيض، فكيف يكون منى؟! وفى ذلك تعريض بالنفى. والتعريض ليس قذفاً، وبه قال الجمهور.

● فهل فيها من أورق؟ أى: إبل فيها سواد ليس بحالك، بل يميل إلى الغبرة.

● فأنى ذلك؟ أى: من أين أتاها اللون الذى خالفها؟

● لعل نزعه عرق: أى: يحتمل أن يكون فى أصولها ما هو باللون المذكور، فاجتذبه إليه، فجاء على لونه.

● لعل ابنك هذا نزعه: فيه ضرب المثل وتشبيه المجهول بالمعلوم تقريبا لفهم السائل.

الشرح والبيان

إنه لم تعرف البشرية فى تاريخها الطويل رجلاً كمحمد ﷺ بهر الدنيا بسيرته، وملأ التاريخ بعظمته، وعطر الكون بأريج شمائله، ولفت عنق الزمن إلى آثاره الخالدة فى حياة الإنسانية وسعادتها.

وإن المتأمل فى عظمة النبى الكريم ﷺ يجد أنها ليست من جنس العظمات البشرية المألوفة التى يخشى عليها النسيان أو التلاشى فى صحف الأيام، فهى خالدة على مرّ الزمان، باقية ما بقى القرآن، وكيف لا؟! وهى عظمة رحمة وعطف وهداية وإرشاد وتثقيف وتهذيب وإصلاح وتعمير. نعم، إنها عظمة سلم وسلام، وأمن وأمان، إنها عظمة تساير الدهر، وتستقر فى صفحة الخلود، ويستمد العالم منها غذاء حياته الروحية والاجتماعية، إنها عظمة تهيىء للحياة الفاضلة عدتها وتعبد سبلها، وكيف لا؟! وهو رسوله يهدى ويعلم ويدعو الناس إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة كما علمه سبحانه. قال تعالى:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: ١٢٥)

رسول يبشر الطائعين بالجنة، وينذر العاصين بالنار، فهو البشير النذير ﷺ قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤٥: ٤٧)

فأخذ رسول الله ﷺ يدعو إلى الله على بصيرة:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ (يوسف: ١٠٨)

بيان خلاب، ومنطق جذاب سحر الألباب، وأخذ بمجامع القلوب، وكان له أثره فى التهذيب والتقويم والإصلاح، ألا وإن جوامع كلمه ﷺ مأثورة، وبدائع حكمه مشهورة جمع من الكلام رونق الحضارة، وجزالة البداوة ووضوح المعنى، فكلامه يحفظه الجالس، ويفهمه السامع، حدثت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يحدث حديثا لوعده العاد لأحصاه، ولهذا عجب الصحابة رضوان الله عليهم من فصاحة لسانه وقوة بيانه، وروعة أسلوبه فقال له الصديق أبوبكر رضى الله عنه: «لقد طفت العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك، فمن أدبك؟ قال: «أدبنى ربى فأحسن تأديبى»(١).

(١) كشف الخفاء ١/٧٢.

وقال له الفاروق عمر رضى الله عنه: «مالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا؟» قال: «كانت لغة إسماعيل قد درست فجاء بها جبريل فحفظتها»(٢).

وإن دل هذا على شىء فإنما يدل على المدد الإلهى الذى صاحبه، وصدق رب العالمين إذ يقول فى كتابه الكريم:

﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء: ١١٣)

لهذا كان رسول الله ﷺ دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، رقيق الحاشية، وسع الناس بحلمه وعطفه، وشفقته ورحمته ومحبته، فبادلوه حبا بحب ووفاء بوفاء، وصدق رب العالمين إذ يقول:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران: ١٥٩)

ومن مظاهر ذلك ما روى عن أسماء - رضى الله عنها: قالت: «لما دخل رسول الله ﷺ مكة واطمأن وجلس فى المسجد - أتاه أبوبكر رضى الله عنه بأبى قحافة، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «يا أبابكر ألا تركت الشيخ، أنا الذى أمشى إليه، قال: «يا رسول الله، هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشى إليه» فأجلسه رسول الله ﷺ، ووضع يده على قلبه، ثم قال: «يا أبا قحافة أسلم تسلم»، فأسلم وشهد شهادة الحق.

فقل لى: بربك هل عرفت الدنيا رحمة كرحمته ﷺ؟! قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)

والعالم: ما سوى الله عز وجل، وقد قال ﷺ: «إنما أنا رحمة مهداة»(٣).

هذا وقد كان ﷺ حكيما يخاطب كل قوم بما يألفون، ألا وهو القائل: «أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم»، فكان يلاحظ الفروق الفردية بين الأشخاص من حضارة وبداوة، وذكاء وغباء وصغر وكبر.. إلخ.

كذلك كان يلاحظ الفروق النوعية من ذكر وأنثى، فما يخاطب به الذكر قد لا يصلح للأنثى، وما تخاطب به الأنثى قد لا يخاطب به الذكر.

والحديث الذى بين أيدينا يحكى أن

(٢) كنز العمال ٣٥٤٦٢.

(٣) اتحاف السادة المتقين ٧/٣٦٢.

أعرابيا جاء إلى النبى ﷺ وهو حزين منقبض النفس يسأله فى قضية خطيرة ترتبط بالعرض، وتتصل بالشرف، وهو قضية شائكة، إذن إنه يشك فى نسبة ولده إليه، لأن ولده أسود، وهو مخالف له فى اللون، فقال الرجل لرسول الله ﷺ متحسراً حزيناً: يا رسول الله، ولد لى غلام أسود! فقال الرسول ﷺ: «هل لك من إبل؟» قال: نعم قال: «ما ألوانها؟» قال: حمر قال: «هل فيها من أورق؟ (أى رمادى)» قال: نعم قال: «فأنى ذلك؟» أى: فكيف جاءها هذا اللون؟ قال الرجل: لعل نزعه عرق. قال الرسول ﷺ: «لعل ابنك هذا نزعه».

وهذا الحديث الشريف عمد فيه الرسول ﷺ إلى لون من الحوار التقريرى الذكى استخلص منه فى النهاية أن الجمل الرمادى قد يأتى من الجمل الأحمر، أى: أن الابن اختلف فى اللون عن أبيه القريب، ويسأل الرسول ﷺ ذلك البدوى عن سر هذه الظاهرة فى الإبل، لأنه أعرف بشئون الإبل، فهى شغله الشاغل، فيرد البدوى: «لعل نزعه عرق» أى: لعل الجمل قد انتسب إلى أب بعيد من الآباء ذوى اللون الرمادى. وهنا ترى الرسول ﷺ ينقله نقلة ذكية من عالم الإبل إلى عالم الإنسان مستغلا عنصر التمثيل فيقول له: فكذلك ابنك هذا لعل فى آبائه الأبعدين من هو أسود؛ إذ لا فارق بين عالم الإنسان وعالم الحيوان فى هذا.. وهكذا نقله ﷺ مما يعرف إلى ما يجهل، وعقد مماثلة بينهما. ويلاحظ أن الجواب الثانى لم يدل به الرسول ﷺ ابتداء، وإنما استنبط من الرجل بعد أن قاده إلى الحقيقة بلطف وهدوء فما أروع هذا التبسيط، وما أدله على سعة العقل وقوة الإدراك! وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن نظريات التربية الحديثة التى نرددها فى معاهدنا وجامعاتنا وسائر دور العلم وننسبها إلى الغرب.. مارسها الرسول ﷺ فعلا، وتوخاها فى دروسه منذ أربعة عشر قرنا من الزمان.

هذا ولقد أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم أن رسول الله ﷺ سأل رجلا فقال له: «ما ولد لك» قال الرجل: يارسول الله، ما عسى أن يولد لى؟ إما غلام وإما جارية. قال: فمن يشبه؟ قال الرجل من عسى أن يشبه؟ إما أباه وإما أمه! فقال رسول الله ﷺ: «مه! لا تقولن هكذا؛ إن النطفة إذا استقرت فى الرحم أحضر الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم أما قرأت قول الله تعالى:

﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾
(الانفطار: ٨)

(أى شكلك) ولقد روى أبو أمامة – رضى الله عنه– أن غلاما شابا أتى النبى ﷺ فقال: يا نبى الله، أتأذن لى فى الزنا؟ فصاح الناس به فقال النبى ﷺ: قربوه، أدن منى، فدنا منه حتى جلس بين يديه، فقال النبى ﷺ «أتحبه لأمك؟» قال: «لا، جعلنى الله فداءك» قال:

«كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم، أتحبه لابنتك؟» قال: «لا، جعلنى الله فداءك» قال كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم. أتحبه لأختك؟» قال: «لا، جعلنى الله فداءك. قال: كذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم» وزادت بعض الروايات العمة والخالة وهو يقول فى كل مرة كذلك فوضع النبى ﷺ يده على صدره وقال: «اللهم طهر قلبه، واغفر ذنبه وحصن فرجه»(٤) فلم يكن شيء أبغض إليه من الزنا.

وبذلك عالج رسول الله ﷺ جريمة الزنا فى نفس الشاب علاجا نفسيا تربويا، حيث تتبع جذور الجريمة فى أعماق النفس واستطاع أن يقتلعها من الأساس باليد الحانية والأسلوب الحكيم كالطبيب الحاذق الذى يشخص الداء ويستأصله من جذوره لينعم الجسم بالصحة والسعادة.. هذا وإذا كان الطبيب يعالج الأبدان والأجسام ـ فإن رسول الله ﷺ يعالج الأرواح والنفوس.. ولا شك أن أشرف الطبين ما عالج أشرف الجزأين، وقد أنشد الشاعر:

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته
أتطلب الربح مما فيه خسران؟!
أقبل على النفس واستكمل فضائلها
فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

انظروا ـ إخوة الإسلام ـ كيف استطاع الرسول ﷺ أن يوضح لهذا الشاب أن المرأة لا تخلو أن تكون أما أو بنتا أو أختا أو عمة أو خالة، وهو لا يرضى لهن هذه الجريمة الشنعاء التى تلوث الشرف وتطيح بالعرض، فكيف يرضى ذلك لغيره؟! فإذا شاء العفاف والطهر لأسرته فعليه أن يكون عفيفا طاهرا مع باقى الأسر حتى يعتدل الميزان وينعم الناس بالسلم والأمان.

لهذا كان رسول الله ﷺ يقول: «عفوا تعف نساؤكم» وقد أنشد الشاعر الحكيم:

عفوا تعف نساؤكم فى المحرم
وتجنبوا ما لا يليق بمسلم
من يزن فى بيت بألفى درهم
فى بيته يزنى بغير الدرهم
من يزن يزن به ولو بجداره
إن كنت يا هذا لبيبا فافهم
إن الزنا دين فإن أقرضته
كان الوفا من أهل بيتك فاعلم
يا هاتكا ستر الرجال وقاطعا
سبل المودة عشت غير مكرم
لو كنت حرا من سلالة مسلم
ما كنت هتاكا لحرمة مسلم

وختاما قال رسول الله ﷺ: «البر لا يبلى والذنب لا ينسى والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان»(٥).

---

(٤) أخرجه أحمد فى مسنده ج٥/ ٢٥٦، ٢٥٧.
(٥) كنز العمال، ٤٣٦٧٢، ٤٣٧٢٤.

فى استقبال العام الهجرى الجديد

للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم
عضو مجمع البحوث الإسلامية

يستقبل العالم الإسلامي، في مشارق الأرض ومغاربها عاماً هجرياً جديداً، يتذكرون فيه حادث الهجرة النبوية الذى كان حديث القرآن الكريم عنه حديث النصر، لا حديث الفرار أو الهروب، فقد قال رب العزة سبحانه وتعالى:

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

سورة التوبة (٤٠)

ففى هذه الآية الكريمة بيان لأوجه النصر فى الهجرة:

- الأول: نصر الله تعالى لرسوله ﷺ عند خروجه
- والثانى: نصر الله تعالى لرسوله ﷺ وهو فى الغار.
- والثالث: نصر الله تعالى لرسوله ﷺ حين اقترب المشركون منه وكانوا على فم الغار وقال الصديق لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، فقال له الرسول ﷺ:

﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾

● أما الأول: فقد نصر الله تعالى رسوله ﷺ عند خروجه، فأغشى الله الذين كانوا ينتظرونه فهم لا يبصرون وفى مسيرته وملاحقة سراقة له، وما جرى له ولجواده مما جعله يرجع بوجه غير الوجه الذى ذهب به، ومما جعله يرد الطلب عن رسول الله ﷺ،

وعندما سأله أبو جهل عن تغيره، فى موقفه من الرسول ﷺ أجاب قائلاً:

أبا حكم والله لو كنت حاضراً
لأمر جوادى إذ تسوخ قوائمه

علمت ولم تشكك بأن محمداً
رسول ببرهان فمن ذا يقاومه

وكان الخروج انتصاراً للدعوة الإسلامية لتساح فى العالم، فخرج منصوراً مؤيداً من ربه سبحانه.

● وأما الثانى: فهو عندما كان فى الغار، حيث وقف قصاص الأثر عند الغار ومع وصولهم إلى الغار فلم يدر بخلد أحدهم أن ينظر إلى داخل الغار فقد نسج العنكبوت خيوطه، وبنى الحمام عشه، فردّ الله الأعداء الأقوياء بأوهى وأضعف ما يكون وهو بيت العنكبوت:

﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾

(سورة العنكبوت: ٤١)

قال الإمام البوصيرى رحمه الله:

فالصدق فى الغار والصديق لم يرما
وهم يقولون ما بالغار من أرم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على
خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة
من الدروع وعن عال من الأطم

● وأما الثالث: فهو الانتصار النفسى عندما قال أبو بكر رضى الله لرسول الله ﷺ: «لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا» فقال رسول الله ﷺ: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما لا تحزن إن الله معنا»(١) قال الرسول ﷺ وأبو بكر رضى الله عنه فى معية الله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾

(التوبة: ٤٠)

والله جلت قدرته ليس كمثله شيء والله سبحانه وتعالى لا تدركه الأبصار فالذى فى معيته لا تدركه الأبصار، ولن تراه عيون الكفار:

﴿ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾

(التوبة: ٤٠)

إنهم جنود سخرهم الله لحفظ رسول الله ﷺ لا يعلمهم إلا الله:

﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

(التوبة: ٤٠)

وهكذا نطالع نصر الله تعالى لرسوله ﷺ فى هجرته ليتغير العالم الإنسانى بأسره أن دولة الظلم ساعة وأن دولة الحق إلى قيام الساعة، وأن الحق يؤيده الله وينصر أهله، وأن هذا الدين محفوظ برعاية الله تعالى.

كما تلقى الهجرة النبوية بظلالها لأهل الإيمان ودعاة الحق أن عليهم أن يواجهوا مصاعب الحياة بإيمان راسخ وقلوب مؤمنة، وأنهم لابد أن يبتلوا وأن يصبروا، رفعاً لقدرهم، وانتصاراً لدعوة الحق.

لقد كان رب العزة سبحانه قادراً أن يجعل الهجرة هينة سهلة وأن ينتقل رسول الله ﷺ كما انتقل فى الإسراء والمعراج دون تعرض للمخاطر ولكن رب العزة أراد أن يعطى بجهاده وصبره على الشدائد التى واجهته دروساً باهرة ناضرة لكل

(١) الدر المنثور ٣/٢٤٥.

الدعاة والهداة والمصلحين أنه لابد من الصبر ولابد من مواجهة الشدائد، فيقتدى المصلحون برسولهم ﷺ في تحمل الشدائد وفي الصبر والمصابرة والمجاهدة والصمود حتى يحق الله الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين.

● إننا نستقبل العام الهجرى الجديد ونحن على يقين أن من لاذ بربه لا يضام، ومن احتمى به نصره الله، والله عزيز حكيم فإذا كانت أمتنا الإسلامية تواجه تحديات ظالمة من أعدائها، فإن ذكرى الهجرة، تدعوها لمراجعة حياتها والتمسك بدينها وأن تلوذ بحمى الله وليس بحمى شرق ولا غرب وأن تأخذ بالأسباب، فإن الله تعالى سيؤيدها بمدد من عنده وبجنود لم يروها كما حدث في الهجرة، لإننا مأمورون أن نقتدى برسول الله -ﷺ-:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾

(الأحزاب: ٢١)

فالعام الهجرى الجديد يذكر الأمة بأول وجود عالمي دولي لها حيث صارت بالهجرة دولة الإسلام قوية البنيان، شامخة الأركان.

تعلم الهجرة أمتنا أن هذا الوجود الدولي العالمي لم يأت منحة، وإنما جاء بعد جهود وصمود، وسعى وعمل.

● ويذكرنا العام الهجرى الجديد، بأن هذه الهجرة التى ترك فيها المسلمون ديارهم وأموالهم، قد سبقتها هجرة القلوب أولاً، حيث هجروا الشرك والعقائد الفاسدة، وهجروا الفساد والانحراف، والظلم والعدوان وهجروا كل فساد وضلال وجهل إلى الإصلاح والهداية والنور والهدى فمهدت هجرة القلوب إلى هجرة الأبدان.

● ولقد كان المشركون يعلمون علم اليقين أن رسول الله ﷺ على الحق وأنه الصادق الأمين، ومن قبل، وفي أول الدعوة استدعى شهادتهم عليه حين قال لهم: «لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مكذبيّ؟» قالوا: ما جربنا عليك كذباً قط.

ولتأكيد يقينهم في أمانته كانوا لا يودعون أماناتهم ونفائسهم ومالهم وذهبهم عند أب أو أخ أو أقرب الناس لهم، بل كانوا يودعونها عند رسول الله ﷺ، وفي هذا دلالة على أن مخالفتهم وعدم اتباعهم له لم يكن عن إيمان، بل عن عناد وتشبث بالباطل.

ومع ما فعلوه بالمؤمنين فإن رسول الله ﷺ استبقى علياً كرم الله وجهه ليرد للناس ودائعهم عملاً بدعوته وبما وجه به الناس: «أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك»[٢].

● يذكرنا العام الهجرى الجديد بأن إقامة الدولة الإسلامية لابد أن يكون على أسس صحيحة قوية هي: توثيق الصلة بالله تعالى وتأكيد الإيمان، وتم هذا في الهجرة بأن كان بناء المسجد أول عمل قام به الرسول ﷺ، كما قام ببناء الدولة الجديدة على توثيق صلة الخلق بعضهم مع بعض وذلك عن طريق المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار حيث أصبح جميع المسلمين من مهاجرين وأنصار قلباً واحداً نابضاً بالحب والكرم والتعاون والإيثار.

(٢) أبو داود ٣٥٣٤.

كما تذكرنا الهجرة بتوثيق العلاقات الدولية عن طريق تلك الوثيقة التى أبرمها الرسول ﷺ بين المسلمين وبين سكان المدينة آنئذ من غير المسلمين، إنها أسس ثلاثة قامت عليها الدولة الإسلامية الجديدة بعد الهجرة تتمثل في توثيق الصلة بالله ببناء المسجد وتوثيق صلة المسلمين مع بعضهم بالمؤاخاة وتوثيق صلة المسلمين مع غيرهم بوثيقة المعاهدة.

● وفي الهجرة إطلالة من عالم البشر ودنيا الناس على أن الإسلام هو الدين الحق وأن رسول الله ﷺ - هو بحق - الصادق الأمين، وأن أصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين هم الصادقون الأمناء، والمخلصون لدينهم والأوفياء، فمن ينظر إلى المشركين وهم في مكة يرى أنهم مع كونهم يخالفون الرسول ﷺ في الدين إلا أنهم عندما كانوا يريدون أن يودعوا نفائسهم وذهبهم وأموالهم لا يأتمنون أباً ولا ابناً ولا أخاً وإنما كانوا يأتمنون عليه رسول -الله ﷺ- وحده فيودعون عنده أماناتهم النفيسة اقتناعاً منهم بأنه الصادق الأمين، كما سبق توضيح ذلك.

ولننظر إلى واحد من أصحاب رسول الله ﷺ وهو صهيب بن سنان رضى الله عنه، فعندما هاجر، حال المشركون بينه وبين هجرته، وقالوا له: «أتيتنا صعلوكاً لا مال لك فإذا بما مالك تريد أن تهاجر»؟! فهددهم قائلاً: «تعلمون أني من أرماكم رجلاً، وأيم الله لا تصلون إليّ حتى أرمي بكل سهم معي في كنانتي ثم أضربكم بسيفي حتى لا يبقى في يدى منه شيء فاقدموا إن شئتم، وإن شئتم دللتكم على مالي وتتركوني وشأني» فقبلوا أن يأخذوا ماله، فدلهم على المكان الذى خبأ فيه ماله فتركوه راجعين.

ونلاحظ أنهم صدقوه عندما دلهم على ماله ولم يكذبوه ولم يطلبوا منه بينة ولم يطلبوا منه يميناً ولا استحلفوه بل صدقوه، لأنهم يعلمون صدق أصحاب الرسول ﷺ وهو موقف يومئ إلى عظمة صهيب رضى الله عنه.

وبينما كان رسول الله ﷺ جالساً مع الصحابة إذ بصهيب يقترب فلم يكد رسول الله ﷺ يراه إلا قال: «ربح البيع أبا يحيى ربح البيع أبا يحيى»[٣] وعندئذ نزلت الآية الكريمة وهي قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾

(البقرة: ٢٠٧)

هذا نموذج من المهاجرين الذين أحبوا الله وأحبوا رسولهم وصدقوا ما عاهدوا الله عليه.

هؤلاء هم الذين صاغ الرسول ﷺ شخصيتهم على الإيمان والعمل والجهاد وحب الإسلام والتضحية من أجله.

إن واجب عالمنا الإسلامي أن يتأسى برسوله - ﷺ - وبأصحابه الأبرار الأطهار، وأن يكون المسلمون على قلب رجل واحد، حتى يحققوا خيريتهم على ظهر الأرض أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر وتبليغاً لدين الله تعالى للناس أجمعين.

(٣) كنز العمال ٣٧٢٧٩.

خطبة الجمعة

تأملات في الهجرة

لفضيلة الشيخ/ محمد الغزالي

إعداد فضيلة الشيخ/ علي حامد عبدالرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.
وأشهد أن محمداً رسول الله، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، والسراج المنير.
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين.
أما بعد:

فلا تزال بقايا من قصة الهجرة تحتاج إلى تجلية، ولا تزال عبر في هذا الحادث الضخم، ينبغي أن نقف بإزائها حتى تصلح على ضوئها حاضرنا، فنحن ما نذكر تاريخنا الماضي ـ قصصه وأحداثه ـ إلا لنقتبس منه أضواء تحدد لنا الهدف وتجنبنا الزلل.

أول ما نوجه النظر إليه في حادث الهجرة قانون السببية، إن هذا القانون فرض نفسه في الهجرة، لم يقل النبي عليه الصلاة والسلام إنني ومن معي أوذينا في الله طويلاً، وقد أُخرجنا من ديارنا كرهاً، فعناية السماء يجب أن تلاحقنا، ولا حرج من بعض التفريط أو بعض التواكل، فإن الله يجبر الكسر، ويكمل النقص، لم يقل النبي عليه الصلاة والسلام شيئاً من هذا، وإنما وضع الخطة كاملة، كل ما يمكن أن يصنعه الإنسان العادي ليتجنب الأخطار، وليبتعد عن مكايد العدو، فعله النبي عليه الصلاة والسلام.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما سمع بالطاعون في الشام أبى أن يدخل البلد الذي قصد أن يدخل إليه، فقال له أبوعبيدة بن الجراح رضي الله عنه: أتفر من قدر الله؟ فغضب عمر غضباً شديداً، وقال: يا أبا عبيدة: لو غيرك قالها!! أفر من قدر الله إلى قدر الله!! أرأيت لو أن عندك قطيع غنم فتركت المكان الجدب إلى المكان المخصب ألم تتركه بقدر الله إلى قدر الله؟

هذا المعنى يشرحه حديث آخر، فقد سئل رسول الله ﷺ: أرأيت أدوية نتداوى بها، ورقى نسترقي بها، وتقى نتقيها، هل ترد من قدر الله شيئاً؟ قال: «هي من قدر الله».(١)

اتخاذ الأسباب إذن دين، وهذا هو الذي جعل رسول الله ﷺ يفكر في الاختباء في الغار، وفي تضليل أعدائه فكان يتجه جنوباً وهو يريد أن يتجه إلى الشمال، وفي اتخاذ راحلتين قويتين مستريحتين حتى تتمكنا من السفر وتحمل وعثاء الطريق وطول المدة، واتخاذ دليل مدرب حتى يعرف ما هنالك من وجوه الطرق والأماكن التي يمكن التعريج عليها بعيداً عن الأرصاد المبثوثة هنا وهناك، وكيف يضلل من يبحثون عنه؟

قضية السببية قضية فرغ الإسلام منها، قرر أنها حق. لكن موقف المؤمن والكافر من السبب يختلف بعد ذلك، فالمؤمن بعد أن يتخذ الأسباب كاملة لا يعول عليها، ولا يربط نفسه بها، ولا يظن أنها هي التي تفعل أو تترك، بل يؤمن بأن الأمور بيد الله، وأن النتائج تتم بقدرة الله، وأن هناك بأسباب أخرى ليست في يد الإنسان، الله جل شأنه هو الذي يوفرها ويكثرها لمن أراد أن ينجح قصده.

الفارق بين المؤمن والكافر كلاهما يأخذ بالسبب، أما نحن المؤمنين فإننا نرى أن الأسباب أدوات للقدرة العليا، ومفاتيح لخزائن الرحمة الإلهية، وأن أي شيء انقطع عنه الإمداد الأعلى فإنه لا يصنع شيئاً، ويتوقف في مكانه. أتظن الأرض وهي تدور حول نفسها لاتتخلف دقيقة عن ميعادها في شروق أو غروب، ألديها ساعة تضبط بها الوقت؟

أترى وهي تدور حول الشمس لديها أجنحة تطير بها، أو مخزون من البترول أو الكهرباء يعينها على السرعة في جريها؟ لا شيء، إنها قدرة الله هي التي تحرك الأسباب علواً وسفلاً!! فإذا كان الإنسان يقوم بالسبب ثم ينتظر من رب العالمين أن يحقق النتيجة فتلك طبيعة علمية ما ينبغي أن يكابر امرؤ فيها.

المؤمن يأكل الخبز ثم يعلم أن استفادة

---

(١) رواه ابن ماجة في الطب: باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء ٢/١١٣٧، وأحمد ٣/٤٢١ والحاكم في الطب ٤/٤٠٢.

جسمه من هذا الخبز ليس لأن في ذرات الدقيق عقلا يحولها إلى عظم وعصب وقوة وطاقة، لا، هذا كله صنع الله!!

أما المادي فيتصور أن هذه الأسباب تتحرك تلقائيا بذكاء في الدقيق أو بقدرة عقلية في الرغيف!!

هذا هو الفارق بين المؤمنين وغير المؤمنين.

أما الأسباب فاتخاذها دين.

مما نذكره في قصة الهجرة أن ما قبل الهجرة وما بعده سواء في قضية عرض الإسلام، بعض الناس يقول - وقد أكد هذا مستشرقون ومبشرون وسماسرة لهما- كانت الدعوة الإسلامية قبل الهجرة تعتمد على الإقناع المجرد، وعلى التفكير الحر، وعلى رفض الضغط في جعل الناس يعتنقون ما يشاءون من عقائد، أما بعد الهجرة، وبعد أن تماسك السيف في أيديهم فقد أخذوا يحكمون السيف، ويبتعدون عن منهج العقل!!

هذا كلام يحتاج إلى أن نناقشه، صحيح أن الدعوة قبل الهجرة كانت تعتمد على الإقناع الحر، وعلى المنطق العقلي الواعي، وعلى ترك المعارضين يأخذون طريقهم كما استحبوا لأنفسهم. في سورة الأنعام وهي مكية نقرأ قوله تعالى:

﴿ قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ﴾

(الأنعام: ١٠٤)

في سورة الكهف وهي مكية نقرأ قوله تعالى:

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾

(الكهف: ٢٩)

في سورة يونس وهي مكية نقرأ قوله تعالى:

﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

(يونس: ٤١)

هذا منطق الإسلام في مكة فهل تغير هذا المنطق في المدينة؟ الجواب على هذا يتقاضانا أن ننظر في الوحي الذي نزل في المدينة لنرى أترك المسلك الأول أم بقي إلى هذه الوجهة يسير دون أدنى تغيير؟

نقرأ سورة البقرة وهي سورة مدنية بيقين، فنجد فيها قوله تعالى:

﴿ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ﴾

(البقرة: ١٣٩)

ونقرأ في سورة النساء وهي مدنية، نقرأ قوله تعالى:

﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾

(النساء: ٨٠)

ونقرأ في السورة نفسها قوله تعالى:

﴿ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾

(النساء: ٩٠)

ونقرأ في سورة المائدة، وهي مدنية، قوله تعالى:

﴿ مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾

(المائدة: ٩٩)

ولا أريد أن أستعرض القرآن كله لأبين أن مكيه تمهيد لمدنيه، وأن مدنيه تصديق لمكيه، وأن مسلك الإسلام بعد الهجرة هو مسلكه قبل الهجرة، وأنه الدين الذي اخترع في العالم الحرية الدينية، وبسط رعايته على من يعارضونه فما أحرجهم، ولا اضطهدهم، ولا استذلهم، ولا نال منهم قليلا ولا كثيرا!!

ولكن هناك من على أبصارهم وبصائرهم حجب يريدون أن يكذبوا، وأن يزوروا التاريخ وأن يقولوا للناس كلاما لا أصل له في تصور الإسلام وتصويره للأمور.

شيء آخر يتصل بالهجرة وهو قصة التشريع.

يشيع بين الناس أن ما بعد الهجرة كان عصر التشريع، وأن ما قبل الهجرة كان عصر التمهيد، هذا كلام مدخول، ويحتاج إلى شيء من التوضيح.

فإن شرائع العقيدة كلها تمت قبل الهجرة، وشرائع الأخلاق الفاضلة كلها تمت قبل الهجرة، وأن العبادات من صلاة وزكاة تمت قبل الهجرة، والحج معروف من شريعة إبراهيم، وإذا كان فرض الصوم قد تأخر إلى ما بعد الهجرة فلا يقدح هذا في أن ما قبل الهجرة كان عصر تشريع لأهم ما تحتاج إليه الأمة في عقائدها وعباداتها.

الصلاة شرعت قبل الهجرة، الزكاة شرعت قبل الهجرة أوائل سورة المؤمنون وهي سورة مكية، تقول:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾

(المؤمنون: ١-٦)

كل هذا شرع قبل الهجرة، بل كان تشريع الزكاة من أول ما عرف بعد الإيمان بالله والصلاة مباشرة.

تشريع الخمر أغلب العلماء يرى أن الأمر الحاسم بترك الخمر كان في المدينة ويرى آخرون أن الخمر من أسمائها «الإثم» يقول الشاعر:

شربت الإثم حتى ضل عقلي
كذلك الإثم تذهب بالعقول

والدليل على تحريم الإثم - الخمر - في

مكة قوله تعالى فى سورة الأعراف :

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾

(الأعراف : ٣٣)

تشريع الربا، صحيح أن آيات الربا من آخر ما نزل فى سورة البقرة ومن آخر ما نزل فى المدينة، لكن تحريم الربا أشعر القرآن به فى الوحى المكى النازل بمكة، فى سورة الروم نقرأ قوله تعالى :

﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾

(الروم : ٣٩)

المضعفون.. أى الذين يضاعفون ثوابهم، ويكثرون عند الله أجرهم. فالعصر المكى كان عصر تشريع إلى جانب العصر المدنى الذى أكمل التشريع، وفرع فى كثير من المسائل بعد استقرار المجتمع الإسلامى وتكون الدولة فيه.

مما ينبغى أن يعرف أيضا فى الهجرة.. أن القرآن الذى نزل فى مكة قبل الهجرة أو فى المدينة بعد الهجرة سواء فى إعجازه، سواء فى بلاغته، سواء فى التحدى به.

ياعباد الله إننا بحاجة ملحة إلى أن نعرف الإيمان ورايته، ولا تمنى إلا تحت هذه الراية حتى نصل إلى غايتنا إن شاء الله.

«اللهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا وأصلح لنا دنيانا التى فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التى إليها معادنا واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير واجعل الموت راحة لنا من كل شر»[٢]

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾

(الحشر : ١٠)

عباد الله

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

(النحل : ٩٠)

***

(٢) رواه مسلم، والنسائي، وأحمد.

الهجرة بين السيرة والإبداع الأدبى في منظور «محمد حسين هيكل»

للأستاذ الدكتور / صابر عبدالدايم
عميد كلية اللغة العربية بالزقازيق

يتناول د/محمد حسين هيكل «حادث الهجرة» بالتحليل والتفصيل التاريخى فى كتابه «حياة محمد ﷺ» وذلك فى الفصل العاشر من هذا الكتاب الذى خصه لكتابة «السيرة النبوية» فى ظل بعض الرؤى والتحليلات الحديثة.. مع الالتزام بوقائع التاريخ المعروفة، وتجنب الإسهاب فى رصد الأسماء والأماكن التى عنى بها كتاب «السيرة النبوية» من المؤرخين القدامى، ومقدمة الكتاب تفصح عن دوافع كتابة د/ هيكل لهذا الكتاب، وكذلك توضح منهجه الذى اختطه لنفسه وهو «المنهج العلمى» - حسب كلامه - والمقدمة تعد مدخلا للمقارنة بين الرسالات السماوية ودعوة إلى التجديد والاجتهاد، والرد على أعداء الإسلام ردا علميا منهجيا، ويقول موضحا: كيف فكر فى وضع كتابه «حياة محمد» مشيرا إلى خبراته الثقافية، واطلاعه على جهود المستشرقين.

أتاحت لى ظروف حياتى العملية أن أتبين ما يقصد إليه من القضاء على الروح المعنوية فى هذه البلاد أى البلاد العربية والإسلامية بالقضاء على حرية الرأى، وحرية البحث ابتغاء الحقيقة، ثم يقول: وهدانى تفكيرى آخر الأمر إلى دراسة حياة محمد ﷺ صاحب الرسالة الإسلامية، وبهدف كشف مطاعن المسيحية من ناحية، وجمود الجامدين من المسلمين من الناحية الأخرى، على أن تكون دراسة علمية على الطريقة الغربية الحديثة، خالصة لوجه الحق، ولوجه الحق وحده.

ثم أوضح بعد ذلك أنه: بدأ يراجع تاريخ محمد ﷺ، وبعيد النظر فى سيرة ابن هشام، وطبقات ابن سعد، ومغازى الواقدى، وعاد إلى كتاب «سيد أمير على»: «روح الإسلام» وحرص على أن يقرأ ما كتبه بعض المستشرقين، فقرأ كتاب (درمنجم) وكتاب «وشنجتن» ثم بدأ الكتابة فى شتاء ١٩٣٢م ويقول: إنه لقى إقبالا وتشجيعا من طائفة شيوخ المعاهد، مما جعله يفكر تفكيرا جديا فى انفاذ ما اعتزمه من كتابه «حياة محمد ﷺ» على الطريقة العلمية الصحيحة كتابة مفصلة؛ ويقول: «ودعانى ـ ذلك ـ إلى التفكير فى أمثل الوسائل لتمحيص السيرة تمحيصا علميا جهد ما أستطيع»[1].

ود/ هيكل فى منزل الوحى لم يكن «مؤرخا» فى كتابته عن «أحداث الهجرة» ولكنه كان أديبا يستقبل صدى الأحداث وفيوضات المكان، وجلال الشخصيات استقبال المشوق المحب، وقد جسد كل أحاسيسه وعواطفه، ووظف كثيرا من طاقاته التعبيرية، ووسائله الأسلوبية والتصويرية وهو يصف «غار ثور» وصفا ممتزجا بالإجلال والحنين.. والحب، والشوق، واستدعاء وهج الماضى للؤمن ليضىء آفاق الواقع المظلم.

وفى رصد د/ هيكل «لمشاهد الهجرة» لم يبتعد عن طبيعته «الأدبية»، ولم يسرد الوقائع التاريخية سردا تاريخيا جافا، وإنما جنح إلى بعض الصيغ الأدبية، والأساليب البيانية التى لا تجور على الحقيقة التاريخية ومن معالم هذا المزج بين الدقة التاريخية.. والحس الأدبى:

أ ـ السرد التاريخى الممتزج بالتصوير الفنى، والتفنن الأسلوبى، ولنتأمل هذه الصورة التعبيرية وهو يصور استعداد الرسول وصاحبه أبى بكر للهجرة، حيث يقول: «فلما اعتزم الرجلان مغادرة مكة لم يكن لديهما ظل من ريب فى أن قريشا ستتبعهما، ومن أمثلة ذلك حسن التقسيم والاستفهام فى سياق تحليل موقف المشركين ودوافعهم للانتقام من رسول الله، ورصد المكافآت لمن يعثر عليه، يقول: فما بالك وهؤلاء العرب من قريش يعتبرون محمدا ﷺ عدوا لهم، وفى نفوسهم من خلق الغيلة ما لا يأنف من الفتك بالأعزل، والاعتداء على من لا يستطيع عن نفسه دفاعا، فليكونا إذا على أشد الحذر، وليكونا أعينا ترى، وآذانا تسمع، وقلوبا تشعر وتعى.


هيكل — الرافعى

وبعض العناوين يصاغ صياغة أدبية مثل «لظى الطريق» وهو عنوان يتضمن بعد ذلك وصف أهوال الطريق.

ويبدأ بهذه البداية الأسلوبية المؤثرة: «وانطلق محمد ﷺ وصاحبه يقطعان بطون تهامة فى قيظ محرق تتلظى له رمال الصحراء، ويجتازان إكاما ووهادا، والنماذج كثيرة دالة على هذا النهج عند د/ هيكل.

(١) انظر مقدمة كتاب «حياة محمد» د/محمد حسين هيكل - دار المعارف، ط. الثانية والعشرون.

ب ـ تكرار بعض الأفعال فى بدايات الجمل سعيا إلى تأكيد الموقف، وزيادة التأثير فى القارئ، وجذبه إلى الانفعال بالحدث.. وكأنه يراه أمامه: ومن ذلك قوله وهو يرصد أخطار الطريق:

«ولا يجدان أكثر الأمر ما يتقيان به شواظ الهاجرة، ولا يجدان ملجأ من قسوة ما يحيط بهما، وأمنا مما يتخوفان أن يفاجئهما.. إلا فى صبرهما وحسن ثقتهما بالله.

ويكرر أحيانا أدوات الجر، وأفعل التفضيل تكرارا قد يجره إلى الاستطراد والإسهاب، مثل قوله: «وإن كانوا قد سمعوا من أمره، ومن سحر بيانه، ومن قوة عزمه، ما جعلهم للقياه أشد اشتياقا، وإلى رؤيته أشد تطلعا».

ومن ذلك تكرار اسم الموصول وأن المصدرية الناصبة، فى سياق تصويره لاستقبال أهل يثرب لرسول الله ﷺ: إذ يقول: «أقبل عليه أهل يثرب: وكل يحاول أن يراه، وأن يقترب منه وأن يملأ عينيه من هذا الرجل الذى لم يره من قبل، والذى امتلأت مع ذلك نفسه بحبه وبالإيمان برسالته، والذى يذكره كل يوم أثناء صلاته مرات».

جـ - الإيقاع الصوتى والسجع غير المتعمد، وهذه الظاهرة تشيع كثيرا فى كتاب «حياة محمد» وفى كتاب «منزل الوحى» وهى تأتى عفوية غير متكلفة، ولا يلجأ الكاتب إلى ألفاظ غريبة ليكمل الفاصلة، وكذلك لا يضطر إلى الإتيان بألفاظ زائدة إلا قليلا وهذا الإيقاع النثرى له حضوره فى الكتابات النثرية الفنية وهو لدى الرافعى يسيطر على كتاباته ويقل حضوره فى كتابات العقاد، وعند هيكل يستدعيه السياق، ولا يمثل ظاهرة أسلوبية مثل الرافعى وتأمل هذا المقطع الذى يصور فيه «هيكل» مشاهد الطريق، حيث لجأ إلى الإيقاع الصوتى من خلال ألف الاثنين وثبوت النون، وكذلك حروف المد، وحروف التثنية فى الأفعال والأسماء التى تضمنها هذا المقطع، وكأن هذا الإيقاع الصوتى الممتد، البطىء صورة للطريق الذى طال.. وصورة لروح المقاومة والإرادة القوية والعزيمة الصادقة، يقول: وظلا كذلك سبعة أيام متتالية ينيخان فى حمارة القيظ ويسريان على سفينة الصحراء الليل كله يجدان فى سكينته، وفى ضوء النجوم اللامعة فى ظلمته ما يطمئن له قلباهما وتستريح له نفساهما، فلما بلغا مقام قبيلة بنى سهم، وجاء إليهما شيخها «بريدة» يحييهما زالت مخاوفهما، واطمأنت لنصر الله قلوبهما»[2].

وفى سياق رصد ثمار الهجرة ونتائجها يقول د. محمد حسين هيكل منوها بكفالة حرية العقيدة:

(لم يكن «محمد ﷺ» يفكر فى ملك ولا فى مال ولا فى تجارة، بل كان كل همه توفير الطمأنينة لمن يتبعون رسالته، وكفالة الحرية لهم فى عقيدتهم ككفالتها لغيرهم فى عقيدتهم فالحرية وحدها هى الكفيلة بانتصار الحق، وبتقدم العالم نحو الكمال فى وحدته العليا، وكل حرب على الحرية تمكين للباطل ونشر لجيوش الظلام لتقضى على جذوة النور المضيئة فى النفس الإنسانية، والتى بينها وبين الكون كله، من أزله إلى أبده، صلة اتساق ومحبة ووحدة، لا صلة نفور وفناء[3].

(٢) حياة محمد ص١٨٢.

(٣) حياة محمد ص١٨٦.

عبقرية السيدة خديجة رضى الله عنها

إلى أبناء وبنات هذا الجيل الباحثين عن «المثال» أسوق هذا الحديث

سطور.. لابد منها

للأستاذ محمد مصطفى البسيونى

لم نقصد فى هذه السطور أن نجارى أستاذنا العبقرى العقاد فى «عبقرياته» الجهيرة، ولكن حسبنا أن نستلهم فكره الفذ فى هذا المجال فنتحدث عن «عبقرية» مضيئة فى التاريخ الإسلامى بل التاريخ الإنسانى على الإطلاق. فعلى «أمى وزوجى وابنتى» المعاصرات اللواتى يغشى أبصارهن أحيانًا «فرقعات» الضوء الآتى من الغرب أن يتتبعن أولاً نور الشمس فى مساره الطبيعى من الشرق، ولن يكلفهن الأمر شيئًا إذا عقدن المقارنات المنصفة والموازنات الواعية، بعيدًا عن التسرع والانبهار، ولا شك فى أن «أمى وزوجى وابنتى» وغيرهن من الفضليات اللواتى ندين لهن أعمق الدَّين بجهدهن المشكور فى تربيتنا ورعاية أبنائنا وأحفادنا - ولا سيما من أتاح الله لها حظ الإسهام فى المسيرة الثقافية والريادة الفكرية أن تقف كل منهن أمام ذاتها وقفة موضوعية لوجه الله والحق والتاريخ الذى يسهمن فى صياغته بما يصنعن من كيانات بشرية فى بيوتهن.

ولاسيما ما يقدمن من غذاء تربوى لفتيات هذا الجيل اللواتى من المتوقع أن يصبحن يومًا ما أمهات مسئولات عن السلسلة القادمة من الأجيال مصداقًا لقول الشاعر فى قوله الذى كانت تحفظه بنات المدارس فيما مضى:

إن البنات الناشئات
سيصرن يومًا أمهات

إنها أمانة كبرى ضمن الأمانة التى عرضها الحق سبحانه وتعالى على السماوات والأرض والجبال:

﴿ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ﴾

(الأحزاب: ٧٢)

الذى برأه الله - عز وجل - من ذكر وأنثى، والذى قال سبحانه عنه ذلك على لسان امرأة عمران:

﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ﴾

(آل عمران: ٣٦)

وعندما نصطنع ما يعرف بالعكس المستوى فى علم المنطق فإنه يمكننا أن نقول بناء على ذلك أنه «ليست الأنثى أيضًا كالذكر» إنما لكل رسالته فى العمارة الكونية والخلافة الأرضية.

هل البنت مثل الولد حقًا؟

ومن ثم أرجو أن يأذن لى القارئ العزيز أن أعلق على كلمة يتغنى بها الناس ويطير بها الأثير وهى قول «البنت زى الولد» خلافًا لسنة الله سبحانه واختلافًا على مقولة «امرأة عمران»، إن الله - عز وجل - يوجهنا التوجه الربانى الحكيم:

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾

(المؤمنون: ١١٥)

ومن العبث أن تسلب «البنت» رسالتها البناءة كمشروع أم وزوجة ونقول إنها «زى» الولد.

ومن أسف أن مثل هذه الدعوى التى يدعيها البعض فى تسرع غير محسوب تسىء إلى «البنت» كما تسىء إلى «الولد» لأن هذا هو «العبث» بعينه وحاشا لله الذى أنزل علينا فى محكم آياته:

﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾

(الرحمن: ٧)

ونحن نفهم من معانى الميزان هنا التوازن فى الأمور فلكل دوره وكل ميسر لما خلق له، ولنا فى حركة الأفلاك ما يؤكد ذلك على الأرض:

﴿ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾

(يس: ٤٠)

ولم نسمع أو نعلم على قدم الخلق أن الشمس قد احتجت على ذلك أو أن الليل قد تمرد على دوره الذى خلق له إنما الإنسان الذى:

﴿ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾

(الأحزاب: ٧٢)

هو الذى يرفض دوره ويتمرد على أداء رسالته، فالمرأة لا يعجبها أن تكون امرأة، والأنكى من ذلك أن الرجل المعاصر أصبح يرفض رجولته ويسعى إلى الأطباء والجراحين ليحيلوه إلى أنثى كما تحدث بهذا - وتتحدث - بعض وسائل الإعلام، بل أصبحت هناك «أندية للعراة» تجرد الرجال والنساء جميعًا من هوياتهم ليكونوا سواء بصورة لم نجدها مطلقًا فى عالم الحيوان الملتزم بطبيعته والمدافع عن كينونته. ولا نستطيع أن نعلل هذا المروق إلا بأنه حرب على الله ورسوله. فإذا كنت أيها المارقون تحاربون الله ورسوله

﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾

(التكوير: ٢٦)

ومن المغالطات التي ارتضتها «أمي وزوجي وابنتي» أن «المرأة هي نصف المجتمع» من قال هذا؟ هذه نظرة «الكم» التي ينظر بها إلى الأشياء، أما في مجال الإنسان فالرأي عندنا الذي نؤمن به عن اقتناع أن «المرأة يجب أن ينظر إليها» المنصفون نظرة «الكيف» التي تقوم المرأة التقويم الواقعي الصحيح ولقد ذكر القرآن الكريم أم موسى، ولم يذكر أباه. بل خلق الله المسيح ـ عليه السلام ـ من أم بلا أب ونحن نعرف معاناة هذه الأم المعجزة لحماية ولدها السنين ذوات العدد حتى يكون في منجى من أعدائه المتربصين به والمتحفزين لهلاكه، وقد كان هلاك ابن نوح إبان الطوفان راجعًا إلى ارتباطه بأمه الضالة التي حاربت نوحًا ودعوته:

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّاخِلِينَ ﴾

(التحريم: ١٠)

والأقرب من هذا أيضًا محمد ﷺ، فقد قضى الحق سبحانه أن يولد يتيم الأب فلا يجد إلا أحضان أمه الطاهرة المشرقة.

ونحن لا نطمع في أن تمدنا الأديان وتاريخها باستقصاء شامل أو استقراء تام ولكن المؤمن الحق تكفيه من الله الإشارة وتكفيه من الحق العبارة أما الذين يتطلعون إلى الحصر أولئك هم أهل «السفسطة» واللجاج.

تقول بعض الفضليات زميلات «أمي وأختي وابنتي» أن دور المرأة ليس هو الوضع والرضاعة فقط، وأنا معهن لأن هذه الميزة التي فضلها الله بها على الرجال ليست وحدها هي رسالتها في الحياة ولكنها أم الرسالات.

وكذلك خديجة

ولم تكن خديجة ـ رضي الله عنها ـ التي هي محور هذا المقال تقوم بالوضع والرضاعة فقط بل إنها كانت تشتغل بالتجارة منذ نشأت في بيت خويلد أحد أغنياء مكة حيث تزوجت مرتين قبل أن تلتقي محمدًا ﷺ، وفي المرتين وضعت وأرضعت، ولم يصرفها هذا عن تصريف تجارتها بحنكتها المعهودة وخبرتها الاقتصادية الماهرة، بل لم يؤثر هذا في جمالها المشهود الذي تشهده مكة حيث روى أنها كانت أجمل نساء مكة في زمانها، وقد عمل في تجارتها الرجال حيث كانوا يرعون أغنامها ويحملون تجارتها إلى الشام ولا شك في أنها كانت تدبر هذه الأعمال وتديرها وبين ذراعيها الطفل الرضيع أو الصبي النامي.

ولم نسمع عن خديجة ـ رضي الله عنها ـ أنها تأففت من الوضع أو سئمت الرضاعة بحجة انشغالها «بالعمل» في التجارة التي كانت آنذاك أساس العملية الاقتصادية ولب الحركة المالية عند أهل مكة حتى لقد منَّ الله عز وجل بنعمته على قريش في هذا السياق في قوله:

﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾

(قريش: ١-٤)

وقد استمعت في محاضرة لأستاذنا الراحل الدكتور عيسى عبده أستاذ الاقتصاد بالجامعة أن هذه الآية شملت كل مقومات الحياة الاقتصادية إذ أن الإنسان لجأ إلى الاقتصاد توقيًا للجوع وتأمينًا من الخوف فغاية النشاط الاقتصادي هي إشباع الحاجات وأبرزها الحاجة إلى الأمن والحاجة إلى الطعام.

كما يطيب لي هنا أن أقول للقارئ العزيز إن قراءتك لكلمة «رب هذا البيت» وأنت أمام الكعبة في الصلاة لها مذاق روحي خاص حيث تفيض الدموع وتنتفض الجوانح- رزقنا الله ذلك بفضله.

وهكذا نرى أن الحديث عن أمنا الغالية الفذة خديجة ـ رضي الله عنها ـ حديث ذو شجون روحية ونفسية وتربوية واجتماعية وقلَّ أن تجد ذلك في حديث عن شخصية أخرى غير خديجة رضي الله عنها التي أقرأها جبريل ـ عليه السلام سلام ـ ربها على لسان زوجها المعصوم ﷺ وهي على صدره الشريف في رحلتها الأخيرة إلى الله ـ عز وجل ـ حيث قال جبريل ـ عليه السلام: يامحمد إن الله يقرئ خديجة السلام ويعدها بقصر في الجنة فلما أخبرها النبي ﷺ بذلك كان ردها: على الله السلام وعلى جبريل السلام، وأحس الرسول بدمعها يتساقط على يديه فسألها أتبكين يا خديجة فكان ردها البليغ الذي لم يتكرر عند غيرها «الفراق يامحمد».. زوجة تشفق من الموت لا لأنه موت ولكن لأنها ستفارق زوجها الحبيب الذي كانت له الزوجة والأم مدى الحياة.

مفتاح الشخصية

وقد حرص أستاذنا العقاد في عبقرياته أن يبحث عما يعرف بمفتاح الشخصية، وهذا المفتاح هو السمة الغالبة على كل تصرفات «الشخص» ودوافعه وميوله، كما أنه الحقيقة التي تفرض نفسها على الباحث في خطوات مسيرته أثناء دراسة هذه الشخصية، وإذا أذن لنا الفكر العقادي أن نستعير طريقته في ذلك فإننا نعتقد أن مفتاح شخصية السيدة خديجة هو «عشق المسئولية».

لقد كانت أمنا ـ رضي الله عنها ـ لا تنتظر المسئولية حتى تصل إليها ولكنها كانت تبحث عنها أينما وجدت فتتحملها في رحابة صدر ورجاحة فكر وصلابة صبر وكأنها قد وجدت ضالتها التي ينبغي أن تجند لها كافة قدراتها لا لتحققها بل لتشبعها تحقيقًا وتطبيقًا في آن واحد.

عرفنا هذا عندما فقدت زوجيها على التوالي فألحت عليها أمها وأبوها أن تتزوج الثالث، فرفضت، لأنها وجدت جارتها التي تصغرها سنًا تمتنع عن الزواج بعد وفاة زوجها وهي لم تزل في صباها فمسئوليتها هنا أمام نفسها تقتضي ألا تكون أقل صبرًا وتحملاً من هذه الأرملة الصغيرة التي كانت ترفض مجرد الحديث عن زوج جديد وكانت هذه الأرملة هي «آمنة بنت وهب» الماعون الطاهر الذي حمل بين حناياه سيد الخلق وحبيب الحق ﷺ.

هي مسئولية إذن أمام النفس، وإذا لم يكن

المرء مسئولاً أمام نفسه التي بين جنبيه فمتى يكون؟ إلا أن يكون مرائيًا ومنافقًا حيث يتظاهر بغير ما يخفيه.

وتضع الجارة آمنة بنت وهب وليدها وسط إرهاصات تؤكد أن هذا الوليد سيكون له شأن ويسميه جده محمداً ليكون محموداً في الأرض والسماء.

عبقرية الاستكشاف

وتبدأ السيدة خديجة مسيرتها، وفي هذه المسيرة تجلى الحق ـ سبحانه ـ عليها ببعض الإرهاصات فقد قيل إنها رأت في منامها كأن القمر قد دخل عليها من النافذة فلما قصت الأمر على ابن عمها ورقة بن نوفل وكان دارساً للكتب والمقدسات فسر لها حلمها بأنها ستتزوج من نبي آخر الزمان، كما قيل ـ أيضاً ـ إن نساء قريش كن يجتمعن في الحرم حول الكعبة المشرفة يوماً في كل أسبوع، وفي أحد هذه الاجتماعات خرج عليهن أحد الرهبان وأخبرهن بأنه يطل في هذه الأيام ما يبشر بظهور نبي آخر الزمان «فمن استطاعت أن تكون له فراشا فلتفعل» فسخر منه النسوة وصحن في وجهه هزؤا وسخرية إلا خديجة فقد صمتت في تأمل واستغراق، ولم يسعها إلا أن تضع كلام الراهب ونبوءة ورقة في خيط واحد.

حتى جاء الوقت الذي أشفق محمد ـ عليه السلام ـ على عمه أبي طالب من كثرة الولد وقلة النفقة فطلب من عمه على استحياء أن يأذن له بالاستقلال في عمل يعفيه من مؤونته، فلما أذن له عمه عمل برعي الغنم في جبل «أجياد» وهي المنطقة المقابلة لباب الملك بالحرم المكي الشريف ويقع بها ما يعرف «بمستشفى أجياد» حتى أذن الحق سبحانه باقتراب نهاية المطاف فانتقل ﷺ إلى الاشتغال بتجارة خديجة.

وقد شحذت خديجة ـ رضي الله عنها ـ عبقريتها في الاستكشاف، فكانت تسأل خادمها «ميسرة» عن سلوكيات محمد الذي كان يصحبه في التجارة في الحل والترحال فحدثها ميسرة خيراً عن هذا الشاب الأمين الصادق الذي كانت تتجلى على يديه الأمانة، وتظله في القيظ الغمامة ثم تعلّق التجار به وتعشق العملاء لبضاعته ومحبة الجميع له صدقًا في الحديث، ورقة في الشعور، ودقة في المعاملة وغير ذلك من عظيم الشيم وكريم الشمائل المحمدية.

وفي علم النفس ما يعرف بقانون «تداعي المعاني»(١)، ولا شك في أن المعاني تداعت لدى خديجة ـ رضي الله عنها ـ فأخذت الأمور بعضها برقاب بعض ـ كما في المثل العربي القديم ـ حيث ارتبطت أقوال ميسرة بكلام ورقة وحديث الراهب، وأشاعت في أعماق خديجة مناخاً خصباً مريحاً.

عبقرية القرار

وهكذا قررت خديجة أن تحسم الأمر بعيداً عن الإرهاصات والتنبؤات وبعيداً أيضاً عن معاني المغامرات، فلقد كانت المرأة العبقرية تعي ما تعمل وتعني ما تقول، وقد أدارت هذه المقدمات جميعاً في عقلها الذكي وفي وجدانها الجلي في تخطيط رفيع يحوطه الخلق المنيع فأرسلت عاملتها «نفيسة» تحاور محمداً في شأن الزواج، وأنّى له أن يتزوج وممن؟ أجابت نفيسة إنها خديجة.. واعجباً!!! خديجة التي رفضت الأغنياء والعظماء إنه لشيء عجاب بل محال، وتلح نفيسة في استخراج الموافقة من الشاب الصادق الأمين بعد أن أكدت له تذليل الصعاب وتقريب الشعاب.

فلما أخبرت نفيسة سيدتها بنجاحها في مهمتها اجتمع نفر من بني عبدالمطلب على رأسهم أبوطالب ونفر من آل خويلد وكانت خطبة الخطبة التي ألقاها أبوطالب أشبه بشعر الفخر حيث ذكر مناقب الزوج المنتظر وعشيرته التي أكرمها الله بخدمة بيته الحرام، وكذلك فعل كبير آل خويلد.

وتمت مراسم الزواج وأقامت خديجة الولائم ذوات العدد ابتهاجاً بذلك، ولكن فطنة خديجة كانت دائماً حاضرة، فلم يفتها أن تجعل دور الزوج الحبيب دوراً إيجابياً فعالاً في هذه المناسبة فأهدته شاة من عندها يقيم عليها وليمة لأصدقائه والمقربين منه.

وهكذا بدأت خديجة مسئولية جديدة تعشقها، وأية مسئولية، لقد وقر في أعماقها قرب تصديق النبوءات التي مرت بها، ولا سيما عندما رأت زوجها يغادر البيت في شهر رمضان حاملاً زاداً يكفيه ويعينه على التحنث والتعبد في «غار حراء» على «جبل النور» الذي يبعد عن مكة بحوالي أربعة كيلو مترات ويفصله عنها ـ آنذاك ـ مساحة عظمى من الجبال والأهوال والظلام الذي يدوي فيه عواء الذئاب ونباح الكلاب وترتع فيه الوحوش(٢) وكانت رضي الله عنها إذا غاب استعجلته وسعت إليه حيث يكون وهي تدور آنذاك حول الخمسين كما تفعل الأم الرحيمة بمولودها الغالي عندما تقلق عليه وتحمل إليه الزاد ولا يطمئن بالها حتى تراه، وما أعظم الزوجة التي تشعر نحو زوجها بمشاعر الأمومة فتحمل عنه الكل بدلاً من أن تكون عالة عليه وعبئاً على عاتقه تزيد همه وتضاعف متاعبه، ولا غرو فقد كانت خديجة ـ دون شك ـ تشعر تماماً أنها تقف بجانب «نبي».

وكأنها تتلقى الوحي من السماء أن «شدّ من أزره وخذ بيده» لأن هذا هو شأن الزوجة العظيمة مع زوجها العظيم.

وقد ظلت خديجة تفعل ما تلهم به في صبر وحب وإيمان حتى بعد أن حسم الله الأمر فنزل جبريل.

إذ ظلت خديجة ـ رضي الله عنها ـ تمنع زوجها وتذود عنه بما كانت تتمتع به في قومها من مكانة راسخة وشخصية شامخة يهابها أساطين قريش، لأنهم يعرفون تاريخها، أنها لا تقف مع الباطل ولا تؤيد الزيف والبهتان حتى إنها كانت في فترة مقاطعة الكفار للمؤمنين تحمل الطعام وتذهب وحدها لتقدمه إلى محمد ﷺ وأصحابه، دون أن يجرؤ على التعرض لها أيٌّ من المتشدقين بالقوة والمتظاهرين بالشجاعة والبطولة والمواجهة.

تلكم هي خديجة «المثال» الذي ينبغي أن يحتذى، وتلكم هي خديجة التي قضى الحق ـ سبحانه ـ أن تكون أول من آمن بمحمد ﷺ قبل أن يبعث بالإسلام.

(١) ترابط المعاني Association أي ارتباط معنى بآخر أو عندما يثير معنى معين معنى آخر تم في تجارب سابقة «معجم الفلسفة د. يوسف مراد».

(٢) أصبحت هذه المنطقة اليوم معبدة الطرق مضاءة بالمصابيح عامرة بالمنشآت، أشبه ما تكون بمعالم «السياحة الدينية».

زواج الفـــاروق

للدكتـــور/ أبـى حســـام

استمع عمر بن الخطاب بالمدينة إلى بشائر النصر فى فارس وما أفاء الله به من خير على الإسلام فنهض إلى المسجد النبوى يؤدى صلاة الشكر لله، وتطلع فى أرجاء المسجد فوجد عثمان بن عفان يجلس وحيداً، فسارع إليه بعد الصلاة، وأخذا فى حديث الفتح الإسلامى المبين.

ثم قال عمر لعثمان:

يا بن عفان، لقد فاتنى الكثير مما أحرزت فى هذه الحياة، فاتنى أن أتزوج إحدى بنات رسول الله فأصل حبلى بحبله، ولكنك ذو النورين تزوجت رقية وأم كلثوم، ولو كان لدى رسول الله ثالثة لأهداها لك عن سماح!

فقال عثمان: أنت صهر رسول الله، ووالد حفصة أم المؤمنين، وفى ذلك غناء أى غناء!

قال عمر ذكرتنى-: ما كدت أنساه، فقد مات زوج حفصة، فعرضتها على أبى بكر فسكت، وعرضتها عليك أنت فلم تجب وعلم رسول الله ما كان، فشاء أن يجبر خاطرى، ويستر موقفى، فطلب حفصة، لا لأنها ذات ميزة خاصة بين الناس، ولكن ليرتاح ضميرى، وهذا ما أعرفه جيداً، فدع حديث حفصة هذا.

سكت عثمان، وتطلع عمر إليه قائلاً: أنا أريد الاقتران الآن بإحدى الصحابيات الكريمات، فيمن تشير ياعثمان!

قال عثمان: أبوبكر- رحمه الله- أعز أصدقائك، ومنزلتكما فى الإسلام واحدة لا تختلف فكلاكما خليفة رسول الله، وابنته أم كلثوم أليق بك، وإذا غضبت عليها فى أمر فستذكر أباها، وتعفو عما فعلت فما رأيك؟

قال عمر: لقد تعرضت إلى ناحيتين مختلفتين، ناحية أخالفك فيها، وناحية أوافقك عليها، أما التى أخالفك فيها فهى قولك عنى وعن أبى بكر- رضى الله عنه- إن منزلتكما فى الإسلام واحدة، والحق أن منزلة أبى بكر فى الإسلام أرجح وأعلى من منزلة ابن الخطاب، وكانت له بصيرة نافذة فى أدق الأمور وأصعبها، أتذكر موقفى وموقفه يوم مات رسول الله، لقد أخذتنى الدهشة فقلت «وحكمة إن رسول الله لم يمت، وجاء أبوبكر فأعلن أنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت. فرد على عقلى الذاهب، ثم حين ارتدت العرب وكفرت بدين الله بعد وفاة الرسول، تخوفت عاقبة القتال وقلت، لا نبدأ بالحرب، ففزع أبوبكر وأصر على قتال المرتدين، وقال والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه، وكان رأيه هو الصائب، فقد ظفر المسلمون بالمرتدين، وثبتت كلمة الله، فأين أنا من أبى بكر! أما الناحية التى أوافقك عليها فهى خطبة أم كلثوم فهى أحب شىء لدىّ وسأقوم بالخطوة الأولى من الآن.

كان بيت عائشة أم المؤمنين جوار المسجد، وهى راعية أختها أم كلثوم بعد وفاة أبى بكر، وصاحبة الرأى فى أمر زواجها، فاستأذن عليها عمر، وبعد كلمات الترحيب أعلن رغبته فى أم كلثوم، فقالت فى سرعة وما يمنع؟ وأنت صاحب أبى بكر. وصاحب الأمر من بعده، ولن تجد زوجاً أعلى مكانة منك، ولابد أنها ستسر بما يسر الله لها من الخير، فقال عمر: على بركة الله ومضى!

فوجئت عائشة بغضب أم كلثوم وثورتها حين عرضت عليها رغبة أمير المؤمنين، وكانت صريحة جريئة فقالت: يا أختاه إن عمر غليظ قوى الشكيمة، لا يرد له أمر، ولا يحب أن ينازعه أحد، وسأكون لديه كالأسيرة، وأنا لا أتزوج إلا من شاب فى مثل عمرى! ما لى ولعمر!

حارت عائشة فيما ستقوله لعمر إذ يصعب عليها أن تجابهه بالرد، فأرسلت إلى المغيرة بن شعبة وهو ذو حنكة وتجربة، وعرضت عليه ما كان من رفض أم كلثوم، وطلبت إليه أن يجد حلاً، فقال المغيرة: دعى الأمر لى وسيتم ما ترجيه.

ثم استأذن على عمر، فقال له قد علمت رغبتك فى أم كلثوم، وأنا ناصح أمين يا أمير المؤمنين لا أريد غير الخير لك ولأم كلثوم، إن الفتاة نشأت فى كنف أب رحيم شفيق كان يمنحها خالص العطف، ويتيح لها ما ترغبه دون معارضة، ويقبل منها كل قول تقوله وإن خالف رأيه، يقبله فى ملاطفة كيلا يجرح لها حاسة، وكذلك صارت عائشة أم المؤمنين مسيرتها فى رعاية أم كلثوم، فهى المدللة المرفهة التى تتلمس رغباتها دون مانع، فإذا زفت إليك وأنت عمر، فستجد طرازاً آخر غير أبى بكر وعائشة

وربما أغضبتها فشكتك إلى عائشة، واتسع الخلاف، وهذا ما لا ترضاه، مع بنت أبي بكر الذي ترعى حقه في كل شيء وفي ابنته بالذات.

كان عمر حصيفاً نابها، فعرف أن المغيرة لم يأت من تلقاء نفسه، وأن الأمر قد انتقل إليه من عائشة.

فأعلن شكره، للمغيرة ثم سأله: وماذا ترى: هل تقترح لي زوجا صالحة غير أم كلثوم؟ وكأن المغيرة كان قد فكر في السؤال من قبل، فقال: أين أنت من أم كلثوم بنت علي وبنت فاطمة بنت رسول الله؟! إنك باقترانها بك تربط أقوى سبب ببيت النبي وما أحب إليك من أن تكون صهراً جديدا لرسول الله.

بعد مصاهرة حفصة!

أشرق وجه عمر وقال: ولكني أعلم أن عليا حبس بناته على أبناء جعفر أخيه وهو صريح قوي الحجة وأخشى أن يفاجئني بالرفض!

قال المغيرة: سأذهب أنا إليه وسأجد عنده ما يسرك!

- ٢ -

قال علي لصاحبه ليس في المدينة من هو أفضل من أمير المؤمنين، ولكن أم كلثوم صغيرة السن نسبيا وفي عمر شدة لا يتحملها الرجال فكيف بفتاة في مقتبل الشباب، الرأي أن نتريث حتى يتجلى وجه الصواب؟

فرح المغيرة فأعلم عمر بما قال علي، فقال سأزوره الآن في منزله وسيسهل الله كل عسير وتوقع علي مجيء أمير المؤمنين وبعد أن ألقى تحية الإسلام، قال له: اسمع يا علي: لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: كل نسب وسبب منقطع يوم القيامة إلا نسبي وسببي، وأنا والحمد لله قد وصلت به السبب من قبل حين قبل حفصة زوجا له. ثم أحببت أن أوثق عروة اتصالي به فرأيت أن تكون أم كلثوم بعض وسيلتي إليه ولن أجد في الحياة صهرا أفضل من ابن عم محمد ولا زوجا رضعت من لبن أفضل من لبن فاطمة بنت محمد! أما ما عرف عني من الشدة والقسوة فلن يكون مع بنت رسول الله! وأنا أتقرب بزواجها إليه! قال علي: وستجد منها ما يسرك يا عمر، فقد نشأت في منزلي على التقشف والزهد والبعد عن غرور الحياة، كان عندي ثوب جديد أعددته للقاء الناس يوم الجمعة فرأيت خادمي «قنبرا» ينظر إليه بشغف فقلت له: هولك يا قنبر أنت شاب ولك تطلع وأنا كهل أكتفي بما يستر الجسم، وعلمت أم كلثوم فجاءت تقبلني في شوق وقالت: يا أبي بورك فيك فأنت تفعل ما يفعله ابن عم رسول الله! وقد سرتني منها هذا المسلك وعرفت أنها ستعيد سيرة فاطمة!

ارتاح عمر إلى ما سمع وقال: وقد أمهرتها يا علي أربعين ألفا وإني لأقول ماقال جدها في ذلك: «اللهم بارك في

أهلي وبارك لأهلي فيّ وارزقني منها وارزقها مني واجمع بيننا في خير وإذا فرقت بيننا ففرق في خير، اللهم جنبني وجنبها الشيطان الرجيم.

تم الزفاف السعيد، وحمد عمر لزوجته الصغيرة ما هي عليه من تقوى وصلاح، فهي تقرأ القرآن وتروي حديث رسول الله ولا تهيم بزخرف الحياة وما فيها من مآكل وملابس وملاذ، وكانت تبعث بالطعام لجاراتها الفقيرات حاسبة حسابهن عند المأكل وقد سمعها الفاروق تنشد ذات مرة قول القائل:

وحسبك عارا أن تبيت ببطنة

وحولك أكباد تحن إلى القد

فقال لها: إني أحفظ مئات الأبيات من الشعر وما سمعت هذا البيت فلمن هو؟ قالت إنه لأبي! فقال: إذا روى الناس شعرا، فمن مثل هذا.

يقول الرواة:

بينما كان عمر يَعُسّ ذات ليلة إذ مر برحبة من رحاب المدينة فإذا هو بخيمة لم تكن بالأمس فدنا منها فسمع أنين امرأة ورأى رجلا قاعدا فسأله عن حاله، وقال له: من أنت؟ قال: رجل من البادية جاء المدينة يسأل أمير المؤمنين عطاءه.

فقال عمر: ومن صاحبة هذا الأنين فقال: امرأتي وقد جاءها المخاض وليس معها أحد. فخرج عمر وحدث أم كلثوم بما شاهد فقالت له: لن انتظر لحظة وسأسير إليها حاملة ما يصلح لها من الدهن والشحم والحبوب فملأت البرمة، وحملها عمر ومضت خلفه حتى انتهى إلى الخيمة فدخلت أم كلثوم للزوجة وأخذت تعالجها حتى منَّ الله بالفرج وخرجت فرحة تقول: بشره يا أمير المؤمنين فقد رزق بغلام فدهش الأعرابي وقال أأنت أمير المؤمنين؟ قال عمر: نعم وهذه زوجتي بنت علي بن أبي طالب وبنت فاطمة بنت محمد فارتجف الرجل ولحظ عمر ما لحقه من الدهش واستمع إلى أم كلثوم تقول لعمر أين البرمة؟ فأعطاها ونفخت النار وأخذت تعالج الطعام حتى نضج، وعمر ينتظر والزوج في دهشة، حتى إذا نضج الطعام حملت البرمة إلى الزوج وقالت لعمر: أسأله هل يطلب شيئا؟ فقال الزوج شكر الله لك يا أمير المؤمنين ولزوجتك الكريمة العطاء، ثم قالت أم كلثوم: في الصباح تقدم إلى أمير المؤمنين لتأخذ عطاءك وعطاء المولود الجديد.

***

﴿ فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

اطلعنا على الطلب المقدم من/ مجلة الأزهر - المتضمن لبعض الأسئلة وهى:

لا تجب الفدية على الناسى والجاهل

● السؤال من: ى. أ. ح. يقول: أنه لبس العباءة فى الحج ناسياً قبل الحلق وبعد أن قام برمى جمرة العقبة الكبرى ثم حلق بعد ذلك شعره وطاف للإفاضة وسعى وتحلل التحلل الأكبر.

فماذا يجب عليه إزاء هذا الفعل؟

●● الجواب: من المقرر عند الشافعية أن ما كان من محظورات الإحرام على سبيل «الترفه» كالطيب والجماع ولبس المخيط وستر الوجه والرأس فإنه لا تجب الفدية فيها على الناسى ولا الجاهل وإنما تجب على من تلبس بشىء منها عامداً عالماً.

وبناء على ذلك وفى واقعة السؤال: فإن لبس العباءة حال الإحرام بعد رمى جمرة العقبة إذا كان على سبيل النسيان أو الجهل فلا حرج على فاعله ولا يفسد بذلك حجه وليس عليه دم.

والله سبحانه وتعالى أعلم

لا يجوز الحج والعمرة أثناء عدة الوفاة

● السؤال من س. و. ج: تطلب الإفادة عن الحكم الشرعى فى الذهاب إلى العمرة أثناء عدة الوفاة؟

●● الجواب: يجب على المرأة غير الحامل أن تعتد على زوجها إذا مات أربعة أشهر وعشر ليال بأيامهن، لقوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (البقرة: ٢٣٤)

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

علـى جمعـة

مفتى جمهورية مصر العربية

ومعنى يتربصن بأنفسهن: ينتظرن بأنفسهن لا يتزوجن خلال هذه المدة، ولا يفعلن فى أنفسهن ما يتنافى مع الإحداد الواجب عليهن.

وقد ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية والشافعية والحنابلة إلى أنه لا يجوز خروج المعتدة من وفاة إلى الحج، أو العمرة؛ لأن الحج والعمرة لا يفوتان، والعدة تفوت.

وبناء على ما ذكر وفى واقعة السؤال: فإنه لا يجوز للمعتدة من وفاة أن تخرج للعمرة.

والله سبحانه وتعالى أعلم

لا عبرة بالشك فى هذه الحالة

● السؤال من: خ. ح. ج: يقول: حججت هذا العام وفى طواف الإفاضة تعبت فى الشوط الثانى لأنى اشتكى من آلام حادة فى الركب وتم الطواف من الطابق الثانى، المهم استعنت بصبى يقود الكرسى المتحرك وركبت عليه من شدة الألم لم أتيقن هل أكمل ما تبقى من الأشواط ست أم سبعة أشواط علماً بأن ذلك الصبى أقر بأنه أتم سبعة أشواط وأنا أشك فى ذلك. ويطلب السائل بيان الحكم الشرعى.

●● الجواب: إذا كان الحال كما ورد بالسؤال وأن السائل قد استعان بصبى ليقوده بالكرسى المتحرك وأن الصبى قد أقر بأنه أكمل ما تبقى من الأشواط فالحج صحيح ولا عبرة بالشك فى هذه الحالة.

ومما ذكر يعلم الجواب.

والله سبحانه وتعالى أعلم

لا يجوز التخلف بعد العمرة لأداء الحج

● السؤال من أ. م. د: ما الحكم فيمن يذهب إلى مكة لأداء العمرة فى رمضان ثم يتخلف فى البلاد حتى يؤدى فريضة الحج متخفياً عن أعين السلطات؛ حيث إن السلطات تمنع ذلك، ومن هؤلاء من يدعى أنه قد أفتاه بعض المشايخ بالجواز؟

●● الجواب: الظاهر من السؤال أن هؤلاء المعتمرين قد دخلوا البلاد بتأشيرة للعمرة

وأن قوانين تلك البلاد تحتم عليهم المغادرة بعد الانتهاء من أعمال العمرة ولا تسمح لهم بالبقاء حتى الحج، وأن إقامتهم فى هذه الحال مخالفة لقوانين تلك البلاد. وإذا كان ذلك كذلك، فالذى نفيده فى هذا الشأن هو عدم الجواز؛ لما يلى:

أولاً: ما فى ذلك من مخالفة أمر الحاكم، ومخالفة أمر الحاكم - طالما لم يكن بمحرم - لا تجوز؛ لأن الله تعالى قد أوجب طاعة أولى الأمر، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾

(النساء: ٥٩)

وأخرج الستة عن ابن عمر - رضى الله عنهما - عن النبى ﷺ قال: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»، والأدلة على هذا كثيرة، وطاعة أولى الأمر سبب لاجتماع الكلمة وانتظام المعاش؛ فلابد للناس من مرجع يأتمرون بأمره رفعاً للنزاع والشقاق، وإلا لعمت الفوضى ودخل على الناس فساد عظيم فى دينهم ودنياهم، والإجماع منعقد على ذلك. وعلى هذا فللحاكم أن يسن من التشريعات ما يراه محققاً لمصالح العباد؛ فإن تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة، والواجب له على الرعية الطاعة والنصرة. ومن دخل إلى البلاد فعليه الالتزام بقوانينها، وتحرم عليه المخالفة، وقد أمر الحاكم هنا بمغادرة البلاد بعد العمرة، فتجب طاعته على الفور، ولا يجوز التخلف للحج، ويتأكد ذلك - أيضا - إن قلنا إن الحج واجب على التراخى على رأى الشافعية.

ثانياً: ما يترتب على ذلك من الضرر الذى يلحق بالآخرين، والمقرر فى قواعد الشرع أن الضرر يزال، وقد روى أحمد وابن ماجة عن ابن عباس وعبادة بن الصامت رضى الله عنهم، ومالك عن يحى المازنى - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «لا ضرر ولا ضرار». وليس الهدف من التشريعات المتعلقة بضبط أعداد الحجيج سواء أكان من داخل المملكة أم من خارجها إلا مصلحة المسلمين وتيسير أدائهم لتلك الفريضة الجليلة ودفع ما يترتب على زيادة أعدادهم عن الحد الذى قررته السلطات من مضار قد تصل أحياناً إلى حد الوفاة. ثم هاهنا قد تعارضت مصلحتان إحداهما قاصرة - وهى حج من تخلف بعد العمرة - والأخرى مصلحة لعموم المسلمين، لا تحصل إلا بضبط أعدادهم، وقد تعارضتا، فتقدم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة.

والمصالح التى تفوت بمثل تلك الممارسات عظيمة، فتتقدم على أداء الحج للمتخلف بعد العمرة، بل لقد راعى الفقهاء من المصالح ما هو أقل من ذلك، فقد نصوا على تقديم صون الأموال على الحج إذا أفرطت الغرامات فى الطرقات، كما ذكره القرافى فى الفروق.

ثالثاً: ما يحصل للمتخلف من ذل فى حال اكتشاف أمره حيث يتم ترحيله، والناس لا ينظرون إلى الذين يتم ترحيلهم فى كل الدنيا إلا نظرة ازدراء، والمسلم لا ينبغى له أن يذل نفسه، فقد قال ﷺ فيما أخرجه الترمذى وابن ماجة وأحمد من حديث حذيفة - رضى الله عنه: «لا ينبغى للمؤمن أن يذل نفسه». وإذا كان المسلم لا يلزمه قبول هبة ثمن الماء الذى يحتاجه لوضوئه وقد علل الفقهاء ذلك بما يلحقه من المنة - والشرع الشريف قد راعى هذا الأمر - فلأن لا يجب على المسلم تحصيل الحج بهذه الطرق المحرمة من باب أولى، بل يتغلظ الأمر فى هذه الحال؛ إذ الأمر لا يقتصر على هذا المتخلف وحده، بل يتعداه فيتعير أهل بلدته بذلك، وربما كان ذلك داعياً إلى سن تشريعات زائدة بخصوص أهل تلك البلد إذا تكرر من أبنائها مثل هذه الأعمال.

رابعاً: الواجب لا يترك إلا لواجب، كما تقرر فى قواعد الفقه، وهنا الحاكم قد أمر بمغادرة البلاد عقب أداء العمرة، وطاعته واجبة، والحج الذى تخلف لأجله ليس بواجب فى هذه الحال، لعدم استطاعته فعله إلا بمخالفات جسيمة.

خامساً: ما يحصل من بعض المتخلفين من أمور تسيء إليهم وإلى بلادهم كالتسول وافتراش الطرقات. والافتراش الذى يحصل فى أماكن عدة تحصل عنه أضرار كبيرة تشاهد فى كل موسم من جراء تعثر الحجاج بالمفترشين وسقوطهم فوق بعضهم، وفيهم من هو ضعيف أو مريض أو كبير السن، ويشتد الخطر مع ما يحملونه من أمتعة ثقيلة، ومع شدة الزحام فإن الأمر يؤدى إلى حدوث إصابات بالغة قد تصل إلى الموت.

فإن قيل: إن بعض الناس يفتى بجواز التخلف بعد العمرة لأداء الحج، فالجواب: إن هؤلاء المفتين إما أن يكونوا ممن يجوز لهم إفتاء الناس أو لا. فإن لم يكونوا ممن يجوز لهم الافتاء فالأمر ظاهر؛ إذ هم ساقطون عن درجة الاعتبار، وإن كانوا ممن يعتد بأقوالهم فلا يسوغ متابعتهم فى فتاويهم، لأنا إذا قدرنا هذه المسألة على سبيل التنزل من مسائل الخلاف، فحكم الحاكم فى مسائل الخلاف يرفعه، والحاكم قد منع هنا هذه الأعمال.

والله سبحانه وتعالى أعلم

يجب اتباع المملكة العربية السعودية فى تحديد يوم عرفة ويوم العيد

● السؤال من أ. أ. ح: ما الواجب على الأمة الإسلامية اتباعه بالنسبة لعيد الأضحى المبارك وتحديد يوم عرفة فى حال اختلاف بعض الدول مع المملكة العربية السعودية فى تحديد ذلك اليوم؟ وما حكم من خالف اتباع المملكة العربية السعودية فى تحديدها ليوم عرفات ويوم العيد؟

●● الجواب: الحكم أن نتبع المملكة العربية السعودية طبقاً لمقررات مؤتمر جدة؛ وذلك لاتحاد المسلمين فى يوم عرفة.

ولا يضر عند السادة الحنابلة الخطأ فى يوم عرفة؛ قال ابن قدامة فى المغنى إذا أخطأ الناس العدد فوقفوا فى غير ليلة عرفة أجزأهم ذلك؛ لما روى الدارقطنى بإسناده عن عبدالعزيز بن عبدالله بن خالد بن أسيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يوم عرفة اليوم الذى يعرف الناس فيه». فإن اختلفوا فأصاب بعض وأخطأ بعض وقت الوقوف لم يجزئهم، لأنهم غير معذورين فى هذا، وروى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ «فطركم يوم تفطرون، وأضحاكم يوم تضحون» رواه الدارقطنى وغيره. ٢٨١ / ٣ ط دار إحياء التراث العربى.

والله سبحانه وتعالى أعلم

تقديم السعي للمتمتع

● السؤال من أ.ش.أ عن جواز تقديم السعي للمتمتع.

●● الجواب: من شروط السعي أن يكون بعد طواف صحيح، ولو نفلاً عند الحنفية، وكذا المالكية، وسموا ذلك ترتيباً للسعي، لكن المالكية فصلوا بين الشرط والواجب في سبق الطواف للسعي فقالوا: يشترط سبق الطواف أي طواف ولو نفلاً لصحة السعي، لكن يجب في هذا السبق أن يكون الطواف فرضاً (ومثله الواجب) ونوى فرضيته أو اعتقدها، وطواف القدوم واجب عندهم، فيصح تقديم السعي على الوقوف بعد طواف القدوم.

فلو سعى بعد طواف نفل فلا شيء عليه عند الحنفية، أما عند المالكية فلو كان الطواف نفلاً أو نوى سنيته، أو أطلق الطواف ولم يستحضر شيئاً، أو كان يعتقد عدم وجوبه لجهله، فإنه يعيد الطواف وينوي فرضيته أو وجوبه إن كان واجباً ثم يعيد السعي ما دام بمكة، أما إذا سافر إلى بلده فعليه دم.

ومذهب الشافعية والحنابلة أنه يشترط أن يكون السعي بعد طواف ركن أو قدوم، ولا يخل الفصل بينهما، لكن بحيث لا يتخلل بين طواف القدوم والسعي الوقوف بعرفة، فإن تخلل بينهما الوقوف بعرفة لم يجزه السعي إلا بعد طواف الإفاضة.

ودليلهم في ذلك: فعله ﷺ فإنه قد سعى بعد الطواف، وورد عنه ﷺ أنه قال: «لتأخذوا عني مناسككم» رواه مسلم.

وروي عن عطاء وداود الظاهري وبعض أهل الحديث عدم اشتراط تقدم الطواف، وفي رواية عن أحمد: لو سعى قبل الطواف ناسياً أجزأه. واستدلوا بما رواه أبو داود بإسناد صحيح عن أسامة بن شريك - رضي الله عنه - قال: خرجت مع النبي ﷺ حاجاً فكان الناس يأتونه فمن قال يا رسول الله سعيت قبل أن أطوف أو قدمت شيئاً أو أخرت شيئاً. فكان يقول: «لا حرج لا حرج إلا على رجل اقترض عرض رجل مسلم وهو ظالم فذلك الذي حرج وهلك». والجمهور حملوا هذا الحديث على أن قوله سعيت قبل أن أطوف، أي سعيت بعد طواف القدوم وقبل طواف الإفاضة.

وبناء على ما سبق؛ فإنه يجوز للمتمتع تقديم السعي بعد طواف القدوم.

والله سبحانه وتعالى أعلم

المبيت في المزدلفة

● السؤال من و.ص.ع: ما حكم المبيت في المزدلفة أيام التشريق؟

●● الجواب: المبيت بالمزدلفة أيام التشريق ليس من النسك ولا من السنة، فمن بات بالمزدلفة في تلك الأيام فليس عليه شيء ولكنه خالف الهدي النبوي، ويخشى عليه أن يفوته المبيت بمنى ليالي التشريق معظم الليل، وهو واجب عند جمهور العلماء، وتركه يوجب الدم.

ومما ذكر يعلم الجواب.

والله سبحانه وتعالى أعلم

من أعلام الأزهر



الشيخ محمد الغزالي

للأستاذ الدكتور/ السيد أحمد فرج

المحور الرابع: البعث والجزاء

إن الله عندما خلق آدم وذريته خلقهم للخلود لا للفناء، وما الموت الدنيوي إلا رقدة مؤقتة يبعثون منها يوم الحساب والجزاء.. ولقد أكثر القرآن الكريم من الحديث عن الدار الآخرة والحساب والجزاء - والنعيم المقيم أو العذاب الدائم.. ومن أجل ذلك تكرر ذكر البعث والجزاء في كتاب الله، فلا تكاد تخلو منه سورة واحدة من سور القرآن الكريم.

وإن الدين الحق يريد للمسلم أن يكسب خير الدنيا والآخرة جميعاً، ولا خير في الدنيا إذا لم تؤد إلى الآخرة، وأهل الإيمان الواعي يعرفون أن المستقبل الحقيقي يشمل الأرض والسماء معاً، ويتناول العمر في الدنيا، كما يتناول الحياة الأبدية «ص١٥٢».. قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

(الحشر: ١٨- ١٩)

فالدار الآخرة للمؤمن هي الدار التي بناها في الدنيا ليسكنها في الآخرة.

أخلاق طالب الآخرة

إن طلاب الآخرة من يتقون الشبهات استبراء لدينهم وعرضهم.. لكن الشيخ محمد الغزالي لا يتوقف عند هذا الحد، فهو يريد أن يصحح الخطأ الشائع في نظرة الناس لكل من الدنيا والآخرة، يريد أن يصحح لهؤلاء الذين يرون الدنيا دار احتراف حرفة وعمل، وتناول طعام، ويرون الآخرة في الوقت نفسه داراً

يعولها بالصلاة وكافة العبادات، وأن لأعمال الدنيا أوقاتها، ولأعمال الآخرة أوقاتها.

ويؤكد الشيخ محمد الغزالى أن الأعمال فى هذا وذاك بالنيات، فمن طعم ليقوى بدنه على طاعة الله فهو صالح، ومن صلى وصام وحج ليكسب شهرة التقوى بين الناس فهو طالح.

والله تعالى لا يحب أن يتاجر بدينه، وإن شئون الدنيا والآخرة تكون مقبولة إذا كانت حركة القلب والعقل موصولة بالله، بدون قطيعة بين أعمال الدنيا والآخرة.

وإن تخلف المسلمين الآن هو نتيجة التفريق بين شئون الدنيا والدين- الدنيا والآخرة وطرح القلب من وراء القصد.

والذين يحبون الدنيا وحدها، ويعملون لها أعمالها هم من أهل النار.. قال تعالى:

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

(هود: ١٥- ١٦)

والآيتان دالتان- على أن الله يعطى طلاب الدنيا بقدر جهدهم الدنيوى فيها- المقطوع فى حركة القلب والعقل عن الله عز شأنه- ولكنهم فى الآخرة ليس لهم جزاء إلا النار.

ويؤكد الشيخ محمد الغزالى أن الحساب والجزاء ليس موقوفاً على الأفراد فقط- بل عليهم وعلى أممهم فيسأل الفرد فى خاصة نفسه- كما تسأل الأمم فيما عملت وحصلت، وهل كان تماسكها وتعاونها على خير، أم على إثم، قال تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ (٢٧) وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

(الجاثية: ٢٧- ٢٨)

وإن الله تعالى سيحاسب أمما على إبادة أمم- كما فعل البيض الذين احتلوا أمريكا وأبادوا أهلها من الهنود الحمر ومثل أضرابهم الذين احتلوا استراليا وأبادوا سكانها الأصليين. ومثل الصهاينة الذين احتلوا فلسطين ويعملون على تهويدها ويبيدون أهلها الذين كانوا آمنين فى ديارهم. وهؤلاء وهؤلاء الذين أضلهم إبليس وقادهم إلى الضلال. قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾

(سبأ: ٢٠- ٢١)

ويطبق المؤلف- تأكيداً للمعانى التى ذكرها- بتفسير موضوعى لسورة الواقعة: والواقعة اسم من أسماء يوم القيامة مثل الحاقة والقارعة والساعة، والسورة تبدأ بحديث وجيز عن انتهاء العالم وبدء الحساب، وتذكر صنوف الناس بعد البعث وهم:

١- أصحاب السبق والقربى من الله.

٢- أهل اليمين.

٣- أهل الشمال.

وتسوق السورة خمسة أدلة على أن البعث حق، والتأكيد على أن رحيل البشر عن الدنيا بموت حق وبعثهم وحسابهم حق.. فمع قيام الساعة تهيج زلازل تهد كل شىء:

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾

(إبراهيم: ٤٨)

وقال تعالى:

﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَٰثَةً (٧) فَأَصْحَٰبُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَٰبُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَٰبُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَٰبُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّٰبِقُونَ السَّٰبِقُونَ (١٠) أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّٰتِ النَّعِيمِ ﴾

(الواقعة: ٧- ١٢)

إن الله تعالى جعل لابن آدم رحلة فى الدنيا، ثم أماته، ثم يعيده كما كان يوم البعث والجزاء. قال تعالى:

﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾

(الأنبياء: ١٠٤)

فهم يبعثون بأجسادهم وجوارحهم التى باشروا بها الطاعات، أو باشروا بها المعاصى، قال تعالى:

﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

(فصلت: ٢٠)

وكما كان الإحساس بأعمال الدنيا مادى ومعنوى، فإن ثواب الآخرة وعقابها ماديان وروحانيان، «وإن الإنسان الذى هو مادة وروح لايصلح إلا بتعاليم تعترف بمادته وروحه معا، وهذه التعاليم حمل رايتها الأنبياء كلهم» (ص ١٦٩)، وأهل النعيم فى هذه السورة هم السابقون بالخيرات ويليهم الفائزون بقدر راجح من الحسنات أما الذين عصوا فهم أهل الشمال، وسورة الواقعة تتحدث عن الناس كلهم.

و تبين أن الأعمال الصالحة التى كانت فى الدنيا قاعدة سلوك المؤمن، صارت فى الآخرة علامة أهل النعيم، وأهل الجنة يتقلبون فى النعيم، ولكنهم مع ذلك ليسوا أهل بطالة، فهم دائمو الذكر والشكر لله تعالى، فهم سعداء بتكريم الله لهم، و هم أسعد بذكر الله وشكره، ومناجاته سرا وجهرا:

﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾

(الواقعة: ١٣- ١٤)

فهم صحابة رسول الله ﷺ الذين آزروه وساندوه ونشروا دعوته وأحسوا فى حياتهم بريح الجنة ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾ الذين جاءوا بعدهم وظلوا قابضين على دينهم، كالقابضين على الجمر.

﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ (١٥) مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ (١٦) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (١٨) لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ (١٩) وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَٰلِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

(الواقعة: ١٥- ٢٤)

فهم جالسون على سرر مضفورة من المعادن النفيسة، في مجالس مؤنسة يواجه بعضهم بعضا ينعمون بخيرات الجنة من طعام وفاكهة وشراب:

﴿ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴾

(الرعد : ٣٥)

﴿ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾

(الواقعة: ٣٢- ٣٣)

والزوجات فيها متوددات لأزواجهن الصالحين:

﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾

(الواقعة: ٣٧- ٣٨)

ثم ينتقل سياق الجزاء لأصحاب المشأمة وهم الملاحدة والمكذبون والفاسقون ممن شاقوا الأنبياء والرسل وعادوا الله تعالى ورسله عليهم السلام، ورضوا بالحياة الدنيا وأنكروا الآخرة فوصف تعالى عذابهم:

﴿ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴾

(الواقعة: ٤٢)

ذلك لأنهم كانوا في الدنيا مكذبين- قال تعالى فيهم:

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ (٤٥) وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ (٤٦) وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٤٧) أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (٤٨) قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (٥٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ ﴾

(الواقعة: ٤٥-٥٢)

لقد شرعت سورة الواقعة في سرد الأدلة الشاهدة على أن البعث حق فذكرت خمسة أدلة من آفاق الكون وتجارب الناس.

● الأول:

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ (٥٧) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾

(الواقعة: ٥٧-٥٩)

أي أنه تعالى هو صاحب الخلق الأول ولن يعجز سبحانه عن الخلق الثاني.

● الدليل الثاني : أن الخالق تعالى قادر على الخلق في كل طرفة عين فريات جديدة:

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(الواقعة : ٥٨ - ٦١)

والمني هو الماء المهين الذي يخلق منه الإنسان، وهذا الحيوان المنوي الذي لا يرى بالعين المجردة يحمل فيه كل خصائص النوع الإنساني المادية والمعنوية، والصفات العقلية والخلقية:

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾

(الواقعة : ٦٢)

● الدليل الثالث : إن الأرض التي يعيش عليها الإنسان مليئة بآيات الله الدالة عليه، أما يدل ذلك على معرفة المنشئ المبدع؟ أما يبعث ذلك على إدراك قصة الحياة والموت؟

(ص ١٧٩) إن بعض الأجساد كاستنبات الأرض، عمل تبرز فيه قدرة خالق الأرض والسماء وما بينهما وما في جوف الثرى - وما في الجو والبحر.

● الدليل الرابع :

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾

(الواقعة: ٦٨ - ٧٠)

فالماء أصل الحياة ينزله تعالى من مزن السحاب، فيشرب منه الإنسان والحيوان والنبات، وتحيا به المخلوقات، وإن الله تعالى هو الذي أنزله من المزن ليحيا به الإنسان وما حوله من المخلوقات التي ينتفع بها، أليس ذلك دليلا على أن منزله قادر على بعث الأجساد؟ «إن المشيئة الإلهية وحدها مرجع الإيجاد والإفناء، والماء هو الوسيط الطبيعي للحياة الدنيا، وللحياة بعد الموت، عنصر طيع لهذه المشيئة المطلقة، وفي صحيح مسلم إن: (الله ينزل مطرا كأنه الطل فتنبت منه أجساد الناس) وكانوا في قبورهم هلكى» (ص ١٨١).

● الدليل الخامس:

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴾

(الواقعة: ٧١ - ٧٣)

الإنسان عندما يستنشق الهواء يتنفس الأكسجين، ويطرد ثاني أكسيد الكربون، والنبات على العكس يطرد الأكسجين ويأخذ ثاني الكربون، وهذا دليل على أن النبات مخزن الطاقة، وسبب للاحتراق، وهكذا يكمن الموت في تضاعيف الحياة، والنبات الذي يحترق لتتولد منه الطاقة ويتحول ترابه مرة أخرى إلى سمادا لأنواع من النبات، كما يتحول النبات الذي تطعمه إلى ما يمد أجسامنا بالطاقة والحياة، قال تعالى:

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾

(الملك : ٢)

ثم ختمت سورة الواقعة بسؤال : هل يستطيع الإنسان الإفلات من البعث والحساب والجزاء، وهل يقدر على دفع الموت عنه؟:

﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَٰكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

(الواقعة:٨٣ - ٨٧)

***

الأشهر الحرم والسلام العالمي

لفضيلة الشيخ/ عمر الديب

عضو مجمع البحوث الإسلامية

إذا كان القرآن الكريم قد اعتنى بأشهر الحج عنايته بفريضة الحج ذاتها فإنه قد اعتنى ـ أيضا ـ بالأشهر الحرم مقدار عنايته بتطهير النفس من المظالم وكف العدوان والبغي ولفت أنظار المؤمنين إلى ما لهذه الأشهر كلها من بواعث البر والتقوى بواعث الترفع بالنفس عن مواطن الإثم والطغيان وانتقاص الحقوق والواجبات فنجد أن القرآن الكريم يقول في معرض الحديث عن أشهر الحج.

﴿ الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب ﴾

(البقرة: ١٩٧)

وإذا تتبعنا الأشهر الحرم وما تضمنته من مختلف العبادات نجد أن فريضة الحج وهي الركن الخامس المتمم لأركان الإسلام وفي أثنائه نزل قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ مخاطبا نبيه محمداً ﷺ وهو واقف بعرفات.

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾

(المائدة: ٣)

وإذا كان المؤمنون بانتهاء رمضان عادوا إلى دنياهم من رحلة روحية تعلقت فيها قلوبهم بمولاهم وعظمت بها مراقبته في نفوسهم حتى امتنعوا في أيامه - لله وفي سبيل الله - عما أبيح لهم من مقومات الحياة فإنهم بدخول شهر شوال يملأ قلوبهم الشعور باستئناف رحلة أخرى يشارك فيها الروح البدن ويهرع إليها القادر عليها تاركاً وراءه أهله ووطنه، متحملاً في سبيل الله عناء السفر ووعثاء الطريق لا

لشيء من حظوظ النفس والدنيا إلا أن يقف لله عبداً خاشعاً ملبياً أمام بيته معترفاً بالتقصير ملتمساً منه المعونة والرضوان والعفو والغفران، حتى إذا ما فرغ من ذلك واطمأن إلى حسن وقفته عاد إلى وطنه آمناً مطمئناً قوياً في الأخذ بنفسه وبأمته إلى سبيل الهدى والرشاد وقد أرشد القرآن إلى ما يضمن للمؤمنين هذا الهدف السامي من تلك الرحلة.

﴿ فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ﴾

(البقرة:١٩٧)

وهذا جانب التخلية والتطهير من المدنسات النفسية والفرقات الاجتماعية أما جانب التحلية بالفضائل المزكية للنفوس المؤلفة للقلوب المقربة إلى الله فإننا نراه في قوله تعالى:

﴿ وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾

(البقرة: ١٩٧)

وإذ كان شوال باعتباره أول شهور الحج وليس من الأشهر الحرم، فإنه يثير في النفوس، نفوس المؤمنين ذكريات الحج ويتمثلون به وبأخويه «ذي القعدة وذي الحجة» الطواف ببيت الله الحرام والوقوف بمكان الضراعة الخالصة بعرفات والمشعر الحرام فتهفوا القلوب إلى تلك المشاهد منابع الوحي والنور وتتجرد من دنياها، وترحل إلى مولاها منقلبة في هذه الحرمة المكانية فإنه باعتباره الثاني بشير بالأشهر الحرم يجعلهم مرة أخرى يستقبلون هذه البشرى بشهر ذي القعدة وهي حرمة زمنية قصد بها من قديم تأمين الطريق لأداء الحج وزيارة الله في بيته الحرام وهي في الوقت نفسه تغرس في القلوب عوامل الأمن والطمأنينة وهذه هي الحرمة الزمنية التي هي حرمة الأشهر الحرم ذات القدسية التي أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم ﴾

(التوبة: ٣٦)

وقد نوه القرآن الكريم كثيراً إلى مكانة وقدسية الأشهر الحرم وجعل المحافظة عليها بالبعد عن القتال وسفك الدماء وسائر المظالم والخيانات من شعائر الله التي لفت إليها الأنظار وقد وجه إلى ذلك توجيها عاماً شاملاً في الأزمنة كلها وفي الرسالات كلها.

﴿ ذلك الدين القيم ﴾

(التوبة: ٣٦)

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ﴾

(المائدة:٢)

ومما ذكر يتبين لنا أنه بحرمتي الحج والأشهر الحرم كان لله في تربية عباده وتدريبهم على الخير حرمتان: إحداهما حرمة

مكانية ومجالها البيت الحرام ومكة والبلد الحرام واتسع نطاق هذه الحرمة حتى شملت الحيوانات:

﴿ لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾

(المائدة: ٩٥)

وشملت الأشجار: «لا يختلى خلاها ولا يقطع شوكها».

والحرمة الأخرى هي الحرمة الزمانية ومجالها وميقاتها هو الأشهر الحرم تجتمع ثلاثة منها مع الأشهر الحرم وهذه الثلاثة هي: ذي القعدة وذي الحجة والمحرم وأما رابع الأشهر الحرم فهو مفرد ويسمى رجب الفرد وهذا محل تذكير لجميع المؤمنين أثناء السنة كلها بحرمات الله التي لا ينبغي أن يغفل عنها المؤمنون طوال العام كله وهذا المنهج التربوي هو شرع إلهي قديم أقره الإسلام وربط به بين المؤمنين الأولين والمؤمنين الآخرين وهو في واقعه لأهل العصر الواحد فرصة تهيىء لهم لو آمنوا به ونزلوا على مقتضاه واتبعوا شرع الله فيه حسن التفاهم والعمل على قطع الأسباب التي تؤدي إلى الخلاف والتخاصم وعلى إقرار الأمن والسلام هو بمثابة هداية إلهية يتدبر الناس فيها شئونهم فيعرفون مهمتهم في الحياة من حسن التعمير وإسعاد البشرية وتقع مجتمعاتهم على أسس من المحبة والتعاون وبذلك يكفون عن العدوان وعن الجشع المثير للحروب القاضي على السعادة والاطمئنان المفسد للمهمة التي من أجلها خلق الله الإنسان وهي الخلافة في الأرض للتعمير فإن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق على سليقة واحدة تدفعهم - بحكم ما ركب فيهم من قوتي الغضب والشهوة في كثير من الأحوال - إلى التحاسد والتباغض والتقاطع إلى القتل والتخريب وإلى السلب والاستعلاء فاقتضت الحكمة الإلهية أن يكون لهم رادع ينبع احترامه من ضمائرهم ومن هنا كان تعظيم بيت الله الحرام في قلوبهم وملأ بهيبته نفوسهم وضاعف في حرمته جزاء المنحرفين ولما كان البيت الحرام في مكان مخصوص لا يدركه كل مظلوم ولا كل الناس ولا ينال حظه من الأمن فيه إلا من ارتحل إليه ولم يكن من الممكن أن يرتحل إليه جميع سكان المعمورة في وقت واحد لهذا جعل الأشهر الحرم ملجأ أمن عام تنتشر على الناس وهم في أقاليمهم وأوطانهم وأقطارهم ألوية الأمن والاطمئنان ويدخلون بها في هدنة الرحيم الرحمن فقرر كذلك في القلوب حرمتها فيها تتجه القلوب إلى ربها وفيها يتضاعف الجزاء لمن أحسن وأساء وفي ذلك يقول الله تعالى في كتابه الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه:

﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ﴾

(المائدة: ٩٧)

فإن الإنسان إذا آمن بهذه الهدنة الإلهية وانفعلت نفسه بشرائع ربه وعالج نفسه في ظلها وهي أربعة أشهر من اثنى عشر شهراً ولا شك إلى فسحة وراحة واتسع أمامه مجال العمل والسياحة في الأرض لطلب الرزق واستطاع الاتصال بإخوانه بني الإنسان وكان معهم في أمن واطمئنان متعاونين على البر والتقوى عزوفين عن الإثم والعدوان.

والأشهر الحرم هي بمثابة جزء من دعوة الإسلام إلى نبذ الحروب وإلى السلام العالمي فقد جعل الإسلام الأصل في العلاقة الإنسانية هو السلم والتعاون وأن الحرب ليست إلا علاجا لشذوذ لم تنفع فيه الحكمة ولا الموعظة الحسنة، وأن الحرب إذا وقعت كان لها حكم الضرورات تقدر بقدرها دون بغي أو عدوان وراعى الإسلام حقوق المدنيين وغير المحاربين فقد شدد على أن هؤلاء لا ينالهم سوء من جراء الحروب والإسلام يحذر أن تكون الحرب إذا وقعت حرب تنكيل أو تخريب فلا يبيح قتل من لا يقاتل من النساء والشيوخ والأطفال والعجزة ومما حفظ من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك: «لا تقتلوا الذرية في الحرب. فقيل له: أليسوا أولاد المشركين؟ فقال: أوليس خياركم أولاد المشركين»(١) ولهذا فإننا نذكر مجددا أن الإسلام إنما أقر ما كان قبل الإسلام من حرمة القتال في تلك الأشهر الحرم وقد ثبت في دستوره وكتابه الكريم وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم أن أصل التعامل مع الغير هو التعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان وقد حرم الاعتداء على الإنسان وطالما أن غير المسلمين لا يقاتلون المسلمين فهم والمسلمون في نظر الإسلام إخوة في الإنسانية يتعاونون على خيرها العام ولكل دينه يدعو إليه بالحكمة والموعظة الحسنة دون انتقاص لحق أحد ودون إضرار بحق الغير ولهذا كان منهج الإسلام هو الوحدة الإنسانية فقد بزغت شمس الإسلام وصاح في الناس بوحدتهم الإنسانية وبوحدتهم في الربوبية لرب واحد وبوحدتهم في البنوة لرجل واحد فلنقرأ قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾

(النساء: ١)

وبهذا يكون الإسلام قد أعلن الوحدة بين بني البشر من أول الأمر ومن مقتضيات هذه الوحدة المساواة بين بني الإنسان في الحقوق والواجبات والعدل هو الشعار الصادق لهذه الوحدة يكون حيث تكون ويفقد حيث تفقد ومن أهم ما يوثق عرى هذه الوحدة الإنسانية السلام والأمن الذي دعا إليه الإسلام وجعل هذه الأشهر الحرم رمزاً لهذا السلام الذي يعم الأمن فيه كل شيء حتى الحيوان والنبات والشجر الذي يحرم الاعتداء عليه في هذه الأشهر الحرم حول بيت الله الحرام وفي ذلك إشارة إلى أنه الواجب على البشرية جمعاء أن تعمل على نشر السلام والبعد عن القتال والحروب لا في الأشهر الحرم فقط ولكن في جميع الأوقات والأزمان حتى تتحقق لهم تلك الوحدة الإنسانية التي أرادها الله لهم ليكونوا خلفاء الأرض لا متحاربين ولا متناحرين بل إخوة متحابين تظلهم راية السلام والأمن والأمان.

(١) البيهقي ٩/٧٧.

النشأة الغربية للعلمانية

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

عضو مجمع البحوث الإسلامية

مصطلح «العلمانية»، هو الترجمة التى شاعت ـ بمصر والمشرق العربى ـ للكلمة الإنجليزية SecuLarism بمعنى الدنيوى.. والعالمى. والواقعى ـ من الدنيا والعالم والواقع ـ المقابل «للمقدس» أى الدينى الكهنوتى، النائب عن السماء، والمحتكر لسلطتها، والمالك لمفاتيحها، والخارق للطبيعة وسننها، والذى قدّس الدنيا قداسة الدين، وثبّت متغيراتها ـ العلمية والقانونية والاجتماعية ـ ثبات الدين.

ولأن هذا هو معنى المصطلح، فى نشأته وملابساته الأوروبية ـ النزعة الدنيوية، والمذهب الواقعى فى تدبير العالم من داخله، وليس بشريعة من ورائه ـ فلقد كان قياس المصدر هو «العالمية»، أو «العالمانية».. لكن صورته غير القياسية ـ «العلمانية» ـ هى التى قدر لها الشيوع والانتشار.

والعلمانية، كنزعة فى تدبير العالم، وكمذهب فى المرجعية الدنيوية لشئون العمران الإنسانى، لا يمكن فهمها ـ ومن ثم فهم الموقف الإسلامى منها ـ بمعزل عن الملابسات الأوروبية، لنشأتها فى إطار الحضارة الغربية المسيحية، بجذورها الإغريقية الفلسفية، وتراثها الرومانى القانى والإضافة المسيحية لهذه الجذور وذلك التراث.

وإذا كان التفصيل فى هذه القضايا هو مما يخرج هذه الدراسة عن آفاقها ومقاصدها..

١ـ انظر: (معجم العلوم الاجتماعية) وضع مجمع اللغة العربية ـ القاهرة سنة ١٩٧٧م. و(قاموس علم الاجتماع) ـ إشراف: د. عاطف غيث. طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠م ود. محمد البهى (العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق) ص٧، ٨ ـ طبعة القاهرة ١٩٧٦م.

فإننا نكتفى بالإشارة إلى بعض القضايا فى شيء من الإيجاز:

لقد ظلت المسيحية، منذ نشأتها وعبر قرون طويلة من حياتها فى المجتمعات الأوروبية: ديناً لا دولة، وشريعة محبة لا تقدم للمجتمع مرجعية قانونية ولا نظاماً للحكم، ورسالة مكرسة لخلاص الروح، تدع ما لقيصر لقيصر وما لله لله. وظلت رسالة كنيستها خاصة بمملكة السماء لا شأن لها بسلطان الأرض وقوانين تنظيم الاجتماع البشرى، فى السياسة والاجتماع والاقتصاد، وعلومها ومعارفها.

وعبر هذه القرون، حكمت العلاقة بين الكنيسة والدولة ـ أى الدين والمجتمع ـ نظرية «السيفين» Theory Of The Two Swords أى السيف الروحى ـ أو السلطة الدينية للكنيسة ـ والسيف الزمنى ـ أو السلطة المدنية للدولة.

فلما حدث وتجاوزت الكنيسة حدود رسالة الروح ومملكة السماء، فاغتصبت السلطة الزمنية أيضاً أضفت على الدنيا قداسة الدين، وثبتت متغيرات الاجتماع الإنسانى ثبات الدين فدخلت بالمجتمعات الأوروبية مرحلة الجمود والانحطاط وعصورها المظلمة.. وسادت فى تلك الحقبة نظرية «السيف الواحد» The Theory of one Sword ـ أى السلطة الجامعة بين الدينى والمدنى ـ سواء تولاها «البابوات ـ الأباطرة»، أو الملوك الذين يوليهم ويباركهم البابوات ـ وعرف هذا النظام، فى



عبدالله النديم — رشيد رضا

التاريخ الأوروبى، بنظرية الحق الإلهى للملوك Divine Right of The King[٢].

وفى مواجهة هذا النظام، وواقع الانحطاط الحضارى الذى أثمرته تطبيقاته ـ التى قدست الدولة وحكامها.. وجمدت الدنيا ومجتمعاتها وعلومها ـ كانت «الثورة العلمانية» التى فجرتها فلسفة التنوير الأوروبى، والتى أقامت قطيعة معرفية مع فلسفة الحكم الكهنوتى، وأسست النزعة العلمانية الحديثة على التراث الأوروبى القديم وعلى عقلانية التنوير الأوروبى الحديث، التى أحلت «العقل» و«التجربة» محل «الدين» و«اللاهوت».

لقد أعادت «الثورة العلمانية» الكنيسة إلى حدودها الأولى: خلاص الروح، ومملكة السماء، وجعل ما لقيصر لقيصر من دون الله!.. وجعل «العقل» و«التجربة»، دون «الدين».. و«اللاهوت»، المرجع فى تدبير شئون العمران الإنسانى، أى عزل «السماء» عن «الأرض»، انطلاقاً من فلسفة أن العالم مكتفٍ

٢ـ انظر: (موسوعة العلوم السياسية) المجلد الأول ـ مادة «حق الحكم الإلهى» ـ طبعة جامعة الكويت سنة ١٩٩٤م.

بذاته، تدبره الأسباب المخلوقة في ظواهره وقواه وطبيعته، دونما حاجة إلى رعاية إلهية أو تدبير شرعي نازل مما وراء الطبيعة والعالم.. فالعلمانية، هي: جعل المرجعية في تدبير العالم إنسانية خالصة، ومن داخل العالم، دونما تدخل من شريعة سماوية هي وحي من الله المفارق لهذا العالم.

ولقد عرفت العلمانية الأوروبية ـ غير التيار المادي الملحد ـ تياراً مؤمناً بالله، استطاع فلاسفته ـ من أمثال هوبز Hobbes (١٥٨٨ ـ ١٦٧٩م) ولوك Loke (١٦٣٢ ـ ١٧١٦م) وليبنز Leibniz (١٦٤٦ ـ ١٧١٦م) وروسو Rousseau (١٧١٢ ـ ١٧٧٨م) وليسنج Lessine (١٧٢٩ ـ ١٨٧١م) ـ التوفيق بين الإيمان بوجود إله خالق للعالم وبين العلمانية التي ترى العالم مكتفياً بذاته، فتحصر تدبير الاجتماع البشري في سلطة البشر المتحررة من شريعة الله.. وكان هذا التوفيق مؤسساً على التصور الأرسطي لنطاق عمل الذات الإلهية.. فالله، في التصور الأرسطي، واحد، مفارق للعالم، وخالق له.. لكنه قد أودع في العالم والطبيعة الأسباب التي تدبرهما تدبيراً ذاتياً، دونما حاجة إلى تدخل إلهي، أو رعاية إلهية فيما بعد مرحلة الخلق «فالحركة توجد في الشيء بذاته ولذاته، لا من حيث إن شيئاً خارجياً هو الذي يحدث فيه هذه الحركة» «وعناية الله موقوفة على ذاته، ولا تدخُّل له في الأحداث الجزئية في العالم والطبيعة»(٣).. فالعالم مكتف بذاته، تدبره الأسباب المودعة فيه، وهو وحده مصدر المعرفة الحقة، القابلة للبرهنة والتعليل، وتدبير الدنيا مرجعيته الإنسان ـ بالعقل والتجربة ـ دون رعاية أو تدبير أو تدخل من السماء ـ هكذا استندت العلمانية، في تأسيس «دنيويتها» على التصور الأرسطي لنطاق عمل الذات الإلهية ـ فهو مجرد خالق.. فرغ من الخلق.. وانحصرت عنايته بذاته، دونما رعاية أو تدبير للمخلوقات ـ كصانع الساعة، الذي أودع فيها أسباب عملها دون حاجة لوجوده معها وهي تدور!..

وساعد العلمانية على الانتصار لهذه النزعة، التصور المسيحي لعلاقة الدين بالدولة، فهو تصور يدع ما لقيصر لقيصر، ويقف بالدين عند خلاص الروح ومملكة السماء، دون أن يقدم شريعة للمجتمع والدولة، الأمر الذي جعل «سجن» الدين في الكنيسة وفي الضمير الفردي «ثورة تصحيح ديني» وليس عدواناً على الدين!..

وساعدها على ذلك ـ أيضاً ـ أن التراث الروماني في فلسفة التشريع والتقنين، قد جعل «المنفعة»، غير المضبوطة بالدين وأخلاقياته وشريعته السماوية، هي المعيار.. فكان الطريق إلى القانون الوضعي

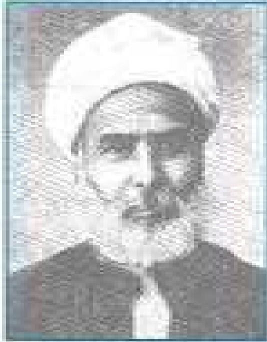
٣ ـ د. عبدالرحمن بدوي (موسوعة الفلسفة) ـ مادة أرسطو طاليس ـ ص١٠٤ ـ ١٠٦ ـ طبعة بيروت سنة ١٩٨٤م.

مفتوحاً أمام العلمانية، يزكيه هذا التراث!..

هكذا نشأت العلمانية في سياق التنوير الوضعي الغربي، لتمثل عزلاً للسماء عن الأرض، وتحريراً للاجتماع البشري من ضوابط وحدود الشريعة الإلهية، وحصراً لمرجعية تدبير العالم في الإنسان باعتباره «السيد» في تدبير عالمه ودنياه.. فهي ثمرة من ثمرات عقلانية التنوير الوضعي، الذي أحل العقل والتجربة محل الله والدين، وهي قد أقامت مع الدين ـ في تدبير العالم ـ قطيعة معرفية ـ وبعبارة واحد من دعاة التنوير الغربي ـ «فلم يعد الإنسان يخضع إلا لعقله.. في أيديولوجيا التنوير التي أقامت القطيعة الابستمولوجية ـ (المعرفية) ـ الكبرى التي تفصل بين عصرين من الروح البشرية: عصر الخلاصة اللاهوتية للقديس توما الأكويني، وعصر الموسوعة لفلاسفة التنوير.. فراح الأمل بمملكة الله ينزاح لكي يخلي المكان لتقدم عصر العقل وهيمنته.. وراح نظام النعمة الإلهية ينمحي ويتلاشى أمام نظام الطبيعة.. وأصبح حكم الله خاضعاً لحكم الوعي البشري، الذي يطلق الحكم الأخير باسم الحرية»!(٤).

إنها عزل السماء عن الأرض، والدين عن الدنيا، وإحلال الإنسان ـ في تدبير العمران البشري ـ محل الله!..

وفود العلمانية إلينا في ركاب الغزوة الاستعمارية


محمد عبده

وإذا كانت غزوة بونابرت (١٧٦٩ ـ ١٨٢١م) لمصر (١٢١٣هـ ١٧٩٨م) قد مثلت بداية الغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة لوطن العروبة ـ قلب العالم الإسلامي ـ بعد أن التف هذا الاستعمار حول هذا العالم ـ عبر أربعة قرون؟!.. فإن هذه الغزوة قد تميزت عن سابقتها الصليبية (٤٨٩ ـ ٦٩٠هـ ١٠٩٦ ـ ١٢٩١م) باستهدافها احتلال العقل، واستبدال الفكر، وتغيير الهوية ـ مع احتلال الأرض، ونهب الثروة واستعباد الإنسان!.. فكانت العلمانية واحدة من الوافد الغربي في ركاب الغزاة.. وللمرة الأولى تترجم الكلمة الفرنسية Laïque بكلمة «علماني» في المعجم الفرنسي العربي الذي صدر سنة ١٨٢٨م، والذي وضعه «لويس بقطر المصري» الذي خدم جيش الاحتلال الفرنسي بمصر، ثم رحل معه، ليدرس العامية المصرية في مدارس باريس!.. ترجمت «اللائكية» بالعلمانية، من «العَلْم» ـ نسبة إلى

٤ ـ إميل بولا (الحرية، العلمنة: حرب شطري فرنسا ومبدأ الحداثة) منشورات سيرف. باريس سنة ١٩٨٧م ـ والنقل عن هاشم صالح ـ مجلة «الوحدة» ـ المغرب ـ عدد فبراير ـ مارس سنة ١٩٩٣م ص٢٠، ٢١.

«العالم» باعتباره «الدنيا»، المقابلة «للدين»[٥]..

وفي كل موقع من بلاد الإسلام قامت فيه للاستعمار الغربي سلطة ودولة، أخذ هذا الاستعمار ـ شيئا فشيئا ـ يحل النزعة العلمانية في تدبير الدولة وحكم المجتمع وتنظيم العمران محل «الإسلامية»، ويزرع القانون الوضعي العلماني حيثما يقتلع شريعة الإسلام وفقه معاملاتها.

> ففي الجزائر وتونس، أخذ الاستعمار الفرنسي في إحلال القانون الوضعي العلماني محل الشريعة الإسلامية وقانونها ـ وكذلك صنعت إنجلترا بمصر بعد أن احتلتها.. وعن هذا الغزو القانوني بالوافد العلماني يحدثنا عبدالله النديم (١٢٦١ ـ ١٣١٣هـ ١٨٤٥ ـ ١٨٩٦م) فيقول: «إن دولة من دول أوروبا لم تدخل بلدا شرقيا باسم الاستيلاء، وإنما تدخل باسم الإصلاح وبث المدنية، وتنادى أول دخولها بأنها لا تتعرض للدين ولا للعوائد، ثم تأخذ في تغيير الاثنين شيئاً فشيئاً.. كما تفعل فرنسا في الجزائر وتونس، حيث سنت لهم قانوناً فيه بعض مواد تخالف الشرع الإسلامي، بل تنسخ مقابلها من أحكامه، ونشرته في البلاد، واتخذت لتنفيذه قضاة ترضاهم، ولما لم تجد معارضاً أخذت تحوّل كثيرا من مواده إلى مواد ينكرها الإسلام، توسيعا لنطاق النسخ الديني، ولم نلبث أن جاريناها ـ (في مصر) ـ وأخذنا بقانون يشبهه..»[٦].

فبالقانون العلماني يتم النسخ الديني، والمسخ لشريعة الإسلام!

ومع القانون العلماني ـ الوضعي.. الذي لا يضبط «المنفعة» بالشرع.. ولا يحكم حقوق الإنسان بحقوق الله وحدوده ـ جاءت الغزوة الاستعمارية الغربية إلى بلاد الإسلام بمفهوم الحرية الإنسانية المتحرر من الضوابط الشرعية، والمؤسس على أن الإنسان هو سيد العالم ومرجع التدبير للعمران ـ وليس على المفهوم الإسلامي للاستخلاف، الذي يضبط حرية الخليفة بالشريعة الإلهية، التي هي معالم التدبير الإلهي للاجتماع الإنساني، وفيها بنود عقد وعهد الاستخلاف الإلهي للإنسان.

وعن هذا المفهوم العلماني للحرية ـ الذي يقضي ـ بعبارة عبدالله النديم ـ: «بعدم تعرض أحد لأحد في أموره الخاصة» ـ يقول النديم ـ في نقده.. وفي بيان بديله الإسلامي: «إن الحرية عبارة عن المطالبة بالحقوق، والوقوف عند الحدود، وهذا الذي نسمع به ونراه رجوع إلى البهيمية وخروج عن حد الإنسانية.. إنها حرية مدنية ينفر منها البهيم.. ولئن كان ذلك سائغا في أوروبا، فإن لكل أمة عادات وروابط دينية أو بيتية، وهذه الإباحة لا تناسب أخلاق المسلمين ولا قواعدهم الدينية ولا عاداتهم، وهي لا توافق عوائد أهل الشرق ولا أديانهم

٥ـ د. السيد أحمد فرج (علماني وعلمانية: تأصيل معجمي) ـ مجلة (الحوار) ـ بيروت ـ عدد (٢) ص١٠٦ ـ ١١٠ ـ سنة ١٩٨٦م.

٦ـ مجلة (الأستاذ) العدد الثاني والعشرون ص٥١٤، ٥١٥ بتاريخ ٢٩ من جمادى الآخرة سنة ١٣١٠هـ ١٧ من يناير سنة ١٨٩٣م.

والقانون الحق هو الحافظ لحقوق الأمة من غير أن يجني أو يغرى بالجناية عليها بما يبيحه من الأحوال المحظورة عندها..»[٧] بل إن تسلل القانون العلماني الغربي، واختراقه لمؤسساتنا القضائية والتشريعية، قد سبق أحياناً الاحتلال العسكري المباشر والسلطة الاستعمارية السافرة، وذلك عندما رافق تزايد «النفوذ» الاستعماري في بلادنا وتضخم الجاليات الأجنبية فيها.. فكان تسلله هذا تمهيداً للاحتلال والاستعمار؟!..

ففي مصر، على عهد الخديوي سعيد (١٢٣٧ ـ ١٢٧٩هـ ـ ١٨٢٢ ـ ١٨٦٣م) صدرت «إرادة»؟! ـ في ١٢ من شعبان سنة ١٢٧٢هـ ١٨ من أبريل سنة ١٨٥٥م ـ بإنشاء محكمة تجارية (مجلس تجار) مختلط من المصريين والأجانب، ليقضي في المنازعات التجارية التي يكون الأجانب طرفا فيها»[٨].. فبدأ الاختراق العلماني لمؤسسة القضاء.

ومع تزايد النفوذ الأجنبي، أصبحت للأجانب الأغلبية في عضوية محكمة (قومسيون مصر) ـ ثلاثة مصريون، وأربعة أجانب!!..[٩].

وبعد أن تعددت «المحاكم القنصلية» ـ التي يقضي فيها قضاة أجانب بالقانون الأجنبي، في المنازعات التي يكون أحد طرفيها أجنبياً ـ حتى بلغت ـ في ظل الامتيازات الأجنبية ـ سبع عشرة محكمة» ـ «نظمت هذه الفوضى» القانونية والقضائية سنة ١٨٧٥م بإنشاء «المحاكم المختلطة» ـ وهي التي تقضي في المنازعات بين المصريين والأجانب «بقانون نابليون» العلماني.. وباللغة الفرنسية، وأغلبية قضاتها أجانب، والرئاسة فيها للأجانب.. وفي دائرتها الجزئية، ذات القاضي الواحد، ينفرد القاضي الأجنبي بالحكم، وكذلك في دوائر: الأمور المستعجلة، والوقفية، والبيوع، ونزع الملكية العقارية؟!..»[١٠].. فتم الاختراق العلماني لمؤسستي «القضاء» و«التشريع» معا..، إذ «لم يقتصر النظام المختلط على إنشاء قضاء أجنبي نافذ الأحكام على الرعايا الوطنيين وعلى حكومة البلاد، بل خوّل الدول الأجنبية حق التدخل في التشريع الذي يسري على رعاياها..»[١١].


جمال الدين الأفغاني

بل إن قاضياً هولندياً بهذه المحاكم المختلطة ـ «فان بملن» Von Bemmelen قد وصف القضاء

٧ـ المصدر السابق ـ العدد التاسع عشر ص٤٢٩ والعدد الثامن والعشرون ص٩١٢.

٨ـ أمين سامي باشا (تقويم النيل) المجلد الأول من الجزء الثالث. ص١٦٠ طبعة القاهرة سنة ١٩٣٦م.

٩ـ عبدالرحمن الرافعي (عصر إسماعيل) جـ١ ص٤٧، ٤٨. طبعة القاهرة سنة ١٩٤٨م.

١٠ـ المرجع السابق. جـ٢ ص٢٤٢ ـ ٢٤٦.

١١ـ المرجع السابق. جـ٢ ص٢٤٩.

القنصلى بأنه «وليد الاغتصاب الواقع من الأقوياء على حقوق الضعفاء»، ووصف المحاكم المختلطة ـ وكان قاضياً بها ـ «بأنها ركن قوى من أركان السيطرة الأوروبية على مصر»[62]!

ولم تجد فى مقاومة هذا التسلل العلمانى إلى القضاء والتشريع المصريين «صيحة التحذير» التى أطلقها رفاعة الطهطاوى (١٢١٦ ــ ١٢٩٠هـ ــ ١٨٠١ ــ ١٨٧٣م) عندما كتب (١٢٨٦هـ ١٨٦٩م) عن هذه المجالس التجارية التى رتبت فى المدن الإسلامية «لفصل الدعاوى والمرافعات بين الأهالى والأجانب، بقوانين فى الغالب أوروبية»، وعقب على هذا الاختراق القانونى العلمانى، قائلاً: «.. مع أن المعاملات الفقهية لو انتظمت وجرى عليها العمل لما أخلت بالحقوق، بتوفيقها على الوقت والحالة.. ومن أمعن النظر فى كتب الفقه الإسلامية ظهر له أنها لا تخلو من تنظيم الوسائل النافعة من المنافع العمومية، حيث بوبوا للمعاملات الشرعية أبواباً مستوعبة للأحكام التجارية، كالشركة، والمضاربة، والقرض، والمخابرة والعارية، والصلح، وغير ذلك.. إن بحر الشريعة الغراء، على تفرع مشارعه، لم يغادر من أمهات المسائل صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وأحياها بالسقى والرى، ولم تخرج الأحكام السياسية عن المذاهب الشرعية، لأنها أصل، وجميع مذاهب السياسات عنها بمنزلة الفرع..»[63].

لم تجد «صيحة التحذير» التى أطلقها الطهطاوى، فى مواجهة الاختراق العلمانى لمؤسساتنا القضائية والتشريعية.. بل جاء «عموم بلوى الاختراق» عندما احتل الإنجليز مصر (١٢٩٩هـ ١٨٨٢م).. ففى العام التالى، عمم الاحتلال القانون الأجنبى فى عموم القضاء الأهلى المصرى.

ففى ٢٤ من جمادى الآخرة سنة ١٣٠٠هـ ٢ من مايو سنة ١٨٨٣م صدر القانون المدنى والقانون التجارى، وقانون التجارة البحرى، وقانون المرافعات ـ على حالها الذى كانت عليه فى المحاكم المختلطة ـ وصدرت قوانين العقوبات، وتحقيق الجنايات ـ مع بعض التعديلات.. ولم يأت ١٣ من نوفمبر سنة ١٨٨٣م حتى كانت القوانين قد «تعلمنت» فى القضاء الأهلى المصرى!..[64].

وإذا كان الطهطاوى قد أشار إلى أن تقنين مبادىء الشريعة الإسلامية وفقه معاملاتها «بتوفيقها على الوقت والحالة»، هو تقديم للبديل الإسلامى، فى مواجهة الاختراق التشريعى العلمانى، فإن تلميذه محمد قدرى باشا (١٢٣٧ ــ ١٣٠٦هـ ١٨٢١ ــ ١٨٨٨م) قد اجتهد فى تقنين هذا البديل الإسلامى، فقدم لمكتبة القانون الإسلامى:

١ـ كتاب (مرشد الحيران فى معرفة أحوال الإنسان) فى المعاملات الشرعية.

٦٢ـ المرجع السابق. جـ٢ ص٢٤٣، ٢٤٧ ـ والمرجع ينقل عن كتاب (مصر أوروبا) جـ١ ص١١٨، ٢٠٥ طبعة سنة ١٨٨٩م.

٦٣ـ (الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوى) جـ١ ص٥٤٤، ٣٦٩، ٣٧٠ دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م.

٦٤ـ الرافعى (عصر إسماعيل) جـ٢ ص٢٤٠، و(مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال) ص٦٥ ـ ٦٨. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٦م.

٢ـ وكتاب (قانون العدل والإنصاف للقضاء على مشكلات الأوقاف).

٣ـ وكتاب (تطبيق ما وجد فى القانون المدنى موافقاً لمذهب أبى حنيفة).

٤ـ وكتاب (الأحكام الشرعية فى الأحوال الشخصية)[65].. مبرهناً بذلك على استمرار المقاومة الإسلامية لاختراق العلمانية الغربية عقلنا القانونى ومؤسسات القضاء والتشريع فى بلادنا.

وعلى هذا الدرب، الذى اختطه الطهطاوى «للإصلاح بالإسلام»، ولتجديد دنيانا بتجديد ديننا، سار الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (١٢٦٥ ــ ١٣٢٣هـ ١٨٤٩ ــ ١٩٠٥م)، الذى انتقد النزعة المادية للمدنية الأوروبية ـ «مدنية الذهب والفضة»[66].. ولفت النظر إلى تميز الإسلام، الذى «ظهر، لا روحياً مجرداً، ولا جسدانياً جامداً، بل إنسانياً وسطاً بين ذلك آخذاً من كل القبيلين بنصيب، فتوفر له من ملاءمة الفطرة البشرية ما لم يتوفر لغيره، وصار المدرسة الأولى التى يرقى فيها البرابرة على سلم المدنية.. والذى جمع بين الدين والشرع، فلم يعرف ما يسميه الإفرنج «ثيوكرتيك» أى سلطان إلهى.. وفى ذات الوقت لم يدع ما لقيصر لقيصر، بل كان من شأنه أن يكون كمالاً للشخص وألفة فى البيت، ونظاماً للملك، امتازت به الأمم التى دخلت فيه عن سواها ممن لم يدخل فيه»[67].

ثم حكم بأن «سبيل الدين لمريد الإصلاح فى المسلمين سبيل لا مندوحة عنها، فإن إتيانهم من طرق الأدب والحكمة العارية عن صبغة الدين ـ (أى العلمانية) ـ هو بذر غير صالح للتربة، لا ينبت، ويضيع تعبه، ويخفق سعيه.. فما لم تكن المعارف والآداب مبنية على أصول الدين فلا أثر لها فى النفوس.. وإذا كان الدين كافلاً بتهذيب الأخلاق، وصلاح الأعمال، وحمل النفوس على طلب السعادة من أبوابها، ولأهله من الثقة فيه ما ليس فى غيره، وهو حاضر لديهم، والعناء فى إرجاعهم إليه أخف من إحداث ما لا إلمام لهم به، فلم العدول عنه إلى غيره؟!..»[68].

فواصلت مدرسة الإحياء والتجديد الدينى ـ التى قادها جمال الدين الأفغانى (١٢٥٤ ـ ١٣١٤هـ ١٨٣٨ ـ ١٨٩٧م) ـ وأغنى إبداعها محمد عبده ـ وحملت رسالتها (المنار) ـ للشيخ رشيد رضا (١٢٨٢ ـ ١٣٥٤هـ ١٨٦٥ ـ ١٩٣٥م) على امتداد أربعين عاماً ـ واصلت رسالة المقاومة للاختراق العلمانى، إلى أن حملت الرايات جماعات اليقظة الإسلامية وحركاتها، تلك التى انتقلت هذه المقاومة ـ بعد سقوط الخلافة (١٣٤٢هـ ١٩٢٤م) ـ من إطار «الصفوة» إلى إطار «الجماهير»!..

٦٥ـ الزركلى (الأعلام) طبعة بيروت. وسركيس (معجم المطبوعات العربية والمعربة) طبعة سنة ١٩٢٨م.

٦٦ـ (الأعمال الكاملة) جـ٣ ص٢٠٢. دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٤م.

٦٧ـ المصدر السابق. جـ٣ ص٢٨٧، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٢، ٢٨٨، ٢٨٦، ٢٨٥.

٦٨ـ المصدر السابق. جـ٣ ص١٠٩، ٢٢٦.

صورة الإسلام فى العالم المعاصر

للأستاذ الدكتور/ محمد الشحات الجندى

الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الحرية أساس إسلامى

يرسى الإسلام الحرية الإيجابية والبناءة فى علاقة الإنسان بالإنسان، على مستوى الفرد، وعلى نطاق الجماعة، فالعبودية إنما تكون لله وحده، والبشر أحرار ومتساوون فى مواجهة بعضهم البعض، لكنها الحرية المسئولة لا الحرية المنفلتة.

﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾

(مريم: ٩٣)

وهى بهذا المعنى تحمل فكر المساواة بين البشر على اختلاف أحوالهم.

وفى الحديث: «الناس مستوون كأسنان المشط»[١]، والله خلق الناس مختلفين فى الأجناس والأديان والألوان والأوطان وفقا للمشيئة الإلهية والسنن الكونية كما أنهم مختلفون في الأفكار والآراء، وعليهم واجب التفكير فى الملكوت الإلهى واستكناه أسرار الكون وتوظيف الإبداع العلمى والمعرفى لتقدم الإنسان وبهذا يعترف الإسلام باختلاف الآراء والأفكار:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

(الجاثية: ١٣)

وقانون الاختلاف معترف به فى الإسلام:

﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾

(الشورى: ١٠)

واختلاف البشر سنة كونية، وآية ثراء فى الخلق والكون، وتعبير عن ملكة الإبداع:

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾

«هود: ١١٨»

لهذا كانت الدعوة إلى الإنسانية والتعايش مطلوبة فى الإسلام، والدعوة إلى الإنسانية والتسامح جد مطلوب فى النصوص الإسلامية

(١) كشف الخفا ٢/٤٥١.

كوسيلة لا مفر منها لتشييد العلاقات بين الأمم والشعوب:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

«الحجرات: ١٣»

والتعارف يقتضى التفاهم والتآلف، وهى درجة تعلو درجة التعايش المشترك مما يجعل التعايش متحققاً لبلوغ التفاهم والتآلف.

كما أن فكر العنصرية والاستعلاء مرفوض فى الإسلام بمقتضى وحدة الخلق والنشأة.

وفى الحديث الشريف، تقرير لوحدة الأصل الإنسانى والمشترك الحضارى:

«يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى»[٢].

الوفاق وعدم التشرذم

والفرقة ركيزة إسلامية

فالإسلام يدعو إلى الوفاق وجمع الشمل، ويمنع التنازع وينهى عن الصراع، ويعمل على وأد الفتنة فى مهدها، فالفتنة نائمة ملعون من أيقظها، وما ذلك إلا بسبب المخاطر الناجمة عنها وتهديدها لنظام المجتمع:

فى القرآن الكريم يقول الله تعالى:

﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾

«البقرة: ١٩١»

﴿ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾

«البقرة: ٢١٧»

﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾

(الأنفال: ٤٦)

والمسلم مأمور بالوحدة ونبذ الفرقة والانقسام:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾

«آل عمران: ١٠٣»

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

«آل عمران: ١٠٥»

وفى السنة المطهرة: يقول الرسول ﷺ «من أتاكم وأمركم جميع على قلب رجل واحد، يريد أن يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه بالسيف كائناً من كان»[٣].

وفى الحديث: «إذ التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول

(٢) مجمع الزوائد ٣/٢٦٦. (٣) البيهقى ٨/١٦٩.

في النار[4].

«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»[5].

فهذا الفكر يرسخ الأمان في المجتمع، ويجعل من الأمن والاستقرار وسيلة قوة للنظام الإسلامي.

نداء الإسلام يؤصل العالمية والرحمة بالإنسانية

ذلك أن الخطاب الإسلامي منحاه العمومية والشمول للبشر جميعاً وتجلياته تبرز في توجيه الخطاب للبشرية وتصديره بـ«يا أيها الناس»:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾

«البقرة: ١٦٨»

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾

«الأعراف: ١٥٨»

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾

«النساء: ١»

بل إن رسالة الإسلام جاءت رحمة للبشرية كلها، وهي رسالة تبشير وتيسير، لا تنفير ولا تعسير:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾

«الأنبياء: ١٠٧»

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾

«الأحزاب: ٤٥ – ٤٦»

هذه المساحة الرحبة في الخطاب العالمي تتسع ليشمل الرجل والمرأة تأسيساً على ان الأصل المساواة بينهما في الحقوق والواجبات إلا ما استثنى بنص خاص، ويقرر الإسلام الشخصية الأصيلة للمرأة في الخلق وفي المجتمع: ففي الحديث: «النساء شقائق الرجال»[6].

وأنهما في التكاليف واستحقاق الأجر سواء.

وفي القرآن:

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾

«التوبة: ٧١»

والرجل والمرأة مدعوان معاً للعمل البناء النافع للأسرة والجماعة:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

«النحل: ٩٧»

كما أن لكل منهما أن يتبوأ المكانة التي يستحقها بحسب إمكاناته وجهده أن يحصل على نصيبه على وفاق ما يؤدي، ويؤجر على قدر

(٤) البخاري ١/١٥.   (٥) البخاري ١/١٢٦.   (٦) كشف الخفا ٢/٤٥٣.

ما يعطي:

﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾

«النساء: ٣٢»

ومفاده أن المرأة شريك الرجل ورفيقته على درب البناء والعطاء، وقد كانت المرأة شريكة للرجل في الغزوات على عهد الرسول ﷺ.

كما أرست المرأة حجر الأساس لإقامة صرح دولة المدينة وبايعت بعض النساء مع الرجال الرسول ـ ﷺ ـ وكانت طرفاً ومكوناً فاعلاً في العقد الاجتماعي الذي شيد الدولة الإسلامية وأرسى دعائمها.

وساهمت المرأة مع الرجل في العمل الاقتصادي كما حدث في مشاركة السيدة فاطمة مع الإمام علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - والسيدة أسماء مع الزبير بين العوام - رضي الله عنه - وغيرهن.

ومن هنا يظهر تهافت المزاعم الغربية بتهميش دور المرأة، وتصويرها بأنها تخضع للقهر والاستعباد، وأنها أسيرة لأوامر الرجل ونواهيه لاشأن لها معه، ولا اعتداد برأيها في مواجهته.

ويشمل الخطاب الإسلامي المسلم وغير المسلم، إذ أن لكل منها حقوقاً وواجبات، فحق غير المسلم كالمسلم في الحياة والكرامة وتوفير مطالب الحياة الضرورية، وفي الخصوصية الدينية باعتباره عضواً في المجتمع، وحماية حقوقه تضحى مسؤلية المجتمع الإسلامي كله، ولاأدل على ذلك من قول الرسول ﷺ: «ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه حقه أو كلفه فوق طاقته فأنا خصيمه يوم القيامة»[7].

قبول الإسلام تعايشه مع كل المخالفين

أما الدائرة الأكثر شمولاً في التعايش مع الآخر مهما كان دينه ومعتقده، حتى لو كان خارج إطار الديانات السماوية وهو ما يعني قبول أصحاب المعتقدات الوضعية والمشركين من الصابئة والمجوس وغيرهم من الذين يعبدون الأرباب من دون الله على تعدد أشكالها وطقوسها، واعتبارهم شركاء في الحياة وشئون المعايش، والتعاون فيما فيه خير البشرية، وترك أجورهم وحسابهم على الله وهو فكر غاية في الإنسانية يعادي العنصرية والتعصب.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾

«الحج: ١٧»

ودلالة النص في مقصود الكونية أو العالمية ظاهر، فهو يقرر أنه لاحق لأحد في إقصاء المخالف مهما كانت عقيدته سماوية، فإنه يتمتع بحقوق الإنسان، وهو يحوز الخلافة عن الله من منطلق أنه بشر، فبهذه الصفة وحدها يتمتع الإنسان بحق الحياة ومايتفرع عنه من حقوق، أما أمر العقائد فحسابهم فيها على الله.

البرهان طريق الاعتقاد

وليس صحيحاً بالمرة أن الإسلام دين عدوان وصراع، وأنه يكره الآخرين ويفرض

(٧) البيهقي ٥/٢٠٥.

عليهم نموذجه الديني وأسلوبه الحياتي، وذلك أن دعوة الإسلام تقوم على الحجة والإقناع لا السيف وشهر السلاح على الأغيار.

وفي القرآن الكريم:

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾

«الأنعام: ١٤٩»

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

«البقرة: ١١١»

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

«النحل: ١٢٥»

حماية حق الاختيار والحوار مع المخالف

ومجال حماية حق الاختيار، والحوار مع المخالف، وصون حقه في الاختلاف مقرر بشكل قطعي لامساومة فيه ولا جدل حوله، وهو دعوة إلى تعاون الجميع على التوصل للحق والمصلحة.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾

«آل عمران: ٦٤»

والمسلم مطالب بالحفاظ على أرواح وحياة الآخرين:

ففي الحديث: «المؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم»[٨].

وهذا يكمل المنظومة الإسلامية في حقن الدم، وحماية حق المسلم في الحماية.

يقول الرسول ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[٩]، وفي رواية: تؤكد الحديث الأول: «المسلم من سلم الناس من لسانه ويده».

وهو ما يؤكد على رفض الإسلام للإرهاب، بل يعتبره جريمة حرابة، وهي من الحدود التي يقرر لها الشرع عقوبة شديدة تناسب خطورتها وأثرها المدمر على المجتمع.

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

«المائدة: ٣٣»

بل إن الإرهاب يمارسه الغرب ضد المسلمين، لمجرد ممارسة الحق الشخصي في ارتداء المرأة الزي الذي يعبر عن الهوية الإسلامية كما حدث مع الصيدلانية مروة الشربيني، وما فعله المتطرف الألماني معها بما يمثله من وحشية وعنصرية بغيضة من جانب متطرفين أوروبيين ضد فتاة مسلمة، بالمخالفة لتعاليم الأديان، وخرق للمواثيق العالمية، وعلى رأسها الميثاق العالمي لحقوق الإنسان.

---

(٨) مسند أحمد ٢/٣٧٩.

(٩) البخاري ٩/٦.

خطرات إسلامية

عودوا إلى الزمن الجميل

للدكتور/ حمدي فتوح والي

ظاهرة يلمسها كثير من الناس اليوم من جميع الأعمار وفي كل الطبقات هي الحنين إلى الماضي والترحم على القيم الأصيلة في رحاب الزمن الجميل.

ويبدأ الحديث عادة بواقعة أو مشهد أثار حفيظة المتحدث، أو كلمة جارحة صدمت مشاعره؛ فلم يملك أمام ما رأى أو سمع إلا أن ينفس عن غيظه وألمه بالرجوع إلى الماضي واسترجاع ذكريات هذا الزمن الجميل، وما إن ينتهي المتحدث من حكايته حتى يتجاوب معه السامعون بمواقف مشابهة تبعا لذكريات كل مشارك في الحديث بما حدث له.

وهذه الأحاديث في هذه المجالس - وإن جاءت عفوية بغير إعداد أو ترتيب - تمثل مرآة صادقة لهموم الناس وأحوالهم، وتنهض شاهداً على هذا التحول المخيف في أذواق الناس ومشاعرهم وعلى خطورة ما يتهددهم في أخلاقهم وأعرافهم؛ لكنها تشهد من جانب آخر بمدى تشبث الناس بالأصيل الممتع من قيم الإسلام العظيم وعاداته وتقاليده.

ومن اللافت للنظر في ظاهرة التأسي والتحسر هذه، أنها لم تعد وقفا على كبار السن، الذين كانوا وحدهم يملكون الحق في الحنين إلى الماضي الجميل وإنما أصبحنا نسمع ذلك من رجال مازالوا في منتصف العمر وربما لم يناهزوا الأربعين. وبرغم ذلك يرددون صورا من القيم يرون أنها لم تعد موجودة في هذه الأيام، بما يؤكد أن

دورة التغيير والتحول في القيم لم تعد تحتاج إلى بضعة عقود حتى تتم كما كان يحدث من قبل، وإنما أصبحت تتم في غضون العقد الواحد من الزمان نظرا لتيسر المعلومات، وتقارب المسافات وتنوع وسائل الاتصال وتحول العالم كله إلى ما يشبه القرية الواحدة، وهو أمر يدعو إلى الخوف والقلق على قيم هذه الأمة وخصائصها. وبخاصة إذا علمنا أن هذه القيم التي تختفي هي في الغالب قيم الإسلام العظيم الذي كنا به خير أمة أخرجت للناس.

ولو حاولنا تصنيف هذه المواقف والمشاهد التي تعج بها مجالسنا لرأيناها تنتمي في غالبها إلى الجانب الاجتماعي الذي يظهر عادة في الأقوال والأفعال والأخلاق والمعاملات.

وإذا كان الناس لا يدركون من المواقف والمشاهد إلا مظهرها الخارجي في غالب الأحيان، فإن أصحاب الأقلام من الأدباء والعلماء هم القادرون وحدهم على التحليل والتعليل، والوقوف على الدوافع والأسباب وعلى قدر مايرجى للأمة من خير أو شر، وما يراد لها من سعادة أو شقاء، يكون نصيبها من أدبائها وعلمائها ومفكريها؛ فإن صلح هؤلاء صلحت الأمة لأنهم يمثلون لها جهاز مناعتها الذي يتصدى لكل دخيل ووبيل، فإذا تعطل هذا الجهاز أو غفل رأيت الفساد يسرع إلى جوانب الحياة المختلفة، ومن سوء حظ أمتنا



أحمد شوقي — محمد رجب البيومي

ما نجده من انشغال كثير من أدبائنا وعلمائنا ومفكرينا بالصغير التافه من الأمور واكتفائهم بقضايا الترف العقلي، ونزولهم عن مكان الصدارة في قيادة الأمة، ويأسهم من المشاركة في صنع القرار السياسي، وتقاعسهم عن النهوض بحراسة الجانب الأخلاقي والروحي، فرأينا كل واحد منهم ينشغل بشأنه الشخصي، ويعد نفسه محظوظا إن رشح لجائزة أو انتخب لعضوية، أو اختير لبرنامج إذاعي أو فضائي..

أما أن يكون لدينا رجال يمثلون ضمير الأمة الحي، وعقلها المفكر، وشعورها المرهف، ويحرسون ذوقها العام أمثال: الرافعي، والمنفلوطي، والبشري، والمازني، وعباس العقاد، وأحمد أمين، ورجب البيومي.

وأن يكون لنا في مجال الشعر والأدب أمثال: شوقي، وحافظ، والجارم، ومحرم، ومطران، وباكثير، ونجيب الكيلاني.

وأن يكون لدينا في مجال التجديد الديني أمثال الأساتذة محمد عبده، ورشيد رضا، وحسن البنا، ومحب الدين الخطيب، وأبوزهرة، والشعراوي، إن وجود أمثال هؤلاء الكرام في قرن واحد كان كافيا لأن يجعل الزمن جميلاً. فقد استطاعوا أن يملأوا فضاءنا الثقافي والفكري، وأن يشنفوا الآذان بالجميل الممتع من كل علم وفن، لأنهم ارتفعوا فوق حظوظ أنفسهم وتعلقوا بكل رائع وجميل.

لقد أدرك هؤلاء الكرام أنهم يمثلون للأمة، صمام أمانها، ومستودع أسرارها، وصناعة قرارها، وحراسة قيمها، ورهافة حسها، فقاموا برسالتهم خير قيام. ولك أن تقارن بين أمة رواد مقاهيها أمثال هؤلاء الكرام، يتبادلون طرائف الأدب، وفرائد الحكم، وجميل الأشعار، وبين ما تراه اليوم من مقاه تنبعث منها روائح السكر وألفاظ السباب والهذيان.

لقد آن الأوان أن نقف اليوم وقفة لنتساءل عما حدث فأصاب حياتنا الثقافية والروحية بهذا العقم الخطير.. وأن نبحث عن مصادر القوة التي هيأت من قبل لوجود هذا العطاء الكريم.

ونستطيع أن تدرك السبب واضحاً دون احتياج إلى إعمال فكر أو إرهاق ذهن أو بحث كثير، وإذا نحن قرأنا قول الحق سبحانه:

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾

(الأعراف: ٥٨)



أحمد أمين — أبو زهرة

إن العامة من الناس معزورون إذا وجدوا أنفسهم ضحية لزمان غابت فيه القدوة الصالحة، والبيئة الطاهرة، والمحضن النظيف، وافتقدوا ما كانوا يؤملونه من الرأي الصائب؛ والنصح الصادق والتوجيه الكريم. كما افتقدوا ما كان أسلافهم يجدونه في زمن هؤلاء الكرام من الدلالة على الخير، والتذكير بالحق، ورسم معالم السلوك الجميل.

وأليس لنا أن نبكي على زمان كانت كبريات الصحف فيه تتنافس على قصائد الشعراء الكبار لتجعلها في صدر صفحاتها لتصل إلى أيدي عشاق هذا الفن الجميل. إن لك أن تعقد مقارنة سريعة بين زمانين: زمان كان المسجد فيه مأوى للغريب وملاذاً للفقير، ومأدبة للجائع، وأماناً للخائف، وداراً لابن السبيل. أو هو كما وصفه أستاذنا الدكتور رجب البيومي هو مهوى القلب، وراحة العين، ومهد السكينة والاطمئنان. وبين المسجد كما تراه اليوم.

وإليك مشهد للبيئة التي خرجت أمثال

هؤلاء العظماء يرويه لنا أستاذنا الدكتور محمد رجب البيومي في كتابه الرائع «المسجد في الإسلام ـ عبادة وثقافة».

فيقول: «تعودت صغيراً منذ بدأت أفكر فيما حولي عن بصيرة، أن أجد باب منزلنا يفتح قبيل الفجر دائماً، حيث ينهض والدي للصلاة، كما رأيت من والدي ووالدتي مشجعين لي على أن أخف في هذا الوقت لأقف بين يدي الله!! ومن لي اليوم بفرحة الطفولة البريئة وبهجتنا بالذهاب في غلس الظلام إلى المسجد، لم يكن نور الكهرباء قد دخل القرية، ولكن نور التقوى كان يشع في كل أفق من آفاقها؛ فالناس يتسلون من كل حدب إلى بيت الله، الصغار مع الكبار دائماً! فإذا كان الوقت وقت رمضان، فالدنيا تموج والمسجد يأتلق وكأن مهرجانا يقام»(1).

وتلك أن تتصور بيئة إيمانية ربانية خالصة كهذه البيئة، ماذا يمكن أن يكون نباتها؟

وهذه صورة لبيت آخر أنجب عظيما من عظماء القرن الماضي، هو الشيخ عبدالعزيز البشري يقدم فيها صورة لطفولته فيقول: «لقد ولدت في حي السيدة زينب وسلخت فيه مدة الفتوة، وصدراً من سني الشباب، ولست أذكر أني من عهد الصبا تخلفت ليلة من ليالي رمضان إذا كان السحر، عن طلب مسجد السيدة زينب ـ رضي الله عنها ـ أستمع أولاً إلى درس الحديث من أستاذنا العلامة الجليل الشيخ محمد السمالوطي - عليه رحمة الله - حتى إذا فرغ منه في الوقت المقسوم استوى لشيخ أحمد ندا على الدكة وأنشأ يقرأ:

﴿ طه ① مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ② إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾

(طه: ١ - ٣)

وقد انصقل بقراءة الليل صوته، وحلا نبره وسلس فيه ما كان جامحا، ولأن ما كان في أول الليل عاصياً، وأطلقه في آي السورة الكريمة أبيض ناصعا، كأنما صيغ من ذوب الفضة، أو كأنما اعتصر من صفحة البدر ليلة تمامه، لقد أسمعه في سورة «طه» كل ليلة، وفي كل ليلة يخيل إليَّ أن جبريل ينزل من جديد بسورة طه على محمد ﷺ وهو يجول في فنون النغم فارسا خلا من هيبة الميدان، ولا يزال كذلك حتى يملأ الآذان طرباً، ويشيع في النفوس ماشاء الله أن يشيع من لذة وأريحية».

وصورة ثالثة ينقلها لبيته في طفولته الأستاذ أحمد أمين فيقول في مذكراته: «وكان أبي مدرسا في الأزهر، ومدرساً في مسجد الإمام الشافعي، وإمام مسجده، ويغمر البيت الشعور الديني، فأبي يؤدي

(1) المسجد في الإسلام عبادة وثقافة، للدكتور محمد رجب البيومي، هدية مجلة الأزهر جـ1 ص ١١٧

الصلوات لأوقاتها، ويكثر من قراءة القرآن صباحاً ومساء، ويصحو مع الفجر ليصلي ويبتهل، ويكثر من قراءة التفسير والحديث، ويكثر من ذكر الموت، ويقلل من قيمة الدنيا وزخرفها، ويحكي حكايات الصالحين وأعمالهم وعبادتهم ويؤدي الزكاة يؤثر بها أقرباءه، ويحج ويحجج أمي معه ـ ثم هو يربي أولاده تربية دينية فيوقظهم في الفجر ليصلوا ويراقبهم في أوقات الصلاة الأخرى، ويسائلهم متى وصلوا وأين صلوا»(2).

ولو ذهبت تتعقب بيت كل عظيم من عظماء الزمن الجميل لرأيت صورة مطابقة لتلك الصور أو قريبة منها مما يجعلنا نقول مطمئنين واثقين: «إننا نحن الذين نصنع الزمن الجميل، ونحن أيضا الذين نصنع الزمن الرديء، عندما نحسن صناعة المحاضن الطاهرة، ونقدم لأولادنا القدوة الصالحة، فلا يرون أمامهم إلا الإسلام ممارسة، والإيمان عقيدة، وحب الله عبادة، والتأسي برسول الله أخلاقاً، وشريعة الله منهاجا ونظاما يومها ستدرك حقيقة قول الشاعر الحكيم:

نعيب زماننا والعيب فينا
وما لزماننا عيب سوانا

إن من يتأمل المشاهد التي قدمناها سيدرك من أول وهلة أنها يجمعها أمر واحد هو صدق الإيمان وعمق اليقين وقيام الآباء بأمانة التربية للأبناء مستحضرين قول الخالق الحكيم سبحانه:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

(الأنفال: ٢٧)

ويدركون الحكمة في اتباع هذه الآية بقوله تعالى:

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾

(الأنفال: ٢٨)

وكأنها إشارة إلى أمانة تربية الأولاد وحسن تنشئتهم، وإلا فهي الخيانة لله ولرسوله وللمؤمنين.

إن مجرد التأسي والتحسر والألم، ليس هو السبيل القويم ولا المنهج الصحيح في تقويم حياتنا وتغيير زماننا، وإنما لابد من وقفة صادقة مع النفس نصلح فيها فسادنا ونقوم ما اعوج من سلوكنا، وتقدم القدوة الصالحة لأبنائنا وبناتنا، وعندها نكون قد وعينا حقيقة قول ربنا سبحانه:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

(الرعد: ١١)

(2) حياتي - أحمد أمين، مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٢ صـ ٢٧.

الأدب مع الخلق «٤»

اجتناب الظن السيء، والنهى عن التجسس والغيبة

لفضيلة الشيخ/فوزى الزفزاف
عضو مجمع البحوث الإسلامية

حرص الإسلام على أن تكون علاقة الإنسان بأخيه الإنسان - على وجه عام- وعلاقة المسلم بأخيه المسلم - على وجه خاص - قائمة على المودة والصلة، وعلى الإخاء والحب، وعلى الألفة والتعاون. ولذلك دعا الإسلام إلى اجتناب كل ما يؤدى إلى قطع هذه العلاقة الطيبة، ويسبب فى غرس بذور الحقد والكراهية، والعداوة والبغضاء..

يقول الله – تعالى–:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾

(الحجرات : ١٢)

قيل: إن هذه الآية نزلت فى رجلين من أصحاب النبى ﷺ اغتابا رفيقهما. وذلك أن النبى ﷺ كان إذا سافر ضمّ الرجلَ المحتاج إلى الرجلين الموسرين فيخدمهما، فضم سلمان إلى رجلين، فتقدم سلمان إلى المنزل فغلبته عيناه فنام ولم يهيىء لهما شيئاً، فجاءا فلم يجدا طعاما وإداما، فقالا له: انطلق فاطلب لنا من النبى ﷺ طعاماً وإداماً، فذهب فقال له النبى ﷺ: «اذهب إلى أسامة بن زيد فقل له إن كان عندك فضل من طعام فليعطك» – وكان أسامة خازن النبى ﷺ – فذهب إليه، فقال أسامة: ما عندى شىء، فرجع إليهما فأخبرهما، فقالا: قد كان عنده ولكنه بخل، ثم بعثا سلمان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا، فقالا: لو بعثنا سلمان إلى بئر سُمَيحة لغار ماؤه[1]... ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة شىء؟ فرآهما النبى ﷺ فقال: «ما لى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما؟» فقالا: يا نبى الله، والله ما أكلنا فى يومنا هذا لحماً ولا غيره.. فقال عليه الصلاة والسلام: «ولكنكما ظلتما تأكلان لحم سليمان وأسامة» فنزلت:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ ﴾

ذكره الثعلبى[2].

نداء من الله – سبحانه – إلى عباده المؤمنين يرشدهم فيه إلى ما فيه الخير لهم حتى فى علاقتهم بعضهم مع بعض، وإلى ما فيه صلاحهم فى الدنيا والآخرة، وإلى ما ينبغى عليهم أن يلتزموا به فى أدب التعامل فيما بينهم.. فينهاهم عن فعل أمور سيئة، ويحذرهم من عواقب مباشرتها...

والظن المنهى عنه هنا: الظن السيء بأهل الخير والصلاح بدون دليل أو برهان..

قال بعض العلماء: والظن أنواع: منه ما هو محرّم، ومنه ما هو واجب، ومنه ما هو مباح.

فالظن المحرم: كسوء الظن بالمسلم المستور الحال، الظاهر العدالة، بدون دليل أو برهان على انحرافه أو ارتكابه المحرمات، ويترتب على سوء الظن به آثار سيئة تتعدى إلى الغير، وتلحق الضرر بآخرين..

عن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً»[3] وفى حديث آخر: «إن الله حرّم من المسلم دمه وعرضه، وأن يظن به ظن السوء».

وأما من يجاهر بارتكاب الفواحش والمعاصى لا يحرم سوء الظن به، لأن من عرّض نفسه للتهم كان أهلاً لسوء الظن.

قال القرطبى – رحمه الله –: «والذى يميّز الظنون التى يجب اجتنابها عما سواها، أن كل ما لم تعرف له أمارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراماً واجب الاجتناب، وذلك إذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح، وأونست منه الأمانة فى الظاهر، فظن الفساد به والخيانة محرم، بخلاف من اشتهره الناس بتعاطى الريب والمجاهرة بالخبائث»[4].

والظن الواجب: يكون فيما تعبدنا الله –تعالى– بعلمه، ولم ينصب عليه دليلاً قاطعاً، فهنا يجب الظن للوصول إلى المعرفة الصحيحة، كقبول شهادة العدل، وتحرى القبلة...

والظن المباح: مثل الشك فى الصلاة حين استواء الطرفين، أو الظن لاتقاء شر من غير أن يتعدى ذلك إلى الغير، وهذا الظن محمود غير مذموم، وهو ما ورد فى القول: «إن من الحزم سوء الظن».

أى: يا من آمنتم بالله – تعالى – إيماناً

(١) بئر قديمة بالمدينة غزيرة الماء.

(٢) الجامع لأحكام القرآن – القرطبى ج١٦ ص٣٣٠، ٣٣١.

(٣) رواه الأربعة.

(٤) تفسير القرطبى ج١٦.

حقاً، ابتعدوا ابتعاداً تاماً عن الظنون السيئة بأهل الخير من المؤمنين، لأن هذه الظنون السيئة التى لا تستند إلى دليل قاطع، أو برهان صادق، أو أمارة صحيحة إنما هى مجرد تهم تؤدى إلى توليد الشكوك والمفاسد، وإلى سوء الأدب فى التعامل فيما بينكم...

﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾

(الحجرات: ١٢)

تعليل للأمر باجتناب الظن المحرم، أى: إن من الظنون ما يؤدى بكم إلى الوقوع فى الذنوب والآثام التى يستحق فاعلها العقوبة فابتعدوا عنها...

قال ابن كثير - رحمه الله -: ينهى الله عباده المؤمنين عن كثير من الظن، وهو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس فى غير محله، لأن بعض ذلك يكون إثماً محضاً، فليجتنب كثيراً منه احتياطاً.. عن حارثة بن النعمان قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث لازمات لأمتى: الطيرة والحسد وسوء الظن، فقال رجل: ما الذى يذهبن يا رسول الله من هن فيه؟ قال: «إذا حسدت فاستغفر الله، وإذا ظننت فلا تحقق، وإذا تطيرت فامض».[5]

وأخرج البيهقى فى شعب الإيمان عن سعيد بن المسيب قال: كتب إلىّ بعض إخوانى من أصحاب رسول الله ﷺ: «أن ضع أمر أخيك على أحسنه، ما لم يأتك ما يغلبك، ولا تظن بكلمة خرجت من امرىء مسلم شراً وأنت تجد لها فى الخير محملاً، ومن عرض نفسه للتهم فلا يلومن إلا نفسه...».[6]

﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾

نهى عن تتبع عورات المسلمين، أى: خذوا ما ظهر من أحوال الناس، ولا تبحثوا عن بواطنهم أو أسرارهم، أو عن عوراتهم ومعايبهم، فإن من تتبع عورات الناس فضحه الله - تعالى -.

عن أبى برزة الأسلمى - رضى الله عنه - قال: صعد النبى ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع: «يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته فضحه ولو فى جوف رحله».[7]

ونظر ابن عمر يوماً إلى الكعبة فقال: ما أعظمك وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك...، فالمؤمن أعلى مكانة وأعظم حرمة عند الله من الكعبة ذات الحرمة الرفيعة، والمكانة العظيمة، والمزايا العديدة، فكيف تستباح حرمة المؤمن بعد هذا؟

وعن معاوية - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم»، فقال أبو الدرداء: كلمة سمعها معاوية من النبى ﷺ نفعه الله بها.[8]

وقيل لعبدالله - رضى الله عنه -: هذا فلان تقطر لحيته خمراً، فقال: إنا قد نُهينا عن التجسس، ولكن إن ظهر للناس شىء نأخذ به.[9]

﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾

(الحجرات: ١٢)

الغيبة: أن تذكر غيرك فى غيابه بما يسوءه، سواء أكان هذا الذكر بصريح اللفظ، أم بالكناية، أم بالإشارة، أم بغير ذلك...

نهى آخر من الله - عز وجل - إلى المؤمنين ينهاهم فيه عن الغيبة...

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول، قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته»[10] أى: رميته بالبهتان وهو الباطل.

وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت: قلت للنبى ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا - تعنى - قصرها -، فقال: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته»[11] أى: أنك قلت كلمة لو تجسم ذنبها ووضع فى البحر لسود ماءه وأنتنه.

وعن عبدالله - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «لا يبلغنى أحد من أصحابى عن أحد شيئاً فإنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر».[12]

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «إن من أكبر الكبائر استطالة المرء فى عرض رجل مسلم بغير حق، ومن الكبائر السبتان بالسبة»[13] كقول شخص لآخر: يا خبيث فأجابه: أنت خبيث ولئيم.

وعن أنس - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عُرج بى مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم».[14]

ثم ساق - سبحانه - تشبيهاً ينفر من الغيبة أشد تنفير، فقال - تعالى -:

﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾

أى: اجتنبوا أن تذكروا غيركم بسوء فى غيبته، فإن مثل من يغتاب أخاه المسلم كمثل من يأكل لحمه وهو ميت!! ومن المسلم به أن كل إنسان عاقل يكره ذلك، بل ويرفضه وينفر منه أشد النفور.

والمتأمل فى هذه الآية الكريمة بفكر واع، وعقل مستنير، وطبع سليم يراها قد نفرت من

---

(٥) تفسير ابن كثير ج٧.
(٦) تفسير الآلوسى ج٢٦.
(٧) التاج الجامع للأصول ج٥ ص٣٠.
(٨) أبو داود.
(٩) أبو داود.
(١٠) مسلم وأبو داود والترمذى.
(١١) أبو داود والترمذى.
(١٢) أبو داود والترمذى.
(١٣) أبو داود.
(١٤) أبو داود.

الغيبة بأبلغ أسلوب وأحكم تعبير وأبلغ بيان، لخطورة آثارها على المجتمع التى تؤدى إلى تمزق شمل المسلمين، وإلى إشاعة البغضاء والكره بين أفراده، وإيقاد نار الكراهية والعداوة فى الصدور.

لا غيبة فى فاسق: على أنه مما تجدر الإشارة إليه أن ذكر شر الفاسق وبيان خطره على المجتمع لا يدخل فى الغيبة المنهى عنها، عن عائشة – رضى الله عنها– قالت: استأذن رجل على النبى ﷺ فقال: «ائذنوا له بئس أخو العشيرة أو ابن العشيرة» فلما دخل ألان له الكلام. قلت: يا رسول الله: قلت الذى قلت، ثم ألنت له الكلام. قال: «أى عائشة إن شر الناس من تركه الناس أو ودعه الناس اتقاء فحشه»[15].

ما يباح من الغيبة: أخرج العلماء أشياء لا يكون لها حكم الغيبة، وتنحصر فى ستة أسباب:

الأول: التظلم، فيجوز للمظلوم أن يشكو ظالمه إلى من يتوسم فيه إزالة هذا الظلم وله القدرة على إنصافه من ظالمه، فيقول: ظلمنى فلان بكذا...

الثانى: الاستعانة على تغيير المنكر، ورد العاصى إلى الصواب، فيقول لمن يظن قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا فازجره عنه..

الثالث: الاستفتاء، فيجوز للمستفتى أن يقول للمفتى: ظلمنى فلان بكذا...

الرابع: تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم، كتجريح الشهود والرواة والمتصدين للإفتاء بغير علم، وذكر مساوىء من يستشار فى أمر مصاهرته أو مشاركته أو معاملته أو غير ذلك... بشرط أن يقصد النصيحة الخالصة..

الخامس: المجاهرون بالمعاصى وبارتكاب المنكرات والفسق، فيجوز ذكرهم بما تجاهروا به.

السادس: التعريف باللقب المعروف به والذى لا يقصد به الإساءة: كالأعمش والأعرج والأصم والأعمى...

فهذه ستة أسباب ذكرها العلماء وأكثرها مجمع عليه، ودلائلها من الأحاديث الصحيحة مشهورة.[16]

ثم ختم – سبحانه – الآية الكريمة بدعوة المؤمنين إلى التوبة والإنابة والرجوع إلى الله فقال – جل شأنه–:

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾

أى: واتقوا الله– أيها المؤمنون – فى أقوالكم وأعمالكم، وفى السر والعلانية، بأن تصونوا أنفسكم عن كل ما أمركم الله باجتنابه، ونهاكم عن قوله وفعله، واعلموا أن الله رءوف بعباده، كثير القبول لتوبة الذين يتوبون توبة صادقة خالصة، ويثوبون إلى رشدهم، ويرجعون إلى طاعة ربهم رجوعا مصحوبا بالندم على ما فرط منهم من ذنوب، ومقرونا بالعزيمة الصادقة على عدم العودة إلى ارتكاب هذه الذنوب لا فى الحال ولا فى الاستقبال.

---

(15) رواه الأربعة.

(16) كتاب رياض الصالحين للنووي، «بتصرف»، مكتبة المجلد العربي، ص441، 442.

الرؤيا فى قصة يوسف «٢»

رؤيا يوسف عليه السلام وما بها من دلالات عظيمة

للشيخ/ صديق بكر عطية

ونعنى بها فى هذا المقال تلك الرؤيا، التى قصها يوسف لأبيه وهو ابن أربع عشرة سنة تقريبا، أوما دون ذلك بقليل، وسجلها القرآن الكريم فى هذه القصة المباركة «قصة يوسف».

وتبدأ دلالة هذه الرؤيا الجليلة، منذ أن قال يوسف لأبيه.

﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾

(يوسف: 4)

والذى يتأمل الظروف المحيطة بيوسف آنذاك، والتى فسر يعقوب رؤيا ابنه على هديها، يجدها على النحو التالى:

أولا: كان يوسف لا يزال حدثا صبيا، ربما فى أول البلوغ أو قبله بقليل، وقد بدت عليه أمارات التقوى والصلاح، وحسن الطلعة، وصباحة الوجه، وفصاحة المنطق، وصدق الحديث... مما جعل أباه يفرد بالمزيد من الحب والرعاية حتى لم يكن يطيق فراقه هو وأخيه بنيامين.

ثانياً: ما سبق أن ذكرناه من تلك الرؤيا التى رآها يوسف. وهو نائم فى حجر أحد إخوته، وقصها عليهم، وكان لا يزال ابن سبع سنين تقريباً والتى تنبأ بعدها إخوته أن سيكون ليوسف شأن عظيم حتى قالوا: «يوشك ابن راحيل أن يقول لنا أنتم عبيدى وأنا سيدكم» ومن الطبيعى أن يعرف يعقوب أمر هذه الرؤيا وما تهدف إلى بيانه.

ثالثاً: يعقوب ـ عليه السلام ـ نبى، متفرس: يرى بنور الله، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»[1] وهذه الحقيقة ثابتة ومقررة سلفا، منذ أن كانت هناك رسالات تنزل من السماء إلى

---

(1) الترمذى ٣٦٢٧.

الأرض، وهي ذات مصداقية في أفراد الناس فما بالك بالأنبياء والمرسلين. ومنهم يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ـ عليه السلام ـ فلا غرابة أن يرى في ابنه الحبيب يوسف، الفتى ذي الشأن العظيم، الرسول المرتقب، الذي سيكون حلقة في هذه السلسلة المباركة من ذرية أبي الأنبياء إبراهيم ـ عليه السلام.

رابعاً: ومن جانب آخر، يعقوب أب... يعلم تماماً طبيعة كل واحد من أبنائه، فإذا كان يرى في ابنه يوسف ما يرى فهو يرى على الطرف الآخر من أبنائه العشرة الآخرين، الذين ليسوا بأشقاء ليوسف، ما يناقض ذلك: من الغيرة والأنانية وحب الاستئثار، وغير ذلك من الصفات التي تدفع صاحبها إلى تدبير المكائد والمؤامرات.

خامساً: يعقوب ـ عليه السلام ـ رأى في هذه الرؤيا ما يؤكد على أن يوسف، سوف يعلو شأنه على إخوته الأحد عشر، وهو نفس العدد من الكواكب التي سجدت له في الرؤيا فضلاً عن الشمس والقمر اللذين يرمزان للوالدين، فلو عرف إخوة يوسف شيئاً من أمر هذه الرؤيا فسيسعون للإيقاع بأخيهم والفتك به قبل أن يصير أمره الى ما تعد به هذه الرؤيا وغيرها من العلامات التي باتت مؤكدة الدلالة..

سادساً: الرؤيا التي رآها يعقوب نفسه، وهي تحمل نفس العدد (عشرة) وهو عدد إخوة يوسف لأبيه، وكانت الرؤيا تصورهم في صورة الذئاب، والذئب غادر، إذن هم بصدد أن يغدروا به إن هم تمكنوا منه.

يضاف الى هذا كله أن الرؤيا يتم تأويلها حسبما ترمز إليه مع ما توحي به حال الرائي ومن رئيت له. فالشمس في الأصل دلالة على الملك الأعظم ـ كما قال ابن سيرين ـ لأنها أنور ما في السماء من نظرائها مع كثرة نفعها، وتصرف كل الناس في مصالحها، وربما دلت على ملك المكان الذي يرى الرؤيا فيه.. وربما دلت الشمس على سلطان صاحب الرؤيا، إذا رآها خاصة دون الجماعة والمجامع، كأميره وعريفه أو أستاذه أو والده... وضوء الشمس هيبة الملك وعدله.. ومن كلمته الشمس نال رفعة من قبل السلطان. ومن رأى الشمس والقمر والنجوم اجتمعت في موضع واحد وملكها، وكان لها قدر وشعاع، فإنه يكون مقبول القول عند الملك والوزيروالرؤساء.(٢)

ويعقوب ـ عليه السلام ـ يدرك كل هذه الدلالات، ويدرك أن محصلة هذا كله إنما هو مستقبل عظيم يحبو أمام يوسف، يعلو فيه شأنه فوق شأن إخوته، في حين أن وراءه إخوته الذين يتربصون به، ولا

(٢) إقرأ تفسير الأحلام الكبير لابن سيرين ص٢٤١ ـ ٢٤٥.

يفتئون يكيدون له للإيقاع به والخلاص منه، لما يرون من إيثار أبيهم له دونهم.

هذا، مع ما تحقق فيها من آداب صاحب الرؤيا، وآداب المعبر وهي على النحو التالي:

قال الأستاذ أبوسعد ـ رضي الله عنه: ولصاحب الرؤيا آداب يحتاج إلى أن يتمسك بها، وحدود ينبغي ألا يتعداها وكذلك للمعبر: فأما آداب صاحب الرؤيا فهي:

● ألا يقصها على حاسد أوحاقد.

● ولايقصها على جاهل؛ فقد روى عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم: أنه قال «لا تقصص رؤياك إلا على حبيب أولبيب»(٣)

● وألا يكذب في رؤياه فقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من كذب في الرؤيا، كلف يوم القيامة عقد شعيرتين»(٤).

● وألا يقصها إلا سرا، كما رأى سرا،

● وألا يقصها على صبي أو امرأة.

ـ وأما آداب المعبر فمنها:

أن يقول إذا قص عليه أخوه رؤياه: خيراً رأيت. فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قصت عليه رؤيا يقول: «خيراً تلقاه، وشرا توقاه، وخيرا لنا وشرا لأعدائنا، الحمد لله رب العالمين، اقصص رؤياك»(٥).

الرؤيا في قصة يوسف

● ومنها أن يعبرها على أحسن الوجوه، فقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الرؤيا تقع على ما عبرت»(٦).

● ومنها أن يحسن الاستماع إلى الرؤيا، ثم يفهم السائل الجواب.

● ومنها أن يتأنى في التعبير، ولا يستعجل به.

● ومنها أن يكتم عليه رؤياه فلا يفشيها، فإنه أمانة، ويتوقف في التعبير عند طلوع الشمس وعند الزوال وعند الغروب.

● ومنها أن يميز بين أصحاب الرؤيا، فلا يفسر رؤيا السلطان حسب رؤيا الرعية، فإن الرؤيا تختلف باختلاف أحوال صاحبها»(٧).

وها هو ذا يوسف ـ عليه السلام ـ يقص رؤياه على حبيب، بل أحب الناس إليه، أبيه يعقوب، يقصها عليه سراً.. ويعقوب هو النبي الموصول بالله تعالى،

(٣) تفسير الأحلام الكبير - دار أسامة للنشر ص ٢٧-٢٨.
(٤) كنز العمال ٤١٤٤٣ - بلفظ مقارب.
(٥) مجمع الزوائد ١٨٣/٧.
(٦) فتح الباري ٤٣٢/١٢.
(٧) تفسير الأحلام الكبير، دار أسامة للنشر ص٢٧، ٢٨.

حيث يتلقى الوحي من الملأ الأعلى. وها هو ذا الأب الشفوق يحسن الاستماع إلى ابنه الحبيب، وهو يقص عليه هذه الرؤيا الغالية، التي تصدق كل ماتوسمه فيه، وتؤكد على أنه سيكون ذا شأن عظيم بين إخوته، وأنه سيكون موصول الرسالة بآبائه الذين سبقوه في هذه المهمة الجليلة. ولكن يرى أن من ورائه عشرة من الإخوة الذين لا يفرحون لأخيهم، وإنما يسوؤهم ما يصطفيه الله به من هذه النعمة الكبرى؛ ولذا كانت أولى النصائح التي وجهها هذا الأب الملهوف على ابنه الحبيب. وقبل أن يؤول له هذه الرؤيا تأويلاً مباشراً. أن حذره من هؤلاء الأشرار.

﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾

(يوسف: ٥)

ثم يبدأ في بيان البشارة التي تحملها هذه الرؤيا العظيمة، وبيان بعض ملامح المستقبل الذي ينتظر ابنه الغالي.

﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾

(يوسف: ٦)

لقد رأى يعقوب - عليه السلام - في ابنه يوسف، ذلك النبي الذي يحمل الأمانة ويوفيها حقها من الرعاية والتبليغ، مهما لاقى في سبيلها من الصعاب والمشاق، ولكنه لم يصرح بأنه سيكون نبيا، وإنما عمد إلى التلميح الذي يمثل اللغة المشتركة بين الفطناء، مع أنه كان في ذات الوقت غاية في الصراحة والوضوح حينما حذره من إخوته، ومن غدرهم به إن هم علموا نبأ هذه الرؤيا.

﴿ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ ﴾

(يوسف: ٥)

ويعقوب في تأويله لرؤيا ابنه الحبيب، تدرج في التكنية والتلميح حتى أوشك أن يصرح، لكنه لم يفعل، فها هو ذا يبشر ابنه يوسف بأنه ممن اختارهم الله من بين عباده.

«وكذلك يجتبيك ربك..»

ثم يعطيه بعض ملامح هذا الاجتباء والاصطفاء

﴿ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ ﴾

ومهمة التأويل لا تكون إلا للموصولين من عباد الله، الذين يحملون مشاعل الهداية للناس. ثم يخطو يعقوب خطوة أخرى في طريق البيان والوضوح، حتى لكأنه قد وضع النقاط كلها فوق الحروف، حيث لم يبق إلا التصريح.

﴿ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾

(يوسف: ٦)

وهنا يمسك هذا النبي ليترك الباقي لفطنة ابنه، الذي يعده الله ليكون أحد أنبيائه، وليفهم ما وراء الكلمات.

- والآن يثور سؤال: ألم يكن يوسف في طريق النبوة في هذه الآونة؟ فلماذا لم تكن رؤياه صريحة ودون رمز، شأن الأنبياء والمرسلين في رؤاهم؟ وقد عرفنا أن رؤيا الأنبياء حق؛ لأنها من الله مباشرة دون وساطة ملك الرؤيا. والدليل على ذلك: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث ستة أشهر قبل مجئ الرسالة، لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. وإبراهيم - عليه السلام - جد يوسف الأكبر، رأى في منامه أنه يذبح ولده إسماعيل رؤيا مباشرة، دون رمز أو كناية:

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ ﴾

(الصافات: ١٠٢).

وهو وحي مباشر، لا رمزية فيه ولا تكنية.

والجواب: أن يوسف عليه السلام كان دون البلوغ - ربما - أو على أكثر تقدير كان في بواكير البلوغ، فلم تكن كل أمارات النبوة والرسالة قد اكتملت فيه بعد، وإنما كان لا يزال في طريق الإعداد الإلهي له. ولكن يعقوب هو الذي كان يلمح فيه من بعيد ما أعده الله له فمن صفات الأنبياء والمرسلين (الفطانة).

ويعقوب نبي ابن نبي ابن نبي.. يرى الطريق من أوله إلى آخره؛ لأنه موصول بالله - تعالى: وأيضاً.. ليتم ما أراده الله - عز وجل - بشأن هذه الابتلاءات الكثيرة، التي مرت بيوسف عليه السلام وبيعقوب، وليكونوا من ألمع الأمثلة على امتداد التاريخ، على أن الابتلاءات لا تكون إلا لمن أحبهم الله، واختارهم ليكونوا منارات هداية.. ولكي يتم ذلك، كانت رؤيا كل من يعقوب التي رأى فيها عشرة من الذئاب يحيطون بابنه يوسف.. ويوسف التي رأى فيها الشمس والقمر والكواكب يسجدون له، بطريق الرمز، وليست بطريق التصريح، وإلا كان قطعاً للطريق أمام الأحداث قبل أن تبدأ. وكان دعوة صريحة ليعقوب - عليه السلام - بأن يمنع ابنه يوسف من أن يصحب إخوته في رحلتهم الشهيرة التي تخلصوا فيها منه.

***

قصيدة العدد

إلى جزيرة العرب

للشاعر العربي الكبير الأستاذ فؤاد الخطيب

لمن المضارب في ظلال الوادي   ربانة الجنبات بالوراد
الله أكبر ! تلك أمة يعرب   نفرت من الأغوار والأنجاد
طوت المراحل، والأسنة شرع   والبيض مُنتلعة من الأغماد
ومشت على الأسلات مشية واثق   بالله، والتاريخ ، والأجداد

* * *

لبيك يا أرض الجزيرة، واسمعي   ماشئت من شجوي ومن إنشادي
لك في دمي حق الوفاء، وإنه   باق على الحدثان والآباد
فنهضت مضطلعا بما جشمتني   وحملت فيك سخائم الأضداد
ووقفت بين يديك أطرق خاشعا   وكأنك المحراب للعباد
ورميت دونك بالدليل مسددا   فسمعت صوت الحارث بن عباد (١)

* * *

أنا لا أفرق بين أهلك، إنهم   أهلي، وأنت بلادهم وبلادي
ولقد برئت إليك من وطنية   شلاء تؤثر موطن الميلاد
فلكل ربع من ربوعك حرمة   وهوى تغلغل في صميم فؤادي

(١) أحد الرهط الذي أوفده النعمان بن المنذر للدفاع عن حوزة عرب العراق بين يدي كسرى، وقد شهد الوفد للحارث بن عباد أن أصالة المنطق من لسانه.

* * *

كم ضجعة بالقاع في غلس الدجى   فوق الرمال العفر وهي وسادي
أدركت إذ أدركتها معنى الكرى   وسكينة الأرواح في الأجساد
ولشد ما انطوت العصور وما انطوت   للعيش فيك بشاشة الأعياد
فتفجرت بالفجر المبين لمدلج   وتفجر العرفان منك لصاد
آمنت بالهمم التي أحييتها   فسمعت تزلزل شامخ الأطواد
وتخطفت شم الحصون، وإنها   كانت تعد مرابض الآساد
ولقد شهدت بنيك يوم تشمروا   متلببين لغارة وطراد
فعلمت كيف يثور من طلب العلى   ورأيت كيف عزائم الأمجاد
فجريحهم وأسيرهم كقتيلهم :   تهب يراوحه الردى ويغادي
وهم الأباة فما تلين قناتهم   تحت السيوف ولا الحمام العادي

* * *

شهداء مجدك في ثراك يضمهم   ولهان ضم حفيظة ووداد
متدفق من كل موقع طعنة   فيهم لسان دم بذكرك شاد
سهرت عليك جراحهم كعيونهم   بالأمس غير ملمة برقاد
ولقد تطوع كهلهم وغلامهم   للموت غير مسخر بقياد
وثبت بهم في نقع كل كريهة   همم الغزاة وعفة الزهاد
ومن اشترى استقلاله بدمائه   لم يستنم لأذى ولا استعباد

* * *

الملك فيك وفي بنيك وإنه   حق من الآباء للأحفاد
وأمانة التاريخ في أعناقهم   من عهد (بابل) يوم نهضة (عاد)
وذوي (حمى ربى) و (آل سميدع)   وبني (معين) و (حمير) و (إياد)
ومن (الرعاة) ومن بني قحطان أو   عدنان من متحضر أو باد
وأغر أبلج من ذؤابة هاشم   رفع اللواء ولم شعث الضاد
فإذا انبروا للمجد فهو سبيلهم   يمشون فيه على هدى وسداد
تعس العداة فما يفرق شملنا   متفرق الأسماء والآحاد
ظلموا وما علموا بأن وراءهم   شعبا، وأن الله بالمرصاد



ما بعد الصفاقة
معاداة السامية الجديدة

تأليف

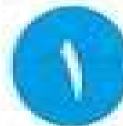
الأستاذ/ نورمان فنكلشتاين

ترجمة

الدكتورة/ فاطمة نصر

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين



الحياء - على اختلاف درجاته - استجابة لفطرتي الانفعال والتعاطف التي فطرنا الخالق جل وعلا عليها ليهيء الإنسان للتواصل الاجتماعي الذي يتمكن به من تنمية معارفه، وتلاقح معلوماته، فيصبح صالحاً لأداء دور الخلافة في الأرض بما أثمرته من تحضر، وترقٍّ، ونمو.

ولذلك.. اعتز بنو آدم - على اختلاف بيئاتهم - بالاتصاف بصفة الحياء، حتى كانت من مفاخرهم التي تغنى بها الفلاسفة والأدباء والشعراء، فلما جاء محمد ﷺ برسالة الإسلام عد الحياء واحدة من شعب الإيمان التي تعلن عن تغلغل الإيمان بالله الخالق في النفوس والعقول والقلوب تغلغلاً ينضح بآثاره على التفكير والمنطق والسلوك.

ولكن.. فريقاً من بني إسرائيل - على مدى تاريخهم الممتد - أبوا إلا أن يشذوا عن مسار هذه الفطرة، فلم ير كل واحد منهم إلا نفسه، وانطلق يعربد في كل مسار، متجاهلاً كل ما عدا ذاته هو، لا يمنعه من ذلك خلق ولا قيمة، ولا تردعه عن ذلك قوانين ولا دساتير ولا نظم أيا كان مصدرها وأيا كان راعيها.

فكانوا أعوان إبليس وداعمي توجهه في معصية الله خالقه وخالق الكون وفي إخلاصهم العبادة لذواتهم متدرعين في ذلك بما أوتوه من قدرة على قلب الحق باطلا وجعل الباطل حقاً صراحاً، وبما أوتوه من قدرة - كذلك - على قهر أي إثارة من خجل أو حياء قد تكشف شذوذهم أو تردعهم عن هذا

الشذوذ بما أغراهم بالتمادي في هذا السبيل فقتلوا أنبياءهم وشوهوا صور رسلهم بما أغرقوهم فيه من استجابات عارمة لشهواتهم وأذاعوا ذلك في كل موطن وبكل لسان، خصوصاً ما توارثوه وما اصطنعوه من كتب دينية بعد أن حرفوا ما جاءهم به رسل الله تعالى، ولووا ألسنتهم بالكتب السماوية وجعلوها تبدو كتباً سماوية ورسالات تخدم هذا الشذوذ فيهم، دون أن تهتز بداخلهم شعرة انفعال.

بل إن وجوههم - من باب الحيطة - كسيت بطبقة صفيقة من الجلد السميك الذي يحجب ما قد يتسرب من فطرة الله الكامنة في التكوين، فتبدو على وجوههم آثاره من انفعال أو خجل حين يزعمون أن رسولهم الذي أرسله الله إليهم لم يتورع عن الزنا ببناته، ولم يخجل من خيانة قائد جيوشه لينال من زوجته الجميلة ما يطفيء شهوته الجامحة، ولا حين يزعمون أن يدي الله المبسوطتين بكل ما هم فيه من نعم مغلولتان، لأن الله فقير وهم أغنياء، ولا حين يزعمون أن ما ينهبونه من أملاك الآخرين هو حقهم وأن هؤلاء الآخرين حين يسعون لاسترداد ما نهب منهم - إن هم إلا إرهابيون معتدون يجب أن يستعدي العالم الحر عليهم لينقذوا الدنيا من فسادهم وإرهابهم.

لقد انطلق هذا الفريق ممن ينتمون إلى إسرائيل من الوقاحة التي قد يلابسها شيء من خجل أو حياء إلى الصفاقة التي لا يبدو معها عليهم شيء من خجل أو حياء، متواطئين فيما بينهم على الترحيب بكل منكر أو فساد أو تجاوز، حتى استحقوا أن يلعنوا على لسان داود وعيسى ابن مريم، وأن ينالوا سخط الله ووعيده إياهم بالعذاب.

بل إن قدراتهم التي تجاوزت الحدود في قلب الحقائق والتمادي في ذلك قادتهم إلى كشف ضلالاتهم بألسنتهم نفسها، فباللسان الذي حقروا به من شأن إلههم أذاعوا به أنهم أبناء هذا الإله وأحباؤه، وباللسان الذي أعلنوا به أنهم ورثة الأنبياء ألصقوا بهؤلاء الأنبياء كل شاذ وناب.

ولكن من أزاح عن عينيه وعقله وسائل تضليلهم فرآهم على حقيقتهم.. وجدهم -في هذه الآونة من الزمان- قد تجاوزوا كل ما يتصوره العقل من شذوذ حتى انحدروا بمزاعمهم إلى ما بعد الصفاقة، فراحوا ينفخون نيران الحقد والضغينة في النفوس كلما هدأت ثورتها على من عادوا السامية في حقبة تاريخية طواها الزمن مع الأجيال المتلاحقة التي أصبحت العنصرية -بما فيها من معاداة السامية- تمثل لها تفكيرا منكرا، وسلوكا قبيحا يرفضه إنسان القرن العشرين وما يتلوه.

وكان من بين هؤلاء المفكرين الأحرار والبصراء الذين انتزعوا تفكيرهم من ربقة أضاليلهم وإغراءاتهم.. الأستاذ (نورمان فنكلشتاين) في كتابه (ما بعد الصفاقة..

معاداة السامية الجديدة) الذى فند فيه بعض الأضاليل والمفتريات التى اخترعها الصهيونيون وطائفة من المتصهينين الذين يحسبون على الفكر الأمريكى، فى محاولة منهم لرأب الصدع الذى أصاب البينة التى شيدوها من الأكاذيب والادعاءات المضللة للسيطرة على عواطف الشعوب الغربية، وللتحكم فى آراء المفكرين الغربيين ليجعلوا منهم صنائع تروج لنهجهم فى إبراز (معاداة السامية).

أما الكتاب فى ترجمته العربية فيقع فى ثمان وثمانين ومائتى صفحة من القطع المتوسط.. من نشر دار سطور بالقاهرة فى الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٦، ترجمة الدكتورة فاطمة نصر. ويضم جزأين فى ثمانية فصول. الجزء الأول منها تحت عنوان (معاداة السامية القديمة والجديدة) والجزء الثانى منها تحت عنوان (أضخم أسطورة روجت) وقد ضمن الجزء الأول الثلاثة فصول الأولى، وضمن الجزء الثانى الخمسة فصول التالية، وخاتمة، مع مقدمة لكل جزء.

وأما المؤلف فهو كاتب يهودى، عاش أبواه مأساة (الهولوكوست)، وكان من ضحاياها فى (وارسو) قبل هجرتهما إلى أمريكا.

وقد ولد المؤلف سنة ١٩٥٣ فى نيويورك، ويعمل الآن أستاذاً للعلوم السياسية فى جامعة نيويورك، وقد شغل مبكرا بالصراع العربى الإسرائيلى، وقضى صيف سنوات ١٩٨٨ إلى ١٩٩٥ مع أسر فلسطينية فى (بيت ساحور) وغيرها من المدن والقرى الفلسطينية فاطلع على معيشة الفلسطينيين، وأدرك حجم معاناتهم، فصورها فى كتابين آخرين أصدرهما فى أمريكا هما: (الحقيقة والخيال فى الصراع الفلسطينى الإسرائيلى)، وكتاب (محاكمة أمة) الذى رأته مجلة نيويورك لمراجعة الكتب من أهم الكتب التى صدرت سنة ١٩٩٨.

تهديد.. ولكن: ممن؟ ولمن؟

ففى الأول (من «المسيح سوبرمان» إلى «آلام المسيح») قرر: أن اهتمام الإصدارات الغربية بمعاداة السامية ليس الهدف منه مقاومة معاداة السامية، ولكن الهدف هو استغلال معاناة اليهود التاريخية لتحصين دولة إسرائيل من النقد، بحيث تصبح معاداة السامية سيفا مشهرا فى وجه كل من ينتقد حكام إسرائيل، أو يعيب عليهم أى سلوك صادر منهم ينتهك حقوق الإنسان، ويجور على ملكية الآخرين، أو يسىء إليهم.

يلاحظ ذلك التوجه من يستقرىء تلك الإصدارات ويتأمل تواريخ صدورها، وطريقة العرض، والمغالطات، التى تقوم عليها والمواطن التى تروّج فيها، والشخصيات التى تروج لها، إذ يتبين له: أن زعم وجود معاداة جديدة للسامية ليس وليد هذه المرحلة الزمنية، فمنذ ثلاثين عاما نشر (أرنولد فورستر) و (بنجامين آر. إبشتاين) من قادة جماعة معاداة التشهير دراسة طنانة بعنوان (معاداة السامية الجديدة) وبعد أقل من عقد نشر قائد الجماعة المحلى (برلتر) مع زوجته (روث آن برلتر) دراسة أخرى بعنوان (معاداة السامية الحقة فى أمريكا) زاعمين أيضاً: أن الولايات المتحدة غارقة فى موجة جديدة من معاداة السامية، حتى لقد أصبح كتاب (معاداة السامية الجديدة) معيارا للإصدارات التى تلته، والتى ركزت الانتباه على الموجة الجديدة المزعومة، وأخضعت مؤسسات التيار الرئيسى ـ مثل الواشنطن بوست، والنيويورك تايمز ـ لاتهامات جزافية عبثية بحجة عدم مجاراتها فى شن هجوم عنيف على معاداة السامية، وهاجمت صناعة السينما لإنتاجها أفلام رسوم متحركة تظهر عددا من المعابد اليهودية فى صورة منافية للذوق، وتستخدم فيها إحدى اللهجات اليهودية مع «كاريكاتير» عنصرى يعبر عن مزحة فجة.

ولما قدم «بل جيبسون» فيلم «المسيح سوبر ستار» الذى قدم فيه صورة معدلة من قصة العهد الجديد، مع الحفاظ على صورة غوغاء «أورشليم»...

والكهنة كما هى، دون مساس، لافتاً النظر إلى مسئولية الكهانة اليهودية عن ذلك، وتلاه فى سنة ٢٠٠٤م فيلم «آلام المسيح».

جاءت الهجمة صارخة؛ فكتب «فرانك ريتش» فى صحيفة «النيويورك تايمز» يقول: «ليس ثمة ريب فى أن الفيلم هو إعادة لكتابة التاريخ، بحيث يجعل كبار الكهنة هم المحرضون الرئيسيون على موت «المسيح».

أما «فوكسمان» فاتخذ من الهجوم على فيلم «آلام المسيح» فرصة تحقق أحد أمرين:

فلو أن «جيبسون» استسلم لهذا الهجوم، فسوف يتم بذلك بث رسالة تفرض عدم الخوض فى أمور تمس اليهود، وإذا لم يستسلم فسوف تبرهن الرسالة على الاستمرار العارم لمعاداة السامية.

وقد تحقق «لفوكسمان» ما أراد؛ حيث نشط الصحفيون الذين يترقبون أية تجليات لمعاداة السامية ليثبتوا وجودهم بشن هجمة شرسة يتنافسون فيها على لقب «القاتل الأول لتنين جيبسون».

الغاية من مثل تلك الهجمات

ويرى «فنكلشتاين»: أن غاية «فوكسمان» من ذلك إنما كان تحقيق الهدف الرئيسى لمعاداة السامية الذى يتبناه «فورستر»، و«إبشتاين» وهو تشتيت النقد الذى وجه إلى إسرائيل بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣، حينما مورست عليها الضغوط للانسحاب من سيناء من أجل تسوية دبلوماسية مع الفلسطينيين؛ فقد جعلت هذه الضغوط عداءً لإسرائيل، وأن هذا العداء إنما هو جوهر المعاداة

الجديدة للسامية، بدعوى أن الناس لا يتحملون اليهود إلا إذا بقوا ضحايا على وضعهم القديم، فإذا ما تغير وضعهم وحققوا لأنفسهم انتصارات ومكاسب تنقلهم من التشرد، وتحقق لهم الاستقرار... لم يستطع الآخر تقبل هذا التغير، وبدأت المحاولات لإعادتهم ضحايا مشردين مرة أخرى.

قاصدين ـ بذلك التفسير الغريب ـ أن يحولوا أنظار العالم عن لب القضية وهو تصلبها ورفضها الانسحاب رغم عروض العرب للسلام، ومصورين ما نشرته من الصحف الأوربية من أن إسرائيل ـ بعد أن استولت على أراضى الفلسطينيين وشردتهم ـ تستخدم ذرائع وضيعة لتستمر فى مصادرة ما بقى من أراضى الفلسطينيين، وأنها تستخدم كل أساليب القهر والإرهاب والقوة والإكراه لإقامة دولتهم على أنقاض الدولة الفلسطينية مصورين هذا ونحوه من الصحف الأوربية على أنه برهان ساطع على انبعاث معاداة السامية.

ولما دعا مجلس الكنائس القومى إلى الاعتراف بحق الفلسطينيين فى وطن مقبول منهم، يوفر لهم الحياة الطبيعية... عد هذا من المجلس تجاوزا للخط.

وفى السبيل لتحقيق هذه الغاية... فإن السامية الكلاسيكية التى تستهدف اليهود لكونهم يهودا أصبحت فى المنطق الإسرائيلى الصهيونى لا تمثل أى خطر؛ فالنازيون الجدد اليوم ليسوا سوى محاكاة هزيلة لأسلافهم الذين كانوا أقوياء سياسياً، أما المعاداة الجديدة للسامية فهى المعاداة الحقة؛ لأنها تمثل تحديا معاديا للمصالح اليهودية ـ على الرغم من أن الدافع لهذا قد لايكون العداء الشخصى لليهود ـ إذ إنه يضر بهم موضوعياً.

وبهذا المنطق الانتقائى القائم على التزييف والتزوير يتحقق لهم ما يريدون من إلصاق تهمة «معاداة السامية» بأية تحديات داخلية لميزات اليهود الطبيعية، وسطوتهم السياسية، وبالتحديات الدولية لسيطرة إسرائيل عملياً، وعلى مرأى من الجميع، وبأسلوب ساخر عدوانى.

وذلك لتجعل منه النخبة اليهودية سلاحاً أيديولوجيا يدافعون به عن التوسع العنصرى، والسطوة الإثنية، ويسهلونها.

بل إن معجم الكاتبين «ناثان» و«روث برلتر» فى كتابهما «معاداة السامية الحقة» المنشور سنة ١٩٨٢ يعرف أى أضرار قد تصيب إسرائيل ـ ولو بأسلوب غير مباشر – على أنها معاداة للسامية، ويريان: أن أسوأ خطايا اليهود هى «أنهم كانوا ينزعون للاهتمام بالبشر بدرجة تفوق كثيراً اهتمام العالم باليهود، وهو نزوع نتج عن دعواهم: أن الرب منحهم نعمة التماهى المفرط غير المتوازن مع الآخرين.

مسابقة الشباب

الأخلاق ودورها فى النهوض بالمجتمع

الشيخ/ محمد محمد عبدالحى

إن شريعة الإسلام صالحة لكل زمان ومكان ومن ثَمَّ كان لزامًا علينا نحن المسلمين إبراز مميزاتها وقيمها وإخراج تعاليمها السَّمحة لتضىء للبشرية ظلامها وتبين للعقول طريقها المستقيم من خلال نشر الثقافة الإسلامية النافعة فى شتى ميادين الحياة ولقد أكد الحق تبارك وتعالى على أن شرعه وقرآنه هداية للناس:

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾

(الإسراء: ٩)

ولقد مدح الله نبيه ﷺ بقوله:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

(القلم: ٤)

قال أنس بن مالك: «خدمت النبى عشر سنين فما قال لى أف قط ولا قال لي لشئ فعلتُه لم فعلته ولا لشئ لم أفعله لم لمْ تفعلْه ولامست حريراً ألين من كف رسول الله ولا شممت مسكًا ولا عطرا أطيب من عرق رسول الله» (البخارى ومسلم)

سيدى يا رسول الله:-

إن كان للأخلاق ركن قائم
فى هذه الدنيا فأنت البانى
المجد والشرف الرفيع صحيفة
جعلت لها الأخلاق كالعنوان

وسئلت السيدة عائشة – رضى الله عنها – فى الحديث الصحيح عن خلقه فقالت: «كان خلقه القرآن» وفى رواية قالت: «أتقرأ القرآن قال:

«نعم». قالت: «كان خلقه القرآن». لكل هذا نهض المجتمع نهوضاً عظيماً إثر هذه الأخلاق المحمدية التى احترمت آدمية الإنسان ولم تفرق بين المسلم وبين أهل الديانات الأخرى.

فلقد حدث أن مرّت عليه جنازة يوماً فهمّ واقفاً فقال الصحابة إنها جنازة يهودى. فقال النبى ﷺ: «أو ليست نفساً» (البخارى).

وهو القائل فى حديثه الجامع: «أوصانى ربى بتسع أوصيكم بها: أوصانى بالإخلاص فى السر والعلانية، والعدل فى الرضا والغضب، والقصد فى الغنى والفقر، وأن أعفو عمن ظلمنى، وأعطى مَن حرمنى، وأصل من قطعنى، وأن يكون صمتى فكراً، ونطقى ذكراً، ونظرى عبراً»[1].

ومن الأمور الجميلة فى الإسلام أنه حثّ على الأدب والخلق الكريم فى كل مكان حتى فى الأماكن العامة التى يجلس فيها الناس، قال رسول الله ﷺ: «إياكم والجلوس فى الطرقات. فقالوا: يارسول الله مالنا من مجالسنا بدّ نتحدث فيها. فقال ﷺ: فإذا أبيتم فأعطوا الطريق حقه فقالوا: وما حق الطريق؟ قال: غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر»[2].

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس»[3].

ما أجمل هذا الدين الذى يراعى حقوق الناس فى أدق الأمور لينهض المجتمع ويصبح الناس إخوة متحابين فى جو تسوده المحبة والمودة؛ لأن الأفضلية عند الله بالتقوى وبالعمل الصالح قال تعالى:

﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾

(الحجرات: ١٣)

وإن بقاء الأمم ببقاء أخلاقها فإن ذهبت الأخلاق ذهبت الأمم غير مأسوف عليها وهذا ما عناه الشاعر بقوله:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فإذا كان المسلم خلوقاً سمح النفس عندئذ يتسنى له أن ينشر تعاليم دينه مع

(١) عيون الأخبار ٢/٣٦١.

(٢) مسند أحمد ٢/٣٦، فتح البارى ١١/٨.

(٣) مسند أحمد ٢/٥٤٠.

الآخرين بكل سماحة ويسر، فرسول الله ﷺ ملأت دعوته الآفاق وصار مثالاً يقتدى به البشر لما احتوت عليه شخصيته من عظيم المبادىء، وجمال الأخلاق. فهذا رجل يهودى استدان النبى ﷺ منه ديناً، وقبل أن يأتى ميعاد سداد الدين جاء الرجل يطلب دينه من رسول الله، وكان غليظاً فى قوله وفعله، جذب النبى ﷺ من رقبته، وقال له: أنتم يا بنى هاشم قوم تُماطلون فى أداء الديون. فقال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يا رسول الله أتأذن لى أن أقطع رقبته؟ فقال صاحب الخلق العظيم، مهلاً ياعمر، مُره بحسن الطلب ومرنى بحسن الأداء «يعنى مره أن يترفق فى طلبه ومرنى بإعطائه حقه» فلما سمع اليهودى هذه الكلمات من رسول الله قال: يا محمد لقد قرأت عن صفاتك فى الإنجيل والتوراة فوجدتها متحققة فيك إلا صفة واحدة وهى أنك حليم كريم عند الغضب والآن وجدتها فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. «رواه الترمذى»

فانظر إلى أى مدى صنعت الأخلاق الكريمة برجل يهودى، إنها أخذت الرجل من عالم الظلمات إلى عالم النور، وكل ذلك بحسن الخلق لذلك استحق الإسلام ورسوله كل تقدير واحترام حتى من الأوروبيين أنفسهم «فمايكل هارت» صاحب كتاب العظماء مائة وأعظمهم محمد بن عبدالله يقول: إن محمداً غادر الحياة من ثلاثة عشر قرناً من الزمان، ومازالت مبادئه وأخلاقه وسلوكياته حية بين المسلمين، فمن أراد اللحوق برسول الله والقرب من مجلسه يوم القيامة فليحسن أخلاقه، فهو القائل: «إن أقربكم منى مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً» رواه الترمذى.



نوجه عناية السادة القراء إلى أن مجلة الأزهر تفسح المجال للشباب للكتابة فى بعض الموضوعات الاجتماعية فى ضوء الإسلام، كما توجه عناية السادة القراء إلى ضرورة إرفاق صورة البطاقة الشخصية ورقم التليفون وعنوان أقرب مكتب بريد حتى نتمكن من الاتصال بصاحب المقال الفائز.

بين الصحف و المجلات

إعداد
أ/ محمد جمعة
أ/ علا عبدالرحمن

كراهية المسلمين

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ مصطفى سامى مقالا نشر فى جريدة الأهرام بعددها الصادر بتاريخ ٢٠٠٩/١١/١٧ يقول فيه:

إليكس فينز الشاب الألمانى الروسى الأصل الذى حكم عليه بالسجن المؤبد فى مدينة دريسدن بتهمة قتل الصيدلانية المصرية مروة لمجرد أنها مسلمة، هو واحد من آلاف الشباب فى الولايات المتحدة وأوروبا من المرضى بالعنصرية والكراهية للمسلمين، الحظ السيء قاد مروة الشربينى لحتفها عندما التقت هذا الشاب مصادفة فى إحدى الحدائق، وقد استثار غضبه غطاء رأسها الذى كشف له عن أنها مسلمة، فوجه لها عدة شتائم وإذا لم يكن هذا الشاب قد التقى بمروة الشربينى كان سيحاول التحرش بأى مسلمة أخرى ويقتلها، لأنه كما قال للضحية: «يكره جميع المسلمين القتلة.. فالمسلمون فى الشيشان يقتلون الجنود الروس بلا رحمة» لقد رضع هذا الشاب مثل آلاف الشباب الروس من أنصاف المتعلمين فى صباه الكراهية ضد المسلمين.. «إليكس فينز» لا يعلم أن الجنود الروس أحرقوا ودمروا قرى بأكملها فى الشيشان وقتلوا آلاف الشيوخ والأطفال واغتصبوا النساء.. والصحفيون الروس من ذوى الضمائر الذين كشفوا هذه الجرائم والانتهاكات غير الإنسانية كان مصيرهم القتل والتشريد أو السجن بتهم واهية.

فى هذا المناخ المسموم، تلقى الشاب القاتل أول دروس الكراهية ضد المسلمين، ثم هاجر الى ألمانيا ليتابع «الحرب على الإرهاب» التى قادها جورج بوش ضد المسلمين بعد ١١ سبتمبر، ثم سلسلة الأكاذيب التى أطلقها الرئيس الأمريكى السابق ليبرر بها غزو العراق.. كانت الحرب العنصرية على الإرهاب، هى الدرس الثانى الذى تلقاه هذا الشاب مع الملايين غيره من الأمريكيين والأوروبيين، لقد تحول المسلمون بفضل هذه الحرب الى رهائن، وأصبحوا هدفا للعدوان والتآمر فى أوروبا وأمريكا.

وعندما قتلت حكومة بكين بضعة مئات وأعدمت العشرات من المسلمين فى إقليم شينجيانغ شمال غرب الصين لأنهم يطالبون

بالمساواة مع غيرهم من المواطنين، لم يرتفع صوت واحد ممن يدافعون عن حقوق الإنسان «فى الدول الديمقراطية» فى الغرب احتجاجا لمجرد أنهم مسلمون.

حظر بناء المآذن فى سويسرا

كتب الأستاذ محمد الزرقانى مقالا فى عموده «مجرد اجتهاد» المنشور بجريدة اللواء الاسلامى بعددها الصادر بتاريخ ٢٠٠٩/١٢/٣ يقول فيه:

لم أفاجأ بنتيجة الاستفتاء الذى جرى فى سويسرا، بشأن السماح بإقامة مآذن المساجد أو عدم السماح بذلك.. فهذا الاستفتاء لم يجر فى الأساس إلا لمنع إقامتها، من خلال غطاء الديمقراطية الذى تلتحف به أوروبا والغرب، ومن تحته يفعلون هناك ما يشاءون من ضرب للديمقراطية وتضييق على الآخر.

ولكن ماذا علينا أن نفعل إزاء ما حدث فى سويسرا؟ وهل نحتج ونسعى للهجوم على سويسرا فى جميع أنحاء العالم؟ وهل ننظم المظاهرات ومسيرات الاحتجاج فى سويسرا وجميع أنحاء أوروبا.. وهل ندعو لمقاطعة سويسرا اقتصاديا؟ علما بأن دعاوى المقاطعة الاقتصادية التى طالبنا بها ضد بلاد أخرى كانت مجرد كلام ولم تدخل الى حيز التنفيذ على المستوى العام، وللأسف على المستوى الخاص أيضا! وبالطبع كل ذلك مرفوض، لأنه لم يعد يجدى شيئا بل إنه فى كثير من الأحيان يأتى بعكس الهدف المطلوب ويخلق نوعا من العداء للمسلمين الموجودين فى الغرب.. وإنما المطلوب هو أن نتصرف بهدوء، ونلجأ الى نفس سلاحهم «الديمقراطية» فمن الممكن أن ننظم حملات دعائية وإعلامية فى سويسرا، عن قيمة المئذنة فى الإسلام وجمالها المعمارى، وقبل كل ذلك ألا نسىء استخدامها فى إزعاج الآخرين.

وعلينا أن نلجأ الى شركات خاصة فى العلاقات العامة لإزالة أى أثر سلبى فى نفوس الشعب السويسرى، وأن نوثق العلاقات مع النواب وكبار المسئولين وعندما نرى أننا نجحنا فى الإقناع بهدفنا يمكن أن نطالب باستفتاء جديد لنحصل على الموافقة بإقامة المآذن بالديمقراطية.

كفانا خسائر فى أوروبا والغرب عامة.. وكفانا ضياعا لقضايانا.. وكلها حق.. بسبب سوء العرض وبسبب أخطاء البعض منا.. وكفانا مظاهرات واحتجاجات بصوت عال بدون طائل.. وعلينا أن نتحرك بطريقة صحيحة وبخطوات عاقلة متزنة.. وعلى المسلمين فى أوروبا والغرب أن يندمجوا فى مجتمعاتهم على أن يعطوا للآخر صورة سليمة وحقيقية عن الإسلام.

حاخامات اليهود.. ونيران الكراهية والتعصب

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ السيد العزاوى مقاله المنشور فى جريدة «المساء» الصادرة بتاريخ: ٢٠٠٩/١١/١٤م يقول فيه:

استوقفنى خبر بثته وكالات الأنباء وتناقلته القنوات الفضائية الخبر يقول: حاخامان يهوديان قالا: إنه يجب قتل «إزالة» كل من يشكل خطورة على إسرائيل حتى لو كان طفلا أو رضيعا.

عبارات مثيرة تجسد بشكل أساسى عنصرية هؤلاء اليهود بلا أى مواربة، وقد كشفت بكل

صراحة الوجه الحقيقى لهؤلاء حيث إنهم لا يقبلون أى عنصر بشرى يشاركهم فى هذه الحياة تحت زعم أنهم جنس فوق جميع الأجناس تكبرا وغطرسة وتعاليا.. مما يؤكد أن السلام مع هؤلاء يمضى فى طريق مظلم حيث إنه تعشش فى قلوبهم وصدورهم نيران العنصرية والكراهية.

هؤلاء الحاخامات والقروض فيهم أنهم رجال دين، يجب ألا يبثوا فى الأجيال المتعاقبة الأحقاد والبغضاء لكى تنمو هذه الأجيال بلا بغضاء أو ضغينة، بحيث يمكن أن يتعايشوا مع الفلسطينيين فى هذه المنطقة من الدنيا لكن يبدو أن سموم البغضاء أخذت تسرى بين أبناء إسرائيل بحيث تمتلئ صدورهم حقدا ضد الفلسطينيين وما يجرى فى المستوطنات وبجوار الحرم القدسى الشريف ما يكشف هذه الحقيقة بجلاء..

فها هو نتنياهو يسير على نهج هذين الحاخامين العنصريين ويتحدى كل جهد من أجل وقف الاستيطان حتى تتاح الفرصة لاستئناف محادثات السلام، الأكثر غرابة أنه يرفض أى نداء لصوت الحق ويتشبث بموقفه المعاند، وللأسف الشديد فإن أمريكا تساند بكل قوة وتقف فى خندق واحد وتتصدى للدفاع عنه بالزيف والباطل دون اعتبار لمنطق الحق والعدل.

ولعل أبلغ دليل على انحياز الولايات المتحدة ما جرى من أعضاء الكونجرس حول تقرير جولدستون عن أحداث مأساة غزة وما جرى فيها من دمار وتخريب حيث رفعوا توصية إلى الرئيس الأمريكي أوباما يحثونه فيها على الوقوف بجانب إسرائيل واتخاذ كل الاجراءات الى تحول دون إدانتها واتخاذ كل ما يلزم حتى لا تمس إسرائيل بأى موقف يندد بعدوانها أو يشكل لها أى شىء يعكر صفوها...

اعتقد أنه قد حان الوقت ليتخلى الفلسطينيون عن نزاعاتهم الشخصية ويتفرغوا للتصدى بمنطق المكر والخداع والتسلح بمنطق القوة والسلام واتخاذ كل منبر دولى لفضح جرائم إسرائيل وتكبرها وعنادها ورفضها لنداء السلام. يا أبناء فلسطين سوف يكون حساب التاريخ معكم عسيرا إن لم تنفضوا عنكم غبار التفرق ولتذكروا أن الجميع يريدون إزالتكم لأنكم تشكلون خطورة عليهم فهل تتداركون هذه المواقف قبل فوات الآوان؟

رايات العصيان

كتب الأستاذ / سمير رجب فى عموده «خطوط فاصلة» فى جريدة الجمهورية الصادرة فى ١٧/١١/٢٠٠٩م يقول:

إن حكومة بنيامين نيتنياهو الإسرائيلية المتطرفة ليس لديها أدنى نية لحل الأزمة التى طال أمدها..!!

إنهم لا يريدون الانسحاب من الأرض المحتلة، ويصرون على أن تبقى القدس عاصمتهم الموحدة، ويرفضون عودة اللاجئين، ثم يقولون للفلسطينيين: تعالوا نتفاوض دون شروط مسبقة على الاحتفاظ بحقنا فى الاستيطان.!!

الأدهى والأمر أن العرب عندما قرروا الذهاب إلى مجلس الأمن فى محاولة لاستصدار قرار بالاعتراف بالدولة الفلسطينية استشاط الإسرائيليون غضبا مهددين بإلغاء أية اتفاقات سابقة لو أن هذا الإجراء قد تم..!

وهل ما سبق عقده من اتفاقات أو معاهدات أو مرجعيات تضعه إسرائيل فى اعتبارها من قريب أو من بعيد؟ أم أنها تضرب بكافة المواثيق عرض الحائط رافعة دائما وأبداً.. رايات العصيان؟؟

ليس هذا فحسب بل الويل كل الويل لكل من يجرؤ على قول الحق!

حتى الرجل المحايد الذى ينتمى لدولة جنوب إفريقيا «جولدستون» والذى أصدر تقريراً عادلاً وموضوعياً عما جرى فى غزة جراء الحرب التى حصدت الزرع والضرع.. شنوا ضده حرباً شعواء، وضد كل من تجرأ وأعلن تأييده للتقرير.. حتى وصل الأمر فى النهاية إلى تلويح الولايات المتحدة الأمريكية ذاتها باستخدام حق الرفض «الفيتو» إذا ما حدث وتسلل إلى مجلس الأمن.. وطبعا لن يتسلل! إن بنيامين نيتنياهو وأعضاء فريقه يرون أن ذهاب الفلسطينيين إلى مجلس الأمن يعد خطوة أحادية الجانب وبالتالى فهم فى حل عن أية ردود فعل يمكن أن تصدر عنهم...!

إنها ولا شك بجاحة ما بعدها بجاحة.. فهم يغلقون الأبواب والنافذ من كل جانب فى نفس الوقت الذى يرفضون فيه إتاحة الفرصة للآخرين لكى يستنشقوا نسمة هواء واحدة!

ثم.. ثم.. أليسوا هم أصلاً دعاة الإجراءات الأحادية فى العالم.

إن سرقة أراضى الغير عنوة، وقسراً، وتغيير معالم المدن، والزج بآلاف الأبرياء فى السجون تلك كلها تصرفات ذاتية بحتة قاموا ويقومون بها رغم أنها لا تستند إلى شرعية أو دين، أو أخلاق.. بينما مجلس الأمن يعد المسرح الحقيقى للمجتمع الدولى، هذا إذا كان هناك مجتمع دولى أصلا.!

إن استصدار قرار من مجلس الأمن بإعلان دولة مستقلة ليس من السهولة بمكان، بل يحتاج إلى اتصالات «قوية» مع أطراف عديدة على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد الأوروبى وروسيا.. فماذا تم حتى الآن بشأن تلك الاتصالات وإن كان الواقع يشير إلى أن الرؤية لم تكتمل بعد.

استيطان القدس.. صفعة جديدة

تحت هذه العنوان كتب محرر «الجمهورية تقول» فى جريدة الجمهورية الصادرة فى ١٩/١١/٢٠٠٩م يقول:

تحدت الحكومة العنصرية المتطرفة فى إسرائيل، مرة أخرى، المجتمع الدولى الذى أجمع على رفض عمليات الاستيطان فى الضفة الغربية والقدس العربية، بوصفها إجراءات غير شرعية تتناقض مع عملية السلام والقرارات الدولية المثبتة للحقوق العربية والفلسطينية.

إن قرار إسرائيل بإقامة ٩٠٠ وحدة سكنية جديدة فى القدس العربية يمثل صفعة جديدة للإدارة الأمريكية التي لم تكد تنتهي بعد من مطالبتها للفلسطينيين بالتفاوض مع إسرائيل فوراً وبدون شروط، ورفضها إعلان قيام الدولة الفلسطينية التى كانت وعداً رئاسياً أمريكياً.

يمثل القرار الإسرائيلى أيضا تحدياً جديداً للعالمين العربى والإسلامى اللذين يعتبران القدس العربية خطاً أحمر لا يمكن للإسرائيليين أو لأحد كان تجاوز الحقوق الإسلامية والمسيحية فيها، وهو ما تفعله إسرائيل فى كل شبر من الأرض المقدسة ترتفع عليه مستوطنات المحتلين الغاصبين الذين لم يجدوا حتى الآن ما يردعهم لأن أصحاب الحق منشغلون أو مختلفون فى ساحات أخرى غير الساحة الحقيقة.

أبطال الحجارة

شعر: السيد الصديق حافظ - مصر

فتى الأرض أيقظ آمالها ... فثارت تحطم أغلالها!
وزلزلت الأرض زلزالها ... وأخرجت الأرض أثقالها
رجوما تطارد مغتالها ... وتسحق من رام إذلالها!

***

وللأرض حكمة مستبصر ... تقول وربك أوحى لها
بني العرب هبوا ولا تتركوا ... لئام الشعوب وأنذالها
تدنس مسرى نبي الهدى ... وتلقي بحطين أوحالها!
أللبطش في قدسكم دولة؟! ... فأولى لها ثم أولى لها!
أرى عين جالوت تبكي دما ... وغزة تندب أخوالها!
ونابلس حاسرة رأسها ... وطولكرم تنشر إعوالها
وفي بيت لحم ومثوى الخليل ... عنات يمزق أوصالها!
فلله موءودة حرة ... تنوء الجبال بما نالها!
ولله أم رأت عينها ... يهودا تمزق أطفالها!

***

كلاب إذا لم تلغ في دم ... تجن وتمضغ أذيالها
نفتهم «أوروبا» إلى أرضنا ... وحلت بذلك إشكالها
فصاروا لها مخلبا فاتكا ... وكانوا عصاها وأنكالها
غدا ابن الحواري رضيع الهوان ... عدو العروبة قتالها!

وما أم «هتلر» من ديننا ... وما كانت العرب أخوالها!

***

رزئنا بكم يا دعاة الخنا ... حماة الكبائر بل آلها!
فكم دولة بعتمو سرها ... لأخرى وأفنيتمو مالها!
ودمرتم صرح أخلاقها ... وأورثتم اللؤم أجيالها!
وتخفون في النفس تحقيرها ... وتبدون للناس إجلالها
كذلك كنتم وما زلتم ... صنوف الرزايا وأشكالها

***

فلسطين ليست لكم فاسكنوا ... سراب السباسب أو آلها!
حصاها وفتيانها والردى ... منايا تذوقون أهوالها
حواري اليهود لكم موطن ... و«شيلوك» يعرف أفعالها
ففيها مخابئكم لم تزل ... ولم يفقد الدهر أقفالها
فإنا نرجي لكم نكسة ... وتلقون أخرى وأمثالها
رماة الحجارة إقدامكم ... أخاف قوى الشر بل هالها
وأخجل قوما بلا أوجه ... وكيف اللئام وإخجالها؟!
ترى الأرض أجداد آبائكم ... وفيها اقتضى الله آجالها
وأمكم الأرض كم من فتى ... يطرز بالمجد سربالها!

***

فلسطين يا مجد أمجادنا ... حبا الله بالنصر أبطالها!
فلسطين إن باد أبناؤها ... فمن ذا يبدد أحمالها؟!
ومن ذا يحطم أغلالها؟! ... ومن ذا يعمر أطلالها؟!
ومن ذا يعيد إلى وجهها ... جمال الحياة وإقبالها؟!
غدا يصطفي الله من بينهم ... «صلاحا» يحقق آمالها!

عوامل النصر فى مسيرة الحياة

دروس من الهجرة المباركة

للأستاذ الدكتور/ محمد فتحى فرج

كانت الهجرة فاتحة خير على الإسلام والمسلمين، عرف ذلك سيدنا عمر - رضى الله عنه وأرضاه -فقدرها حق قدرها، حينما ألهمه الله ـ تعالى ـ أن يجعلها بداية للتأريخ الإسلامى، لتظل ذكراها متجددة فى الوجدان المسلم، كلما استدار الزمان عاماً تلو عام، فنحيا أحداثها، ونعتبر بعبرها، وننهل من ينابيع حكمتها التى لا تنفد، ونستفيد من منهجها القويم، الذى لم يترك أمراً صغيراً أو كبيراً إلا وتم أخذه فى الاعتبار.

وأجزم أننا لو أخذنا بهذا النهج فى كل أمور حياتنا لكان النصر حليفنا، والنجاح والفلاح من نصيبنا. وكلما أهل علينا المحرم من كل عام، تتداعى إلى الذاكرة ما بدأه أجدادنا العظام، من جهاد وتضحيات استأهلت مدح الله ـ تعالى ـ وتقريظه له فى كثير من آيات القرآن الكريم، وتراودنا آمال استكمال ما بدأه الأسلاف والأجداد، ليسمق بناء هذه الأمة، وتعلو راية الإسلام عالية خفاقة، راجين من الله ـ تعالى ـ ما من به على المهاجرين السابقين الأول - رضى الله عنهم وأرضاهم.

فكرة الهجرة وميلاد الإسلام

وردت مادة «هجر» ومشتقاتها فى القرآن الكريم أكثر من ثلاثين مرة، وقد جاءت معظمها فى سياق المدح للمهاجرين والمهاجرات، أو الحث على الهجرة إلى حيث الرزق والسعة والعيش الكريم، حينما يواجه المرء بالتضييق، وقد ورد هذا المعنى فى قوله تعالى:

﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾

«النساء: ١٠٠»

والواقع أن فكرة الهجرة قد راودت النبى ﷺ منذ البواكير الأولى للوحى، أى منذ ميلاد الإسلام، حينما جاء إلى أم المؤمنين خديجة - رضى الله عنها - يرجف فؤاده، عقب أول وحى أوحى إليه، فانطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، وبعد أن سمع منه ورقة ما حدث له - ﷺ - بشره قائلاً له: هذا هو الناموس الذى أنزل على موسى، يا ليتنى فيها جذعاً، ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: أومخرجى هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى، وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً».

وبعد أن قضى الله تعالى بالهجرة، هذا الحدث الفذ فى تاريخ الإسلام والمسلمين، وقام به النبى وصحبه على خير وجه وعرفنا من نتائجه ما عرفنا، ينبغى علينا أن نتوقف عنده لنستنبط منه العبر والدروس، ونتخذ منه دافعاً لإصلاح الضمائر والنفوس، ومعيناً لنا فى حياتنا أفراداً وجماعات، فى وقت عزت فيه المثل، وغابت عنا الأهداف، حتى بتنا نستلهمها من التجمع حول لعبة (!) أعطيناها الكثير من اهتمامنا وجهدنا، ثم خرجنا منها فى نهاية الأمر بخفى حنين!

لا يأس مع الإصرار فى تحقيق الأهداف

تحمل النبى - ﷺ - فى سبيل نشر دعوة الحق ما لا يتحمله بشر، وبعد أن فاض الكيل، وضاق به وبأصحابه رضوان الله عليهم الاحتمال، حتى لم يعودوا يستطيعون البقاء بمكة من فرط ما تعرضوا لأذى أهلها وحصارها لهم، ولم يعد أمامهم إلا رحمة الله التى وسعت كل شىء، وإيمانهم بالله الذى رخص من أجله أى شىء من أعراض الدنيا، حتى لو كان الوطن والأهل والديار!

لم ييأس النبى ﷺ، ولم يحل بينه وبين غاياته النبيلة وأهدافه الشريفة ما لاقاه من عنت، وما صادفه هوان، وما مر به وصحبه من شدائد وأهوال، فصبر وصابر حتى أذن الله بالفرج عن طريق الهجرة المباركة. ثم انقلبت الأمور كلها من النقيض إلى النقيض، وتحولت كل الأحداث المريرة التى صادفها النبى وصحبه إلى مواطن قوة وبأس، فكان بمثابة الطعم الذى يكسب المنعة والقوة فى مواجهة الأحداث الجسام، وحقا قيل: «إن كل ما لا يقتل يقوى». وهذا من أعظم الدروس لكل من ينهض برسالة أو يتغيا غاية نبيلة. وفى ذلك يقول عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين: «صدع الرسول - ﷺ - بما أمره الله به، وأدى مهمته كأحسن ما يكون أداء المهمات، لم يقصر ولم يفتر ولم ييأس، حتى أذن الله له فى الهجرة، فهاجر بعد أن أعفى نفسه من كل تبعة، وأدى حق الله، وحق قومه عليه، وبر بهم، فلم يلق منهم إلا جحوداً وعقوقاً، ولم يؤمن له منهم إلا القليل»[1]

كانت الهجرة - بحق - فاتحة خير على الإسلام والمسلمين، فقد مكن الله بها للمسلمين فى الأرض، واستطاعوا أن يحملوا عبء الرسالة الخاتمة، وأن ينشروا نورها فى ربوع المعمورة، شرقاً وغرباً، فما هى إلا بضع سنوات، حتى انتشر نور الحق، ليبدد دياجير الشرك، وظلام الجهل والتعنت والغرور، ولذلك جاء التعبير القرآنى واضحاً رغم إيجازه الشديد، حيث يقول رب العزة - جل جلاله:

﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

«الأنفال: ٢٦»

(١) د. طه حسين (١٩٥٩). مرآة الإسلام. دار المعارف بمصر. ص ٦١.

حب الأوطان من تمام الإيمان

فحينما أذن الله لنبيه الكريم بالهجرة امتثل لأمره تعالى كما ذكرنا آنفاً، على الرغم من أن مكة كانت أحب بلاد الله إلى قلبه ونفسه، حيث يقول - ﷺ -: «والله إنى لأخرج منك وإنى لأعلم أنك أحب بلاد الله إلى الله وأكرمها على الله تعالى، ولولا أن قومك أخرجونى منك ما خرجت». وهذا حديث لأم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - وهى من هى، فقهاً وعلماً وبلاغة، تقول: «لولا الهجرة لسكنت مكة، فإنى لم أر السماء بمكان أقرب إلى الأرض منها بمكة، ولم يطمئن قلبى ببلد قط ما اطمأن بمكة، ولم أر القمر بمكان أحسن منه بمكة». أما عبدالله بن أم مكتوم - رضى الله عنه - فيعبر عن حبه لوطنه مكة بقوله:

يا حبـــــــذا مكة من وادى

أرض بهـــــا أهلى وعــــــوادى

أرض بهـــــا ترسخ أوتادى

أرض بهـــــا أمـــــشى بلا هادى

إنه - بلا شك - حب الوطن، وملاعب الطفولة ومدارج الصبا، فضلاً عن كون مكة البلد الأمين، التى وصفها رسولنا الكريم بأنها «أحب بلاد الله إلى الله»؛ ومن ثم فلم يكن سهلاً على رسول الله ﷺ أن يودعها، بيد أن الهجرة أيضاً من أمر الله تعالى، فراراً إلى الله بالعقيدة والدين الوليد، مهما كان البذل وكانت التضحيات، ولا يعلم الخير إلا رب الخير، الله تعالى الذى أحاط بكل شىء علماً. فالهجرة - فوق أنها الملاذ من الاستضعاف - كانت الخطوة الأولى نحو العزة والنصر، حيث كان المسلمون مستضعفين، على كل المستويات، فتجمعوا بعد تفرق، ومن هذا الجمع المتميز استمدوا كيانهم الاجتماعى والاقتصادى والنفسى، فإذا هذه الأشتات الضعيفة قوة تندفع إلى الأمام نحو التماسك والنصر، ولذلك تستطيع أن تفهم لماذا تأخرت فريضة الجهاد حتى بعد الهجرة. لقد كانت الهجرة وماتزال وستظل درساً رائداً ومعلماً لكل أصحاب الشجاعة والفدائية والاستبسال، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولقد تألقت على صفحاتها المشرقة بطولات رائدة، وتجلى الإيمان حتى ساد الموقف كله، واختفت كل مشاعر الضعف من القوم، ثم كانت تلك المغامرة المثيرة التى لا يعرف لها التاريخ نظيراً رجاء فى الفرار إلى الله تعالى[2].

الهجرة تكشف عن معادن الرجال

حينما أذن الله تعالى بالهجرة إلى يثرب (المدينة بعد الهجرة) اختار النبى - ﷺ - أبا بكر ليصحبه فى هذه الرحلة المباركة، وقد أمر أصحابه أن يهاجروا إليها، فقد كانت حاجة الدعوة فى المدينة إلى الرجال أشد من حاجتها إلى المال والعتاد والسلاح؛ ولذلك فقد كان المهاجرون أول الناس إيماناً، وهم أول الناس إسلاماً لله تعالى ولرسوله ﷺ، فرح بهم رسول الله ودعا لهم وفرح بهم الله تعالى وسماهم «السابقين» حيث قال تعالى:

﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾

ولذلك كان الله تعالى كفيلاً للمهاجرين وحسيباً لهم، فقد كفل الله سبحانه وتعالى محمداً - عبده ورسوله - وصحبه ونصرهم على أعدائهم من أهل مكة فى ذلك اليوم، ولقد خرج المشركون وكل قلوبهم تمتلئ حقداً وحسداً وناراً على الإسلام ورسول الإسلام.. الخيل تحتهم كالبرق تطوى الأرض بحثاً عن محمد وصحبه، والسيوف مسلولة خاطفة تريد أن تروى ظمأ حامليها من دماء الإسلام والمهاجر وصاحبه، ووقفوا على الغار، وقال أبو بكر - رضى الله عنه - لو نظر أحدهم يا رسول الله تحت قدمه لرآنا، فقال له الرسول: ما تقول فى اثنين الله ثالثهما؟ وفى ذلك يقول الله تعالى:

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

(التوبة: ٤٠)

وفى ذلك يقول الإمام البوصيرى فى همزيته:

وكـفـتـه بـنـسـجـهـا عنكبـوت

مـا كـفـتـه الحـمـامـة الحـصـداء

واخـتـفـى منهم على قـــرب

مـرآه ومن شـدة الظهـور الخـفـاء

وهؤلاء من أهل يثرب من الأنصار قد أعدوا أنفسهم وأهلهم ونساءهم، كل قد خرج ليرى نور الله قادماً إليهم، يهديهم السبيل وينصر كلمتهم ويجمع شملهم، وكل قد أعد ماله وداره وطعامه ليكون لرسول الله وأصحابه، ورفع الله من قلوبهم الأثرة وحب النفس، وأبدلهم بهما الإيثار وحب الله ورسوله ومهاجريه؛ وبهذا كان الإعداد من أهل يثرب للقاء رسول الله، ودخل رسول الله ﷺ فى موكب النور والهدى، وفرح الرسول بهم لما وجد من صدقهم وإيمانهم وحبهم لله ورسوله، وإكرامهم لإخوانهم[3]، حتى وصفهم الله تعالى بقوله:

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾

(الحشر: ٩)

الإعداد والتخطيط والكتمان

يقول الدكتور هيكل[4] - رحمه الله - فى كتابه «حياة محمد» ﷺ: اتصل بمحمد نبأ ما بيتت قريش لقتله مخافة هجرته إلى المدينة واعتزازه بها، وما قد يجر ذلك على مكة من أذى، وعلى تجارتها مع الشام من بوار، ولم يكن أحد يشك فى أن محمداً سينتهز الفرصة فيهاجر. على أن ما أحاط به نفسه من كتمان لم يجعل لأحد إلى سره سبيلاً، حتى أبو بكر، الذى أعد راحلتين منذ استأذن النبى فى الهجرة فاستمهله، قد بقى لا يعرف من الأمر إلا قليلاً. ولقد ظل محمد بمكة حتى علم من أمر قريش ما علم،

(٢) توفيق محمد سبع (١٩٧٣م). أضواء على الهجرة. سلسلة مجمع البحوث الإسلامية. العدد الحادى والستون. القاهرة ص ٣٥٩.

(٣) أحمد عبدالمحسن الشناوى (١٩٧٠م) الهجرة والتاريخ. منبر الإسلام. عدد المحرم ص ١٦٦.

(٤) د. محمد حسين هيكل (٢٠٠٠م) حياة محمد. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ص ٢٢٤.

وحتى لم يبق من المسلمين بها إلا القليل. وإنه لينتظر أمر ربه إذ أوحى إليه أن يهاجر، هناك ذهب إلى بيت أبى بكر وأخبره بأن الله أذن له بالهجرة، وطلب الصديق أن يصحبه فى هجرته فأجابه إلى ما طلب.. لذلك اعتزم محمد أن يسلك طرقاً غير مألوفة، وأن يخرج إلى سفره فى موعد كذلك غير مألوف.. وفى تلك الليلة أمر محمد إلى ابن عمه على بن أبى طالب أن يتسجى برده الحضرمى الأخضر، وأن ينام فى فراشه، وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدى عنه الودائع التى كانت عنده للناس. وجعل هؤلاء الفتية، الذين كانوا يحاصرون داره فى الليل مخافة أن يفر ليقتلوه، جعلوا ينظرون من فرجة إلى مكان نوم النبى، فيرون فى الفراش رجلاً فتطمئن نفوسهم إلى أنه لم يفر. فلما لكان الثلث الأخير من الليل خرج محمد فى غفلة منهم إلى دار أبى بكر، وخرج الرجلان من خوخة فى ظهرها، وانطلقا جنوباً إلى غار ثور، فاتجاههم إلى اليمين لم يكن مما يرد بالبال.. وأقاما بالغار ثلاثة أيام، كانت قريش تجد فى طلبهما غير وانية. وكيف لا تفعل وهى ترى الخطر محدقاً بها إن هى لم تدرك محمداً، ولم تحل بينه وبين يثرب! ثم كان ما كان مما أوضحناه آنفاً، من تأييد الله لنبيه ونصره له، بجنود من عنده، حتى تمت هجرته ﷺ، فكانت فاتحة خير على الإسلام والمسلمين، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

يقول الأستاذ الجبالى: (*) ونحب أن نقف قليلاً عند غار ثور، فهو غار يقع فى مكان وعر شديد الارتفاع من جبل ثور، يصعب الوصول إليه من الأشداء الأقوياء إلى يومنا هذا، فكيف وصل إليه رسول الله ﷺ وقد تجاوزت سنه الخمسين عاماً، وكيف وصل إليه صاحبه الذى تقارب سنه سن رسول الله ﷺ؟ ثم أى جهد كان يبذله عبدالله بن أبى بكر حين كان يأتيهما بأخبار مكة ليلاً، بعد أن يجلس فى نواديهم نهاراً؟ وأى جهد كانت تبذله أسماء بنت أبى بكر حين كانت تأتيهما بالزاد والماء كل يوم؟ وأى جهد كان يبذله غلام أبى بكر الذى كان يأتى بالغنم آخر النهار ويمشى بها فوق الآثار التى تركتها أقدام عبدالله بن أبى بكر وأخته أسماء ذهاباً وإياباً حتى تزول آثار هذه الأقدام، وبذلك لا يستطيع الباحثون معرفة الغار ولا الاهتداء إليه! إنه جهد يستحق الوقوف عنده، ومشقة تستحق التفكير فيها، فضلاً عن أن ذلك كله كان حكمة فى التفكير، وقوة فى التدبير، ووعياً كاملاً بما يجب أن يكون عليه العمل الناجح فى عظائم الأمور ودقائق الأحوال.

وقد واصل الرسول ﷺ العمل الدءوب، والتخطيط الحكيم فى دار الهجرة بالمدينة، حيث بدأه بالمؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين، التى كانت أول لبنة فى بناء القوة التى وضعها النبى، ﷺ، فى بناء الأمة، ثم شرع - ﷺ - فى بناء المسجد، شعار المسلمين وجامعتهم، التى تلقوا فيها عنه قواعد الدين والعلم والأدب الرفيع، وأسس بناء الأمة المسلمة القوية. فيالها من دروس وعبر، إذا أخذ المسلمون بها أخذوا بحظ وافر فى الدنيا والآخرة.

(*) فؤاد الجبالى (١٩٨٤م): فى رحاب الهجرة، مقال فى منار الإسلام، العدد الأول، السنة العاشرة، ص ٦٢.

دور الفقه الإسلامى فى إحياء الضمير الجمعى «٥»

لفضيلة الشيخ الطاهر الحامدى

تحدثنا فيما سبق عن مسائل بينا فيها مدى عمل الفقه الاسلامى فى احياء الضمير الجمعى، وكيف انه ليس قاصراً على مسائل العبادات والمعاملات أو انه قانون ينظم العلاقة بين أفراد المجتمع، وينظم ويبين صحة وشروط العبادة، لكنه الى جانب كل هذا فانه يعمل فى دأب ويؤطر فى جد وحزم ووضوح وسائل ونظم تعمل على احياء الضمير الجمعى.

وإن أى باحث او مطلع على الفقه الإسلامى يلمس حرصه على المشاركة الجمعية ومحاربة السلبية واللامبالاة فلا تكاد ترى حكماً أو قاعدة من قواعده إلا وتلمس أنها تدفع دفعاً للمشاركة الجماعية، وأنها فاعل مؤثر فى تحريك الإحساس الجمعى.

وما ذاك إلا لأن أى قانون يظل عاجزاً كسيحاً ما لم يكن له أثر فى تحريك الجماعة التى منوط بها إعماله وتطبيقه، وخير مثال تحسب أنه يمثل قمة المشاركة الجماعية الفاعلة المؤثرة هو ما يعرف فى الفقه الإسلامى بـ«القسامة» وهى بحث مهم فى باب الجنايات، ونرى أنها بأسسها وأطرها التى بينها الفقه الإسلامى فى وضوح، نرى أنها تمثل فكر الفقه الإسلامى فى محاربة اللامبالاة والسلبية المفرطة، التى لا نقول إنه يعانى منها المجتمع الإسلامى الآن، بل هى المرض العضال الذى يكاد يفتك بالمسلمين لولا ما نرجوه من لطف الله ـ سبحانه وتعالى ـ بل هو من أعراض أخطر الأمراض فتكاً الذى حذر منه ﷺ بقوله: «وسيصيبكم الوهن.. وهو حب الدنيا وكراهية الموت»(١).

فباب الجنايات يحفل بما يعزز الشعور الجمعى لدى أفراد الجماعة، وما ذاك إلا بالمشاركة الإيجابية التى تؤسس مجتمعاً مثالياً متماسكاً يعرف ويقدر مسئولياته حيال أفراده، يردهم عن الظلم وعن كل تجاوز ضد سلامة الآخرين.

ونحن نرى أن ذلك إعمالاً جيداً لقوله ﷺ: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قال: أنصره مظلوماً فكيف أنصره ظالماً؟ قال: ترده عن

(١) سنن أبى داود.

الظلم»[٢].

ونرى أن هذا التعبير النبوى النافذ الشفاف هو أقصر الطرق وأرفعها فى سبيل تكوين مجتمع مثالى، حيث كان من الممكن أن يقول ﷺ: «انصر أخاك مظلوماً ورده عن الظلم إن كان ظالماً» وهى عبارة تؤدى المعنى السطحى لما يفهمه المتسرعون!!!

أما أن يجعل النبى ـ ﷺ ـ رده عن الظلم نصرة له كذلك هو التعبير الجامع المعجز لأنه ايجابى ينشيء مجتمعاً مثالياً نظيفاً.

فالذى يوطن نفسه على إعمال الصواب والحق بين الناس هو لبنة صالحة فى المجتمع النظيف فخير ما يوصل إلى مجتمع نظيف أن تحقق العدل لك أو عليك، وأن تأخذ النصفة حتى من أخيك وأن تحكم بالعدل لمن لا تحب، وصدق الله حيث يقول:

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾

(المائدة: ٨)

فإن توطين النفس على تحقيق العدل حيث ما وجدت «خصومة» من أهم الدعائم التى تقوم عليها الحضارات الراسخة.

وتحقيق العدل باب واسع راسخ فى الشريعة الإسلامية وفى حياة المسلمين يدخل فيه فى شموخ وعزة، بل يؤسسه ويعلى من شأنه، قوله ﷺ: «لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها»[٣] فيمثل هذا العدل الحازم القاطع تقوم المجتمعات ويحيا الضمير الجمعى وتنتفى السلبية واللامبالاة المميتة، ولا توجد جريمة أشنع ولا أبشع من جريمة القتل، ولذلك فإن الفقه الإسلامى يجند المسلمين لاتخاذ موقف إيجابى ضد هذه الجريمة، وليس أبلغ ولا أنفع من حشد المواقف ضدها قبل أن تقع، فالوقاية خير من العلاج، ونرى فى قوله تعالى:

﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ ﴾

(النساء: ٩٢)

قال أهل الفقه إن الدية تجب على عاقلة القاتل، وهم عصبته ومن يؤول إليهم ماله بعد أصحاب الفروض، ومعنى الخطأ أن القاتل ترك الاحتياط الواجب أو التحفظ حتى هلك على يديه معصوم الدم، والآية صريحة فى وجوب الدية مطلقاً، فليس فيها إيجاب على العاقلة، فإيجابها على العاقلة جاء من السنة المطهرة إذ ليس فيه وجه فى الأصول الفقهية ولا فى قواعد الدين فليس هو من قبيل التغليظ حيث إنه لا تزر وازرة وزر أخرى.

أما تحمل العاقلة لها فنستطيع أن نؤكد أن من قبيل التفعيل وتحريك الرأى العام والإحساس الجمعى فى المجتمع بالمسئولية، فلا وجه لجعل الدية على العاقلة.

فالسنة المطهرة هى التى أوجبتها كما قلنا، وأرى أن هذا من التناسق النبوى المعجز والتناغم الفعال مع قوله ﷺ: «انصر أخاك ظالما أو مظلوما» فهأنذا أنصره وأتحمل معه فيكون بذلك لى أساس فى ردعه وزجره حيث تحملت معه ما جنته يداه وليس لى فيه يد، على أننا نرى أن قمة عمل الفقه الإسلامى فى إحياء الضمير الجمعى فوق ما ذكرنا تمثل فيما سماه الفقهاء بـ«القسامة».

فما هى القسامة؟ وكيف تكون؟ وأنا أحب أن أتحوز فى ألفاظ التعريفات الفقهية، وقصدى أن يفهم القارئ الكريم، فأقول: القسامة هى أن يقسم أولياء الدم خمسين يمينا إذا كانت عندهم بينة ضعيفة ثم يستحقون دم قتيلهم، يعنى يستحقون أخذ الدية، وقد سمى الفقهاء البينة الضعيفة «لوثا»، وعرفوها بأنها بينة ينشأ عنها غلبة الظن. كأن يقول المقتول: دمى عند فلان، أو يقول: قتلنى فلان، ويشهد عدلان على أنه قال ذلك، كأن يقولا سمعنا المقتول قبل موته يقول وهو يتشحط فى دمه: قتلنى فلان، مع وضوح أثر الضرب على المقتول، فكل هذا يعتبر «لوثا»، لأنه بينة ضعيفة، حيث إن الشهود لم يروا فعل القتل ولا عاينوا القاتل يضرب القتيل، وكذلك تكون «قسامة» إذا حلف المدعى عليهم بالقتل.. أننا ما قتلناه ولا نعرف له قاتلا، وفى كل الأحوال يحلف خمسون رجلا من عاقلة القتيل أو أولياء الدم خمسين يمينا، وبعض الفقهاء يقول: يحلف العصبة فقط، فإن كانوا أقل ـ وهم فى الغالب ـ كذلك، تقسم الأيمان على من وجد من العصبة بقدر ميراث كل واحد منهم، فمن له الثلث عليه ثلث الأيمان، وهكذا ويجبر كسر اليمين.

والذى أحب أن أنبه إليه أنه كما توجب القسامة الدية فى الخطأ، توجب القصاص فى العمد، وأساس القسامة فى الفقه الإسلامى هو قول النبى ـ ﷺ ـ فى حادثة مشهورة أنه لما خرج عبد الله بن سهل وعبد الرحمن بن سهل وحويصة ومحيصة خرجوا فى التجارة إلى خيبر وتفرقوا لحوائجهم، وجدوا عبد الله بن سهل قتيلا يتشحط فى دمه، فجاءوا إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فأراد عبد الرحمن أخو القتيل أن يتكلم، فقال النبى صلى الله عليه وسلم. الكبر ـ الكبر «يعنى الأكبر الذى يتكلم» فتكلم أحد عميه حويصة أو محيصة وهو الأكبر منهما، وأخبروه بذلك، أى أخبروا النبى بما حدث، وقال: من قتله؟ قالوا: ومن يقتله سوى اليهود؟ قال ﷺ: تبرئكم اليهود بأيمانهم فقالوا لا نرضى بأيمان قوم كفار لا يبالون بما حلفوا عليه، قال: أتحلفون وتستحقون دم صاحبكم... إلخ[٤] فهذا أساس القسامة فى الفقه الإسلامى وهى كانت فى الجاهلية وأقرها النبى ﷺ.

وكما قلنا تكون فى العمد والخطأ، والذى أحب أن أصل إليه أنها تشريع إيجابى قسرى فى تحريك الرأى العام والضمير الجمعى، لأن العاقلة ما دامت تتحمل مع الجانى إثم جنايته ووزر ما ارتكبه أنها بهذا تكون استحقت فى الفقه الإسلامى أن يكون لها حق التوجيه والزجر، وهذا أقصى ما يطلبه الشرع من تشريع فى مجتمع لتحريك الجموع لتفادى الجرم قبل أن يقع، وإحياء الضمير الجمعى.. والله أعلم.

(٢) صحيح البخارى.

(٣) صحيح البخارى.

٤- والقصة بشأنها فى البخارى والكتب الستة- راجع تعليق ابن حجر الفقهى الجيد عليها، وراجع المجموع فى الفقه الشافعى، ونتائج الأفكار فى الفقه الحنفى، وأقرب المسالك فى الفقه المالكى.

طرائف.. ومواقف

للشيخ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

انتهاز الفرص للإحسان

● قال رسول الله ﷺ: «من فتح له باب من الخير فليتهزه فإنه لا يدرى متى يغلق عنه».[1]

● وقال شاعر

ليس فى كل ساعة وأوان
تتهيا صنائع الإحسان
فإذا أمكنت فبادر إليها
حذرا من تعذر الإمكان
واغتنمها إذا قدرت عليها
حذرا من تغير الأزمان
أحزم الناس من إذا أحسن الده
ر تلقى الإحسان بالأحسان

● وقال ابن النقيب الكنانى:

الحمد أينع ما اجتناه المجتنى
والمجد أرفع ما ابتناه المبتنى
فإذا وليت وكان أمرك نافذا
فاذخر صنيعا فى الولاية وابتن
من قبل أن يسعى لها فتفوته
ويقول عند فواته يا ليتنى

● وقال ابن هندو:

إذا هبت رياحك فاغتنمها
فما تدرى السكون متى يكون
ولا تغفل عن الإحسان فيها
فما تدرى السكون متى يكون

شذرات من كلام الإمام

قال على -كرم الله وجهه-: ـ الناس من خوف الذل فى الذل ـ من أيقن بالخلف جاد بالعطية ـ الناس أعداء ما جهلوا ـ بقية عمر المؤمن لا ثمن لها، يدرك بها ما أفات، ويحيى ما أمات ـ الدنيا بالأموال، والآخرة بالأعمال ـ لا تخافن إلا ذنبك، ولا ترجون إلا ربك.

---

(1) كنز العمال ٤٣٦٢٤.

الأجواد فى الإسلام

الأجواد فى الإسلام لا يعدون كثرة، ولكن امتاز من بينهم قوم كان جودهم عاما شاملا، منهم عبيد الله بن العباس، فقد أثر عنه أنه أول من فطر جيرانه، وأول من وضع الموائد على الطرق، وأول من حيا على طعامه.

من جوده أنه أتاه رجل وهو بفناء داره فقام بين يديه فقال: يا بن عباس! إن لى عندك يداً وقد احتجت إليها.

فصعد عبيد الله فيه بصره وصوبه فلم يعرفه، ثم قال له: ما يدك عندنا؟ قال الرجل: رأيتك واقفاً بزمزم وغلامك يمتح لك من مائها، والشمس قد صهرتك، فظللتك بطرف كسائى حتى شربت.

قال عبيد الله: إنى لأذكر ذلك، وإنه يتردد بين خاطرى وفكرى. ثم قال لقيمه: ما عندك؟ قال مائتا دينار وعشرة آلاف درهم.

قال عبيد الله: ادفعها إليه، وما أراها تفى بحق يده عندنا.

وفيه يقول شاعر المدينة:

وفى السنة الشهباء أطعمت حامضاً
وحلوا ولحماً تامكا وممزعا
وأنت ربيع لليتامى وعصمة
إذا المحل من جود السماء تطلعا
أبوك أبو الفضل الذى كان رحمة
وغوثاً ونوراً للخلائق أجمعا

فن النحو

قال رجل لرجل: قد عرفت النحو إلا أنى لا أعرف هذا الذى يقول: أبوفلان، وأبا فلان، وأبى فلان.

فقال له: هذا أسهل الأشياء فى النحو، إنما يقولون أبا فلان لمن عظم قدره، وأبوفلان للمتوسطين وأبى فلان للرذلة.

كم!

كم فاقة مستورة بمروءة
وضرورة قد غطيت بتجمل
وكم ابتسام تحته قلب شجى
قد خامرته لوعة ما تنجلى
لو سود الهم الملابس لم تجد
بيض الثياب على امرىء فى محفل
«الشافعى»

ناشدتك الله إلا ضربت عنقى

ركب خالد القسرى فى يوم شديد البرد، كثير الغيم، فتعرض له رجل فى الطريق فقال له: ناشدتك الله إلا ضربت عنقى.

فقال له: أكفر بعد إيمان؟

قال: لا.

قال: أترغب عن طاعة الرحمن؟

قال: لا.

قال: أفقتلت نفسا بدون حق؟

قال: لا.

قال: فما سبب ذلك.

قال الرجل: لي خصم لجوج، قد علق بي ولزمني وقهرني.

قال: من هو؟

قال: الفقر.

قال: فكم يكفيك كي تدفعه؟

قال: أربعة آلاف درهم.

فقال خالد: إني ممدك بأربعة آلاف درهم.

ثم قال لغلامه: قم وادفع له ما طلب والتفت خالد إلى من حوله، وقال: هل ربح أحد من التجار كربحي اليوم؟!

قالوا: وكيف كان ذلك؟

قال: عزمت على أن أعطي هذا الرجل ثلاثين ألف درهم، فلما طلب أربعة آلاف درهم، وفر عليّ ستة وعشرين ألف درهم.

فلما سمع الرجل ذلك، قال: حاشاك وأعيذك أيها الأمير أن تربح شيئا من مؤملك وراجيك. فقال: يا غلام أعطه ثلاثين ألفا، واذهب آمنا إلى خصمك فإذا اعترضك مرة أخرى فاستنجد بنا عليه.

شجعان العصر الأول

● قيل لم يكن في الجاهلية ولا في الإسلام أشجع من خالد بن الوليد -رضي الله عنه- ولشجاعته سماه رسول الله ﷺ: سيف الله، ذلك أنه لم يهزم في معركة قط، ومات على فراشه.

يقال: إنه سمع عند موته يقول: «ما في جسدي موضع إلا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح أو جرح بسهم، وها أنا أموت على فراشي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء!».

● ومن شجعان العصر الأول: البراء بن مالك، روي عنه أنه نازل مائة مبارز وقتلهم وكتب عمر بن الخطاب إلى ولاته يحذرهم أن يسندوا رياسة عسكر إلى البراء بن مالك، فإنه يحملهم ما تدعوه إليه شجاعته فيهلكهم وكان هذا من الفاروق رحمة منه بالمؤمنين.

● ومن شجعان الصحابة: طلحة بن عبيدالله، وحارثة بن حذيفة، و الزبير ابن العوام، والمقداد بن الأسود.

يروى أن عمرو بن العاص طلب إلى عمر بن الخطاب أن يمده، وهو بصدد فتح مصر، بثلاثة آلاف، فأرسل إليه بالزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود، وحارثة بن حذيفة، عادا كلا منهم بألف.

● ومن الشجعان: الأشتر النخعي، واسمه مالك بن الحويرث وهو الذي قيل فيه: إن حياته هدمت أهل الشام، وموته هدم أهل العراق.

دعــــاء

اللهم إنك تعلم سري وعلانيتي، فاقبل معذرتي.

وتعلم حاجتي فاعطني سؤالي.

وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي.

أعظم الصدقة أجراً (٢)

لفضيلة الشيخ/ علي عبدالباقي
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

استكمالا لموضوع: أعظم الصدقة أجرا نقول وبالله التوفيق:

إن أحد الصحابة الكرام أتى إلى رسول الله ﷺ، يسأله عن الصدقة قال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجرا؟ قال: «أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان كذا» رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

ومن أنوار هذا الحديث الشريف نرى كيف كان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يتنافسون دائماً في الخيرات ويتسابقون في القربات إلى الله تعالى، وكثيراً ما كانوا يسألون الرسول ﷺ عن أحب الأعمال إلى الله - تعالى - وأعظم القربات عنده - جل شأنه -، ليفعلوها قربة إلى الله - عز وجل -. والسائل للرسول ﷺ في هذا الحديث يسأل عن أعظم الصدقة وأكثرها أجراً وأكرمها قبولا عند الله - تعالى - وهذا واضح في سؤاله: «أي الصدقة أعظم أجراً؟»، ويجيبه المعلم الأول للبشرية الذي علمه ربه: «أن تصدق» وهي في موضع رفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره: أفضل الصدقة أن تصدق، أي: بأن تتصدق، وقوله «وأنت صحيح شحيح» جاء في الفتح الرباني أن الصحيح هو الذي لم يعتره مرض مخوف ينقطع عنده أمله في الحياة، والشحيح: صفة مشبهة من الشح، وهو بخل مع حرص.

وجاء في دليل الفالحين للخطابي: الشح أعم من البخل، وكأن الشح جنس والبخل نوع، فأكثر ما يقال في البخل أنه من أفراد الأمور، والشح عام، وقال: على هذا يكون معنى الحديث أن الشح غالب في حال الصحة، فإذا سمح فيها وتصدق، كان - أي التصدق - أصدق في نيته وأعظم لأجره، بخلاف من أيس من الصحة ورأى

مصير المال لغيره، فإن صدقته حينئذ ناقصة بالنسبة إلى حال الصحة.

وقوله «تخشى الفقر» أى: إن أنفقت، لوسوسة الشيطان بذلك، قال تعالى:

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾

(البقرة: ٢٦٨)

وقوله: «وتأمل الغنى» أى: تطمع به وترجوه، لنفسك وأهلك. قال فى الفتح الربانى: وإنما كانت صدقة الصحيح الشحيح أفضل من غيرها، لأن فى ذلك مجاهدة النفس على إخراج المال الذى هو شقيق الروح خوفا من هجوم الأجل - أى مجيئة بغتة - مع قيام المانع للتصدق وهو الشح، ثم قال: «وليس هذا إلا من قوة الرغبة فى القربة وصحة العقيدة» ثم قال: وقوله صلى الله عليه وسلم: تأمل العيش على الرواية الأخرى تفسير لقوله وأنت صحيح وقوله «تخشى الفقر» تفسير لقوله: «شحيح» ثم قال رسول الله «ﷺ»: «ولا تمهل» بالتسكين على أنه نهى، وبالرفع على أنه «نفى» ويجوز النصب، قال فتح البارى، والمعنى لا تؤخر الصدقة ولا تمهلها وتسوف فى إعطائها لمستحقيها، وقوله: «حتى إذا بلغت الحلقوم» أى: حتى إذا بلغت الروح الحلقوم، والمعنى قاربت بلوغه، ويؤكد دليل الفالحين هذا المعنى فيقول: إذ لو بلغته- أى الروح الحلقوم- لم تصح وصيته، ولا صدقته، ولا شىء من تصرفاته بالاتفاق، لأن حالته حينئذ أشبه بقيام قيامته، وهنا لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا، هذا والحلقوم مجرى النفس عند الغرغرة وخروج الروح، أما المرىء فهو مجرى الطعام فى الحياة.

ثم يقول رسول الله «ﷺ»: «حتى إذا بلغت الحلقوم» قلت ليأسك من الحياة، وصيت لفلان بماهو كذا، وأوصيت لفلان بما هو كذا، وقد كان لفلان كذا قوله قلت لفلان كذا ولفلان كذا «حكاية عن الموصى له والموصى به فيهما» وقد كان أى لفلان وفى لفظ آخر للإمام أحمد -رحمه الله- «ألا وقد كان لفلان» أى: وقد صار ما أوصى به للوارث فيبطله إن زاد على الثلث، أو أوصى به لوارث آخر، والمعنى: أن أفضل الصدقة أن تتصدق فى حال حياتك وصحتك مع احتياجك واختصاصك به لا فى حال سقمك -أى مرضك وضعفك- لأن المال حينئذ خرج عنك وتعلق بغيرك. وقال الخطابى فيه دليل على أن المرض يقصر يد المالك عن بعض ملكه، وأن سخاوته بالمال فى مرضه- أى الخوف والنذر بالموت- لا تمحو عنه سمة البخل لذلك شرط أن يكون صحيح البدن شحيحاً بالمال يجد وقعاً له فى قلبه لما يأمله من طول العمر ويخاف من حدوث الفقر، عن أبى الدرداء -رضى الله عنه- قال: سمعت رسول الله «ﷺ» يقول: «مثل الذى يتصدق أو يعتق عند الموت مثل الذى يهدى بعدما شبع» رواه البيهقى فى السنن الكبرى، وقوله: «وقد كان لفلان كذا» الظاهر أن هذا من باب الإقرار - أى بما عليه من حق لفلان لا من باب الوصية- أقول: إن حبه الأحمق للمال دفعه إلى أن يبخل بحق الفقراء والمساكين، ثم طغى به ليظلم الناس ويمنع عنهم حقوقهم المالية الخاصة تجاهه، هذا ومن المسلمين ذوى الإيمان الضعيف، من يدفعهم حبهم الأعمى لأولادهم إلى الإمساك عن البذل والإنفاق فى سبيل الله - تعالى - ومنهم من يصل به، الأمر إلى عدم الوفاء بحق الزكاة المفروضة فى ماله، وهو يقصد بذلك تبعاً لظنه الكاذب ووهمه الغافل، أن يتركهم فى سعة وثراء حماية لهم من تقلب الأيام وتغير الأحوال، وخوفاً عليهم من بؤس الفقر والعوز والحاجة، وهذا القصد حسن فى ذاته، فالمسلم مكلف أن يصون أهله وولده عن الفقر والعيلة، وأن يجاهد ما استطاع ليؤمن لهم حياتهم المعيشية حسب طاقته- وإن كان هذا واجباً عليه- إلا أنه لا يكون على حساب منع حق الفقراء والمساكين، والكفران بنعمة الوهاب الكريم جل وعلا، فذلك ظلم كبير جره على نفسه، وهنا يقول الشيخ محمد الغزالى -رحمة الله- فى كتابه خلق المسلم: لكن كفالة المرء لأولاده وضمانه لمستقبلهم، لا يصح أن يتم على حساب دينه وخلقه، وإنها لحماقة أن يضحى الإنسان بنفسه وبمروءته وبرضوان الله عليه ليقتر من كسبه ما يبقيه لعقبه، وقد كشف الاسلام عن أن أولاد المسلم وأمواله كسائر النعم التى تساق إليه ليمتحن فيها، فإن وقف عندها وزهل عن الواجبات المتكوبة، والتضحيات المطلوبة فإن هذه النعم تكون مصدر بلائه، بل تكون أنكى أعدائه، وهذا تفسير قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾

(التغابن ١٤:١٥)

ثم يقول الشيخ: فمن استفاد من ماله أن يكون بخيلاً جباناً فقد خسره، ومن عرف حقوق الله وعباده قبل كل شىء فقد أفلح، ويقول الشيخ محمد متولى الشعراوى: وحيث إن الرزق من عند الله، وهذا هو كلام الله، فلا عزر لأحد أن يرتكب معصية - أى: فلا يزكى ولا يتصدق بحجة أنه يحافظ على رزقه أو أنه يدفع الفقر عن نفسه وبيته وأولاده.

مشكلات الشباب المسلم فى عصر العولمة

رسالة مكة المكرمة من عاطف مصطفى

تحرص رابطة العالم الإسلامى فى كل عام هجرى ومع بداية شهر ذى الحجة أن تطرح موضوعاً يهم كل المسلمين فى العالم أجمع من خلال مؤتمر يشارك فيه نخبة من العلماء والمفكرين وأساتذة الجامعات الإسلامية انطلاقاً من قول الله عز وجل:

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾

منافع فى الدين والدنيا، منافع فردية، واجتماعية وسياسية واقتصادية ومن ضمن هذه المنافع هذا المؤتمر الكبير، مؤتمر مكة المكرمة والذى يعقد كل عام بمقر رابطة العالم الإسلامى.

والمؤتمر العاشر هذا العام عقد برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز وافتتحه صاحب السمو الملكى الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز أمير مكة المكرمة.

عنوان المؤتمر «مشكلات الشباب فى عصر العولمة» وعقد خلال الفترة من ٤-٦ من شهر ذى الحجة ١٤٣٠هـ وتناول أربعة محاور:

• المحور الأول: المشكلات الفكرية ويتضمن العناصر التالية: ضعف الانتماء الدينى والاغتراب الثقافى وتقليد الآخر.

• المحور الثانى: المشكلات النفسية والاجتماعية ويتضمن العناصر التالية: الفروق بين الزواج والعلاقات الجنسية غير المشروعة - المخدرات والمسكرات - التطرف والعنف والتمرد على القديم - والتفكك الأسرى.

• المحور الثالث: المشكلات الاقتصادية، ويتضمن العناصر التالية: الفقر والبطالة - طغيان الاعتبارات المادية والنزعة الاستهلاكية - الهجرة إلى الغرب.

• المحور الرابع: الحلول والعلاج، وذلك من خلال بحوث قدمها الدكتور محمد عبده يمانى، والدكتور صالح بن سليمان الوهيبى، والدكتور صالح بن عبدالله بن حميد، تتناول مشكلات الشباب وقضاياهم الاجتماعية والنفسية حتى



يؤهلوا لعصر الصراع فى العولمة، ومشكلات الشباب المسلم فى عصر العولمة «الحلول والعلاج».

الشباب هم ذخر الأمة

وقد احتشد عدد كبير من ضيوف رابطة العالم الإسلامى - فى اليوم الأول لبداية المؤتمر - والذين أتوا من كل بقاع العالم ليشهدوا موسم الحج هذا العام وليؤدوا مناسكه، احتشدوا بقاعة الاجتماعات الكبرى بمقر الرابطة بأم الجود بمكة المكرمة.

بدأت وقائع الجلسة الافتتاحية بكلمة اللجنة العلمية والتى كلفت بالإعداد لهذا المؤتمر وألقاها الدكتور أحمد بن نافع المورعى والتى أشار فيها إلى أن الشباب هم الأوطان وذخر الأمة فى حاضرها ومستقبلها قائلاً: لا تخبرنى عن الأمة من هى، ولكن أخبرنى عن شبابها وعن اهتماماتهم ورؤاهم وأفكارهم، أخبرك من تكون هذه الأمة.

ولذا حرص المؤتمر على الاهتمام بهذا الموضوع ومناقشته لما له من أهمية وتحقيقاً لتوصية من توصيات المؤتمر فى دورته الرابعة، حيث طالب المشاركون آنذاك من رابطة العالم الإسلامى عقد مؤتمر للشباب وقضاياه.

وطالب د. المورعى بضرورة تضافر جهود المجتمعات المسلمة ومؤسساتها الدينية والثقافية والاجتماعية والتربوية والتعليمية والإعلامية لعلاج المشكلات التى تواجه الشباب وحمايتهم من التحديات الفكرية والسلوكية السلبية التى وفدت إلى المجتمعات الإسلامية مع تيارات العولمة.

وشدد د. أحمد الورعي على أن استلهام برامج التثقيف والتعليم والتربية لوسطية الإسلام، هو المنهج الذي يحمي الأجيال الشابة من التطرف الفكري ومن آفات الغلو في الدين والعنف، كما يحميهم من التفلت من تكاليف الدين والخلق القويم.

وأكد أن العلماء الربانيين هم ورثة الأنبياء وهم المسئولون عن ربط شباب الأمة بدينهم وبالقيم الأخلاقية والاجتماعية والإسلامية التي تصونهم فكر وسلوكا من الانحراف الفكري والأخلاقي.

تحصين الشباب المسلم من التيارات الوافدة

ثم ألقى الدكتور محمد عبدالحليم عمر الأستاذ بجامعة الأزهر كلمة نيابة عن الوفود المشاركة بين فيها أن هذا المؤتمر يتناول موضوعا من أهم موضوعات الساعة وهو مشكلات الشباب المسلم في عصر العولمة، قائلا: من المعروف أنه من إحدى إفرازات العولمة العمل على سيادة الثقافة الغربية باسم ثقافة العولمة، بما تشمله من عادات وسلوكيات تتناقض مع الثقافات المحلية، وأنه من إحدى الاستراتيجيات لنشر هذه الثقافات الوافدة العمل على إحداث شرخ في العلاقات بين جيل الآباء وجيل الأبناء ليذهب الآباء بثقافتهم المحلية التي تنتهي بانتهائهم قريبا، وغرس الثقافات الوافدة في نفوس الأبناء لتصبح هي السائدة في الحاضر القريب والمستقبل البعيد.

ولذا فإن انعقاد هذا المؤتمر في هذا التوقيت، من الأهمية بمكان لتحصين الشباب المسلم من التيارات الوافدة، التي تتناقض مع قيم وتوجيهات الإسلام، ويبرهن انعقاد المؤتمر عمليا على أن دور المملكة العربية السعودية في الحفاظ على الإسلام، ودعم وحدة المسلمين مستمر إلى ماشاء الله، فها هو المؤتمر وبضيافة كريمة من المملكة يضم وفودا تمثل جميع أقاليم العالم الإسلامي والمسلمين من جميع أنحاء العالم، ويشرفني باسمهم جميعا أن أتقدم بالشكر للمملكة ولراعي هذا اللقاء خادم الحرمين الشريفين ولصاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل ولرابطة العالم الإسلامي وعلى رأسها أمينها العام الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، على حسن الاستقبال وتسهيل أداء مناسك الحج والعمرة.

كل الرعاية لشبابنا المسلم

وفي كلمته الضافية في الجلسة الافتتاحية قال الدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركي الأمين العام للرابطة: إن من دواعي السرور أن تجتمع في مثل هذه الأيام المباركات من كل سنة، ثلة من أولي العلم والبحث في الشأن الإسلامي العام، لمدارسة قضية من القضايا ذات الصلة بواقع الأمة ومعالجة مشكلاتها وإتماما للفائدة وتعميما لها رأت رابطة العالم الإسلامي أن تجمع أبحاث كل دورة في كتاب تطبعه وتوزعه فأصبح لديها بحمد الله رصيد من الأبحاث في العديد من القضايا المهمة، كالعلاقات الدولية بين الإسلام والحضارة المعاصرة، والأمة الإسلامية في مواجهة التحديات، والحوار الحضاري والثقافي، والأمة الإسلامية والعولمة، وصورة الإسلام في الإعلام الغربي.

أما موضوع هذا العام فيدور حول مشكلات الشباب في عصر العولمة، ولعل قضايا الشباب ومشكلاتهم تتصدر الأعباء التي تؤرق المسئولين في البلدان العربية والإسلامية على وجه خاص، لتميزها بنسبة عالية من الشباب.

مشيرا إلى أن مسئولية الشباب تتحول من نطاق الأسرة إلى نطاق الدولة والمجتمع، فالشباب في هذه الفترة الحرجة من عمره، يكون بحاجة إلى رعاية وترشيد، حتى يستطيع أن يتعامل مع محيطه الاجتماعي والثقافي ويتأهل لحسن الاختيار والسير في مستقبله التعليمي والمهني والاسري، ويأخذ موقعه المناسب بعد ذلك في مجتمعه، ولا يخفى أن مرحلة الشباب من حياة الإنسان، مشحونة بالتفاعل النفسي والفكري، حيث تزدحم آمال وتطلعات ورغبات وهاجة فياضة، في نطاق محدود من الإمكانات المتاحة لدى الشباب وأضاف د. التركي: ومشكلات الشباب كثيرة ومتنوعة، منها مايتصل بالحياة الاجتماعية، كالبطالة، ومشكلات الزواج، وتكوين الأسرة، ومنها ما يتصل بالتعليم وتنمية القدرات والمهارات، ومنها ما يتصل بالترفيه والتسلية ووسائلها وضوابطهما.

ومن أهم المشكلات التي يواجهها الشباب المسلم اليوم، والتي تحتاج إلى جهود عديدة من الأفراد والمؤسسات للإسهام في التوعية بخطرها، والعمل على معالجتها، تلك التي تتعلق بالمنظومة الثقافية والانتماء الحضاري.

ضعف في التمسك بالدين

وشدّد د. عبدالله التركي على ما يتعرض له شباب اليوم من غزو ثقافي شامل، يدلف إليه من أبواب لم يعهدها أسلافه من قبل، ويتعاطى معه بفنون من الأساليب عبر وسائل الاتصال المتعددة الوسائط الشديدة الجاذبية، والسريعة التأثير، التي تصنع الأفكار والعواطف وتوجهها كيف تشاء، وتصادف من حماس الشباب وغضاضته دواعي الإصغاء وسرعة الاستجابة، لما تلقى إليهم من أفكار وقيم ومبادىء متعارضة مع تراثنا وثقافتنا.

والنتيجة التي بدأت تظهر بوادرها القلقة، ضعف في التمسك بالدين، وصدود عن اللغة العربية، وزهد في التراث والحضارة الإسلامية، وتقليد للنماذج الفكرية والأخلاقية المنحرفة، والجنوح إلى السلوك الإجرامي، واللهث وراء أسباب اللهو والمتعة، والنفور من تحمل المسئوليات والقيام بالواجبات.

مسئولية توجيه الشباب

وأضاف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي: إن الاستطراد في وصف مشكلات الشباب المسلم وتعدادها غير كاف ما لم يتصل بالبحث المنهجي والجاد في سبيل علاجها، وتدابير التخفيف من أثرها السلبي على الأمن الفكري للأمة.

فمسئولية توجيه الشباب وإعدادهم وتحصينهم من الأخطار المحدقة بهم، تقع على عاتق جهات عديدة من الأفراد والمؤسسات، وتبدأ من البيت والتربية الأسرية، ومؤسسات التربية والتعليم، ثم تتواصل مع رسالة الخطيب في المسجد، والعالم في أبحاثه وكتبه ومحاضراته، وأستاذ الجامعة في توجيهاته، والهيئات والجمعيات والمؤسسات المعرفية

المتجهة بأعمالها إلى العناية بالشباب فى أعمالها وبرامجها وخططها.

ولا شك فى أن هناك جهوداً غير قليلة تبذل من هذه الجهات على اختلافها، إلا أنها تحتاج إلى تعاون وتبادل فى الخبرات، واستثمار لنتائج الأبحاث والدراسات المتخصصة فى هذا الميدان، وتطوير مستمر فى الوسائل والآليات، حتى يكون عملها مثمراً محققاً لأهدافه فى معرفة حقيقة ما يعانى منه الشباب، ومساعدتهم على حل مشكلاتهم وتدريبهم على تحمل المسئوليات، وفهم شئون الحياة وقضاياها على الوجه الصحيح.

وبين الدكتور عبدالله التركى أن من أهم ما يساعد على العناية بالشباب المسلم وتحصينهم من غوائل العولمة، ما يمكن أن تقوم به وسائل الإعلام ومؤسساته، فى تقديم مواد وبرامج ومحتويات تتناسب مع تطلعات الشباب، وفى ذات الوقت تكون نابعة من تراثنا وثقافتنا، ومنضبطة بضوابط أصالتنا.

ديننا اهتم بتربية الشباب

وفى كلمته نوه سماحة المفتى العام للمملكة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ فى كلمته للمؤتمر بأهمية ما طرحته رابطة العالم الإسلامى من مشكلات الشباب موضحاً أن شريعة الإسلام جاءت بكل خير فى سبيل علاج المشكلات التى يتعرض لها الشباب علاجاً كاملاً، وأن دين الحق الذى ارتضاه الله تعالى، اهتم بتربية الشباب تربية صحيحة سليمة.

وبين مفتى المملكة أن مرحلة الشباب هى أهم مرحلة يمر بها العبد، ولذلك كان الاهتمام من الإسلام بكل ما يتعلق بالشباب من حيث العقيدة الصحيحة واستعدادهم الفكرى، ذلك أن الشباب عنده العاطفة الجياشة، والتطلع نحو مستقبله، فكان الاهتمام بالمحافظة على الأوقات مستدلاً فى ذلك بحديث المصطفى ﷺ الذى قال «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه».

كما شدد على سبل تحصين الشباب من خطر التيارات التى تحيط بهم مؤكداً على أهمية تعاون الأسرة ووسائل الإعلام فى ذلك.

كما طالب الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ بضرورة تحقيق العمل الإسلامى المشترك بين المؤسسات الإسلامية التربوية، لإفشال الأهداف المغرضة التى تستهدف شباب الأمة مؤكداً على تضافر الجهود التى ينبغى أن تشارك فيها الأسرة والدولة وإمام المسجد والإعلام بكل وسائله لكى يتحقق التميز المنشود، وتأصيل ثقافة الإسلام السمحة وأخلاقه فى نفوس الشباب.

الشباب المسلم وغد أفضل

وجاءت كلمة صاحب السمو الملكى الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز ختاماً لحفل افتتاح المؤتمر نيابة عن خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز والذى قال بعد أن رحب بالضيوف الأكارم على أرض المملكة التى شرفها الله بخدمة الإسلام والمسلمين.. حسناً فعلت رابطة العالم الإسلامى، بأن طرحت مشكلات الشباب المسلم فى عصر العولمة، موضوعاً بهذا المؤتمر فهم يشكلون غالبية المجتمع المسلم، وعليهم تعقد الآمال فى غد أفضل، ومع أن غالبية شبابنا ولله الحمد ـ يشقون طريقهم على جادة الصواب إلا أن البعض، يتعرض للانحراف، إما بالانسلاخ من عقيدته التى

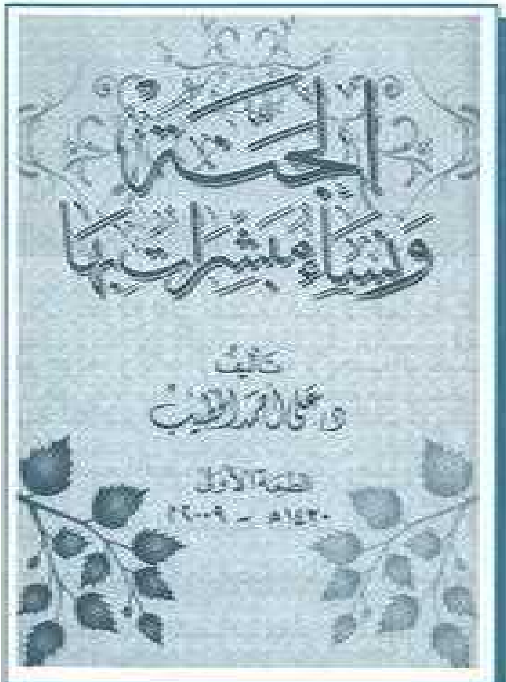


هى أساس وجوده، وإما إلى حبائل الفكر الضال وجرائم الإرهاب.. وأضاف الأمير خالد: ونظراً لخطورة هذه الانحرافات ـ وغيرها على حاضر المسلمين ومستقبلهم، فإن علماء الأمة الإسلامية ومفكريها الراسخين فى العلم ومؤسساتها المتخصصة، يدعون لمقاومة هذا الفكر المنحرف وصناعة. وحماية المجتمعات الإسلامية من وباله، ووقف مده بين الشباب، ومواجهة الخطر المضاعف على الأمة الإسلامية فى هذه المرحلة الحرجة، حيث اجتمعت على الإسلام المسلمين عداوة فى الخارج، تسخر آلياتها السياسية والإعلامية لتشويه صورتنا لدى الآخر واستعدائه علينا على خلفية أعمال غير مسئولة، من قلة تنتمى إلينا، وهى بعيدة كل البعد عن صحيح منهجنا، ولاتزال الأمة الإسلامية تدفع ثمنا فادحا جراء أحداث الحادى عشر من سبتمبر، ومع كل إرهاب جديد نخسر المزيد. وقال أمير مكة.. فى عالم السماوات المفتوحة، وما تتدفق به تقنيات الاتصالات المتجددة، لايستطيع أحد ولا من صالحه ـ أن يتقوقع على نفسه، منعزلاً عما يجرى فى العالم حوله. والأمة الإسلامية لا يجب أن تغيب عن مشهد المعاصرة، بل عليها أن تستأنف دورها ـ مجدداً ـ فى صنع الحضارة الإنسانية، وهذا يقتضى المزيد من الاهتمام بالتنمية البشرية، والانطلاق بتعليم شبابنا إلى آفاق العصر وعلومه وتقنياته، جنبا إلى جنب مع اهتمامنا بعلومنا الشرعية، والتمسك بدستورنا الاسلامى فى الكتاب والسنة.

ولا يعيبنا أن نأخذ، ونطبق، ونطور من علوم الآخر وتقنياته، وما يوافق منهج الوسطية فى الإسلام، ونرفض ما دون ذلك، بل العيب أن نظل هكذا، لانبادر ولا نقبل المبادرة.

وواصل المؤتمر جلساته وطرحت عدة توصيات نرجوا أن نتمكن من العودة إليها مجدداً حيث أن تفعيلها يعطى أملاً كبيراً فى حل واحدة من أهم المشكلات التى تواجه مجتمعاتنا الإسلامية.. وهى مشكلة الشباب.

قراءة فى كتاب



للأستاذ / عادل خفاجة

الجنة.. ذلك الفوز العظيم

الجنة.. حلم كل المؤمنين بالآخرة والبعث والحساب.

وهى مكافأة الله لكل من أطاعه.. والتزم أمره ونهيه.. وهى حرام على من أشرك به سبحانه وتعالى.

وقد وردت صور من نعيم الجنة فى الذكر الحكيم، ففي الجنة: آنية من فضة - وقوارير من فضة - وثياب سندس - وأساور من ذهب - وغرفا تجرى من تحتها الأنهار - وفاكهة ونخل ورمان - ولبن - وعسل - وخمر - وماء غير آسن.. والسؤال الذى يتبادر إلى الذهن: هل هذه الأشياء على صورتها التى نراها فى الدنيا؟

وترد الإجابة فيما رواه أبو هريرة - رضى الله عنه - عن النبى - ﷺ - حيث قال: «قال الله تعالى: أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[1]».

ويرد سؤال آخر:

لماذا ورد ذكر هذه الأمثلة فى القرآن مادام الموجود فى الجنة أشياء لم تخطر على قلب البشر؟

هذا السؤال يجيب عنه فضيلة الأستاذ الدكتور على أحمد الخطيب فى معرض حديثه عن الجنة فى هذا الكتاب الذى نقدمه للقارئ:

«الجنة ونساء مبشرات بها»

---

(1) صحيح البخارى

مؤلف الكتاب

رجل امتلأ قلبه بحب الوطن «مصرنا العزيزة».

فدعاه هذا الحب أن يقول: «مصر العزيزة، جزى الله - تعالى - خيرا كل من أحسن إليها»

«ولا نال خيرا قط كل من طعنها بسوء نال من خيراتها وأبنائها»

«فإنها مصر التى لم تسء حتى إلى أعدائها»

«فلا نال خيرا من قصفها، فانتقص منها»

● ودعاه حبه للجنة أن يؤلف هذا الكتاب.

إنه صاحب الفضيلة الدكتور على أحمد الخطيب رئيس تحرير مجلة الأزهر الأسبق - متعه الله بالصحة والعافية.

له العديد من المؤلفات نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

● عمر بن الخطاب - حياته وعلمه وأدبه.

● تراثنا المخطوط من التأليف إلى الوراقة

● أقضية النبى ﷺ.

● الجوار... هدية مجلة الأزهر صفر ١٤١٥هـ

● الشرك فى العقيدة الجاهلية (دار اللواء للطباعة ١٤٢١هـ).

● الصيام

● الورع

بالإضافة إلى العديد من المقالات التى تناول فيها الكثير من القضايا الإسلامية واللغوية والتاريخية.



د. على الخطيب

هذا الكتاب

«الجنة ونساء مبشرات بها» صدر عن دار اللواء للطباعة فى طبعته الأولى عام ٢٠٠٩، ويقع فى ثلاثمائة وثمان وأربعين صفحة من القطع ١٧ × ٢٤سم.

وقد اشتمل الكتاب من حيث مادته على ثلاثة أبواب هى: (الجنة - نساء مرشحات للجنة - نساء مبشرات بها).

وقد التزم المؤلف أموراً ثلاثة فى كتابه هذا:

أ- ألا يكتب فى هذا الكتاب إلا ما كان مستمداً من كتاب الله تعالى.

ب- ثم ما جاء فى صحيح السنة الشريفة خاصاً به.

جـ- شروح الأئمة من المفسرين والمحدثين فى أمر الآية الكريمة والحديث الشريف.

الجنـــة

تناول المؤلف فى هذا الباب العديد من النقاط المتعلقة بالجنة منها: وصف نساء

الجنة – ذكر لمعارج التقوى البشارات الجامعة – ... الخ.

وفي هذا الباب يذكر أن قوام أمر التقوى في خمسة أشياء وهي التي ذكرها المولى – عز وجل –في مطلع سورة البقرة، فإذا فرغ من شرح هذه الدعائم الخمس للتقوى تكلم عن ثمارها الكريمة في النفس.

ثم يقول:

«وإذا كانت التقوى – بمنزلتها العلية لا تصنع عصمة، فإنها دائماً أبداً لا تنسي الإنسان – رجلا كان أو امرأة – ربه، إنها تعلق قلب المؤمن والمؤمنة بالله – عز وجل.

وحسب المؤمن – ابتداء – أنهما لا يتعمدان الإثم ولا يسعيان إليه، فإذا هو غلبهما أسرعت تقواهما بالتصحيح.

فهما يستغفران الله – الغفور الرحيم – بإخلاص شديد ويتوبان إليه عازمين على مجانبة هذا الإثم أبداً. نادمين على ما كان، فالندم توبة.

والتأسف والاعتذار لمن أساءا إليه، وذلك أدنى رد لحقه الأدبي عليهما، وردّ حقه المادي – كذلك إليه كما أوصى الشارع به.

وهكذا يعود المسيء إلى تقواه سليماً كريماً، وتعود إلى تقواها على خير ما تكون، وفي الحديث الشريف:–

«التائب من الذنب كمن لا ذنب له».

ثم يتناول المؤلف تحت عنوان: «المبعدون والمبعدات عن الجنة» أصنافا ممن أساءوا إلى أنفسهم وإلى أهليهم وإلى أوطانهم فاستحقوا الإبعاد عن الجنة.

ويفرد المؤلف فصلا لبشائر الإيمان، ويتناولها بشارة بشارة حتى الجنة.

ويتقدمها بالبشارة الجامعة تلك البشارة التي وردت في قول الحق تبارك وتعالى:

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

البقرة/ ٢٥

وأن هذه الآية جامعة لعناصر هذا الكتاب، إذ يقول: هذه الآية الكريمة جامعة لعناصر هذا المؤلف كله، فقد اشتملت: على البشائر، وأهلها ومضمونها من: جنان وأنهار ورزق من طعام وشراب ومتاع مع زوجات مطهرات أبداً، إلى نعيم خالد لا يزول، ورزق مما يشتهون – رجالا ونساء – على نعيم لا يزول، وشباب لا يحول، وبهجة دائمة، ومتعة كاملة.

ثم يواصل المؤلف عرضه لعدد من البشارات حتى يصل إلى بشارة العبور إلى الجنة، فإذا اكتمل له ما أراد يقول:

قد علمنا – بتفصيل: كيف تلازم رحمة الله – عز وجل – عباده: مؤمنين ومؤمنات في أولى منازلهم بالآخرة، وما للعبادات وسائر الأعمال الصالحة من صيانة لهم ولهن تذهب عنهم الوحشة والكرب، ولما كانت المؤمنة أكثر عرضة للأذى وجه الله تعالى إليها آداباً تحميها:

قال تعالى: – مخاطباً رسول الله ﷺ من أجلهن:

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

(النور: ٣١)

ثم يعقد المؤلف فصلا للحديث عن الجنة تحت عنوان «في الجنة» يتحدث فيه عن مساكن الجنة، وبيوتها، وخيامها، وسورها وأبوابها، ومياهها، وأنهارها، ودرجاتها، والكوثر وحوضه، وسدرة المنتهى... الخ.

ومن أطرف ما أورده قوله:

«حتى إذا كانوا – جميعاً – يداخلها سعي كل منهم: رجلا كان أو امرأة إلى مكانه فيها لا يرشده إليه أحد، فقد ألهم الله – تعالى – أهل الجنة معرفة أماكنهم فيها».

وفي التنزيل العزيز:

﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾

(محمد: ٥، ٦)

وفي الحديث الصحيح عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ «يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيُقص لبعضهم من بعض مظالم كانت في الدنيا حتى إذا هُذّبوا ونقُّوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا».[٢]

وتحت عنوان درجات الجنة المائة، وبعد أن بيّن ما بين كل درجة وأخرى، وأن عددها لا يعلمه إلا الله تعالى.. يقول:

فلاشك ان الإخلاص، وسلامة القلب، وكف النفس عن الأذى قولا – أو – فعلاً، والانخراط في خشية الله – عز وجل – والتماس مرضاته، والحرص عليها والنصرة لدينه.. كل ذلك من آيات

(٢) صحيح البخاري (١٠/١٧٧).

الإحسان التى تحبب المؤمنين والمؤمنات لله - عز وجل - فتهديهم الدرجات العلا، فهم - فى مساكنهم من جنات النعيم «بحسب درجاتهم فى الفضل حتى إن أهل الدرجات العلا ليراهم من هو أسفل منهم كالنجوم»(٣).

قال رسول الله ﷺ:

«إن أهل الجنة ليتراءون الغرف فى الجنة كما تتراءون الكواكب فى السماء»(٤).

ثم هذه الدرجات ليست هى كل شيء: أى أن هناك منازل ودرجات غيرها أعدها الله - تعالى - لأصحابها، يقول ابن حجر فى شرحه لعبارة (... مائة درجة):

ليس فى سياقه (يعنى سياق هذا الحديث الذى ذكر الدرجات المائة) التصريح بأن العدد المذكور هو جميع درج الجنة من غير زيادة، إذ ليس فيه ما ينفيها، ويؤيد ذلك ... حديث أبى سعيد ... الذى أخرجه أبوداود وصححه الترمذى، وابن حبان: «ويقال لصاحب القرآن: اقرأ ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها».

قال: وعدد آى القرآن أكثر من ستة آلاف ...)(٥).

ثم يذكر من أنهار الجنة ماشاء الله له أن يذكر ثم يقول:

تلكم أنهار الجنة التى أتاح المولى - عز وجل - لى أن أدرسها، وأن ألم بها فى المراجع الأساسية الصحيحة، ويبدو لى أنها ليست كل شئ، وأن من الأنهار مالم يتيسر لى معرفته - بعد مع ملاحظة تفرع هذه - أيضا - وتشققها إلى فروع كثيرة حتى يتولد منها الترع والجداول، لتموج الجنة بالزلال.

ثم يتحول الى عيونها الجارية والنضاخة، فيقول بعد أن قدم لقوله بذكر أصحاب اليمين:

وإنما عنينا بذكر جنان المقربين وأصحاب اليمين - فى هذا المقام - لموقع ذكر «العيون» فبكل جنة من جنتى «المقربين والمقربات» عين جارية تمدهم بما يحبون من شراب - والله أعلم، قال - تعالى -:

﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾

(الرحمن: ٥٠)

وبكل جنة من جنتى «أصحاب اليمين» عين نضاخة، أى فوارة دائما، قال تعالى:

﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾

(الرحمن: ٦٦)

وشاهد هذه الآيات الشريفة دلالتها على كثرة العيون كثرة لا يحصيها إلا الله العليم

(٣) ابن حجر/ فتح البارى ٦/ ٣٢٤

(٤) صحيح البخارى ١٠/ ٦٨٣

(٥) ابن حجر/ فتح البارى ١٣/ ٣٤٩

- وحده - بالمقربين وأصحاب اليمين، أحصاهم ربنا وعدهم عدا.

وهو قبل هذا كله يحتاط للقارئ بأن ما يقدمه ماهو إلا صورة تقريبية بقدر ماتسعف ألفاظ اللغة، إذ الحاكم فى هذا قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

السجدة / ١٧

لذلك نراه يحتاط قائلا:

«ليس فى الجنة شئ يشبه مافى دنيانا إلا الأسماء» فهى مكنونة عنا.

إذا لاسبيل لك، ولاسبيل لك لرفع «الستار» عنها، وليس لنا من حديث بشأنها إلا عن قول كريم جاء فى كتاب الله - تعالى - أو على لسان رسوله الكريم فأما ماعدا ذلك فهو خلف هذا الستار مفاجأة للمؤمنين والمؤمنات.

وتظل جنة الله - تعالى - قائمة بباطن العرش، لأن سقفها عرش الرحمن، فإذا جاء اليوم الموعود امتد الصراط إليها، وفتحت أبوابها لساكنيها المطيبين والمطيبات:

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ۝ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾

(الزمر ٧٣ - ٧٤)

ويزيد المؤلف تأكيده للقارئ ويفرغ مافى وسعه حتى يصل المعنى للقارئ نقيا رائقا صافيا لاتشوبه شوائب من صفات الدنيا فصفات الجنة شئ والجنة شئ آخر، لذلك نراه يقول:

هذا «التكوين» يملى علينا حق الجنة فى ملاحظات.

أولاها: أن ماقدمناه فى تصويرها ليس هو - حتما - نفس الشئ، إنما هو القدر الذى استقيناه من حديث الكتاب العزيز والسنة المطهرة عنها، وهو القدر الذى يمكن أن يستوعبه الذهن البشرى، وبخاصة ذهن المؤمن والمؤمنة، فإن لديهما من الايمان بالغيب مايفقهان به نصوص هذا التكوين، ويعلمان منه أنه تصوير استيعابى، وليس هو التصوير الكامل.

ثانيتها: أن لهوائها تكوينا خاصا يخلو تماما من عناصر تؤثر كيماويا على لمعان الذهب والفضة، فتعلوها بكدرة تطمس لمعانها فيحتاجان - من وقت لآخر إلى ضرورة جلائهما.. فليس كذلك هواء الجنة، لذا يبقى ذهبها وفضتها على صفاتهما الأصيل مشربا بنور العرش فيضاعفهما لألأة وضياء.

ثالثتها: خلوها التام من مصادر الخبث، فصارت عطرا خالصا.

(يتبع)

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم

أحمد السيد تقى الدين

تهامى ووديع!!

أخيراً فهمتنى يا وديع !!

جملة أصبحنا نسمعها كثيراً .. تتردد على ألسنة الكبار والصغار.

جملة تحمل ثناء وإطراء على «وديع» الذى فهم أخيراً، ويبدو أنه استغرق وقتاً طويلاً حتى يفهم، بل ويحسن الفهم للدرجة التى استحق عليها الثناء.

فما هى قصة وديع ؟!

مشهد تبثه إحدى الفضائيات بصورة يومية تقريباً لحوار يدور بين شخصيتين: الأولى شخصية وديع التى يبدو من الحوار أنها تمثل شخصية المخرج الذى يدخل مكتباً شديد الفخامة حيث يجلس شخص يبدو عليه «الأهمية» واسمه «تهامى» ويمثل شخصية منتج سينمائى.

وديع يقدم لتهامى قصة فيلم سيقوم بإخراجه ويدخل أبطال الفيلم المقترح من بينهم فتاة على درجة عالية من الجمال.. وإذا بها وبلا داعى تخلع ملابسها تماماً أمام تهامى الذى ينبهر بها ويصرخ قائلاً: «أخيراً فهمتنى يا وديع» فيرد وديع قائلاً «تلميذك يا باشا».

المشهد المثير جداً تظهر فيه الممثلة عارية أو شبه عارية لأن نسبة العرى لا تقل فيها بحال عن ٥٠٪ من جسدها !!

المشهد المثير جداً لم تقدمه الفضائية مرة واحدة بل قدمته مرات ومرات ولازالت تقدمه هذا المشهد.

ما هى القيمة الفنية التى يقدمها هذا المشهد الفج الذى يسيئ أبلغ إساءة لصناعة السينما المصرية.

هذا المشهد يجعل السينما المصرية تبدو كما لو كانت سينما غرائز.

هذا المشهد يسيء كذلك للمشاهد المصرى والعربى على حد سواء لأن المشاهد لن يكون إلا واحداً منهما !!

ترى ما هو موقف المشتغلين بالسينما من مثل هذا المشهد الذى يرى فيه الكثيرون أنه ترجمة لواقع العمل السينمائى ودور المرأة فيه؟!

المشاهد المصرى والعربى لو أراد مشاهدة الجنس والإثارة يستطيع الوصول إليها بسهولة عبر المحطات الأوروبية فضلاً عن المواقع الإباحية على شبكة الإنترنت.

المشاهد المصرى والعربى عندما يتابع الفضائيات العربية يلتمس أولاً وأخيراً ترفيهاً محترماً يحصل عليه وهو جالس فى منزله مع أسرته ولو أراد الإباحية فما أسهل الوصول إليها عبر الأقمار الصناعية.

يا أهل الفضائيات احترموا المشاهد وتعاملوا معه على اعتبار أنه شخص محترم..

احترموا تقاليدنا وقيمنا.. احترموا إسلامنا.

أحمد تقى الدين

وإلى رسائل القراء

التاريخ الهجرى.. لماذا؟!

تحت هذا العنوان جاءت كلمة الشيخ/ مصطفى الأزهرى - إمام وخطيب مسجد سوق الحمام، السيدة عائشة - القاهرة:

كان ملهما عظيما في تقديره لشئون الأمة سباقا لرؤية الأحداث بما اختصه الله تعالى من بصيرة مصطفاة، ذلك هو الفارق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد اختار الهجرة النبوية لتحسب عليها الأمة تاريخ حياتها وزمان أيامها، برغم أن مسيرة الأمة ـ منذ أشرقت شمس الإسلام ـ مفعمة بالأحداث الضخام التي كونت ملامحها وخصصت شخصيتها فحصلت على أعلى مقام ونالت أعظم شهادة ربانية نالتها أمة في تاريخها إذ قال الله عن أمتنا:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

(آل عمران: ١١٠)

فهجرة المصطفى حدث وحديث وسيرة ومسيرة، وأساس وبناء لكيان ليس في حياة البشر أروع منه، ذلك لأن محمدا ﷺ حول الخيال إلى حقيقة، والحلم إلى واقع، وغرس في دنيا الناس شجرة اجتماعية ودولة ربانية أصلها ثابت وفرعها في السماء، إن اختيار الفاروق - رضي الله عنه - للتأريخ لأزمنة المسلمين بالهجرة وهو ترسيخ لفكرة ضخ الذكرى في حياة الأمة أيامها وشهورها وزمانها وليكون في مقابل السنة الميلادية، سنة هجرية تعيش مع المسلمين أيامهم وأجيالهم، مذكرة إياهم بما بذله محمد رسول الله والذين معه من أجل أن تترسخ عقيدة التوحيد ليس في القلوب والعقول وحدها بل وليكون هناك مجتمع يمارس التوحيد دينا ودنيا شريعة ومعاملات بذلا وجهادا حبا لله ورسوله ودينه، تحت راية أخوة فريدة لم تعرف الدنيا مثيلا لها ربطها الإسلام برباط الحب واصفا المهاجرين والأنصار بقوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(الحشر: ٩)

إن أمتنا في حاجة إلى تجديد الشعور بقيمة هذا الدين الحنيف من خلال إعادة النظر والتأمل والتحليل لهذا الحدث الضخم ليس من منظور قصصي يداعب شوق النفس دون أن يوقظ العقل ويبعث في النفس همة نحو هجرة جديدة تناسب وقتنا الحاضر وواقعنا المعاصر تحتاج منا إلى جهاد في كل ميادين الحياة باسم الله وعلى بركة الله وبأعظم ما يكون الأخذ بالأسباب متمثلين قول حبيبنا المصطفى ﷺ. «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية» رواه البخاري.

الأبناء وتوجيه الآباء

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ: السيد حسين العزازى ـ وكيل وزارة بالكهرباء والطاقة سابقا:

بر الوالدين وعدم عقوقهما من أوجب الواجبات التي حملتها الشرائع السماوية والأعراف البشرية منذ وطأ الإنسان الأرض وإلى أن يرثها الله.

ويتمثل البر في مشاعر وسلوكيات وقواعد يجملها العطف والتراحم والحب والتواصل ولزوم الطاعة ما اقترنت بالسديد وامتزجت بالرشيد وحفلت بالحرص والتماس الأمن والاستقرار للأسرة في عمومها وللأبناء في خصوصهم.

ومع انتشار وسائل الحضارة المادية من يسر في الاتصال والانتقال والحصول على المعلومات بدأ دور الأسرة نسبيا في التراجع أو على الأقل فقد حاكميته المنبثقة عن مباشرة التربية ومتابعتها على امتداد مراحل الطفولة والصبا وحتى مشارف الشباب. وقد نجم عن هذا ضعف العلاقات الأسرية بخفوت دور «الوالدية» وعلى وجه الخصوص في المستويات التي تتسم بانشغال الأب وكذا الأم وعدم ملازمة أو ملاحظة سلوك الأبناء وتصرفاتهم، وعدم توجيههم بالقدر الكافي في المراحل الحرجة خاصة ومرحلة المراهقة للبنين والبنات على السواء بما رتب طيشا وانفلاتا وتصرفات خاطئة لعدم تشبع الأبناء بالسلوك القويم والنهج المستقيم والتوجيه الإيجابي الذي يكرسه الوالدين حيال أبنائهم ولا سواهما في هذا السياق يماثلهما أو يتفوق عليهما وهو ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾

والمعنى ليس حصراً على التغذية بل والتربية بكل ما تحمله من إعداد وتأهيل وبث للفضائل والخشوع في العبادات والشفافية في المعاملات.

ولعل العرب عندما طرحوا على الرسول ﷺ استفسارهم «من أدبك يا رسول الله»؟

فكان رده الجميل والجليل «أدبني ربي فأحسن تأديبي» وتلك إشارة للتميز على مستوى التربية العادية التي ينهض بها الوالدين للأبناء من تعليم وتقويم..

وما دمنا جعلنا العنوان «الأبناء وتوجيه الآباء» فإن القصد لا ينصرف على الآباء وحدهم، بل يمتد للأبناء إذ هم مطالبون برد الجميل للآباء من خلال التحلي بمكارم الأخلاق وحميد الخصال وأدب الحوار وتبادل وجهات النظر على نحو موضوعي وفي إطار أخلاقي لا يخل بالمكانة ولا يمس المقام.. وتجدر الإشارة إلى أن الخطأ أو الانحراف بكل أشكاله ومجالاته يتسلل عبر كل المستويات ولا يتوقف على الأبناء دون الآباء لذا وجب التوجيه والتنوية ممن يهمه الأمر أبا حانيا أو ابنا بارا.

وكلنا يستحضر نصح الخليل ابراهيم عليه السلام لأبيه «آزر» وتحذير نوح عليه السلام لأبنه وتوجيه لقمان الحكيم لأبنه وبمعنى تبادل مواقف التوجيه للأفضل والأصوب سواء من الآباء لأبنائهم أو من الأبناء لأبائهم.

وفي مجتمعاتنا المعاصرة حيث تعرضت الأواصر

العائلية للاهتزاز صار من الواجب أن يبدى كل طرف بالأسرة اهتمامه بالآخر بطرح المفيد بلا حجب أو تقييد وأن يكون القصد إصلاح ذات البين وتهيئة مناخ هادئ للتعايش والتفاهم واحتواء المشاكل بلا استعلاء أو مكابرة بل بالتواضع والثقة، فلا يشعر احد بقسوة العتاب أو يضيق بالحساب إذ الجميع أحباب.. وعلى الأبناء تزويد الآباء بما يتاح لهم من فكر وثقافة وألا يستكثروا عليهم المشاركة باعتبارهم «دقة قديمة» كما يشاع ويذاع وفى الدول المتحضرة والبيئة المستنيرة يرتقى الابن إلى مستوى الصديق وفى المأثور «إن كبر ابنك آخيه» ليسود نمط من الارتقاء التشاورى، والآباء الأذكياء يعرضون أفكارهم على الأبناء ويسألونهم المشورة أو البحث عن بدائل.

إن «أنسنة» التربية بمعنى إخضاعها للبعد الإنسانى يقتضى التراحم كمدخل للتلاحم وانجذاب كل طرف للآخر عن مودة يبديها ومصلحة يبغيها ومحبة يبقيها.

وإذا كانت بعض منجزات العصر من الاختراعات كالتليفون النقال والدش والنت قد استتبعها الاكتفاء بهذه الوسائل كمصدر للتواصل وما رافقه من انطواء وانزواء، فإن التخاطب الأسرى يظل الأقوى والأبقى لأنه ينفذ إلى القلب ويضع بالوفاء حصوناً من الأمن والإيمان الذى يعصم الإنسان من الزلل والاغتراب.

وكما يصلح الأب أبنائه فإن الإبن بدوره مطالب بتفصيل فكره فيما ينفع ويرفع مع ملاحظة حساسية التصرف مع الوالدين فيكون الطرح إبداء وليس إملاء وبالتعاون تقوى الأسرة وينشط المجتمع ويتحقق رضا الآباء وتوفيق الأبناء.. والله المستعان.

استغلال المواهب

وتحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ/ محمد عباس محمد عرابى:

إن المتأمل فى سيرة الرسول «ﷺ» يجد أنه كان حريصا على استغلال المواهب وتوجيه القدرات والاستفادة من العقول التى استنارت بنور الإيمان وذلك بجعل الرجل المناسب فى المكان المناسب.

لقد أتى عليه الصلاة والسلام إلى الخامات من أصحابه فعرف قدراتهم وعرف استعداداتهم فوجههم الوجهة الصحيحة التى ينتج فيها أصحابها أتى إلى أبى بكر فإذا أبو بكر رجل ريادة وسيادة وإدارة فجعله خليفة من بعده رجل الساعة بعد موته «ﷺ». ولأن أبا بكر رجل سياسة نظر إلى عمر فإذا هو عملاق قوى فأوكل إليه مهمة تدوين الدواوين وتجنيد الجنود وتجييش الجيوش.

ومعاذ «أعلمكم بالحلال والحرام».

إن الرجل المناسب الذى يصلح الله به الحال يجب أن يكون مناسباً فى حاله وفى مقامه الخطيب خطيباً، والمهندس مهندسا والطبيب طبيباً لا تقل للطبيب كن واعظا ولا للواعظ كن مهندساً ولا للمفتى كن طبيبا.

أنباء مكتب الإمام الأكبر

للأستاذ/ أحمد ابراهيم توفيق
مدير عام الاعلام بمكتب الامام الأكبر

أرسل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر الشريف برقية تهنئة للسيد الرئيس/ محمد حسنى مبارك - رئيس جمهورية مصر العربية بمناسبة حلول عيد الأضحى المبارك هذا نصها:



فخامة الرئيس/ محمد حسنى مبارك
رئيس الجمهورية
حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

وبعد

فبمناسبة حلول عيد الأضحى المبارك أتقدم لسيادتكم بخالص التهنئة القلبية وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يعيد على سيادتكم أمثال هذه الأيام المباركة بالخير والبركات، وأن ينعم عليكم بموفور الصحة والعافية كما أدعوه سبحانه وتعالى أن ينعم على مصرنا الحبيبة بمزيد من الأمن والأمان تحت ظل قيادتكم الحكيمة، وأن يمتعكم بالصحة والعافية أنه سميع مجيب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

شيخ الأزهر الشريف
أ.د/ محمد سيد طنطاوى

الأزهر يستنكر حظر المآذن فى سويسرا



الإمام الأكبر خلال استقباله لسفير سويسرا

تزايدت موجة الاحتجاج والغضب ضد نتيجة الاستفتاء على قرار حظر بناء المساجد في سويسرا.. وصف فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الاستفتاء على قرار حظر بناء مآذن للمساجد في سويسرا بأنه يؤذى مشاعر المسلمين، وقال خلال لقائه بالسفير السويسرى بالقاهرة دومينيك فيرجلير بحضور الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف، والأستاذ الدكتور على جمعة مفتى الجمهورية: إن الاستفتاء ضد حرية الأديان يعطى حجة للتشدد ويشجع المتطرفين.

هذا وقد أعربت المؤسسة الدينية فى مصر ممثلة فى الأزهر الشريف وجامعته، ووزارة الأوقاف ودار الإفتاء، عن استنكارها لحظر بناء المآذن فى سويسرا بناء على الاستفتاء الذى أجرى هناك فى ٢٩ / ١١ / ٢٠٠٩م، لأن هذا الحظر يؤدى إلى بذر بذور الكراهية والتمييز ضد المسلمين فى سويسرا، مع أن المسلمين المقيمين بسويسرا لم يصدر منهم أى تصرف يعكّر صفو العلاقات بينهم وبين المجتمع السويسرى، وهذا الحظر إذ لم يمكن تداركه، فسوف تكون له آثار سيئة للغاية لا نريدها جميعا.

الإمام الأكبر فى زيارة لمجمع البحوث الإسلامية



فى لفته أبوية اعتادها العاملون بمجمع البحوث الإسلامية قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى بتهنئة العاملين بمجمع البحوث الإسلامية بعيد الأضحى المبارك أثناء زيارته للمجمع والتى صحبه فيها فضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبدالعزيز واصل وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ إبراهيم عبدالعال رئيس قطاع المعاهد الأزهرية وفضيلة الشيخ محمد الخزرجى الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر.

توفيق عبدالعزيز وكيلاً للمعاهد الأزهرية لشئون المناطق

أصدر فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر قراراً بنقل الشيخ/ توفيق عبدالعزيز عبدالسلام رئيس الإدارة المركزية للامتحانات والطلاب والخريجين، لشغل وظيفة وكيل قطاع المعاهد لشئون المناطق بذات الدرجة ولصالح العمل كما وافق فضيلة الإمام الأكبر على سفر فضيلة الشيخ/ على عبدالباقى شحاتة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية إلى جمهورية كازاخستان الإسلامية لمدة أربعة أيام لحضور الجلسة التاسعة للأمانة العامة لمؤتمر زعماء الأديان التقليدية بمدينة أستانا بجمهورية كازاخستان.

أنباء مجمع البحوث الإسلامية

للأساتذين:
عبدالموجود أمين - يحيى سليمان

بيان مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

بشأن قرار حظر بناء مآذن المساجد فى سويسرا

إن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى جلسته المنعقدة اليوم الخميس ٢٣ من ذى الحجة ١٤٣٠هـ الموافق ١٠ من ديسمبر ٢٠٠٩، يستنكر قرار حظر بناء مآذن المساجد فى سويسرا ويدعو المسلمين فى سويسرا والبلاد الأوروبية إلى سلوك الطرق القانونية والسلمية لإلغاء هذا الحظر

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

على عبدالباقى شحاتة

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

يستقبل وزير الأوقاف والشئون الدينية بإقليم كردستان العراق

فى إطار تفعيل اتفاقية التعاون بين الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف والشئون الدينية بإقليم كردستان العراق، والموقعة فى يوليه سنة ٢٠٠٩، استقبل فضيلة الشيخ/ على عبدالباقى الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بمكتبه السيد/ كامل الحاج على وزير الأوقاف والشئون الدينية بإقليم كردستان العراق والوفد المرافق له والمكون من الدكتور/ بشير خليل الحداد رئيس لجنة الأوقاف والشئون الدينية ببرلمان كردستان والشيخ/ ماجد الحفيد الداعية الإسلامى والمشرف على الدورات التدريبية للأئمة والخطباء بالوزارة والشيخ/ حسن عمر حاجى مدير الدراسات العليا بالوزارة والشيخ/ حسن أمين محمد مدير المعهد الاسلامى بحلبجة والسيد/ محمد قادر محمد مدير مكتب الوزير.



رحب فضيلة الأمين العام بالوفد، معربا لهم عن سعادته بمثل هذه اللقاءات التى من شأنها تقريب وجهات النظر حول المسائل ذات الاهتمام المشترك، فضلا عن ترسيخ سبل التعاون وهذا ما يحرص الأزهر الشريف عليه.. بل ويبذل جهداً واضحا لتعزيز علاقاته مع المؤسسات الدينية فى أنحاء المعمورة.

وفى معرض حديثه عن دور الأزهر الشريف فى دعم المسيرة الإقليمية والدعوية مختلف دول العالم قال فضيلته: على الرغم من أن للأزهر الشريف رصيداً تاريخيا فى دعم المسيرة التعليمية والدعوية مختلف دول العالم، إلا أنه يسعى دائما لتطوير وتعزيز جهوده تجاه كل المؤسسات الدينية وصولاً إلى دعم العلاقات بما يحقق المصالح المشتركة.

وأضاف فضيلته: أن الأزهر وعلى الرغم من كل الجهود الكبيرة، لن يألوا جهداً فى تقديم كل أنواع الدعم الممكنة، بل يسعده تلبية احتياجات كل طالب انطلاقاً من حجم المكانة التاريخية التى يتبوأها

وأشاد فضيلته بعمق العلاقة التى تجمع بين الأزهر والشعب العراقى عامة والأكراد بصفة خاصة

وبدوره أشاد السيد/ كامل الحاج على وزير الأوقاف والشئون الدينية بحفاوة اللقاء مشيدا بدور الأزهر الشريف الهام والبارز فى سماء الأمة العربية والإسلامية.

وأضاف الوزير أن الأزهر الشريف بتاريخه المشرف فى المكان الذى يعجز سواه عن إدراكه فهو جزء بارز فى كيان المجتمع الإسلامى ولولاه لجف الأمل وانطفأ النور فى ميدان العلم والمعرفة الاسلامية.

واكد الوزير على أن الأزهر الشريف سيظل الحائط الصلد الذى تواجه به الأمة الإسلامية أدعياء الدين وهواة الفتن مؤكداً على أنه المظلة الواقية التى تحمى المجتمعات الإسلامية من الغلو

والتشدد، وأضاف الوزير أن حكومة كردستان العراق تنظر إلى الأزهر الشريف على أنه المنسق العام والرائد لكل المؤسسات والمجامع والأكاديميات والجامعات والرابطات الدينية في عالمنا الاسلامي.. ولذلك جئنا للأزهر من أجل تربية أبنائنا وتعليم شيوخنا في ذلكم المعهد التليد.

وفي نهاية اللقاء قام فضيلة الأمين العام بتسليم الوفد عدد مائة نسخة من المواد الدراسية لطلاب الصف الأول الإعدادي والصف الثاني الإعدادي بمعهد الأزهر في أربيل بكردستان والذي تم إخضاعه للإشراف الفني للأزهر الشريف بموجب الاتفاق الذي تضمنته اتفاقية التعاون.

حضر اللقاء الأستاذ/ اسماعيل أحمد أبوالهيتم مدير المركز الصحفي بمكتب الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية.

قضايا ثقافية

صدر عن سلسلة مجمع البحوث الإسلامية كتاب «قضايا ثقافية» للأستاذ الدكتور/ السيد محمد الديب تناول فيه المؤلف بعض القضايا التي تغيب عن القارئ العام دون الخاص من خلال تجربته مع الحياة الثقافية فتحدث عن العولمة والهوية الثقافية، وأن العولمة دعوة إلى توحيد النظام العالمي وتقريب وجهات النظر المختلفة بين الدول في الاقتصاد والثقافة والإعلام وأن آثار العولمة تنعكس على هذه النظم إلى جانب العقائد والأديان وأن العالم ينقسم إلى تيار رافض وآخر معجب وبينهما تيار الوسط فلا يعادي الحضاري الغربية ولكن يأخذ منها ما يتلاءم معه ويستجيب للحوار ثم أوضح الهوية الثقافية في ضوء ذلك وما تعانيه من دعوات لا مبرر لها



مثل المناداة باستعمال اللهجات العامية والكتابة بلا إعراب..

ويدعو الكاتب إلى الأخذ بما هو صالح ورفض ما يهدد هويتنا الثقافية وخاصة مايتعلق بالدين والفقه والعادات والمبادئ واحترام الآخرين.

ثم تناول المؤلف بعض القضايا الأخرى التي دونها في كتابه مثل «المرأة والقيم الدينية» «محو الأمية وتعليم الكبيرات»، «المنهج الإسلامي في تربية الأبناء» «دور الإعلام في خدمة المجتمع» «مظاهر الفرقة والخلاف بين المسلمين» إلى غيرها من الموضوعات

والكتاب في مجمله يستفيد منه العامة قبل الخاصة لما فيه من معالجة تلك الموضوعات التي تناولها المؤلف بأسلوب سهل ميسر.

صرح بذلك فضيلة الشيخ/ عبدالرحمن العسيلي مدير عام الإدارة العامة للمطبوعات



استنكار عالمي لاستفتاء حظر المآذن في سويسرا

تزايدت موجة الاحتجاج والغضب ضد نتيجة الاستفتاء على قرار حظر بناء المساجد في سويسرا.. وصف فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الاستفتاء على قرار حظر بناء مآذن للمساجد في سويسرا بأنه يؤذي مشاعر المسلمين، وقال خلال لقائه بالسفير السويسري بالقاهرة دومينيك فيرجلير بحضور الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف، والأستاذ الدكتور على جمعة مفتي الجمهورية: إن الاستفتاء ضد حرية الأديان يعطي حجة للتشدد ويشجع المتطرفين.

من جانبها أعربت المقررة الخاصة للأمم المتحدة بحرية الأديان والمعتقدات أسماء جهانقير عن أسفها لنتيجة الاستفتاء ووصفته بأنه يخالف القانون الدولي لحقوق الإنسان وتمييز ضد الإسلام والمسلمين.

كما استنكر المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة الذي يضم في عضويته ٨٠ منظمة عالمية نتيجة الاستفتاء ووصفه في بيان له بأنه هجوم غير مبرر على حرية الاعتقاد.

وقال البيان إن الاستفتاء يعمق مشاعر الكراهية والتمييز ضد الإسلام والمسلمين.

مسلمو أوروبا يطالبون الشعب السويسرى برفض قانون حظر المآذن

حذر اتحاد المنظمات الإسلامية فى أوروبا من أن ما يجرى من تحريض ضد المسلمين فى سويسرا من خلال الاستفتاء على حظر بناء المآذن فى المساجد، سيضر بصورة سويسرا «كبلد حاضن للتسامح والديمقراطية» أمام العالم أجمع لافتاً إلى أن هذا الاستفتاء إنما هو بداية لأجندة يقودها المتطرفون بهدف محو الوجود الإسلامى فى البلاد.

وطالب الاتحاد مكونات المجتمع السويسرى كافة بوقفة شجاعة لقطع الطريق أمام مناهضى الحرية وقيم الوفاق فى سويسرا الذين يقودون حملة تعبئة لتشجيع السويسريين على التصويت بنعم فى استفتاء شعبى يطالب بحظر المآذن استجابة لاقتراح قدمه حزب الشعب السويسرى اليمينى المتشدد فى إطار ما أسموه بمكافحة أسلمة أوروبا.

«هيلارى» ترشح مسلماً رئيساً للوكالة الأمريكية للتنمية الدولية

أعلنت «هيلارى كلينتون» وزيرة الخارجية الأمريكية ترشيح المسلم الهندى الأصل رجيف شاه لمنصب مدير الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية ويشغل شاه الذى لا يتجاوز عمره ٣٦ عاماً منصب وكيل وزارة الزراعة للأبحاث والتعليم والاقتصاد وكبير علماء الوزارة، حيث يدير منظومة يعمل بها أكثر من ١٠ آلاف موظف فيدرالى ويدير ميزانية تصل إلى ٢،٦ مليار دولار، ويعمل شاه عن كثب مع الكونجرس ووزارة الخارجية والبيت الأبيض ومجتمع التنمية الدولية وذلك فى مجالات تتراوح بين الصحة والتغذية والطاقة البيولوجية وتغير المناخ، وأشادت كلينتون بقدرات شاه الذى قالت: إنه قائد فى مجتمع التنمية ومدير مبدع ويفهم أهمية تزويد الناس فى مختلف أنحاء العالم بالأدوات التى يحتاجونها لكى ينتشلوا أنفسهم من براثن الفقر ويخطوا مصيرهم بأيديهم.

وقالت كلينتون: إنه باختيار الرئيس أوباما لشاه فإنه يؤكد أن التنمية ينبغى أن تكون مرتكزاً جوهرياً للسياسة الخارجية الأمريكية

وتخرّج شاه فى كلية الطب وعمل خبيراً اقتصادياً فى مجال الصحة ويتمتع بتاريخ من الإنجازات فى القطاعين العام والخاص والشراكة الأجنبية خاصة فى آسيا وأفريقيا وتطوير حلول خلاقة فى الصحة العالمية والزراعة والخدمات المالية للفقراء.

حاخام إسرائيلى يحرض الجنود على قتل العرب

ذكرت صحيفة «هاآرتس» الإسرائيلية أن حاخام الجيش الإسرائيلى افيشاوى رونسكي دعا جنود الاحتلال إلى عدم الرأفة بأعدائهم، مشيداً بتصرفاتهم خلال العدوان على قطاع غزة نهاية السنة الماضية.

كان الحاخام رونسكي، وهو برتبة جنرال، حذر قائلاً «الذين يبدون الرحمة بالعدو الذى لا يستحقها من أن اللعنة ستنزل بهم» وذلك أمام لقاء لمؤسسة تجمع بين الدراسات الدينية والخدمة العسكرية فى مستوطنة كارنى شمرون بالضفة الغربية المحتلة.

وأضاف- استناداً إلى الفيلسوف ميمونيد اليهودى من القرون الوسطى فى تعليقة على نص توراتى حول الحرب- أنه «فى زمن الحرب كل من لا يحارب بكل قلبه وروحه ملعون إذا أبعد سيفه عن الدماء».

وتابع «اشكروا الله أن شعب إسرائيل توحد مؤخراً حول الطريقة التى يجب أن يقاتل بها».

ومن آخر ما تم استحداثه فى ذلك الهجوم «على غزة» الطريقة التى قاتل بها جنودنا بقلوبهم وأرواحهم وبتجنيد إسرائيل كافة الوسائل لضمان الانتصار».

ترحيب إسلامى بحبس قاتل «شهيدة الحجاب» مدى الحياة

رحبت العديد من الأوساط الإسلامية داخل وخارج ألمانيا بالحكم الذى أصدرته محكمة دريسدن الألمانية بحبس قاتل الصيدلانية المصرية مروة الشربيني، المعروفة إعلامياً باسم شهيدة الحجاب فى ألمانيا مدى الحياة.

وأعرب المهندس على الشربيني والد مروة، عن ارتياحه بمنطوق الحكم الذى أصدرته

محكمة دريسدن الابتدائية فى ألمانيا بالسجن بحق قاتل مروة مدى الحياة، واعتبر أن القضاء الألمانى أعطى القاتل ما يستحقه وفقاً للقوانين المعمول بها هناك باعتباره أقصى حكم ممكن إصداره، لافتاً إلى أن الحكم يحقق فقط العدالة مع القاتل، وكانت محكمة دريسدن الابتدائية فى ألمانيا قد أصدرت حكما بالسجن مدى الحياة بحق قاتل مروة الشربينى، أليكس دبليو، ولن يفرج عن المتهم قبل مضى ١٥ عاماً جاء الحكم بعد إدانة المتهم المنحدر من أصول روسية، والذى وجه طعنات وحشية للشربينى، التى كانت حاملاً فى طفلها الثانى آنذاك، أودت بحياتها، ووقعت الجريمة أثناء نظر محكمة دريسدن الابتدائية قضية إساءة القاتل لضحيته بدافع كراهية الأجانب.

الشرطة الأمريكية تحقق فى الاعتداء على محجبة فى ولاية إلينوى

بدأت الشرطة الأمريكية تحقيقا بشأن حادث اعتداء سيدة أمريكية على مسلمة محجبة فى متجر وهو ثانى حادث هجوم يتعرض له مسلمون بأمريكا على خلفية قيام طبيب مسلم يدعى نضال مالك حسن مؤخرا بفتح النار على زملائه فى قاعدة فورت هود العسكرية.

وقالت المجنى عليها أمل أبوسمية: إن سيدة اقتربت منها أثناء تسوقها فى أحد المتاجر فى ضاحية بتلى بارك بمدينة شيكاغو فى ولاية الينوى وحاولت نزع حجابها صارخة فى وجهها بتعبير يزدرى الإسلام.

وأضافت أمل: كنت مرتبكة ومستاءة جدا مما حدث، لم يحدث لى شيء مثل هذا من قبل.

وقالت أمل: إنها تقدمت بشكوى للشرطة فى الينوى التى استدعتها لاحقا هى والسيدة المتهمة بالاعتداء عليها للتحقيق فى ملابسات الحادث مؤكدة انها لن تتنازل عن الشكوى، فحجابها رمز إسلامها وكرامتها.

من ناحيته علق أحمد رحاب المدير التنفيذى لمجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية - كير - فى شيكاغو على حادث الاعتداء قائلا: تعتقد أنه تطور مقلق جدا ومخيب للآمال.

أضاف رحاب: إن كير تنتقد وبشدة ظاهرة الإسلاموفوبيا ومعاداة السامية بالإضافة إلى الهجمات التي تقع على أساس العقيدة أو اللون أو العرق واصفا أمل بأنها ضحية جريمة كراهية.

إسرائيل تسن قانونا لمطالبة العرب بتعويضات مالية

وافق رئيس الوزراء الإسرائيلى بنامين نتنياهو على تقديم مشروع قانون يطالب الدول العربية بدفع تعويضات مادية ضخمة لليهود والعرب الذين هاجروا إلى إسرائيل خلال حقبة خمسينيات وستينيات القرن العشرين.

وقالت صحيفة معاريف العبرية: إن مشروع قانون مماثل وصل إلى الكونجرس الأمريكى بهدف اقراره فى الولايات المتحدة الأمريكية مما يتيح ليهود العالم استغلال المحاكم الأمريكية لرفع قضايا تعويضات ضد الدول العربية والحجز على الأرصدة العربية فى حالة رفض العرب دفع التعويضات التى تحكم بها المحاكم الأمريكية.

طرد محامية مسلمة من محكمة اسبانية لارتدائها الحجاب

قدمت محامية إسبانية شكوى ضد قاضى أمرها بمغادرة قاعة المحكمة لأنها كانت ترتدى حجابا إسلاميا.

وكانت زبيدة بريق الدين «٣٩ عاما» المغربية المولد تساعد زميلاتها فى محاكمة تتعلق بمعتقل إسلامى فى المحكمة الوطنية عندما قال لها القاضى خافيير جوميز برموديز: إنها لا يمكنها البقاء فى القاعة لانها ترتدى حجابا وأجابت بريق بانها حضرت محاكمات أخرى وهى ترتدى حجابا فأجابها القاضى «أنا من يعطى الأوامر هنا» وقدمت بريق شكوى متهمة جوميز برموديز بالتمييز والتعسف فى استعمال السلطة وأن القانون الأسبانى لا يمنع المحاميات من تغطية رءوسهن.

***

The Human Being and the Grace of Creation…!

By: Dr. Ahmad Foad Pacha

Allah granted us the grace of being human beings, who are created perfectly. He enabled the human being to understand his perfection and that of the animal. He was prepared to receive science and bearing the fidelity of being successors on earth, as Allah, Glory be to Him, wanted.

As for the miracle of the creation of the human being, the Noble Quran referred to it in many verses, one of which is the following verse:

{He knows you best, as He brought you into being from the earth, and as you were embryos in your mothers' bellies} [An-Najm (The Star): 32]

It is a speech directed to the whole humanity, assuring that the whole people were in the spinal column of Adam – may the peace of Allah be upon him - at the time of his creation.

Then, every person comes out of him till the Day of Judgment. This renders to many reasons, one of which is that his hereditary code – in our language nowadays – is derived from that of his father Adam – may the peace of Allah be upon him, who was created from the dust of earth. Another reason is that the fertilized sperm are derived from his parents, who are derived from Adam and earth. The third reason is that the embryo in all of the phases of his creation takes his nutrition from the blood of his mother and his food, which is taken from earth.

The human being and the incredible balance:

The human being is the creature that stands and walks upright and his head is raised on his body. His skeleton is built in this incredible balance. This position of the parts of the human body is regarded as a great grace. The skilful hands can respond to the sublime head in the form of unlimited movements. The position of the raised head along with the anatomy of the muscles of the face and the jaws help in improving the voice system and the freedom of the movement of the tongue with the movement of lips.

The human mind and his social spirit helped in the appearance and improvement of the human languages till it included all of the sciences, literature and philosophy. These languages express all of his opinions, dreams and ideas. The skillful hands completed the mission when they drew colors, composed great lyrics and recorded the whole languages by all of the means suitable to the civilization throughout ages and generations.

If we consider the cell, the constructional unit of the human body, whose volume and weight are very tiny, we will be amazed extremely at the exchange of Oxygen, food and different exhaust with the neighboring cells throughout the

paries, containing the cytoplasm. This material contains the sources of energy and proteins.

As for the nucleus of the cell, it holds the hereditary code that occupies only one in million per the cubic millimeter. However, if you untie it, it will reach two meters approximately, distributed over more than six billion molecules of the material. If the position of any atom becomes defective, the cell will be defective. This tiny cell can produce two thousand kinds of proteins continually.

Between Mind and Speaking:

The human mind is marked by its formation and a function, as one half of the brain is responsible for the mental functions such as consciousness, intelligence, appreciation, imagination and creativeness. In fact the brain shell in particular is responsible for these sublime functions; and its area is bigger than the area of the brain itself. Thus, it is full of convolutions.

Speaking, which Allah, Glory be to Him, taught the human being after his perfect creation has reasons and tools in the human body. There is the center of articulation in the brain, articulation systems exist in the lungs, windpipe with its bronchi, larynx, uvula, tongue, lips, jaws and teeth. They participate in articulation and speaking; the ears, nerves and brain translate the articulated words in meanings responded in affirmation or negation.

Al-Gahez wrote in his book "Speaking and Interpretation" that there is a link between the mind and speaking, as the human being is assigned to realize with his mind and articulate with his tongue. Allah gave the human being only this attribute. Thus, he should link them in the way that he should not speak with his tongue what he already realizes with his mind. Tongue is the means of expressing the ideas existing in the mind.

Allah, Glory be to Him, that taught Adam the whole names and let him articulate the ordered speech to be a means of communication among the human beings. Also, it is the way of expressing the sciences of the human being till the Day of Judgment. Allah, Glory be to Him, says:

{The All-Merciful. He taught the Quran. He created man. He has taught him distinct speech} [Ar-Rahman (The All-Merciful): 1-4]

Translated by: Eman Ali El-khateb.

Revised and edited by: Dr-Ibrahim Al-Assil

Drops from the Springs of Immigration…!

By: Dr. Muhammad Fathy Farag

It is not a coincidence that the title of this article comes in this way; as the spring that is full of water becomes a cause of life around it in different forms such as plant, animal and human being. Allah, Glory be to Him, says: {And of water We have made every living thing? [Al-Anbia (Prophets): 30]

In this manner, the immigration of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), despite the sacrifices accompanying it such as leaving families, homes and nation, was a great reason for flourishing the nation by enabling the Muslims to widespread of Islam in different sides of life. The prince of believers, Omar Ibn Al-Khattab (may Allah be pleased with him) was truthful in saying, "We are a nation that Allah cherished by Islam."

Immigration is as old as the human being, as he may immigrate for the sake of livelihood, escaping the cunning people and the oppressors or fearing over religion, honor, money or self. In this respect, a poet says, "There are places on earth that are far from hurt." Thus, the Noble Quran blames the people who are satisfied with oppression in a place where they suffer without moving. Allah, Glory be to Him, says: {Was not the earth of Allah wide so that you (could) have emigrated in it"?. [An-Nisaa (Women): 97]

In respect of urging for immigration under unsuitable circumstances, Allah, Glory be to Him, says:

{And whoever goes emigrates in the way of Allah will find in the earth many reinstatements and an affluence.} . [An-Nisaa (Women): 100]

Thus, immigration is a right granted by Allah, Glory be to Him, for his bondsmen to honor them. The people who set obstacles in its way by positive laws to limit it are narrowing an option and are standing in the way of something authorized by Allah to keep the dignity and freedom of His bondsmen.

Immigration established a nation

Ibn Abbas (may Allah be pleased with them) said that the reason for the immigration was that when Quraish knew that the advocators entered Islam and the Messenger's companions immigrated to them, they realized that Muhammad has many advocators and became a concerned person. They gathered in consultation house, which is the Qusay Ibn Kallab's house, as they used to consult with each other over every matter, to determine their resolution concerning Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him). After their meeting and consultation, they decided Abu Jahl's opinion, as he said, "I have an opinion." They said, 'what is it, Abu Al-Hakam? He said, 'I see that we should take a strong youth from every tribe and give each of them a strong sword, then they should beat him once at a time to kill him. If they did

so, his blood will be distributed over the tribes, and I do not think that Bani Hashim are able to fight all of Quraish. If we do so, they will be satisfied by his blood money. Sheikh An-Nagdy Iblis said, "This youth says the best opinion and I do not see any other opinion. Thus, they become separated taking this decision.

Jibril informed the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) with this decision. Allah, Glory be to Him, permitted to His Messenger to come out to Medina. Thus, he immigrated and Allah blinded them in a way that did not let anyone of them see him. Also, he dispersed dust over their heads, reciting the following verse which Allah, Glory be to Him, said: {And We have made before them a barrier and behind them a barrier, then We enveloped them, so they do not behold (the Truth).] [Yasin (Yasin): 9]

Then, the advocators came out to welcome the Prophet warmly (may the blessings and peace of Allah be upon him) and his companion Abu Bakr (may Allah be pleased with him), reciting song that remained throughout the centuries, till the end of this song, which is beautiful in meaning and structure. One of the forms of eternal fraternity between the immigrants and the advocators is the live fraternal interaction between them. Furthermore, the advocators preferred the immigrants more than themselves in many forms of life, and opened their doors for them. The immigrants were grateful and chaste towards the advocators. Also, they were ideal in depending upon themselves.

All of these noble examples carried good tidings of setting the bases of the Islamic nation on sublime human values, first of which is belief, mercy and cooperation for benevolence and piety. Thus, the first action the Prophet took in Medina is establishing a mosque, as it has a great position and important role in the life of the Muslims. Thus, Allah, Glory be to Him, describes them as "men" in His saying:

{Indeed a mosque that was founded on piety from the first day is worthier for you to rise up therein; and in it are men who love to purify themselves; and Allah loves the ones who keep themselves pure.} [At-Tawba (Repentance): 108]

The mosque is the place of worshipping and of gathering the Muslims for science, opinion and consultation. In general, they follow their life and religious affairs in the mosques, which are Islamic links and stronger than blood and flesh link.

There are many lessons derived from the immigration in different aspects of life such as the good preparation for it and considering reasons in addition to the courage that does not care about the cunning, the truthful resolution and dependence on Allah. Furthermore, it gives us lessons in keeping rights and deposits, in giving each one his right in spite of his oppression and in certainty in Allah's victory whatever the apparent reasons are.

Then, Allah facilitated the circumstances till His promise came true. The Messenger immigrated with his companion safely to Taiba. Then, There were remarkable events in the history of Da`wa, which I cannot claim that I will count. However, we cannot ignore them. Thus, we will meditate at some of them and extract lessons from it and discuss the signs of prophecy and Allah's protection to His believers.

`Aisha –the mother of faithfuls– may Allah be pleased with her- said, "When Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) reached Medina, there was an epidemic that spread there. His companions were afflicted by this epidemic, but the Messenger was not afflicted by it. Abu Bakr, Amer Ibn Fuhayra, Belal and others were afflicted by this epidemic. I told to Allah's Messenger what happened to them and he looked at the sky saying, "O Lord! Make us love Medina as we love Mecca or even more, and remove its epidemic. Lord! Bless our cities."

Then, Allah responded to His Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him). Then, all of the immigrants loved Medina and Abu Bakr, Belal and all of the companions recovered. Praise be to Allah".[2] This is not the whole matter; do you remember – and you should remember – fulfillment "Al-Qadaa'" Umrah? The Messenger circumambulated along with his companions around the Kaaba while people from Quraish were contemplating at them, hoping that the epidemic of Yathreb would weaken them to stop circumambulating.

However, Allah disappointed them and revealed to the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) their intention. Then, he told his companions, "May Allah have mercy upon a person revealing power today."Thus, trotting is imposed during the first three circumambulations. Do you know the meaning of trotting? It is a kind of walking that is slower than running and quicker than mere walking and reveals strutting. It reveals power and is not intended to be in a hurry but to reveal power. The scholars said that the rule ends with the end of its reason. Consequently, trotting in circumambulation ends with the end of its reason because its reason was showing power in front of the disbelievers. There are neither disbelievers nor epidemic in Medina anymore. My friend said, "What is your opinion concerning trotting between As-Safa and Al-Marwa? Is it still practiced?

I told my friend, "Consider what I said about the saying of the scholars. Is the reason for trotting between As-Safa and Al-Marwa still existent? He said, 'I do not know, but I know that both of them are trotting and have reasons. I said, 'Yes, both of them are trotting, but the reason is not the same, as the reason for trotting in circumambulation is showing power in front of the disbelievers; and there are no more disbelievers around the Kaaba. Thus, there is no reason for showing power. However, the cause of trotting in the case of Hajar, the mother of Ismail is her longing for water for the sake of her son. Then, Allah's promise to Prophet (may the peace of Allah be upon him) came true when he obeyed Allah's order:

{Our Lord, surely I have made (some) of my offspring to dwell in a valley that is not under cultivation at Your Inviolable Home} [Ibrahim (Ibraham): 37]

---

[2] Sahih Al-Bukhary

Thus, the wish of Hajar came true when she told Prophet Ibrahim (may the peace of Allah be upon him) upon leaving her at the Home, "Did Allah order you?" He said: yes. Then, she said, "He will not neglect us." All of these meanings are eternal and the Muslims are in dire need for remembering them and trusting Allah's promise to advocate the Muslims if they apply His Shari`a. Thus, the reason for trotting is eternal other than that of the circumambulation, as it ended with the end of its reason.

Fraternity

After my friend became at ease from what he heard, he asked me about the events that happened after the immigration of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) along with his friend.

I told my friend: There are many great events happened in Medina, and the Muslims should understand their goals and effects and tread in their steps. Contemplate at the fraternity that the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) created between the immigrants and the advocators.

This fraternity has never happened in the human history. No conqueror, whatever intelligent he is, thought of this great work, which was set by Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him). The effect of this fraternity was clear in the coherence of the members of the society. Thus, the value of altruism was planted in this growing society, and this value became an attribute in the Islamic society. This attribute should exist in the Islamic society, but it needs activation.

I told my friend: Do you know the meaning of altruism? Then, I added, "I think that you may regard its meaning that the rich should sympathize with the poor. But, this is not altruism in the Islamic respect, being planted by the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) in his nation. However, altruism in the respect of Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) is that the needy, who does not know how to fulfill his requirements, sees that his brother has more right in his possessions.

Then, I told my friend: I know that this sublime meaning cannot be realized by the material west that sink in greed, selfishness and aggression. Allah, all Extolment be to Him, revealed the meaning of altruism, which existed between the immigrants and the advocators. Allah, Glory be to Him, said:

{And (the ones) who took their location in the Residence and in belief before them, love whomever has migrated to them, and do not find in their breasts any need for what has been brought them, and prefer (the Muhajirun) above themselves, even though penury be (their portion). And whoever is protected from the avarice of his self, then those are they who are prosperers.}.

[Al-Hashr (The Mustering): 9]

Altruism is a sublime act of satisfaction, content and love that made the advocator prefers to give food to the immigrant if he saw him in need. If the immigrant was in need for clothes, the advocator gave it to him. Do you know the one who feels warm?

He is the advocator. It is altruism in the Islamic concept: you give your brother in spite of your need. May Allah guide us to the matters He likes.

Situations and Events after Immigration to Medina...!

By: The Honorable Sheikh

At-Taher Al-Hamedy

Immigration to Medina and its accompanying and preceding events concerning good preparation are mainly mentioned in this honorable occasion. In spite of my persuasion and appreciation of these points, I see other sides that are no less important than the preceding points ; and we should discuss and study them in detail to reveal their content and significance and to follow its pattern in developing the universe and setting straightforward and good globalization that respects the human being and is respected by the people. This will happen because it is merciful and does not know tyranny, killing or plundering the treasures.

Getting in Medina was not military invasion, accompanied by destruction, killing and eradication followed by rude and false justification. Moreover, it was not preceded by silly claims like those of the campaigns of eradication and arrogance in Iraq, Afghanistan, Bosnia and Somalia, and like what is expected to happen in Sudan, may Allah protect it from what is planned.

Getting in Medina was prepared by truthful yearning that reached great love and concern for Da`wa. Allah simplified it by events in Medina that made the hearts of its residents yearn to the guiding savor. Immigration was preceded by two great pledges of allegiance that included covenants and agreements revealing that they were truthful to what they promised Allah to do.

Moreover, the truthful ambassador of Da`wa, Mosab Ibn Omair, that recited Quran, paved the way, opened the hearts and planted Allah's verses in the people eliminating polytheism, paganism, darkness of souls and hearts, turning them into light and guidance. Medina recognizes the light of monotheism, fairness of Da'wa and nobleness of the herald. Then, it raises the great humanity to become pioneering.

The immigration of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was based on honorable invitation from residents of Medina called "pledge of allegiance" "Bai'a". On the other side, which is more important, Allah, Glory be to Him, carried it out to His Prophet, as he saw it in the Night Journey. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) says, "I passed – with Jibril- to a land with palms and Jibril told me, 'come down and pray,' and I prayed. He said, 'Do you know where you prayed?' I said: No. He said, "In Taiba where you will immigrate."[1]

---

[1] An-Nisa'y's Sunnah

treatment from which they suffered and the injury of the people they loved. Some of them died for the sake of Allah and His religion.

They were affected by Muhammad's humble invocation to Allah, which rattled in the heavens as a result of his suffering even in Taif. He said:

"O Lord! I complain to you my weakness, my inability to find a solution and the suffering which the people caused to me. O The Most Merciful, You are the Lord of the weak and my Lord. To whom You entrust me? To a far person who frowns at me or to an enemy that controls me?

If You are not angry at me, It do not care. However, Your protection is wider for me. O Lord! Save me with Your Light that eliminates darkness and reforms life and afterlife from Your wrath. I ask for Your mercy till You become satisfied. You are The Most Powerful."

Allah, Glory be to Him, responded to His honorable Messenger and ordered him to immigrate. Then, the miracle of Thawr cave occurred and the disbelievers were disappointed to find the honest Prophet. The inhabitants of Medina welcomed the Prophet with great joy. Then, his family, companions and the other Muslims immigrated to Medina. The Prophet fraternized between the immigrants and the advocators.

Allah advocated and supported the believers; and Mecca conquest was Divine miracle that minds try to understand its secrets one generation after another. In every century, minds understand every new and old secret, but they do not realize it completely.

The researchers still study in amazement the situation of Abu Sofian, the leader of Quraish, watching the Muslim troops.

Then, he declares his entering in Islam and goes to Al-Abbas (may Allah be pleased with him) saying, " I swear that we cannot forbear tolerate the strength of this troop, your nephew became great," then, Al-Abbas replies in belief and strength, 'It is prophecy, Abu Sofian.'

Abu Sofian hurries to Mecca saying, "O Quraish, Muhammad came with intolerable troops; if you surrender, you will be safe.'

Allah let His Messenger win over his enemies, and helped him to conquer Mecca, which was full of oppressors, who opposed him for twenty one years. Now it surrendered it humbleness waiting for the decision of the winning leader and his order, but he said his honorable saying:

"Go, you are free."

The day of the immigration is the beginning of light and strife, meaning of strength and belief and the conquest of monotheism over polytheism. It is the border between Islam and polytheism. Without the immigration, the day of conquest would not have come. The Muslims should remember this day, as their Messenger is the best example.

I would not come out." Then, he calls Allah, All Extolment be to Him, saying, (O Lord! You ordered me to come out of the most beloved places for me; I hope that you let me reside in the most beloved places for you). Thus, the Muslims were ordered to work and not to lag behind. They should do their best after depending on Allah. Moreover, they should be patient without despair or boredom.

The Prophet immigrated with his companion Abu Bakr not in the morning depending on Allah's support, but they went out at night. When Muhammad passes by the gang that waits for him, Allah blinded them not to see Muhammad and his companion. They did not immigrate to Medina directly not to be followed by the enemies, but they went to a cave in Thawr Mountain far from Mecca. It is an attempt to delude the opponents.

Quraish rushed riding the fastest animals to chase Muhammad everywhere. Quraish knew his disappearance after few hours, thus he could not have gone far. They searched for them in every place and stayed for an hour at the door of the cave speaking with each other, till their voices reached Prophet Muhammad and his companion Abu Bakr, who said, "If any of them looked under his feet, he will find us." Then the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said, "What do you think of two persons protected and supported by Allah?"

Muhammad and Abu Bakr become surprised as the enemies decided to come back as there is no need for searching in this cave. There are two stock doves lying on the eggs and a huge spider that span its web. Muhammad and his companion said, "Allah is Great" as they were saved by the weak web of the spider. Thus, every Muslim should be cautious in a way that protects him, not to put himself in a dangerous situation depending on the miracles. Then, when he prepares himself, he should depend on Allah and asks for Allah's help and advocacy.

Allah's Messenger reached Medina, which welcome of him in a warm and lovely way. They believed wholly in his Message, and the powerful and rich people there opened their doors for him. Moreover, the poor wanted him to live with solacing them. All of the people competed in letting him live at their homes. However, he excused himself letting his she-camel stops where Allah wills. This place was owned by two orphans.

Then, he bought it and ordered to establish a mosque. He contributed in building it with the workers. They people hurried to help the Prophet and to cooperate in good work. History mentions that the prophet's participation in this work had great effect in the absolute cooperation and piety with which the mosque was built and the speed of establishing this work.

When Allah ordered the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) with fighting the enemies, they did not depend on Allah's advocacy and support. However, they prepared themselves for this battle. He was keen on revealing to the Muslims that he prepared himself fully for protection.

He was armed by arrows and was wearing a coat of mail to protect his advocators. After and before every battle, he gathered the men to support them and to carry good tidings of Allah's support. Thus, work and dependence on Allah should be together.

The modern studies that require preparation for every matter to raise the spirits of the human being, dependence on Allah that makes the human being has full belief in conquest are driven from the immigration of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), being ordered by Allah.

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) instructs the Muslims in every chance to be prepared for every situation, as Arabian asked the Prophet, "This is the time of the prayers, will I leave the she-camel and enter the mosque depending on Allah? The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said, 'Hobble it and depend on Allah.' Hobbling this she-camel is a means of preparation, but Allah keeps it. Thus, the Muslim should work and depend on Allah.

When the foreign researchers finish studying the whole biography of the Prophet, including some researchers that seek right, they will admit that the Prophetic immigration is the borderline between right and wrong and the decisive evidence of the conquest of belief over polytheism.

After studying the books of the great autobiography and the reasons for immigration and recognizing its clear evidences, they should admit this eternal reality, rather the miracle that Allah caused to His Messenger. It was a banner raised for strife in its first phase and shows the necessity of patience at the beginning of Da'wa. Also, it reveals the beginning of the matter by gentle treatment.

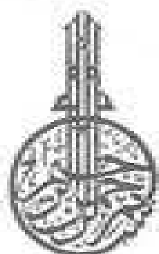
Strife moved to a decisive phase to surround and fight them after preparation, gathering and completing the ways of conquest. Thus, it causes the guiding believing end and the Muslims win victory over the disbelievers. It was not strange that the Islamic Da'wa takes its logical path to spread the religion with wisdom and good advice, and moves in its normal way tenderly, weakly, cautiously, worriedly and secretively at the first three years of the honorable Message.

After thirteen years of the Messenger's residence among his family in which he and his companions were tormented, he received a permission of immigration with decisive providences. Then, Allah ordered him of fighting that has certain motives.

The first phase in Mecca was like a school from which the companions of Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) were graduated. Their souls were prepared for strife in a more serious phase. They become stronger to defend Islam and become more practiced in using sword. The reason for becoming more practiced and experienced is the tough

AL-AZHAR MAGAZINE

AL-Muharram, 1431 A. H.



ENGLISH SECTION

Jan. 2010

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

The Prophetic Immigration…!

(Al – Hejratu An–Nabaweyyah)

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

The Muslims regard this day as a happy one, as they celebrate the beginning of a new year of the immigration of the Prophet Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him). This immigration separated the wrong in which the Arabs of the pre-Islamic era as well as the Pagans and the disbelievers lived, as it caused the establishment of the Muslims' state whose banners were raised in Medina. Moreover, the mosques were established, systems were set, principles were announced and the Muslims were united. Islam was victorious, not because of the immigration of the Allah's Messenger, but as Islam is Allah's religion that should be victorious.

The Wisdom of Allah, All Extolment be to Him, willed that the Muslims learn lessons from the immigration of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), as he is their good example. Thus, the immigration of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) is not, as some people may think, merely the movement of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) from one place to another, and is not intended to move to a safer place to live with more believing people. The more knowledge and research extend, the more the people know the guidelines, lessons and sermons of the immigration.

Allah, All Extolment be to Him, ordered His honest and truthful Prophet (may the blessings and peace of Allah be to Him) to call for His religion. Allah's Messenger strongly believed that Allah must grant victory to this religion whatever the polytheists did and the disbelievers hated. The right to which he calls for should be victorious whatever the scoundrels allied against it. Did the Messenger surrender and wait for Allah's victory by miracle? Allah's Messenger exerted great effort solely and Quraish fought him as well as a group of his family and every polytheist and disbeliever.

He was not disappointed by the scarcity of the people gathering around him and was not frightened by the large number of the opposing side. He continued with patience and resolution to strive without despair. The duration of strife was long and enemies were strong. After long years, Allah, Glory be to Him, ordered him to immigrate and leave Mecca, his beloved town, where he was born and brought up and in which he had the memories of youth, family and beloved people.

He paid it farewell saying, "O Lord! You are the most beloved land and the land that is loved mostly by Allah. Unless your residents forced me to leave you,

الفهـــــرس

الفهرس السنوى لمجلة الأزهر عن عام ١٤٣٠هـ

المحـــرم ١٤٣٠هـ

صفر سنة ١٤٣٠هـ

ربيع الأول سنة ١٤٣٠هـ

ربيع الآخر سنة ١٤٣٠هـ

جمادى الأولى سنة ١٤٣٠هـ

جمادى الآخرة سنة ١٤٣٠هـ

رجب سنة ١٤٣٠هـ

شعبان سنة ١٤٣٠هـ

رمضان ١٤٣٠هـ

شوال ١٤٣٠هـ

ذو القعدة ١٤٣٠هـ

ذو الحجة ١٤٣٠هـ

هدايا مجلة الأزهر
عن عام ١٤٣٠هـ

م	اسم المؤلف	عنوان الهدية	شهر الإصدار
١	الأستاذ الدكتور/ محمد غلاب	الإسلام كما يراه الأوربيون	المحرم
٢	الأستاذ الدكتور/ إبراهيم على أبو الخشب	محنة اللغة العربية	صفر
٣	الشيخ/ أبو الحسن الندوى	القرن الخامس عشر الهجرى فى ضوء التاريخ والواقع	ربيع الأول
٤	الأستاذ/ محمد فهمى عبداللطيف	الفتوة الإسلامية فرسان الحرب ورعاة الإنسانية	ربيع الآخر
٥	الشيخ/ محمد عرفة	الإسلام أم الشيوعية الجزء الأول	جمادى الأولى
٦	الشيخ/ محمد عرفة	الإسلام أم الشيوعية الجزء الثانى	جمادى الآخرة
٧	الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى	تكريم الله تعالى لنبيه محمد ـ ﷺ	رجب
٨	الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى	تأملات فى خطاب الرئيس أوباما من منظور إسلامى	شعبان
٩	المستشار/ محمد شوقى الفنجرى	العدل الاجتماعى فى الإسلام	رمضان
١٠	الأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى	المسجد في الإسلام عبادة وثقافة الجزء الأول	شوال
١١	الأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى	المسجد فى الإسلام عبادة وثقافة الجزء الثانى	ذو القعدة
١٢	الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى	بركة العبادة فى المداومة عليها	ذو القعدة
١٣	الأستاذ الدكتور/ محمد عمارة	تقرير علمى	ذو الحجة

English Section Index 1430

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا

أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ..٥٧٨٦١ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

صفر ١٤٣١هـ - فبراير ٢٠١٠م - الجزء الثانى - السنة الثالثة والثمانون



من وراء المنظور:

ظواهر رُوحيّة.. تتطلب التفسير

بعض الناس يفاجئك بالتكذيب القاطع حين تروى خبرا غريبا لم يألفه. كأنه أدرك ما فى الكون من أسرار، وأحاط بكل شىء علما، فإذا قلت له: إن الذى روى الخبر صادق، لا مصلحة له فى الكذب، وأن أمثال ما رواه سجّله نفر من العلماء فى ذكرياتهم ومشاهدهم، وقدّمتَ له ما ثبت ذلك رماكَ بالبله، وترفّع عن مجاراتك فى الحديث، وله حينئذ تعاظم فى نفسه تكاد به تنتفخ أوداجه غرورا، ولابد من الصبر حينئذ.

روت جريدة الميدان بتاريخ ١١/١٢/٢٠٠١ حديثا غريبا لسيدة فاضلة بدأته بقولها: «أنا امرأة فى الأربعين من عمرى لدىّ طاقات خارقة باستطاعتى أن أستشعر الأحداث قبل وقوعها بوقت كاف تبدأ من ثلاثة أيام فأرى فيلما واقعيا للأحداث يمرّ أمام عينى. كما أن فى استطاعتى أن أرى ما يجرى فى بلاد بعيدة لم أزرها ولم أسمع عنها، لكنّ نشرات الأخبار تؤكد حدسى. وأنا أحكى كلّ ما يثير وجدانى لزوجى الذى ينتظر معى وقوع الحدث حتى يقع، خذ مثلاً انى أتوقع الزلازل قبل وقوعها، والكوارث والأحداث السياسية الخطيرة، ثم مضت السيدة فى رواية أشياء أخرى مماثلة، وكلها تدل على انفصال روحها أثناء النوم لمشاهدة غرائب لا أطيل فى الحديث عنها، وقد احتفظت بالجريدة فلعلّى أتعرض للباقيات من الخوارق فى حديث قادم، وحسب القارىء أن يكتفى بهذه الشذرات!

إن كتبا روحية كثيرة -شرقا وغربا- تزدحم بخوارق مثل ما تقدّم، وقد خضعت

للبحث فى جمعيات روحية لها أعضاؤها المتخصصون من كبار أساتذة الطبيعة والعلوم فى كبريات الكليات الأوروبية والأمريكية، ولا أريد أن أتخم المقال ببعض ما ينفع فى تأييد دعوى السيدة الفاضلة. ولكننى أنقل عن كبار الأعلام فى مصر وأوروبا ممن لا تشك فى صدقهم الواقعى ما يثبت هذه الأحداث، وقد ذكر الأستاذ الدكتور رءوف عبيد وكيل كلية الحقوق السابق فى بعض مؤلفاته الرّوحية ذات العمق النافذ أن «الموقف الصّحيح للعقل -إزاء ما يُروى من هذه الأحداث- هو أنه لا ينبغى الانقياد السهل لكل المزاعم والأقوال، ولا المكابرة الممقوتة فى الحقائق الثابتة، فأى من الموقفين ضارّ بصاحبه، لأنه يباعد بينه وبين الارتباط بالحقائق» ذكر الدكتور رءوف هذا فى مقدمة الكتاب الذى ترجمه عن (هانن سوافر) نقيب الصحافة البريطانية تحت عنوان (قصتى العظمى) ويدور حول انفساح بعض الأرواح إلى آفاق مترامية تثبت خلود الروح وعدم فنائها، والدكتور رءوف قد دعا إلى الاتئاد فى الحكم فلا تكذب دون دليل، ولا نصدق دون دليل، وهذا أعقل ما يقال.

وسبيلى الآن أن أنقل بعض ما قاله فى مصر نفر من كبار الكتّاب تسجيلا لخوارق وقعت لهم، ولم يشكّوا فى وقوعها، لأنهم الذين لابسوها ملابسة حقيقية، وهى خوارق يقف العقل حائراً أمامها، ويجب على ذوى الفكر المحايد أن يجمعوا أمثالها لتنتهى الجزئيات المتناثرة، إلى كليات عامة، أو على الأقل ليشترك المهتمون بهذه البحوث فى شتى نواحى العالم فى تحليلها الدقيق، فقد يصلون إلى قول سديد، ثم أعقب ببعض ما ذاع فى الغرب وتعارفه الدارسون.

عن الأستاذ محمد توفيق دياب

يقول الكاتب الكبير الأستاذ محمد توفيق دياب، عن مقال نشره بمجلة الهلال، الجزء الخامس من السنة الخامسة والخمسين تحت عنوان (الملأ الأعلى):

«فى ذات ليلة رأيت فيما يرى النائم حُلما مزعجاً. رأيتُ خادماً فى بيتنا فى القرية، واقفة ببابه تُرسل صوتها مُنتحبة باكية. وأقبلتُ أسألها: مالك يا فلانة، قالت: سيدتى سيدتى تحتضر!

ولم يكن عهدى بالسيدة أنها مريضة، فدخَلْتُ. وإذا الحجرة عن يسارى، يقف ببابها فلان وفلان من أعضاء الأسرة مشفقين ثم أدخل فأجد السيدة على فراشها قاربت

الرحيل، وإلى جانبها طبيب المركز فلان وسيدات من الأخوات والقريبات، فتفتح المودعة عينيها فإذا رأتني تمتمت بدعوات طيبات ثم تغيب، وبينما نحن فى ذلك إذا صيحات من الحجرة المقابلة، فأقصد إليها، فإذا شقيقة السيدة المحتضرة قد أغمى عليها من وقع مُصابها فى أختها، فنحملها إلى دارها ضارعين إلى الله أن يجنبنا موت شقيقتين فى ساعة واحدة.

كان ذلك حُلم حالم، سوى أنى بعد يومين دُعيت من عزلتى فى الحقل إلى بيتنا فى القرية، وإذا الصائحة النائحة هى الصائحة النائحة باسمها وعينها، وإذا القريبان الواقفان بالباب هما فلان وفلان، وإذا المشهد كله هو المشهد كأنما كان صورة بالآلة الفوتوغرافية، فالسيدة المحتضرة. والطبيب بعينه. والسيدات بأعينهن، وإذا الصيحة المرسلة من الغرفة المقابلة، وإذا الشقيقة التى صرعتها الغشية، وإذا بنا نحملها، ونضرع إلى الله أن يقينا من مأتم مزدوج!

ثم يقول الأستاذ محمد توفيق دياب: «ما هذا، كيف يُفسّره العلم، أهى مشاغل النهار تُخالطُ أحلامنا بالليل؟!

لم أعلم قط أن بهذه السيدة مرضًا أو شيئًا يشبه المرض، إنه غيب محض، وغيب تحقق فى الواقع المشهود كما رآه عين النائم، كأنها آلة مصوّرة لم تفتها كبيرة أو صغيرة من جملة أو تفصيل، تفسير ذلك هو صلتنا بالملأ الأعلى».

وقد أحدث هذا المقال أثره فى نفوس القراء، فبعث سائل عراقى إلى الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد يسأله عن رأيه فيما كتب الأستاذ دياب مُستشهدا بأمر مُشابه ذكره الشيخ الطنطاوى جوهرى فى كتابه (الأرواح) وبحادث وقع له ينتمى إلى هذا الاتجاه، وقد سارع الأستاذ عباس محمود العقاد بالرد على صفحات مجلة الرسالة (العدد ٧٥٧ بتاريخ ٥/١/١٩٤٨) فقال:

من كلام الأستاذ عباس محمود العقاد

«شيء واحد يمكن أن يُقال على سبيل التحقيق فى الجواب، وهو أن الجزم ينفى هذه الروايات على اعتبار أنها مُستحيلة الوقوع، إنما يكون نفيًا باطلاً، لا يعتمد على سنن من العلم، ولا من البراهين المنطقية، فوقوع الأنباء على هذه الصورة ليس بالمستحيل، ومن قال باستحالته وجب أن يُثبت أنه على علْم تام، بأسباب الاتصال بين كل نفس

ونفس، وكل مادة ومادة، أو كل نفس ومادة فى هذا العالم الذى نعيش فيه. وليس فى وُسع أحد أن يزعُم أنه على علم تام بأسباب الاتصال بين مادة ومادة فى عالم المكان، ودعْ عنك صلات العقول والنفوس التى لا تقع تحت حصر، ولا يحيط بها البيان!


العقاد

وساق العقاد حديثا عما فى الفضاء الشاسع من أشعّة النور التى لا تراها العين وتنفذ فى المعادن الصلاب وتؤثر فى الأحياء والأشياء ولا تُرى، إلى أن قال:

«إن الذى يزعم لنا أنّ أسباب الاتصال بين نفس ونفس أو بين عقل و عقل محصورة محدودة يمتنع ما عداها فهو مدعٍ بما ليس فى علمه ولا فى علم أحدٍ من البشر، ويلزمه دليل ما يدعيه، ولا دليل هناك».

فكرى أباظة

إن ما رواه الأستاذ محمد توفيق دياب يتعلق بالتنبؤ عن أمر سيقع، وقد وقع فعلا، ولدينا قصة أخرى رواها الأستاذ فكرى أباظة فى كتاب (حواديت) ص١٥١ تتعلق بالحديث عن أمر وقع، وغاب دليله ثم جاءت روح لتُخبر عنه! فماذا قال الأستاذ فكرى أباظة؟

قال: «فى سنة ١٩٢٠ عاد صديقى وقريبى الدكتور سليمان حسين أباظة من أمريكا بعد أن أتم دراسته وكان قد كلّفنى بأن أحضر عنه فى استئناف حُكم برفض دعواه عن ملكيته لخمسة فدادين، وأخبرنى بأنه لما كان فى أمريكا، حضر جلسة من جلسات تحضير الأرواح، وفجأة سمع الحاضرون روحا تتكلم باللغة العربية، فدهشوا جميعا، فقال لهم الدكتور سليمان إن هذه اللغة لغتى، والصوت صوت المرحوم والدى، وصمت الجميع، وأتمت الروح حديثها قائلة للدكتور سليمان: «مُستند قضية الفدادين الخمسة التى خسرتها موجود فى دُرج المكتب القديم، الموجود فى حوش المنزل بالقرية، فاكسر الدرج الصغير الذى على اليسار لتجد المستند» وفعلاً، وفعلا بعد عودته مباشرة كسر الدرج، ووجد المستند، وقدمناه لمحكمة الاستئناف وربحنا القضية.

لا أظن الأستاذ فكرى قد اخترع هذه المسألة، حين حدّدها بالاسم والمكان والتاريخ، فلم يكن الرجل داعية لتحضير الأرواح، ولا عُرف عنه أن شغل نفسه بمسائل العالم

الآخر المستكن في ألفاف الغيب، ولعله شك في الأمر مبدئيا حين حدثه به ابن عمه، وعدّه حديث خرافة، ثم فوجيء بوجود المستند بعد أن كسر الدرج، فعد ذلك مفاجأة تستحق التسجيل، وتبعث على التحليل!

وصية تنفذ بعد الموت

وهل يوصي الميت بشيء بعد انتقاله إلى عالم الغيب، ثم يصل أمر الوصية إلى الخليفة الراشد، فيقوم بتنفيذها على الفور؟ هذا ما تحدثت به كتب التاريخ حين ذكرت هذه النادرة.

جاء في كتب التاريخ: أن ثابت بن قيس - رضي الله عنه - كان من الذين اشتركوا في حرب اليمامة وقد قُتل شهيدا. وعليه درع ثمينة ورثها من أبيه، فمرّ به وهو طريح قتيل.. رجل من الضاحية فانتزع الدرع ومضى، ولكنّ بلال بن رباح رأى في منامه ثابت ابن قيس فقال له: يا بلال، إني أوصيك بوصية، فإياك أن تقول هذا حُلم فلا تفعل شيئا! إني لما قُتلت بالأمس جاء رجلٌ من ضاحية نجد، وعليَّ درعي فأخذها، ثم انكفأ إلى منزله. فوضعها تحت برمة، وجعل على البُرمة رحْلاً، وخباؤه في أقصى العسكر، وإلى جانبه فرسٌ يمرح في حبل طويل، فأت خالدَ بن الوليد -وكان قائد الجيش- فليبعث إلى درعي فليأخذها، وإذا قدمت على خليفة رسول الله ﷺ، فأخبره، أنّ عليَّ من الديْن كذا، ولي من الدين كذا، وسعدٌ ومبارك غلاماي حُرّان، فإياكَ أن تقول هذا حُلم فتُضيّعهُ، فلمّا أصبح بلال -رحمه الله- أتى خالدا فأخبره بما رأى، فبعث خالدٌ نفراً إلى الدرع فوجدوها كما قال، فلما قدمَ بلال إلى المدينة، أتى أبابكر الصديق - رضي الله عنه - فأخبره بوصية ثابت بن قيس -رحمه الله- فأجازها جميعها، فلا تعلمُ أحداً من المسلمين أجيزت وصيته بعد موته على هذا الوجه إلا ثابت بن قيس!

لقد استشهد ثابت بن قيس -رحمه الله-! ولكن روحه بعد استشهاده رأت الأعرابي النجدي، وهو ينتزع الدرع من فوق صدره وتابعته حتى ذهب إلى خبائه، ودسّ الدرع في مكانٍ غطّاه بالرحل كيلا يلتفت إليه أحد، وعزّ على الشهيد أن يُسلب هكذا؛ فاصطفت روحه بلالا وخفّ إليه في منامه ليعلمه بما كان، وليوصي بعتق غلاميه سعد ومبارك، وقد خشي ثابت أن يهمل بلال أمره، معتقداً أن ما جرى حُلم لا ظل له من الحقيقة، فأكد وكرر، ثم كانت المفاجأة لبلال حين تحقق الحلم. فأخذت الدرع -ولعل

خالد بن الوليد كان أكثر عجبا، كما عرف أبوبكر أن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فبادر بتنفيذ وصية الميت! وقد قامت الدلائل على صدقه، فليس هناك مجال للتشكك والارتياب».

السير أوليفر لودج

علامة إنجليزي تصدر علوم الطبيعة في عصره، وشغل مناصب علمية رفيعة حيث قضى مدة طويلة مديراً لجامعة برمنجهام، رئيساً للمجمع العلمي البريطاني، ولجمعية رونتجن، ولجمعية الراديو، وله في البحوث الروحية فتوحات باهرة من أهمها الحديث عن الأثير بالذات، إذ أوضح أثره في العالم المادي بإفاضة وإشباع، لينتقل إلى العالم الروحي، وقد قرر أن الجسم البشري المادي ككل جسم ماديّ يتألف من كهارب بينها فراغ شاسع بالنسبة لحجومها المتناهية في الصغر، وإذن فالفراغ الجسمي يملؤه الأثير، وهو الثوب الحقيقي لعنصر الحياة الذي يميّزنا عن الجماد، والذي نسميه الروح، أما الذرات المادية فمجرد آلة تمكننا للعيش برهة في عالم المادة، فنحن لا نمس الأشياء إلا عن طريق الأثير، وكذلك لا نسمع ولا نرى بدونه، وهو الذي يحرك ذرات المادة التي تتألف منها أعضاؤنا الظاهرة، وإذا كانت الحياة في الجسم الإنساني من خواص الأثير، فلابد من بقائها إذا فنيت أعضاء الجسم، فالموت هو طرح ذرات المادة، أما الأثير وهو الروح فيرتقي تاركا الجسم، لابساً ثوبا شفافا لا يحجبه عن عيوننا وحواسنا إلا عجز هذه الحواس عن رؤيته.

ثم يقول أوليفر لودج: «إن بقاء ذاتية الفرد بعد موته هو عندي حقيقة قام عليها الدليل الحسي». وقد سمى كتابه «خلود النفس» ليؤكد خلود الروح بعد انتقالها، أما الدليل الحسي فقد تأكد له فيما قام به من جلسات روحية استحضرت روح ابنه ريموند الذي قُتل في الحرب، وقد ناجاه في مجلد كبير أوضح به ما تبينه من حالته، وقال عن الأرواح: إن لها أجساما غير عادية، وأصحابها مسرورون. ولا يحبون العودة إلى الأرض مهما مُهّد لهم الطريق، وأنهم معنا وأكثر دخولا وخروجا حولنا على نحو لا نتصوره، وكل ما هنالك أنهم لا يقعون تحت حواسنا!

إن هذا الكلام نفسه قد قاله من باحثي الروحية في مصر أعلام كبار منهم محمد فريد وجدي، وطنطاوي جوهري، وأحمد فهمي أبوالخير، وعلى عبدالجليل راضي، ورءوف عبيد،

ولكل منهم قدره المشهود في عالم الفكر، فقوبل لدى قوم بالإنكار العابث، ولكن الذين خالفوا السير أوليفر لودج من مواطنيه قد عرفوا قدره. ولم يكذّبوه فيما قرّره من أحاديثه الروحية مع ولده الراحل، ولكنهم قرروا أنهم لا يُبدون الموافقة التامة إلا إذا شاهدوا ما شاهد، والاتصال بالأرواح يحتاج إلى موهبة لا تتيسر لكل إنسان، فهو كالشعر أو الغناء يختص بهما من يملك موهبتهما، ولا يعيب الإنسان ألا يكون شاعرا أو مطربا، وإنما يعيبه أن ينكر الشعر لأنه غير شاعر، والغناء لأنه غير موهوب.

يقول السير أوليفرلودج إجابة لمن سأله: كيف عرفت أن هؤلاء الراحلين لا يزالون باقين، يقول: إني أتصل بهم، وأنت لا تستطيع أن تشك في وجود من تحادثهم بالتليفون اللاسلكي وهم بعيدون عنك فكذلك لا أشك، فالحياة لا تفنى، ولكنها تأخذ مظاهر مختلفة!! يُخيّل إليّ أن مقتل ولده ريموند كان الحافز الأول لاتجاه هذا العالم الطبيعي العريق، فلم يهدأ بالا حتى عرف مكانه وحادثه! فليتنا نعرف، وقد قرر في بعض ما كتب أن الروح الإنسانية موجودة في الفضاء قبل أن تتصل بالجسم في بطن الأم، وحين يأتي الأجل تطير من الجسم إلى حيث كانت، فهي منفصلة عنه تماما، لا تموت بموته، ولعل هذا ما قرره ابن سينا في قصيدته عن الروح ومطلعها:

هبطت إليك من المحل الأرفع

ورقاء ذات تدلّل وتمنّع

إلى أن قال:

حتّى إذا قرب المسير إلى الحمى

ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع

أخذتْ تُغرّد فوق ذروة شاهق

والعلم يرفع كل من لم يُرفع

غريبة أخرى

القاضي الكبير (والترا بلباد) شغل نفسه بدراسة أحوال النفس بعد الرحيل، وكتب في هذا المجال مؤلفاً شهيرا، وقد رحّلت زوجته قبله، فكان يستدعي روحها وتردّ عليه عمّا يسأل بلهجتها المعروفة في الحياة، وفي إحدى جلساته الروّحية معها، اقتحمت روحٌ تطلب الإذن بالكلام، فأجابها، فقالت: إنها روح شاب اسمه (أرثرايم) وقد مات بذات الرئة منذ ثلاث سنوات، وكان يسكن في منزل رقم ١٨ بشارع «كلايف رود» وله حبيبة تسكن في رقم ٢٢٩ بشارع «فلينت ستريت»، وهو يرجو أن تعلم أمّه وحبيبته أنه ليس بميت، ويبلغهما سلام الحب والشوق.

وقام القاضي برحلة إلى المنزل وعلم أن صاحبته قد انتقلت إلى مكان غير معروف، فذهب إلى منزل الحبيبة وفاجأها بسؤاله: أتعرفين شخصا اسمه (أرثرايم) فبكت وقالت: كان حبيبي ومات منذ ثلاث سنوات ثم أرشدته إلى منزل والد حبيبها فسأله عنه وأجاب بكل ما أكد كلام الروح، وأفاض المؤلف في حديث عن المستشفى الذي كان يعالج به الراحل قبل موته، وكيف فحص الكشوف الخاصة بالراحلين في التاريخ نفسه، حتى رأى اسمه وقد كتب أمامه (العمر ٢٣ سنة، المرض ذات الرئة، تاريخ الوفاة ٢١ / ٩ / ١٩٢٠).

وكتاب القاضي كما يقول من قرأوه حافل بمثل هذه الطرائف، وأنها لطرائف حقاً.

وختاماً لا أدري لماذا يتصدى المنكرون لهذه الحقائق لتهجين القائلين، ورميهم بالادعاء، دون المجادلة بالتي هي أحسن، ولماذا يوصدون بابًا للأمل في نفس أم تشتهي أن ترى ابنها الراحل، أو حبيب يود لو التقى بمعشوقته مرة ثانية؟! وليس لديهم من دلائل الإنكار ما يصفع هذه الحقائق ويردها على أعقابها كما يقول الأستاذ العقاد! وأقل ما يرجى منهم دون لوم أن يقفوا موقف الشك فلا يجزموا بالنفي القاطع، وأن يتساءلوا مع الشاعر الملتاع حين قال:

يا ليتَ ماءَ الفُراتِ يُخبرنا

أينَ تولت بأهلها السُّفُن؟

د. / محمد رجب البيومي

تفسير سورة النساء

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا (22) حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

الآيتان (٢٢ : ٢٣)

أورد المفسرون روايات في سبب نزول قوله -تعالى-:

﴿ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ ﴾

ومن هذه الروايات ما رواه ابن أبي حاتم - بسنده- عن رجل من الأنصار قال: لما توفي أبو قيس- يعني ابن الأسلت- وكان من صالحي الأنصار، فخطب ابنه قيس امرأته فقالت: إنما أعدك ولداً لي وأنت من صالحي قومك، ولكني آتي رسول الله ﷺ واستأمره.

فأتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن أبا قيس توفي. فقال «خيراً». ثم قالت إن ابنه قيساً خطبني وهو من صالحي قومه، وإنما كنت أعده ولداً لي فماذا ترى؟ فقال لها: «ارجعي إلى بيتك» فنزلت:

﴿ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾(1)

وقال القرطبي: قوله- تعالى-:

﴿ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ ﴾ يقال: كان الناس يتزوجون امرأة الأب برضاها بعد نزول قوله - تعالى-:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ﴾

حتى نزلت هذه الآية:

﴿ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم ﴾

فصار حراماً في الأحوال كلها، لأن النكاح يقع على الجماع والتزوج، فإن كان الأب تزوج امرأة وطئها بغير نكاح حرمت على ابنه».

ثم قال: «وقد كان في العرب قبائل قد اعتادت أن يخلف ابن الرجل على امرأة أبيه، وكانت هذه السيرة في الأنصار لازمة، وكانت في قريش مباحة على التراضي، فنهى الله المؤمنين عما كان عليه آباؤهم من هذه السيرة»(2).

وقوله:

﴿ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ﴾

إلخ.. معطوف على قوله:

﴿ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ﴾ (النساء: ١٩)

﴿ مَا ﴾ في قوله ﴿ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم ﴾ موصول اسمي مراد به الجنس. أي لا تنكحوا التي نكح آباؤكم. وقوله: ﴿ مِّنَ النِّسَاءِ ﴾ بيان لـ﴿ مَا ﴾ الموصولة.

ويرى بعضهم أن ﴿ مَا ﴾ هنا مصدرية فيكون المعنى ولا تنكحوا نكاحاً مثل نكاح آبائكم الفاسد الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية.

قال الآلوسي: «وإنما خص هذا النكاح بالنهي، ولم ينظم في سلك نكاح المحرمات الآتية «مبالغة في الزجر عنه، حيث كان ذلك ديدنا لهم في الجاهلية»(3).

فالآية الكريمة تحرم على الأبناء أن يتزوجوا من النساء اللائي كن أزواجاً لآبائهم.

وكلمة ﴿ آبَاؤُكُم ﴾ في قوله:

﴿ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم ﴾ تشمل كل الأصول من الرجال.

أي: تشمل الأجداد جميعاً سواء أكانوا من جهة الأب أم من جهة الأم والاستثناء في قوله:

﴿ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾

(1) تفسير ابن كثير جـ١ ص٤٦٨.
(2) تفسير القرطبي جـ٥ ص١٠٣ بتصرف وتلخيص.
(3) تفسير الآلوسي جـ٤ ص٢٤٤.

استثناء منقطع.

والمعنى: لا تنكحوا أيها المؤمنون ما نكح آباؤكم من النساء، لأنه من أفعال الجاهلية القبيحة، أما ما قد سلف ومضى منه قبل نزول هذه الآية فلا تؤاخذون عليه، فمن كان متزوجاً من امرأة كانت زوجة لأبيه من النسب أو من الرضاع، فإنها تصير حراماً عليه من وقت نزول هذه الآية الكريمة، ويجب عليه أن يفارقها أما ما مضى من هذا النكاح القبيح فلا تثريب عليكم فيه، وتثبت به أحكام النكاح من النسب وغيره من الأحكام.

ويرى بعضهم أن الاستثناء هنا متصل مما يستلزمه النهي، ويستوجبه مباشرة المنهي عنه من العقاب، فكأنه قيل: ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء فإنه قبيح ومعاقب عليه من الله - تعالى -، إلا ما قد سلف ومضى فإنه معفو عنه.

وقد وجه صاحب الكشاف الاستثناء بوجه آخر فقال: فإن قلت: كيف استثنى ما قد سلف مما نكح آباؤهم؟ قلت: كما استثنى «غير أن سيوفهم» من قول الشاعر:

«ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب

يعني: إن أمكنكم أن تنكحوا ما قد سلف فانكحوه، فإنه لا يحل لكم غيره، وذلك غير ممكن والغرض المبالغة في تحريمه، وسد الطريق إلى إباحته كما يعلق بالمحال في التأبيد نحو قولهم: حتى يبيض القار، وحتى يلج الجمل في سم الخياط [4].

ثم ختم -سبحانه- الآية الكريمة ببيان أن هذا النوع من النكاح في نهاية السوء والقبح فقال:

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾

أي: إن هذا النوع من النكاح كان أمراً زائداً في القبح شرعاً وخلقاً، لأنه يشبه نكاح الأمهات، ويتنافى مع ما للآباء من وقار واحترام، وما يجب من حسن الصحبة وكان ﴿ وَمَقْتًا ﴾ والمقت مصدر بمعنى البغض والكراهية.

أي: إن هذا النوع من النكاح كان خصلة بالغة الحد في القبح والفحش، وكان ممقوتاً مبغوضاً عند الله، وعند ذوي المروءات والعقول السليمة من الناس.

قال صاحب الكشاف: كانوا ينكحون روابهم - أي زوجات آبائهم جمع رابة وهي امرأة الأب - وكان ناس منهم من ذوي مروءاتهم يمقتونه - لفظاعته وبشاعته - ويسمونه نكاح المقت، وكان المولود عليه يقال له المقتي -أي المبغوض- ومن ثم قيل ﴿ وَمَقْتًا ﴾ كأنه قيل: هو فاحشة في دين الله بالغة في القبح، قبيح ممقوت في المروءة، ولا مزيد على ما يجمع القبحين[5] وقوله: ﴿ وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾

أي بئس طريقاً طريق ذلك النكاح، إذ فيه هتك حرمة الأب، وتقطيع للرحم التي أمر الله بوصلها.

وقوله ﴿ وَسَآءَ ﴾ هنا بمعنى بئس، وفيه ضمير يفسره ما بعده، والمخصوص بالذم محذوف تقديره ذلك، أي ساء سبيلاً سبيل ذلك النكاح.

قال الفخر الرازي: اعلم أنه - سبحانه - قد وصف هذا النكاح بأمور ثلاثة: أولها: أنه فاحشة لأن زوجة الأب تشبه الأم فمباشرتها من أفحش الفواحش.

وثانيها: المقت: وهو عبارة عن بغض مقرون باستحقار.

وثالثها: قوله ﴿ وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾.

واعلم أن مراتب القبح ثلاثة: القبح في العقول وفي الشرائع وفي العادات.

فقوله - تعالى - ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً ﴾ إشارة إلى القبح العقلي، وقوله ﴿ وَمَقْتًا ﴾ إشارة إلى القبح الشرعي، وقوله:

﴿ وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ إشارة إلى القبح في العرف والعادة، ومتى اجتمعت فيه هذه الوجوه فقد بلغ الغاية في القبح»[6].

وقال الإمام ابن كثير: «فمن تعاطى هذا النكاح بعد ذلك - أي استباح تعاطيه - فقد ارتد عن دينه فيقتل ويصير ماله فيئاً لبيت المال، لما رواه الإمام أحمد وأهل السنن من طرق عن البراء بن عازب أنه بعثه رسول الله ﷺ إلى رجل تزوج امرأة أبيه من بعده، فأمره أن يقتله ويأخذ ماله.

وفي رواية عن البراء قال: «مر بي عمي الحارث بن عمير ومعه لواء قد عقده له النبي ﷺ فقلت له، أي عم، أين بعثك النبي ﷺ فقال: بعثني إلى رجل تزوج امرأة أبيه فأمرني أن أضرب عنقه»[7].

ثم بين - سبحانه - بعد ذلك من يحرم نكاحهن من الأقارب فقال تعالى:

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ ﴾

وليس المراد بقوله ﴿ حُرِّمَتْ ﴾ تحريم ذاتهن، لأن الحرمة لا تتعلق بالذوات وإنما تتعلق بأفعال المكلفين، فالكلام على حذف مضاف أي حرم عليكم نكاح أمهاتكم وبناتكم.. إلخ وإلى هذا المعنى أشار صاحب الكشاف بقوله، معنى

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ ﴾

تحريم نكاحهن لقوله:

(٤) تفسير الألوسي جـ٤ ص٢٤٤.

(٥) الكشاف جـ١ ص٤٩٢.

(٦) تفسير الفخر الرازي جـ٩ ص ٢٤.

(٧) تفسير ابن كثير جـ١ ص٤٦٨.

﴿ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَاؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾

ولأن تحريم نكاحهن هو الذى يفهم من تحريمهن، كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها، ومن تحريم لحم الخنزير تحريم أكله(8).

وقد ذكر - سبحانه - فى هذه الجملة الكريمة أربع طوائف من الأقارب يحرم نكاحهن.

أما الطائفة الأولى: طائفة الأمهات من النسب، أى حرم الله عليكم نكاح أمهاتكم من النسب، ويعم هذا التحريم أيضاً الجدات سواء أكن من جهة الأب أم من جهة الأم، لأنه إذا كان يحرم نكاح العمة أو الخالة فمن الأولى أن يكون نكاح الجدة محرماً، إذ الأم هى طريق الوصول فى القرابة إلى هؤلاء، وقد أجمع المسلمون على تحريم نكاح الجدات.

والطائفة الثانية: هى طائفة الفروع من النساء، وقد عبر القرآن عن ذلك بقوله ﴿ وَبَنَاتُكُمْ ﴾ بالعطف على أمهاتكم.

أى حرم الله عليكم نكاح أمهاتكم ونكاح بناتكم.

والبنت هى كل امرأة لك عليها ولادة سواء أكانت بنتاً مباشرة أم بواسطة فتشمل حرمة النكاح البنات وبنات الأبناء وبنات البنات وإن نزلن.

وقد انعقد الإجماع على تحريم الفروع من النساء مهما تكن طبقتهن.

والطائفة الثالثة: هى طائفة فروع الأبوين وقد عبر القرآن عن ذلك بقوله:

﴿ وَأَخَوَاتُكُمْ ﴾ ثم بقوله

﴿ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ ﴾

بالعطف على ﴿ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾.

أى حرم الله عليكم نكاح أخواتكم سواء أكن شقيقات أم غير شقيقات، حرم عليكم أيضاً نكاح بنات إخواتكم وبنات أخواتكم من أى وجه يكن.

والطائفة الرابعة: هى طائفة العمات والخالات وقد ثبت تحريم نكاحهن بقوله - تعالى - ﴿ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ ﴾ بالعطف على ﴿ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾.

أى حرم الله عليكم نكاح عماتكم وخالاتكم كما حرم عليكم نكاح أمهاتكم وبناتكم.

والعمة: هى كل امرأة شاركت أباك مهما علا فى أصليه أو فى أحدهما.

والخالة: كل امرأة شاركت أمك مهما علت فى أصليها أو فى أحدهما.

وإذن فالعمات والخالات يشملن عمات الأب والأم، وخالات الأب والأم، وعمات الجد والجدة، وخالات الجد والجدة لأن هؤلاء يطلق عليهن عرفاً اسم العمة والخالة.

تلك هى الطوائف الأربع اللاتى يحرم نكاحهن من الأقارب، وإن هذا التحريم

(8) تفسير الكشاف جـ1 ص494.

يتناسب مع الفطرة التى فطر الله الناس عليها، ويتفق مع العقول السليمة التى تحب مكارم الأخلاق، وذلك لأن شريعة الإسلام قد نوهت بمنزلة القرابة القريبة للإنسان، وأضفت عليها الكثير من ألوان الوقار والاحترام، والزواج وما يصاحبه من شهوات ومداعبات ورضا واختلاف يتنافى مع ما أسبغه الله - تعالى - على هذه القرابة القريبة من وقار ومن عواطف شريفة.

ولأن التجارب العلمية قد أثبتت أن التلاقح بين سلائل متباعدة الأصول غالباً ما ينتج نسلاً قوياً، أما التلاقح بين السلائل المتحدة فى أصولها القريبة فإنه غالباً ما ينتج نسلاً ضعيفاً.

ثم بين - سبحانه - النساء اللاتى يحرم الزواج بهن لأسباب أخرى سوى القرابة فقال تعالى:

﴿ وَأُمَّهَاتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ
وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ ﴾

أى: وحرم الله - عليكم نكاح أمهاتكم اللاتى أرضعنكم، وحرم عليكم - أيضاً - نكاح أخواتكم من الرضاعة.

والأم من الرضاع: هى كل امرأة أرضعتك، وكذلك كل امرأة انتسبت إلى تلك المرضعة بالأمومة من جهة النسب أو من جهة الرضاع.

والأخت من الرضاع: هى التى التقيت أنت وهى على ثدى واحد.

قال القرطبى: وهى الأخت لأب وأم، وهى التى أرضعتها أمك بلبان أبيك، سواء أرضعتها معك أو رضعت قبلك أو بعدك والأخت من الأب دون الأم، وهى التى أرضعتها زوجة أبيك، والأخت من الأم دون الأب وهى التى أرضعتها أمك بلبان رجل آخر(9) هذا وظاهر قوله - تعالى -:

﴿ وَأُمَّهَاتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ
وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ ﴾

يقتضى أن مطلق الرضاع محرم للنكاح وبذلك قال المالكية والأحناف.

ويرى الشافعية والحنابلة أن الرضاع المحرم هو الذى يبلغ خمس رضعات، واستدلوا بما رواه مسلم وغيره من عائشة - رضى الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال: «لا تحرم المصة ولا المصتان» وفى رواية عنها أنه قال: «لا تحرم الرضعة والرضعتان والمصة والمصتان». كذلك ظاهر هذه الجملة الكريمة يقتضى أن الرضاع يحرم النكاح ولو فى سن الكبر، إلا أن جمهور العلماء يرون أن الرضاع المحرم هو ما كان قبل بلوغ الحولين أما ما كان بعد بلوغ الحولين فلا يحرم ولا يكون الرضيع ابناً من الرضاعة وذلك لقوله - تعالى -:

(9) تفسير القرطبى جـ5 ص111.

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾

وأخرج الترمذى عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يحرم من الرضاع إلا ما فتق الأمعاء، وكان قبل الفطام».

قال ابن كثير عند تفسيره لقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ ﴾

أى: كما يحرم عليك نكاح أمك التى ولدتك كذلك يحرم عليك نكاح أمك التى أرضعتك. ولهذا ثبت فى الصحيحين عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة»، وفى لفظ لمسلم: «يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب»[10].

ومن الحكم التى ذكرها العلماء من وراء تحريم النكاح بسبب الرضاعة: أن المولود يتكون جسمه من جسم المرأة التى أرضعته فيكون جزءاً منها، كما أنه جزء من أمه التى حملته، وإذا كانت هذه قد غذته بدمها وهو فى بطنها فإن تلك قد غذته بلبانها وهو فى حجرها، فكان من التكريم لهذه الأم من الرضاع أن تعامل معاملة الأم الحقيقية، وأن يعامل كل من التقيا على ثدى امرأة واحدة معاملة الإخوة من حيث التكريم وحرمة النكاح بينهم. هذا، ومن أراد المزيد من المعرفة لأحكام الرضاع فليرجع إلى كتب الفقه.

ثم ذكر ـ سبحانه ـ نوعاً ثالثاً من المحرمات لغير سبب القرابة فقال:

﴿ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ ﴾

أى: وكذلك حرم الله عليكم نكاح أمهات زوجاتكم سواء أكن أمهات مباشرات أم جدات، لأن كلمة الأم تشمل الجدات، ولإجماع الفقهاء على ذلك.

قال الآلوسى: والمراد بالنساء المعقود عليهن على الإطلاق، سواء أكن مدخولاً بهن أم لا، وهو مجمع عليه عند الأئمة الأربعة، لكن يشترط أن يكون النكاح صحيحاً أما إذا كان فاسداً فلا تحرم الأم إلا إذا وطىء ابنتها فقد أخرج البيهقى فى سننه وغيره من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ قال: «إذا نكح الرجل المرأة فلا يحل له أن يتزوج أمها دخل بالابنة أو لم يدخل، وإذا تزوج الأم ولم يدخل بها ثم طلقها فإن شاء تزوج الابنة»[11].

ثم بين ـ سبحانه ـ نوعاً رابعاً من المحرمات لغير سبب القرابة فقال تعالى:

﴿ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾

---

(10) تفسير ابن كثير جـ1 ص469.

(11) تفسير الآلوسى جـ4 ص257.

وقوله ﴿ وَرَبَائِبُكُمُ ﴾ جمع ربيبة، وهى بنت امرأة الرجل من غيره، وسميت بذلك لأن الزوج فى أغلب الأحوال يربها أى يربيها فى حجره ويعطف عليها.

والحجور: جمع حجر ـ بالفتح والكسر مع سكون الجيم ـ وهو ما يحويه مجتمع الرجلين للجالس المتربع، والمراد به هنا معنى مجازى وهو الحضانة والكفالة والعطف، يقال: فلان فى حجر فلان أى فى كنفه ومنعته ورعايته.

ومقتضى ظاهر الجملة الكريمة أن الربيبة لا يحرم نكاحها على زوج أمها إلا بشرطين: أولهما: كونها فى حجره.

وثانيهما: أن يكون الزوج قد دخل بأمها.

أما عن الشرط الأول فلم يأخذ به جمهور العلماء، وقالوا: إن هذا الشرط خرج مخرج الغالب والعادة، إذ الغالب كون البنت مع الأم عند الزوج، لا أنه شرط فى التحريم فهم يرون أن نكاح الربيبة حرام على زوج أمها سواء أكانت فى حجره أم لم تكن قالوا: وفائدة هذا القيد تقوية علة الحرمة أو أنه ذكر للتشنيع عليهم، إذ أن نكاحها محرم عليهم فى جميع الصور إلا أنه يكون أشد قبحاً فى حالة وجودها فى حجره هذا رأى عامة الصحابة والفقهاء.

ولكن هناك رواية عن مالك بن أوس عن على بن أبى طالب أنه قال: الربيبة لا يحرم نكاحها على زوج الأم إلا إذا كانت فى حجره آخذاً بظاهرة الآية الكريمة.. وقد أخذ بذلك داود الظاهرى وأشياعه.

وأصحاب الرأى الأول لم يعتدوا بهذه الرواية المروية عن على ـ رضى الله عنه ـ وأما عن الشرط الثانى ـ وهو أن يكون الزوج قد دخل بأم الربيبة ـ فقد أخذ به العلماء إلا أنهم اختلفوا فى معنى الدخول فقال بعضهم: معناه الوطء والجماع.. وقال بعضهم: معناه التمتع كاللمس والقبلة، فلو حصل منه مع الأم ما يشبه ذلك حرم عليه نكاح ابنتها من غيره.

قال القرطبى ما ملخصه: اتفق الفقهاء على أن الربيبة تحرم على زوج أمها إذا دخل بالأم، وإن لم تكن الربيبة فى حجره.. وشذ بعض المتقدمين وأهل الظاهر فقالوا: لا تحرم عليه الربيبة إلا أن تكون فى حجر المتزوج بأمها.. ثم قال وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ ﴾

يعنى الأمهات ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ يعنى فى نكاح بناتهن إذا طلقتموهن أو متن عنكم.

وأجمع العلماء على أن الرجل إذا تزوج المرأة ثم طلقها أو ماتت قبل أن يدخل بها حل له نكاح ابنتها.. واختلفوا فى معنى الدخول بالأمهات الذى يقع به التحريم للربائب.. فروى عن ابن عباس أنه قال: الدخول: الجماع.. واتفق مالك والثورى وأبو حنيفة على أنه إذا مسها بشهوة حرمت عليه أمها وابنتها وحرمت على الأب والابن، وهو أحد

قولى الشافعى...»(١٢).

والحكمة فى تحريم الربائب على أزواج أمهاتهن أنهن حينئذ يشبهن البنات الصلبيات بالنسبة لهؤلاء الأزواج، بسبب ما يجدنه منهم من رعاية وتربية فى العادة، ولأنه لو أبيح للرجل أن يتزوج بنت امرأته التى دخل بها، لأدى ذلك إلى تقطيع الأرحام بين الأم وابنتها.. ولأدى ذلك أيضا إلى الانصراف عن رعاية هؤلاء الربائب خشية الرغبة فى الزواج بواحدة منهن.

ثم بين ـ سبحانه ـ نوعاً خامساً من المحارم فقال ـ تعالى ـ:

﴿ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ ﴾

والحلائل: جمع حليلة وهى الزوجة.. وسميت بذلك لحلها للزوج وحل الزوج لها، فكلاهما حلال لصاحبه.. ويقال للزوج: حليل.

أى: وحرم الله ـ تعالى ـ عليكم نكاح زوجات أبنائكم الذين هم من أصلابكم.. أى: من ظهوركم.

وقال ـ سبحانه ـ ﴿ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ﴾ بدون تقييد بالدخول.. للإشارة إلى أن حليلة الابن تحرم على الأب بمجرد عقد الابن عليها.

قال القرطبى: أجمع العلماء على تحريم ما عقد عليه الآباء على الأبناء.. وما عقد عليه الأبناء على الآباء سواء أكان مع العقد وطء أم لم يكن: لقوله ـ تعالى:

﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ ﴾

وقيد الله الأبناء بالذين هم من الأصلاب، ليخرج الابن المتبنى.. فهذا تحل زوجته للرجل الذى تبناه.

وقد كان العرب يعتبرون الابن بالتبنى كأولادهم من ظهورهم، ويحرمون زوجة الابن بالتبنى على من تبناه.. وقد سمى القرآن الأبناء بالتبنى أدعياء فقال ـ تعالى:

﴿ وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ٤ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡ ﴾

(الأحزاب: ٤-٥)

ثم أبطل القرآن ما كان عليه أهل الجاهلية فى شأن الابن المتبنى، فأباح للرجل أن يتزوج من زوجة الابن الذى تبناه بعد فراقه عنها.

وقد أمر الله ـ تعالى ـ نبيه ﷺ أن يتزوج بزينب بنت جحش بعد أن طلقها زوجها زيد بن حارثة، وكان زيد قد تبناه النبى ﷺ فقال المشركون: تزوج محمد امرأة ابنه فأنزل الله ـ تعالى ـ:

(١٢) تفسير القرطبى جـ٥ ص١١٦.

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ﴾

(الأحزاب: ٣٧)

فإن قيل: إن قيد «من أصلابكم».. يخرج الابن من الرضاع كما أخرج الابن بالتبنى؟ فالجواب على ذلك: أن الابن بالرضاع حرمت حليلته على أبيه من الرضاع بقول النبى ﷺ: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب».

ثم بين ـ سبحانه ـ نوعاً سادساً من المحرمات فقال ـ تعالى ـ:

﴿ وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾

قال ابن كثير والمعنى: وحرم عليكم الجمع بين الأختين معاً فى التزويج إلا ما كان منكم فى جاهليتكم فقد عفونا عنه وغفرناه.. فدل على أنه لا مثنوية فيما يستقبل لأنه استثنى مما سلف وقد أجمع العلماء من الصحابة والتابعين والأئمة قديماً وحديثاً على أنه يحرم الجمع بين الأختين فى النكاح.. ومن أسلم وتحته أختان خير فيمسك إحداهما ويطلق الأخرى لا محالة، فقد روى الإمام أحمد عن الضحاك بن فيروز عن أبيه قال: أسلمت وعندى امرأتان أختان فأمرنى النبى ﷺ أن أطلق إحداهما»(١٣).

وكما أنه يحرم الجمع بين الأختين فى عصمة رجل واحد، فكذلك يحرم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها أو ابنة أخيها أو ابنة أختها لنهى النبى ﷺ عن ذلك. فقد جاء فى صحيح مسلم وفى سنن أبى داود والترمذى والنسائى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها، ولا على ابنة أخيها ولا على ابنة أختها».

وفى رواية الطبرانى أنه قال: «فإنكم إن فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم»(١٤).

والسر فى تحريم هذا النوع من النكاح أنه يؤدى إلى تقطيع الأرحام ـ كما جاء فى الحديث الشريف ـ إذ من شأن الضرائر أن يكون بينهن من الكراهية وتبادل الأذى ما هو مشاهد ومعلوم.. فكان من رحمة الله بعباده أن حرم عليهم هذه الأنواع من الأنكحة السابقة صيانة للأسرة من التمزق والتشتت، وحماية لها من الضعف والوهن، وسمواً بها عن مواطن الريبة والغيرة والفساد وقد عفا ـ سبحانه ـ عما حدث من هذه الأنكحة الفاسدة فى الجاهلية أو قبل نزول هذه الآية الكريمة بتحريمها، لأنه ـ سبحانه ـ كان ومازال غفارا للذنوب، ستاراً للعيوب، رحيماً بعباده، ومن رحمته بهم أنه لا يعذبهم من غير نذير، ولا يؤاخذهم على ما اكتسبوا إلا بعد بيان واضح.

(١٣) تفسير ابن كثير جـ١ ص٤٧٢.
(١٤) تفسير الآلوسى جـ٤ ص٤٦١.

حق الله على العباد

لفضيلة الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومي

روى الإمام مسلم رحمه الله فى صحيحه عن على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال:

«وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين. إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين. اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت. أنت ربى وأنا عبدك. ظلمت نفسى واعترفت بذنبى فاغفر لى ذنوبى جميعاً إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. واهدنى لأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها إلا أنت. واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها إلا أنت. لبيك وسعديك والخير كله فى يديك. والشر ليس إليك. أنا بك وإليك. تباركت وتعاليت. أستغفرك وأتوب إليك.....».

اللغويات

● وجهت وجهى: قصدت بعبادتى الذى ابتدأ خلق السماوات والأرض.

● حنيفاً: مائلاً إلى الدين الحق، وهو الإسلام. وقيل: المراد بالحنيف هنا المستقيم. وقال أبو عبيد: الحنيف عند العرب من كان على دين إبراهيم - عليه السلام -.

● وما أنا من المشركين: بيان للحنيف وإيضاح لمعناه. والشرك يطلق على كل كافر عابد وثن وصنم ويهودى ونصرانى ومجوسى ومرتد وزنديق وغيره.

● ونسكى: النسك هى العبادة والتطوع بالقربة.

● اللهم أنت الملك: القادر على كل شىء، المالك الحقيقى لكل المخلوقات.

● وأنا عبدك: معترف بأنك مالكى ومدبرى، وحكمك نافذ فىّ.

● ظلمت نفسى: اعترفت بالتقصير.

● اهدنى لأحسن الأخلاق: أرشدنى لصوابها، ووفقنى للتخلق بها.

● واصرف عنى سيئها: أى: قبيحها.

● لبيك: أنا مقيم على طاعتك إقامة بعد إقامة.

● وسعديك: مساعدة لأمرك بعد مساعدة، ومتابعة لدينك بعد متابعة.

● والخير كله فى يديك، والشر ليس إليك: فيه الإرشاد إلى الأدب فى الثناء على الله - تعالى - ومدحه، بأن يضاف إليه محاسن الأمور دون مساويها على جهة الأدب.

الشرح والبيان

إن الحكمة التى من أجلها خلق الله - عز وجل - الإنسان واستخلفه فى الأرض وجمّله بالمنطق وكمله بالعقل وميزه بالبيان وسخر له الكون بأسره - هى عبادة الله وحده لا شريك له. قال تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾

(الذاريات: ٥٦ - ٥٨)

فالله عز وجل ما خلق الجن والإنس إلا ليقروا له بالعبودية طوعاً وكرهاً، وهو الغنى عن عبادتهم؛ فهو سبحانه لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين، وهو غنى عن العالمين، وهو الرزاق ذو القوة المتين.

وفرق كبير بين العبادة والطاعة؛ لأن العبادة غاية الخضوع، ولا تستحق إلا بغاية الإنعام، ولهذا لا يجوز أن يعبد غير الله، ولا تكون العبادة إلا بمعرفة المعبود بخلاف الطاعة؛ فهى الفعل الواقع على حسب إرادة المريد متى كان المريد أعلى شأناً ممن يفعل ذلك، وتكون للخالق والمخلوق، كما أن الطاعة لا يصحبها قصد الاتباع كطاعة الإنسان للشيطان.

والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وهى كذلك فعل المأمورات وترك المنهيات، وهى على ضربين - كما ذكر الراغب - عبادة بالتسخير، وهى للإنسان والحيوان والنبات، وعبادة بالاختيار وهى لذوى النطق، وهى المأمور بها فى قوله سبحانه:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

(البقرة: ٢١)

وقد جاءت فى القرآن الكريم على وجهين: الأول التوحيد، كقوله تعالى:

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾

(النساء: ٣٦)

أى: وحدوه.. والوجه الآخر الطاعة، كقوله تعالى:

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾

(يس: ٦٠)

وهذا الحديث يصور لنا مشهداً من مشاهد عبودية الرسول ﷺ لله - عز وجل -، فهو إذا أراد الصلاة قام إليها مستقبلاً القبلة وقال:

﴿ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

(الأنعام: ٧٩)

فالله وحده المستحق للعبادة لا شريك له، إذ لا خالق غيره ولا معبود بحق سواه.

وقال:

﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

(الأنعام: ١٦٢)

أى: إن صلاتى ونسكى ومحياى ووفاتى لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، وقال: «اللهم أنت الملك، لا إله إلا أنت، أنت ربى وأنا عبدك»، أى: أنت السلطان القاهر، وأنت الرب القادر، وأنت مالك يوم الدين، وأنا العبد الذليل الممتثل أمر سيده، المجتنب نهيه، فكل نعمة أنا فيها من إنعامك، نفسى ومالى ملك لك.

وقال: «ظلمت نفسى واعترفت بذنبى فاغفر لى ذنوبى جميعاً إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»، تأمل كيف أن رسول الله ﷺ - وهو الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كما أخبر سبحانه فى صدر سورة الفتح:

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۝ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾

(الفتح: ١، ٢)

يسأل المولى - عز وجل - المغفرة ويعلن اعترافه بذنبه، لنتأسى به ونقتدى بهديه، ومن شدة خوفه من ربه ومهابته إياه أنه يقوم من الليل حتى تتورم قدماه، بكى ﷺ ذات ليلة فقالت له أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها: أتصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! فقال: يا عائشة أفلا أكون عبداً شكوراً؟!»[1]

فالمؤمن إذاً فى عبادة دائمة لله، فى أقواله التى يخاطب بها ربه ويناجى بها مولاه، وفى أفعاله التى يطلب بها رضاه، روى مسلم عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها».

هذا والركن الأول فى الإسلام عبادة الله وحده، روى البخارى ومسلم واللفظ له - عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «بنى الإسلام على خمس: على أن يعبد الله ويكفر بما دونه، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان».

وينبغى على العابد ألا يغتر بعبادته، بل يجتهد فيها، ويسأل الله - عز وجل - القبول ومغفرة الذنوب، فقد روى الترمذى عن أنس - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ دخل على شاب وهو فى الموت، فقال: «كيف تجدك؟» قال: والله - يا رسول الله - إنى أرجو الله، وإنى أخاف ذنوبى، فقال رسول الله ﷺ: «لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو، وأمنه مما يخاف»، وقد جاء فى الحديث

(١) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب إكثار الأعمال والاجتهاد فى العبادة.

القدسى: «أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه حين يذكرنى»[2].

وإذا كنا فى عصر التبس فيه الحق بالباطل، واختلط فيه الرشد بالغى والإيمان بالكفر، وتتابعت فيه الفتن كقطع الليل المظلم، فمن عصم نفسه واشتغل بعبادة ربه وطاعة خالقه كان كهجرة إلى رسول الله ﷺ، روى مسلم عن معقل بن يسار - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «العبادة فى الهرج كهجرة إلى». فما أعظم العبادة التى يقدمها العباد طاعة لربهم وزلفى خالقهم فى هذه الأوقات العصيبة! إنها ترفع شأنهم وتعلى قدرهم وتسمو بهم إلى أعلى درجات الجنة التى أعد الله لهم فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فمن أراد النجاة من النار والفوز بالجنة فليأخذ الجواب من الحديث الشريف الذى أورده الترمذى عن معاذ بن جبل - رضى الله عنه - قال: قلت: يا رسول الله، أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى من النار - قال: «لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، ثم قال: «ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل»، قال: ثم تلا قول الله تبارك وتعالى:

﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

(السجدة: ١٦ - ١٧)

وإذا كانت العبادة حقاً لله على العباد، فما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ لقد علم رسول الله ﷺ ذلك لمعاذ - رضى الله عنه -، لينقله إلى الأمة فى سلاسة ووضوح، روى البخارى ومسلم - واللفظ له - عن معاذ بن جبل - رضى الله عنه - قال: «كنت ردف النبى ﷺ ليس بينى وبينه إلا مؤخرة الرحل أى: العود الذى يكون خلف الراكب، فقال: يا معاذ بن جبل. قلت: لبيك رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة، ثم قال: يا معاذ بن جبل. قلت: لبيك رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة، ثم قال: يا معاذ بن جبل، قلت: لبيك رسول الله وسعديك - قال: هل تدرى ما حق الله على العباد؟ قال: الله ورسوله أعلم - قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، ثم سار ساعة، ثم قال: يا معاذ بن جبل، قلت: لبيك رسول الله وسعديك، قال: هل تدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: ألا يعذبهم».

ولذلك كان على بن الحسين - رضى الله عنهما - إذا توضأ أصفر وتغير، فيقال: ما لك؟ فيقول: (أتدرون بين يدى من أريد أن أقوم؟!) - إنه يقدر هذه الوقفة بين يدى ملك الملوك قيوم السماوات والأرضين..

وهكذا فالعبادة الحقة دليل اليقين، وعلامة الدين، وبشارة التوفيق من رب العالمين..

وفقنا الله جميعاً إلى ما يحبه ويرضاه.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله.

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾
(النمل : ٦٢)

إجابة الابتهال الصادق.. كما رأيت

للأستاذ : محمد مصطفى البسيونى

حضرت هذه الواقعة فى اليمن فى عام ١٩٨٤ عندما كنت خبيراً فى البعثة التعليمية المصرية هناك فى «لواء إب» أى (محافظة إب اليوم) وكان هذا اللواء يسمى فى اليمن «اللواء الأخضر» لما كان يمتاز به من خضرة الأرض ونضرة النبات وجمال الطبيعة المتدرج مع تدرج الجبال فى اتساق وعناق.

وتدور هذه الواقعة حول ما يشبه المعجزة إن لم تكن معجزة فعلاً، ففى موسم الأمطار فى تلك المنطقة أخلفت الأمطار موعدها وتخلفت عن موسمها الذى يقع فيما بين فبراير وأبريل من كل عام، وعندما أجدبت مساحات من الأرض، ونفقت أعداد من الماشية عبر الطرقات، وقلت كمية المياه التى يستخدمها السكان فى حياتهم اليومية مما أنذر بخطر وشيك أو واقع.

وكان لابد من أن تتجه النوايا إلى إقامة (صلاة الاستسقاء) استجابة لدعوة الدين الحنيف فى مثل هذه الظروف، وتمت الدعوة العامة والتامة لكافة أهالى المنطقة، وفيما أعلم وغيرها من المناطق عبر (الجمهورية العربية اليمنية).

فتواكبت وفود المصلين إلى المناطق الجبلية يحملون فى حناياهم الأمل العظيم فى رحمة منزل المطر - عز وجل -، وكانت هذه الوفود تبدأ مواكبها بالأطفال الرضع والشيوخ الركع والبهائم الرتع على التوالى بقدر الإمكان ثم العديد من الشباب فى تظاهرة إيمانية تسعى إلى الساحة الإلهية المطهرة تستغيث رب الغوث طلبا للغيث.

وكان من الناس من يبكى فى ضراعة أو يتضرع فى بكاء

حيث محك التجربة قد وضح للعيان أنه لا مفر من الله إلا إليه - سبحانه - الذى علم البشر فى قرآنه العظيم وفى آيته الحكيمة الحكمة:

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾
(الأنبياء : ٣٠)

وقضيت الصلاة التى استغرقت وقتاً يتفق مع لوعة هؤلاء المصلين الضارعين.

ولم ينزل المطر

ولم ينزل المطر، فعادت الوفود أدراجها - وأنا بينهم - تتفاوت أحاسيسها بين اليأس والرجاء والتردد واليقين.

وبعد يومين حانت صلاة الجمعة فى مسجد قريب من المسكن الذى كنت أقطنه فى شارع يسمى (شارع الحرية) ودخلنا المسجد للصلاة واعتلى الخطيب المنبر وكان فى سن لا تتجاوز الأربعين، وبدأت نبرة الخطبة من أولها صارخة وباكية يمتزج فيها الاعتراف بالذنب والإلحاح فى طلب الغفران بشكل يعيى القلم عن التعبير، لأنه يدخل فى دائرة الذوق وليس الوصف، مصداقا للإمام أبوحامد الغزالى - يرحمه الله -: «من ذاق عرف».

توجه الخطيب الشاب إلى الله - عز وجل - بصراخ ضارع لم تعهده فيما أعلم منابر الجمعة من قبل ولا أظن أنها ستعهدها من بعد.

«يارب.. يارب.. يارب.. لقد ارتكبنا كل ما نهيتنا عنه من موبقات وآثام، لقد قتلنا، وسرقنا، وزنينا وفعلنا الأفاعيل وأنت أعظم من أن تعاملنا بما عملنا ولكن أجدر بأن تعاملنا بإحسانك وغفرانك فنحن جديرون بالمعصية، وأنت جدير بالتسامح والغفران لأنك السيد ونحن العبيد، وحاشاك يا سيدنا أن يضيق غفرانك بآثامنا».

ثم تزداد النبرة ارتفاعا وتمتلئ الحنجرة صراخاً «ألطف بعبيدك يا سيد السادات ويا رب الأرباب، ويا مجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء»، وأخذ الخطيب الشاب المؤمن يكرر هذه الفقرة الأخيرة مرات ومرات قبل أن يخاطب المصلين: قوموا إلى الصلاة يرحمكم الله.

وهطل الغيث

وقضيت صلاة الجمعة تلك وبدأ المصلون - وأنا منهم - يشرعون فى الخروج من المسجد إلى منازلهم، ولم نكد نضع أقدامنا على الدرج الخارجى للمسجد حتى هطلت السيول، ونزل الغيث وفاضت على الناس رحمة الله - سبحانه وتعالى - حتى أخذنا نعود إلى داخل المسجد مرة أخرى تفاديا لهطول المطر الذى كنا نتلمس قطرات منه.

وكانت الساعة آنذاك الثالثة بعد الظهر، وقال لى بعض اليمنيين ونحن نعلق على ما حدث فى إيمان عميق بالقدرة العلية «إن المطر مادام قد نزل فى الساعة الثالثة فسيكون هذا موعده اليومى إن شاء الله، هكذا اعتدنا مع موسم المطر» وقد كان، ففى كل يوم كنا ننتظر المطر فى الساعة الثالثة بعد الظهر لمدة شهرين ولم يخلف المطر موعده تصديقا لقدر الله عز وجل ومصداقا لملاحظة صديقى

اليمنى العزيز أحد سلالة بنى قحطان من العرب الأصلاء.

والله تعالى - تقدست أسماؤه وأفعاله - لا يُجرَّب - وحاشاه عز وجل - ولكنه يتجلى بما شاء من آلائه فيما يريد من المكان وفيما يختار من الزمان.

ولست أسجل هذا الموضوع كحكاية أو رواية ولكنها واقعة وقعت، وحادثة حدثت، رأيت عناصرها بعينى، وسمعت وقعها بأذنى ولمست أثرها بجوارحى، وحفظتها دائما فى بؤرة شعورى رغم مرور الزمن لأن أثرها فى النفس أقوى من أن يمحى وأثبت من أن يزول.

عبرة لمن يعتبر

ولما كنا منذ نعومة أظفارنا - كما يقال - قد تعلمنا من آبائنا ومعلمينا أن لكل موقف فى الحياة عظة، ولكل حدث عبرة فقد كانت العظة والعبرة التى برزت فى كيانى من هذا الموقف أن الابتهال الصادق من أعماق المرء إلى الله - سبحانه - لابد له من نتيجة إلهية تسعف صاحب هذا الابتهال الصادق اللهيف وذلك مصداقا لوعد الخالق العظيم - عز وجل - لعباده فى قوله تعالى:

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾

(غافر: ٦٠)

وكذلك قوله سبحانه وتعالى:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾

(البقرة: ١٨٦)

فإذا خلصت النية بين العبد وبين الله، وإذا طُهِّر الطريق بين قلبك وبين الله فلابد من الإجابة الربانية، حيث يقول النبى ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى)[1].

أما إذا كان الابتهال موقفا مسرحيا مظهريا بعيدا عن الصدق والطهر كان رد الفعل «لا جدوى» لأن حبل الله المتين أولاً وأخيراً هو «الإخلاص» البحت الذى لا تشوبه شوائب المادة والمصلحة والهوى والنفاق ومن ثمة سميت السورة القرآنية التى تتحدث عن عمق العقيدة بسورة «الإخلاص»

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾

(سورة الإخلاص)

وصدق الواحد الأحد سبحانه وتعالى عما يصفون.

فإذا وقرت فى أعماقك حقيقة هذه المعانى الخالصة المخلصة المقدسة، وإذا تجلى عليك الحق سبحانه بالإيمان (الحقيقى) بها كان الطريق بينك وبين السميع المجيب معبداً دون عوائق، وممهداً دون معوقات وحول هذا يقول أسوتنا الحسنة ﷺ: (رب أشعث أغبر ذى

(١) عن عمر رضى الله عنه - رياض الصالحين - للإمام النووى.

طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لأبره)[2] لأن هذا الأشعث الأغبر ذا الطمرين الذى تنبو عنه أعين الناس فى مظهره يحمل جوهراً نقياً، ومخبرا نقياً، وعبودية لله لا يراها الناس ولكن يعلمها الحق الذى (يستحى أن يرد يداً ممدودة إليه بالدعاء الخالص العميق) كما جاء فى معنى حديث النبى ﷺ.

وما شاهدته فى المسجد اليمنى وسمعته من الخطيب اليمنى الشاب ليس تجربة، لأن الله عز وجل لا يجرب وحاشاه سبحانه ولكنه موقف عشته بنفسى، وتمنيت أن يرزقنى الله - جل وعلا - مثل هذا الإخلاص المحض فى الدعاء الصدوق، والإيمان الأمين فى الابتهال ومثلما تمنيت هذا لنفسى هاأنذا أدعو للآخرين الذين كثيراً ما يتشدق بعضهم بالتوجه إلى الله دون عدة، ويرددون دعاءهم دون عتاد، والعدة والعتاد هنا هما الإخلاص المحض.

بين العبادة والعادة

أقول قولى هذا لما نلمسه على الأرض من أن كثيراً من الدعاء أصبح أقرب إلى الادعاء، وأن كثيراً من عباداتنا صارت من عاداتنا.

وفيما عرفت عن سيدنا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أنه كان عندما يعود مريضا يقرأ له الآية الكريمة «بسم الله الرحمن الرحيم» وعندما انتقل الفاروق - رضى الله عنه - إلى الرفيق الأعلى، مرض البعض فقال أحد عواده: اقرأوا له «بسم الله الرحمن الرحيم» كما كان يفعل عمر. فرد عليه بعضهم: «حقا إن بسم الله الرحمن الرحيم موجودة ولكن: أين عمر» ومعنى هذا أن الله - عز وجل -:

﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾

(المائدة: ٢٧)

ومع ذلك فقد أمرنا الكريم الغفار - سبحانه وتعالى - ألا نقنط من رحمته:

﴿ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾

(الزمر: ٥٣)

وألا نيأس من روحه سبحانه:

﴿ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ ﴾

(يوسف: ٨٧)

فهل آن الأوان لكى نعيد التأمل فى أعماقنا وأن نعيد النظر فى علاقتنا بمحيينا ومميتنا ورازقنا سبحانه؟

ألا ينبغى أن نحاول أن نجيب على تساؤل القرآن الكريم:

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾

(الحديد: ١٦)

ويا ليتنا نجيب بصدق وإخلاص: بعد مضى أكثر من ثلاثة عشر قرنا من الزمان على بزوغ النور المحمدى «بلى.. لقد آن».

(٢) عن أبى هريرة - الجامع الصغير للسيوطى (والطمر هو الثوب الخلق)

الإعراض عن اللغو من أخلاق القرآن

لفضيلة الشيخ أحمد الشرباصي

إعداد فضيلة الشيخ/ علي حامد عبد الرحيم

الحمد لله تبارك وتعالى، جعل شعار الموحدين، والمعروف طلبة المصلحين، والمنكر عدو المؤمنين:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٤)

أحمده سبحانه وأشهد أن لا إله إلا الله رب العالمين، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله، أزكى من نطق، وأعلى من صدق، فعليه من ربه الصلاة والسلام، وعلى آله الكرام، وأصحابه العظام، وأتباعه الثابتين على دعوة الإسلام:

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ١٧٧)

يا أتباع محمد ﷺ..

«أخلاق القرآن» موضوع جليل واسع، شغلني بالتفكير فيه والكتابة عنه بضع سنوات ومازال يشغلني، ومن الواجب علينا أن تشغلنا أخلاق القرآن على الدوام، لأنها أخلاق الإسلام، وما قيمة المسلم إذا لم يتحصن بأخلاق القرآن؟.. ومن هذه الأخلاق القرآنية الإسلامية فضيلة «الإعراض عن اللغو». واللغو هو ما لا فائدة فيه من الكلام، حيث يصدر بلا فكر ولا روية، ولا توجد فيه فائدة أو ثمرة، ولقد أكد القرآن المجيد أن الإعراض عن

اللغو دعامة من دعائم الشخصية المؤمنة، وصفة أساسية من صفات الذين آمنوا بربهم فأفلحوا:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ (المؤمنون: ١-٣)

وحينما تحدث القرآن عن عباد الرحمن جعل الإعراض عن اللغو سمة بارزة من سماتهم فقال عنهم فيما قال:

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ (الفرقان: ٧٢)

أي لم يلتفتوا إلى اللغو ولم يتوقفوا عنده، ولم يلقوا نحوه بالا، ولم يشاركوا أهله فيه، بل صانوا أنفسهم وأكرموها عن أن يلحق بها شيء من غبار هذا الدنس، وذلك كما في قوله أيضا:

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ (القصص: ٥٥)

وكان أصحاب اللغو قوم صغار لئام لا يليق بالمؤمنين أن يقتربوا منهم أو يدنسوا طهارتهم بلؤمهم، لأن المؤمنين قوم كبار كرام ينزههم ربهم عن الدنو أو الاقتراب من أولئك اللئام أصحاب اللغو والباطل.

وإذا كان أهل التفسير قد ذهبوا في معنى اللغو مذاهب، فقالوا: إنه المعصية أو الباطل أو ذكر العورات أو الأذى أو السب، فالحق أن اللغو هو كل كلام أو عمل باطل لا يليق ولا ينفع، فسب الإنسان لغيره لغو من الحديث، والسخرية به لغو من الحديث، وإفشاء الأسرار لغو من الحديث، كما يشمل كل ما لا يليق أن يتعلق به أو يحرص عليه المؤمن صاحب الهمة والعزيمة والجد، والرسول ﷺ يقول: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[1] ويقول أيضا: «أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضا في الباطل»[2] ويقول عطاء بن رباح: «أما يستحي أحدكم إذا نشرت صحيفته التي أملاها صدر نهاره كان أكثر الناس ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه»؟

ولتشريف القرآن الكريم فضيلة الإعراض عن اللغو أخبرنا بأن الجنة ـ وهي دار النعيم الإلهي ـ منزهة عن اللغو، فقال عن أهلها:

﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾ (الواقعة: ٢٥، ٢٦)

أي لا يسمعون في الجنة باطلا ولا نسبة إلى الإثم، بل يقول بعضهم لبعض سلاما

(١) سنن الترمذي كتاب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.
(٢) كنز العمال ٧٩٣٢.

سلاما، أى تسلم سلاماً بعد سلام، ويقول:

﴿ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴾

(الطور: ٢٣)

أى يتجاذبون فى الجنة كأساً تجاذب المداعبة لشدة سرورهم، وهذه الكأس لا لغو مع شربها، لأنها ليست ككأس الدنيا، فهم لا يتكلمون أثناء الشراب بلغو الحديث ولا بسقط الكلام، ولا يفعلون ما ينسب إلى الإثم وإنما يتكلمون بالحكمة وفصل الخطاب، ويفعلون ما يفعله الكرام. وإذا كانت الجنة هى دار النعيم الواسع والتمتع العريض، ومع ذلك نزهها الله جل جلاله عن اللغو والباطل، وأكد هذا فى آيات كثيرة فكأنه سبحانه يريد لعباده المؤمنين ـ وهو أعلم بمراده ـ أن يكونوا حتى فى تنعمهم وتمتعهم بعيدين عن اللغو مجانبين للباطل، لأنهم على الدوام كرام غير لئام، يترفعون عن الصغائر والسفاسف حتى فى أوقات السرور ولحظات النعيم.

ويجب علينا أن نعرف بأن أغلب أقوالنا يسيطر عليها اللغو، وخصوصاً بين الذين لم يتربوا تربية إسلامية، ولم يتحصنوا بشىء من المثل الأخلاقية، وكأنهم غفلوا عن قول الحق فى بعض الناس:

﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾

(النساء: ١١٤)

وللنساء شهوة معروفة فى الإقبال على مائدة اللغو بنهم وشره، والاغتراف منها بمكاييل كثيرة، فالمرأة إذا ضلت طريق دينها وإسلامها استباحت لنفسها أن تقرض فى أعراض غيرها، وأن تأكل بسرف من لحوم سواها، وما أكثر اللغو الذى يجب أن تحاربه المرأة وأن تبتعد عنه. وإذا كان الناس يضربون المثل بالكلمات السبع «السبع كلمات» التى تحرص المرأة اللاهية على قولها ولوكها فى مختلف المناسبات ـ ولو على السلم ـ فإن المؤسف أن أغلب هذه الكلمات تكون عديمة الفائدة أو قليلة الجدوى، بل ربما كانت ضارة مفسدة، فليت المرأة المسلمة تتعلم كيف تطوى لسانها تحت سلطان عقلها وفضلها، فتقتصد فى كلامها، وتجعله من قبيل الكلام الصالح الطيب، فإن الله جل جلاله يقول:

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾

(فاطر: ١٠)

ويقول عن عباده المؤمنين:

﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾

(الحج: ٢٤)

وليت الجميع: نساء ورجالا يتذكرون قول القائل:

ما إن ندمت على سكوتى مرة

ولقد ندمت على الكلام مرارا

وهناك كثير من السفهاء لا يكتفون بالتقصير فى مجال الخير، ولا بالإهمال للكلمة الحلوة الطيبة، بل يتفكرون لأهل الخير والاستقامة، فيحاولون أن يشوشوا على دعوات الحق وأصوات الصدق، بضجيج الباطل أو عجيج التحريف والافتراء، وهذا صنيع أهل الكفر والعناد الذين صورهم القرآن المجيد بقوله:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾

(فصلت: ٢٦)

أى لا تسمعوه وعارضوه باللغو والكلام الباطل للتشويش عليه، وقد كان المشركون المجرمون يتواصون فيما بينهم بأن يرفعوا أصواتهم إذا سمعوا القرآن حتى لا يهيئوا الفرصة للمتدبرين كى يسمعوا ويعتبروا.

على أن هناك لوناً من اللغو يخبرنا القرآن أن الإنسان لا يؤاخذ عليه، وإن كان البعد عنه أولى وأليق بالمسلم، وذلك هو لغو اليمين، كما فى قول الله تعالى:

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ﴾

(المائدة: ٨٩)

واليمين اللغو هو قول الرجل فى حواره وفى درج كلامه عند العجلة: لا والله وبلى والله، دون قصد للحلف، أو يحلف ظاناً أن الأمر كما قال، وإذا هو بخلاف ذلك، أو يحلف ساهياً أو ناسياً، والأجدر بالمسلم أن يتجنب الحلف مهما كان بقدر الإمكان، والله جل جلاله يقول:

﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ ﴾

(البقرة: ٢٢٤)

يا أتباع محمد ﷺ...

من استطاع الكثير من الخير قولا أو عملا، فلا يليق به أن يقصر أو يتوانى، ومن عجز عن الكثير قولا وعملا، فلا ينبغى أن يحرم نفسه تقديم القليل، ومن عجز عن تقديم الكثير والقليل، فليتجنب الوقوع فى الإثم واللغو والباطل، ومن جره الشيطان إلى السوء، فليسارع بالإقلاع والامتناع، وليتذكر دائماً أن ربه يناديه مع المؤمنين قائلا لهم:

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

(آل عمران: ١٣٣ ـ ١٣٥)

***

الصدقة فى ميزان الإسلام:

أعظم الصدقة أجراً «٣»

لفضيلة الشيخ/ على عبد الباقى

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

استكمالا لموضوع: أعظم الصدقة أجرا نقول وبالله التوفيق:
إن أحد الصحابة الكرام أتى إلى رسول الله ﷺ يسأله عن الصدقة قال: يا رسول الله: أى الصدقة أعظم أجرا؟ قال: «أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان كذا» رواه البخارى ومسلم وغيرهما.

وقد بين لنا رسولنا العظيم محمد ﷺ حقيقة الأمر فيقول: وفى صورة سؤال مثير للصحابة: «أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه؟»

وبطبيعة الحال فكل واحد يحب ماله هو عن مال أى مخلوق آخر حتى ولو كان ولده، ولهذا قالوا: «كلنا يحب ماله أكثر من مال وارثه»، قال: «فإن مالك ما أنفقت ومال وارثك ما أبقيت»، أخرجه النسائى والبخارى.

فالحديث الشريف يوقظ النفوس النائمة وينبه القلوب الغافلة ويسمع اللاهين بحظ أولادهم عن حظهم عند ربهم أن ليس لكم عند الله إلا ما قدمتموه من مال طيب ابتغاء وجه الله - تعالى - سواء فى صورة زكاة مفروضة أو صدقة تطوع أو معروف أو إحسان ونحوه، وها هو الإمام مسلم- رحمه الله - يروى عن عبدالله بن الشخير-رضى الله عنه- قال: «أتيت النبى ﷺ وهو يقرأ «ألهاكم التكاثر» قال: يقول ابن آدم: مالى مالى وهل لك «يا بن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأبقيت» (رواه مسلم).

ألا فليعلم أولئك الذين يمسكون عن التصدق ويبخلون بحق الفقير والمحروم خوفاً على أولادهم الفقر والحاجة أن عملهم هذا سيؤدى إلى افتقار أولادهم من بعدهم، حيث ورثوهم مالاً لا بركة فيه ولا خير مالاً لم يطهر بالزكاة، ولم يصفَّ من القذارة التى هى حق الناس فيه.

عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: تشر الله عبدين ممن أكثر لهما المال والولد أى: بعثهما بعد موتهما قبل يوم القيامة بدليل ما بعده، فقال لأحدهما أى فلان ابن فلان» قال: لبيك وسعديك قال: ألم أكثر لك من المال والولد قال: بلى - أى رب- قال: وكيف صنعت فيما آتيتك؟ قال: تركته لولدى مخافة العيلة، قال: أما إنك لو تعلم العلم لضحكت قليلا وبكيت كثيراً، أما أن الذى تخوفت عليهم قد أنزلت بهم». ويقول للآخر أى «فلان ابن فلان» فيقول: لبيك رب وسعديك قال: ألم أكثر لك من المال والولد فيقول: بلى أى رب قال: فكيف صنعت فيما آتيتك؟ قال: أنفقت فى طاعتك ووثقت لولدى من بعدى بحسن طولك- أى: بحسن عطائك وفضلك ونعمك- قال: أما إنك لو تعلم العلم لضحكت كثيراً ولبكيت قليلا، أما إن الذى وثقت به قد أنزلت عليهم»، رواه الطبرانى فى الصغير، والهيثمى فى مجمع الزوائد.

وجاء فى الكتاب مع الله فى الدعوة والدعاة للغزالى تحت عنوان «هكذا ترك الخليفة أولاده، قال: دخل مسلمة بن عبدالملك على عمر بن عبدالعزيز فى المرض الذى توفى فيه فقال له: يا أمير المؤمنين إنك فطمت ولدك عن هذا المال وتركتهم عالة، ولابد لهم من شىء يصلحهم، فلو أوصيت بهم إلىَّ، أو إلى نظرائك من أهل بيتك لكفيتك مؤونتهم إن شاء الله، فقال عمر بن عبدالعزيز - رضى الله عنه -: أجلسونى، فأجلسوه، فقال: الحمد لله، أبالله تخوفنى يا مسلمة؟، أما ذكرت أنى فطمت أفواه ولدى عن هذا المال، وتركتهم عالة، فإنى لم أمنعهم حقاً هو لهم، ولم أعطهم حقا هو لغيرهم، وأما ما سألت من الوصاة إليك أو إلى نظرائك من أهل بيتى، فإن وصيتى بهم إلى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين، وإنما بنو عمر أحد رجلين، رجل اتقى الله فجعل الله له من أمره يسرا، ورزقه من حيث لا يحتسب، ورجل غير وفجر فلا يكون عمر أول من أعانه على ارتكاب الآثام، ثم قال: ادعوا إلى بنىَّ!، فدعوهم وهم يومئذ اثنى عشر غلاماً، فجعل يصعد بصره فيهم ويصوبه حتى اغرورقت عيناه بالدمع، ثم قال: بنفسى فتية تركتهم ولا مال لهم!! يابنى إنى قد تركتكم من الله بخير، إنكم لا تمرون على مسلم ولا معاهد إلا ولكم عليه حق واجب إن شاء الله، يابنى، لقد أدرت رأيى بين أن تفتقروا

فى الدنيـا، وبين أن يدخل أبوكم النار، فكان أن تفتقروا إلى آخر الأبد خيراً من دخولكم وأبيكم يوماً واحداً فى النار، قوموا يابنى عصمكم الله ورزقكم، قال: فما احتاج أحد من أولاد عمر ولا افتقر.

وذكر الإمام محمد متولى الشعراوى فى كتابه - التأمين - أن أبا جعفر المنصور قال لقاضى القضاة - وكان يدعى قتيل بن مالك - يوم أن حضر إليه يهنئه بالخلافة: عظنى؛ قال: أعظك بما رأيت أو من ما سمعت؟، قال: مما رأيت، قال: تعلم يا أمير المؤمنين أن عمر بن عبدالعزيز قد توفى وترك ثمانية عشر ديناراً، وأحد عشر ولداً وزوجته، فاشتروا له قبراً بسبعة دنانير وكفن بدينارين وبقى تسعة دنانير، وتعلم أن هشام بن عبدالملك بن مروان توفى وكان تحته أربع نسوة، فكان نصيب كل منهن من الثمن سبع وثمانون ألف دينار غير الذهب والعقارات، والله لقد رأيت وأنا قادم إليك فى الطريق أحد أحفاد عمر بن عبدالعزيز يحمل لله على مائة فرس، وأحد أحفاد هشام بن عبدالملك بن مروان يسأل الناس فى الطريق.

وهكذا نرى أن صلاح الآباء هو السبب فى سعادة الأبناء وحفظهم والتوسعة عليهم من الرزق من عند الله، وهو السبيل لاستمرار الأولاد على طريق الله تعالى وطاعته، قال تعالى:

﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾

(النساء: ٩)

وفى (سورة الكهف) نرى حفظ الله تعالى للكنز الخاص بالغلامين اليتيمين، فى تلك القرية البخلاء أهلها وكان ذلك بسبب صلاح الأب، وتم ذلك الحفظ بأمر من الله على يد الخضر عليه السلام وبصحبه موسى عليه السلام، وفى ذلك يقول المولى عز وجل:

﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾

(الكهف: ٨٢)

فعلينا أن نتعظ من ذلك، ونتذكر قول عثمان بن عفان - رضى الله عنه -: «لدرهم من قلٍّ خير من ألف ألف من فيض».

والله ولى التوفيق

***

قصة العدد

سمر أدبى بين شاعرين

للدكتور/ أبى حسام

قرأ عمر بن الخطاب رقعة الحطيئة التى بعث بها من السجن إليه وفيها يقول:

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ
زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة
فاغفر عليك سلام الله يا عمر

ففكر قليلاً ثم أمر باستدعائه، فحين مثل بين يديه قال له: والله لولا زغب الحواصل هؤلاء ما أطلقت سراحك الآن، ولكن لا تتعرض منذ الساعة إلى هجاء المسلمين، وسأعطيك من بيت المال ما يكفى أسرتك فخرج السجين وهو لا يصدق النجاة.

ثم فكر فى أى مكان يحل؟ فليس له بالمدينة أحد يلجأ إليه، وهداه تفكيره إلى أن يؤم المسجد النبوى، فهو بيت الله أولاً، وبالروضة الشريفة قبر رسوله ولم يكن قد زاره من قبل فرحب بالفكرة واتجه إلى المسجد بعد أن سأل عن الطريق إليه، وأجال النظر فرأى حلقة من الناس يجتمعون برجل ممن جاوز التسعين فتقدم إليها فسمع أبياتاً من الشعر تروى فأخذ مكانه دون سلام، ورأى الجالسون إنساناً قصير القامة أسود الوجه مدور البطن على وجهه عبوس لا يبشر بخير، يجلس ليستمع وكان الشيخ المسن هو الشاعر أبا ليلى الشهير بالنابغة الجعدى والقوم يستمعون إلى قصيدته التى مدح بها الرسول ﷺ حين وفد عليه مسلماً وكلهم ساكتون كأن على رؤوسهم الطير والنابغة ينشد المدحة من أولها حتى إذا بلغ قوله

فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه
ببعض أبت عيدانه أن تكسرا
سقيناهمو كأساً سقونا بمثلها
ولكنهم كانوا على الموت أصبرا

فصاح الحطيئة: هذا أصدق بيت قلته يا رجل أعده أعده فتعجب الحاضرون لجراءة هذا الذى قاطع الشاعر الكبير وتساءل الشاعر

ولماذا كان أصدق بيت!

فقال الحطيئة: لأنك اعترفت بالهزيمة في صدق وقدرت شجاعة أعدائك وهذا ما يندر فابتسم النابغة وقال: ما اسمك يا أخي؟ فقال في شموخ: أنا الحطيئة.

قالها متطلعاً في وجوه القوم فإذا الدهشة تعلوهم جميعاً فهم يسمعون الرعب المخيف من أهاجيه ويعلمون أنه أوجع السادة شر إيجاع ولم يكد يسلم من لسانه أحد وتلجلج النابغة فلم يقرأ بقية القصيدة فقال الحطيئة: لم أسمع هذه القصيدة من قبل ولكني علمت أن الرسول ﷺ تلقاها بالقبول ودعا لك بالخير وهذا مجد أي مجد.

قال النابغة: يا أبا مليكة وهي كُنية الحطيئة - قد كنت أود أن أراك وأحادثك في بعض ما عن لي من أمرك وأنا ضيف على أبناء عمومتي بالمدينة ولعلك توافق على مصاحبتي إليهم بعد صلاة العشاء، وقد كادت تحين فالسمر مع شاعر خطير مثلك؛ يلذ ويطيب.

.٢.

رأى أصحاب المنزل من بني جعدة ضيفهم الكبير أبا ليلي يصحب إليهم رجلاً قميئاً أسود الوجه منتفخ البطن لا يدل مظهره على ارتقاء فكري أو سيادة إنسانية ومثله لا يحسن أن يكون صاحباً للنابغة. ولاحظ أبوليلى ما يرتسم على الوجوه من إنكار، فقال للقوم: بدءاً معي شاعر العرب الحطيئة فتطلع بعضهم إلى بعض ونادى كبيرهم ربة المنزل، فقال لها هيئي أفضل ما لديك من الطعام، فلدينا الليلة ضيف لم يكد يسلم من لسانه أحد، وأشعاره تسير على الألسنة دون حجاب فما ينطلق بمقطوعة أو قصيدة إلا تناشدها الرواه، ولابد أن نستر أنفسنا معه.

وأراد النابغة أن يبعث جواً من الاطمئنان فقال للقوم: ستتركونا هانئين أما أنا وصاحبي فنستفرغ لرواية الشعر ومهما طال الليل فلن يأخذ من صدورنا غير القليل مما نحفظ وننشد فقال كبير القوم: لنعجل بالعشاء، ولكما ما تشاءان.

وبعد أمد قريب، خلا المكان للشاعرين فبادر النابغة يقول لصاحبه: أعرف أنك شاعر مقتدر وقد رأيت شاعر الحكمة زهير بن أبي سلمي وصادقت ولده كعباً وقد أثنى على شعرك كثير في أبيات ذائعة فلم لم تنهج نهجهما في الترفع عن الأهاجي؟ ولم لم توجه قصائدك لأغراض سامية تحوز إعجاب السامعين؟ أما كان الجدير بك أن تكون شاعر المدح والوصف لا شاعر الهجاء؟

استمع الحطيئة إلى سؤال النابغة وكان يقدر في نفسه أنه سؤال لابد أن يرد ولن يبلغ موضع الإقناع من النابغة إلا إذا كان صريحاً واضحاً لا يميل إلى الالتواء، فقال في هدوء بالغ وكأنه يهمس همساً: يا أخي أشكرك أن أحطت خبراً بأنباتي وعرفت صلتي بزهير بن أبي سلمى الذي أدين له بالفضل، لأن شعره بالذات كان يبلغ من نفسي مبلغ الإعجاب، وكنت وكعباً ولده عاكفين على روايته وحفظه دون نكير!

ولكن ظروفي الخاصة لم تكن كظروف كعب حتى أسير معه في اتجاهه، لقد ورث من أبيه ما ورث من عقار ومال وأنعام، وعاش مرفهاً لا يبحث عن لقمة العيش، ولكني ما كدت أنطق بقصيدة حتى رأيت الناس يتهكمون بي، ويقولون عبد أثيم لا نعرف له أبا شرعيا وأمه أمة تتنقل في دور الطامعين دون كرامة ومكانه الحقيقي أن يرعى الإبل في البادية وألا يسمح الناس له بالظهور في محافل السادة وأندية البيان، سمعت هذه القوارص في أول عهدي بالنظم، وقلت لعل القوم سيسكتون عن ثلبي حين يرون جودة شعري، وأصبح أكثرهم ينادونني «يا عبد» وما أنا بعبد فقد ولدت حراً وكان أحد شيوخ بني زهرة يتناولني بقارص القول حين يراني فصممت على هجائه وعرفت سيرة آبائه وأجداده وما يتحدث به الناس عنهم فقلت قصيدة مزعجة أنشدتها في محفلهم الجامع فانزعج بنو زهرة وسارت الأبيات في البادية وحاول آخر أن يعيد الكرة مهوناً من شأني وشأن أبي وأمي فبحثت عن تاريخ قومه ولم أدع نقيصة أعرفها عنهم وعنه حتى شفيت صدري بإعلانها في قصيدة موجعة أنشدتها في مجامع القوم وتناقلها الناس وعرفوا عن الرجل وأهله ما يشين وتصدرت المحافل متحدثا وهاجيا فهابني الناس وتيقنوا أنني شديد النكال، بل جاء منهم من يزورني في خيمتي المتواضعة ومن يهدي إليّ بعض النفائس حتى لا أبحث عن مثالب قبيلته وجميعهم يبغضني في الباطن الخافي ولكنهم يحذرون أبياتي التي يتداولها الناس، ومن طبائع الناس أنهم يسمعون المدائح فلا يكادون يروونها وتمر لساعتها مرور الريح أما الأهاجي فهم يروونها ولا يخلون ببيت منها وقد جاءني من السادة - السادة في عرف القوم لا فيما أعتقد - جاءني منهم من ينقل عني هجائي في فلان وفلان من خصوم ويكافئني بالهدايا وكأنه يشفي صدره بما قلت، فقل لي بعد ذلك: أأنا مخطيء كل الخطأ أم أنا أمام المنصفين معذور غير ملوم!

قال النابغة: هذا كلام له وجهه المعقول، وأستطيع أن أقبله من مثلك تماماً، إذ وجدت نفسك في غابة مليئة بالذئاب ومن لم يتذأب تأكله الذئاب، ولكن سؤالاً ملحاً يتردد في نفسي ولا أظنك تستطيع الإجابة عنه قال الحطيئة: علم الله أني أروح عن نفسي كثيراً بحديثي معك، فقد كنت في حاجة إلى من أبثه نجواي ففي التنفيس راحة، لاسيما بعد أن عانيت في الحبس ما عانيت ولا ألوم عمر على ما فعل، فهو حاكم عادل، وقد سأل حسان بن ثابت عن موقع هجائي للزبرقان فاشتط في الجواب، وكأنه حسدني على قوة تأثيري في الملأ. فقال ما قال، وأنا أرحب بسؤالك الذي يتردد في نفسك وتظن أني لا أستطيع الإجابة عنه.

قال النابغة: إذا كنت قد هجوت الناس لتأمن شرهم، فلماذا هجوت أباك وأمك وزوجك؟ بل لماذا هجوت نفسك؟ أكنت في حاجة إلى أن تأمن شر هؤلاء؟!

فابتسم الحطيئة، وبدت الابتسامة في وجهه الكالح كأنها عبوس مرير، ثم قال: لقد عرفت أن خصومي من الشعراء سينتقصون أبي، ويقولون إني دعي لقيط لا يعرف له والد، وسينتقصون أمي، ويقولون إنها جارية سوداء كتب عليها أن تكون ممتهنة بين الناس، ويظنون

أنى بذلك سأنكفىء فى جحرى منهزماً خزياناً فلا أهاجمهم بعد، لأنى جريح ممزق العرض فى رأيهم، فرأيت مرغماً أن أهاجم أعز الناس على وقلبى ينزف دماً فإذا سمعوا هجائى فى هؤلاء سكتوا، وقالوا ماذا عسانا نقول وقد قال أكثر مما نود أن نقول، وإذا كان يعلن ذلك على ملئه فلن يكون لهجائنا تأثير فى نفسه وقد تبرأت منهم علانية وسد علينا الطريق، هكذا ركبت الصعب واقتحمت العقبة وألجمت من يريد تجريحى، وقد خرجت إلى الدنيا مذموماً مدحوراً لسبب ليس لى فيه يد تجنى، وإنما هو سبب الأقدار التى جعلتنى دميماً شائهاً، ثم أحاطتنى بملابسات لو صادفت غيرى لسحقته سحقاً، فلا ينبس بلفظ واحد.

ظهرت دلائل الإشفاق والرحمة على وجه أبى ليلى واستطرد الحطيئة يقول: على أن هجائى لذوى قرباى لم يكن باتراً حاداً كهجائى الفارس الصوال فقد قلت فى والدى:

لبئس الشيخ أنت لدى تميم

وبئس الشيخ أنت لذى المعالى

وقلت فى أمى:

تنحى واجلسى عنى بعيداً

أراح الله منك العالمينا

أغربالاً إذا استودعت سراً

وكانوناً على المتحدثينا

حياتك ما علمت حياة سوء

وموتك قد يسر الصالحينا

وقلت فى امرأتى:

أطوف ما أطوف ثم آوى

إلى بيت قعيدته لكاع

فأبى هو بئس الشيخ وهى كلمة يقولها الإنسان عند الغضب وأمى غربال إذا استودعت سراً، والكثرة الكاثرة من النساء كذلك وهى ثرثارة صاخبة مع المحدثين وهن كذلك أيضاً وقد قال الشعراء فى هجاء زوجاتهم أكثر من كلمة «لكاع» التى وصفت بها امرأتى فما ظنوه هجاء قارصاً هو شبيه بالدعابة، أما الهجاء المرير حقاً فهو ما قلته عن نفسى حين قلت:

أبت شفتاى اليوم إلا تكلما

بسوء وما أدرى لمن أنا قائله

أرى لى وجهاً شوه الله خلقه

فقبح من وجه وقبح حامله

وأنا ساخط على خلقتى، وقد قلت الحق ولا أستطيع كتمانه، فما رأيك يا أبا ليلى؟

قال النابغة: لندع هذا الباب ولتنشدنى بعض أشعارك الجياد.

فقال الحطيئة: قلت ما لدىَّ وجاء دورك يا أبا ليلى!

فابتسم النابغة وقال: أنا فى شعرى عند الناس وسط، بل دون الوسط، لقد عشت فى عصر ظهر فيه النابغة الذبيانى، وزهير بن أبى سلمى، وأوس بن حجر، وعمرو بن كلثوم، وعنترة، والأعشى وغيرهم من فطاحل الشعراء، فلم يكن لى مكان بارز بينهم، كانوا بحاراً زاخرة وأمواجاً مرتفعة، وكنت ندى يتقاطر وكان الشعر ترويحاً بالنسبة إلى، أقوله لنفسى وأكتم أكثره، فلا أذيعه، أذكر أن مجارباً ابنى مات قبل أيام من موت أخى وحوح، فبكيت كثيراً، وقلت ما يدل على الفزع، ولكنى استحييت أن أعلن هلعى للملأ، وأنا رجل كبير مجرب عرف الحياة وعلم أنها لا تدوم لأحد، ثم أطلعت بعض أصدقائى على أهون ما قلت، وكانت امرأتى تتعجب أيضاً لما شاهدت من حزنى، وتسألنى عن عدم تماسكى، فقلت لها أبياتاً رويتها لصديقى فأذاعها ومنها:

ألم تعلمى أنى رزئت محارباً

فما لك منه اليوم شىء ولا ليا!

ومن قبله ما قد رزئت بوحوح

وكان ابن أمى والخليل المصافيا

فتى تم فيه ما يسر صديقه

على أن فيه ما يسوء الأعاديا

فتى كملت أخلاقه غير أنه

جواد فما يبقى على المال باقيا

أشم طويل الساعدين شمردل

إذا لم يرح للمجد أصبح غاديا

فصاح الحطيئة: الله أكبر!! هذه طريقتك فى التؤدة والإنصاف، بل فى الصدق الصريح، لقد أعجبت وأنت تروى بعض شعرك فى المجد بقولك: «ولكنهم كانوا على الموت أصبرا» فاعترفت بقوتهم الباسلة دون حرج وأنا أعجب الآن بقولك: «إذا لم يرح للمجد أصبح غاديا» فقد كان من الممكن أن تقول: إذا راح نحو المجد أصبح غاديا، فتجعله رائحا غاديا فى سعيه إلى المكارم ولكنك اكتفيت بالحق الصريح بعيداً عن كل زيف.

فابتسم أبوليلى وقال: لله أنت يا جرول لله أنت يا جرول قل أن يفهم ما تفهم من نوازع للشعراء!

وتطلع الحطيئة لصاحبه وقال: أريد أن أسمع بعض حنينك الوجدانى يا أبا ليلى فمثلك ليس يخلو من غرام! فقال: أصارحك بشىء فى نفسى هو أننى أستحى كثيراً من عرض دقائقى الوجدانية على الناس فأحاول كتمانها مع أن كل الشعراء يجهرون بها وأذكر من خلجات نفسى أنى فى شبابى لاقيت شابة أعرابية جميلة نظرت إليها فنظرت إلى وشجعتنى نظرتها الحانية على أن أسير من ورائها وكنت فى شبابى المتدفع ولكنها مضت دون أن تلتفت فحز ذلك فى نفسى وقلت أسفاً:

بدت فعل ذى ود فلما تبعتها

تولت وأبقت حاجتى فى فؤاديا

وحلت سواد القلب لا أنا باغيا

سواها ولا عن حبها متراخيا

فقال الحطيئة مرة ثانية: الله أكبر يا أبا ليلى الصدق الصدق ديدنك يا صاح!

تولت وأبقت حاجتى فى فؤاديا، غيرك يدعى أنه فارس الغزوات فى حلبة الغرام، وهو كذوب وأنت الصدوق الصدوق!

ثم أطرق النابغة كأنه يبكى فعرف الحطيئة «جرول» أنه هاج من قلب صاحبه شجوناً دفينة يمنعه حياؤه أن يلم بها، وعرف النابغة أن الليل قد تقدم فصفق بيديه فحضر صاحب النزل وكان لايزال ساهراً يرى من المعابة أن ينام قبل أن يطمئن على مبيت ضيفيه وقادهما إلى المضجع المريح، وأصبح الصباح فتفرق الشاعران كل إلى سبيله وكلاهما يحمل لصاحبه أجمل الذكريات!

الأدب مع الخلق «٥»

مراعاة شعور الآخرين عند الحديث والتوسع فى المجالس لهم

لفضيلة الشيخ/فوزى الزفزاف
عضو مجمع البحوث الإسلامية

حفلت آيات القرآن الكريم، وتوسعت الأحاديث النبوية فى توجيه المسلم إلى الفضائل التى يتم بها دينه، وتصلح بها دنياه وأخراه جميعاً، وإلى التمسك بالأدب السامى فى التربية والسلوك وحسن معاملة الآخرين، التى فى الالتزام بهما تسود الألفة والمودة والمحبة بين أفراد المجتمع.

وفرق بين المطالبة بالتحلى بأدب ما على أنه خلق عام، وبين التكليف به على أنه عبادة كسائر العبادات المفروضة فى هذا الدين، يُعتبر المسلم مقصراً فى حق الله حين يعرض عنه ويخالف التكليف.

لقد حدّد نبىّ الأمة، وهادى البشرية إلى الخير، ورسول الإسلام حدد الغاية الأولى من بعثته، والمنهاج المبين فى دعوته بقوله عليه الصلاة والسلام: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[1].

فكأن الرسالة التى خطت مجراها فى تاريخ الحياة، وبذل صاحبُها جهداً كبيراً فى مد شعاعها إلى آفاق الكون كله، وتحمّل من صنوف الألم والعذاب ما لا يتحمله بشر فى سبيل جمع الناس حولها، كأنها لا تنشد أكثر من إنارة آفاق الكمال أمام أعينهم، وتدعيم سلوك الأدب فيما بينهم، والالتزام بمنهاج الفضائل فى معاملاتهم، حتى يسعوا إليها على بصيرة، وينفذوها عن رغبة، ويتمسكوا بها عن عبادة.

يقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩) إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾

(المجادلة ٩، ١٠)

النجوى: الحديث سراً بكلام بين اثنين أو أكثر على انفراد. البر: ضد الإثم والعدوان وهو يعم جميع أفعال الخير التى أمر الله ـ تعالى ـ بها. والتقوى: الخشية من الله والامتثال لأوامره واجتناب نواهيه، وصيانة النفس عن كل ما لا يرضاه.

تحدثت الآيات السابقة فى هاتين الآيتين الكريمتين عن سلوك المنافقين ومن على شاكلتهم فى مسالكهم الخبيثة مع الرسول عليه الصلاة والسلام ومع أصحابه ـ رضوان الله عليهم، فقد كان المنافقون يتناجون بعضهم مع بعض، ويتحدثون فيما بينهم، وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم عليهم ليغيظوا المؤمنين.

نداء من الله ـ سبحانه ـ إلى المؤمنين يعلمهم ويرشدهم فيه إلى اتباع سلوك الأدب السامى فى معاملتهم بعضهم مع بعض، أى: يا من آمنتم بالله ـ تعالى ـ حق الإيمان، إذا أسَر بعضكم إلى بعض حديثاً فليكن حديثكم فيما بينكم يقوم على الخير لا على الشر، وعلى الطاعة لا على المعصية، وعلى البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.. حتى لا تتشبهوا بالمنافقين ومن على شاكلتهم فى الكفر والضلال، وفى الأقوال والأفعال السيئة.

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾

أى: وراقبوا الله ـ تعالى ـ فى أقوالكم وأفعالكم وفى كل أحوالكم وتصرفاتكم، فإنكم جميعاً سترجعون إليه وحده يوم القيامة، يوم البعث والنشور، يوم الجمع للحساب والجزاء.

﴿ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

المراد بالنجوى هنا هى نجوى المنافقين فيما بينهم ـ التى تحدثت الآيات السابقة عنها ـ، أى: إنما النجوى التى كان يتناجى المنافقون بها فيما بينهم كائنة من الشيطان لا من غيره، لأنه هو الذى كان يوسوس بها ويزينها فى قلوب المنافقين، ويحرّضهم ويغريهم على أن يتسارعوا بالإثم والعدوان.. أى:

ـ لقد زين الشيطان للمنافقين هذه النجوى السيئة، لكى يَحْزَن المؤمنون ويغتموا، بسبب ظنهم أن من وراء هذه النجوى مؤامرات سيئة عليهم.

ـ ويجوز أن يكون فعَل الشيطان ما فعل مع المنافقين، لكى يُدخل الحزن والغم على المؤمنين.

(١) أخرجه الإمام مالك.

﴿ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

تسلية للمؤمنين يصرفهم الله ـ تعالى ـ عن الحزن الذى ألم بهم بسبب نجوى المنافقين، أى: لا تحزنوا ـ أيها المؤمنون ـ لمسالك المنافقين معكم، ولا تخافوا من تناجيكم فيما بينهم، فإنها نجوى حرّضهم الشيطان عليها وزينها لهم، واعلموا أن كيد الشيطان لن يضركم شيئاً ولن يلحق بكم أذى فى أى حال من الأحوال، إلا فى حال إرادة الله ـ تعالى ـ ومشيئته.

ومادام الأمر كذلك، فاجعلوا توكلكم ـ أيها المؤمنون ـ على الله ـ تعالى ـ وحده، ولا تلقوا بالاً للمنافقين ولا بتناجيهم، ولا بما يوسوس الشيطان لهم من مسالك سيئة، فإن كل شىء بقضاء الله وقدره.

قال الألوسى ـ رحمه الله: وحاصل هذا الكلام أن ما يتناجى المنافقون به مما يحزن المؤمنين إن وقع فهو إرادة الله ـ تعالى ـ ومشيئته، ولا دخل للمنافقين فيه، وما دام الأمر كذلك فلا يكترث المؤمنون بتناجيهم، وليتوكلوا على الله ـ عز وجل ـ ولا يخافوا من تناجيهم.

ثم إن التناجى بين المؤمنين قد يكون منهياً عنه، فقد أخرج الشيخان وغيرهما عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كنتم ثلاثة، فلا يتناجى اثنان دون الآخر، حتى تختلطوا بالناس من أجل أن ذلك يحزنه».

ومثل التناجى فى ذلك، أن يتكلم اثنان بحضور ثالث بلغة لا يفهمها الثالث إن كان يحزنه ذلك[2].

عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا بإذنه، فإن ذلك يحزنه»[3].

ويتضح مما تقدم أن تعاليم الإسلام تنهى عن التناجى فى الحالات التى توقع الريبة فى القلوب، والشك فى النفوس، وتزعزع الثقة بين الأفراد والجماعات، وتكون مصدرا للضغائن والبغضاء.

وهذا النهى لون من ألوان الأدب الحكيم فى التعامل مع الخلق، الذى يحفظ للمؤمنين مودتهم ومحبتهم، ويبعد عن نفوسهم الشكوك والريب، ويطرد عن قلوبهم نزعات الشيطان الذى يجرى من ابن آدم مجرى الدم فى العروق.

ويقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

(المجادلة: ١١)

التفسح: بمعنى التوسع فى المكان ليجد الإنسان مكانا يجلس فيه، والنشوز: الارتفاع عن الأرض.

نداءات إلهية إلى المؤمنين ترشدهم وتوجههم

(٢) تفسير الألوسى ـ بتصرف.

(٣) مسلم.

إلى الآداب السامية والأخلاق الحميدة والفضائل الكريمة التى ينبغى عليهم أن يتحلوا بها فى معاملتهم بعضهم مع بعض.

ذكر المفسرون فى سبب نزول هذه الآية روايات:

منها ما روى عن قتادة أنه قال: نزلت هذه الآية فى مجالس الذكر، وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلا، ضنوا بمجالسهم عند رسول الله ﷺ، فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض.

وقال مقاتل بن حيان: أنزلت هذه الآية يوم الجمعة، وكان رسول الله ﷺ يومئذ فى الصّفة، وفى المكان ضيق، وكان يُكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار، فجاء ناس من أهل بدر وقد سبقوا فى المجالس، فقاموا حيال رسول الله ﷺ، فقالوا: السلام عليكم أيها النبى ورحمة الله وبركاته، فرد النبى ﷺ عليهم، ثم سلموا على القوم بعد ذلك، فردوا عليهم السلام، فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم، فعرف النبى ﷺ ما يحملهم على القيام، فلم يُفسح لهم، فشق ذلك عليه، فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار من غير أهل بدر: قم يا فلان، قم يا فلان، فشق ذلك على من أُقيم من مجلسه، وعرف ﷺ الكراهية فى وجوههم، فقال المنافقون: ألستم تزعمون أن صاحبكم هذا يعدل بين الناس؟ والله ما رأيناه قد عدل على هؤلاء...، فبلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «رحم الله رجلا يفسح لأخيه، فجعلوا يقومون بعد ذلك سراعا، ونزلت هذه الآية[4].

أى: يا من آمنتم بالله حق الإيمان، إذا قيل لكم توسعوا فى مجالسكم لتسع أكبر عدد من إخوانكم فامتثلوا واستجيبوا، لأن فعلكم هذا يؤدى إلى أن يفسح الله ـ تعالى ـ لكم فى رحمته، وفى منازلكم فى الجنة، وفى كل شىء تحبونه من رزق وخير فى الدنيا والآخرة، ويؤدى إلى زيادة المحبة والمودة بينكم.

﴿ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا ﴾

نوع آخر من أنواع الآداب الحكيمة التى يوجهنا القرآن الكريم إلى اتباعها لنشر الألفة والمحبة بين المؤمنين، أى: وإذا قيل لكم ـ أيها المؤمنون ـ انهضوا من أماكنكم للتوسعة على المقبلين عليكم فانهضوا ولا تتكاسلوا ونفذوا ذلك بانشراح صدر ونفس راضية.

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾

بيان جزاء الالتزام بتنفيذ الآداب السامية التى وجّه القرآن الكريم المؤمنين إلى اتباعها فى معاملتهم بعضهم مع بعض، أى: وإذا قيل لكم ـ أيها المؤمنون ـ ارتفعوا عن مواضعكم فى المجالس فارتفعوا، فإنكم إن تفعلوا ذلك يرفع الله ـ تعالى ـ المؤمنين الصادقين منكم درجات عظيمة فى الآخرة، ويرفع العلماء منكم درجات أعظم وأكبر.

﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

أى: والله ـ تعالى ـ مطلع اطلاعا تاماً على نواياكم، وعلى ظواهركم وبواطنكم، فالتزموا بتنفيذ أوامره وتوجيهاته وإرشاداته فى آداب السلوك والمعاملة فيما بينكم.

(٤) تفسير ابن كثير.

وقد أخذ العلماء من هذه الآية الكريمة بعض الأحكام، منها:

١ـ أن إفساح المؤمن لأخيه المؤمن فى المجلس، من الآداب الإسلامية التى ينبغى التحلى بها، لأن هذا العمل بجانب رفعه لدرجات المؤمن الذى يوسع لأخيه فى المجلس، فإنه سبب للتواد والتعاطف والتراحم.

وأن المجالس المطلوب الإفساح فيها عامة مادام المسلمون يجتمعون فيها للخير ونفع المسلمين، ولكن بدون أذى، فقد أخرج الشيخان عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقيم الرجلُ الرجلَ من مجلسه ثم يجلس هو فيه».

٢ـ أنه يجوز القيام للقادم على المجلس، قال الإمام ابن كثير: وقد اختلف الفقهاء فى جواز القيام للوارد إذا جاء، على أقوال:

(أ) ـ فمنهم من رخص فى ذلك محتجا بحديث: «قوموا إلى سيدكم»

(ب) ـ ومنهم من منع من ذلك، محتجاً بحديث: «من أحب أن يتمثل له الرجال قياما. فليتبوأ مقعده من النار».

(ج) ـ ومنهم من فصّل فقال: يجوز القيام للقادم من سفر، وللحاكم فى محل ولايته، كما دل عليه قصة سعد بن معاذ، فإنه لما استقبله النبى ﷺ حاكما فى بنى قريظة، فرآه مقبلا قال للمسلمين: «قاموا إلى سيدكم»، وما ذاك إلا ليكون أنفذ لحكمه ـ والله أعلم.

فأما اتخاذه ـ أى القيام ـ دينا، فإنه من شعار الأعاجم... وفى الحديث المروى فى السنن أن رسول الله ﷺ كان يجلس حيث انتهى به المجلس، ولكن حيث يكون صدر ذلك المجلس، وكان الصحابة يجلسون فيه على مراتبهم، فالصديق عن يمينه، وعمر عن يساره، وبين يديه غالباً عثمان وعليّ لأنهما كانا ممن يكتبون الوحى، وكان يأمرهما بذلك»[٥].

٣ـ فَضْل العلماء وسمو منزلتهم: قال صاحب الكشاف: عن عبدالله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال: ياأيها الناس افهموا هذه الآية، ولترغبكم فى العلم، وفى الحديث الشريف «بين العالم والعابد مائة درجة»، وفى حديث آخر «فضل العالم على العابد، كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم».

وعن بعض الحكماء أنه قال: ليت شعرى أىَّ شىء أدرك مَنْ فاته العلم، وأىَّ شىء فات مَنْ أدرك العلم.

وعن الأحنف: كل عز لم يوطد بعلم فإلى ذل يصير[٦].

***

(٥) تفسير ابن كثير.
(٦) تفسير الكشاف.

قصيدة العدد

جهاد نبى..

للشاعر الكبير الأستاذ/ محمد عبدالغنى حسن

جَاهَدْتَ باسمِ اللهِ والقُرآنِ ... وحطَمْتَ ما عَبَدُوا من الأوثانِ
نورُ النبوةِ فى جَبينِكَ واضحٌ ... فَتَمَيَّزٌ بالرُّشْدِ والإيمانِ
فيهِ من الحقِّ المُبينِ مَلامحٌ ... ومن اليقينِ أدلَّةٌ ومَعانى
يمشى بضوءِ سَناهُ كُلُّ مُحَيَّرٍ ... فَتَكونُ فيهِ هدايةُ الحَيْرانِ
هو من ضياءِ الحقِّ جلَّ جلالُهُ ... فَشُعاعُهُ مُتَلألئٌ نورانى

***

يأيُّها الهادى الأمينُ تحيةً ... من عالَمٍ أمْسَى بغيرِ أمانِ
فَقَدُوا الدَّليلَ علَى السَّبيلِ وأصْبحُوا ... صِنْفَيْنِ فى المَيْدانِ يَقْتَتِلانِ
قطعُوا العَلائِقَ بينَهم وتنكَّرت ... بينَ الشعوبِ دلائلُ العِرفانِ
ما بالُهمْ -غَفَرَ الإلهُ ذُنوبَهم- ... قد أمْعَنوا فى الإثْمِ والعُدْوانِ
وطلوا بتحريرِ الشعوبِ نِفاقَهمْ ... وتَشَدَّقُوا بالعِلْمِ والعُمْرانِ
هُمْ حرَّروا الإنسانَ من أصفادِه ... لكنَّهم حَرْبٌ على الإنسانِ..

***

يا رافع البنيان بين جماعة   كانت مهدمة بلا بنيان

وَمُشيد الأركان بين قبائل   كانت بلا أسٍ ولا أركان

بالله كيف وجدت ذل رجالها   فخلقت منها عزة السلطان؟؟

هي أمة كانت بغير روابط   إلا رباط الجهل والطغيان

جاءت لها الدنيا تدين وأقبلت   منقادة للواحد الديان

خضع الملوك القاهرون لبأسها   وعنا لسطوتها ذوو التيجان

وارتج (بابليون) وهو ممنع   واندك منها جانب (الإيوان)

تمشي على ثبج المحيط وترتقي   بين الصخور الغبل والصوان

الحق يقذفها بكل تنوفة   والشوق يدفعها لكل مكان

فتخوض أهوال الحياة قريرة   بالله ... نافرة من الشيطان

لا تستقر على الوساد جنوبهم   كيف القرار لأنفس الشجعان؟؟

يستعذبون الموت وهو محقق   ويصافحون البيض وهي دواني

ويرون عارا أن تموت جسومهم   في غير ساح الحرب والميدان

هانت عليهم في الجهاد نفوسهم   لكنها ما أخلدت لهوان...

***

يأيها الهادي صبرت ولم تزل   للصبر بعض فضائل الإيمان

لله ما يجد الفتى من دهره   ولربه ما يلتقي ويعاني

ما لذة الدنيا إذا هي لم تكن   ممزوجة بشوائب الأدران؟؟

أوذيت من كف القريب فلم تكن   إلا مثال العفو والغفران

ولقد أساء المشركون وأمعنوا   فيك الإساءة أيما إمعان

فرأوك تلقاهم بكل سماحة   وترد عنك السوء بالإحسان

دين من الحق الصراح أقمته   عبق النسائم طيب الألوان

ما كانت الدنيا لتحمي دونه   لولا حمايته من الرحمن

ما المرء في الدنيا وما أعوانه   إن لم يحطه الله بالأعوان؟؟؟

يا ضاربا في الصبر أحسن سيرة   تتلى بأروع آية وبيان

كيف احتملت من الحياة بلاءها   ولقيت ظلم الأهل والجيران؟

أيقنت نصر الله وهو حقيقة   ويظنه الجهال بعض أماني

وعد وعدت به وما أخلفته   جاءت به البشرى على الفرقان

الفتح يتلو الفتح بين مرابع   والنصر يتلو النصر بين مغاني

والشرك مخذول الأواصر مجهد   والكفر مبتوت الروابط عاني

والجاهلية نكست أعلامها   ومضت تجرجر خيبة الكهان

ذهبت مساوئها وعاد شبابها   نوعا من الإشراق واللمعان

وغدت قلوب النافرين مواطنا   لمحبة ومنازلا لحنان

وتقاربت شتى الفجاج وأصبحت   مطوية منهم على إخوان

فإذا نفوسهم بغير حفيظة   وإذا قلوبهم بلا أضغان

قد ألفت تلك العقيدة بينهم   ما لم تؤلفه يد الأزمان

***



ما بعد الصفاقة
معاداة السامية الجديدة

تأليف

الأستاذ/ نورمان فنكلشتاين

ترجمة

الدكتورة/ فاطمة نصر

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

٢

روى الإمام البخارى عن أنس – رضى الله عنه -فى إسلام عبدالله بن سلام- حديثا مطولا. جاء فيه أن عبدالله بن سلام قال: «... يا رسول الله إن اليهود قوم بُهت؛ إن علموا بإسلامى قبل أن تسألهم بهتونى عندك، فجاءت اليهود، ودخل عبدالله البيت، فقال رسول الله ﷺ: أى رجل فيكم عبدالله بن سلام؟ قالوا: أعلمنا وابن أعلمنا، وأخيرنا وابن أخيرنا. فقال رسول الله ﷺ: أفرأيتم إن أسلم عبدالله؟ قالوا: أعاذه الله من ذلك. فخرج عبدالله إليهم، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله. فقالوا: شرُّنا وابن شرنا، ووقعوا فيه.» (صحيح البخارى: ٤ / ١٦٠)

صورة من واقع الحياة تكشف عن أبعاد الصفاقة اليهودية، ومدى وقاحتهم وجرأتهم على قلب الحقائق، وانتقالهم من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار فى لحظة واحدة، دون تردد أو خجل بدرجة لا يتصورها عقل، على نحو ما قرره الأستاذ (نورمان فنكلشتاين) فى كتابه (ما بعد الصفاقة) بفصوله كلها؛

إسرائيل بديل السامية

ففى الفصل الثانى (إسرائيل يهودى الأمم) ذكر: أن التعبير المجازى الجديد الذى سوف يسود تيار (معاداة السامية الجديدة) هو القول بأن إسرائيل قد أضحت (يهودى العالم الجديد)

وهذا التعبير المجازى صرح به طائفة من كتاب الغرب، مثل (فيليس تشسلر)، و(مورتيمربى زكرمان)، و(إيروين كوتلز)، و(جبرييل شونفلد)، فكل هؤلاء يرددون فى كتاباتهم وكتبهم ما يصرح بأن نقد إسرائيل إن هو إلا معاداة لليهودية يعادل تماما معاداة السامية؛ فمعاداة السامية تحولت من كونها موقفا ضد اليهود إلى موقف ضد إسرائيل.

ولقد أوضح (درشوويتز) أستاذ القانون بهارفارد هذا التوجه فى قوله: «المنطق يقول: بما إن إسرائيل هى اليهود بين الأمم، فإن نقدها ينبثق من نفس النبع المسمم شأنه شأن معاداة السامية».

من ثم... فهو -تعريفيا- معاد للسامية، وبما إن (الهولوكست) كانت ذروة آخر انفجار مهول لمعاداة السامية، فإن من ينتقدون إسرائيل فى الوقت الراهن يُعدُّون لاندلاع (هولوكست) جديد.

ومن هذا المنطق المزيّف يقدمون إسرائيل (اليهود) فى صورة ضحايا الحصار الراهن، وليسوا الفلسطينيين.

وبذلك... يحولون القضية من (اقتلاع اليهود للعرب من أرضهم) إلى (معارضة العرب لليهود)، حتى إن إسرائيل -بسبب هذا الإرهاب- لا تكاد تتعرض لأى نقد فى أماكن عديدة، مثل الولايات المتحدة، وألمانيا.

بل إن (فيليس تشسلر) فى كتابها (معاداة السامية الجديدة) تقدم عدوان إسرائيل على مجاوريها من العرب على أنها حروب كبيرة دفاعا عن النفس، مثل اجتياح سيناء سنة ١٩٥٦، واجتياح لبنان سنة ١٩٨٢، والانتفاضتين الفلسطينيتين سنة ١٩٨٧، وسنة ٢٠٠٠ ضد الاحتلال الإسرائيلي.

لقد استطاع أنصار إسرائيل -بعد تمكنهم من استبعاد ألمانيا- استغلال البشاعات النازية ليوجهوا ضرباتهم إلى أى نقد للقادة اليهود أو الإسرائيليين؛ لكى يخرسوا هذا الشعب.

وقد وضح هذا حين تصاعدت الضغوط على إسرائيل من أجل التوصل إلى تسوية مع الفلسطينيين على أساس دولتين؛ فقد أصدر (اتحاد اليهود والمسيحيين) الألمانى بيانا بعنوان (عن خطر معاداة السامية الجديدة) حذر فيه من أن الدلالات على العودة إلى معاداة اليهود تتصاعد فى الوقت الراهن، وزعم: أنه بالإمكان رؤية معاداة السامية القديمة تتخفى خلف النقد الموجه للحكومة الإسرائيلية.

بهذا المنطق المزيف اتهم هؤلاء بمعاداة السامية

ويخلص المؤلف من ذلك إلى أن هؤلاء الصفقاء -وفى مقدمتهم (تشسلر) قد وسعوا -بمنطقهم الجديد- دائرة معاداة السامية، بحيث أصبحت تضم -إلى جانب المتهمين المشهورين -منظمات

حقوق الإنسان الغربية، والأكاديميين، والمفكرين، والمعارضين الغربيين للرأسمالية والكوكبية، ودعاة الحفاظ على البيئة، والمعارضين للعنصرية، والنشطاء المعارضين للحرب، والحركات النسوية التقدمية، والحركات النسوية اليهودية التي بدأت في النضال من أجل حقوق منظمة التحرير، والإعلام الأوروبي، والأمريكي اليساري والليبرالي.

ويأتي (جبريل شونفلد) ليناقس (تشسلر) في صفاقتها، فينضم -إلى المعادين للسامية- صحافة التيار الرئيسي الأوروبي مثل (لوموند، والإيكونومست)، وأخبار التليفزيون الفرنسي، وبي بي سي، والمنظمات الليبرالية اليسارية، إلى آخر تلك القائمة الطويلة التي تجاوزت الحد في المبالغات، فعدَّت اليهود اليساريين -مثل تشومسكي- في طليعة المعادين للسامية الجدد.

بل إن (دون روزنبوم) يذكر أن الدول الأوروبية جميعها -لا الألمان فقط- تواطأت مع هتلر في عمليات الإبادة الهتلرية، وأنهم مستعدون الآن لقتل اليهود ثانية؛ فقد بدأوا يتآمرون لتنفيذ (الهلوكوست) الثانية بفرضهم على اليهود دولة منفصلة، تمكنهم من ترحيل من نجا من اليهود وبقي في القارة الأوروبية إليها؛ فالواقع الأساسي لإقامة دولة إسرائيل لم يكن هو رغبة اليهود في وطن خاص بهم، ولا رغبة الصهيونيين، بل هو توق الأوروبيين لترحيلهم والاستحواذ على ممتلكاتهم، واختاروا عامدين أن يرحلوهم إلى رقعة صغيرة في الصحراء لا يمكن الدفاع عنها وسط بحر من الشعوب المعادية، وأن تكون تلك الرقعة من الصغر بحيث لا يمكنها استيعاب اليهود والفلسطينيين، فيقوم اليهود بطرد الفلسطينيين؛ ليكرههم الفلسطينيون.

وبذلك.. يدفعون الساميين إلى أن يقتل بعضهم بعضا مع إلقاء اللوم على اليهود.

ولقد بدأ الأوروبيون الآن ينفذون مشروعا سريا لإبادة ما تبقى من الجالية اليهودية في أوروبا، حيث سمحوا للجاليات العربية داخل أوروبا بحرق المعابد، وضرب اليهود في الشوارع نيابة عنهم.

استخذاء دولي خوفا من هذا الاتهام

ويذكر المؤلف: أن تسميم مناصري إسرائيل للخطاب العام بهذه الصورة الشرسة لم يقتصر على تشويه حقوق الإنسان في الولايات المتحدة، بل إن صور هذا التشويه تأتي من ألمانيا أكثر بشاعة وخزيا، حيث رأينا (مايكل دولفستون) يعدُّ التعذيب أمرا مشروعا لمواجهة الإرهابيين. وعندما وبخه وزير الدفاع على ذلك... اتهمه بأنه ضحية معاداة السامية.

وفي كندا أعلن رئيس معهد (بني بريت) للشئون الدولية: أن لجوء إسرائيل إلى تكتيكات إرهابية ضد الفلسطينيين أمر مقبول؛ فالإرهاب خيار تستخدمه الدول لمنع حوادث القتل.

وفي فرنسا ابتُدع تصنيف جديد هو (معاداة السامية بالوكالة)، وحدد المعادين للسامية بالوكالة بأنهم هؤلاء الذين لم يرتكبوا بأنفسهم فعلا معاديا للسامية، ولا استفعلوا أحدا في ذلك، ولا حفزوا علنا لارتكاب فعل معاد للسامية، بل هم هؤلاء الذين تمنح آراؤهم أو كلماتهم أو مجرد صمتهم دعما لمعاداة السامية، مثل الذين يعتقدون أن للاجئين الفلسطينيين حقا في العودة إلى وطنهم.

ولقد صور هذا الابتداع في تقرير فرنسي تحت إلحاح وزارة الخارجية، مع إيصائه بتجريم أي اتهام لإسرائيل بالعنصرية أو أية مقارنات لها بهذا.

استثمار الاستخذاء الدولي

وهذا الاستخذاء الدولي قد هيأ أصلح البيئات لنشر الأكاذيب المفضوحة دون تردد أو توجس أو حياء؛ فهذه (تشسلر) تعلن في وقاحة: أن من حق اليهود أن يطالبوا بكل أرض إسرائيل؛ لأنهم كانوا يصلون من أجل أورشليم وإسرائيل ثلاث مرات في اليوم حينما كانوا في المنفى منذ ألفي عام؛ مغفلة أن هذا المنطق يجعل من حق الأمريكيين الأصليين المنفيين منذ مائتي عام فقط إذا صلوا من أجل وطن (تشسلر) فستتنازل لهم عن حقها فيه.

ولا تكتفي (تشسلر) بهذه الأكاذيب المفضوحة، ولكنها -في أكاذيبها- تلغي ذاكرتها وذاكرة الآخرين فتقول: إن حماس كانت تشن هجماتها قبل احتلال إسرائيل لغزة والضفة سنة ١٩٦٧، غير ملقية بالا إلى أن حماس لم تنشأ إلا في نهاية ثمانينيات القرن العشرين؛ أي بعد الاحتلال الإسرائيلي بعشرين عاما تقريبا.

وبمنطقها المزيَّف الوقح... تدين القرار الذي اتخذته الأمم المتحدة منذ ثلاثين عاما، والذي ساوى بين الصهيونية والتمييز العنصري وبين الأيديولوجيا الإمبريالية والأبارتايد.

ويسير على هذا النهج (هورويتز كريج)، فيصف بالبشاعة إدانة الأمم المتحدة لإسرائيل بسبب بنائها جدارا تمنع به وصول المفجرين الانتحاريين، على الرغم من أنها -ببناء هذا الجدار- تقتطع أكثر من نصف الضفة الغربية لصالح إسرائيل.

وكذلك... يتعقب (طوم جروس) البريطاني أي معاداة إعلامية للسامية، فيهيل عبارات الاحتكار على الأساطير التي تزعم أن إسرائيل ارتكبت جرائم حرب في جنين، على الرغم من أن تقارير منظمة العفو الدولية، وهيومان

رايتس ووتش ذكرت: أن أربعة آلاف فلسطيني أصبحوا دون مأوى نتيجة عمليات التدمير الإسرائيلية التي مورس معظمها بعد انتهاء القتال.

ومثل هؤلاء -في توجهاتهم- سيل جارف من الكتاب والصحفيين الذين بذلوا كل جهد في تضليل الآخرين والإصرار على أن كل من يتعقب إسرائيل في أفعالها إنما هو معاد للسامية.

حتى نقاوم الاستخذاء الدولي

ولا يكتفي المؤلف بعرض مظاهر هذا الاستخذاء الدولي أمام أكاذيب هؤلاء الصهيونيين، ولكنه يسعى لإكمال واجبه الإنساني، فيقرر: أن ما قام به هو وأمثاله من فضح الأكاذيب الكبرى عن إسرائيل... لا يكفي وحده؛ فالأمر يستوجب فضح إعلام التيار الرئيسي الذي يقوم بالدور الأساسي في نشر تلك الأكاذيب ومحاولة إغفال إصرار إسرائيل على أن تكون الدولة الاستعمارية الوحيدة في العالم.

ولذلك... أصبح (الإنترنت) يسبب القلق لهذا التيار المضلل لعدم تمكنه من السيطرة عليه حتى الآن، حتى إن داعمي هذا التيار ينصحون التنظيمات الخاصة ومنظمات الدولة بأن تمارس ضغوطا على مزودي الإنترنت كي يحذفوا المحتويات العنصرية المعادية للسامية من الشبكة، ويطالبون بتوسيع سلطات المحاكم الأوروبية لتشمل بنودا تفصيلية عن مسئولية من يقومون بتزويد خدمات الإنترنت، وذلك بالرصد المكثف الذي تضطلع به سلطات الدولة، وبالإعلان عن حالات إقامة الدعاوى من قبل الشرطة، وعن المعلومات من أجهزة أمن الدولة.

ومن هذا المنطلق... أعلن (فوكمان) مزهوا أن جمعية (ADL) قد عملت عن كثب مع عظمى شركات الإنترنت لترسيخ خطوط إرشادية واضحة، وفرضها للتحكم فيما هو مقبول، وما هو غير مقبول، ومع زهوه بهذا يأسف من أن بعض مزودي خدمات الإنترنت لم يبدوا استعدادا لترسيخ تلك الخطوط بزعم حرية تدفق المعلومات والأفكار عبر الإنترنت.

ولم تكتف جمعية «ADL» بهذا، بل قامت بتطوير برمجيات لإعاقة مواقع الإنترنت التي تعتقد أنها تنشر الكراهية.

وإذا كان الإنترنت إحدى وسائل كشف صفاقتهم، فإن تطبيق دروس (الهلوكوست) على ممارسات إسرائيل مع الفلسطينيين، وتطبيق دروس الماضي على قضايا التحيز والعنصرية الراهنة، وتبيان ما بينهما من تماثل أمر يزعج إسرائيل..

ولذلك... ينطلق أنصارها في صفاقة بالغة بتحذير من يتعلم أية دروس من (الهلوكوست) أن يطبقها على ممارسات إسرائيل، لأن من يفعل ذلك يصبح معاديا للسامية.

تراثنا العلمي.. بين الأصالة والمعاصرة

للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا (*)

مقدمة:

تاريخ العلم والتقنية جزء من تاريخ المجتمع الإنساني الذي أسهمت في صنعه كل الأمم على مر العصور.. إنه تاريخ الفكر الذي منحه الله -تعالى- للإنسان لكي يرتقي بعقله ويدرك أهمية التفكير والمعرفة في صنع التقدم وتحقيق الارتقاء الحضاري على أساس الفهم السليم لحقائق الأشياء.

ومن يقرأ تاريخ العلم والتقنية يجد أنه وثيق الارتباط في تقدمه وتعثره بمراحل الازدهار والانحطاط التي مرت بها حضارة الإنسان عبر آلاف السنين، ويجد أيضا أن فلسفته معنيّة بتتبع نمو المشكلات العلمية وتطورها، وبما قدمه العلم من نظريات أو حلول لتلك المشكلات في نطاق سياقه الاجتماعي الثقافي الشامل.

وخلال هذه الدورة الذاتية لتداول العلم مع انتقال الحضارات بين الأمم، كان المسلمون الأوائل هم الأكثر خبرة وتأثيرا في التعامل بمنهجية وإيجابية ورؤية نقدية مع ما وصل إليهم من إنجازات الحضارات القديمة، وفي استجلاء حقائق الكون والحياة على ضوء القيم الإيمانية الهادية، فاستطاعوا أن يشيدوا حضارة راقية متوازنة من جوانبها المادية والروحية، حققت انتشارا ودواما متلازمين لم تحققهما أي حضارة أخرى عبر العصور، وأسست أوروبا على إنجازاتها نهضتها الحديثة وحضارتها المادية المعاصرة.

لم يقف علماء الحضارة الإسلامية عند حد المواريث الفكرية التي نقلوها إلى اللغة العربية بعد أن فهموها وشرحوها، لكنهم أضافوا الكثير في مختلف مجالات النشاط الإنساني، وأصبح العلم على أيديهم - لأول مرة في التاريخ - عالميا يتكلم بالعربية، في ظل طراز فريد لم يعهد مثله في الحضارات السابقة أو اللاحقة؛ حيث أتيحت الفرصة للاتصال بين أفكار العالم المتباعد،

* أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة- النائب الأسبق لرئيس جامعة القاهرة - عضو مجمع اللغة العربية والمجمع العلمي المصري ولجنة العلوم والحضارة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ومقرر اللجنة القومية لتاريخ وفلسفة العلم بالأكاديمية المصرية للعلوم والتكنولوجيا.

وتوفرت كل المعلومات والظروف لبناء ثقافة علمية راقية جمعت بين القدرة على إنتاج العلم بقوانينه وتقنياته، وبين القيم الإسلامية بنورها الهادى وتوجيهها الرشيد، والفكر البشرى بتاريخه وخبراته، والمجتمع الإنسانى بنظمه وسلوكياته. وكان من ثمار ذلك كله معارف جديدة أسهمت فى دفع مسيرة الفكر البشرى والارتقاء بمستوى حياة الإنسان.

إشكالية العمل التراثى قوميا وعالميا

شهدت العقود الأخيرة اهتماما متزايداً بعلوم الحضارة العربية الإسلامية، ولكن البعض يتساءل أحيانا عن جدوى البحث فى كتب قديمة تعود بنا إلى الوراء ألف عام أو يزيد. ولماذا تبذل كل هذه الجهود المضنية فى عملية رصد المخطوطات وجمعها وفهرستها وترميمها وحفظها، ثم فى تحقيق نصوصها ومعالجة نماذجها، نسخا وقراءة وحلا لمشكلاتها واستجلاء لغوامضها، ثم فى تناولها بالدراسة والتحليل والتفنيد، بحثا عما يمكن أن تتضمنه من معلومات قد تفيد أو لا تفيد؟

وأنصار هذا الاتجاه فى التعامل مع التراث العلمى - رغم قلتهم - ينكرون الماضى تماما ويزدرون أى محاولة لإحياء تراثه. ويوجد فى ساحة الفكر العربى من يتبنى هذا الموقف الرافض لأى ربط بين التاريخ والحاضر، بحجة أنه لا يصمد أمام أى تحليل عقلى دقيق، حتى وإن كان يفيد فى استنهاض الهمم ورفع المعنويات، فليس فى التاريخ البشرى - فيما يزعمون - أمجادٌ معنوية تتحول إلى جزء من "الجينات" المكونة لشعب من الشعوب، وتظل كامنة فى أفراده على شكل استعداد للنهوض ينتظر اللحظة المناسبة لكى يصبح واقعا متحققاً. بل إن هناك، بكل أسف من أبناء جلدتنا - نحن معشر العرب والمسلمين - من يعلن صراحة أن إحياء التراث إنما يكون بقتله، أو أن هذا التراث لا يمثل أكثر من نصف سطر فى كتاب الحضارة الإنسانية!!

ربما يكون أمثال هؤلاء المنادين بالقطيعة المعرفية ضحية أفكار وافدة اعتنقوها لأنهم فتحوا عيونهم عليها، وانبهروا بها طلابا، وقاموا بتدريسها والترويج لها بعد أن أصبحوا أساتذة وكتّابا ونقادا، بينما كانت أسماء الأعلام والمذاهب فى التراث الإسلامى لا تجيئهم إلا أصداء مفككة متناثرة، كالأشباح الغامضة يلمحها وهى طافية على سطور الكاتبين. وعندما استيقظ البعض بعد فوات أوانه، طفق يزدرد تراث آبائه ازدراد العجلان كأنه سائح مرّ بمدينة باريس، وليس بين يديه إلا يومان، ولابد له خلالهما أن يريح ضميره بزيارة "اللوفر"، فراح يعدو من غرفة إلى غرفة، يلقى بالنظرات العجلى هنا وهناك، ليكتمل له شيء من الزاد قبل الرحيل.

هكذا أخذوا يعبون صحائف التراث عبًّا سريعاً، والسؤال ملء سمعهم وبصرهم: كيف السبيل إلى فلسفة أو ثقافة موحدة متسقة يعيشها مثقف حيٌ فى عصرنا هذا، بحيث يندمج المنقول والأصيل فى نظرة واحدة؟ وما إن وصلوا إلى هذا المنعطف الفكرى حتى بدأت حيرتهم بين التقليد والتجديد، والأصالة والمعاصرة، والمعقول واللامعقول، وغير ذلك من الثنائيات والمتقابلات التى يطول الجدل والنقاش حولها دون عائد ملموس.

وقد شخّص الدكتور زكى نجيب محمود - رحمه الله- فى كتابه "تجديد الفكر العربى" حالة أغلب هؤلاء الحيارى من المفكرين - وكان واحداً منهم - بقوله: "الحق - أننا نحن المشتغلين بالفلسفة فى الجامعات العربية- قد انصرفنا فى معظم الحالات إلى الدراسات الأكاديمية التى نعرض بها موضوعات ومذاهب، عرضا هو أقرب إلى التاريخ، منه إلى التكوين الجديد المبتكر، لقضايانا الفكرية.. تكوينا يجئ - كما قلت- كاشفا عما هو مضمر فى نفوسنا من مبادئ ومُثل، ومن ثم كانت لنا فى الفلسفة مؤلفات عربية، لكن لم يكن لنا فلسفة عربية، نجرى على فلكها، وندور حول مدارها..."

وعندما نصل بحديثنا الآن إلى محاولة رصد واستعراض الأدبيات المعاصرة التى تهتم بالرؤية الإسلامية لمجالات "تاريخ وفلسفة العلم والتقنية"، فإننا وبكل الأسف لن نبتعد عن الحقيقة كثيرا إذا قررنا أننا نكاد لا نجد لها مكاناً يذكر على خريطة المضمون المعرفى للمادة، اللهم إلا بعض الاجتهادات الفردية المتناثرة التى تهتم بالتأريخ لتراث المسلمين (أو العرب) العلمى فى إطار الثقافة العلمية الإسلامية بصورة عامة. أما باقى المباحث التى تعالج لغة العلم وتاريخه ومنهجه ونظريته وكل ما يتعلق بمسيرته، فيمكن القول بأنها ما زالت بكرا فى انتظار من يتناولها بالتحقيق والدراسة الأكاديمية المتأنية من منظور إسلامى وبمنهج تحليلى مقارن. (راجع مؤلفنا: دراسات إسلامية فى الفكر العلمى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩م)

وإذا كان لأنصار ما يسمى "القطيعة المعرفية" حججهم ومبرراتهم، فإن قضية الدفاع عن التراث العلمى وأهميته من القضايا التى تثار بين الحين والحين فى مؤتمرات وندوات عالمية، وكان - ولا يزال - الحديث عنها مرتبطاً بمبحث تاريخ وفلسفة العلم. فقد تساءل "روبرت هول" فى خطابه أمام الجمعية البريطانية لتاريخ العلوم سنة ١٩٦٩م عما إذا كان من الممكن أن يصبح تاريخ العلم تاريخا؟ أى يصبح مجرد شيء من الماضى:

Can the history of science be history?

وفى سبتمبر من عام ١٩٩٧م ألقى "جون هيدلى بروك" J.H.Brooke كلمة فى الاحتفال بالعيد الخمسين (الذهبى) للجمعية البريطانية لتاريخ العلوم، الذى أقيم بمشاركة الاتحاد البريطانى لتقدم العلوم وجعل عنوان كلمته السؤال التالى: هل هناك مستقبل لتاريخ العلوم؟ وكان دافعه لهذا التساؤل أننا نسمع أحيانا شائعات تردد أن نهاية العلم قد اقتربت، ولن يبقى هناك شيء نحتاج إليه من العلم بعد ما نتمكن من استنساخ الإنسان ونتوصل إلى تفسير لحظة الخلق.. ألا تعنى نهاية العلم نهاية لتاريخه؟!.. ثم يقول "بروك" معلقا: "من الواضح لأول وهلة أن هذا غير ممكن، ومع ذلك فإن المؤرخين مشغولون بهذه القضية التى يزداد الحديث عنها مع نهاية كل من القرون الأربعة الأخيرة".

ونحن من جانبنا نقول: إذا افترضنا جدلا أنه بالإمكان قطع الصلة بالتراث، فهل ستقفل ذلك معاهد ومؤسسات الاستشراق المعنية بتراثنا؟! سوف نعرض فيما يلى بعض جوانب هذه القضية المثارة قوميا وعالميا.

نموذج التربية فى الإسلام

للأستاذ الدكتور/ محمد الشحات الجندى
الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

لا يصلح النظام مهما كانت قوته ولا القوانين فى شمولها وفى إحكام صنعتها وفى تنظيمها لعلاقات الناس بدون الإنسان الذى يقوم على تنفيذها، ويكفل صحتها وصلاحيتها، ذلك أن قوام الأديان والأيدلوجيات أو المذاهب والأنظمة، هو الإنسان فى مكوناته ومقوماته التى عليها يقوم الدين والنظام بحسب الإخلاص فى العمل من أجله، فإذا كمل هذا الاستعداد وبلغ مداه، ارتفع الدين أو النظام وقويت شوكته وعز شأنه، والعكس صحيح حيث التفريط فى ذلك يؤدى إلى ضعفه، بما يجعل تأثيره باهتاً شاحباً فى حياة الناس.

والإسلام فى رسالته الجامعة فى إصلاح الفرد والجماعة، وتحقيق السعادة والخير للناس أوكلها إلى الإنسان باعتباره الركيزة الأساسية فى منظومته كلها العقدية والتشريعية والأخلاقية والحضارية، ولا غرو فإنه أولى اهتمامه لإعداد هذه الشخصية وحسن تربيتها، بما يضمن استعدادها لتطبيق مبادئه وتعاليمه، من حيث إن رسالته فى العالمين كانت للإنسان ومن أجل الإنسان حتى يقوم على مهمة صلاح الكون، وإعماره.

وحيث إن الإنسان هو خليفة الله القائم على أمر العالم، فإن الإسلام أعده لحمل منهجه فهو الخليفة فى الأرض، يؤدى الرسالة الإلهية، ويحقق التنمية والإعمار فى الكون، ومن ثم كان الإنسان فى أطوار حياته محل رعاية الإسلام، قام على صناعته وهدايته وهذا مطلب إسلامى منذ النشأة الأولى لمبعث الرسول ﷺ، وطوال عصر النبوة، وإلى أهمية التوجه إليها أشار القرآن فى قوله تعالى:

﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾

(طه: ٣٩)

وهو ملحظ له دلالته فى هذا الخصوص، فى خلقه على أحسن مثال وإمداده بقوة الملكة والتدبير وقدرته على الحرية والتصرف.

وحرصاً من صاحب الرسالة على تربية المسلم التربية السليمة كان أول عمل بدأ به الرسول ﷺ فى تأسيس دولته هو بناء المسجد، فهو بيت العبادة وتكوين الشخصية الصالحة المستقيمة على

المنهج، وأس ذلك هو التربية الإيمانية النابعة من دور المسجد وبوحى منها انطلق المسلم بقوة العقيدة نحو التمكين للمنهج الإلهى فى الكون ليكون مصدر عطاء وصلاح وتنمية الأرض التى يحيا على ثراها وإشاعة الخير للجميع: المسلمين وغير المسلمين على سواء.

وعلى هدى ذلك ربى الرسول ﷺ صحابته على أحسن ما تكون التربية، قوة على المبدأ، وثبات على العقيدة، وشجاعة للحق، والاستزادة بجميل الخصال، رباهم على خشية الله وتعظيمه وإجلاله فهو المطلع على السرائر الخبير بنوايا القلوب فهو سبحانه يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، ومهما كان أمر النفس البشرية فإن ما تخفيه أو تعلنه يعلمه الله، فهو العالم بدقائق الأمور وبواطنها لا تخفى عليه خافية، مما يجعل المسلم فى معية الله مستشعراً عظمته وجلاله فى كل وقت، ومعلوم قيمة وأثر هذه المراقبة الذاتية النابعة من أعماق النفس المؤمنة فى القيام على فعل ما فيه الخير والصلحة، والكف عما فيه الشرور والآثام، بما يبعث الأمن والأمان للفرد والجماعة والمجتمع والبشرية، وما يترتب عليه من استقرار وإسعاد للناس، فى الحياة الدنيا.

ولا شك أن هذا المسلك يؤدى إلى التخفيف من حالات التوتر وفقدان الأمان مما تعانيه البشرية فى وقتنا المعاصر من ألوان الصدام والصراعات المستمرة، وفى وقوع أحداث الإرهاب المقوضة للسلام النفسى والاجتماعى والعالمى، وهو أبعد ما يكون عن حقيقة هذا الدين. ومن ثم كان الافتئات بوصم الإسلام ذاته بأنه دين الإرهاب والعنف على عكس موقفه فى حماية النفس الإنسانية، والحفاظ على الأمان الفردى، وتذكير المؤمنين دوماً بنعمة الأمن فى أكثر من موضع، وأن التخويف والإرهاب هو من ظلم نفر لم يتخلقوا بخلق الإسلام الذى عناه الله بقوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾

(الأنعام: ٨٢)

وفيه تفويض لأساس المجتمع الذى أقامه الإسلام على الأمن المادى والمعنوى فى قوله:

﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾

(قريش: ٣-٤)

وفى التأكيد على هذا النحو طلب حتمى للمسلم لتوفير الأمان الذاتى لكل إنسان، والأمن الجماعى، لما فيه من مغزى فى حتمية الحفاظ على هذا المقصد الإسلامى، وضرورة التفاف الجميع حوله، والالتزام بهذه القيمة العظيمة فى الاجتماع البشرى.

يتجلى ذلك فيما غرسه رسول الله ﷺ فى نفوس المؤمنين من العمل على حب الآخرين، من المحيطين بالشخص ومن الأباعد عنه، وتأسيس الإخوة المجتمعية، التى تجعل من الأفراد سنداً وعوناً لبعضهم البعض بما يقيم الأخوة الإيمانية، والأخوة المجتمعية والأخوة البشرية، وهو ما جاء فى قول الله تعالى:

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾

(الحشر: ٩)

وقول الرسول ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى

يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[1]، وهو ما طبقه الرسول في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وهي أشمل من أخوة النسب فتمتد إلى أخوة الجوار وأخوة المواطنة، والأخوة في الإنسانية، وهو مقصود الرسالة العالمية في الإسلام المعبر عنها في قوله تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

(الأنبياء: ١٠٧)

والحب والرحمة من صميم خلق المسلم، ومن صنائع المعروف التي أمر بها الإسلام على مستوى دوائر الاجتماع الإنساني بدءاً من الأهل إلى الجيران والصحبة وامتدادا لغير المسلم.

وقد جمع الرسول – صلوات الله عليه – حشداً من الأوصاف التي ينبغي أن يتحلى بها المسلم ويتخلق بها في معاملاته مع الناس. روى معاذ: «أوصاني رسول الله ﷺ فقال: يا معاذ أوصيك بتقوى الله، وصدق الحديث، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، وحفظ الجار، ورحمة اليتيم، ولين الكلام، وبذل السلام، وحسن العمل، وقصر الأمل، ولزوم الإيمان، والتفقه في القرآن، وحب الآخرة، والجزع من الحساب، وخفض الجناح»[2]. يقول حجة الإسلام الغزالي: فهكذا أدب عباد الله، ودعاهم إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب، بالاضافة إلى أنها عماد لأسس تربية قويمة تنطبع في ضمير الفرد، وتجعل سلوكه قويماً، وأحواله مستقيمة، وعلاقاته طيبة، ومعاملاته منضبطة بالشرعية الإسلامية التي تعمل على تأسيس صرح مجتمع إسلامي حقيقي يتراحم أفراده فيما بينهم، ويعم فيه السلام والوئام الاجتماعي، ودرء الشرور والآثام والفساد عن الجماعة، وإقامته على أساس من الإنصاف والعدالة.

وبهذا السلوك البناء يعلن المسلم الفريضة الإسلامية الأولى في أعماق ضميره وعقله، وفي الواقع المعيش من حوله وهو الانتماء للإسلام والجماعة. فمطلوب الإسلام من المسلم في اعتناقه له ودخوله فيه: «شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله»، فهي لب الدين وبوابة المسلم التي يتوصل بها إلى الانقياد لتعاليمه وتحقيق باقي أركانه وشروطه، والالتزام بعقيدته وتشريعاته، والتحلي بأخلاقه وفضائله، وبغير هذا الإعلان عن الانتماء والولاء لله الواحد الأحد، وإلى النبوة الخاتمة لا يتحقق الإسلام، ولا يوجد المسلم الذي أراده الله ليكون خليفته في الأرض يحمل الأمانة، ويبلغ الرسالة، ويملأ الدنيا رحمة وعدلاً وتنمية وصلاحاً، وهي من أسس المجتمع الإسلامي، وقاعدة التعايش الإنساني الصحيح.

وقد وجد هذا الانتماء والولاء للإسلام في عصر النبوة على أبلغ ما يكون الوجود، وفي أتم صورة في داخل النفس المسلمة، فأشرق بها كيانه وسما بها عمله، وتجسدت حقيقة يعيشها المسلم على أرض الواقع في المعاملة والسلوك والعلاقات الحاصلة بين المسلمين بعضهم البعض، وفي علاقاتهم مع غير المسلمين. ومظهر هذا الانتماء ودلالته صنيع رسول الله ﷺ في التآخي بين أطياف الجماعة المسلمة المتوطنة في المدينة، سواء تلك الجماعة المستقرة وهي الأوس والخزرج، أو الجماعة الوافدة وهي المهاجرين، ليمتد هذا التآخي إلى أفراد الوطن كله غير المسلمين

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان.

(٢) كنز العمال.

من اليهود والوثنيين وغيرهم بالولاء للوطن الجديد المرتكز على أساس الإسلام.

وبذلك يكون الفرد المسلم هو حجر الزاوية في البناء الاجتماعي الذي يرتكز في بنيته على عنصر ديني ووجداني يشكل شخصية المسلم، فتكون هذه الشخصية موصولة بالسماء، وبرابطة العبودية المؤسسة على الفطرة البشرية، القائمة على إخلاص الوجه لله والاستقامة على طريق الشريعة في تنظيمها للعلاقات والمعاملات بين الناس، وبه تصح الفطرة ويتغرس الإيمان في الشخصية في توجهها الحق إلى الله تعالى:

﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

(الأنعام: ٧٩)

هذا الإيمان الصادق في الولاية لله ولرسوله هو أساس التربية، يجب أن يقترن به العمل الصالح، على سند من أن هذا العمل هو من لوازم الإيمان لأنه مظهر الطاعة الخالصة الدالة على الإيمان، والمترجم له في الواقع المعيش، وبقدر ما يكون الإيمان كامنا في النفس مركوزاً في الفطرة يكون العمل الصالح الذي يبني ويعلو به الفرد والمجتمع، ويبرز كقيمة مضافة إلى رصيد الإنسان في الارتقاء بالحياة، فيعمر به الكون ويجتاز به الابتلاء الإلهي للفرد في الدنيا، لتتحقق به خلافة البشر في الأرض كمطلب إلهي.

وينبغي تكشف هذه الملامح والقسمات السمة المميزة للمسلم في العالم الأرضي، فهو يحيا حياة روحية أخلاقية وحياة اجتماعية مادية، يتقرر معها حقيقة الإسلام في بناء صرح المجتمع المنطلق من الشهادة الخالصة في منطوقها الأثير لا إله إلا الله، لترسي حقيقة وحدانية الله والمساواة بين الناس، وهما مظهر العبودية الحقة وصلاح الاجتماع البشري.

لقد كان نموذج الأسوة الحسنة الذي انبثق من النفس المؤمنة، والتي تجلت في أبهى صورها في شخص محمد – ﷺ – هي مثال المسلم الكامل في عقيدته، وفي مدنيته، وفي تحضره ليكون عبداً ربانياً منقاداً لله تعالى في أحواله كلها ونبراساً لكل مسلم في محاكاته على أرض الواقع:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾

(الأنعام: ١٦٢، ١٦٣)

ولم ينفصل هذا النموذج للشخصية المسلمة عن متطلبات الحياة، فالمسلم يجد ويجتهد في إصلاح نفسه، وإصلاح مجتمعه، ويدرك أن الإصلاح في كل منهما لا يكتمل إلا بهما معاً، إذ الإيمان المتغلغل في سويداء القلب والإحساس يظل ناقصاً ومفتقداً للجوهر لا يتأتى إلا بمعاناة الحياة، والتعايش مع الجماعة والتعاون مع الناس:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾

(محمد: ٣١)

فهذا هو محك صدق الإيمان وصحة الانتماء من المسلم لدينه، ورغبته في ازدهار الحياة، والارتقاء بالمجتمع، وإحساسه بأنه لبنة طيبة في صرح المجتمع الإسلامي والبشري، ليقدم النموذج الصحيح للشخصية المسلمة المغيبة في عالم اليوم.

الرؤيا في قصة يوسف «٣»

رؤيا الملك وأثرها في حياة يوسف

للشيخ/ صديق بكر عطية

إذا كانت رؤيا يوسف - عليه السلام - قد استغرقت في تأويلها كل أحداث القصة بما فيه رؤيا الملك. فـإن رؤيا الملك هذه - ومن داخل الأحداث - كان لها أكبر الأثر في حياة هذا النبي الكريم؛ حيث كانت السبب المباشر الذي أخرجه من ظلمات السجن ومضايقه إلى حياة الحرية المطلقة، ليعتلي عرش مصر، وليكون ملء السمع والبصر فيها، وفيما حولها من البلدان في فترة من أحرج الفترات في حياة هذه المنطقة من العالم.

جاء في تفسير الإمام القرطبي: «إذا كانت الرؤيا الصادقة جزءا من النبوة فكيف يكون الكافر والكاذب والمخلط أهلا لها؟ وقد وقعت من بعض الكفار وغيرهم ممن لا يرضى دينه، منامات صحيحة صادقة، كمنام رؤيا الملك، الذي رأى سبع بقرات، ومنام الفتيين في السجن..

«والجواب: أن الكافر والفاجر والفاسق والكاذب، وإن صدقت رؤياهم في بعض الأوقات، لا تكون من الوحي ولا من النبوة؛ إذ ليس كل من صدق في حديثه عن غيب يكون خبره ذلك نبوة.. لكن ذلك على الندرة والقلة، فكذلك رؤيا هؤلاء»[1].

ونضيف إلى ما قاله الإمام القرطبي في رده: إن بعض هؤلاء ممن صدقت رؤاهم قد تتعلق بها مصائر شعوب بأسرها، أو تكون حكمة الله قد اقتضت أن يتعلق بها فترة من فترات حياة أحد الأنبياء والمرسلين أو ربما أن قد علم الله - عز وجل - أن هذه الرؤى، أو ما صدق منها تكون مقدمة لأحداث تتوالى فصولها إلى أن يؤمن من يراها، ويدخل في دين الله، فـتؤمن من ورائه أمة، أو أكثرها، ورؤيا الملك هنا ورؤيا كل من صاحبي السجن هي التجربة العملية على إمكان هذا الاحتمال، فصدق رؤيا هؤلاء يدخل ضمن ما ينطوي تحت حكمة الله - تبارك وتعالى - التي لاتعرف إلا بعد ظهور نتائجها الفعلية.

فها هو ذا ملك مصر في عهد يوسف، يرى سبع بقرات سمان ينقض عليهن سبع بقرات عجاف مهازيل ويأكلنهن، ولا يبقين منهن شيئاً، ثم يرى سبع سنبلات من القمح خضر يلتف عليهن سبع أخريات يابسات جافات، حتى يقضين عليهن[2].

رؤيا عجيبة، تدعو إلى الدهشة والاستغراب. ومن المعروف: أن رؤيا الملوك والحكام ليست كرؤيا الرعية وعامة الناس في تفسيرها، وما يتعلق بها من أحداث مستقبلة، فالرؤيا في تفسيره يراعى فيها عدة أمور:

● حال الرائي، أو من رئيت له، وصفته بين قومه وعشيرته: فرؤيا الملك ليست كرؤيا أحد أفراد الأمة، ورؤيا المرأة ليست كرؤيا الرجل، ورؤيا الصبي ليست كرؤيا الشيخ، ورؤيا الزارع، أو التاجر ليست كرؤيا الصانع أو رؤيا العالم..

وهكذا.

● مدلول الرمز، الذي هو لسان الرؤيا، وما يرمى إليه من خلال مفاهيم المجتمع وثقافته وما جرت به عادته في نسبة مدلولات الرموز إلى ما ترمز إليه.

● طبيعة الوسط الاجتماعي: الذي وقعت فيه الرؤيا، فلا تفسر رؤيا المجتمع المدني بما لا يتمشى إلا مع المجتمع القروي، ولا تفسر رؤيا المجتمع الزراعي بما لا يتمشى إلا مع المجتمع الصناعي أو التجاري.

ورؤيا الملك - ملك مصر - التي رأى فيها:

﴿ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ﴾

(يوسف: ٤٣)

كانت مثالاً واضحاً للرؤيا الصحيحة، التي يجب أن تفسر تفسيراً مطمئناً يضع الأمور في نصابها؛ لأنها ليست كرؤيا أحد الرعية، حيث إن تأويلها يجب أن يكون في دائرة اهتمام الملك، وهو أمر الرعية.

فجمع الملك رجال حاشيته وكهنته؛ وطلب تأويل رؤياه، فعجزوا جميعاً عن ذلك، أو أحسوا أنها تشير إلى سوء، لم يريدوا أن يواجهوا به الملك على طريقة رجال الحاشية، في إظهار كل ما يسر الحكام وإخفاء ما يزعجهم وصرف الحديث عنه، فقالوا: إنها:

﴿ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ﴾

(يوسف: ٤٤)

أي أخلاط أحلام مضطربة، وليست رؤيا كاملة تحتمل التأويل:

﴿ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴾

(يوسف: ٤٤)

إذ كانت أضغاثا مختلطة لا تشير إلى شيء[3].

ولكن، لا بد من التأويل، الذي يدخل الطمأنينة والسكينة إلى قلب الملك، ليواجه عن

(١) تفسير القرطبي ص ٣٣٠٣ ط دار الشعب.

(٢) لم تشر الآيات الكريمات إلى ما إذا كانت رؤيا واحدة قد تضمنت البقرات والسنبلات معاً، أو أنه قد رأى رؤيين تعضد كل منهما الأخرى، لم تفصل الآيات في ذلك، وعلى كل حال، ذلك لا يؤثر في التأويل والنتيجة واحدة.

(٣) في ظلال القرآن: سيد قطب ٢/١٩٩٣ بتصرف يسير جداً في العبارة.

ثقة ما تشير إليه من أحداث مستقبلة، أو أن يمضي في تدبير أمور رعيته دون هواجس أو مخاوف.. وكان بين الحضور، ذلك الساقي ـ أو كبير السقاة كما يقول بعض المفسرين ـ وهو صاحب تجربة صادقة في مجال تأويل الرؤيا، حيث فسر له يوسف من قبل رؤياه التي رآها، وصدقت فطنته فيما أولها به.. فتذكره، وكان قد نسيه، حتى لبث في السجن بضع سنين. فقال الساقي للملك:

﴿ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾

(يوسف: ٤٥)

ثم انطلق إلى يوسف في سجنه وقص عليه رؤيا الملك في دقة وأمانة، والدقة والأمانة شرط لازم لصحة تأويل الرؤيا، حيث قال:

﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

(يوسف: ٤٦)

فنظر يوسف في شأن صاحب الرؤيا، فإذا هو الملك، الذي يسهر على رعاية مصالح أمته، وما يجب أن يوفره لها من أسباب الأمن والاستقرار في يومها وغدها، ومنه ـ بل ومن أهم ما يوفر الأمن والاستقرار للأمة ـ أمن لقمة العيش، التي هي السبب المباشر للحياة. فالقضية هنا، قضية أمة.

وكان ابن سيرين يقول: «سمان البقر لمن ملكها أحب إليّ من المهازيل؛ لأن السمان سنون خصب، والمهازيل سنون جدب».. وقيل: «إن البقرة رفعة ومال، والسمينة من البقر امرأة موسرة، والهزيلة فقيرة، والحلوبة ذات خير ومنفعة».. ويقول ابن سيرين أيضاً في السنبلة: «السنبلة الخضراء خصب السنة، والسنبلة اليابسة النابتة على ساقها جدب السنة»[4].

فإذا كان هذا هو شأن البقرة والسنبلة في الرؤيا، وما ترمز إليه وإذا كانت الرؤيا للملك الذي يسهر على أمته وأمنها، فلا مجال لما قد تشير إليه البقرة من المعاني الأخرى، فالبقرات والسنبلات بينها علاقة متعارف عليها لدى الناس جميعاً، وأهل مصر على وجه الخصوص، وهي وفرة الخير وكثرة الأرزاق.

ومما يجب أن يؤخذ في الاعتبار في هذه الرؤيا، اتحاد رمز العدد في البقرات السمان والعجاف، وفي السنبلات الخضر واليابسات، ثم هذا الترتيب المتطابق، حينما تأتي البقرات السبع العجاف عقب السبع السمان، وحينما تأتي السنبلات السبع اليابسات عقب السبع الخضر، هذه كلها مؤشرات عامة، لها دلالاتها التي يجب أن تؤخذ في الاعتبار.. فإذا عدنا إلى التعرف على البقرات والسنبلات في ثقافة الشعب المصري خاصة، رأينا ذلك واضحاً في كتابات المصريين القدماء على جدران المعابد والآثار، ولعلنا نذكر مشهد البقرات الممتلئات التي يسوقها الفلاح المصري في الجرن في موسم حصاد القمح ودرسه حيث امتلأت الساحة بأكوام القمح، مما يحمل معنى الخصب والنماء، ولا تزال السنبلة رمزاً لبعض محافظات مصر الزراعية، التي تدل على وفرة الخير وانتشار أسباب الحياة.

هذه كلها دلالات ومؤشرات، لا تمر أمام عقل الرجل الأريب، دون أن تترك أثراً واضحاً في المفاهيم والمعتقدات الاجتماعية، لا سيما إذا كان في حصافة يوسف ـ عليه السلام ـ الذي يرى بنور الله ـ عز وجل ـ وهنا يبدأ في تأويل الرؤيا بكلمات واضحات ناصعات، يملؤها الإخلاص للشعب المصري وللملك، كما تملؤها الثقة التامة فيما علمه الله من تأويل الأحاديث، ويصوغ هذا التأويل في عبارات ملؤها الأدب الجم والكياسة العالية، التي لا يشعر معها السائل بأن المسئول يتعالى عليه ويتعاظم في إجابته، واختار صيغة الوصف، لما يفترض أنهم يقومون بعمله فعلاً، دون صيغة الأمر المباشر، وذلك حيث قال:

﴿ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴾

(يوسف: ٤٧)

ولم ينس يوسف ـ عليه السلام ـ وهو الكيس الفطن، الذي يلمح بفطنته من بعيد وفي آخر السنين السبع الشداد ـ الخير الوفير قادماً، حيث ستمتلئ منه خزائن مصر بالطعام الكثير.. لم ينس أن يبشر الملك ومن ورائه المصريون جميعاً حتى لا يقنطوا مما هم مقدمون عليه من الاختبار الشديد، حيث يفيض النيل، ويحيا الزرع ويمتلئ الضرع، وتنضج الثمار، بما فيها الكرم وهو من أحب الفواكه إلى المصريين، حتى إن الناس يعصرون منه الشراب، ولذا ختم تأويل الرؤيا بهذه البشارة العظيمة، شأن الفطناء ممن اختارهم الله لهداية الناس، وذلك حيث قال:

﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾

(يوسف: ٤٩)

وبلغ الملك ما قاله يوسف في تأويل رؤياه، وتطورت الأحداث.. وخرج يوسف..

﴿ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾

(يوسف: ٥٤)

واعتلى يوسف العرش، وقاد سفين البلاد بعد ذلك، ومكن الله له في الأرض، حتى انتهت السنون السبع الرخاء، وحصن يوسف البلاد والعباد من السنين السبع الشداد القادمة، حتى تغلبت على القحط هي والبلاد المجاورة، بفضل سياسته الحكيمة الراشدة، وجاء عام الرخاء الذي تنبأ بقدومه يوسف.. والتقى بأبويه وإخوته، والتأم شمل بيت يعقوب وخر له الجميع سجداً، والتقى تأويل رؤيا يوسف بتأويل رؤيا الملك في مشهد واحد، هو مشهد العبد الصالح يوسف ـ عليه السلام ـ وهو رافع كلتا يديه إلى السماء في ضراعة المؤمنين:

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾

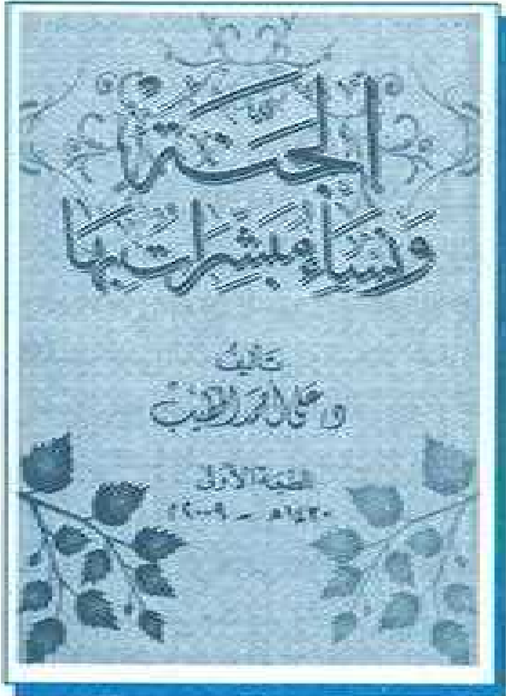
(يوسف: ١٠١)

ومن موقعه الذي بوأه الله إياه، استمر يوسف يدعو المصريين إلى إخلاص العبادة لله الواحد..

---

(٤) اقرأ: تفسير الأحلام الكبير لابن سيرين ـ دراسة وتحقيق أسامة محمد السيد، دار أسامة للنشر، الأردن ص ٢٠٠٤، ٢٤٥ وما بعدها.

قراءة في كتاب



٢

للأستاذ / عادل خفاجة

«مهما حلق بك الخيال فيما لأهل الجنة من نعيم فلن تحيط بمداه، فقد وسعهم ربك نعيما لاينفد على شباب لايزول، ولئن رأيت - في ضوء هذه الآيات الشريفة من ١١ : ٤٠ من سورة الواقعة - عروسين على جمال صارخ اجتمعت لهما ضروب الفرح وألوان النعيم، وصدح الكون من حولهما مرحا وحبورا، فذلك الذي تخيلت قليل من كثير مما أعده الله - تعالى - لهذين العروسين الكريمين.

ويستمر المؤلف في عرض صفات الجنة وما حوته من ولدان مخلدون، فيقول عنهم:

«هم الولدان المخلدون خلدوا على سن طفولتهم هذه لاينمون بعدها، أنشأهم الله تعالى - خدما لأهل الجنة، على جمال فريد، وحسن وسيم، وبهاء أنيس قال تعالى:

﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾

(الإنسان: ١٩)

أي ظننتهم من حسنهم وكثرتهم وصفاء ألوانهم لؤلؤا مفرقا في قاعة هذا العرس الدائم.

ولكثرتهم، لكل جنة منهم نصيب.

***

وبين هذا الباب عن الجنة والباب الأخير عن «المبشرات بها» وضع المؤلف بابا مختصرا عن المرشحات للجنة، وذلك بفضل الله ومشيئته تعالى: «فإن المؤمنة من أهل الجنة تشرق - بإذن ربها - في حياتها الدنيا بست خصال ذكرها - سبحانه وتعالى - وهي نعم الصراط إلى الجنة فقال:

﴿ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ﴾

(التحريم: ٥)

ولكي يتفق الكتاب مع العنوان الذي ارتضاه المؤلف ليتناغم مع فكره الذي يؤمن به أن ليس لأحد أن يقول: هذه من أهل الجنة، وتلك من أهل النار.

وحتى لايعطي الكتاب ولا عنوانه «حصرا لنوع وطردا لآخر» فقد بين هذه الصفات الست التي وردت في الآية الكريمة سالفة الذكر تحت هذا العنوان، ليبقى هذا الترشيح للجنة أملا كبيرا وبابا واسعا يسع كل امرأة التزمت هذه الصفات.

ثم نصل إلى لب لباب هذا الكتاب ومقصوده، وقد جاء تحت عنوان «......ونساء مبشرات بها» فذكر المؤلف فيه من ثبتت لهن البشارة بالجنة وهن: آسية بنت مزاحم - مريم بنت عمران - فاطمة بنت محمد رسول الله ﷺ - وخديجة بنت خويلد أم المؤمنين الأولى - وسمية بنت خياط - وماشطة بنت فرعون - وعجوز بني إسرائيل - وبنت ملحان الأنصارية الخزرجية - والسيدة: سُعَيْرة الأسدية - وصاحبة التمرة رضوان الله عليهن جميعاً.

والحق أن كتابة فضيلة الدكتور علي الخطيب - كما أعلم عنه - تتصف بالدقة البالغة، فهو يكد ذهنه ويعاني عند اختيار ألفاظه، اختيار الباحث الأمين الذي يكتب لوجه الحق، لا يبالي بما ينفقه من سنوات عمره لقاء توضيح أمر مبهم في أسلوب شديد الترابط، وهذا ما يعرض المعنى لشيء من


د. علي أحمد الخطيب

الاضطراب عند اختصاره وهذا الأسلوب شديد الترابط نراه واضحاً ملموساً في هذا الجزء من الكتاب الذي وصفه المؤلف بأنه «مقصود هذا الكتاب» من أجل ذلك فإني أقدم للقارئ جزءين فقط من هذا الكتاب أحدهما قصة صاحبة التمرة حيث يلقي من خلالها الضوء على معنى الأمومة الرحيمة، وأما الجزء الآخر فبعض ما كتبه عن السيدة مريم بنت عمران، حيث يعرض المراد من قول الأحبار للسيدة مريم «يا أخت هارون».

إذ يقول: «لقد استجاب المولى لحنة، وحملت، وقر - في خاطرها - أن جنينها ولد، أليس قد تضرعت إلى الله أن يرزقها ولداً، وأنه - تعالى - قد استجاب، فحملت، فهو ولد - إن شاء الله المنعم الوهاب - وخير الشكر لله الكريم على هذا العطاء أن تهب هذا الولد لله - تعالى - «نذراً» للبيت، ليكون واحداً من الأئمة المرشدين للعابدين، والعابدات «كاهناً»[1] خيرا يتخرج على يد الأحبار عالما

---

(١) حددنا - في سياق الحديث - معنى الكاهن العبري وعمله كما هو وارد في قاموس سحيف - ديفيد سحيف - العبري - العربي، ليتضح الفرق بينه وبين الكاهن الوثني فهذا الأخير محصور عمله في ادعاء العلم بالغيب وصلوات الأوثان والشعوذة لا إمامة الناس في عبادة... إلخ.

بأحكام الشريعة، فقيهاً في عباداتها ليكون نعم الكاهن الإمام لأبناء جلدته.

وما اختلج فؤادها واضطراب بطنها بهذه الأمنية الكريمة حتى انثنت - في ضراعة- مخلصة تناجي ربها:

﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

(آل عمران/ ٣٥)

أي رب نذرت لك هذا الولد لدينك خالصاً محرراً من قيود الدنيا وشئونها إلا ما أبحته- ربنا- لمثله من الكهان والأحبار، فتقبل مني، فإنما نذرته حباً في الشكر لك وحمداً لعطائك، وأنت السميع دعائي، العليم بإخلاص نيتي وما حواه ضميري.

وهكذا كانت «حنة» في أوج السعادة النفسية بجنينها ونذرها.

***

فهل كان لها الحق أن تنذر هذا النذر..؟

وإذا كان ذلك، فلم لامها عمران - عليه السلام- هذا اللوم الرقيق أسفاً، وحزناً عليها؟

أما أن لها الحق في أن تنذر حبراً كاهناً للمعبد، فنعم، إذ إنها تتمتع بالشرط الأساسي لذلك، وهي أن تكون «هارونية» أي من سلالة هارون أخي موسى عليهما السلام، وكونها هارونية حق ثابت لها فإنها أخت أليصابات الهارونية، ثم هي - أيضاً- زوج عمران الذي يتمتع بشرف النسب نفسه عن حق، جعله إمام أحبار المعبد، وذاك واقع يقين[٢].

فالأسرة- جميعاً هارونية.

لكن فات «حنة» رضي الله تعالى عنها- أن يكون «الحبر» ذكراً بين يديها لا جنيناً في بطنها- وما فات حنة لها فيه عذرها، فقد كانت في غمار سرورها وحبها إرضاء ربها، فلما حدثت عمران بنذرها- وهو العالم بالشريعة، وشدة أحكام النذر[٣] فيها قال لها: - في أسى وعطف شديدين:

«ويحك!! ما صنعت..؟ أرأيت إن كان ما في بطنك أنثى، فلا تصلح لذلك، فوقعا جميعاً في هم شديد»[٤].

***

فما قصة هذه الكهانة؟ وما مدى جذورها في الديانة الموسوية؟

هذا ما يقدمه لنا «العهد القديم» طبقاً لأحكام التوراة، كما هي بين أيدينا:

يذكر «العهد» أن خطاباً من المولى- عز وجل- وجه الى موسى -عليه السلام-

(٢) الإمام الخازن- لباب التأويل في معاني التنزيل (١/ ٢٣١).

(٣) انظر: سفر العدد - (٣٠/ ٩، ١٠، ١٢)، والتثنية (٢٣/ ٢١، ٢٣). للتعريف بالنذر وما يجب فيه.

(٤) انظر الخازن (١/ ٢٢٩).

يأمره بإنشاء الكهانة، وفيمن تكون، وكيف تكون.. حتى أتى على تحديد لباسها- داخلياً وخارجياً- بدقة متناهية متسمة بغاية الوضوح، قال:

«وقرب إليك هارون أخاك وبنيه معه من بين بني إسرائيل ليكهن لي» «خروج ٢٨ / ١».

وليس المراد بالأبناء في النص أبناء هارون الأدنين فقط، فتنحصر الكهانة فيهم ثم تشيع من بعدهم في أسباط بني إسرائيل، لا، بل المراد حصر الكهانة فيهم، وفي ذرياتهم من بعدهم بحيث لا تخرج - إطلاقاً- من سلالة هارون - عليه السلام- إلى غيرهم أبداً.

وإذ حدد العهد تقديم هارون وبنيه للكهانة، وإلباسهم ثيابها ذات الشكل الأبدي نص - أيضاً- على أن:

«يكون ذلك لتصير مسحتهم كهنوتياً أبدياً في أجيالهم» «خروج ٤٠ / ١٥».

ويستغرق سفر الخروج، واللاويين من بعده، ثم من بعدهما في تفصيل واجبات الكهانة، وأعمالها المفروضة على هؤلاء الكهنة في أنفسهم، وفيما ينبغي أن يؤدوه للأتباع الذين يترددون على المعبد من رعاية كاملة تجعل عباداتهم مؤداة على الوجه الصحيح.

ثم قضى بـ «الأخوة» فيما بينهم، مهما تباعدت بينهم العمومة على امتداد الزمن، فجاء في ملحقات «التقدمة» تقرباً لله - عز وجل - : أنها:

«تكون لجميع بني هرون: كل إنسان كأخيه» (لاويين ٧ / ١٠).

فكل كاهن أخ لنظيره، يتقاسمون مالهم بالسوية، ومن هنا صح أن يقال - في الكاهن: الأخ الهاروني، وفي الكاهنة الأخت الهارونية[٥]، ولأنه مستوعب لفقه دينه عالم فيه، صح أن يطلق عليه وصف «الحبر» للدلالة على هذه المكانة العلمية العميقة.

***

مضى «النذر» بمريم ومضت به، ولا حيلة في الخلاص منه، مضى وجوب أدائه عاما على «ما في بطنها» فلا مجال للتحديد، ذكراً أم أنثى - ولم يبق إلا أداؤه».

ويمضي المؤلف يتتبع قصة مريم البتول «ابنة عمران» عليها السلام- إحدى المبشرات بالجنة، كما أوردها القرآن الكريم وكما أوردتها السنة المطهرة في تدقيق فذ واستخلاص رائع لقضايا لا تظهر إلا لباحث متأن.

وعلى هذه الوتيرة يعرض المؤلف في هذا الباب عشر مبشرات بالجنة، وقد جعل آخرهن «صاحبة التمرة».

تأكيداً لهذا المعنى الكريم وذلك الرأي الحصيف أن الكتاب ليس حصراً لنوع وطرداً

(٥) أو «أخت هارون»، واللفظ كناية عن البنة في لفظ «أخت».

لنوع، فإن الأمومة الصالحة الرحيمة طريق ممهد إلى الجنة.

إذ يقول: «الأمومة التامة فى الجنة، لأنها الأمومة العاقلة الرحيمة التى تماثلت لها عناصرها الكريمة: رعاية، وحفظا، وأدبا، فصارت أمومة كاملة.. والأمومة الكاملة بطهارتها الفائقة صراط ـ وحدها ـ إلى الجنة فإنها على الولد عطاء ممدود وعناية بلا حدود.

تلك الأم ـ بمشيئة الله تعالى ـ فى الجنة:

روى الإمام أحمد بن حنبل - رضى الله عنه- بسنده إلى عائشة- رضى الله تعالى عنها- قالت: «جاءتنى مسكينة تحمل ابنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها، فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التى كانت تريد أن تأكلها بينهما.

قالت (عائشة): فأعجبنى شأنها، فذكرت ذلك الذى صنعت لرسول الله ﷺ.

فقال: «إن الله ـ عز وجل ـ قد أوجب لها بها الجنة، وأعتقها من النار..»

وقد كان إعجاب عائشة وتأثرها الشديد فيما فعلته فى التمرة الأخيرة، ولذلك وردت روايات للحديث الشريف هذا خالصة بذكر التمرة الأخيرة.. كما فى صحيح مسلم والبخارى والترمذى..

وتذكر روايات إلى جانب هذا الحديث الشريف فضل الإحسان فى تربية البنات، ففى صحيح البخارى ورد لعائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ رواية لهذا الحديث الشريف فى النهاية منها قولها عن هذه المسكينة:

«... ثم قامت فخرجت، فدخل النبى ﷺ علينا، فأخبرته فقال: «من ابتلى من هذه البنات بشىء كن له سترا من النار» أى بإحسانه إليهن تربية وإكراما.

وبعد: فالكتاب يعد بشرى طيبة بالجنة الطيبة التى أعدها الله تعالى للطائعين والطائعات، وما أن يقرأه المؤمن حتى يشعر براحة نفسية عظيمة، أقول: إن الكتاب برغم إعداده للحديث عن «المبشرات بالجنة والمرشحات لها» وبرغم ما فيه من «تاء التأنيث» التى غزت كل صفحاته، إلا أنه بشرى بالجنة لكل مسلم ومسلمة، ذلك أن الرجل مخاطب بكل خطاب يكون فى مقدوره فعله، فليس يمنع الرجل مانع من أن يعبر إلى الجنة على نفس الصراط التى عبرت عليه صاحبة التمرة إذا توافرت لديه هذه الصفة الحميدة من الرحمة فأشاع فى محيط أسرته أمانا غير محدود، فأعطى للمجتمع رجالا أسوياء وأمهات فضليات.

ثم أما بعد:

فالكتاب إضافة جادة للمكتبة الإسلامية بما حواه من فكر جاد موثق، وهو بعد، منهل لطلاب العلم والخطباء لمن أراد منهم أن يصل إلى مراده بطريق سهل يسير.

هذا والحمد لله على نعمته وإكرامه.



الشيخ الغزالى فى ميدان التشريع

للدكتور/ سيد أحمد فرج
الأستاذ بجامعة المنصورة

المحور الخامس: ميدان التربية والتشريع

إن أساس التربية والتشريع فى الأمة التى بناها محمد ﷺ هو الربانية، هى أساس أنشطتها فى اليقظة، ورؤاها فى النوم، والحضارة الإسلامية تنهض على هذا الأساس، والإنسانية صفة شريفة للإنسان، ولكن الذى يصونها هو علاقتها بالله تعالى، التى تمنعها من أن تهبط إلى مدارك السقوط. والله لم يخلق الإنسان وينفخ فيه من روحه ليكون سبعا ضاريا ـ أو مستضعفا يتلقى الضربات فيستعذبها، ولكن خلقه مخلوقا كريما جديرا بأن يكون خليفة له سبحانه فى الأرض. وخلافة الإنسان فى الأرض لعمارتها تحتاج إلى ملكات، وقدرات، وذكاء حاد ونشاط دؤوب، وعقل يفكر، وعلم يجرب ويستكشف الأسرار المخبوءة فى الكون.

وعندما كان المسلمون يدركون غاية رسالتهم عملوا لها ـ ولكن من أسف فإن المسلمين المعاصرين قد ماتت مواهبهم، وغابت مداركهم وذبلت إرادتهم، وأصبحوا يعيشون فى الأرض ليأكلوا من أيدى غيرهم الذين يسومونهم العذاب، إن هؤلاء يجب أن يعرفوا ما يجب عليهم عمله لإدراك الحق. ولن يكون ذلك إلا بتربية ربانية صحيحة، وهى التى أسهب

القرآن في ذكرها، وكذا أسهبت السنة في بيانها وشرحها، وتتلخص في: الإدراك العلمي، والصبغة الوجدانية، والنزوع السلوكي الحسي السوي، واستثارة العقل، فإذا تحققت هذه المدارك جاء العمل مثمراً، وبرز دور التربية الصحيحة في صناعة الإنسان.

هذا ما قدم به الشيخ محمد الغزالي منهج القرآن التربوي ـ ثم أخذ في البيان، أي بيان الأسلوب التربوي المستمد من القرآن بعيداً عن المصطلحات الفنية التربوية الحديثة على الوجه التالي:

ما يحبه الله وما لا يحبه

أول ما نقف عنده من معاني التربية القرآنية ما يحبه الله ـ تعالى ـ وما لا يحبه، فنحب ما يحب الله ونفعله، ونكره ما يكره الله ـ تعالى ـ فلا نفعله، عملاً بقاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويكون ذلك على العموم والشمول لكل ما يحبه الله، وما لا يحبه. عند ذلك يحقق الفرد زكاة نفسه، ورفعة جنسه في شئونه كلها، وما يحققه الفرد لنفسه، تحققه الجماعة لنفسها.

ومثال ما يحبه الله:

﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾

(البقرة: ١٩٥)

ومثال ما لا يحبه الله:

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾

(البقرة: ١٩٠)

وقال تعالى:

﴿ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾

(القصص ٧٧)

وينعي الشيخ محمد الغزالي على المسلمين أنهم أبعد أهل الأرض عن حقيقة الإحسان، فهم لا يحسنون صنعا في أي شيء «وهؤلاء لكي يعودوا إلى الإسلام يجب أن يعاد تشكيلهم العقلي والخلقي حتى إذا باشروا عملا ما أقبلوا عليه بقواهم المادية والأدبية كلها فخرج سليما كريما» (ص١٩٦).

وليعلم المسلم أن للإحسان معان عدة، فقوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾

(النحل: ٩٠)

إشارة إلى الفضل مع العدل الذي يضبط الأمور وينصف الناس بعضهم من بعض، «والإحسان يشمل الفرد والمجتمع والدولة، ولن تقوم تربية راشدة إلا إذا غرسنا معنى الإحسان في النفوس على أنه من محاب الله تبارك وتعالى» (ص ١٩٨) وجعلناه يشمل كل شيء في

التعليم والتنمية والإدارة، وتنمية الذكاء والانتباه والابتداع، والاختراع. كذلك من حسن التربية تطهير النفوس لتبلغ كمالها المادي والروحي لقوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾

(البقرة ٢٢٢)

فتستنير أرواحهم، وتكمل أجسادهم، ولقد أمر الإسلام بنظافة الأبدان بالاستحمام. وجعله فرضا في أحوال ومستحباً في أحوال، كما أمر بالوضوء لكل صلاة، واستحب الوضوء لمن لم يحدث، والتعهد المستمر للنظافة الشاملة للجسم والثوب والمكان. وجعل الإسلام نظافة المسلم في بدنه، ونقاءه في روحه علامة تميزه عن سائر البشر.

وفي الآية:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾

تطمين لنفس المسلم إذا أخطأ، والخطأ في طبيعة الإنسان، أن يسارع إلى الله بالتوبة، فقد كتب ـ عز شأنه ـ على نفسه الرحمة وأنه ـ تعالى ـ يحب النادم التائب إذا استقام وتاب وأناب.

ويربي القرآن الكريم المسلم على أن يكون رحيما بغيره، فحرم عليه الربا. قال تعالى:

﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾

(البقرة: ٢٧٦)

ذلك بأن المرابي يأكل مال الناس ولا يشبع، وكلما أخذ من مال الناس هاجت غرائزه طلباً للمزيد، فيتبلد ضميره، وهو يأكل ضرورات الآخرين، ولا يشعر بآلامهم واحتياجاتهم.

أما إذا تربى المسلم على أن يتصدق فهو يجني ثمرتين:

- الأولى: تزكية ماله وتطهيره وتنميته بالصدقة.
- الثانية: الإحسان إلى الآخرين فيسود المجتمع الرضا والطمأنينة والمحبة بين كل أعضائه سواء كانوا من المتصدقين أو ممن نالوا الصدقات.

ويحض القرآن المسلم على أن يقرض أخاه المعوز قرضا حسنا. قال تعالى:

﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا ﴾

(البقرة: ٢٤٥)

وقال تعالى:

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾

(المزمل: ٢٠)

وجزاؤه قرن بجزاء الصلاة والزكاة، فضلا عن أنه نجاة من حرمة الربا، وحرمة الجشع والأثرة.

ومما يحبه ـ الله تعالى ـ التقوى، وممن يحبهم ـ عز شأنه ـ المتقين، ومن ثم يجب تربية المسلم على التقوى والوفاء

بالعهود. قال تعالى:

﴿ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾

(آل عمران: ٧٦)

والتقوى خشية من - الله تعالى - وحياء منه، ودرجة من الانضباط النفسى تحدد مواقف المرء بإزاء العبادات والمعاملات والعادات، وكل أفعاله وأقواله ومواقفه فى الحياة، والآية الكريمة نزلت فى القرآن الكريم تعليقاً على مواقف اليهود إزاء غيرهم من البشر، فقد أباحوا لأنفسهم أن يستغلوا غير اليهود استغلالا سيئاً، وقد عبر عنهم القرآن الكريم فقال تعالى:

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

(آل عمران: ٧٥)

والأميون فى عرف اليهود أبناء الأمم الأخرى، الذين استحل اليهود أموالهم ودماءهم زعماً من أنفسهم بأنهم شعب الله المختار، أو زعمهم بأنهم أبناء الله وأحباؤه. واليهود بهذه المزاعم ينظرون باستعلاء إلى جميع الشعوب ولا يعلمون أن الله - تعالى - لا يكرم أحداً إلا بالتقوى. قال تعالى:

﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧) لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾

(آل عمران: ١٩٦ - ١٩٨)

والتقوى ليست تزهيداً فى الحياة ومتع الدنيا التى أحلها الله، ولهذا يقول الشيخ الغزالى: «والتقوى ليست إعلان حرب على الجسد، ولا كبتا قاسيا للغرائز، إنما هى سيرة مستقيمة تستصحب مرضاة الله، وتنتظم مع ضوابط الشريعة» (ص٢٠٨) وهى تخص من بيدهم الأمر فى كل مجال. قال تعالى:

﴿ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾

(المائدة: ٨)

ومع المطلقات قال تعالى:

﴿ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾

(البقرة: ٢٤١)

وقال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾

(التوبة: ١١٩)

إن الله - تعالى - يحب أن يرتبط المسلم بربه عز شأنه فى كل أعماله،

ملتزما بتوجيهات القرآن الكريم، ويحسن بالمسلم أن يبلغ المثل الأعلى فى عمله بالتقوى بقدر ما يستطيع، فإن كان المثل الأعلى أبعد من قدراته، فعليه أن يقترب منه، قال ﷺ: (إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة، وشيء من الدلجة) (البخارى فى كتاب الإيمان).

فالحديث يرشد المسلم إلى قيمة العمل الذى يترجم عن التقوى من ساعة غدو المسلم فى الصباح الباكر - وحين عودته من عمله - وجزء من الليل، فهو يضع للمسلم المنهج الدقيق السهل الذى يؤدى به العمل إرضاء لله - وخدمة لنفسه ووطنه، على أن يداوم عليه لقوله ﷺ: (أحب الدين إلى الله ما داوم عليه صاحبه) (البخارى كتاب الإيمان).

وكذلك يربى المسلم على التواضع

قال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾

(النساء: ٣٦)

إن الغرور والخيلاء والفخر الكاذب، قد يكون منشأه الاغترار بالنفس أو الجهل أو الاستهانة بالآخرين، وفى البلدان المتخلفة تكون المناصب الرياسية متنفسا لأصحاب الكبر والاغترار بالنفس. ولأن الفخر الكاذب والخيلاء والغرور من عوامل تخلف المجتمع، فقد حاربه الإسلام، قال رسول الله ﷺ: (إن الله أوحى إلىَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغى أحد على أحد) (مسلم كتاب الجنة).

ولأن الكبر يؤدى إلى غمط الناس حقوقهم كما جاء فى حديث رسول الله ﷺ: (الكبر بطر الحق وغمط الناس) رواه مسلم. ورفض الحق عنادا واستعلاء، هو من أخس صفات الإنسان، بل إن الكبر قد يؤدى إلى الكفر، ففى الحديث الشريف: (لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر) (رواه مسلم)، وهو معنى الآية الكريمة.

﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾

(الزمر: ٦٠)

***

ضوابط الحوار الإسلامى

للدكتور/ السيد محمد أحمد الديب

تأتى أهمية الدعوة إلى الحوار الإسلامى الإسلامى فى ظل الاشتباك المعرفى، والتنوع الثقافى بالعديد من الدول، حول الكثير من القضايا، التى تحتاج إلى نبذ الخلافات، والتقريب بين الآراء والتوجهات، والتحول بالموضوعات والمذاهب من التأصيل والتأسيس إلى التفعيل والتنفيذ لكل المتاحات من الأفكار الإسلامية، التى كثر الجدل والنقاش فيها، دون الوصول إلى نتائج إيجابية ذات تأثير بارز فى محيط المجتمع الإسلامى، الذى ينوء بهموم ثقال فى حاجة إلى حسم واتفاق، وانتهاء بالدعوة إلى الشراكة فى صناعة النظام الدولى، الذى تعد العولمة إحدى رسائله ووسائله، ومنتجاته وتوصياته إلى سائر مكونات الأمة العربية والإسلامية.

إن مصطلح الحوار ذو أبعاد متعددة، فمنه المجادلة بين طرفين، والمحاورة حول الأفكار، وتبادل الحديث مع فرد أو مجموعة من الأفراد.

وقد يغلب على مصطلح الجدال توجيهه إلى اللجاجة والخصومة والرغبة فى الانتصار على الآخر، وهذا المصطلح قد ورد فى القرآن الكريم بعدة اشتقاقات ذات دلالات غير متباعدة فى إطار هذا المضمون قال تعالى:

﴿ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾

(الكهف : ٥٤)

وقال تعالى:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾

(الحج : ٨) و(لقمان : ٢٠)

ويطلق الحوار على ما يدور بين طرفين أو جماعتين بينهما اختلاف فى العقيدة الدينية، أو المذهب السياسى أو الفكر الاقتصادى، وغير ذلك من التوجهات التى يموج بها المجتمع المعاصر.

والحوار فى معظم أحواله يشكل حالة علمية

راقية تستند إلى كثير من الثقافات والمعارف، سواء أكانت نابعة من أعماق التاريخ الصادق، أو مستقاة من صحيح التشريع الإسلامى، أى أنه يستمد قوته وحركته من الثوابت الراسخة، ما دامت مقدماته خاضعة للضوابط، التى تسفر فى غالب الأمر عن نتائج أكثر صدقا، واقتناعا وشمولية وعمقا.

ولا يتوقف الحوار على الكلام والنقاش المسموع، وإنما يتحول إلى الاستعانة بوسيلة الكتابة أو غيرها؛ توظيفا لفنون اللغة العربية، وما صار مفعلا فى الواقع من خلال شبكة المعلومات الدولية «الإنترنت».

ترجع الاختلافات التى أقرت الشريعة الإسلامية بها فى دوائر الحياة المختلفة إلى أسباب عديدة، لسنا بصدد حصرها، والتوسع فى بيان أسبابها قديما وحديثا، لكن مع الإقرار بوجود هذه الاختلافات لا ينبغى تحويلها إلى خلافات حادة تسفر عن تمزيق الأمة، وقطع أواصر الصلات الكاملة بين أفرادها، وينبغى حصارها، وغلق السبل إليها، قال تعالى:

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾

(هود : ١١٨، ١١٩)

وهذا ما نبه الرسول (إلى خطورته فقال «لا تختلفوا فتختلف قلوبكم»(١)

إن الراصد لخصائص المنهج الإسلامى فى التعامل مع الآخرين من بداية البعثة المحمدية يشهد الاعتماد فى غالب الأحوال، - إن لم يكن فى مجموعها - على النقاش الهادف، والحوار المثمر، والتناظر الإيجابى، وإبداء الآراء المتعددة، بهدف الوصول إلى الأصوب، الذى يبقى رأيا عاما ملزما لسائر الأطراف للتطبيق والتنفيذ والالتزام.

يشهد التاريخ الإسلامى بنمو الدعوة المحمدية من خلال الحوار الهادف، الذى قاد مسيرة الأمة فى الانفتاح على الآخرين، والتعرف على حضاراتهم، مما أسهم فى صناعة رؤية إسلامية شاملة، تبعث من الماضى، واتسعت فى الحاضر، وصارت مشروعا وأملا لرسالة الإسلام فى المستقبل.

ولقد صارت الأمة الإسلامية فى حاجة إلى إعادة صياغة حوارها مع نفسها أولا، ثم مع الآخرين ثانيا، بمعنى حتمية إصلاح البيت من الداخل كما يقولون، إذ تتناثر تشققات ونتوءات تحتاج كلها إلى «ترميم» شامل يحتوى الأسس والقواعد، والأسلوب والمصطلح، واللغة التى لا بد أن ترقى إلى مستوى الحوار (النموذج) الذى شهدناه فى التراث الاسلامى، فضلا عن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

(١) رواه البخارى.

وفي ظل الحوار ينبغي الخضوع أولا للموضوعية، ومراعاة أدب النقاش، خاصة فيما يتصل بقضايا الفكر والتشريع، ثم تأتي بعدها الأمور التي تحتاج إلى اتفاق وحسم، في نطاقات السياسة والاقتصاد، والدفاع عن الوطن، وقضاياه الملحة، كمشكلة فلسطين التي تؤرق أصحاب الضمائر الحية.

وتظهر كثير من التناقضات بين الغنى والفقر، والبطر والبؤس، والترف والحرمان، وفي أشياء أخرى تفوق الحصر والاستيعاب.

وتبقى قضية التطرف والميل إلى الآراء المتشددة وإغفال التيسير في العبادات والمعاملات في حاجة إلى حوارات إيجابية شجاعة، تستند إلى القرآن والسنة، من أجل تصحيح المسارات، وتقديم الصورة المضيئة للدين الإسلامي، الذي صار الآن محلا للاتهامات من الخصوم الأعداء في الشرق والغرب على السواء.

وينبغي أن يكون الاحتكام إلى الحوار الهادف، تقديراً ومراعاة لأدب الاختلاف، الذي يتحتم أن يكون نابعاً من الكتاب والسنة، قال تعالى:

﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾

(الشورى: ١٠)

وقال:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾

(الأحزاب: ٣٦)

وفي ظلال هذا البيان ينبغي أن يقف الاختلاف عند خطوط فاصلة، أو سدود حاجزة، احتراما وتقديرا للضوابط والأسس، التي تواترت عليها الدلالات الشرعية الصحيحة.

أهم الضوابط للحوار الإسلامي

إن ضوابط الحوار بين المسلمين متعددة، وذات أهمية كبيرة؛ للوصول إلى نتائج حاسمة، وتمثل حدا لا بأس به في إجراءات التقارب بين المتحاورين، خاصة أن متطلبات العصر الراهن تجعل السعي إلى الحوار مطلبا، وهدفا إسلاميا في قضايا شائكة كثر الجدال فيها، دون تحقيق نتائج مقبولة من الاقتناع الشمولي بالمجتمع الدولي.

إن الاختلاف في ماضي الأمة، وحاضرها، وإجراء الحوار في ذلك يجب أن يكون خاضعا لكثير من الضوابط، التي سنعرض لبعضها، بحيث لا تصل الأمور إلى التجاوز والتطاول على الآخرين.

كما تشتعل جذوة الاختلاف بسبب غياب الرؤية الحقيقية لأبعاد الموضوع، والإلمام بكل جوانبه، تلك هي عشوائية الفكر والدخول في عراك ثقافي، دون الاستعداد له بكل الإمكانات المتاحة لمقتضى الحوار، ومستوى التناظر والنقاش.

إن الحياة الإسلامية في واقعنا المعاصر في حاجة إلى المراعاة الكاملة لأدب الحوار، والالتزام بالأسس والضوابط التي عاشت راسخة في أعماق المسلمين طوال مسيرتهم الخالدة.

ويجب أن يكون الحوار مبنيا على الصدق في القول، وحسن العرض والاستدلال بالبراهين الصحيحة، وعدم التضليل والتحايل في الطرح الفكري لأن أي نتيجة تتمخض عن مثل هذا الحوار ستكون مخيبة للآمال كما يجب أن تكون الحجة والرأي المعروض في مظلة المنطق السليم والقول الرشيد.

لقد كتب الدكتور/ محمد سيد طنطاوي عن هذا المعيار الحواري الهام، فقال: «إن الحوار البناء الذي يقصد به الوصول إلى الحق والعدل ومكارم الأخلاق، هو الذي يكون لحمته وسداه الصدق في القول والعفاف في السلوك.. أما الكذابون والجهلاء والسفهاء وأصحاب الهوى والمصالح الخاصة، والذين امتلأت قلوبهم بالحقد والجبن والغرور... فهم الذين يجادلون غيرهم بالباطل ويكابرون بدون دليل، ولا يقيمون دعواهم إلا على الكذب والغرور والبهتان والزور، ونعوذ بالله تعالى من ذلك[٢].

ومن صميم الضوابط في حوار المسلمين مع أنفسهم التزام الموضوعية في مواجهة آراء الآخرين بحيث لا يتحول التناظر أو التحاور إلى جدل عقيم، وتشويه أصحاب الآراء، انصرافا عن حسن المواجهة في الرأي الصائب والنقاش الموضوعي وحسن الاستماع.

وقد تجلت هذه الموضوعية بصورة ملحوظة في حوارات الأنبياء مع أقوامهم مثل حوار سيدنا إبراهيم مع الملك الكافر[٣]، حيث أدار خليل الرحمن الحديث معه بموضوعية وحجة قوية، لا تقبل الطعن أو التفنيد.

ويجب إتاحة الفرصة للآخرين للتعبير عن وجهات نظرهم في حرية وهدوء مثل حوارات الشيخين أبي بكر وعمر حول جمع القرآن الكريم، وقتال المرتدين ومانعي الزكاة وكانت قناعتهما محكومة بالأدلة والبراهين الصحيحة المستقاة - بكل تأكيد - من القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ.

وقد تمخضت كل هذه الحوارات عن قوة فعل موجية، انعكست آثارها على حركة المد الإسلامي في أرض الواقع، وزيادة العمق الدلالي لبداية عصر ما بعد الرسول ﷺ:

ويجب أن يكون الهدف من الحوار هو الوصول إلى الحقيقة التي يجتمع الناس عليها متجاوزين حدود الأنانية الحمقاء، وعبادة الذات التي تنظر للآخرين على أنهم أعداء متربصون بمن يتحاورون معهم، ولذلك يلتقي الناس ويعبرون عن نواياهم الطيبة، دون استعداد لتغيير بعض

(٢) أدب الحوار في الإسلام، د/ محمد سيد طنطاوي، ص ٣٠.
(٣) هو النمرود بن كنعان.

مواقفهم، فيجتمعون ثم ينصرفون، دون الوصول إلى نتائج حاسمة في معارك الكلمات، وما أكثرها في الدوائر الإسلامية التي تنفتح ثم تنغلق، ولا يسفر الأمر عن شئ مما يسهم في زيادة الشقاق وانحسار الوفاق.

ويلزم أن يكون الحوار مبنيا على حسن التقدير، وإتاحة الفرصة زمانا ومكانا للوصول إلى الصواب الذي ينبغي التمسك به والحرص عليه، في نطاق التشريع الإسلامي، الذي لا يقبل الجدل أو النزاع.

ويجب الانتقال بالحوار من نطاق وضع النظرية إلى التفعيل الإيجابي لما تم التوصل إليه من وجهات للنظر تكاد تلتقي حولها الأغلبية النشطة، التي تنفرد بالحجة الصائبة، والحقيقة الثابتة.

وقد أشار شيخ الأزهر إلى بعض الأسس للحوار مع الآخرين وذكر منها التواضع، والتزام أدب الحوار، وإعطاء المعارض حقه في التعبير، واحترام الرأي الصحيح، وذكر كلمة جامعة للإمام الشافعي رضي الله عنه هي: ما ناظرت أحدا قط فأحببت أن يخطئ. وما كلمت أحدا قط وأنا أبالي أن يظهر الله الحق على لساني أو على لسانه. وما أوردت الحق والحجة على احد فقبلها مني إلا هبته واعتقدت محبته، ولا كابرني أحد على الحق إلا سقط من عيني ورفضته.

وودت لو انتفع الناس بعلمي دون أن ينسب إلي منه شئ[1].

وقد أفاد أبو حامد الغزالي في (إحياء علوم الدين) بخطورة بعض الآفات اللسانية، التي تهدد المناظرة، وتفقد النقاش بين المتحاورين مصداقيته وقوة الدفع الإيمانية، التي ينبغي أن تستظل بها لغة الحوار، ويأتي ذلك متجسدا في مجموعة من المخاطر التي يقع فيها الكثيرون، بقصد أو بغير قصد، مثل: الحسد - التكبر - الحقد - الغيبة - التجسس - الفرح لمساءة الناس - النفاق - الاستكبار على الحق - الرياء[2].

ويحفل القرآن والسنة بكثير من الحوارات الإيجابية، تدليلا على أهمية هذا الأسلوب المتحضر بالانتقال من المنهج والنظرية إلى التفعيل لواقع الأمة في القرون الأخيرة من يوم أن بدأ الانحطاط يدب في بعض أركانها، مما ألحق خسارة كبيرة في العالم المتسع، وأفاد بذلك الشيخ أبو الحسن الندوي في كتابه المشهور «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» وقد أورد القرآن كثيرا من الحوارات، مثل ما كان بين صاحب الزرع وصاحب الغنم مع نبي الله داوود وابنه سليمان عليهما السلام.

وكشفت السنة عن العديد من الحوارات بين الرسول وأصحابه، أو بين بعضهم

(١) أدب الحوار في الإسلام - د/ محمد سيد طنطاوي - صـ ٣٤.

(٢) إحياء علوم الدين - جـ ٦ ص٩١ - بيان آفات المناظرة.

مع بعض، وكان ذلك سمة للدعوة إلى الله بالحسنى، عندما كان الرسول يصنع الرجال في مكة، أو يؤسس الدولة في المدينة، ثم بعد العودة إلى مكة والتحصن بالكلمة الهادئة والحوار الهادف، وقد عفا عن قومه وقال لهم «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، ووضح ذلك بصورة أكبر في حوارا ته مع قومه في غزوتي بدر والخندق، وغيرهما.

وتستمر الحوارات الهادئة والتناظر الإيجابي في أساليب الشيخين أبي بكر وعمر ونظامهما في إدارة الدولة، ومنهجهما في الشورى، وخضوعهما للرأي والحجة، والدليل القاطع، وبرز ذلك في مسائل ذات أهمية بالغة بعد وفاة الرسول - ﷺ - مثل جمع القرآن الكريم، وقتال المرتدين، ومانعي الزكاة.

وتتسع الأمور بصور مختلفة في مجالات أخرى مثل معاملات البنوك والبورصة وأحوال السوق العربية المشتركة، التي كانت واقعة أو قريبة من الواقع، ثم صارت - فيما اعتقد - أثرا وتاريخا لا قيمة له، ومثل القضايا الأدبية والثقافية كالغزو الفكري، والأصالة والحداثة، ونماذج من الأدب المكشوف، والأدب الإسلامي، والأدب العالمي، وسائر الفنون الأخرى.

ويتجلى في السنوات الأخيرة شكل الحوار في بعض القضايا، التي تحتاج من الطب والدين والقانون، مثل بنوك الأجنة، وتأجير الأرحام وقضايا الموت، وزراعة الأعضاء البشرية، والتبرع بها، والتجارة فيها، والاستنساخ البشري، وبعض المسائل التي كثر الحوار أو الجدال فيها عند أهل الاختصاص من رجالات الدين والعلم والقانون.

النتائج

١- حتمية تكوين رأي إسلامي عالمي؛ بهدف توحيد الكلمة الموجهة إلى الآخرين، فيما يختص بالتعريف بالإسلام، ونشر مبادئه، والرد على الافتراءات الموجهة إليه.

٢- ينبغي أن يكون الحوار خاضعا لمبدأ احترام الآخر وتقديره، وعدم تسفيه رأيه وتحقيره، وأن تكون الغلبة لرأي الأكثرية، تفعيلا لقضية الشورى في الإسلام، أو الديموقراطية المعاصرة.

٣- إذا كان الحوار بين مختلف الثقافات والأديان محققا بدرجة كبيرة؛ استجابة لتوصيات الكثيرين من أصحاب الفكر، وأهل الحل والعقد، فإن من الزم الواجبات أن يتحقق ذلك في نطاق الدعوة إلى الحوار الإسلامي؛ لأننا إذا لم نقدس دور الكلمة في النطاق الديني الذي نؤمن به، والمذهب الذي نعتقد؛ فلن نستطيع أن نواكب سائر المتغيرات المعاصرة في الدعوة إلى الحوار مع الآخرين.

بين الرؤية الإسلامية والرؤية العلمانية

دكتور محمد عمارة

عضو مجمع البحوث الإسلامية

> إذا كان التصور الأرسطى لنطاق عمل الذات الإلهية -وهو «الخلق» دون «الرعاية والتدبير» للعالم والطبيعة والعمران الإنسانى.. الذى ترك ماللقيصر لقيصر، دون تدخل من الله فى ماللقيصر.. والذى دعمته فلسفة التشريع الرومانية -التى جعلت مقاصد التشريع تحقيق «المنافع والمصالح» الدنيوية، دونما ربط لها بالأخلاقيات الدينية أو القيم الايمانية أو السعادة الأخروية.

إذا كانت هذه التصورات والمنطلقات فى الموروث الحضارى الغربى، قد فتحت الطريق أمام رد الفعل العلمانى على احتكار اللاهوت للدنيا والدولة والاجتماع والمعارف والعلوم، بحسبان العلمانية، التى تعزل السماء عن الأرض، وتحرر العمران الإنسانى من الضوابط الدينية، وتطلق الحرية للإنسان فى سياسة المجتمع كسيد للكون.. بحسبان هذه العلمانية هى الأقرب للتصور الأرسطى لنطاق عمل الذات الإلهية، ولدعوة النصرانية أن تترك ماللقيصر لقيصر، ولفلسفة التشريع الرومانى فى تحرير القانون من القيم الإيمانية والمقاصد الشرعية.

إذا كان هذا هو «حال القضية» فى النموذج الحضارى الغربى.. فإن أمرها ليس كذلك فى السياق الإسلامى.. فالتصور الإسلامى لنطاق عمل الذات الإلهية يتعدى حدود الخلق للمخلوقات إلى حيث يكون الله، سبحانه وتعالى، أيضا الراعى والمدبر لكل عوالم وأمم وعمران المخلوقات.

لقد سفَّه القرآن الكريم تصور الوثنية الجاهلية -وهو ذاته التصور الأرسطى- لنطاق عمل الذات الإلهية- فهو فى التصورين مجرد خالق، بينما التدبير للدنيا والعمران موكول -فى الأرسطية- إلى الإنسان والأسباب المودعة فى الطبيعة وظواهرها- وهو -فى الوثنية الجاهلية- موكول إلى الشركاء والأصنام والطواغيت..

سفَّه القرآن الكريم هذا التصور عندما قال:

﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل أفرءيتم ما تدعون من دون الله إن أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون ﴾

(الزمر: ٣٨)

فجعل الخلق لله، والتدبير لغير الله تصور جاهلى مرفوض.

﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون ﴾

(الأنعام: ١٣٦)

فهذه القسمة -الشبيهة بالمفهوم العلمانى لشعار: «الدين لله والوطن للجميع»!- هى سوء حكم للجاهلين يسفهها القرآن- ويرفضها التصور الإسلامى لنطاق عمل الذات الإلهية.

وفى مقابل ذلك يقدم الإسلام تصوره لنطاق عمل الذات الإلهية: خالق كل شىء.. ومدبر كل أمر.. حتى ما هو مقدور للإنسان، وداخل فى نطاق قدرته وإرادته وفعله، هو فيه خليفة لله، سبحانه وتعالى، يدبره الإنسان، بإرادة إلهية، وتكليف شرعى، كخليفة لله، ملتزم بشريعته، التى تمثل بنود عقد وعهد الاستخلاف، وكعبد لسيد الوجود، وليس كسيد لهذا الوجود!- فلله- فى التصور الإسلامى -«الخلق» و«التدبير» جميعا!..

﴿ إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون ﴾

(يونس: ٣)

﴿ ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾

(الأعراف: ٥٤)

﴿ قال فمن ربكما يا موسى (٤٩) قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى ﴾

(طه: ٤٩، ٥٠)

فليس التصور الإسلامى لنطاق عمل الذات الإلهية بالذى يحدد نطاق عمل الله فى الخلق وحده، محررا الطبيعة والعالم والاجتماع والإنسان من معالم وضوابط التدبير الإلهى والرعاية الإلهية لعوالم المخلوقات.. فكل شىء فى هذا التصور الإسلامى، هو لله، حتى ما هو للإنسان فهو له بحكم الاستخلاف والوكالة والنيابة لله:

﴿ قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين (١٦٢) لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾

(الأنعام ١٦٢- ١٦٣)

وكفى بهذه الآية وحدها معبرة عن إيمان المسلم

بالحضور والتدبير الإلهى فى كل شىء حتى لتبلغ الحرية الإنسانية ذروتها إذا بلغ المؤمن ذروة العبودية لله؟!-..

لقد استأثر، سبحانه، بالخلق والأمر -أى بالإيجاد والتدبير جميعا- ..واستخلفنا فى استعمار الأرض فجعل لنا الشورى فى الأمر والتدبير للعمران، والإرادة والقدرة والاستطاعة لإقامة الدين وصناعة العمران وصياغة الحياة وتحديد مسارات التواريخ، كخلفاء لله.

﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾

(آل عمران ١٢٩)

﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾

(الشورى: ٣٨)

﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ ﴾

(النساء: ٥٩)

﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ ﴾

(النساء: ٨٣)

هكذا يقطع التصور الإسلامى لنطاق عمل الذات الإلهية الطريق على العلمانية، فمحال أن يجتمع ويتوافق فى قلب المسلم تصور الله مدبرا لكل شىء وراعيا لكل أمر، مع تصور عزل السماء عن الأرض، وتحرير العمران الإنسانى من ضوابط وحدود تدبير الله.

وكما تميز ميراثنا الحضارى عن الميراث الحضارى الغربى، فى تصور نطاق عمل الذات الإلهية، ومن ثم فى مكانة الإنسان فى هذا الوجود.. كذلك تميزت فلسفة التشريع فى النسق القانونى الإسلامى -سواء فى مبادىء الشريعة الإسلامية وقواعدها ومقاصدها -والتى هى «وضع إلهى»- أو فى فقه معاملاتها -الذى هو إبداع الفقهاء المسلمين المحكوم بمبادىء الشريعة وقواعدها و حدودها ومقاصدها- ..تميزت فلسفة الإسلام فى التشريع عندما ربطت «المنفعة» بـ«الأخلاق» و«المصلحة» بـ«المقاصد الشرعية» و«سعادة الدنيا» بـ«النجاة يوم الدين».. فأغلقت هذه الفلسفة التشريعية الإسلامية الطريق أمام القانون الوضعى -العلمانى- مانعة إمكان تعايشه مع النسق التشريعى الذى يحكم سلطات الأمة فى التقنين بسيادة حاكمية الوضع الإلهى لحدود الشريعة ومبادئها وقواعدها ومقاصدها..

«فالمصلحة» التى يتغياها القانون الإسلامى هى «المصلحة الشرعية المعتمدة» وليست مطلق «المصلحة».. و«المنفعة» التى يريد الفقه الإسلامى جلبها ليست اللذة أو الشهوة أو مطلق المنفعة، بالمعايير الدنيوية الخالصة للدنيا، ذلك لأن المسلم لا يمحض ربه «صلاته» و«نسكه» فقط، وإنما يمحضه، مع الصلاة والنسك، جماع المحيا والممات:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾

(الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣)

وهذه الحقيقة من حقائق تميز فلسفة التشريع والتقنين الإسلامية عن نظيرتها الرومانية والغربية، هى مما أجمع عليه أهل العلم، مسلمين وغير مسلمين، ويكفى أن نشير إلى شهادة مستشرق حجة فى القانون الغربى العلمانى وفى الفقه الإسلامى، هو «دافيد دى سانتيلانا» David de Santillana (١٨٤٥ - ١٩٣١م) فهو يقول عن فلسفة التشريع فى القانون الوضعى الغربى: «إن معنى الفقه والقانون بالنسبة إلينا وإلى الأسلاف: مجموعة من القواعد السائدة التى أقرها الشعب، إما رأسا أو عن طريق تمثليه. وسلطانه مستمد من الإرادة والإدراك وأخلاق البشر وعاداتهم».

فهو قانون «دنيوى» -أى علمانى- خالص للدنيوية..

ويستطرد «سانتيلانا»، مقارنا هذه الفلسفة العلمانية بالفلسفة الإسلامية فى التشريع، فيقول: «.. إلا أن التفسير الإسلامى للقانون هو خلاف ذلك.. فالخضوع للقانون الإسلامى هو واجب اجتماعى وفرض دينى فى الوقت نفسه، ومن ينتهك حرمته لا يأثم تجاه النظام الاجتماعى فقط، بل يقترف خطيئة دينية أيضا. فالنظام القضائى والدين، والقانون والأخلاق، هما شكلان لا ثالث لهما لتلك الإرادة التى يستمد منها المجتمع الإسلامى وجوده وتعاليمه، فكل مسألة قانونية إنما هى مسألة ضمير.. والصبغة الأخلاقية تسود القانون لتوحد بين القواعد القانونية والتعاليم الأخلاقية توحيدا تاما.. والأخلاق والآداب، فى كل مسألة، ترسم حدود القانون.. فالشريعة الإسلامية دينية تغاير أفكارنا أصلا»[1]!

وذات الحقيقة يؤكد عليها المستشرق السويسرى «مارسيل بوازار» الذى ينبه على تميز القانون الإسلامى عن القانون الوضعى العلمانى فى المصدر.. وفى المقاصد.. فيقول: «ومن المفيد أن نذكر فرقا جوهريا بين الشريعة الإسلامية والتشريع الأوروبى الحديث، سواء فى مصدريهما المتخالفين أو فى أهدافهما النهائية.. فمصدر القانون فى الديمقراطية الغربية هو: إرادة الشعب، وهدفه: النظام والعدل داخل المجتمع. أما الإسلام، فالقانون صادر عن الله، وبناء عليه يصير الهدف الأساسى الذى ينشده المؤمن هو البحث عن التقرب إلى الله، باحترام الوحى والتقيد به.. فالسلطة فى الإسلام تفرض عددا من المعايير الأخلاقية.. بينما تسمح فى الطابع الغربى أن يختار الناس المعايير حسب الاحتياجات والرغبات السائدة فى عصرهم..»[2]..

وهكذا تحول الفلسفة المتميزة للتشريع الإسلامى بين المسلم وبين قبول القانون الوضعى العلمانى -كما يحول التصور الإسلامى لنطاق عمل الذات الإلهية، ولمكانة الإنسان فى الكون، بين المسلم وبين قبول العلمانية جملة وتفصيلا..

***

ولأن هذه هى حقيقة تميز النسق الفكرى الإسلامى -المنطلق من البلاغ القرآنى ومن البيان النبوى لهذا البلاغ- كانت جذور المقاومة

(١) سانتيلانا (القانون والمجتمع) -ضمن كتاب (تراث الإسلام) ص٤١٦، ٤٢٨، ٤٣٦. ترجمة: جرجيس فتح الله. طبعة بيروت سنة ١٩٧٢م.

(٢) لواء أحمد عبدالوهاب (الإسلام فى الفكر الغربى)- نصوص- ص٨١- ٨٢. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م.

الإسلامية لانفلات «الدولة» من «الدين»، ولتحرر «المجتمع» من «الشريعة» أبعد فى تراثنا الإسلامى من المواجهة مع العلمانية الغربية الوافدة إلينا فى ركاب الغزوة الاستعمارية الحديثة..

فالتعاقد الدستورى، الذى تقوم به «الدولة» ليس مجرد تراض بين «المحكومين» و«الحاكمين» -كما هو حاله فى الفكر السياسى الوضعى- وإنما لابد فى هذا التعاقد الدستورى، كى يكون إسلاميا، من أن تكون المرجعية فيه دينية -لله والرسول- أى للوحى الإلهى والسنة النبوية- .. فإسلامية الدولة، وإسلامية التعاقد الدستورى الذى تتأسس عليه، مبدأ شرعى، ووضع إلهى ثابت.. تحدث عنه القرآن الكريم فى آيات سورة النساء:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۖ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾

(النساء: ٥٨ : ٦٠)

١- فعلى ولاة الأمر أداء الأمانات لأهلها والحكم بالعدل بين الناس..

٢- ولقاء ذلك لهم طاعة المؤمنين..

٣- وطاعة المحكومين لأولى الأمر تالية لطاعة الجميع لله وللرسول، أى للكتاب والسنة..

٤- وشرط تحقق واكتمال الإيمان الدينى، بالله واليوم الآخر، أن تكون مرجعية هذا التعاقد الدستورى هى الكتاب والسنة.. وإلا كان هذا الإيمان زعما وادعاء، ولأنه إن لم تكن المرجعية فى الدولة لله والرسول، فهى للطاغوت!..

هكذا حسم القرآن المرجعية الإسلامية للدولة الإسلامية. ولقد صاغ رسول الله، ﷺ، هذا المبدأ القرآنى -للمرجعية الدينية فى التعاقد الدستورى على إقامة الدولة- صاغه «مادة» فى أول دستور لأول دولة إسلامية- فى «الصحيفة» التى مثلت دستور دولة المدينة- نصت على: «.. وما كان بين أهل هذه الصحيفة من اشتجار يُخشى فساده، فمرده إلى الله وإلى محمد»[٣]..

وأكد ذلك الخليفة الأول أبوبكر الصديق، -رضى الله عنه- فى أول خطاب له عقب اختياره والبيعة له بالخلافة، فقال: «أطيعونى ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم»[٤].. فبلغ الربط بين إسلامية الدولة بجعل المرجعية الدينية شرط قيام واستمرار التعاقد الدستورى على إقامتها -فى التجربة التاريخية- التى يقيس عليها المسلمون- بلغ هذا الربط فى الحسم والوضوح هذا الحد الذى ميز دولة الإسلام عن كثير من الدول التى عرفتها كثير من الأنساق الفكرية الأخرى..

«يتبع»

(٣) (مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة) ص٢٠. جمعها وحققها: د. محمد حميد الله الحيدر ابادى. طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦م.

(٤) (المقدمة) ص١٥٠، ١٥١. طبعة القاهرة سنة ١٣٢٢هـ.

بين الصحف والمجلات

إعداد

أ/ محمد جمعة

أ/ علا عبدالرحمن

خطيب المسجد الأقصى:

إن لم توحدنا دماء وأشلاء الأطفال والنساء والشيوخ فمتى سنتوحد؟!

تحت عنوان: «الذكري الأولي للحرب الإجرامية على قطاع غزة» كتب فضيلة الشيخ الدكتور/ يوسف جمعة سلامة -خطيب المسجد الأقصى المبارك- فى جريدة اللواء الإسلامى بتاريخ ٢٠٠٩/١٢/٣١م يقول:

تمر بنا فى هذه الأيام الذكرى الأولى للحرب الإجرامية التى قامت بها قوات الاحتلال الإسرائيلية على قطاع غزة الصابر الصامد، هذه الحرب المدمرة التى استمرت لأكثر من ثلاثة أسابيع، واستخدمت فيها القوات الغاشمة جميع وسائل الدمار براً وبحراً وجواً، وما القنابل الفسفورية الحارقة عنا ببعيد، حيث ارتكبت مجزرة كبيرة فى القطاع أهلكت الحرث والنسل، وأصابت البشر والشجر والحجر، وقد اندحرت القوات الغاشمة إلى حدود قطاع غزة مخلفة الخراب والدمار والقتل والتشريد.

إن الشعب الفلسطينى الذى قدم آلاف الشهداء والجرحى ينتظر منكم اليوم موقفا واحدا موحدا بأن تلتقوا على كلمة سواء، وأن تتحدوا لمواجهة الأخطار المحدقة بالشعب الفلسطينى والقضية والهوية، فالقدس تُهود، والحفريات مستمرة تحت المسجد الأقصى المبارك لتقويض بنيانه، وزعزعة أركانه، تمهيدا لهدمه -لا سمح الله- وإقامة ما يسمى بالهيكل المزعوم بدلاً منه، والجدار يلتهم الأرض، وغزة مكلومة بجراحها وتقول لكم: إن لم توحدنا دماء وأشلاء أطفال ونساء وشيوخ غزة فمتى سنتوحد؟!

إن صوتنا لم ولن يسمع، إذا بقينا متفرقين مختلفين، ونحن هنا نتساءل: لماذا هذا الاختلاف بين أبناء الشعب الواحد؟.. أنسينا ما يفعله بنا المحتلون صباح مساء من قتل واعتقال وتدمير وغير ذلك؟!

بلا ناقة أو جمل!

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ عطية عيسوى في جريدة الأهرام الصادرة في ٢٠٠٩/١٢/٢١م يقول:

بينما يواجه ٢٣ مليون إنسان في شرق أفريقيا الموت جوعًا بسبب الجفاف الذي أهلك ١,٥ مليون رأس ماشية يعتمدون عليها في حياتهم، ويعاني نحو نصف سكان الدول الأفريقية جنوب الصحراء الكبرى من نقص وسوء التغذية، ويتعرض كثير من دول القارة للتصحر أو الفيضان أو الغرق بسبب التقلبات المناخية الناتجة عن ظاهرة الاحتباس الحراري التي لا ناقة لها فيها ولا جمل، طال الجدل بين الدول الصناعية في قمة المناخ حول النسبة التي يتعين على كل منها أن تعمل على تخفيضها من انبعاثات ثاني أكسيد الكربون والميثان وغيرهما، والمبلغ الذي يجب أن تساعد به الدول النامية لتسهم بدورها في الحد من ارتفاع درجة حرارة جو الأرض. وفي النهاية اتفقوا على ٣٠ مليار دولار خلال السنوات الثلاث المقبلة ترتفع إلى ١٠٠ مليار بحلول عام ٢٠٢٠ ولكن بلا اتفاق ملزم ولا تحديد لنصيب أفريقيا من المساعدة.

تحتاج أفريقيا حسب تقديرات الصندوق العالمي للطبيعة إلى ما يتراوح بين ١٠ مليارات و٤٠ مليار دولار سنويا لمواجهة الأزمات المترتبة على ظاهرة الاحتباس الحراري لا تستطيع تدبيرها بدون مساعدة الدول الغنية التي نهبت ثرواتها خلال الاستعمار بلا ثمن أو بثمن بخس وأقامت عليها نهضتها الصناعية التي كانت السبب الرئيسي في كوارث المناخ، بينما الدول الأفريقية المهددة في وجودها نفسه لم تسهم في تلك الظاهرة بشيء يذكر؛ فمصر مثلا مهددة بفقدان ٢٠٪ من مساحة الدلتا وتهجير ٨ ملايين من سكانها نتيجة غمر تلك الأراضي الزراعية بمياه البحر إذا ارتفع مستواها بمقدار متر واحد نتيجة ذوبان ثلوج القطبين بسبب ارتفاع حرارة الجو، لا تسهم سوى بـ ٠,١٪ فقط في ظاهرة الاحتباس الحراري برغم أنها تكاد تكون هي وجنوب أفريقيا الدولتين الصناعيتين الوحيدتين في القارة!

وبالرغم من منطقية مقولة «الملوث يدفع الثمن» وهي الدول الصناعية، كل بقدر مساهمتها في الظاهرة، إلا أن كلا منها حاولت التهرب من مسئوليتها ولم توافق على النسبة المعقولة من خفض انبعاثات الغازات ولا القدر المطلوب من المساعدات للدول الفقيرة المتضررة. ويبدو أن امتلاك الدول المتقدمة لتكنولوجيا النجاة من الغرق يغريها بالاستمرار في الجدل لانتزاع المزيد من التنازلات. لكن كوارث المناخ التي تضاعفت مرتين خلال العشرين سنة الأخيرة وفقا للمنظمة الدولية للهجرة تشمل أيضا الأعاصير والجفاف والفيضانات وحرائق الغابات التي لا تستطيع الدول المتقدمة لها دفعا وهو ما يستوجب أن تنهض بمسئوليتها لإنقاذ نفسها والآخرين.

فالولايات المتحدة مثلاً تسهم بـ ٢٠٪ من الاحتباس الحراري، والصين مثلها، وإسهام كل منهما بنصيب عادل في تكاليف المشكلة (٦٠٠ مليار دولار على مدى ٢٠ سنة) ليس كثيراً إذا قورن بالتريليون التي أنفقوها لمواجهة أزمة البنوك وشركات التأمين على العقارات مؤخراً.

علامة «منتج استيطاني»

تنبيه أوروبي يزلزل اقتصاد تل أبيب

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ معتز أحمد في مجلة الأهرام العربي الصادرة في ٢٠٠٩/١٢/٢٦م يقول:

تتواصل ردود الفعل الساخنة على الساحة الاقتصادية الإسرائيلية عقب توصية الحكومة البريطانية بوضع علامة تحذيرية تحمل شعار «منتج استيطاني» وذلك للإشارة إلى المنتجات الاقتصادية الإسرائيلية التي صنعت في المستوطنات الموجودة في الأراضي العربية المحتلة سواء بالضفة الغربية أو الجولان السوري المحتل والتي تغزو الأسواق الأوروبية بكثرة مع وجود مندوبين متميزين يروجون لها في جميع أنحاء القارة العجوز.

وقد أصابت هذه التوصية الإسرائيليين بخيبة أمل كبيرة لعدة أسباب أبرزها: شعور تل أبيب بأن الأوروبيين يؤيدون الفلسطينيين في العديد من المواقف السياسية التي يتخذونها والتي وصلت إلى حد المقاطعة الاقتصادية وهو ما يعني ضرب إسرائيل في الصميم مع ما يمثله الاقتصاد من أهمية كبرى عند الإسرائيليين.

والأهم من هذا أن الإسرائيليين باتوا يشعرون بأن التعاطف الأوروبي مع الفلسطينيين والعرب لم يعد متوقفاً عند دولة بعينها أو حزب سياسي أوروبي، بل بات موقفاً أوروبيا عاما بجانب أن هذا التعاطف لم يعد مرتكزا على السياسة، بل الاقتصاد أيضا وهذا هو الأخطر، ولعل ما ذكره المعهد الإسرائيلي العام للدراسات الاقتصادية هو خير دليل على ذلك، حيث كشف المعهد في تقرير له عن تصاعد نسبة القلق في أوساط العديد من أصحاب شركات التصدير الإسرائيلية بسبب تراجع الصادرات إلى أوروبا نتيجة لحملات المقاطعة التي قامت بها الكثير من الدول الأوروبية ضد إسرائيل، والأهم من كل هذا إصرار الأوروبيين على انتهاج سياسة اقتصادية خطيرة؛ حيث يقومون بوضع لاصقة تحمل عبارة «هذا منتج استيطاني» للإشارة إلى أن هذا المنتج الذي ينوي المواطن الأوروبي شراؤه هو من إحدى المستوطنات.

والأخطر من كل هذا أن العديد من الدول في العالم تريد أن تنتهج نفس السياسة التحذيرية الأوروبية وتضع علامة تحذيرية مائية تتيح للمشتري أن يعرف مصدر هذه المنتجات، ومن أبرز هذه الدول كندا والمكسيك وبعض من دول أمريكا الجنوبية، بالإضافة إلى عدد من الدول الآسيوية الأخرى، الأمر الذي دفع بصحيفة يديعوت أحرونوت في تقرير لها إلى التحذير مما أسمته بحرب العلامة التجارية التي من شأنها أن تكون مثل الرصاصة التي ستصيب قلب إسرائيل.

وتوضح صحيفة معاريف في تقرير لها

نشرته فى عددها الأسبوعى إلى خطورة الأزمات التى تتعرض لها المستوطنات الإسرائيلية بالتوصية الاقتصادية الإنجليزية الأخيرة، والتى تعنى وببساطة إعلان حرب اقتصادية شاملة على المستوطنات، خصوصاً أن الرئيس الأمريكى باراك أوباما يطالب صراحة بضرورة التوقف عن بناء مستوطنات جديدة وهو ما انصاع له نتانياهو، غير أنه قرر التوقف فقط عن التوسع الاستيطانى لمدة عشرة أشهر وليس أكثر، الأمر الذى يعكس مدى اهتمام نتانياهو بالمستوطنات؛ حيث لم يستطع أن يتخذ قرارا حاسما بوقف الاستيطان، وهو ما يظهر قوتها من جهة وحجم الحزن الإسرائيلى على التحذير من الترويج لمنتجاتها والكساد المتوقع لها من جهة أخرى.

أمريكا.. حائرة.. فى المستنقع الأفغانى

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ السيد نعيم.. كلمته المنشورة فى جريدة الجمهورية بعددها الصادر بتاريخ: ١٤/١٢/٢٠٠٩م يقول:

فيتنام أخرى.. صنعتها الولايات المتحدة فى أفغانستان ومستنقع غرقت فيه قواتها منذ ثمانية أعوام فى أعقاب اعتداءات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وتدمير مركز التجارة العالمى فى نيويورك.

الجريمة الكبرى فى حرب لا طائل من ورائها سوى الخراب والدمار سواء فى العراق أو أفغانستان صنعها غير المأسوف عليه جورج بوش، وورث أوباما الكارثة وهو بدوره حوّل نفسه هو وإدارته بحثا عن مخرج مشرف حفاظاً على ماء الوجه بعد فشل الولايات المتحدة فى تحقيق أى هدف معلن هناك فى بغداد وكابول.

ومع قرار أوباما بنشر ٣٠ ألف جندى إضافى بشكل سريع فى أفغانستان لإنقاذ ما يمكن إنقاذه بعد تدهور حالة القوات الأمريكية وقوات التحالف هناك.

الغريب أنه فى ظل الأزمة المالية والاقتصادية العالمية والتى ضربت الاقتصاد الأمريكى وعددا من الدول الأخرى بعنف ولاتزال آثارها المدمرة موجودة حتى الآن.

وفى الوقت الذى بلغ فيه العجز فى الميزانية الأمريكية ٤١٧ مليار دولار وهو ما يمثل ١٠٪ من إجمالى الناتج الداخلى الأمريكى فإن تكلفة إرسال التعزيزات الأمريكية إلى أفغانستان ستصل إلى ٣٠ مليار دولار فى العام القادم، فقد أكد مركز الدراسات الاستراتيجية والمالية الأمريكية أن تكلفة القوات العسكرية هناك تصل إلى مليون دولار فى السنة لكل جندى.

ورغم هذه المعاناة التى يتكبدها المواطن الأمريكى والخسائر المادية والبشرية المتزايدة فإن أوباما يسعى لاتخاذ خطوات حاسمة -أو هكذا يتصور- لإحلال الأمن أو ما يشبه الوهم فى أفغانستان باستئصال ملاذات الإرهابيين -كما يسميهم- والتى يقول عنها: إنها تهدد الأمن الإقليمى والعالمى.. ويبدو أنه لم ينجح فى ذلك، وإلا كان الأمريكيون قد نجحوا فى العراق الذى يشهد الآن مزيدا من التمزق والتشتت وعدم استقرار الأمن.

توقيف المتهمين بارتكاب جرائم حرب

كتب الأستاذ/ إبراهيم نافع فى عموده حقائق فى جريدة الأهرام الصادرة فى ١٧/١٢/٢٠٠٩م يقول:

أصدرت محكمة وستمنستر أمراً يقضى باعتقال زعيمة حزب كاديما الإسرائيلى، وزيرة الخارجية السابقة تسيبى ليفنى وقد صدر أمر الاعتقال بناء على طلب محامين يمثلون ضحايا فلسطينيين سقطوا إبان العدوان الإسرائيلى على قطاع غزة فى شهرى ديسمبر ٢٠٠٨ ويناير ٢٠٠٩، وكان مقرراً أن تزور ليفنى لندن لحضور مؤتمر للصندوق القومى اليهودى، وبعد صدور مذكرة الاعتقال قررت ليفنى إلغاء زيارتها للعاصمة البريطانية، وأصدر مكتبها بياناً برر فيه إلغاء الزيارة لتعارضها مع جدول ليفنى، والحقيقة أن أمر توقيف وزيرة الخارجية الإسرائيلية السابقة-ليفنى-لم يكن الأول من نوعه فى أوروبا، ولا فى بريطانيا، فعديد من دول أوروبا تجيز قوانينها توقيف المتهمين بارتكاب جرائم حرب بصرف النظر عن الجنسية التى يحملونها والمكان الذى وقعت فيه الجريمة، مثل بريطانيا وإسبانيا وبلجيكا، كما أن قضايا عديدة رفعت أمام محاكم فى هذه الدول لتوقيف مسئولين إسرائيليين بتهمة ارتكاب جرائم حرب وجرائم بحق الإنسانية. جرى ذلك فى بلجيكا وإسبانيا وبريطانيا، وكانت القضايا تسوى فى اللحظات الأخيرة بذريعة تمتع المطلوب توقيفه بحصانة منصبه الرسمى، كما جرى شطب قضايا أخرى تحت ضغوط اللوبى الإسرائيلى فى عواصم أوروبية عديدة. وبالنسبة لبريطانيا فقد سبق وأجرت محاولة لتوقيف وزير الدفاع الإسرائيلى إيهود باراك فى سبتمبر ٢٠٠٩، وهى المحاولة التى فشلت بداعى حصانة المنصب الرسمى، وفى المحاولة الأخيرة صدر أمر التوقيف لأن ليفنى لا تشغل حالياً منصباً رسمياً فى الحكومة الإسرائيلية، وكونها زعيم حزب أو عضو برلمان لا يوفر لها الحصانة المطلوبة، ولذلك قررت ليفنى عدم الذهاب إلى لندن حتى لا تتعرض للتوقيف هناك، والقضية على هذا النحو تشغل قدراً كبيراً من الجدل داخل إسرائيل، فمسألة احتمال توقيف مسئولين إسرائيليين بعد خروجهم من مناصبهم الرسمية مسألة مطروحة بشدة، وهناك نصائح للمسئولين السابقين من مدنيين وعسكريين بتجنب زيارة الدول الأوروبية التى تسمح قوانينها بمحاكمة مجرمى الحرب، المؤكد أن طرح قضايا توقيف مسئولين إسرائيليين فى عواصم أوروبية على خلفية ارتكاب جرائم حرب تظل مهمة على الأقل من جانب إظهار صورة إسرائيل باعتبارها دولة خارجة على القانون الدولى، ترتكب جرائم حرب وجرائم بحق الإنسانية، وسوف يأتى اليوم الذى يتم فيه توقيفهم وتقديمهم للمحاكمة؛ فمثل هذه الجرائم لا تسقط بالتقادم.

«تمبكتو» مستودع من المخطوطات العربية الإسلامية

للأستاذ الدكتور/ عبدالله نجيب محمد

تعتبر دولة مالي الحديثة وريثة الإمبراطوريات والممالك المتعاقبة التى قامت فى منطقة غرب إفريقيا ما بين الصحراء الكبرى شمالا حتى الغابات الاستوائية جنوبا، ومن شرق نهر النيجر إلى المحيط الأطلسى غربا، ابتداء من غانا التى ترى بعض المصادر التاريخية أن الإسلام قد انتشر بها قبل المرابطين الذين استطاعوا بعد ذلك الاستيلاء عليها والدخول إلى عاصمتها «كومبى صالح» عام ١٠٧٦م بقيادة أبوبكر بن عمر [١] الذى تمكن من تحويل أمراء غانا إلى الإسلام واتصل بالخلافة الإسلامية فى بغداد، ومرورا بمملكة «سنغاى» [٢] وإمبراطورية «أودغست» التى أقامها «السونينكا» منذ القرن التاسع الميلادى.

كثير من المدن فى «مالى» كانت مراكز إشعاع للحضارة العربية الإسلامية فى هذه المنطقة التى كانت تعرف ببلاد السودان الغربى، من هذه المدن «تمبكتو» [٣] و«جنى» و«جاو» و«كانغابا» وعرفت «تمبكتو» خاصة بمساجدها الرائعة وأسواقها المزدهرة، حيث قامت هذه المدينة كنقطة التقاء بين شمال إفريقيا وجنوبها بين الصحراء ومنطقة حوض نهر النيجر عرف أهل هذه المنطقة الإسلام منذ القرن العاشر الميلادى وأهتم حكامها بنشر الإسلام واقتباس مظاهر الحضارة الإسلامية وكثيرا ما كان السلاطين والملوك يرسلون البعثات الطلابيه إلى الأزهر الشريف وإلى مدينة «فاس» بالمغرب.

ويشير ابن بطوطة إلى أن عدداً من رجال العلم من مختلف الأقطار العربية كان يقيم فى مدينة «مالى» وقد اشتهر عن سلطان مالى «اسكيا محمد» ١٤٩٣ - ١٥٢٨م حبه للعلم والعلماء كذلك استقدم الكثيرين منهم ورحب بهم وأغدق عليهم، فأقام كثيرون منهم فى «جاو» و«جنى» و«تمبكتو» مما أدى إلى نهضة إسلامية شملت البلاد فى القرنين السادس عشر والسابع عشر وأصبحت اللغة العربية - بفضل هؤلاء العلماء - هى اللغة الرسمية.

أزدهرت الحضارة الإسلامية خاصة فى عهد الملك «منسى موسى» الذى قام بأداء فريضة الحج على رأس موكب كبير عام ١٣٢٤م وملك «سنغاى» «أسكيا محمد الكبير» سابق الذكر الذى قام بالحج عام ١٤٩٧م.

بلغ عدد الطلاب الأفارقة الذين كانوا يدرسون فى جامعة «سنكورى» آنذاك نحو ٢٥,٠٠٠ كانوا يحتشدون أمام الفقهاء الذين اشتهروا بمعارفهم الغزيرة وتوافد على هذه المدينة عدد من المفكرين العرب والبربر هربا من بلاد الأندلس إبان الغزو المسيحى وأرسى هؤلاء العلماء فى هذه المدينة تعليم اللغة العربية والعلوم الإسلامية الأخرى.

تخرج فى جامعتها الإسلامية وهى أول جامعة فى المنطقة تتخذ العربية لغة للتعليم، تخرج فيها علماء أفارقة كبار مثل «أحمد بابا» الذى ألف نحوا من خمسين كتابا، والمؤرخ المشهور «محمد كاتى» مؤلف تاريخ الفتاش فى القرن السادس عشر الذى وصف هذه المدينة بأنها غاية فى الجمال والروعة وتزدهر فيها التقاليد الإسلامية العريقة [٤].

وفى عام ١٩١٥ كتب «ليون الإفريقى» أن بيع الكتب كان يدر ربحا كبيراً أكبر من أى سلعة أخرى فى المدينة وان بها ١٨٠ مدرسة قرآنية والعديد من القضاة والعلماء.

ابتليت هذه البلاد بالاستعمار الذى حاول القضاء على الإسلام والثقافة العربية فى البلاد، وكان المستعمرون يحملون معهم مشروعاً أساسه تسييد لغاتهم وثقافتهم على حساب اللغة والثقافة العربية، وقاموا بنشاط تنصيرى مكثف وممول من مؤسسات عديدة، كذلك قام المستعمرون بنقل الكثير من المقتنيات والمخطوطات العربية إلى المتاحف الغربية مما أدى إلى طمر مفاتيح جزء كبير من الذاكرة المدونة للمنطقة.

يشير «ألان غودوتو» مدير معهد التراث الإفريقى فى جمهورية «بنين» إلى أن ٩٥٪ من التراث الفنى والمخطوطات الإفريقية جنوب الصحراء موجود خارج القارة مما يحرم هذه الشعوب من تراثها وذاكرتها.

ورغم ما نقله المستعمرون وباعوه من

---

(١) راجع: محمود خيرى عيسى وآخرون: العلاقات العربية الإفريقية . العرب والسودان الغربى . معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٨ ص٦٩ - ٧٠.

(٢) أشار «أحمد بابا السودانى» مؤرخ مملكة سونغاى إلى وجود عدد من المساجد فى عاصمة غانا منذ عام ٦٧٩م «حوالى ٦٠هـ» ومملكة سونغاى نشأت سنة ١٤٦٤م.

(٣) تعرف هذه المدينة بمدينة الـ ٣٣٣ وليا.

(٤) راجع: رسالة اليونسكو ٢٠٠٧ ص٤١ - ٤٢.

المخطوطات العربية الإسلامية مازال يوجد فى «تمبكتو» تلك المدينة التى تعلو نهر النيجر حوالى ٢٠٠,٠٠٠ مخطوطة قديمة فى المكتبات والأقبية والمنازل يرقى بعضها إلى القرن الثالث عشر الميلادى.

تكشف هذه المخطوطات البعد التاريخى لبلاد السودان الغربى الذى يروى تعاقب قادة «تمبكتو» على الحكم والنهضة الثقافية الإسلامية العظيمة والتى تدحض ما ذكره المؤرخون الغربيون من أن تاريخ إفريقيا كان تاريخاً شفاهياً غير مكتوب.

توجد مخطوطات فى علم الحكم السليم ونصوص حول أضرار التبغ، وملخص دستور الصيدلة، ومؤلفات فى القانون والشريعة الإسلامية، لاسيما ما يتعلق منها بشئون الطلاق وأوضاع المطلقات، وعلم اللاهوت وقواعد اللغة العربية والرياضيات والفلك.

مازالت الملاحظات الخطية لعلماء «قرطبة» وبغداد وجنى بادية للعيان على صفحات كثير من المخطوطات، وعلى الأرفف تطالعك أحكام قانونية بشأن حياة اليهود والنصارى، كما توجد مخطوطات، أخرى تعنى بالجانب التجارى من بيع وشراء وتحرير الرقيق وأسعار الملح والتوابل والذهب والأرياش، وغيرها، وكلها ترد فى المخطوطات الرقية. كما توجد أيضاً مجموعة من الرسائل المتبادلة بين حكام ضفتى الصحراء مزينة بالزخارف الذهبية.

تراث يثير الدهشة كما يقول «جورج بوهاس» أستاذ اللغة العربية فى المدرسة العليا فى ليون (٥) وقد جلدت بعض المخطوطات وفهرس القليل منها ولكن كثيراً من المخطوطات مازال داخل حقائب من خشب أو حديد، هذا علاوة على المخطوطات المخبأة فى المنازل والتى لا يرغب أصحابها فى التخلى عنها.

وفى الوقت الحالى يقوم بعض المترجمين منفردين بإعادة رسم لوحة إفريقية متكاملة من المخطوطات العربية ولكن من المؤسف عدم وجود قائمة كاملة لهذه المخطوات العربية والإسلامية.

بعض الخطاطين عبروا عن بعض أفكارهم على المخطوطات بلغاتهم المحلية «تماشك»، «هوسا»، «بيول»، «سونغاى»، «ديولا»، «سونينكى»، «وولوف» وفق قاعدة نسخ مشتركة مستوحاة من الخط المغربى وهى كتابة عربية موجزة وسريعة تتيح بفعل شكلها اقتصاد الورق (٦).

من المؤسف أيضاً أن كثيراً من المخطوطات مازال مكدسة تحت غبار المكتبات الخاصة وفى معهد «أحمد بابا» للدراسات العليا فى «تمبكتو» وما عرف وترجم من هذه المخطوطات لا يتجاوز عشرة في المائة من مجموعها.

(٥) وهو أحد القائمين على برنامج «فيكماس»: تقويم ونشر المخطوطات العربية لمنطقة إفريقيا جنوب الصحراء.

(٦) جان سيشال مجيان، جامعة باريس - م. رسالة اليونسكو ٢٠٠٧ ص٤١ - ٤٢.

فى «باماكو» عاصمة «مالى» أدان مدير المعهد الوطنى «صموئيل سيديبيه» نهب تاريخ مالى الثقافى وتراثها الفنى ويدعو إلى تنظيم حملة عالمية تدعمها «اليونسكو» لإعادة الممتلكات الثقافية والفنية لأصحابها وتعزيز التعاون الدولى لمكافحة سرقة الآثار الثقافية.

ومن المعروف ان اتفاقيتى اليونسكو لعام ١٩٧٠ - ١٩٩٥م توفران القاعدة القانونية لمحاربة الاتجار غير المشروع بالممتلكات الثقافية. وفى عام ١٩٨٠ أنشأ المؤتمر العام لليونسكو لجنة دولية حكومية لتشجيع إعادة الممتلكات الثقافية لأصحابها.

وعلى غرار العديد من المؤسسات الثقافية الإفريقية يواجه المتحف الوطنى فى مالى حالياً مسألة استعادة ممتلكاته الثقافية الموجودة فى متاحف الغرب ومكافحة أعمال نهب هذه الممتلكات والاتجار بها بشكل غير مشروع (٧).

وفى النهاية نقول إن مدينة «تمبكتو» جوهرة الصحراء مدينة إسلامية عريقة كانت مركزاً دينيا وفكرياً واقتصادياً، وممراً أساسياً للحضارة والعلم يؤدى إلى كل منطقة غرب إفريقيا ويشع بأنواره فى قلب الصحراء الكبرى، وقد بادرت جمعية الدعوة الاسلامية العالمية بمالى مؤخراً بمحاولة ينقصها الدعم المالى والفنى إلى محاولة تأكيد الشخصية الفريدة لهذه المدينة العريقة وأعد مكتب الجمعية برنامجاً لكتابة أسماء الشوارع بهذه المدينة بالحرف العربى لتنبيه الزائرين إلى أصالة اللغة العربية فى هذه المدينة، ومولت الجمعية كما قال محمد التميم حمودى مدير مدرسة النور المضىء فى «تمبكتو» بناء مكتبة للمخطوطات والوثائق التاريخية القديمة فى قرية «بوجبيه» العريقة التى توصف بأنها قرية العلماء القدامى، ولدى أهلها أعداد هائلة من المخطوطات كانوا يخافون عليها ويفضلون بقاءها فى منازلهم حتى أنشئت هذه المكتبة وتدعم الجمعية أيضاً مكتبة «الوندليه» وغيرها فى تمبكتو بالتعاون مع الإيسيسكو: ورغم ذلك فالأمر يحتاج إلى دعم أكبر ومشروع ضخم:

هذا وتتعرض المدن فى مالى إلى محاولات طمس هويتها الإسلامية من قبل المتغربين وهى محاولات تلقى الدعم والتأييد من جهات أجنبية تحاول إقامة الحواجز الثقافية بين العرب فى الشمال والأفارقة فى الصحراء الكبرى وجنوبها، فهل آن الأوان أن تقوم بعض المؤسسات العربية الإسلامية بمد يد العون للمساهمة في حملة لاستعادة الهوية الإسلامية الكاملة للمدن فى مالى واستعادة الكنوز التى لا تقدر بثمن من المخطوطات العربية الإسلامية ودراستها وفهرستها؟ هذه دعوة أوجهها لكل المؤسسات العربية الإسلامية فى العالم العربى والإسلامى.

(٧) كان المتحف الوطنى فى مالى يدعى فى الماضى «المتحف السودانى» فى باماكو لكنه تحول إثر استقلال مالى عام ١٩٦٠ إلى «المتحف الوطنى».

طرائف.. ومواقف

للشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

لا غلو في الدين

قال النبي ﷺ : «إن الله بعثني بالحنيفية السمحة».[1]

وقال ﷺ : «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهراً أبقى».[2]

وقال على بن أبي طالب - كرم الله وجهه - : «خير هذه الأمة النمط الأوسط، يرجع إليهم الغالي، ويلحق بهم التالي».

وقال مطرف بن عبدالله الشخير لابنه، وكان قد تعبد: «يا بني إن الحسنة بين السيئتين (يعني الدين بين الإفراط والتقصير)، وخير الأمور أوسطها، وشر السير الحقحقة».

وقال بعض العلماء: «عامل البر كآكل الطعام إن أكل منه قوتا عصمه، وإن أسرف منه بشمه»، أي أتخمه.

وروى عن عيسى - عليه السلام - كما ذكره ابن عبد ربه في العقد، أنه لقى رجلا فقال له: ما تصنع؟ قال: أتعبد. قال: فمن يعود عليك؟ قال: أخي، قال عيسى - عليه السلام: هو أعبد منك.

وروى على بن عاصم عن أبي إسحق عن الشيباني قال: رأيت محمد بن الحنفية واقفا بعرفات على برذون و عليه مطرف خز أصفر.

وروى السدى عن ابن جريجة عن ابن عباس قال: كان يرتدى برداء بألف.

تدل هذه الروايات على أن ليس في الإسلام حرج على طاعم أو كاس إلا إذا خرج عن حد الاعتدال، أو كان من المحرمات.

الناس والزمان

والناس مثل زمانهم
حذو الحذاء على مثاله
ورجال دهرك مثل دهـ
ـرك في تقلبه وحاله
ولذا إذا فسد الزمـا
ن جرى الفساد على رجاله!

(1) كنز العمال ٥٣٤١٦.
(2) كنز العمال ٥٣٥١.

فما النعمة؟

كان خزيم بن خليفة المرى متنعما، فسمى خزيم الناعم، وضربت به العرب المثل في ذلك، فقالت: أنعم من خزيم الناعم.

وحدث أن التقاه الحجاج بن يوسف الثقفي ذات يوم، فسأله الحجاج عن تنعمه، فقال خزيم: لم ألبس خلقا في شتاء ولا جديدا في صيف..

فتعجب الحجاج من قوله، وسأله: فما النعمة؟!

قال: الأمن، لأني رأيت الخائف لا ينتفع بعيش.

قال: زدني.

قال: الشباب لأني رأيت الشيخ لا ينتفع بعيش.

قال: زدني..

قال: الصحة لأني رأيت السقيم لا ينتفع بعيش.

قال: زدني..

قال: الغنى، لأني رأيت الفقير لا ينتفع بعيش.

قال: زدني..

قال: لا أجد مزيدا.

إن الظلم شؤم

حكى أن الرشيد أمر بحبس أبي العتاهية الشاعر، فكتب على حائط الحبس:

أما والله إن الظلم شؤم
وما زال المسيء هو الظلوم
إلى ديان يوم الدين نمضي
وعند الله تجتمع الخصوم
ستعلم في المعاد إذا التقينا
غدا عند المليك من الظلوم

من أبلغ ما قيل فيمن لم يقبل النصح

من أحسن ما قيل فيمن أشير عليه فلم يقبل قول سبيع لأهل اليمامة بعد إيقاع خالد بن الوليد رضى الله عنه بهم:

«لقد أنبأتكم بالأمر قبل وقوعه، كأني أسمع جرسه، وأبصر غبه، ولكنكم أبيتم النصيحة، فاجتنيتم الندامة، وإني لما رأيتكم تتهمون النصيح، وتسفهون الحليم، استشعرت بكم اليأس، وخفت عليكم البلاء، والله ما منعكم الله التوبة، ولا أخذكم على غرة، ولقد أمهلكم حتى مل الواعظ، وهزئ الموعظ، وكنتم كأنما يعني بما أنتم فيهم غيركم».

قوله: كأني أسمع جرسه، أي صوته. وأبصر غبه، أي عاقبته.

لا حكم إلا بعد الاختبار

● قال حكيم: من لم يقدم الامتحان قبل الثقة، والثقة قبل الأنس، أثمرت مودته ندما.

● وقال آخر:

لا تحمدن أمرأ حتى تجربه
ولا تذمنه من غير تجريب
فحمدك المرء مالم تبله خطأ
وذمه بعد حمد شر تكذيب

ذم البخل وأهله

● قال حكيم: البخل جلباب المسكنة.

● وقال بعض الأدباء: البخيل ليس له خليل.

● وقال غيره: البخيل حارس نعمته، وخازن ورثته.

ليس المراد من قوله خازن ورثته أن الأجدر بصاحب المال أن ينفقه على نفسه غير مدخر لورثته ما يعصمهم عن المسألة، فإن هذا من التبذير، ولكن المراد التوسط في الإنفاق، والقصد في الاختزان، وكلاهما معروف لا يحتاج لبيان.

الصديق الصدوق

● قال على بن أبى طالب أمير المؤمنين: خير إخوانك من واساك، وخير منه من كافاك.

● وكان أبوهريرة –رضى الله عنه– يقول: اللهم إنى أعوذ بك ممن لا يلتمس خالص مودتى إلا بموافقة شهوتى، وممن ساعدنى على سرور ساعتى، ولا يفكر فى حوادث غدى.

● وقال الشاعر:

وكل أخ عند الهوينا ملاطف
ولكنما الإخوان عند الشدائد

فضيلة الجود

● روى أن على بن موسى الرضا – رضى الله عنه– فرق فى يوم عرفة ماله كله، فقال له الفضل ابن سهل: ما هذا المغرم؟ قال الرضا: بل هو المغنم، لا تعدن ما ابتغايت به أجرا أو كرما مغرما.

● وقال حكيم: أنفق فى الحقوق ولا تكن خازنا لغيرك، فإن اغتممتم على ما نقص من مالك فابك على ما نقص من عمرك، فإنه من لم يعمل فى ماله وهو موجود، عمل فى ماله وهو مفقود.

● وقال بزر جمهر: إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق منها فإنها لا تفنى، وإذا أدبرت عنك فأنفق منها فإنها لا تبقى.

فنظم طاهر بن الحسين هذا المعنى فقال:

لا تبخلن بدنيا وهى مقبلة
فليس يذهبها التبذير والسرف
فإن تولت فأحرى أن تجود بها
فالحمد منها إذا ما أدبرت خلف

دعاء

اللهم نشكو إليك غلبة الأعداء، وتفشى الداء، وتحكم الأهواء، وغرور الأقوياء والسفهاء، ونزول البلاء بعد البلاء.

يا رب: ارحم تضرعنا، وآمن خوفنا، وتقبل أعمالنا، وأصلح أحوالنا، واختم بالسعادة آجالنا.

***

الإسلام يحارب الشُّح والإسراف

لفضيلة الشيخ/ عمر الديب
عضو مجمع البحوث الإسلامية

لقد قرر الإسلام أن المال أداة لمصلحة المجتمع كله، يساهم فى سد حاجة المحتاجين، وبه تنشأ المؤسسات والمصالح التى توفر العمل للشباب لاستغلال طاقاتهم فى نفع مجتمعاتهم وأوطانهم وغير ذلك من مشروعات الإصلاح والتقدم والصيانة.

وإذا كان المال مال الله وكان الناس جميعاً عباداً لله وكانت الحياة التى يعملون فيها ويسيرونها ويعمرونها بمال الله، هى لله، بات من الضرورى أن يكون المال – حتى وإن ارتبط باسم شخص معين – أن يكون لجميع عباد الله يحافظ عليه الجميع وينتفع به الجميع، وقد أرشد القرآن الكريم إلى ذلك فى قوله تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾

(البقرة: ٢٩)

ومن هذا المنطلق أضاف القرآن الأموال للجماعة وجعلها قواماً لمعاشهم لا يختص بها أحد دون أحد، وفى هذا يقول تعالى:

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾

(البقرة: ١٨٨)

ويقول أيضاً فى موضع آخر:

﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا ﴾

(النساء: ٥)

ففى هذه الآيات وغيرها نجد أن الحق – تبارك وتعالى – جعل هذه الأموال كلها لمنفعة العباد جميعاً، فهى أموال الله لمنفعة خلق الله، وتحقيقاً لانتفاع الجميع بها وتطهيراً للنفوس من بواعث الأثرة فيها حارب الإسلام فى المالكين لها والقائمين عليها خُلُق الشح الذى يمنع من البذل والإنفاق، ويوصد الباب أمام الجود والعطاء، كما حارب السفه الذى يؤدى إلى صرف المال فى غير وجوه النفع وإقامة المصالح، يقول الله – سبحانه وتعالى –:

﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾
(التغابن: ١٦)

وهذا الشُّح بالمال يؤدى إلى البخل الذى هو وليد الشُّح، وفيه يقول ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾
(آل عمران: ١٨٠)

وفى شأنه أيضًا يوضح القرآن أن هؤلاء البخلاء لا يكتفون بأيديهم المغلولة ولكنهم يحرضون غيرهم إلى السير على نهجهم فى البخل وعدم البذل فيقول ـ تعالى ـ:

﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾
(النساء: ٣٧)

ويبين القرآن الكريم أن الضن بالأموال وعدم بذلها فى إقامة المشروعات التى تفيد المجتمع وعدم إنفاقها لسد حاجة المحتاجين من خلق الله، كل ذلك يؤدى إلى سوء العاقبة يقول ـ تعالى ـ:

﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾
(التوبة: ٣٤، ٣٥)

بل إن القرآن الكريم وضح أيضًا أن البخل يؤدى إلى الهلاك فيقول ـ تعالى ـ:

﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾
(البقرة: ١٩٥)

وقد وقفت السُّنَّة المطهرة من البخل وعدم الإنفاق موقف القرآن الكريم وأوضحت أن الشح والبخل كلاهما خطر على المجتمع، ينخر فى بنيانه، وهما من أكبر الآفات التى تقض المجتمعات وتقضى على حياة الأمم وصلاح العمران. فيقول الرسول ﷺ فى التحذير من الشُّح: «إياكم والشُّح، فإنما هلك من كان قبلكم بالشح، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالفجور ففجروا»(١)، ويقول (صلوات الله عليه وسلامه) أيضًا: «اتقوا الشُّح فإن الشُّح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن يسفكوا دماءهم ويستحلوا محارمهم»(٢)، ولا نجد أقوى من هذا التصوير المحمدى ولا أقوى من هذا التعبير فى تصوير هذا الخطر الاجتماعى الذى ينشأ عنه وينبعث من الشُّح والذى يؤدى إلى صفات نهى عنها الشارع

(١) مسند الإمام أحمد جـ ٣ ص ٣٢٣
(٢) صحيح مسلم جـ ٤ ص ١٩٩٦

الحنيف، فهو يؤدى إلى التحاسد والتباغض والحقد والضغينة، إلى غير ذلك من الأمور المنهى عنها من الشارع الحنيف.

وإذا كان القرآن الكريم وقف هذا الموقف من الشُّح، وكذلك السُّنَّة النبوية المطهرة، نجد أنهما أيضًا وقفا نفس الموقف من الإسراف والتبذير فى إنفاق الأموال وإضاعتها فى الوجوه التى لا تستفيد منها الأمة والمجتمع حتى إن القرآن الكريم أضفى على هؤلاء المبذرين الذين ينفقون أموالهم فيما لا فائدة منه صفة الشياطين، فقال ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾
(الإسراء: ٢٧)

وبعد أن أفرد القرآن كلا من الضن والتبذير بما يصور عاقبة كل منهما جمعهما فى إطار واحد وأرشد إلى الطريق السوى الذى يسلكه أرباب الأموال فى أموالهم فيحفظ عليهم حياتهم ويمكنهم من إقامتها على عمد قوية ثابتة:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾
(الإسراء: ٢٩)

واجب الحاكم

وكما حذر الإسلام الأفراد من آفتى الشُّح والتبذير أوجب على الحاكم وهو القائم على المصالح الجماعية للمجتمع بأسره، لذا كان واجبًا عليه أن يأخذ على يد من لم ينفذ شرع الله والإرشادات القرآنية بشأن البخلاء والمسرفين، لابد له من أن يأخذ منهم بطريق القهر والقوة وما وضعه الله فى أموالهم من حقوق الأفراد والجماعة، وقد وصل الأمر فى تطبيق هذا المبدأ أن قاتل الخليفة الأول «أبوبكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ هؤلاء الذين تكتلوا فى منع الزكاة حتى خضعوا فيها لأمر الله وبه استقام الأمر وتركزت عناصر الدولة فى الحفاظ على حقوق العباد.

وكذلك فرض الإسلام من حق الحاكم أن يحجر على السفهاء والمبذرين والولاية على أموال الصغار ومن إليهم ممن لا يهتدون إلى وجوه التصرفات العامة التى تعود على الأفراد والجماعة بالنفع، وتحافظ على الأموال والحقوق. يقول القرآن الكريم مرشدًا لهم:

﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا (٥) وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾
(النساء: ٥، ٦)

وفى شأن الترف يقرر الإسلام أن الترف منبع شر يملأ القلوب حقداً وضغينة ويقضى على حياة الأمن والاستقرار، ويصل بأصحابه إلى جحود الحق وإنكار الشرائع ويغرس فى نفوسهم الأثرة وفتنة الطبقية وما وقف فى وجه الرسالات الإلهية سوى المترفين الذين رأوا أن فى تلك الرسالات ما ينزل بهم إلى مستوى الفقراء والضعفاء أو يصعد بهؤلاء إلى مستواهم، نرى ذلك فى أول الرسالات ونراه فى آخرها. فهاهم أولاء المترفون فى زمن نوح ـ عليه السلام ـ يعيبون عليه أن كان أتباعه ـ كما يقولون ـ من الأرازل:

﴿وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا﴾

(هود: ٢٧)

وها هم أولاء المترفون فى زمن محمد ﷺ يقفون من بلال وإخوانه هذا الموقف نفسه ويكون جواب نوح هو جواب محمد ـ عليهما الصلاة والسلام ـ فنوح عليه السلام يقول ما حكى القرآن الكريم عنه:

﴿وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقوا ربهم ولكني أراكم قوما تجهلون (٢٩) ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون﴾

(هود: ٢٩، ٣٠)

ومحمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ يرشده ربه إلى نفس الجواب فيقول له:

﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين﴾

(الأنعام: ٥٢)

وكذلك شأن المترفين فى جميع الأزمان والأصقاع يقفون دائما فى وجه الحق ليصدوا عن سبيل الله مغترين بما أترفوا فيه من أموال وقصور وضياع، فيحكى الحق عن هؤلاء ما قابلوا به رسل الله:

﴿وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون (٣٤) وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين (٣٥) قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٣٦) وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون (٣٧) والذين يسعون في آياتنا معاجزين أولئك في العذاب محضرون (٣٨) قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾

(سبأ: ٣٤ - ٣٩)

والقرآن الكريم أيضا بيّن أن هؤلاء المترفين ينتظرهم سوء العاقبة فى الحياة الدنيا ويعجل لهم العذاب، ويوم القيامة أعد الله لهم أقسى أنواع العذاب. فيقول القرآن الكريم فى سوء العاقبة فى الحياة الدنيا:

﴿وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين (١١) فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون (١٢) لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون (١٣) قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين (١٤) فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين﴾

(الأنبياء: ١١ - ١٥)

وفى سوء المصير الذى أعده الله لهم فى الآخرة يقول ـ تعالى ـ:

﴿وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال (٤١) في سموم وحميم (٤٢) وظل من يحموم (٤٣) لا بارد ولا كريم (٤٤) إنهم كانوا قبل ذلك مترفين﴾

(الواقعة: ٤١ - ٤٥)

بهذا وغيره وهو كثير فى القرآن الكريم حارب الإسلام فى النفوس خلال وصفات الشح والإسراف والترف، وعمل على تطهير المجتمع المسلم منها، وأعد النفوس للبذل والعطاء فى القيام بحق الله وحق الناس، وكان له فى ذلك من أساليب الترغيب فى البذل والترهيب من البخل والضن ما يملأ قلب المؤمن بمبدأ التضحية وأنها سبيل الله فى الحياة الطيبة التى تكفل للفرد والجماعة سعادة الدنيا والآخرة، ولهذا فإن الإسلام الدين الخاتم الذى ارتضاه الله لعباده بيّن لهؤلاء المنتسبين إليه أن المال وإن كان معقودا فى ملكيته بأسمائهم، إلا أن حق الانتفاع به مشترك بينهم وبين إخوانهم الفقراء الذين يكونون المجتمع معهم، وتكون راحته من راحتهم، واضطرابه من اضطرابهم، مشترك بينهم وبين المصالح العامة التى تحتاج إليها الجماعة فى راحتها واستقرارها وإدارة شئونها، وعلى هذه الأسس التى تقتضيها الأخوة والتراحم والتعاون والاشتراك فى الإحساس وتبادل الشعور بين الأفراد بعضهم مع بعض، وبينهم وبين الدولة، جاء القرآن ليوجه إلى ضرورة قضاء الحاجات الشخصية التى تطرأ على الأفراد فتضعف من قوتهم وتوهن من روحهم، ولا شك أن قلقهم فى الحياة مع رؤيتهم ترف إخوانهم الأغنياء وتمتعهم بكل ما فى الحياة الدنيا من مباهج الزينة يضاعف هم هؤلاء المحتاجين ويفتح لهم شر النوافذ التى يعكرون بها على المجتمع صفو الحياة ويزلزلون عناصر الأمن والاستقرار.. من أجل ذلك نهى الإسلام عن الشح، ونهى أيضا عن الإسراف والترف، لأنه كان من غير المعقول أن يبيح الإسلام للغنى فيه القادر من أبنائه أن يستقل بمتعة ماله وأن ينفرد بحق الانتفاع به دون أن يمد يده لسد حاجة المحتاج من إخوانه أو دولته.

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل

* * *

منهج الدعوة إلى الله

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم
عضو مجمع البحوث الإسلامية

إن الداعي إلى الله - تعالى -، هو قدوة لمن يدعوهم، يقتدى الناس به، ويطبقون ما يقوله، لأنه يقف موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالعلماء هم ورثة الأنبياء.

وعلى الداعية أن يقتدى فى دعوته بالرسول ﷺ، فهو الأسوة الحسنة كما قال رب العزة سبحانه:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾

(سورة الأحزاب «٢١»).

وعليه أن يطبق المنهج القرآني للدعوة الذى حدده القرآن الكريم مخاطباً به رسول الله ﷺ، موضحاً ما ينبغى أن يكون لكل مجتمع، ولكل مستوى من المستويات فقال الله تعالى:

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

(سورة النحل ١٢٥).

وعلى الخطيب أن يراعى- طبقاً للمنهج القرآني ما يأتى:

أولاً: عدم التعرض للأشخاص والمؤسسات والدول بأسمائها وأوصافها فى الخطبة.

وذلك بأن يوجه نصحه وإرشاده عاماً، بحيث يشمل الجميع فلا يذكر أسماء الأشخاص وحدهم بل عليه أن يدعو ليستفيد المحتاج الذى وقع فى الخطأ وليستفيد غيره بأن يحضنه ويوجهه حتى لا يقع كما وقع غيره، ولأن التصريح بالأسماء يوقع الذين يتجه إلى إرشادهم فى الحرج والتشهير بهم، والإسلام لا يقر هذا وليس من أخلاق الداعية التشهير بالناس، لأن من نصح أخاه سراً فقد وعظه وزانه، ومن نصحه علانية فقد فضحه وشانه.

وقدوة الدعاة فى ذلك هو سيدنا رسول الله ﷺ، فقد كان لا يصرح باسم أحد من

الناس، بل كان يقول: «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا» أو يفعلون كذا ونحو ذلك، وعندما جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ، يسألون عن عمله فى السر، فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من رسول الله ﷺ، قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أما أنا فأقوم الليل ولا أرقد، وقال الثانى: وأما أنا فأصوم النهار ولا أفطر، وقال الثالث: وأما أنا فلا أتزوج النساء، فقال النبى ﷺ: «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا أما والله إنى لأخشاكم لله، وأتقاكم له، ولكنى أقوم وأرقد، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى» رواه البخارى.

فنرى أن رسول الله ﷺ لم يصرح بأسماء هؤلاء وإنما قال: «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا» وهذا من حسن دعوته، ورأفته وحكمته مع الناس وعندما كان عليه الصلاة والسلام يريد إنكار سلوك أو عمل قام به البعض وفعله لم يصرح أيضاً عند إنكاره له بالاسم بل كان يعمم فى الإنكار بحيث يشمل الإنكار الإنسان المقصود وغيره مما عساه يكون قد وقع فى مثل فعله أو يمكن أن يقع فيه بعد ذلك.

وكذلك الأمر أيضاً بالنسبة للمؤسسات والدول فلا يصح تحديد الأسماء، بل على الداعية أن يقتدى برسول الله ﷺ فى عدم التصريح بالأسماء وعدم التشهير، حتى لا يوقع فى نفس الغير حرجاً أو ضيقاً، وحتى يعطى الغير الفرصة ليتمكن من إصلاح ما وقع فيه، وألا ينظر إلى من يدعوه نظرة الخصم أو من يريد أن يشهر به فالأسلوب النبوى والمنهج الإسلامى فى هذا هو أسلم الأساليب وأقوى المناهج، لأنه يعمل على الإصلاح، والهداية، وسرعة الإجابة دون أن يكون فى نفوس الناس شئ.

كما أن فى هذا المنهج رحمة بمن تدعوه وفتحاً لباب اقتناعه ومراجعته لنفسه، فيثوب بسرعة إلى الهدى والرشاد.

ثانياً: البعد عما يثير

الفتن الطائفية والاجتماعية

ومما ينبغى على الخطيب أن يراعيه فى دعوته، وفى سائر خطبه أن يبتعد عما يثير الفتن الطائفية والاجتماعية بين الناس، لأن فى إثارة الفتن شراً مستطيراً، بل عليه أن يستعيذ بالله من الفتن، وأن يدعو الناس إلى الاستعاذة منها، كما أمر رسول الله ﷺ حين قال: «تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن» رواه مسلم.

وقد وجهنا رسول الله ﷺ إلى البعد عن الفتن وألا ننتصب إليها أو نتحدث بها أو نتعرض إليها حتى لا تصرع الفتن الناس، عن أبى هريرة -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «ستكون فتن، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشى، والماشى فيها خير من الساعى، ومن تشرف لها تستشرفه ومن وجد فيها ملجأ أو معاذاً فليعذ به» رواه البخارى ومسلم.. وهكذا وضح هذا

الحديث أن من تعرض للفتن تصرعه، فعلى الداعية أن يبتعد عن الأساليب التي فيها إثارة للفتن بين الناس.

وقد نهى الإسلام عن سوء الظن بالناس، حتى تظل العلاقات الإنسانية قوية بينهم فقال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾

سورة الحجرات «١٢».

وتأكيداً على البعد عن أسباب الفتن الاجتماعية بين الناس نهى الإسلام عن سوء الظن ونهى أيضاً عن أن يبلغ أحد من الناس مسئولاً شيئاً عن أحد الناس، فنهى عن أن يفتح الناس آذانهم للقيل والقال، وحذر الرسول ﷺ أولئك الذين يبلغون الناس أو رؤساء الأعمال أو ولاة الأمور عن إخوانهم شيئاً، فأغلق الإسلام هذا الباب حيث قال رسول الله ﷺ: «لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئاً فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر» رواه أبو داوود.

وعلى الداعية أن يبتعد عما يثير الفتن الطائفية، فقد نظم الإسلام العلاقات الإنسانية بين الناس وبين المسلمين وغير المسلمين حيث قال الله تعالى:

﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾

سورة الممتحنة «٨».

وتبلغ وصايا القرآن الكريم بغير المسلمين صيغتها العليا حين يقول رب العزة - سبحانه وتعالى - عن المشركين:

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾

سورة التوبة «٦».

وقال رسول الله ﷺ: «من آذى ذمياً فأنا خصمه ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة»(١)

إن البعد عن إثارة الفتن الطائفية، وإن إظهار سماحة الإسلام، هذا في حد ذاته دعوة للإسلام ودعوة لغير المسلمين، للتعرف على عظمة هذا الدين، وأنه دين التسامح والتراحم.

وإن الناظر إلى معاملة رسول الله ﷺ منذ فجر الإسلام مع غير المسلمين يرى نماذج العظمة لهذا الدين في تسامحه وفي رفقه، وفي حسن معاملته مع الآخرين مما جعل الكثير يدخلون في دين الله أفواجا. ومن صور التسامح التي كانت سبباً في دخول الناس في الإسلام ما حدث مع ثمامة بن آثال لما أسر

(١) سنن ابن ماجة

وعرض على الرسول ﷺ فرفض وبعد ثلاثة أيام لما رأى الرسول ﷺ عدم رغبته في الإسلام لم يكرهه بل قال: «أطلقوا سراحه» وعفا عنه فكان هذا سبباً في دخوله الإسلام وجاء إلى رسول الله ﷺ وأعلن شهادة التوحيد قائلا: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله» ونماذج كثيرة في التاريخ تشهد بعدم التعصب أو الطائفية بل تشهد بالتسامح الذي كان سبباً في إسلام الكثير.

ثالثاً: الحرص على نفع الناس وتعليمهم

ومما يجب على الخطيب والداعية مراعاته هو الحرص على نفع الناس وتعليمهم فينظر أول ما ينظر إلى ما يرى الناس في حاجة إليه ليرشدهم إليه، ويدلهم عليه فإذا رآهم مقصرين في عبادة من العبادات حثهم عليها وأرشدهم إليها، وإذا رآهم مخطئين في أداء عمل من الأعمال أرشدهم إلى الصواب فيه، وإذا رأى فيهم مرضاً اجتماعياً وأخلاقياً تناول تشخيص الداء ووصف لهم الدواء، لأن مثله مثل الطبيب قبل أن يصف الدواء عليه أن يشخص الداء، فإذا ما تبين له المرض أمكنه أن يصف الدواء الناجع، وكذلك حال الداعية والخطيب فكما أن الدواء الذي يصلح لمريض قد لا يصلح لمريض آخر، فإن الخطاب الديني الذي يصلح لمجتمع قد لا يصلح لمجتمع آخر وقد تكون مشكلاته وأمراضه الاجتماعية تحتاج إلى نوع آخر وأسلوب آخر ومادة أخرى لأن لكل مقام مقالاً، ومن الحكمة أن يخاطب الإنسان الناس بما يعرفون وبما يحتاجون إليه وبما يصلحهم، لأن البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

ولاشك أن الأمور التي يحتاج الناس إليها والتي تنفعهم دنيا وأخرى أكثر بكثير من الأمور التي تثير الفتن وأن الأمور التي تجد في حياة المجتمعات ويكون الناس في أمس الحاجة إلى بيان موقف الإسلام منها أولى بكثير من الأمور التي لا تعنيهم، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.

ومن أهم ما ينبغي أن يراعيه الداعية في توجيهه أن يبتعد عن التشدد والأساليب القاسية فقد قال رسول الله ﷺ: «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا، وقاربوا، وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة» رواه البخاري.

ولابد للداعية أن يدعو على بصيرة ومعرفة مستوعبة لما يدعو به غيره وأن يكون على بصيرة وبرهان ويقين ويدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ

ومن أهم ما يتمثل به الداعي أن يكون ملتزماً بالعمل الصالح، عاملا بما يدعو إليه، فيأتمر ويطيع ما يأمر به الناس، وينتهي عما ينهاهم عنه، قال الله تعالى:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

سورة فصلت «٣٣».

رؤى جديدة.. فى سيرة المصطفى الحميدة

لفضيلة الشيخ الطاهر الحامدى

كم أحب أن يتغير تناول المسلمين لأحداث السيرة النبوية فلا يكون هذا التناول القصصى الذى يحول اللقاء إلى محكى يسرد فيه القاص المتحدث، الأحداث وقد ينعش الجمهور على خدر كلمات ثم يفيقون وكما تجمعوا يفترقون كأن شيئا لم يحدث.

أنا أريد أحداث السيرة نورا يهدى الحيارى فى ظلمات الحياة ويؤمن الخائفين من طغيان الأعداء وشوقا يحرك أفئدة الجموع السائرة الساعية للمثل الأعلى حتى يصل بالناس إلى جلال النبوة ويتفيئون ظلال الرحمة المهداة.

نريد أحداث السيرة مرفأ للكادحين المظلومين يأرزون إليه فى كنف العدالة الراشدة وأريدها سوطاً يلهب ظهور الكسالى الناعسين فى ظل جدار التواكل يطلبون معجزة فى زمن الكمبيوتر، لأن المعجزة لا تأتى لعاجزين خاملين، إنما تأتى لأناس بذلوا من الجهد ما يستحقون به إكرام المولى عز وجل، إن المعجزة تأتى مغلقة بغلالة حيات عرق جاد شريف، كما أن المعجزة لم تأت الأنبياء وهم قابعون فى بيوتهم شل حركتهم وجل مذعور، وقيدتهم صيحات الطغيان.

أنا أريد أن تتناول السيرة النبوية حول هذه المعانى النبيلة وكل معنى شريف وصوت الدعاة الحقيقيين فى تاريخ الإسلام الصادقين الورعين يتاديني وأمة الإسلام، يا جند الله أقبلوا، يا حماة الحرية والعدل والعفة وطهارة اليد واللسان هيا احرثوا فهذا أوان الغرس!.

وقد اختلف مع بعض القارئين للسيرة النبوية، اختلف مع الذين يزعمون أن السيرة تاريخ حدث وانقطع فلا معنى لترديده والعناية به، هؤلاء حداثيون مرفوضون لا نعبأ بهم ولا نعول عليهم فهم لا يريدون الإسلام أصلا، كما أننى قد أختلف مع الذين يروون السيرة هكذا دون فهم يناسب جلال وجمال صاحب السيرة العطرة ﷺ فهى فى نظرهم تاريخ لأحداث ورجال مضوا حتى وإن كانت لا تلائم صاحب السيرة يتمسكون بها.

لكنا نرفض لأننا نرى أن السيرة النبوية وإن كانت تحكى تاريخاً سابقاً مضى إلا أنها سنة لأنها تروى أحوال المختار المجتبى ﷺ.

وأيضاً فإنه وإن كان فى بعض الأحداث والروايات ما لا نوافق عليه مما سنحاول جلاءه فيما نحن بصدده فإننا نعتقد ونؤمن أنها كتبت بأمانة وليس فيها افتئات وعلينا أن نفهمها بوعى فمثلاً تروى كتب السيرة أن المراضع تركن رسول الله ﷺ لأنه يتيم فقير وهن يرغبن أن يكون والد الرضيع على قيد الحياة لأنهن يطمعن فى رفده وغناه.

ونحن لا ندحض هذه الرواية، لكنا ويشهد الله - تعالى - أننا نغص من هذا التعبير «تركنه لأنه يتيم فقير»، فنحن لا نتجاسر على هذا التعبير المزعج المقض ومع ذلك لا أجرأ على الطعن فى الرواية لأن السيرة كتبت بأمانة ودقة فائقة، وكما قلت، علينا أن نفهمها بوعى، وأرى أن الذى يخرجنا من هذا المأزق الحرج هم السادة الصوفية، فإن لهم مقولة واعية مشرقة تقول: «إذا أراد الله شيئا هيأ له الأسباب»، وأحسب أنها موجهة إلى فئة من المتصوفة يطرحون أسباب العيش وأسباب الحياة وأسباب الاجتهاد فى الدين والعبادات فهم عالة على الحياة وعلى أسباب العيش ويزعمون أن ما هم عليه هو لب الدين وجوهره، لكنا نقول لهم: إن تهيئة الأسباب إعلاء لشأنها وإظهار لمكانتها.

فالعمل بها عبادة ودين أى دين ونرى أنه ومن نبع مقولة الصوفية المشرقة استقى الإمام الشافعى شعره حين أنشد:

وإذا أراد الله نشر فضيلة
طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت
ما كان يعرف طيب عرف العود

وأرى أن المعنى واضح سهل تفهمه كما أفهمه، فالله سبحانه إذا قضى إظهار فضيلة من الفضائل نسيها الناس أو تناسوها فإنه يغرى بها حاسداً من الحساد، فيهاجم أصحاب الفضائل حسداً منه يحاول أن يطفئ نار غيظه ولا يدرى أنه ينشر ويذيع أمر الفضيلة المطمورة، أرأيت إلى عجيب تصريف ربك، وأساس هذا كله قوله تعالى:

﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴾

(الأسراء: ١٦)

وأحسب أنك تفهم المعنى وأنه إذا قضى الله هلاك قرية - أو جماعة - هيأ الفسوق للمترفين وزين لهم الشيطان الفجور ففسقوا فاستحقوا العقاب والهلاك.

ونعود إلى سيد الخلق فى طفولته فنقول إن الله - سبحانه - أراد أن يظهر بعض مكانة هذا الوليد، فكان أن جعله يتيماً فقيراً فتركته المراضع ليتمه وفقره، وجاءت حليمة السعدية السعيدة فى مؤخرة الركب بأتان عجفاء عرجاء وطفل بكاؤه يقطع نياط القلب

من شدة الجوع وناقة لا لبن فيها وزوج لا يجد ما يسد به رمقه أو يقيم أوده، أرأيت كيف رجع هذا الركب البائس؟!

رجعت حليمة السعدية وأتانها تسبق الركب، كيف لا وهي تحمل قائد الإنسانية ومنقذ البشرية؟! وثديها ملىء لبناً وشرب ولدها ولنا شبع تام وحنت ناقتها فحلبها زوجها، وشرب وارتوى وشربت حليمة أطمأنت القافلة والركب، وكما قالت حليمة السعدية تقول: والله بتنا بخير ليلة، وعجب زوجها وعرف السبب، فقال: تعلمين يا حليمة.. لقد حزت نسمة مباركة.

أليس كل هذا أو بعضه يشير إلى أن الرضيع ذو شأن عند ربه، أما لو أن الرضيع موفور النعمة وأتان حليمة نجيبة وطفلها نائم، أكان يظهر شئ من هذا أو بعضه؟ أم أن الحكمة الإلهية اقتضت ضرورة هذا الطريق حتى تظهر العناية الإلهية برسول الإنسانية.

كما أنني أرى أن مواقف أخرى في السيرة قد يمر عليها كثير من المؤرخين مرور الكرام، أرى أنها جديرة بالاعتناء والمناقشة وإظهار ما فيها - حسب ما أرى - من عبر وحكم، حرى أن يعرفها الشباب، وذلك مثل الحوار الرائع الذى تم بين رسول رسول الله - ﷺ - حاطب بن أبي بلتعة والمقوقس عظيم القبط بمصر، فأنا أرى أغلب كتب السيرة تذكر رسل رسول الله إلى الآفاق، وقد يذكر بعضها نص كتبه - ﷺ - التي يحملونها لكن كثيرا منها يغفل الحوار الذى تم بين سفير النبي - ﷺ - وبين المبعوث إليه مع أنه جدير بالإظهار والتنوية والحديث عنه وذكره، ولذلك سوف أذكر الحوار الذى تم بين سيدنا حاطب بن أبي بلتعة وبين المقوقس فهو حوار ذكي رائع مهذب ليس فيه كلمة نابية ولا كلمة خرجت عن السياق، إنما كلها كلمات في سياقها الحكيم المحكم وصلت إلى الموقع المراد لها وعملت عملها، وهكذا رسله ﷺ، كأن كل رسول كأنه خلق لمهمته التي أرسل إليها، يعرف هدفه جيداً وكأنه عاش يدرس شخصية من أرسل إليه، وها هو حاطب يعرف أن المقوقس نصراني متمسك بنصرانيته شديد التعصب لها صادق فيما يعتقد وليس في ذلك ما يعاب أو يلام عليه الرجل، فمن الفطنة أن يتسلل إليه من هذا الباب وليس غيره باب، لأنه إذا ولج من هذا الباب سوف تفتح له كل الأبواب، أو تدرى ماذا قال حاطب - رضي الله عنه - وصلى الله وسلم على من اختاره لهذه المهمة؟ اللهم فشفعه فينا وتجاوز عن سيئاتنا بحبنا له وزدنا به وفيه حبا له ولآله - لما فاجأه المقوقس بقوله ما منعه - أي النبي ﷺ - إن كان نبيا أن يدعو على من خالفه وأخرجه من بلده إلى غيرها أن يسلط عليه - يعني أن يدعو الله عليهم فيرد كيدهم عنه - وهنا ينبرى الأسد الغيور ويقفز في خفة إلى الوطن الذى تؤتى منه الفريسة فيقول في ذكاء فريد وأدب عال غير خادش وليس به عوار: «ألست تشهد أن عيسى رسول الله؟ فما له حين أخذه قومه فأرادوا أن يقتلوه، ألا يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله تعالى؟» وتمضى فترة صمت يدرك حاطب أنه بلغ ما يريد من الرجل، فلا يكمل وينطق الرجل بعدها مستسلماً مقتنعاً فيقول: «أنت حكيم جاء من عند حكيم» وهنا يواصل حاطب ويقول: «إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى - يقصد فرعون - وأخذه الله نكال الآخرة والأولى، فانتقم به ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك ولا يعتبر غيرك بك، وهنا يدرك حاطب أن باب الحصن قد انفتح فما عليه إلا أن يلج إلى الحصن حتى يروض كل ما فيه فيقول: إن هذا النبي - ﷺ - دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش وأعداهم عليه يهود وأقربهم منه النصارى، ثم يواصل مسترسلا في استمالة قلب المقوقس في حجة قوية وبيان رصين وقوة وإيمان عالية مدعمة بالحقائق التي يؤمن بها المقوقس فيقول: لعمرى ما بشارة موسى بعيسى عليه السلام إلا كبشارة عيسى بمحمد - ﷺ - وما دعاؤنا إياك إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل!! فهو يقول في صراحة بلا مواربة أنت كما تدعو أهل التوراة للإيمان بالإنجيل فنحن لا نطالبك بأن تكفر بالإنجيل، إنما نطالبك بأن تضيف للإيمان به الإيمان بالقرآن، وما دعوتنا لك إلا كدعوتك لأهل التوراة، ثم يواصل حاطب في إقامة حجته التي لا تقبل الجدل وهي حقيقة كونية فيقول: «كل نبي أدرك قومه فهم أمته فالحق عليهم أن يطيعوه وأنت ممن أدرك هذا النبي ولسنا ننهاك عن دين المسيح، لكننا نأمرك بما جاء به» يقصد قوله:

﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾

(الصف: ٦)

ويستسلم المقوقس لهذا العقل الراجح والحجة البالغة إلا أن شقوته غلبت عليه وإيثاره الدنيا والملك على الآخرة، ويقر بما وصلت إليه الأمور ولا يملك إلا أن يقول: إني قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب عنه ولم أجده بالساحر الضال ولا بالكاهن الكذاب، ووجدت معه آلة النبوة - أي المعجزات والكتاب المنزل - بإخراج الخبء والإخبار بالنجوى وسأنظر أقول: ما لنا تستبق الحوادث ونصل إلى نهاية المطاف، لكننا نريد أن نسأل من الذى رشح حاطب لهذه المهمة، ومن الذى هيأه لها، نقول: الله... دون شك، لكن النبي - ﷺ - الموحى إليه العامل بالأسباب، يستخرج قدرات أصحابه واستعداد كل واحد منهم لمهمته فيقول بعد أن كتب كتابه إلى المقوقس بعد انصرافه من الحديبية يستحث أصحابه رجال المهمات الصعبة كل إلى مهمته فيقول: أيها الناس - وهو يشير إلى كتابه - أيكم ينطلق بكتابي هذا إلى صاحب مصر وأجره على الله، فيقول حاطب وينقلد وسام شرف هذه المهمة قائلاً في ثقة وعزم: أنا يارسول الله، فيدعو له الرسول - ﷺ - فيقول له: بارك الله فيك ياحاطب، ويخرج حاطب حاملا شرف المهمة وسر دعوة النبي - ﷺ - له بالبركة التي فاضت وأحاطت بكلماته وبلغت مرادها من الرجل..

وإلى لقاء آخر أن شاء الله مع موقف آخر وسفير آخر ورسالة أخرى وحوار عبقرى عفوى مشرق.

﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

اطلعنا على الطلب المقدم من/ مجلة الأزهر - المتضمن لبعض الأسئلة وهى:

> امتازت الشريعة الإسلامية السمحة بمبادئ والتزامات حياتية أوجدها الله سبحانه وتعالى لتيسير أمور البشر وتنظيم أحوالهم، ومعروف لدى الجميع مدى صرامة الإسلام بكل ما يتعلق بحفظ واحترام حقوق المسلم، وقد جاءت النصوص القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة بتحريم جريمة السرقة وتجريم مرتكبيها، وتضمنت عقوبات رادعة فى حق السارق.

وبهذا الصدد لا يخفى أن سرقة الملكية الفردية والعلامات التجارية الأصلية المسجلة أو الاحتيال عليها لا تقل خطورة عن السرقة بالأساليب والأنماط التى اعتدنا رؤيتها؛ فهى تضر بمصالح أصحابها، وتفوت عليهم فرصة النمو والتطور، فضلا عن الأضرار التى تلحق بسمعتهم من جراء قيام سارقها بخداع المستهلك مع سابق نية.

- فما هو الحكم الشرعى فى سرقة الملكية الفكرية والعلامات التجارية الأصلية المسجلة من أصحابها؟

- وما حكم فتح محلات تجارية والمتاجرة بها وخداع المواطنين والمستهلكين بأنها العلامة الأصلية؟

- وما حكم العمل فى تلك المحلات بالنسبة للموظفين؟

- وما هو الحكم الشرعى للذين يتعاملون مع سارقى العلامات التجارية؟

- وما هى العقوبات التى ترون وجوب اتخاذها بحق سارقها؟

>> الجواب: جاء الإسلام بحفظ المال، وجعل ذلك من المقاصد الكلية الخمسة التى

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

على جمعة

مفتى جمهورية مصر العربية

قام الشرع الشريف عليها، (وهى: حفظ النفس والعرض والعقل والمال والدِّين)، وحقوق الملكية الفكرية والأدبية والفنية وبراءات الاختراع والأسماء والعلامات والتراخيص التجارية (والتى اصطلح على تسميتها بالحقوق الذهنية) هى من الحقوق الثابتة لأصحابها شرعًا وعرفًا، سواء أقلنا إنها من قبيل الأموال كما هو مقتضى قول الجمهور فى كون المنفعة مالاً متقومًا، أم قلنا إنها من قبيل المنافع التى تُعدُّ أموالا بورود العقد عليها مراعاة للمصلحة العامة، كما هو رأى المتقدمين من الحنفية، وحاصل قول جمهور الفقهاء فى ضابط (المال) أنه: ما له قيمة بين الناس بسبب إمكان الانتفاع به ولَزِم مُتلفَه الضمانُ، ووافقهم على ذلك متأخرو الحنفية.

والمال فى اللغة - كما قال ابن منظور فى «لسان العرب»: «كل ما ملكته من جميع الأشياء» أ هـ، وظاهر هذا أنه يشمل ما كان أعيانًا أو منافع أو حقوقًا.

قال ابن عابدين من الحنفية فى حاشيته «رد المحتار»: «المراد بالمال ما يميل إليه الطبع ويمكن ادخاره لوقت الحاجة، والمالية تثبت بتمول الناس كافة أو بعضهم، والتقوُّم يثبت بها بإباحة الانتفاع به شرعًا» أ هـ.

وقال عبدالوهّاب البغدادى المالكى: «هو ما يُتَمَوَّل فى العادة ويجوز أخذ العوض عنه» أ هـ.

وقال القاضى ابن العربىّ المالكيّ: «هو ما تمتد إليه الأطماع، ويصلح عادة وشرعا للانتفاع به» أ هـ.

ويذكر الإمام العز بن عبدالسلام فى كتابه «قواعد الأحكام» أن المنافع هى المقصود الأظهر من جميع الأموال.

وقال الشاطبى فى «الموافقات»: «ما يقع عليه الملك، ويستبد به المالك عن غيره إذا أخذه من وجهه» أ هـ.

وعرّف الزّركشى من الشافعية المال بأنه: «ما كان منتفعا به، أى مستعدا لأن يُنتفَع به» أ هـ.

وقال الجلال المحلي الشافعي في شرحه على «المنهاج» للإمام النووي: «(الثاني) من شروط المبيع (النفع) فما لا نفع فيه ليس بمال، فلا يقابل به» أ هـ.

وقال الإمام السيوطي في «الأشباه والنظائر»: «خاتمة في ضبط المال والتمول: أما المال فقال الشافعي - رضي الله عنه: «لا يقع اسم (مال) إلا على ما له قيمة يباع بها، وتلزم متلفه، وإن قلت، وما لا يطرحه الناس مثل الفلس وما أشبه ذلك» أ هـ.

وما نقله عن الإمام الشافعي موجود في «الأم»، وعبارة المطبوع منه: «ولا يقع اسم (علق) إلا على شيء مما يتمول وإن قل، ولا يقع اسم (مال) ولا (علق) إلا على ما له قيمة يتبايع بها ويكون إذا استهلكها مستهلك أدى قيمتها وإن قلت، وما لا يطرحه الناس من أموالهم مثل الفلس وما يشبه ذلك» أ هـ.

وقال شرف الدين المقدسي الحنبلي في «الإقناع»: «هو ما فيه منفعة مباحة لغير حاجة أو ضرورة» أ هـ.

وقال العلامة البهوتي الحنبلي في «شرح منتهى الإرادات»: المال ما يباح نفعه مطلقا، أي في كل الأحوال، أو يباح اقتناؤه بلا حاجة».

يقول الشيخ علي الخفيف في كتابه «الملكية» (١ / ١٣ الهامش): «ومن الفقهاء من صرح بأن «المالية» ليست إلا صفة للأشياء، بناء على تمول الناس، واتخاذهم إياها مالاً ومحلاً لتعاملهم، وذلك لا يكون إلا إذا دعتهم حاجتهم إلى ذلك، فمالت إليه طباعهم، وكان في الإمكان التسلط عليه، والاستئثار به، ومنعه من الناس، وليس يلزم ذلك أن يكون مادة تدخر لوقت الحاجة، بل يكفي أن يكون الحصول عليها ميسورا عند الحاجة إليها غير متعذر، وذلك متحقق في المنافع، فإذا ما تحقق ذلك فيها عدت من الأموال، بناء على عرف الناس وتعاملهم» أ هـ.

ولما كان الإنتاج الفكري والعلامة التجارية مما يقطع بمنفعته بحيث يحصل به الاختصاص الحاجز ويجري فيه التقويم والتداول عرفا ويتخذ محلاً للتعامل والمعاوضة بين الناس بسبب ظهور آلات الطباعة ووسائل النشر وتطور العصر ويثبت فيه حق المطالبة القضائية في العرف القانوني ولا معارض لذلك في الشرع فإن هذا يجعل لمثل هذه الحقوق حكم المالية في تملك أصحابها لها واختصاصهم بها اختصاصاً يحجز غيرهم عن الانتفاع بها بدون إذنهم.

كما جاء الشرع بتحري الأمانة في إسناد الأقوال والجهود ونسبتها إلى أصحابها؛ فحرم انتحال الشخص قولاً أو جهداً أو إنتاجا لغيره على أنه هو الذي قاله، أو إسناده إلى غير من صدر منه تضييعاً لحق قائله، وجعل هذا من الكذب الذي يستحق عليه صاحبه العقاب، ومن جهة أخرى فقد احترم الإسلام حق الأسبقية وجعل للسابق ما ليس للمسبوق؛ فعن أسمر بن مضرس - رضي الله عنه - قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فبايعته، فقال: «من سبق إلى ما لم يسبقه إليه مسلمٌ فهو له» رواه أبو داود وغيره بإسناد حسن - كما قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة».

كما أن الجهود المضنية الأموال التي يبذلها أصحاب هذه العلامات التجارية في سبيل الحصول عليها تجعل من انتحال غيرهم لها ظلماً لأصحابها بأكل أموالهم وتضييع جهدهم بالباطل وإلحاق الضرر بهم، والله تعالى يقول:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ﴾

(النساء: ٢٩)

ويقول سبحانه:

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

(البقرة: ١٨٨)

قال الإمام القرطبي في تفسيره عند هذه الآية: «الخطاب بهذه الآية يتضمن جميع أمة محمد صلى الله عليه وسلم، والمعنى: لا يأكل بعضكم مال بعض بغير حق. فيدخل في هذا: القمار والخداع والغصوب وجحد الحقوق، وما لا تطيب به نفس مالكه، أو حرمته الشريعة وإن طابت به نفس مالكه، كمهر البغي وحلوان الكاهن وأثمان الخمور والخنازير وغير ذلك» أ هـ.

وفي انتحال هذه العلامات بغير حق إيهام بحصول المنتحل على العلامة التجارية الأصلية وتشبع بما لم يعط زوراً وكذبا، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور» (متفق عليه) من حديث أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - إضافة إلى ما في ذلك من التدليس على الناس وغشهم وخداعهم، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «من غشنا فليس منا» (رواه مسلم) وغيره من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه.

وعلى ذلك: فهذه الحقوق ملك لأصحابها، يجري فيها ما يجري في الملك الذي هو حق خالص يختص به صاحبه: من جواز انتفاعه بها على أي وجه من الوجوه المشروعة، ومن جواز معاوضتها بالمال إذا انتفى التدليس والغرر، ومن تحريم الانتفاع بها بغير إذن أصحابها، ومن حرمة الاعتداء عليها بإتلافها أو إتلاف منفعتها أو تزويرها أو انتحالها زورا وكذبا، وبذلك صدرت قرارات المجامع الفقهية الإسلامية؛ فجاء في القرار رقم ٤٣ (٥ / ٥) لمجمع الفقه الإسلامي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي، في مؤتمره الخامس بالكويت من ١-٦ جمادى الأولى ١٤٠٩ هـ ما يأتي:

«أولاً: الاسم التجاري، والعنوان التجاري، والعلامة التجارية، والتأليف والاختراع أو الابتكار، هي حقوق خاصة لأصحابها، أصبح لها في العرف المعاصر قيمة مالية معتبرة لتمول الناس لها، وهذه الحقوق يعتد بها شرعا، فلا يجوز الاعتداء عليها.

ثانيا: يجوز التصرف في الاسم التجاري أو العنوان التجاري أو العلامة التجارية ونقل أي

منها بعوض مالى، إذا انتفى الغرر والتدليس والغش، باعتبار أن ذلك أصبح حقًا ماليًا.

ثالثًا: حقوق التأليف والاختراع أو الابتكار مصونة شرعًا، ولأصحابها حق التصرف فيها، ولا يجوز الاعتداء عليها. والله أعلم، أ هـ.

وبناء على ذلك: فإن انتحال الحقوق الفكرية والعلامات التجارية المسجلة من أصحابها بطريقة يُفهم بها المنتحل الناس أنها هى العلامة الأصلية هو أمر محرم شرعًا، يدخل فى باب الكذب والغش والتدليس، وفيه تضييع لحقوق الناس وأكل لأموالهم بالباطل.

ولا يجوز شرعًا أن يقوم أحد بفتح محلات تجارية ليخدع المشترين ويتاجر بهذه العلامات التى انتحلها زورًا وكذبًا على أنها العلامة الأصلية.

كما أن كل عامل أو موظف يساهم بعمله فى هذا التزوير والتدليس والغش للناس فعمله حرام؛ لقوله تعالى:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾

(المائدة: ٢)

ولا يجوز أن يتعامل الناس مع هؤلاء المنتحلين للعلامات التجارية بشراء هذه السلع منهم؛ لأن المسلم مأمور بإنكار المنكر وتغييره حسب استطاعته وسلطته؛ وشراؤه لهذه السلع من هؤلاء يتنافى مع ذلك، لأن فيه إعانة لهم على باطلهم وظلمهم، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا»، فقال رجل: يا رسول الله، أنصره إذا كان مظلومًا، أفرأيت إذا كان ظالمًا كيف أنصره؟ قال: «تحجزه -أو تمنعه- من الظلم؛ فإن ذلك نصره» (رواه البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه).

أما العقوبات التى تتخذ بشأن هؤلاء فالأصل أنها من باب ضمان المتلفات وتقدير الضرر الواقع على أصحاب العلامات الأصلية، وهذا الضرر يحكم به القاضى تبعًا لتقدير الخبراء فى كل واقعة بحسبها، إضافة إلى ما يمكن أن يراه ولى الأمر فى ذلك من عقوبة تعزيرية رادعة للسُّراق عن الوقوع فى مثل هذه الممارسات الجالبة للضرر الخاص والعام.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

نظافة الداعية ودورها فى التأثير

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

قال التلميذ الفتى لأستاذه الشيخ:

هل لنظافة الداعية دورها فى إقبال المدعو عليه وقبوله منه؟ لكل ما يأمره به وينهاه عنه؟

وأين نجد ذلك فى القرآن الكريم والسنة المطهرة. والسيرة العطرة؟ وفكر الصالحين؟

قال الشيخ: أجل: لنظافة الداعية هذا الدور الخطير.. الذى يمكنه بها من التأثير فيمن يدعوهم! والأصل فى ذلك ماجاء فى مستهل سورة «المدثر» وهو قوله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾

(المدثر: ١: ٧)

أمره ﷺ: بأن يشمِّر عن ذراع. ويكشف عن ساق.. ليبدأ مرحلة جديدة لينذر: «من كان راقدا فى غفلاته. متدثرا بأثواب سكراته. لاهيا عما أمامه من أهوال يوم القيامة» مستعينا بربه الكبير المتعال على مواجهة قومك بما يكرهون من التكاليف، ولما كان تنزيه العبد عن الأدناس لأجل تنزيه المعبود قال آمرا بتطهير الظاهر والباطن:

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾

قم فخصَّ ثيابك الحسية بإبعادها عن النجاسات:

بمجانبة عوائد المتكبرين: من تطويلها. وبتطهيرها لتصلح للوقوف فى الخدمة بالحضرة القدسية والمعنوية:

وهى: كل ما اشتمل على العبد من الأخلاق المذمومة، وفرّ من الرياء واطلب الأجر من الله عز وجل وحده وليكن دينك: الإخلاص دون مجاملة البشر. وإذا ترتب على ذلك إيذاء.. فاصبر على مشاق التكاليف وعلى أذى الناس: (فإن من حمل العمل فى الدنيا.. حمله العمل فى الآخرة).

واجعل من أخلاقك أسلحة تواجه بها الكفرة الفجرة..

معنى الطهارة

يقول ابن القيم:

النجاسة هى: المستقذر الذى يُطلب مباعدته والبعد عنه بحيث لا يلمس. ولا يُشم. ولا يُرى. (إغاثة اللهفان ١ / ٥٩)

إنها دعوة إلى مزايلة الفراش الدافىء ليخوض معركة الدعوة بأسلحتها التى كان منها: أن يكون فى عيون المدعوين مقبولا بتطهير ثيابه. ليفرض عليهم احترامه..

ومن أجل ذلك كانت «قيمة النظافة» نظافة الداعية واحدة من أسلحته التى تثمر قوتها فى قلوب الناظرين الذين يحترمونه.. وإن كانوا لا يحبونه؟!

تلازم الظاهر والباطن

قال الفتى: كأن هناك تلازما بين طهارة الظاهر وطهارة الباطن؟!

قال الشيخ: قال «ابن القيم» رحمه الله تعالى:

الآية تعم كل ما ذكره «ابن تيمية» من الطهارة الحسية والمعنوية:

إن كان طهارة القلب: فطهارة الثوب. وطيب مكسبه تكميل لذلك.. فإن خبث الملبس يُكسب القلب هيئة خبيثة.. كما أن خبث المطعم يكسبه ذلك.

ولذلك: حُرّم ما حُرّم من اللباس لما تُكسب القلب من الهيئة المشابهة لتلك الحيوانات التى تُلبس جلودها، فإن الملابسة الظاهرة تسرى إلى الباطن.. والمقصود: أن طهارة الثوب، وكونه من مكسب طيب. وهو من تماما طهارة القلب وكمالها.. ثم يقول فيما يشبه أن يكون دليلا على ذلك:

فالله سبحانه بحكمته جعل الدخول إلى جنته على الطّيب والطهارة.. فلا يدخلها إلا طيب طاهر.. فهى طهارتان: طهارة البدن. وطهارة القلب. (إغاثة اللهفان: ١ / ٦٩)

* * *

ومن تقدير الإسلام للحياة الإنسانية: نهيه ﷺ عن أكل «الجلالة» وهى: الدابة التى تأكل «البعر» وأكثر علفها النجاسة..

وتأمل كيف كانت «قيمة الطهر» عميقة فى الفكر الإسلامى إلى درجة النهى عن أكل ما ينشأ عن أكله المرض مما يؤكد القاعدة الطبية القائلة: «الوقاية خير من العلاج».

والنتيجة هى: أن يكون الداعية من النظافة فى أقوى جيش!!

حرص الإسلام على النظافة

فى حديث شريف يقول أحد الصحابة: بينما نحن فى المسجد إذ جاء أعرابى.. فبال.. فنهره الصحابة.. فقال: دعوه.. ثم نصحه ﷺ برفق.. ثم أمر بدلو فصبه عليه..

وتأمل من دروس الموقف الصحية ما يلى:

نهيه ﷺ عن أن يقطع الرجل بوله لما فيه من خطر على صحته.. ثم إرشاده إلى ما يجب أن يكون فى مثل هذا الموضع.. وكان فى الجواب ما يشبه أن يكون اعتذارا عن الصحابة فى غضبتهم المضرية.

ومن توجيهاته ﷺ هنا قوله: «لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»(١).

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده فى الإناء حتى يغسلها ثلاثا: فإنه لا يدرى أين باتت يده» (مسلم / ٢٧٨)

وكانت له ﷺ توجيهاته التى بها تتم صحة الإنسان:

عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «عشر من الفطرة: قص الشارب. وإعفاء اللحية. والسواك. واستنشاق الماء. وقص الأظفار. وغسل البراجم -عقد الأصابع ومفاصلها- ونتف الإبط. وحلق العانة» وانتقاص الماء -الاستنجاء- قال زكرياء: قال مصعب: ونسيت العاشرة.. إلا أن تكون المضمضة» (مسلم/ ٢٦١)

إن ترك الفم مغلقا طوال الليل مدعاة إلى تغيّر رائحة الفم.. ومن أجل ذلك كانت وصاته ﷺ بالمضمضة عند اليقظة.. إضافة إلى ضرورة غسل اليد مما يتهاون فيه بعضنا مخالفا بذلك سنة من سننه ﷺ.

النظافة.. وحسن السمت

وإذ يحرص الإسلام على نظافة المسلم بعامة.. والداعية خاصة.. فإنه لا يلغى الأناقة، التى ذكرها علماؤنا تحت عنوان (حُسن السمت) وهى راجعة إلى قولهم: والعين تعشق قبل الأذن أحيانا.

إن غيرنا يحرص على المظهر على حساب المخبر.. ولكن الإسلام حريص على الاثنين معا.

وإذن: فالداعية مطالب: أن يكون نظيفا.. وأن يكون مقبولا.. وعلى هذا الأساس كان علماؤنا من سلفنا الصالح..

قال أبوعبيد الله -رحمه الله تعالى-:

(١) سنن الترمذى، كتاب الطهارة عن رسول الله.

كان أصحاب عبدالله بن مسعود -رضى الله عنه- يرحلون إلى عمر -رضى الله عنه- فينظرون إلى سمته ودله: فيتشبهون به» (لسان العرب: ٣/ ١٤٢٣)

وقال «عبدالرحمن بن مهدى»: كنا نأتى الرجل: «ما نريد علمه.. ليس إلا: أن نتعلم من هديه وسمته ودله» (الآداب الشرعية: ٢/ ١٤٩)

وقال الميمونى -رحمه الله تعالى-: «ما رأيت أحدا أنظف ثوبا. ولا أشد تعاهدا لنفسه: فى شاربه. وشعر رأسه وشعر يديه.. ولا أنقى ثوبا.. وأشد بياضا من أحمد بن حنبل» (الآداب الشرعية: ٢/ ١٩)

قال ابن مفلح: «كان يحضر مجلس أحمد زهاء خمسة آلاف أو يزيدون. أقل من خمسمائة يكتبون والباقى يتعلمون منه: حسن الأدب. وحسن السمت» (الآداب الشرعية ٢/ ١٢)

وهو ما قاله «الحافظ» فى الفتح ١٠/ ٥١٠:

إن أصحاب ابن مسعود كانوا ينظرون إلى سمته وهديه ودله فيتشبهون به» (الفتح: ٢/ ٥١٠)

وكان هؤلاء الصالحون يطبقون سنته ﷺ.

وفى حديثه ﷺ يقول: «إن الهدى الصالح. والسمت الصالح. والاقتصاد، جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة» (أبوداود: ٤٧٧٦)

وعن جابر بن عبدالله -رضى الله عنهما- أنه قال: «أتانا رسول الله ﷺ فرأى رجلا شعثا: قد تفرق شعره.. فقال: أما كان يجد هذا ما يسكّن به شعره» ورأى رجلا آخر.. وعليه ثياب وسخة فقال: «أما كان هذا يجد ماء يغسل به ثوبه» (أبوداود: ٤٠٦٢)

ولا ننسى قول رسول الله ﷺ: «من كان له شعر فليكرمه» (أبوداود: ٤١٦٣)

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال:

أشهد على رسول الله ﷺ قال: «الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم. وأن يستنّ. وأن يمس طيبا إن وجد» (البخارى: الفتح ج٣/ ٨٨٠)

لماذا الأمر بالطهارة؟

عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: كان الناس ينتابون يوم الجمعة من منازلهم والعوالى: فيأتون فى الغبار: يصيبهم الغبار والعرق: فيخرج منهم العرق.. فأتى رسول الله ﷺ إنسان منهم -وهو عندى- فقال النبى ﷺ: «لو أنكم تطهرتم ليومكم هذا» (البخارى: الفتح ج٢/ ٩٠٢)

ولا تنسى ما رواه جابر بن سمرة رضى الله عنهما أنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ فى ليلة أضحيان (مضيئة) فجعلت أنظر إلى رسول الله ﷺ.. وإلى القمر وعليه حلة حمراء.. فإذا هو عندى أحسن من القمر» (رواه الحاكم/ ج١/ ١٨٧)

وهو نفس المعنى الذى ركز عليه البراء ابن عازب -رضى الله عنهما- لما قال: «كان النبى ﷺ مربوعا: وقد رأيته فى حلة حمراء.. ما رأيت شيئا أحسن منه» (البخارى: الفتح ١٠/ ٥٨٤٨)

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «من سرّه أن ينظر إلى هدى رسول الله ﷺ فلينظر إلى عمرو ابن الأسود» (حلية الأولياء/ ٥/ ١٥٦)

قال حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما:

«إن أشبه الناس دلاً -وقارا- وهديا- طريقة برسول الله ﷺ لابن أم عبد - عبدالله بن مسعود-: من حين يخرج من بيته إلى أن يرجع إليه» (البخارى: الفتح ١٠/ ٦٠٩٧)

وقال إبراهيم النخعى -رحمه الله تعالى-: كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه: نظر إلى: صلاته. وإلى سمته. وإلى هيئته. ثم يأخذون عنه. (الآداب الشرعية ٢/ ١٤٩)

وقال الأعمش: كانوا يتعلمون من الفقيه كل شيء: حتى لباسه ونعليه. (المرجع السابق ٣/ ١٢٣)

أما بعد

فإن (حُسن السمت) لا يعنى «الأناقة» بمفهومها العصرى:

إن المخدوعين اليوم:

ينفقون على «الأناقة» أضعافا.. بينما لا تكلفهم «الطهارة» إلا الماء؟!

وقد يتأنقون فى سجون فرضوها على أنفسهم.. مهملين فى نفس الوقت هذه «الطهارة» التى لا تكلفهم عناء..

ولكن منطق الإسلام مختلف: إنه يحرص على «الطهارة» ولا يكتفى بالنظافة: التى قد تكون فقط ذهابا بجسم النجاسة التى يزيلها الماء الطهور من جسم المؤمن وثيابه فيحس براحة لو علمها الماديون لقاتلوه عليها بالسيوف!!

* * *

مؤتمر مكة المكرمة العاشر يطالب بضرورة توفير فرص العمل للشباب فى ظل تزايد نسبة البطالة

متابعة: عاطف مصطفى

المؤتمر العاشر الذى عقد فى مقر رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة بعنوان «مشكلات الشباب فى عصر العولمة»، والذى تناولنا بعض ملامحه فى العدد الفائت، وجاءت أهميته كما أشار الأمين العام للرابطة الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى «نظرا لما يواجهه الشباب المسلم من مشكلات عديدة ومنها مشكلات العمل ومشكلات التغريب، ومشكلات التثقيف، وقضية تصحيح التصورات الخاطئة، وتأهيل الشباب تأهيلا متوازنا على الاعتدال والوسط فى القضايا الدينية والاجتماعية، بعيداً عن التطرف أو التهاون فى أمور الدين وفى العلاقات الاجتماعية».

وجاءت مشكلة البطالة من أبرز أولويات المؤتمر، خاصة وأن البحوث فى هذا المجال أبرزت كيف أن البطالة والفراغ بين الشباب، تؤدى إلى الانحراف الفكرى والسلوكى، وتعاطى المحرمات والتطرف وغيرها من المخاطر التى تحيط بالشباب فى هذا العصر.

وعلى مدى أيام ثلاثة ناقش المشاركون بحوث فى المؤتمر محورين.. وقد تناول المحور الأول: المشكلات وهى أربع:

١ ـ المشكلة الفكرية: حيث تناولت البحوث:

* الولاء والبراء والتشبه بالغرب «الضعف العقدى».
* ضعف الانتماء: «الانتماء الدينى والقومى والثقافى والحضارى».
* الاغتراب الثقافى والتقليد الأعمى للغرب.
* انتشار الثقافة السطحية وانحسار الثقافة الأصيلة.

٢ ـ المشكلات الاجتماعية.. وناقشت البحوث:

* ظاهرة العلاقات غير المشروعة بين الجنسين.
* العزوف عن الزواج وانتشار العنوسة.
* التشرد والضياع.
* تفكك الروابط الأسرية.

٣ ـ المشكلات الاقتصادية، حيث تدارس الباحثون:

* طغيان الاعتبارات المادية والنزعة الاستهلاكية.
* انتشار البطالة والفقر المدقع.
* التكالب على الهجرة إلى الغرب.
* امتهان الأعمال غير المشروعة: التهريب، المتاجرة فى الممنوعات، النصب والاحتيال والقرصنة.

٤ ـ أما المشكلات النفسية، فقد اهتمت البحوث بقضايا الشباب وهى الفئة الأكبر فى عدد المسلمين وركزت على:

* القلق والاكتئاب، وعدم توازن الشخصية، والتطرف والتمرد على القيم.
* الإباحية والشذوذ الجنسى وإدمان المخدرات وغيرها.
* ظاهرة العنف.

برامج تربوية لحماية الشباب

أما المحور الثانى الذى ركز عليه مؤتمر مكة فجاء بعنوان «الحلول والعلاج» وتضمنت:

* اعتماد برامج إعلامية وثقافية فعالة لمواجهة التحديات.
* دعم المناهج الدراسية ببرامج تربوية وتعليمية لحماية الشباب من الانعكاسات السلبية للعولمة.
* إشاعة ثقافة الوسطية والاعتدال ووضع برامج لملء الفراغ لدى الشباب.
* حل مشكلات الشباب من خلال خطط التنمية الوطنية.
* وضع برامج عملية للتشجيع على الزواج والقضاء على العنوسة.
* محاربة البطالة وبرامج تشغيل الشباب.



د. عبدالله التركى

التزام الشباب المسلم فى الغرب بدينه وهويته

فى الجلسة الأولى نوقشت ورقة مهمة لباحث جزائرى مقيم بفرنسا هو الدكتور العربى كشاط بعنوان «الاغتراب الثقافى وتقليد الآخر» وكان أبرز ما تناوله الباحث عن أوضاع الشباب المسلم فى الغرب، أن هناك شبابا تلجئه وطأة الاغتراب إلى مزيد من الالتزام بدينه وهويته، فى حين أن أجيالا من أبناء المسلمين يتعرضون للاستلاب الثقافى.

وذكر أن الغرب قد حقق كل شىء لراحة الإنسان المادية، ولكنه أهمل الإنسان فى نفسه، وهذه الحضارة أوصلت الإنسان إلى القمر، ولكنها أنست الإنسان رب القمر.

وأرجع الدكتور العربى كشاط ما يتعرض له الشباب المسلم من الشبهات إلى البيئة الثقافية التى تحيط به. هذه البيئة التى زحفت إلى شبابنا داخل بلادنا المسلمة، فصار شبابنا يغلقون على أنفسهم غرفهم، وينتقلون بأفهامهم إلى مواقع مختلفة عبر الإنترنت حتى صار يخاطبهم أناس آخرون.

وتساءل عن العاقبة التي يمكن أن يؤول إليها الشباب في هذا الوضع.

وفي مداخلة للدكتور محمد الأمين بلغيث من جامعة الجزائر على بحث د. العربي كشاط، أشار إلى أننا صرنا نكثر من الحديث عن الآخر، معبرا عن ذلك بقوله: لقد مللت من مؤتمراتنا التي أكثرت من الحديث عن الآخر - الغرب، متسائلا لماذا هذا الحديث والتركيز عليه؟!

ويجيب د. العربي بقوله: إن الحديث عن الآخر بدأ عند الغربيين أول الأمر، مشيرا بأنه ليست لديه مشكلة مع الآخر، بل الغرب هو الذي لديه مشكلة فهنالك أقوال مشهورة عن مفكرين فرنسيين تكلموا مثلا بأن الدنيا لا يوجد فيها إلا نحن واليونان. وهناك زعيم الوجوديين الذي قال: ما هو الجحيم؟ الجحيم هو الآخر.

ويؤكد د. العربي أننا نحن المسلمين ليس لدينا مشكلة مع الآخرين، وليس في ديننا ما يطلق عليه اليوم «آخر» فالجميع خلقه الله، وقد أزال الإسلام العرقيات والقبليات حين قال:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

(الحجرات: ١٣)

فتح المسلمون البلدان والعواصم بالأخلاق

إن مشكلتنا في الأمة المسلمة هو ذلك التوحش والشعور بالمؤامرة، وآباؤنا وأسلافنا حين فهموا الدين خرجوا به للكون مبلغين، ولم يكونوا متوجسين ولا قلقين، واستطاعوا أن يهدوا الناس، وأن ينشروا دين الله في الأرض.

لقد فتح المسلمون الأوائل البلدان بالأخلاق لا بالإحراق.. واليوم تظهر حاجة البشرية للإسلام.. ففلاسفة الغرب يؤكدون أن الحضارة الغربية لبت احتياجات الإنسان، ونسيت الإنسان.

وكم من فيلسوف معاد للإسلام، ردد أكثر من مرة أنني ما دخلت مسجدا ورأيت المسلمين وما هم فيه من استقرار قلبي، إلا وتمنيت أن أكون مسلما.

الهجرات غير الشرعية

وفي الجلسة الثانية أشار الدكتور محمد عبد الحليم عمر الأستاذ بكلية التجارة جامعة الأزهر في بحثه المقدم للمؤتمر بعنوان «الفقر والبطالة» إلى أن العاطلين عن العمل من الشباب، يكونون فرصة أمام الجماعات الإرهابية لتجنيدهم في منظماتهم، كما تناول البحث الهجرات غير الشرعية التي تقود الشباب المسلم في رحلات غير مأمونة ينتهي بعضها إلى غرق الكثيرين أو تعرضهم لعمليات نصب من السماسرة.

وبين الدكتور في بحثه إحصاء بعدد العاطلين في العالم الإسلامي قائلا: أما عن البطالة في العالم الإسلامي، فمن المعروف أن عدد سكان العالم الإسلامي يبلغون حوالي ١,٤٥ مليار نسمة، القوى العاملة منهم يبلغ عددها حوالي ٥٠٠ مليون نسمة، يعمل منهم ٤٤٤ مليون نسمة وبالتالي يكون عدد العاطلين ٥٦ مليون نسمة بنسبة ١٠٪ من القوة العاملة، وهذه النسبة ليست واحدة في جميع الدول، ولكنها تبلغ حوالي ١٥٪ في أغلب الدول، وأقل نسبة بطالة حوالي ٣٪ في كل من الإمارات العربية المتحدة وأوزبكستان وطاجيكستان، وتزيد

هذه النسبة إلى ٤٠٪ بالأردن، ٣٠٪ في العراق، ٥٠٪ جيبوتي وتبلغ نسبة البطالة في العالم العربي ١٨٪، ويشكل الشباب ٦٠٪ من سكان المنطقة العربية منهم ٨٣٪ من العاطلين.

إفرازات العولمة

وقال الدكتور محمد عبد الحليم عمر: إن من أبرز إفرازات العولمة، تقلص دور الحكومات من الناحية الاجتماعية والاقتصادية، فالاتجاه العام هو الخصخصة، وتقديم أغلب الخدمات عن طريق القطاع الخاص، وتقدم الحكومة هذه الخدمات برسوم المستفيدين مثل نظام التعليم الموازي والعلاج الاقتصادي، وكل هذا أدى إلى حرمان الفقراء الذين كانوا يحصلون على الخدمات مجانا، وقد انضم ٩٠ مليون شخص بسبب الأزمة المالية العالمية إلى طابور العاطلين من الشباب لتبلغ ١٥٪ خلال هذا العام.

وأشار البحث إلى العلاج الإسلامي للفقر والبطالة، مع تقديم نموذج للمنهج الإسلامي في علاج الفقر من سيرة الرسول ﷺ، من خلال الحديث النبوي التالي: «حدثنا عبدالله بن مسلمة، أخبرنا عيسى بن يونس، عن الأخضر بن عجلان، عن أبي بكر الحنفي، عن أنس بن مالك، أن رجلا من الأنصار أتى النبي ﷺ يسأله، فقال: أما في بيتك شيء؟ قال: بلى، حلس نلبس بعضه، ونبسط بعضه وقعب نشرب فيه من الماء.

قال أئتني بهما قال: فأتاه بهما. فأخذهما رسول الله ﷺ بيده، وقال: من يشتري هذين؟ قال رجل: أنا آخذهما بدرهم. قال: من يزيد على درهم مرتين أو ثلاثا؟ قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين. فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين وأعطاهما الأنصاري، وقال: اشتر بأحدهما طعاما فانبذه إلى أهلك واشتر بالآخر قدوما فأتني به فأتاه به فشد فيه رسول الله ﷺ عودا بيده، ثم قال له: اذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوما. فذهب الرجل يحتطب ويبيع، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوبا وببعضها طعاما. فقال رسول الله ﷺ: هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة».

إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة: لذي فقر مدقع أو لذي غرم مقطع أو لذي دم موجع.

خطر المخدرات

يقول د. محمد بوساق المدني من جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية بالسعودية في بحثه إلى المؤتمر بعنوان «مواجهة خطر المخدرات» وهو يسرد بعض القصص المؤلمة لضحايا المخدرات، حيث ذكر له أحد التائبين من إدمان المخدرات هذه السطور: كنت جالسا عند مروج مخدرات، ودخل علينا شخص ومعه طفل عمره سنتان، ولما أخرج أمواله ليدفعها قيمة للمخدر، فإذا هي ناقصة عشرة ريالات، فقال له.. هذا ابني دعني أتركه عندك حتى آتي لك ببقية الأموال، وفعلا تركه عند هذا المروج وذهب لإحضار المال المتبقي لتاجر المخدرات.. وبدأ الطفل يبكي بشكل هستيري وهو يردد «بابا.. بابا!».

وتستعرض الورقة الأضرار الصحية والأمنية والاجتماعية وغيرها لآفة المخدرات من واقع الدراسات المتاحة في جامعة نايف، مع بيان أوجه الوقاية منها في أوساط الشباب، وكان من أبرز ما اقترحته الورقة في سبيل ذلك، فتح فرص الإبداع والتفوق، وإزالة الحواجز غير الضرورية التي تعرقل طموح الشباب، ومنها

أيضا تشجيع الشباب على الزواج المبكر، وتيسير ذلك بمختلف الوسائل والإمكانات من نصح وإرشاد للآباء، وتكوين جمعيات تساعد على تزويج الشباب الذين يحتاجون إلى المساعدة، ومنها إتاحة الفرصة للشباب لكى يعبر عن همومه ومشكلاته بطرق منظمة وهادئة بلا إكراه أو إرهاب فكرى أو تعسفى أو اجتماعى، وملء أوقات فراغهم بكل ما يفيدهم.

ومن الضرورى أيضا إيجاد فرص العمل المناسبة للشباب، وتوجيه الشباب حسب قدراتهم ومواهبهم، وذلك بعد المستوى الأساسى للتعليم، الذى يبنى ملامح الشخصية الإسلامية، ويركز على الثوابت والأصول.

غرس انتماء الشباب المسلم لدينهم

وقد لاحظ المؤتمر بعد مناقشة البحوث وأوراق العمل التى أعدها المشاركون فيه ومن خلال المحاور المطروحة، أن ضعف الشباب المسلم وحيرته، هو أثر من ضعف الأمة، ونتاج للخلل فى بعض المقومات والأنظمة والمناهج، وأن الأساس فى علاج مشكلات الشباب، يقوم على الفهم الصحيح للدين والانتماء إليه، وأن أى ضعف يعترى هذا الانتماء يعرضهم إلى الانحراف فى العقيدة، أو الشذوذ فى الفكر والسلوك.

وقد أوصى المؤتمر فى نهاية جلساته:

* أولاً: فيما يتعلق بالمشكلات الفكرية:

- اعتماد البرامج الفكرية والثقافية لشباب الأمة على النهج الشرعى القائم على الهدى القرآنى والسنة النبوية الصحيحة ومتابعة منهاج السلف الصالح فى التربية والتعليم والتوجيه الإسلامى.

- التعرف على أسباب المشكلات الفكرية التى تواجه الشباب للعمل على إيجاد الحلول المناسبة.

- مناشدة مؤسسات التربية والتعليم بالتجديد المستمر فى بنية المناهج التعليمية والتربوية، ومتابعة مستجدات المعرفة فى شتى مجالاتها لتحصين الشباب من التغريب الثقافى والفكرى.

- تدريب الشباب على التوازن والوسطية والاعتدال فى سلوكهم وفى فهمهم لشئون الحياة، ليتحقق لهم التوازن بين العقل والعاطفة والأمانى والإنجازات.

- التنبيه إلى خطورة تنامى أفكار الغلو والإفراط بين فئات من الشباب من جانب، والتفريط والتسيب من جانب آخر. والتأكيد على أهمية رجوع الشباب إلى العلماء الثقات لمعرفة وسطية الإسلام المستندة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والالتزام بالاعتدال وفق الضوابط الشرعية.

* ثانياً: فيما يتعلق بالمشكلات الاجتماعية والنفسية: كان من بين توصيات المؤتمر:

- حث المعنيين بأمور الشباب بدعم الثقافة الاجتماعية والنفسية لمعرفة ما يتعرض له الشباب من ضغوط نفسية ترافق النمو الجسمى والنفسى.

- التوسع فى إنشاء المراكز النفسية والاجتماعية التى تساعد المتعرضين للمشكلات النفسية والاجتماعية على تجاوز مشكلاتهم.

- قيام المؤسسات الاجتماعية فى العالم الإسلامى بالإسهام فى نشر الثقافة النفسية الصحيحة والتعاون فى ذلك مع المؤسسات التربوية ووسائل الإعلام.

- الاهتمام بمعالجة إدمان الشباب على الإنترنت وغيره من تقنية المعلومات وترشيد استخدامهم لها.

* ثالثاً: وقد دعا المؤتمر فيما يتعلق بالمشكلات الاقتصادية إلى:

- دعوة الجهات المعنية فى الدول الإسلامية للتعاون والاستفادة من صندوق النقد الدولى والبنك الدولى والبنك الإسلامى للتنمية والمصارف الإسلامية، وذلك بإيجاد المحافظ الخاصة التى توفر القروض الميسرة لمساعدة الشباب على إقامة المشروعات الاقتصادية المنتجة للتخفيف من البطالة وعلاج مشكلة الفقر وتيسير الزواج والحياة الأسرية الكريمة للشباب.

- تطوير برامج مؤسسات التعليم الفنى والتدريب التقنى لتسهم فى اكتساب الشباب مهارات العمل المنتج والمبدع.

- دعوة الدول الإسلامية للعمل بنظام الإعفاء المركزى والضريبى لدعم العمل الخيرى فى المجتمعات المسلمة.

وأيضاً دعوة البنك الإسلامى للتنمية فى التوسع فى إقامة المشروعات التنموية للشباب فى البلدان الإسلامية الفقيرة، وفى مجتمعات الأقليات المسلمة لتحسين مستوى معيشتهم ودفعهم نحو الأعمال المنتجة.

الاهتمام بالمرأة

وفى نهاية جلساته أوصى المؤتمر بعدة توصيات عامة هى:

١ ـ الحرص على أن يركز فى مناهج التدريس فى الجامعات والكليات المتخصصة على تكوين القيادات الشبابية، تكوينا إسلاميا صحيحا يراعى متغيرات الحياة المعاصرة والتحديات التى تواجه المجتمعات المسلمة.

٢ ـ الاهتمام بشغل الفراغ لدى الشباب بالبرامج الدينية والاجتماعية والثقافية والرياضية من خلال المؤسسات التربوية والنوادى ومراكز الثقافة وغيرها.

٣ ـ عقد دورات تدريبية للمتخصصين فى برامج الأطفال والمراهقين والشباب بالتعاون مع هيئات علمية متخصصة.

٤ ـ التأكيد على أهمية إشراك الشباب فى برامج الحوار الثقافى لدعم التفاهم والتعاون الإسلامى، والاستفادة فى ذلك من مبادرة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز للحوار.

٥ ـ الاهتمام بالمرأة فى المجتمعات الإسلامية، وتزويدها بالثقافة التى تحميها مما يحاك لها لتنفلت من القيم الأخلاقية الإسلامية، والحرص على إضفاء عناصر الطهر والعفاف على البيئة الاجتماعية المسلمة والتصدى لأساليب الإثارة الجنسية الرخيصة من أفلام وصور وعروض.

******

وإذا كانت رسالتنا موجهة إلى الشباب المسلم الذى يعد المستقبل المشرق لأمتنا الإسلامية، وهو القاطرة التى تحقق نهضتها، وعودتها من جديد لأداء دورها فى مسيرة الحضارة الإنسانية، فعلى علماء الأمة ومفكريها ألا ينسوا دورهم فى احتواء ما يتعرض له الشباب المسلم من الجيل الثانى والثالث الذين ولدوا فى الغرب، ويحتاجون إلى دعم ثقافى ورعاية لهم حفاظا على دينهم وعلى هويتهم.

فى زمن التحديات الحضارية الكبرى:

كيف نصنع جيل النصر؟!

للدكتور/ حمدى فتوح والى

على الرغم من تكاثف الظلمات، وخطورة المواجهات، وضراوة التحديات، فإننى أشعر بثقة مطلقة فى حيوية هذه الأمة، وقدرتها على المواجهة والتحدى إذا هى أرادت ذلك وسلكت إليه السبيل القويم.

ومرد هذه الثقة عندى يعود إلى يقينى بوعد الله لهذه الأمة بالتمكين والنصر إن هى عادت إلى ربها، واستمسكت بكتابه، واستقامت على شريعته، وكانت أهلاً لقوله تعالى:

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾

(غافر: ٥١)

واستحقت أن ينفذ الحق تبارك وتعالى فيها وعده الذى أخذه على ذاته العلية بقوله سبحانه:

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(الروم: ٤٧)

ومن عظيم المنة وجميل الفضل لله تبارك وتعالى على هذه الأمة أن تولى عنها حفظ كتابها، وصيانة منهجها وكمال شريعتها. فهو كتاب كريم

﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾

(فصلت: ٤٢)

لا تزيغ به الأهواء ولا تفترق به السبل ولا يبلى على كثرة الرد. وإذا كانت كتب السابقين قد وكلها الله إليهم فضيعوها وحرفوها ومزجوها بأهوائهم ومنافعهم الذاتية واشتروا بها ثمناً قليلاً، وسجل الله عليهم ذلك بقوله:

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

(البقرة: ٧٥)

فإن القرآن قد سلم من ذلك كله بحفظ الله تبارك وتعالى له بقوله:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

(الحجر: ٩)

والله تعالى لا يحفظ شيئاً عبثاً ولا يفعل شيئاً سدى، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. فكل شيء عنده بمقدار.

إن الله تبارك وتعالى لم يحفظ هذا الكتاب إلا لعلمه سبحانه بأن حاجة البشرية إليه أشد من حاجتها إلى الطعام والشراب، لأنه يقوم فيها مقام رسول دائم قائم، لا يحول ولا يزول. وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد جاء ليتلقى عن ربه هذا الكتاب فقد تلقاه كاملاً وأداه تاماً ومارسه منهجاً وطبقه نظاماً، وتلا علينا قول ربه سبحانه.

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

(المائدة: ٣)

ولم ينتقل إلى ربه إلا بعد أن أكمل الله به الدين وأتم به النعمة، وتركنا على المحجة البيضاء الواضحة ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك. وأقام بهذا الكتاب خير أمة وأسس بها أعظم حضارة وأورث الأرض أعلى وأغلى ما عرفته البشرية على مدى تاريخها كلها، من عقيدة وشريعة ونظام. ولم يبق على الأمة إلا أن تقدر اختيار الله لها، وإحسانه إليها، بأن جعلها خير أمة، واختار لها خير رسله وأنزل فيها خير كتبه وخاطبها بقوله:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

(آل عمران: ١١٠)

ونهض الجيل الأول مع رسول الله ﷺ باستقبال هذا الكتاب العظيم والقيام به خير قيام فامتزجت بأرواحهم آياته، وحلت ببيوتهم بركاته وظهرت فى حياتهم ثمراته، عندما تفهموا أحكامه، فأحلوا حلاله وحرموا حرامه. وبدا للدنيا كلها أنها أمام بعث جديد، لم تعرف له مثيلاً من قبل فحملة هذا الدين

صنف من البشر انفتحت قلوبهم لكلام الله، وأحسنوا الاقتداء برسول الله ﷺ فقام بعدهم لأعظم أمانة، وأخلد رسالة، يغذى أرواحهم بالقرآن، ويربى نفوسهم بالإيمان، ويخضعهم أمام رب العالمين خمس مرات فى اليوم، عن طهارة بدن، وخشوع قلب، وخضوع جسم، وحضور عقل، فيزدادون كل يوم سمو روح، ونقاء قلب ونظافة خلق، وتحررا من سلطان الماديات، ومقاومة للشهوات، ونزوعاً إلى رب الأرض والسموات، ويأخذهم بالصبر على الأذى، والصفح الجميل وقهر النفس، ولم يزل الرسول ﷺ يربيهم تربية دقيقة عميقة، ولم يزل القرآن يسمو بنفوسهم، ويزكى جمرة قلوبهم، ولم تزل مجالس الرسول ﷺ تزيدهم رسوخا فى الدين وعزوفاً عن الشهوات، وتفانيا فى سبيل المرضاة، وحنيناً إلى الجنة، وحرصاً على العلم وفقهاً فى الدين، يطيعون الرسول فى المنشط والمكره، وينفرون فى سبيل الله خفافاً وثقالاً، فهان عليهم التخلى عن الدنيا، وهانت عليهم رزينة أبنائهم ونسائهم فى نفوسهم، وانحلت العقدة الكبرى، عقدة الكفر والشرك، فانحلت العقد كلها، وجاهدهم الرسول جهاده الأول فى ميدان نفوسهم وانتصر على الجاهلية فى المعركة فكان النصر حليفه فى المعركة، حتى إذا خرج حظ الشيطان من نفوسهم، بل خرج حظ نفوسهم من نفوسهم، وأنصفوا من أنفسهم إنصافهم من غيرهم، وأصبحوا فى الدنيا رجال الآخرة، وفى اليوم رجال الغد، لا تجزعهم مصيبة، ولا يشغلهم فقر، ولا يطغيهم غنى، ولا تلهيهم تجارة ولا تستخفهم قوة، ولا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً، وأصبحوا للناس القسطاس المستقيم قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسهم أو الوالدين والأقربين، وطأ لهم أكناف الأرض فأصبحوا عصمة للبشرية، ووقاية للعالم، ودعاة إلى دين الله، واستخلفهم الرسول ﷺ فى عمله ولحق بالرفيق الأعلى قرير العين من أمته ورسالته»[١]

ولك أن تتصور أمة هذه أوصافها وتلك همومها، هل يستغرب منها أن تسود العالم فى سنوات؟ وأن تطوى تحت جناحيها أعظم الأمبراطوريات. وأن تقيم فى الأرض أعظم الحضارات. هذا ما كان من شأن آبائك عندما أحسنوا التلقى وأحسنوا الأداء. وأشهدوا الله على أنفسهم فبذلوا أعز ما ملكوا، وقدموا أرواحهم لله:

﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

(آل عمران: ١٤٧)

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ـ أبو الحسن الندوى.

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم
أحمد السيد تقى الدين

الإسراف

عجيب أمرنا نحن المسلمين.. صار الإسراف سلوكا عاما من سلوكيات حياتنا.. وفى كل أوجه حياتنا!!

نسرف فى الحزن حتى نموت كمدا.

نسرف فى الغضب حتى يتحول غضبنا الى نار تحرق الأخضر واليابس.

ونسرف فى الفرح أيضا الى حد غير مقبول.

قديما كنا نتحدث عن مخاطر الإسراف فى الطعام والشراب وخطرها على صحة الإنسان وما قد يؤدى اليه الإسراف من الإصابة بعديد من الأمراض تصل إلى مستوى التعرض للوفاة.

واليوم بلغ الإسراف بنا حدا يهدد حاضرنا ومستقبلنا!!

ما هذا الذى يحدث بين مصر والجزائر؟ هل يعقل أن تؤدى الرياضة التى من المفترض أن تكون عاملا من عوامل التقريب بين الشعوب إلى ما وصل إليه الحال من لغة متدنية فى الحوار عبر وسائل الإعلام وفى مقدمتها الفضائيات؟ سباب هنا وسباب هناك.. وحتى بعد مضى وقت غير قليل على هذه الأحداث المؤسفة لايزال هناك من ينفخ فى النار التى لا تكاد تنطفىء لتزداد اشتعالا وتزداد الهوة اتساعا بين بلدين شقيقين!!

غضب الجزائريون غضبا رهيبا يوم انهزم فريقهم أمام الفريق المصرى وتباروا فى إصدار البيانات والتعليقات النارية التى تطالب بالثأر من الهزيمة، ووصل الأمر الى حد إرسال الآلاف من المشجعين الجزائريين على متن طائرات عسكرية لتشجيع الفريق الجزائرى فى مباراة رياضية أسموها مباراة ثأرية!!

وفى مصر، وعقب انتصار الفريق المصرى فى المباراة الأولى أيضا سادت مظاهر الفرح الطاغية بل العاتية الشارع المصرى كله – برغم عدم تأهل الفريق المصرى لكأس العالم – وانطلقت الأغنيات والأناشيد الوطنية التى مجالها الشحن المعنوى استعدادا للحرب وكأننا بصدد صراع عسكرى وليس مباراة رياضية هدفها المفترض تعميق أواصر الصداقة.

فكانت النتيجة حالة تأهب واستنفار بين جماهير الشعبين كل واحد ضد الآخر، ووصل الأمر فى السودان – والتى شهدت اقامة مباراة فاصلة بين البلدين الشقيقين مصر والجزائر – إلى مستوى استخدام السلاح الأبيض، والى تدخل الجيش السودانى للفصل بين الفريقين أو لحماية فريق من فريق.

والمفترض في الجميع أنهم مسلمون!!

وبرغم مرور أيام وأسابيع وشهور.. لم تخمد النيران التي أشعلها إسراف لا مبرر له في الحزن والغضب والفرح، ومن أجل ماذا؟ من أجل سباق رياضي بين بلدين لا يمكن تصنيفهما من البلاد المتقدمة في النشاط الرياضي على المستوى العالمي.. والبطولات العالمية والأولمبية خير شاهد على ذلك.

عندما عمدت الدول العربية إلى تنظيم دورات وبطولات ومسابقات رياضية تجمع الشباب العربي وتقرب المسافات بينهم كانت الوحدة العربية هي الهدف. أما اليوم فإن هذه المسابقات واللقاءات تحولت وللأسف الى قنابل موقوتة تهدد أمننا وسلامنا وتعمق من جراحنا الغائرة! فهلا ضبطنا سلوكياتنا وتذكرنا تعليم ديننا التي تنهانا عن هذا الإسراف المقيت في الحزن والفرح والغضب.. ومن أجل ماذا؟ من أجل مسابقات رياضية ونتائج ومستويات متواضعة غاية التواضع.

أحمد تقى الدين

اختيار المرأة الصالحة.. فى ضوء الكتاب والسنة

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ/إبراهيم مسلم إبراهيم النجار - صندنهور - بنها - قليوبية:

أن التزاوج سنة الله في خلقه.. وهو نظام ثابت في كل الوجود ولكل المخلوقات حيث يقول الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

«الذاريات ٤٩»

وقد اختص الله - سبحانه وتعالى - المرأة بأن تكون وعاء للنشء وعليها تقع مسئولية تربيته على مبادئ الدين والأخلاق.. ولذلك فإن اختيار المرأة الصالحة هو أول دعامة أصيلة في بناء البيت السعيد الذي به يتم تكوين مجتمع أفضل.. وقد رسم لنا طريق الاختيار معلم البشرية الأول سيدنا محمد ﷺ فقال: «تنكح المرأة لمالها وحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك» «رواه البخاري» فتوجيهات النبي ﷺ تقرر أن من أعظم مسئوليات الرجل حسن اختياره لشريكة حياته وأم أولاده والتي حددها النبي في المرأة المتدينة.. كذلك فإن على ولي أمر المرأة أن يختار لها الزوج المتدين الكفء الذي يضمن لها حسن المعاشرة حتى يعيشا في توافق وتسامح وانسجام ليشب أبناؤهما في جو من المودة والرحمة مستظلين بتقوى الله باعتبار أن الزواج رابطة مقدسة وليس تجارة قوامها للكسب والخسارة.. ولو أننا نرى الآن الكثيرين يفضلون اختيار المثقفة أو الموظفة للمشاركة في تأسيس بيت الزوجية والإعانة على مطالب الأمور الحياتية.. وكما أنه يفضل اختيار ذات الجمال والتدين.. فكذلك ينبغي مراعاة التحذير النبوي القائل: «إياكم وخضراء الدمن» لأن المرأة الحسناء التي تنشأ في بيت سيء قد تكون غير مأمونة ولا يفضل اختيارها لبيت الزوجية خشية أن ينضح الإناء بما جعل فيه.. ومن أهم دساتير الحياة الزوجية حسن العشرة.. كما يقول المصطفى ﷺ «الله الله في النساء فإنهن عوان لكم اتخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله» «البخاري» فعلى الرجل أن يصبر على زوجته إذا وجد منها ما يغضبه ولا يتعجل الطلاق فعسى أن يجد فيها خيراً في جانب آخر إعمالاً لقوله تعالى:

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾

«النساء ١٩»

دور العبادة فى التربية الاجتماعية

وعن دور العبادة فى التربية الاجتماعية جاءت رسالة الأستاذ/محمد عباس محمد عرابي:

تحرص العبادة على تحقيق التربية الاجتماعية لأفراد المجتمع المسلم، فالعبادات في الإسلام تؤدى في هيئة جماعية تهدف إلى تقوية وترسيخ المشاعر الأخوية، وتعمل على التواد والتآلف والتعاون والتراحم وكل ما من شأنه تقوية الروابط الاجتماعية بين المسلمين.

والعبادة في أدائها لدورها في التربية الاجتماعية تتعدى مجرد تقوية الروابط الاجتماعية بين أعضاء المجتمع إلى تنظيم علاقات المسلم كلها تنظيماً شاملاً، فهي تربي المسلم على تنظيم علاقاته وروابطه بشكل متين، ويأتي على رأس هذه الروابط والصلات «صلة العبد بالله، ربا وإلهاً، وبصفته هو مخلوقاً له عابداً خاضعاً محتاجاً إليه في كل ظروفه وأحواله، وكذلك علاقته بنفسه، وهي علاقة المسئولية، وتوظيف القوى والطاقات النفسية والعقلية والبدنية والمادية لتحقيق الغرض الذي من أجله وجد الفرد، وهو عبادة الله، ومن العلاقات التي تنظمها العبادة أيضاً علاقة الولد بوالديه، ورب الأسرة بأفرادها، من زوج وبنات وبنين وأقارب، وكذلك علاقة الجوار والرحم والقرابة، وعلاقات المسلم بالمسلمين عامة، وعلاقاته مع غير المسلمين أيضاً.

طعم البلاء والإيمان

ومن الشيخ مصطفى الأزهرى - إمام وخطيب مسجد سوق الحمام - السيدة عائشة كانت هذه الكلمات:

كما أن للإيمان طعم خاص يتذوقه المؤمن الصادق، وحلاوة يلتذ بها أهل الحق، فإن للبلاء مرارة كالعلقم لا يحسها إلا من نزلت بساحته المصيبة فغص بها حلقة وتجرعها على كره منه، واعتصرت بها أحشاؤه حتى يسيل من فيض الصبر والإيمان بقضاء الله وقدره ما يداوي الجرح ويخفف الألم أما وإن للإيمان طعم فيهذا ورد الحديث النبوي الصحيح والذي يقول فيه الحبيب ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا»[١].. والرضا هو أعمق شعور يحسه المؤمن الذي ذاق وعرف لأنه لا يصل إلى مقام الرضا إلا من مر به الإيمان فاستقر بعقله بحيث لا يقبل مراء، وبالقلب فاطمأن حتى فاض على الجوارح فقامت بتكاليفه وأدت تعاليمه فجاء الرضا إلى العبد يسعى، وأما حلاوة الإيمان فلن يذوقها إلى من رسخت في فؤاده تلك الحقائق الثلاثة الكبرى كما جاء في الحديث الصحيح: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن انقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»[٢] وأما الكلام عن البلاء - ونسأل الله العافية - فهو أحد أقدار الله تعالى التي بها يختبر العبد في إيمانه وقوة يقينه وسرعة احتسابه.

(١) مسند أحمد، كتاب مسند بني هاشم، باب حديث العباس بن عبدالمطلب عن النبي.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان.

ومهما تحدث المرء أو كتب أو سمع قصص الابتلاء وأحزان أهل المصائب فلن يصل إلى حقيقة كل ذلك . إلا أن من ألمت به الحاجة إليه كجبل يستند إليه الذى كسرته البلية، وشجرة يستظل بظلها الوارف ذلك المبتلى من حر المصيبة، ولعلى أكشف سريعاً - للقراء الأعزاء - أن كاتب هذه السطور - قد فقد ابنته منذ أيام فى حادث أليم عرف ساعتها معنى الابتلاء وقيمة الصبر ورجاء الاحتساب وروعة اليقين على قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾
«الزمر: ١٠»

وتجلى حينها جلال قول النبى ﷺ : «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا المؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له». (٣)

من أعلام القراء.. الشيخ على محمود

ومن الأستاذ فرج مجاهد عبدالوهاب - عضو اتحاد الكتاب - شربين - دقهلية - كانت هذه الكلمات عن القارىء الشيخ: علي محمود:

كان الشيخ على محمود مدرسة خرجت أساطين فى التلاوة وفن الابتهالات بل الموسيقى أيضا، بعضهم لمع نجمه فى حياته ومن أشهرهم على الإطلاق القارئ الشيخ محمد رفعت الذى استمع إلى الشيخ على مرة فى عام ١٩١٨ م وهو يقرأ فتنبأ له بمستقبل باهر وبكى عندما عرف أنه ضرير، واستفاد الشيخ محمد رفعت فى بداياته كثيرا من الشيخ على محمود وفى مسيرته فيما بعد حتى صار من أبرع قراء مصر.

وكان أيضا من افراد بطانته الشيخ العبقرى طه الفشنى الذى استفاد من خبرته الكثير حتى صار سيد فن الإنشاد بعد الشيخ على محمود، كذلك الشيخ كامل يوسف البهتيمى القارئ الشهير والشيخ محمد الفيومى وغيرهم.

ولد الشيخ على محمود سنة ١٨٧٨ م بحارة درب الحجازى فى الجمالية بحى سيدنا الحسين لأسرة على قدر من اليسر والثراء، وبعد مدة أصيب بحادث أودى ببصره كاملا. التحق بالكتاب ليحفظ القرآن ويدرس علومه فأتم الحفظ وهو فى العاشرة من عمره بمسجد أم الغلام بالجمالية ثم درس الفقه على يد الشيخ عبدالقادر المازنى، ثم بدأ الشيخ الشاب على محمود يذيع صيته كقارئ كبير يضاهى القراء الموجودين على الساحة وقتها، وقرأ فى مسجد الحسين فكان قارئه الأشهر وصار له أسلوبه الذى يؤثر حتى على المقرئين الكبار مثل الشيخ محمد سلامة والشيخ محمود محمد رمضان أشهر القراء فى ذلك الوقت حيث اعترفا بتأثيره على أسلوبيهما فى القراءة.

وكانت طريقة الشيخ على محمود تتسم بالإيقاعات النغمية وكثافة التغيير فى طبقة الصوت ومقاماته خاصة وقد درس بعد ذلك الموسيقى على يد الشيخ على المغربى وعرف ضروب التلحين والعزف وحفظ الموشحات، كما درس أيضا على يد الشيخ المسلوب وحيد عصره فى الموسيقى، حتى صار الشيخ على محمود أشهر أعلام مصر قارئا ومنشدا، وصار قارئ مصر فى مسجد السيدة زينب فى الثلاثينيات، ومسجد الحسين فى الأربعينيات، وبلغ من عبقريته أنه كان يؤذن للجمعة فى مسجد الحسين أذانا على مقام موسيقى لا يكرره إلا بعد سنة رحمه الله.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير.

أنباء مكتب الإمام الأكبر

للأستاذ/ أحمد إبراهيم توفيق
مدير عام الإعلام بمكتب الإمام الأكبر

أرسل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر برقية تهنئة للسيد الرئيس محمد حسنى مبارك - رئيس جمهورية مصر العربية بمناسبة حلول العام الهجرى الجديد ١٤٣١هـ - هذا نصها:



فخامة الرئيس/ **محمد حسنى مبارك**
رئيس الجمهورية
حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...
وبعد

فبمناسبة حلول العام الهجرى الجديد أتقدم لسيادتكم بخالص التهنئة القلبية وأدعو الله - سبحانه وتعالى - أن يعيد على سيادتكم أمثال هذه الأيام المباركة بالخير والبركات، وأن ينعم عليكم بموفور الصحة والعافية. كما أدعوه - سبحانه وتعالى - أن ينعم على مصرنا الحبيبة وعلى الأمة العربية والإسلامية بمزيد من الخير والأمن والسلام.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

شيخ الأزهر الشريف
أ.د/ محمد سيد طنطاوى



تكريم أئمة الدورة التدريبية العالمية الرابعة والثمانين لأئمة العالم الإسلامى

كرم الأزهر أئمة الدورة التدريبية العالمية الرابعة والثمانين للأئمة والوعاظ الوافدين من العالم الإسلامى والتى بدأت فى الفترة من ١/ ١٠/ ٢٠٠٩ وحتى ٣١/ ١٢/ ٢٠٠٩، شهد الحفل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى ـ شيخ الأزهر رئيس اللجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر.

أقيم الحفل يوم الثلاثاء الموافق ٢٢/ ١٢/ ٢٠٠٩ بقاعة الاجتماعات بمشيخة الأزهر الشريف عقب أداء صلاة الظهر ـ حيث كرم فضيلته أعضاء الدورة البالغ عددهم ٢٠ إماما وواعظا من (الجزائر ـ السودان ـ نيجيريا ـ الهند ـ استراليا ـ باكستان) وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة أوضح فيها أن هذه الدورات لها أهمية كبرى فى صقل الأئمة والوعاظ من خلال المحاضرات التى يستمعون إليها، والمناقشات مع نخبة من كبار العلماء مما يجعلهم يسايرون نظم أساليب التقدم التى يشهدها العصر.

وقال إن هذه اللقاءات ذات فائدة عظيمة تجمعنا على طاعة الله، تتدارس فيها العلم وتتحاور ويستمع بعضنا إلى بعض، تتناقش فى أمور الدين والدنيا، وتتحاور، فى العقائد والمعاملات، فرسالتنا كدعاة هى الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ بالحكمة والموعظة الحسنة، نبين للناس وجه الإسلام السمح الذى يأمر أتباعه بأن يبنوا ولا يهدموا، يعمروا ولا يخربوا، يصلحوا ولا يفسدوا، يعملوا من أجل خدمة دينهم وأمتهم وينشرون مبادىء الإسلام السمحة على الناس، يدافعوا عن الحق ويقفوا فى وجه الباطل، فوظيفتنا أن نبين ما هو حق وندعو إليه ونحذر الناس من الباطل ونجتنبه، فالإسلام دين ينهى نهيا قاطعا عن الإرهاب الذى هو عدوان على الأنفس والأموال، فعلينا أن نجابه الباطل ونبين أن

الإسلام يمد يده بالسلام إلى كل من يمد يده إليه بالسلام، كما أكد فضيلة الإمام على أن الدراسة بالأزهر تقوم على الوسطية والسماحة والاعتدال، ونحن دائما نقول لأبنائنا وإخواننا عليكم أن تفهموا الإسلام فهما سليما حتى يسود الأمة الأمان والرخاء والثقة بين أبنائها من حاكمين ومحكومين، وأنهم رسل الأزهر فى بلادهم، وفى نهاية كلمته دعا فضيلة الإمام الأكبر للخريجين بدوام السداد والتوفيق فى عملهم وأن يتكاتفوا جميعا لنشر نعمة الأمان ونعمة السلام ونعمة الرخاء فى أوطانهم. وإذا أدينا كل ذلك بصدق فعلينا أن ننتظر الثواب والرحمة والله لا يضيع أجر من أحسن عملا. وفى ختام الاحتفال قام فضيلة الإمام الأكبر بتوزيع المكتبة الإسلامية التى تحتوى على أمهات الكتب وشهادات التقدير على أعضاء الدورة.

حضر الحفل فضيلة الشيخ محمد عبدالعزيز واصل وكيل الأزهر، وفضيلة الشيخ على عبدالباقى الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، والسادة سفراء الدول المشارك أبنائها فى الدورة.

الإمام الأكبر يستقبل رئيس الهيئة الإسلامية العليا للقدس

أستقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى ـ شيخ الأزهر الشريف بمكتبه يوم الثلاثاء الموافق ٢٩/ ١٢/ ٢٠٠٩ سماحة الدكتور عكرمة صبرى رئيس الهيئة الإسلامية العليا بالقدس وخطيب المسجد الأقصى ـ يرافقه الدكتور جمال عبدالسلام المدير العام باتحاد الأطباء العرب (لجنة القدس).



رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف فى الأزهر الشريف متمنيا للشعب الفلسطيني وحدة الصف ودوام الوفاق الوطنى وأن يكتب الله للفلسطينيين قيام دولة فلسطين المستقلة، كما دعا فضيلته الله ـ عزوجل ـ أن ينصر الأخوة الفلسطينيين على القوم الظالمين وأن يزيدهم الله ثباتا فى مقاومة الاحتلال.

ومن جانبه أبلغ الدكتور عكرمة صبرى فضيلة الإمام الأكبر باعتداءات الجيش الإسرائيلى على الفلسطينيين ومحاولتهم تهويد القدس والأراضى المقدسة كما قام الجيش الإسرائيلى بمنع الأخوة المسيحيين فى رام الله من دخول القدس والصلاة فى أعيادهم ومناسباتهم الدينية، وأننا والأخوة المسيحيين نعيش معا من خمسة عشر قرنا ذلك أن المسلمين والمسيحيين فى فلسطين فى خندق واحد.

كما أبلغ الضيف فضيلة الإمام بأن إسرائيل اعتبرت جميع المؤسسات التى تساعد وتدعم الفلسطينيين وتتواصل بالأعمال الخيرية مع مواطنى القدس هى منظمات إرهابية ومحظورة ومنها نقابة أطباء مصر (الإغاثة والطوارىء) ـ المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة ـ والعديد من المنظمات الخيرية الأخرى تعتبرها منظمات محظور التعامل معها.

ومن جانبه أبلغه فضيلة الإمام الأكبر بأننا لا نعترف بأقوالهم لأننا نتعاون مع المحتاجين ومن حقهم علينا أن نساعدهم كما أن نقابة الأطباء المصرية نقابة رسمية من عشرات السنين وهى تقدم كل إمكانيات المساعدات الطبية لنجدة وإسعاف المصابين ولذلك فإننا لم ولن نلتفت لما يقولونه ولا نلتزم به كما أننا من جانبنا سوف نبلغ وزارة الخارجية المصرية جهة الاختصاص بذلك.

ويستقبل سفير سلطنة عمان بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم الأحد الموافق ٢٧ / ١٢ / ٢٠٠٩ سعادة السفير الشيخ خليفة بن على عيسى الحارثى ـ سفير سلطنة عمان بالقاهرة وتأتى هذه الزيارة بمناسبة توليه العمل سفيرا لبلاده بجمهورية مصر العربية.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد السفير فى الأزهر الشريف، متمنيا لسيادته إقامة طيبة بالقاهرة والتوفيق فى عمله، كما قدم فضيلته شرحا موجزا عن تاريخ الأزهر والتعليم الذى يمتاز بالوسطية والاعتدال.

ومن جانبه شكر السيد السفير فضيلة الإمام الأكبر على إتاحة الفرصة له لهذا اللقاء واعتزازه بتواجده فى الأزهر الشريف وبلقاء شيخ الأزهر.



الإمام الأكبر يستقبل سفير فنلندا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى ـ شيخ الأزهر الشريف بمكتبه يوم الثلاثاء ٨ / ١٢ / ٢٠٠٩ السيد السفير روبرتو تانزى الى ـ سفير فنلندا بالقاهرة رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد السفير قائلا بأن الأزهر الشريف بابه مفتوح للسادة الضيوف فى أى وقت، وأن مثل هذه اللقاءات تؤكد على عمق الحوار وتزيد من معرفة بعضنا ببعض وأن الأزهر يؤيد الحوار الهادىء البناء لأنه أفضل الطرق للوصول للنجاح والتعارف بين الأفراد والشعوب، موضحا بأن الدراسة بالأزهر تقوم على الوسطية والاعتدال والبعد عن التعصب الأعمى والعنصرية البلهاء لأننا كمسلمين نؤمن بأن الناس جميعا من أب واحد وأم واحدة ونحن أخوة فى الإنسانية فكل إنسان يتعاون مع الآخر من أجل المصلحة العامة وتبادل المنافع التى أحلها الله.

ومن جانبه أعرب السيد السفير عن سعادته لإتاحة الفرصة له لهذا اللقاء وأبلغ فضيلة الإمام الأكبر تحية وشكر رئيسة جمهورية فنلندا على حفاوة استقبال الإمام الأكبر لسيادتها خلال زيارتها الأخيرة للقاهرة مؤكدا أنه يؤيد فضيلة الإمام الأكبر فى كل ما قاله بشأن الحوار موضحا أن بلاده يتعاون فيها كل أصحاب الأديان ولا توجد مشاحنات أو تصادم، وإنما زيارات متبادلة بين المسلمين والمسيحيين فى المساجد والكنائس حتى يكون هناك تسامح ومزيد من الحوار والتقارب بين الحضارات والثقافات، ومن خلال تعاون فنلندا مع الأزهر سيكون هناك المزيد من التقارب الذى يجعلنا نتوصل لنتائج إيجابية للحوار.

وأنهى السيد السفير اللقاء بشكره العميق على حفاوة اللقاء ومواقف فضيلة الإمام الأكبر الفعالة فى التعاون المثمر بين الأزهر الشريف ودولة فنلندا.



ويستقبل سفير إيران

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى ـ شيخ الأزهر ـ بمكتبه يوم الأربعاء الموافق ٩ / ١٢ / ٢٠٠٩ السيد السفير سيد راجبي ـ سفير إيران بالقاهرة يرافقه السيد سيد قاسم حسين مستشار السفارة بالقاهرة ـ وتأتى هذه الزيارة بمناسبة انتهاء عمله كسفير لبلاده بالقاهرة.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف فى الأزهر الشريف موضحا له بأننا جميعا أخوة فى الإسلام وتجمعنا الأخوة الصادقة وأن تقارب المسلمين وتوحدهم حول قضاياهم ومشكلاتهم وحماية مصالحهم أمر حتمى لمواجهة الأحداث والصراعات التى تسود العالم ولا يجوز أن تكون هناك خلافات تمنع اتفاق أبناء العقيدة الواحدة.

أشار فضيلته إلى أن المسلمين جميعا على اختلاف أجناسهم وألوانهم يتفقون حول أصول دينهم، وقد يختلفون فى بعض الأمور الفرعية التى لا تمس الجوهر ولا تعوق أى تعاون أو تقارب.

وقد أبدى فضيلة الإمام الأكبر استيائه لما حدث بالأمس من تفجير أودى بحياة الأبرياء فى العراق من الآمنين الذين لا ذنب لهم، وخاصة بعد أن أصبح الحكم فى أيدى العراقيين لأنه لا يوجد سبب يدعو إلى هذه التفجيرات، ونحن دائما نقول للعراقيين بأن يكونوا دولة واحدة متحدين، وأن يكون النقاش بالأدب والاحترام وتحت مظلة القانون، وأن يكون هناك مرونة للتفاهم لصالح العراق كشعب متحد متعاون على البر والتقوى لا على الأثم والعدوان؛ لأن ما

حدث ليس بسبب العقائد الدينية ولكنها بسبب العقائد السياسية؛ لأن الدين يقول من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فهو مسلم، وإن وجد خلاف فهو بعيد عن العقيدة، فنحن فى الأزهر مناهجنا معتدلة وتستهدف صالح بنى البشر؛ لأن الإسلام هو شريعة العدل المصحوب بالرحمة.

وتمنى فضيلة الإمام التوفيق للسيد السفير فى أداء عمله الجديد التى يتقلده بعد انتهاء عمله بمصر.

ومن جانبه أكد السفير الإيرانى على ضرورة التعاون الثقافى بين الأزهر الشريف والجامعات الإيرانية وخاصة فى مجالات تبادل الأساتذة والمعلومات والكتب الدراسية لأننا نريد أفكار الأزهر بسماحتها واعتدالها المأخوذة من الدين، مشيرا إلى أهمية تعزيز التعاون العلمى والثقافى والدينى بين الأزهر وبين المؤسسات التعليمية الإيرانية ورغب أن يتم الاتفاق على برامج لتبادل الأساتذة والعلماء بين الأزهر وجامعات إيران بخاصة فى علوم القراءات واللغة العربية والفقه المقارن.

الإمام الأكبر يستقبل وزير أوقاف كردستان

●● كما التقى فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى ـ شيخ الأزهر ومعالى وزير الأوقاف الكردستانى كامل حاج على عزيز والوفد المرافق له، وهى أول زيارة له بعد تسلمه مهام عمله كوزير للأوقاف والشئون الدينية بكردستان، حيث أبلغ تحيات حكومة وشعب إقليم كردستان لفضيلة الإمام الأكبر لما يقدمه الأزهر من جهد مخلص لخدمة الإسلام والمسلمين، وأن عقد الندوات والمؤتمرات هى فرصة لجمع كلمة المسلمين، كما أبدى إعجابه بالأماكن الحضارية والثقافية التى زارها بمصر وهو ما يظهر محافظة مصر على الفكر الإسلامى أمام العالم، وهى خطوة للخطاب الإسلامى الخالى من الصراعات الذى يوضح أن الأمة الإسلامية تتبنى إصلاح الخطاب الدينى لمواجهة التحديات التى تتعرض لها، كما رغب فى تدريب الأئمة والوعاظ العراقيين فى الدورات التى ينظمها الأزهر وقبول الطلبة العراقيين فى الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه) لأن الأزهر هو المرجعية الإسلامية التى تستقى منها علوم الدين بواسطيتها واعتدالها وهو صمام الأمان لعقيدة المسلم، كما طالب بإمدادهم بمحفظى القرآن الكريم.

ومن جانبه أوضح فضيلة الأمام الأكبر بأننا بتعاوننا فإن كل خير يأتى لدولة مسلمة جزء منه يأتى لدولة أخرى، كما أن الأخوة الإسلامية أقوى رباط، فنحن نتعاون على الحق والخير، وأن تكون كالبنيان المرصوص، لأن الظلم لا يدوم وإنما عاقبة الظلم الهوان والخسران والذل مهما تجبر المتجبر، ويظل فى النهاية الحق والعدل وأن الأخوة الصادقة هى منفعة للطرفين وأن التقريب والمصارحة والتعاون هم الطريق إلى نشر الخير، كما تمنى لمعالى الوزير دوام التقدم والرقى فى أداء مهامه.

الإمام الأكبر يستقبل سفير سنغافورة



كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه يوم الاثنين الموافق ١٤/١٢/٢٠٠٩ السيد السفير تان هنج سينج ـ سفير جمهورية سنغافورة بالقاهرة وقد أعرب السيد السفير أن هذه المرة الأولى التى يزور فيها الأزهر كسفير لبلاده بالقاهرة.

رحب فضيلة الإمام بالسيد السفير مشيدا بدولة سنغافورة التى يتعاون أبناؤها ليسود الأمن والأمان والاطمئنان والرخاء، لأنه تعاون للعمل من أجل نهضة سنغافورة، ونحن فى الأزهر نقول اعملوا من أجل نهضة بلادكم ونعلم طلابنا الذين يدرسون بالأزهر أن الناس جميعا أخوة فى الإنسانية، وأن الاختلاف فى العقائد لا يمنع من التعاون، وأن لكل إنسان عقيدته، وأن الذى يحاسب على العقائد هو الله ونرحب بطلاب وطالبات سنغافورة الذين يأتون للتعلم بالأزهر من أجل نشر الأمان والرخاء والاطمئنان حينما يعودون لبلادهم.

ومن جانبه شكر السيد السفير فضيلة الإمام على إتاحة الفرصة لهذا اللقاء مؤكدا بأن المواطن المصرى مهما سافر أو درس فهو فخور بمصريته، وأن همه هو العودة إلى مصر، وهذا يظهر الانتماء العام للمواطنة ويؤكد على دور الأزهر كمؤسسة دينية فى نشر الإسلام بسماحته واعتداله وأن تلك التعاليم كان لها التأثير الإيجابى على دول شرق آسيا الذين درسوا بالأزهر، كما أشاد بتأثير زيارة فضيلة الإمام الأكبر لسنغافورة فى مايو ٢٠٠٦ وبالكلمة التى ألقاها ومدى تأثيرها العميق على شعب سنغافورة لما لتلك الكلمة من آثار طيبة تحث على التعاون ونبذ الخلاف، وتؤكد على أن طلبة وطالبات سنغافورة الذين أتموا دراستهم بالأزهر هم خير دليل على الاستقرار الدينى بدولة سنغافورة، وأشار معالى السفير بأن المفتى ونائب المفتى بدولة سنغافورة هم من خريجى الأزهر.

وفى نهاية اللقاء تمنى السيد السفير إقامة حفل سنوى لطلبة وطالبات سنغافورة الذين تخرجوا فى الأزهر الشريف على أن يكون الحفل بحضور فضيلة الإمام الأكبر.

وقد أبدى فضيلة الإمام الأكبر تأييده لفكرة السيد السفير ووعده بحضور هذا الحفل حينما يتم التنسيق له.



ويستقبل سفير تايلاند

كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى، السيد نوبادون تيبيتاك ـ سفير تايلاند بالقاهرة ـ وذلك بمناسبة انتهاء عمله كسفير لبلاده فى جمهورية مصر العربية.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بسعادة السفير متمنيا له التوفيق دائما وأنه كان خير ممثل لأبناء بلده فى مصر، وأن التعاون واللقاءات كانت مثمرة وبناءة، حيث يوجد لتايلاند طلبة يدرسون بالأزهر الشريف وجامعته العريقة، أضاف فضيلة الإمام الأكبر بأن الأزهر الشريف دائما على استعداد لاستقبال سعادة السفير حينما يأتى لمصر فى أى وقت يشاء وأن مصر هى بلده الثانى، وأشار فضيلة الإمام بأنه سيرسل خطابا لجلالة الملك / بوميبول أدولياديت ـ ملك تايلاند للاطمئنان على صحته.

ومن جانبه شكر السيد السفير فضيلة الإمام الأكبر على حفاوة اللقاء مشيدا بأن العلاقة مع الأزهر يسودها الوئام والتفاهم ووضح ذلك من خلال زياراته المتكررة لمشيخة الأزهر وتعاون الأزهر البناء دائما، وقدم شكره لشيخ الأزهر الشريف وعلمائه لما يقدمه الأزهر الشريف لأبناء تايلاند الذين يتلقون علومهم بالأزهر.

أنباء مجمع البحوث الإسلامية

للأستاذين:
عبدالموجود أمين - يحيى سليمان

المؤتمر الرابع عشر لمجمع البحوث الإسلامية

قرر مجلس مجمع البحوث الإسلامية في جلسته الرابعة في دورته السادسة والأربعين المنعقدة في الرابع عشر من المحرم ١٤٣١هـ الموافق الحادي والثلاثين من ديسمبر ٢٠٠٩م عقد المؤتمر الرابع عشر في الثالث عشر من ربيع الأول ١٤٣١هـ الموافق السابع والعشرين من فبراير ٢٠١٠م.

تحت عنوان: (أصحاب رسول الله ﷺ) على أن تكون عناصره كالآتي:

١ ـ حديث القرآن عن الصحابة. لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر.

٢ ـ الصحابة وتدوين السنة للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم.

٣ ـ فقه الصحابة في فهم الآيات القرآنية والسنة في العقيدة والتشريع.. للأستاذ الدكتور/ عبد المعطي محمد بيومي.

٤ ـ الحكم الشرعي في التمثيل الدرامي لحياة الصحابة.. للأستاذ الدكتور/ عبد الله مبروك النجار.

٥ ـ مكانة الصحابة بين السنة والشيعة.. للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة مصطفى.

٦ ـ دور الصحابيات في نشر الدعوة لفضيلة الشيخ عمر الديب محمد محمود.

٧ ـ من صور الافتراء على الصحابة بين الماضي والحاضر في ضوء النقد العلمي.. للأستاذ الدكتور/ محمد الأحمدي أبو النور.

٨ ـ من مظاهر حب الصحابة للنبي «ﷺ».. للأستاذ الدكتور/ طه مصطفى أبو كريشة.

٩ ـ نماذج من اجتهاد الصحابة.. للأستاذ الدكتور/ محمد الشحات الجندي.

والله ولي التوفيق

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية يستقبل وفداً من كازاخستان

استقبل الشيخ علي عبد الباقي الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وفداً من دولة كازاخستان.. في بداية المقابلة رحب فضيلة الأمين العام بالوفد الكازاخستاني، ثم تطرق إلى أنه كان قد شهد في كازاخستان مع فضيلة الإمام الأكبر ومعالي وزير الأوقاف مؤتمر حوار الأديان، كما بين فضيلته قوة العلاقة بين الأزهر وكازاخستان، وأن هناك تعاوناً مستمرا بين البلدين، ويوجد للأزهر عشرة مبعوثين في العام الحالي ٢٠٠٩ / ٢٠١٠م على نفقته الخاصة للتدريس بجامعة نور مبارك، ويدرس بالأزهر الشريف حالياً (٣٥٣) طالباً من كازاخستان.

ثم تحدثت رئيس الوفد السيدة/ ZHANNA ONLASHEVA ـ وهي متخصصة في علوم التشريع بدرجة الدكتوراه ـ فشكرت فضيلة الأمين العام على حسن استقباله لهم، ثم أوضحت أن لجنة الشئون الدينية بوزارة العدل في كازاخستان هي المخولة بمراقبة الشئون الدينية وعمرها ثلاث سنوات فقط، وهي في العام القادم ستتحول إلى وزارة للشئون الدينية.

وقالت رئيسة الوفد: إن بكازاخستان مائة وخمسين جنسية وديانة مختلفة، ولذلك تُعنى لجنة الشئون الدينية بكل هذه الديانات والجنسيات، وتحت مراقبة هذه اللجنة توجد منظمتان:

الأولى: المركز الدولي الديني ومقره في قصر السلام.

والثانية: البحوث الدينية.


الشيخ/ علي عبدالباقي

وعدد الموظفين بهما ما بين تسعين ومائة موظف تقريباً. وبعد تفكك الاتحاد السوفيتي، أصبح وضع وعدد علماء الدين الإسلامي قليل جداً في كازاخستان، وفي هذا الصدد نود أن ينتشر الإسلام في بلادنا بشكل جديد ومعتدل.

والمركز الدولي الديني أحد قسميه هو الإسلام، ولذلك نتمنى التعاون بين المركز ومجمع البحوث الإسلامية.

ثم قدمت رئيسة الوفد مسودة باقتراح موضحا بها سبل وأطر التعاون بين المركز والمجمع.

ورداً على ما تفضلت بعرضه رئيسة الوفد، رحب فضيلة الأمين العام بهذا التعاون مع المركز الدولي الديني، ثم أوضح فضيلته أننا نؤمن ونقر مبدأ نود أن يكون أساس التعاون بيننا وهو أن الإنسان هو خلق الله، فلا نفرق بين مسلم وغيره في التعامل، وهذا ما نعلمه لأبنائنا حين يذهبون إلى الخارج، كما نعلمهم أن الاختلاف من السنن الكونية التي لا تتبدل ولا تتغير، قال تعالى:

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾

(هود: ١١٨)

فتوحيد العالم على ديانة واحدة ضد السنن الكونية، فرسالتنا قاصرة على توضيح العقيدة الإسلامية للمسلمين فى العالم حتى يحسنوا التعامل مع غيرهم، ونحن كرجال دين سيحاسبنا الله تعالى على عدم تحسين علاقتنا ببعض.

والإسلام لا يعرف التبشير، فالدين لله وهو الذى سيحاسب الجميع والمطلوب منا أن نعيش جميعاً فى سلام، ولذلك ندعو دائماً إلى عدم التعصب والتشدد ونبذ العنف حتى بين الأخ وأخيه وهذه هى رسالتنا.

ومن جانبها أعربت رئيسة الوفد عن سرورها لافتتاح جامعة نور مبارك، والتى معظم الأساتذة بها من الأزهر الشريف، ولهذا التعاون على المستوى الجامعى ومستوى المؤسسات التعليمية بكازاخستان، وقد قدمت شكرها لهذا الدعم والتعاون من جانب مصر والأزهر فى هذا المجال وعلاقة الإنسان بالإنسان.

ومن جانبه أوضح فضيلة الأمين العام أنه لا شكر على واجب فهذه رسالة الأزهر والأديان جميعا لتنظيم علاقة الإنسان بربه.

وقد طلب الوفد من فضيلة الأمين العام مزيداً من التعاون والدعم فى مجال الدعوة وتدريب الأئمة الكازاخستانيين.

وعلى الفور أمر فضيلة الأمين العام بمخاطبة اللجنة العليا للدعوة لمخاطبة كازاخستان لاستقدام خمسة أئمة من طرفهم لتدريبهم فى الدورة القادمة إن شاء الله تعالى.

وفى نهاية المقابلة قدمت رئيس الوفد هدية تذكارية لفضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، وتم التقاط بعض الصور التذكارية.

مكتبة الأزهر تستقبل وفدا من سلطنة عمان

استقبل الأستاذ / مهدى هادى محمود شلتوت الأمين المساعد لمجمع البحوث الإسلامية لشئون المكتبة الأزهرية وفدا من سلطنة عمان برئاسة سماحة الشيخ / أحمد بن سعود السيابى ـ الأمين العام لمكتب سماحة المفتى العام للسلطنة يرافقه وفد عالى المستوى من رجال الوعظ والإرشاد الدينى بالسلطنة حيث شاهد الوفد عرضا بالصالون الثقافى لكافة أقسام المكتبة والخدمات المقدمة بها للباحثين ومشروعات حفظ التراث الإسلامى المطبوع والمخطوط، ثم بعد ذلك قاموا بتفقد هذه الأنشطة على الطبيعة حيث أبدوا إعجابهم الشديد بما تقدمه المكتبة للباحثين والمطالعين ودورها فى حفظ التراث الإسلامى.

الترقيات الأدبية لوعاظ الأزهر

وافق فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر على البدء فى إجراء حركة الترقيات الأدبية للوعاظ بالأزهر الشريف، وسوف تجرى الاختبارات المؤهلة لهذه الترقيات فى النصف الأول من شهر فبراير ٢٠١٠م.. صرح بذلك فضيلة الشيخ / أحمد قنديل مدير عام شئون مناطق الوعظ.

٢١٧ طالبا فرنسيا يدرسون بالأزهر الشريف

بلغ عدد الدارسين بالأزهر الشريف من مسلمى جمهورية فرنسا وفقا للإحصاء الرسمى الصادر عن الإدارة العامة لشئون الطلاب الوافدين بمجمع البحوث الإسلامية ٢١٧ طالبا وطالبة موزعين على النحو التالى:

- القسم الابتدائى: ٧٣ طالبا، و٥٢ طالبة.
- القسم الإعدادى: ١٨ طالبا، و٨ طالبات.
- القسم الثانوى: ٢٠ طالبا، و١١ طالبة.
- الجامعة: ٢٤ طالبا، و٣ طالبات.

صرح بذلك فضيلة الشيخ رجب سليم مدير عام الإدارة العامة لشئون الطلاب الوافدين.

أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذين:
محمود الفشنى - أحمد رضوان

شقيق وزير بريطانى يعتنق الإسلام

اعتنق «آدم أوسبورن» الشقيق الأصغر لوزير خزانة الحكومة البريطانية جورج أوسبورن، الدين الإسلامى، وتزوج الطبيب الشاب «آدم أوسبورن» الذى أطلق على نفسه اسم «محمد» والبالغ من العمر ٣٣ عاما من الطبيبة راهاله نور ـ من أصل بنجلاديشى ـ البالغة من العمر ٣١ عاما، خلال احتفالين على مدار ستة أسابيع، الأول: كان احتفالا مدنيا، فى حين كان الثانى احتفالا آسيويا إسلاميا.

وقد أمضى «آدم» عدة أشهر لتعلم تعاليم الإسلام فى مسجد فى مدينة مانشستر قبل أن يعتنق الإسلام، وهو الآن يواظب على أداء الصلوات الخمس فى أوقاتها.

احتجاز رفات ٣٠٠ شهيد فلسطينى فى إسرائيل

كشف وزير شئون الأسرى والمحررين الفلسطينى عيسى قراقع، إن ما يقارب ٣٠٠ شهيد فلسطينى لاتزال سلطات الاحتلال تحتجز رفاتهم فيما يسمى مقابر الأرقام العسكرية داخل إسرائيل، وأن هناك مئات المفقودين من الشهداء الفلسطينيين والعرب مازال مصيرهم مجهولاً.

وأضاف قراقع عقب زيارته لمنزل الشهيد مشهور العارورى فى قرية عارورة برام الله والذى قررت سلطات الاحتلال تسليم جثمانه بعد ٣٣ عاما من استشهاده ـ أن إسرائيل تعاقب الأموات وليس فقط الأحياء، مرتكبة بذلك جريمة ومخالفة لأبسط القواعد والقوانين الدولية، مشيراً إلى أن احتجاز جثث الشهداء سنوات طويلة يلقى علامات الشك والاتهام بقيام إسرائيل بإخفاء جرائم ارتكبت بحقهم سواء من حيث إعدامهم ميدانياً بعد اعتقالهم، أو من حيث سرقة أعضاء من أجسادهم وإجراء تجارب طبية على جثثهم.

وطالب قراقع بإيلاء ملف الشهداء الاهتمام الكافي ووضع حد لهذه المأساة المؤلمة لمئات العائلات من ذوى الشهداء، والذين ينتظرون أن يتم دفن أبنائهم في مقابر معروفة وبما يليق بكرامتهم.

يذكر أن إسرائيل تحتجز رفات الشهداء الفلسطينيين والعرب في أربعة مقابر سرية داخل إسرائيل، وتضع أرقاما على هذه المقابر بدلاً من الأسماء.

ورابطة العالم الإسلامي تطالب بالتحقيق في سرقة أعضاء الشهداء الفلسطينيين

وصفت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي ما تناقلته وسائل الإعلام حول سرقة أعضاء بشرية من جثث الشهداء الفلسطينيين في معهد الطب الشرعي الإسرائيلي بأنها جريمة بشعة بحق الإنسانية وطالبت الرابطة منظمات حقوق الإنسان وهيئة الأمم المتحدة بالتحقيق ومعاقبة من يدان بهذه الجرائم النكراء ونوه البيان الذى أصدرته الرابطة إلى أن سرقة أعضاء الموتى من الجرائم التي يعاقب عليها القانون الدولي وطالب الأمم المتحدة بضرورة متابعة التحقيق ومعاقبة من يدان بذلك.

رداً على حظر بناء المآذن

د. التويجرى يدعو العالم الإسلامي إلى مقاطعة سويسرا تجارياً وسياحياً

دعا الدكتور عثمان التويجرى المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «إيسيسكو»، دول العالم الإسلامي إلى مقاطعة سويسرا تجاريا وسياحيا، وإلى سحب الأرصدة المالية من بنوكها، رداً على النتائج التي أسفر عنها الاستفتاء الذى جرى في سويسرا والقاضية بحظر بناء المآذن، وذلك بعد أن عبر الشعب السويسرى في الاستفتاء عن روح الكراهية والعداء للإسلام وللمسلمين.

وأكد التويجرى أن هذا الحظر لبناء المآذن، يتعارض كلياً مع القانون الدولي، ومع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ومع الاتفاقية الدولية للتنوع الثقافي، ومع المبادرة الدولية لتحالف الحضارات، ومع جهود المجتمع الدولي في مجال تعزيز الحوار بين الأديان والثقافات والتعايش السلمي بين الشعوب.

وقال: إن العالم الإسلامي مدعو إلى التحرك الإيجابي للرد على الاضطهاد الذى يتعرض له المسلمون في سويسرا، بالأسلوب المتحضر الملتزم بالقوانين الدولية، والذى يتمثل في المقاطعة المالية والتجارية والسياحية.

تحذيرات من تزايد حملات التنصير في اليمن

حذرت أوساط يمنية من تزايد نشاط الجمعيات التنصيرية في اليمن خلال الآونة الأخيرة بشكل لافت تحت مظلة العمل الخيرى والطبي والتعليمي، وكشف تقرير حديث صادر عن رابطة العالم

الإسلامي أن تلك الجمعيات استطاعت تنصير ١٢٠ يمنياً في محافظة حضرموت، إلى جانب أعداد أخرى من اللاجئين الصوماليين والإريتريين الموجودين في معسكرات اللاجئين جنوبي اليمن.

وأكد الداعية الإسلامي الشيخ عبدالمجيد الزنداني: أن اليمن يتعرض حالياً ـ أكثر من أى وقت مضى ـ لغزو تنصيرى تقوم به الجمعيات الأجنبية ذات الأهداف المشبوهة والمنتشرة في عدد من المحافظات بحجة تقديم الخدمات الطبية والإنسانية.

وتوجد حالياً في بعض المدن اليمنية العديد من الجمعيات التنصيرية ودور العبادة النصرانية وفي مقدمتها الكنيسة الأنجليكانية الكاثوليكية ـ كنيسة المسيح ـ في منطقة التواهي بعدن والتي تقدم خدمات طبية من خلال المركز الطبي الكنسي الملحق بها الذى افتتح في العام ١٩٩٥م.

وهناك جمعية «رسالات المحبة» التي تنشط بين المصابين بالجذام ويمتد نشاطها الواضح إلى صنعاء وتعز والحديدة، ومنظمة «أوكسنام» البريطانية التي تدعم المشروعات المتعلقة بالتنمية والتعليم والصحة، ومنظمة «رادابارز» التي تدعم مشاريع الطفولة، ومنظمة «مارى ستوبس» التي تدعم مشاريع تنظيم النسل والأمومة، والمركز السويدى لتعليم اللغة الانجليزية في تعز.

وبحسب الباحث في ملف التنصير في اليمن الدكتور محمد النعماني فإن الدعوة للنصرانية أمر مألوف في اليمن عموماً وفي صنعاء القديمة خصوصاً، حيث يفضل الكثير من الأجانب السكن في مبانيها التراثية العتيقة، ثم يقومون بتوزيع «الإنجيل» والمنشورات الدينية المحفزة على اعتناق النصرانية وترك الإسلام، موضحاً أن هذا الأمر «يلقى استجابة من بعض الشباب اليمني المحتاج».

جمعية إسلامية صينية تحتفل بتخريج ٨ آلاف إمام

احتفلت الجمعية الإسلامية لمنطقة «تينغشيا» ذاتية الحكم التي يقطنها غالبية أفراد قومية «هوى» أكبر القوميات المسلمة العشر الصينية بالذكرى السنوية الخمسين لتأسيسها وأعلنت الجمعية خلال الاحتفال عن أن أكثر من ٨ آلاف إمام مسلم في منطقة نينغشيا حصلوا على شهادات الإجازة الرسمية بعد اجتيازهم بنجاح كافة الامتحانات وذلك منذ أن بدأت المنطقة بإجراء هذه الامتحانات لإصدار شهادة الإمام من داخل البلاد في العام ١٩٨٥ وصرح هى فولى نائب رئيس الجمعية بأن هذه الامتحانات تشمل امتحانا تحريريا وشفويا لقياس مستوى المتقدمين ومدى إلمامهم بالأوضاع الراهنة في الصين والشئون الدينية الإسلامية والفقه والشريعة والسنة والعبادات والأحاديث النبوية. وتعد منطقة نينغشيا أكبر منطقة تتمركز فيها قومية هوى المسلمة التي يبلغ تعداد أفرادها ٢,١٧ مليون نسمة مشكلا ٣٥,٨ من إجمالي السكان في نينغشيا ويوجد بها حاليا ٣٧٦٠ مسجداً حسب الإحصاءات الرسمية أى بمعدل مسجد واحد لكل ٥٧٧ شخصا علاوة على ذلك تحوى المنطقة أكثر من ٥٠٠ موقع لأداء الأنشطة الدينية و٩٠ قبة ومصلى.

It is worth-mentioning in this respect that the dispute occurred in the British parliament around the world financial crisis. as some people condemned the economic system that started to appear in Europe three centuries ago with the English people. Then, it continued to exist in the military and cultural European imperialism to many parts of the world. This economy – as the members of the British parliament says – lacks the sound morals especially in two destroying diseases such as usury and the minority's control over money without considering the majority.

The British member repeated these words as if feeling guilty. It is as if this voice which echoed in the hall of the British Parliament speaks about the Islamic financial values that refuse decisively the usury in many verses of the Noble Quran to the extent that it threatened the moneylender with a war with Allah and His Messenger.

"So, in case you do not perform that, (then) take notice of a war from Allah and His Messenger (against you)". [Al-Baqara (The Cow): 279]

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was keen on alerting the Muslims in his speech on Arafat in his pilgrimage. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said, "I speak about the usury of the pre-Islamic era, and the first of which is that of my uncle Al-Abbas Ibn Abdul Mutaleb."[2] Thus, contemplate at the way the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) linked the usury with the pre-Islamic era, and the way it started with his uncle.

As for the disease that was mentioned in the British parliament is the minority's control over money. It is as if this person knew what the Noble Quran said in this respect. It said that money should not be restricted to some individuals only, as the function of money is human and social functions, and not exploitative and monopolistic. Allah, Glory be to him, says:

"Whatever (spoils) Allah has concede from the population of the towns, then that is for Allah and for His Messenger, and for the near kinsman, and the orphans, and the indigent, and the wayfarer, so that it may not (make) a circuit between the rich among you .

This media presents in the internet:

"The World Banks Union met in 24th of March, 2009 for presenting a solution for the world financial crisis. The experts expect that this meeting will result in decreasing the interests of the banks extremely. This is considered as a step towards the practical application of the Islamic economy, which is based on preventing usury. This matter is not limited to the attitude of the Western economists towards the Islamic economy. Moreover, we find that the biggest Christian institution in the West urges the economists to takel the bases of the Islamic economy into consideration. Vatican emphasized that the Western banks should contemplate at the Islamic financial bases of Islam to restore the trust of its customers amidst the world crisis.

The official newspaper of Vatican, known with "Osir Khator Romano" mentions:

"The moral instruction, on which the Islamic financial system focuses, is based on bringing the banks closer to the customers more than before. Moreover, these – Islamic – principles let these banks become attributed with the real spirit supposed to exist in every institution that presents financial services."

The newspaper added, "The Western banks should use tools such as long-term Islamic bonds to act as additional guarantees.

On the other hand, the Islamic economists emphasize that the best solution for this financial crisis that threatens the world economy lies in the Islamic economy. The Vatican's confession of the perfection of this economy is a clear evidence of the firmness and safety of its economic values.

Moreover, others mention that the capitalist system is based on the hidden hand aiming at profit by any means, and the socialist system is based on the cruel hand. However, the Islamic economy is based on morals and values in the first place[1]. Furthermore, Western institutions and organizations confessed that around 56 Islamic financial institutions in USA and Europe were less affected by the crisis to the extent that they were not affected by it. Moreover, the recommendations of the resources committee in the French Senate assured the necessity of following the Islamic financial system for correcting the errors of the practiced system.

Islamic Contemplations… In the World Crisis…!

Ustaz: Muhammad Mustafa Al-Basiouny

The one who thinks ill – and most of thinking ill is sinful- that Islam still needs evidence or proof is deluded. Perhaps because he is either doubtful or stubborn, as Islam, from the first moment of descending on Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) , was received by conscious minds, pure hearts and reassured souls directed by pure instinct, pious nature. The only persons who went far from Islam had blind eyes and hearts.

Islam expressed the decisive right word from Hira Mountain to earth and withstood in alertness in the house of Al-Arqam Ibn Abu Al-Arqam at the versant of As-Safa Mountain to advance quickly, confidently and without hesitance beside the Inviolable Home. It surprised the tyrannical and powerful people and perplexed the eloquent ones with its miraculous words that flowed strongly after the verse {Read} in Al-Alaq. Then, the denying people were not able to compete with this strong Divine flood with its miraculous verses, as they said in submission, "The verses of the Quran are very eloquent in a way that could not be reached."

This is the beginning of Islam that will end with the Day of Jugement in which the disbelievers will be punished and the believers will be rewarded. In this way, Islam continued in its path being led by the Noble Quran and the pure Sunna. This path is full of jihad by sword and soul. This path reveals with the Noble Quran the secrets of the universe that reveals the greatness of the Creator. We knew that the believers' strife was written in books and achievements although it left our world, leaving rare genius, witnessing the ability of Allah, Glory be to Him, as He:

"He brings the Wisdom to whomever he decides"

[Al-Baqara (The Cow): 269]

This strife inspired our contemporary poet:

The people are two kinds: dead in life.

And others are alive under the earth.

Islam is always a contemporary religion which is not limited to a certain age, as it is the religion of Allah, the Creator of ages and times. I am amazed as a Muslim and believer when the contemporary media presents the current financial crisis made by the human being with his stubborn thinking and ungrateful mind in a state of arrogance.

We are in dire need for human and Islamic frames to formulate frames belonging to the human goals and cultural firm facts to be able to control media means instead of controlling us with unhelpful local and global news. Also, they may include imported poisoned news, hiding certain goals related to the enemies of humanity, who spread injustice, racism, paganism, destructive attitudes, the enemies' behavior to implement their goals indirectly and without military encounters.

Certainly, if we spend the money we squander in broadcasting hours, filling them according to studied plans with programs that have human moral and interesting goals and concepts, we will succeed in making good use of media. Moreover, we can sponsor artists, intellectuals, men of letters, actors, directors, theatrical artists and the responsible for preparing the programs, who play their role in spreading culture and developing the awareness of the audience.

Moreover, we can direct many of these people to deal with media means positively. It is known that many of humanity advocators and moral reformers, who wanted to present bases and concepts – in media, cultural and herald fields – were directed – mostly – to enlightening the destructive movement for humanity, the cunning enemies' plan, intellectual, media and cultural invasions wearing deluding covers such as liberation and globalization.

They spend much time and effort in this field, forgetting that the basis of this attitude is the self-construction of the human being, humanity, forming human societies and deepening these concepts. We should not like the one who builds the fences before the house itself. It is natural that according to the life and work laws that humanity spends effort and time in building strong bases for fair, merciful and moral life. We should not start with building the fences before the house. Humanity is in dire need for building a new world based on sympathy, justice, morals and respect of religion and human facts.

Civilization dispute:

As the world became an electronic village that does not permit building obstacles for current media means, as they are able to enter any place with the air. Thus, it is foolish to dispel energy in something that does not take except 10% of the effort and time; while 90% is directed to building the media responsible that is able to present facts in accepted technical ways, in addition to building the society that has positive situation towards the good media and for refusal of spoiled media.

It is worth-mentioning that media with its general meaning and in its Islamic frame have met in the previous functions, along with the existence of more guarantees and controls in the Islamic media regarding the concepts of these functions. Both media met in the activity practiced by media throughout necessary attitudes that make it constructive and not destructive.

The most remarkable common attitudes of media are as follows:

1- Supplying the people with right news.

2- Right information.

3- Firmly-established facts to form general opinion around this information.

4- Objectivity, realism and impartiality.

5- Expressing the mentality, attitudes and trends of the audience and meeting their needs.

6- Clarity, contrary to ambiguity, and the ability to deal with the social spirit and current traditions.

7- Frankness, because it persuades the reader, listener or the viewer.

8- Accuracy in documentation, as we should mention the sources in each case.

9- Truthfulness in formulating news and presenting news.

10- Enlightening or culturing the nation.

11- Addressing minds not instincts.

Media in its ultimate meaning meets the Islamic media – necessarily – in the pillars of media, as it is a social phenomenon as follows:

Source, message, media, receiver, effect and feed back

These pillars represent the necessary media components. Media cannot ignore any of them, as they are entangled.

The media responsible is assigned to prepare and issue media message throughout any media means. This person should have the following attributes:

1- Talent in the field of media.

2- Enough experience in being based on scientific bases.

3- Enough general culture.

4- Understanding to the inner and foreign society issues.

5- Ability to be adapted to addressing the audience.

6- Morality.

7- Belief in the sublimity of his message.

The general human media and Islamic media agree on the necessity of these attributes in the media responsible. There are necessary and essential conditions for every media responsible. There are other conditions related to the Muslim media responsible such as believing in monotheism, Islamic Sharia and cultural message towards humanity.

However, we find many media responsibles selling their souls to the governing systems, directing them according to the necessary points of their job. What is worse is that some countries force the media responsible to be just a shadow, without opinion or responsibility. They may punish him severely for saying any sentence that does not satisfy them. It is not conditioned that this country is a developing country. A developed country – such as the USA – oppresses the media responsible to say what it wants, preventing him from mentioning any other facts.

This is the case we find in the oriented American media during Afghanistan, Iraq and Gaza wars. Also, we find the American media that follows the Zionistic media. This is the contemporary media catastrophe, as the media responsible loses his existence, making him just a horn.

Anyway, there is much similarity between human media from the theoretical point and the Islamic media. These circumstances do not permit commitment and made media operation loses some of its pillars such as the receiver and the message. These circumstances should be resisted from the whole world. Then, media will be truthful can carry out its message, which is local and universal at the same time.

The main media bases and concepts.

At the beginning, we should indicate that forming well-mannered media responsible – or the committed Muslim – is an essential work for the sake of enhancing mediation culture humanly throughout media means, as they are executive tools, having no awareness.

The committed media responsible with his moral and human message inspires them with spirit and awareness when he orients the tools to the direction of religion, so as the text does not become solid with tough lawful nature void of spiritual direction. It is known that even news agencies are affected by the human being, who formulates and adapts the news according to his goals and creeds.

The Common Bases Between the Human and Islamic Media…!

By: Dr. Abd Al-Halim Owis

At the beginning, media submits to the positive orientation, while the Islamic media submits to the religious orientation. However, there are common grounds and differences between the two media.

Media is the science that studies the communication among the human beings in awareness and consciousness. Also, it deals with the consequences and effects of this communication along with the time, place, quantitative and qualitative circumstances related to it. There is another definition for media or communication science that sees it as science of communication with the audience.

"It is the science that studies the social phenomenon, being represented in the communication among the audience after an organized study, without which no human group or social organization can live.

The definition of Autogart, the German scholar, is respected by the scholars, as he defined media saying, "It is the objective expression of the minds, spirit, attitudes of the audience at the same time."

Dr. Abd Al-Latif Hamza defined it saying, "It is providing the people with right news, sound information and firmly-established facts that help in forming sound opinion in an event or a problem. This opinion should express objectively the minds, attitudes and trends of the audience.

We can say that the contemporary functions of media can be recognized in a new way that depends on the expansion occurring in media means and the media service in the contemporary society.

We can limit the functions of media as follows:

1- Informative function.
2- Developing function.
3- Educational function.
4- Consultative or democratic function.
5- Entertainment function.
6- General services function.

Ibn Malik says, "I was walking with Allah's Messenger who was wearing thick cover. Then, an Arabian pulled him from his clothes and I looked at Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) finding that he was affected by the strong pull. Then, the Arabian said, "Muhammad, give me some money granted by Allah." Allah's Messenger looked at him and laughed, and then he ordered to give him."

O Allah's Messenger How much you suffered and forbore for the sake of Islam. You was hurt and tormented by your people, but you were patient and tolerable. When Jibril came with Death Angel to kill them for what they did with you, you forgave them saying, "O Lord! Forgive my people as they are ignorant." Then, you wished that their descendents become monotheist. Thus, Ikrema Ibn Abi Jahl and Abu Obaiyda (may Allah be pleased with them) were believers as you wished.

This is the greatness of the morals of the Prophet Muhammad and the Divine bringing up, the greatness of the sublime pattern of the human perfection. This is part of the reasons for the people's love for the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) and for their great dedication to obeying you and the instructions of Islam and doing their best in performing this.

Every one of us remember Dinari woman whose father, brother, husband and son were killed in Uhud battle. When she was informed with their death, she asked about Allah's Messenger. When she knew that he was doing well, she said, "I want to look at him." When she saw him, she said, "Praise be to Allah, every calamity is easy as long as you are unhurt."

Zaid Ibn Ad-Dethenn was followed by Safwan to kill him. They took him out of the Inviolable Mosque to kill him; and a group from Quraiysh gathered to see the matter, among whom was Abu Sufian. He told Zaid when he was about to be killed, "I ask you, do you like Muhammad to be killed while he is with us and you are among your family?" Zaid said, "I swear that I do not like that Muhammad becomes hurt in your place, while I sit with my family."

Abu Sufian was amazed and said, "I have never seen someone else in the way the companions of Muhammad like him. Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) was keen on honesty and faithfulness in everything he said and did. Thus, he was called in his youth the faithful and honest person.

The last Messenger is Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him), who was sent by Allah to the whole inhabitants of the earth after the Messengers and prophets were sent to their people only. This Message imposes on the human being the responsibility of setting up the civilizations. The mission of the human being is to inhabit the earth to set a sound human society to reveal that Allah's justice and wisdom on earth are not by power and oppression, but by educating and choosing.

"And in no way have We sent you except as a mercy to the worlds".

[Al-Anbia (The Prophets): 107]

Allah, Gory be to Him, selected Muhammad and made him an ideal pattern of morals. He brought him up perfectly and made him mercy for the whole humanity. He was really an ideal pattern of mercy, guidance and light for the whole people. He called them for justice, benevolence, care for relatives, patience, humbleness, generosity, shyness, truthfulness, honesty, kindness with the weak, forgiveness, abstinence and keeping promises. He taught them self control, controlling anger, abstention from rudeness and roughness, purifying hearts from spite, turning away from the ignorant and leaving wrangle and dispute.

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was attributed with cheerfulness and flexibility. He was not rude, rough, clamorous, insulting and joking. Allah, Glory be to Him, said in Al-Imran:

"So it was by some mercy from Allah that you have been lenient with them; and if you had been stern (and) harsh of heart, they would indeed have broken away from round about you. So be clement towards them, and ask forgiveness for them, and take counsel of them in the command. Yet when you are resolved, then put your trust in Allah; surely Allah loves the (ones) trusting (in Him". [Al Imran (The House of Imran): 159]

Allah's Messenger gained the love of the people by good morals and nobility. Moreover, he transferred his most bitter enemies from disbelief to belief by his mercy; rather he made them Islamic heralds.

"And not equal are the fair deed and the odious deed. Repel with that which is fairest; then, only then, he between whom and you there is enmity will be as if he were an intimate constant patron".[Fussilat (Expounded): 34]

Ghawrath Ibn Al-Harith descended suddenly upon the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), while he was sleeping under a tree at the time of midday and all of the people are asleep. The Prophet

noticed him with his sword directed to his head. He asked the Prophet, "Who will protect you from me?" Then, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said, 'Allah'. Then, the sword fell down from the hands of the Ghawrath who stood as if pined to the ground. The Prophet took the sword saying, "Who will protect you from me?" Ghawrath said, 'Be a good taker, son of Abdullah.' The Prophet left and forgave him. Then, Ghawrath was affected by this incident and became a herald to Allah's Messenger after he wanted to kill him. He went to his people saying, "I come to you from the best person created by Allah."

Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) regarded the entire people equal such as the comb teeth, as piety is the only distinguishing attribute between an Arabian and a non-Arab. Moreover, Allah's orders should be obeyed by every person without courtesy or partiality.

The clear evident for this attribute is his attitude towards Fatima Al-Makhzomiya when she stole. She had prestige and her tribe was at the top of the tribes at that time. Quraiysh could not believe that Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) cuts her hands. They asked Usamah Ibn Zaid to ask the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) not to cut her hand.

The Prophet condemned his deed saying, "Do you intercede for Allah's penalty?!" Then, he went out to the people saying, "I see the people intercede for Allah's penalty; Allah destroyed the previous peoples, who left the stealing

Prestious person and punished the weak one. I swear If Fatima Bent Muhammad stole, I will cut her hands."

Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) applies Allah's saying:

"Take to clemency, and command benevolence, and veer away from the ignorant" [Al-A`raf (The Battlement): 199]

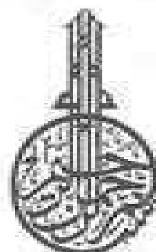
Also, Allah, Glory be to Him, said:

"And not equal are the fair deed and the odious deed. Repel with that which is fairest; then, only then, he between whom and you there is enmity will be as if he were an intimate constant patron".[Fussilat (Expounded): 34]

Furthermore, he applied this noble verse at the day of Mecca conquest, as he told the people who hurted and fought him, "Go, you are free." Anas

AL-AZHAR MAGAZINE

Safar, 1431 A. H.



ENGLISH SECTION

Feb. 2010

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

The Well-Mannered Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him)…!

(Mohammadun "salla Allahu Alayhi Wa Sallam" Dhul – Khuliqi Al-Azeem)

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon him) was sent as mercy for mankind as well as herald and harbinger. He set up the human civilization, progress and human improvement. He fulfilled his mission, advised the nation, set the divine educational instructions to take humanity to glory and the top of the intellectual spiritual and material civilization on the level of the individual and the society.

Islam, to which Muhammad called for, determined the ultimate level, set characteristics and enlightened the paths. He called the people to be guided by them and to utilize them. Moreover, it fixed for the people the straightforward path that guarantees their antecedence. Furthermore, it came with the rules that guaranteed the establishment of the ideal human society if the people abide by, giving them great opportunity to utilize the civilizations which they are permitted to follow their improvement and progress according to benefits.

Islam is the religion of the whole humanity and is a movement that includes creed and worship. It is political and social system that has integrated method. We can find some attributes in Islam that cannot be found in any other religion. It restored the dignity of the human being in life and urged the people to gain it. Islam is not a social phenomenon that resulted from ideas and human creations, but it is an independent fact. Thus, we should submit to its rules and instructions.

Allah sent this system frequently in different eras and times to various people and groups throughout Messengers and prophets.

"And decidedly no nation there is, except that there has passed in it a constant warner". [Fatir (The Originator): 24]

الفهـــــرس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ
بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾

(الإسراء : ٥٣)

خطبة الجمعة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
يوم ٢٠١٠/١/١٥ بنجع حمادى

الحمد لله رب العالمين - والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين - نحمده ونشكره - ونتوب إليه ونستغفره - ونسأله أن يهدينا جميعاً إلى صراطه المستقيم - نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم - ونشهد أن سيدنا وشفيعنا محمداً عبده ورسوله - سيد الداعين إلى الله على بصيرة والمجاهدين فيه بإحسان - اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون.

عباد الله - أوصيكم ونفسي بتقوى الله فإن تقوى الله هي خير وسيلة نتقدم بها إلى خالقنا يوم القيامة، يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه.

يا أتباع النبى - عليه الصلاة والسلام - اقتضت حكمة الله - عز وجل - أن يجعل الناس جميعاً من أب واحد وأم واحدة وقد أكد القرآن الكريم ذلك فى آيات متعددة منها قوله سبحانه فى أول آية من سورة النساء

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾

وفى آية أخرى نجد قول الله - عز وجل -:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

وسيدنا رسول الله - ﷺ - هو القائل «كلكم لآدم وآدم من تراب».. هذه الإخوة الإنسانية بين الناس جميعاً سواء من كان يعيش فى أقصى الشرق أم فى أقصى الغرب أم فى أقصى الشمال أم فى أقصى الجنوب، الناس جميعاً إخوة فى الإنسانية وإن اختلفت عقائدهم والاختلاف فى العقائد لا يمنع من التعاون، كل إنسان له عقيدته والذى يحاسب على العقائد هو الله - سبحانه وتعالى - وحده

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾

هذه الأخوة الإنسانية بين الناس جميعاً تستلزم من كل عاقل أن يكون إنساناً لا يعتدى ولا يسيء إلى غيره سواء أكان يتفق معه فى عقيدته أم كان

يختلف معه في عقيدته لأن شريعة الإسلام شريعة تقوم على العدل، تقوم على العدل في الأقوال

﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾

تقوم على العدل في الأحكام

﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾

تقوم على العدل في الشهادة

﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴾

أي أخلصوها لله ـ عز وجل ـ العدل مع القريب، ومع البعيد، مع الغني، ومع الفقير، مع الصديق ومع غير الصديق.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾

هكذا تقوم شريعة الإسلام ـ تقوم على العدل وعلى إعطاء كل ذي حق حقه ـ تقوم على التراحم بين الناس جميعاً وعلى الأخوة الإنسانية، وعلى التعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ـ وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة للناس جميعاً فأولى ثم أولى أن يكون ذلك الإخاء الإنساني الذي يقوم على التسامح وعلى التعاون وعلى تبادل المنافع التي أحلها الله ـ سبحانه وتعالى ـ فيما بيننا، لأننا مسلمين ومسيحيين نعيش على أرض واحدة، تظلنا سماء واحدة، نستنشق من هواء واحد، كل خير يأتي لمصر يأتي لنا جميعاً مسلمين ومسيحيين ـ كل من يحمل الجنسية المصرية يتساوى في الحقوق والواجبات.

المسلم يدفع الضرائب والمسيحي يدفع الضرائب، المسلم يدخل الجيش في سن معينة والمسيحي مثله يدخل الجيش في سن معينة، وعند الحروب يدخلها للدفاع عن مصر المسلم والمسيحي ويكونون إلى جانب واحد لأنهم أبناء وطن واحد وتجمعهم مصالح مشتركة، وعدالة الإسلام تقول المسلم إذا أحسن يكافأ على إحسانه والمسيحي إذا أحسن يكافأ على إحسانه والمسلم إذا أخطأ يحاسب على خطئه والمسيحي إذا أخطأ يحاسب على خطئه ـ مساواة تامة هي العدل بعينه هي السماحة بعينها ـ هي الاحترام المتبادل بين الأفراد لا يعتدي إنسان على آخر، ومن يقترف جريمة من الجرائم فهو الذي يحاسب على اقترافه لتلك الجريمة.

والقرآن الكريم بين ذلك لا أقول في آية ولا آيتين وإنما في عشرات الآيات، لا يحاسب إنسان إلا على عمله وعلى ما يرتكبه من سيئات أو من جرائم، كل إنسان يعاقب على ما اقترفه من سيئات، لكن لا يصح الاعتداء على غير ذلك الإنسان الذي ارتكب جريمة، لا يصح لا عقلاً ولا شرعاً ولا قانوناً ولا مروءة.

والقرآن الكريم يقول

﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾

أي لا تحمل نفس جريمة نفس أخرى أو حساب نفس أخرى

﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾

﴿ مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾

أي فعلى نفسه ـ

﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾

فالذين يرتكبون أبشع الجرائم ويقتلون أناساً آمنين لم يشتركوا في جريمة من الجرائم الإسلام بريء ممن يفعل ذلك ـ شريعة الإسلام بريئة ممن يعتدي على الآمنين الذين لم يرتكبوا جريمة من الجرائم، شريعة الإسلام بريئة كل البراءة ممن يعتدي على غيره، وشريعة الإسلام تبين لنا أن الظالمين المعتدين الذين يعتدون على غيرهم من الآمنين، هؤلاء هم كما قال الله ـ عز وجل ـ

﴿ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴾

والقرآن الكريم يقول

﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ﴾

والحديث القدسي يقول «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا».

ونقرأ القرآن الكريم فنجد أن القرآن الكريم يبين لنا أن من يعتدي على نفس واحدة بريئة لم ترتكب ما يوجب القصاص منها فكأنه قد قتل الناس جميعا

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾

من يعتدي على نفس بريئة لم ترتكب ما يوجب قتلها أو يوجب القصاص منها.

من قتل نفساً بغير نفس يعني من قتل نفساً لم تكن هذه النفس قد ارتكبت ما يوجب قتلها أو قتل نفساً لم ترتكب من الفساد ما يوجب قتلها، من فعل ذلك فكأنه قد قتل الناس جميعاً.

ومن بلاغة القرآن الكريم، ومن عدالة القرآن الكريم، ومن عدالة شريعة الإسلام، أن القرآن الكريم لم يحدد النفس، من قتل نفساً سواء أكانت هذه النفس لمسلم أم لمسيحي أم لغيرهما

النفس الإنسانية كرمها الله ومصونة،

نفس المسيحى مصونة كنفس المسلم، عرض المسيحى مصون كعرض المسلم، كرامة المسيحى مصونة ككرامة المسلم، لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ كرم الإنسان كإنسان:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾

هكذا نجد شريعة الإسلام فى عدالتها فى سماحتها تأمرنا جميعا بأن نعود أنفسنا على الكلمة الطيبة:

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾

هذه هى شريعة الإسلام تقوم على الإخاء الإنسانى بين الناس جميعاً، تقوم على العدل بحيث يأخذ كل إنسان حقه.

وانظر إلى القرآن الكريم عندما عبر أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها، ليس معنى من أحياها أى أعادها إلى الحياة لا.. ومن أحياها أى من تسبب فى منع القتل بأن حذر الظالم وقال له ابتعد عن الظلم أو بأن شهد شهادة الحق على القاتل وقال هذا قاتل ويجب أن تطبق عليه العقوبة ولا يكتم الشهادة كما قال ـ تعالى:

﴿ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾

فى هذه الحالة نجد القرآن الكريم بين لنا أن من ساعد، عن طريق النصيحة أو عن طريق الشهادة العادلة، أو عن طريق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، أو عن طريق كل ما يصون حياة الإنسان فكأنه أحيا الناس جميعا.

هكذا نجد شريعة الإسلام تأمر بالعدالة، تأمر بالإخاء الإنسانى، تأمر بالمعاملة الطيبة بين الناس جميعاً، لا فرق بين مسلم ومسيحى أو غيرهما، تنهى عن الاعتداء بكل صوره وبكل ألوانه حتى فى حالة الجهاد:

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ﴾

والقرآن الكريم يقول:

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾

ندعو الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يجعلنا جميعاً ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه:

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم، سلو ربكم التوفيق يستجب لكم.

الخطبة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا

نشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم.

نشهد أن سيدنا وشفيعنا محمدا عبده ورسوله بلغ الرسالة وأدى الأمانة وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ـ اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة.

يا أتباع النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ يجب علينا جميعا أن نكون من الذين يصلحون ولا يفسدون، من الذين يبنون ولا يهدمون، من الذين يتعاونون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

الأمة التى تسودها نعمة الأمان هذه الأمة التى تسودها نعمة الأمان يسودها أيضا الرخاء والاطمئنان والتقدم والرقى، لأن نعمة الأمان من أجل النعم ومن هنا نجد أن سيدنا إبراهيم اختار هذه النعمة لكى يدعو الله ـ سبحانه وتعالى ـ بها لأهل مكة:

﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾

وسيدنا يوسف عندما فارق أباه وفارق أخوته وجاء إلى مصر ومكن الله له فى الأرض وأرسل إلى أبيه وإلى إخوته لكى يأتوا إليه، إلى مصر وتلقاهم على مشارف مصر، ماذا قال لهم؟

قال لهم:

﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾

ولم يقل لهم ادخلوا مصر لتكونوا أغنياء أو لتكونوا كذا، لا.. لأن نعمة الأمان إذا سادت فى أمة صاحبها الرخاء.

الخائف لا يعمر، وإنما الذى يعمر هو الإنسان الآمن، الآمن على عرضه، الآمن على نفسه، الآمن على حقوقه، الإنسان الآمن هو الذى يبنى ولا يهدم، ويستطيع أن ينتج ويستطيع أن يستثمر ويستطيع أن يقدم الخير لأمته، أما الأمة التى يسودها والعياذ بالله التنازع والتخاصم والعنصرية البلهاء والعصبية الغبية التى تفرق بين الناس فى الحقوق والواجبات، الأمة التى كذلك من المستحيل أن تتقدم

لأن الله ـ عز وجل ـ هو القائل:

﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾

إننا جميعا يجب علينا أبناء مصر جميعا من مسلمين ومن مسيحيين يجب أن يكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ـ مرة أخرى أقول لأن كل خير يأتى لمصر يأتى لنا جميعا كمسلمين ومسيحيين وكل مصيبة والعياذ بالله تأتى إلى مصر ستصيبنا جميعا، والإسلام دين يعطى كل إنسان حقه ـ يعطى المسلم حقه ويعطى غير المسلم حقه، ويأمرنا بأن نتعاون جميعا، وأن تطبق الأخوة الإنسانية، ونحن أبناء مصر كلنا كما قلت تقلنا أرض واحدة ـ تجمعنا مصالح مشتركة تظلنا سماء واحدة، نستنشق من هواء واحد.

إذا من الواجب علينا أن لا ننسى أن نقول لهؤلاء القلة الجاهلة التى لا تفهم الإسلام افهموا الإسلام وعودوا إلى رشدكم وعودوا إلى صوابكم فإن العنصرية البلهاء والعصبية العمياء تؤدى إلى تأخر الأمم ولا تؤدى إلى تقدمها وإنما الذى يجعل الأمم تتقدم هو التعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان وأن يحترم كل إنسان غيره يعطيه حقه ـ دم المسلم كدم المسيحى مصون ـ عرض المسلم كعرض المسيحى مصون.

اللهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التى فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التى إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير واجعل الموت راحة لنا من كل شر.

اللهم لا تؤمنا مكرك ولا تولنا غيرك ولا تنزع عنا سترك ولا تجعلنا من الغافلين ـ اللهم جنب مصر الفتن ما ظهر منها وما بطن ـ اللهم جنب مصر الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم جنب مصر الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات ـ اللهم وفقنا جميعا لما تحبه وترضاه ـ اللهم وفق رئيس جمهوريتنا ووفقنا جميعا معه لما تحبه وترضاه.

عباد الله:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

اذكروا الله يذكركم واستغفروه يغفر لكم..

❀❀❀

بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

سكرتير التحرير

أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا

أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠-٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٢٦٣٨٥٩٩

ربيع الأول ١٤٣١هـ - مارس ٢٠١٠م - الجزء الثالث - السنة الثالثة والثمانون

افتتاحية العدد

فى ذكرى المولد النبوى

السيرة النبوية

للعلامة الكبير الأستاذ/ محمد فريد وجدى

يذكرنا شهر ربيع الأول بميلاد الرسول الأعظم وقد حرصت المجلة أن تقدم صحفا مختارة مما كتبه أفاضل الكتاب عن رسول الإسلام وكتاب السيرة النبوية فى ضوء العلم والفلسفة من أجمل ما كتب فى هذا المجال ولا نستطيع أن نأتى على فرائده ولكننا نشير إلى بعض ما جاء به ببعض التركيز.

لعل من أقوى ما كتبه الأستاذ فريد وجدى ما تحدث عن نفسية الرسول قبل النبوة وبعدها، ليرد على من يذهبون إلى أنه ادعاها ادعاء دون وحى منزل.. فيقول الكاتب: إن رسول الله ﷺ لم يشتهر قبل البعثة بين قومه بمميزات تدعوه إلى التطلع للرياسة الدنيوية. فقد كان لدى العرب قبل مبعثه من يتصدرون لكشف المستور بما يحترفون من قيافة أو كهانة أو طب وكان للناس فيهم معتقد كبير إذ يسألونهم عن المجهول فيجيبون، ولم يكن لمحمد صلة بهؤلاء حتى يتسامى للحديث عن عالم الغيب تبعا لكهانة أو سدانة، كما أن كل إنسان كتب له النبوغ فى عمل من الأعمال فإن دلائله تظهر عليه مبكرة منذ نشأته الأولى، وكلما تقدمت به السنون تضافرت الدلائل على موهبته حتى يصبح علما فى بابه، فى الخطابة أو الشاعرية أو الحكمة، ولكن نشأة


محمد فريد وجدى

محمد الأولى لم تكن لتدل على أنه يتهيأ لرسالة السماء فى شىء، ولم يظهر لديه أى ميل للتفكير فى هداية الناس إلا قبيل البعثة مباشرة، حين حببت إليه الخلوة فى (غار حراء) فكان يمكث وحده متأملا مفكرا فى ملكوت السموات والأرض يقول الكاتب الكبير [1] ببعض التصرف:

(إن هذه النفس الحائرة الثائرة التى لم تجد فى العالم المحسوس ما تعول عليه أخذت تتلمس بلال غلتها فى عزلة الكهوف وظلمة المغاور وهى محرومة من ملاذ المطاعم والمكاسب لهى نفس لم تطبع على غرار النفوس العادية، وإلا فماذا كان ينقص محمدا بعد أن بلغ مبلغ الرجال وأصبح له زوجة وأطفال حتى يؤثر حياة العزلة فى (حراء) على متع الحياة الاجتماعية؟! أكان يتطلع من وراء هذا الزهد إلى زيادة موارده المالية وتحقيق ذلك لا يكون إلا فى الأسواق العامة للتجارة دون الاعتزال؟!).

وبيئته العربية لم تكن لتهتم بالمسائل الروحية ولا ترى السيادة فى قريش لذوى التحنث والإخبات، فلماذا لجأ محمد إلى حراء قبيل البعثة؟ إن القلوب الكبيرة تلهم أنها مستقر لأسرار خطيرة وهذا ما ألهمه رسول الله ﷺ حين حببت إليه الخلوة فآثر الاعتزال.

لقد أصيب محمد بالخوف حين جاءه الملك لأول مرة فما سر ذلك؟ ثم أصيب بالحزن حين فتر عنه الوحى حتى عاد إليه فأمره بالدعوة إلى الإسلام! أيكون قد تخيل أو اختلط عليه؟ إن المتخيل والمختلط عليه لا يأتى بقرآن معجز محكم. وإنما قصاراه أن يهذى بما لا يفهم وقد جاء محمد -عليه الصلاة والسلام- بتجديد الدعوة الإلهية خالصة من الشرك ونجح أكبر النجاح فى تجلية حقائقها وإفحام خصومها. فكيف يكون مختلطا عليه فيما يبلغه للناس من كتاب الله. واختلط عليهم من الهاذين والمسحورين لا يأتون بعمل إيجابى؟!

(١) مجلة الأزهر: المجلد العاشر ص٤٠٧.

فى أمثال هذه المعانى كتب المؤلف فصلا عن دعوة محمد ﷺ إلى ربه. فند فيه كل شبهة يتفوه بها منكر. لينتهى إلى قوله الرائع -ببعض التصرف:

(اللهم ما أقوى سلطانك وأسطع برهانك، أمىّ فى أقصى بيئة عن العمران، وأبعد مكان عن معترك العقول، ومضطرب النظريات والمبادىء، وبين ظهرانى قوم لم يألفوا النظام، ولم يأنسوا بالوحدة، ينتدب أن يكون رسولا للناس كافة فيدعوهم للكلمة الجامعة، ملوحا لهم بالأصول الحكيمة لتحقيق هذا المأرب، الذى لم يطف بخيال فيلسوف ولا مصلح قبله، ومدللا على إمكانه بالأدلة القاطعة، ضاربا لهم المثل العملى بتأليف أمة عالمية ليس فيها ظل من نعرة القومية، ولا عصبية الجنسية، وبتوزيع العدالة، وجميع الحقوق المدنية بين الكافة بالسوية، أمة خالصة من جميع علل الاجتماع يسودها قانون أصوله الحقوق الطبيعية، رأس مالها المعرفة، دينها العقل، سلاحها الحكمة، غايتها المثل الأعلى- أمى فى أقصى بيئة عن العمران يأتى بكل هذا بنصوص صريحة لا تحتمل الصرف والتأويل لا يعقل أن يكون كل هذا من عنده! بل لابد أن يهبط عليه من عالم علوى، إذ هى أرقى مما سبقها من فلسفات الأقدمين مجموعة متضافرة، ومن العجيب أن موحى هذه التعاليم يقرر سبقها لزمانها وأن الناس سيعرفون فضلها بعد حين.

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ
وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾

(فصلت: ٥٣)

أى دليل على الوحى أقوى من هذا الدليل [٢].

بهذا المنطق المتسلسل دعم الأستاذ فكرة الوحى أولا وفكرة النبوة بعامة ثانيا، وفكرة نبوة محمد ﷺ ثالثا! فجلا القتام عن حقائق خافية وهدى إلى خير جزيل.

لقد كانت إحاطة المؤلف الكبير بشبهات الغرب حول رسالة نبى الإسلام وتوثبه

---

(٢) مجلة الأزهر: المجلد العاشر ص٤١٢.

لتفنيدها فى مدى تطاول إلى أكثر من نصف قرن، كانت هذه الإحاطة دافعة إلى وقوفه المتئد أمام ما يلوكونه من هذه الشبهة، وكانت للكاتب عفة قلم تجعل ألد خصومه يصيخون إليه فى احتفال كما كان منطقه بين الوضوح بحيث لا يجيز لنفسه أن يلجأ إلى الدروب الملتوية، والمسالك المعوجة ليحير مناظره، بل يلقاه على قارعة الطريق واضحا سافرا، يفجؤه بالرد الحاسم النافذ فى غير جلبة أو ضجيج، وإذا كان ادعاء هؤلاء المتخرصين قد تكاثر حول القول بأن محمدا ﷺ قد جاء فى فترة توثبت فيها الجزيرة العربية للنهوض وتطلعت إلى الإصلاح الدينى والاجتماعى والثقافى نافرة من جاهليتها الجهلاء، وقد لمس النبى هذا الشعور فقاده بسهولة جعلت رسالته هينة الأداء، سهلة المجتنى، لم ترهقه عسرا فى أمره حيث لم يزد فى منطق هؤلاء على أن قاد جماعة تريد أن تتجه إلى الإصلاح مشوقة إلى مشارق الضياء إذا كان هذا الادعاء قد تكرر لدى من يحاولون إنكار هذا الجهاد النبوى الشاق، وقد تواصوا به حتى أخذوا يكررونه كالشىء البدهى الذى لا يحتمل النقاش فإن الأستاذ فريد وجدى قد أعطى قدرة حاسمة على العصف بهذا الادعاء الواهم حين قال: إن هؤلاء المضللين قد نسوا أنه لو كان الأمر كما يزعمون لما استنكر المشركون دعوة الرسول ﷺ، ولا التفوا حوله مذعنين، ولكن بيئة النبى فى مكة وهى أرقى قبائل العرب إدراكا قد ثار ثائرها وجن جنونها وطفقت تحارب الرسول ﷺ وتابعيه بالاستهزاء والإيذاء والاضطهاد والمقاطعة حتى اضطر المضطهدون إلى الهجرة مرتين إلى الحبشة، وبعد أن عانى المسلمون ما عانوا من عتو قريش فروا مهاجرين بدينهم إلى المدينة وما كاد الرسول ﷺ يقيم مع أصحابه فى يثرب حتى تعرض لحروب طاحنة مع المشركين، فهل يعقل أن يكون هؤلاء الذين حاربوا محمدا بالسيف والدم كانوا يتطلعون إلى دعوته كى تقودهم إلى النور، فلما هتف بها انجذبوا إليه طائعين؟

يقول الأستاذ فريد وجدى فى شرح هذه القضية -ببعض التصرف القليل-:

(هل لم يبلغ الخصوم أن قريشا وهى القبيلة التى يرجى أن تكون قد شعرت قبل غيرها بعوامل التوحد والنهوض قد بقيت محاربة للدعوة الإسلامية تؤلب عليها العرب، وتجمع لها الجموع وتقصد بهم قاعدتها بيثرب لتبيد خضراءهم فيها، حتى

شارف صاحب الدعوة ﷺ أن يدعى إلى الرفيق الأعلى، ولولا أنه رأى وجوب فتح مكة عنوة لبقيت جرثومة الكفر فيها تثير على خلفائه الحروب وتنفر منهم القلوب، فإذا كانت في بلاد العرب هذه الفكرة عن النهوض أكانت تتخطى صميم العرب من: قريش، وخزاعة، وتميم، وهوازن، وتأوى إلى أهل يثرب؟ وإذا كانت هذه الفكرة قد جالت في رءوس بعض مفكريهم فماذا قالوا فيها من شعر ونثر، وقد تكلموا في كل شيء حتى الفسق والفجور، الحق الذى لا مرية فيه أن بلاد العرب قد خلت من هذه الدعوة العامة إلى التوحيد ولو وجدت لوصلتنا أنباؤها، إذ لا يمكن أن تظل خفية فهى شعور تولده الحاجة في الجماعات! أما وقد ثبت ذلك بكل دليل فإن مصداقه من القرآن قول الله تعالى:

﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾

(القصص: ٤٦)

هذا الاعتراض المتردد في دوائر الاستشراق قد تكرر رد الأستاذ فريد وجدى عليه أكثر من مرة فيما كتب من موضوعات السيرة، كما كرره في مقالات أخرى سبقت نشر هذه البحوث بسنوات، إذ كان لا يترك مناسبة تعن حتى يفرد المقالات الضافية يتحدث عن أثر الإسلام في إصلاح المجتمع الإنسانى!

وكان على الأستاذ -رحمه الله- أن يشير في هذا الموضع إلى من عرفوا في الجاهلية قبيل الدعوة بالحنفاء وهم بضعة نفر لا يزيدون على خمسة أشخاص كانوا يتعبدون على دين إبراهيم -عليه السلام- وقد خاصمهم الجاهليون وأعرضوا عنهم لائمين، فكانت عبادتهم خاصة بهم، ولعل الأستاذ حين قال: إن بلاد العرب قد خلت من هذه الدعوة العامة، كان يدرك أن دعوة الحنفاء كانت خاصة بهم، فليس لها شيء من هذا العموم، ولعلى قرأت له في غير هذا المجال ما يشير إلى دعوة الحنفاء، وتلاشى تأثيرها في غير أصحابها وهم لا يتجاوزون أصابع اليد الواحدة! ولو كان محمدا ﷺ واحدا

منهم فقط لما زاد عليهم في شيء، ولكن الله قد اختصه برسالته فجاهد وناضل حتى أخرج بها الناس إلى النور من حوالك الظلام.

تابع الأستاذ أحداث السيرة فتكلم عن نشأة النبى ﷺ قبل البعثة، ثم عن جهاده في أداء الرسالة عقبيها، وعما تعرض له من الإيذاء والاضطهاد صابرا مثابرا، وعمن أسلموا معه وشاركوه عبء الجهاد مقتدين به، وإذا كان ذلك معروفا لدارسي السيرة النبوية، فلا مناص للأستاذ من ذكره ليحلل ما تضمن من عظات، ويثير ما خفى من دلائل حتى إذا انتهى من هذا السرد الواضح المؤثر في غير جلبة رنانة، بل في هدوء واثق مطمئن، عقد فصلا رائعا تحت عنوان: «نظرة في مناهضة المشركين للدعوة الإسلامية» كرر فيه ما سبق أن قاله بشأن مقاومة الجاهلين للرسالة المحمدية، ودلالتها على عدم تهيؤ الجو الاجتماعى للدعوة تلقائيا دون وحى منزل كما تحدث عن صلابة الذين دخلوا في الإسلام بحيث لم تستطع أعنف ضروب الإيذاء أن تصدهم عن الدين الجديد وقد يكون الحديث في هذه الناحية غير جديد.

أما الجديد فهو ما شرحه الأستاذ خاصا بما أحدثه الإسلام من انقلاب لا نظير له في النفس العربية، إذ أيقظ فيها العاطفة الدينية بعد همود، لأن العرب في مكة وما حولها لم يخضعوا لأناس يتخصصون في شئونهم الدينية ويقومون بالدعاية لها كما عهد لدى المتدينين في أكثر بقاع العالم، كما لم يكن لديهم صحف أو نقوش تسجل ما يقومون به من الشعائر الدينية، وهذا يدل على أنهم يعبدون أصنامهم عن تقليد متوارث من ناحية وعن ضعف الشعور الدينى عامة من ناحية ثانية، فإذا استطاع الإسلام أن يبعث شعورا دينيا جديدا كالذى بعثه رسول الله ﷺ في مثل هذه البيئة ذات العبادة المظهرية فحسب، فذاك انقلاب خطير لا يعهد نظيره في تاريخ البشرية، فإذا أضيف إليه غلبة الدعوة الإسلامية على ما عداها في حياة رسولها المحدودة فقد تمت المعجزة الخارقة للدين، لأن ما تقدم الإسلام من دعوات دينية لم تتح له السيطرة التامة في حياة رسوله ﷺ، بل مضت حقبة طويلة حتى استطاع أتباع هذا الدين نشره على فترات ذات أبعاد، فالسرعة العاجلة في انتشار الدعوة آية من كبرى آياتها الخوالد.

د./ محمد رجب البيومى

تفسير سورة النساء

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال تعالى:

﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

الآية (٢٤)

بين - سبحانه - نوعاً سابعاً من المحرمات فقال:

﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾

وقوله ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ ﴾ من الإحصان وهو في اللغة بمعنى المنع.. يقال: هذه درع حصينة، أى مانعة صاحبها من الجراحة.. ويقال: هذا موضع حصين، أى مانع من يريده بسوء.. ويقال امرأة حصينة أى مانعة نفسها من كل فاحشة بسبب عفتها أو حريتها أو زواجها.

قال الراغب: ويقال حصان للمرأة العفيفة ولذات الحرمة.. قال - تعالى -:

﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾

(التحريم: ١٢)

وقال - تعالى - ﴿ فَإِذَا أُحْصِنَّ ﴾ أى تزوجن.. وأحصن زوجن.

والحصان في الجملة: «المرأة المحصنة إما بعفتها أو بتزوجها أو بمانع من شرفها وحريتها»[1] والمراد بالمحصنات هنا: ذوات الأزواج من النساء.

وقوله:

﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ ﴾

معطوف على قوله ﴿ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ في قوله - تعالى -: في آية المحرمات السابقة

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ إلخ.

والمعنى: وكما حرم عليكم نكاح أمهاتكم وبناتكم إلخ، فقد حرم عليكم - أيضاً نكاح ذوات الأزواج من النساء قبل مفارقة أزواجهن لهن، لكى لا تختلط المياه فتضيع الأنساب..

وقوله:

﴿ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾

استثناء من تحريم نكاح ذوات الأزواج، والمراد به: النساء المسبيات اللاتى أصابهن السبى ولهن أزواج في دار الحرب، فإنه يحل لمالكيهن وطؤهن بعد الاستبراء، لارتفاع النكاح بينهن وبين أزواجهن بمجرد السبى.. أو بسبيهن وحدهن دون أزواجهن.

أى: وحرم الله - تعالى - عليكم نكاح ذوات الأزواج من النساء، إلا ما ملكتموهن بسبى فسباؤكم لهن هادم لنكاحهن السابق في دار الكفر، ومبيح لكم نكاحهن بعد استبرائهن.

قال القرطبى ما ملخصه: فالمراد بالمحصنات ها هنا ذوات الأزواج.. أى هن محرمات إلا ما ملكت اليمين بالسبى من أرض الحرب، فإن تلك حلال للذى تقع في سهمه وإن كان لها زوج، وهو قول الشافعى في أن السباء يقطع العصمة.. وقال ابن وهب وابن عبدالحكم ورروياه عن مالك، وقال به أشهب يدل عليه ما رواه مسلم في صحيحه عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ بعث جيشاً يوم حنين إلى أوطاس فلقوا العدو فقاتلوهم وظهروا عليهم وأصابوا لهم سبايا.. فكان ناس من أصحاب النبى ﷺ قد تحرجوا من غشيانهن من أجل أزواجهن من المشركين.. فأنزل الله - عز وجل - في ذلك:

﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾

أى فهن لكم حلال إذا انقضت عدتهن، وهذا نص صحيح صريح في أن الآية نزلت بسبب تحرج أصحاب النبى ﷺ عن وطء المسبيات ذوات الأزواج فأنزل الله في جوابهم

﴿ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾

وبه قال مالك وأبو حنيفة وأصحابه والشافعى وأحمد وإسحق وأبو ثور، وهو

---

(١) المفردات في غريب القرآن ص١٢١ للراغب الأصفهانى.

الصحيح - إن شاء الله تعالى -[٢].

وقيل إن المراد بالمحصنات هنا: ذوات الأزواج - كما تقدم -، وبما ملكت أيمانكم: مطلق ملك اليمين.. فكل من انتقل إليه ملك أمة ببيع أو هبة أو سباء أو غير ذلك وكانت متزوجة كان ذلك الانتقال مقتضياً لطلاقها وحلها لمن انتقلت إليه.

وهذا القول ضعيف، لأن عائشة - رضى الله عنها - اشترت بريرة وأعتقتها وكانت ذات زوج، ثم خيرها النبي ﷺ بين فسخ نكاحها من زوجها وبين بقائها على هذا النكاح، فدل ذلك على أن بيع الأمة ليس هادماً للعصمة، لأنه لو كان هادماً لها ما خير النبي ﷺ بريرة.

أخرج البخارى عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: اشتريت بريرة.. فاشترط أهلها ولاءها.. فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: «أعتقيها فإن الولاء لمن أعطى الورق».

قالت: فأعتقتها.. قالت: فدعاها رسول الله ﷺ فخيرها فى زوجها، فقالت: لو أعطانى كذا وكذا ما بت عنده.. فاختارت نفسها»..

وقوله - تعالى -:

﴿ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ ﴾

ساقه - سبحانه - لتأكيده تحريم نكاح الأنواع التى سبق ذكرها.

وقوله ﴿ كِتَٰبَ ﴾ مصدر كتب، وهو مصدر مؤكد لعامله أى: كتب الله عليكم تحريم هذه الأنواع التى سبق ذكرها كتاباً وفرضه فرضا، فليس لكم أن تفعلوا شيئاً مما حرمه الله عليكم، وإنما الواجب عليكم أن تقفوا عند حدوده وشرعه.

وقيل: إن قوله ﴿ كِتَٰبَ ﴾ منصوب على الإغراء.. أى: الزموا كتاب الله الذى هو حجة عليكم إلى يوم القيامة ولا تخالفوا شيئاً من أوامره أو نواهيه.

وعليه فيكون المراد بالكتاب هنا القرآن الكريم الذى شرع الله فيه ما شرع من الأحكام.. وإلى هنا تكون هذه الآيات الثلاث قد بينت خمسة عشر نوعاً من الأنكحة المحرمة..

أما الآية الأولى وهى قوله - تعالى -:

﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم ﴾

إلخ. فقد بينت نوعاً واحداً.

وأما الآية الثانية وهى قوله - تعالى -:

﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ ﴾

إلخ فقد بينت ثلاثة عشر نوعاً.

وأما الآية الثالثة وهى قوله - تعالى -:

﴿ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾

إلخ فقد بينت نوعاً واحداً.

قال الفخر الرازى عند تفسيره لقوله - تعالى -

﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ ﴾

الآية: «اعلم أنه - تعالى - نص على تحريم أربعة عشر صنفاً من النساء: سبعة منهن من جهة النسب وهن: الأمهات والبنات والأخوات والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت.

وسبعة أخرى لا من جهة النسب وهن: الأمهات من الرضاعة والأخوات من الرضاعة، وأمهات النساء والربائب بنات النساء بشرط أن يكون قد دخل بالنساء، وأزواج الأبناء والآباء إلا أن أزواج الأبناء مذكورة ها هنا، وأزواج الآباء مذكورة فى الآية المتقدمة، - وهى قوله تعالى -

﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾

والجمع بين الأختين[٣].

هذا، وبعد أن بين - سبحانه - المحرمات من النساء، عقب ذلك بإيراد جملة كريمة بين فيها ما يحل نكاحه من النساء فقال - تعالى -:

وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ

و﴿ مَّا ﴾ هنا المراد بها عموم النساء..

وكلمة ﴿ وَرَآءَ ﴾ هنا بمعنى غير أو دون كما فى قول بعضهم: «وليس وراء الله للمرء مذهب».

واسم الإشارة ﴿ ذَٰلِكُمۡ ﴾ يعود إلى ما تقدم من المحرمات.

والجملة الكريمة معطوفة على قوله

﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ ﴾ إلخ.

ومن قرأ ﴿ أَحَلَّ لَكُم ﴾ ببناء الفعل للفاعل جعلها معطوفة على كتب المقدر فى قوله:

﴿ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ ﴾

والمعنى: حرمت عليكم هؤلاء المذكورات، وأحل لكم نكاح ما سواهن من النساء.

قال القرطبى: قوله - تعالى -:

﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ ﴾

قرأ حمزة والكسائى وعاصم رواية حفص ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم ﴾ ردا على ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ ﴾ وقرأ الباقون بالفتح ردا على قوله - تعالى - ﴿ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ ﴾.. وهذا يقتضى ألا يحرم من النساء إلا من ذكر، وليس كذلك، فإن الله - تعالى - قد حرم على لسان نبيه ﷺ من لم يذكر فى الآية فيضم إليها.. قال - تعالى -:

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾

(الحشر: ٧)

روى مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها».. وقد قيل: إن تحريم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها متلقى من الآية نفسها، لأن الله - تعالى - حرم الجمع بين الأختين، والجمع بين المرأة وعمتها - أو

(٢) تفسير القرطبى جـ٥ ص١٢٦.

(٣) تفسير الفخر الرازى جـ١٠ ص٣٤.

خالتها ـ في معنى الجمع بين الأختين، أو لأن الخالة في معنى الوالدة والعمة في معنى الوالد والصحيح الأول: لأن الكتاب والسنة كالشيء الواحد فكأنه قال: «أحللت لكم من وراء من ذكرنا في الكتاب وما وراء ما أكملت به البيان على لسان محمد ﷺ»[٤].

ثم رفع ـ سبحانه ـ من شأن المرأة وكرمها بأن جعل إيتاءها المهر شرطا لاستحلال نكاحها إعزازا لها فقال ـ تعالى ـ:

﴿ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ﴾

وقوله: ﴿ تَبْتَغُوا ﴾ من الابتغاء بمعنى الطلب الشديد.

وقوله: ﴿ مُّحْصِنِينَ ﴾ من الإحصان وهو هنا بمعنى العفة وتحصين النفس ومنعها عن الوقوع فيما يغضب الله ـ تعالى ـ.

وقوله: ﴿ مُسَافِحِينَ ﴾ من السفاح بمعنى الزنا والمسافح: هو الزاني، ولفظ السفاح مأخوذ من السفح وهو صب الماء وسيلانه، وسمى به الزنا، لأن الزاني لا غرض له إلا صب النطفة فقط دون نظر إلى الأهداف الشريفة التي شرعها الله وراء النكاح.

وقوله ﴿ أَن تَبْتَغُوا ﴾ في محل نصب بنزع الخافض على أنه مفعول له لما دل عليه الكلام و﴿ مُّحْصِنِينَ ﴾ و﴿ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ﴾ حالان من فاعل ﴿ تَبْتَغُوا ﴾.

والمعنى: بين لكم - سبحانه - ما حرم عليكم من النساء، وأحل لكم ما وراء ذلكم، من أجل أن تطلبوا الزواج من النساء اللائي أحلهن الله لكم أشد الطلب، عن طريق ما تقدمونه لهن من أموالكم كمهور، وبذلك تكونون قد أحصنتم أنفسكم ومنعتموها عن السفاح والفجور والزنا.

قال بعضهم: وكان أهل الجاهلية إذا خطب الرجل منهم المرأة قال: انكحيني، فإذا أراد الزنا قال: سافحيني، والمسافحة أن تقيم امرأة مع رجل على الفجور من غير تزويج صحيح.

قال الآلوسي: وظاهر الآية حجة لمن ذهب إلى أن المهر لابد وأن يكون مالاً وبه قال الأحناف، وقال بعض الشافعية: لا حجة في ذلك، لأن تخصيص المال لكونه الأغلب المتعارف، فيجوز النكاح على ما ليس بمال، ويؤيد ذلك ما رواه الشيخان وغيرهما عن سهل بن سعد «أن رسول الله ﷺ سأل رجلا خطب الواهبة نفسها للنبي ﷺ ماذا معك من القرآن؟ قال: معي سورة كذا وكذا وعددهن، قال: تقرؤهن على ظهر قلبك؟ قال: نعم قال: اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن».

ووجه التأييد أنه لو كان في الآية حجة لما خالفها رسول الله ﷺ وأجيب بأن كون القرآن معه لا يوجب كونه بدلاً، والتعليم ليس له ذكر في الخبر، فيجوز أن يكون مراده ﷺ: زوجتك تعظيما للقرآن ولأجل ما معك منه»[٥].

(٤) تفسير القرطبي جـ٥ ص١٢٤.

ثم قال - تعالى - :

﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾

والاستمتاع: طلب المتعة والتلذذ بما فيها منفعة ولذة.

والمراد بقوله ﴿ أُجُورَهُنَّ ﴾ أي مهورهن لأنها في مقابلة الاستمتاع فسميت أجراً.

و﴿ مَا ﴾ في قوله:

﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ ﴾

واقعة على الاستمتاع، والعائد في الخبر محذوف أي فآتوهن أجورهن عليه.

والمعنى: فما انتفعتم وتلذذتم به من النساء عن طريق النكاح الصحيح فآتوهن أجورهن عليه.

ويصح أن تكون ﴿ مَا ﴾ واقعة على النساء باعتبار الجنس أو الوصف، وأعاد الضمير عليها مفرداً في قوله ﴿ بِهِ ﴾ باعتبار لفظها، وأعاده عليها جمعاً في قوله ﴿ مِنْهُنَّ ﴾ باعتبار معناها، ومن في قوله ﴿ مِنْهُنَّ ﴾ للتبعيض أو للبيان، والجار والمجرور في موضع النصب على الحال من ضمير ﴿ بِهِ ﴾.

والمعنى: فأي فرد أو الفرد الذي تمتعتم به حال كونه من جنس النساء أو بعضهن فأعطوهن أجورهن على ذلك، والمراد من الأجور: المهور، وسمى المهر أجراً، لأنه بدل المنفعة لا عن العين.

وقوله ﴿ فَرِيضَةً ﴾ مصدر مؤكد لفعل محذوف أي: فرض الله عليكم ذلك فريضة، أو حال من الأجور بمعنى مفروضة، أي: فآتوهن أجورهن حالة كونها مفروضة عليكم.

ثم بين - سبحانه - أنه لا حرج في أن يتنازل أحد الزوجين لصاحبه عن حقه أو عن جزء منه مادام ذلك حاصلاً بالتراضي فقال - تعالى - :

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

أي: لا إثم ولا حرج عليكم فيما تراضيتم به أنتم وهن من إسقاط شيء من المهر أو الإبراء منه أو الزيادة عليه ما دام ذلك بالتراضي بينكم ومن بعد اتفاقكم على مقدار المهر الذي سميتموه وفرضتموه على أنفسكم.

وقد ذيل - سبحانه - الآية الكريمة بقوله:

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

لبيان أن ما شرعه هو بمقتضى علمه الذي أحاط بكل شيء، وبمقتضى حكمته التي تضع كل شيء في موضعه.

فأنت ترى أن الآية الكريمة مسوقة لبيان بعض الأنواع من النساء اللاتي حرم الله نكاحهن، ولبيان ما أحله الله

(٥) تفسير الآلوسي جـ٥ ص٥.

منهن بعبارة جامعة، ثم لبيان أن الله- تعالى- قد فرض على الأزواج الذين يبتغون الزوجات عن طرق النكاح الصحيح الشريف أن يعطوهن مهورهن عوضاً عن انتفاعهم بهن، وأنه لا حرج في أن يتنازل أحد الزوجين لصاحبه عن حقه أو عن شيء منه مادام ذلك بسماحة نفس، ومن بعد تسمية المهر المقدر.

هذا، وقد حمل بعض الناس هذه الآية على أنها واردة في نكاح المتعة وهو عبارة عن أن يستأجر الرجل المرأة بمال معلوم إلى أجل معين لكي يستمتع بها.

قالوا: لأن معنى قوله- تعالى-:

﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾

فمن جامعتموهن ممن نكحتموهن نكاح المتعة فآتوهن أجورهن.

ولا شك أن هذا القول بعيد عن الصواب، لأنه من المعلوم أن النكاح الذي يحقق الإحصان والذي لا يكون الزوج به مسافحاً، هو النكاح الصحيح الدائم المستوفي شرائطه، والذي وصفه بقوله:

﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ۚ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾

وإذاً فقد بطل حمل الآية على أنها في نكاح المتعة، لأنها تتحدث عن النكاح الصحيح الذي يتحق معه الإحصان، وليس النكاح الذي لا يقصد به إلا سفح الماء وقضاء الشهوة.

قال ابن كثير: وقد استدل بعموم هذه الآية علي نكاح المتعة، ولا شك أنه كان مشروعا في ابتداء الإسلام ثم نسخ بعد ذلك، وقد روى عن ابن عباس وطائفة من الصحابة القول بإباحتها للضرورة، ولكن الجمهور على خلاف ذلك، والعمدة ما ثبت في الصحيحين عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال: نهى رسول الله ﷺ عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر، وفي صحيح مسلم عن الربيع بن سبرة الجهني عن أبيه أنه كان مع رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء، وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كانت عنده منهن شيء فليخل سبيله، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً»[6].

وقال الآلوسي: «وقيل الآية في المتعة، وهي النكاح إلى أجل معلوم من يوم أو أكثر.

والمراد:

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ ﴾

من استئناف عقد آخر بعد انقضاء الأجل المضروب في عقد المتعة، بأن يزيد الرجل في الأجر وتزيد المرأة في المدة، وإلى ذلك ذهبت الإمامية- من طائفة الشيعة-.

(٦) تفسير ابن كثير جـ١ ص٤٧٤.

ثم قال: ولا نزاع عندنا في أنها أحلت ثم حرمت، والصواب المختار أن التحريم والإباحة كانا مرتين، فقد كانت حلالاً قبل يوم خيبر ثم حرمت يوم خيبر، ثم أبيحت يوم فتح مكة وهو يوم أوطاس لاتصالهما، ثم حرمت يومئذ بعد ثلاث تحريماً مؤبداً إلى يوم القيامة..»[7].

وقال بعض العلماء: وهذا النص وهو قوله - تعالى-:

﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾

قد تعلق به بعض المفسدين الذين لم يفهموا معنى العلاقات المحرمة بين الرجل والمرأة، فادعوا أنه يبيح المتعة.. والنص بعيد عن هذا المعنى الفاسد بعد ما قالوه عن الهداية، لأن الكلام كله في عقد الزواج فسابقه ولاحقه في عقد الزواج، والمتعة حتى على كلامهم لا يسمى عقد نكاح أبداً.

وقد تعلقوا مع هذا بعبارات رووها عن النبي ﷺ أنه أباح المتعة في غزوات ثم نسخها، وبأن ابن عباس كان يبيحها في الغزوات وهذا الاستدلال باطل، لأن النبي ﷺ نسخها، فكان عليهم عند تعلقهم برواية مسلم أن يأخذوا بها جملة أو يتركوها، وجملتها تؤدي إلى النسخ لا إلى البقاء.

وإذا قالوا إننا نتفق معكم على الإباحة ونخالفكم في النسخ فنأخذ المجمع عليه ونترك غيره قلنا لهم: إن النصوص التي أثبتت الإباحة هي التي أثبتت النسخ، وما اتفقنا معكم على الإباحة، لأننا نقرر نسخ الإباحة.

على أننا نقول: إن ترك النبي ﷺ المتعة لهم قبل الأمر الجازم بالمنع، ليس من قبيل الإباحة، بل هو من قبيل الترك حتى تستأنس القلوب بالإيمان وتترك عادات الجاهلية، وقد كان شائعا بينهم اتخاذ الأخدان وهو ما نسميه اتخاذ الخلائل، وهذه هي متعتهم، فنهى القرآن الكريم والنبي ﷺ عنها، وإن الترك مدة لا يسمى إباحة وإنما يسمى عفوا حتى تخرج النفوس من جاهليتها والذين يستبيحونها باقون على الجاهلية الأولى.

وابن عباس- رضي الله عنه- قد رجع عن فتواه بعد أن قال له إمام الهدى علي بن أبي طالب: إنك امرؤ تائه، لقد نسخها النبي ﷺ والله لا أوتي بمستمتعين إلا رجمتهما»[8].

وبذلك نرى أن الآية الكريمة واردة في شأن النكاح الصحيح الذي يحقق الإحصان ولا يكون الزوج به مسافحاً، وأن القول بأنها تدل على نكاح المتعة قول بعيد عن الحق والصواب للأسباب التي سبق ذكرها.

(٧) تفسير الآلوسي جـ٥ ص٧ - بتصرف وتلخيص.

(٨) تفسير الآية الكريمة لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة، مجلة لواء الإسلام العدد الرابع من السنة الرابعة عشرة.

لا للعداوة والبغضاء.. نعم للحب والإخاء

لفضيلة الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومى

روى الإمام البخارى فى صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل المسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام».

اللغويات

لا تباغضوا: لا تتعاطوا أسباب البغض، فيبغض بعضكم بعضا..

والبغض: الكره وضده الحب.

ولا تحاسدوا: لا يحسد بعضكم بعضا والحسد: تمنى زوال نعمة الغير.

ولا تدابروا: لا تتهاجروا، فيهجر أحدكم أخاه وقيل: التدابر: المعاداة.

وكونوا عباد الله إخوانا: كونوا - يا عباد الله إخوانا كإخوان النسب فى الشفقة والرحمة والمحبة والمواساة والمعاونة والنصيحة.

الشرح والبيان

لقد أرسل الله ـ عز وجل ـ رسوله محمد ـ ﷺ ـ بالهدى والدين الحق، وبعثه بصالح الأخلاق ومكارمها، لينتشر الحب ويشيع الأمن ويعم الرخاء، ويعيش الناس سعداء، ويرضى عنهم رب العباد، لا تفرقهم الدنيا ولا ينزغ بينهم الشيطان، ولا تمزقهم الأحقاد والعداوات.. روى الإمام مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل فقال: إنى أحب فلانا فأحبه. قال: فيحبه جبريل، ثم ينادى فى السماء، فيقول: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، قال: ثم يوضع له القبول في الأرض. وإذا أبغض عبدا دعا جبريل، فيقول: إنى أبغض فلانا فأبغضه. قال:» فيبغضه جبريل، ثم ينادى فى أهل السماء: إن الله يبغض فلانا، قال: فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء فى الأرض.. ومن ثم نهى رسول الله ـ ﷺ ـ المسلمين عن اتباع هوى النفس فى التباغض، لأنهم إخوة فى الدين قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾

(الحجرات: ١٠)

والإخوة يتراحمون ويتعاطفون ويتحابون ولا يتباغضون، فلا يكتمل الإيمان إلا بالحب، ولا يدخل الجنة إلا من آمن. قال ـ ﷺ ـ: «والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا. ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم» رواه مسلم.

فكل ما من شأنه أن يوقع العداوة والبغضاء بين المسلمين حرمه الله ـ تعالى ـ عليهم قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾

(المائدة: ٩١)

هذا وقد امتن الله على عباده بالتأليف بين قلوبهم قال تعالى:

﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾

(آل عمران: ١٠٣)

وخاطب بهذا المعنى الحبيب النبى ـ ﷺ ـ فقال:

﴿ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

(الأنفال: ٦٢، ٦٣)

وأما البغض فى الله فهو من أوثق عرى الإيمان، وليس داخلا فى النهى، فمن ظهر له من رجل شر، فأبغضه عليه ـ فلا حرج عليه، بل يثاب فاعله لتعظيم حق الله، لأن البغض فى الله واجب.

أما البغض المحرم فهو - كما أسلفنا - ماكان لغير الله، وقد روى الإمام البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ـ ﷺ ـ قال: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله ـ إخوانا».

فلقد كانت سماحة الرسول ـ ﷺ ـ ودماثة خلقه وتحليه بالصبر ـ سببا فى انتزاع البغضاء من صدور أعدائه، مما أدى إلى دخولهم فى الدين الذى جاء به، والآثار فى ذلك كثيرة متنوعة، نذكر منها على سبيل المثال ما أورده الإمام مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه يقول: بعث رسول الله ـ ﷺ ـ خيلا قبل نجد، فجاءت برجل من بنى حنيفة يقال له: ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة، فربطوه بسارية من

سوارى المسجد، فخرج إليه رسول الله - ﷺ - فقال: «ماذا عندك يا ثمامة؟» أى: ما الظن بى أن أفعل بك؟» فقال: عندى - يا محمد - خير، إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه رسول الله - ﷺ - حتى كان بعد الغد فقال: «ما عندك يا ثمامة؟» قال: ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت. فتركه رسول الله - ﷺ - حتى كان من الغد فقال: «ماذا عندك يا ثمامة؟» فقال: عندى ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت. فقال رسول الله «ﷺ»: (أطلقوا ثمامة)، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد - أى: إلى نخل فيه ماء - فاغتسل ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.. يا محمد، والله ما كان على وجه الأرض وجه أبغض إلى من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلى. والله ما كان من دين أبغض إلى من دينك فأصبح دينك أحب الدين كله إلى، والله ما كان من بلد أبغض إلى من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إلى.. وإن خيلك أخذتنى وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشره رسول الله «ﷺ» وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: أصبوت؟ - أى: أخرجت من دينك؟ - فقال: لا، ولكنى أسلمت مع رسول الله «ﷺ»، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله «ﷺ».. وصدق رب العالمين إذ يقول:

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾

(فصلت: ٣٤)

هذه آداب ديننا وأخلاق شريعتنا السمحة التى توحد ولا تفرق، وتجمع ولا تشتت، ولكن فى عصرنا الحاضر اضطربت الموازين واختلت المعايير، وتبدلت القيم فى نفوس الناس - إلا من رحم ربى - وتنافسوا على ماديات الحياة وتسابقوا على الشهوات، وكأنى برسول الله «ﷺ» وقد كشف الله له الغيب وأزال أمامه حجب الزمن، فتحدث عن هذه الأمراض التى أصابت الأمة فى مقتل، فمزقت وحدتها وفرقت كلمتها وشتت شملها وأطاحت بقوتها ومنعتها.

فقد روى الحاكم فى المستدرك بسند صحيح ووافقه الذهبى عن أبى هريرة رضى الله عنه يقول: سمعت رسول الله «ﷺ» يقول: «سيصيب أمتى داء الأمم، فقال: يا رسول الله، وما داء الأمم؟ قال: الأشر - أى: المرح - والبطر - أى: الطغيان فى النعمة والتكاثر، والتناجش فى الدنيا - وهو أن يزيد الرجل ثمن السلعة لا يريد شراءها لكن ليغليها على المشترى - والتباغض والتحاسد حتى يكون البغى - أى: الظلم».

وكما نهى رسول الله «ﷺ» عن البغضاء والعداوة نهى عن الحسد، لأنه من الأسباب التى تؤدى إلى ذلك.. والحسد تمنى زوال النعمة عن الغير، وهو طبيعة بشرية، إذ الإنسان يكره أن يفوقه أحد من بنى جنسه فى شىء من الفضائل الدينية أو الدنيوية، ولذلك جاء فى الحديث النبوى الشريف: (ثلاث لا يسلم منها أحد: الطيرة والظن والحسد.. قيل: فما المخرج منها يا رسول الله «ﷺ»؟ قال: «إذا تطيرت فلا ترجع، وإذا ظننت فلا تحقق، وإذا حسدت فلا تبغ»).[1]

وقال الحسن البصرى رحمه الله: «ما من آدمى إلا وفيه الحسد، فمن لم يجاوز ذلك إلى البغى والظلم لم يتبعه منه شىء».

وقد حذر رسول الله «ﷺ» أمته من الحسد، لأنه مرض خطير تسبب فى إهلاك الأمم السابقة، فقد جاء فى الحديث الشريف عن الزبير بن العوام رضى الله عنه عن النبى «ﷺ» قال: «دب إليكم داء الأمم قبلكم، الحسد والبغضاء، والبغضاء هى الحالقة، حالقة الدين، لا حالقة الشعر، والذى نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أنبئكم بشىء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم».[2]

فالمؤمن الحق لا يحسد فى الفضائل الدنيوية إطلاقا، ولكنه فى الفضائل الدينية قد يتطلع إلى أن يكون مثل الذى تفوق فيها، لكنه لا يتمنى زوالها عنه، وتلك هى الغبطة، وذلك أمر محمود.. قال تعالى:

﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾

(المطففين: ٢٦)

أما الحاسد الذى يتمنى زوال النعمة عن الغير فيكفيه شراً أنه عدو نعمة الله - عز وجل - ولذلك أنشد الشاعر الحكيم:

أيا حاسداً لى على نعمتى
أتدرى على من أسأت الأدب؟!
أسأت على الله فى حكمه
لأنك لم ترض لى ما وهب
فأخزاك ربى بأن زادنى
وسد عليك وجوه الطلب

وكما نهى رسول الله «ﷺ» عن الحسد، نهى عن التدابر، وهو أن يهجر أحد أخاه حين يراه فيعرض عنه ولا يسلم عليه، لأنه لو أحبه أقبل إليه وسلم عليه، وقد يراد بالتدابر أن يستأثر أحد بشىء دون الآخر.. وقد يراد أيضا بالتدابر المعاداة، أو المجادلة.. وهذا كله لا ينبغى أن يكون بين الإخوة، لأن ذلك ينافى الأخوة.. فإذا ترك المسلمون هذه المنهيات كانوا إخواناً، وإذا فعلوها صاروا أعداء.. وقد حذر رسول الله «ﷺ» من الهجر والقطيعة ودعا إلى الحب والصلة، فقال «ﷺ»: (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام).[3]

حبب الله إلينا الإيمان وزينه فى قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، ووفقنا جميعا إلى ما يحبه ويرضاه، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

---

(١) فتح البارى.
(٢) مسند أحمد.
(٣) صحيح مسلم.

الصدقة في ميزان الإسلام:

المتصدق فى ظل صدقته يوم القيامة

لفضيلة الشيخ/ على عبدالباقى شحاتة

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

هذه إحدى عجائب الصدقات، إنها شيء يرجوه كل مؤمن، ويتمناه كل تقي، ويتشوق إليه كل ولي، ألا وهو ظل الله تعالى فى يوم لا ظل إلا ظله جل شأنه، فى يوم القيامة، يوم الأهوال والفزع والرهبة والجمع الأكبر، يوم المشاهد العظمى، التى تهز القلوب هزا، وتشق النفوس شقا، وتثير فى الفؤاد رعبا وخوفا، خوفا من غضب الجبار العظيم، فملائكة الرحمن تسبح بحمده من خيفته، والأنبياء المرسلون يقول كل منهم حين يطلب الناس منهم الشفاعة فى ذلك اليوم الرهيب: نفسى نفسى، لا يهمنى اليوم إلا نفسى، إلا محمداً - ﷺ - يقول «أنا لها، حتى يأذن الله تعالى لمن يشاء ويرضى، فى هذا اليوم المزلزل الذى تدنو فيه الشمس من الأرض»[1]

فعن عقبة بن عامر - رضى الله عنه - قال: تدنو الشمس من الأرض فيعرق الناس، فمن الناس من يبلغ عرقه عقبيه، ومنهم من يبلغ إلى نصف الساق، ومنهم من يبلغ إلى ركبته، ومنهم من يبلغ الخاصرة، ومنهم من يبلغ منكبيه، ومنهم من يبلغ عنقه، ومنهم من يبلغ وسط فيه، وأشار عقبة بيده حتى ألجمها فاه، ثم قال: رأيت رسول الله - ﷺ - «يشير هكذا، ومنهم من يغطيه عرقه».

قال ابن حجر - رحمه الله - وأخرج ابن المبارك وابن أبي شيبة واللفظ له، بسند جيد عن سلمان قال: تعطى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين ثم تدنو من جماجم الناس حتى تكون قاب قوسين،

1- حديث صحيح رواه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي.

فيعرقون حتى يرشح العرق فى الأرض قامة، ثم يرتفع حتى يغرغر الرجل، ثم ذكر صاحب الفتح ما ورد فى صحيح ابن حبان من قول الرسول - ﷺ - «إن الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة حتى يقول: يارب: أرحنى ولو إلى النار» ثم يعلق ابن حجر على هذا الحديث فيقول:-

ومن تأمل الحالة المذكورة عرف عظم الهول فيه، وذلك أن النار تحف بأرض الموقف، وتدنو الشمس من الرءوس قدر ميل، فكيف تكون حرارة تلك الأرض، وماذا يرويها من العرق حتى يبلغ فيها سبعين ذراعاً مع أن كل واحد لا يجد إلا قدر موضع قدمه؟! فكيف تكون حالة هؤلاء فى عرقهم مع تنوعهم فيه؟! ويتابع الإمام ابن حجر - رحمه الله - فيقول: إن هذا لمما يبهر العقول ويدل على عظم القدرة ويقتضى الإيمان بأمور الآخرة، أن ليس للعقل فيها مجال، ولا يعترض عليها بعقل ولا قياس ولا عادة، وإنما يؤخذ بالقبول ويدخل تحت الإيمان بالغيب، ومن توقف فى ذلك دلّ على خسرانه وحرمانه، ثم ختم - رحمه الله - تعليقه هنا فقال:- وفائدة الإخبار بذلك أن يتنبه السامع فيأخذ بالأسباب التى تخلصه من تلك الأهوال، ويبادر إلى التوبة من التبعات ويلجأ إلى الكريم الوهاب فى عونه على أسباب السلامة، ويتضرع إليه فى سلامته من دار الهوان وإدخاله دار الكرامة بمنه وكرمه[2].

أقول: فى هذا اليوم الأعظم والموقف المزلزل والحر الشديد، والشمس الملتهبة القريبة والقلوب الواجفة والأبصار الخاشعة، والناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، فى هذا اليوم المشهود تتجلى رحمة الله على عباده الصالحين، فتظللهم أعمالهم الصالحة ويقيهم الله تعالى شر الشمس وحرارتها.

عن أبي موسى الأشعرى قال: قال رسول الله - ﷺ: «الشمس فوق رءوس الناس يوم القيامة وأعمالهم تظللهم»[3].

ومن الأعمال الصالحة أيها الكرام، التى تظلل صاحبها يوم القيامة، الصدقة، وتلك عجيبة أخرى من عجائب الصدقات، فقد روى الإمام أحمد - رحمه الله - ، وصححه ابن حبان فى صحيحه، وقال صحيح: «يقول ﷺ: «كل امرىء فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس» والمراد: أنه فى ظل صدقته فى يوم القيامة، بدلالة قوله - ﷺ: «حتى يقضى بين الناس». وعن عقبة بن عامر - رضى الله عنه - قال: قال النبى ﷺ: «كل امرىء فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس أو يحكم بين الناس»[4] ومن السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله «... ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه»[5].

وهذا تعبير عن مبالغة المتصدق فى الإخفاء بحيث لو قدرت الشمال رجلاً متيقظاً لما علم صدقة اليمين، فاللهم يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين، أظلنا بظل عرشك العظيم، يوم لا ظل إلا ظلك الظليل.

وبالله التوفيق

2- فتح البارى جـ11، كتاب الرقائق ص٤٠٦.

3- أخرجه البيهقى عن أبي موسى الأشعرى بسند قوى.

4- أخرجه أحمد وابن خزيمة والحاكم وصححه وقال على شرط مسلم.

5- رواه البخارى ومسلم وغيرهما.

المسجد من أهم المقدسات

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

عضو مجمع البحوث الإسلامية

المسجد فى الإسلام هو أحد المقدسات الإسلامية، لأنه بيت الله- سبحانه وتعالى- فيه تقام الصلاة التى هى صلة بين العبد وبين الله، وفيه تتلى آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول العظيم عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، وفيه تكون مجالس العلم وحلقات ذكر الله، وفيه يكون أداء سنة الاعتكاف، وهو مهبط ملائكة الله سبحانه وتعالى.

ولما كان لمن يقوم ببناء المساجد ثواب عظيم، وأجر كريم، عن عثمان- رضى الله عنه- أن النبى ﷺ قال: «من بنى لله مسجدا يبتغى به وجه الله بنى الله له بيتا فى الجنة» (رواه البخارى ومسلم).

ويستحب لمن يدخل المسجد أن يدخل برجله اليمنى ويقول: «أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم»[1]، وأن يقول «بسم الله والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك»[2]. وإذا أراد الخروج خرج برجله اليسرى ويقول: «بسم الله اللهم صل على محمد اللهم اغفر لى ذنوبى، وافتح لى أبواب فضلك، اللهم اعصمنى من الشيطان الرجيم».

والذى يتعود على أداء الصلاة فى المساجد ويحبها ويتعلق قلبه بها يكون من السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله فمنهم: «..ورجل قلبه معلق بالمساجد» (رواه البخارى) واعتياد ارتيادها دلالة على الإيمان عن أبى سعيد أن النبى ﷺ قال: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان»[3] قال الله عزوجل:

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾

(التوبة: ١٨)

١- سنن أبى داود، كتاب الصلاة، باب فيما يقوله الرجل عند دخول المسجد.

٢- سنن ابن ماجة، كتاب المساجد والجماعات، باب الدعاء عند دخول المسجد.

٣ - رواه أحمد وابن ماجة، والترمذى، وغيرهم.

ومن فضل الخطى إلى المساجد أن الله- تعالى- يحط عن الإنسان خطيئته ويرفع درجته، عن أبى هريرة- رضى الله عنه- أن النبى ﷺ قال: «من تطهر فى بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضى فريضة من فرائض الله كانت خطواته إحداها تحط خطيئته والأخرى ترفع درجته» (رواه مسلم).

ولأهمية المساجد ومنزلتها كان أول عمل لرسول الله ﷺ فى هجرته عندما نزل «قباء» أن بنى أول مسجد أسس على التقوى، ثم لما نزل المدينة كان أول عمل هو بناء المسجد النبوى وكان يسهم بيده الشريفة فى البناء، كما كان يبنى المساجد فى أسفاره الطويلة وقد جعل الإمام البخارى رحمه الله فى كتابه «صحيح البخارى» بابا قال فيه: «باب المساجد على طريق المدينة والمواضع التى صلى فيها رسول الله ﷺ».

› وفى بيوت الله تقام صلاة الجماعة، وهى التى تفضل صلاة الفذ أى الفرد بخمس وعشرين درجة، وفى رواية للحديث: «بسبع وعشرين درجة» وبأداء صلاة الجماعة يتلاقى المسلمون، ويتعارفون ويتآلفون فتتوثق عرى المحبة والمودة، ويكون التواصل والتضامن بين المسلمين، وكان رسول الله ﷺ يتفقد أصحابه وإذا غاب أحدهم عن صلاة الجمعة والجماعة ذهب إليه، ولذا كان يزور مسجد قباء كل يوم سبت، حيث لم يجد فى الجمعة بعضهم فيذهب لعيادة المريض والسؤال عنهم للاطمئنان عليهم..

› ولمنزلة المساجد فى الإسلام جعل الله عمارتها بالبناء والتشييد وبالصلاة والعبادة علامة على الإيمان قال الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾

(التوبة: ١٨)

› ولمكانة بيوت الله تعالى جعل الله الذين يقومون على خدمتها ونظافتها من أهل الجنة، عن أبى هريرة- رضى الله عنه- أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد تفقدها رسول الله ﷺ فسأل عنها بعد أيام فقيل له: إنها ماتت، فقال: فهلا آذنتمونى؟ فأتى قبرها فصلى عليها» (رواه البخارى ومسلم وابن ماجة).

وفى رواية أخرجها الطبرانى عن أنس، أنه عليه الصلاة والسلام قال: «إنى رأيتها فى الجنة تلقط القذى من المسجد» وروى أن اسمها أم محجن رضى الله عنها.

› ولمكانة المساجد فى الإسلام، كان منصب إمامة المسجد أسمى المناصب فى الدين، إذا لم يقم بالإمامة والخطبة فى العهد النبوى إلا رسول الله ﷺ، ولم يتول أحد الإمامة فى عهده سواه، إلا من أنابه عنه لعذر، كما حدث مع سيدنا أبى بكر الصديق- رضى الله عنه- ومع هذا فعندما جاء النبى ﷺ، وقد أقيمت الجماعة وكان أبوبكر- رضى الله عنه- إماما حيث أنابه عنه، فلما حضر فى الصف خلف أبى بكر، وشعر أبوبكر بحضوره تأخر ليتقدم النبى ﷺ ليصلى إماما، فأشار إليه، أن اثبت، فأصر أبوبكر أن يصلى خلفه وألا يتقدم عليه، فلما

انتهت الصلاة وسأله رسول الله ﷺ قائلا: ما منعك أن تثبت إذ أمرتك؟ فقال أبوبكر رضى الله عنه: ما كان لابن أبى قحافة أن يتقدم بين يدى رسول الله ﷺ.

ومن هنا استنبط العلماء أهمية الإمامة وسمو منزلتها كما استنبطوا أن الأدب أفضل من الامتثال، لأن الامتثال هو أن يبقى إماما كما أشار عليه الرسول ﷺ والأدب ألا يتقدم عليه، فآثر الأدب فى مقام النبى - ﷺ - على الامتثال وصلى خلفه.

ومن هذا الموقف يتجلى تقدير الصحابة - رضى الله عنهم - لرسولهم وحبيبهم وشفيعهم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه. فهو إمامهم فى الصلاة، وقدوتهم فى السلوك، وقائدهم فى الجهاد، ومحبته عنصر من عناصر الإيمان كما جاء فى الحديث: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» (رواه البخارى) بل حتى يكون أحب إلى المؤمن من نفسه التى بين جنبيه فعندما قال لسيدنا عمر - رضى الله عنه: حتى أكون أحب إليك من نفسك قال سيدنا عمر رضى الله عنه: «والله يا رسول الله إنك لأحب إلىّ من كل شىء حتى من نفسى التى بين جنبى» فقال له الرسول ﷺ: «الآن يا عمر» أى: الآن كمل إيمانك، لأن محبته تعنى محبة الله وتدل عليها، ولأن طاعته طاعة لله كما قال رب العزة سبحانه:

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ ﴾

(النساء: ٨٠)

بل لعظمة مكانته عند ربه قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾

(الفتح: ١٠)

فلم يأت بكاف التشبيه ولم يقل كأنما يبايعون الله بل قال سبحانه:

﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾

لتأكيد مكانته العلية عند رب البرية سبحانه وتعالى.

> ولمنزلة بيوت الله كان المتواجد فيها فى ضيافة الله وكان من فيها ضيوفا للرحمن وليسوا ضيوفا لإنسان والكل فيها سواسية، الغنى بجوار الفقير، والرئيس بجانب المرءوس، وإذا كان لقاء عظماء البشر يحتاج إلى سابق إذن باللقاء وتحديد الزمان والمكان فإن لقاء أكرم الأكرمين ليس فيه إذن ولا تحديد موعد، بل عندما تتطهر وتأتى بيت الله وتقول: «الله أكبر» وتدخل فى الصلاة فأنت فى لقاء مع الله وتخاطبه بكاف الخطاب:

﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾

كما قال أحد العارفين:

حسب نفسى عزا بأنى عبد
يحتفى بى بلا مواعيد رب
هو فى قدسه الأعز ولكن
ألتقيه متى وأين أحب

> وإلى جانب ما للمساجد من رسالة فى العبادة والصلاة والذكر وتلاوة القرآن والاعتكاف، فإن المسجد ملتقى حلقات العلم ودروس الدين، يأوى إليه طلاب العبادة وعشاق العلم لينهلوا منه، وفى الحديث الصحيح: بينما كان رسول الله ﷺ جالسا فى المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ، وذهب واحد، فوقفا على رسول الله، فأما الأول: فرأى فرجة فى الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر: فجلس خلفهم، وأما الثالث: فأدبر ذاهبا، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال «ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فآوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه» (رواه البخارى).

ومما لاشك فيه أن مجالس العلم عبادة، وعندما تكون فى المسجد يزداد فضلها حيث تحفها الملائكة وتغشاها الرحمة، وتتنزل السكينة، ولفضل المجالس العلمية فى بيوت الله وجه الرسول ﷺ المسلمين إليها وحببهم فيها فعندما دخل المسجد ووجد حلقتين: إحداهما: فيها قوم يقرءون القرآن ويدعون الله، والأخرى: فيها قوم يعلمون الناس، فقال النبى ﷺ: «كل على خير هؤلاء يقرءون القرآن ويدعون الله، فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم أما هؤلاء فيعلمون الناس ويتعلمون وإنما بعثت معلما» ثم ذهب إليهم وجلس معهم (رواه ابن ماجة).

> وإلى جانب رسالة العبادة والتعليم كان المسجد منارة للدفاع عن دين الله سبحانه، وانتصارا لتوجيهات القرآن والسنة والدفاع عنهما وعن الإسلام بصفة عامة، وكان حسان بن ثابت ينشد الشعر فى المسجد النبوى ورسول الله ﷺ حاضر، وكان يرد على المشركين وينافح عن الدين وكان يدعو له الرسول ﷺ قائلا: «أجب عنى اللهم أيده بروح القدس» (رواه البخارى ومسلم).

وعن البراء - رضى الله عنه - قال: قال النبى ﷺ له: «اهجهم أو هاجهم وجبريل معك» (رواه البخارى ومسلم) ومر سيدنا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - بحسان بن ثابت وهو ينشد الشعر فى المسجد فلحظ إليه، فقال حسان: «كنت أنشد فيه، وفيه من هو خير منك، ثم التفت إلى أبى هريرة فقال: أنشدك بالله أسمعت رسول الله ﷺ يقول: أجب عنى، اللهم أيده بروح القدس؟ قال: نعم» (رواه البخارى ومسلم).

وأنشد كعب بن زهير قصيدته فى مسجد رسول الله ﷺ بحضرة النبى ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم، وكان أهدر دمه بسبب هجائه من قبل وعدائه للإسلام والرسول فأهدر الرسول ﷺ دمه فلما عاد وأسلم واستجار حقن دمه. قال الإمام ابن كثير - رحمه الله: «أسلم كعب وقال قصيدته التى يمدح فيها رسول الله ﷺ ثم أقبل حتى أناخ راحلته بباب مسجد رسول الله ثم دخل المسجد ورسول الله ﷺ كالمائدة بين القوم متحلقون معه حلقة خلف حلقة، يلتفت إلى هؤلاء مرة فيحدثهم وإلى هؤلاء فيحدثهم قال كعب: فأنخت راحلتى بباب المسجد فعرفت رسول الله ﷺ بالصفة حتى جلست إليه فأسلمت، وقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك محمد رسول الله، الأمان يا رسول الله فأمنه.

> وإذا كان للمسجد هذا الدور وتلك المكانة، فجدير بالمسلمين أن يحافظوا على بيوت الله، وأن يصونوا مقدساتهم من الظالمين المعتدين عليها

﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾

(البقرة: ١١٤)

المسلم فى عالم اليوم

للأستاذ الدكتور محمد الشحات الجندى

الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

صورة المسلم فى عيون الآخرين، وحتى بين بنى أهله ومجتمعه وأمته لا تعبر عن الإسلام الذى ينتسب إليه ولا عن الشخصية الإسلامية العزيزة القوية يضاعف ذلك حالة الشعور بالاستكبار والاستعلاء التى يعيشها إنسان الحضارة الغربية المعاصرة تجعله يتحامل فى النظر إلى من سواه ويصدر أحكاماً غير موضوعية وهو مايتجلى فى وصف الإنسان المسلم بأقبح الصفات، ويصنفه فى أدنى الطبقات، فهو الجاهل المتعصب الرجعى الأصولى، وهو العنيف المقهور والإرهابى، الذى لا يعرف الحرية ولا يقبل العيش مع الآخر، كما يرفض الحضارة، ويتأبى على المدنية، حتى يظن بل يعتقد من يريد أن يتعرف على الشخصية المسلمة أنها من هول ما وصفته به المدنية الغربية بأنه إنسان من طبيعة غير طبيعة الإنسان المعاصر حيث يخاصم العصر، ويعادى التمدين، وليس من سبيل أو بارقة أمل فى أن يحيا متمدينا كالآخرين أو يرتقى إلى أن تكون شخصيته على شاكلتهم أو يجترى على أن يبوح القول بأنه فى مصاف علومهم وريادتهم.

وليس فى هذه النظرة الدونية للشخصية المسلمة المعاصرة مبرراً يقتضيها أو ذنباً اقترفه المسلم فى حق الأوروبيين فضلاً عن برهان صحيح أو حجة مستقيمة، إذ أن مبنى هذا الحكم الظالم على المسلم يقوم على مشاهد مادية مغرقة فى الضعف المحسوس والظاهر

وحالة التراجع التى تبدو عليها الشخصية المسلمة فى العصر الحديث، بحسبان أنها فقيرة فى المادة وأسباب الحياة وفى تحصيل العلم والمعرفة التكنولوجية مع كونها لازمة لارتياد آفاق الازدهار والتقدم.

وإذا كان ذلك مقبولاً بحسب الظاهر

والواقع، فإن الحقيقة الناصعة أن تحصيل المسلم للعلم التقنى والعلوم الكونية، ليس عصياً عليه فإنه إذا تخلص من الأسباب والمعوقات التى تكبل حركته وتجمد فكره فبإمكانه النهوض وهى فى جملتها تعود إلى عوامل عديدة أورثت حالة من التخلف وتراجع المسلم على كل المستويات من بينها مسلك الغرب نفسه وسعيه الدائم للإبقاء على حالة التخلف، وإلى قصور المسلم فى تطبيق معطيات دينه، فإن فى هذه المعطيات من المحفزات والقوة الإيمانية الدافعة، ما يجعله قادراً ومؤهلاً لاستيعاب العلوم الكونية الحديثة للانطلاق على طريق النهضة. ذلك أن المسلم مسوق بوازع من دينه وبنصوص قطعية من القرآن والسنة، والسوابق الإسلامية فى العصر الأول إلى طلب العلم فى كل تخصصاته لا فرق فى ذلك بين العلوم الشرعية والعلوم الطبيعية، يكفى أن نذكر منها قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾

(فاطر: ٢٧، ٢٨)

فالآية الكريمة تتحدث عن خليط من العلوم الطبيعية علوم النبات والحيوان وطبقات الأرض (الجيولوجيا)، وتدل على أن العالمين بهذه العلوم هم الذين يخشون الله ويعرفون له قدره.

وتلمس هذه الحفاوة بالعلم وطلب الاستزادة منه والدوام عليه بقوله تعالى:

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

(طه: ١١٤)

وبالمثل فإن رفعة مكانة العلماء تبرز فى قوله تعالى:

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾

(المجادلة: ١١)

وفى ذات السياق نجد تقدير العلماء وأصحاب الفكر فى قول الرسول ﷺ: (العلماء ورثة الأنبياء)[1] وأن العالم يفضل على العابد، ومما روى فى هذا المعنى قول الرسول ـ ﷺ: (فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر)[2].

ولا يجد الباحث عن السر فى تفوق المدنية والحضارة الإسلامية على الحضارتين الرومانية والفارسية أقوى سنداً فى تشييد حضارة الإسلام من هاتين الدعامتين وهما: الإيمان الكامل فى

(١) سنن الترمذى.

(٢) سنن أبى داود.

المبنى والمعنى، والعلم النافع الذى ارتفع بالإنسان المسلم وغير المسلم إلى مصاف الإنسان المكرم. وقد عرف المسلمون الأوائل صنوفاً من العلوم فى العصر الأول مثل الرحى الهوائية، واعتمدوا على العلم التجريبى ولم يسبقهم غيرهم إليه الذى يتأسس على المشاهدة والملاحظة، حتى لقد ذكر جوستاف لوبون: «أن القاعدة عند العرب هى جرب وشاهد ولاحظ تكن عارفاً» بينما كانت القاعدة عند الأوروبيين إلى مابعد القرن العاشر الميلادى: «اقرأ فى الكتب وكرر مايقول الأساتذة تكن عالماً»، وشتان مابين القاعدتين فالأولى تأخذ بمفهوم العلم وآلياته الصحيحة، والثانية تقوم على الحفظ والتكرار وهو مايسمو بالحضارة الإسلامية على سائر الحضارات، مرده إلى يقينها الإيمانى، وتفوقها المادى العلمى على الحضارة الأوروبية الحديثة، وجعلت معيار التحضر والتمدين الحقيقى أساسه الإيمان الذى يملأ جنبات الإنسان بالله الخالق - تعالى - وبالرسل - عليهم السلام- ، ويسرى فى النفس أكثر إشراقاً، وأن يكون الإيمان مقروناً بالحصول على أسباب التقدم والرقى، وهى تتنوع باختلاف كل عصر، لكن تحصل جميعها فى العلم الذى يبنى للحياة والتنمية والعمران، وليس ذلك الذى يهدم ويدمر ويستعلى على الغير، كما هو الحاصل فى مسلك إنسان الحضارة الأوروبية الذى بلغ حداً غير مسبوق فى تسفيه العقل المسلم والحط من قيمة الإنسان المسلم، اعتماداً على السبق العلمى وفى ذات الوقت يستخدمه الأوروبيون والأمريكيون فى قهر وإذلال المسلمين باعتبار سيطرتهم وقوتهم المادية، وازدرائهم بقيم الأديان والجوانب الروحية فى الإنسان.

وحجر الأساس فى بناء الشخصية يقوم على اهتمام الإسلام بهذه القيم الروحية والوجدانية النابعة من إنسانية الإنسان، تلك القيم التى صارت مغيبة فى العالم الغربى، ويقتصر ذكرها على أماكن العبادة، ولا يعبأ بها كعنصر أساسى فى بناء الشخصية الإنسانية، وإنما يولى اهتمامه فقط للعناصر المادية وحدها، وبالأثر الملموس المحسوس الذى يجلب المال ويعظم المطامع الشهوانية حتى أصبحت هذه العناصر مقصداً أساسياً، توجه إليها كل الاهتمامات ويطلق لها العنان وتيسر الأسباب لبلوغها والاستئثار بها، وكأنها صنم يعبد من دون الله مبدع الإنسان.

يحدد الإسلام مهمة الإنسان فى الوجود فإن الإنسان مخلوق مكلف ومسئول قد يخطئ، لكن الإيمان يعصمه من اتخاذ طريق الخطيئة سبيلاً وليس هو ذلك الإنسان المولود بخطيئة موروثة فيه، وإنما لديه طريق النجاة، وقد رسم له الله من خلال نصوص القرآن والسنة سبيل الهدى والرشاد، وكلفه بارتياد طريق الخير والعمل الصالح على نحو لا يجوز أن تقف

المعصية حائلاً بينه وبين التوبة، فباب الإنابة مفتوح يعود إليه الإنسان فى كل وقت، يقول تعالى:

﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ (١٢١) ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾

(طه: ١٢١، ١٢٢)

وفى قوله جل شأنه:

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾

(البقرة: ٣٧)

وهى برهان على أنه لا ملجأ من الله إلا إليه.

ويتجلى هذا النظر الإسلامى للإنسان، كل إنسان، مهما كان نوعه وجنسه ودينه بلا فرق، إلا أن يرتفع فى نفسه ويجعل كيانه موصولاً مع الله فيكون كما أراد خالقه يحوز صفات المثل الأعلى، الإيمان والعلم والرحمة والسمو والعمل الإيجابى البناء الذى يحقق بقوة رسالة الإسلام فى الحياة وإنسانية الإنسان، بما يرفعه إلى أعلى عليين.

ومن المستغرب أن ينكر الغرب على الإسلام ثوابته ومعالمه وريادته وهدايته للإنسان وقدرته على قيادة الحياة وأن يشيع الغرب عن الإنسان المسلم كل النقائص والمعايب التى أشرنا إليها، فى الوقت الذى يعتصم بالإعلان العالمى لحقوق الإنسان الصادر فى ديسمبر ١٩٤٨م، ويدافع عنه كمنجز للحضارة الغربية، فى الوقت الذى يلحق فيه بالمسلمين أحزاناً يعجز عنها الوصف، وفيه: «لما كان الاعتراف بالكرامة المتأصلة فى جميع أعضاء الأسرة البشرية وبحقوقهم المتساوية الثابتة، هى أساس الحرية والعدل والسلام فى العالم.

ولما كان تناسى حقوق الإنسان وازدراؤها قد أفضيا إلى أعمال همجية آذت الضمير الإنسانى، وكان غاية مايرنو إليه عامة البشر انبثاق عالم يتمتع فيه الفرد بحرية القول والعقيدة، ويتحرر من الفزع والفاقة».

لكن الغريب فى مسلك الإنسان الغربى أن يتمسك بهذا القول ويحتذى العمل به ويجرد الإسلام والإنسان المسلم فى كل مكان، من إسهامه وحضارته التى أشرقت على العالم كله، ذلك الشواهد كلها تكذب ذلك، برهانه مايجرى من تحقير وانتهاك لآدمية العربى والمسلم فى فلسطين، وفى العراق، والسودان، وأفغانستان من معاملة غير إنسانية، خارجة على كل مقررات الإسلام والأديان، والمواثيق العالمية وأخصها ميثاق حقوق الإنسان، وميثاق الأمم المتحدة، وهو مايصم الغرب بالمعايير المزدوجة فى التعامل مع الإنسان المسلم فى هذا العصر، وتجريد المسلم من أخص منابعه الإنسانية.

المسلمون والحضارات الأخرى

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

عضو مجمع البحوث الإسلامية



فى قضية «الغزو الفكرى» ـ وهى إحدى قضايا العلاقة بين الثقافات والحضارات ـ هناك خيط دقيق يفصل بين مواقف ثلاثة:

• موقف التبعية والذوبان، الذى تتخذه ثقافة أو حضارة ضعيفة أو مستضعفة، عندما تتنازل ـ طوعاً أو كرهاً ـ عن السمات التى تميزها، مستبدلة إياها بسمات الحضارة والثقافة المفروضة عليها.. وهو موقف يقود الحضارة والثقافة التابعة إلى المسخ والنسخ والتشوه.. بل والفناء!..

• وموقف العزلة والانغلاق تجاه الثقافات والحضارات الأخرى.. وهو وإن حفظ للثقافة والحضارة خصوصياتها، إلا أنه يحجب عنها عناصر القوة والحيوية والتجدد، التى يمكن أن تأتيها من الثقافات والحضارات الأخرى.. بل ويحرمها الحيوية والتجدد الذاتى الذى يتولد من مجرد الاحتكاك والتدافع الحضارى.. والاكتفاء الذاتى، بالعزلة والانغلاق ـ فضلاً عن استحالته فى ظل ثورة وسائل الاتصال التى أحالت عالم اليوم إلى قرية واحدة ـ هو الآخر طريق إلى الذبول والفناء!..

• أما الموقف الثالث ـ وهو الموقف الصحى فى علاقات الثقافات والحضارات ـ فهو موقف «التفاعل»، من موقع التميز والاستقلال.. والذى تتفتح فيه نوافذ الفكر والثقافة على مختلف عطاءات الفكر الإنسانى، مع التمييز بين ما هو «مشترك إنسانى عام» لا تتغاير حقائقه وقوانينه بتغاير المعتقدات والمواريث والشخصيات القومية، لأنه ـ فى الفكر والثقافة ـ بمثابة الماء والهواء، لا يعرف الحدود ولا القيود ولا السدود.... التمييز بين هذا «المشترك الإنسانى العام» وبين «الخصوصيات الثقافية والحضارية» التى هى ـ بالنسبة للثقافة والحضارة ـ «كالبصمة» المميزة للإنسان.. بها يتميز، فيحقق له الاستقلال، دون أن يذوب فى غيره، ودون أن ينعزل عن جنس الإنسان!..

هذا هو الخيط الدقيق بين هذه المواقف الثلاثة، التى تجابه المتحدثين فى قضية الغزو الفكرى..

***

إن هناك فارقاً أكيداً بين حقائق وقوانين العلوم الطبيعية.. علوم المادة.. العلوم البحتة.. والمحايدة.. وبين نظريات وأفكار وحقائق العلوم الإنسانية.. فأنت إذا أخذت قطعة من تربة الأرض لتحللها فى مختبر من المختبرات، فإنك واصل إلى حقيقة علمية أو قانون علمى لا يتأثر بعقيدة المُحلّل ومواريثه، ولا بحضارته وقوميته، كما لا يتأثر بالموطن الجغرافى للمختبر والتحليل، كما أن باستطاعتك أن تكرر هذه التجربة آلاف المرات، وبأيدى مختلفى الثقافة والعقيدة والحضارة والجنسية والقومية، دون أن تتغير ثمرات التجربة والتحليل..

إنها حقائق وقوانين موضوعية ومحايدة، تلك التى يبدعها العقل الإنسانى فى هذا اللون والقسم من العلوم.. وهى لذلك «مشترك إنسانى عام»، ليس فيها غزو فكرى، لأنها ليست «كالجيش الوطنى»، الذى لابد وأن يلزم حدود وطنه الجغرافية، وإلا عُدّ غازياً!.. وإنما هى كالماء والهواء لا يعرفان الحدود أو القيود أو السدود!..

فقط، بالنسبة لحقائق وقوانين هذه العلوم المادية، تتمايز فلسفات التطبيق.. فمن الفلسفات ما يضبط التطبيق بالضوابط الدينية والأخلاقية.. ومنها ما يذهب فى الحرية إلى الحد الذى يحرر تطبيقات حقائق العلوم وقوانينها من أية أخلاقيات.. ويفرّق بين الفلسفتين فارق نظرة كل منهما إلى مكانة الإنسان فى الوجود.. فالذين يرونه «خليفة» عن خالق الكون وسيده، يضبطون ممارساته كلها بإطار عقد وعهد الاستخلاف ـ الشريعة الإلهية ـ.. بينما الذين يرون فى الإنسان سيد الكون، يؤلهونه.. فلا يضعون الضوابط الأخلاقية لتطبيقاته حقائق وقوانين العلوم!..

هذا عن «المشترك الإنسانى العام».. فى إبداعات الفكر البشرى والعقل الإنسانى، فى مختلف الحضارات..

أما نظريات وأفكار وحقائق العلوم الإنسانية.. من الفلسفة.. والسياسة.. والاجتماع.. والاقتصاد.. والآداب والفنون.. إلخ.. إلخ.. فإنها هى التى تمثل عمران النفس الإنسانية، التى تولد على الفطرة، صفحة بيضاء.. ثم تتلون بلون العقيدة والموروث والمناخ والعادات والتقاليد والأعراف، فتتميز صفحتها، وتتميز إبداعاتها فى هذه الميادين... وإذا كانت «تجربة تحليل التربة» تتكرر آلاف المرات فنصل بها إلى ذات الحقيقة، فإن «التجربة الشعرية» مثلاً لا تتكرر مرتين بذات الثمرات؟!.. وإذا كانت قوانين وحقائق علوم المادة لا تختلف باختلاف عقائد وثقافات وقوميات مبدعيها والمتلقين لها.. فإن المألوف والمرفوض.. والحلال والحرام.. والحُسن والقُبح.. وأمثالها.. هى أمور «تتمايز» ـ ولا نقول «تتناقض» ـ فيها الثقافات والحضارات والقوميات..

إن «العُرى» لدى حضارة من الحضارات:

حرية شخصية طبيعية.. وكذلك التصرف المختار في الجسد.. وليس الأمر كذلك في ظل عقائد ترى لله حقوقاً فوق حقوق الإنسان!..

وإن «السياسة» لدى حضارة من الحضارات، هي «فن الممكن من الواقع» دونما تقييد للإمكان بقيود من الدين والأخلاق في رأي حضارة أخرى: «الأمور التي يكون الناس معها أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد».. فالإمكان فيها، هنا، مضبوط بالصلاح الديني!..

وإن «التنمية الاقتصادية»، لدى حضارة من الحضارات، تستهدف جعل الإنسان ـ في القوة والرفاهية، أسداً مفترساً يأكل في سبعة أمعاء!.. بينما هي تستهدف في حضارة أخرى: التوازن بين العوامل المادية والروحية، والتوسط بين الإسراف والتقتير، والنظر إلى الأمة كالجسد الواحد، يرتفق أعضاؤه ـ طبقات وأفراد ـ ارتفاق أعضاء الجسد الواحد.. بل وتقيم هذه النظرة ـ نظرة الارتفاق والإخاء والتساند ـ بين الإنسان وبين الطبيعة والبيئة والمحيط لوناً من الإخاء!..

و«رسالة التقدم»، لدى حضارة من الحضارات، تحملها «طبقة» ـ برجوازية كانت أو بروليتارية ـ.. بينما «الأمة» هي حاملة «رسالة التقدم» في حضارة أخرى!..

والإنسان هو «سيد الكون» في نظر بعض الحضارات.. حتى لقد أنسنت الإله، وألهت الإنسان؟!..

بينما هو، في حضارة أخرى، خليفة عن سيد الكون وخالق الوجود!..

والمرأة، هي ند للرجل ومماثل له، في بعض الحضارات.. بينما هي في حضارة أخرى، الشق المكمل للرجل، والمساوى له مع التميز عنه!..

وحقائق المعرفة، في نظر حضارة معينة، لا تتأتى إلا من الواقع المحسوس، وبواسطة العقل والحواس.. بينما هي، في حضارة أخرى، تتأتى من كتابي «الوحي» و«الوجود» كليهما، وبواسطة العقل والنقل والحواس والوجدان جميعاً!..

و«التوحيد»، في نظر حضارة من الحضارات، هو ثمرة من ثمرات الإبداع العقلي، في طور متقدم من أطوار رقي العقل الإنساني، الذي بدأ وثنياً!.. بينما هو، في نظر حضارة أخرى، الوحي الإلهي الذي بدأت به الإنسانية منذ آدم ـ عليه السلام ـ!.. والذي جاءت الرسالات السماوية، عبر التاريخ الإنساني، لتصحح الانحراف عن مساره!..

و«الدين» بنظر إحدى الحضارات ـ ذات المعرفة الوضعية ـ إفراز اجتماعي، لمرحلة من مراحل التطور الإنساني، سبقت مرحلة الميتافيزيقا، التي سبقت بدورها، مرحلة الوضعية المادية ـ والمنطقية ـ.. فهو التعبير عن مرحلة «طفولة» العقل الإنساني!.. بينما هو، بنظر حضارة أخرى، وضع إلهي، نزل به الوحي على الرسل والأنبياء، هداية ورعاية من الخالق للمخلوقين، وكشفاً عن مقتضيات الفطرة السليمة في الإنسان السوي، وعن ما هو مركوز في العقول!..

تلك إشارات إلى عناوين علوم.. ونظريات.. وقضايا، في العلوم الإنسانية، تتمايز فيها الحضارات.. ومن ثم فالإبداع فيها والنظريات ليست من «المشترك الإنساني العام»، وإنما هي من «الخصوصيات الحضارية والثقافية»، التي تمثل، بالنسبة للحضارة والثقافة، «البصمة» التي تميزها عن غيرها، دون أن يعني هذا «التميز» الانغلاق، ورفض «المشترك الإنساني العام»، ودون أن يعني كذلك «التبعية والذوبان» في الخالقين بهذه الإنسانيات!..

* * *

وإذا كانت هذه هي «شهادة الفكر» على تمايز الحضارات في العلوم الإنسانية ـ التي تمثل خصوصيات ثقافية وحضارية ـ مع اشتراكها في الحقائق والقوانين الخاصة بالعلوم الطبيعية.. المادية.. المحايدة.. والتي تمثل المشترك الإنساني العام.. وهي الشهادة التي تزكي موقف «التفاعل الحضاري»، الذي يستلهم مصادر القوة، الداعمة للاستقلال الحضاري، من كل الحضارات، في الوقت الذي يرفض فيه كلاً من موقفي «التبعية والذوبان» و«العزلة والانغلاق»..

إذا كانت هذه هي «شهادة الفكر» على صدق هذا الموقف.. فإن تاريخ التقاء واحتكاك الحضارات قد صدق هو الآخر على هذه «الشهادة».. فاجتمع لهذا الموقف: «شهادة الفكر» و«شهادة التاريخ»؟!..

وإذا كان المقام لا يسمح بالحديث المستفيض عن «شهادة التاريخ» لـ«التفاعل الحضاري» ـ كموقف وسط سوي ـ ضد انحرافي «التبعية» و«الانغلاق».. فلعل إشارات موجزة لبعض من وقائع تاريخ التقاء واحتكاك الحضارات أن تجسد لنا «شهادة التاريخ» على هذا الذي نقول:

● فبعد الفتوحات الإسلامية، التي أدخلت أمم الحضارات القديمة ـ الفارسية.. والهندية.. واليونانية ـ في إطار الدولة الإسلامية.. حدث أعظم وأوسع ألوان الانفتاح الحضاري من العرب المسلمين على تلك الحضارات القديمة.. لكنهم ميزوا بين «المشترك الإنساني العام».. فاستلهموه، ووظفوه، محكوماً بأخلاقيات الإسلام.. وبين «الخصوصيات الحضارية»، فرفضوها، بل وشنوا عليها ـ عندما تعرضوا لغزوها ـ حرباً ضروساً وشعواء؟!..

إن الدولة الإسلامية لم تتردد في قبول النظام الفارسي في ضريبة الأرض الزراعية ـ والذي كان يسمي: «وضائع كسرى» ـ.. ولم تتردد كذلك في قبول كثير من «التراتيب الإدارية الفارسية»، والتي تدخل في باب «المؤسسات» و«التنظيمات» و«الآليات».. مع إخضاعها جميعاً لفلسفة الإسلام في الإدارة، وعلاقة الأمة بالسلطة.. فهنا تم استلهام تجربة حضارية وخبرة قومية، أدخلت في نسيج الفلسفة التي جاء بها الإسلام..

ولكن المسلمين كانوا حذرين كل الحذر، وشديدي الرفض والمقاومة لكل ما هو «خصوصية حضارية» فارسية تتعارض مع معايير الإسلام وجوهر معتقداته، وخصائصه الحضارية المتميزة.. لقد رفضت الخلافة الإسلامية فلسفة الحكم الفارسية التي كانت ترى في كسرى ابناً للإله «أهورا ـ مزدا»، يحكم باسمه، ونيابة عنه.. كذلك رفضت حضارتنا، ذات الفكر

الاجتماعى المتميز، «النظام الطبقى المغلق»، الذى قام عليه المجتمع الفارسى، وذلك لتعارضه الجذرى مع فلسفة الإسلام فى المساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات..

والذين يقرءون مصنفات علماء الإسلام فى «المِلَل والنِّحل»، وصراعهم الفكرى مع الفرق والمذاهب غير الإسلامية، يدركون المقاومة الباسلة التى ووجهت بها عقائد الفرس ومذاهبهم وفلسفاتهم، من قبل حضارتنا الإسلامية، عندما تعرضت لغزو هذه العقائد والمذاهب والفلسفات.. فالمجوسية والزرادشتية.. ومذاهب مثل المانوية «الثنوية» بفرقها المتعددة.. والأفكار «الغنوصية - الباطنية - العرفانية» تمثل معارضتها صفحات كثيرة فى عشرات المجلدات التى تصدت للوافد الضار والمخالف والمرفوض.. وكذلك صنع المتكلمون الإسلاميون والفلاسفة المسلمون!..

فعلى حين فتحت الأبواب للتجارب الإنسانية، ولعلوم التجربة والتمدن المدنى العملى.. كان الحذر، بل والمقاومة للفلسفات والمعتقدات المخالفة لمعاييرنا الحضارية، إن فى السياسة أو فى الاجتماع، أو فى الدين، أو فى الفلسفات..

• وكذلك كان حال حضارتنا الإسلامية عندما فتحت الشام ومصر وبلاد الشمال الأفريقى، ذات الميراث «البيزنطى - الإغريقى»..

ففى الوقت الذى تبنى فيه عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - «تدوين الدواوين» - وهو خبرة إدارية بيزنطية - وسعت الدولة الأموية - ممثلة فى أميرها خالد بن يزيد (٩٠هـ ٧٠٨م) - إلى «مدرسة الإسكندرية» فبدأت حركة الترجمة للعلوم الطبيعية والتجريبية.. وفنون التمدن العملى، والتى سميت بـ«علوم الصنعة».. فى ذات الوقت الذى تبنَّت فيه حضارتنا هذا اللون من المعارف والعلوم والتجارب الإنسانية، كانت حربها ضد «الغنوصية» خاصة، والهلينية فى الفلسفة والعقائد والتصورات بوجه عام، وكذلك معارضتها لعقائد ومذاهب المسيحية، التى أخرجتها الروح الهلينية عن نقاء عقيدة التوحيد - عندما أنْسنت الإله، وألَّهت الإنسان - وهو ميراث يونانى منحدر من تأليه الأبطال فى الوثنية اليونانية - لا علاقة له بالتوحيد الذى جاء به المسيح - عليه السلام -!..

كذلك رفضت حضارتنا «القانون الرومانى».. لأنه ليس من «المشترك الإنسانى العام»، بل من «الخصوصيات» الحضارية الغربية، المختلفة فلسفتها عن فلسفة الشريعة الإسلامية فى التقنين للدولة والمجتمعات..

ويكفى، لتعرف هذه الحقيقة، أن تقرأ للمستشرق «دافيد سانتيلانا» (١٨٤٥ - ١٩٣١م) كلماته التى تؤكد اختلاف الشريعة الإسلامية عن القانون الرومانى - وهو الذى لم يجعل هذا القانون «مشتركاً إنسانياً عاماً» حتى يتبناه المسلمون كما تبنوا «تدوين الدواوين»..

يقول «سانتيلانا»: عبثاً نحاول أن نجد أصولاً واحدة تلتقى فيها الشريعتان الشرقية والغربية «الإسلامية والرومانية» كما استقر الرأى على ذلك.. إن الشريعة الإسلامية، ذات الحدود المرسومة والمبادئ الثابتة، لا يمكن إرجاعها أو نسبتها إلى شرائعنا وقوانيننا، لأنها شريعة

دينية تغاير أفكارنا أصلاً.. إنها شريعة ترسمُ الأخلاق والآداب، فى كل مسألة، حدود القانون فيها......»[1].

إن كلمات «سانتيلانا»، التى تعلل رفض المسلمين للقانون الرومانى.. هى، أيضاً، درس لأسرى الغزو الفكرى، من أبناء حضارتنا، الذين يستبدلون اليوم القوانين الوضعية الغربية بشريعة الإسلام!!.. كما أنها «شهادة» «شاهد من أهلها» على ضرورة التمييز، فى الفكر الإنسانى، بين «الخصوصيات الحضارية» وبين «المشترك الإنسانى العام»!..

• ومع الحضارة الهندية، عندما التقت حضارتنا الإسلامية، بمواريث الهندوس، عمل، كذلك، هذا القانون.. قانون تمييز «التفاعل الحضارى» بين «المشترك العام» وبين «الخصوصيات الحضارية والثقافية»..

فالبيرونى [٣٦٢ - ٤٤٠هـ - ٩٧٣ - ١٠٤٨م] الذى نهض بمهام وأعباء «البعثة العلمية»، عندما عاش بالهند أربعين عاماً، عقب الفتح الغزنوى لبعض أقاليمها، والذى درس تاريخ الهند وتراثها وحضارتها دراسة العبقرى المتفرد.. البيرونى هذا، يعلمنا - دون أن يعرض مباشرة لقضيتنا هذه - كيف ميز أسلافنا، فى تراث الهند، مثلاً بين «الحساب الهندى» و«الفلك»، فأخذوهما وطوروهما، وكذلك صنعوا مع غيرهما من علوم الطب والأعشاب الدوائية.. إلخ - كيف ميزوا بين هذه العلوم الطبيعية والعملية والتجريبية، التى أخذوها وطوروها، وبين ديانات الهند ومذاهبها وفلسفاتها، التى رفضوها، لتعارضها مع التوحيد الإسلامى، ومع إلهية المصدر الدينى فى الإسلام، كديانة سماوية نزل بها الوحى على الرسول، ﷺ..

لقد ميز المسلمون، فى المقولات والمقالات الهندية، بين «المشترك الإنسانى العام»، فقبلوه.. وبين «الخصوصيات الحضارية»، فرفضوها.. وبتعبير البيرونى.. ميزوا بين «المقولات المقبولة» و«المقولات المرذولة!!»..[2]

• وكذلك صنع المسلمون عندما انفتحوا على التراث الإغريقى والعلوم اليونانية.. ففى الوقت الذى ترجموا وطوروا تراث اليونان فى الطب والكيمياء والهندسة والرياضيات والميكانيكا - الحيل - والزراعة والمناظر والحساب والمنطق.. وغيرها من العلوم الطبيعية والعملية والتجريبية.. رأيناهم قد نفروا من ورفضوا إنسانيات اليونان: آدابهم وفنونهم، وأساطيرهم، وإلهياتهم.. فميزوا بين «المشترك الإنسانى العام» وبين «الخصوصية الحضارية» فى تراث اليونان القدماء.. وبذلك أطرد وصدق هذا القانون الحاكم للالتقاء والتفاعل الصحى الطبيعى بين الحضارات.. وبرئت التجربة من الانحرافين.. انحراف التبعية.. وانحراف الانغلاق.

١- القانون والمجتمع، نظرة فى كتاب تراث الإسلام ص ٤٢٧، ٤٢٨ ط بيروت ١٩٧٢.

٢- انظر البيرونى: تاريخ الهند أو تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة، تحقيق: سخاو، ط لندن ١٨٨٧م.

أثر الإسلام فى العقائد الأفريقية

للأستاذ الدكتور/ عبد الله نجيب محمد
الأستاذ بمعهد الدراسات الأفريقية

أسهم عدد من علماء الأنثروبولوجيا المعاصرين فى دراسة أنساق الفكر فى الثقافات الأفريقية، وكشفوا بعض ملامح التفكير الدينى لدى الأفارقة، بالتركيز على دراسة وتحليل الأساطير والحكايات الشعبية والشعائر الدينية والطقوس وغيرها، التى تضم قدراً كبيراً من الأفكار حول الخلق والكون وطبيعة الكائنات والموجودات، بل وطبيعة وماهية الوجود ذاته، وقد تبين للعلماء أن معظم الشعوب الأفريقية لديها أفكار دينية رائعة[1].

صاغت الشعوب الأفريقية ـ خلال تاريخها الطويل ـ ثقافة خاصة بها، تمثلت عدداً من القيم الدينية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية.

كانت وجهة النظر فى هذه القيم بعيدة عن النظرة المادية كانت نظرة تبحث عن الجوهر غير المنقطع وغير المتغير، بمعنى أنها اهتمت بالعالم الروحى، وأغفلت الاهتمام بالنواحى المادية، وعلى الرغم مما يقال عن اختلاف الثقافات فى المجتمعات الأفريقية، فمن الملاحظ وجود درجة كبيرة من التجانس بينها فالفلسفة واللاهوت والسياسة وقانون الأرض والطب والموت... إلخ ترتبط كلها فى الذهن الأفريقى، بحيث تؤلف نسقاً محكماً شديد الإحكام، يشكل رؤية للعالم موحدة إلى درجة كبيرة فى تصورها للكون والطبيعة والإنسان والدين والأخلاق والتنظيم الاجتماعى وغير ذلك من الملامح الأساسية التى تميز المجتمعات الإفريقية

(١) أصدر كثير من علماء الغرب فى القرن التاسع عشر أحكاماً متسرعة تنكر على الشعوب الأفريقية القدرة على التفكير المجرد، من ذلك ما كتبه البلجيكى «بلاسيد تمبلز» فى كتابه عن «فلسفة البانتو» وما كتبه «أدوين سميث» فى الكتاب الذى أشرف على تحريره عن «أفكار الأفريقيين عن الله The African Ideas of God»، وقام الأستاذ «إيفانز بريتشارد» بتفنيد كثير من هذه الآراء فى كتابه القيم Witch Craft, Oracles and Magic among The Zande O.U.P 1937

التقليدية، وربما كان أهم ما يميز عالم الأفارقة هو وحدة ذلك العالم واتساقه، فليس ثمة عنصر واحد من عناصر ذلك العالم يقوم بذاته مستقلاً عن غيره، وتمايز القوى لا يعنى تفردها أو انفصالها تماماً بعضها عن البعض، فهناك نوع من التنظيم التصاعدى فى سلسلة واحدة متصلة، يقف على قمتها الإله الذى هو الخالق المبدع.

ساد فى أفريقيا عامة ما يسمى «الدين الطبيعى» أو الروحى الذى يتمتع فيه الإله أو الكائن الأعلى أو الأسمى Super Being بقوة خالصة أو هو القوة الخالصة، إنه قوة فى ذاته وبذاته ولكنه يرتبط فى الوقت نفسه بكل القوى الأخرى المنتشرة فى الكون وفى كل الكائنات، فهو الذى يمنحها الحيوية، ويتحكم فى حظوظها وأقدارها.

هذا الاعتقاد ـ الذى يقترب من حد التوحيد ـ كان يشكل كل القوانين التى يسير عليها أفراد المجتمع، ويشرف على تطبيقها الشيوخ وكبار السن، الذين يعدون بمثابة الواسطة بين الله والناس على خلاف ما ادعاه الغربيون، يبدو أن فكرة الإله الأعلى موجودة لدى جميع القبائل، بل إن مفهوم الذات الإلهية، الكلية الحضور، الذاتية الاكتفاء، الشاملة القدرة، موجودة بين كثير من القبائل كالزولو فى جنوب أفريقيا والبايراوندا والأشانتى فى ساحل العاج والأجان فى غانا واليوروبا فى نيجيريا والبوكوتجو فى أنجولا والتجومبية فى الكونغو، ومن اليسير إعطاء أمثلة كثيرة غير ما سبق.

فى أغنية شعبية من «اليوروبا» بعنوان: «ابتهالة للخالق» تقول:

صبور غير غاضب
يجلس فى سكون يصدر الأحكام
يراك حتى وهو لا ينظر إليك
يقيم فى السماء مثل خلية نحل

«أوبتال» هو الذى يحيل الدم إلى أطفال[2]

جميع الأديان الأفريقية التقليدية تعتقد فيما وراء الموت بشكل أو بآخر، ومن أغانى «البوشمان»:

ألم تعدنا ذات مرة
بأننا أيضاً سنعود
ونكون سعداء مرة أخرى
بعد الموت[3]

تعتقد هذه الأديان أيضاً أن المتوفى تستمر حياته فى عالم الأرواح، ويمكنه الاتصال بأقربائه الأحياء، بل تستمر رعايته لهم كما كان حال حياته، ومن هنا جاءت الفكرة الشائعة الخاطئة التى

(٢) على شلش: ألوان من الأدب الأفريقى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م، المكتبة الثقافية ص٣٠٤.
(٣) المصدر السابق ص٢٢.

تدعى أن الأفارقة يعبدون أسلافهم، وهى فى الواقع ليست أى نوع من العبادة، ولكنها ـ كما كانت عند قدماء المصريين فكرة استمرار حياة الروح بعد الوفاة فى عالم الأرواح، أو بمعنى آخر امتداد زمنى للروح.

على أن الديانات التقليدية الأفريقية من ناحية أخرى ترى أن الله ـ سبحانه وتعالى- أسمى من أن يتصل به البشر، لذلك يكون اتصالهم به عن طريق أرباب أقل منزلة، وكَّلهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ بشئون الحياة المختلفة وقد يكون بعضها من أرواح الأسلاف، وكل رب أو روح يختص بعمل معين على الأرض. فهناك مثلاً روح النهر، أو رب الغابة، ورب الصيد والزرع وما شابه، وإلى هذه الأرباب أو الأرواح يكون الالتجاء أولاً.

ومفاهيم الخير والشر موجودة أيضاً فى هذه الديانات، بل لعلها عميقة الجذور فيها إلى حد لا يتصوره الكثيرون[4].

هذه الثقافة وتلك التقاليد تعرضت لتغيرات وتأثيرات وافدة منها الثقافة العربية الإسلامية التى جلبها المسلمون إلى أفريقيا، وانتشرت تأثيراتها وأفكارها فى كل ركن من أركان القارة، وسرت سرياناً هادئاً حتى اندمجت وامتزجت بالثقافة الأصلية بصورة تدريجية متأنية، والتحمت بها آخر الأمر، وأصبحت جزءاً من تقاليدها ونسيجها ولذلك لم تؤد إلى أى نوع من الانفصام أو التهديد لكيانات المجتمعات الأفريقية، بل يمكن القول بكل ثقة إنها أمدتها بزاد جديد من المعرفة والخبرة والحضارة، التى ميزت كثيراً من المجتمعات الأفريقية.

علم الإسلام الأفارقة بأن الله أزلى قيوم، وأنه يتصف بالثبوتية والوحدانية، وأنه معنا فى كل وقت، لقد كان موجوداً قبل خلق الشمس والأرض فهو سرمدى، وهو الخالق الأعظم الذى خلق جميع المخلوقات، ولم يوكل أحداً فى الخلق عنه، كما لم يوكل أحداً فى تدبير شأن من الشئون.

إن العالم لم يأت بمحض الصدفة، كما أنه يستند إلى قوانين وقواعد دقيقة:

﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾

(الأحزاب: ٦٢)

علم الإسلام الأفارقة أن الله أراد البعث بعد الموت لكل خلقه، ووعد الصالحين بالجنة والمفسدين بعذاب الجحيم والموت يمثل نهاية رحلة الحياة، وهذا يقتضى الإذعان التام إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ والإسلام يذكر الإنسان برسالته يومياً فى الصلاة وفى العبادة – الله أكبر ـ تحث الجميع ليكونوا على

(٤) راجع: منشلين. ج. الرب والله وجوجو: الأديان فى أفريقيا المعاصرة. د. إبراهيم أسعد محمد ـ دار المعارف ١٩٧١م.

وعى بصورة دائمة أن الله يرعى ويحمى ويحب جميع خلقه، إنه سبحانه مالك الملك.

أصبح الأفارقة يسمون أولادهم بأسماء من صفات الله، مؤكدين بذلك ارتباطهم بالإسلام، وفهمهم لوحدانية الله وتفرده بالعبادة.

يطلق المسلمون وغيرهم فى غرب أوغندا مثلاً أكثر من ٥٠٠ اسم له صبغة دينية على أبنائهم ويوجد فى زامبيا أكثر من ٧٠ اسماً ترتبط بأسماء الله الحسنى.

هذا وقد اتبع المسلمون ومن تأثر بهم جوهر المبادىء التى ينادى بها الإسلام، وعلى رأسها:

١ـ الإقرار بأن الله هو الحقيقة النهائية، وهو مصدر الحقيقة والحب والخير.

٢ـ الإدراك بأن بنى البشر ليسوا مجرد أجساد مادية ولكنهم أرواح بطبيعتهم.

٣ـ أمكن للأفارقة التغلب على حواجز العرق والجنس واللون ليصبح الناس جميعاً سواسية أمام الله والقانون.

هذا وقد شجع الإسلام المعتنقين له على الاعتدال والتسامح والتواد فى إطار مبدأ التضامن الإنسانى، فالعالم كله هو من خلق الإله الذى أبدع كل شىء لكى يسخره الإنسان خيره وخير الجماعة.

وهكذا ندرك أن المعتقدات الأفريقية قريبة إلى حد مدهش من العقيدة الإسلامية ومن وجهة نظرنا فإن الدعوة الإسلامية فى أفريقيا سهلة ميسورة لما سبق ذكره، ومع ذلك فإن من الأفضل أن تضع فى استراتيجيتها الاستعانة بالمهتدين من المسلمين من الأفارقة أنفسهم، لأنهم أقرب إلى فهم ثقافة شعوبهم، وأقدر على التخاطب معهم بلغاتهم.

والله المستعان

***

تراثنا العلمى.. بين الأصالة والمعاصرة

للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا

مظاهر الاهتمام الدولى بالتراث العلمى

يقول مؤرخ العلم المعاصر "جان دوميريه" Jean Dhombres أستاذ الرياضيات الذى كان رئيسا للجمعية الفرنسية لتاريخ العلوم والتقنيات (٨٣ - ١٩٨٨) : "إن التراث العلمى لا يزال مجال عمل ضخم لم يتم" ويدعم صحة هذه المقولة ما تشهده حركة إحياء التراث العلمى منذ عدة عقود من نشاط منظم على مستوى العالم، يهدف إلى إعادة نشر الأعمال الكاملة لكبار العلماء، على اعتبار أنه مسئولية دولية تستوجب الرعاية والتعاون من جميع الدول، بما فى ذلك الدول الغنية من العالم الثالث. فقد حدث أن لجأت الهيئات المسئولة عن نشر الأعمال الكاملة للعالم الشهير "برنوللى" إلى تدعيم جهودها عن طريق الاكتتاب العام، ويجرى حاليا إعداد طبعة جديدة لهذه الأعمال، فى نحو خمسة وأربعين مجلداً، من خلال التعاون بين أكثر من سبع دول.

كذلك أمكن إصدار مجموعة الأعمال الكاملة لعالم الرياضيات المعروف "أويلر" عن طريق الاستعانة بإمكانيات ست دول، بالرغم من أن قاعدة العمل كانت تقع جغرافيا فى سويسرا.

وقد شرعت الولايات المتحدة الأمريكية حديثا فى تبنى هذا المبدأ لإصدار أعمال العديد من العلماء أمثال: "جاليليو" فى إيطاليا، و"نيوتن" فى إنجلترا، و"جاوس" فى ألمانيا، و"ديكارت" و"لابلاس" و"لاجراغ" فى فرنسا، وغيرهم. ولا ينبغى أن يدهش المرء لطول الوقت الذى يستغرقه إنجاز مثل هذه المشروعات، ناهيك عن ضخامة التكلفة. فقد استغرق إصدار أعمال عالم الرياضيات الشهير "كوشى" أكثر من خمسين سنة.

مؤتمرات الاتحاد الدولى لتاريخ وفلسفة العلم والتكنولوجيا (×)

م	المكان	تاريخ الانعقاد	م	المكان	تاريخ الانعقاد
١	باريس	٢٠-٢٥ مايو ١٩٢٩	١٣	موسكو	١٨-٢٤ أغسطس ١٩٧١
٢	لندن	٣٠يونيو- ٤يوليو١٩٣١	١٤	طوكيو-كويتو	١٩-٢٧ أغسطس ١٩٧٤
٣	البرتغال	٣٠سبتمبر- ٦أكتوبر ١٩٣٤	١٥	أدنبرة	١٠-١٩ أغسطس ١٩٧٧
٤	براغ	٢٢-٢٧ سبتمبر١٩٣٧	١٦	بوخارست	٢٦ أغسطس- ٣سبتمبر ١٩٨١
٥	لوزان	٣٠سبتمبر- ٦أكتوبر ١٩٤٧	١٧	بركلى- كاليفورنيا	٣١ يوليو- ٨ أغسطس ١٩٨٥
٦	أمستردام	١٤-٢١ أغسطس ١٩٥٠	١٨	هامبورج- ميونخ	١-٩ أغسطس ١٩٨٩
٧	القدس	١٤-٢١ أغسطس ١٩٥٣	١٩	سرقسطة- أسبانيا	يوليو ١٩٩٣
٨	فلورنسا ميلان	٣-٩ سبتمبر١٩٥٦	٢٠	لييج- بلجيكا	يوليو ١٩٩٧
٩	برشلونة مدريد	١-٧ سبتمبر١٩٥٩	٢١	اسبرتادو- المكسيك	٨-١٤ يوليو ٢٠٠١
١٠	إتياكا	٢٦ أغسطس- ٢سبتمبر ١٩٦٢	٢٢	بكين - الصين	يوليو ٢٠٠٤
١١	وارسو	٢٤-٣١ أغسطس ١٩٦٥	٢٣	بودابست - المجر	٢٨ يوليو- ٢ أغسطس ٢٠٠٩
١٢	باريس	٢٥-٣١ أغسطس ١٩٦٨			

(×) يلاحظ غياب البلدان العربية والإسلامية من قائمة الدول المضيفة للمؤتمرات.!

ويواكب هذا الاهتمام العالمي بعملية إحياء التراث العلمي نشاط مكثف لمعالجة قضايا تاريخ العلم وفلسفته، تتجلى مظاهره في إنشاء الأقسام والمؤسسات الأكاديمية المتخصصة في الكثير من جامعات العالم، وإصدار أكثر من مائة مجلة دورية متخصصة في تاريخ العلم ككل، أو في موضوع محدد من موضوعاته، أو في مرحلة زمنية معينة من مراحل تطوره عبر العصور. يضاف إلى ذلك ما يعقد من مؤتمرات دولية في تاريخ العلم والتقنية بصورة دورية تقريبا كل ثلاث أو أربع سنوات، منذ عام ١٩٢٩م، وقد بلغت حتى الآن ثلاثة وعشرين مؤتمراً، عقد أحدها في القدس عام ١٩٥٣م، وكان آخرها في بودابست بالمجر (٢٨يوليو - ٢ أغسطس ٢٠٠٩م).

ولا نجد في تعليقنا على هذا العرض الموجز لخريطة الاهتمام العالمي بقضايا التراث العلمي والتقني أفضل من كلمات "جان دومبريه" التي تقرر وجود فجوات واسعة وقصور شديد في الأعمال التي تضمنتها هذه النشاطات، إذ " ليس للعلماء غير الغربيين أي وجود بها، كما أنهم لم يحظوا حتى بالإعلام عنهم بأي أسلوب شامل. وفضلا عن ذلك فإن علماء الرياضيات والفلك يظهرون بصورة أبرز من التي يظهر بها الجيولوجيون وعلماء التاريخ الطبيعي عموما. وهذا يؤدي إلى الانحياز بصورة منفرة، فنحن اليوم لا نزال نعرف شارحي إقليدس، بدءاً من "ثابت بن قرة" إلى "أديلارد الباثي"، ومن "جيرار الكريموني" إلى "عمر الخيام" الذي لم يمكن إنكار أنه كان أيضاً مبدعاً وشاعرا وعالما في الرياضيات".

ونضيف من جانبنا أن هذا التحيز الواضح في الاهتمام العالمي بتراث العلماء الغربيين دون غيرهم يجب أن يقابله جهد مكثف من جانب أصحاب الحضارات المختلفة التي أسهمت في صنع التقدم العلمي والتقني عبر الأجيال، وخاصة أبناء الحضارة العربية الإسلامية التي ظل علماؤها الرواد لأكثر من ثمانية قرون طوال يشعون على العالم علماً وفناً وأدباً ومدنية، ولا نعرف اليوم شيئا عن أغلب مؤلفاتهم ومخطوطاتهم المفقودة، أو التي لا تزال بكراً في مظانها المختلفة بأنحاء متفرقة من العالم، تنتظر من يتولى البحث عنها وإحياءها لتحظى من جموع الباحثين بدراسات تحليلية معاصرة.

وليس هناك من شك في أن مثل هذه الدراسات التراثية للعلم الإنساني من شأنها أن توضح أهمية التحليل المنطقي لتاريخ العلوم وتقنياتها. فلا يمكن لأي باحث منصف مدقق إلا أن يضع النشاط العلمي والتقني في سياقه التاريخي العام، على اعتبار أن هذا النشاط عملية ممتدة ومتصلة خلال الزمان، ولن يوجد فهم واقعي للعلم بدون نقد متواصل له،

فليس ثمة معرفة إنسانية لا تفقد طابعها العلمي حتى تنسى الناس الظروف التي نشأت في أحضانها، وأغفلوا المسائل التي تولت الجواب عليها، وحادوا عن الهدف الذي وجدت أصلا من أجله. ومن هنا يستحيل الفصل بين التراث العلمي ومراحله التاريخية، نظراً لأهمية تاريخ العلم في صياغة فلسفة العلم ونظريته العامة، وإذا ما ران على العلم جهل بتاريخه، فإنه لا محالة مخفق في مهمته.

وإذا كانت الخبرة الإنسانية تدعونا إلى الاعتبار بدروس التاريخ، فإن تاريخ العلوم لا يدلنا فقط على المراحل الزمنية للتغيرات التي شهدها، ولكننا نتعلم منه أيضا أن المشكلات والقضايا العلمية التي تواجهنا الآن ليست جديدة تماماً؛ فالأساليب التي عولجت بها هذه القضايا في ظروف مغايرة عبر العصور لن تخلو أبداً مما يمكن أن نفيد منه اليوم أو غداً، ولذا فإن أية نظرية تطرح لنقد العلم قديماً وحديثاً تكتسب أهميتها من المبررات المنطقية التي تقدمها كمسوغ لإعادة قراءة تاريخ العلوم في ضوء المرحلة التي يبلغها من تطوره على أساس ما يستجد دائماً من أفكار تتعلق بالجوانب المختلفة لنظرية العلم والتقنية، بحيث تجعل من هذه القراءة المعاصرة أساساً لتحليل الواقع واستشرافا لآفاق المستقبل.

ومن هنا نعثر على السبب الحقيقي وراء الاهتمام العالمي المتزايد بإعادة تحليل تاريخ العلم والتقنية برؤية موضوعية قدر الإمكان من خلال المؤسسات الأكاديمية والمجلات الدورية والترجمة والتأليف وإحياء تراث الأعلام في فروع العلم المختلفة.

ومن هنا أيضا تظهر بجلاء أهمية إحياء التراث العلمي للحضارة العربية الإسلامية، والعودة - من خلال الدراسات التأصيلية - بالعلوم التخصصية المعاصرة إلى جذورها في المجتمع الذي كان شاهدا على ميلادها، والتعرف على طبيعة الظروف التي سمحت للمفاهيم والأفكار الوليدة أن تنمو وتزدهر، وتصبح بعد ذلك فروعاً في شجرة المعرفة، وروافد لا غنى عنها لتغذية الحضارة الإنسانية؛ ذلك لأن الحقائق العلمية ليست كلها على درجة متكافئة من الأهمية والدلالة عندما يتناولها المؤرخ بالتحليل والتفسير في أي عصر من العصور، كما أن قيمة العلماء ومكانتهم تتحدد بقيمة القوانين والنتائج العلمية التي يتوصلون إليها، وبمدى أثرها في دفع مسيرة التقدم العلمي والحضاري.

«يتبع»

***

قصة العدد

فى مجلس الشعبى

للدكتور/ أبى حسام

وفد عامر الشعبى من الكوفة إلى دمشق، ضيفا على أمير المؤمنين عبدالملك بن مروان، فأنزله منزلا كريما، وعرض عليه أن يكون سفيره إلى ملك الروم فى مهمة سياسية لا يقوم بها غير عالم ضليع وفقيه عارف بأصول الحكم فى الإسلام، ولن يتحقق ذلك فى غير رجلين كبيرين؛ الحسن البصرى عالم البصرة، وعامر الشعبى عالم الكوفة، أما الحسن فرجل صريح يجهر بكل ما تكن به نفسه دون مبالاة، لأنه لا يعبأ بخليفة، أو إمبراطور، وأما الشعبى فإنسان محنك يقدّر الظروف ويراعى الملابسات، فهو بهذه السفارة أولى وأجدر، وقد أدّى الرسالة على خير وجه، ورجع إلى أمير المؤمنين يحدثه بما كان فى شرح يطول.

وفى اليوم التالى تهيأ عامر للرحيل إلى الكوفة، فاستمهله عبدالملك بضعة أيام، فاعتل بما يوجب التبكير فى الرحلة، وكان فى حضرة أمير المؤمنين شيخ تجلله المهابة، ويرعاه عبدالملك بعين التقدير، فسأل الشعبى عنه، فقيل إنه الأخطل شاعر أمير المؤمنين، فلم يظهر على وجه الشعبى ما يدل على الاحتفاء به، ولحظ ذلك عبدالملك فقال للشعبى:

هذا أحد ثلاثة هم كبار شعراء العصر يا عامر، ولهم المنزلة الأولى فى نفوس الرواة وعاشقى الأدب، وما فاتك فى رأيى أن تلمّ بشذور من أشعارهم، وتعرف مكانتهم فى الدولة وفى الأمة العربية ومَن فيها يجهل الأخطل والفرزدق وجرير!

فابتسم عامر، وقال فى أدب: أعرف ما تفضّل أمير المؤمنين بقوله، ولكنى لا أرحب بما قالوه فى النقائض والأهاجى، لأن للشعر رسالة أسمى من ذلك وأرفع، ولا أريد أن أحرج الأخطل بتفصيل ما أجملت، ولعلى أقوم بذلك حين أقابل من تسمح به الظروف منهم فى الكوفة، وهو الفرزدق إذ يغشى المدينة كثيرا بين الحين والحين، وسيبلغك ما اعتزم الجهر به فى ملأ جامع، دون أن أرهق الأخطل بحديث قد يتشعب فى مجلس أمير المؤمنين.

فابتسم عبدالملك، وأدرك من لطف عامر، وبراعة كياسته، ما حبّبه إليه، وفى ختام المجلس ودّعه أحسن وداع، وتهيأ للرحيل.

ذهب الشعبى إلى الكوفة، فكان أول همّه أن يفى بوعده فى حضرة أمير المؤمنين، وسأل عن الفرزدق فعرف أنه بالكوفة منذ أسبوع، وأنه يجيء إلى المسجد الجامع يومياً فيتحلق حوله الناس ويروى لهم طرفا مّما يدور بينه وبين جرير فى المربد، فقال: لقد حانت الفرصة وسيكون لى معه شأن فى الغد.

وطار الحديث إلى الفرزدق، فابتسم، وقال: إنه الشعبى يريد أن يقول الناس لقد حضر الفرزدق مجلسه، ويتباهى بذلك، فقال سامعة: إن المجلس فى المسجد الجامع، وليس بهذا الاعتبار مجلس فخر ومباهاة، كما يحدث فى المربد، فأطرق الفرزدق ثم قال: بلغوا الشعبى إنى سأصلى العصر خلفه فى المسجد، ثم أجلس فى حلقته لأسمع ما يقول.

وصدق الفرزدق وعده، وانتظمت الحلقة بعد صلاة العصر، فحيا الشعبى الفرزدق، وقال له: إنه قادم من حضرة أمير المؤمنين، وقد وعدته أن أفضى إليك ببعض الحديث، لأنى تحرزت من مجابهة الأخطل فى مجلس الخلافة، والرأى أن يكون النقاش معك، فأنت زعيم معشرك، فماذا تقول:

فابتسم الفرزدق وقال: يا عامر إن نارَك أهونُ لدىّ من جنة الحسن البصرى، فعهدى به أن يُجهِّمنى بما لا أحب، فقد قلت له فى لقائى الأخير، إنى هجوت الشيطان يا إمام، وانتظرت أن يفرح بما نظمت فعبس فى وجهى، وقال فى سخرية: اسكت فإنك لا تنطق إلا بلسانه؛ وإن شئتَ فاهجُ نفسك. فسكتّ!

قال الشعبى: ليست المسألة لدّى مسألة أشخاص، ولكنى سأتحدث عما أفهمه من رسالة الشعر، إذ أراكم قد ضللتم الطريق!

ثم ارتفع صوت الشعبى، وهو يقول: لقد شغلتم الناس بالأهاجى، وتقاذفتم بالأوضار حين أخذتم تذكرون العورات، وتسبّون الآباء والأجداد، وتأتون من المعانى الهابطة ما يضيق به صدر الحليم، والعامة وأشباه العامة من الناس يفرحون بهذه الأهاجى المنكرة لأنها تُشبع النزوات الهابطة، وترضى النفوس المريضة وكل منكم ينقب فى أحداث التاريخ ليعرف سوءات الماضين فيسردها مُباهيا مفتخرا، وهكذا أصبحت النقائض مدعاة الهذر والإسفاف، وتحاشى روايتها الخاصة من ذوى الخلق الكريم، وقد ظننتم أنكم بذلك قد حملتم راية الشعر، وغركم انجذاب العامة إلى ما تقولون، ولكنى أراكم قد هويتم بالشعر وبالخُلق معا، فانحطَّ الذوق أدبيّا، واجتماعيا، وأصبح الناس يلهجون بقصائدكم الهاجية. وفى رأيى أنكم

تقدمتم حيث يجب أن يتقدم سواكم من أصحاب الرأى كالكميت، والطرماح، وعمران بن حطان، وبين أصحاب الغزل العفيف الشريف مثل: جميل، وكثير، وابن ذريح فهؤلاء يرفعون المستوى الخلقى للأمة، ولا يهوون بها إلى الحضيض.. فاكفهرّ وجه الفرزدق وقال:

أراك تنفرد برأى لم يهتف به سواك، أتقول إن الكميت، وعمران بن حطان، والطرماح، وجميلا، وكثيرا.. أشعر من الفرزدق والأخطل وجرير!.. قال الشعبى: هو ما أقول، ومعى الدليل.

ثم علا صوت الشعبى وهو يقول: اسمع يا فرزدق:

كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- من أعلم الناس بالشعر، وكان يرويه فى كثير من مواقفه ولكنّه كان يؤثر ماله ارتقاء بالأخلاق الفاضلة لذلك كان يؤثر من شعراء الجاهلية زهير بن أبى سلمى، ثم النابغة الزبيانى، وكان يحيد عن امرئ القيس، مع أن الملك الضليل لم يبلغ من الإقذاع والتبذل فى شعره ما بلغه شعراء النقائض، فزهير أثير عند ابن الخطاب لمثل قوله:

ومهما تكنْ عند امرئ من خليقة
وإن خالها تخفى عن الناس تعلم

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
فلم تبق إلا صورة اللحم والدم

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه
وإن يرق أسباب السماء بسلم

وأعلم علم اليوم والأمس قبله
ولكننى عن علم ما فى غد عمى

والنابغة له أهاج كثيرة، ولكنها من الطراز الذى لا يخدش الخلق النبيل، ولو سلك أصحاب النقائض وشيخهم هو الفرزدق مسلك النابغة ما اعترض عليه أحد، إن النابغة هجا عامر بن الطفيل هجاء حرّك مواجعه، وأثار أشجانه، مع أنه لم يزد عن أن وازن بينه وبين نفر من أهل المكارم فقعد به دونهم، وكان قصاراه أن يقول لعامر:

فكن كأبيك أو كأبى براء
تحالفك الحجة والصواب

فإنك سوف تحلم أو تناهى
إذا ما شبت أو شاب الغراب

فلا تذهب بحلمك طاميات
من الخيلاء ليس لهن باب

فهذا أشبه بالنصائح والتوجهات، وليس منحدرا إلى التعرض للحرم، وذكر الفواحش، والانحدار إلى أساليب الرعاع!

سكت الفرزدق قليلا ثم قال فى هدوء للشعبى: أهذا كل ما لديك؟ فقال الشعبى: لدى الكثير والكثير، وإن أهملتُ ما أهملت فلا أنسى موقفك المسف من زوج جرير، وقد انتقلت إلى رحمة الله، ورثاها زوجها أكرم رثاء، يدل على شدة وفائه ورعايته حقوق الزوجية الكريمة، وقصيدة جرير فى رثاء زوجه يجب أن تذاع وتروى فى مجالس الأدب ودروس الخلق لأنها توطن العلائق الأسرية الكريمة، أما أنت فلم تلتفت إلى هذه الفضيلة المأثورة، بل اندفعت تحط من قدر الراحلة وهى بين يدى ربها فتقول فى إسفاف:

كانت منافقة الحياة وموتها
خزى علانية عليك وعار

فلئن بكيت على الأتان فقد بكى
جزعا غداة فراقها الأعيار

إلى نمط من القول يستحى أن يردده إنسان فى هذا المسجد الكريم.

وهنا قال أحد الحاضرين موجها القول إلى عامر الشعبى:

يا إمام، إن الفرزدق لم يهج زوجَ جرير فحسب، بل هى زوجه حدراء بعد أن ذهبت إلى كنف الله، فهو لم يسم إلى رثائها كما سما جرير، وإنما انحدر بزوج صامتة فى قبرها فتحدث عن مسائل لا يحتملها الخلق الكريم، فهى مُرتجّة الروادف، وهى أهون مفقود على الزواج، ولا تجب زيارة قبرها، وكأنها لم تكن سراج منزله، وأنس حياته، فدُهش الشعبى وقال: لم تصلنى هذه الجريمة النكراء، فماذا قال هذا المارق؟

قال صاحبه، سأروى ما يمكن قوله فى مجلس الإمام الشعبى:

يقولون زُر حدراء والقبر دونها
وكيف بشىء وصله قد تقطعا

وأهون رزء لامرئ غير عاجز
رزية مرتجّ الروادف أفرعا

وأهون مفقود إذا الموت ناله
على المرء فى أصحابه من تقنعا

فصاح عامر: اسكتْ أيها الرجل! فقد أثرت كامن غيظى، وأكاد أقول ومعى الدليل إنى أشك فى إنسانية الفرزدق وأشباهه، ثم اتجه إلى الشاعر يقول:

هذه حرمُك المصون يا رجل! ولو نالَها أحد من الناس بمثل ما قلت لكان عليك أن تقف فى وجهه وقفة الرجل الغضوب! وقد كنت أسخط على قولك الكذوب فى الحديث عن واقعة مختلقة

هما دلتانى من ثمانين قامة
كما انقض باز أقتم الريش باسرُه

فلما استوت رجلاى فى الأرض قالتا
أحىٌّ فيُرجى أم قتيل نحاذره

فقلت ارفعوا الأسباب لا يشعروا بنا
وأقلتُ فى إعجاز ليل أبادره

وأقول إن هذا كذب متخيَّل، لأنى أعلم جيدا أنه لا حظ لك مع النساء، فهن يرمينك بالنشوز والإعراض، وإنما أردت أن تتشبه بامرىء القيس حين قال:

سموت إليها بعد ما نام أهلها
سمو حباب الماء حالا على حال

فجئت بما تهتدى به دون حياء!

ونظر الشعبى إلى الملأ من حوله فقال: يا قوم كنت أوثر أن يكون درسى شرحا لحديث قاله رسول الله ﷺ أو تفسير لآية كريمة من كتاب الله -عز وجل-، ولكن مجلسى مع أمير المؤمنين عبدالملك قد حتّم علىّ أن أفى بما وعدت ولعلى فعلت، قوموا بنا لنجدد الوضوء فقد حان ميعاد الصلاة!

الخطاب الدينى مسئولية تربوية مستنيرة

للأستاذ محمد مصطفى البسيونى

تتشعب مجالات الحياة وفق حاجات الناس إلى عدة مجالات منها المجال السياسى والاقتصادى والتعليمى والثقافى والمهنى والدينى[1] وغير ذلك بل إن كلاً من هذه المجالات يتفرع إلى عدة أفرع ولاسيما بعد تطور التخصصات بتطور المجتمع الإنسانى مما أدى إلى ظهور ما يعرف بالتخصصات الدقيقة وهكذا وفى كل من هذه المجالات يوجد من ينقل فكره وخبراته إلى الآخرين الذين يحتاجون إليها وعندئذ يسمى صاحب هذا العطاء «بالمؤدى» ويسمى من يأخذه عنه «بالمتلقى» وتسمى هذه العملية بين المؤدى والمتلقى بالعملية التربوية.

فالتربية ليست قاصرة - كما شاع وذاع - على ما تقوم به دور التعليم «قبل الجامعى كما يقال» فقط فهذا معنى ضيق جداً للتربية التى ينبغى أن تمتد من المهد إلى اللحد كما يقال ولهذا ضاق مفهوم «التربية» حتى قيل فى بعض معانيها التعليمية إنها عملية تغيير سلوك «النامى» أو الناشىء بتطويع فطرته وتطويرها وذلك بمده بالقدر المناسب من التجارب السلوكية والخبرات والمعلومات والمهارات المكتسبة. وهذا المعنى المحدود يقتصر على دور «الأداء والتلقى» فى دور التعليم «قبل الجامعى» فحسب فماذا إذن تسمى أدوار الأبوة والأمومة والعلاقات الأسرية وأثرها فى تنشئة الناشئة. ونحن هنا نريد أن نعى المعنى الواسع للتربية حتى تشمل معظم علاقات الأخذ والعطاء فى الحياة، ومن هنا تتعدد وسائل التربية فتطلق على وسائل الإعلام بأنواعها المختلفة والمتعددة كما تطلق على التوعية السياسية والتوجيهات الاقتصادية والأساليب الثقافية مثل الندوات والمحاضرات والكتب وغيرها.

هذا إلى جانب ما يمكن للقارئ العزيز أن يضيفه من عنده اتساقاً مع هذا السياق مثل ما نعيش بصدده فى هذه الأيام عند تنوير الناس بمشكلة «أنفلونزا الخنازير» مثلاً أليس هذا ضرباً من التربية؟ وإلا فماذا يكون؟ والذى يعنينا هنا هو «التربية الدينية» ولسنا نقصد هنا هذه المادة الحائرة فى مناهج التعليم والتى لا تكاد تجد لها مكاناً ثابتاً بينها فهى أحياناً تضم درجاتها إلى المجموع وأحياناً تحذف درجاتها من المجموع دون أن نفهم تعليلاً للحذف أو الإضافة بل إن الأعجب من ذلك فى شأن هذه المادة المدرسية أن يتحول المصلى الخاص بها فى كثير من المدارس إلى مخازن للكتب فى بدايات العام الدراسى انتظاراً لتوزيعها على الطلاب، بعد أن كان المصلى فى المدرسة التى تعلمنا فيها فى الأربعينيات ومستهل الخمسينيات هو المجال العملى الذى تدربنا فيه على إقامة الصلوات وكان يلحق به «ميضأة» يتعلم فيها التلاميذ عملياً الوضوء والطهارة قبل لقاء الله فى الصلاة. ولكن ما علينا «فللبيت رب يحميه» على قول عبدالمطلب جد رسول الله ﷺ أما الذى قصدنا إليه هنا هو «التربية» فى مجال العقيدة، وهو ما يطلق عليه اليوم «بالخطاب الدينى».

ولا شك فى أن التربية فى مجال العقيدة بدأت منذ خلق آدم - عليه السلام - من خلال الوحى الإلهى الذى أنزله الله على أنبيائه - عليهم السلام - مبشرين للناس ومنذرين لهم، فكانت هذه هى «التربية» الأولى فى مجال العقيدة، ومن ثم يبرز الحديث النبوى الشريف «أدبنى ربى فأحسن تأديبى»[2] إذ ترتبط التربية بالأدب حتى يكاد كل منهما أن يكون مرادفاً للآخر، وليس معنى الأدب هنا هو المعنى الضيق الذى نجده عند المشتغلين بإبداع الشعر والنثر، وإنما هو المعنى الواسع الذى قصده عبدالله بن المقفع - المفكر الذى كثر حوله الجدل ولم ينته حتى اليوم فقد حرص على أن يسمى بعض كتبه فى «التربية» بما يعرف «بالأدب الصغير» و«الأدب الكبير» وهما كتابان يعرفهما طالب الأمس ويجهلهما تماماً طالب اليوم، إذ أنهما كتابان شهيران فى المقررات المدرسية القديمة وقد حرص على إصدارها على نفقته المفكر الكبير الراحل «أحمد زكى باشا» وذلك بجانب كتاب «أدب الدنيا والدين للماوردى» وذلك قبل أن تطرأ عوامل «التطوير» على مناهجنا المدرسية والله الهادى إلى سواء السبيل. وهذا الاستطراد الذى نعتذر للقارىء الكريم عنه كان ضرورياً ليلتئم الموضوع بعد ذلك فى مساره عن «الخطاب الدينى».

كان أول خطاب دينى فى «تربية العقيدة» كما قلنا - من لدن ربنا سبحانه وتعالى، وما أقرب كلمة «الرب» إلى كلمة «التربية» فهو سبحانه رب الأرباب، ومؤدب المؤدبين. فالمربى المطلق هو الحق - سبحانه وتعالى - الذى أوحى رسالته التربوية العظمى التى ليس كمثلها رسالة إلى أنبيائه الذين صنعهم على عينه واصطنعهم لنفسه فأصبحوا مزودين بالأساليب المثلى لتربية البشر.

فإذا قصدنا إلى الحديث عن «التربية العقائدية» أو «الخطاب الدينى» فما أحرانا أن نقترب فى هذا من العقل البشرى لنتعرف على جهده فى مجال «التربية» فنتعرف على «المقومات التربوية» عند البشر، علنا نتفهم كيف تعالج هذا الموضوع على المستوى البشرى بعد أن وقر فى وعينا أن المصدر الحق للتربية العقائدية هم المرسلون من ربهم عندما كانوا فى موقف «التلقى» منه - سبحانه - ثم كيف نقلوه إلى البشر عندما كانوا فى موقف العطاء الصادق والأداء الأمين.

عمق المعرفة فى الأداء

وأول ما نلمس من هذه المقومات التربوية عمق معرفة وإلمام «المؤدى» بما سيلقيه على «المتلقين» إذ أن فاقد الشىء لا يعطيه فالمعلم الذى لا يحيط بمادته

(١) وإن كان المجال الدينى هو وعاء كافة المجالات.

(٢) كشف الخفا ١/٧٢.

تماماً لا يستطيع أن ينقل منها شيئاً إلى تلاميذه، وعندئذ يتعرض للسخرية والاستهزاء لأن التلميذ «أو المتلقي» هو «من» يبحث عن السلعة الجيدة التي ترغبه وتقنعه فإن لم يجدها عند هذا «المؤدي» ضرب عنه وعنها صفحا وشك في قدرة أستاذه على العطاء المنشود وقد لمسنا في عملنا الدرسي المشكلات التي كانت تنجم عن مثل ذلك الموقف المعيب. ومن هنا كان على صاحب الخطاب الديني أن يكون كياناً ثقافياً متفقلاً يسعى إليه المتلقون في رغبة واقتناع.

الإيمان بما نقول

ومن هذه المقومات التربوية المهمة في الخطاب الديني أن يكون صاحبه – وهو صاحب رسالة – مقتنعاً بما يقول، مؤمنا بما يطرحه على جمهور المتلقين لأن الإيمان بالفكرة يؤدي إلى يسر أدائها والتعبير عنها، بل والإبداع حولها فالمؤدي هنا ليس مجرد جهاز آلي يردد ما قد سجل عليه إنما هو فكره مبدع متحرك يصوغ معلوماته بالأسلوب المرن المتطور وليس بأسلوب الحفظ والاستظهار، ولئن كان الحفظ والاستظهار ضرورة أساسية في مجال نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف إلا أن نقل هذه النصوص إلى المتلقي ينبغي أن يكون فنا شيقا وصناعة مستساغة حتى لا يتبرم المتلقي بما يقال «أو يكتب» ولكن يقبل عليه في شهية الجائع الذي تشبعه لذة الطعام.

مراعاة مقتضى الحال

وليس شك في أن من هذه المقومات أيضاً ما يعرف بمراعاة «مقتضى الحال» كما علمنا أساتذة البلاغة. فالمتلقون للخطاب الديني ليسوا سواء، منهم المتعلم ومنهم غير ذلك، ومنهم أصحاب المهن المختلفة التي تؤثر على مدى استجابتهم لما يعرض عليهم.

فلابد هنا من مراعاة «جماهيرية» المتلقين فلا ينبغي أن تخاطب الحشود بما ينبغي أن يقتصر على الندوات العلمية المتخصصة، وملتقيات البحث الفقهي الدقيق.

لقد استمعت «ذات جمعة» إلى الخطيب الفاضل يتحدث عن المولد النبوي الشريف فأثار قضية تاريخ هذا المولد هل هو حقاً في ليلة ١٢ من ربيع الأول أم كذا أم كذا وأدى هذا إلى تشتيت العقول التي تعلمت منذ صغرها هذا التاريخ المشهور، وكان ينبغي أن يكون هذا حديثاً متخصصاً بين الباحثين من الدعاة وليس على هذا الملأ المختلط في درجات العلم والتعليم.

كما استمعت أيضاً ذات مساء إلى عالم جليل تشرف به درجة الدكتوراة يتحدث عن خَلْق حواء فيقول إنها لم تخلق من ضلع آدم ولكنها خلقت خلقاً مستقلاً كخلق آدم تماماً!!!

ونحن هنا لا نناقش هذه الأمور، ولكننا نقول إن هذه القضايا الدقيقة المختلف عليها ينبغي ألا تثار في جهاز عام كالتلفاز حيث لا يملك المشاهد أن يتبادل الرأي مع المتحدث كما أن مجالها هو الندوات المتخصصة أدق التخصص وإلا تصبح النتيجة أن هذا ليس خطاباً دينياً لأنه قد خرج عن الموضوع، كما أن هذا الأسلوب يثير الكثير من المواقف عند أصحاب الهوى وكثير ما هم.

«٣» الحديث يقول «ليس من البر الصيام في السفر» رواه أحمد في مسنده والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي «الجامع الصغير».

اللغة المبسطة

ولا شك في أن من أهم المقومات في هذا المجال هو تبسيط اللغة المتحدث بها فلا ننساق وراء «العربي القديم» عندما ازدحم حوله الناس إذ قال لهم: «مالكم قد تكاكأتم على كتكأكئكم على ذي جنة؟ افرنقعوا» وهي عبارة قد تكون في زمانها لغة «عادية» ولكننا الآن إذا أردنا أن نعيد صياغتها بما يتفق مع الثقافة اللغوية المعاصرة فالأولى أن نقول مثلاً «لماذا تزدحمون حولي هكذا كما لو كنت مجنوناً؟ هيا تفرقوا بعيداً عني». وهكذا ينبغي أن يكون خطابنا بعيداً عن المظهرية والاستعراض والتباهي والتقعر الذي يرفضه الدين بالصياغات غير المطروقة. ولنا في لغة القرآن الكريم الدرس البليغ حيث إنه نزل من لدن رب العالمين بلسان عربي «مبين» يفهمه الجميع ويتحدثون بلغته ولكنهم -مع هذا- عاجزون عن الإتيان بمثله، وهذا هو الإعجاز، كما أن لنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة حيث كان يخاطب كل قوم بلهجتهم ولغتهم ولعلنا في هذا نذكر الحديث الشريف الذي جاء فيه قلب اللام ميماً وفق لغة المخاطبين من بعض القبائل «ليس من امبر» [٣] «البر» امصيام «أي الصيام» في مسفر «أي في السفر» وهكذا يخاطب الناس على قدر عقولهم، ولهجاتهم.

اتساق القول مع الفعل

ومن أهم المقومات التربوية في مجال «الخطاب الديني» تطبيق «المؤدي» لما يقول على نفسه وسلوكه فلا ينبغي أن يحض الجمهور على التزام بعض الأخلاقيات بينما هو عُطل منها وعندئذ يكون -والعياذ بالله- قد صار في زمرة «الذين يقولون ما لا يفعلون» حيث يقع عليه قول الله تعالى:

﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾
«الصف: ٣»

وهو المعنى الذي حاول الشاعر القديم أن يقول فيه:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم

إن من يتولى الخطاب الديني هو في نظر المتلقين مثال صادق ومجسم لتعاليم الإسلام فلابد أن يكون عند حسن ظنهم حيث ينظرون إليه على أنه من ورثة الأنبياء، فإذا كان عكس ذلك -لا سمح الله- فقد أعطى الفرصة «المشروعة» لمريديه كي ينسلخوا عن هذه التعاليم ويفعلوا ما يشاءون، تماماً كالمعلم الذي يوضح لتلاميذه مضار التدخين بينما يرونه مدخناً مدمناً يكذبهم ويضللهم.

سعة الصدر أمام السائلين

لا يخلو حشد من الناس في الخطاب الديني من بعض الناس الحائرين حول مسألة دينية معينة، فيلجأون إلى صاحب الخطاب الديني بأسئلتهم ينشدون الجواب المريح والتأويل الصحيح، فهل نتبرم بهم، ويضيق صدرنا بتساؤلاتهم؟

لقد أعطانا القرآن الكريم التوضيح الأمثل في مثل هذه الظروف عندما وصف نبيه المصطفى ﷺ بالسماحة وسعة الصدر ولين الجانب:

﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾
«آل عمران: ١٥٩»

بل أمره عز وجل بالاستماع إلى آرائهم وأفكارهم

واستشارتهم وهو الذى يوحى إليه القول القاطع والبرهان الساطع، ولكن هذا لا يمنع من احترام عقولهم وتوظيفها حيث برأها الله لهم للعمل وليس للكسل فقال جل وعلا:

﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾

«آل عمران: ١٥٩».

وهكذا يصبح الخطاب الدينى أداة لتحقيق إيجابية المسلم وتدريبه على القول السليم والعمل القويم، فلا يقول «آمين» إلا بعد قراءة الفاتحة، وعند الدعاء فقط.

موقف تربوى مستنير

الخطاب الدينى - وكل خطاب - هو موقف ثلاثى الأضلاع يتألف من المؤدى، والمتلقى، وموضوع الخطاب. وقد يكون المتلقى لديه الاستعداد الكامل للقبول والاستيعاب ولكن الموضوع ليس ذا بال أو هو موضوع مفتعل - كما قد يكون الموضوع على جانب كبير من الأهمية والمؤدى متمكن منه ومحيط به ولكن المتلقى فى واد والموقف كله فى واد آخر، وهكذا ولكى يكون الخطاب الدينى موقفاً تربوياً «مستنيراً» لابد أن يكون هناك نوع من التفاعل بين جوانبه الثلاثة «الأداء، والتلقى، والموضوع». والمسئولية فى تحقيق هذا التفاعل تقع على قائد الموقف نفسه الذى يمسك بالخيوط بيده وينظمها بفكره فلا يسمح للمتلقى بالانصراف عنه، ولا للموضوع بالانفلات منه وهى مهارة أساسها التوفيق من الله - عز وجل - ثم الإخلاص المحض فى الأداء، الذى يثبته الحق - سبحانه - فى قلوب المتلقين فيستشعرون صدق ما يقال من علم، وصدق ما يبذل من جهد فيقبلون بكياتهم على صاحب الخطاب الدينى وقد ملأهم الحب والإعجاب والرغبة فى المزيد.

الدعوة المكثفة إلى تعديل السلوك

وخير ما يرجى من الخطاب الدينى أن يدفع المتلقين إلى تعديل سلوكهم وفق المعايير الإسلامية التى يطرحها فلا يكون خطابا واعظاً فقط بل دافعاً إلى الحركة السلوكية فى الحياة العملية وفق الأوامر والنواهى التى نزل بها الذكر الحكيم، ووردت عن الرسول العظيم ﷺ وتجلت فى سلوكيات السلف الصالح الكريم.

وهذه مهارة يتمتع بها صاحب الخطاب الدينى المستنير الذى ينطق لسانه بما يحفظه جنانه وكيانه مثل الإناء الذى «ينضح بما فيه»، لأنه صادق مع نفسه ومع ربه ومع الناس فهو قيمة مثلى تمشى على الأرض ومثل أعلى يتمثله المعجبون به والمتحمسون له.

وبعد... فإن إيجابية الخطاب الدينى وتفعيله لخدمة الرسالة العظمى يضعان على كواهلنا مسئولية كبرى حول هذا الموضوع الأخلاقى حتى نصل الفروع الإسلامية المعاصرة بالجذور المحمدية الأصيلة التى جعلت الأمة:

﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

«آل عمران: ١١٠».

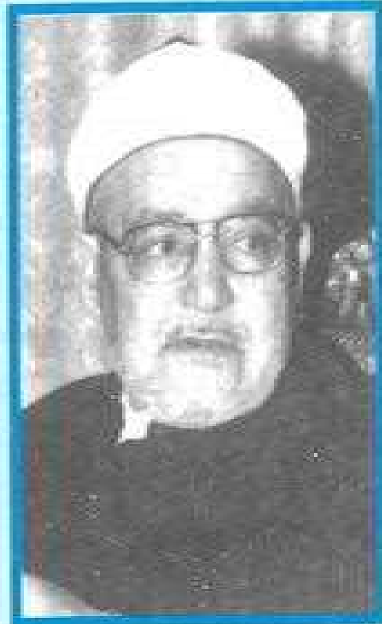
وصدق الحق - عز وجل -:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾

«الأحزاب: ٢١».

والله - من قبل ومن بعد - ولى التوفيق

الغزالى فى كتاب خلق المسلم



للدكتور/ سيد أحمد فرج
الأستاذ بجامعة المنصورة

الجهر بالسوء أذهب بالرشد والتقوى، فضلاً عن أنه يضيع المروءة، ويقتل الصداقة، ويقطع ما أمر به الله أن يوصل، ولا يأذن الله لأحد أن يجهر بالسوء إلا فى وجه ظالمه. قال تعالى:

﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ۝ إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾

«النساء: ١٤٨ - ١٤٩».

إن الله - تعالى - يحمى سمعة الناس ما لم يظلموا غيرهم، فإن ظلموا لم يستحقوا هذه الحماية ممن ظلموا لأن الإسلام كما بين القرآن الكريم يربط بين الحرص على العدل، والحرص على الأخلاق، ومع ذلك فهو يوجه الناس إلى الخير عامة، ويدعوهم إلى العفو وعدم الجهر بالسوء.

واللسان الجاهر بالسوء يؤدى إلى كثير من متاعب الناس الخلقية والاجتماعية، ويشيع فى الناس الفتن التى تقوم على الظنون والشائعات، فضلاً عن كشف عورات الناس وغمزهم ولمزهم.

ويقول الشيخ محمد الغزالى: «والكلام صورة حسية لما فى النفوس من طيبة أو خبث، وما فى العقول من ضحالة أو عمق، ولكن يقع كثيراً أن ينطق اللسان، وليس وراءه فكر ضابط، فيكون الكلام المرسل مؤثراً فى النفس» (ص ٢١٤) تأثيراً يؤجج الضغينة.

ولقد روى مالك فى موطئه قال: بلغنى أن

عيسى بن مريم - عليه السلام - كان يقول: لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسوا قلوبكم، فإن القلب القاسي بعيد من الله، ولكن لا تعلمون، ولا تنظروا في ذنوب الناس كأنكم أرباب وانظروا في ذنوبكم كأنكم عبيد، فإنما الناس مبتلى ومعافى، فارحموا أهل البلاء، واحمدوا الله على العافية».

والقرآن وهو يشرع لنا اجتناب الجهر بالسوء، لا يدافع عن معوج، بل إنه لا يريد أن يعين الشيطان على إنسان عاثر زلت قدماه، وهو قادر على استئناف السير الحميد إذا أنهضناه» (ص ٢١٦).

إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما

قد يعصى الإنسان بجوارحه، ويتوب فيغفر الله - تعالى - له. أما إذا كان عاصيا عنيدا يضم إلى شروره إصرارا عليها واغترارا، فإن الشرع يقضي بوضع حد لشره، حتى يتحقق للمجتمع الحق والمصلحة. قال تعالى:

﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾

(النساء: ١٠٧)

ومواطن الخيانة والإثم معروفة في دنيا الناس. وهي تبدأ في الفرد العادي وقد تكون صغيرة بكلمة فتحدث فتنة. وقد تمتد إلى أعلى الرتب والدرجات في الدولة بما يعود بالخسران على جميع الأعمال الإدارية والفنية والتجارية، وحتى تشمل كل الأعمال التي تدور فيها حركة الحياة. وتلك تمثل الأمانات في الإسلام - في البيت وفي الشارع، في المسجد وفي السوق، وفي العمل الإداري والصناعي والتجاري فهي تنتظم الحياة بكل مسئولياتها المادية والأدبية. روى أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له» رواه أحمد، وروى علي بن أبي طالب - رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ذمة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة عدلا ولا صرفا» رواه مسلم.

«وإن الوظائف كبراها وصغراها أمانات لا مغانم، وتكليف لا تشريف، وعبادة لا سيادة، وامتحان شاق لا طعمة سائغة» (ص ٢١٨).

وأجهزة المرافق تعاني من أعطاب بسبب من لا يرعون الأمانة، ولن ينهض المسلمون إلا إذا صارت المصالح العامة أشد حرمة من المصالح الخاصة، لأنها حقوق الأمة كلها، ولأن الحقوق التي تمثلها المؤسسات السياسية والاجتماعية والثقافية واسعة الدائرة تشمل ألوف الألوف من الناس. (ص ٢١٩).

والقرآن يدعو إلى الوفاء - وهو ضد الغدر والخيانة - والتصدي لأصحاب الخيانة في كل صورها. قال تعالى:

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٥) الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (٥٦) فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٥٧) وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾

(الأنفال ٥٥ - ٥٨)

والآيات تبين أن الإسلام يكره الغدر والخيانة، ويأمر بتأديب الخونة الغادرين، وتلفت النظر إلى أن دعوة الإسلام نفسها تقوم على الجهر بالخير الذي يستوى في العلم بحقائقه كل الأطراف. لأن فيها عهد والعهد لله تعالى. روى البيهقي في سننه أن النبي ﷺ قال: «ثلاثة المسلم والكافر فيهن سواء، من عاهدته فوف بعهده مسلما كان أو كافرا، فإنما العهد لله، ومن كان بينك وبينه رحم فصلها مسلما كان أو كافرا، ومن ائتمنك على أمانة فأدها إليه مسلما كان أو كافرا».

إن الله يحب المتوكلين

يربى المسلم على التوكل على الله لقوله تعالى:

﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾

(آل عمران ١٥٩)

والتوكل ثقة في الله، واستمداد العون منه - عز وجل - يزيد عزيمة المسلم مضاء وقوة.

ويرى الشيخ الغزالي: أن منابع التوكل في القرآن الكريم كثيرة أولها طبيعة التوحيد. قال تعالى:

﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢) لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾

(الزمر: ٦٢ - ٦٣)

ومعرفة الله تعالى هي أساس التوكل عليه، وتفويض الأمور إليه، والارتباط القوي به. «ثم تجيء وعورة الطريق، وطول المراحل، وكثرة الأعداء المتربصين، وشعور المرء بالحاجة إلى الله ناصره ومعضده» (ص ٢٢٥).

أما مواضع التوكل كما ذكرها القرآن، فإن القرآن يؤكد أنها قرين كل جهاد صعب في حياة الإنسان المسلم، ومع أنه قد يكون شاقا وفيه عنت كبير، فإن لذة الإيمان تعين على الصبر على مشقته، قال تعالى:

﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾

(إبراهيم: ١٢)

وقال تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

(هود: ١٢٣)

والمسلم بالتوكل على الله يكون قويا، ترسخ القوة فيه أكثر مما يشعر بها عند الحظوظ الشاردة، «وإن تاريخ الإسلام الشامخ العظيم خطه نفر من المتوكلين على الله - عز وجل» (ص ٢٢٩).

إن الله لا يحب المسرفين

ليس معنى ترك الإسراف الزهد فى الحياة والبعد عن طيبات الطعام والكساء وما أشبه، فقد أمر الله - تعالى - رسله أن يأكلوا الطيبات. قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾

(المؤمنون: ٥١)

قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾

(البقرة: ١٧٢)

وفى الحديث الشريف: (كل ما شئت، والبس ما شئت، ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة) فتح البارى ١٠ / ٢٥٢. ولكن كل ذلك الذى تقدم مشروط بعدم الإسراف والتبذير.

والدين والعقل والعلم يرفضان التشبع فى الطعام، وتجاوز الحدود فيصاب الآكل بالتخمة وهى أضر عليه من المخمصة. قال تعالى:

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾

(الأعراف: ٣١)

وعلى هذا يربى القــرآن المسلم على ألا يسرف فى طعامه حتى يصاب بالتخمة وجاره جائع. قال تعالى:

﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾

(الأحقاف: ٢٠)

وليس هذا من صفات أهل التقى فى الأيام التى يعم فيها الطيبات والنعيم - فماذا يكون الحال إذا كثرت الأزمات، وانتشرت المسغبة.

إن المؤمن يأكل ليعيش، ولا يعيش ليأكل، ويأكل ليقوى على العبادة والعمل والجهاد، وينال من الطيبات ما يصده عن الخبائث، وما يوقفه عند حدود الله.

إن الله لا يحب الفرحين

ويربى القــرآن الكريم المسلم على ألا يمتلىء قلبه بفرح خبيث، لأن الفرح الخبيث يدفع صاحبه إلى البطر والغرور والأنانية وازدراء الآخرين. قال تعالى:

﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾

(القصص: ٧٦ - ٧٧)

تبين الآيتان الكريمتان أن قارون كان من قوم موسى - عليه السلام -، ورزقه الله رزقاً واسعاً ولكنه لم يفعل به خيراً، بل فرح باكتناز كنوزه، ولم يحسن للناس كما أحسن الله إليه، بل أفسد فى الأرض، وقد كره منه الله تعالى أولاً: أنه امتلأت نفسه بفرح خبيث:

﴿ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾

وأنه لم يعمل فى ماله بما يحفظ له مكاناً سيئاً فى الدار الآخرة فلم يحسن - بل كان من المفسدين فى الأرض بماله الممدود.

إن الله يحب المقسطين

ويربى القرآن المسلم على أن يحكم بالعدل، ويقسط قال تعالى:

﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾

(المائدة: ٤٢)

وفى السنة: «أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال» رواه مسلم. ومع ذلك: «فلا يزال بعض المتدينين عندنا غافلاً عن قيمة العدالة الضامنة لسلامة الفرد والمجتمع والدولة» (ص ٢٣٥).

فإذا ربى المسلم على حب العدالة، كما بين القرآن الكريم استقامت أمور الناس والمجتمع.

إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً

لابد من الجهاد لإنهاض الأمة الإسلامية من كبوتها، وإرشادها لنشر رسالتها والاعتصام بالإسلام الذى شرفها وأعزها، وهذا ما يجب أن يربى المسلم عليه، والجهاد عمل جماعى، وليس عملاً فردياً، ويجب أن يربى الفرد على الإيمان به لكى يؤديه إذا حان الظرف له بجلد وشجاعة وإقبال عليه لأداء واجبه ولقاء ربه. قال تعالى:

﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾

(الصف: ٣ - ٤)

وعن أبى أيوب - رضى الله - عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (غدوة فى سبيل الله أو روحة، خير مما طلعت عليه الشمس أو غربت) (رواه مسلم) «والحق أن المسلمين ليس أمامهم خيار، فإما أن يحيوا بدينهم، وإما أن يختفوا عن ظهر الأرض، لقد أضحى الجهاد فرض عين» (ص ٢٣٨) لكل قادر عليه.

وجهاد المسلمين اليوم جهاد عملى وعلمى وصناعى يجب أن يقارنه جهاد فكرى، وجهاد بالمدفع والقلم والمحراث والمطرقة» (ص ٢٣٩) لقد تخلف المسلمون فى مجالات: الثقافة والحضارة والصناعة والزراعة والتجارة، وتلك كلها ساحات يجب أن تتحول إلى مساجد، ويتحول العمل فيها إلى صلاة، مادام القصد الجهاد فى سبيل الله» (ص ٢٤٠).

وليست الأمثلة التى تقدم ذكرها، هى كل أصول التربية فى القرآن الكريم، ولكنها أمثلة لما تيسر للمؤلف أن يضمنها بحثه.

خطبة الجمعة

من دعوات الرسول صلى الله عليه وسلم

لفضيلة الشيخ أحمد الشرباصي

إعداد فضيلة الشيخ/ علي حامد عبدالرحيم

الحمد لله عز وجل، هو الذي يتقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات والهفوات، وهو اللطيف الخبير، أحمده سبحانه وأشهد أن لا إله إلا الله هو واسع العطاء سميع الدعاء، وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله استعاذ بربه من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء، فوقاه ربه وهو خير الحافظين، اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وذريته، وصحبه وشيعته، والسائرين على طريقته الذين.

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (السجدة: ١٦)

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام

جاء في الحديث الصحيح: «الدعاء مخ العبادة»، وذلك لأن الداعي الواعي هو الذي إذا تدبر معاني الكلمات التي يرددها لسانه ويدعو بها، ثارت هذه المعاني في نفسه، وذكرته بما يجب أن يكون عليه من خير وفضل، وجد وعمل، وما يجب أن يحذره من سوء وإثم أو جمود وكسل، فيندفع بحسه ونفسه في طرق هذه الاستجابة وأسبابها، فيكون أهلا لإعانة الله له وتحقيق الأقدار لما أراده في دعائه السليم القويم، فكأن الدعوات حينئذ حوافز روحية تدفع الإنسان أثناء التدبر العميق لكلمات الدعاء إلى الأسباب والوسائل الموصلة لتحقيق هذه المعاني التي يديرها بعقله، ويخطرها في قلبه، ويرددها بلسانه فيكون ممن قال لهم ربهم:

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (غافر: ٦٠)

وكأني أفهم أن الله تبارك وتعالى يشير إلى هذا المعنى في قوله عز من قائل:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٦)

فإن الله تعالى يذكر عباده في مقام الدعاء بالاستجابة، وهي إقبال عملي على مواطن الرضى الإلهي، ومواقع الطاعة المقبولة، ويذكرهم كذلك بالإيمان تصديق ويقين يصاحبهما عزم وهمة وتصميم، ويذكرهم بالرشد، والرشاد يفيد الصواب في العمل، والموافقة للحق، والمصاحبة للواجب، فكأنه سبحانه يقول وهو أعلم بمراده: أدعوني وأنتم مستجيبون لي، مؤمنون بي، سالكون طريق الحق والصواب تحوى:(١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (الأنفال: ٢٤)

وللرسول صلوات الله وسلامه عليه أدعية كثيرة بليغة ليت المسلم يعكف عليها، ويستمد منها، ليكون ممن اهتدى بهدى سيدنا وقائدنا وإمامنا وزعيمنا رسول الله عليه الصلاة والسلام، ومن جوامع الكلم في دعائه قوله: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، وعمل لا يرفع، ودعاء لا يسمع(٢)».

وهو دعاء قصير بليغ، فيه أكثر من حكمة وأكثر من عظة، فهو يبدأ بقول الرسول «اللهم إني أعوذ بك».

والاستعاذة هي الالتجاء والتحصن والاستنجاد ولا يجوز لمسلم أن يطلب الحفظ والأمان إلا من الله واهب القوى والقدر، ولذلك علم الله – عز وجل – نبيه ﷺ أن يستعيذ به، ويلتجئ إليه فقال له:

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأعراف: ٢٠٠)

(١) انظر كتابي «وسائل تقدم المسلمين» ص ٥.

(٢) حديث صحيح رواه أحمد والحاكم وابن حبان.

وقال له :

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾

(النحل : ٩٨)

وقال له عز قائل :

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾

(الفلق : ١-٥)

وقال له:

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾

(الناس : ١-٦)

وأول دعوة دعاها الرسول هنا : « اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع» وهكذا يعلمنا رسول الله التمييز وحسن الاختيار، فيتعلم الإنسان ما يفيده وينفعه فى دينه ودنياه، يحذر العلوم التى تضر وتسئ، كالسحر والكهانة وعلوم الزندقة والإلحاد، ووسائل التحريض على الفسق والفجور والفساد، وإذا كان المسلم يستعيذ بالله ـ كما علمه رسول الله ـ من العلم القتال المضل الذى لا ينفع، أو الذى لا يحقق المصلحة الفردية والجماعية، فواجبه مع ذلك أن يطلب العلم الصالح النافع المحقق لمطلب الحياة السليمة العظيمة التى يعيشها الأحرار الأبرار، ومن هنا جعل الإسلام العلم فريضة على كل مسلم ، وقال الحق جل جلاله :

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

(طه : ١١٤)

وكأن هذه الدعوة توجيه نبوى كريم إلى ولاة الأمور فى الإسلام أن يغربلوا مناهج تعليمهم وثقافتهم ليطهروها من كل دخيل أو عليل، وأن يقووا فيها جوانب الخير والبر، وفى طليعتها التربية الدينية والأخلاقية التى تطهر وتعمر، فذلك هو طريق الخير فى الدنيا والآخر

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

(الشعراء : ٨٨، ٨٩)

والدعوة النبوية الثانية : « وأعوذ بك من عمل لا يرفع» أى لا يقبل عند الله، بل يرد على صاحبه كما يرد الثوب الخلق القذر وإذا العلم الصحيح السليم النافع قاعدة أساسية للإيمان والعمل الطيب المثمر ، فلا بد أن يكون من وراء هذا العلم تطبيق وتنفيذ، وما دام العلم سليما قويا فمن الواجب فى شرعة

العقلاء أن يكون العمل كريما نافعا ، حتى يرفع إلى مقام القبول والرضى والرضوان من الله ـ عز وجل ـ وقد أرشدنا القرآن إلى العمل الذى يرفع وقرر أنه العمل الصالح :

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾

(فاطر : ١٠)

كما قرر الكتاب العزيز أن من أراد لقاء الله لقاء حسنا يزينه الثواب والنعيم فعليه بهذا العمل الصالح، المرفوع المقبول :

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾

(الكهف : ١١٠)

كما قرر أن أصحاب العمل الصالح هم الناجون من الخسران والبوار :

﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

(العصر : ١-٣)

والعمل الصالح ليس مقصورا على العبادات الدينية المفروضة ، كالصلاة والصوم والزكاة والحج وإن كانت تأتى فى القمة ، وفى المقدمة ، بل يشمل العمل الصالح كل جهد نافع يبذله الإنسان فيحقق به خيرا أو نفعا لنفسه أولأسرته أو لوطنه أو للإنسانية كلها ، وما أكثر هذه الأعمال .

والدعوة النبوية الثالثة : «وأعوذ بك من دعاء لا يسمع » أى لا يقبل عند الله ولا يستجاب له وقد أرشدنا رسول الله فى حديث آخر إلى طريق الاستجابة فى الدعاء فقال : (أدعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه» أى ادعوا ربكم وأنتم بحال تستحقون فيها الإجابة، وهى حالة القيام بطاعة الله تعالى ، واليقين بأنه يجيب الداعى إذا دعاه باستقامة وإخلاص، وأما إذا دعا الإنسان وهو غافل عن واجبه لاه عن طاعته، فلا يتقبل منه والقرآن الكريم يقول :

﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾

(المائدة:٢٧)

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام

العلم النافع والعمل الصالح ، والدعاء المخلص ... إنها ثلاثة أعمدة تنهض عليها حياة المسلم الكريم فتعلموا واعملوا وادعوا ربكم وأنتم موقنون بالإجابة أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم .

قصيدة العدد

فى المولد النبوى:

ذكرى محمد ﷺ [1]

للشاعر الكبير الأستاذ محمود غنيم

هو عيدُ ميلادِ ابنِ عبدِ منافِ   لا عيدُ مخترعٍ، ولا كشَّافِ
أكبرتُ قدرك - يا بن عبدالله - عن   تأليف أوزانٍ، ونحتِ قوافِ
ما أنت إلا عَيْلَمٌ لم يُكتشف   يطغى بلجّته على الوصّافِ[2]
بحرٌ خضمٌ، غير أن جُمانَه   ما زال سرّاً داخل الأصدافِ[3]
لولاك لانقطع الزمانُ؛ فلم تكن   حلقاتُه موصولة الأطرافِ
دجت القرونُ؛ فقام دينُك حارساً   يحمى ذمار حضارة الأسلافِ[4]

***

هزّ الوجودَ بكفّه فى مهده   طفلٌ يتيمٌ من كنانة عافِ[5]

---

(١) أنشدت فى مولد الرسول ونشرت بمجلة الرسالة ١٧ من يونيه سنة ١٩٣٥م.
(٢) العيلم : البحر.
(٣) بحر خضم : أى واسع.
(٤) دجت : أظلمت. الذمار: ما تجب حمايته. يشير - فى هذا البيت وما قبله- إلى أن الحضارة الإسلامية حلقة الاتصال بين الحضارتين: اليونانية القديمة والأوروبية الحديثة.
(٥) العافى : الفقير.

جادت به الفلواتُ أصفى طينةً   وطويةً من جوّهن الصافى
وأشدَّ من هضباتهن صلابة   وأهبَّ من إعصارهن السافى[6]
فإذا الأكاسر خاضعون لحكمه   وإذا القياصرُ مرغمو الآنافِ
فتحت مبادئُه الحصونَ أمامهُ   قبل الصوارم والقنا الرعّافِ[7]
غزت القلوبَ بسحرها؛ فكأنها   قد لامست منهن كل شَغافِ[8]
أين الذى يغزو القلوب من الذى   يغزو الرقاب بحدّة الأسيافِ؟
تلك المبادئ -وهى شتى- جُمّعت   فى مبدأين : الحقّ، والإنصافِ

***

آخى ابنُ عبد الله بين معاشرٍ   يتناحرون تناحُرَ الأخيافِ[9]
لانت قناتهمو لدعوته وما   لانت قناتهمو لغمز ثقافِ[10]
ولقد يروض الأُسْدَ رائضُها، ولا   يتغيرُ الطبعُ الغليظ الجافى
هذا هو الإعجاز، لا بحرٌ، ولا   قمرٌ قد انشقا إلى أنصافِ
آىٌ من الذكر الحكيم أتى بها   فإذا القلوب تلينُ بعد جفافِ
ولو أن ألفى دوحة سجدا له   ما كان ذلك بالدليل الكافى
عجباً! أجاء محمد بالسحر فى   آياته أم شابها بسُلاف؟
أم كان تنويماً خضوعهمو له؟   ما ذلك السرُّ العميقُ الخافى؟
أقسمتُ، ما كان النبىُّ محمدٌ   بمشعوذٍ، كلا، ولا عرّافِ[11]
لكنه الإيمان من يظفرْ به   يلق المفاوز سهلة الأكنافِ[12]
لو يرزقُ الإيمانَ طودٌ، لارتقى   بقوادم من ريشه وخوافِ[13]
هذا الذى جعل النبىَّ ورهطَهُ   إن حاربوا، انتصروا على الأضعافِ

---

(٦) الإعصار السافى : الريح الشديدة الهبوب.
(٧) الرعاف : أى الذى يقطر دما.
(٨) شغاف القلب : غطاؤه.
(٩) الأخياف : هم الأخوة: أمهم واحدة، وآباؤهم شتى.
(١٠) الثقاف : آلة كانت تستعمل لتقويم الرماح المعوجة.
(١١) المشعوذ : خفيف اليد الذى يأتى أعمالا تشبه السحر.
(١٢) المفاوز : جمع مفازة وهى المكان غير المأمون. والأكناف: جمع كنف بمعنى الجانب.
(١٣) قوادم الطائر: ما ظهر من ريشه وخوافيه ما إذا ضم جناحيه لم يظهر.

يزداد في ساح الوغى إيمانهم ... فيقابلون الموت باستخفاف

يُستضعفون لقلة، لكنهم ... بوثوقهم في الله غيرُ ضعاف

فإذا دُعوا للحرب، هبوا، أو دعوا ... للمال، عفُّوا عنه أيَّ عفاف

قم سائل الأعراب: أيةُ دولة ... نهضوا بها حملا على الأكتاف؟

بذت «أثينا» في الحضارة أمةٌ ... لم تأوِ غير مضاربٍ وقياف[١٤]

شُغلوا بفلسفة وعلم بعدما ... شغلوا بوصف منازل وأثاف[١٥]

تخذوا القصور مساكنًا وتسربلوا ... بالخزِّ، لا الأوبار والأصواف[١٦]

فإذا الجزيرةُ بعد جدبٍ جنةٌ ... ميّاسةٌ مهتزةُ الأعطاف[١٧]

يا رب أسطول بنوه كأنه ... بحرٌ خضمٌ فوق آخر طاف

ما شئت من: عدل وتسوية، ومن ... شورى؛ ففي الثلاثة أحلاف!

❊❊❊

يا شرق، يا مهدَ الشرائع، رحمةً ... لك! ما لأهلك فيك كالأضياف؟

يا شرق، أنت لكل شمس مطلعٌ ... ما بال أفقك حالكَ الأسداف؟[١٨]

أعززْ علينا أن نراك تئن من ... تقييد أقدام وشد كتاف!

بدأت من الشرق الحضارة سيرها ... أفما لرحلتها من استئناف؟

❊❊❊

(١٤) أثينا: المراد بها حاضرة اليونان القديمة. والمضارب: الخيام. والقيافي: الصحاري.

(١٥) الأثافي: جمع أثفية وهي: الحجر توضع عليه القدر. والمراد: وصف الأطلال والرسوم وما إليها في أشعارهم

(١٦) الخز: نسيج ناعم كالحرير.

(١٧) ميّاسة: متثنية. الأعطاف: جمع عطف وهو: الجانب.

(١٨) الأسداف: الظلمات.

تأملات في السيرة النبوية

مبعوث آخر وحوار عبقري

لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدي

مع رسل النبي ﷺ إلى الملوك، ومع حواراتهم العبقرية قضينا ساعة نستمد من الفكر المستنير والحوار الراقي الرفيع الجيد مع سيدنا حاطب بن أبي بلتعة رسول النبي ﷺ إلى عظيم القبط بمصر.

واليوم أود أن نعيش مع حوار آخر قمة في الوعي والرقي رفيع المستوى صائب الهدف رائق المعنى حتى خطوات الرجل وهو يسير إلى مخاطبة كأنها حبات لؤلؤ تظمن في عقد نفيس. يا إلهي كأن الرجل قد قصد مشيته وقد اختار هيئته وهندامه متواضعاً. فارتفع بتواضعه إلى قمة عالية لا يرقى إليها غالي الهندام ولا مرصع الثياب. الرجل لم يكن مبعوث النبي ﷺ إلى ملك في زمن النبي ﷺ. لكنه نال شرف الصحبة. ذلك اللقب العزيز الذي آثر الله به صفوة من خلقه لا يناله بعدهم أحد مهما بلغ في درجات القرب والتقوى اختصهم الله برضوانه واختصهم رسول الله ﷺ بشرف الريادة فهم جميعهم بلا استثناء. كما قال: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»[١] كانت مهمة هذا الصحابي في العام الرابع عشر من هجرة النبي ﷺ وكان ذلك في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أيام حرب الفرس في زمن القائد رستم قائد جيش الفرس وكان حواراً رائعاً بناء كان سعد بن أبي وقاص أميراً على الجيوش الإسلامية في بلاد فارس وكان من عادة المسلمين امتثالاً لأمر الله وأمر النبي ﷺ ألا يبدأوا بالحرب إنما يبدأون بالدعوة إلى الدخول في دين الله فإن أبوا فالجزية وإن أبوا فالحرب وأن يكون هذا التخيير لمدة ثلاثة أيام واختار سعد بن أبي وقاص عشرة من رجاله لهذه المهمة ودار بينهم الحوار التالي:

وبدأ سعد يستشير أصحابه ويُعلمُهم بمهمتهم. قال: إني مرسلكم إلى هؤلاء القوم فما عندكم؟ قالوا جميعاً: نتبع ما تأمرنا به وننتهي إليه فإذا جاء أمر لم يكن فيه شيء نظرنا أمثل ما

(١) كشف الخفا / ٣٨٦.

يبتغي وأنفعه للناس فكلمناهم به - يعني إذا كان شيء ليس لك فيه تعليمات محددة قلنا فيه بأحسن ما نراه وأنفع شيء للناس - فقال سعد - معجباً برجاحة عقولهم وصواب رأيهم - : اذهبوا فتهيأوا - وهنا يبادر واحد من العشرة برأي عاقل رصين كأنه أدرك أنه رجل المهمة الأوحد - فيقول: إن الأعاجم لهم آراء وآداب ومتى نأتهم جميعاً يروا أنا قد احتفلنا بهم - ثم واصل في حزم قاطع - فلا تزدهم على رجل. فوافقه الجميع على رأيه وقد أدركوا أنه الصواب كله وأن الرجل يعرف كيف يفكر أعداؤه. فكان هذا النابه هو ربعي بن عامر. ونمضي مع محمد بن جرير الطبري[٢] يروي لنا ما دار بين رستم قائد الفرس وبين ربعي بن عامر. ولا أرى بأساً من أن نتمهل قليلاً فلا داعي أن نقفز إلى الحوار وندع وصف الطبري للصحابي الجليل المهيب الذي زادته بساطة ملبسه هيبة وجلالاً حتى مشيته وهو يتوكأ على رمحه يقارب خطوة قل إنه يتبختر مستعيناً برمحه - يقول الطبري أقبل ربعي ابن عامر يسير على فرس له زباء[٣] قصيرة معه سيف له مشوف[٤] غمده لفافة ثوب خلق[٥] معلوب بقد[٦] معه جحفه[٧] ومعه قوسه ونبله فلما غشي القائد وانتهى إليه وإلى أدنى البسط قيل له انزل فأبى وسار بفرسه على البساط فلما استوت عليه نزل عنها وربطها بوسادتين فشقهما ثم أدخل الحبل فيهما فلم يستطيعوا أن ينهوه - ولم يجرؤ أحد على لومه - وإنما أروه التهاون، وعرف ما أرادوا فأراد استحراجهم - أي يجعلهم في حرج -، ونكتفي من نص الطبراي للرجل وهيا ندلف إلى الحوار الذي أعتقد أن ربعي تجاوز به حجاب الحس وألهمه الصحابي الجليل من نور صاحب الرسالة ﷺ، فيه من القوة التي تبهر ومن الشجاعة التي تتأبى على التهور ومن اليقين ما يغرس في قلب مستمعه الوهن فتتزلزل أركانه.

قالوا له لما دنى إلى رستم: ضع سلاحك. فقال: - في عفوية سهلة صادقة مقنعة - إني لم آتكم فأضع سلاحي بأمركم. أنتم دعوتموني فإن أبيتم أن آتكم كما أريد رجعت. فأخبروا رستم فقال: إئذنوا له هل هو إلا رجل واحد - يعني علام الخوف ولم الفزع؟ - ماذا يمكن أن يفعل رجل بمفرده وسط جموعكم؟ - فأقبل ربعي يتوكأ على رمحه يقارب خطوة ويزج النمارق والبسط فما ترك لهم نمرقة ولا بساطاً إلا أفسده وتركه مخرباً فلما دنى من رستم تعلق به الحرس - يعني منعه الحرس أن يتقدم ويقترب من رستم خوفاً منه على القائد - وجلس على الأرض وركز رمحه بالبسط فقالوا له: ما حملك على هذا؟ ألم لم تجلس على النمارق والبسط؟ قال: إنا لا نستحب (وفي نسخة لا نستحل) القعود على زينتكم هذه. هذا وأرجو أن تتأمل الحوار الآتي وكلمات ربعي بن عامر - رضي الله عنه - ووعيه لمهمته وأنهم أصحاب رسالة لتدرك الفارق بين من يدافع عن ملك وسلطان قام على استعباد الإنسان وتكريس الخدمة في بني

(٢) راجع تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري ج٣ ص٤٦٩ طبعة المكتبة التوفيقية تحقيق مصطفى السيد وطارق سالم.

(٣) شعرها طويل كثيف.

(٤) مجلوم لامع.

(٥) قديم.

(٦) ربط مقبضه بجلد.

(٧) ترس من جلد البقر.

الوطن إن كان ثمة وطن يخدم، إنهم آلهة أو أنصاف آلهة تعبد. أما ربعي ورفاقه فهم حملة رسالة ودعاة مساواة وتحرير البشر من ربقة الرق، فالناس كلهم سادة، كلهم متساوون يتواضعون لله وحده قد استأصل الدين من قلوبهم شهوة الطمع والأثرة وغرس فيها الإيثار والورع. سأله رستم ما جاء بكم؟ قال ربعي: إن الله ابتعثنا، والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه يليها من دوننا - بهذه الكلمات الحاسمة القاطعة جاوب ربعي على رستم وأعتقد أنها زلزلت كيان القائد وابتعثت روح الإنسانية فيمن كان يسمعه من جنود الفرس وذلك ما يخشاه رستم وأكمل ربعي - رضي الله عنه - ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله؟ قال رستم: وما موعود الله؟ قال ربعي: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي. قال رستم: قد سمعت مقالتكم فهل لكم إلى أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا؟ قال ربعي: نعم. كم أحب إليكم؟ أيوم أو يومين؟ قال رستم: لا بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا. فقال ربعي: إن مما سن لنا رسول الله ﷺ وعمل به أئمتنا ألا نمكن الأعداء آذاننا ولا نؤجلهم عند اللقاء أكثر من ثلاثة فنحن مترددون عنكم ثلاثاً فانظر في أمرك وأمرهم واختر واحداً من ثلاث بعد الأجل اختر الإسلام وندعك وأرضك، أو الجزاء «الجزية» ونقبل ونكف عنك وإن كنت عن نصرنا غنياً تركناك منه وإن كنت إليه محتاجاً منعناك - يعني نصرناك على أعدائك - أو المنابذة في اليوم الرابع ولسنا نبدأك فيما بيننا وبين اليوم الرابع إلا أن تبدأنا - يعني لن نبدأ بحرب قبل حلول اليوم الرابع - أنا كفيل لك بذلك على أصحابي وعلى جميع من ترى.

- كأني برستم ذهل لما يسمع من هذا الرجل ذي الهيئة التي لم يألفها، كيف أنه يتكلم بهذه الثقة نيابة عن كل هذه الجموع، لقد كان كل أمره مستساغاً من قبل وإن كان فيه غرابة. أما الآن فخرج بطوره عن حد المألوف المستساغ كيف بهذا البدوي يتكلم عن هذه الجموع فقال مخاطباً ربعي: أسيدهم أنت؟ قال: لا. - كأني برستم قد عجب. فلماذا إذاً يتكلم باسمهم ودفع ربعي هذا الخاطر بما هو أعجب - قال: لكن المسلمين كالجسد بعضهم من بعض يجير أدناهم على أعلاهم. فكان كلام ربعي جواب في حاجة إلى جواب لأنه أضاف حيرة إلى الحيرة الأولى جعلت رستم في حاجة إلى خلوة برؤساء الفرس. يقول الطبري: فخلص رستم برؤساء أهل فارس فقال: ما ترون؟ ثم واصل في تقييم جدير لربعي غير التقييم الأول، فقال: هل رأيتم كلاماً قط أوضح ولا أعز من كلام هذا الرجل؟ فأجابوا في تسرع ساذج وتقييم غير مصيب: معاذ الله أن تميل إلى شيء من هذا وتدع دينك لهذا الكلب؟ أما ترى إلى ثيابه فقال رستم - زاجراً مستخفاً مستهزءاً بهذا التقييم البليد -: ويحكم لا تنظروا إلى الثياب ولكن انظروا إلى الرأي والكلام والسيرة. إن العرب تستخف باللباس والمأكل ويصونون الأحساب ليسوا مثلكم في اللباس ولا يرون فيه ما ترون.

فهل يعي المسلمون اليوم هذا الفكر ويتحلوا ببعض ما يليق بالإنسانية مما يفخر ويزخر به تاريخ المسلمين؟ ياليت قومي يعلمون. فيفعلون.

قيم إنسانية أكد عليها نبى الإنسانية

للأستاذ الدكتور محمد فتحى فرج

الأستاذ بجامعة المنوفية

تتلخص مشاكل العالم المعاصر فى فقدانه للحد الأدنى من المبادىء الإنسانية، التى قد تتظاهر بعض الدول بأنها تؤمن بها، وتعمل على تحقيقها، ولكنه فى معظم الأحيان يكون إيماناً نظرياً وكفى، إنما المحك الأساسى والمعيار الحقيقى الذى يكشف الحقيقة هو التطبيق، الذى يبين وجود هذه المبادىء أو غيابها، فازدواجية المعايير أصبحت السمة الغالبة التى يفرضها الكبار على الصغار، والأقوياء على الضعفاء، والغالبون على المغلوبين!

أحوال العالم فى غيبة القيم الإسلامية

وإن المشاكل التى تقوم الآن فى العالم، سواء أكانت فى الاقتصاد أو فى الاجتماع أو فى السياسة، سببها يرجع إلى ذلك التناحر الإنسانى على حب الغلب، والرغبة فى الانفراد بغلات الأرض وخيراتها، وأن تكون ثمرات الكد واللغوب عند كل الشعوب فى يد دولة ما، أو عدد قليل لا يتجاوز عدده بضع دول، وما المجاعات التى تظهر فى الجماعات الإنسانية إلا كان السبب فيها تلك المغالبات الإنسانية[1].

وهذا الذى نراه فى عالم اليوم من التنازع والتطاحن والتنافس غير الشريف، بل والحروب، أمر عرفته البشرية على امتداد تاريخها الطويل، ولذلك فإن الإسلام - وهو الدين الخاتم - بعد أن أعلن أنه الدين الحق، وبين الأساس الذى يقوم عليه من الفطرة السليمة والعقل الكامل، شرع فى إحداث إصلاح اجتماعى خطير الشأن، تستدعيه مدنية فاضلة أراد الله - تعالى - لأن يكون الدين مفتتح عهدها، وواضع أساسها، وهذا الإصلاح الخطير، هو دعوة الشعوب كافة إلى التآلف بين جميع الأجناس، والتى يعتبرها المفكر الكبير الأستاذ محمد فريد وجدى أحد مهمات الإسلام فى العالم[2].

ثم يتساءل الأستاذ وجدى: هل كان العالم عند بعثة النبى - ﷺ - بحاجة إلى قارعة سماوية تهيب به إلى كلمة جامعة، وإلى صيحة علوية ترد المتسكعين فى طرق الغى إلى رشد يقف بهم عن المضى فى عمايتهم عند حد؟

ثم يترك الإجابة عن هذا التساؤل إلى المستشرق الفرنسى «جول لابوم»، التى تتمثل فيما كتبه ضمن مقدمة «الفهرست»، الذى وضعه للقرآن الكريم باللغة الفرنسية، وهو يصف فى إجابته حالة العالم قبل مبعث النبى - ﷺ - جاء فيها: «كان جو العالم عند ميلاد محمد - ﷺ - ملبد بغيوم الاضطرابات والفتن، بما كانت عليه الأمم من التناحر أمة أمة، ثم خلص إلى أن جو العالم كان مكفهرا بسحب الاضطرابات الوحشية فى كل مكان، وكان اعتماد الناس على وسائل الشر أكثر من اعتمادهم على وسائل الخير. وكان أجمع الرؤساء للثقة والطاعة أشدهم صيحة فى إصلاء نار الحروب والمعارك، ولم يكن يأخذ بعواطف القلوب، ولا يؤثر عليها تأثيراً حاداً، إلا شىء واحد هو الغنم، وسلب الأمم والشعوب، والمدائن والأعيان، ورجال الحروب وفقراء الحراثين، حتى بسطاء المتسولين، ولولا شعاع ضئيل من الحكمة كان يتألق فى بعض صوامع الكهنة، وبعض المبادىء الفلسفية التى كانت بمعزل عن أعاصير تلك المشاغب، وانتقلت من روح إلى روح أخرى، بوساطة بعض أصحاب الجرأة، من رسل الرقى، لكانت البربرية أسرعت فى خطاها، مقودة بغطرسة زعماء البهيمية، واستحالت إلى وحشية محضة.. ثم انتهى بعد حديث طويل على هذا النسق إلى قوله: على عهد هذه الأحوال الحالكة، وفى وسط هذا الجيل الشديد الوطأة، ولد محمد بن عبدالله - ﷺ - فى ٢٩ من أغسطس سنة ٥٧٠م»[3].

وهذه العصبية الوطنية، التى غلبت على معظم عالم اليوم، تشبه من قريب أو بعيد العصبية الجاهلية عند العرب الأقدمين، وإن كان ثمة فرق بينهما فهو أن المرءوة العربية كانت تمنعهم من أن يقتلوا أعداءهم بالجوع والعرى، كما تفعل اليوم العصبية الوطنية فى هذا الزمان. ومع هذه العصبية الوطنية المردية، نجد التعصب للجنس واللون، ويحسب البيض أن السود خدم وأتباع لهم، بل يذهب بهم التعصب الأعمى أن يمنعوهم من أداء واجبهم الدينى، وقد يحرمونهم من موارد العلم[4].

(١) الشيخ محمد أبو زهرة (١٩٦٧): المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام، دار الإخلاص للطباعة، القاهرة، ص٨.

(٢) الأستاذ محمد فريد وجدى (١٩٨٩): مهمة الإسلام فى العالم، تحقيق ومراجعة أ.د. محمد رجب البيومى، سلسلة قضايا إسلامية، الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف، ص٦٢.

(٣) المصدر السابق، ص٦٤.

(٤) المصدر رقم ١، ص١٠.

نبى الإنسانية وقيم العدل والمساواة والرحمة

احتشدت كل معانى الإنسانية فى شخص النبى محمد - ﷺ - حتى إن بعثته كانت إيذانا بانسياب نهر الخير والبر والرحمة للعالمين، فنادى بالقيم الإنسانية النبيلة قبل أن تعرفها المدنية الحديثة، ممثلة فى الثورة الفرنسية، بأكثر من اثنى عشر قرناً من الزمان.

فإن من أهم ما جاء به الإسلام وبشر به خير الأنام - ﷺ - أن جعل الناس أمامه سواء، فهو دين يتفق مع الفطرة الإنسانية السليمة، لا يصادمها أو يخالفها، كما قال الله تعالى فى قرآنه الكريم، مخاطباً نبيه الأمين:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(الروم: ٣٠)

والمؤمن بالإسلام يعتقد أن الله - تعالى - مراقبه فى كل ما يعمل، وهو مجزى بعمله فى الدنيا، وفى الآخرة، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وهو فى علاقة الناس بعضهم ببعض منظم لها، وفى علاقة الدول بعضها ببعض تنظيم كامل تولاه القرآن الكريم بالذكر، وتولته السنة النبوية بالبيان والعمل، وتولاه الصحابة من بعد الرسول بالعمل مستضيئين بكتاب الله وسنة رسوله - ﷺ -، مهتدين بهديه، ولعل فى مبادىء الإسلام بالنسبة للعلاقات الدولية أول تنظيم دولى فى العالم، قد سار مسار التطبيق، ولم يقتصر على تقرير المبادىء، وهى تقوم على العدل فالله - تعالى - يقول:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

(النحل: ٩٠)

ويحكى محمد - ﷺ - عن ربه فيقول فى حديث قدسى: إن الله يقول: «يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا»[٥].

فكل معاهدة أو اتفاق يعقد مبنياً على ظلم ببسط النفوذ على الضعفاء أو بإرهاقهم، أو بتقسيم أرضهم أو تجويعهم يكون باطلاً بحكم الإسلام، لأنه مبنى على أمر محرم، والنبى - ﷺ - يقول: «الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً»[٦].

وإن كل ما فى الإسلام من مبادىء، سواء أكانت مبادىء تتعلق بالعقيدة أم كانت مبادىء تتعلق بالأخلاق أو التنظيم

(٥) صحيح مسلم.

(٦) سنن ابن ماجة.

الإنسانى يتفق تمام الاتفاق مع العقل، حتى إن أعرابيا سئل لماذا آمنت بمحمد؟ فقال: ما رأيت محمداً يقول فى أمر افعل والعقل يقول لا تفعل، وما رأيت محمداً يقول فى أمر لا تفعل والعقل يقول افعل[٧]. وما يحركه فى كل حال من الحالين إلا الرحمة، التى هى عنده بمثابة واجب من واجبات الرشد أو تبعة من تبعات الحياة. ولذا يكثر حديثه العذب عنها ليحفز أتباعه بانتهاجها، ومن ذلك قوله:

«الراحمون يرحمهم الرحمن»[٨]، «ومن لا يرحم لا يرحم»[٩].

وهو - ﷺ - يسوى بين الناس جميعاً، ويحبهم جميعاً، فيقول: «بعثت إلى الأحمر والأسود»[١٠]. مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(سبأ: ٢٨)

ثم يعلنها النبى - ﷺ - صريحة، حينما ينفى امتياز عرق على آخر، حتى ولو كان العرق العربى الذى ينتمى إليه، والذى درج على الفخر بالأنساب والأحساب على نحو لم تعرفه الأمم والشعوب، حتى إن بعضهم قال: جاء محمد بدين الإنسانية فى أمة العصبية، ومن ذلك قوله - ﷺ -: «لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى»[١١] وذلك مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

(الحجرات: ١٣)

وإن تزكية النفس عنده مسألة على جانب كبير من الأهمية، حتى إنه ليدعو ربه دوماً بهذا الدعاء: «اللهم آت نفسى تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها»[١٢] فللديانة الإنسانية - كما يقول الأستاذ العقاد، رحمه الله - مناط واحد، هو ضمير كل فرد من أفرادها، فما لم يكن لهذا الضمير حساب وعليه تبعة. فلا ديانة لإنسان، ولا لجملة الناس[١٣] أما راحة ضميره - ﷺ - فكانت فى الإيمان، ومن وراء راحة ضميره أن يظفر الناس بجهده كله فى هدايتهم غير منقوص ولا ممنون[١٤]

(٧) المصدر السابق ص١٢.

(٨) مسند أحمد ٢/٦٠.

(٩) صحيح البخارى ٨/٩.

(١٠) مسند أحمد ٤/١١٦.

(١١) مسند أحمد ٥/٤١١.

(١٢) الطبرانى فى الكبير ١١/١٠٦.

(١٣) الأستاذ عباس محمود العقاد (ب ت): مطلع النور أو طوالع البعثة المحمدية، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ص١٦٨.

(١٤) الأستاذ عباس محمود العقاد (١٩٥٢): عبقرية محمد، سلسلة كتاب الهلال، دار الهلال بالقاهرة، الطبعة الثانية، ص١٩٩.

البشارة بمولد الرسول ﷺ في تأويل رؤيا ربيعة بن نصر ملك اليمن

لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف

عضو مجمع البحوث الإسلامية

يحتفل المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها فى هذا الشهر الكريم بحلول ذكرى مولد خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ، وهذه مناسبة عظيمة القدر، جليلة الشأن، تتطلب أن يرجع المسلمون فيها إلى سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام، إمام المرسلين، وخاتم النبيين، وسيد الخلق أجمعين، الذى حياه ربه بالتكريم، ومدحه فى القرآن الكريم بالثناء العظيم، والمدح العميم فى قوله- تعالى-:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم: ٤)

وعندما تحل هذه الذكرى العطرة، ذكرى مولد الرسول الكريم والنبى العظيم، ذكرى مولد الصادق الأمين، ذكرى منقذ البشرية ومخرجها من الظلمات إلى النور، ذكرى مولد الحبيب المصطفى محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام.

عندما تحل هذه الذكرى الخالدة كل عام يقف الإنسان فى حالة تأمل واستغفار، ومراجعة مع النفس والتاريخ والأحداث.. طارحاً سؤالاً ملحاً: ماذا سيكون حال البشرية ووضعها ومصيرها إذا لم يكن الله- سبحانه وتعالى- أنعم على الإنسانية ببعثة خاتم الرسل والأنبياء؟؟

لقد عانت البشرية قبل مجىء الإسلام كثيراً من الظلم والقسوة والعذاب، والضلال والشرك والكفر، والتفرقة بين بنى البشر، بين الأبيض والأسود، وبين الغنى والفقير، وبين القوى والضعيف، وبين الرجل والمرأة، وبين الطبقة الحاكمة وسواد المحكومين، وبين أصحاب الحسب والنسب الذى وصَفُوه لأنفسهم، وبين الخدم والعبيد الذين صاروا لا يملكون من أمرهم شيئاً سوى الخنوع والخضوع، والطاعة والولاء لأسيادهم أصحاب الجاه والنفوذ والسطوة والسلطان، والأمر والنهى.

حتى الأطفال حديثى الولادة لم تسلم عند العرب فى الجاهلية من هذه التفرقة البغيضة، ويسجلها القرآن الكريم فى قوله- تعالى-:

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾

(النحل: ٥٨، ٥٩)

وأبناء الفرس كانوا ينظرون إلى الأكاسرة كما ينظرون إلى الإله، وأبناء الرومان كان يستعلى بعضهم على بعض.

وهكذا عمت البلوى المجتمعات البشرية قبل الإسلام، وساد قانون الغابة بين الناس، وعاش الناس فى رعب الخوف، وفزع القلق، وجهالة الغد والمصير.. إلى أن بزغ فجر الإسلام وأشرقت شمسه بمولد الحبيب المصطفى محمد بن عبدالله ﷺ.

يا سيدى يا رسول الله، يا خير مَنْ طلعت عليه الشمس، وسيد مَنْ أقلته الأرض وأظلته السماء، يا من فضّلك الله على العالمين، يا صاحب المقام المحمود والحوض المورود، ومَنْ أتاه الله الفضيلة والوسيلة والدرجة العالية الرفيعة، يا خاتم الأنبياء والمرسلين، فقد بعثك الله هداية ونوراً لإخراج البشرية من ظلمات الشرك والضلال إلى نور التوحيد والإيمان، وتطهير الكعبة المشرفة بيت الله الحرام من دنس الأوثان والأصنام، وإنقاذ الضعفاء والفقراء من ظلم وتسلط وطغيان الأقوياء والأغنياء، ووضع الميزان المستقيم للتفاضل بين الناس وجعله قائماً على التقوى:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

(الحجرات: ١٣)

بعد أن كانت موازين التفاضل فى الجاهلية هى التفاخر بالأنساب والأحساب والمال والجاه.

بشّرت بقدومك الكتبُ السماوية، وترقّب مولدك الشريف الأحبار من اليهود، والرهبان من النصارى، والكهان من العرب، فتحدث عن أمرك يا سيدى يا رسول الله- لما تقارب زمن مولدك وبعثتك- كثير من هؤلاء، منهم الكاهنان: شقّ وسَطيح عند تأويلهما رؤيا ربيعة بن نصر ملك اليمن.

واسم سَطيح: ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدى بن مازن.

وشقّ: ابن صعب بن يشكر بن رُهم بن أفْرك بن قسْر بن عَبْقر بن أنمار بن أراش.

قال ابن اسحق: وكان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة، فرأى رؤيا هالته وفظع بها، فلم يدع كاهناً، ولا ساحراً،

ولا عائفا «المتكهن بالطير»، ولا منجماً من أهل مملكته إلا جمعه إليه، فقال لهم: إني قد رأيت رؤيا هالتني وفظعت بها، فأخبروني بها وبتأويلها، فقالوا له: اقصصها علينا نخبرك بتأويلها، قال: إني إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها فإنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها، فقال له رجل منهم: فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سطيح وشق، فإنه ليس أحد أعلم منهما، فهما يخبرانه بما سأل عنه.

فبعث إليهما، فقدم عليه سطيح قبل شق، فقال له: إني قد رأيت رؤيا هالتني وفظعت بها، فأخبرني بها، فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها، قال: أفعل، رأيت حممة «فحمة» خرجت من ظلمة، فوقعت بأرض تهمه، فأكلت منها كلّ ذات جمجمة، فقال له الملك: ما أخطأت منها شيئاً يا سطيح، فما عندك في تأويلها؟

فقال: أحلف بما بين الحرتين من حنش، لتهبطن أرضكم الحبش، فليملكُن ما بين أبين إلى جرش، فقال له الملك: وأبيك يا سطيح، إن هذا لنا لغائظ موجع، فمتى هو كائن؟ أفي زماني هذا أم بعده؟ قال: لا، بل بعده بحين، أكثر من ستين أو سبعين، يمضين من السنين، قال: أفيدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع؟ قال: لا بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين، ثم يُقتلون ويخرجون منها هاربين، قال: ومن يلي ذلك من قتلهم وإخراجهم؟ قال: يليه إرم بن ذي يزن «المعروف: سيف بن ذي يزن» يخرج عليهم من عدن، فلا يترك أحداً منهم باليمن، قال: أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع؟ قال: لا بل ينقطع، قال: ومَن يقطعه؟ قال: نبي زكيّ، يأتيه الوحي من قبل العليّ، قال: ومن هذا النبي؟ قال: رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر، يكون المُلك في قومه إلى آخر الدهر، قال: وهل للدهر من آخر؟ قال: نعم يوم يجمع فيه الأولون والآخرون، يسعد فيه المحسنون، ويشقى فيه المسيئون، قال: أحق ما تخبرني؟ قال: نعم، والشفق والغسق، والفلق إذا اتسق، إن ما أنبأتك به لحقّ.

ثم قدم عليه شقّ، فقال له الملك كقوله لسطيح، وكتمه ما قال سطيح، لينظر أيتفقان أم يختلفان، فقال: نعم رأيت حممة، خرجت من ظلمة، فوقعت بين روضة وأكمة، فأكلت منها كل ذات نسمة.

قال: فلما قال له ذلك عرف أنهما قد اتفقا، فإن قولهما واحد، إلا أن سطيحاً قال: «وقعت بأرض تهمة، فأكلت منها كل ذات جمجمة» وقال شقّ: «وقعت بين روضة وأكمة، فأكلت منها كل ذات نسمة».. فقال له الملك: ما أخطأت يا شقّ منها شيئاً، فما عندك في تأويلها؟ قال: أحلف بما بين الحرتين من إنسان، لينزلن أرضكم السودان، فليغلبن على كل طفلة البنان، وليملكن ما بين أبين إلى نجران.

فقال له الملك: وأبيك يا شقّ ان هذا لنا لغائظ موجع، فمتى هو كائن؟ أفي زماني أم بعده؟ قال: لا، بل بعده بزمان، ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شأن، ويذيقهم أشدّ الهوان، قال: ومن هذا العظيم الشأن؟ قال: غلام ليس بدني ولا مُدَنّ، يخرج عليهم من بيت ذي يزن، فلا يترك أحداً منهم باليمن، قال: أفيدوم سلطانه أم ينقطع، قال: بل ينقطع برسول مُرسل، يأتي بالحق والعدل، بين أهل الدين والفضل، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل، قال: وما يوم الفصل؟ قال: يوم تجرى فيها الولاة، ويدعى فيها من السماء بدعوات، يسمع منها الأحياء والأموات، ويجمع فيه بين الناس للميقات، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات، قال: أحق ما تقول؟ قال: إي ورب السماء والأرض وما بينهما من رفع وخفض، إن ما أنبأتك به لحق ما فيه أمض «شك أو باطل».

عليك الصلاة وأزكى السلام يا سيدى يا رسول الله، فقد ظلت البشرية تترقب فى لهفة وشوق مولدك الشريف لتشرف بقدومك، ويعم الخير الكون كله ببعثتك.. وقد تحقق ذلك بعد أن بلغت الرسالة وأدّيت الأمانة، وتحملت فى سبيل الله أذى المشركين، وسفه الكافرين، وعناد المكابرين، وضلال المنافقين، وحقد ومؤامرات أعداء الدين، وتحملت كل ذلك بقلب كبير رحيم لم يقبل أن يدعو على هؤلاء بالقتل والخسف والعذاب، وأجبت الأمين جبريل حين عرض عليك أن يطبق عليهم جبال مكة بقولك الرحيم:

«عسى الله أن يخرج من أصلابهم من يؤمن بالتوحيد»(1)

والآن سيدى يا رسول الله، ونحن نستقبل الذكرى العطرة لمولدك الشريف هذا العام، وحالة المسلمين قد صارت إلى ما هو عليه من الضعف والهوان، والذلة والانكسار، والخضوع والخنوع، وأنهم صاروا كالأيتام على مائدة اللئام، لا وزن لهم ولا قيمة، ولا شخصية لهم ولا اعتبار، مسلوبو الإرادة، مشلولو الحركة، تُحدد أوضاعهم ومساحة تحركاتهم وحجم قدرتهم القوى العظمى فى العالم، فى غيبة من حضورهم، بعد أن فقدوا إرادتهم، وأصبحوا أمواتاً فى صورة أحياء، نتيجة ما أصاب جمعهم من فرقة وتمزق، وما أصاب أخلاقهم من عقد وعلل، وما أصاب سلوكهم من انحراف وبعد عن أحكام دينهم، وما أصاب أغنياءهم من سفه وفقدان رشد، وما أعمى بصائرهم عن النظر فى كنوز تراثهم الإسلامى الحافل بالنفائس، المرشد إلى سبيل العزة، بعد أن ضلوا الطريق الذى سلكه أجدادهم الأوائل، الذين التزموا بتطبيق المنهج الربانى، والهدى النبوى، فعزوا وسادوا، وحكموا، وعدلوا، ودانت لهم جميع قوى العالم تخطب ودّهم، وتطلب رضاهم!!

لقد ضل المسلمون الطريق، وهرولوا يلتمسون العلم والمعرفة من مصادر غير إسلامية، وأخذوا يحاكون السلوك الساقط فقط فى مجتمعات الدول الأخرى، السلوك الذى يهدم ولا يبنى، ويخرب ولا يعمر، ويدمر ولا يشيد، ولم يحاكوا تلك المجتمعات فى الأخذ بأسباب البناء والتشييد، والرفعة والتقدم، والوصول إلى سطح القمر!!

لقد تحقق فى المسلمين اليوم قولك الحق

(1) سنن أبي داود، كتاب الملاحم.

والصدق يا سيدى يا رسول الله فى حديثك الشريف: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله فى قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت».[2]

إن الذى يجب على المسلمين أن يفعلوه احتفاء بذكرى مولد رسول الله ﷺ أمران:

الأمر الأول: أن يعودوا إلى قرآنهم من جديد، قراءة متأنية فاهمة واعية، ليست خارجة من ألسنتهم لا تتجاوز حناجرهم، يقرأونه كما نزل على محمد ﷺ، وكما كان يقرأه السلف الصالح، يأخذ بألبابهم، ويستحوذ على قلوبهم وعقولهم، فتخشع قلوبهم لذكر الله، يكونون كما وصفهم القرآن الكريم:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۞ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾

(الأنفال: ٢: ٤)

يتفكرون فى معانيه، ويعملون بما فيه، ينفذون أوامره، ويجتنبون نواهيه، ويحفظونه أولادهم، وأهليهم، يعلمون جيداً وعن يقين أن هذا القرآن الكريم ما دام باقياً فى أيدى المسلمين يرتلونه بألسنتهم، ويحفظونه فى قلوبهم، ويعملون بما فيه فلن يكتب لهم النصر على المسلمين، مهما تفوقوا عليهم فى بعض مراحل التاريخ، وستدور عليهم الدوائر وسيرد كيدهم فى نحورهم وسيسترد المسلمون عزتهم ومجدهم ومكانتهم، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

الأمر الثانى: الرجوع إلى السنة النبوية الشريفة، فيقرأونها قراءة من ينشد ضالته، قراءة مريض أصيب بداء يسعى إلى الشفاء بالحصول على الدواء، قراءة تتجاوز النظر والاطلاع إلى الفهم والاتعاظ، وإلى العمل والتطبيق.. وإلا فلا فائدة من القراءة، ولا أمل يتحقق من الاطلاع.

ألا يجدر بنا- فى ذكرى مولده ﷺ أن نسعى جاهدين لتحقيق ذلك حتى يرضى عنا ربنا فيكشف عنا كربنا، ويحقق لنا ما وعدنا به:

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

(المنافقون: ٨)

ندعوا الله ونرجوه، ونتوسل ونتضرع إليه أن يهدينا إلى الصراط المستقيم، وألا يؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، وأن يكشف عنا الغمة، وأن ينجينا من الفتنة، وأن يفرج كرب المسلمين، وأن ينصرنا على أعدائنا أعداء الدين.

(٢) سنن أبى داود.

من فقه السؤال والجواب

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

حديثنا عن: السؤال والجواب.. وكيف كان كلاهما تعبيرا عن طبيعة الإنسان.

وهذا تمهيد لابن عبدربه فى العقد الفريد ٤ / ٤:

ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى الجوابات التى هى أصعب الكلام كله مركبا، وأعزه مطلبا، وأغمضه مذهبا، وأضيقه مسلكا؛ لأن صاحبه يعجل مناجاة الفكرة، واستعمال القريحة؛ يروم فى بديهة، نقض ما أبرم فى روية؛ فهو كمن أخذت عليه الفجاج، وسدت عليه المخارج؛ قد تعرض للأسنة، واستهدف للمرامى؛ لا يدرى ما يقرع به فيتأهب له، ولا ما يفجؤه من خصمه فيقرعه بمثله. ولاسيما إذا كان القائل قد أخذ بمجامع الكلم فقاده بزمامه، بعد أن روّى فيه واحتفل، وجمع خواطره واجتهد، وترك الرأى يغب حتى يختمر؛ فقد كرهوا الرأى الفطير، كما كرهوا الجواب الدبرى[1]؛ فلا يزال فى نسج الكلام واستئناسه، حتى إذا اطمأن شارده، وسكن نافره، صك به خصمه جملة واحدة؛ ثم إذا قيل له: أجب ولا تخطئ، وأسرع ولا تبطئ، تراه يجاوب من غير أناة ولا استعداد، يطبق المفاصل، وينفذ (إلى) المقاتل؛ كما يرمى الجندل بالجندل، ويقرع الحديد بالحديد؛ فيحل به عراه، وينقض به مرائره، ويكون جوابه على كلامه، كسحابة لبدت عجاجة. فلاشىء أعضل من الجواب الحاضر، ولا أعز من الخصم الألد، الذى يقرع صاحبه، ويصرع منازعه، كمثل

(١) الرأى الدبرى: هو الذى ينشأ أخيراً بعد فوات الحاجة.

النار في الحطب الجزل.

قال أبو الحسن: أسرع الناس جوابًا عند البديهة قريش ثم بقية العرب، وأحسن الجواب كله ما كان حاضرا مع إصابة معنى وإيجاز لفظ. وكان يقال: اتقوا جواب عثمان بن عفان. وقال النبي عليه الصلاة والسلام لعمرو بن الأهتم: أخبرني عن الزبرقان؛ قال: مطاع في أدانيه، شديد العارضة، مانع لما وراء ظهره. قال الزبرقان: والله يا رسول الله، لقد علم مني أكثر من هذا، ولكن حسدني. قال عمرو بن الأهتم: أما والله يا رسول الله، إنه لزمر المروءة (قليلها) ضيق العطن (الصدر)، أحمق الوالد، لئيم الخال؛ (والله يا رسول الله) ما كذبت في الأولى، ولقد صدقت في الأخرى؛ رضيت عن ابن عمي فقلت فيه أحسن ما فيه ولم أكذب، وسخطت عليه فقلت أقبح ما فيه ولم أكذب. فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «إن من البيان لسحرا».(٢)

يقول الله عز وجل:

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(الأعراف/١٨٧)

جماعة من اليهود، ومن قريش أيضا، قالوا: يا محمد أخبرنا متى تقوم الساعة وذلك قول اليهود.. أما قريش فقالوا: يا محمد: بيننا وبينك قرابة.. فاذكر لنا متى الساعة؟!

ولم يكن سؤال الفريقين استرشادا.. ولكنه كان سخرية.. فنزلت هذه الآية الكريمة تقرر ما يلي:

١- أن الساعة مما استأثر الله تعالى بعلمه..

٢- وأنها تأتي بغتة..

٣- وأن هؤلاء السائلين: يسخرون.. وسوف يندمون.

روى الحسن عن النبي ﷺ قال:

«والذي نفس محمد بيده لتقومن الساعة: وإن الرجل ليرفع اللقمة إلى فيه.. حتى تحول الساعة بينه وبين ذلك».

ألا إن الساعة لتفجأ الناس: فالرجل: يصلح موضعه. والرجل: يسقي ماشيته.. والرجل: يقوم بسلعته في سوقه.. والرجل يخفض ميزانه ويرفعه».

وهكذا يتساءلون ساخرين.. ويجيئهم الرد المسكت الذي يثبت ضلالهم من وجهين:

الأول: أنهم يسألون عن شيء غيره أولى بالسؤال منه.

والثاني: السؤال المستهزء عما قامت الأدلة القاهرة بإتيانه..

وكان الأولى بهم الاستعداد لها بالأعمال الصالحة.

(٢) صحيح البخاري، كتاب النكاح.

وكان إخفاء الساعة لحكمة هي: أن يكون ذلك أدعى للخوف منها. والاستعداد لها.. وأدعى للتوبة من المعاصي. وقد خفيت على الخلق خفاء بعيدا يستحيل كشفه.. والعليم بها هو القادر وحده سبحانه.. ولا يعلم بموعدها حتى الرسول ﷺ نفسه:

﴿ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(الأعراف: ١٨٧)

وهم كذلك لا يعلمون بدليل أنهم يستهزئون، ولو علموا ما كذبوك.. ولشغلوا أنفسهم بالطاعة التي تنجيهم من أهوالها.. قبل انخرام الآجال.. والشتات في أودية الضلال.

وإذ يسأل أهل الكفران أسئلة غير عملية لا يبغون بها معرفة ما يجهلون.. ليعلموا..

بينما يفعل سدنة الكفران ذلك.. فإن أهل الإيمان يسألون أسئلة عملية يريدون بها معرفة ما يجهلون.. ليعملوا تكميلا لأنفسهم ولغيرهم.. وخدمة لدينهم. وقد تعرض القرآن الكريم لبعض هذه الأسئلة التي تعكس اهتمامات المؤمنين.. على عكس ما يريد المعاندون وذلك كقوله عز وجل:

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ ﴾

(البقرة/١٨٩)

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ﴾

(البقرة/٢١٥)

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾

(البقرة/٢١٧)

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾

(البقرة/٢١٩)

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ﴾

(البقرة/٢١٩)

إنهم يسألون -بحكم إيمانهم- بما يدعم جوهر ذلك الإيمان.. عما يصلح النفس، ويقوى به المجتمع، وتنتشر الدعوة، من كل ما يقوى به الصف المؤمن.. مهما كانت قيمة التضحية في سبيل ذلك.

ولقد كان من رحمة الله- تعالى- بالمؤمنين أن يجيئهم الجواب كاشفا عن المطلوب منهم.. والذي أنجزوه طائعين مستجيبين لله رب العالمين.

وإذ يقول غيرنا ممن لا يعترفون بالقرآن: يعرف المرء من سؤاله.. لا من جوابه؟! فإنه لمما يسعدنا أن نقرر أن القرآن هو الذي سبق إلى تقرير هذا المبدأ.. بما ذكر من أسئلة هؤلاء المؤمنين التي لم تكن تدور حول شكليات لا طائل من ورائها.. وإنما هي تدل على أنفس تبحث فعلا عن كل ما يقوى به إيمانها.. ويرسخ عقيدتها.. مما يمكن أن نسميه: قيمة التضحية.

هذه القيمة التي لابد منها ليقوى المجتمع.. وتتنامى قوته التي يواجه بها الأعداء الذين يفرون من كل ما يحملهم مسئولية التخلي عن بعض ما يملكون.. ليبقى الحق مرفوع اللواء.. ويظل المؤمنون هم قادة الركب وصناع الحضارة.. بما يحرصون عليه من تضحيات قد تحرمهم من لذائذ الحياة.. ولكنها تبقى على الحياة ذاتها.

والأهم من ذلك أنهم يبذلون طواعية واختيارا.. والتماراً بعقيدة تكلفهم.. وهم راضون مستسلمون.

واليوم: إذا أرادت أمتنا أن تنهض من كبوتها.. فلتكن «قيمة التضحية» سبيلها إلى هذه النهضة التي يقيمها الإيثار.. وليست «الأثرة» التي يدين بها غيرنا.. إنها أمة الإيثار:

التي تسأل: معبرة بالسؤال عن رغبتها في العلم.. للعمل به..

ثم هي تسأل: أهل الاختصاص.

وتدور أسئلتها حول ما تصلح به الأمة..

الأمة التي لا صلاح لها إلا بما صلح به أولها، وهو: الإيثار.. والتعاون على البر والتقوى.

فى السنة المطهرة

ولقد تعرض ﷺ لأسئلة اختلفت باختلاف السائلين.. الذين كان منهم: البرىء.. والمغرض. الجاهل.. والعالم. والمستهزئ والمستفز.. فكانت إجاباته قرآنية: تحمل طابع القرآن الكريم الحكيم.. ولم يلجأ في جوابه إلى اللف والدوران أبدا.. كما يقول العلماء.. بل كانت إجاباته شافية مقنعة لا تناقض فيها ولا هوى ولا مجاملة أو تفضيل على أساس النسب أو الجاه والمكانة واللون.

وأجوبة رسولنا محمد ﷺ تتوافر على خصائص لا توجد في أى مصدر معلومات مضى أو آت فهى:

١- لا تقتصر على السؤال الآنى، بل تمتد في الزمن لتجيب على أسئلة مشابهة، الشىء الذى يعطى لتلك الأجوبة الدوام والصلاحية للأزمنة اللاحقة.

سأل سعد بن أبى وقاص رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنى حلفت باللات والعزى، وأن العهد كان قريبا. فقال: «قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ثلاثا، ثم تفل عن يسارك ثلاثا، ثم تعوذ، ولا تعد» ذكره أحمد.

٢- إنها «أى الأجوبة» لا ترمى إلى اتباع هوى السائل أو والرد على المقاس، بل تراعى أولا وأخيرا الحق.

٣- إن بعض إجاباته تأتى قرآنا صريحا:

سألت أم سلمة رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، يغزو الرجال ولا تغزو النساء، وإنما لنا نصف الميراث، فأنزل الله تعالى:

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾

(النساء: ٣٢) (ذكره مسلم)

٤- الأجوبة لا تتلون ولا تتغير من شخص لآخر، ومن حال إلى حال، بل تصب في سياق الإجابة الأولى وتؤكدها ولا تناقضها بتاتا.

٥- الإجابة لا تتضمن أى مظهر من مظاهر التفاخر اللفظى أو البحث عن الشهرة الذاتية أو النسيان، أو التأثر بعاهة أو مرض أو غضب.

وهكذا يقرر البصراء بفن القول وفن السؤال.

مما يعتبر تحذيرا لمن ينبشون في التراث الماضى متسائلين عن قضايا لا تتصل بمستقبل أمة مستهدفة من أعدائها مؤكدا لهم أن في هموم الحاضر غناء أى غناء يغنى أمتنا من هذا العناء.

الرؤيا فى قصة يوسف «٤»

رؤيا صاحبى السجن

للشيخ/ صديق بكر عيطة

ومع أننا نعتقد أن رؤيا كل منهما تنفصل عن رؤيا الآخر، كما سبق أن أشرنا، سنقوم بالحديث عنهما دفعة واحدة، لأن الرجلين قصا الرؤيين على يوسف في جلسة واحدة، كما قام يوسف - عليه السلام - بتأويلهما في نفس الجلسة، بعد أن أحالها إلى جلسة إيمانية دعوية، دعاهما فيها إلى عبادة الله - عز وجل -، وترك عبادة ما سواه.

يقول الله تبارك وتعالى:

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

(يوسف: ٣٦)

ولنترك الحديث الآن في دعوة يوسف صاحبيه إلى عبادة الله وترك عبادة ما سواه، فتلك قضية أخذت حظها من التعليق عند عرض الأحداث، لكن الذى نشير إليه هنا مما يتعلق بها، أنها من كياسة يوسف وفطنته وحسن ناحيته، ودقة نظرته. فيوسف - عليه السلام - رأى أن أحدهما سيعود إلى عمله بعد أن تظهر براءته، وسيكون قريباً من الملك، وفى موقع يكثر فيه النفاق والمداجاة بغية المزيد من تحقيق المكاسب الدنيوية.

وأما الثانى فيحكم عليه بالموت، لتورطه في محاولة دس السم للملك في الطعام، فكان الأجدر - هكذا رأى يوسف، وهو من كياسته وبُعد نظره - أن يعظهما ويأخذ بيدهما إلى الطريق الصحيح، ليعود الأول إلى عمله بعد أن يكون قد آمن بالله الواحد، الذى يستحق العبادة دون سواه، وكأنه يحصنه ضد النفاق والمداجاة، التى تكثر في هذا الوسط الملكى والتى ربما أدت به إلى السجن من الأطراف الأخرى، التى تحاول التقرب إلى مجلس الملوك، ولو على حساب حياة الآخرين، فكانت دعوة يوسف له تحصيناً له مما يصيب أصحاب هذه المجالس. وأما الآخر فسيلقى ربه، وهو الآن فى أمسّ الحاجة إلى التوبة وحسن الرجوع إلى الله - عز وجل -، حتى يلقاه وهو عنه راض، فكانت الدعوة التى دعاهما إليها قبل أن يؤول لكل منهما رؤياه.

ويبدأ يوسف - عليه السلام - في تأويل

الرؤيا، لكنه لم يشأ أن يواجه كلا منهما بمصيره صراحة، مراعاة لمشاعر الثانى، الذى سيحكم عليه بالموت والصلب، حتى تأكل الطير من رأسه، ولذا لجأ إلى طريق التأويل الذى يتسم بالعمومية، دون أن يخصص كل واحد منهما بما يقابله من حكم، ولذا قال:

﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ ﴾

(يوسف: ٤١)

وهنا عرف كل منهما مصيره الذى ينتظره، ولكى يؤكد لهما أن ما قضى به الله سوف يكون لا محالة، ولن يفيد محاولة التملص منه، ختم كلامه بهذه العبارة:

﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾

(يوسف: ٤١)

وليؤكد لهما ثقته التامة فى أن ما قضى الله وما وضحه هو من خلال تأويل الرؤيا كائن لا محالة. قال للذى غلب على ظنه أنه ناج من الموت، وعائد إلى بلاط الملك:

﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾

(يوسف: ٤٢)

ليعيد التحقيق العادل فى قضيته التى زُج به فى السجن بسببها ظلماً ودون جريرة، لتتبين براءته هو أيضاً. طلب ذلك من الساقى، لكن الساقى نسى هذه الوصية، ليستمر يوسف فى سجنه بضع سنين، إلى أن جاءت رؤيا الملك، التى سلف القول فيها.

إن الرؤيا فى قصة يوسف ـ عليه السلام ـ ذات شأن كبير فى التعرف على شخصية هذا النبى الكريم.. سواء فى ذلك، تلك التى رآها هو بنفسه لنفسه، أو تلك التى رئيت له، أو تلك التى قام هو بتأويلها لغيره.. كان للرؤيا فى حياة يوسف شأن كبير منذ أن كان صبياً يحبو أولى خطوات حياته فى حجر أبيه يعقوب ـ عليه السلام ـ وإلى أن صار فتى يافعاً، تلتهمه عيون النسوة فى خدورهن.. وإلى أن بلغ سدة الحكم فى مصر الفرعونية، يمسك بمقاليد الأمة فى أحرج لحظات حياتها.

فيوسف، هو ذلك الصبى الموصول بالله ـ عز وجل ـ، والذى أعده الله منذ صباه الباكر، ليكون حلقة مباركة فى هذه السلسلة الميمونة من ذرية إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ وكانت الرؤيا ذات شأن كبير فى هذه المرحلة، حيث رأى والده له ما سبق الحديث عنه، مما يؤكد على أنه سيكون محسوداً من إخوته لما ينتظره من فضل الله فى مستقبل أيامه، وما رآه هو بنفسه مما جعل إخوته يتلمظون له، ويتحينون الفرصة للخلاص منه، حتى ألقوه أخيراً فى غيابة الجب بين الحيات والثعابين وسائر الهوام.

وهو الفتى، الذى دخل السجن ظلماً ودون جريرة؟ فلم يمنعه ذلك من أن يؤدى دوره فى تأويل الرؤيا لهذين الفتيين اللذين رافقاه فى سجنه، وليكون ذلك سبباً فى رفعة شأنه بين السجناء، حتى إنه بدأ مهمة الدعوة إلى الله ـ عز وجل ـ داخل سجنه وبين ظلماته: سواء باستقامته فى سلوكه.

﴿ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

(يوسف: ٣٦)

أو بصدق حديثه حتى لقب بالصديق:

﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ﴾

(يوسف: ٤٦)

أو بعفته وطهارة ذيله..

﴿ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾

(يوسف: ٥١)

أو بدعوته الصريحة إلى الله ـ عز وجل ـ:

﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾

(يوسف: ٤٠)

فكان نعم القدوة الحسنة والأسوة الطيبة، لمن كانوا بداخله.

وهو الفتى الذى أخرجته الرؤيا ـ رؤيا الملك ـ من ظلمات سجنه، ليعتلى سدة الحكم فى أعظم بلاد الدنيا آنذاك (مصر):

﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

(يوسف: ٥٦)

وهو الكهل الذى قال لأبيه يعقوب، حينما سجد الجميع له إكباراً لشأنه، واعترافاً بنبوته، وما أنعم الله به عليه من المكانة الرفيعة:

﴿ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾

(يوسف: ١٠٠)

وهو الحاكم.. الذى لم تُنسه الدنيا وما أُسبغ عليه فيها من النعم فضل المنعم، حتى إنه ليرفع يديه إلى السماء فى نشوة اللقاء بأحبابه وخُلصائه، ضارعاً إلى ربه تبارك وتعالى:

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾

(يوسف: ١٠١)

إن الرؤيا لتستغرق قصة هذا النبى الكريم، من أولها إلى آخرها: سواء فى ذلك أحداثها الأساسية، التى تشكل منعطفات حياته، أو ما بينها من أحداث شبه عارضة، لتسجل فى مجمل حياته ـ عليه السلام ـ أنصع الصفحات المشرقات، فكانت بذلك مصداقاً لما توسمه فيه أبوه يعقوب ـ عليه السلام ـ حينما قال له فى بواكير حياته:

﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

(يوسف: ٦)

ولقد جاء فى تفسير الإمام القرطبى تعليقاً على هذه الآية: «وهذا ثناء من الله تعالى على يوسف ـ عليه السلام ـ وتعديد للنعم التى آتاه الله تعالى»[1].

١- تفسير القرطبى ص ٣٣٥٨ ط. دار الشعب.

ملامح تربوية

أبناؤنا وصناعة المستقبل

للأستاذ الدكتور/ حمدى فتوح والى

لا يخفى على أحد مقدار ما تعانيه البشرية منذ ظهور وباء أنفلونزا الطيور ثم ما تبعه من وباء أشد وأخطر هو ما عرف بأنفلونزا الخنازير. كما لا يخفى أيضا مقدار ما تبذله الأمم والحكومات من جهد ومال وما تبديه من اهتمام لمحاولة تحصين رعاياها من هذا الداء اللعين. وبرغم اطمئنان الشعوب فى كثير من الدول إلى سهر الحكومات على مصالحها، وتحملها لعبء المقاومة والتحصين من هذه الأدواء فإن كل والد ووالدة، وكل رجل وامرأة وكل شاب وفتاة لا يألون جهدا فى اتخاذ جميع الأسباب للحيلولة دون وصول هذا الداء إليهم، وإلى من تلزمهم نفقته. كل ذلك من أجل استدامة السلامة والحرص الشديد على الحياة. وكل ذلك مطلوب لا بأس به ولا حرج عليه. لكننا نتساءل لماذا لا نجد مثل هذا الحرص الشديد على التحصين أمام أمراض أخرى هى أشد فتكا وأعظم خطرا من داء الأنفلونزا بأنواعها المختلفة.

وإذا كان غاية ما يخشى من هذا الداء هو إصابة الجسم بالآلام التى قد تفضى فى أسوأ أحوالها إلى الموت. فإن الموت وحده ليس هو أخطر ما يتقى من حس المؤمن الصحيح الإيمان، فالموت فى نظر الإسلام ليس مجرد توقف الأجهزة الحيوية عن العمل وصعود الروح إلى بارئها، وإنما الموت الحقيقى الذى عناه المولى تبارك وتعالى في كتابه وأدار عليه الرسول ﷺ كثيرا من أحاديثه هو موت القلب والمشاعر والوجدان، إنه انطفاء شعلة الإحساس بمعية الله وقدرته وعظمته، وغياب الامتزاج بمنظومة الكون الكبرى التى تتجه إلى خالقها بالتسبيح والتهليل والتعظيم، من منطلق قوله تعالى:

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾

(الإسراء: ٤٤)

وإذا تتبعنا لفظة الموت فى القرآن رأينا دلالتها على الموت المعنوى الروحى أشد حضوراً ووضوحاً من الدلالة على الموت الحسى، فقوله تعالى:

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾

(الأنعام: ١٢٢)

وقوله تعالى:

﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾

(الروم: ٥٢)

فالموت فى الآيتين موت القلب والروح ويأتى التهوين من شأن الموت الجسدى فى مقابل الموت الروحى من إيماننا بأن الموت ليس هو النهاية وإنما هو وسيلة انتقال من هموم دنيوية محدودة إلى سعادة أخروية أبدية، فمن أحسن التحصن من آفات القلب والعقل واللسان وسلم له دينه وخلقه فقد سلمت له آخرته ودنياه. وأما من قصر فى تحصين ولده فترك جراثيم الفساد تسرع إلى قلبه فتفسده، وإلى وجدانه فتطفئه، وإلى ضميره فتغيبه وإلى إحساسه بالواجب الشرعى فتبلده؛ فهذه الآفات وحدها هى الأولى بالتحصين والمحاربة والمجاهدة الصادقة فى دفعها؛ لأن فى تمكنها قضاء على المعنى الروحى الذى يصير به الإنسان إنساناً. إنه المعنى الذى عناه الشاعر بقوله:

يا بانى الجسم كم تحفل ببنيته ... أتطلب الربح فيما فيه خسران

أقبل على النفس واستكمل فضائلها ... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

إن المنافع الأساسية للحيوانات تكمن فيما يعود علينا من أبدانها التى تمثل لنا المأكل والمنافع وقضاء الأعمال:

﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٧) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

(النحل: ٥ ـ ٨)

ومن هنا فإنه يحق لنا أن نهتم لإصابة جسم الحيوان لأن جسمه هو المقصود بالغاية من وجوده، لأنه الذى يرتبط به أداء دوره فى الحياة، وليس كذلك الإنسان؛ لأن الجسم لدى الإنسان طرف

للكائن الذى يسكنه، وهذا الكائن إما أن يكون كياناً ربانياً فيعلو ويسمو حتى يستحق أن تسجد له الملائكة، وإما أن يكون كياناً شيطانياً فيسفل ويرذل حتى يستحق الطرد من رحمة الله:

﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾

(طه: ١٢٣، ١٢٤)

ومن عجيب أمر الإنسان، أن هذا الضنك والشقاء لم يولد مع هذا الجسد منذ البداية، فقد ولد سوياً نقياً، وإنما هو الذى جره على نفسه بسوء فعاله وفساد تدبيره فالجميع يخرجون من بطون أمهاتهم أسوياء أنقياء متساوين فى مقومات الحياة.

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

(النحل: ٧٨)

ونحن هنا نتساءل: إذا كان الجميع قد خرجوا إلى الدنيا أسوياء أنقياء متساوين فى طبيعة التكوين فمن أين دخل على الناس هذا التفاوت المريع فظهر من بينهم الملاك الطاهر، والشيطان الفاجر؟!

هذا ما يجيبنا عنه نبينا ﷺ بقوله: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تنتج البهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟»(١) ثم يقول أبو هريرة راوى الحديث: اقرأوا إن شئتم:

﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾

(الروم: ٣٠)

إن أحداً لا ينكر مدى اهتمام الآباء بتحصين أطفالهم ضد أمراض كذا وكذا منذ أول يوم من الولادة، لكنى أشهد القراء جميعاً: هل ترون مثل هذا الاهتمام فى تحصين الطفل ضد الكذب والجبن والنفاق والسلبية والأنانية والخوف، وضد الانهزام النفسى أمام الباطل وضد التملق والرياء؟.

لقد رأينا كثيراً من الآباء يزحمون عيادات الأطباء بأطفالهم، لأنهم لاحظوا ضعفاً فى أبدانهم، أو صفرة فى وجوههم، أو ارتفاعاً فى حرارة أجسامهم، أو حتى تغيراً فى لون فضلاتهم؛ فحملهم هذا على التضحية بأموالهم وأوقاتهم وراحة أبدانهم، حتى يزيلوا عن صغيرهم ما يتهدده من خطر أو ما سيطرأ عليه من

(١) ـ رواه مسلم.

تغيير، لكن هل رأيتم مثل هذا الاهتمام إذا رآه مضيعاً لصلاته، هاجراً لقرآنه، غافلاً عن ذكر ربه، أو منصرفاً عن آخرته، غارقاً فى شهواته، سادراً فى غيه، متلبطاً فى شبهاته؟!

لقد انتدبنا رسولنا ﷺ إلى تحصين أبنائنا حتى قبل أن يولدوا بأن وجهنا إلى اختيار المغرس الطاهر بقوله: «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس»(٢) ويقول ـ ﷺ ـ: «تزوجوا الودود الولود..»(٣) وبأن نختار ذات الدين، كل ذلك رغبة فى حصانة الولد وطهره ونجابته، ثم أمر الزوجين بحصانة أخرى تحول بين الشيطان وبين الولد بأن يقولا عند التقائهما: «اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا»(٤) وأخبرنا ﷺ: أنه إن قدر من هذا اللقاء ولد لم يمسسه الشيطان.

وهل أدرك الآباء بركة هذا التحصين المبارك الذى وجهنا إليه حبيبنا ﷺ عندما أمرنا بأن نؤذن فى أذن المولود اليمنى وأن نقيم الصلاة فى أذنه اليسرى منذ أول لحظة من مولده ليكون هذا النداء الحبيب أول ما يطرق أذنه، ويقر فى وجدانه وليكون تحصيناً للفطرة من أن يعبث بها الشيطان الذى يقعد لابن آدم كل مرصد وليكون تعويداً للأذن على سماع هذا النداء الحبيب فيأنس إليه ويألفه، ويستجيب إليه فى حب وخشوع. ثم يوجه الآباء إلى أن يعلنوا عن شكرهم بأن يقدموا نعمة صغرى من الأنعام لتدوم لهم النعمة الكبرى من الأولاد وهى العقيقة. إن الله ـ تبارك وتعالى ـ عندما أمر الآباء بأن يقوا أنفسهم وأهليهم ناراً وقودها الناس والحجارة؛ فلأنه ـ سبحانه ـ يعلم قدرتهم على ذلك وأهليتهم لأداء هذا الدور العظيم ولولا ذلك ما كلفهم به، فإن قصروا فى أدائه مع استطاعتهم إياه فقد استوجبوا عقوبة هذا التقصير. ومن فضل الله على الناس أن يسر لهم أسباب تلك الوقاية، فلم يكلف الآباء ما لايطيقون وإنما طلب منهم أن يكونوا أتقياء ليورثوا أبناءهم التقوى، وأن يكونوا دعاة إلى الله يسارعون إلى الخير ويقولون قولاً سديداً:

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾

(النساء: ٩)

وقد ساق الله ـ تبارك وتعالى ـ لنا نماذج قرآنية بيّن فيها للناس دورهم مع أبنائهم.

(٢) ـ المغنى عن حمل الأسفار للعراقى ٢/ ٤٢.

(٣) ـ سنن أبى داود، كتاب النكاح.

(٤) ـ صحيح البخارى، كتاب الوضوء.

وانظر معي إلى الربانية العالية والحكمة الغالية في تربية الخليل إبراهيم لولده إسماعيل عندما يشركه معه في بناء البيت الحرام ويشعره أن هذا الجهد كله لا يعد شيئاً إلا بأن يتقبله الله، فيغرس في قلبه منذ صغره شعور الربانية الخالص بقوله:

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾

(البقرة: ١٢٧، ١٢٨)

ويوجهه في موضع آخر إلى كيفية شكر نعمة الأولاد بقوله سبحانه:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾

(إبراهيم: ٣٩، ٤٠)

أليست هذه هي التربية بالقدوة؟! وهل تفهم الآباء دورهم مع أبنائهم من خلال النموذج العملي الذي قدمه الله لهم متمثلا في تربية لقمان لابنه؟ ليعطيهم نموذجا في الرفق والقرب وطريقة الأداء، ثم يعلمهم ترتيب الأولويات؛ فيبدأ بأمور العقيدة ثم بالعبادة ثم بالدعوة ثم بالأخلاق وحسن السلوك؟ فهل أحسن الآباء تربية الأبناء فقدموا لهم القدوة من أنفسهم إن تكلموا أو تفاهموا، أو تحدثوا عن غيرهم في حضور أبنائهم، فحفظوا الغيبة. وستروا العيبة، ولم يقولوا زوراً و يغشوا فجوراً؟. هل أورثوهم الكرم وحب الخير والإنصاف مع الغير وإعانة المحتاج والعطف على الفقير، والأسى والحزن لكل حزين مقهور؟

هل أشعروهم بمدى حرصهم على الكسب الحلال، وحساسيتهم الشديدة تجاه ما يدخل إليهم من أموال؟ وهل عودوهم أن يتركوا بعض الحلال مخافة الوقوع في الحرام؟

وإذا كان الآباء يحرصون على صحة أبنائهم أملاً في أن يشبوا أصحاء أقوياء فإن عليهم أن يحددوا الأهداف التي ينبغي أن توجه إليها تلك الصحة وتلك القوة وإذا كان من أعظم تلك الأهداف صيانة النفس والدين والعرض، وحماية الأوطان والأموال، فإن هذه الأهداف العظيمة بحاجة إلى همة عالية ويقين ثابت، وإيمان عميق، وهي أمور تحتاج من الآباء والدعاة والمسئولين إلى إخلاص صادق وإلى جهد عظيم، وأول تلك الجهود ضرورة الحفاظ على شخصية هؤلاء الأبناء وتحصينهم ضد تيارات التغريب والغزو الفكري التي تحمي قيم أصحابها من التحلل الأخلاقي والتفسخ الاجتماعي وغياب الوازع الديني.

وإذا كانت جهود المسئولين تتجه بقوة إلي تنظيف الأفنية والأبنية والملابس والأجسام ـ وهو أمر محمود ومشكور ـ فإن تنظيف البيوت من اللغو ـ وتنظيف وسائل الإعلام من اللهو والعبث والمجون، وتنزيه الأسماع عن الكذب والسباب وقول الزور، وتنزيه القلوب عن الحقد والحسد والكبر والخيلاء، وتنزيه الوجدان عن الكراهية والأنانية وحب الذات، وتنزيه العقول عن الجهل والخرافة والشعوذة والخزعبلات، وتنزيه الإرادة عن التبعية والدونية واحتقار الذات. كل هذه أمراض وآفات لا تقل خطورة على كيان الإنسان من كل ما تحذره من مكيروبات وفيروسات! إذا كنا حقاً نحسن ترتيب الأمور وتقدير الأولويات.

إن أولادنا هم أعظم استثمار في حياتنا، ولا أظن أحداً مهما كانت وجهته أو ملته إلا ويتمنى لولده أعظم المنى وأسعد الأيام، وليقيننا الجازم بأن الأمنيات وحدها لا تكفي لتحقيق العظيم من الآمال فإننا نؤكد أن الطريق إلى الرجولة الحقة، التي تتحقق بها الأحلام لا تتأتى إلا بأن نأخذ أولادنا بالفهم العميق والتكوين الدقيق والعمل المتواصل.

ونعني بالفهم العميق غرس قيم الإسلام في نفوس الأبناء منذ بداية نشأتهم، ونقصد بالتكوين الدقيق مراعاة الشمول في تكوين شخصيتهم، لتشمل تربية روحه بالإيمان وتطهر قلبه بالقرآن، وتربية عقله على الوسطية والاعتدال بعيداً عن التطرف الأعمى، والمادية القاسية.

وهذه التربية بهذا التكامل لا نجدها إلا في منهج الإسلام فالمنهج الإسلامي يكون شخصية إيجابية فاعلة مؤثرة، متحملة لتبعة أعمالها، جريئة مقدامة، قابلة للتجنيد السريع؛ متأهبة للدفاع عن الوطن، كما يكوّن شخصية استقلالية متأدبة بقول المصطفى ﷺ: «لا يكن أحدكم إمعة يقول: إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أو أساءوا ألا تظلموا»(٥).

فليت آباء اليوم يصنعون لأمتنا آباء المستقبل صناعة إيمانية ربانية طاهرة فيكونوا بذلك قد صنعوا للأمة مستقبلها الزاهر، وأعادوا لها زمنها الجميل.

***

(٥) ـ أخرجه الترمذي.

﴿ فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

اطلعنا على الطلب المقدم من/ مجلة الأزهر - المتضمن لبعض الأسئلة وهى:

> السؤال الأول: ما حكم الشرع فى تلقين الميت أثناء الدفن وفى قراءة القرآن حسب العادة المتبعة من سورة «يس أو تبارك مثلا»؟

السؤال الثانى: ما حكم الشرع فى عدم الجهر بالبسملة أثناء الصلاة من عدمه؟

السؤال الثالث: ما حكم الشرع فى قنوت صلاة الفجر هل هو جائز أم غير جائز؟

تلقين الميت

>> الجواب أولاً: يُسن تلقين الميت بعد الدفن، لما روى عن راشد بن سعد وضمرة بن حبيب وحكيم بن عمير ـ وهم من قدماء التابعين من أهل حمص ـ قالوا: «إذا سوى على الميت قبره وانصرف الناس عنه كانوا يستحبون أن يقال للميت عند قبره: يا فلان قل لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله، ثلاث مرات، يا فلان قل ربى الله ودينى الإسلام ونبيى محمد ﷺ، ثم ينصرف» رواه سعيد بن منصور فى سننه.

وروى عن أبى أمامة الباهلى -رضى الله عنه- قال: إذا أنا مت فاصنعوا بى كما أمرنا رسول الله ﷺ أن نصنع بموتانا أمرنا رسول الله ﷺ فقال: «إذا مات أحد من إخوانكم فسويتم التراب على قبره فليقم أحد على رأس قبره ثم ليقل: يا فلان ابن فلانة، فإنه يسمعه ولا يجيب، ثم يقول: يا فلان ابن فلانة، فإنه يستوى قاعدا، ثم يقول: يا فلان ابن فلانة، فإنه يقول: أرشدنا يرحمك الله، ولكن لا تشعرون، فليقل: اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأنك رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وبالقرآن إماماً. فإن منكراً ونكيراً يأخذ كل واحد بيده

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
على جمعة
مفتى جمهورية مصر العربية

صاحبه ويقول: انطلق بنا ما يقعدنا عند من لقن حجته! ويكون الله- تعالى- حجته دونهما» فقال رجل: يا رسول الله! فإن لم يعرف أمه؟ قال: «ينسبه إلى أمه حواء: يا فلان ابن حواء» رواه الطبرانى وابن شاهين وغيرهما، قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله: وإسناده صالح وقد قواه الضياء فى أحكامه اهـ.

وقال الإمام النووى فى «الروضة»: والحديث الوارد فيه ضعيف، لكن أحاديث الفضائل يتسامح فيها عند أهل العلم من المحدثين وغيرهم، وقد اعتضد هذا الحديث بشواهد من الأحاديث الصحيحة، كحديث «اسألوا له التثبيت» ووصية عمرو بن العاص- رضى الله عنه- ولم يزل أهل الشام على العمل بهذا التلقين من العصر الأول وفى زمن من يقتدى به». اهـ.

وقد قال تعالى:

﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

«الذاريات: ٥٥»

وما أحوج ما يكون العبد إلى التذكير فى هذه الحالة.

وقال ابن القيم فى كتاب «الروح»: «جرى عليه عمل الناس قديماً وإلى الآن، والحديث وإن لم يثبت فاتصال العمل به فى سائر الأمصار والأعصار من غير إنكار كاف فى العمل به، وما أجرى الله- سبحانه وتعالى- العادة قط بأن أمة طبقت مشارق الأرض ومغاربها وهى أكمل الأمم عقولاً وأوفرها معارف تطبق على مخاطبة من لا يسمع ولا يعقل وتستحسن ذلك لا ينكره منها منكر، بل سنه الأول للآخر، ويقتدى فيه الآخر بالأول» اهـ.

أما قراءة القرآن الكريم للميت أو على القبر: فقد جاء الأمر الشرعى بقراءة القرآن الكريم على جهة الإطلاق، ومن المقرر أن الأمر المطلق يقتضى عموم الأمكنة والأزمنة والأشخاص والأحوال فلا يجوز تقييد هذا الإطلاق إلا بدليل، وإلا كان ذلك ابتداعاً فى الدين بتضييق ما وسعه- الله تعالى- ورسوله ﷺ.

وعلى ذلك فقراءة القرآن الكريم عند القبر حالة الدفن وبعده مشروعة ابتداءً بعموم النصوص الدالة على مشروعية قراءة القرآن الكريم، بالإضافة إلى أنه قد وردت أحاديث عن النبي ﷺ وآثار كثيرة عن السلف الصالح في خصوص ذلك ذكرها الإمام أبوبكر الخلال الحنبلي «ت ٣١١ هـ» في جزء «القراءة على القبور» من كتاب «الجامع»، ومثله الحافظ شمس الدين بن عبدالواحد المقدسي الحنبلي في جزء ألفه في هذه المسألة، والإمام القرطبي المالكي «ت ٦٧١ هـ» في كتابه «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة»، والحافظ السيوطي الشافعي «ت ٩١١ هـ» في «شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور»، والحافظ السيد عبدالله بن الصديق الغماري «ت ١٤١٣ هـ» في كتابه «توضيح البيان لوصول ثواب القرآن»، وغيرهم ممن صنف في هذه المسألة.

١ ـ فمن الأحاديث الصحيحة الصريحة في ذلك:

ما رواه عبدالرحمن بن العلاء بن اللجلاج، عن أبيه قال: قال لي أبي ـ اللجلاج أبوخالد: يا بني، إذا أنا مت فألحدني، فإذا وضعتني في لحدي فقل: بسم الله، وعلى ملة رسول الله، ثم سن على التراب سنا ـ أي: ضعه وضعاً سهلاً ـ ثم اقرأ عند رأسي بفاتحة البقرة وخاتمتها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، قال الهيثمي: ورجاله موثوقون.

وقد روى هذا الحديث موقوفاً على ابن عمر – رضي الله عنهما– كما أخرجه الخلال في جزء «القراءة على القبور» والبيهقي في «السنن الكبرى» وغيرهما، وحسنه النووي وابن حجر.

وعن ابن عمر– رضي الله عنهما– قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا مات أحدكم فلا تحبسوه، وأسرعوا به إلى قبره، وليقرأ عند رأسه بفاتحة الكتاب، وعند رجليه بخاتمة سورة البقرة في قبره». أخرجه الطبراني والبيهقي في شعب الإيمان، وإسناده حسن كما قال الحافظ في الفتح، وفي رواية «بفاتحة البقرة» بدلا من «فاتحة الكتاب».

وفي المسألة أحاديث أخرى، لكنها واهية الأسانيد:

منها حديث علي بن أبي طالب– رضي الله عنه وكرم وجهه– عن النبي ﷺ قال: «من مر على المقابر وقرأ «قل هو الله أحد» إحدى عشرة مرة ثم وهب أجره للأموات، أعطي من الأجر بعدد الأموات». خرجه الخلال في «القراءة على القبور» والسمرقندي في «فضائل قل هو الله أحد» والسلفي.

ومنها حديث أبي هريرة– رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: «من دخل المقابر ثم قرأ فاتحة الكتاب «وقل هو الله أحد» و «ألهاكم التكاثر» ثم قال: اللهم إني قد جعلت ثواب ما قرأت من كلامك لأهل المقابر من المؤمنين والمؤمنات، كانوا شفعاء له إلى الله– تعالى–». أخرجه أبوالقاسم الزنجاني في «فوائده».

ومنها حديث أنس– رضي الله عنه– أن رسول الله ﷺ وسلم قال: «من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف الله عنهم، وكان له بعدد من فيها حسنات». خرجه عبدالعزيز صاحب الخلال.

قال الحافظ شمس الدين بن عبدالواحد المقدسي الحنبلي في جزئه الذي ألفه في هذه المسألة: «وهذه الأحاديث وإن كانت ضعيفة، فمجموعها يدل على أن لذلك أصلاً، وأن المسلمين مازالوا في كل مصر وعصر يجتمعون ويقرءون لموتاهم من غير نكير، فكان إجماعاً.. أهـ.

٢– وجاءت السنة بقراءة سورة «يس» على الموتى في حديث معقل بن يسار – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: «اقرءوا (يس) على موتاكم» رواه أحمد وأبوداود وابن ماجة وصححه ابن حبان والحاكم.

قال القرطبي في «التذكرة»: «وهذا يحتمل أن تكون هذه القراءة عند الميت في حال موته، ويحتمل أن تكون عند قبره»أهـ.

وقال الحافظ السيوطي في «شرح الصدور» و«بالأول قال الجمهور كما تقدم في أول الكتاب، وبالثاني قال ابن عبدالواحد المقدسي في الجزء الذي تقدمت الإشارة إليه، وبالتعميم في الحالتين قال المحب الطبري من متأخري أصحابنا»أهـ.

وقال ابن حجر الهيتمي في «الفتاوى»: «أخذ ابن الرفعة وغيره بظاهر الخبر، وتبع هؤلاء الزركشي فقال: لا يبعد ـ على القول باستعمال اللفظ في حقيقته ومجازه ـ أنه يندب قراءتها في الموضعين»أهـ.

٣– كما جاء الشرع الشريف بقراءة سورة الفاتحة على الجنازة، وذلك لأن فيها من الخصوصية في نفع الميت وطلب الرحمة والمغفرة له ما ليس في غيرها، كما في حديث عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «أم القرآن عوض عن غيرها، وليس غيرها عوضا عنها» رواه الدارقطني وصححه الحاكم، وبوب لذلك الإمام البخاري في صحيحه بقوله: «باب قراءة فاتحة الكتاب على الجنازة»، وهذا أعم من أن يكون في صلاة الجنازة أو خارجها، فمن الأحاديث ما يدل على أنها تقرأ في صلاة الجنازة، ومنها ما يدل على أنها تقرأ عند الدفن أو بعده كحديث ابن عمر السابق عند الطبراني وغيره، ومنها ما يدل بإطلاقه على كلا الأمرين، كحديث أم عفيف النهدية – رضي الله عنها – قالت: «بايعنا رسول الله ﷺ حين بايع النساء، فأخذ عليهن ألا تحدثن الرجل إلا محرماً، وأمرنا أن نقرأ على ميتنا بفاتحة الكتاب» رواه الطبراني في المعجم الكبير، وحديث أم شريك – رضي الله عنها – قالت: «أمرنا رسول الله ﷺ أن نقرأ على الجنازة بفاتحة الكتاب» رواه ابن ماجه.

٤– واستدل العلماء على قراءة القرآن عند القبر أيضاً بحديث ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: مر النبي ﷺ على قبرين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان من كبير»

ثم قال: «بلى، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما أحدهما فكان لا يستتر من بوله» قال: ثم أخذ عوداً رطباً فكسره باثنتين، ثم غرز كل واحد منهما على قبر، ثم قال: «لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا» متفق عليه.

قال الخطابي: «فيه دليل على استحباب تلاوة الكتاب العزيز على القبور، لأنه إذا كان يرجى عن الميت التخفيف بتسبيح الشجر، فتلاوة القرآن العظيم أكبر رجاء وبركة» أهـ.

وقال القرطبي في «التذكرة»: «وقد استدل بعض علمائنا على قراءة القرآن على القبر بحديث العسيب الرطب الذي شقه النبي ﷺ باثنين.. قالوا: ويستفاد من هذا غرس الأشجار وقراءة القرآن على القبور، وإذا خفف عنهم بالأشجار فكيف بقراءة الرجل المؤمن القرآن. قال: «ولهذا استحب العلماء زيارة القبور، لأن القراءة تحفة الميت من زائره» أهـ.

وقال النووي في «شرح مسلم»: «واستحب العلماء قراءة القرآن عند القبر لهذا الحديث، لأنه إذا كان يرجى التخفيف بتسبيح الجريد فتلاوة القرآن أولى، والله أعلم» أهـ.

٥- وقد صلى النبي ﷺ صلاة الجنازة على القبر غير مرة كما جاء في الصحيحين وغيرهما، والصلاة مشتملة على قراءة الفاتحة، والصلاة على النبي ﷺ والذكر والدعاء، وما جاز كله جاز بعضه.

كما أخذ العلماء وصول ثواب القراءة إلى الميت من جواز الحج عنه ووصول ثوابه إليه، لأن الحج يشتمل على الصلاة، والصلاة تقرأ فيها الفاتحة وغيرها وما وصل كله وصل بعضه، وهذا المعنى الأخير وإن نازع فيه بعضهم إلا أن أحداً من العلماء لم يختلف في أن القارئ إذا دعا الله - تعالى - أن يهب للميت مثل ثواب قراءته فإن ذلك يصل إليه بإذن الله، لأن الكريم إذا سئل أعطى وإذا دعي أجاب.

٦- وعلى ذلك جرى عمل المسلمين جيلاً بعد جيل وخلفاً عن سلف من غير نكير، وهذا هو المعتمد عند أصحاب المذاهب المتبوعة، حتى نقل الحافظ شمس الدين بن عبدالواحد المقدسي الحنبلي الإجماع على ذلك - كما سبق - ونقله أيضاً الشيخ العثماني في كتابه «رحمة الأمة في اختلاف الأئمة»، ونص عبارته في ذلك: «وأجمعوا على أن الاستغفار والدعاء والصدقة والحج والعتق تنفع الميت ويصل إليه ثوابه، وقراءة القرآن عند القبر مستحبة». أهـ.

> ومن الآثار في ذلك عن السلف الصالح:

ما أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» عن الإمام الشعبي - رحمه الله - قال: «كانت الأنصار يقرءون عند الميت بسورة البقرة»، وأخرجه الخلال في «القراءة على القبور» بلفظ: «كانت الأنصار إذا مات لهم ميت اختلفوا إلى قبره يقرءون عنده القرآن».

وأخرج الخلال عن إبراهيم النخعي -

رحمه الله - قال: «لا بأس بقراءة القرآن في المقابر».

وأخرج أيضاً عن الحسن بن الصباح الزعفراني قال: سألت الشافعي عن القراءة عند القبور، فقال: «لا بأس بها».

وأخرج أيضاً عن علي بن موسى الحداد قال: كنت مع أحمد بن حنبل، ومحمد بن قدامة الجوهري في جنازة، فلما دفن الميت جلس رجل ضرير يقرأ عند القبر، فقال له أحمد: يا هذا! إن القراءة عند القبر بدعة، فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لأحمد بن حنبل: يا أبا عبدالله! ما تقول في مبشر الحلبي؟ قال: ثقة، قال - يعني أحمد -: كتبت عنه شيئاً؟ قال: نعم، أخبرني مبشر عن عبدالرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن أبيه: أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وخاتمتها، وقال: سمعت ابن عمر - رضي الله عنهما - يوصي بذلك، فقال له أحمد: فارجع وقل للرجل يقرأ.

وأخرج أيضاً عن العباس بن محمد الدوري أنه سأل يحيى بن معين عن القراءة على القبر فحدثه بهذا الحديث.

> وقد نص أصحاب المذاهب المتبوعة على ذلك:

- فجاء في «الفتاوى الهندية» على مذهب السادة الحنفية: «ويستحب إذا دفن الميت أن يجلسوا ساعة عند القبر بعد الفراغ بقدر ما ينحر جزور ويقسم لحمها، يتلون، ويدعون للميت» أهـ، وذكر أن ذلك قول الإمام محمد بن الحسن رحمه الله، وأن مشايخ الحنفية أخذوا به.

- وأما السادة المالكية: فالمعتمد عندهم استحباب ذلك، ففي حاشية الدسوقي على «الشرح الكبير»: «ذهب ابن حبيب إلى الاستحباب وتأول ما في السماع من الكراهة قائلاً: إنما كره ذلك مالك إذا فعل ذلك استناناً، نقله عنه ابن رشد، وقاله أيضاً ابن يونس، واقتصر اللخمي على استحباب القراءة ولم يعول على السماع، وظاهر «الرسالة» أن ابن حبيب يستحب قراءة يس، وظاهر كلام غيرهما أنه استحب القراءة مطلقاً» . اهـ..

وجاء في «النوازل الصغرى» لشيخ الجماعة سيدي المهدي الوزاني المالكي: «وأما القراءة على القبر: فنص ابن رشد في «الأجوبة»، وابن العربي في «أحكام القرآن» له، والقرطبي في «التذكرة» على أنه ينتفع بالقراءة، أعني الميت، سواء قرأ في القبر أو قرأ في البيت» اهـ، ونقله عن كثيرين من أئمة المالكية، كأبي سعيد بن لب، وابن حبيب، وابن الحاجب، واللخمي، وابن عرفة، وابن المواق، وغيرهم.

- أما السادة الشافعية: فقد قال الإمام النووي في «المجموع»: «قال أصحابنا: ويستحب للزائر أن يسلم على المقابر، ويدعو لمن يزوره ولجميع أهل المقبرة، والأفضل أن يكون السلام والدعاء بما ثبت في الحديث، ويستحب أن يقرأ من القرآن ما تيسر ويدعو لهم عقبها، نص عليه الشافعي، واتفق عليه الأصحاب» . اهـ.

وقال في «الأذكار»: «ويستحب أن يقعد عنده بعد الفراغ ساعة قدر ما ينحر جزور ويقسم لحمها، ويشتغل القاعدون بتلاوة القرآن، والدعاء للميت، والوعظ، وحكايات أهل الخير، وأحوال الصالحين. قال الشافعي والأصحاب: يستحب أن يقرءوا عنده شئ من القرآن، وقالوا: فإن ختموا القرآن كله عنده كان حسناً» اهـ.

وقال في رياض الصالحين: «قال الشافعي - رحمه الله: ويستحب أن يقرأ عنده شيء من القرآن، وإن ختموا القرآن عنده كان حسناً» أ. هـ.

ـ وكذلك السادة الحنابلة، صرحوا بجواز ذلك.

قال العلامة المرداوي في «الإنصاف»: «قوله «ولا تكره القراءة على القبر في أصح الروايتين) وهذا المذهب، قاله في «الفروع»، ونص عليه ـ يعني الإمام أحمد ـ. قال الشارح: هذا المشهور عن أحمد، قال الخلال وصاحبه: المذهب رواية واحدة: لا تكره، وعليه أكثر الأصحاب، منهم القاضي، وجزم به في «الوجيز» وغيره، وقدمه في «الفروع»، والمغنى، و«الشرح»، وابن تميم، و«الفائق»، وغيرهم) ، اهـ.

والمتصفح لكتب السير والتراجم والتواريخ يرى عمل السلف على ذلك وتتابع الأمة عليه من غير نكير، بما في ذلك السادة الحنابلة وأصحاب الحديث، ويكفينا في ذلك ما ذكره الحافظ الذهبي في «سير أعلام النبلاء» في ترجمة أبي جعفر الهاشمي الحنبلي (ت ٤٧٠ هـ) شيخ الحنابلة في عصره، قال: «ودفن إلى جانب قبر الإمام أحمد، ولزم الناس قبره مدة حتى قيل: ختم على قبره عشرة آلاف ختمة» اهـ.

حتى إن الشيخ ابن تيمية - رحمة الله تعالى ـ وهو الذي ادعى أن قراءة القرآن على القبر بدعة مخالفاً بذلك ما عليه عمل السلف والخلف ـ قد ذكر أهل السير في ترجمته أن الناس اجتمعوا لختم القرآن له على قبره وفي بيوتهم كما ذكره ابن عبدالهادي الحنبلي وغيره، والتاريخ محنة المذاهب كما يقولون.

الجهر بالبسملة

ثانياً: مسألة الجهر بالبسملة من المسائل المختلف فيها بين العلماء، فالشافعية يرون مشروعية الجهر بها، وغيرهم من العلماء يرون أن الإسرار بها هو الأفضل، وهذا الأمر معدود من هيئات الصلاة التي لا ترقى إلى درجة السنن المؤكدة، فالخلاف فيه قريب والشأن فيه واسع، ومن المقرر شرعاً أنه إنما ينكر ترك المتفق على فعله أو فعل المتفق على تركه، ولا ينكر المختلف فيه، فمن جهر بالبسملة فهو حسن ومن أسر بها فهو حسن، ولا يجوز أن تكون أمثال هذه المسائل الخلافية مثار فتن ونزاع وفرقة بين المسلمين، بل يسعنا فيها ما وسع سلفنا الصالح من أدب الخلاف الذي كانوا يتحلون به في خلافاتهم الفقهية واختياراتهم الاجتهادية.

قنوت صلاة الفجر

ثالثاً: القنوت في صلاة الفجر سنة نبوية ماضية قال بها أكثر السلف الصالح من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من علماء الأمصار، وجاء فيه حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ قنت شهراً يدعو عليهم ثم تركه، وأما في الصبح فلم يزل يقنت حتى فارق الدنيا»، وهو حديث صحيح رواه جماعة من الحفاظ وصححوه ـ كما قال الإمام النووي وغيره ـ وبه أخذ الشافعية والمالكية في المشهور عنهم، فيستحب عندهم القنوت في الفجر مطلقاً، وحملوا ما روي في نسخ القنوات أو النهي عنه على أن المتروك منه هو الدعاء على أقوام بأعيانهم، لا مطلق القنوت.

والفريق الآخر من العلماء يرى أن القنوت في صلاة الفجر إنما يكون في النوازل التي تقع بالمسلمين، فإذا لم تكن هناك نازلة تستدعي القنوت فإنه لا يكون حينئذ مشروعاً، وهذا مذهب الحنفية والحنابلة.

فإذا ألمت بالمسلمين نازلة فلا خلاف في مشروعية القنوت في الفجر، وإنما الخلاف في غير الفجر من الصلوات المكتوبة، فمن العلماء من رأى الاقتصار في القنوت على صلاة الفجر، كالمالكية، ومنهم من عدى ذلك إلى بقية الصلوات الجهرية وهم الحنفية، والصحيح عند الشافعية تعميم القنوت حينئذ في جميع الصلوات المكتوبة، ومثلوا النازلة بوباء أو قحط أو مطر يضر بالعمران أو الزرع أو خوف عدو أو أسر عالم.

فالحاصل أن العلماء إنما اختلفوا في مشروعية القنوت في صلاة الفجر في غير النوازل، أما في النوازل فقد اتفق العلماء على مشروعية القنوت واستحبابه في صلاة الفجر واختلفوا في غيرها من الصلوات المكتوبة.

وعليه فإن الاستمرار في قنوت صلاة الفجر مشروع، بالنظر إلى ما تعيشه الأمة الإسلامية من النوازل والنكبات والأوبئة وتداعي الأمم عليها من كل جانب وما يستوجبه ذلك من كثرة الدعاء والتضرع إلى الله - تعالى - عسى الله أن يرفع أيدي الأمم عنا ويرد علينا أرضنا وأن يقر عين نبيه المصطفى ﷺ بنصر أمته ورد مقدساتها، إنه قريب مجيب.

هذا إذا أخذنا في الاعتبار تواصل النوازل وعدم محدوديتها، وأما من قال بمحدودية النازلة ووقتها بما لا يزيد عن شهر أو أربعين يوماً، فالأمر مبني على أن من قنت فقد قلد مذهب أحد الأئمة المجتهدين المتبوعين الذين أمرنا باتباعهم في قوله تعالى:

﴿ فَسْأَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(النحل: ٤٣)

ومن كان مقلداً لمذهب إمام آخر يرى صوابه في هذه المسألة فلا يحق له الإنكار على من يقنت، لأنه لا ينكر المختلف فيه، ولأنه لا ينقض الاجتهاد بالاجتهاد.

والله سبحانه وتعالى أعلم

مؤتمر دولى بإندونيسيا يناقش:

دور الشريعة الإسلامية فى مواجهة قضايا ومستجدات العصر

متابعة الأستاذ/ عاطف مصطفى

التجديد فى الفكر الإسلامى لا يتوقف، فالعلماء والمفكرون والباحثون فى شتى البلاد الإسلامية، دائما ينشغلون فى شتى البلاد الإسلامية ببحث القضايا الفقهية التى يحتاجها المسلمون من هذا التجديد مع تطور الحياة، ولكى يصلوا إلى أفضل الحلول على ضوء شريعتنا الاسلامية السمحة.

فى هذا الاطار شهدت الجامعة الاسلامية الحكومية شريف هداية الله بجاكرتا بإندونيسيا فى الفترة من ١-٣ محرم ١٤٣١هـ الموافق ١٨-٢٠ ديسمبر ٢٠٠٩ المؤتمر الدولى للشريعة الاسلامية بالاشتراك مع رابطة الجامعات الإسلامية وقد حضر هذا المؤتمر صفوة من علماء المسلمين من عدة دول فى مقدمتها جمهورية مصر العربية، وماليزيا، وبنجلاديش، والأردن، والهند، وإيران، وباكستان، فضلا عن بعض مسلمى الغرب من اليابان وهولندا.

كان من أبرز ما يهدف إليه هذا المؤتمر الهام من خلال البحث العلمى إعادة النظر فى التحديات التى تواجه الشريعة الإسلامية فى وقتنا الراهن، والبحث عن الإطار التحولى للأحكام الشرعية والاقتصاد الاسلامى مع القانون الدولى المعاصر، والإسهام فى إيجاد الاقتراحات للدول الاسلامية فى توحيد الشريعة الاسلامية مع القوانين الدولية فى تلك الدول.

كما يهدف إلى الاسهام فى تنمية روح الحوار بين المهتمين بالقوانين والحضارات والحياة الاجتماعية للشعوب حتى يعم التسامح والتراحم ولتحقيق رفاهية الشعوب كافة.

الإسلام صالح فى كل زمان ومكان

وخلال الجلسة الافتتاحية التى حضرها وزير الشئون الدينية والعدل والحقوق الإنسانية بإندونيسيا وكذلك رئيس الجامعة الإسلامية الحكومية والعلماء والباحثون المشاركون فى المؤتمر.

وفى كلمته قال الدكتور محمد أمين سوما عميد كلية الشريعة والقانون ورئيس المؤتمر: نظراً للرؤية المستقبلية لجامعة شريف هداية الله مع الأهداف التى تنمو إليها الكلية وهى التوحيد بين العلوم الشرعية والعلوم الاقتصادية الإسلامية مع القوانين الوضعية، تبذل الكلية رغبتها لتحقيق تلك الأمنية، لما فى العلوم الشرعية من المعانى والغايات التى تتصف بالثبوت والمرونة.

وأضاف بأن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة مع القواعد الأصولية والفقهية قد أشارت إلى ذلك حيث يقول تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

«الأنبياء ١٠٧»

وكما يقول رسول الله ﷺ: «الاسلام يعلو ولا يعلى عليه، أى أن تعاليم الإسلام تتفوق على تعاليم سائر الأديان.

ومن القواعد الدالة على هذه الشهادة هى قولهم «الإسلام صالح فى كل زمان ومكان» أى ليس للإسلام حد فى صلاحيته وقتا ومكانا.

وكذلك قولهم: (المحافظة على القديم الصالح والأخذ بالجديد الأصلح) أى أن الأخذ بالأصلح مقدم على المحافظة بالقديم الصالح بدون أى شرط آخر فى الأخذ عن أحدهما وأن اختلاف القبائل والجنسية أو الدولة بل الاختلاف فى الدين، ليست من الأمور المانعة للعلماء والخبراء فى التوحيد للقوانين الوضعية، والاقتصاد الإسلامى مع القوانين الوضعية والاقتصاد الوضعى، وكذلك الصبغة بين القوانين الوضعية والاقتصاد الوضعى إلى القوانين الوضعية والاقتصاد الإسلامى.

ويشير الدكتور سوما أن معنى الصبغة هنا البحث العلمى حسب القوانين والنظم المعهودة للمتخصصين، استجابة لاحتياجات الأمة، وإجابة عن التحديات المتراكمة، وهذه كلها أيضا هى التحديات التى يجب على كل من الفقهاء والشراح ومن ينتمى إليهم من خريجى كلية الشريعة والقانون فى التنمية والترقية عن العلوم الشرعية مع العمل بها.

الإجماع والقياس

وعاد الدكتور سوما فى كلمته فى افتتاح المؤتمر ليؤكد أن الغرض من انعقاده معرفة المعانى والقيم الإسلامية من مصادرها الرئيسية وهى القرآن والسنة النبوية الشريفة، مع المصادر الأساسية التى تنتج من الاجتهاد، وهى الإجماع والقياس، ثم المصادر الإضافية مثل المصلحة والاستحسان وغير ذلك من الأدلة الأخرى، فضلاً عن كيفية تطبيق الشريعة الإسلامية فى الدول الإسلامية المنتشرة فى العالم أجمع.

وعاد د. محمد أمين سوما مرة أخرى ليقول: إننا فى هذا المؤتمر -بتعبير آخر- سوف نبحث عن علاقة الشريعة الإسلامية من حيث النظرية سواء فى المستوى الجامعى أو الدولى مع تطبيقاتها فى واقع الحياة المعاصرة، وسوف نرى من خلال البحوث مدى استعداد العلماء والخبراء والمتخصصين فى علومهم فى إجابة حاجات الأمة الإسلامية لمعرفة تعاليم دينهم وشريعتهم لحل المشاكل الاجتماعية المتراكمة بشكل سريع وجاد.

وبين د. سوما أن احتياج الأمة الإسلامية للشريعة الإسلامية وما يتعلق بها فى هذا العصر، أصبح من الضرورات الملحة، خاصة أنه لا توجد أى هيئة «علمية» أو مجمع للبحوث خال من دور الشريعة الإسلامية وروحها، وأنه

ليس هناك أى عمل ونشاط لهذه الأمة خارجاً عن إطار علوم الشريعة، سواء فى مجال الأسرة، أو الأمور الصحية والتجميلية أو الأمور التجارية، أو بيع الأعضاء واللقاح وما إلى ذلك، وهذه القضايا كلها لا تنفك عن القيم والمبادئ المنبثقة عن علوم الشريعة، بل حتى فى الحياة الدولية سواء ما يتعلق بالقوانين والنظم لانتخاب رئيس الدولة وغير ذلك من القضايا الدولية.

وبتعبير أدق- على حد قوله- فإن الشريعة الإسلامية دائماً لها ارتباط فى كل ما يخص الإنسان منذ أن خلقه الله- سبحانه- وتعالى- وهو جنين فى رحم أمه إلى نهاية عمره، ومن هنا ترى أهمية علوم الشريعة، وما يتعلق بها مع مسئولية العلماء فى كل مجالات الحياة.

الطابع الدينى للنظام القانونى الإسلامى

تناول واحداً من البحوث المهمة التى قدمت فى هذا المؤتمر للدكتور جعفر عبد السلام أستاذ القانون الدولى بجامعة الأزهر.. عنوان البحث «خصائص النظام القانونى الإسلامى المعاصر».. يقول: هدفنا هو طرح المشكلات الرئيسية التى يثيرها تطبيق أحكام الشريعة فى عصرنا الحاضر، لأن هذا التطبيق هو أمل المسلمين جميعاً وفى كل مكان.

إن مسيرة الفقه الإسلامى توضح إلى أى مدى كان هذا الفقه ناضجاً ومتطوراً ويحيط بحياة الناس وأنشطتهم، ويقدم الحلول الواقعية مستنداً الى القرآن والسنة، ومستخدماً العقل وأدوات علمية ترتكز على الفهم الواعى والمنطق السليم.

يضيف الدكتور جعفر: «معلوم أن القانون الإسلامى هو قانون ذو طابع دينى، ويعنى هذا أن الفقيه وولى الأمر، وكل من له دور فى ظل النظام القانونى الإسلامى، إنما يسعى إلى إيجاد حكم الله -سبحانه وتعالى- فى المشاكل والمسائل التى تعرض للناس فى حياتهم، وهو يسعى الى بيان هذا الحكم من القرآن الكريم أولاً، فإذا لم يجد فمن السنة، فإن لم يجد فعليه أن يجتهد برأيه، مستندا الى هذين المصدرين الرئيسيين للشريعة.

وبالرغم من أن الفقه الإسلامى هو صناعة بشرية، لأن الإنسان هو الذى يقوم بتفسير نصوص الوحى الإلهى، ويعتمد أساساً على مصدرى الشريعة الرئيسيين «الكتاب والسنة» ومن هنا جاء الطابع الدينى للنظام القانونى الإسلامى.

ويبين د. جعفر عبد السلام أنه مع ذلك فإن الفقيه يجتهد وفقاً لمعايير علم أصول الفقه القانونى، لذا تعددت آراء الفقهاء فى المسألة الواحدة، على خلاف الاجتهاد القانونى الذى يقوم بعملية عقلية صرفة، بينما كل فقيه يستند إلى حجة ويستند الى مصادر الشريعة وأدلتها.

والفقه الإسلامى هو العلم المتعلق باستنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية، فهو علم يعتمد على التفسير والاجتهاد المنظم.

إن احترام الشريعة وتطبيقها السليم هو الغاية والفقه هو الوسيلة، ويميز الفقهاء بين نوعين من أنواع الأحكام الشرعية:

> الأول: هى الأحكام الثابتة بأدلة مباشرة من الكتاب والسنة ذات الدلالة الصريحة على الأحكام، وتشمل أحكاما كلية تعتبر أساس الشريعة، وهى وإن كانت محصورة عدداً، غير أنها لا تتناول التفاصيل.

> النوع الثانى: يتمثل فى الأحكام التى لا توجد لها نصوص مباشرة فى الكتاب أو السنة وإنما عملت فيها عقول الفقهاء استنباطاً واجتهاداً من أدلة غير مباشرة فى الكتاب والسنة، أو عن طريق القياس أو الاستصحاب أو رعاية للعرف والمصالح المرسلة بأنواعها.. إلخ وهذا المجال هو مجال عمل الفقه.

يواصل الدكتور جعفر عبدالسلام بحثه المستفيض حيث يشير إلى أن رحلة الإنسان مع التشريعات التى تصلح لحياته وتستقيم أموره بها رحلة طويلة، بدأت مع بداية خلقه، وسوف تستمر إلى نهايته فلا مجتمع بلا قانون يحكمه ولا لزوم للقانون إن لم يكن هناك مجتمع على أن الإنسان برغم تزايد إدراكه ووصوله إلى مراحل كبيرة من العلوم والتقدم لا نراه قد وصل إلى الطريق الصحيح فى مجال التشريع ولا تلبث خطواته أن تتقدم فى هذا الاتجاه، حتى تعود القهقرى إلى حالة من التأخر والإخفاق.

ونقول ذلك بسبب التردى الشديد فى تشريعات بعض الدول عن بلوغ الأسس الأخلاقية التى ينبغى أن تقام عليها صروح المجتمعات، فتحت تأثير دعاوى الحرية نجد أن العقال قد أطلق لشهوات البشر لتتحدى النظام والأخلاق، ولتهوى بالإنسان إلى هوة سحيقة من الرذيلة وسوء الأخلاق.

التردى المخيف!

وهل نقول إن حرية المرأة الكاملة فى بعض المجتمعات الإسلامية نموذج لذلك؟.. هل نقول إن التردى فى هذا المجال قد وصل إلى حل مخيف ينذر بالخطر للمجتمعات الغربية بشكل عام؟

يضيف: هل نذكر أيضا الشذوذ الجنسى وكيف استطاعت أغلبية فى دولة عريقة مثل بريطانيا أن تقرر إباحته رغم المرض الخطير الذى بات يهدد الناس فى كل مكان من جراء إباحة مثل هذه العلاقات.

كذلك تستطيع المجالس النيابية فى مختلف الدول أن تضع أى تشريع أو تجرى أى تعديل على تشريع قائم، والقياس فى ذلك ما تراه هى محققا للصالح العام دون قيود.

ولا يمكن أن نقول إن ما تأتى به هذه المجالس يحقق الصالح العام دائما لذا فإن الإعجاز القرآنى يبدو واضحا من هذه الزاوية.

دراسة على ضوء متطلبات العصر

وأوضح أنه من الضرورى أن تواجه تحدى دراسة الشريعة والفقه الإسلامى، ويجب أن نساعد على تكوين ملكات الاجتهاد والاستنباط لدى القضاة والمطبقين للقانون العام، ولعل من أهم الخطوات الواجبة الاتباع كذلك أن تقوم المجالس التشريعية بعرض التشريعات على الهيئات الفقهية فيها لاستطلاع رأيها بشأنها وعدم إقرار أى قانون إذا كان به ما يخالف الشريعة.

طرائف.. ومواقف

للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

جرأة الزاهدين

حج أمير المؤمنين سليمان بن عبدالملك فلما قدم المدينة بعث إلى أبي حازم الأعرج وعنده ابن شهاب. فلما دخل أبوحازم قال: فيم أتكلم يا أمير المؤمنين؟ قال: في المخرج من هذا الأمر. قال أبوحازم: يسير إن أنت فعلته. قال الخليفة: وماذاك؟ قال: لا تأخذ الأشياء إلا من حلها، ولا تضعها إلا في أهلها. قال سليمان: ومن يقوى على ذلك؟ قال أبوحازم: من قلده الله أمر الرعية ما قلدك.

إلى أن قال له الخليفة: مالك لا تأتينا؟

قال أبوحازم: وما أصنع بإتيانك يا أمير المؤمنين؟ إن أدنيتني فتنتني، وإن أقصيتني أخزيتني، وليس عندك ما أرجوك له، ولا عندي ما أخافك عليه، قال: فارفع حاجتك. قال: قد رفعتها إلى من هو أقدر منك عليها فما أعطاني منها قبلت، وما منعني منها رضيت.

وضع الشيء في غير موضعه

من الناس من يضع الشيء في غير موضعه فلا يكون موفقا في عمله. وقد أكثر الناس باستهجان هذا الأمر، وضربوا له الأمثال؛ فمن أمثالهم فيه: فلان كمستبضع التمر إلى هجر. يريدون أن هجرا معدن التمر فمن وضع الشيء في غير موضعه حمل التمر إليه من بلد آخر.

ومن أمثالهم فيه أيضا: فلانة كمعلمة أمها الرضاع. ومنه قول ابن هرمة الشاعر:

كتاركة بيضها بالعراء ..
وملحفة بيض أخرى جناحا

شبهه بالنعامة تترك بيضها بالعراء وتغطي بيض غيرها بجناحيها.

الراحة بالتعب

قال حكيم: لا تنال الراحة إلا بالتعب، ولا تدرك الدعة إلا بالنصب.

وقال أبوتمام الطائي:

بصرت بالراحة العليا فلم ترها
تنال إلا على جسر من التعب

وقال أيضا:

على أنني لم أحو وفرا مجمعا
ففزت به إلا بشمل مبدد
ولم تعطني الأيام يوما مسكنا
ألذ به إلا بيوم مشرد

وقال الخليل بن أحمد:

لا تصل إلى ما تحتاج إليه، إلا بالوقوف على ما لا تحتاج إليه. فقال له أبوشمس المتكلم: فقد احتجت إذن إلى ما لا تحتاج إليه، إذ كنت لا تصل إلى ما تحتاج إليه إلا به.

فقال له الخليل:

ويحك! وهل يقطع، أو يجري الجواد إلا بالركض؟

(الركض هو ضرب الفرس بالرجل استحثاثا له ثم كثر فأطلق على الجري نفسه)

أو هل تنال نهاية أو تدرك غاية إلا بالسعي إليها، والإيضاع نحوها؟

هذا وقد يكون الإكداء مع الكد، والخيبة مع الخيبة، وقد أخذ هذا المعنى شاعر فقال:

ومازلت أقطع عرض البلاد
من المشرقين إلى المغربين
وأدرع الخوف تحت الرجاء
واستصحب الجدي والفرقدين

كرم حاتم

اشتهر حاتم الطائي بالكرم، وذاع صيته إلى اليوم؛ وسيخلد ما بقي الشعر والنثر.

مما خلد ذكر حاتم أنه كان يأمر غلامه أن يوقد بالليل نارا ليهتدي بها الضال عن الطريق فيصعد نحوه. وقال في ذلك:

أوقد فإن الليل ليل قر
والريح يا واقد ريح صر
عل يرى نارك من يمر
إن جلبت ضيفا فأنت حر

قالوا: ومر يوما على بني عنزة وفيهم أسير فاستغاث بحاتم، ولم يكن معه ما يفكه به، فأطلقه وأقام مكانه مقيدا حتى أدى أهله فداءه.

وروت نوار امرأته أنه مرت على الناس سنة حلقت المال وأيقن الناس بالهلاك، وفي ذات ليلة أقبلت جارة له وشكت إليه جوع أولادها. فقال لها حاتم: ائتني بهم. فذهبت وعادت تحمل اثنين ويمشي بجوارها أربعة. ودخل حاتم إلى حصانه فذبحه، وكان لا يملك غيره في تلك السنة القحطة، ثم سلخه، ودفع المدية لجارته، وقال لها شأنك. قالت نوار: فاجتمعنا على اللحم نشوي ونأكل، وخرج حاتم يدعو الناس فأقبلوا، وانتبذ هو ناحية، فلا والله ما ذاق منه مزعة، وإنه لأحوج إلى الغذاء منا!

بلاغة النساء

وفدت سودة بنت عمارة بن الأشتر، على معاوية فاستأذنت عليه، فأذن لها، فلما دخلت قال لها: أنت القائلة لأخيك؟

شمر كفعل أبيك يا ابن عمارة
يوم الطعان وملتقى الأقران

وانصـر عليـا والحسـين ورهطه
واقصـد لهند وابنهـا بهـوان

قالت: يا أمير المؤمنين مات الرأس، وبتر الذنب، فدع عنك تذكار ما قد نسي. قال: هيهات ليس لمثل مقام أخيك نسي. قالت: صدقت والله يا أمير المؤمنين، ما كان أخي خفي المقام، ذليل المكان، ولكن كما قالت الخنساء:

وإن صـخـراً لتـأتم الهـداة بـه
كـأنه علم في رأسـه نـار

وبالله أسأل يا أمير المؤمنين إعفائي مما استعفيته.

قال معاوية: قد فعلت فقولي حاجتك.

غنى النفس

› قال النبي ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس»[1].

› وقال محمود الوراق:

من كـان ذا مـال كـثـير ولم
يقنع فـذاك الموسـر المعسـر
وكل من كـان قنوعـا وإن
كـان مـقـلا فـهـو المكثـر
الفـقـر في النفس وفـيهـا الغنى
وفي غنى النفس الغنى الأكبر

الوعد قبل العطاء

قال أبومسلم الخولاني: إن أوقع المعروف في القلوب، وأبرده على الأكباد، معروف منتظر بوعد، لا يكدره المطل.

وكان يحيى بن خالد بن برمك لا يقضي حاجة إلا بوعد ويقول: من لم يبت على سرور الوعد، لم يجد للصنيعة طعما.

وقالوا: الخلف ألأم من البخل، لأنه من لم يفعل المعروف لزمه ذم اللؤم وحده، ومن وعد وأخلف لزمه ثلاث مذمات: ذم اللؤم، وذم الخلف، وذم الكذب.

وقال شاعر:

لا تـقـولن إذا مـا لم ترد
أن تتم الوعـد في شيء: نعم

حقـا

إذا لم تـسـتطع شـيـئـا فـدعـه
وجـاوزه إلى مـا تـسـتـطيع

دعـاء

اللهم انقلنا والمسلمين من الشقاوة إلى السعادة. ومن النار إلى الجنة، ومن العذاب إلى الرحمة. ومن الذنوب إلى المغفرة، ومن الإساءة إلى الإحسان، ومن الخوف إلى الأمان.

❊❊❊

(1) البخاري.

بين الصحف و المجلات

إعداد

أ/ محمد جمعة

أ/ علا عبدالرحمن

اعتراف أوباما !!

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/مسعود الحناوى مقاله المنشور بجريدة الأهرام بتاريخ: ٢٠١٠/١/٢٧م يقول فيه:

أثار اعتراف الرئيس الأمريكي باراك أوباما «الصادم» بعجزه عن حل مشكلة الشرق الأوسط الكثير من الشكوك والتساؤلات والإحباطات في الأوساط السياسية والإعلامية.

فبعد تسلمه جائزة نوبل للسلام علي وعوده الوهمية للقضية الفلسطينية.. اعترف أوباما بجرأة وصراحة - يحسد عليهما - إنه بالغ في تقدير قدرته على إقناع الإسرائيليين والفلسطينيين بمواصلة عملية السلام وأنه هون من تقدير صعوبة حل الصراع في المنطقة!!

والمثير أن اعترافات أوباما جاءت بينما مبعوثه الخاص للسلام في الشرق الأوسط يقوم بجولة - ربما هي العاشرة - في المنطقة دون أية نتائج تذكر كما جاءت مصحوبة بتأكيد أن هذا الفشل «لن يثنيه عن مواصلة جهوده لتحقيق الهدف الأسمى الذي يسعى إليه نحو إقامة الدولتين». ولكننا بدورنا نجزم أن تلك الجهود - التي يعتزم مواصلتها - لن تفلح إذا أرتضى الخضوع لمراوغات إسرائيل وضغوط اللوبي الصهيوني.. وطالما أن إدارته تسارع إلى طمأنة تل أبيب واسترضائها عن أي تصريح أو تلميح يشير إلى الضغط عليها ومعاقبة الطرف الذي يعطل عملية السلام.

اليمن في خطر

تحت هذا العنوان جاءت افتتاحية الأهرام العربي الصادرة بتاريخ: ٢٠١٠/١/٢٣م تتضمن ما يلي:

يواجه اليمن مخاطر مختلفة، داخلية قادمة من الجنوب، حيث يطالب قادة اليمن الجنوبي السابق الموجودون في المنافي وفي الداخل، بالعودة بالأمور إلى ما قبل الوحدة عام ١٩٩٠ ويذهبون بعيدا في مطالبهم، ففي البداية انحصرت المطالب في

ضرورة الاهتمام بالجنوب، وعدم تهميش السكان الذين كانوا يعيشون في مستوى أرقى، أما الآن فأصبحت المطالب واضحة بالانفصال وإقامة دولة جنوبية مستقلة. والجنوب اليمني ليس وحده في هذه المطالب، بل إن شرق اليمن انضم إلى الجنوب، وأصبح يطالب بالانفصال عن اليمن الشمالي، والشمال نفسه يواجه معركة مشبوهة مع الحوثيين.

يبقى الأخطر في اليمن هو تصاعد تنظيم القاعدة والإعلان عن نفسه، في وقت تواجه قوات الغرب بقيادة أمريكا في أفغانستان شبح الهزيمة الثامنة، مما يعني عودة الاهتمام باليمن كما بدأ مع أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م التي جعلت الإدارة الجمهورية في أمريكا تقرر الهجوم على اليمن قبل أفغانستان لولا التدخل السريع من اليمن في الاشتراك مع أمريكا في حربها على ما يسمى الإرهاب الدولي. وبرغم ذلك عادت إدارة أمريكا الديمقراطية الحالية إلى الاهتمام باليمن كمختبر لهذه الحرب، فهل تنتبه الدول العربية، خصوصا الكبرى منها لخطورة ما يجري في صنعاء؟ وهل تدرك هذه الدول معنى انعقاد مؤتمر دولي في لندن لمناقشة أوضاع اليمن؟ وقد تتمخض عنه قرارات تدعو إلى الهجوم على هذا البلد العربي المهم بذريعة الحرب على الإرهاب!!

وماذا.. عما يجرى للمسلمين في الصين؟!

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/محمد فوده بجريدة المساء الصادرة في ٢٩/١/٢٠١٠م يقول:

بعد وقوع حادث نجع حمادى تعرضت مصر لحملة عالمية شرسة تمحورت حول اضطهاد المسيحيين من جانب المسلمين رغم أنه حادث اتفق الجميع على أنه فردى وأن القائم به مجرم محترف وليس له أية ميول دينية.

اجتمع البرلمان الأوروبي وناقش الحادث وألقيت فيه كلمات متشددة، بل وجرت اتهامات صريحة ضد مصر وحاولوا اتخاذ قرارات إدانة.. وكانت القيادات الكنسية في أوروبا والمتشددون وراء هذه الحملة.

حادث فردى في مصر يجتمع له البرلمان الأوروبي.. دليل على النية المبيتة لتشويه سمعة مصر.. ثم خطا العالم خطوة أخرى بإرسال أمريكا وفدا إلى مصر تحت مسمى «لجنة الحريات الدينية الأمريكية» التي زارت عدة أماكن والتقت رجال الدين المسلمين والمسيحيين وسياسيين وحزبيين.. وسمحت لها مصر بحرية التنقل بهدف الوقوف على الحقائق كاملة. لكن وزارة الخارجية قررت إلغاء زيارة هذه اللجنة إلى الصعيد لأن الفاتيكان كان وراء دفع الأحزاب السياسية في البرلمان الأوروبي لإثارة الحادث رغم اقتناع الغالبية العظمى من الأعضاء بالطبيعة الجنائية وثبوت التعامل الإيجابي والسريع للحكومة المصرية معه.

إذن كانت العملية مدبرة لإثارة الحادث على المستوى العالمي لإحراج مصر واتهامها بوجود فتنة طائفية لينعكس ذلك على التعامل الأوروبي والأمريكي معها في كل المجالات.

الغريب أنه واكب هذه الأحداث قيام الصين بإعدام أربعة مسلمين من منطقة تشنج يانج بزعم تورطهم في أعمال شغب خلال شهر يوليو

الماضي.. ووصل العدد الذي حكم عليه بالإعدام بهذه الحجة الهزيلة إلى ٢٦ شخصا صينيا مسلما.

كانت الأحداث في المنطقة قد أسفرت عن مصرع ٢٠٠ مسلم وإصابة ١٦٠٠ آخرين!!

هل شعر العالم بهذه الكارثة ضد المسلمين؟! هل تحرك أحد؟ هل اجتمع البرلمان الأوروبي لمناقشة ما يتعرض له المسلمون في الصين؟! هل أوفدت أمريكا لجنة الحريات الدينية إلى الصين للتحقيق في ملابسات الحادث؟!

طبعا لم يحدث أي من هذه التحركات.. لماذا؟! لأن الضحايا مسلمون.. وما أرخص دم المسلم مقارنة بأية ديانة أخرى؟!

ثم يتحدثون عن الفتنة الطائفية في مصر!!

الإرهاب اليهودي في إسرائيل

تحت هذا العنوان جاءت كلمة الأستاذ/ عاصم عبدالخالق المنشورة في جريدة الأهرام بعددها الصادر بتاريخ ١٨/١/٢٠١٠م يقول:-

فيما وصفته جامعة «كولومبيا» الأمريكية بالعمل الأكثر من ممتاز، لإلقاء الضوء على واقع غير معروف وغير مفهوم بدرجة كافية واعتبره نقاد آخرون عملا فريدا يقتحم منطقة ظلت محرمة حتى الآن، أصدر كاتبان إسرائيليان كتابا بعنوان: «الإرهاب اليهودي في إسرائيل» ونشرته جامعة «كولومبيا» الأمريكية العريقة والكاتبان هما آمي بن هزور، وآري بيرليجر، وهما أكاديميان متخصصان في قضايا الإرهاب والأمن القومي ولهما عدد من الكتب في هذا المجال.

ووفقا لما كتبه النقاد عن الكتاب فإن أهميته لا ترجع فقط إلى موضوعه الشائك والمسكوت عنه ولا لكون المؤلفين يهوديين إسرائيليين فقط ولكن لأنهما استطاعا بعد عشر سنوات كاملة من البحث والدراسة الوصول للمرة الأولى إلى آلاف الوثائق الحكومية الإسرائيلية حول الإرهاب اليهودي على نحو لم يحدث من قبل وهو ما تعكسه التفاصيل الكثيرة التي يحفل بها الكتاب.

كما جمع الكاتبان خلال هذه الفترة بيانات مهمة من خلال ٢٥ مقابلة مع إرهابيين سابقين وسياسيين وزعماء دينيين ومسئولي أمن، وأجريا ٧ استطلاعات شملت أكثر من ٤٨٠٠ شخص في المجتمعات التي احتضنت الإرهابيين، ويقدم الكتاب وجهة نظر مهمة وجديدة حول العلاقة بين الإرهاب والدين، حيث يرى المؤلفان أن الإرهاب من هذه الزاوية ليس حكرا على المتطرفين الإسلاميين فقط ويرصدان تماثلا وتوازيا في الحركة بين الخلايا الإرهابية اليهودية ونظيرتها الإسلامية.

والجديد الذي يضيفانه هنا هو أن مجرد العقيدة في حد ذاتها ليس كافيا لخلق نية العنف، وأن الجماعات الإرهابية الدينية تشكل أقل من ١٥٪ من كل الجماعات الإرهابية التي نشطت في القرن العشرين.

ففي صفحات الكتاب الذي تجاهلته تقريبا كل المنظمات اليهودية الأمريكية حدد المؤلفان تعريفا للإرهاب يتكون من ٤ نقاط: أولا استخدام العنف. وثانيا وجود دافع سياسي

يحفز عليه. ثم وجود نية لنشر الخوف لدى الضحايا ومجتمعهم. وأخيراً أن يكون الضحايا من المدنيين.

ويشتمل الكتاب على ٣ قواعد بيانات تشمل هجمات إرهابية يهودية في فلسطين وإسرائيل منذ ١٩٣٢ وحتى ٢٠٠٨ سواء ضد الفلسطينيين أو غيرهم وكذلك بيانات مهمة من ٢٢٤ شخصاً تورطوا في هذه الهجمات، وأخيراً وصف كامل وشرح تفصيلي للروابط بين الشبكات الإرهابية اليهودية المختلفة.

كما يقدم الكتاب أيضاً رصداً تاريخياً وافياً لأهم العمليات الإرهابية اليهودية حيث يتوغل تاريخياً إلى زمن أسرة «هاسمونيان» اليهودية التي شن أفرادها من المتطرفين هجمات ضد الحكام الرومان في فلسطين القديمة وهي أول أعمال إرهابية مسجلة في تاريخ البشرية، والكتاب يقدم بالتالي وثيقة إدانة للإرهابيين اليهود إلا أنه لا يفعل ذلك في صورة محاكمة ولكن عبر تحليل أكاديمي وإن كان بصورة تجعله جذاباً للقارىء العادي.

وأين ثمن ضحايا غزة؟!

تحت هذا العنوان كتب محرر «الجمهورية تقول» كلمته المنشورة بتاريخ ٢٠١٠/١/٢٤م يقول فيه:

قبضت منظمة الأمم المتحدة، الممثلة الشرعية للمجتمع الدولي، عشرة ملايين ونصف المليون دولار من إسرائيل ثمناً للمؤسسات والمراكز الدولية التي دمرها مجرمو الحرب في قطاع غزة منذ عام مضى، في تسوية «ودية» بين الجانبين أصر فيها الجانب الإسرائيلي على عدم تحمله المسئولية القانونية عن هذا التدمير الذي شاهدناه، وأقطع منه، على شاشات الفضائيات التي نقلته مباشرة إلى مختلف أنحاء العالم.

تجاهلت التسوية «الودية» دماء الآلاف من أبناء الشعب الفلسطيني القتلى والمصابين وكذلك المنازل والمدارس والمساجد والمستشفيات والمؤسسات التي يتحمل مجرمو الحرب في إسرائيل مسئولية الإعداد والتخطيط والتنفيذ لارتكابها دون رادع من المجتمع الدولي أو منظماته الشرعية المشلولة بفعل الانحياز الأمريكي لإسرائيل.

إن تقرير لجنة التحقيق الدولية في محرقة غزة يحتوى على ما هو أكثر عن تعويض عدة ملايين من الدولارات عن مؤسسات الأمم المتحدة، إذ يطالب التقرير مرتكبي جرائم الحرب بدفع الثمن عن دماء آلاف الأبرياء العزل من النساء والأطفال الذين راحوا ضحية عدوان بربري وحشي بينما العالم يتفرج، ومازال بعد عام كامل يتفرج!

يعالجون الحرام.. بحرام!! البنوك الأوروبية رحبت بأموال المخدرات للخروج من أزمتها الكبرى!!

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ / بسيوني الحلواني في جريدة عقيدتي الصادرة في ٢٠١٠/١/١٩م يقول:

كشفت معلومات استخباراتية غربية عن أن عصابات الاتجار في المخدرات استغلت نقص السيولة في البنوك الأوروبية والأمريكية بسبب الأزمة المالية العالمية ونجحت في غسل أرباح تزيد على ٣٥٢ مليار دولار لدى العديد من البنوك التي تواجه شبح الإفلاس وأكدت أن كبار المسئولين في هذه البنوك الأمريكية والأوروبية يعلمون جيداً مصدر هذه الأموال ورحبوا بها للخروج من أزمتهم والتغطية على فشلهم في تدبير موارد من مصادر مشروعة.

هذه القضية فجرها منذ أيام مستشار الأمم المتحدة لشئون محاربة المخدرات «أنطونيو ماريا كوستا» في تصريحات لصحيفة «الجارديان» البريطانية ليؤكد أن النظام المالي العالمي يسهم بدور فاعل في انتشار الجريمة المنظمة ويدعم بشكل مباشر تجارة المخدرات والسلاح وغيرها من الأنشطة التجارية المحرمة دولياً.

هذه المعلومات الخطيرة التي أعلنها مسئول دولي كبير تؤكد أن النظام الاقتصادي العالمي ينتقل من فساد إلى فساد، وأن البنوك والمؤسسات الاقتصادية والمالية العربية والإسلامية مطالبة الآن أكثر من أي وقت مضى بتجنب الانخراط في هذا النظام والبحث عن أوجه ومجالات للاستقلال والبعد عن البنوك والمؤسسات المالية الغربية التي جلبت للعالم كله الدمار والخراب من خلال تبني نظم اقتصادية وسياسات مالية تقوم على الربا الفاحش ولا تستند إلى أسس ومقومات اقتصادية سليمة.

في ظل استمرار هذا الفساد والانحراف المالي الغربي لابد أن تتعالى اصوات كل خبراء الاقتصاد في بلادنا العربية والإسلامية لإعطاء البنوك الإسلامية حقها بعد الحملات الظالمة التي تعرضت لها على أيدي سماسرة الربا والمعاملات المحرمة داخل العالم الإسلامي وخارجه.

لقد أشاد خبراء الاقتصاد في العالم خلال الشهور الماضية بالبنوك الإسلامية وأسس الاستثمار الآمنة التي تعتمد عليها والتي أنقذتها من الأزمة الاقتصادية العالمية.. ويبقى أن يقول خبراء اقتصادنا كلمة حق في البنوك الإسلامية التي تنامت وانتشرت وارتفعت اصولها في العالم العربي والإسلامي وحظيت بثقة المستثمر المسلم وغير المسلم في أوروبا وأمريكا ومعظم الدول غير الإسلامية.

نتمنى أن تحظى البنوك الإسلامية بدعم ومساندة أكبر من المسئولين الاقتصاديين في بلادنا العربية والإسلامية خاصة بعد اعترافهم بأن هذه البنوك والمؤسسات المالية الإسلامية جزء مهم من النظام المصرفي والمالي في بلادهم لا يمكن تجاهله أو الاستغناء عنه. لقد أكدت البنوك الإسلامية مصداقيتها وقدرتها على توفير فرص استثمار آمنة لكبار وصغار المودعين بعيداً عن المضاربات المحرمة والمغامرات التي تقوم بها البنوك الأخرى وخاصة الربوية الغربية التي جلبت لنفسها ومعها بنوك العالم التي تسير في فلكها خسائر فادحة تجاوزت التريليون دولار بسبب المعاملات المحرمة، والأصول معدومة القيمة، والقروض السيئة في الفترة من يناير ٢٠٠٧ إلى سبتمبر ٢٠٠٩ كما أفلس أكثر من ٢٠٠ بنك ومؤسسة مالية بسبب هذه الممارسات الاقتصادية الفاسدة.

ما أحلى الالتزام والحرص على الحلال.. وما أبشع الطمع والجشع والمعاملات المحرمة والمغامرات غير المحسوبة!!

مكانة الأسرة فى الإسلام

للأستاذ/ عبدالواحد عبدالعزيز عبدالواحد

إن علماء الاجتماع على تباين مشاربهم ومذاهبهم يجمعون على أن الأسرة عماد المجتمع، وقاعدة الحياة البشرية، وأنها إذا قامت على أسس قوية سليمة استقرت أحوال المجتمع وتوطدت أركانه.

فإذا وهنت قواعد الأسرة والأسس التى تقوم عليها ولم يتحقق لها أسباب القوة على اختلافها اضطربت أحوال المجتمع واختل توازنه.

إن الأسرة هى النموذج الأساسى لتكوين الشخصية، بل هى المهندس الأول الذى يضع تصميم هذا التكوين، ولأهمية الأسرة وأثرها فى المجتمع وجهت الرسالات الإلهية نحوها قسطا كبيرا من العناية والرعاية.

وجاءت الرسالة الخاتمة التى بعث بها محمد ﷺ بالتشريعات التى تحفظ على الأسرة قوتها والقيام برسالتها كما ينبغى أن تكون لتظل دائما خلية صالحة فى جسم المجتمع ولبنة نقية من شوائب الضعف تدرأ عنه عوامل التخلف والانحلال.

أساس بناء الأسرة

الزواج الشرعى هو أساس بناء الأسرة، وبدون هذا الزواج لا يمكن أن تقوم أسرة فهو الوسيلة الاجتماعية التى تكسب الأسرة طابعها الشرعى وطابعها الإنسانى.

ولكى يحقق الدين سعادة الفرد والجماعة جعل الأسرة المجتمع أساس المجتمع، وعمل على أن تكون لبنة قوية فى بنائه وجعل عماد الأسرة الزواج الذى ينشأ عن عقد تباركه يد الله وتربط به بين الزوج والزوجة وتزكيه بروابط المحبة والمودة والتعاون والمعاشرة الحسنة.

ولذلك يقول القرآن الكريم:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم: ٢١)

ومن أجل السعادة التى يهدف إليها الدين للأسرة والمجتمع.

١- حسن الاختيار:

فعلى كل من الزوجين مراعاة الدين لأن الدين إذا اجتمع مع أى شىء يصلحه، يقول الرسول ﷺ «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»[1]، كما يجب مراعاة التكافؤ فى السن بين الزوجين حرصا على سعادة الزوجين.

٢- سعادة الزوجين تتحقق بمقدار حرص كل منهما على القيام بواجبه نحو الآخر

فمن واجب الزوج على زوجته ما جاء فى حديث رسول الله ﷺ: «وما استفاد المؤمن بعد تقوى الله - عز وجل - خيرا من زوجة صالحة إن آمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته. وإن غاب حفظته فى نفسها وماله «رواه ابن ماجة».

ومن واجب الزوجة على زوجها ما جاء فى قوله تعالى:

﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ ۝٦ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾

(سورة الطلاق: ٦، ٧)

وما جاء عن معاوية بن حيدة - رضى الله عنه - قال: قلت يارسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت أو اكتسبت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا فى البيت»[2] وذلك حتى يظل هذا الميثاق الغليظ «الزواج» حيا قويا يعبر عن علاقة الامتزاج الكامل بين الزوجين فهما به أصبحا كفرد واحد.

دور الأب فى الأسرة

على الوالد القيام بواجبه نحو أولاده بالإنفاق عليهم والإحسان فى تربيتهم وتعليمهم وتجنيبهم الفقر والضعف والذلة والضياع وتنشئتهم على الفتوة والقوة والمنعة وتعليمهم السباحة والرماية وفرائض الدين وأمور الدنيا.

وقد جاء فى الحديث الشريف: «حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة

---

(١) البخارى.

(٢) سنن أبى داود.

والسـاحة والرمى وألا يرزقه إلا حلالا طيبا»[٣].

ويقـول ﷺ: «لأن تذر ورثتك أغنيـاء خـير من أن تذرهم عالة يتكففـون الناس»[٤].

منزلة المرأة فى الاسلام

إن المرأة هى العمود الفقرى للأسرة أو هى فى الأسرة كربان السفينة فى البحر اللجى لا يغفل عن حمايتها من جميع الأخطار، ومن ثم لا يغمض لها جفن ولا يهدأ لها بال اذا ألمت بمملكتها نازلة من النوازل وتبذل كل جهودها لوقاية أسرتها مما قد يهدد أمنها وسعادتها، فلا غرو إن كان حظها من الإحسان إليها وحسن صحبتها ثلاثة أمثال حظ الرجل.

إن مقولة إن كل عظيم وراءه امرأة مقولة صحيحة، لأن المرأة هى التى تهيىء لحياة الأسرة كل أسباب النجاح والفلاح والتفوق والتجديد وتدرأ عنها كل عوامل الإخفاق والتخلف والتقليد.

لذلك كانت بنص الحديث الشريف فى بيتها راعية ومسئولة عن رعيتها، وهذه الرعاية لها جانبان: مادى ومعنوى، ويتمثل الجانب المعنوى فى إعداد ما تقوم به الحياة لكل أفراد الأسرة من ملبس ومأكل ومشرب ومسكن، وأما الجانب المعنوى فإنه يتمثل فى حسن اتباع المرأة لزوجها فإنه يعدل الجهاد، ثم رعاية الأبناء رعاية حب وتوجيه والإحسان إلى الوالدين وصلة الأرحام بالمودة وتفقد الأحوال.

ولمسئولية المرأة فى الأسرة كرمها الإسلام أعظم تكريم وجعل لها شخصيتها ومكانتها وانتشلها من الهوان الذى تحدر إليها من أعماق التاريخ، لقد منحها كل خير وصانها عن كل شر، منحها حق اختيار الزوج، وحق التملك، وحق إبداء الرأى والمشاورة، وجعل لها نصيبا من الميراث وصانها عن التبرج والخضوع بالقول والبعد عن مواطن الشبهات وكل ما يسىء إلى عفتها وإحصانها.

ان المرأة شقيقة الرجل أو نصف المجتمع وراعية النصف الآخر، ولهذا كان دورها يفوق دور الأب بحكم صلتها القوية اتصالها الطويل بالأبناء، وبحكم تأثيرها القوى فى شخصياتهم، وقدرتها على توجيههم الوجهة التى تريد تلقينهم المبادىء التى تؤمن بها، وبخاصة فى مرحلة الطفولة، وقديما قيل: المرأة التى تحرك سرير الرضيع بيمناها، تستطيع أن تحرك العالم بيسراها.

(٣) السنن الكبرى للبيهقى.

(٤) موطأ مالك.

الأم مدرسة اذا أعددتها
أعددت شعبا طيب الأعراق

فدور الأب والأم كلاهما مكمل للآخر وعليهما أن يكونا للأبناء قدوة صالحة، وخير قدوة يجب اتباعها شخصية سيد الخلق سيدنا محمد ﷺ، حيث يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾

(الأحزاب: ٢١)

وعلى الوالدين أن يتقوا الله فى أولادهم مصداقا لقول الحق جل ذكره:

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾

(النساء: ٩)

وعلى الأبناء الإحسان إلى الوالدين وذلك طبقا لتوجيهات ديننا الحنيف، فيقول الله تعالى:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾

(الإسراء: ٢٣)

والآيات التى تدعو إلى الإحسان إلى الوالدين كثيرة وكذلك الأحاديث.

إن رحلة الأسرة فى بحر الحياة أشبه ما تكون بزورق يعبر المحيط وفى يد كل من المرأة والرجل مجداف لقيادة الزورق حتى يصل إلى شط الأمان. فإذا تخلى أحدهما عن استعمال مجدافه فإن الزورق يضل طريقه وقد يبتلعه الماء ويغرق كل من فيه، وهكذا تقع على المرأة والرجل المسئولية لحياة الأسرة وحمايتها من الأعاصير المدمرة.

يقول الشيخ محمد الغزالى ـ رحمه الله ـ «إن صرح الإسلام قام على تضحيات ثقال قامت بها أسر شجاعة تواصى رجالها ونساؤها بالحق والصبر».

وما أحوج الأمة اليوم إلى أسر مؤمنة تفقه رسالتها وتضحى فى سبيلها، ويتواصى الجميع على حمايتها لتظل قوة تذود عن الأمة وتصنع لها حاضرا مشرقا ومستقبلا مجيدا.

***

فى موكب النور

لفضيلة الشيخ/ عمر الديب

عضو مجمع البحوث الإسلامية

إن محمداً صلوات الله وسلامه عليه هو الإنسان الذى حقق فى شخصه وفى آثاره ما تنشده الإنسانية من قبل فهو النور الذى أرسله ربه ليتير الوجود بأكمله ويخرجهم من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان فهو ﷺ نور وأوحى إليه القرآن الكريم، وهو أيضاً نور، بل إن الخالق جل فى علاه هو نور السموات الأرض فكانت أمة محمد خير أمة أخرجت للناس فإلهها نور:

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

«النور: ٣٥»

ورسولها نور:

﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾

«المائدة: ١٥»

وكتابها نور، وكانت رسالته ﷺ هى الرسالة الخاتمة لجميع الرسالات وكانت للناس عامة ولهذا كان ﷺ المصطفى المختار من أبناء آدم تلقفته العناية الإلهية منذ نشأته لتقيه أوضار الطبيعة البشرية وترقى به صعداً فى مدارج الكمال وترشح قلبه الكبير لاستقبال ما يفد به الملأ الأعلى عن حضرة القدوس، ولهذا فقد كانت الحكمة تفيض من لسانه، والأسوة تقتبس من أعماله، والنزاهة المطلقة تقترن بأحواله واتجاهاته، ولهذا كان اختيار الله له ليكون موطن وحيه، الوحى الذى تشرق به المعرفة على قلبه وهذا الوحى كان يأتيه على مراحل:

١- المرحلة الأولى كانت الرؤيا الصالحة فى النوم وهذه الرؤيا ليست من أضغاث الأحلام التى تترجم بها النفس عن رغباتها المكبوتة فى صورة مهمشة متقطعة كما يحدث لعامة الناس، كلا فإن الكمال البشرى الذى وصل إليه النبى ﷺ يجعل قلبه يقظاً ولو نامت عيناه بعكس الدهماء الذين تنام قلوبهم ليلاً ونهاراً فهى فى غفوة لا تصحو منها ولو نشطت أبدانهم وراء أغراضها الصغيرة، أما فؤاد النبى ﷺ فهو مثل جهاز الاستقبال المعد لالتقاط الأنباء فى كل حين ومن أجل ذلك كانت الرؤيا الصالحة أول مراتب الوحى فى حياة محمد ﷺ صاحب الرسالة العظمى «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحى: الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح» وقد ظل صلوات الله وسلامه عليه موصول القلب بالله فى

يقظاته وهجعاته حتى الرمق الأخير من حياته.

٢- المرتبة الثانية مرحلة الإلهام وهذا الإلهام يأتى فى اليقظة بواسطة الملك ينضح به المعنى على قلب النبى ﷺ فيتكلم الحق وفى السنة النبوية أمثلة كثيرة لهذا الضرب من الإلهام سواء صرح فيه بخبر هذا الوساطة كما فى الحديث «إن روح القدس نفث فى روعى وأخبرنى أنه لا تموت نفس حتى تستوفى أقصى رزقها وإن أبطأ عنها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب»(١) أو طوى ذكر الملك وأرسل الحديث كما فى سنن أخرى ومن الوحى نزول القرآن الكريم كوحى بألفاظه ومعانيه جميعاً فعلم منه الرسول ﷺ ما لم يكن يعلم وكان حظ جبريل فى ذلك مجرد النقل من لدن الخبير البصير.

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾

«الشعراء ١٩٣-١٩٥»

٣- المرتبة الثالثة قد يكون الوحى بتكليم الله له مباشرة وذلك مثل ما حدث للنبى ﷺ ليلة عرج به - على رأى طائفة من العلماء - وتكليم الله للأنبياء مثل ما حدث للنبى ﷺ ومثل ما حدث لموسى -عليه السلام- لا ندرى كنهه وليس كلاماً على النحو الذى نألفه بين المتخاطبين من تكاشف ومشافهة، بل كما قال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾

«الشورى ٥١»

وهكذا كان ﷺ نوراً يسكب فى قلوب الموحدين والمصدقين برسالة الإيمان بالله وباليوم الآخر وما يسبقه وما يلحقه من حساب وثواب وعقاب، وهى معرفة على جهة اليقين الجازم، ولولا بلاغ الوحى لعجز العقل المجرد عن فهم النهاية المرتقبة لعالمنا الزاخر، بلى، إن المرء قد يرفض التسليم بأن هذه الحياة الدنيا هى كل شئ لاسيما وهو يرى الجزاء واقع فيها، فكم من الأخيار والأشرار يموت قبل أن يلقى جزاء ما اكتسبت يداه، وكم من معارك دارت بين الأفراد والجماعات، بل وكثير من الدول علا فيها مبطلون وهلك فيها مصلحون، وجور موازين الدنيا فى الجزاء يجعل الأفئدة تتعلق بيوم يتم فيه الإنصاف وتتحقق فيه العدالة، بل إن الفطرة- فيما تهدى إليه من حقائق- تجعل الإنسان يستشعر معنى الخلود ويستعد له فى حياته القصيرة الفانية بمختلف الأساليب، ولكن رسالات السماء هى وحدها التى كشفت الغطاء عن كل ما قد يثار حول البعث من ريب وقدمت للإنسان كشفاً مفصلاً بالجزئيات التى سوف يلقاها عقب انتهاء أيامه فى هذه الدار الفانية ولم تكن وظيفة الرسول ﷺ هذا الإرشاد العقلى إلى حقيقة الحياة فحسب، بل إن تربية الأصحاب، والأتباع على هذه المبادئ من أهم ما جاء به صلوات الله وسلامه عليه ووظيفته تقوم على إسداء العون والنصح للفرد والجماعه، فى كل ناحية، فهو يسكب من طهارة قلبه على أوضار القلوب فيغسلها، وهو يشعل من تألق قلبه وعقله الأفكار الخابية فيضيئها ثم يبعثها هى الأخرى لتضئ وتهدى- وقد كان الوحى بالقرآن الكريم أكبر معجزة مؤيدة لنبوة محمد ﷺ

(١) مصنف عبد الرزاق.

فهو بحقيقته أمر خارج ومعجز دال ومدعم لنبوة محمد ﷺ - وفى هذا يقول ابن رشد «إن دلالة القرآن على نبوة محمد ﷺ ليست كدلالة انقلاب العصى حية، ولا إحياء الموتى، ولا إبراء المرضى» وهو يقصد بذلك أن تلك الخوارق وإن كانت أفعالاً لا تظهر إلا على أيدى الأنبياء وفيها ما ينفع الجماهير من العامة، إلا أنها مقطوعة الصلة بوظيفة النبوة وأهداف الوحى ومعنى الشريعة، أما القرآن معجزة الإسلام الخالدة فدلالته على صفوة النبوة وحقيقة الدين مثل دلالة الإبراء والشفاء على الطب وذلك أن التعويل فى العصور السابقة على عصر الإسلام كان معتمداً على الخوارق المادية فحسب، أما ما تضمنته الأديان من حقائق فكانت منزلته ثانوية حتى جاء الإسلام فغض من شأن الإعجاز المادى ونوه بالإعجاز العقلى والقيم المعنوية للرسالات وقرر إلى جانب ذلك أن الخوارق التى دعمت بها الديانات القديمة لم تمنع التكذيب بها - أولاً - فلا معنى لطلب التصديق بها أخيراً، ولهذا يقرر القرآن الكريم ذلك فى قوله تعالى:

﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾

(الإسراء: ٥٩)

وقد شاءت إرادة الله أن يجعل الرسالة الأخيرة شيئاً لا ينفصل عن جوهرها فجعل حقائق الرسالة ودلائل صحتها كتاباً واحداً، وجعل من أصول الدعوة وأساليب عرضها البرهان الأكبر لدعوى الرسالة والسند الأعظم لصدق صاحبها، فالقرآن الكريم وهو النور وآياته التى تتضمن دساتير العدالة الخلقية والاجتماعية والسياسية وبما تغرس فى الطبائع من آثار الأدب والتربية والاستقامة هى رسالة الإسلام ومعجزته، وأعظم ما فى هذه الآيات أن الفطرة الإنسانية تجد فيها مجالها الحيوى الفذ وتجد فى جوها التنفس الطلق الحر ومن ثم كان القرآن نوراً وكتاباً إنسانيا، وكان نبى القرآن نوراً وإنساناً كاملاً، وكانت رسالة الإسلام فى موضوعها وأهدافها إنسانية بحتة ولذلك توجه القرآن الكريم - مباشرة - إلى العقل البشرى يخاطبه ويفك عنه إصره ويرد له اعتباره، وأكد القرآن أن أصحاب هذا العقل وحده هم الذين يستطيعون فهمه وتبين معانيه يقول تعالى مبينا ذلك:

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

(الرعد: ١٩)

بل إن أصحاب هذا العقل وحدهم الذين يفهمون رسالة الوجود ويفقهون أسرار الكون:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾

(آل عمران: ١٩٠)

فلتكن إذا معجزة نبى الإسلام عقلية وما دام البشر يحترمون عقولهم فستبقى لهذه المعجزة قيمتها. أجل ستبقى لهذه المعجزة قيمتها ونورها المستبين ما بقى العقل أنفس شىء فى الحياة وما استلهم الناس عقولهم فى الحكم على الأمور وفى قيادة الإنسانية إلى آفاق الترقى والكمال، وهذا أكبر رد على هؤلاء المشككين فى الدين وأنه لا وجود لإعمال العقل فيه وهؤلاء قد ضلوا

لاستغلاق قلوبهم وعقولهم وهم لو تفتحت قلوبهم لاكتفوا بالقرآن آية لا تعلوها آية، ومعجزة لا تدانيها معجزة، وهؤلاء يصدق عليهم ما جاء فى الذكر الحكيم فى قوله تعالى:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ۝ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ۙ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾

(محمد: ٢٤، ٢٥)

ولئن كان القرآن هو الكتاب الذى يصور للإنسانية آفاق كمالها فإن محمداً صلوات الله وسلامه عليه هو الرجل الذى حقق فى شخصه وفى آثاره أعلى ما تنشده الإنسانية من قبل، فقد رفع شأن الضمير عندما أعلن أن التقوى تستقر فى القلوب الذكية ولا تغنى عنها قشور العبادات، وثبت قيمة العقل وجعله أصل دينه وأسس عليه المسلمون حضارة متشعبة الثقافات والفنون وصلت ما انقطع من تراث الإنسانية الفكرى، وكانت البذور المنتجة التى أورثت العالم حضارته الحديثة.

إن الكثيرين من المنصفين من علماء الغرب وكذلك الساسة يعترفون بأن ما تنعم به بلادهم من رقى وحضارة ما هو إلا بفضل أنوار الإسلام التى أضاءت الغرب أيام أن كان الإسلام تشرق شمسه على بلاد الأندلس وانطلقت أنواره لتعم باقى بلاد الغرب ولتنعم بتلك الحضارة الإسلامية، بل وتقتبس من علماء المسلمين، ومازالت تنهل من علمهم ومعارفهم ومازالت علوم المسلمين هى مصدر المعارف والعلوم فى مدارسهم وجامعاتهم، إنه نور الإسلام ونور نبى الإسلام ونور القرآن يسطع فى أرجاء المعمورة يزيل أدران التخلف ويمحو ما ران على القلوب ولقد كان النبى ﷺ هو المحرر الأول للإنسان والمقرر الأول لحرية العقل والضمير لقد جعل الكون كله مسخراً لنشاط الإنسان الذهنى والبدنى وجعل الإنسان سيداً فى نفسه، سيداً لعناصر هذا العالم، عبداً لله فقط، فلا سلطة البتة لأساطين السياسات والديانات، ونبى الإسلام عربى ولكن الدين الذى جاء به لا جنسية له، وأى جنسية لدين يخاطب العقل حيث كان ويبنى أدلته على النظر فى فجاج الأرض والسموات. وهكذا نجد أن محمداً ﷺ صاحب الرسالة العظمى إلى خلق الله قاطبة ملتقى الفضائل المشرفة ونور الأنوار الساطعة ومظهر المثل العليا التى صورتها الخيالات ثم صاغها الله إنساناً يمش على الأرض مطمئنا ذلكم هو محمد بن عبدالله ﷺ فهو أفق للمجد يزهو على كل أفق وتسطع فيه أشعة متموجة تنطلق بالحب والحنان والرحمة والفراسة والحكمة. هيهات. هيهات أن يدرك كنه ذلك أحد فالعظيم لا يعرفه إلا عظيم مثله ومن كمحمد فى الناس؟ إنه السراج المنير ورحمة الله للعالمين وصدق الله العظيم إذ يقول فى شأنه:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾

(الأحزاب: ٤٥، ٤٦)

فمبلغ العلم فيه أنه بشر
وأنه خير خلق الله كلهم
والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل

قراءة فى كتاب

للأستاذ / عادل خفاجة

رحم الله الأستاذ الجليل «على حسب الله» حينما قال:

«إن عمر بن الخطاب هو أسبق زمناً .. من هؤلاء الأصوليين، بل من نشأة علم الأصول نفسه، لم يقف اجتهاده عند هذا الحد الذى رسموه لأنه واجه من الأحداث ما لم يواجه غيره وكان هذا من أسباب امتياز عمر بسعة الأفق وتوسيع مجال العمل بالرأى السديد، لأنه لم يقتصر على الاجتهاد فيما لا نص فيه، بل اجتهد فى تعرف المصلحة التى يرمى إليها النص من كتاب أو سنة، واسترشد بهذه المصلحة فى أحكامه، أى أنه كان يعمل بروح الشريعة لا بمنطوقها فقط»[1].

مؤلف الكتاب:

هو صاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور عمر حسين عبدالله موجان السعدى صاحب كتاب «الكعبة المشرفة عمارة وكسوة».

الذى قدمت المجلة قراءة فيه بعدد رجب ١٤٣٠ هـ / يوليو ٢٠٠٩م.

الكتاب

صدر الكتاب فى طبعته الأولى ١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠ م عن سنا الفاروق للنشر بالمملكة العربية السعودية.

ويقع فى سبعمائة وثمانين صفحة من مقاس ١٧ × ٢٤سم.

والكتاب فى الأصل رسالة دكتوراه قدمت بكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر، حصل بها الباحث على درجة الدكتوراه «العالمية» بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف الأولى.

ويتكون من مقدمة وفصل تمهيدى وثلاثة أبواب وخاتمة.

أما الفصل التمهيدى فجاء تحت عنوان:

اجتهادات عمر والصحابة والمعاملات المالية، ويشمل ستة مباحث ويجيىء الباب الأول بعنوان: اجتهادات عمر فى المعاوضات المالية ويشتمل على واحد وعشرين مبحثاً.

أما الباب الثانى فقد خصصه المؤلف للحديث عن: اجتهادات عمر فى التبرعات وشمل ستة فصول ضمت واحداً وعشرين مبحثاً.

ويتناول المؤلف: «اجتهادات عمر فى جوانب أخرى من المعاملات» ضمنها ستة فصول، لتشكل بذلك الباب الثالث والأخير من الكتاب، وكما هو الحال فى الرسائل الجامعية تأتى الصفحات الأخيرة لتضم الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات.

أسباب اختيار الموضوع

يسجل المؤلف عدداً من الدوافع وراء اختياره هذا الموضوع نذكر منها أن:

● الصحابة أعلم الأمة بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ للصحبة والملازمة وهم خير من يؤخذ عنهم ما جاء عن الله فى كتابه وعن رسوله ﷺ فى سنته لأنهم كانوا معه فى الغدو والرواح واجتهاداتهم تميزت بمعايشة نزول الوحى وتطبيق سنة المصطفى ﷺ.

● دراسة فقه عمر ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ واتباعه فى اجتهاداته التى وصل إليه بعد من الاتباع الذى أمرنا به رسول الأمة عليه الصلاة والسلام بقوله: «اقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر وعمر»[2] وأعظم دلالة على وجوب الاتباع تحقق قوله عليه الصلاة والسلام حيث وليا أمر المسلمين من بعده.

● عمر ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ أكثر الصحابة اجتهادات فى كل جوانب الحياة العلمية والعملية، وفقيه كعمر بن الخطاب يثرى من اغترف من علمه، ذلك أنه صاحب فقه شمولى لا ينضب فيحيط الواقعة المراد الاجتهاد فيها من كل الجوانب الدينية والدنيوية إضافة إلى الحصلة العظيمة التى لديه من العلم والثقافة فتكون المسألة المجتهد فيها ثروة عظيمة لأنها صادر عن كفاءة فى الاجتهاد وبراعة فى الاستنباط.

ثم يفرد المؤلف فصلاً يتكلم فيه عن اجتهادات عمر بن الخطاب لنستبين من خلالها مكانته الاجتهادية فعمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ من الصحابة الأجلاء الفقهاء الحلماء العلماء، وقد ثبت له صفة

(1) على حسب الله: أصول التشريع الإسلامى.

(2) أخرجه الترمذى.

الاجتهاد المطلق وقد كان الرسول ﷺ يلمح فيه صواب رأيه وحسن نظره وسلامة اجتهاده فكان يدفعه ويدربه ويشاوره ويدارسه في كثير من الأمور، وكان ﷺ يثق من حسن رأيه، ثم بعد ذلك يصحح ما اجتهد فيه أو يمضيه أو ينزل وحي من السماء يوافقه.

فعن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «اقتدوا بالذين من بعدى أبوبكر وعمر».

وعن علي - رضي الله عنه - قال «بينما رسول الله ﷺ وأنا معه في المسجد ليس معنا ثالث إذ أقبل أبو بكر وعمر كل واحد منهما آخذ بيد صاحبه فقال: يا علي هذان سيدا كهول أهل الجنة ممن مضى من الأولين والآخرين ما خلا النبيين والمرسلين، يا علي لا تخبرهما بذلك فما أخبرتهما حتى ماتا ولو كانا حيين ما أخبرت بهذا الحديث أحداً».[٣]

ثم يلقى المؤلف الضوء على بعض الصفات التي تثبت لعمر - رضي الله عنه - الفقه والاجتهاد فيذكر منها: الدين والهداية، ومحبته للرسول ﷺ، والتابعة والتأسي، وسعة العلم والثقافة، الفراسة وما كان يتمتع به من الإلهام والتحديث، وكونه رضي الله عنه مستجاب الدعوة، ومحبته للحق ولو على نفسه وقدرته على الاستنباط.

«وإن من الصفات البارزة في شخصية عمر بن الخطاب - رضي الله عنه وأرضاه - أنه يحب الحق ويقول الحق ولا يبالي وقع الحق على نفسه أو على أي إنسان كان واستمرت هذه الصفة تلازمه طوال حياته منذ أول يوم أسلم فيه، فعن ابن عباس قال: «سألت عمر: لأي شيء سميت الفاروق؟ فذكر حديث إسلامه إلى أن قال: «فأخرجنا رسول الله ﷺ في صفين له كديد ككديد الرحى، حتى دخلنا المسجد فسماني رسول الله ﷺ الفاروق».[٤]

وعن أبي عمرو ذكوان قال: قلت لعائشة: من سمى عمر الفاروق؟ قالت: النبي ﷺ».[٥]

وعن أبي ذر - رضي الله عنه - قال عن النبي ﷺ: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه، يقول به».[٦]

وفي الحديث عن سعد بن أبي وقاص يروى: قال رسول الله ﷺ «إيه يا بن الخطاب والذى نفسي بيده، ما لقيك الشيطان سالكاً فجا قط إلا سلك فجا غير فجك».[٧]

ولعل أهم ما ورد في هذا الفصل ما جاء عن قدرة عمر - رضي الله عنه - على الاستنباط، يقول المؤلف:

لقد منح الله عز وجل الفاروق - رضي الله عنه - وأرضاه القدرة على الاستنباط وفهم معاني الكتاب الكريم ومرامي السنة المطهرة، وكان ذا عقلية قادرة على الاستنباط والوصول إلى ما تدل عليه النصوص ومعاني الألفاظ وطرق الدلالة من النصوص ومعرفة ألفاظ النص.

وعمر - رضي الله عنه وأرضاه - فاق الصحابة - رضوان الله عليهم - في سبقه لفهم مرامي النصوص التشريعية وما تهدف إليه وفهم معانيها فقد أخرج عبد بن حميد، ومسلم، وابن أبي حاتم، من طريق ابن عباس، عن عمر بن الخطاب، قال لي: لما اعتزل النبي ﷺ نساءه دخلت المسجد، فإذا الناس ينكتون بالحصى ويقولون: طلق رسول الله ﷺ نساءه. فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي لم يطلق نساءه ونزلت هذه الآية في:

﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ ﴾

«النساء: ٨٣»

فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر

وهذه شهادة من رب العزة والجلال أن الفاروق من أولي الاستنباط وأصحاب القدرة على فهم معاني النصوص ومراميها .والفقه العمرى حافل بالمسائل التي أعمل فيها الفاروق - رضي الله عنه - فيها عقله، فوصل إلى الصواب، وكان من الله مسددا، وفي استنباطه موفقا، حتى أصبحنا في زماننا هذا ننعم بهذه الاستنباطات الرشيدة التي تجعل الفقه العمرى يسبق بنور الله إلى ما لم يسبق إليه غيره.

المجتهد المطلق

لا خلاف بين كل علماء الأمة أنه لا اجتهاد مع النص ولا شك أن العالم المجتهد حين ينظر في مسألة من المسائل لابد له ان يضع في اعتباره نظائرها التي حدثت أيام الرسول ﷺ، فيجب عليه أن يستخدم النظرة النافذة ليتحرى مقاصد التشريع ومصالح الناس في آن واحد، وهذا بلا شك لا يقدر عليه كل مجتهد، يقول المؤلف: «فعمر بن الخطاب - رضي الله عنه وأرضاه - نستطيع القول بأنه أحق عالم من علماء الأمة الإسلامية منذ بعث المصطفى ﷺ وحتى اليوم «بصفة المجتهد المطلق» وهذا القول قد يتبادر إلى الذهن للوهلة الأولى أن دافعه المحبة الفائضة والإعجاب الآخاذ بشخصية الفاروق الفقهية وذلك حق ولكن قبل ذلك دافعه الإنصاف العادل والتتبع المتواصل في سيرة وفقه عمر - رضي الله عنه وأرضاه - وهذا الحكم مبنى على الأدلة التي تؤكده والبراهين التي تناصره فعمر - رضي الله عنه وأرضاه - استحق هذه المكانة الرفيعة في الاجتهاد المطلق، وذلك لصفات ذاتية وميزات تحلى بها وجهود عظيمة بذلها.

وقبل أن نترك مقدمة الكتاب، نقدم للقارئ سطوراً عن منهج عمر - رضي الله عنه وأرضاه - في الاجتهاد، حيث يرى المؤلف أن

(٣) أخرجه الترمذي.

(٤) ابن الجوزي: مناقب عمر، ص١٢ والحديث أخرجه أبونعيم في دلائل النبوة.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣/٢٧١.

(٦) ابن الجوزي: مناقب عمر ص٢٧.

(٧) صحيح البخاري.

أهم سمات هذا المنهج:

١ ـ اتباع القرآن والسنة والتقصى.

٢ ـ تطبيق روح النص.

٣ ـ ربط العقل بالنقل.

٤ ـ التسبب لكل الفتاوى والاجتهادات.

٥ ـ الوعى وبعد النظر.

فأما اتباع القرآن والسنة، فليس لأى مجتهد أن يترك النص بحال!! ولا شك أن أى مجتهد يحسب عليه تخطيه أى نص من الكتاب وكذلك الثابت المشتهر من السنة.

أما ما يحسب له فهو التقصى.

ولقد كان عمر ـ رضى الله عنه ـ يتقصى أشد التقصى ويسأل الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ عمن لديه علم فى الواقعة من الكتاب أو السنة، فأما الكتاب فقد يكون الفهم فى الاستنباط أو سبب النزول أو سمع من رسول الله ﷺ إيضاحا كاشفا أو بيانا شافيا، أما السنة فلأن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ لم يلازم رسول الله ﷺ أحد منهم فى كل أحواله فغاب عنهم من سننه ما علمه بعضهم دون بعض.

ومن الأمثلة على ذلك أنه خفى على عمر حديث النبى ﷺ فى الطاعون، حتى أخبره به عبدالرحمن بن عوف، «فقد خرج عمر يريد الشام، فبلغ «سرغ»، وعلم أن الطاعون قد اشتعل بأرض الشام، فاستشار المهاجرين، فاختلفوا بين الدخول والامتناع بالرجوع عن الشام ثم دعا الأنصار فاختلفوا أيضاً، فاستشار من حضر من رؤساء قريش فقالوا جميعاً: ترى أن ترجع بالناس فعزم على الرجوع ثم جاء عبدالرحمن بن عوف ـ وكان متخلفاً عن الناس لم يشهدهم بالأمس ـ فقال: وقد رأى المسلمين يستعدون للرجوع ـ ما شأن الناس؟ فأخبر الخبر فقال: عندى من هذا علم: فقال له عمر: فأنت عندنا الأمين المصدق، فماذا عنك؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقدموا عليه، وإذا وقع وأنتم به فلا تخرجوا فراراً منه «فحمد عمر الله وقبل خبر عبدالرحمن ونلاحظ أن حديث النبى ﷺ فى الطاعون لم يخف على عمر فحسب، بل خفى على جمهور المهاجرين والأنصار الذين استشارهم عمر، حتى أن أبا عبيدة بن الجراح قال لعمر حين عزم على الرجوع قبل أن يأتى ابن عوف: أفراراً من قدر الله يا عمر؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة!! نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله.. أرأيت لو كان لك إبل فهبطت بها وادياً له عدوتان إحداهما خصيبة والأخرى جديبة، ألست إن رعيت الخصيبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجديبة رعيتها بقدر الله؟».

فاستشارة عمر للمهاجرين والأنصار، واختلافهم بين الرجوع والدخول ثم المناقشة التى دارت بين عمر وأبى عبيدة ـ وهما من أعلام الصحابة ـ دليل على أنهم جميعاً قد خفى عليهم حديث النبى فى الطاعون، حتى قدم عبدالرحمن بن عوف فأخبرهم به، ولو أن أحدهم علمه لما حدثت المشورة أو المناقشة.

«يتبع»

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم

أحمد السيد تقى الدين

النظام العالمى الجديد.. إلى أين؟!

فضيحة مدوية بدأت تتضح ملامحها.. قررت البنوك والمؤسسات المالية العالمية إيجاد بدائل سريعة لإخراجها من الأزمة التى تفجرت مؤخرا والتى أفلست بسببها مئات من البنوك والشركات الكبرى.

البدائل السريعة تضمن تحقيق أرباح خيالية فى زمن قياسى يعوض خسائر البنوك وينتقل بها من مرحلة الإفلاس إلى مرحلة تحقيق أرباح هائلة.

هكذا تقول أنباء صحفية وأخبار جرى بثها على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت).

البدائل الجديدة عنوانها: «الحرام أقصر طريق للنجاح»، حيث قرر عدد ضخم من البنوك والمؤسسات المالية العالمية اللجوء إلى تجارة المخدرات، والاتجار فى الأعضاء البشرية، وإنشاء شبكات للدعارة الدولية حول العالم.

هذه الأخبار أكدها أنطونيو ماريا كوستا ـ مستشار بالأمم المتحدة لشئون مكافحة غسيل الأموال، حيث أكد فى تصريحات صحفية جرى بثها عبر العديد من الفضائيات أن النظام المالى العالمى يلعب دورا هائلا فى نشر الفساد فى العالم عبر الترويج لتجارة الرقيق الأبيض، وتجارة السلاح، وتجارة المخدرات وحقق هذا النشاط أرباحا خيالية تجاوزت ٤٠٠ مليار دولار فى العام الماضى وحده.

مستشار الأمم المتحدة أكد أن لجوء المؤسسات المالية إلى هذا الأسلوب لتعويض خسائرها وجنى أرباح هائلة سيؤدى فى النهاية إلى كارثة اقتصادية غير مسبوقة لأنه سيضعف تمويل المشروعات الصناعية وكافة أوجه الاستثمار المشروع التى ستصبح ذات جدوى اقتصادية وعائد مالى أقل مقارنة بما تحققه تجارة المخدرات وحدها من أرباح خيالية فضلا عن

تجارة السلاح، والاتجار كذلك بالبشر عبر تشغيلهم في الأعمال المنافية للأخلاق أو الإعلان عن تواقر قطع غيار بشرية لمن يرغب في شرائها.

كل ذلك يموله النظام المالي العالمي الجديد للخروج من أزمته التي سقط فيها بسبب ارتفاع معدلات الاقتراض بالفائدة وعجز المقترضين عن السداد بعد أن تضاعفت ديونهم بسبب مغالاة البنوك في تحميل القروض بالفوائد الربوية.

وصدق الله العظيم حيث يقول:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾

(البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩)

القوم لم يتقوا الله فبوغتوا بخسائر مروعة ثم أصروا على المضي في الضلال من أجل تعويض خسائرهم غير مبالين بكل ما يرتكبونه من فساد وموبقات وكأنهم لم يتعلموا الدرس.

الحرام لن يؤدي إلا إلى الخراب والبوار فمتى يفيقون ويرجعون عما هم فيه.

أحمد تقي الدين

تأملات في ذكرى مولد الحبيب ﷺ

ومن الشيخ مصطفى الأزهري ـ إمام وخطيب مسجد سوق الحمام ـ السيدة عائشة كانت هذه الكلمات:

سبحان ربي .. كلما تأملت في سير أولين من الأمم السابقة وما خلفوه من آثار وأحجار تزداد قيمتها بمضي السنوات وتصير كنزا عزيزا لا يقدر بثمن، مثل ما تركه الفراعنة من آثار مع بقايا من تراث الحضارات البائدة والتي تثير إعجاب من رآها .. مجرد إعجاب، ثم عدت أفكر في هذا الحدث العجيب الضخم الذي أشرق له الكون، وأحنت له الدنيا رأسها إجلالا وإكبارا ورُمي الشيطان وجنوده بشهب لم يكن لهم بها من عهد قبل هذا النور الذي أشرق وتلك المنة الكبرى التي منحها الله برحمته البشرية جمعاء ؛ إنه مولد الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، والمتأمل لحال الدنيا قبل مولد رسول الله ﷺ ؛ بل وفي العام الذي ولد فيه يرى كيف وصل العداء والاعتداء والظلم والجشع إلى البقعة التي يأمن فيها الناس على أنفسهم وأموالهم، مكة وحرمها الآمن وكعبتها المشرفة، ولنقرأ ـ أحبتي ـ في هذا السياق قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾

(الفيل: ١-٥)

ذلك هو عام الفيل الذي ولد فيه رسولنا الهادي ﷺ ؛ إيذاناً بمرحلة جديدة وحاسمة سيشرق فيها على البشرية نور جديد لن يخبو إلى قيام الساعة لأن هذا المولود سيكون خاتمة مسك الرسالات ولسوف يحمل معه صلاح الدنيا والآخرة حتى يقوم الناس لرب العالمين؛ ولد محمد ﷺ ليضع للحياة قانونا إلهيا لا خلل فيه ولا عوج له، لذا علينا ـ نحن المؤمنين بمحمد ﷺ المصدقين لرسالته والمتبعين لهديه بل المحتفين بذكراه أن نسأل، وأن نتدبر ما يلي وأن نسأل أنفسنا تلك الأسئلة بصدق حبا لصاحب الذكرى ﷺ : ماذا يعني في حياتنا وسلوكنا النصف الثاني من شهادة التوحيد ... «وأشهد أن محمد رسول الله»؟ ولماذا نحب محمدا ﷺ ؟ وكيف يتحول حبنا لرسولنا إلى طاقة حضارية تجعلنا في أعين الناس أصحاب شأن؟ وما هو نصيب سنة الحبيب في مناهجنا التربوية والتعليمية؟ وما هي خطورة الجهل بسنة الرسول ﷺ ؟ وكيف تكون ذكرى الحبيب المصطفى فرصة لتجديد الحياة واستبعاد البدع والمخالفات ووزن أمورنا على ميزان سنته ﷺ ؟

إن فرحتنا برسولنا ﷺ ليس لأنه ولد فقط، بل لأنه بعث رسولاً للعالمين، وهي نعمة أراد الله جل وعلا أن يذكرنا بها في كتاب محفوظ غير قابل للتحريف إلى يوم الدين وهو القرآن الكريم فقال عز وجل:

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾

(آل عمران: ١٦٤)

كما زاد فضله سبحانه بأن جعل الرسول الكريم ﷺ الأسوة والقدوة وتلك منة أخرى إذ جعل في طاقتنا وقدرتنا ما نتحمل به تكاليف الاقتداء وسهولة التأسي بصاحب الذكرى العطرة ﷺ فقال عز وجل:ـ

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾

(سورة الأحزاب: ٢١)

المولد النبوى ٩ من ربيع الأول

جاءت رسالة الدكتور/ أحمد مصطفى شريف ـ استشارى طب الأطفال ـ الإسكندرية:

يقول المتخصصون والمؤرخون: [إن النبي ﷺ وُلد يوم الاثنين ٩ من ربيع الأول سنة ٥٣ قبل الهجرة، وكان ذلك يوم ٢٠ / ٤ / ٥٧١م في عام الفيل وأن النبي ﷺ توفي يوم الإثنين ١٢ من ربيع الأول سنة ١١ هـ الموافق ٧ من يونيه سنة ٦٣٢م، وكان عُمره ﷺ ٦٣ سنة قمرية وثلاثة أيام ويعادل ذلك ٦١ سنة شمسية و٨٤ يوماً].

ومما يؤكد هذا القول أنه بعد مرور ٤٠ سنة على مولده ﷺ «أي سنة ٤١ من عام الفيل» تمت بعثته أيضاً يوم الاثنين ٩ من ربيع الأول سنة ١٣ قبل الهجرة، فقد ذكر ابن الأثير في «أسد الغابة» (ذكر المَبْعث ـ جزء ١ ـ صفحة ١٠) ما نصه: «بعثه اللهُ ـ عز وجل ـ نبياً يوم الإثنين لثمان مضت من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من عام الفيل».

وأيضاً قال ابن القيم في «زاد المعاد» (فصل

فى تسبه ـ جزء ١ ـ صفحة ٧٠) ما نصه : «ولا خلاف أن مبعثه ﷺ كان يوم الإثنين واختلف فى شهر المبعث فقيل : لثمان مضين من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من عام الفيل ، وهذا قول الأكثرين .. وقيل : فى رمضان ، واحتج هؤلاء بقوله ـ تعالى ـ :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾

(البقرة : ١٨٥)

ولا أجد تعارضاً فى ذلك ، لأنه قد بدء الوحى فى ربيع الأول بالرؤيا الصادقة ، ثم بدأ وحى اليقظة فى رمضان بغار حراء بنزول سورة اقرأ ، فقد أخرج البخارى ومسلم عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : «أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حُبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء .. إلى آخر الحديث» .

وأيضاً قال الخوارزمى ما نصه : «ولد رسول الله ﷺ بعد قدوم الفيل مكة بخمسين يوماً ، يوم الإثنين لثمان خلت من ربيع الأول ، وذلك يوم عشرين من نيسان (أبريل) وبعث نبياً يوم الإثنين لثمان خلت من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من عام الفيل» .

وأقول : ما يؤكد ذلك أنه عند بحثى خلال ٣٦ سنة ماضية فى الصحف القديمة عن بدايات شهور رمضان وبداية الأعياد بعد تأكد دار الإفتاء المصرية من رؤية الهلال ، وجدت دورة منتظمة لبدايات الشهور القمرية الهجرية تتكرر كل ٨ سنوات فمثلاً بدأ العام الهجرى الحالى ١٤٣١ يوم الجمعة الموافق ١٨ / ١٢ / ٢٠٠٩م مثلما بدأت السنوات الهجرية ١٤٢٣ ، ١٤١٥ ، ١٤٠٧ ، ١٣٩٩ يوم الجمعة ، وبإذن الله ـ تعالى ـ تبدأ الأعوام الهجرية ١٤٣٩ ، ١٤٤٧ يوم الجمعة أيضاً ، وإن شاء الله سيبدأ رمضان القادم ١٤٣١هـ يوم الأربعاء ١١ / ٨ / ٢٠١٠م مثلما بدأ رمضان سنوات ١٤٢٣ ، ١٤١٥ ، ١٤٠٧ ، ١٣٩٩هـ يوم أربعاء أيضاً ، ولذلك فإن النبى ﷺ قد تمت ولادته يوم الإثنين ٩ من ربيع الأول ، وبعد مرور خمس دورات للشهور القمرية (أى بعد ٤٠ سنة قمرية) تمت بعثته أيضاً يوم الإثنين ٩ من ربيع الأول ، وقد جعل الله مولد رسوله وبعثته فى شهر ربيع ليكون ﷺ ربيعاً للحياة على هذه الأرض .

رؤى فى ذكرى مولد الرسول ﷺ

وتحت هذا العنوان جاءت مساهمة الأستاذ : أحمد عبدالمحسن على محمد ـ مدرسة الأورمان الثانوية النموذجية ـ إدارة الدقى التعليمية ـ الجيزة :

كم أود أن تتغير طريقة الاحتفالات بمولد النبى ﷺ فلا تكون بذلك الشكل التقليدى بسرد الحكايات التى صاحبت ميلاده ﷺ وإنما أريد أن تكون تلك الذكرى نوراً يهدى الحيارى وشوقاً يحرك قلوبهم حتى تصل بهم إلى ظلال الرحمة المهداة .

• إن إحياء ذكرى مولد الرسول الكريم ﷺ توجب علينا أن نتمسك بما جاء فى كتاب الله قولاً وعملاً ، وذلك باتباع سُنته والعمل على إحيائها ، قال ﷺ : «تركتُ فيكُمْ مَا إنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِى أَبَداً : كتاب الله وسُنَّتى» .

• ويمكننا أن نجعل من هذا اليوم ميداناً للتنافس فى الخير ومجالاً لتكريم طفل يتيم أو حافظ للقرآن الكريم ، وذلك بتقديم الجوائز والمنح لهم .

• وكذلك الاحتفال بعقد ندوات تُفتتح بتلاوة آيات من الذكر الحكيم ، يحرص قارئها على أن تتحدث عن النبى ﷺ ، قال ـ تعالى ـ :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾

(الأحزاب : ٤٥)

ثم يتبادل المتحدثون ذكر السيرة العطرة .

• وبرغم أن هذه الذكرى ليست فى حاجة إلى تعيين زمن بعينه يتذكر فيه الناس عظمة رسول الله ﷺ عن طريق الاحتفالات أو الخطب ، فكيف تحتاج إلى تخليد وهى خالدة بآثارها ؟! .. وكيف تحتاج إلى تذكير وهى ملء السمع والقلب ؟!

• وآخراً ، فالذكرى باقية ينبغى أن نعيشها فى جميع أوقاتنا ، ولا حرج أن نجعل من يوم ميلاده ﷺ تمجيداً للقيم النبيلة والاقتداء به مثلاً أعلى وأسوة حسنة ، قال ـ تعالى ـ :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾

(الأحزاب : ٢١)

قال حسان بن ثابت :

وأحْسنُ منكَ لم تَرَ قطُّ عينى
وأجمل منك لم تلد النساءُ
خُلقت مبرأ من كل عيب
كأنك قد خُلقت كما تشاءُ

المسئولية التزام أخلاقى وإيمانى

جاءت مشاركة الأستاذ / السيد حسين العزازى ـ وكيل وزارة سابق بالكهرباء والطاقة :

■ المسئولية بالأساس التزام أخلاقى وإيمانى من حيث جمعها بين الفطرة النقية والفكرة السوية ، والجهد المخلص الذى يبتغى فاعله النفع الذاتى والجمعى ، وأن يتفادى مقت الله وينال رضاه .

وتترك المسئولية بدوافع أخلاقية وبواعث إيمانية وكوامن إنسانية يدعمها تفاعل الفرد مع مجتمعه وقناعته بما عليه من واجبات يؤديها ومهام يسديها بأريحية المخلصين وتجرد الصابرين وقناعة المؤمنين بأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، وهى محكومة بذمة تحاسبه وهمة تدفع وتواكب بحيث لا يتخلف المرء أو يتقاعس ، بل يبادر ويتنافس امتثالاً لأمر الله :

﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾

(المطففين : ٢٦)

﴿ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

(التوبة: ٩٤)

■ والجهد المبذول في الاتجاه المسئول نتاج فكر منظم ونشاط هادف وتخصص واضح وتوجيه قويم، يحرص صاحبه على دعمه بالخبرة والاستزادة ويجتهد لتقليص المثالب ومضاعفة المكاسب والارتقاء بقدر الإنجاز.. والإنسان في صدد ممارسة عمله عليه أن يتحرى الدقة والأمانة، وينأى عن الغش والتلاعب ويضع نصب عينيه قدر المسئولية الملقاة على عاتقه والتي تثبت له الإثابة والجزاء من الخالق الذي يقول في محكم التنزيل:

﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾

(الإسراء: ٣٦)

وفي الحديث الشريف «مَن غشَّنا فليس منا».. «مَن كذب عليَّ فليتبوأ مقعده من النار».

■ والاكتساب وحسن الاستيعاب يساند المسئولية في التطوير والتجويد وتلافي الأخطاء والتزود بروح الفريق في الأداء ومضاعفة العطاء، والالتزام والاستقامة والاتزان اتزان المسئولية، كما أن العقلانية والموضوعية من سماتها ومقوماتها.

■ والشعوب الحية تتحرك بالتفاعل المنظم والمدروس وكل يعرف متى يبدأ وعند أي حد ينتهي في سلسلة متشابهة من حلقات الربط والتتابع ويقود ذلك لاحترام التخصصات وتقسيم العمل والحرص على انسياب الأداء بلا تشابك أو التواء، وعلى سبيل المثال فاليابان تتمسك بالإجراءات فيما يعد بيروقراطية ولكونها منظمة فهي تواجه البطء بالحركة والتدرج بالسرعة واحترام الوقت ولكل عمل برنامج يحدد بدايته ويتابع نهايته ولا يسمح بالتلكؤ والنكوص.. وها نحن في مصر شرعنا في تطبيق قواعد الجودة بضوابط وقواعد نتمنى لها الاستقرار والاستمرار.

■ ومن الطبيعي أن ترتبط المسئولية بالجدية في التعب واللعب، إذ الأخير نشاط عضلي وذهني، وتكمن المسئولية في اللعب فيما يرافقه من أداء من خلال بيئة مناسبة ومتابعة يقظة.. ولأن اللعب صار له مؤسساته ومجالاته التنافسية وأصبح يستحوذ على شق كبير من مالية الدولة والمؤسسات الأهلية بما يقتضي الأداء المتميز وحسن تمثيل الشباب محلياً وخارجياً دعماً لمكانة الدولة ومواطنيها، وكلنا يذكر فرق الألعاب الرياضية التي بعثت بها أمريكا للصين كبادرة لتنقية الأجواء وامتصاص الجفاء وهو ما نجحوا فيه إلى أبعد حد.. والعديد من أقطار أفريقيا اقتربنا منها بفعل الرياضة والرياضيين.

■ وجملة القول إننا بحاجة لمراجعة مفهوم المسئولية لتوسيع محتواه حتى يشتمل جوانب حياتنا بكل ما تحتويه من أنشطة وصولاً للأفضل والأنسب، وبذلك نلحق بركب المتحضرين قولاً وعملاً.. والله أكرم مسئول.

اجتماع الهيئة التأسيسية للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة

متابعة الأستاذ/ عبدالموجود أمين موسى

عقدت الهيئة التأسيسية للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة اجتماعها الحادي والعشرين بالقاهرة يومي ٣-٤ / ٢ / ٢٠١٠م، برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر وبحضور فخامة المشير/ عبدالرحمن سوار الذهب - نائب رئيس المجلس، رئيس مجلس أمناء منظمة الدعوة الإسلامية، ومعالي الشيخ/ يوسف جاسم الحجي، نائب رئيس المجلس ورئيس الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت، ومعالي الدكتور/ عبدالله عمر نصيف - الأمين العام للمجلس، وسعادة الدكتور/ بدر الماص - الأمين العام المساعد، وأصحاب المعالي والسعادة رؤساء اللجان المتخصصة ورؤساء المنظمات الإسلامية الأعضاء والسادة المراقبين والضيوف ورجال الإعلام.

وقد ناقش الاجتماع ما ورد في بيان الأمانة العامة للمجلس، وما تضمنه من نشاط لها خلال السنة الماضية لتدعيم وتطوير آليات التنسيق بين الهيئات واللجان، والتنسيق الذي تم بين الأمانة العامة ولجنة القدس وفلسطين، والذي تبلور في إقامة ندوة عالمية عن شئون القدس والمسجد الأقصى بالأردن خلال شهر أكتوبر عام ٢٠٠٩م بدعم كريم من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بليبيا.

كما أطلع الاجتماع على الخطوات التي قامت بها الأمانة العامة لتطوير وتنشيط أعمالها، وأهم المشروعات والرؤى المستقبلية التي قدمتها، لتنفيذها في الفترة المقبلة بإذن الله..

وقد قدمت الهيئة التأسيسية شكرها للأمانة العامة للجهود المبذولة في متابعة أعمال المجلس.

كما ناقش الاجتماع التقارير المقدمة من اللجان المتخصصة في مختلف المجالات الآتية:



أولا: في مجال التعليم والدعوة والفكر.

ثانيا: في المجال الاغاثي.

ثالثا: في مجال التمويل والاستثمار.

رابعا: في مجال القدس وفلسطين.

خامسا: في مجال الشباب.

سادسا: في مجال الحوار.

سابعا: في مجال المرأة والطفل.

ثامنا: في مجال حقوق الإنسان.

تاسعا: في مجال الإعلام والنشر.

عاشرا: في مجال إفريقيا.

حادي عشر: في مجال الأقليات الإسلامية.

وقد أكدت الهيئة التأسيسية للمجلس على أهمية الدور الذي تقوم به لجان المجلس المتخصصة لتحقيق أهداف المجلس وتنفيذ مشاريعه المشتركة التي تتبناها هيئات المجلس في اجتماعاتها المختلفة، كما تدعو الهيئة التأسيسية لجان المجلس لأهمية التنسيق فيما بينها للمزيد من التعاون في المجالات والأعمال التي يمكن أن تشترك فيها أكثر من لجنة.

كما أوصت الهيئة التأسيسية بتبني اقتراح وزارة الأوقاف الكويتية في تفعيل التنسيق بين اللجان عن طريق «المركز الالكتروني» للتنسيق والتعاون بين لجان المجلس المتخصصة.

أما في مجال القضايا الإسلامية، فقد ناقشت الهيئة التأسيسية العديد من القضايا الهامة التي تشغل الرأي العام وخاصة في العالمين العربي والإسلامي، وفي مقدمتها القضايا التالية:

أولا: الانتهاكات الإسرائيلية للمسجد الأقصى، والأخطار التي تتعرض لها مدينة القدس سكانا وعمرانا وهوية، وبناء على ذلك أصدرت هيئات المجلس «نداء القدس والأقصى المبارك» من أجل نصرة القدس والأقصى المبارك، كما قررت إقامة ندوة دولية في إحدى الدول الأوروبية عن القدس والمسجد الأقصى.

ثانيا: القضية السودانية وما يتعرض له السودان من ضغوط خارجية، وتأكيد الهيئة التأسيسية دعمها ومناصرتها لجهود الحكومة السودانية لحل أزمة دارفور سلميا.

ثالثا: العراق ومناشدة المجلس شعب العراق بمختلف فئاته للحفاظ على وحدة العراق وشعبه حقنا للدماء وكرامة الحياة الإنسانية.

رابعا: الصومال: ناقشت الهيئة التأسيسية الأوضاع في الصومال، واطلعت على جهود معالي الأمين العام بشأن المصالحة بين الفصائل المتصارعة هناك.

خامسا: كما تم عرض وضع قضية كشمير والمعاناة مازالت مستمرة، وأهمية إعطائهم حق تقرير المصير.

وأخيرا فإن الهيئة التأسيسية للمجلس تتقدم بوافر الشكر لوزارة الأوقاف الكويتية للمساهمة الكريمة في إقامة هذا الاجتماع، كما تتقدم أيضا بالشكر لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية في ليبيا لتكفلها بالإسهام المادي لإقامة ندوة القدس الدولية في عمان ٢٠٠٩م.

كما تشيد الهيئة التأسيسية بالأزهر الشريف ودوره في رعاية هذا المجلس برئاسته ودوره الريادي في الدعوة الإسلامية على المستوى العالمي.

كما تشكر الهيئة التأسيسية الأمانة العامة للمجلس ممثلة بأمينها العام ومساعده ومدير المجلس والجهاز الإداري على جهودهم في تنسيق أعمال المجلس وفي توفير التسهيلات لإنجاح هذا الاجتماع.

«نداء القدس والأقصى المبارك»

وقد أصدر المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والاغاثة ـ لجنة القدس وفلسطين، نداء للعالم الإسلامي والأمة العربية بشأن القدس والمسجد الأقصى المبارك، جاء فيه:

تواجه المدينة المقدسة، سكانا وعمرانا وهوية، تحديات صهيونية وأخطارا تهويدية تحت الاحتلال الصهيوني، ويتعرض الأقصى المبارك الى أخطر مؤامرة في تاريخه.. خططت لها السلطات الصهيونية المحتلة لتقويض أركانه وتعريضه لأخطار الحفريات والانهيار.. كما يعاني السكان المقدسيون أقصى ظروف حياة الضنك وتهديد البقاء، وتتعرض هوية المدينة المقدسة على الاستلاب والتهويد القسري والاستيطان الاستعماري.

إنها معركة المقدسات والسكان والعمران في مواجهة التهويد والاستيطان والاستلاب.

فالإيمان والصمود والتمسك بالحقوق المشروعة في مواجهة الإرهاب الصهيوني واعتداءات قطعان المستوطنين.. لابد وأن

ينتصر ويهزم قوى الاحتلال.. لتظل القدس الشريف عصية على الصهيونية.. ويبقى الأقصى المبارك صامدا على أركانه وبنيانه، وحيا فى ضمائر أبناء الأمة وأجيالها.

إن صمود القدس، سكانا، وعمرانا وهوية، يتطلب عملا كبيرا وشموليا من الأمة العربية والإسلامية يشمل مختلف جوانب الصمود ومقوماته، والأمة مدعوة لتلبية نداء القدس من مختلف مناحي الحياة.

والسلطات الصهيونية المحتلة تشدد من محاصرتها للسكان فى مشاريعهم الاقتصادية بفرض الضرائب الباهظة لتقويض حياتهم الاجتماعية. وهذا يتطلب تمكين السكان المقدسيين بدعم مشاريعهم الاقتصادية وتعزيز قدرتها على البقاء والصمود والتحدى. أما مخاطر الاستيطان التى تستهدف العمران والسكان وهدم البيوت ومصادرة الأراضى ومنع إعادة إعمار المساكن لفرض التهجير والاختلال السكانى، وهذا يتطلب توفير الدعم لإعمار البيوت المقدسية وتوفير السكن الكريم فى بيت المقدس.

وأما ما تواجهه المؤسسات الثقافية والتربوية وبخاصة التعليمية من شح الموارد وضعف الإمكانات وترهيب المعلمين والمتعلمين ومنع التحديث والتطوير فى التجهيزات والتقنيات التربوية.. فيتطلب الدعم المتواصل لتلك المؤسسات والعاملين فيها لتظل قادرة على إعداد المواطن المقدسى المؤمن بعقيدته والمتمسك بحقوقه والمدرك لدوره دفاعا عن القدس ومقدساتها.

أما الأقصى المبارك، جوهر المدينة المقدسة ودرتها، فإنه الهدف النهائى للصهيونية لتقويضه وإقامة الهيكل المزعوم الذى لم يعرف له أثر.. هذا إن وجد فعلا فى المدينة المقدسة، ويتطلب الدفاع عنه لمواجهة التحدى الصهيونى والمرابطة فيه لحمايته من الاقتحام ونوايا السوء لدى الفئات الصهيونية التى تحاول اقتحامه تحت رعاية السلطات المحتلة وحمايتها.. وإن الأمة مدعوة لدعم الجهود وأعمال الرعاية والصيانة والإعمار التى تتولاها وتقوم بها منذ عقود لجنة إعمار الأقصى والمقدسات الدينية فى القدس الشريف، باعتبارها الجهة الراعية لأعمال الإعمار واستمراريتها ومنع السلطات الصهيونية من التدخل فى شؤونه.

وإزاء هذه المخاطر والتحديات الصهيونية، فإن المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة يناشد الأمة العربية والإسلامية، قادة وشعوبا، وهيئات ومؤسسات مجتمعية ومدنية للتجاوب مع هذا النداء لنصرة القدس والأقصى المبارك والمقدسات الدينية فى القدس الشريف.. حيث عهد المجلس إلى لجنة القدس وفلسطين المنبثقة عنه مهمة التنسيق فيما بين الهيئات الأعضاء فى المجلس لوضع المشاريع والبرامج العملية التى تحقق الأهداف المنشودة للدفاع عن القدس الشريف وحماية الأقصى المبارك والمقدسات الدينية فى القدس.

والله المستعان وهو نعم المولى ونعم النصير.

أنباء مكتب الإمام الأكبر

للأستاذ/ أحمد إبراهيم توفيق
مدير عام الإعلام بمكتب الإمام الأكبر



الإمام الأكبر يستقبل وزير العدل الصومالى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى ـ شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم الثلاثاء الموافق ١٩ / ١ / ٢٠١٠ الدكتور/ عبد الرحمن محمود فارح وزير العدل والقضاء الصومالى، يرافقه السيد/ عبد الله حسن محمود سفير الصومال بالقاهرة.

تأتى هذه الزيارة فى إطار التعاون المشترك بين الأزهر ودولة الصومال والتى تمتد لأكثر من خمسين عاما.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسادة الضيوف فى الأزهر الشريف، مشيداً بالصلة القديمة

بين مصر والصومال، وأن أبناء الصومال يفدون إلى مصر للدراسة بالأزهر الشريف على منح من الأزهر، ويبلغ عددهم نحو «١٠٠٠» طالب يدرسون بالأزهر الشريف، وهم بذلك سفراء الأزهر حينما يعودون إلى بلادهم لأنهم سينقلون ما تعلموه من علوم عربية وشرعية لذويهم، فالأزهر يعلمهم سماحة الإسلام، والتصرف في الأمور الدينية بالوسطية والاعتدال، كما أن لدى الأزهر بعثة من العلماء هناك يعاونون في تعليم أبناء الصومال الأمور الدينية والشرعية ويبلغ عددهم «٢٧» عالماً، والأزهر لا يدخر وسعاً في تلبية كل ما تطلبه الصومال.

ومن جانبه شكر معالي الوزير فضيلة الإمام الأكبر على البعثة الأزهرية التي تضم علماء الأزهر الذين يقومون بالتعاون مع أبناء الصومال في العملية التعليمية وعلى ما يقدمه الأزهر من خدمات تعليمية ورعاية صحية وإعاشة كاملة بمدينة البعوث الإسلامية لطلبة الصومال الذين يدرسون على منح دراسية.

وأوضح بأن الأزهر هو المرجعية الدينية ذات السمعة الطيبة والمكانة العظيمة في قلوب الشعب الصومالي وشعوب العالم أجمع لما يقدمه من تعاليم الدين الإسلامي بوسطية واعتدال وهو ما جعله قبلة المسلمين العلمية والدينية.

.. ويستقبل وفداً إعلامياً سودانياً

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر الشريف - بمكتبه اليوم «الاثنين» ١٨ / ١ / ٢٠١٠م أعضاء الوفد الإعلامي السوداني الذي يزور القاهرة بدعوة من وزارة الإعلام (الهيئة العامة للاستعلامات) في الفترة من ١٨ - ٢١ يناير ٢٠١٠ ويرافق الوفد من الخرطوم السيد المستشار/ محمد علي غريب رئيس المكتب الإعلامي بالخرطوم ومدير المركز الصحفي السوداني بالقاهرة.

كما يرافق الوفد السيد السفير/ إسماعيل خيرت - رئيس الهيئة العامة للاستعلامات المصرية.. وفي بداية اللقاء رحب فضيلة الإمام الأكبر بالوفد الإعلامي السوداني في الأزهر الشريف، كما عبر رئيس الوفد عن سروره بزيارة الأزهر الشريف لما له من قيمة إسلامية.

ركز الحوار الذي دار بين فضيلة الإمام الأكبر والوفد الإعلامي السوداني على استنكار الأجواء التي دارت على أرض السودان من تفعيل إعلامي مغالا فيه حيث إن الصواب عندما تكون الأمور معتدلة يسودها الاحترام والأخوة المتبادلة، فالغالب اليوم ربما يكون مغلوبا غدا وفي النهاية يصافح الفريقان بعضهما البعض.

كما بين فضيلته بأن للسودان طلبة يدرسون بالأزهر الشريف وجامعته ما يقرب من ٢٤٠ طالبا وطالبة ينقلون ما تعلموه في الأزهر لأبناء بلادهم.. كما أن للسودان أئمة ووعاظاً



يحضرون الدورات التدريبية التي ينظمها الأزهر كل «٣ أشهر» للأئمة والوعاظ من العالم الإسلامي - يتلقون العلوم الدينية وكيفية إلقاء الخطب الدينية وفي نهاية الدورة يقدم لها مكتبة تحتوى على أمهات الكتب ونماذج من خطب الجمعة.

كما أشاد الإمام الأكبر بالعمل الإعلامي كمنظومة تبرز الحقائق بأمانة وصدق وحيادية وواقعية وأن ما يعرض علينا من أعمال دينية فإن الأزهر يقول رأيه بصراحة وإذا وجدنا أن العمل يساير الواقع التاريخي والديني بواقعيته دون خدش للحياء ولا يتعارض مع أحكام شريعة الإسلام فتبارك هذا العمل مثل أعمال الشيخ المراغي، والشيخ شلتوت، والشيخ الشعراوي.

ومن جانبه شكر نقيب الصحفيين السودانيين فضيلة الإمام الأكبر على ما عرضه مؤكداً أنهم استفادوا منه كصحفيين ولأنهم جاءوا بدافع ديني، مشيدا بتواصل العلاقات الوطيدة بين الأزهر والسودان والإعلام المصري، موضحا بأن أبناء جنوب السودان يتعايشون بعلاقات طيبة متماسكة وعلينا كإعلاميين توضيح ما يحدث بصدق مستنكرين ما يصوره الإعلام الغربي عن جنوب السودان بصورة مغلوطة.

وفي نهاية اللقاء أكد الوفد أن الأزهر هو المرجعية الصادقة للعلوم الدينية ولا نستطيع أن نستغني عنه بل علينا أن نطمع في النهل من خبرة الأزهر في التعليم الديني بالسودان.. حضر اللقاء الأستاذ الدكتور/ أحمد الطيب رئيس جامعة الأزهر.



الإمام الأكبر يستقبل مدير الجامعة الإسلامية بسيريلانكا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى بمكتبه يوم الأربعاء الموافق ٦ / ١ / ٢٠١٠ السيد السفير/ إبراهيم أنصار سفير سريلانكا بالقاهرة والدكتور/ محمد على شكرى - مدير الجامعة التنظيمية الإسلامية بسريلانكا والأستاذ/ أغار محمد عبدالكريم - نائب المدير والوفد المرافق.

رحب فضيلة الإمام بالسيد السفير مشيداً بدولة سريلانكا التى يتعاون أبناؤها ليسود الأمن والأمان والاطمئنان والرخاء لأنه تعاون للعمل من أجل نهضة سريلانكا ونحن فى الأزهر نقول اعملوا من أجل نهضة بلادكم ونعلم طلابنا الذين يدرسون بالأزهر أن الناس جميعاً أخوة فى الإنسانية وأن الاختلاف فى العقائد لا يمنع من التعاون وأن لكل إنسان عقيدته وأن الذى يحاسب على العقائد هو الله ونرحب بطلاب وطالبات سريلانكا الذين يأتون للتعلم بالأزهر من أجل نشر الأمان والرخاء والاطمئنان حينما يعودوا لبلادهم حيث إنه يدرس بالأزهر بمراحله المختلفة وجامعته العريقة «٥٧» طالب وطالبة من أبناء سريلانكا وأن للأزهر بعثة مكونة من ٣٠ عالماً يعملون فى مجال الدعوة والتدريس والوعظ بسريلانكا، ونحن فى مصر نقول إن كل مواطن يتساوى فى الحقوق والواجبات مع غيره وإننا فى مصر نؤكد على أن كل من يحمل الجنسية المصرية يتساوى فى الحقوق والواجبات وهذا يطبق على مر التاريخ الحضارى لمصر لتكون مصر دولة آمنة يسودها التعاون والرخاء والكل يعمل قدر استطاعته.

ومن جانبه شكر السيد السفير فضيلة الإمام على إتاحة الفرصة له لهذا اللقاء مؤكداً أن المسلمين السنة فى سريلانكا والذين يمثلون ٨٪ من عدد السكان يتمتعون بكافة الحقوق والواجبات، ويؤدون أعمالهم لخدمة بلدهم سريلانكا وتطبق عليهم شريعة الإسلام فى الزواج ولدينا ٨ أعضاء مسلمين ممثلين فى الحكومة وأن الحكومة والجيش استطاعت التغلب على الصراعات المتمثلة فى المتمردين وبدأ السكان فى العودة إلى ديارهم بعد أن طردهم المتمردون منذ ١٩ سنة وأصبحت الأمور مستقرة كما طلب السفير من فضيلة الإمام زيارة سريلانكا مؤكداً أن تلك الزيارة ستمثل أهمية كبرى للمسلمين هناك، كما أوضح السفير بأن الانتخابات الرئاسية ستجرى نهاية الشهر الحالى مشيرا بأن رئيس الجمهورية الحالى مناصر للشئون العربية ومسألة فلسطين بصفة خاصة، حيث إنه كان يعمل رئيس لجنة التضامن مع الشعب الفلسطينى قبل توليه السلطة وأن دولة سريلانكا وفرت مبنى للسفارة الفلسطينية بسريلانكا وأن السلطة الفلسطينية أطلقت اسم رئيس سريلانكا على أحد الشوارع فى فلسطين.

كما تم خلال للقاء مناقشة بعض الأمور التعليمية وزيادة عدد المنح الدراسية.

ومن جانبه أكد فضيلة الإمام أنه سيقدم كل عون ومساعدة لسريلانكا وفيما يخص أمور الجامعة فسيقوم رئيس جامعة الأزهر بتدارس الموضوعات التى تخص الجامعة.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ/ على عبدالباقى - أمين عام مجمع البحوث الإسلامية.

الإمام الأكبر يستقبل وفد الحريات الدينية الأمريكية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر الشريف بمكتبه يوم الأحد ٢٤ / ١ / ٢٠١٠ م وفد الحريات الدينية الأمريكية برئاسة السيد/ ليوناردو أنتونى مفوض اللجنة والوفد المرافق لسيادته.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسادة الحضور فى مصر وأزهرها الشريف مؤكداً أن الأزهر دائما بابه مفتوح للحوار من أجل توضيح وتصحيح المفاهيم التى تسىء إلى الإسلام.

وأكد أن هناك أصولاً يجب أن تقوم عليها العلاقات بين البشر جميعا وهى أن الناس جميعا أخوة فى الإنسانية فى جميع أنحاء العالم وأن لكل إنسان عقيدته، ولا إكراه على العقائد، وأن الاختلاف فى العقائد لا يمنع من التعاون، وأن الذى يحاسب على العقائد هو الله وليس البشر، وأن الناس منذ أن أوجدهم الله فى هذا الكون مختلفون فى عاداتهم وعقائدهم وسلوكهم، وأن العقلاء دائما يعملون على أن تقوم العلاقات



بين الناس على الاحترام المتبادل والتعاون.

وقال إن التقدم الذى شهده العالم فى كافة المجالات يتطلب أن يكون هناك تعاون بين جميع أفراد المجتمع الإنسانى، باعتباره فرضا لازما حتى يعم السلام الذى نادت به جميع الأديان السماوية.

وأضاف فضيلة الإمام الأكبر أن الدراسة فى الأزهر تقوم على التوسط والاعتدال والابتعاد عن التعصب والعنصرية والطائفية الممقوتة وأننا فى الأزهر ترفض الخلط بين مفهومى الجهاد والإرهاب فالجهاد شرع لأمرين أساسيين :

الأول: الدفاع عن النفس والأرض والعرض والوطن.

والثانى: نصرة المظلوم ومساعدته حتى يأخذ حقه.

كما أضاف أن الأزهر يعمل دائما على تصحيح المفاهيم والفتاوى الخاطئة التى تتعارض مع الدين والعقل ونرد عليها، وأن كل من يريد أن يعرف الإسلام الصحيح فعليه أن يسأل علماء الأزهر.

ومن جانبهم أكد الوفد على أن الأزهر الشريف يطبق المعايير الدولية التى تعمل اللجنة على تطبيقها وأن الأزهر ليس سببا أو طرفا فى إثارة أو التسبب فى أى فهم خاطىء للمناهج الإسلامية ونحن عرفنا الآن معنى ومفهوم الدين الإسلامى الذى لا يتسبب فى أى إثارة أو إحداث أى عنف بين بنى البشر.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ/ محمد واصل وكيل الأزهر

ويستقبل سفيرة السويد

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر بمكتبه يوم الثلاثاء ٢ / ٢ / ٢٠١٠ السيدة مالن شيرى سفيرة السويد بالقاهرة وتأتى هذه الزيارة فى إطار التعارف.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيدة السفيرة فى مصر وأزهرها الشريف وقدم فضيلته شرحاً مبسطاً لمراحل التعليم المختلفة بالأزهر الشريف وجامعته العريقة مؤكداً بأن الدراسة بالأزهر الشريف تتميز بحفظ القرآن الكريم، كما أنها تمتاز بالوسطية والاعتدال والبعد عن التعصب الأعمى والبعد عن العنصرية البلهاء، وأشار إلى أننا نغرس فى نفوس الطلاب بأن الناس جميعاً من أب واحد وأم واحدة وتخلص العبادة لله وتتحلى بمكارم الأخلاق وأن تعطى كل إنسان حقه كما أن لكل إنسان عقيدته ولا إكراه على العقائد، والدين الإسلامى يعتبر الناس جمعياً أخوة فى الإنسانية.

وأوضح إن الإسلام ضد الإرهاب وضد العدوان وضد البغى وضد التخريب وضد قتل الآمنين سواء كانوا من المسلمين أو غير المسلمين.

وأضاف الإمام الأكبر أن السويد من الدول التى تعمل على إرساء أسس الحوار والتفاهم بين أبنائها باختلاف عقائدهم ومذاهبهم كما أنها تعامل المسلمين الموجودين بها معاملة كريمة بالإضافة إلى اهتمامها بالعلم والعلماء.

ومن جانبها أكدت سفيرة السويد أن الإنسان عندما يأتى للقاهرة يدرك جيداً قيمة مصر والأزهر فى العالم الإسلامى كما أن الكلمات التى استمعت إليها من فضيلة الإمام الأكبر تؤكد على قيمة الحوار وقدرته على حل أى اختلاف فى وجهات النظر.

وقالت إن وجود عدد مساو للطالبات فى الأزهر لعدد البنين معناه وجود سفراء للأزهر يمثلون المؤسسة الدينية والمجتمع المصرى فى الداخل والخارج.

وأشارت إلى أن المسلمين فى السويد يمثلون نسبة ٥٪ من عدد السكان، والحكومة مهتمة بالاتصال بالمجموعات الدينية وأننا نعمل على أن نشعرهم بأنهم يعيشون فى بلدهم.

كما أكدت أنها ستنقل ما استمعت إليه من فضيلة الإمام الأكبر إلى حكومة السويد لتوضيح الأمور الدينية المغلوطة لدى بعض المتشددين الذين لا يفهمون الأمور الدينية التى أوضحها فضيلة الإمام الأكبر.

أنباء مجمع البحوث الإسلامية

للأستاذ / يحيى سليمان

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية:
قصر استخدام لفظ الجلالة على المسلمين فقط.. تعصب مرفوض إسلاميا

أكد فضيلة الشيخ على عبدالباقى الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية أن قصر استخدام لفظ الجلالة (الله) على المسلمين فقط ومحاسبة أهل الكتاب عند استخدامه تعصب مرفوض إسلاميا ولا يدعو إليه الإسلام.

جاء ذلك أثناء استقبال فضيلته للسيد سيف الأنوار بن محمد القائم بأعمال سفير دولة ماليزيا بالقاهرة، والدكتور جميل بن هاشم مستشار ماليزيا والسيد عبدالله محمد المستشار الدينى بالسفارة.

رحب فضيلة الأمين العام الشيخ على عبدالباقى بالضيوف فى بلدهم الثانى مصر، مؤكدا على أن الأزهر لا يألو جهدا فى القيام بواجبه فى الدفاع عن الإسلام ضد من يكيدون له، فى عالم يموج بالعديد من المتغيرات الخطيرة.

من جانبهم أعرب أعضاء الوفد الماليزى عن عظيم تقديرهم للأزهر، وللدور الذى يقوم به دفاعا عن الإسلام، وعرض الوفد على فضيلة الأمين العام سؤالا مؤداه أن هناك بعض الهيئات بماليزيا لاتريد للمسيحيين التلفظ بلفظ الجلالة (الله) مدعية أن هذا حق أصيل للمسلمين فقط.


الشيخ/ على عبدالباقى

أجاب فضيلته أن فرض هذا الأمر يعتبر مخالفة شرعية حيث إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو رب جميع الأجناس، ورب الإنسانية جمعاء، فكيف لفئة دون أخرى الاستئثار بلفظ الجلالة دون غيرها.

إن من حق كل إنسان أيا كان معتنقة ومعتقدة استخدام كل أسماء المولى ـ جل وعلا ـ التى اختارها لنفسه، أو التى أنزلها فى كتبه أو التى علمها لأحد من خلقه، أو استأثرها لنفسه، ولا يجوز لأحد أن يحرم أحداً من استخدام أى اسم من أسمائه عز وجل، لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ رب الجميع وليس هناك ما يمنع من استخدام لفظ الجلالة.

أضاف الأمين العام أن الأزهر الشريف يرفض العصبية المقيتة التى تدعو إلى تصادم العقائد وتشابك الألفاظ بما يؤدى إلى التنازع والتناحر، مؤكدا أن الإسلام يدعو إلى المحبة العملية التى تفرض على أتباعه إيجاد قواسم مشتركة مع أهل الديانات الأخرى، فضلا عن تبنى خطاب دينى يتسم بالعقلانية فى تناول الأمور حتى نفوت الفرصة على كل من يريد بث الفرقة بين أبناء الوطن الواحد.

مشيرا إلى أن الوقيعة بين المسلمين والمسيحين أسلوب استعمارى خبيث هدفه إثارة الفتن والقلاقل فى أكثر من مكان فى العالم.

وفيما يتعلق بتدعيم لجنة الفتوى العامة بماليزيا أكد الشيخ على عبدالباقى أن الأزهر الشريف على استعداد كامل لإمداد لجنة الإفتاء فى ماليزيا بكل ما من شأنه تدعيم اللجنة وتزويدها بكل ما تحتاجه، وأكد فضيلته أن مكتبه من اليوم سيعكف على استقبال أية استفسارات ترد إليه من ماليزيا والرد عليها فورا بالفاكس.

حضر اللقاء الأستاذ إسماعيل أحمد أبوالهيثم مدير المركز الصحفى بمكتب الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية.

بيان الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية بشأن أسماء الله الحسنى

عرض على مجمع البحوث الإسلامية دراسة عن أسماء الله الحسنى وتبين للمجمع وجود بعض الأسماء بها غير الأسماء التسعة والتسعين التى عليها الجمهور والتى أجمعت عليها الأمة من السلف والخلف.

ومجمع البحوث الإسلامية يرى انطلاقاً من مسئوليته الدينية أن أسماء الله الحسنى لا يعرف عددها إلا الله ـ سبحانه وتعالى ـ وحده، حيث إنه لا يوجد نص قاطع من القرآن والسنّة فى تحديد هذه الأسماء، وأن أرجح الروايات وأشهرها فى تحديد أسماء الله الحسنى هى رواية الترمذى وغيره عن الوليد بن مسلم المشهورة بين الأمة والمعمول بها والمجمع عليها.

ومن ثم يرى المجمع أن أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين المشهورة بين الأمة توقيفية، حيث إن الأمة قد أجمعت على العمل بهذه الأسماء التى اشتهرت بينها حتى وإن كانت من إدراج الوليد بن مسلم، فإن الذى يعطيها المشروعية أن علماء الأمة من السلف والخلف لم ينكر أحد منهم هذه الأسماء ولم يقل بخطئها، كما رواها الجم الغفير من علماء السنّة والحديث منهم: الترمذى، وابن حبان، والحاكم، وابن خزيمة، والبيهقى، والدارمى، وابن ماجه، وقامت عليها جميع الشروح لكبار العلماء من الأمة مثل الشيخ أبوالقاسم البقالى، وأبواليمن سعد اليمانى، وأبوالعباس أحمد البونى، والإمام البيضاوى، والإمام أبوحامد الغزالى، والإمام القرطبى، والإمام البيهقى، والإمام الخطابى.

وإن الآراء التى يدعو إليها البعض الآن لم تكن فى غيبة عن هؤلاء العلماء، إلا أنهم لم يعولوا عليها، ورجحوا رواية الوليد بن مسلم عليها وبقيت فى كتب التراث حتى اليوم، فما الداعى إلى هذا التشدد نحو الاتجاه الذى أغفله علماء السلف.

ولذلك يؤكد المجمع قراره بالالتزام بما عليه الجمهور منذ بدء الرسالة وحتى اليوم من أن أسماء الله الحسنى توقيفية، وليس لأحد أن ينكر بعض هذه الأسماء التسعة والتسعين التى تعارفت عليها

الأمة وتلقتها بالقبول سلفاً وخلفاً، وليس لأحد أن يطالب بحذف بعضها واستبدالها بأسماء أخرى، وإلزام الناس بها، لأن فى ذلك خطراً كبيراً وفتحاً لباب الفتنة والبلبلة.

وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾
(الرعد: ١٣)

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

على عبدالباقى شحاتة

الأزهر يرفض تجسيد شخصيات الأنبياء والصحابة على شاشات الفضائيات

قرر مجلس مجمع البحوث الإسلامية التمسك بقراره الصادر فى ٣٠/٦/١٩٩٩ والذى نص على عدم الموافقة على ظهور أشخاص يمثلون شخصيات الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم وكذلك العشرة المبشرين بالجنة وآل البيت الكرام على شاشات التليفزيون، وذلك ردا على الكتاب الوارد من الأستاذ أسامة الشيخ رئيس مجلس أمناء اتحاد الإذاعة والتليفزيون إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بشأن رغبة إحدى القنوات الفضائية فى إنتاج مشروع مسلسل عن ثانى الخلفاء الراشدين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه.

صرح بذلك فضيلة الشيخ قاسم محمد قاسم مدير عام الإدارة العامة لشئون مجلس المجمع ولجانه.

المسابقة العامة للابتعاث

تم الإعلان عن المسابقة العامة للابتعاث للعام الدراسى ٢٠١٠/٢٠١١م، حيث تقدم حتى الآن ٥٢٩٠ من السادة العاملين بالتعليم والدعوة وذلك لتدريس المواد الشرعية والعربية والثقافية واللغات الأجنبية..

وقد تقرر عقد الاختبارات للمدرسين والدعاة المرشحين للابتعاث فى اللغة العربية والمواد الشرعية والقراءات والوعظ واللغات يوم الأحد الموافق ٢١/٢/٢٠١٠ حتى منتصف شهر مارس بمبنى مجمع البحوث الإسلامية.

صرح بذلك فضيلة الشيخ فوزى زيدان الأمين المساعد للبعوث الإسلامية.

٩٣ مسلما ومسلمة من النرويج يدرسون بالأزهر الشريف

بلغ عدد الطلاب المسلمين الوافدين من النرويج للدراسة بالأزهر الشريف (٩٣) طالبا وطالبة موزعين على النحو التالى:

- الدراسات الخاصة ـ طالبان، وطالبة واحدة.
- المرحلة الابتدائية ـ (٤٢) طالبا، و(١٩) طالبة.
- المرحلة الإعدادية: ـ (٨) طلاب، و(١٣) طالبة.
- المرحلة الثانوية ـ (٤) طالبات.
- التعليم الجامعى ـ طالبان، وطالبة واحدة.

صرح بذلك فضيلة الشيخ رجب سليم مدير عام الإدارة العامة لشئون الطلاب الوافدين.



الأمم المتحدة تدعو إسرائيل إلى إنهاء حصار غزة

دعت الأمم المتحدة مجددا إسرائيل إلى إنهاء الحصار المفروض على غزة ووقف عمليات الإجلاء وهدم المساكن وضمان احترام حقوق الأطفال والقيام بتحقيقات بشأن ارتكاب عمليات تعذيب.. وقال أمينها العام بان كى مون فى تقرير جديد صدر عن وضع حقوق الإنسان الفلسطينى على وجه الخصوص أنه على حكومة إسرائيل السماح بدخول المواد الإنسانية ومواد البناء إلى غزة لإعادة بناء الممتلكات والبنية التحتية وأن تواجه بفعالية وبصورة فورية أزمة المياه والصرف الصحى والبيئة فى غزة.. مشيراً إلى الدمار الذى لحق بالقطاع جراء العدوان الإسرائيلى الأخير عليه. وأشار كى مون إلى المعاملة القاسية للأطفال الفلسطينيين حيث وردت تقارير بضرب الأطفال وإرغامهم على الوقوف لساعات طويلة فى أوضاع مؤلمة والتهديد بانتهاكات جنسية وتغطية الرأس بأكياس بلاستيكية، مؤكدا ضرورة التزام كل الأطراف بقانون حقوق الإنسان والقانون الإنسانى الدولى، وفيما يتعلق ببناء الجدار الفاصل فى الضفة الغربية أكد الأمين العام ضرورة تفكيك الجدار من على الأرض المحتلة مما يتوافق مع الرأى الاستشارى لمحكمة العدل الدولية وضرورة وقف سياسة الإجلاء وهدم المنازل فى القدس الشرقية ومنح تصاريح البناء دون تمييز للجميع فى القدس الشرقية.

مقتل ١٠ أفغان فى احتجاجات على تدنيس القوات الأجنبية للمصحف

قال مسئولون أفغان إنهم يحققون فى اندلاع مظاهرات عنيفة فى إقليم هلمند شهدت قتل قوات الأمن الأفغانية ١٠ من المتظاهرين وإصابة آخرين بعد مصرع ضابط فى جهاز المخابرات نتيجة إطلاق النار عليه من قبل محتجين.. وكانت مناطق واسعة فى جنوب أفغانستان قد شهدت مسيرات احتجاج ضد قوات الاحتلال الأجنبية بعد أن قامت عناصر من تلك القوات بتدنيس المصحف الشريف أثناء تنفيذ عملية فى

ولاية هلماند وزعم بيان الاحتلال أن المظاهرة التي بدأت بشكل سلمي تطورت بشكل عنيف بعد أن أطلق قناص النار على جندى أفغانى فقتله، مما اضطر عناصر من حلف الأطلنطى إلى الرد على القناص وقتله فى موقع الحادث.. من جهة أخرى قتل ٢٠ مدنيا على الأقل فى انفجار انتحارى استهدف سوقا تجاريا مزدحمة فى جنوب أفغانستان.

وقال جمعة غول أحمد قائد شرطة ولاية أوروزغان: إن ٢٠٠ شخصا جميعهم مدنيون قتلوا وأصيب ١٣ آخرون بجروح فى انفجار قنبلة فى سوق تجارية مكتظة فى اقليم دهرواد. وأعلن حلف شمال الأطلنطى أن ضابطا أفغانياً قتل وجرح أربعة من رجال الشرطة ومدنى فى تفجير انتحارى بمنطقة قلعة موسى من اقليم هلماند. وبلغ حجم الخسائر بين صفوف المدنيين الأفغان خلال العام الماضى أكثر من ٣٤٠٠ قتلوا على أيدى المتمردين وقوات حلف الأطلنطى وفقا لتقرير للأمم المتحدة، وفى ولاية هلماند المجاورة حيث معقل حركة طالبان قتل شرطى فى حادث انفجار قنبلة لم تتضح ملابساته بعد.

مجلس سويسرى للدفاع عن الإسلام

أنشأت مجموعة من السويسريين المسلمين مجلسا مركزيا للدفاع عن الإسلام وتصحيح صورته السلبية التى سادت خلال العقود الأخيرة. وقد برزت الفكرة خلال شهر أكتوبر الماضى وتحولت إلى واقع على ضوء التطورات الأخيرة لقضية المآذن. وقد بدأ المجلس نشاطه فى ديسمبر الماضى بتنظيم مسيرة سلمية فى العاصمة السويسرية برن رفعت شعارا يطالب بوقف الهجوم على الإسلام. وقد لفت أنظار المسئولين السويسريين تدفق التبرعات على المجلس بمجرد الإعلان عن إنشائه. وفى مؤتمر صحفى عقده نيكولا بلانش رئيس المجلس منذ أيام أعلن أن للمجلس أهدافا قصيرة الأجل وأخرى طويلة الأجل، ومن بين الأهداف قصيرة المدى الوصول بالنشاط إلى المدن الكبرى عبر حملات تتضمن معلومات صحيحة عن الإسلام يسهل على العقل الغربى فهمها وقبولها وتخصيص مركز للاتصالات والاستعلامات للإجابة عن أى أسئلة أو استفسارات عن الإسلام، ومن الأهداف بعيدة المدى أن يتحول المركز ليكون المتحدث الرسمى باسم الإسلام السنى المعتدل وإنشاء دار للفتوى ومجموعة من المدارس المعترف بها.

د. عكرمة صبرى يحذر من مخطط لحرمان المقدسيين من الإقامة فى مدينة القدس

حذر الشيخ عكرمة صبرى رئيس الهيئة الإسلامية العليا وخطيب المسجد الأقصى المبارك من مخطط إسرائيلى يسعى إلى حرمان أكثر من مائة وخمسة وعشرين ألف مواطن مقدسى من حق الإقامة فى مدينة القدس.

وأوضح د. صبرى أن سلطات الاحتلال الإسرائيلى دأبت طيلة السنوات الأخيرة على تنفيذ عدة إجراءات لعزل ومحاصرة مدينة القدس من خلال إنشاء نقاط عبور عند جميع مداخلها وإقامة الحواجز العسكرية وبناء السور الفاصل.

بالإضافة إلى تشجيع المقدسيين الذين يقطنون خلف الجدار على البقاء فى مساكنهم عن طريق تشكيل

لجان محلية تابعة لبلدية القدس لإدارة شئون حياتهم وافتتاح مكاتب لمؤسسات رسمية إسرائيلية لتقديم خدمات اجتماعية وصحية محدودة لهم، وبالتالى الحيلولة دون انتقالهم إلى داخل المدينة المقدسة.

أكد د. عكرمة على أن البلدة القديمة فى القدس تتعرض حاليا لترسيخ الاستيطان فى قلب الأحياء العربية وإيجاد حزام بشرى يهودى حولها وربطه بالمستوطنات الكبرى. وأشار إلى أن وزارة الداخلية الإسرائيلية رصدت فى بداية العام الحالى ميزانية ضخمة لهدم منازل المقدسيين وتعديل الخريطة الديمغرافية فى مدينة القدس لصالح المستوطنين اليهود.

وطالب الشيخ عكرمة المحافل السياسية والمؤسسات الاقتصادية ومراكز حقوق الإنسان الدولية بتكثيف جهودها لوقف جميع ممارسات الطرد والتطهير العرقى ضد المقدسيين وإلغاء مشاريع تهويد مدينة القدس.

٥٣٪ من الأمريكيين لا يكنون مشاعر إيجابية تجاه الإسلام

أعلن استطلاع للرأى أجرته مؤسسة جالوب الأمريكية أن نسبة كبيرة من الأمريكيين يكنون مشاعر متحيزة ضد الإسلام والمسلمين بصورة عامة واستندت نتائج الاستطلاع إلى دراسة أجرتها المؤسسة الأمريكية فى محاولة لاستكشاف آراء الأمريكيين حول أربع ديانات رئيسية هى: الإسلام والمسيحية واليهودية والبوذية، وكذلك دراسة مدى تحيز الأمريكيين ضد أنصار تلك الديانات.

أوضحت نتائج الاستطلاع أن الأمريكيين بدوا أكثر تحيزا ضد الدين الإسلامى وأتباعه حين قال ٥٣٪ من المشاركين فى الاستطلاع انهم لا يكنون مشاعر إيجابية تجاه الإسلام فيما أشار ٢٢٪ منهم إلى أنهم لا يفضلون الدين الإسلامى على الاطلاق.

كما أكدت الدراسة أن ما يقرب من ثلثى الأمريكيين أعربوا عن قلة معرفتهم بالإسلام، مشيرة إلى أنه عندما سأل المستطلع عن آرائهم وعن مدى معرفتهم بالإسلام أقر ٤٠٪ منهم بأن معرفتهم قليلة فيما أقر ٢٣٪ منهم انهم لا يعلمون شيئا بالمرة عنه.

كما أشارت الدراسة إلى أن الأمريكيين ينظرون إلى الإسلام بطريقة سليمة أكثر من نظرتهم إلى المسلمين.

البنك الإسلامى للتنمية يحصل على أعلى تصنيف ائتمانى عالمى

أعلنت مؤسسة «ستاندرد آند بورز» وهى من أكبر مؤسسات التصنيف الائتمانى العالمية حصول البنك الإسلامى للتنمية على أعلى التصنيفات الائتمانية العالمية، وجاء فى حيثيات القرار أن هذا التصنيف المرموق يأتى مرده إلى تمتع البنك الإسلامى للتنمية برأسمال وسيولة ومحفظة أصول قوية علاوة على التزام الدول الأعضاء فى البنك بالدعم القوى له.

وأكد الدكتور أحمد محمد على رئيس مجموعة البنك الإسلامى للتنمية، اعتزاز البنك لكونه أحد

مؤسسات التمويل الدولية متعددة الأطراف القليلة التي أجمعت مؤسسات التصنيف العالمية الرئيسية الثلاث الأكبر في العالم وهي: مؤسسة استاندرد آند بورز ومؤسسة موديز، بالإضافة إلى مؤسسة فيتش، على تصنيف البنك بأعلى درجات التصنيف الائتماني، علاوة على إقرار لجنة بازل العالمية في عام ٢٠٠٤ أو الاتحاد الأوروبي في عام ٢٠٠٧م بحصول البنك الإسلامي للتنمية على «درجة مخاطر صفر» في كافة أنشطته الاستثمارية، وبهذه المناسبة أعرب رئيس المجموعة عن عميق امتنانه وتقديره لما يحظى به البنك من دعم قوي من كافة الدول الأعضاء، كما توجه بالتهنئة لكافة منسوبي مجموعة البنك على هذا الانجاز مؤكداً حرص المجموعة على مواصلة البذل والعطاء وتطوير الأداء بما يتماشى مع المتغيرات الاقتصادية العالمية المتلاحقة، وصولاً إلى تحقيق المزيد من الإنجازات في مجال دعم جهود التنمية بالدول الأعضاء، وبالتالي تحقيق رؤية البنك المستقبلية حتى العام (٢٠١٠).

انتقادات لوزيرة فرنسية بسبب تصريحاتها ضد المسلمين

ندد سياسيون فرنسيون معارضون بتصريحات أدلت بها وزيرة شئون الأسرة والطفل الفرنسية ضد المسلمين، واعتبروها تصريحات عنصرية، وتستهدف وضع الفرنسيين في مواجهة بعضهم. وكانت نادين مورانو وزيرة شئون الأسرة والطفل في فرنسا قد قالت لمسلمين شبان يعيشون في فرنسا إنه يتعين عليهم أن يحسنوا من هندامهم وأن يحتشوا ويكفوا عن التحدث بلغة دارجة في الأحياء الفقيرة، على حد وصفها.

ومورانو عضوة في الدائرة المقربة من الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي وأدلت بهذه التصريحات في بلدة صغيرة بشرق فرنسا أثناء نقاش حول الهوية الوطنية، واتهمت الجماعات المناهضة للعنصرية والسياسيين والاشتراكيين مورانو بإذكاء التوتر العنصري، وقالوا: إن الحكومة يجب أن تتخلى عن سلسلة من المناقشات حول الهوية الوطنية المثيرة لجدل شديد قبل أن يثير رد فعل عنيف، وقال امود مونتبورج عضو البرلمان الاشتراكي: «هذه عملية سياسية تستهدف وضع الفرنسيين في مواجهة بعضهم، وأن يثير حربا حول الثقافة والهوية، وحثت جماعة «إس. أو. إس راسيزم» المدافعة عن حقوق الإنسان رئيس الوزراء الفرنسي فرانسوا فيون على التدخل.

ويعيش نحو خمسة ملايين مسلم في فرنسا ويشكلون أكبر طائفة مسلمة في أوروبا، غالبيتهم العظمى مهاجرون من المستعمرات الفرنسية السابقة في شمال وغرب أفريقيا.

مفتي القدس: سرقة أعضاء الشهداء الفلسطينيين مناف للشرائع السماوية

استنكر مفتي القدس والديار الفلسطينية الشيخ محمد حسين قيام جهات إسرائيلية رسمية بسرقة الأعضاء من الشهداء الفلسطينيين وزرعها في أجساد الجنود الإسرائيليين المصابين، وقال المفتي: إن الله حفظ كرامة الإنسان حياً وميتاً، وبالتالي لا يجوز الاعتداء على الحي أو الميت، مشيراً إلى أن ما فعلته السلطات الإسرائيلية يعتبر منافياً تماماً لكل الشرائع السماوية، ومنافيا للأعراف والقانون الدولي.

وشدد الشيخ محمد حسين على أنه لا يجوز إطلاقاً أن نأخذ من حي أو ميت جزءاً من جسده دون

موافقته وبمحض إرادته، مشيراً إلى أن إسرائيل انتهكت كل القوانين السماوية والدولية لأنها لم تتبع القانون، واعتبر حسين ما قامت به إسرائيل، سرقة بالمعنى الكامل وانتهاكا لكرامة الشهيد الفلسطيني، وبالتالي لا يجوز شرعاً ولا عُرفاً ما فعلته، بموجب القوانين والأنظمة الدولية المعروفة في حالة الشهيد الذي يسقط في أرض المعركة.

ودعا المفتي المجتمع الدولي ومنظماته الإنسانية والحقوقية بفتح تحقيق دولي حول الموضوع وتقديم كافة المتورطين بالاعتداء على جثث الشهداء الفلسطينيين وسرقة أعضائهم وأجزاء من أجسادهم إلى المحاكم المختصة.

الرياض تستضيف مؤتمر التراث العمراني بالدول الإسلامية

تستضيف العاصمة السعودية الرياض أعمال المؤتمر الدولي الأول للتراث العمراني في الدول الإسلامية، في الفترة من ١٨ إلى ٢٣ أبريل المقبل.

شكلت الهيئة العامة للسياحة والآثار السعودية برئاسة الأمير سلطان بن سلمان لجنة علمية لمراسلة المختصين والباحثين واستقبال الأبحاث وتحكيمها بهدف تقديمها وعرضها خلال المؤتمر. ويرأس اللجنة الدكتور عبدالعزيز بن سعد المقرن، وتضم في عضويتها أعضاء من جامعة الملك سعود، ومن مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باسطنبول التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، كما تضم اللجنة أعضاء من كبار المختصين العالميين في مجال التراث العمراني.

أوضح المدير التنفيذي للمؤتمر الدكتور فيصل بن عبدالعزيز المبارك، أنه تمت مراسلة ما يزيد على ألف شخصية من بين أفراد ووزراء دول وجهات عالمية رائدة في مجال التراث العمراني في القطاعين العام والخاص والمنظمات الدولية المتخصصة وكبار مسئولي الشركات الاستثمارية العالمية ذات العلاقة.

الجامعة العربية تحث على المحافظة على مكانة لغة القرآن في التعليم والإعلام

حمّلت الجامعة العربية وسائل الاعلام والاتصال العربية المسئولية في النهوض باللغة العربية مما وصلت إليه من تدن نتج عن تعرضها لمحاولات مشبوهة من التشويه والتهميش التي تسيء إلى قواعدها سواء في المدارس أو حتى الشوارع.

وحثت على التنفيذ الفعلي للدعوة التي أطلقها القادة العرب في القمة العربية التي عقدت في دمشق عام ٢٠٠٨ باعتماد مشروع النهوض باللغة العربية بوجه عام وفي المدارس والجامعات بوجه خاص.

وحثت على ترجمة إقرار المشروع في القمة العربية الأخيرة التي عقدت بالدوحة مع تكليف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالتنسيق مع الجهات العربية المعنية والأمانة العامة للجامعة العربية بالبدء في إطلاق أعمال هذا المشروع ووضعه موضع التنفيذ. وقد بدأ التنفيذ بالفعل ولكنه بحاجة إلى تكاتف جميع الجهود.

The following is a depiction of the environment that brought us those great people as narrated by Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy in his marvelous book "The Mosque in Islam – Worshipping and Culture".

He says, "When I was young at the time of thinking about the environment around me, I saw the door of our house opened before dawn always, as my father used to wake up for dawn (Fajr) prayer. Also, I saw my father and my mother encouraging me to invocate to Allah at that time. At the time of innocent childhood, I was happy to go to the mosque at the darkness of the night, while electricity had not entered the village yet. However, the light of piety was spreading everywhere. The people were coming everywhere to the mosque and the children were accompanying the adults. In Ramadan, the mosque was glimmering as if it was a carnival."[1]

You can imagine a believing environment dedicated to Allah, what will be its fruit?

This is another picture for a house that brought to us one of the great persons of the previous century who is Abd Al-Aziz Al-Beshry. He depicts a picture for his childhood saying, "I was born in Sayyeda Zeinab area where I spent the period of my childhood and youth. I do not remember that I left a night without going to the mosque of As-Sayyeda Zeinab – may Allah be pleased with her - in Ramadan. I used to listen to the lesson of the great scholar, Sheikh Muhammad As-Samaloty – may Allah forgive him. After his time ends, Sheikh Ahmad An-Nady sits on the seat and starts reciting: "Taha. In no way have We sent down the Quran upon you for you to be wretched. (We have not sent it down) except as a reminding to him who is apprehensive". (Taha: 1-3).

It seems that the night was enlightened by the sweetness of his voice. He used to recite this surah every night and I was imagining that Jibril descends again to Muhammad (My the blessings and peace be upon him) with Surat Taha. His voice was so sweet that all the people enjoyed his recitation.

There is another picture depicted b y Ahmad Amin, as he says in his memories: "My father was teacher in Al-Azhar and Imam Ash-Shariy Mosque. Our home was full of this religious feeling, as my father used to perform the prayers at its due time, recite the verses of the Noble Quran in the morning and at night, read a lot the interpretation of the meaning of the Quran and the hadiths, remind death always, decreases the value of worldly life and its decoration, narrate stories about the good people and their deeds, give alms to his relatives and perform pilgrimage along with my mother and bring up his children

[1] The Mosque in Islam..Worshipping and culture, Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy, the present chief editor of Al-Azhar Magazine, vol. 1, p 117.

religiously. He used to awaken them at the time of Fajr prayer, regard them attentively at the other prayer times and ask them when and where they prayed".[2]

If you look at the house of the great persons of the beautiful time, you will see similar pictures. Thus we are sure that, "We are the ones that make the beautiful time and the bad one as well. When we provide our children a pure environment and good pattern so as that they do not see except the practice of Islam, love of Allah and follow the pattern of Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) and practice Allah's Shari'a, we will realize the reality of the wise poet's saying: We blame our time and we are to be blamed, We are the only reason for blaming our time.

The one who contemplates at the scenes we presented, he will realize that that they share one attribute which is truthful belief and the parents' bringing up of their children honestly. They carry out the saying of Allah, Glory be to Him: "O you who have believed, do not betray Allah and the Messenger, and do not betray your deposits and you know that". (Al-Anfal "The Spoils": 27).

They realize the wisdom of following this verse in Allah's saying:

"And know that your riches and your children are only temptations and that in the Providence of Allah is a magnificent reward".

(Al-Anfal "The Spoils" ; 28).

It seems that it is indication to necessity of bringing up the children honestly or it will be treason for Allah, His Messenger and the believers. Regret and pain are not the right way to reform our life. We should be truthful with ourselves to reform the spoiled behavior. We should present the good pattern to our sons and daughters. Thus, we will realize Allah's saying: "Surely Allah does not change what is in a people till they change what is in themselves".

(Ar-Rad "Thunder": 11).

[2] My life, Ahmad Amin, Al-Usra Library, year 2003, p 27.

Islamic Ideas: A Look at the Past...!

By: Dr. Hamdy Fotouh Waly

Nostalgia to the past and the genuine values is a phenomenon felt by many people in different ages and levels. The speech usually begins with an incident or a scene that affected the speaker or a sharp word that shocked him. Then, he does not find anything that relieves his sorrow except his getting back to the past and recalling the memories of the beautiful past. As soon as the speaker finishes his stories, the listeners respond to him with similar situations according to the memories of every participant in the speech.

These speeches – even if they are spontaneous without preparation – represent truthful mirror of the worries and circumstances of the people. Moreover, they witness this terrifying change in their tastes and feelings as long as what threatens their morals and traditions. From another side, they witness the extent of adherence of the people to great values of Islam and its customs and traditions.

The surprising matter in the phenomenon of regret and sorrow is that it is not restricted to the old people, who only had the right to long for the beautiful past, but nowadays we hear these speeches from men that did not reach forty years. In spite of their age, they remember values that, as they think, are not present now.

This situation reveals that this change in values does not need decades to occur. However, it occurs in one decade due to the simplicity of gaining information, the approximation of distances, the variety of communication means and the turning of the whole world into one village. This matters stirs fear and worry about the values and attributes of this nation, especially when we know that the values that disappear are that of the great Islam, with which we are the best nation.

If we try to categorize the situations and scenes that fill our meetings, we will see that they belong to the social side that reveals in the sayings, deeds, morals and deals. If the people do not realize from the situations and scenes except the outer appearance, the authors and scientists are the only people who are able to analyze and give reasons.

The good or evil destined to the nation appears from the share of their authors, scientists and thinkers. If they become good, the nation will be good because they represent its immunity system that encounters every foreign thing. If this system fails, spoilage will spread to all the sides of life. Unfortunately, we find many of our men of letters, scientists and thinkers are preoccupied with the trivial matters and the issues of the mental luxury.

They descended from the forefront in leading the nation. Moreover, they despaired from participating in political decision and neglected the protection of the moral and spiritual side. We find that each one of them cares about their personal issues and regards himself fortunate if he is nominated for a prize, elected for membership or selected for radio or satellite programs.

We should have men representing the live conscience, thinking mind and feeling of the nation. Also, they guard its general sense such as Ar-Rafiy, Al-Manfaloty, Al-Beshry, Al-Mazny, Abbas Al-Aqqad, Ahmad Amin and rajab Al-Bioumy. We should have also men in the field of poetry such as Shawqy, Hafiz, Al-Garem, Muharram, Mutran, Bakathir and Najib Al-Kilany. Moreover, we should have men in the field of religious innovation such as Muhammad Abdo, Rashid Reda, Hasan Al-Banna, Muhib Ad-Din Al-Khatib, Abu-Zahra and Ash-Sharawy. The existence of similar people in one century is enough to make this time a beautiful one. They were able to fill our culture and our ears with interesting and enjoyable science and art. They left their personal fortunes and sought every marvelous matter.

Those honorable people realized that they represent the safety valve and secret store of their nation. Also, they have their role in making its decisions and guarding its values. Thus, they performed their message well. You can compare between a nation in which the visitors of its cafes are those honorable people and what you see now in cafes spreading the smells of drunkenness, insult and hallucination.

It is the time now to ask ourselves about what happened and caused our cultural and spiritual life with this dangerous sterility. Also, we should search for the sources of power that caused the existence of this previous generosity. We can realize these reasons without contemplation or long search if we read what Allah, Glory be to Him, says: "And the good land, its growth comes out by the permission of its Lord, and (as for) that which is wicked, its growth does not come out except meagerly".

(Al-A`raf "The Battlements": 58).

The majority of people are excused if they found themselves victims for a time in which good pattern and pure environment are absent. They lost sound opinion, truthful advice and honorable. They missed the good and reminding of right as well as good behavior that their ancestors found at the time of the honorable.

Thus, we should cry over a time in which the major newspapers compete over the poems of the great poets put them at the beginning of their pages to reach the lovers of beautiful art. You can compare the two times: a time in which the mosque was refuge of the poor, foreigner and frightened person, or as Dr. Rajab Al-Bioumy described as a kind of comfort to the eyes and heart and the mosque we see now.

him). Allah assures this guarantee and bond for the Muslims. Allah, Glory be to Him, says: "The Prophet (is worthier of) patronizing the believers that their selves".

(Al-Ahzab "The Allied Parties": 6).

Allah's Messenger is more merciful for the Muslims than they do themselves due to his great love for the believers. Allah, Glory be to Him, emphasizes this meaning, as part of this love is transferred to his wives. Thus, they love the believers as if they were their mothers in their mercy, tenderheartedness and sympathy. Allah, Glory be to Him, forbade marrying anyone of the wives of His Messenger; as motherhood became part of their life and attitude towards the whole believers.

One of the evidences of the mercy of Allah's Messenger towards the believers is that he was asked from Allah to ask Allah for forgiving the male and female believers, as Allah ordered him in His saying: "So know that there is no god except Allah, and ask forgiveness for your guilty deed and for the male believers and female believers". (Muhammad: 19).

He used to do that for his love and mercy for the believers as alive or dead. Allah's Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) said, "One of your best days is Friday. Thus, ask Allah for forgiving me, as this is presented to me." The companions (may Allah be pleased with them) asked him, "How is it presented to you while you are dead and the earth eats the body of the dead." Allah's Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) said, "Allah, Glory be to Him, prevented the earth from eating the body of the prophets." This hadith is narrated by Ibn Magah and Abu Dawud.

Allah's Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) says, "When one salutes me, Allah brings back my souls to respond to him". This hadith is narrated by Ahmad and Abu Dawud. There are many people ask forgiveness for Allah's Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) in every time and in every prayer. Thus, they are wholly covered by his mercy towards his nation.

Al-Bukhary and Muslim narrated in their Sahih about Abu Huraiyra (may Allah be pleased with him). I am more entitled to the affairs of the believers than they themselves. The one who died and was indebted, I will pay his debt. The one who left money, its heirs deserve it. Allah put this mercy in the heart of the one He selected for performing His Message, as His Messenger was keen on the benefit of the believers and pushing back evil in his life and after death.

Thus, Ibn Saad narrated about Bakr Ibn Abdullah that Allah's Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: "My life is good for you; if I died, my death will be better for you. Your deeds are presented to me; if I find them good, I thank Allah; and if I find evil, I ask Allah for forgiving you."

For all of these great attributes that Allah granted to His Bondman and Messenger Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him), the believers and companions loved his too and competed in their love to him. Abdullah Ibn Omar (may Allah be pleased with them) was walking in the roads of Medina saying, "Guide me to find the footprints of Allah's Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him), as perhaps my feet walk over his feet prints."

This shows us the way the companions love Allah's Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him). This lets them follow him in all kinds of worship and worldly affairs. The one who considers carefully the words of Abdullah Ibn Omar will realize that he did not say that the one who walked over the footprints of Allah's

Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) will be rewarded in a certain way. He did not ask about the footprints of Allah's Messenger for the sake of gaining reward. However, he said so for his great love for Allah's Messenger, Muhammad Ibn Abdullah.

This love is a great grace from Allah granted to the persons He wills. The companions of Allah's Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) saw that his love is the key to every good and repentance because the basis of this love is following the pattern of the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him). Also, it is the way to Allah's love and satisfaction because Allah stipulated following Allah's Messenger for gaining Allah's love and satisfaction.

Allah, Glory be to Him, says: "Say, "In case you (really) love Allah, then closely follow me, (and) Allah will love you and forgive you your guilty (deeds); and Allah is Ever-Forgiving, Ever Merciful". (Al-Imran "The House of Imran": 31).

Imam Al-Bukhary narrated in his Sahih that An-Nu'man Ibn Umair (may Allah be pleased with him) at the beginning in his belief in Islam loved Allah's Messenger very much, but he committed many sins. When he repeated such sins, the companions cursed him in front of Allah's Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him). Also, they hated to accompany him because he should be penalized. They said, "May Allah curse him because of his sins." Allah's Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) was upset and said, 'Do not curse him, as he loves Allah and His Messenger."

Thus, his love for Allah's Messenger was the cause of the Prophet's Mediation from being insulted and cursed, but it did not protect him from penalizing him, because penalty is one of Allah's rights on the worshippers and the companions (may Allah be pleased with all of them). They dedicated themselves to Allah's love and following the pattern of Allah's Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) in worshipping and obeying Allah.

They feared to be prevented from him in the Day of Judgment for his sublimity. Thus, there is an agreed upon hadith about Ibn Masud (may Allah be pleased with him) who said that a man came to Allah's Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) saying, 'O Allah's Messenger, what do you say about someone who loves people and does not get them? The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) said, "The person will accompany the people he loves."

The Prophet's companions say that nothing cheered us more than this promise. If the love of Allah and His Messenger is fixed in the heart of the worshipping believer in the way that affects him in all of his deeds and sayings, Allah will protect him and let him walk in the straight path, that of the ones whom Allah have favored, other than that of the ones against whom You are angered, and not (that of) the erring.

The reward that the believer gets in return for the love of Allah and His Messenger is so great, as he will accompany the persons that Allah favored such as the prophets, the truthful people, the martyrs and the virtuous people. Certainly, this is the best company. We ask Allah, Glory be to Him, to grant us loving Him and His Prophet by following His Sharia and His approach. He is the Ever—Responding.

toppling precipice, (and) so it has toppled down with him in the fire of Hell? And Allah does not guide the unjust people". (At-Tawba "Repentance": 109).

Allah's Messenger (May the blessing and peace of Allah be upon him) ordered the people of benevolence and forbade them from sins. Moreover, he prevented himself from anything contradicting with perfection. Thus, when the sayings are supported by deeds, effect becomes great. Allah, Glory be to Him, says: "Indeed you have already had a fair example, in the Messenger of Allah, for whoever hopes for Allah and the Last Day and remembers Allah much". (Al-Ahzab "The Allied Parties": 21).

No one is like Allah's Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) in keeping promises, truthfulness, altruism, abstention from luxury, benevolence towards the needy and compassionating the Muslims. Thus, it is not amazing that they loved him more than they loved themselves. Allah, Glory be to Him, says: "Indeed there has already come to you a Messenger from (among) yourselves. Mighty to him is whatever distresses you. Most eager is he for your (welfare), to the believers (he is) constantly compassionate, constantly merciful".

(At-Tawbah "Repentance":128,129)

"And in no way have We sent you except as a mercy to the worlds".

(Al-Anbiaa "The Prophets": 107).

Allah, Glory be to Him, says: "And surely you are indeed of a magnificent character". (Al-Qalam "The Pencil": 4).

Thus, we see great difference between us and the Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) and his companions. They were able to pave their way among the disbelievers. However, we are not able to guide the perverted Muslims and persuade them that the contempt they feel is due to their negligence of applying the religion.

Thus, we should celebrate the birth of the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) by adhering to Allah's religion and spreading its principles in the nation to be enlightened. Thus, the closest way for reaching general welfare is to be real Muslims. Allah, Glory be to Him, said:

"And it is truly (binding) on Us to (give) victory to the believers".

(Ar-Rum "The Romans": 47).

Allah, Glory be to Him, said: "And might belongs to Allah, and to His Messenger and to the believers". (Al-Munafiqun "The Hypocrites": 8).

In the Memorandum of the Prophet's birth (May the blessings and peace of Allah be upon him His Great Attributes...!

By: The Honorable Sheikh Omar Ad-Deib
Member of the Islamic Research Academy

When Rabie Al-Awwal comes, we become under the shadow of the memorandum of our beloved Prophet Muhammad Ibn Abdullah (May the blessings and peace of Allah be upon him).

Allah selected the prophets and messengers out of all of the human beings to be the guiding light to them. He granted them with His Messages and sayings and prevented their souls from the normal sins of the other human beings before and after their Message. Thus, they will not be victim to the Devil. Allah made them like the stores of His mercy and knowledge. They are the best people at all (may the blessings and peace of Allah be upon them).

One of those selected Messengers is Prophet Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon him). Adam, Ibrahim, Mosa, Isa were promised of him. Allah educated and taught him as well as opened his heart, forgave him and linked Muhammad's name to His name in every prayer till the Day of Judgment.

Allah linked the Prophet's name to His Name, In the five daily prayers, Gave him an indication of His Name, Allah is praised and this Prophet's name is praised "Muhammad".

Allah ordered the believers to pray on the prophet, as He and His angels do. Allah, Glory be to Him, says: "Surely Allah and His Angels shower Serenity on the Prophet. O you have believed, pray for (benediction on) him, and submit in full submission".

(Al-Ahzab "The Allied Parties": 56).

Allah addressed Prophet Muhammad saying: "And in no way have We sent you except as a mercy to the worlds". (Al-Anbia "The Prophets": 48).

He eased his soul saying: "And endure patiently under the Judgment of your Lord".

(At-Tur "The Mount": 48).

He praised him saying: "And surely you are indeed of a magnificent character".

(Al-Qalam "The Pencil": 4).

The love of our Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) deeply exists in the hearts of the monotheists because he is merciful towards the believers. He is keen on the benefit and welfare of the Muslims in the worldly life and the hereafter. There is no more precious benefit than that of belief, winning paradise and salvation from Hell.

Consider the saying of Allah's Messenger to his companions, "The one who died and left money, it is assigned to his heirs. While the one who left debt, I am responsible for it". Also, when he attends a funereal, he used to ask, "Is he indebted?" If the dead person is indebted, he used to pay it. In the Day of Immolation, he used to slaughter two strong horned rams, one of them is for Muhammad and his family, and the other is for the poor of the nation of Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon

some of them and burned others to refrain from their religion and to leave the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him). Then, Allah permitted them to immigrate to Abyssinia escaping from oppression.

The polytheists besieged Bani Hashim and Al-Muttableb for three years, as they boycotted them, refrain from marrying their members and deprived them from food. They wrote a message stating these actions, but Allah let the woodworm eat it leaving only Allah's Name. The Prophet was informed with this event and told his uncle Abu Taleb, who informed the polytheists. When they were assured of his truthfulness, they were disappointed and did not respond to his call in arrogance and the siege came to an end.

After abu Taleb died, the enemies continued to plot against him and thought to get rid of him by the strong youths of all of the tribes to disable Bani Hashim to launch war against them. Thus, they would accept the blood money and the polytheists would get rid of him and his Da'wa. Allah informed His Messenger with their cunning plot. Allah, Glory be to Him, said: "And as the ones who have disbelieved were scheming to confine you, or kill you, or drive you out, and they were scheming, and Allah was scheming, and Allah is The Most Charitable of schemers". (Al-Anfal "The Spoils": 30).

Allah ordered him to immigrate to Medina. Thus, he immigrated, but the immigration also was encompassed by dangers. However, Allah granted His Messenger peace and the immigration took place in Allah's protection. The Islamic Message found strong advocators and immigrants. Then, Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) prepared the Muslims to protect the divine Message from the foolish polytheists. He fought them in Badr invasion after nineteen months from his immigration to Yathreb.

No doubt that Allah's Messenger was delegated at the age of forty and stayed in Mecca thirteen years calling for Allah' Message. Then, he stayed in Medina for nineteen months before he fought the disbelievers. This period was enough for the one who want to know the right. Allah's Messenger and the Muslims were permitted at the beginning to defend themselves and their creed. Allah, Glory be to Him, said: "The ones who are (forced to) fight and are permitted (to defend themselves) for that they are unjustly (attacked); and surely Allah is indeed Ever-Determiner over giving them victory". (Al-Hajj "Pilgrimage": 39).

Then, they were ordered to strive. Allah, Glory be to Him, said:

"O you Prophet, strive with the steadfast disbelievers, and the hypocrites, and be harsh with them; and their abode will be Hell; and miserable is the Destiny!"

(At-Tahrim "Prohibition": 9).

There are many verses and hadiths signifying strife for the sake of Allah. Thus, they began to fight and strive not for the sake of taking revenge or quarrel.

The verses of Al-Baqara and Al-Imran promised the martyrs, who die for the sake of Allah.

"And do not say of whomever are killed in the way of Allah, "(They are) dead." No indeed, they are alive but you are not aware".

(Al-Baqara "The Cow": 154).

"And indeed in case you are killed in the way of Allah or die, indeed forgiveness from Allah and mercy are more charitable than whatever they (heap) together." (Al-Imran "The House of Imran": 157).

Now it is crystal clear that the Muslims believed in Islam with their own will. They believed in the proofs that signified the existence of Allah and the delusion of worshipping the idols. Thus, the polytheists and disbelievers should be fought by sword. A poet said:

The sword is better than books

As its edge separates seriousness and fun

Thus, Islam depended on orienting the minds to the right path and revealed right. Moreover, it manifested the life of purity, straightforwardness and the Islamic instructions that achieve justice maintain dignity and eliminate the effects of delusion. It spread freedom and eliminated slavery, granting the reformers the ways of reforming the universe.

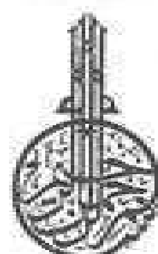
Allah, Glory be to Him, said: "Allah has promised the ones of you who have believed and done deeds of the righteousness that indeed He will definitely make them successors, and that indeed He will definitely establish for them their religion that He is Divinely satisfied with for them, and that indeed He will definitely give them in exchange, even after their fear, security. "They shall worship Me, not associating with Me anything." And whoever disbelievers after that, then those are they (who are) the immoral". (An-Nur "The Light": 55).

Allah, Glory be to Him, said: "We are willing to be bounteous to the ones who were deemed weak in the land, and make them leaders, and make them the inheritors". (Al-Qasas "The Narrative": 5).

The claim of the enemies of Islam that it spread by sword and bloodshed is a fabrication as well as an attempt to deviate the minds from the divine Message. The success that the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) and his companions achieved in twenty three years was great. This duration was short in comparison with the great Message. The reason for this success is the strong determination and continuous work for the sake of this great aim and stressing the sublime principles and sound bases. Allah, Glory be to Him, says: "So, is he who founded his structure upon piety to Allah and all-blessed Satisfaction more charitable, or he who founded his structure upon the brink of a

AL-AZHAR MAGAZINE

Rabi'ul-Awwal, 1431 A. H.



ENGLISH SECTION

March. 2010

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

In the Memory of the Birth of Allah's Messenger Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon him)...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

The memory of the birth of Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon him) enlightens the hearts and revives the soul stirring hope in them towards work. The birth of Muhammad announced the rise of getting the world from darkness to light. Also, it referred to the beginning of Islam and the divine Sharia that is the last of Allah's previous religions. Allah, Glory be to Him, said: "In no way is Muhammad the father of any of your men, but (he is) the Messenger of Allah, and the Seal of the Prophets"

(Al-Ahzab "The Allied Parties": 40).

Allah's Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) saved with this divine Message the world from delusion, revealing the straight path. Thus, he recovered mankind from the previous diseases as the mess, prejudice and spoiled traditions prevailed. We can mention the killing of girls as an example for the cruelty prevailing in the pre-Islamic era. Allah, Glory be to Him, said: "And when one of them is given the tidings of (the birth) of a female, his face lingers blackened and he is ever-repressed (with sorrow). He hides himself from (the sight) of the people because of the odious tidings (given) him, whether he should retain it in degradation or shove it in the dust. Verily, odious is (the way) they judge." (An-Nahl "The Bee": 58, 59).

The circumstances before the delegation of Muhammad were bad. Thus, the reasonable and wise people complained to Allah, Who sent the best of His Prophets and the most beloved to guide the people to the right and straight path. Allah, Glory be to Him, said:

"The Path of Allah, to Whom belongs whatever is in the heavens and whatever is in the earth. Verily to Allah all Commands are destined to Him."

(Ash-Shura "The Counsel": 53).

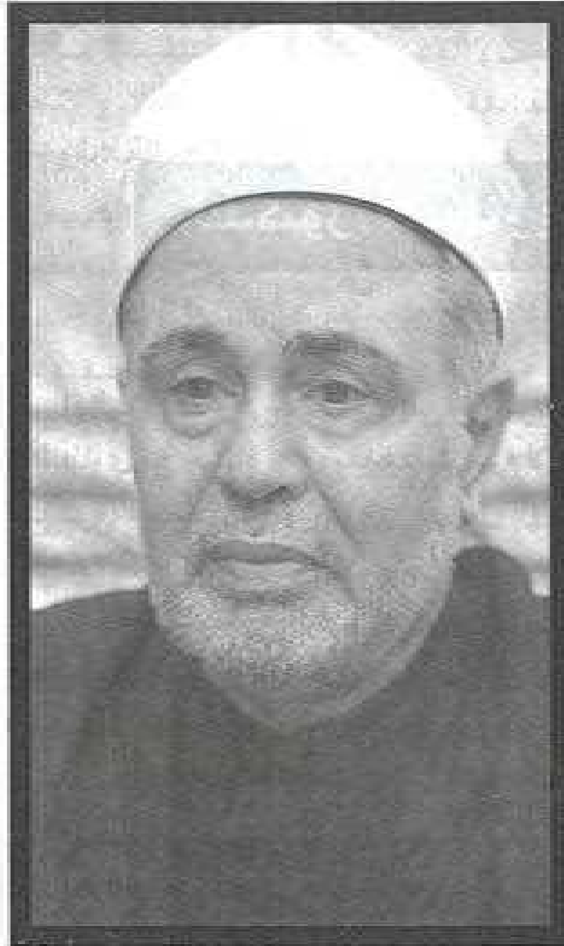
The one who responded to the Prophet's call for Islam, believed in his religion and supported him against his enemies became happy. He continued to inform Allah's Message resorting to proofs at the beginning till his advocators increased. Allah, Glory be to Him, said: "Call to the way of your Lord with wisdom and fair admonition, and dispute with them in the way (which is) fairest". (An-Nahl "The Bee" : 125).

He continued to call for Allah's religion secretly for three years till Allah ordered him with immigration and declaring the religion. The polytheists tried to kill him several times and tortured his companions severely, as they imprisoned

الفهـــرس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾



(تنعى مجلة «الأزهر» إلى العالم الإسلامى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمد سيد طنطاوى بعد حياة حافلة بالعلم والعمل والإيمان، ويضيق المقام عن تعداد فضائله، غير أننا نسجل هذه الكلمة الموجزة تسجيلاً لبعض مآثره الكريمة، رحمه الله وأسبغ عليه حلل السعادة والرضوان)

«المجلة»

الإمام محمد سيد طنطاوى
حياة عامرة بالعلم والعمل والإيمان

للدكتور/ محمد رجب البيومى

إذا أراد الله أمراً يسّر السبيل إليه، وقد أراد أن يكون محمد السيد الطنطاوى من حُماة الإسلام وأئمة الدّين فى عصره، فيسر له السبيل إلى ذلك منذ ولد فى ٢٨ من أكتوبر سنة ١٩٢٨م فى قرية سليم من أعمال محافظة سوهاج، وأدلّ حظوظه المباركة فى هذا السبيل أن نشأ فى أسرة كريمة تحتوى العلم، وتحرص على أن يكون وليدها المتفتح للمجد حافظًا لكتاب الله، فدفعته إلى شيخ المكتب القروى لينهض برسالته القرآنية قدر ما يستطيع، وقد وجد لدى تلميذه استعدادًا هيأ له أن يستظهر كتاب الله فى وقت يسير، وجوّ القرية بعدُ يعبق بأريج الإيمان، إذ يقدمُ الوعاظ والمرشدون إلى القرية، فيستقبلون بأسمى مظاهر الترحيب، ويودعون كما استقبلوا بأكمل دوافع الإجلال، والطفلُ الناشئ يتساءل عن هؤلاء، فيعلم أنهم دُعاة الدين، وشارحوا القرآن للعامة من الناس، فيتوق إلى أن يكون مثلهم فى مستقبل أمره، ويمده ذلك بعزم لا يفتر.

والقرية، ما القريةُ؟. فيها السابقون الكرامُ من علماء الأزهر وطلابه، لا يفتأون يتحدثون عن بلدهم الطيِّب، وإقليمهم الثرى الذى برع فيه رجالُ الإصلاح والأدب والعلم، حتى جازت شهرتهم مكانتهم المحدودة إلى العالم الإسلامى جميعه، وما منهم إلا من له مقام محمود فى فرع من فروع الثقافة أو ميدان من ميادين الجهاد.

أليست محافظة سوهاج - وكانت تُسمّى جرجا من قبل - ذات نبت ناضر فى روض الثقافة والعلم والتربية والتشريع، لقد ذكر الأدفوىّ طائفة من نوابغ هذه البلاد فيما كتبه فى مؤلفه «الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد» فهم إذن سَلَفٌ ماجدٌ، لخلف ماجد.

سَلَفٌ لخلف كان منه رفاعة الطهطاوى باعث النهضة العلمية فى مصر، ومَنشؤه فى مدينة طهطا، وقد ورثت عائلته مجده، فظهر منها الوزير والقاضى والعالم والسفير، وكلهم خيار من خيار، وكان من هذا الخلف أكبر صحافى عرفته مصر فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، هو صاحبُ «المؤيد» (على يوسف) الذى حمل راية الصحافة الإسلامية الهادفة عن عزيمة واقتدار، نشأ على يوسف فى قرية «بلصفورة» من أعمال سوهاج، ثم احتضنه الأزهر، حيث تهيأ سبيله إلى القيادة الفكرية، وكان أول من اهتم بشئون العالم الإسلامى فى جريدته، فتبعه الزعيم مصطفى كامل فى جريدة «اللواء» وبذلك تهيأ لمصر أن تتزعم الأمم الإسلامية، حين عرضت أدواءها ووصفت دواءها عن حب وإخوة وولاء!. ومثله الشيخ على أحمد على الجرجاوى العالم الأزهرى أول مصرى زار اليابان وكتب عن المسلمين بها كتابا ممتازا، ثم كان من هذا الملأ شاعر البادية الكبير الأستاذ محمد عبدالمطلب، وقد ولد بقرية «باصونة» وزامل شوقياً وحافظاً ومحرمًا فى قيادة الفكر الأدبى، كما حمل راية الدفاع عن الإسلام فى مواقفه العلمية الباهرة بدار العلوم وجمعية الهداية الإسلامية، وجمعية الشبان المسلمين.

ثم كان منهم إمامُ المسلمين فى عصره، ورائد الإصلاح الأزهرىّ، بعد أستاذه الإمام محمد عبده، ذلك هو الأستاذ الأكبر، محمد مصطفى المراغى، واسمه يغنى عن وصفه، وقد ولد بمدينة «المراغة» وله أخوة «كرام» من كبار العلماء فى مصر.

سلسلةٌ ذهبية من حلقاتها رفاعة وعلي يوسف وعبدالمطلب والمراغى!! كانت دافعا للطالب الصغير أن يطمح إلى ساحاتها، وقد رُزق إيمانًا قويا، وإخلاصا دافعا، فصمّم أن يسير على الدرب، وقضيتْ الأيام فإذا هو الإمام الأكبر، وإذا هو حلقةٌ ذهبية من حلقات هذه السلسلة المباركة. ثم ماذا بعد حفظ كتاب الله؟. والإلمام بالمبادئ الأولى من دروس القراءة والكتابة والحساب؟.

كان من الطبيعى أن يلتحق الفتى بالمعهد الدينى، وأقرب معهد لموطنه هو معهد أسيوط الدينى، ولكنّ الحظ العلمى الموفق قد هيّأ لوالده أن يلحقه بمعهد الإسكندرية، وهو أعرق المعاهد الأزهرية جميعها نظاماً وأخذاً بوسائل التربية المعاصرة، إذ كان من شأنه منذُ العقد الأول من القرن العشرين أن يقوم على إدارته عالمٌ كبير مجدّد، وأن ينظر إلى أخطاء الدراسة الأزهرية فى الجامع الأزهر والمعاهد الأخرى، فيتجنبها، كما كان من حُسن توجيهه أن يختار الصفوة من العلماء ليكونوا طليعة التربويين فى الأزهر، وأن يشرف الشيخ محمد شاكر شيخ المعهد المشار إليه بنفسه على إعداد الطلاب فى أكثر نواحى الإعداد، كما كان للمعهد دوره القيادى فى النهضة السياسية حين شبّت ثورة ١٩١٩ إذ قام شيخه الكبير الأستاذ عبدالمجيد اللبان بدور سياسى ساعد على التئام الصفوف، وقيام الوحدة الوطنية على أحسن مثال يحتذى.

ومازال المعهد يتألق فى آفاق مجده حتى انتهت رياسته إلى المصلح الكبير الشيخ

محمود أبو العيون، فجعل المعهد شبيهًا بالكلية فيما يُلقى به من المحاضرات الدينية والاجتماعية في المساء، كما قام الشيخ بحملة عاصفة على مناحي التبرج والاختلاط في المصيف الإسكندري، كان لها دويُّها الرنان في الصحف، وكان لها خصومها الأقوياء من دعاة السفور، وطلاب المعهد الإسكندري يشاهدون شيخهم في مهب العاصفة بطلاً مقدامًا فيعجبون بشجاعته، ويرونه خطيبًا بارزًا يعتلي منابر الإرشاد في أندية العاصمة الثانية شتاء وفي أندية العاصمة الأولى صيفًا، كما يرونه كاتبًا يتصدر أكبر الصحف العربية انتشارًا وهي جريدة «الأهرام»، وأقوى الصحف الشهرية ذيوعًا وهي مجلة «الهلال»، يشاهده الطلاب في شتى مجالاته فتشرئب أنفسهم إلى أن يكونوا مثله في مستقبلهم القريب وأن يكونوا ذوي مطامح عالية هيأها الجو الإسكندري. ثم أنشئت جامعة الإسكندرية فتفتحت مجالات شتى للصيال الأدبي والاجتماعي في ندوات الثغر، وامتد الطلاب بعيونهم إلى الجامعة الجديدة يرون في نشاطها ما يدفعهم إلى ملاحقة ندواتها في الأمسيات الحافلة ولاسيما جمعية الشبان المسلمين التي ظفرت بالحاضرين من الجامعة والمعهد الإسكندري معًا.

في هذه البيئة العلمية الزاهرة وفد الطالب الشيخ محمد السيد الطنطاوي إلى الإسكندرية، ورأى من شيوخ المعهد من ساروا على نهج أبي العيون بعد رحيله، فاتجه إلى تحصيل ثقافته الشاملة في المحيط العام في الإسكندرية، ومما يفد على الثغر من صُحُف وكتب ومجلات.. أقول ذلك لأني أجد في مصادر الشيخ التي يرجع إليها في مؤلفاته دوريات علمية كثيرة، صدرت في عهد الطالب بالإسكندرية، إذ كان يتتبع أمثال مجلات لواء الإسلام والرسالة والثقافة والهلال تتبعًا واعيًا، وصحائف التفسير التي خطها في مؤلفاته ترجع فيما ترجع إلى مقالات في التفسير نُشرت في مجلات الأزهر ولواء الإسلام كتبها الكبار من أمثال محمد الخضر حسين وحامد محيسن، ومحمد عبدالله دراز، ومعنى هذا أن الطالب جعل غذاءه العلمي من الصحف والمجلات الراقية يتكافأ مع غذائه الفكري من الدروس التعليمية بالمعهد الإسكندري، وأنا لا أكاد أرى نابغًا من بني الأزهر سبق في مجال الفكر دون أن يكون قد ألمَّ بالتيارات العلمية الذائعة في عصره، فساعده ذلك على اكتمال نضوجه الفكري بما لم يتح لزملائه ممن اقتصروا على الكتب الأزهرية، وإن كانوا الأوائل في امتحانات الدراسة، فهم يشكون جدبًا في المعرفة، وخواء في التفكير، كان من الممكن تلافيه لو امتدت أيديهم إلى ما ينشر من كتب، وصحف، وقد أنهى الشيخ محمد السيد الطنطاوي دراسته بالمعهد ونال شهادة الثانوية مرتاحًا إلى ما حصل من ثمره، وكان أمامه أن يلتحق بإحدى الكليات الأزهرية الثلاث اللغة العربية، والشريعة الإسلامية، وأصول الدين، فاختار كلية أصول الدين، وهي كلية العقيدة التي يرتكز عليها الإسلام في قاعدته الركينة، والحق أن كلية أصول الدين كانت عند التحاق الطالب الناهض بها تضم فريقًا من كبار المثقفين بالأزهر، ممن جمعوا إلى الدراسة الأزهرية دراسة ثقافية في كليات انجلترا وفرنسا وألمانيا، وكان بهذه الكلية أمثال الدكاترة محمد البهي، وعبدالحليم محمود، ومحمد يوسف موسى، ومحمد عبدالله أبوماضي، ومحمد غلاب، وسليمان دنيا، وغيرهم من صدور المثقفين في الأزهر إلى طائفة كبيرة ممتازة ممن اقتصروا على الثقافة الأزهرية، ولكنهم قرأوا ما ترجم عن الأوروبية في مجالات تخصصهم المعرفي والعقدي، ولهم بيانهم المشرق أسلوبًا وتفكيرًا، فنفحوا الطلاب بخير ما يشتهون من ثمار.. لقد كانت الدراسة بكلية أصول الدين بالنسبة إلى الطالب نهرًا تدفق من أصفى الينابيع، فوجه النفوس إلى مشرق جديد يشع بأنواع من المعرفة بدت خيوطها في الدراسات السابقة، ولكنها استوت على سوقها بالكلية فآتت أكلها، ولم تنقص منه شيئًا.

ونحن نعلم أن العلم في المعاهد والكليات لا يفرق بين مستمع ومستمع من الطلاب، فكلٌ يأخذ منه قدر ما يسمح له فكره، كثيرًا ما أخذ أو قليلاً، والنابغون من الطلاب من يحرصون على الارتواء الشافي مستمتعين بما ينهلون، وكلما ازدادوا نهلاً ازدادوا رغبة وظمأ، فكان مثلهم كمثل من قال:

إذا ازددتُ منها زاد وجدي بشربها
فكيف احتراسي من هوى متجدد

وما انتهى الطالب من دراسته، حتى عرف سبيله، وخرج إلى الحياة بعد أن نال درجة التخصص في التدريس، وهي مما لابدَّ منه لانفتاح الملكات الذهنية والنفسية بمطالعة علوم النفس والتربية والاجتماع، وإذا كانت هذه العلوم تبدو نظرية على وجه ما، فإنها عملية باعتبار تأثيرها في نفس المتعلم لأنها تساعده على توجيهه في الحياة مستعينًا بما عرف من أسرار الغرائز، وألوان العواطف التي تُسيِّر الإنسان.

وقد هيأه تخصص التدريس كي يكون أستاذًا بالمعاهد الدينية، وهي منزلة يقنع بها من يرى أنه بلغ الشاطئ الأمين بانتهائه من دراسة الكلية، ونواله الإجازة العالمية، ولكن صاحب الرغبة الطامحة إلى الاستزادة من مناهل العلم، بعد أن هُيِّئت له وسائله لابد أن يمتد بطموحه إلى الدراسات العليا، وقد اختار الشيخ الطنطاوي قسم التفسير والحديث ليكون مجال اجتهاده، وكان هذا القسم لعهده يجمع بين المادتين-دون أن يُفصلا قسمين، كما نرى الآن، وأنا لا أوافق على ما جد من هذا الفصل، لأن التفسير في أصله جزء من الحديث النبوي الشريف، وأساسه الأول ما جاء في الكُتُب الصحاح خاصًا بالتفسير من المأثور عن رسول الله ﷺ ولن يكون التخصص ضليعًا في أحد الفرعين إلا إذا درس الفرع الآخر دراسة هاضمة متعمقة، وكذلك فعل الشيخ الطنطاوي حين تقدم لنيل درجة الدكتوراة باحثًا عن «بني إسرائيل في الكتاب والسُّنَّة» فأعدَّ رسالة كانت الأولى في بابها، وسأخصُّها بمقال مستقل نظرًا لأهميتها العلمية في هذا المجال،

ثم نال الدرجة بمرتبة الشرف الأولى، فعُيِّن مدرسًا للتفسير بكلية أصول الدين سنة ١٩٦٨م.

وقد هداه الله إلى منهجه العلمي تدريسًا وتأليفًا، حيث أُسند إليه تدريس مادته المحببة وهي التفسير فلاقت أعظم ارتياح لديه، ولم يشأ أن يكتفي بمذكرات مدرسية يُقدمها للطلاب شأن الكثيرين ممن يميلون إلى الراحة الهينة دون تعب، ولكن الله ألهمه أن يكتب التفسير للخاصة والعامة معًا، وكتابة التفسير مما توقر الظهر إذا أديت على وجهها الصحيح، لأن أقوال التفسير منذ نزل كتاب الله قد أخذت تتشعب وتتكاثر على نحو يظهر مكانة الذكر الحكيم، وقد وجد لدينا في هذا العصر أئمةٌ من أعلام التفسير طار ذكرهم كل مطار، وأشرقت آراؤهم مشرق الشمس في العالم الإسلامي، ولابد لمن يحاول التفسير أن يقدم للقارئ ما ينفعه لأن القارئ الجدير بهذا الوصف طُلَعة نقاد، لا يكتفي بمرجع أو مرجعين، بل يمتد إلى ما تبلغ يده من المراجع المتعددة، ولابد أنه سيقارن ويوازن ويختار ويهمل، وهذا ما عرفه الشيخ الطنطاوي جيدًا حين اتجه إلى هذا الميدان، وسيأتي الحديث عن ذلك مفصلاً في مكانه، فلا استعجال.

ودارسُ التفسير على وجه الأصيل لابد أن يُلم بالأحكام القرآنية، ولها كتبها المتخصصة في كل مذهب فقهي، فأكب المفسر على دراسة هذه الأحكام دراسة تفصيلية في مراجعها الخاصة والعامة، وأتاح له هذا الإكباب المتصل أن يعرف الآراء المختلفة في الحكم الواحد، لأن كل مفسر يفيض في التفسير وجه ما درس من مذهب خاص قد يتعداه إلى غيره، وقد يقتصر على ما درس من مذهبه الخاص!. أجل، كانت الدراسة لهذه الأحكام فيضًا غزيرًا لمعرفة دقائق التشريع الإسلامي، وهو ما هيأه لمنصب الإفتاء على مدى عشرة أعوام، أبدى فيها من الفتاوى ما شغل الذهن الإسلامي أمدًا متصلاً، بل مازال يشغله للآن، لأنّ الرأى الاجتهادى الذى يعتمد على استشفاف النص والقياس على مدلوله قد يُعارض برأى مخالف يعتمد على النص نفسه، ولكن بتأويل آخر، وتلك سُنّة الفقه والفقهاء منذ ظهر أعلام التشريع، والعصرُ عصر تمدُّن واختراع، وقد جدّ من الأحداث ما لا يُعرف له نظير فيما سلف من أقوال الفقهاء، والشيخ يُسأل من كل مكان، لا من مصر وحدها، لأن دار الإفتاء في القاهرة مصدر إشعاع، وضئ يهدى للتى هى أقوم، وثقة العالم الإسلامي بها ثقة وطيدة إذ أبرزت من الأعلام مَن سار ذكرهم في العالم الإسلامي حميدًا مشكورًا ومن طارت فتاويهم في ظلمات الأحداث فكانت ضياء يكشف الشبهات، ومهما يكن من شيء، فقد ترك الرجل صداه المُجلجل، وأقول المجلجل عن يقين، لأن ما كتبه من الآراء كان مصدر ثراء فكرى للمؤيد والمعارض معًا، ولن يحدث ذلك عن جمود متحجر، بل عن ارتياد للأفق الفسيح، ارتياد العالم الواثق بنفسه المعتمد على حول الله وقوته قبل أن يعتمد على اطلاعه المديد.

والله لا يضيع أجر العاملين، فقد رشحه السبقُ في مجال الإفتاء إلى تولى مشيخة الأزهر الشريف في مارس ١٩٩٦، فكان اختياره موضع ارتياح كبير وانهالت وفود التهنئة على مشيخة الأزهر ممن استطاع الحضور داخل الجمهورية، كما توالت البرقيات الخارجية وتتابعت وفود الدول الإسلامية مهنئة بهذا الاختيار الحميد، وقد كابد الشيخ من الصعاب في توجيه الأمور ما ذلّله الله بتوفيقه.

لم أشر إلى بحثيه الجامعين أثناء تدريسه بجامعة الأزهر، فقد أعير إلى الجامعة الإسلامية بليبيا من سنة ١٩٧٢ إلى سنة ١٩٧٦ أستاذًا للتفسير، ثم تجددت إعارته للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة رئيسًا لقسم التفسير بالدراسات العليا من سنة ١٩٨٠ إلى سنة ١٩٨٤، وكأنّ هاتين الرحلتين قد أمدتاه بعزم ناهض على كتابة التفسير العام، إذ كان يشغلُ أوقات فراغه جميعها فيما انتُدب إليه من أمور هذا التفسير، حتى تم على وجهه، وقد فاجأ زملاءه مفاجأة سارة حين طبع الكتاب الكبير لأول مرة في خمسة عشر مجلدًا خالية من التكرار، هادفة إلى اللباب المنشود من إيضاح المعنى الشريف، وإذا كانت الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نواه، فقد حظى هذا التفسير بقبول الجمهرة الواعية من القراء، وتعددت طبعاته في آماد متقاربة، وأخذ مكانه جوار ما كتبه أئمة العَصر منذ عهد الإمام محمد عبده إلى عهد الإمام محمد متولي الشعراوى، ومن معجزة القرآن أن يهيئ الله له في كل زمن، مَن يسير في ضوئه مجتليًا بوارقه الساطعة، ليكشف عن أمور تركها السابق للاحق، تطبيقًا لقول الله -عز وجل:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾

(فصلت: ٥٣)

ولعل مجال العبرة في حياة الدكتور الطنطاوى أنها أبرز مثال للتوفيق الملهم، إذا اتجه الإنسان وجهةً خالصة إلى ربّه راجيا أن يمده بعونه، نائيًا عن نطاق اللهو، ومواضع الكسل، إلى حومات البحث والاجتهاد، والبحث الدائبين لا يثمر من فراغ، ولكنه جهد متواصل، وعملٌ كادح، ولم نر أحدًا في الدنيا طار صيته في دنيا الفكر لأنه استنام للراحة وقد تكون الشهرة سهلة السبيل في ميادين أخرى كالسياسة والتجارة، ولكنها في الميدان العلمي تتوقف على العمل الجاد، والجهد الدائب، لأن للقراء عقولاً تتأمل، ونفوسًا تتدبر، وقديمًا قال القائل:

والناسُ أكيسُ من أن يمدحوا رجلاً
ما لم يروا عنده آثار إحسان!

وأىّ أثر أبقى من مجلدات تعرض، وصحف تُقرأ، وحوار يمتد، وخُطَب تُذاع.

رحم الله الأستاذ الإمام وأسبغ عليه حُلل المغفرة والرضوان إنه سميع مجيب.

جارَ النبى انعم بخير جوار

للشاعر/ السيد الصديق حافظ

جارَ النبى انعم بخير جوار
فى صحبة الأطهار والأبرار!

الله قدر أن توارى فى ثرى
سجدت عليه مواكبُ الأنوار

وتنزلت سور الكتاب فمازجت
طهرَ الثرى بأريجها المعطار

روض البقيع مبارك ومكرم
فيه من الرحمات نهرٌ جارى

وعلى الضفاف صحابة وأئمة
تعلو الوجوه ملاحةُ الأقمار

سترى الغزالى فى لقائك باسما
وله الوقار ورقة الأزهار

ولقد دعاك كما دعاه مبشرٌ
من قبل بالجنات للأخيار

بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى
تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

الاشتراك السنوى
داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا
أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا
عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠-٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر
ت: ٢٢٦٣٨٥٩٩

ربيع الآخر ١٤٣١هـ - إبريل ٢٠١٠م - الجزء الرابع - السنة الثالثة والثمانون

افتتاحية العدد

بمناسبة ذكرى المولد النبوى

السيرة المحمدية فى ضوء العلم والفلسفة للكاتب الكبير الأستاذ محمد فريد وجدى

(٢)

تساءل الأستاذ فى بحثه، لم أحجم اليهود عن المسارعة إلى قبول دعوة الرسول، وقد بلغتهم قبل إسلام الأوس والخزرج؟ وهو تساؤل أجاب عنه كاتبو السيرة من السابقين حين ذكروا أن اليهود كانوا يتوهمون أن النبى المنتظر من بنى إسرائيل، فحين علموا أنه من قريش ركبوا رءوسهم وأنكروه وقد بشرت به التوراة فحرفوها مدلسين، على أننا نعرض فى الإجابة عن هذا التساؤل ما أثاره الأستاذ «وجدى» بشأن اندفاع الأنصار إلى الإسلام لا لنذكر أنه لا يقبل النقاش، بل لنقدم وجهة نظر لباحث أطال التفكير حتى انتهى إلى أن هذا الاندفاع آية إلهية لا تخضع لتعليل صريح! ولنعرض نمطاً من التساؤل الحائر الذى يقف بأصحابه أمام سد منيع يحاولون اقتحامه فلا يستطيعون.

لقد اهتم الكاتب بموضوعه اهتماماً يظهر فى استقلاله الذاتى أمام تفسير الأحداث وتعليلها حتى فيما اشتهر منها غاية الاشتهار، فموضوع كموضوع الهجرة النبوية لم يحظ موضوع مثله باهتمام الدارسين، حتى خصصت به الأعداد الموسمية من المجلات الأدبية والإسلامية فى كل عام فى شتى بلاد الإسلام، وحتى أصبح المتحدثون عن هذا الحادث الجلل


محمد فريد وجدى

لا يكادون يجدون مايقولون، فيبتعدون عنه مضطرين إلى موضوع نبوى آخر، أو يتكلفون له صياغة أدبية فنية تلم به إلماماً يتجدد فيه الشكل البيانى وحده، أما الموضوع فلم يعد يتطلب المزيد! هذا الموضوع الذائع الجهير قد فتح الله فيه على الكاتب بمد جديد حين وقف وقفة مستأنية أمام انصراف المشركين عن غار «ثور» يومَ الهجرة دون أن يلجوه وقد انقطعت أمامه آثار الأقدام، وتعين أن يكون مأوى للمهاجرين، فيذكر الكاتب أن القرشيين كانوا أحرص الناس على العثور على النبى تخلصاً مما سيجره عليهم من الحروب والمنازعات لو سلم بنفسه واستقر بالمدينة، وقد دلهم القائف على أن آثار الأقدام قد انتهت عند الغار، وكان للعرب ثقة مطلقة فى قافتهم فيكون عدم تعويلهم على قوله مع وجود الغار ومع عدم استحالة الولوج فيه من أعجب مايروى من الأحداث.

يقول الكاتب مستطرداً:[1]

رضينا أن نظن أن يكونوا قد تهيبوا النزول إلى الغار لتفتيشه، وأن يكونوا قد تخيلوا أن من ينزله تنوشه أفاعيه وترديه، ولكننا لا نرضى ولا نقبل أن نتخيل أنهم يتركونه ويرجعون أدراجهم دون أن يحاصروه أياماً وليالى حتى يتحققوا من خلوه وإلا اضطررنا أن نتهمهم بالإهمال فى أمر يعدونه أخطر الأمور.

ولسنا نكتفى بهذا ولكننا نقول: كان يجب عليهم أن يقيموا فى كل طريق يمكن أن يتسرب منها إلى يثرب كوكبة من الفرسان تقطع الطريق على خصمهم. فإذا لم يفعلوا مع تحليهم بأرفع صفات الخيطة الحربية، فإن إغفالهم له قد فسر بأن الله قد صرفهم عنه، ولكنى التزمت فى هذه السيرة ألا أتجاوز أصول الدستور العلمى فلا ألجأ إلى الظن فى موطن يمكن تفسيره بالعلل الطبيعية، وحياة النبى «ﷺ» حافلة بالآيات الدامغة فلا حاجة بها إلى ما يمكن الخصوم من تجريحه لذلك فأنا أفسره بأنه تغابٍ من قريش عما هم بصدده، كما تغابوا عن هجرة كبار الصحابة إلى يثرب، كأنهم اكتفوا بأن يبعد عنهم النبى إلى حيث لا يراه العرب فى موسم الحج فيفتن بعضهم بشدة بيانه وقوة عارضته.

ولنا عند هذا الكلام وقفة! فقد قال الكاتب إنه لم يذهب فى تعليله هذا النكوص عن

(١) مجلة الأزهر: المجلد الحادى عشر ص٨٣.

تتبع الرسول «ﷺ» إلى أن الله قد صرفهم عنه مماشاة للعلل الطبيعية والتزاماً بأصول الدستور العلمى! لأنه قدر فى نفسه أنه يخاطب بكتابه خصوم الإسلام الذين يضيقون بكل تعليل غيبى لا يماشى ما يلتئم حسياً مع الأحداث! مع أنه فى تحليله لموقف الخزرج والأوس من المسارعة العاجلة إلى الانضواء تحت راية الإسلام وهم يعرفون ما يترصدهم من تبعات ثقال عقب هذا الانضواء!

أقول: إنه ذهب فى تحليله هذا الموقف إلى أنه آية إلهية فوق البحث! وإذا تعددت مواقف الدعوة الإسلامية التى لا تجد العلة الطبيعية المسلمة، فإن تعددها المتوالى يكوّن أصلاً علمياً جديداً هو خضوع الأحداث لقوة إلهية كبرى أعظم من أن تدركها عقول البشر بالتحليل! والاعتراف بهذه الحقيقة يلزم من ينكرون هذه القوة المسيطرة أن يأتوا بتفسير علمى لما يرون من مظاهرها القاهرة التى لا تتقيد بعرف أرضى! فإذا عجزوا عن ذلك وقد ظهرت آثار هذه القوة الإلهية ماثلة للعيان، فعجزهم هو العيب الشنيع الذى يجب عليهم أن يتداركوه، وليس لنا أن نستجلب رضاهم بالوقوف عند التعليلات الحسية وحدها! ولماذا لا تكون المعجزات النبوية التى ترادفت على أيدى الأنبياء جميعهم مسألة علمية لها دستورها المطرد الذى يتجاوز الطبيعى إلى غيره، فهى قياسية بالنسبة للأنبياء، ودليل صحتها العقلى والعملى ما صحبهم من توفيق استمر أثره قروناً بعد قرون، ولن يوفق محترف كاذب فى أمر خدع به الناس، وكم رأينا فى صحف التاريخ من أناس خدعوا أتباعهم فترة محدودة من الزمن ثم تكشفت الأحداث فى حياتهم أو بعد مماتهم المباشر عن خديعتهم البلقاء، فأصبحوا موضع التحقير والازدراء! وهذا نقيض ما حصل للرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ إذ عرف لهم الناس صدقهم الحقيقى وانتشرت دعواتهم بعد رحيلهم انتشاراً يحمل عناصر صدقها البالغ! فثبات الدعوة الإسلامية واطرادها المتقدم على توالى العصور مما يؤكد هذه المعجزات الإلهية، بل مما يجعل هذه المعجزات دستوراً علمياً خاصاً برسل الله!

على أنى أرى أن كفار قريش إذا كانوا قد أهملوا اقتحام الغار كما قال الكاتب البحاثة فإنهم لم يهملوا اقتفاء الرسول وتتبعه، فقد بذلوا فى ذلك ما استطاعوا دون جدوى! ثم فرضوا المغريات من الأموال لمن يستطيع العثور عليه حياً أو ميتاً؟ وحادثة سراقة بن مالك أشهر من أن تعاد! وإذن فقد أهملوا شيئاً وقاموا بشىء! وأينا يأخذ الحذر فى جميع أموره فإنك تجد أشد العقلاء احتياطاً يفكر ما يفكره ويتخذ التحفظات الواقية، ويقيم الموانع الحاجزة ظاناً أنه قد عمل لكل شىء حسابه، ثم يفاجئه الموقف بمايدل على نقص التدبير، وجود الثغرات! مع أنه احتاط ثم احتاط، يخيل إلّى أن الأمر فى مسألة الهجرة بالذات قد جاء على ما نطق به الشاعر الحكيم حين قال:

وقاية الله قد أغنت عن مضاعفة.

من الدروع وعن عال من الإطم

ولسنا بهذا التعقيب نضائل من اتجاه الأستاذ التحليلى، ولكننا نضيف شيئاً إلى شىء ليطرد الحديث..

على أن ما امتاز به الكاتب من النظر البعيد فى الأحداث النبوية إذا أفحم المعارضين بدقته العلمية فإنه يزيد المؤمنين إيقاناً فوق إيقان! إنه يقف بعقله المنقب أمام الحدث المشتهر فيقلبه ذات اليمين وذات الشمال حتى لا تكاد تخفى عليه خافية منه، ليستلهمه فنوناً من التحليل الصادق تقنع القارئ المنصف بديهة بقوتها النافذة، وتحليلاته للغزوات النبوية هى الشاهد الأروع لما نقول، إذ اختط لنفسه أن يذكر أحداث الغزوة كما يعرفها الناس جميعاً، حتى إذا بلغ مراده فى أتم ما يرتجى من مثله من الوضوح المشرق جعل يرسل نظراته الجديدة مشعة بضياء جديد، يبده القارئ بطرفاته وقوته! وتمثل لذلك ببعض نظراته الصائبة فى «غزوة بدر» حين قارن بين قوة المشركين العددية وضآلة الكم العددى الذى لا يتجاوز الثلث لدى المسلمين، وحين استعرض أسلحة الفريقين ليؤكد هذه الضآلة أيضاً! ثم يقول عقب ذلك: إن القائد الذى يدفع برجاله إلى معركة يعتقد أن عدوه متفوق فيها بكمه وسلاحه، ويقول لجنوده مع ذلك: «أبشروا والله لكأنى أرى مصارع القوم» هذا القائد الذى يدفع بجيشه للحرب مع توافر أسباب الضعف المادى لا يعقل أن يكون صادراً فى معركته عن مغامرة إلا إذا كان يريد المجازفة بما يملك من نفس ومال وأهل، يقول الكاتب متسائلاً:

وما الذى كان يدفع محمداً لذلك ولم يكن مضطراً إليه بحال من الأحوال، فلا قومه قالوا له قد غررت بنا وادعيت أنك فائز ولم تفز؛ لأنهم كانوا هم الذين يطلبون إليه الرجعى بدون حرب، ولا مشروعه كان سيتعرض للفشل لو رجع دون قتال؛ لأن العدو لم يكن ينوى أن يهاجمه فى عقر داره، ولو فعل لاستهدف للهزيمة لأن قوته لا تسمح له بالشروع فى حرب استئصال، ولا هو ـ أى رسول الله ـ كان يخشى أن يتفرق عنه أصحابه إذا عاد ولم يلق ملجأ، فقد خرج مراراً للاستيلاء على تجارة قريش وعاد دون أن يعمل شيئاً لإفلاتها منه، فلم يؤثر ذلك فى إيمان أصحابه به، فلم يبق إلا أنه دفع قومه فى هذه المعركة التى لم يستعدوا لها ثقة منه بما وعده الله من الفوز بإحدى الطائفتين، وقد أفلتت إحداهما فلابد

أن يصدق وعد ربه فى الأخرى، فدفع أصحابه إلى منازلتها واثقاً بالنصر ثقة لا حد لها، لأن الله لا يخلف وعده:

﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ﴾

(إبراهيم: ٤٧)

فحقق الله ظنه وآتاه نصراً أيد حجته، وقد ناقش الأستاذ آراء لبعض مخالفيه مناقشة بصيرة، ثم قال عقب ذلك:

إن غرضنا من نقاش المعترضين أن ننفى عن السيرة النبوية كل ما يثير أعاصير الجدل مكتفين بالمسلمات من الحجج، والمقررات من البينات، وهذا أفعل فى التأثير من الاستكثار مما يهيج المنازعات ويدعو إلى المناظرات»، وإخال الرجل على صواب فى منحاه، إذا توجه بحديثه إلى الخصوم، أما إذا خاطب الكافة من المسلمين، فله أن يتبسط كما يشاء، وقد أخذ الأستاذ «وجدى» لنفسه عبرة بالغة فى التحرى الدقيق، إذ وجد كتباً مريبة ألفها المبشرون ومن لف لفهم تجمع الغرائب المنكرة مما سجله السابقون بحسن نية فى كتبهم فنقلوها على علاتها مطردة إلى مصادرها، وقدموها لقرائهم على أنها حق واقع، كتبها علماء المسلمين من المتخصصين دون أن يتزيد عليهم متزيد، ومن أمثلة ذلك ما قام به الكاتبان الفرنسيان: «لوميريس» و«جاستون دوجاريك» من وضع كتاب فى السيرة المحمدية ذكرا فى مقدمته أنهما يوردان سيرة نبى الإسلام كما كتبها أتباعه لا يزيدان حرفاً واحداً، وهو خبث مقصود إذ يوحي للقارئ الأوروبى أن هذه الأساطير المكذوبة، والروايات الملفقة حق لا مرية فيه! وأى سب للإسلام أبلغ من أن تجعل الخرافات المكذوبة تاريخاً لنبيه ومقوماً أصلياً من مقوماته، وأى تشويه لتاريخ المسلمين أنكى من جمع هذه الخرافات التى كتبت فى مصادرها الأولى بنية حسنة، ثم جاء من استغلها استغلالاً دنيئاً فجمعها فى كتاب كبير وحرص على إذاعتها بين أيدى الأعداء والموتورين، وتلك خيانة علمية لا نظير لها؛ لأن جامعى الكتاب يعرفان قيمة هذه الروايات عند رواتها ويعلمان أنهما يجمعان كل ما قيل لا على أنه حق، بل على أنه أشياء تحتمل التصديق والتكذيب وأن إسنادها إلى رواتها يعفى الجامع من مسئوليتها! فإذا كان هذان الجامعان المغرضان يعرفان طريقة التدوين فى الكتب الأولى، ولم يكشفا عنها لقرائهما، بل سردا المكذوبات وكأنها حق، فلا تدليس أشنع مما ارتكباه! ولو رزق الأوائل حذراً حريصاً فى اختيار ما يقال لأعفوا من شر كثير.



كارليل

وقد اكتفى الأستاذ «وجدى» بالسرد التاريخى فى أبواب قليلة لم يجد لديها ما يستحق الوقوف المتئد كحديثه عن السرايا وعن «غزوة يهود خيبر»، و«جلاء بنى النضير»، وعن الوفود المتعاقبة على المدينة وغير ذلك، وكأنه رأى فيما ذكره من التحليلات فى الفصول المماثلة ما يغنى عن الإعادة، ولكل كاتب هدؤه الذى يدفعه إلى البسط والتحليل، وتعجله الذى يدفعه إلى السرد المتسرع، إذ ليست ظروف الكتابة لدى من يزاولونها مما تسير على نمط واحد لا تتعداه، وكاتب السيرة التحليلى يشعر بتهيب شديد فى كل ما يخط مخافة أن يزل إلى خطأ غير مقصود فيتحمل تبعة نفسية تؤرقه وتضنيه؛ إذ ليس من يؤرخ لنبى الإسلام كمن يؤرخ لبطل عادى من رجال التاريخ، فمؤرخ النبى يتحدث عن رسول قدوة فى فعله وعمله، وأى تفسير مخطئ لموقف من مواقفه يكون مظنة خطورة محققة! ولكن له أن يخطئ دون حذر فى تفسير مواقف غير الرسل ممن يخطئون ويصيبون، فتقف أخطاؤهم عند تاريخهم ولا تتعداه إلى اقتداء واحتذاء، لعل هذا الحذر البالغ هو الذى جعل الأستاذ يقتصد فى تعليقه إذا لم تنفسح أمامه أبواب الكلام عن طبيعة لا عن تكلف فيها ولا احتيال.

ولا نترك القارئ دون أن نلفته إلى ما افتتح به الكاتب حديثه عن فتح مكة حيث أفاض فى إبداع ذاتى هداه إليه التوفيق السديد، إذ حلل سهولة هذا الفتح، ويسره الهين على غير المتوقع المنتظر؛ إذ كان المظنون بعاصمة الشرك أن تكون حصينة منيعة لا تقع فى أيدى الغازين إلا بعد أن تسيل حولها أنهار الدماء، وها هى ذى قد أسلمت مفاتيحها دون مقاومة تستأهل الذكر، فكيف تأتى ذلك على غير توقع؟ لقد مد الأستاذ مسباره التحليلى إلى أعماق الأحداث، فرصد الأسباب الحقيقية التى أسقطت الثمرة الناضجة دون جهد، وحصرها فى خمسة أسباب، نشير إليها فحسب دون أن نلخصها، ليرجع إلى استيعابها من يشاء، وقد ختم حديثه عن الفتح الأعظم بكلمة رائعة للكاتب الإنجليزى «كارليل» فى كتابه «البطولة والأبطال» حيث قال عن رسول الله ﷺ فى تقدير وإعجاب:

ماذا يطلب من رجل يدّعى أنه نبى من دليل على دعواه أكبر من أن يبنى بيتاً يأوى إليه الناس، وقد جاء محمد فادعى أنه نبى ونشر ديناً اتبعه مائتا مليون «لعهد كارليل» من النفوس ووجدوا فيه سعادتهم، وبقى هذا الدين قائماً أكثر من ألف ومائتى سنة، فأى دليل يراد منه أن يقيمه على نبوته بعد هذا؟[٢]

(٢) «مجلة الأزهر» المجلد الرابع عشر ص١٦٩.

وتطيل الاستشهاد لو حاولنا أن تسجل ما اهتدى إليه الأستاذ من إبداعات فى التحليل النفسى والتشريح الاجتماعى لما يتناول من أحداث؛ لأن توفيق الله يصاحبه كثيراً فيما يزاول من هذا التحليل، وقد أوتى مقدرة فائقة على أن يتدسس إلى نفس قارئة بأيسر اللمسات، فيستولى على تقديره حين يوجز وحين يسهب معاً، ولعل من خطراته الرائعة ما عقب به على تقسيم الغنائم «يوم الطائف»، حين غمر الرسول المؤلفة قلوبهم بالعطايا، وترك كبار المهاجرين والأنصار، وقد رضوا بذلك حين استمعوا إلى وجهة نظر الرسول! وقد تعمق الكاتب فى هذا الموقف تعمقاً اهتدى به إلى قوله السديد.

(لا يبدون إلى ذهن القراء أن المجتمع الإسلامى قام على تصيد الأنصار بالمال أو بالإرهاب، أو بغيرهما من الوسائل المادية التى تستهوى النفوس وتستولى على الأهواء، فإن نظرة عجلى إلى ما حدث فى هذه الواقعة تنفى ذلك بدليل محسوس، وذلك أن النبى ﷺ أعطى الأموال التى غنمها إلى الذين كانوا لا يزالون مشركين، وإلى الذين أسلموا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، وحرم منه أنصاره ومؤيديه الذى حصل له هذا المال باستماتتهم فى نصرته، وتعرضهم لأفدح الأهوال فى تأييد دعوته، فلو كان أمر المجتمع الإسلامى قائماً على هذه الأغراض الزائلة لكفى هذا العمل فى حل جماعته أو على الأقل لحدثت فتنة تعرض وجودهم للخطر، وقد شوهد أنه لم يحدث شىء من ذلك، على أن من يرجع للتعاقد الذى حدث بين رسول الله ﷺ والذين انتدبوا لحماية دعوته من أهل يثرب، يرى أنهم لم يعطوا مقابلاً لجهادهم غير ثواب الآخرة، فإنهم لما اجتمعوا فى الهزيع الأخير من الليل فى بعض شعاب مكة، وعرض عليهم النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ما يطلب منهم أن يبذلوه من التضحيات فى سبيل الإسلام، سألوه: وما لنا على ذلك يا رسول الله؟ فقال لهم: الجنة، فأجابوه: رضينا بذلك، ثم انصرفوا). [3]

وللأستاذ إبداع مماثل فيما افتتح به الحديث عن «غزوة مؤته»، وفيما عقب عليه من حديث «حجة الوداع»، إلى أن ختم حديثه النبوى بالكلام عن التحاقه ﷺ بالرفيق الأعلى وتركه أصحابه على المحجة البيضاء.

إلى هنا تم حديث الأستاذ عن حياة الرسول ﷺ، ولكنه شاء أن يتحدث عن مبادئ الإسلام تحت العنوان الذى اختاره، وهو «السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة»

(٣) مجلة الأزهر، المجلد الرابع عشر ص٢٠١.

فشرع فى كتابة بحوث متتالية قال: إنه يخصها ببحث الروابط التى جعلت من الأمة الإسلامية وليداً مستكمل الخلقة صالحاً للبقاء على أكمل وجه [4] فكتب ما يقرب من بضعة وعشرين فصلاً فى تقرير مبادئ الإسلام وإيضاح أثره العالمى فى إصلاح الكون وهدايته، وما دعا إليه من حوافظ قوية تحمى الإنسانية من الانهيار! ولا تبالغ إذا قلنا: إن هذه البحوث من خير ما كتب عن رسالة الإسلام فى القديم والحديث، ولكنها لا تتصل اتصالاً عضوياً متلاحماً بسيرة الرسول ﷺ، بل من الخير أن تنشر فى كتاب مستقل يحمل عنواناً مثل: «رسالة الإسلام».

ونحن فى نهاية حديثنا عن جهد الكاتب الكبير فى تدوين السيرة النبوية على النحو التحليلى الذى اختاره، نرجو أن يوفق الله من يجمع هذه المقالات فى سفر خاص ليسهل تداولها بين الناس!

والأستاذ «فريد وجدى» علم من أعلام الفكر المعاصر وقد قام وحده بتأليف موسوعته الحافلة «دائرة معارف القرن العشرين» فى عشرة مجلدات ضخام! ولم يكد يمر عليه يوم واحد دون أن يخرج للناس جديداً، من نقد اجتماعى أو توجيه علمى، أو نقاش فكرى، حتى عمرت الصحف والمجلات بمقالاته طيلة حياته، غير ما أخرجه من الكتب المستقلة الحافلة إلى أن اختاره الله لجواره الكريم، فلقى لديه جزاء ما قدم من صنيع، وهو ـ سبحانه ـ لا يضيع أجر العاملين.

د./ محمد رجب البيومى

(٤) مجلة الأزهر، المجلد الخامس عشر ص١٢٢.

تفسير سورة النساء

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

الآية (٢٥)

وقوله ﴿ طَوْلًا ﴾ أى: سعة وقدرة وغنى فى المال.

قال صاحب الكشاف: الطول: الفضل، يقال: لفلان على فلان طول أى: زيادة وفضل. وقد طاله طولا فهو طائل، قال الشاعر:

لقد زادنى حبا لنفسى أننى
بغيض إلى كل امرئ غير طائل

ومنه قولهم: ما خلا منه بطائل. أى: بشئ يعتد به مما له فضل وخطر، ومنه الطول فى الجسم لأنه زيادة فيه[1]

(١) تفسير الكشاف جـ١ ص٤٩٩.

والمراد بالمحصنات هنا الحرائر بدليل مقابلتهن بالمملوكات، وعبر عنهن بذلك، لأن حريتهن أحصنتهن عن النقص الذى فى الإماء.

والمراد بقوله ﴿ مِّن فَتَيَاتِكُم ﴾ أى: من إمائكم وأرقائكم.

والمعنى: ومن لم يستطع منكم يا معشر المؤمنين الأحرار أن يحصل زيادة فى المال تمكنه من أن ينكح الحرائر المؤمنات، فله فى هذه الحالة أن ينكح بعض الإماء المؤمنات اللائى هن مملوكات لغيركم.

﴿ وَمَن ﴾ فى قوله ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ ﴾ شرطية، وجوابها قوله، فمما ملكت أيمانكم، ويصح أن تكون موصولة ويكون قوله ﴿ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم ﴾ هو الخبر.

وقوله ﴿ مِنكُمْ ﴾ حال من الضمير فى ﴿ يَسْتَطِعْ ﴾ وقوله ﴿ طَوْلًا ﴾ مفعول به ليستطع.

هذا، والآية الكريمة تفيد بمضمونها أنه لا يحل الزواج من الإماء إلا إذا كان المسلم الحر ليس فى قدرته أن يتزوج امرأة حرة.

ولذا قال بعضهم: إن الله ـ تعالى ـ شرط فى نكاح الإماء شرائط ثلاثة: اثنان منها فى الناكح، والثالث فى المنكوحة.

أما اللذان فى الناكح فأحدهما: أن يكون غير واجد لما يتزوج به الحرة المؤمنة من الصداق.

والثانى: هو المذكور فى آخر الآية وهو قوله:

﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ ﴾

وأما الشرط الثالث المعتبر فى المنكوحة فهو أن تكون الأمة مؤمنة لا كافرة.[2]

وقد خالف الإمام أبوحنيفة هذا الشرط الثالث فأباح للمسلم الزواج من الأمة الكتابية إن لم يكن عنده زوجة حرة فإن كان متزوجا بحرة فإنه لا يجوز له أن يتزوج أمة مطلقا لا مسلمة ولا كتابية، وإن عقد عليها كان عقده باطلا وقد بنى حكمه هذا على أساس تفسيره للطول بأنه الزواج بحرة.

أما المالكية والشافعية فقد قالوا: الطول: السعة والقدرة على المهر والنفقة فمن عجز عن مهر الحرة ونفقتها وهو قادر على الزواج من أمة فإنه يجوز له الزواج بها ولو كانت عنده زوجة حرة.

وفى التعبير عن الإماء بقوله:

﴿ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾

تكريم لهؤلاء الأرقاء، وإعزاز لإنسانيتهن، وتعليم للمسلمين أن يلتزموا الأدب فى مخاطبتهم لأرقائهم، ولذا ورد فى الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال: (لا يقولن أحدكم عبدى وأمتى

(٢) تفسير الفخر الرازى جـ١٠ ص٥٦ بتصرف وتلخيص.

كلكم عبيد الله وكل نسائكم إماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي)[3]

وقوله - تعالى:

﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴾

جملة معترضة سيقت بين إباحة النكاح من الإماء المؤمنات وبين صورة العقد عليهن تأنيسا للقلوب، وإزالة للنفرة عن نكاح الإماء ببيان أن مناط التفاخر إنما هو الإيمان لا التباهي بالأحساب والأنساب.

والمعنى: أنه - تعالى - أعلم منكم بمراتب إيمانكم الذي هو مناط التفضيل وأنتم وفتياتكم من أصل واحد فلا ينبغي أن يستعلي حر على عبد، ولا حرة على أمة، فرب إنسان غير حر أفضل عند الله بسبب إيمانه وعمله الصالح من إنسان حر.

فالمقصود من هذه الجملة الكريمة إزالة ما كانت تستهجنه العرب من الزواج بالإماء، ونهيهم عما كان متداولا بينهم من احتقارهم لولد الأمة وتسميتهم إياه بالهجين - أي الذي أبوه عربي وأمه أمة.

وإلى هذا المعنى أشار صاحب الكشاف بقوله: فإن قلت: فما معنى قوله.

﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ ﴾

قلت: معناه: أن الله أعلم بتفاضل ما بينكم وبين أرقائكم في الإيمان ورجحانه ونقصانه فيهم وفيكم وربما كان إيمان الأمة أرجح من إيمان الحرة، وربما كانت المرأة أرجح في الإيمان من الرجل، وحق المؤمنين أن لا يعيروا إلا فضل الإيمان لا فضل الأحساب والأنساب، وهذا تأنيس بنكاح الإماء، وترك الاستنكاف منه وقوله.

﴿ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴾

أي: أنتم وأرقاؤكم متناسبون متواصلون لاشتراككم في الإيمان لا يفضل حر عبدا إلا برجحان فيه[4].

ثم بين - سبحانه - كيفية الزواج بهن فقال:

﴿ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ﴾

والمراد بأهلهن: مواليهن الذين يملكونهن: وعبر عن المالكين لهن بالأهل، حملا للناس على الأدب في التعبير، ولأنه يجب أن تكون العلاقة بين العبد ومالكه علاقة أهل لا علاقة استعلاء.

والمراد بالأجور هنا: المهور التي تدفع لهن في مقابل نكاحهن.

والمراد بالمحصنات هنا: العفائف البعيدات عن الفاحشة والريبة. والمرأة المسافحة هي التي تؤاجر نفسها لكل رجل

(3) مسند الإمام أحمد.

(4) تفسير الكشاف جـ 1 ص 520.

أرادها. والتي تتخذ الخدن هي التي تتخذ لها صاحبا معينا، وكان أهل الجاهلية يفصلون بين القسمين فيستقبحون الزنا العلني ويستحلون السري، فجاءت شريعة الإسلام بتحريم القسمين قال تعالى:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ (الأنعام: ١٥١)

وقال تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ (الأعراف: ٣٣)

وقوله:

﴿ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ ﴾

مترتب ومتفرع على ما قبله من أحكام.

والمعنى: إذا عرفتم حكم الله في شأن فتياتكم المؤمنات فانكحوهن بعد أن يأذن لكم في ذلك مواليهن ويرضون عن هذا النكاح، وأدوا إليهن مهورهن بالقدر المتعارف عليه شرعا وعادة عن طيب نفس منكم، وبدون مطل أو بخس، فإنه لا يصح أن تتخذوا من كون المنكوحة أمة سبيلا لغمط حقها، وتصغير شأنها.

وقد اتفق العلماء على أن نكاح الأمة بغير إذن سيدها غير جائز، عملا بظاهر هذه الآية الكريمة، فإن قوله تعالى:

﴿ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ ﴾

يقتضي كون الإذن شرطا في جواز النكاح، ولأن منافع الأمة لسيدها وهي ملك له فلا يجوز نكاحها إلا بإذنه.

قال القرطبي: قوله - تعالى:

﴿ فَانكِحُوهُنَّ ﴾ أي: بولاية أربابهن المالكين وإذنهم وكذلك العبد لا ينكح إلا بإذن سيده، لأن العبد مملوك لا أمر له، وبدنه كله مستغرق، لكن الفرق بينهما أن العبد إذا تزوج بغير إذن سيده فإن أجازه السيد جاز، هذا مذهب مالك وأصحاب الرأي، والأمة إذا تزوجت بغير إذن أهلها فسخ ولم يجز ولو بإجازة السيد[5].

وقوله:

﴿ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾

صريح في وجوب دفع مهر في مقابل نكاح الأمة ولكن من الذي يتسلم هذا المهر؟

يرى كثير من العلماء أن الذي يتسلم المهر هو السيد المالك للأمة، لأن المهر قد وجب عوضا عن منافع بضع المملوكة للسيد، وهو الذي أباحها للزوج فوجب أن يكون هو المستحق لتسلم المهر، ولأن العبد وما ملكت يداه لسيده أي آتوا أهلهن أجورهن فالكلام على حذف مضاف.

ويرى الإمام مالك أن الآية على ظاهرها، وأن المهر إنما يدفع للأمة لأنها أحق به من سيدها، وأنه ليس للسيد أن يأخذ من أمته ويدعها بلا جهاز فالعقد يتولاه السيد أما

(5) تفسير القرطبي جـ 5 ص 141.

المهر فيعطى للأمة لتتولى إعداد نفسها للزواج منه.

وقوله ﴿ مُحْصَنَٰتٍ ﴾ حال من المفعول في قوله: ﴿ فَٱنكِحُوهُنَّ ﴾ أي: فانكحوهن حال كونهن عفائف عن الفاحشة.

وقوله ﴿ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ ﴾ تأكيد له أي غير مجاهرات بالزنا.

وقوله: ﴿ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ﴾.

تأكيد آخر لبعدهن عن الريبة، والأخدان جمع خدن وهو الصاحب والصديق.

والمراد به هنا: من تتخذه المرأة صاحبا لها لارتكاب الفاحشة معه سراً.

وقد وصف الله - تعالى - الزوجات الإماء بذلك لتحريضهن على التمسك بأهداب الفضيلة والشرف، إذ الرق مظنة الانزلاق والوقوع في الفاحشة لما يصاحبه من هوان وضعف، ولا شئ كالهوان يفتح الباب أمام الرذيلة والفاحشة، ومن هنا قالت هند بنت عتبة - باستغراب واستنكار - لرسول الله ﷺ عندما أخذ العهد عليها وعلى المؤمنات بقوله: ﴿ وَلَا يَزْنِينَ ﴾ قالت يا رسول الله: أو تزنى الحرة؟!!

ثم بين - سبحانه - عقوبة الإماء إذا ما ارتكبن الفاحشة فقال - تعالى -:

﴿ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ﴾

ومعنى الإحصان هنا: الزواج، والمراد بالفاحشة: الزنا والمراد بالعذاب: الحد الشرعي أي: فإذا أحصن أي بالتزويج، فإن أتين بفاحشة الزنا وثبت ذلك عليهن، ففي هذه الحالة حدهن نصف حد الحرائر من النساء.

أي: أن الأمة إذا زنت فحدها أن تجلد خمسين جلدة ولا رجم عليها لأنه لا يتنصف فلا يكون مرادا هنا.

وظاهر الجملة الكريمة يفيد أن الأمة لا تحد إذا زنت متى كانت غير متزوجة وقد أخذ بهذا الظاهر بعض العلماء، ولكن جمهور العلماء يرون أن الأمة يقام عليها الحد إذا زنت سواء أكانت متزوجة أم غير متزوجة.

فالآية الكريمة صرحت بأن الأمة إذا ارتكبت الفحشاء تكون عقوبتها نصف عقوبة الحرة، لأن الجريمة يضعف أثرها بضعف مرتكبها، ويقوى أثرها بقوة مرتكبها، فكان من العدل أن يعاقب الأرقاء لضعفهم بنصف عقوبة الأحرار الأقوياء.

فأين هذا السمو والرحمة والعدالة في التشريع من مظالم القوانين الوضعية، ففي القانون الروماني كان العبد إذا زنى بحرة قتل، وإذا زنى الشريف حكم عليه بغرامة ولقد حذر النبي ﷺ من ذلك بقوله: «إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانو: إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد»(٦).

(٦) صحيح البخاري.

ثم ختم - سبحانه - الآية بقوله:

﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

واسم الإشارة ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ يعود إلى نكاح الإماء.

والعنت: المشقة الشديدة التي يخشى معها التلف أو الوقوع في الفاحشة التي نهى الله - تعالى - عنها ولذا قال بعضهم المراد به هنا: الزنا.

أي: ذلك الذي شرعناه لكم من إباحة الزواج بالإماء عند الضرورة يكون بالنسبة لمن خشي على نفسه العزبة التي قد تفضي به إلى الوقوع في الفاحشة والآثام ﴿ وَأَن تَصْبِرُوا۟ ﴾ على تحمل المشقة متعففين عن نكاحهن حتى يرزقكم الله الزواج بالحرة، فصبركم هذا خير لكم من نكاح الإماء وإن رخص لكم فيه.

وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي واسع المغفرة كثيرها، فيغفر لمن لم يصبر عن نكاحن - وفي ذلك تنفير عنه حتى لكأنه ذنب - وهو - سبحانه - واسع الرحمة بعباده حيث شرع لهم ما فيه تيسير عليهم ورأفة بهم.

قالوا: وإنما كان الصبر عن نكاح الإماء خيراً من نكاحهن، لأن الولد الذي يأتي عن طريقهن يكون معرضا للرق، ولأن الأمة في الغالب لا تستطيع أن تهيئ البيت الصالح للزوجية من كل الوجوه لانشغالها بخدمة سيدها.

وقد أشار صاحب الكشاف إلى هذا المعنى بقوله: فإن قلت: لم كان نكاح الأمة منحطا عن نكاح الحرة؟ قلت: لما فيه من اتباع الولد الأم في الرق، ولثبوت حق المولى فيها وفي استخدامها، ولأنها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة، وذلك كله نقصان راجع إلى الناكح ومهانة، والعزة من صفات المؤمنين(٧).

وبذلك نرى أن الآية الكريمة وإن كانت قد رخصت في زواج الإماء عند الضرورة الشديدة إلا أنها حضت المؤمنين على الصبر عن نكاحهن لما في نكاحهن من أضرار يأباها الشخص العزيز النفس، الكريم الخلق، والسبيل الأمثل للزواج بهن يكون بعد شرائهن وإعتاقهن، وبذلك يقل الرقيق ويكثر الأحرار ولذا لو جامعها مولاها كان ابنه حرا وكان طريقا لحريتها ومنع بيعها.

***

(٧) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٥٠٠.

السـنة

لا للتبرُّج والعِصيان.. نعمْ للاحتِشام والطَّاعة

لفضيلة الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومى

روى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال: «جاءت أميمة بنت رقيقة إلى رسول الله ﷺ تبايعه على الإسلام، فقال: «أبايعك على ألا تشركى بالله شيئًا، ولا تسرقى، ولا تزنى، ولا تقتلى ولدك، ولا تأتى ببهتان تفترينه بين يديك ورجليك، ولا تنوحى، ولا تبرَّجى تبرُّج الجاهلية الأولى».....

اللغويـــات

أبايعك على ألا تشركى بالله شيئًا: أى على ألا تجعلى لله شريكًا فى مُلكه، تعالى الله عن ذلك، فقد قال الله ـ تعالى ـ حكاية عن عبده لُقمان:

﴿ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾

«لقمان: ١٣»

ولا تسرقى: السرقة.. أخذ المال على سبيل الخفية، ويقال لمن يفعل ذلك: سارق، وسارقة.

ولا تزنى: الزنا.. إتيان المرأة من غير عقد شرعى، ويقال لمن يفعل ذلك: زانٍ، وزانية.

ولا تأتى ببُهتان تفترينه بين يديك ورجليك: لا تلحقى بزوجك غير أولاده.. وهو اللقيط تفترينه بين يديك.. أو يولد من الزنا تفترينه بين رجليك.

ولا تنوحى: لا تبكى على الميت بجزع وعويل.

ولا تبرجى تبرج الجاهلية الأولى: إذا أبدت محاسنها ومفاتنها.

والتبرج.. إظهار الزينة للرجال الأجانب، وذلك أمر مذموم، أما إظهار الزينة للزوج فلا يكون مذمومًا.

الشـــرح والبيـــان

بعث الله ـ عز وجل ـ نبيَّه مُعلمًا ومُيسِّرًا، فأرشد الناس إلى خير الفرد والجماعة وإلى عز الدنيا ونعيم الآخرة، وبذلك تحقق فى الأمة فضله، وعمَّ الأنام نفْعه، وسرت فى القلوب والأرواح أنوار هدايته، وهذا الحديث الشريف يوضح أنَّ امرأة تُدعى أميمة بنت رقيقة جاءت إلى النبىّ ﷺ لتبايعه على الإسلام، فقال لها رسول الرحمة ﷺ: «أبايعك على ألا تشركى بالله شيئا»؛ لأن توحيد الله ـ عز وجل ـ أساس الإسلام، وهو مفتاح دخول الجنة. روى مسلم فى كتاب «الإيمان/ باب الدليل على أنَّ من مات على التوحيد دخل الجنة» عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أنَّ النبى ﷺ قال له يومًا: «من لَقيت يشهد أن لا إله إلا الله، مستيقنًا بها قلبه، فبشره بالجنة».

وفى الصحيحين أنَّ النبى ﷺ قال لمعاذ ـ رضى الله عنه ـ يومًا: «ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله إلا حرَّمه الله على النار».. ومن الأحاديث المتفق عليها عن عتبان بن مالك ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال: «إنَّ الله قد حرَّم على النار من قال (لا إله إلا الله) يبتغى بها وجه الله».

وقد قال طائفة من العلماء: «التوحيد سبب مُقتضٍ لدخول الجنة والنجاة من النار، لكن له شروط، وهى: الإتيان بالفرائض، وموانع هى: إتيان الكبائر».

وقد قيل للحسن ـ رضى الله عنه ـ إن ناسًا يقولون: مَن قال «لا إله إلا الله» دخل الجنة!. فقال: (من قال «لا إله إلا الله» فأدى حقها وفرضها دخل الجنة)..

وقالت طائفة أخرى: هذه النصوص المطلقة جاءت مقيدة بأن يقولها بصدق وإخلاص.. وإخلاصها وصدقها يمنع الإصرار على المعصية.

وقد جاء من مراسيل الحسن عن النبىِّ ﷺ قال: (من قال «لا إله إلا الله» مخلصًا دخل الجنة).. قيل: وما إخلاصها؟.. قال: (أن تحجزك عما حرَّم الله ـ عز وجل).

فمن كان لا يحب ولا يبغض إلا لله، ولا يوالى ولا يعادى إلا لله ـ فالله إلهه حقًا، ومن أحبَّ لهواه، وأبغض له، ووالى عليه، وعادى عليه ـ فإلهه هواه. قال ـ تعالى ـ:

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾

«الجاثية: ٢٣»

فهذه الجملة «لا إله إلا الله» هى التى تخرج الإنسان من حظيرة الكُفر والشرك والإلحاد إلى حظيرة الإيمان والتوحيد والإسلام، إذ لا إله غير الله، ولا ربَّ سواه، وذلك يقتضى من المسلم السمع والطاعة لله ربِّ العالمين بامتثال الأوامر واجتناب النواهى والوقوف عند حدود الله، ومن ثمَّ بايع رسول الله ﷺ تلك المرأة على تلك الأمور، وهى ألا تُشرك بالله شيئًا، ولا تسرق، ولا تزنى، ولا تقتل ولدها، ولا تأتى ببهتان تفتريه بين يديها ورجليها، ولا تنوح، ولا تتبرج تبرج الجاهلية.

وذلك لأن السرقة حرام، حرمها الله ورسوله ﷺ، فهي حرام إلى يوم القيامة، وقد قال الله – تعالى – لنبيه ﷺ:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

«الممتحنة: ١٢».

وقد عاقب الشرع الحكيم السارق والسارقة بالقطع، قال – تعالى –:

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

«المائدة: ٣٨».

ومن المتفق عليه بين الفقهاء أن لفظ «أيديهما» تشمل اليد والرجل. فإذا سرق السارق أول مرة قطعت يده اليمنى، فإذا عاد إلى السرقة ثانية قطعت رجله اليسرى، وتقطع اليد من مفصل الكف، وتقطع الرجل من الكعب، وكان عليّ – رضي الله عنه – يقطعها من نصف القدم، من معقد الشراك؛ ليدع للسارق عقبًا يمشي عليه، فمن سرق فقطع ثم تاب، تاب الله عليه، لقوله – تعالى –:

﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

«المائدة: ٣٩».

وقد نهى الله – عز وجل – عن الزنا؛ لما يترتب عليه من الأضرار، فقال تعالى:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾

«الإسراء: ٣٢».

وقد حدد الشرع الحكيم عقوبة الزاني والزانية اللذين لم يحصنا بالجلد مائة جلدة.. قال – تعالى –:

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

«النور: ٢».

والتغريب عامًا بعد الجلد، لحديث النبي ﷺ: «البكر بالبكر، جلد مائة وتغريب عام».

كما حددت الشريعة عقوبة الزاني المحصن والزانية المحصنة بالرجم، وهو القتل رميًا بالحجارة، ومن تاب، تاب الله عليه، ومن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله فهو إلى الله؛ إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له.

كذلك نهى رسول الله ﷺ المرأة أن تقتل ولدها، لأن القتل من الكبائر والموبقات، ولأن حفظ النسل من الضروريات التي جاء الشرع لتحقيقها، فالحياة منحة الله – تعالى – للإنسان، لا يملك أحد انتزاعها بغير إرادة الله – تعالى – قال – تعالى –:

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾

«ق: ٤٣».

فمن قتل نفسًا بغير نفس، فكأنما قتل الناس جميعًا.. قال – تعالى –:

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾

«المائدة: ٣٢».

كذلك نهى النبي ﷺ المرأة أن تبكي على الميت بجزع وعويل، وقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي مالك الأشعري – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية....» وذكر منها النياحة.

وختم رسول الله ﷺ تلك النواهي بألا تتبرج المرأة تبرج الجاهلية.

فعلى كل مسلم يريد لبيته التدين والعفة والطهارة أن يمنع أهله من أن يلبسن الثياب الضيقة القصيرة لأن الضيق من الثياب يصف جسم المرأة ويحدده، وأما القصير فإنها إذا انحنت أو جلست أو قامت انكشفت عورتها.

والتي لم تستجب منهن لتوجيهات الدين الحكيم وأوامر القرآن العظيم، ونصائح الرسول الكريم ﷺ، ونزلت على هوى نفسها واتبعت شيطانها، استحقت اللعنة.

روى الطبراني عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ:

«سيكون آخر أمتي نساء كاسيات عاريات، على رءوسهن كأسنمة البخت، العنوهن؛ فإنهن ملعونات».. قال عبدالبر في شرح هذا الحديث:

أراد النبي ﷺ النساء اللواتي يلبسن من الثياب الشيء الخفيف الذي يصف ولا يستر، فهن كاسيات بالاسم، عاريات في الحقيقة.

جنب الله نساء المسلمين التبرج والعصيان ورزقهن الاحتشام والطاعة والإذعان.

***

الرد على تكرار الإساءة لرسول الله صلى الله عليه وسلم

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم
عضو مجمع البحوث الإسلامية

إنّ منزلة رسولنا سيدنا محمد ﷺ منزلة عظيمة، وإنّ خلقه عظيم، كما قال رب العزة - سبحانه وتعالى -:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

«القلم: ٤»

وحين يصف الله - تعالى - رسوله ﷺ بعظمة خلقه فهذا أعظم وصف، حيث إنه صدر من الله - سبحانه وتعالى.

ولذا فإن تلك الإساءات الكاذبة الظالمة التي وجهتها الصحف الدانماركية إلى سيدنا محمد ﷺ، ما هي إلا دعاوى باطلة وآثمة دافعها الحقد على الإسلام الذي ينتشر ويزداد أتباعه في كل يوم.

ودافعها: عدم الإيمان عند المسيئين بأي دين ولا بأي رسول، إذ لو كان هؤلاء المسيئون يدينون بدين، ما أساءوا إلى أشرف المرسلين، لأن الأديان السابقة، بشّرت بسيدنا محمد ﷺ، بل إن رب العزة - سبحانه وتعالى - أخذ العهد والميثاق على جميع الرسل أن يؤمنوا برسول الله ﷺ وأن ينصروه، وأمرهم بالإقرار بذلك، فأقروا، وشهدوا بهذا، بل وشهد معهم رب العزة - سبحانه وتعالى - وذلك في قول الله - تعالى -:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾

(آل عمران: ٨١)

وهذا العهد من الله - تعالى - لجميع الرسل شهدوا به على أنفسهم وشهد الله معهم قد بلّغوه لأممهم، وهو عهد يوجب على هذه الأمم جميعا أن يؤمنوا بسيدنا محمد ﷺ وأن ينصروه إن أدركوه وعايشوا زمانه وزمان دعوته الخالدة إلى يوم القيامة، وهذا الإيمان والانتصار له إنما هو اتباع لأنبيائهم ورسلهم ورسالاتهم، فإذا لم يتبعوا ما اتبعه رسلهم، وإذا لم يؤمنوا بما آمن به رسلهم، وإذا خالفوا هذا، فهم إذا غير صادقين في إيمانهم، وكاذبون في كل ما يدعون.

وما بالنا حين يتصدون لمن أمر الله به جميع

رسله أن يتبعوه، وأن يؤمنوا به، وأن ينصروه فيسيئون إليه ويلصقون التهم الكاذبة به، أليس في هذا تكذيب لرسلهم وعدم إيمان بهم؟!

ولكن الحقيقة أنهم ليس عندهم إيمان بالله ولا برسولهم نستنتج هذا من هجماتهم الظالمة والمتكررة على أشرف خلق الله وإمام جميع رسل الله ومن أمر الله رسله وأتباعهم بالإيمان به وهو سيدنا محمد ﷺ.

إن تكرار الإساءة إلى سيدنا محمد ﷺ يمثل الاستخفاف بالأديان كلها، وبجميع الرسل، وهو ما يمثل عدوانا على الشرائع السماوية المنزلة من عند رب العالمين.

وهو الأمر الذي لا يصح أن يسكت العالم عليه، بل إن الواجب الوقوف في مواجهة هذا العبث الأخلاقي والاستخفاف بالأديان والرسل، لأن هذه الإساءات تسمم العلاقات الدولية بين جميع الأمم وبين أتباع الرسل، وتزرع أسباب الشقاق والصراع بين الحضارات الإنسانية.

النهي عن موالاة المستهزئين

ولقد نهى الله - سبحانه وتعالى - المؤمنين عن موالاة الذين اتخذوا دينهم هزوا ولعبا، وحذّر القرآن من موالاتهم كتابيين ومشركين ومن أهم معالم الدين، ما جاء به رحمة الله للعالمين وهو سيدنا محمد ﷺ من كتاب وسنة وتشريع أخذ بيد البشرية إلى سعادة الدنيا والآخرة وأخرجها من الظلمات إلى النور، ووضح القرآن الكريم أن المؤمنين حقا هم الذين لا يوالون المشركين والكفار والذين اتخذوا الدين هزوا ولعبا، فاستهزءوا برسول الله ﷺ وبما جاء به، وأما الذين يوالونهم فليسوا بمؤمنين، وليسوا بكاملي الإيمان، قال - سبحانه وتعالى -:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

(المائدة: ٥٧)

أي اتقوا الله - سبحانه - أن تتخذوا أعداءكم وأعداء دينكم وأعداء رسولكم أولياء إن كنتم مؤمنين حقا بشرع الله وبرسوله.

فالذين يلهثون مع هؤلاء المستهزئين ويوالونهم، قد خالفوا أمر الله - سبحانه وتعالى.

وإن السكوت على هؤلاء المتطاولين على مقام أشرف الأنبياء والمرسلين يجعلهم يستمرئون باطلهم ويكررون إساءاتهم كما حدث مرارا.

وهم بهذا يحولون دون تحقيق العلاقات الدولية لرسالتها، ويزرعون بسلوكهم الكراهية والبغضاء بين الدول والشعوب.

إننا ندعو العالم كله أن تكون له وقفة جادة حتى لا يستمرئ الظالمون ظلمهم.

حماية الله لرسوله ﷺ

ولقد أمر الله - تعالى - رسوله ﷺ بأن يجهر بدعوة الحق التي أمره الله بها، وأن يعرض عن المشركين وعما يفعلونه وما يقولونه من أذى، وتكفل رب العزة - سبحانه وتعالى - بحماية رسوله ﷺ وأن يكفيه المستهزئين الذين يسخرون منه ومن دعوته، وأنهم لن يتمكنوا من النيل منه، فهؤلاء المشركون جعلوا مع الله إلها آخر، بل آلهة من الأوثان، فسوف يعلمون

نهاية شركهم واستهزائهم.

ووضح رب العزة - سبحانه وتعالى - أنه يعلم تأثر الرسول ﷺ وضيق صدره بما يقول المستهزئون.

ثم أمر الله - تعالى - رسوله ﷺ - إذا أصابه هذا التأثر والضيق - أن يتجه إلى الله بالتسبيح والتنزيه، وأن يكون من الساجدين والخاضعين إلى رب العالمين، وأن يلتزم عبادة ربه حتى ينتهي أجله وحتى يلحق بالرفيق الأعلى.

وفي هذا البيان توجيه للأمة كلها، وعلمائها ودعاتها أن يحزوا حذو رسول الله ﷺ عن هذا كله قال رب العزة - سبحانه وتعالى:

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٩٦) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾

(الحجر: ٩٤ - ٩٩)

ولا يظن أولئك الآثمون المسيئون أن عدم السرعة في مؤاخذتهم في الدنيا يجعلهم في أمان، فإن الله - تعالى - يمهل ولا يهمل، ولطالما حدث ذلك الاستهزاء من أمم سابقة لرسل سابقين فأمهلهم الله ثم أخذهم أخذ عزيز مقتدر، فكان نزول العقاب الشديد لهم الذى لا يوصف، وذلك واضح في قول الله - تعالى -:

﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾

(الرعد: ٣٢)

ولقد جرى للرسل السابقين: مثل ما جرى مع خاتم الأنبياء والمرسلين مع الأمم، فعندما استهزأ الكفار بهم حل بالكافرين الذين استهزءوا وسخروا من رسلهم؛ حل بهم العذاب الذى جعلوه مثار استهزائهم وسخريتهم كما قال الله - تعالى -:

﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾

(الأنبياء: ٤١)

فلينتظر أولئك المسيئون الظالمون ما ينزل بهم عاجلاً أو آجلاً؛ فإن الله - تعالى - يمهل ولا يهمل.

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾

(إبراهيم: ٤٢)

الوعيد للمستهزئين بخاتم الرسل والنبيين:

ولقد جاء القرآن الكريم يحمل الوعيد الشديد، للمستهزئين بخاتم النبيين الذين كذبوا بالحق لما جاءهم، وأنهم سيحل بهم ما أخبر الله عنه في آياته، من عقاب الدنيا، وعذاب الآخرة وسيتضح لهم آنئذ صدق وعيد الله - سبحانه وتعالى - الذى كانوا يسخرون منه، ويستهزئون به، حيث قال الله - سبحانه وتعالى:

﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾

(الأنعام: ٥)

وقد خاطب الله - تعالى - رسوله ﷺ موضحاً له الوعيد الشديد للمستهزئين به، فهو إن سألهم عن سبب طعنهم واستهزائهم - قديماً - لقالوا: إنما كنا نخوض ونلعب، ولو سألناهم نحن اليوم لقالوا حرية التعبير، فيرد عليهم الخالق القدير آمرا رسوله ﷺ أن يقول لهم:

﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾

(التوبة: ٦٥)

وهكذا يحمل القرآن الكريم التقريع لأولئك المسيئين الظالمين على إساءتهم واستهزائهم.

نهاية المستهزئين

ولقد قرر القرآن الكريم نهاية الذين كفروا واتخذوا آيات الله ورسله هزوا، فاستهزءوا بدين الله وآياته ورسله فكانت جهنم مأواهم وجزاءهم بسبب كفرهم واستهزائهم.

إن هذا النمط من المستهزئين الكافرين، وصفهم الله - تعالى - بالأخسرين أعمالاً، ثم فسر وضعهم فقال:

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥) ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴾

(الكهف: ١٠٣ - ١٠٦)

إن هؤلاء لا يقيم لهم رب العزة وزنا؛ لأن موازينهم خالية من الخير.. عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرءوا إن شئتم:

﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾

رواه البخاري ومسلم.

ثم وضحت الآيات السبب في عقابهم وجزائهم ودخولهم جهنم وهو أنهم كفروا، وأنهم اتخذوا آيات الله ورسل الله هزوا، فاستهزءوا بهم وكذبوهم، قال - سبحانه: «الكهف: ١٠٦»

﴿ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴾

أي أن هذا الجزاء والعذاب بسبب كفرهم واتخاذهم لآيات الله ورسله هزوا، فاستهزءوا وسخروا وإن ربك لبالمرصاد.

وقد وعد الله الرسل بالنصر على من آذوهم وكذبوهم وقصّ على رسول الله ﷺ أنباءهم؛ تسلية له، وتثبيتا، قال - تعالى -:

﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾

(الأنعام: ٣٤)

وإننا لنؤكد مطالبتنا على ما يأتي:

أولاً: وجوب الوقوف على قلب رجل واحد من جميع المسلمين في كل الأرض لمواجهة هذه التحديات السافرة المتكررة.

ثانياً: وجوب قيام الأمم المتحدة والمنظمات العالمية بسن تشريع يعاقب هؤلاء المسيئين حتى لا تتكرر الإساءة مرة أخرى.

ثالثاً: النهي عن موالاة المستهزئين ورفض سياستهم حتى يتوبوا ويتوبوا ويعتذروا.

● أما مقام سيد الخلق ﷺ فلا يمسه سوء مهما افترى الآثمون؛ لأن الله - تعالى - تكفل به:

﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾.

الرعد: ٣٢».

قصيدة العدد

نفحة نبوية

صبراً دعاة الحق

للشاعر الكبير الأستاذ محمد عبد الغنى حسن

هذا الهدى فاملأ به الصحراء ... وانشره فى خلل الظلام ضياء
واصدع بأمر الله لا متهيباً ... ضجراً ولا متخوفاً بأساء
من كان فى الحق المبين بلاؤه ... هيهات يخشى فى العدو بلاء
يأيها الداعى إلى دين الهدى ... وقيت قسطك فى الجهاد دعاء
شبوا عليك النار شاوية اللظى ... ورموا عليك الغارة الشعواء
وترصدوا لك فى الطريق مجاهداً ... فرأوك أنفذ فى الطريق مضاء
نثروا عليك الحقد من شهواتهم ... فنثرت من نبل الخلال وفاء
نور النبوة فى جبينك ساطع ... يجلو الدجى ويبدد الظلماء
فإذا المجاهل قد غدون معالما ... واليأس أصبح فى يديك رجاء
بدلت صحراء الجزيرة روضة ... وجعلت منها جنة فيحاء
الجاهلية من غراسك أثمرت ... وتفجرت ظلاً هناك وماء
وتألفوا فى الله صفاً واحداً ... ونسوا لديك الحقد والبغضاء
يبنون للإسلام ركناً خالداً ... ويرون فيك المنشئ البناء
حجر أقمت على التقى آساسه ... قرناً . وأدرك سمته الجوزاء

يمتد فى كسف السحاب تطاولاً ... ويزيد فى كبد السماء نماء
ويزلزل الدنيا ويصدع ركنها ... ويهد من نصب الضلال بناء
بطحاء مكة أشرقت جنباتها ... ما كان أكرم هذه البطحاء!
ولد الهدى فيها فكان محمداً ... وغدا لكل المكرمات سماء
هذا اليتيم أتى فألف أمة ... شتى، وقوماً فرقوا أهواء
ويشد بينهمو أواصر ألفة ... ويزيد ما بين القلوب إخاء
سوى من الفانين كل تمايز ... ومحا بها العصبية العمياء
لا يستقيم الحق بين جماعة ... إن لم يكونوا فى الحقوق سواء
يأيها الهادى صبرت على الأذى ... وحملت من أوطانك الإيذاء
وضربت فى الصبر الجميل نواحياً ... وكشفت عن نبل الخلال غطاء
قل للذى سئم الجهاد وملَّه ... هلا اتخذت من الرسول عزاء؟
ما قيمة الدنيا إذا هى لم تكن ... صبراً وأخذاً دائماً وعطاء؟
يأيها الهادى لقيت إساءة ... فحملت فيها الصفح والإغضاء
إن الكريم يغض طرف سماحة ... ويرد من إحسانه اللؤماء
لما قدرت عفوت أجمل قادر ... وأسرت عفواً من إليك أساء!
تلك الخلال الضاحكات خليقة ... أن تستميل لصفك الأعداء
ولقد كرهت بأن تقيم على الأذى ... فهجرت أرضاً أنبتتك وماء
وتأثروك فما خبت لك جذوة ... يوماً ولا قدروا لها إطفاء
ووجدت فى ظل المدينة جيرة ... ولقيت من أنصارها نصراء
آواك فيها معشر بك آمنوا ... واستقبلوك مرحبين وضاء
عجباً! رأيت من المدينة رقة ... ورأيت مكة قسوة وجفاء
صبراً دعاة الحق إن نصيبكم ... أن تقطعوا أيامكم غرباء
مهلاً دعاة الحق إن سبيلكم ... ليست يساراً كلها ورخاء
لا تحسبوها بالورود تزينت ... أو رقت الدنيا بها أنداء
لا تحسبوها الظل أفيح ناعماً ... والعيش حلواً والمنى خضراء
هى أن تضحوا بالحياة رخيصة ... وتقدموها للجهاد فداء
الحق لا يحيا شهيداً بينكم ... ما ضر لو متم له شهداء؟؟

تأملات في السيرة (٣)

حوار موصول مع خليفة ملهم

لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى

ذكرنا في المقال السابق موقعة القادسية وما كان من حديث سيدنا ربعى بن عامر لرستم قائد الفرس ولا يمكن أن نذكر موقعة القادسية وقائد جيش المسلمين فيها سعد بن أبى وقاص دون أن نذكر وصايا سيدنا عمر بن الخطاب لسعد وجيشه تلك الوصايا التى تفيض رقة ورحمة وما ذاك إلا أنه صاحب دعوة يعنيه أول ما يعنيه أن يبلغ دعوة ربه فلا يحسب حساب الغلبة والقهر إنما يحسب حساب التبليغ والهداية.

لكن لماذا اشتهر الرجل بالشدة؟؟ أو هكذا يتصور الناس!!

اشتهر بالشدة لأنها كانت مواقف تحتاج إلى الشدة. أما لو أنك تتبعت سيدنا عمر فى مواقف الحرب فإنك تراه يذوب رقة وحنانا لأنه كما قلت لك صاحب رسالة تهمه الدعوة إلى الله وهداية الناس ولا يعنيه النصر أو الظفر فى حرب أو معركة.. كيف ذاك؟ لا لشيء إلا لأنه قائد مسئول تلزمه حكمة القيادة فى السلم وفى الحرب أن يكون على بصيرة فى معالجة أموره فأنت تراه فى أيام السلم وحين يخلد الناس إلى الدعة ويميلون إلى ترك التحفظ فى كل أمورهم أو يكادون حتى يؤدى بهم ترك التحفظ إلى الحمق الذى يوقع فى المحظور. هنا ترى ابن الخطاب شديدا يرفض أى تجاوز ويأبى أى تقصير وهو يندفع فى أنفة وحمية ترهب ذلك الذى يتهاون فى حقوق الآخرين، أو يتجاوز حده ويتخطى حتى يصل إلى المحظور.

وتحسب الناس فى دعتهم كأنهم ألفوا الممنوعات وقبلوا التجاوزات حتى يخيل إليك أنه لم يعد من ينكر مسلك الناس، فلا ترى إلا ابن الخطاب أسدا هصوراً يأبى أن يتجاوز أحد حده، ومواقف الفاروق تشهد بذلك، وهى خير دليل على ما نقول.

حينما يرى يهودياً قد تجاسر على سيد الخلق ﷺ وتجاوز حده فأغلظ القول إلى رسول الله - وهو يطالب بدينه - فقال لرسول الله ﷺ أنتم يا بنى عبدالمطلب قوم مُطل وجذبه من ثوبه بغلظة وقسوة حتى أثر الثوب فى عنقه ﷺ وهنا ترى ابن الخطاب فزع إلى اليهودى ونهره بشدة أدخلت الرهبة فى قلبه حين رأى سيف الفاروق يكاد يهوى على رأسه، فترك النبى ﷺ وبادر نبى الرحمة إلى الفاروق قائلاً: أنا وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج كنت تأمرنى بحسن الأداء وتأمره بحسن الاقتضاء، أعطه حقه وزده جزاء ما روعته. وأنت واجد الفاروق على نفس الهيئة ونفس الحمية التى ترهب الخارجين عن الحق، وسنن الخُلق المستقيم، الذين لا يسيرون السيرة المرضية فى معاملاتهم للرعية وما حادثة ابن سيدنا عمرو بن العاص مع المصرى بخافية، وكلنا يعرف كيف واجه ابن الخطاب تصرف أبناء الولاة حين تجنح بهم مراكز آبائهم، واجه ابن الخطاب ذلك بحسم وأحضر الوالى وابنه وقال للمصرى اضرب ابن الأكرمين، ثم أمر ابن العاص أن يخلع عمامته وأمر المصرى أن يجيل درته على صلعته فقال له: «ما ضربك هذا إلا بسلطان أبيه»، وليس يخفى موقف الفاروق بن الخطاب يوم الهجرة حيث رفض أن يهاجر سراً فمر على جماعات قريش داخل الحرم وهو يصرخ بأعلى صوته وهو يقول: «شاهت الوجوه إنى مهاجر فمن أراد أن تثكله أمه أو ييتم ولده أو ترمل زوجته فليتبعنى وراء هذا الوادى»، ومن من المسلمين لا يعرف موقف عمر فى صلح الحديبية وهو يصرخ بأعلى صوته رافضا شروط الصلح المجحفة فى نظره وهو يقول علام نرضى الدانية فى ديننا؟ ولم يوقفه إلا قول رسول الله ﷺ: «أنا رسول الله ولن يضيعنى» ومن منا لا يذكر موقف سيدنا عمر من أسرى بدر ورفض الفداء حتى أرجف المستشرقون بأن عمر قاس متعطش للدم.. الواقع أن الموقف يتطلب هذه الشدة ولو وضع مكانها اللين لم يصلح لعلاج الموقف ولم يكن عمر هو عمر ذلك الذى تعرفه مواقف الرجال، إنما عمر هو تلك الشخصية التى تقف بالمرصاد لكل ميل أو انحراف عما يتطلبه الموقف من شدة أو لين فهو شديد عنيف حينما يتطلب الموقف تلك الشدة وهو لين وديع يفيض رحمة ورقة عندما يكون الناس مندفعين فى ساحة حرب متعطشين إلى القتال وسوف تتابع الفاروق مع قائده سعد ابن أبى وقاص فى القادسية وسوف نلاحظ أول ما نلاحظ متابعة سيدنا عمر المقاتلين واهتمامه بشأنهم ورغم قلة وسائل الاتصال أو انعدامها إلا أننا نلاحظ كأن عمر يعيش بالقرب معهم أو بينهم فهو كثير الوصاية لسعد يكاد لا يتركه فهو مهتم بالقائد وجيشه، يعمل دائما بوصية الرسول ﷺ «من ولى من أمر المسلمين شيئا لم يحطهم بنصيحة كما يحوط أهل بيته فليتبوأ مقعده من النار»[1].

وقوله ﷺ «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»[2] ونعم حامل هم الجيش لا يفتر ولا يغيب عنه لحظة بل إنه يحمل هم خصومه فى المعركة ولا يعنيه هم النصر والغلبة كأنهم ليسوا أعداءه تأمل ما رواه الطبرانى[3] أن عمر - رضى الله عنه - كتب إلى سعد ابن أبى وقاص لما طلب مددا فأرسل إليه بالمدد وأعجب بما يوصيه: «قد وجهت إليك وأمددتك بألفى رجل عمرو ابن معدى كرب وطليحة بن خويلد». كان كل رجل بألف - اسمع لكلمات عمر التى

(١) كنز العمال / ١٤٧٤٣.

(٢) راجع الفتوحات الاسلامية بعد مضى الفتوحات النبوية زينى دحلان جـ١ ص٨٣.

(٣) المعجم الأوسط / ٧٤٧٣.

تفيض حكمة فى القيادة وحنكة غرسها الإسلام فى قلبه رقة ورحمة ما كان يعلمها هو ولا قومه قال: «شاورهم فى الحرب ولا تولهما؛ لما يعلم فيهما من شدة الإقدام بالعسكر وعدم التأنى هل رأيت فلسفة رشيدة رحيمة كتلك التى يعالجها عمر؟ أرأيت كيف يرفق بعسكره فى الحرب؟ قل لى بربك لماذا ندبهم إلى الحرب أصلا إن كان يخشى شدة الإقدام، إن الحرب فى نظره وسيلة لتحقيق هدف وضرورة فرضها عناد الأعداء فليست شهوة تدمير أو أداة انتقام دفعت المحاربين إلى إلقاء قنبلة ذرية على نجازاكى أو هيروشيما ولا تجريب وسائل التدمير الجهنمية فى البشر دون جريرة أو ذنب.

لقد تناقلت وسائل الإعلام أن زلزال هايتى لم يكن بفعل الطبيعة إنما كان بفعل أمريكى دنىء خبيث لتجريب وسائل تدمير تبدو طبيعية.

هل رأيت استهتاراً بأرواح البشر وصل إلى هذا المستوى كأن البشر فئران تجارب؟ أين هذا من الفاروق وصحبه؟!

فى رسالة أخرى من عمر بن الخطاب لسعد ـ رضى الله عنهما ـ تستبين منها كيف أن ابن الخطاب فهم طبيعة وعادات الناس الذين يحاربونه وهو ينبه قائده ببعض عاداتهم حتى لا ينخدع بهم أو يخدعوه يقول ـ رضى الله عنه ـ: «إذا لقيتم العدو وهزمتموهم فمتى لاعب أحد منكم أحداً من العجم بأمان أو بإشارة أو بلسان كان عنده أمانا فأجروا لهم مجرى الأمان والوفاء فإن الخطأ بالوفاء بقية وإن الخطأ بالغدر هلكة فيها وهنكم وقوة عدوكم» أتدرى ما معنى هذا الكلام يا أخى؟ يعنى إذا مازح أحدكم عدوه بقول أو بإشارة فهم العدو فيها أماناً فلابد أن يمضى له ذلك الأمان ثم ينصح الخليفة بقوله «إن الخطأ فى وفاء ـ فيما ظنه العدو أمانا ـ بأمان خير من الخطأ فى الغدر به لأن الخطأ فى الوفاء فيه وقايتكم والخطأ فى الغدر فيه وهنكم وقوة عدوكم».

هل رأيت على مر تاريخ المعارك قائداً يأبى أن يستثمر فرصة سنحت له من عدوه ولو عن طريق الخطأ؟ أى نبل هذا وأى ترفع عن الدناءة تلك التى يعلمها المسلمون للعالم؟! أين هذا الخلق السامى من فعل بلير حين اشترك فى تدمير العراق لا لهدف إلا مجرد التبعية لزعيم التخريب «بوش» الذى خدع بل كذب على العالم كله بما أشاعه من امتلاك العراق أسلحة دمار شامل؟! من يا ترى الذى دمر السلوك البشرى كله وأشاع الفساد فى العالم بأسره؟ من الذى أفسد الأخلاق؟ وأصبحت كلمات الشرف والأمانة والصدق فى عهده بلا معنى، فقدت مضامينها، ماعاد العالم بعد اليوم يرى فى هذه الكلمات أى مدلول نحن نحتاج إلى قواميس أخرى نتعامل بها مع مصاصى خيرات الشعوب وهواة التدمير للحضارات هل ما حدث فى «سجن» أبوغريب أو فى «جوانتينامو» وما فى السجون السرية يندرج تحت أى مسمى آدمى!! إنها أساليب شيطانية ونفوس مليئة بالحقد كله ما عادت تعرف طعم الرحمة؟

الخوارق فى قصة يوسف عليه السلام

(١)

للأستاذ/ صديق بكر عيطة

الخوارق، هى المعجزات، التى تقع على يد الأنبياء والمرسلين، مما لم تجر به العادة بين أوساط الناس، سواء من كان فى عصر حدوثها، أو فى غير عصر حدوثها، لأنها ليست فى مقدور البشر.

وقد جرت سنة الله مع أنبيائه ورسله ـ عليهم السلام ـ أن يؤيد دعواهم النبوة أو الرسالة، بمجموعة من الخوارق، التى لا قبل لبشر بها، وعلى الوجه الذى يؤيد صاحب الدعوى، وكأن الله ـ عز وجل ـ يقول صدق عبدى فيما يبلغ عنى، وقد كانت خارقة كل نبى ورسول من جنس ما برع فيه قومه، أو ما هم فى أشد الحاجة إليه، ولم يقدر على تحقيقه بشر، ليكون التحدى أبلغ، ولتكون الحجة ظاهرة للناس كافة.

والمعجزة أو الخارقة، لابد فيها من شروط ثلاثة ليتحقق معنى الإعجاز:

١ ـ أن تكون المعجزة فى مستوى إدراك الجميع، لتكون حجة للناس جميعا، إذ لا قيمة للمعجزة ولا فائدة منها إذا كانت فوق إدراك المخاطبين بها.

٢ ـ أن تكون المعجزة خارقة للعادة، وفوق طاقة الجميع، لكونها وسيلة لتبليغ الدين الجديد، الذى ارتضاه الله لعباده.

٣ ـ أن يكون تأثير المعجزة بقدر ما فى تبليغ الدين من حاجة إليها[1].

يضاف إلى ذلك أن تكون على الوجه الذى يؤيد هذه الدعوى، ويؤكد على الهدف الأسمى منها.

وقد اقترن اسم كل نبى ورسول من أنبياء الله ورسله بذكر عدد من الخوارق التى أيد الله بها دعوته، وكانت سنداً له فى مواجهة قومه المنكرين لما جاء به حتى تقيم عليهم الحجة، وتسد أمامهم طريق الإنكار:

---

(1) مجلة «عالم الفكر» ـ المجلد ٣١ ـ العدد الثانى: أكتوبر ـ ديسمبر ٢٠٠٢.

فقد عُرف موسى - عليه السلام - بمعجزة العصا، التي جعلها الله بقدرته حية تلتهم ما يأفكه سحرة فرعون، وهي نفسها التي ضرب بها موسى البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم، وضرب بها الحجر:

﴿ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾

(البقرة: ٦٠)

كما عرف أيضا بمعجزة اليد، التي أدخلها - عليه السلام - في جيبه ثم أخرجها بيضاء من غير سوء.

ومن الخوارق التي عرف بها موسى عليه السلام: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم.

وعُرف عيسى - عليه السلام - بمعجزة إحياء الموتى، ومعجزة إبراء الأكمه والأبرص، وإنباء القوم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم.

وعُرف إبراهيم - عليه السلام - بمعجزة النار التي سلبها الله خاصية الإحراق عندما ألقاه قومه فيها، حماية له وكبتا لهم وردا لكيدهم في نحورهم:

﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴾

(الأنبياء: ٦٩، ٧٠)

ومعجزة السكين، التي سلبها الله خاصية الذبح، بعد أن طرح ابنه إسماعيل للجبين، محاولاً ذبحه تنفيذاً لأمر الله - عز وجل -، ثم معجزة الفداء العظيم، الذي افتدى به الله إسماعيل - عليه السلام - وهي قصة مشهورة مذكورة في أكثر من موضع في القرآن الكريم.

وعرف سليمان - عليه السلام - بخارقة الريح، التي جعلها الله عز وجل تجري بأمره رخاء حيث أصاب، ومعجزة الشياطين، التي سخرها الله لنبيه سليمان لتكون جنداً من جنده تأتمر بأمره وتنتهي بنهيه، فكان منها كل بناء وغواص، وآخرون مقرنون في الأصفاد.

وعرف داود - عليه السلام - بمعجزة الصوت الجميل، حتى إن الطير والجبال كانت تردد معه تسابيحه لله عز وجل، وهو يتلو مزاميره.

وعرف خاتمهم، محمد ﷺ بكثير من المعجزات، التي لا تزال كتب السنة المطهرة تزهو بها على طول الزمان: فقد عُرف بمعجزة الماء النابع من بين أصابعه الشريفة ﷺ ومعجزة حنين الجذع إليه، ومعجزة الإسراء والمعراج.

كما عرف ﷺ بسيدة المعجزات قاطبة: معجزة القرآن الكريم، التي لا تزال تتجدد على طول الزمان، ولا تزال تنضح بألوان من الإعجاز الذي يناسب كل عصر وكل فئة من الناس.

وقد كانت معجزة كل رسول، تأتي بأسلوب يتناسب وطبيعة الحياة التي تحياها الأمة، التي نزلت فيها الرسالة، لتكون

أقوى أثراً في النفوس وأبعد هدفاً في أمتها.

يقول الإمام الشيخ محمد أبو زهرة: «والملاحظ أن الخوارق للعادة التي جاءت على يد الأنبياء الذين عاشوا في البلاد العربية، كانت حسية مناسبة للعرب، وكانت من الناحية التي تناسب الصحراء والبادية، فمعجزة هود كانت أحجارا من سجيل منضود، وقد ظنوها عارضا ممطرا. ومعجزة صالح كانت ناقة غريبة بين أهل النوق في البادية. ومعجزة لوط كانت جعل الأرض عاليها سافلها. ومعجزة شعيب كانت صيحة جعلتهم في ديارهم جاثمين»(٢).

ولقد أيد الله يوسف - عليه السلام - بكثير من الخوارق، التي تخرج عن قدرة البشر، وكلها على اتصال قوي بالعلم اللدني، الصادر عن الله - عز وجل -، دون أن يجلس يوسف إلى معلم أو فيلسوف، ودون أن يقرأ ذلك في كتاب، وكلها أيضا مما يتناسب مع قضايا الأمة المصرية آنذاك، ويحل مشاكلها، وما قد يعترض حياتها وحياة الأمم من حولها من أزمات تهددها في أرزاقها وأقواتها.

* وسيدة معجزاته - عليه السلام - هي معجزة تأويل الرؤيا، التي يراها الإنسان في نومه دون معلم، وإنما هو مما قذفه الله في قلبه، وأنار به بصيرته، إنباءً من الله - عز وجل - له ببعض ما سيحدث في المستقبل، وهي جزء من النبوة، كما قال سيد المرسلين ﷺ: «لا يبقى بعدي من النبوة شيء إلا المبشرات. قالوا يارسول الله وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة، يراها الرجل أو تُرى له»(٣).

وقد تحدثت السورة المباركة عن بعض هذه الرؤى، وفي مقدمتها رؤياه هو - عليه السلام - التي رآها لنفسه، وقد استغرق تأويلها من حياة هذا النبي المبارك أربعين عاما، كما قال أكثر العلماء، حتى قال بعضهم: إن أقصى مدة يستغرقها تأويل الرؤيا، أربعون سنة.

ثم رؤيا كل من صاحبي السجن، اللتين أولهما يوسف - عليه السلام - فكان كما قال، مما أكسبه ثقة ساقي الملك. وعندما رأى الملك رؤياه الشهيرة، تذكر هذا الرجل، ما كان من يوسف، من حسن تأويل رؤياه، فكان أن طلب من الملك أن يأذن له بالانصراف إلى يوسف في سجنه ليحكي له رؤياه. وقابل يوسف فقام بتأويلها على نحو ما مرّ مفصلا، ليعبُر يوسف بعد ذلك بالأمة المصرية والأمم من حولها هذه الأزمة الاقتصادية التي كادت تفتك بهذه الشعوب، لولا لطف الله وحكمة يوسف، وما قذف في قلبه من العلم اللدني، الذي لم يجلس فيه إلى معلم..

* ومن معجزات يوسف - عليه السلام- الخارقة للعادة، التي أيده الله بها في دعوته

(٢) المعجزة الكبرى، القرآن ص ٢٨٨ ط ١٩٩٨، دار الفكر العربي.
(٣) مسند أحمد، كتاب: باقي مسند الأنصار.

الناس إلى الدين القيم، صدق نظرته فى أحوال الاقتصاد، وما يصلح به شأن العباد، دون معلم من البشر، وتجلى ذلك فى أكثر من موضع.

* تجلى أول ما تجلى عندما أرشد الملك، وهو يؤول له رؤياه إلى كيفية حفظ الغلال مدة السبع السنين الرخيات، حتى يمكن الإفادة منها عند اشتداد الأزمة فى السنوات السبع الشداد:

﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾

(يوسف: ٤٧ - ٤٩)

ولم يكن قد سبق للناس عهد بحفظ الحب فى سنبله، حتى لا يقربه السوس، وإنما هو مما علمه الله ليوسف عن طريق الوحى، علما لدنّيا منه - سبحانه وتعالى -، ليصلح به من شأن عباده وقت اشتداد الأزمة الطاحنة التى تهدد الناس فى أقواتهم وأرزاقهم. وكان ذلك من الأدلة القوية على أنه مؤيّد من قبل الله - عز وجل - فى دعواه الرسالة.

ولشدة ثقة يوسف فى رؤيته الاقتصادية التى علمه الله إياها، كانت عبارته التى حكاها الله فى السورة بصيغة المضارع:

﴿ تَزْرَعُونَ ﴾

﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ ﴾

وكأنه يصف أحداثا يراها رؤيا العين فى هذه اللحظات. هذا أولا. وثانيا: طلب أن يتولى هو أمر الرعية فى تصريف شئون حياتهم الاقتصادية حتى تعبر بسلام هذه الأزمة المنتظرة:

﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾

(يوسف: ٥٥)

فكان نعم المرشد الأمين، والناصح المعين، الذى أخرج الناس من ظلمات الشدة الطاحنة إلى نور الرخاء ورغد العيش، وكل ذلك مما علمه الله ليوسف - عليه السلام - حيث لم يسبق للناس عهد بشىء من ذلك فى هذا الزمان الموغل فى القدم.

وقد نقل التاريخ أن يوسف - عليه السلام - أقام السدود لحفظ الماء الزائد أيام الرخاء، مما كان يفيض به النيل، حتى تفيد منه الأمة عند اشتداد الأزمة، وأقام المقاييس على مجراه، وبنى المخازن لحفظ الغلال وعبّد طرق التجارة بين مصر والبلاد المجاورة، وأمن طرق القوافل من اللصوص وقطاع الطرق، حتى إن تجارة الشام أصبحت على اتصال قوىّ بتجارة مصر عبر الصحراء، وقد تحول إخوته من بلاد كنعان حيث كانوا يعيشون مع أبيهم يعقوب- عليه السلام - بتجارتهم إلى مصر، لتنتهى الأحداث إلى ما انتهت إليه على نحو ما ذكرت السورة الكريمة تفصيلا.

جاء فى كتاب (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية): «أن يوسف - عليه السلام - ملك مصر وهو ابن ثلاثين. فأقام يدبرها أربعين سنة، فقال أهل مصر: قد كبر يوسف واختلف رأيه فعزلوه وقالوا: اختر لنفسك من الموات أرضا تقطعها لنفسك وتُصلحها، وتُعملُ رأيك فيها، فإن رأينا من رأيك وحسن تدبيرك ما نعلم أنك فى زيادة من عقلك، رددنا إليك ملكك. فاعترض البرية فى نواحى مصر فاختار موضع الفيوم (ولم تكن عرفت بهذا الاسم إلى ذلك الحين) فأعطيها فشق إليها خليج المنهىَ من النيل حتى أدخله الفيوم كلها وفرغ من حفر ذلك كله فى سنة * قال (يريد ابن أبى حبيب): وبلغنا أنه إنما عمل ذلك بالوحى، وقوى على ذلك بكثرة الفعلة والأعوان، فنظروا فإذا الذى أحياه يوسف من الفيوم، لا يعلمون له بمصر كلها مثلاً ولا نظيرا، فقالوا: ما كان يوسف قط أفضل عقلاً ولا رأيًا ولا تدبيرا منه اليوم، فردوا إليه الملك. فأقام ستين سنة أخرى تمام مائة سنة، حتى مات وهو ابن ثلاثين ومائة سنة. قال (ابن أبى حبيب): ثم بلغ يوسف قول وزراء الملك أنه إنما كان ذلك على المحنة (أى الامتحان والاختبار) منهم له، فقال للملك: عندى من الحكمة والتدبير غير ما رأيت، فقال له الملك: وما ذاك؟ قال: انزل الفيوم من كل كورة (أى قرية) من كور مصر، أهل بيت وآمر أهل كل بيت أن يبنوا لأنفسهم قرية، وكانت قرى الفيوم على عدد كور مصر. فإذا فرغوا من بناء قراهم صيرت لكل قرية من الماء بقدر ما أصير لها من الأرض، لا يكون فى ذلك زيادة ولا نقص، وأصير لكل قرية شرباً فى زمان، لا ينالهم الماء إلا فيه، وأصير مطأطئاً للمرتفع، ومرتفعاً للمطأطىء (أى يصلح ما فى الأرض من مرتفعات ومنخفضات، ليجعلها صالحة للزراعة والحياة عليها) بأوقات من الساعات فى الليل والنهار، وأصيرّ لها قبضات (أى لتمسك الماء وتصرفه عند الحاجة إليه وبالقدر المطلوب فقط) فلا يقصّر بأحد دون حقه ولا يزداد فوق قدره. فقال له فرعون: هذا من ملكوت السماء؟ (يقصد من الوحى) قال: نعم. فبدأ يوسف، فأمر ببنيان القرى، وحدد لها القرية التى كانت أول قرية عمرت بالفيوم، قرية يقال لها: (سانة) وهى القرية التى كانت تنزل بها بنت فرعون. ثم أمر بحفر الخليج وبنيان القناطر فلما فرغوا من ذلك، استقبل وزن الأرض، ووزن الماء، ومن يومئذ حدثت الهندسة، ولم يكن الناس يعرفونها قبل ذلك، وكان أول من قاس النيل بمصر يوسف، ووضع مقياساً بمنف[٤].

(يتبع)

(٤) اقرأ الخطط المقريزية ٣٢٤/١ وما قبلها وما بعدها لتزداد معرفة بهذه القضية. الكتاب طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة.

النقود وآثار تغير القوة الشرائية في ضوء الشريعة الإسلامية

للأستاذ / أحمد مصطفى أبو حبيش •

أثار البحث فى موضوع الربا والمعاملات النقدية أسئلة كثيرة أهمها هو: ما مدى تأثير التضخم والانكماش الاقتصادى على المعاملات النقدية؟ وكيف تعالج الشريعة الإسلامية تغير القوة الشرائية للعملات النقدية..؟ لذلك فإن الباحث يُلقى بعض الضوء على هذا الموضوع.

الظلم فى الاقتراض والإقراض

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾

(سورة البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩)

ولما كانت هذه الآية الكريمة هى العمود الفقرى لموضوع الربا، لذا وجب تناول النقاط التالية:

أولا: رأس المال

رأس المال هو أصل المال.

وفى لغة المحاسبة المالية، رأس المال هو مبلغ من المال أو كمية من السلع الذى يبدأ به مشروع معين.

ويزداد رأس المال بقيمة صافى الربح وينقص بقيمة صافى الخسارة.

فالقول بأن إنسانًا قد خسر رأس ماله يعنى أنه قد خسر كل مالديه.

وتستعمل كلمة «رأس» للإشارة إلى أهم ما فى موضوع ما.

وتقول «رأس الحكمة مخافة الله» أى أنه إذا فقدت مخافة الله - سبحانه وتعالى-، فقدت الحكمة كلها.

ورأس المال فى هذه الآية الكريمة تعنى أصل المال.

ثانيا: من المتحدث إليه؟

المعاملة المالية (أو المادية) تتطلب ثلاثة عناصر: دائن، ومدين، وموضوع المعاملة.. ولما كان المتحدث فى هذه الآية الكريمة هو الله سبحانه وتعالى.. فيجب أن يكون المتحدث إليه أحد أطراف المعاملة المالية؛ إذ أن حرف «الميم» فى كلمة ﴿تُبْتُمْ﴾ وكلمة ﴿فَلَكُمْ﴾ وكلمة ﴿أَمْوَالِكُمْ﴾ فى هذه الآية الكريمة إما أنها تشير إلى مجموعة الدائنين أو إلى مجموعة المدينين.

ولما كان الله تعالى يقول:

﴿ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ ﴾

فإن القارئ يستخلص أن الحديث موجه إلى مجموعة الدائنين، وليس إلى مجموعة المدينين.

ثالثا: لا تظلمون

الظلم هو عدم إعطاء صاحب الحق حقه، ويتطلب ثلاثة عناصر،هم: ظالم، ومظلوم، وموضوع الظلم.

والسؤال هنا: من الظالم؟ ومن المظلوم؟ وما موضوع الظلم؟ فى لفظ ﴿ لَا تَظْلِمُونَ ﴾ الظالم ولا شك هو الدائن، حيث استخلصنا فى الفقرة السابقة أن الحديث موجه إلى الدائن.

والمنفى هنا فى كلمة «لاتظلمون» هو ظلم الدائن للمدين.. وبناء عليه إذا كان الدائن هو الظالم وإذا كان المدين هو المظلوم، فما هو موضوع الظلم؟

موضوع الظلم بلا شك هو الزيادة التى يتقاضاها الدائن من المدين وهو المعروف شرعا بالربا.

وذلك لأنه يزيد المدين إرهاقًا ماليًا ولا يخفف عنه أبدا.. وما دفع المدين للاقتراض إلا الحاجة.. لذا يجب التيسير عليه فى سداد الأصل (رأس المال). ومن الظلم إرهاق المدين بأن يطلب منه سداد ما هو أزيد من أصل المال.. الآية الكريمة إذًا تنهى الدائن من أن يظلم المدين بأن يطلب منه أن يسدد إليه أزيد مما اقترض، (أى أزيد من رأس مال الدائن).

رابعا: لا تظلمون

كلمة «لاتُظلمون» مبنية للمجهول. وبما أن الله - سبحانه وتعالى- هو المتحدث، وبما أن الحديث موجه إلى الدائن. فنخلص من هذا أن المظلوم هو الدائن.. ولما كان لكل معاملة مالية طرفان فقط دائن ومدين، وبما أن المظلوم هو الدائن؛ فإنه يستخلص من هذا أن الظالم هو المدين. وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد قال

﴿ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ ﴾

ورضى الدائن بأن يسترد رأس ماله فقط، فما هو إذًا موضوع الظلم الواقع على الدائن؟ وللرد على هذا السؤال، هناك احتمالان:

١ـ أن يظلم المدين الدائن بأن يرد إليه أكثر مما اقترض منه.. وهذا الاحتمال لا يعقل؛ لأنه فى غالب الأحوال المدين لا يتطوع بسداد الدين بأكثر مما اقترض.

• أستاذ المحاسبة بجامعة كاليفورنيا.

٢ـ أن يظلم المدين الدائن بأن لا يحافظ على القوة الشرائية للأموال موضوع المعاملة (المقترضة) مثلا. وسوف نضرب مثلا تفصيلياً بالأرقام فيما بعد.

مثال رقمى

اقترض محمد من أحمد ١٠٠ دولار فى يناير ١٩٩٠ على أن يتم السداد فى يناير ١٩٩٥.. واتفقا عند التعاقد على اتخاذ الذهب كمعيار لقياس القوة الشرائية.. وكانت قيمة المائة دولار وقت الاقتراض تساوى تماما قيمة جرام واحد من الذهب الخام عيار ٢٤.

وعند السداد (يناير ١٩٩٥) سيكون هناك ثلاثة احتمالات بالنسبة لسعر الجرام الواحد من الذهب الخام عيار ٢٤، هى كالآتى:

١ـ احتمال أن يكون سعر جرام الذهب أعلى مما كان عليه وقت الاقتراض، أى ١١٠ دولار مثلا. أى أن القوه الشرائية للدولار قد انخفضت.

٢ـ احتمال أن سعر جرام الذهب ثابت ولم يتغير. أى أن القوه الشرائية للدولار ثابتة.. القوة الشرائية فى خلال الخمس سنوات (١٩٩٠ إلى ١٩٩٥) قد تكون ارتفعت ثم انخفضت عدة مرات، ولكن العبرة بالقوة الشرائية وقت السداد.

٣ـ احتمال أن سعر جرام الذهب قد انخفض عما كان عليه وقت الاقتراض وأصبح سعره ٩٥ دولاراً مثلا.

أى أن القوه الشرائية للدولار قد ارتفعت وأصبح يصلح لشراء سلع أكثر مما كان عليه وقت الاقتراض.

فمثلا تحت الاحتمال الأول، إذا سدد المدين إلى الدائن أى مبلغ أقل من ١١٠ دولار، فإن المدين يكون قد ظلم الدائن.. حيث إن الدائن لن يستطيع أن يشترى بالمبلغ المسدد جراما واحداً من الذهب الخام عيار ٢٤وهو أساس القياس لرأس مال الدائن والذى اقترضه المدين.. والله تعالى قال:

﴿ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ ﴾

لذا يجب أن يسترد الدائن أمواله بنفس القوة الشرائية. وبنفس المنطق، إذا ما دفع المدين إلى الدائن ما يزيد على ١١٠ دولار فى مثالنا السابق، فإن المعاملة تكون ربوية ويكون قيمة الربا هو ما زاد عن ١١٠ دولار.

أما تحت الاحتمال الثانى، فإذا ما سدد المدين للدائن مائة دولار فقط، فلا ربا ولاظلم. أما إذا سدد المدين إلى الدائن أى مبلغ أزيد من ١٠٠ دولار فالزيادة تعتبر ربا.. وإذا سدد أى مبلغ أقل من ١٠٠دولار فسوف يقع ظلم على الدائن وذلك لنفس الأسباب المذكورة سابقا.

أما تحت الاحتمال الثالث، فالمدين يجب أن يسدد للدائن مبلغ ٩٥دولاراً فقط.. وذلك لأن الدائن يستطيع أن يشترى جراما واحداً من الذهب الخام عيار ٢٤ بمبلغ ٩٥ دولاراً وهذا يمثل رأس ماله المقترض أى قيمة الدين.. بهذا يكون الدائن قد استرد رأس ماله كاملا تحقيقا لنص الآية:

﴿ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ ﴾

وبناء عليه، فإن أى زيادة فى السداد عن

مبلغ ٩٥ دولاراً يعتبر ربا.

قاعدة رقم ١:

الشريعة الإسلامية تلزم الدائن ألا يتقاضى من المدين ما هو زائد عن رأس ماله وكذلك تلزم المدين (بصفة عامة) ألا يسدد (يدفع) إلى الدائن أكثر من رأس مال الدائن.

قاعدة رقم ٢:

الشريعة الإسلامية تلزم المدين، عند سداده الدين للدائن، أن يحافظ على القوة الشرائية للمال المقترض حتى لا يضار الدائن نتيجة إقراض المدين.

قاعدة رقم ٣:

سداد مبلغ من المال زائداً عن رأس المال بعد تقييمه بالقوة الشرائية وقت الاقتراض يعتبر رباً محرماً طبقاً لنص كتاب الله - سبحانه وتعالى.

قانون المثلية

حدثنا رسول الله ﷺ فى أحاديث كثيرة عن موضوع الربا.. وهنا يناقش الباحث حديثا واحداً من هذه الأحاديث لشرح مبدأ المثلية فى الاقتراض فى الإسلام.

حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة وعمرو الناقد وإسحق بن إبراهيم واللفظ لابن أبى شيبة قال إسحق أخبرنا وقال الآخران حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن خالد الحذاء عن أبى قلابة عن أبى الأشعث عن عبادة بن الصامت، قال: قال رسول الله ﷺ: «الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر والملح بالملح، مثلا بمثل، سواء بسواء، يداً بيد، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد»(١).

وهناك أكثر من حديث تناول نفس المبدأ.. ويشتمل هذا الحديث على عدة نقاط تستحق مزيداً من الفهم:

١ـ شمل الحديث الشريف عدة أصناف من السلع تبدأ بالذهب والفضة وهما ذات قيمة عالية، وتنتهى بالملح، وهو ذو قيمة ضئيلة نسبيا، ومن هنا نستخلص أن مبدأ الربا لايقتصر على التعامل بالنقد، بل يتعدى إلى كل ما يتعامل فيه الإنسان سواء أكان ذا قيمة عالية أم لا.

٢ـ الحديث يقنن قاعدة «مثلا بمثل» فما معنى المثلية فى هذا الحديث؟

● إذا ما اقترض فرد من آخر إردب قمح مثلا من نوعية أو جودة معينة، فيجب أن يرد إلى الدائن ـ عند وقت السداد ـ إردب قمح من نفس النوعية ونفس الجودةونفس النقاوة.... إلى آخره.

● إذا اقترض فرد من الآخر طن بطاطس مثلا من حجم معين ومن إنتاج بلد معين يجب أن يرد إلى الدائن طن من البطاطس من نفس الحجم، ومن نفس النوع، ومن إنتاج نفس البلد.

● إذا اقترض فرد من الآخر جراما من الذهب الخام عيار ٢١ فيجب أن يرد إليه جراماً من الذهب لا أكثر ولا أقل وأن يكون

(١) صحيح مسلم، حديث رقم ٢٩٧٠، رواه البخارى، باب البيوع، حديث رقم ١٩٩٠.

عيار ٢١ وليس ١٨ أو ٢٤ ، وأن يكون خاماً وليس مصاغاً في شكل معين.

ويلاحظ أن مبدأ المثلية الذى نص عليه رسول الله ﷺ يتفق تماماً مع تفسير الآية الكريمة السابقة وتؤكد أهمية عدم إضرار الدائن أو المدين ، وهذا هو الحق والعدل الذى فرضه الله - سبحانه وتعالى .

قاعدة رقم ٤:

الشريعة الإسلامية تنشئ مبدأ المثلية ، وهو أن يكون موضوع المعاملة المردود إلى الدائن مطابق تماما لموضوع المعاملة المقترض من حيث الحجم ، الوزن ، اللون ، الجودة ، الصفاء ، النقاوة ، مصدر الإنتاج ، العلامة التجارية ، العمر ، العدد .. إلى آخره .

اختلاف القيمة النقدية للعين المقترضة

وهنا يبرز سؤال آخر : ما الحكم إذا كانت القيمة النقدية للعين المقترضة (أرزا مثلا) قد اختلفت في يوم السداد عن يوم الاقتراض ؟ أى بمعنى آخر محمد اقترض من أحمد إردب أرز على أن يرده إليه بعد سنة .

وكانت قيمة إردب الأرز وقت الاقتراض مائة دولار مثلا .. ولقد استهلك محمد الأرز ، ولما حان وقت السداد ، ذهب محمد إلى السوق ليشترى إردب أرز ، فوجد أن القيمة ارتفعت إلى ١٢٠ دولاراً مثلا .. والسؤال هنا : هل يشترى محمد ما يساوى مائة دولار فقط ليرده إلى أحمد حتى ولو كانت كمية الأرز أقل من إردب ؟ أم يشترى إردباً من الأرز وينفق ١٢٠ دولاراً ؟ وفي هذه الحالة هل يعتبر مبلغ ٢٠ دولاراً (١٢٠ ناقصا ١٠٠) رباً ؟

ولقد عرض السؤال على رئاسة إدارات البحوث والإفتاء بالمملكة العربية السعودية والتى أفتت أن القيمة النقدية ليست ذات أهمية .

المهم هو رد العين المقترضة تماما بغض النظر عن تغير الأسعار في السوق .

ويجدر الملاحظة أن الفتوى الصادرة رداً على سؤال الكاتب تتفق تماما والمبدأ الذى نص عليه كتاب الله - سبحانه وتعالى - وأحاديث رسول الله ﷺ .

قاعدة رقم ٥:

مبلغ النقدية (الورقية) زيادة أو نقصاً ليست ذات اعتبار حين الحكم على معاملة (موضوعها سلعة ما) أنها ربوية . العنصر الأساسى أو الوحيد هو مثلية موضوع المعاملة (العين المتبادلة) ورده إلى الدائن كاملا . وذلك بصرف النظر عن تغير مبلغ النقدية الورقية ارتفاعا أو انخفاضا .

النقود وآثار تغير القوة الشرائية في ضوء قرارات مجمع الفقه الإسلامى الدولى

ولقد درست قرارات مجمع الفقه الإسلامى الدولى الخاصة بتغير القوة الشرائية للعملات وبحثتها بعقلية رجل الشارع وبعقلية « الباحث المتخصص » في المجالات المالية .

وفيما يلى تعليق متواضع على هذه القرارات .. والهدف من المناقشة والأسئلة التى يطرحها الباحث هو إعطاء القارئ نقاط للتفكير فيها .

وفيما يلى سرد لقرارات المجمع فيما يتعلق بالقوة الشرائية للنقود الورقية وتعليق الباحث :

● في شهر أكتوبر ١٩٨٦ أصدر المجلس قرار رقم ٢١ (٩ / ٣) (١) بشأن أحكام النقود الورقية وتغير قيمة العملة . ونصه كالآتى :

بخصوص أحكام العملات الورقية : أنها نقود اعتبارية فيها صفة الثمنية كاملة ولها الأحكام الشرعية المقررة للذهب والفضة من حيث أحكام الربا والزكاة والسلم وسائر أحكامهما .

● في شهر ديسمبر ١٩٨٨ أصدر المجلس قرار رقم : ٤٢ (٤ / ٥) (١) بشأن تغير قيمة العملة ونصه كالآتى :

العبرة في وفاء الديون الثابتة بعملة ما ، هى بالمثل وليس بالقيمة ، لأن الديون تقضى بأمثالها ، فلا يجوز ربط الديون الثابتة في الذمة ، أياً كان مصدرها ، بمستوى الأسعار .

قرار المجمع رقم ٢١ و٤٢ المذكورين أعلاه يؤكدان أن الشريعة الإسلامية لا تنظر بعين الاعتبار إلى ظاهرة التضخم والانكماش الاقتصادى . هذا كان حكم المجمع في سنة ١٩٨٦ و ١٩٨٨ بعد استعراض « بحوث المختصين » .

ولا يسعنى إلا أن أقول إن : ظاهرة التضخم والانكماش الاقتصادى وجدت في العالم منذ عشرات بل مئات السنين وليست ظاهرة جديدة أو مستحدثة .

بالإضافة إلى ذلك فإن إيمانى هو أن الدين الإسلامى يشمل قواعد حقيقية تغطى أمور الدنيا في كل زمان ومكان ويمكن تطبيقها على المعاملات في كل زمان ومكان . لذا فإنى مؤمن بأن كتاب الله - تعالى - لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا قعّد لها . كل ما في الأمر يجب على المسلم البحث عن القاعدة . وما كان ربك بغافل عما سيحدث في المستقبل بعد أن أنزلت رسالة الإسلام حتى تقوم الساعة .

● في شهر يونيو ١٩٩٣ أصدر المجلس القرار رقم : ٧٥ (٦ / ٨) (١) بشأن موضوع قضايا العملة . ونصه كالآتى :

ثانياً : يجوز أن يتفق الدائن والمدين يوم السداد - لا قبله - على أداء الدين بعملة مغايرة لعملة الدين إذا كان ذلك بسعر صرفها يوم السداد . وكذلك يجوز في الدين على أقساط بعملة معينة ، الاتفاق يوم سداد أى قسط على أدائه كاملاً بعملة مغايرة بسعر صرفها في ذلك اليوم .

رابعاً : الدين الحاصل بعملة معينة لا يجوز الاتفاق على تسجيله في ذمة المدين بما يعادل قيمة تلك العملة من الذهب أو من عملة أخرى ، على معنى أن يلتزم المدين بأداء الدين بالذهب أو العملة الأخرى المتفق على الأداء بها .

سيعلق الباحث على القرار ٧٥ المشار إليه أعلاه ضمن تعليقه على القرار ١١٥ التالى :

في شهر سبتمبر ٢٠٠٠ أصدر المجلس قرار رقم : ١١٥ (٩ / ١٢) (١) بشأن موضوع التضخم وتغير قيمة العملة . ونصه كالآتى :

« تأكيد العمل بالقرار السابق رقم ٤٢ (٥ / ٤) ونصه : « العبرة في وفاء الديون الثابتة بعملة ما ، هى بالمثل وليس بالقيمة ، لأن الديون تقضى بأمثالها ، فلا يجوز ربط الديون الثابتة في الذمة ، أيا كان مصدرها بمستوى الأسعار » .

يمكن فى حالة توقع التضخم التحوط عند التعاقد بإجراء الدين بغير العملة المتوقع هبوطها وذلك بأن يعقد الدين بما يلى:

أ- الذهب أو الفضة، ب- سلعة مثلية، ج- سلة من السلع المثلية، د- عملة أخرى أكثر ثباتا، هـ- سلة عملات.. ويجب أن يكون بدل الدين فى الصور السابقة بمثل ماوقع به الدين لأنه لا يثبت فى ذمة المقترض إلا ماقبضه فعلاً.

لا يجوز شرعاً الاتفاق عند إبرام العقد على ربط الديون الآجلة بشئ مما يلى:

أ- الربط بعملة حسابية، ب- الربط بمؤشر تكاليف المعيشة أو غيره من المؤشرات. ج- الربط بالذهب أو الفضة، د- الربط بسعر سلعة معينة، هـ- الربط بمعدل نمو الناتج القومى، و- الربط بعملة أخرى، ز- الربط بسعر الفائدة، ح- الربط بمعدل أسعار سلة من السلع.

وذلك لما يترتب على هذا الربط من غرر كثير وجهالة فاحشة بحيث لايعرف كل طرف ما له وما عليه فيختل شرط المعلومية المطلوب لصحة العقود.. وإذا كانت هذه الأشياء المربوط بها تنحو منحى التصاعد، فإنه يترتب على ذلك عدم التماثل بين ما فى الذمة وما يطلب أداؤه ومشروط فى العقد فهو ربا.

القرار المذكور أعلاه رقم ١١٥ يشمل ثلاثة أجزاء: الجزء الأول يؤكد القرار السابق رقم٤٢. الجزء الثانى أعطى استثناء للقاعدة فى حالة التضخم. والجزء الثالث أسرد مجموعة من الممنوعات.

وللباحث تعليق على ذلك، واستقرار بالنسبة للقرار رقم ٧٥ ولأجزاء القرار ١١٥ الثلاثة:

● الباحث على يقين تام أن قواعد الإسلام (الكتاب والسنة) لم تتغير مابين ١٩٨٦ (تاريخ إصدار القرار رقم ٢١ المذكور أعلاه) وسنة ٢٠٠٠ (تاريخ إصدار القرار١١٥).

ولكن ما تغير هو فهم الإنسان لقواعد الدين الإسلامى.

ولذلك إذا ما قرأت نص القرارات المذكورة أعلاه تجد أن هناك نوعا من التناقض فى منطق القرارات كما سيتضح فيما يلى من الفقرات.

(الجزء الثانى من القرار ١١٥ يركز على حالات التضخم الاقتصادى.. وكان يود الباحث أن يشمل القرار حالات التضخم والانكماش الاقتصادى.. وبهذا يكون القرار أعم وأشمل.

ويلاحظ أن موقف التعامل فى حالة الانكماش لها مفعول عكسى لموقف التعامل فى حالة التضخم.

● الجزء الثانى من القرار ينص على: «يمكن فى حالة توقع التضخم» والواقع أن التضخم والانكماش الاقتصادى قد يكون له مؤشرات وقد يتوقعه أهل العلم فى الزمن القصير ولكن من الصعوبة توقعه على مدى طويل، حيث لايمكن التنبؤ بشئ من الدقة بمعدل التضخم مثلا بعد خمس سنوات من وقت إنشاء القرض.

فمثلا خلال سنة (٢٠٠٨) انهار الاقتصاد الأمريكى إلى حد ما و كان له تأثير

على اقتصاديات دول أخرى.. وبناء عليه فإن كلمة أو شرط «توقع» الواردة فى القرار من الصعب أن تترجم إلى واقع بإمكان الإنسان العادى أن يطبقه .هذا بالاضافة إلى أن الإنسان العادى (رجل الشارع) ليس على دراية علمية بمؤشرات التضخم والانكماش الاقتصادى.

● أشار القرار بعدم إمكان ربط العملة بالذهب أو الفضة أو أشياء أخرى.. ويبدو لأول وهلة أن هناك تناقضا فى المنطق بين الفقرتين الثانية والثالثة وبين القرار رقم ٧٥.

وطبقا لفهم الباحث فإن مجمع الفقه الإسلامى يقول: إذا نص عقد القرض - مثلا - على أن أحمد اقترض من محمد ١٠٠٠ جنيه مصرى أى ما يعادل (مثلا) ثلاثة جرامات من الذهب عيار ٢٤ خام غير مصاغ وأن أحمد سيرد إلى محمد يوم السداد جنيهات مصرية بما يعادل ثلاثة جرامات من الذهب (نفس الكمية المنصوص عليها وقت الاقتراض) فإن مجمع الفقه الإسلامى الدولى يرى أن هذا حرام.

وبناء عليه فإن هذا إنكار لأثر التضخم والانكماش على العملة المتداولة.

● مجمع الفقه الإسلامى يشترط تغيير صيغة العقود وتعددها لكى تصبح المعاملة المالية حلالاً.

وأود أن أعلق على قرار المجمع بقولى: إن تغيير صيغة العقد أو وقته أو تعدده لاينقل المعاملة المالية من دائرة الحلال إلى دائرة الحرام والعكس صحيح.

الله سبحانه وتعالى لم يحرم صياغة معينة ولكن حرم أعمالا بذاتها مهما اختلفت صياغتها.

● ما ذهب إليه الباحث فى تفسيره الآية الكريمة المذكورة فى الصفحات السابقة تؤيد أن استخدام الذهب - مثلا - لقياس القوة الشرائية على مدى عمر القرض لايعنى على الإطلاق سداد الدين بالذهب.

فإن الذهب فى هذا المثال يستعمل فقط كمعيار لتحديد قيمة السداد فى وقت السداد ومن ثم لايقع ظلم على الدائن.

● حقا ما نص عليه القرار وهو «لايثبت فى ذمة المقترض إلا ما قبضه فعلاً» غير أن هذا الإثبات لايقتصر على عدد العملة التى اقترضها (مثلا ١٠٠٠جنيه) بل يتعدى إلى القوة الشرائية لهذا المبلغ وقت الاقتراض. (انظر قانون المثلية المذكور أعلاه).

● الجزء الثانى من القرار - حسب مفهوم الباحث - ينص على أن عند وقت الاقتراض وفى حالة توقع وجود تضخم فإن الدين يثبت بعملة أخرى لا يتوقع هبوط قيمتها ويتم السداد بها.

بمعنى: لو أن محمداً (المدين) اقترض من فاروق (الدائن) مبلغ ١٠٠جنيه وكان من المتوقع هبوط القيمة الشرائية للجنيه فإن على الدائن أن يبدل المائة جنيه بعملة أخرى (الدولار مثلا) ويكتب عقد القرض بالدولار وليس بالجنيه.. وعند السداد يقوم المدين بنفس العملية أى يحول الجنيهات إلى دولارات ثم يسدد دينه.

ولم يتطرق مجمع الفقه إلى أمور أخرى لايمكن أن تتفاداها نتيجة إجراء المعاملة بهذا الشكل.

فمثلا من ذا الذى يتحمل مصاريف تحويل المال من عملة إلى أخرى؟ هل يتحملها المدين كلها أم يتقاسمها مع الدائن؟ وما هو الحكم الشرعى إذا ما اختلف سعر الصرف صعودا أو هبوطا بحيث يقع ظلم على المدين أو الدائن؟ إلى آخره من الأمور.

● وأضاف القرار أنه بالإضافة إلى الذهب والفضة أنه يمكن استخدام «عملة أخرى أكثر ثباتا» والباحث ينظر إلى هذه النقطة من الناحية العملية والتطبيقية، حيث إن التطبيق العملى لهذه البدائل غير متيسر.. إذ كيف يعلم أو يتوقع المدين أى العملات أكثر ثباتاً؟

● كما اقترح القرار بالإضافة إلى ما سبق استخدام «سلة من السلع المثلية أو سلة عملات» ومرة أخرى يرى الباحث أن التطبيق لهذه البدائل غير متيسر وغير عملى. مع العلم أنه يوجد أكثر من «سلة» فأيهم يختار المدين و الدائن.

● حينما يدرس الباحث الجزء الثالث من القرار ويربطه بالنصوص الأخرى المذكورة أعلاه، يرى أن الفارق بينه وبين الجزء الثانى هو فقط فى الشكليات، وليس فى الموضوع. بمعنى آخر فإن الفارق فى الصيغ وليس فى المقاصد والغايات. وحسب فهمى للقرار إذا كان النص هو أن قيمة القرض مائة جنيه (أى ما يساوى جراما من الذهب) ويتم السداد بحسب القوة الشرائية وقت الاقتراض مقاسا بالذهب كمعيار للقوة الشرائية فإن هذا العقد ربوى وحرام.. وأضاف القرار مبرراً «وذلك لما يترتب على هذا الربط من غرر كثير وجهالة فاحشة بحيث لايعرف كل طرف ما له وما عليه فيختل شرط المعلومية المطلوب لصحة العقود.

وإذا كانت هذه الأشياء المربوط بها تنحو منحى التصاعد فإنه يترتب على ذلك عدم التماثل بين ما فى الذمة وما يطلب أداؤه، ومشروط فى العقد فهو ربا».

● ويرى الباحث أن الشريعة الإسلامية لا تغير الحكم بتغير شكلية العقد، ففى كلتا الحالتين فإن المدين والدائن يستطيعان أن يطلعا على قيمة الدين يوما بيوم عبر القوائم المنشورة على الإنترنت والتى يتم تحديثها كل يوم ومن هنا يبطل القول بأن هناك «ما يترتب على هذا الربط من غرر كثير وجهالة فاحشة بحيث لا يعرف كل طرف ما له وما عليه فيختل شرط المعلومية المطلوب لصحة العقود»، والخلاصة أن الدين الإسلامى دين موضوعى وليس دين شكليات، فإن اختلاف الألفاظ أو تعدد العقود لا ينقل المعاملة من مجال الحرام إلى مجال الحلال والعكس صحيح.

وإذا كان استقراء الباحث خطأ بالرغم من دراساته ومؤهلاته فما بالك برجل الشارع الذى يريد تطبيق هذا القرار حرصا على اتباع دينه فى تصرفاته اليومية؟

المحاسبة المالية الإسلامية

الاستقراء لقرارات مجمع الفقه الإسلامى الدولى يوضح أنها مصاغة للتطبيق على حالات فردية، أى فرد يقترض من فرد آخر، ولم تتطرق القرارات إلى معاملات البنوك مع الشركات أو الشركات بعضها مع بعض أو مع الأفراد، إذ أن مثل هذه القرارات تلقى صعوبة من حيث التطبيق العملى، لك أن تتخيل أيها القارئ معاملات البنك مع ملايين العملاء يومياً ما بين سحب وإيداع وسحب على المكشوف وإنشاء قرض وسداد آخر إلى آخره من المعاملات البنكية.

وثم نقطة أخرى، فإن هذه القرارات السابق عرضها تفترض التعامل البسيط الذى يجرى بين الأفراد أما التعامل المركب الذى يدور بين الشركات بعضها مع بعض أو مع الأفراد أو مع بنوك إسلامية أو غير إسلامية، أو تحت اقتصاد إسلامى أو غير إسلامى فكيف يتم تطبيق هذه القرارات؟ سيرى القارئ أن هذه القرارات يجب أن تأخذ فى الاعتبار التعامل طبقاً للشريعة الإسلامية فى مناخ قد يكون إسلامى وقد يكون غير إسلامى؛

إن أحد الأدوات المهمة لقياس التغير فى القوة الشرائية هو وجود نظام محاسبى يقوم باحتساب القوة الشرائية واحتساب قيمة الزيادة والنقصان نتيجة تغير قيمة العملة المتداولة وقت إنشاء المعاملة المالية، ووقت سدادها.

كما أن مجمع الفقه الإسلامى الدولى وافق مشكوراً على أن المصاريف البنكية والإدارية يمكن أن يتحملها المدين وأنها ليست من الربا المحرم، وفيما يلى مثال للقرارات المشار إليها «قرار رقم ١٢ و١٣»:

«ثانياً: إن المصاريف الإدارية لإصدار خطاب الضمان بنوعيه جائزة شرعاً، مع مراعاة عدم الزيادة على أجر المثل، وفى حالة تقديم غطاء كلى أو جزئى، يجوز أن يراعى فى تقدير المصاريف لإصدار خطاب الضمان ما قد تتطلبه المهمة الفعلية لأداء ذلك الغطاء».

أ. بخصوص أجور خدمات القروض فى البنك الإسلامى للتنمية

أولاً: يجوز أخذ أجور عن خدمات القروض على أن يكون ذلك فى حدود النفقات الفعلية.

ثانياً: كل زيادة على الخدمات الفعلية محرمة لأنها من الربا المحرم شرعاً».

ولاحتساب المصاريف المذكورة أعلاه وتحديد أى مصروف يخص أى معاملة مالية يجب أن يوجد نظام محاسبة إسلامى قائم على القدرة على تحديد وفصل المصروفات بالطريقة التى يتطلبها الشرع.

وحتى يومنا هذا فإن مثل هذا النظام لم ينشأ بعد وكان بالأحرى أن يخصص المجمع الموارد اللازمة لإنشاء هذا النظام المحاسبى ومن ثم ينتفى مبدأ الغرر.

الخاتمة

من خلال بحثى فى الأصول المالية والمحاسبة الإسلامية، فإنى أعتقد أن المحاسبة الإسلامية قائمة بشكل أساسى على المحافظة على القوة الشرائية للعملات النقدية، ومن هنا أرى أن سداد القرض بمبلغ يساوى قيمته «قوته» الشرائية وقت الاقتراض، مقاساً على أساس متفق عليه وقت عقد القرض ليس حراماً، وهذا بناء على تفسير مبدأ الظلم وقانون المثلية المشار إليهما فى الصفحات السابقة.

خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى

لفضيلة الشيخ/ على عبد الباقى شحاتة

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

وعلى العكس من الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله فهناك صنف كريم من عباد الله المسلمين، أولئك الذين طهر الله قلوبهم ودفعهم لمرضاته، فسارعوا إلى إنفاق كل الخير الذى بين أيديهم من رزق الله تعالى، حتى ولو كانوا فى حاجة إليه لضروراتهم المعيشية، وهم المؤثرون على أنفسهم.

ونوع من عباد الله وسط بين هؤلاء وأولئك، إنهم يؤدون الزكاة المفروضة، ويتنافسون فى بذل صدقة التطوع، لكنهم مع كل هذا لا ينسون أنفسهم وأولادهم ومن هم مسئولون عنهم فيبقون لديهم ما يكفى حاجتهم ويغنيهم عن العوز والحاجة.

إنهم الذين يدخلون تحت قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، وابدأ بمن تعول»(١) وقوله -صلى الله عليه وسلم- «خير الصدقة ما أبقت غنى، واليد العليا خير من اليد السفلى وأبدأ بمن تعول»(٢).

ومعنى قوله: «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى» أى: أفضل الصدقة ما وقع بعد القيام بحقوق النفس والأسرة، بحيث لا يصير المتصدق بعد صدقته محتاجاً إلى أحد، وهذا معنى قوله: «وابدأ بمن تعول» يعنى بمن تلزمك نفقته شرعاً

وتنكير «غنى» فى قوله «عن ظهر غنى» ليفيد أنه لابد للمتصدق من غنى ما، أما غنى النفس، وهو الاستغناء عما بذل من المال بسخاء نفس، كما كان للصديق -رضى الله عنه- وإما غنى حاصل فى يده، والآن فلنتابع هذا الموضوع بالتفصيل مع الإمام ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى تحت عنوان «لاصدقة إلا عن ظهر غنى»:

قال الإمام البخارى: «ومن تصدق وهو محتاج، أو أهله محتاجون أو عليه دين، فالدين أحق أن يقضى من الصدقة والعتق والهبة وهو رد عليه، ليس له أن يتلف أموال الناس». ثم استدل على ما ذهب إليه بقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: «من أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله» ثم استثنى فقال: «إلا أن يكون معروفا بالصبر، فيؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة، ثم مثل لذلك بقوله كفعل أبى بكر -رضى الله عنه- حيث تصدق بماله كله، ويقصد ما فعله أبوبكر الصديق فى غزوة تبوك حيث جاء -رضى الله عنه- بكل ماله، نفقة فى سبيل الله لتجهيز جيش العسرة وكان أربعة آلاف درهم، فقال له -صلى الله عليه وسلم- هل أبقيت لأهلك شيئا؟ فقال: أبقيت لهم الله ورسوله، ثم قال: وكذلك آثر الأنصارُ المهاجرين، ثم أخذ يدلل على ما ذهب إليه من أنه لا صدقة إلا عن ظهر غنى، فقال: ونهى النبى -صلى الله عليه وسلم- عن إضاعة المال -فليس له- أى المتصدق بماله وعليه دين- أن يضيع أموال الناس بعلة الصدقة.

وقال ابن حجر العسقلانى فى الفتح: إن معنى قوله «لاصدقة إلا عن ظهر غنى» أى لا صدقة كاملة إلا عن ظهر غنى، فالنفى فى قوله «لا صدقة» للكمال لا للحقيقة، ثم دلل على ذلك بحديث أبى هريرة -رضى الله عنه- والذى ورد بلفظ «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى» ثم قال: وقوله «ومن تصدق وهو محتاج إلى .... آخر الحديث» كأنه -أى البخارى- أراد تفسير الحديث المذكور بأن شرط المتصدق ألا يكون محتاجا لنفسه أو لمن تلزمه نفقته، ويلحق التصدق سائر التبرعات، ثم قال: وأما قوله: «فهو رد عليه» فمقتضاه أن صاحب الدين المستغرق لا يصح منه التبرع -وهو ما كان عليه دين يساوى كل ما عنده من مال أو يزيد عنه- لا يصح تبرعه ولا تصدقه ثم قال: لكن محل هذا عند الفقهاء، إذا حجر عليه الحاكم بالفلس، وقد نقل صاحب المغنى -ابن قدامة- وغيره الاجماع، فيحمل إطلاق المصنف عليه.

ثم ذكر صاحب الفتح أقوال العلماء فى من تصدق بماله كله خلاصتها مايلى:

١- الرأى الأول: قال الطبرى وغيره: قال الجمهور: من تصدق بماله كله فى صحة بدنه وكان صبوراً على الضيق -وهو المترتب على إخراج كل ماله صدقة- ولا عيال له أو عيال يصبرون أيضا فهو جائز، فإن فقد شىء من هذه الشروط كره.

(١) صحيح البخارى. (٢) شعب الإيمان للبيهقى.

٢ـ الرأى الثانى : قال بعضهم : إن هذا القول ـ أى الرأى الأول ـ مردود وذكروا ما روى عن عمر ابن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ حيث رد على غيلان الثقفى قسمة ماله وهنا قال صاحب الفتح : ويمكن أن يحتج له ـ أى للرأى الثانى ـ بقصة المُدَبَّر، وهو العبد الذى قال له سيده أنت حر بعد موتى، فإنه رضى الله عنه ـ باعه وأرسل ثمنه إلى الذى دبره لكونه كان محتاجا.

٣ـ الرأى الثالث : وقال آخرون : يجوز فى الثلث ويرد عليه الثلثان ـ أى أن الذى يتصدق بكل ماله يقبل منه الثلث ويرد عليه الباقى وهو الثلثان ـ وهو قول الاوزاعى ومكحول، وعن مكحول أيضا يرد مازاد عن النصف.

قال الإمام الطبرى : والصواب عندنا الأول ويعنى به الرأى القائل بجواز التصدق، بكل المال لمن استجمع الشروط السابقة، وهو رأى الجمهور، ثم قال الطبرى : والمختار من حيث الاستحباب أن يجعل ذلك ـ أى التصدق ـ من الثلث جمعا بين قصة أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ أى حين تبرع بماله كله ـ وحديث كعب بن مالك ـ رضى الله عنه ـ حين أراد أن ينخلع من كل ماله صدقة لله تعالى ـ فأمره الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ «بإمساك بعض ماله ـ فأمسك سهمه من خيبر»، ثم قال صاحب الفتح :ـ

والمختار أن معنى الحديث : «أفضل الصدقة، ما وقع بعد القيام بحقوق النفس، والعيال» بحيث لا يصير المتصدق محتاجا بعد صدقته إلى أحد، ومعنى الغنى فى الحديث :ـ حصول ما تدفع به الحاجة الضرورية، كالأكل عند الجوع الذى لا صبر عليه، وستر العورة والحاجة إلى ما يدفع عن نفسه الأذى، ثم قال :ـ وما هذا سبيله فلا يجوز الإيثار به بل يحرم، ثم علل التحريم بقوله : وذلك لأنه إذا آثر غيره به أدى إلى إهلاك نفسه أو الإضرار بها، أو كشف عورته، فمرعاة حقه أولى على كل حال، فإذا سقطت هذه الواجبات ـ أى بإبقاء ما يكفيها بعد التصدق ـ صح الإيثار وكانت صدقته هى الأفضل، لأجل ما يتحمل من شدة الفقر وشدة مشقته، ثم قال صاحب الفتح :ـ وبهذا يندفع التعارض بين الأدلة إن شاء الله.

هذا ومما سبق من كلام علمائنا الأجلاء، يتبين لنا أن أفضل الصدقة هى ما كانت زائدة عن الحاجات الضرورية للمتصدق ومن تلزمه نفقتهم، وهذا بالنسبة لعامة المتصدقين. أما خاصتهم، وهم الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فسنلتقى بهم إن شاء الله تعالى فى العدد القادم.



قصة العدد

فى دار الأرقم

للأستاذ ناجى الطنطاوى

اختفت شمس مكة وراء الأفق الساجى ساحبة ما تبقى من أشعتها الذهبية على قمم الجبال الشامخة، وعلى صدور الهضاب المتموجة، بعد أن لبثت نهاراً كاملا تبعث الدفء والنور والحياة، وغام الأفق فى مكة وبدأ ينتشر فيها الظلام، وما هى إلا لحظات حتى لفَّها الليل بردائه الحالك وظهرت الكواكب فى سمائها تلتمع خافقة واجفة، تزيّن تلك السماء الرحيبة الواسعة كما تزين الأوسمة الفضيّة الثمينة صدر القائد الكبير؛ وأوى الناس إلى دورهم يستنشقون فيها نسيم الراحة بعد نصب النهار الطويل، ويفيئون فيها إلى الدعة والسكينة بعد صخب النهار الشديد، وبدأت أضواء المصابيح الخافتة فى الليل الأسود كأنها رقع فى ثوب أو دنانير فى جيب.

وعمَّ جبل أبى قبيس سكون رهيب، وصمت بالغ، وامتد (الصفا) فى ذروة هذا الجبل رحيبا واسعاً باسما جميلا، يتمشى مع (المروة) جنبا إلى جنب، يحتضن بضع دور قامت على جانبيه هى دور نفر من أهل مكة رغبوا عن سكنى مدينتهم التى تعج بالأهلين فأحبوا الانطلاق إلى الفضاء الواسع، إلى الطبيعة الفاتنة إلى النسيم الصافى العليل، فلم يلقوا خيراً من جنبات الصفا يلقون فيهم عصيّهم، ويبنون بها دورهم، ويحيون فيها حياة هادئة سعيدة.

وكان الناظر إلى هذه الدور القليلة المنثورة هنا وهناك على أرض الصفا، يستقر بصره على دار قد نأت قليلا وانفردت، دار متواضعة صغيرة شيدت بالطين والقصب، وأحاطت بها الرمال الدكناء والصخور الجرداء، لا يشك أنها دار الأرقم بن أبى الأرقم ذلك الرجل العربى الذى كان يعيش من نتاج ناقته من اللبن، ومحصول أرضه من الشعير لا يعرفه إلا نفر قليل من صحابه، ولا يدرى بوجوده إلا أفراد معدودون من أهله.

كان الأرقم مغمور الذكر، مجهول الاسم، يحيا كأكثر رجال قومه حياة ساذجة بسيطة فارغة متشابهة، هى بحياة الحيوان أشبه، يقضى نهاره فى جمع الماء والحطب وسقى الزرع واستدرار النوق والأغنام، ويقضى ليله بين أهله يحدثهم ويحدثونه ثم يستلقى نائماً حتى الصباح.

وقد كان من الممكن أن تظل حياته سائرة على هذا النمط ثم يموت فلا يدرى به أحد ! كما مات كثير من قومه فمات معهم ذكرهم، وقد كان من الممكن أن تبقى داره متواضعة حقيرة لا يعرفها أحد ولا يهتم لها إنسان، لولا أن الله سبحانه أراد لحكمة بالغة أن يجعل اسم الأرقم في فم الزمان، يتألق في التاريخ الإسلامي كما تتألق الدرة الثمينة في القصر الفخم العظيم، وأن يجعل تلك البنية الخاشعة الصغيرة المشيدة بالطين والماء، منبع حضارة هدت العالم، ومنبثق دين ساد الكون..

كانت الدار حقيرة كأمثالها من دور العرب في زمن الجاهلية الجهلاء، يقطنها عربي جاهلي ساذج مع أمه العجوز وزوجه الشابة وصغارهما، يحيون حياة بدوية بسيطة، لا تمت بنسب إلى الحياة الفخمة المعقدة ذات التكاليف والواجبات الثقيلة، أكان يدور بخلده أن حياته ستنقلب رأساً على عقب؟ أكان يحلم أن داره ستصبح في يوم قريب أعظم مجلس نيابي قام على الأرض؟ أكان يظن أن شمساً ستشرق من داره فيعم نورها أرجاء الأرض ويحيا بها العالم؟..

خرج صباح يوم من داره يجول جولة بين قومه على عادته، يتسقط الأخبار، ويصغي إلى الهمسات والأحاديث... فسمع نفراً منهم يتحدثون عن محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب، حديثاً أثار اهتمامه، فأصغى إليه بكل جوارحه، ولاح له من كلامهم أن دعوة جديدة سيئة منكرة يقوم بها هذا الرجل، وبدت له شناعة هذه الدعوة وقبحها من كثرة الشتائم التي سمعها تنهال على صاحبها، فأكبر الأمر، وهاله أن يكون في قومه من يبتدع منكراً من القول يلفت به الناس عن دين آبائهم وعاداتهم وأخلاقهم، وصمم ليفتشن عن محمد، وليجتمعن به، وليسمعن كلامه الجديد... ومشى ذاهلا يتملكه العجب من هذا الذي سمعه، وهو يعرف «الأمين» أحسن قومه خلقاً وأطهرهم نفساً وأبعدهم عن المفاسد والمعاصي، وأكثرهم أدباً وعقلاً ورزانة وحلماً وعفافاً، وأصدقهم، وأرقهم قلباً وأكثرهم عطفاً على المساكين والأطفال واليتامى والبائسين... إنه لا يعرف رجلاً أطهر ولا أشرف ولا أكرم ولا أصدق من محمد... إن قومه لم يعرفوا له كذبة واحدة ولم يستطيعوا أن ينسبوا إليه عملاً سيئاً قبيحاً واحداً، فما الخبر؟ وما هذه الدعوة الجديدة؟؟!

وسار الأرقم، وظل سائراً، وهو يسأل الناس الذين يلقاهم عن محمد، حتى دل عليه، ووصل إليه، فرآه في جماعة من قومه يدعوهم ويحدثهم، فجلس لا يشعر به أحد، وأصغى، فسمع محمداً يقول:

﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ﴾

«الأنعام: ١٥١»

وسكت محمد رسول الله، وانفض القوم ساخرين، واقترب الأرقم منه وقال: إن كان الإسلام ما تقول، فأنا على دينك، أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله..

***

قام النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، ويتلو عليهم بعض آيات القرآن الذي كان يتنزل عليه، فلا يجد منهم إلا الإعراض والهزء والسخرية، بل كانوا يتجاوزون ذلك إلى إنزال الأذى به وبأصحابه القلائل الذين فضلوا الإسلام على الشرك، وأمعنوا في الأذية، وتدرع المسلمون الصبر، ورأى الأرقم ذلك فداخل قلبه الهم الكبير والحزن المضني، وعزم على تخفيف آلامهم وشقائهم مهما كلفه ذلك، ووطن نفسه على تضحية روحه وأهله وما يملك في سبيل هذه الدعوة الجديدة التي تغلغلت في كل جارحة من جوارحه.

جلس في إحدى زوايا داره الصغيرة يفكر ويمعن في التفكير لقد كنت ضالاً فأنعم الله عليّ بالإسلام، وكنت لا أهتم بسوى نفسي وأسرتي فأصبحت يملأ رأسي التفكير في هؤلاء الإخوان الذين تربطني بهم أقوى رابطة في العالم ألا وهي رابطة الإسلام، وكان أكبر واجب ملقى على عاتقي هو تأمين معاش هذه الأسرة الصغيرة، فأصبح من أوجب الواجبات عليّ اليوم أن أنهض لأدعو إلى الإسلام، لألاقي من الأذى ما لاقاه إخواني، أو أن أحميهم بما أحمي به أهلي وولدي، وكيف لي بحمايتهم؟ أم كيف لي بدفع الأذى عنهم؟ لابد من العمل، لابد من العمل.

وراح يستعرض المسلمين في مخيلته ليقف على عددهم، فوجدهم ستة ورأى نفسه السابع [1]، وفاجأته فكرة ملهمة يرد لها قلبه واطمأنت إليها جوارحه: إن في داري متسعاً لرسول الله ﷺ ولإخواني المسلمين، وإن فيها أمناً لهم وخلاصاً من شقائهم، أفلا أستطيع أن أضمهم فيها على غير علم من المشركين.

وأسرع إلى رسول الله، فأعلن أمامه الرأي الجديد، وبسط بين يديه الأسباب التي دعته إليها وقال له:

- إننا ضعاف يا رسول الله، لا قبل لنا بهذه الوحوش الكاسرة، وإن الأذى الذي يصيب المسلمين قد اشتدت وطأته أفلا نأوي إلى داري لنجمع شتات أمرنا ونغيب عن أعين أعدائنا وننتظر فرج الله؟

فأكبر فيه الرسول الرحيم صلى الله عليه وسلم هذه التضحية وأذن له بإيواء المسلمين.

***

نشر الفجر البسام أجنحته اللؤلؤية الخفاقة على أرجاء الكون الغارق في السكون، المجلل بالسواد، الرازح تحت أعباء الوحشة النائم تحت كلة الليل، فاخترقت سدف الظلام ومزقتها، وأضاءت أرجاء الفضاء الرحيب وأنارتها، واحتدمت المعركة بين الجيشين، جيش الليل الذي أنهكه طول السهر وكثرة السمر، وجيش النهار الذي يملأ بردتيه عزم الشباب وتدفعه الأماني العذاب، وانجلى النضال عن تبدد العتمة وإشراق النور، وأطلت ذكاء من وراء الأفق البعيد الصافي، باسمة طروباً خلابة، واقترت لوهاد مكة وجبالها ودورها عن ابتسامة مغرية جذابة، فابتسمت لها مكة محيية شاكرة، ورقصت على جنبات الأفق

(١) المستدرك للحاكم

الوهّاج أطياف من السحر والشعر استيقظ الناس على منظرها الخلاّب، وبدأت الحياة تدب في أرجاء مكة التي نفضت عنها رداء النوم لتستبدل به درع الجد والنشاط، وهبّ المشركون غاضبين صاخبين مصممين على إفناء هذه الطغمة التي تضم أفراداً قلائل منهم، فتنوا عن عقيدتهم بعقيدة جديدة تقضي على كل ما خلف لهم الآباء والأجداد من آلهة. وليس بعجب أن يقوموا منذ الصباح الباكر يعدون العدة لعملهم السافل الدنيء، فلقد كانوا يحلمون في الليلة الماضية وفي كل ليلة - بهؤلاء الأفراد الذين تحمّلوا كل أنواع الأذى في سبيل عقيدتهم، ولم يكن يبدو على أحد منهم أنه سينفد صبره وتضعف مقاومته، كانوا يعجبون لقوة رسوخ هذا الدين الجديد في النفوس وتمكنه فيها واستهانته بكل أنواع الأذى والعذاب في سبيل بقائه سالماً، وكانوا يخشون إن هم خلوهم وغضوا عنهم الأبصار ولم يأبهوا لهم، أن يجذبوا إليهم عدداً كبيراً من العرب فيصبحوا قوة لا طاقة للمشركين بها، وراح المشركون يفتشون عن الأفراد الصابئين في الأسواق وفي الساحات العامة، وفي ظل الحرم، وفي دور مكة المجتمعة ولكنهم باءوا بعد سعيهم بالفشل، ولم يجدوا لهم أثراً، كأن الأرض ابتلعتهم وغيبتهم، فعادوا خاسرين أذلاء كما يعود الجيش مهزوماً مدحوراً، أجل، لقد اختفى المسلمون في تلك الدار النائية القائمة على الصفاء جمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخف عنهم الأذى ويزول عنهم الألم، تحلقوا حوله في خشوع وصمت يستمعون إلى آيات القرآن الكريم التي يوحي الله إليه بها، ويصغون إلى مواعظه فتمتلىء أفئدتهم برداً وسلاماً وإيماناً ويقيناً، وتفيض نفوسهم شجاعة وعزماً، فيشعر كل واحد منهم أن في استطاعته أن يقاتل ألفاً من المشركين وأن يدحرهم ويردّهم على أعقابهم خاسرين. جلس إلى جانب النبي ﷺ فتى في ربيع حياته، كانت له دالة كبيرة عليه حتى إنه كان يدعو نفسه زيد بن محمد؛ لقّب نفسه بذلك حين أخرجه رسول الله إلى الحجر، وقال: اشهدوا أن زيد بن حارثة ابني يرثني وأرثه وكان أول من أسلم من الموالي، وجلس إلى جانبه رجل ربعة حسن الوجه رقيق البشرة، عظيم اللحية، بعيد ما بين المنكبين، وضيء، أبيض مشرب بصفرة، جعد الشعر، ذو جمّة عند أسفل أذنيه، جدل الساقين، طويل الذراعين؛ ذلك هو عثمان بن عفان ذو النورين الذي يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: لكل نبي رفيق، ورفيقي في الجنة عثمان. جلس إلى جانبه طفل صغير لا يتجاوز العاشرة من عمره هو الزبير بن العوّام حواري رسول الله وابن عمته صفية بنت عبدالمطلب علّقه عمه في حصير ودخّن عليه ليعود إلى الكفر فقال: لا أكفر أبداً، وظل متمسكاً بدينه يحرص عليه حرصه على روحه. وجلس إلى جانبه رجل طويل القامة أبيض مشرب بحمرة، حسن الوجه، رقيق البشرة، أهدب الأشفار، أقنى الأنف، طويل النابين الأعليين، ضخم المنكبين، غليظ الأصابع هو عبدالرحمن بن عوف. وإلى جانبه شاب في العشرين من عمره نشيط قوي، حديد النظرات مفتول الساعدين، هو سعد بن أبي وقاص. وجلس في الناحية المقابلة رجل مربوع إلى القصر، أبيض يضرب إلى الحمرة، ضخم القدمين، رحب الصدر آدم

كثير الشعر ليس بالجعد ولا بالسبط هو طلحة بن عبيد الله الذي أسلم على يدي أبي بكر. وإلى جانبه رجل نحيف، معروق الوجه، خفيف اللحية، يبدو عليه الخشوع والتذلل هو عامر بن عبدالله ابن الجراح أمين هذه الأمة. وإلى جانبه أخ لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاع هو عبدالله بن عبدالأسد الذي يكنى أبا سلمة. ولقد أسلم عثمان، والزبير، وعبدالرحمن، وسعد، وطلحة على يد أبي بكر الذي كان يجلس إلى يمين رسول الله صلي الله عليه وسلم ملتفعاً بعباءته متوجهاً بقلبه وجسمه إلى إخوانه المسلمين يؤنسهم ويكبر فيهم الثبات على الحق.

وكانت الغرفة الأخرى في الدار ممتلئة بأفراد آخرين من المسلمين كعثمان بن مظعون وأخويه قدامة، وعبدالله، وكعبيدة بن الحارث، وسعيد بن زيد، وامرأته فاطمة ابنة الخطاب. كانوا يتحدثون تارة ويذكرون الله أخرى، ويتواصون بالصبر والثبات على كل أذية حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

في هذه الدار المنعزلة ولد الإسلام من جديد، وشيّد أول ركن من أركانه، وبزغ أول شعاع من أشعته الوهاجة التي أضاءت العالم... إلى هذه الدار المنعزلة كان يأوي كل يوم أفراد من العرب يهجرون أباطيل أجدادهم وأصنامهم ويسلمون على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وينضمون إلى إخوانهم فيزيدون قوة... ولم تمض إلا أيام قليلة حتى أصبح المسلمون فيها تسعة وثلاثين يعبدون الله مستخفين ينتظرون القوة والمدد من الله، ولكن رجلاً لا كالرجال أسلم وانضم إليهم وكملوا به أربعين لم يرضه أن يبقوا مستخفين خائفين بل قال: يا رسول الله، ألسنا على الحق؟ قال: بلى. قال: والله لن نبقى هنا، ولابد من الخروج... ذلك هو عمر ابن الخطاب.

وكانت خاتمة هذه الدار التي كانت أول مرحلة من مراحل الإسلام، خاتمة رهيبة عظيمة سارة فخمة، إذ خرج منها المسلمون وهم يكبرون معتزين فخورين، فكأن جدرانها وأرضها وسماءها وكل شبر فيها قد نفخ فيهم روح العزة والفخار والجرأة، فأصبحوا لا يألون شيئاً في سبيل الإسلام.

لك الله أيتها الدار! لقد لممت شمل المسلمين بعد أن كادت تفنيهم وحشية المشركين، ولقد آويت المسلمين وأمنتهم وزدتهم قوة بزيادة عددهم. لقد كنت الحصن الذي رد عن المستضعفين قنابل الظالمين. ولقد كنت أول مسجد جمع المؤمنين تحت راية رسول الله وفي كنفه.

سنذكرك كلما ألمت بنا النكبات، وحاقت بنا المصائب ودهتنا الدواهي، وسنتأسى بذكراك كلما رأينا ضعف المسلمين وخذلانهم، وتأخرهم وذلهم، فلن يعرف اليأس إلى نفوسنا سبيلاً. ولن يزيدنا الضعف إلا قوة. لقد كان المسلمون فيك أفراداً معدودين لا سلاح لهم إلا إيمانهم وعقيدتهم، تألب عليهم قومهم وناصبوهم العداء والأذى وهم ألوف مؤلفة، ولكن النتيجة كانت للإسلام الذي قضى أيام طفولته في دار الأرقم.

عليك وعلى صاحبك وأضيافه رحمة الله، وعلى أشرف الخلق صلاة الله وسلامه.

الأدب مع النفس

التحلى بأدب الحديث مع الناس وحسن الخلق معهم

(١)

لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف
عضو مجمع البحوث الإسلامية

ركزت الرسالات السماوية فى إصلاحها العام للمجتمع الإنسانى على تهذيب النفس الإنسانية، والارتقاء بها إلى أسمى درجات الخير، والسمو بها إلى سنام الفضائل..

وعندما نقرأ تاريخ الرسل والأنبياء نجد أنهم اشتركوا جميعا فى الاهتمام بإصلاح النفس الإنسانية، وصيانتها من الانحراف فى العقيدة والسلوك، وغرس بذور حب الخير للآخرين، واحترام حرماتهم، وتجنب الإساءة إليهم، وحسن معاملتهم...

لأن النفس المختلة تثير الفوضى والاضطراب فى أحكم النظم، وتستطيع النفاذ منها إلى تحقيق أغراضها الدنيئة، وإشباع رغباتها الحقيرة... أما النفس المستقيمة فيشرق نُبلها من داخلها، فتحسن التصرف والمسير فى جميع مجالات الحياة، وتعمل جاهدة على صيانة الحياة، وإسعاد الآخرين...

والنفوس الإنسانية إذا لم تصلح أظلمت الآفاق، وسادت الفتن حاضر الناس ومستقبلهم، ولذلك يقول الله ـ تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾

(الرعد: ١١).

ويقول ـ جل شأنه ـ مُعللاً هلاك الأمم الفاسدة:

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ ۙ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

(الأنفال: ٥٢، ٥٣).

ومن هذا المنطلق اهتم الإسلام اهتماماً بالغاً بإصلاح النفس الإنسانية، فحفلت آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية بدعوة الإنسان إلى أن يلتزم بالأدب فى سلوكه وفى منهجه فى الحياة... سواء أكان ذلك مع الله ـ عز وجل ـ فى عبادته، أم مع القرآن الكريم عند سماعه وفى قراءته وفى تدبر معانيه وفى تعظيمه، أم مع الرسل والأنبياء فى سيرهم وأقوالهم وأفعالهم، أم مع الخلق فى معاملاتهم...

ولن يتحقق للإنسان ذلك إلا إذا التزم بالأدب مع نفسه.

والأدب مع النفس له أهمية خاصة، وعناية كبيرة فى الإسلام، لأنه جماع الأمر كله، فهو إن تحقق فقد تحقق أدب الإنسان فى سلوكه وفى منهجه فى جميع مجالات الحياة...

وللأدب مع النفس صفات إن وُجدت فى الإنسان كانت علامات مضيئة تؤكد على أدب هذا الإنسان مع نفسه، وهى كثيرة ومتنوعة يصعب عدّها، منها على سبيل المثال لا الحصر:

التحلى بأدب الحديث مع الناس:

فقد عُنى الإسلام عناية كبيرة بموضوع الكلام، وأسلوب أدائه، والدقة فى اختيار كلماته، لأن الكلام الصادر عن إنسان ما يشير إلى حقيقة عقله وطبيعة خلقه...، ولأن طرائق الحديث فى جماعة ما، تحكم على مستواها العام، ومدى تغلغل الفضيلة فى بيئتها، أو الرذيلة فى معيشتها، أو حب الخير فى تعاملها، أو الميل إلى الشر فى سلوكها...

لذلك ينبغى أن يسأل المرء نفسه قبل أن يتحدث مع الآخرين:

هل هناك ما يستدعى الكلام؟.. فإن وجد داعيا إليه تكلم، وإلا فالصمت أولى به، وإعراضه عن الكلام، حيث لا ضرورة له عبادة جزيلة الأجر.

قال عبدالله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ: «والذى لا إله غيره، ما على ظهر الأرض شىء أحوج إلى طول سجن من لسان»!![1]

وقال عبدالله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: «خمس لهم أحسن من الدهم الموقفة[2]: لا تتكلم فيما لا يعنيك، فإنه فضل، ولا آمن عليك الوزر...، ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا، فإنه رُبّ متكلم فى أمر يعنيه قد وضعه فى غير موضعه فعيب، ولا تمار حليما ولا سفيها، فإن الحليم يقليك، وإن السفيه يؤذيك، واذكر أخاك إذا تغيب عنك بما تحب أن يذكرك به، واعفه مما تحب أن يعفيك منه، واعمل عمل رجل يرى أنه مجازى بالإحسان، مأخوذ بالإجرام».

والمسلم لا يستطيع هذا إلا إذا ملَك لسانه، وسيطر على زمامه بقوة، فكبحه حيث يجب الصمت، وضبطه حين يريد المقال.

---

(١) الطبرانى.

(٢) الموقف من الخيل: الجيد منها.

أما الذين تقودهم ألسنتهم فإنما تقودهم إلى مصارعهم . . .

إن الإسلام يوصي بالصمت ، ويعده وسيلة ناجعة من وسائل التربية المهذبة ، فمن نصائح سيدنا رسول الله ﷺ لأبي ذر : «عليك بطول الصمت ، فإنه مطردة الشيطان ، وعون لك على أمر دينك» .(٣)

والبعد عن اللغو من أركان الفلاح ، ودلائل الاكتمال . . وقد ذكره القرآن الكريم بين فريضتين من فرائض الإسلام المحكمة ، هما : الصلاة والزكاة . يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾

(المؤمنون : ١-٤)

وبقدر تنزه المسلم عن اللغو ، تكون درجته عند الله ـ عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : «توفي رجل ، فقال رجل آخر ـ ورسول الله ﷺ يسمع ـ : أبشر بالجنة ، فقال رسول الله ﷺ : «أولا تدرى ؟ . . فلعله تكلم فيما لا يعنيه ، أو بخل بما لا ينقصه» .(٤)

ومن الضمانات التي اتخذها الإسلام لصيانة المسلم عن النزق والهوى تحريمه الجدل ، وسده لأبوابه ، حقا كان أو باطلا . . . روى عن عدد من الصحابة قالوا : خرج علينا رسول الله ﷺ يوما ونحن نتمارى في شيء من أمر الدين ، فغضب غضبا شديدا لم يغضب مثله ، ثم انتهرنا فقال : «مهلاً يا أمة محمد ، إنما هلك من كان قبلكم بهذا ، ذروا المراء لقلة خيره ، ذروا المراء فإن المؤمن لا يمارى ، ذروا المراء فإن المماري قد تمت خسارته ، ذروا المراء فكفى إثمًا ألا تزال مماريًا ، ذروا المراء فإن المماري لا أشفع له يوم القيامة ، ذروا المراء فأنا زعيم بثلاثة أبيات في الجنة ، رباضها ، ووسطها ، وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق ، ذروا المراء فإن أول ما نهاني عنه ربي بعد عبادة الأوثان المراء» .(٥)

وهناك أناس أوتوا بسطة في ألسنتهم ، تغريهم بالاشتباك مع العالم والجاهل ، والثرثار والصامت ، وتجعل الكلام لديهم شهوة غالية ، فهم لا يملونه أبدا . . . وهذا الصنف إذا سلّط ذلاقته على شئون الناس أساء ، وإذا سلطها على حقائق الدين شوه جمالها وأضاع هيبتها . . . وقد سخط الإسلام أشد السخط على هذا الفريق الثرثار المتقعر . . . قال النبي ﷺ : «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم»(٦) ، وقال : «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»(٧) .

ورسول الله ﷺ وهو الأسوة والقدوة الحسنة لنا :

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾

(الأحزاب : ٢١) .

لسمو مكانة الأدب وعلو منزلته ورفعة شأنه وعظيم أثره ـ تولى الله ـ سبحانه وتعالى ـ أدب نبيه محمد ﷺ ، فأدبه بأحسن الآداب كلها ، فكان محمد الإنسان ، عفيف اللسان ، بليغ البيان ، عالي الهمة ، متربع القمة يقول ﷺ : «أدبني ربي فأحسن تأديبي» .(٨)

(٣) أحمد . (٤) الترمذي . (٥) الطبراني . (٦) البخاري . (٧) الترمذي . (٨) كنز العمال .

ومحمد ﷺ كان مدده في حديثه وكلامه القرآن الكريم ، الذى أعجز الأولين والآخرين ، وأداته البيان الناصع ، والبلاغة الآسرة ، في مجتمع عرف بالفصاحة ، وتزين بالشعر ، وتجمل بالبيان ، فكان محمد ﷺ سيد ذلك المجتمع أدبا وفضلا قبل البعث وفصاحة وبيانا وإلهاما بعد نزول الوحي والتكليف بأمانة الدعوة وحمل الرسالة .

فلا عجب إذن أن يكون من الأدب مع النفس أن يتحلى الإنسان بأدب الحديث مع الناس . . . ومن الصفات والعلاقات المضيئة التي تؤكد على أدب الإنسان مع نفسه :

التحلي بحسن الخلق : فحسن الخلق من الصفات الكريمة التي مدح الله بها رسوله محمداً ﷺ ، وأثنى عليه بالتحلي بها ، وذلك بأسلوب قوى حازم قاطع ، احتوى على القسم والتوكيد ، يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

(القلم : ١-٤) .

أى : وإنك ـ أيها الرسول الكريم ـ لعلى دين عظيم ، وعلى خلق كريم ، وعلى منهج حكيم ، وعلى سلوك قويم في كل ما تأتيه وما تتركه من أقوال وأفعال . . .

عن عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ أن سعيد بن هشام سألها فقال : يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ ، قالت : ألست تقرأ القرآن ؟ . . قال : بلى ، قالت : فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن(٩)

ومعنى هذا ، أنه ﷺ صار امتثال القرآن الكريم : أمرا ونهيا ، وتوجيها وإرشادا سجية له ، وخلقا وطبعا . . . فمهما أمره القرآن الكريم فعله ، ومهما نهاه عنه تركه ، ومهما أرشده إليه اتبعه . .

ولأن حسن الخلق أرقى منازل الكمال في عظماء الرجال ، ولأن حسن الخلق ، يجمع من الفضائل والمكارم ـ عند من يتحلى به ـ الكثير والكثير ، جعله رسول الله ﷺ سببا من أسباب بعثته في قوله : «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» .(١٠)

قال القزويني ـ رحمه الله ـ : ومعنى حسن الخلق : سلامة النفس نحو الأرفق الأحمد من الأفعال ، وقد يكون ذلك في ذات الله ـ تعالى ـ وقد يكون فيما بين الناس .

أما ما يتعلق بذات الله ـ عز وجل ـ فهو : أن يكون العبد منشرح الصدر بأوامر الله تعالى ـ ونواهيه ، يفعل ما فرض عليه ، ويؤدى ما أمر به ، طيب النفس به ، سلسا نحوه ، وينتهي عما حرم عليه ، ويجتنب ما أمر بالابتعاد عنه ، راضيا به غير متضجر منه ، ويرغب في أداء نوافل الخير ، ويترك كثيرا من المباح لوجهه ـ تعالى وتقدس ـ ، إذا رأى أن تركه أقرب إلى العبودية من فعله ، مستبشرا لذلك ، غير ضجر منه ولا متعسر به .

› أما في المعاملات بين الناس فهو : أن يكون سمحا لحقوقه ، لا يطالب غيره بها ، ويوفي ما يجب لغيره عليه منها : فإذا مرض ولم يعد ، أو قدم من سفر فلم يزر ، أو سلم فلم يرد عليه ، أو ضاف فلم يكرم ، أو شفع فلم يجب ، أو أحسن فلم يشكر ، أو دخل على

(٩) مسلم . (١٠) متفق عليه .

، قوم فلم يُمكَّن، أو تكلم فلم يُنصَت له، أو استأذن على صديق فلم يؤذن له، أو خطب فلم يُزوَّج، أو استمهل الدين فلم يُمهل، أو استنقص منه فلم ينقص... وما أشبه ذلك لم يغضب، ولم يعاقب، ولم يتنكر من حاله حال، ولم يستشعر في نفسه أنه قد جُفي وأوحش، وأنه لا يُقابل كلَّ ذلك إذا وجد السبيل بمثله... بل يضمر أنه لا يعتد بشيء من ذلك، ويقابل كلاً منه بما هو أحسن وأفضل وأقرب منه إلى البر والتقوى، وأشبه بما يُحمد ويرضى... ثم يكون في إيفاء ما يكون عليه، كهم في حفظ ما يكون له، فإذا مرض أخوه المسلم عاده، وإن جاء في شفاعة شفعه، وإن استمهله في قضاء دين أمهله، وإن احتاج منه إلى معونته أعانه، وإن استمحه في بيع سمح له، ولا ينظر إلى أن الذي يعامله كيف كانت معاملته إياه فيما خلا، وكيف يعامل الناس إنما يتخذ الأحسن إمامًا لنفسه، فينحو نحوه ولا يخالفه.

وقال الماوردي - رحمه الله - إذا حسنت أخلاق الإنسان كثر مصافوه، وقلَّ معادوه، فتسهلت عليه الأمور الصعاب، ولانت له القلوب الغضاب.

ويدرك المرء بحسن خلقه درجة الصائم القائم، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم»[11]

وحسن الخلق من أكثر ما يدخل الناس الجنة، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟.. فقال: «تقوى الله وحسن الخلق»، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار؟.. فقال: «الفم والفرج»[12]

وحسن الخلق من الصفات الكريمة التي ترفع منزلة وقدر أصحابها في الدنيا والآخرة، وتقرِّب أصحابها من رسول الله ﷺ يوم القيامة، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا، وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون، قالوا: يا رسول الله: قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟.. قال: «المتكبرون»[13]

لقد جمع (١٤) الله - تبارك وتعالى - لنبيه محمد ﷺ جوامع الكلم في كتابه المحكم، ونظم له مكارم الأخلاق كلها في ثلاث كلمات، فقال - جل شأنه -:

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾
(الأعراف: ١٩٩)

ففي أخذه العفو صلة من قطعه، والصفح عمَّن ظلمه، وفي الأمر بالمعروف تقوى الله، وغضّ الطرف عن المحارم، وصون اللسان عن الكذب، وفي الإعراض عن الجاهلين تنزيه النفس عن ممارسة السفيه ومنازعة اللجوج.

فلا عجب إذن أن يكون من الأدب مع النفس أن يتحلى الإنسان بأدب حسن الخلق.

(١١) أبوداود. (١٢) الترمذي. (١٣) الترمذي.
(١٤) كتاب: روح وريحان - لكاتب المقال جـ٤ ص٢٩٥.

الحركة العقلية عند مفكري الإسلام

بقلم الأستاذ الدكتور/ السيد أحمد فرج

الرأى ثمرة العقل، يقول الإمام أبوحامد الغزالي: العقل منبع العلم ومطلعه وأساسه، والعلم يجرى منه مجرى الثمرة من الشجرة، والنور من الشمس، والرؤية من العين، فكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا والآخرة، أو كيف يستراب فيه[1]. والعقل حجة المعتزلة الأولى في الاستدلال، ومن هنا سيطر العقل على كل نتاجهم الفكرى، فكانوا رواد الحركة العقلية الأولى في الإسلام منذ أواخر القرن الهجرى الأول، ظهر ذلك جليا في كل ما صدر عنهم، ومنه علم تفسير القرآن الكريم.

ولعل الحركة العقلية ظهرت عند المعتزلة وعند غيرهم بعد ذلك، لما رأى المسلمون أن القرآن الكريم يحض على الاسترشاد بنور العقل. يقول تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

(البقرة: ١٦٤)

لقد ورد الفعل عَقَلَ ومشتقاته في أكثر من ثلاثين آية، وورد كذلك بلفظ (قلب) وبلفظ (لب = أولي الألباب) وبلفظ (نهى = أولى النهى) في مواضع كثيرة في القرآن الكريم.

والقرآن الكريم لم يقرر أن العقل جوهر قائما بذاته، كما كان يراه فلاسفة اليونان، بل قوة تصدر عن نفس الإنسان، تكون محكومة بحالات النفس المادية والروحية، ولذلك ذكر القرآن الفعل عقل

(١) أبوحامد الغزالي: إحياء علوم الدين ٨٢/١ بتحقيق بدوي طبانة، القاهرة: عيسى الحلبي ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م.

ومشتقاته، ولم يذكر الاسم = العقل، بل ذكر ثماره.

وتدور معاني العقل والتعقل في القرآن الكريم، ومن ثم في اللغة العربية من الحسي إلى غير الحسي في معان هي:

العقل: هو الإمساك كعقل البعير بعقاله، فيقر في مكانه. ومنه قيل للحصن معقل، وللمحبس معتقل.

ويعني العقل، من غير الحسي: تلك القوة في الإنسان التي يدرك بها الأشياء على حقيقتها، وهو ما يقابل الغريزة التي لا اختيار لها، فبالعقل يكون التفكير والاستدلال، والوقوف على تركيب التصورات والتصديقات، وبه يتميز الحسن من القبيح، والخير من الشر، والحق من الباطل، لقوله تعالى:

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ﴾

(البقرة: ٧٥)

أي عرفوه على حقيقته، وعلموه علما ثابتا بوسائل السمع والبصر والقلب وغيرها. قال تعالى:

﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ﴾

(الملك: ١٠)

أي نترك الأمر على حقيقته .قال تعالى:

﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾

(البقرة: ٤٤)

والعقل: الحجر والنهي، المضاد للحمق، فهو القوة المفكرة في الإنسان التي تعقله وتنهاه عن الانطلاق من وراء شهواته، والعقل: التثبت في الأمور.

والعاقل: هو الجامع لأمره ورأيه، ومن يحبس نفسه ويردها عن هواها وينهاها عن التورط في المهالك.

وكان الحارث المحاسبي - من العلماء المتصوفة يرى أن للعقل عند العلماء ثلاثة معان:

أولها: أن العقل غريزة، ولعله أراد قوة مركبة في الإنسان.

ثانيها: أن العقل فهم.

ثالثها: أن العقل بصيرة.

فالعقل بالمعنى الأول برأيه هو الذي يميز بين الأضداد كالنور والظلام، والخير والشر، والنافع والضار.. والحسن والقبيح، قال الحارث المحاسبي: «فبذلك العقل عرفوه، وشهدوا عليه بالعقل الذي عرفوه به من أنفسهم بمعرفة ما ينفعهم، ومعرفة ما يضرهم».

فحقيقة العقل برأي المحاسبي غريزية حدسية، تدرك وظيفته إدراك معرفة وفهم وبصيرة، وبها يدرك المعطيات الحسية في العالم، وتلك المعطيات الحسية التي هي الطريق إلى المعرفة الإدراكية توصل إلى المعطيات الذهنية التي تنشأ في العقل بالكسب أي بالتعليم.

قال المحاسبي: «فالعقل غريزة يولد العبد بها، ثم يزيد فيه معنى بعد معنى بالمعرفة بالأسباب الدالة على المعقول. قال تعالى:

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾

(البقرة: ٣١)

ومعناه أن العقل يستدل على الأشياء بالعلم والتعلم، وبالتعلم يعرف العاقل بعقله الأشياء ومعانيها.

وتابع أبو حامد الغزالي الحارث المحاسبي في كون العقل غريزة، وزاد بأن العقل مختلف في حده وحقيقته، فهو يطلق على معان. فلا يبتغى أن يطلب لجميع أقسامه حد واحد فالأول ما يفارق به الإنسان سائر الحيوان، وهو الحد الذي استعد به الإنسان لقبول العلوم النظرية، وتدبير الصناعات الخفية الفكرية، وهو الذي أراده الحارث المحاسبي، بأنه غريزة بها يتهيأ الجسم للحركات الاختيارية والإدراكات الحسية، كذلك يتهيأ بها للعلوم النظرية.

والمعنى الثاني للعقل أنه العلوم التي تخرج إلى الوجود، في ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات، كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد، وأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين في وقت واحد.. وهو ما عناه بعض المتكلمين بالعلوم الضرورية..

والثالث: علوم مكتسبة تستفاد من التجارب.

والرابع: أن يعرف به عواقب الأمور، ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ويقهرها.

فالأول: هو الأس والمنبع.. والثاني: هو الفرع الأقرب إليه، والثالث: فرع الأول والثاني، إذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب، والرابع هو الثمرة الأخيرة، وهي الغاية القصوى، فالأولان بالطبع، والأخيران بالاكتساب.

والعقل في عقل الإمام أبي حامد الغزالي، هو أصل الإسلام في أصل اللغة لتلك الغريزة، وكذلك في الاستعمال، وإنما أطلق على العلوم من حيث إنها ثمرته، كما يعرض الشيء بثمرته، وهذه العلوم مضمنة في الغريزة بالفطرة، تظهر في الوجود إذا جرى سبب يخرجها إلى الوجود، لأن هذه العلوم ليست بشيء وارد عليها من خارج وكأنها كانت مستكنة فيها فظهرت [٢].

الإمام الغزالي يضع مبادئ العالم العقلي المستكن في فطرة الإنسان، وهو أس العقل الفطري، كما يضع مبادئ العالم الحسي الذي هو ثمرة العالم العقلي، إذن الفكر الإنساني ينبع من العقل الخالص، ثم يمتد إلى جميع العلوم النظرية والطبيعية، وتدبير الصناعات وجميع المدركات.. فأصل كل معرفة مستكن في العقل.. والمعارف في العقل واحدة، ولكن تشكلها العلوم الكسبية وتصقلها التجارب في صور

٢- راجع الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين ١/٨٤-٨٦، عيسى الحلبي، القاهرة، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م.

مختلفة، فالعقل متمكن «مستقر» التصورات التي لها علاقة قبلية بالموضوعات، وهو نفس ما ارتآه «إمانويل كانط» لا باعتبار هذه التصورات عيانات حسية، بل باعتبارها أسساً للفكر الخالص، أي العقل الخاص.(٣)

وهذا المعنى نفسه ارتآه الماوردى فرأى أن العقل المكتسب عقل فهم وبصيرة، فهو نتيجة العقل الغريزى الذى هو نهاية المعرفة، وصحة السياسة وإصابة الفكرة، وليس لهذا (حد) لأنه ينمو بأن يستعمل، وينقص إن أهمل.. قال الشاعر:

ألم تر أن العقل زين لأهله
ولكن تمام العقل طول التجارب

ولهذا فإن المعرفة عقل إذا كانت عن العقل، لا عن غيره بوسائل السمع والبصر واللمس والذوق والشم.. قال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ (الأحقاف: ٢٦)

فإن العقل لا يستغنى بذاته عن الحواس، فهو ينتفع بها، وهو قائدها ومحركها.

وفى تفسير هذه الآية يقول المحاسبى: «عنى عز وجل أن أسماعهم وأبصارهم لم تعقل عن الله فهمها لما قال من عظيم قدر عذابه فندمت، لأنها لم تكن تسمع ولا تعقل عن الله ما أخبر عنه ووعد وتوعد.

ولقد اختص الله - تعالى - آدم وذريته بنعمة العقل، فأخذ منهم الميثاق بما فطرهم عليه من العقول والألباب والفهم ليدبروا بها شواهد التدبير، وأحكام التقدير، فألزمهم بذلك حجة بما شاهدوا من إتشائه وإتقان صنعه فى أنفسهم وفى جميع خلقه»(٤)

وخالف الجرجانى صاحب التعريفات العلماء فرأى أن العقل جوهر مجرد يدرك الغائبات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة «ولقد نقض الماوردى هذا القول فقال: إن العقل جوهر لطيف، لأنه لو كان جوهرا بذاته لاستغنى العاقل به بوجود نفسه، عن وجود عقله، كما لو أن العقل كان جوهراً لجاز أن يكون عقل بغير عاقل، كما جاز أن يكون جسم بغير عقل»(٥)

ولقد سادت دعوة العقل فى تفكير كل الأوساط الإسلامية حتى قال المتنبى:

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله
وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم

٣- من تعليق د. عبدالغفار مكاوى، هامش ص٤، على كتاب إمانويل كانط: تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، مراجعة د. عبدالرحمن بدوى، نقلا عن العقل الخالص لكانط ص١٠٠، طبعة هامبورج.

٤- راجع: الحارث المحاسبى: العقل وفهم القرآن، تقديم وتحقيق د. حسين القوتلى، ص٢٠٢،١٤٥، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢١٢، ٢١٦، ٢١٩، ٢٦٤، نشر دار الكندى والفكر بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، والماوردى: أدب الدنيا والدين ص٢٢.

٥- الجرجانى: التعريفات مادة عقل، القاهرة، مصطفى البابى الحلبى، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م، والماوردى: أدب الدنيا والدين ص٢١.

فالعقل مساو للعلم، مضاد للجهل.

قال المعرى فى لزومياته:

جاءت أحاديث إن صحت فإن لها
شأناً ولكن فيها ضعف إسناد
فشاور العقل واترك غيره هدرا
فالعقل خير مشير ضمه النادى

وقال أيضاً:

كذب الظن لا إمام سوى العقل
مشيراً فى صبحه والمساء
فإذا ما أطعته جلب الرحـ
مة عند المسير والإرساء

ولاهتمامهم بالعقل لم يتخل الشعراء المعاصرون للحركة العقلية عن ولوج موالج المناظرات العقلية ومحاوراتها، فها هو بشار بن برد وكان شاعراً أعمى يقول:

شفاء العمى طول السؤال وإنما
دوام العمى طول السكوت على الجهل
فكن سائلاً عما عناك فإنما
دعيت أخا عقل لتبحث بالعقل

***

ولقد ذكر الجاحظ أن الشعراء الذين عاصروا الحركة العقلية فى العصر العباسى الأول كانت بيوتهم مليئة بالكتب التى تغذى العقل.. يقول محمد ابن يسير فى كتبه التى كان يأنس بها:

هم مؤنسون وألاف غنيت بهم
فليس لى فى أنيس غيرهم أرب
فأيما أدب منهم مددت يدى
إليه فهو قريب من يدى كثب
حتى كأنى قد شاهدت عصرهم
وقد مضت دونهم من دهرهم حقب

والبيت الأخير يبين أن الشاعر كان ينتقى من الكتب من كل أنواع المعرفة، ومن كل مصادرها العربية وغير العربية التى تغذى عقله.(٦)

«يتبع»

٦- راجع: ابن قتيبة عيون الأخبار ٣/١٢٣، والماوردى أدب الدنيا والدين ص٦٦، والجاحظ كتاب الحيوان ١/٩٤، وشوقى ضيف: العصر العباسى الأول ص٤١٨.

..ولو بالصين.. لماذا؟

للأستاذ/ محمد مصطفى البسيونى

من اتساق الأمور الذى يرقى إلى مستوى البديهية الفطرية اليقينية أن المقدمات الصادقة تؤدى إلى نتائج صادقة.

ومقدمتنا الإسلامية التى أوحى بها إلى الصادق الأمين ﷺ هى أن هذا الإسلام هو دين الله - عزوجل - الذى ارتضاه لعباده لأن:

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾

«آل عمران: ٨٥»

والله - سبحانه وتعالى - هو بارئ هذا الكون وفق مشيئته الحكيمة المقدسة فإذا نطق محمد ﷺ بقول يرتبط بمسار الكون فى ماضيه أو حاضره أو مستقبله فإنما هو قول صادر بالمشيئة الربانية الخالقة على لسان المصطفى المختار ﷺ وفق ما وصفه ربه - عزوجل - بأنه:

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾

«النجم: ٣، ٤»

كما أنه قول يدور فى دائرة الحقيقة الإلهية الموحاة إليه - عليه السلام - من بداية الرسالة:

﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾

«المزمل: ٥»

ومن هذه الأقوال الإلهية المقدسة التى ألقيت معانيها فى روح النبى ﷺ وأخبر عنها بلسانه الصادق:

«اطلبوا العلم ولو بالصين»[1]

وأين الصين آنذاك من مكة المكرمة أو المدينة المنورة؟ بل أين الصين آنذاك من شبه الجزيرة العربية وما حولها جميعاً؟

إنما هى عبقرية الدعوة التى تشير إلى كونية الرسالة الخاتمة التى تتخلل كل ركن من أركان الحياة فى الزمان والمكان جميعاً فلا يظن بشر فى أى زمان ومكان أنه بمنأى عن مسئولية هذه الرسالة الربانية فالكل مسئول عن تبليغها إلى أن تقوم الساعة، والكل مسئول عن قبولها أو رفضها وفقاً لرضا الله عنه أو سخطه عليه.

إذ المعروف أن كل رسالة من الرسالات السماوية قد مضى دورها بمضى رسولها إلا الرسالة الإسلامية المحمدية التى هى الرسالة الوحيدة التى لا تنتهى بانتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى، بل إن كل مسلم مكلف بحمل هذه الرسالة إلى نفسه وإلى الآخرين إلى أن تقوم الساعة من خلال:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾

«آل عمران: ١١٠»

فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مسألة أبدية يحمل تكليفها كل من آمن بمحمد ﷺ، وكأن كلاً منا يشرف بأن يكون امتداداً لمحمد ﷺ يمشى على الأرض مبشراً برسالته، حارساً لعقيدته حتى يلقى الله - عز وجل - وروحه مضيئة بالنور المحمدى الذى هو قبس من نور رب الإسلام - عز وجل -.

من هنا جاء حديثنا عما ورد عن حبيبنا المصطفى ﷺ «اطلبوا العلم ولو بالصين فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم».

وللعلم معان عدة أبرزها معنيان: العلم بمعناه العام، وهو العلم بالشىء أو ما يقصد بكلمة «المعرفة» وهو ما ينبغى أن يتحلى به كل ذى عقل يعيش فى عالم متعدد الكائنات ومتنوع الأشياء، وشرط هذا النوع من العلم «أو المعرفة» أن يكون صاحبه دقيقاً فى ملاحظة ما يصادفه من الأمور، أميناً فى نقل ما يعرف إلى غيره وذلك كالأب الذى يختزن العديد من الملاحظات عن الحياة ثم ينقلها بأمانة إلى أولاده، أو «كالفلاح» الذى عرف عن أبيه طرق فلاحة الأرض وأصولها ومواسمها ثم أخذ ينقل هذا كله إلى أبنائه الذين يمتهنون مهنته، ويحترفون حرفته، وغير هذا وذلك من الأمثلة التى تشيع بين الناس فى كل آن.

ذالكم العلم بمعناه العام الذى يقوم على مجرد اتصال «شعور» المرء بما حوله من الأمور.

أما العلم بمعناه الخاص فهو ما يرتبط بالمنهجية المخططة والتجريب، ومن هذه الخطوات المنهجية ما يعرف مثلاً بملاحظة الظاهرة ثم بافتراض تفسير لها ثم محاولة التأكد من صحة هذا الافتراض من خلال التجربة، فإذا أثبتت التجربة صحة

(١) ابن عبدالبر عن أنس (الجامع الصغير).

هذا الفرض أصبح يعرف في مجال العلم «بالقانون العلمي».

ولقد ألهم الحق - سبحانه - «الرواد من المسلمين» الناظرين في كونه والمتأملين في خلقه، والمتفكرين في إبداعه، ألهمهم باصطناع ما يعرف بالمنهج العلمي أو التجريبي الذي سبق إليه «الحسن بن الهيثم»[٢] في مجال معجزة الضوء والرؤية، وجابر بن حيان [٣] في مجال معجزة تفاعل العناصر وتولد بعضها من بعض فكان رائداً لعلم الكيمياء، وابن النفيس في معجزة حيوية الدم[٤] مما ساعده على اكتشاف الدورة الدموية الصغرى، وابن سينا في معجزة العلاقات العضوية للبدن، مما أدى به إلى تطوير علم الطب[٥]، وكان الفكر البشري في معظمه قبل هؤلاء وغيرهم يقوم على التجريد البعيد عن التجريب.

ولقد كان هؤلاء الرواد من علماء المسلمين هم حملة مشاعل النور الإسلامي الذي يتبلور في المنهج العلمي إلى أوروبا حيث عكف عليه الباحثون عن التطور، وتعمقه أصحاب الفطنة منهم حتى اهتدوا إلى ما وراء هذا المنهج العلمي من الأسرار فوجد كثير منهم أن هذه الأسرار تكمن في الدين الحنيف فاعتنقوا الإسلام.

هذا في الوقت الذي أخذتنا فيه سنة من الغفلة «فبات يملكنا شعب ملكناه» كما جاء في بعض الشعر المعاصر.

وقد شاركتنا الصين هذه الغفلة أو الغفوة فكادت تنسى حضارتها العريقة في جنوب شرق آسيا ولاسيما بعد سلاح «الأفيون» الذي شهره ضدها شياطين الاستعمار التقليدي القديم.

ولكن غفلة الصين كانت إلى حين حيث كانت أشبه بالهدوء الذي يسبق العاصفة أو الكمون الذي يؤذن بالانطلاق والتفاعل الذي يهدد بالانفجار.. وقد كان.

كان حكماء الصين - وكثير ماهم - يرقبون الأمر عن كثب ليعرفوا ماذا حدث لأوروبا فتقدمت بعد تخلف؟! وماذا حدث للمسلمين الذين تخلفوا بعد تقدم؟! وماذا حدث لأمريكا لتلتئم بعد الشتات فيحل فيها البياض بعد السواد؟!

ولاشك في أن الصينيين «جميعاً» قد استنبطوا من استقراء هذه الأحوال أن

(٢) الحسن بن الهيثم عاش في عصر الحاكم بمصر، عالم عربي، مكتشف علم الضوء ألف فيه كتاب «المناظر» خالف فكرة أرسطو في الضوء حيث قال: إن العين ترى بسقوط الأشعة من الجسم عليها وهو عكس ما قاله أرسطو.

(٣) جابر بن حيان من علماء العرب في الكيمياء - عاش في الكوفة - له كتاب (الرحمة) الذي بحث فيه طريقة تحويل المعادن إلى ذهب ويسمى الغربيون علم الكيمياء باسمه (صنعة جابر).

(٤) ابن النفيس (الدمشقي) (١٢١٠ - ١٢٨٨م) رئيس أطباء مصر له (شرح تشريح ابن سينا) وفيه وصف الدورة الدموية الصغرى.

(٥) ابن سينا: عالم عربي اشتهر بعبقريته في علم الطب - له أبحاث في الطب النفسي وفي التوفيق بين الفلسفة والدين - يطلق على فلسفته في أوروبا (الفكر السينوي) أخذ عنه كثير من مفكري الغرب منهم (القديس توما الأكويني).

إكسير التقدم يسود في «العلم والانتماء» وأن جرثومة التخلف تكمن في «الجهل والادعاء».

ومن هنا تمرد المارد الصيني على «القمقم الذي حبس فيه حيناً من الدهر» فانطلق ليس باحثاً عن العلم ولكن ممارساً له، وليس متغنياً بالانتماء ولكن متنفساً له في الشهيق والزفير.

وعندما كنت في زيارة لولدي بأمريكا منذ أربعة أعوام وجدت السلع الصينية «من الإبرة إلى الصاروخ كما يقال» تنتشر في الأسواق الأمريكية «انتشار النار في الهشيم كما يقال أيضاً» ولا حيلة لنا «إلا أن نردد ما يقال» فبينما تجد مائة سلعة صينية هناك تجد معها سلعة واحدة أمريكية تظهر في السوق على استحياء.

ولعل هذا هو الذي دفع الرئيس الأمريكي السابق «بوش الابن» إلى أن يهدد الصين بأنها إذا لم ترفع أثمان سلعها في أمريكا فسوف يفرض عليها جمارك مضاعفة حتى تجد السلع «الأمريكية» مكاناً لها في أسواق «أمريكا» فكان رد الصيني أن بوش لو فعل ذلك لخفضت الصين أثمان سلعها أكثر وأكثر وهكذا.

وها هي ذي الصين التي تحرص على أن يقال عنها دولة «نامية» تنافس بل «تصارع» الدول الكبرى في مجال الاقتصاد وهو المجال الذي يؤثر دون شك على السياسة مما يجعل الدول «الكبرى» تتوجس خيفة من انطلاق المارد الذي عرف للعلم قيمته وللانتماء مكانته في الاحتفاظ بمكان أكبر ومكانة أجدر تحت الشمس.

وهكذا يفرض الحديث النبوي الشريف «اطلبوا العلم ولو في الصين» نفسه لأنه يعبر عن حقيقة ناطقة يسري نورها ليضيء الدنيا بعد أربعة عشر قرناً من الزمان حيث تتربع الصين في مؤتمر «شرم الشيخ» لتمد الدول الأفريقية بمليارات الدولارات ولا تستشعر غضاضة في ذلك طالما أن الدول «الآخذة» لا تذكر الصينيين بحكمتهم المأثورة التي تقول «بدلاً من أن تعطيني سمكة أعطني آلة أصطاد بها السمك».

أما عن الانتماء فقد حدثني أحد أبنائي الطلاب الذي يعمل اليوم أستاذاً في الصين، أن الصين كوطن تعيش في داخل كيان كل مواطن صيني، فالانتماء هناك ليس شعاراً يطلق أو أغنية تغنى في المناسبات ليس إلا، ولكنه خلية حية تجري في عروق كل صيني مجرى الدم.

صدقت يا سيدي يا رسول الله «اطلبوا العلم ولو في الصين» وندعو الحق سبحانه أن يرزقنا صحة الإيمان الذي يترجم أقوالك الشريفة إلى حقائق واقفة أمامنا عبر الزمان، لأن ضعف الإيمان يخفي عن الأعين والقلوب الكثير، كما يخفي الضباب نور الشمس في وضح النهار.

المقصد في اجتهاد أبي حنيفة

للأستاذ الدكتور / ابراهيم أصبيان

الأستاذ بالجامعة الحسنية المغربية (المغرب)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد وعلى آله وصحبه والتابعين.

وبعد،

فإن من رحمة الله تعالى بهذه الأمة أن هيأ لها علماء يوجهونها الوجهة الصحيحة كلما انفلتت معالم القبلة التي ارتضاها الله تعالى للإنسانية.

والأمة الإسلامية أمة علم وعلماء، وهي التي علمت الإنسانية أن العقل هو من أعظم النعم التي أنعم الله تعالى به على الإنسان وأن هذا العقل لا بد أن يوظف التوظيف الصحيح وهو تحقيق العبودية لله تعالى.

ومنذ فجر التاريخ الإسلامي، ظهر علماء رفعوا راية النور لتهتدي بها الإنسانية، وأنشئوا مدارس فقهية وجامعات علمية في زمن كان فيه غير المسلمين يعيشون في ظلمات الجهل.

وكان من نتائج هذه الجهود العلمية التي بذلها الصحابة والتابعون نشوء أربعة مذاهب كبرى، انتشرت في الآفاق وحفظت للمسلمين دينهم وسنة نبيهم.

ومن هؤلاء الأئمة الكبار عالمنا الجليل أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه.

وقد كان الإمام أبو حنيفة رحمه الله يتمتع بموهبة فريدة في حجج العقل ومقدرة فائقة على أعمال الرأى والقياس حتى قال عنه الإمام مالك وقد سئل عنه: «رأيت رجلا لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته».

وجدير بالذكر أن العراق التي نشأ بها أبو حنيفة - على عكس ما كان عليه الأمر في الحجاز من بساطة الحياة التي تقلل من الحوادث، مع كثرة الأحاديث والآثار- كانت معقدة الحياة ومنوعة الحضارات والمدنيات، مما يؤدي إلى كثرة الحوادث والنوازل على قلة الآثار ووضع ضوابط صارمة بقبول الخبر، مما جعل فقهاءها يكثرون من اللجوء للقياس واستعمال العقل لحل المشاكل المتنوعة والمعقدة الناتجة عن واقع قائم على التعددية الفكرية والثقافية.

إن أبا حنيفة بحر في العلم حتى قيل عنه: «من أراد أن يتبحر في الفقه، فهو عالة على أبي حنيفة» فلهذا لا يمكن الإحاطة بحياة الرجل ولا بفقهه في مداخلة محكومة بعامل الزمن ولكن ما لا يدرك كله، لا يترك جله.

وسأتناول في مداخلتي هذه جانبا واحدا من شخصيته العلمية. وهو عنايته بمقاصد الشريعة الإسلامية فقط من خلال استعماله للاستحسان ولاشك أن هذا الجانب من شخصيته يحتاج إلى مؤلفات ومؤتمرات ولكن حسبي أن أنبه إلى ضرورة العناية بهذا الجانب.

١- الاستحسان عند الإمام أبي حنيفة:

لقد اخترت هذا الموضوع لأبين عبقرية الإمام أبي حنيفة وأبين أيضا حاجة الفقه الإسلامي المعاصر لهذا الاتجاه؛ ذلك أن الاستحسان بني على أصل عظيم من أصول الشريعة وهو جلب المصالح للإنسان ودفع المفاسد عنه.

ويطلق الاستحسان في اللغة ويراد به عدُّ الشيء حسنا أو اتباع الحسن من الأمور الحسية والمعنوية، يقال استحسن الرأى أو القول أو الطعام أو الشراب، بمعنى عده حسنا، ويقال: هذا مما استحسنه المسلمون.

وقد كان الإمام أبو حنيفة بارعا في الاستحسان مما جعل تلميذه محمد بن الحسن يقول عنه: «إن أصحابه كانوا ينازعونه المقاييس، فإذا قال: استحسن لم يلحق به أحد»[1]. ومن جهة أخرى فقد أقر كل من المالكية والحنابلة بأصل الاستحسان وعده الإمام مالك تسعة أعشار العلم، وقال أصبغ في الاستحسان: قد يكون أغلب من القياس، وجاء عنه أن المغرق في القياس يكاد يفارق السنة. وهذا الكلام - كما يقول الإمام الشاطبي- لايمكن أن يكون له معنى «مما يستحسنه المجتهد بعقله، أو أنه دليل ينقدح في نفس المجتهد تعسر عبارته عنه، فإن مثل هذا لا يكون تسعة أعشار العلم، ولا أغلب من القياس الذي هو أحد الأدلة»[2].

وإذا كان هؤلاء الأئمة جميعا قد اعتبروا الاستحسان واعتمدوه منهجا من خلال ما يظهر من كلامهم، عنه فإن الشافعي قد ذهب في المقابل إلى إنكاره والطعن في حجيته ومشروعيته فقال مقولته المعروفة: "من استحسن فقد شرع". وهذا الإنكار الشديد من قبل الشافعي لا يمكن إدراك أبعاده إلا بعد المعرفة الدقيقة بالمراد من الاستحسان، ثم إن بيان حقيقة الاستحسان عند القائلين به هاد إلى معرفة مدى صحة وصلاحية هذا المسلك الاجتهادي في ضبط المآلات.

بالرجوع إلى التعريفات التي قدمها العلماء للاستحسان يتبين احتواؤها على عدد من المفاهيم والمبادئ المختلفة. لكن الأمر في محصلته النهائية يعود إلى وفاق لا إلى خلاف، إذ الاستحسان عند جميعهم يهدف إلى تحري المصلحة عند تعارضها مع القياس أو

(١) السرخسي، أصول ٢/١٩٩-٢٠١.

(٢) الاعتصام ٢/٩٦-٩٦٣.

عند وجود ما يناقض مقاصد الشارع.

ففيما يخص الأحناف الذين اشتهروا بالأخذ بالاستحسان فقد عرفه النسفي الحنفي بأنه «العدول عن قياس إلى قياس أقوى منه، أو هو دليل يعارض القياس الجلي»، وعرفه الإمام الكرخي الحنفي بقوله: «الاستحسان هو أن يعدل الإنسان عن أن يحكم في المسألة بمثل ما حكم به في نظائرها إلى خلافه، لوجه يقتضي العدول عن الأول»[3].

ويقول السرخسي في تعريفه: "الاستحسان ترك القياس والأخذ بما هو أوفق للناس، وقيل الاستحسان طلب السهولة في الأحكام فيما يبتلى به الخاص والعام، وقيل: الأخذ بالسعة وابتغاء الدعة، وقيل: الأخذ بالسماحة وابتغاء ما فيه الراحة، وحاصل هذه العبارات أنه ترك العسر لليسر، وهو أصل في الدين[4]، قال تعالى:

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾

(البقرة: ١٨٥)

ويستفاد من هذه التعريفات أمورا منها:

- إن القول بالاستحسان لدى الأحناف ليس محض تقول مستند إلى الرأي والهوى والتشهي، وإنما له ما يسنده من الاعتبارات المنهجية المتبعة عند مقارنة الأدلة المتمثلة في العدول عن حكم إلى غيره لوجه اقتضى ذلك مثل اعتماد الدليل الأقوى عند التعارض.

- أن أصل مشروعية الاستحسان له ما يسنده أيضا من الأصول المقاصدية المعتبرة في الشريعة والمتمثلة في هذا المقام في طلب التيسير على الناس ورفع الحرج عنهم والذي يتسبب فيه الغلو في اتباع القياس.

- إن الاستحسان ليس مطية للمجتهد في كل حال، وإنما له حالات معينة يوظف فيها دون غيرها، وتستفاد هذه الحالات من قولهم في التعريف السابق: " الاستحسان طلب السهولة في الأحكام فيما يبتلى فيه الخاص والعام". ومنه يتضح أن توظيف هذه القاعدة يتم فيما تعم فيه البلوى لعموم الناس وخصوصهم بحيث يفضي الالتزام الحرفي بالحكم أو اعتماد القياس المعهود إلى الحرج والتعسير على الناس وتكليفهم بما لا يطيقون.

أما المالكية فالاستحسان عندهم كما بين الشاطبي هو «الأخذ بمصلحة جزئية في مقابل دليل كلي، ومقتضاه الرجوع إلى تقديم الاستدلال المرسل على القياس»[5]. ويدنو من هذا المعنى ما حده به ابن العربي بأنه عند مالك: «استعمال مصلحة جزئية في مقابلة قياس كلي»[6].

وإضافة إلى ذلك فقد عرفه أبو بكر بن العربي وتابعه الشاطبي بنفس القول: «الاستحسان عندنا وعند الحنفية هو العمل

(٣) كشف الأسرار ٤/٢٢٦١، مصادر التشريع فيما لا نص فيه.

(٤) السرخسي، شمس الدين، المبسوط ١٠/١٤٥٦.

(٥) الموافقات ٤/٢٠٦٧. (٦) نفسه.

بأقوى الدليلين. فالعموم إذا استمر والقياس إذا اطرد، فإن مالكا وأبا حنيفة يريان تخصيص العموم بأي دليل كان من ظاهر أو معنى»[7]. كما نقل أن ابن العربي عرفه بأنه " إيثار ترك مقتضى الدليل على طريق الاستثناء والترخص لمعارضة ما يعارض به في بعض مقتضياته»[8].

أما ابن رشد فقد قال في الاستحسان: «الاستحسان الذي يكثر استعماله، حتى يكون أعم من القياس، هو أن يكون طرحا لقياس يؤدي إلى غلو في الحكم ومبالغة فيه، فيعدل عنه في بعض المواضع لمعنى يؤثر في الحكم يختص به ذلك الموضع»[9].

وبالنظر إلى هذه التعريفات المأثورة عن المالكية يمكن أن نستخلص ما يلي:

- أن الاستحسان مبني على تقديم المصلحة وإن كان القياس يقتضي خلافها، وهو بذلك إخراج لجزئي من كلي عن طريق الاستثناء لوجود ما يعارض إجراء حكم الكل عليه.

- أن المنهج المعتمد عند المالكية للاستحسان والتخصيص والرخصة.

- أن وظيفة الاستحسان عندهم هي معالجة الغلو والمبالغة اللذان يفضي إليهما الاتباع الحرفي للقياس.

- أن المالكية والحنفية يلتقون في اعتبار الاستحسان عملا بأقوى الدليلين وفي اعتباره مقابلا منهجيا للعموم والقياس حين لا يطرد العمل بهما لوجود دليل معارض ظاهرا كان أو معنى.

وإذا كان هذا هو معنى الاستحسان عند كل من الحنفية والمالكية من حيث الإشارة إلى بعض وظائفه ووسائله المنهجية فإن الحنابلة قد قدموا تعريفا أكثر عموما، وهو مستفاد من قول الطوفي: "أجود تعريف للاستحسان أنه العدول بحكم المسألة عن نظائرها لدليل شرعي خاص. قال: وهذا مذهب أحمد[10].

وإزاء هذا التعريف يمكن تسجيل مجموعة من الملاحظات على النحو الآتي:

- أنه يقترب من التعريفات السابقة التي قدمها الحنفية والمالكية من جهة أن " العدول بحكم مسألة عن نظائرها" يندرج ضمنه العدول عن القياس بالاستثناء والعدول عن العموم بالتخصيص.

- أنه يتفق مع التعريفات السابقة فيجعل عملية الاستحسان منضبطة غير متسيبة عن الضوابط، ويظهر ذلك من خلال جعل العدول مشروطا بوجود دليل شرعي خاص يخرج المسألة الجزئية عن حكم نظائرها.

وإضافة إلى هذه التعريفات المأثورة عن أصحاب المذاهب الفقهية فهناك من عرف الاستحسان بتعريف لم يقبل لدى الأصوليين، وهو أنه دليل ينقدح في نفس

(٧) نفسه ٤/٢٠٨.

(٨) نفسه ٤/٢٠٧.

(٩) نفسه، الاعتصام ٢/١٣٩٠.

(١٠) شرح مختصر الروضة ٣/١٩٧.

المجتهد لا تساعده العبارات على إظهاره ولا يقدر على إبرازه. وقد اعتبر الغزالي هذا التعريف هوسا[11]. وهو محق فيما ذهب إليه خاصة إذا علمنا أن الدليل لا يكون كذلك إلا إذا كان صاحبه قادرا على الإقناع به، مما يستدعي إظهاره وإبرازه للناظرين بحيث يقتنعون به اقتناع المستدل به وهذا لا يمكن أن يتحقق إذا كان الدليل من قبيل ما ينقدح في نفس المجتهد على نحو يعجز معه عن الإبانة عنه.

تحرير محل النزاع

يمكن أن نستخلص من خلال التعريفات السابقة ما من شأنه أن يكشف عن أسباب النزاع ويحرر محله وذلك على النحو الآتي:

- يعد عدم التحديد المنهجي لمعنى الاستحسان على عهد الأئمة المؤسسين للمذاهب واكتفاؤهم بتعميمات يفهم منها كون الاستحسان عنوان أمر يعارض الدليل الظاهر أو يحد من عموم نص، أو يقيد من إطلاق أصل كلي سببا من أسباب الخلاف؛ إذ الغموض في تحديد مدلول المصطلح من شأنه أن يفضي إلى تقول غير مبني على دليل في نقد الخصم لعدم تبين محل الخلاف.

- يظهر من خلال ما تضمنته تعريفات كل من الحنفية والمالكية والحنابلة من مواصفات عامة للاستحسان أن ما يستند إليه منكرو هذا الأصل من كونه قولا بغير حجة وكون من استحسن فقد شرع إنما هي أقوال لا تتجه إلى المذاهب السالفة لأن مفادها القول في الشرع بغير دليل أي بمجرد الهوى والتشهي، وهذا باطل بإجماع المسلمين ولم يقل به أحد ممن يعتد بقوله[12].

ومما يمكن أن نستشهد به في هذا الإطار كلام لأبي الحسن البصري المعتزلي يدافع فيه عن الحنفية، ويمكن تعميمه على المالكية والحنابلة الذين أخذوا بالاستحسان على اعتبار أن الكلام عن الحنفية هنا إنما جاء نظرا لاشتهارهم باعتماد هذا الأصل أكثر من غيرهم. ويتبين من خلال ذلك الكلام أن نقد الشافعي للاستحسان لا يتجه إلى ما جاء به أصحاب المذاهب، فهو اعتراض يحتمل أن يكون متجها إلى لفظ الاستحسان من حيث إمكان إيحائه على الاستدراك على الشارع كما يحتمل أن يكون متجها إلى مضمون العمل الاستحساني نفسه من حيث إن بعض القائلين به يعتمد على مجرد الرأي والتشهي كما دل على ذلك التعريف الذي انتقده الغزالي.

يقول أبو الحسن البصري المعتزلي: " اعلم أن المحكي عن أصحاب أبي حنيفة النعمان القول بالاستحسان، وقد ظن كثير ممن رد عليهم أنهم عنوا بذلك الحكم بغير دلالة، والذي حصله متأخرو أصحاب أبي حنيفة رحمه الله تعالى هو أن الاستحسان عدول في الحكم عن طريق إلى طريق هي أقوى منها،

(١١) المستصفى ١/٢٨١.

(١٢) انظر إحكام الفصول في أحكام الأصول ٥٦٦، وإرشاد الفحول ٢٤٠.

وهذا أولى مما ظنه مخالفوهم؛ لأنه الأليق بأهل العلم، ولأن أصحاب المقالة أعرف بمقاصد أسلافهم، ولأنهم قد نصوا في كثير من المسائل فقالوا، «استحسنا هذا الأثر ولوجه كذا، فعلمنا أنهم لم يستحسنوا بغير طريق»[13].

وهذا الذي ذهب إليه صاحب المعتمد هو عين ما نبه إليه الشاطبي حين قال معقبا على تعريفات الاستحسان لدى أصحاب المذاهب: "وهذه تعريفات قريب بعضها من بعض، وإذا كان هذا معناه عن مالك وأبي حنيفة فليس بخارج عن الأدلة البتة؛ لأن الأدلة تقيد بعضها بعضا، ويخصص بعضها بعضا، كما في أدلة السنة مع أدلة القرآن، ولا يرد الشافعي مثل هذا أصلا، فلا حجة في تسميته استحسانا لمبتدع على حال»[14].

- يفضي إمعان النظر في التعريفات السابقة إلى أن حقيقة الاستحسان تكمن في: ترجيح قياس خفي على قياس جلي بناء على دليل؛ واستثناء مسألة جزئية من قاعدة كلية أو أصل عام لاقتضاء دليل خاص لذلك.

وهو في غالبه كما قال الشاطبي: «الأخذ بمصلحة جزئية في مقابلة دليل كلي»[15]. وهو إذن طريق لدرء التعسف في الاجتهاد الذي يفضي إليه طرد الأقيسة والقواعد[16].

طبيعة الاستحسان ومشمولاته

تتنازع طبيعة الاستحسان بين كونه قاعدة من قواعد اعتبار المآل وكونه أصلا مستقلا من الأصول الاجتهادية. فمن جهة نجد أن الشاطبي قد توسع في الحديث عنه على نحو يتناسب مع مالكيته، إذ المالكية أكثر من توسع في استعمال الاستحسان. ويدل توسعه هذا على مدى اهتمامه باعتبار المآل منهاجا لتنزيل أحكام الشريعة على أرض الواقع، فجعل بذلك الاستحسان قاعدة من قواعد اعتبار المآل، ولم يفعل ذلك الأصوليون وإنما بحثوه أصلا مستقلا من أصول الاجتهاد[17].

وإذا كان الشاطبي قد وضع الاستحسان في هذه المرتبة فإن الشوكاني ذهب في المقابل إلى أن الاستحسان يعبر عن نوع من الترجيح بدليل في مقابلة دليل آخر أقل قوة منه. فيرجح مثلا القياس الخفي على الظاهر، أو المصلحة أو العرف على القياس، ومن ثم فلا جدوى من إفراده كأصل مستقل ذلك أن مآله عند التحقيق هو إما إلى العمل بالقياس أو العرف أو المصلحة، وبالتالي فإن «ذكر الاستحسان

(١٣) أبو الحسين البصري، المعتمد، ٢/٢٩٥.

(١٤) الموافقات ٤/٢٠٨-٢١٤، والاعتصام ٢/١٣٩.

(١٥) الموافقات ٤/٢٠٦.

(١٦) محمد فتحي الدريني، نظرية التعسف في استعمال الحق، الصفحة ١١٧.

(١٧) لمزيد التفصيل في مواقف الأصوليين وإنكارهم للاستحسان أصلا مستقلا يمكن مراجعة الغزالي، المستصفى ٢٤٧، والآمدي، الأحكام ٤/١٥٦، وهبة الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي ٢/٧٣٥.

في بحث مستقل لا فائدة فيه أصلاً»[18].
والحقيقة أن ما انتهى إليه الشوكاني يصدق فيما لو علا علو المفاهيم التي حددت الاستحسان بترجيح دليل اجتهادي على آخر نظير له.

لتبين طبيعة الاستحسان إذن لا بد من بحث مشمولاته، وبالنظر إلى التعريفات السابقة وإلى مقالات الأصوليين يتبين أن الاستحسان بعده سبيلا لاعتبار المآل يتضمن كل الترخيصات من الأدلة الكلية العامة، مثل الجمع بين المغرب والعشاء للمطر، وجمع المسافر، وقصر الصلاة، والفطر في السفر الطويل، وصلاة الخوف، وسائر الترخيصات التي على هذا السبيل «فإن حقيقتها ترجع إلى اعتبار المآل في تحصيل المصالح أو درء لمفاسد على الخصوص، حيث كان الدليل العام مقتضيا منع ذلك، لأن لو بقينا مع أصل الدليل العام لأدى إلى رفع ما اقتضاه ذلك الدليل من المصلحة، فكان الواجب مراعاة ذلك المآل إلى أقصاه»[19].

ومن ضمن ما يشتمل عليه الاستحسان أيضا المقابلة ما بين الدليل الاجتهادي وحكم النص، وبالتحديد العمل على تخصيص عموم النص بتلك الأدلة والقواعد الاجتهادية. الأمر الذي يبرر جعل الاستحسان مستقلا ذا فائدة علمية. ذلك أن القياس لم يوضع في قبال النص، بل هو مستمد من روحه ليطبق على ما لا نص فيه، وأن المصلحة مستمدة من روح المقاصد لتطبق على حادثة لم يرد ذكرها بنص ولا أمكن ربطها به على نحو القياس، وكذا العرف ليس مستمدا بدوره من النص ولا القياس. فهذه الأدلة هي أدلة اجتهادية حينما لا يكون هناك نص في الحادثة.

وعليه لو كان الاستحسان مجرد ترجيح هذه الأدلة بعضها على البعض الآخر للزم عدم جدوى إفراده مستقلا، فهو لا يعبر في هذه الحالة إلا عن الترجيح بين تلك الأدلة بحسب النظر في قوتها. لكن حيث إنه يتجاوز هذا المعنى من الترجيح في بعض خصوصياته ووظائفه، فيجعل العلاقة ليست فقط بين الأدلة الاجتهادية بعضها مقارنة بالبعض الآخر، بل بين تلك الأدلة وبين النص في عمومه، لذا فنحن هنا إزاء فعل جديد لا يمكن رده إلى مجرد القياس أو المصلحة أو العرف التي وضعت في الأساس بعيدا عن أن تكون في تماس من التأثير على حكم النص بحسب مفاهيمها المعروفة. وبتعبير آخر، رغم أن الاستحسان قائم فعلا على تلك المبادىء الاجتهادية لا غيرها إلا أن له وظيفة جديدة لا تتضمن تلك المبادىء، ألا وهي التضييق من المساحة التي يمكن أن يشغلها حكم النص فيما لو ترك وحاله.

فعلى الأقل أنه لدى المالكية لا يقتصر الاستحسان على إبراز الاستثناء والترجيح من القواعد العامة للأدلة الاجتهادية فيما لا نص

(١٨) إرشاد الفحول، ٢٤١.
(١٩) الموافقات ٤/٢٠٧.

فيه كالقياس، وإنما يضاف إليه ما يدخل ضمن الاستثناء الخاص بعموم النص الشرعي. أي أن الدليل الاجتهادي كالمصلحة مثلا يعمل على تخصيص النص، فيدخل هذا ضمن عنوان الاستحسان. وهو أمر سبق أن أكد عليه الشاطبي ونسب هذه الطريقة إلى كل من أبي حنيفة ومالك كما تبين خلال تعريفه للاستحسان.

فمن الأمثلة التي تضرب على هذا النوع من الاستحسان هو ما قام به عمر بن الخطاب في إيقافه قطع الأيدي في عام المجاعة باعتباره تخصيصا لعموم النص في آية السارق.

ومن هذا المنطلق فإن الاستحسان له عدة أدوار يتضمن من خلالها ما يلي:

- الاستحسان عبارة عن ترجيح دليل اجتهادي على آخر مثله، كترجيح القياس الخفي على الظاهر.

- الاستحسان عبارة عن استثناء لقاعدة عامة اجتهادية بدليل اجتهادي آخر، فيعمل على تخصيص هذه القاعدة، كتخصيص القياس بالمصلحة أو بالعرف. وهو ما يعرف بالعدول بحكم المسألة عن نظائرها.

- الاستحسان عبارة عن استثناء لعموم النص بدليل اجتهادي، فيكون الدليل مخصصا لهذا العموم أو حاكما ومقدما عليه.

وباعتبار هذه الشمولات والأدوار يمكن القول: إن طبيعة الاستحسان تتمثل في كونه عبارة عن جعل الدليل الاجتهادي حاكما على دليل العموم في النص ومقدما على غيره من الأدلة الاجتهادية الأخرى سواء بالترجيح أو بالعدول وبالتخصيص.

الحاجة إلى الاستحسان في ضبط المآل

يستفاد من التعريفات السابقة أن الدليل الكلي وخاصة القياس إذا ما أجرى الحكم الذي يقتضيه على كل أفراده فإن بعض تلك الأفراد لمعنى تختص به في ذاتها أو في لوازمها قد يكون إجراء الحكم الذي يقتضيه الدليل الكلي عليها آيلا بها إلى مفسدة تناقض المصلحة المبتغاة من حكم الدليل الكلي.

ومثاله أن الدليل الكلي يقتضي منع المفاضلة لأنه من زاد أو ازداد فقد أربى، إلا أن هذا الدليل الكلي لو طبق حكم المنع الذي يقتضيه على كل الحالات مطلقا لأدى ذلك إلى الحرج والمشقة، فاستثني منه التفاضل اليسير في المراطلة الكثيرة لأن إجراء المنع عليه يؤول إلى مشقة لصعوبة تحري اليسير التافه في المعاملات ذات الحجم الكبير[20].

ولما كان الحكم العام يؤول في بعض أفراده إلى مآل فيه مفسدة أو فوات مصلحة فإن هذه الأفراد يصرف عنها حكم الكلي بطريق الاستحسان ليجري عليها حكم آخر يحيد بها على المآل الفاسد ويحقق بها المصلحة. خاصة إذا علمنا أن الاستحسان ما جيىء به إلا تحريا للمصالح والعدل،

(٢٠) الاعتصام، ٢/١٤٢.

وأنه نظر إلى لوازم الأدلة ومآلاته»[٣١].

إن كون النظر في مآلات التطبيق معتبرا شرعا يؤكده ويدعمه مبدأ الاستحسان الهادف إلى تحرى المصلحة إبان تطبيق الحكم، وذلك عن طريق الاستثناء من مقتضى القواعد والأقيسة، ومثال الاستحسان: استعمال الحق الذى يلزم عنه أضرار بينة بالغير ولو لم تكن مقصودة. قال الزيلعي: «والقياس أنه يجوز للمالك أن يتصرف في ملكه كيف يشاء ولو تضرر من ذلك جاره ضررا بينا، ولكن ترك ذلك استحسانا للمصلحة»[٣٢]. فهنا أعمل منع صاحب الحق من استعماله لحقه على هذا النحو توثيقا لمبدأ المصلحة؛ لأن الحقوق لم تشرع للإضرار بالغير، فالمناقضة لقصد الشارع في هذا الاستعمال ظاهرة، ولو كان الاستعمال في ظاهره يستند إلى حق. ولا شك أن المصلحة من أظهر مقاصد الشرع، فاستثنى هذا الحكم من القياس وهو أن الناس مسلطون على أموالهم.

وفي هذا يقول ابن عبد السلام ومن تتبع مقاصد الشرع في جلب المصالح ودرء المفاسد حصل له من مجموع ذلك اعتقاد أو عرفان بأن هذه المصلحة لا يجوز إهمالها وأن هذه المفسدة لا يجوز قربانها، وإن لم يكن فيها إجماع ولا نص ولا قياس خاص، فإن فهم نفس الشرع يوجب ذلك»[٣٣].

ثم إن الأمر في التحقيق راجع إلى اعتبار المآل في تحصيل المصالح أو درء المفاسد على الخصوص، حيث كان الدليل العام يقتضي الإذن المطلق في استعمال الحق، بيد أن الاستمرار مع الدليل العام يؤدى إلى رفع ما اقتضاه ذلك الدليل من المصلحة، فكان من الواجب مراعاة ذلك المآل توثيقا للمصلحة المقصودة شرعا.

ومن التطبيقات المعاصرة للاستحسان، ما نجده في المعاملات المصرفية المعاصرة، حيث أعمل بعض الرواد الاستحسان في نقل نشاط المصارف القائم على الربا، فاتجهت همتهم إلى محاولة إنشاء المؤسسات المالية القائمة على المبادئ الإسلامية في ظروف صعبة؛ إذ لا توجد تجربة سابقة ولا تأصيل نظري كاف. فكان لا بد أن تمر تلك المحاولات بما يكدرها، ومع ما حققته تلك التجارب من نجاح وتمكنها من البقاء والاستمرار، فإن بعض الفضلاء لم يرض عن نشاط تلك المؤسسات الوليدة. فلم ير من مسيرتها تلك غير النواقص. فحمل عليها بدعوى منع الاستغلال للشريعة بغير وجه حق، وقد غفل أولئك عن أن الجهود ولابد أن تلحقها بعض النواقص. وتخليص تلك المؤسسات من شائبة الحرام يحتاج إلى وقت تنضج فيه تجارب القائمين عليها لتسديد خطاها. وتتكشف فيه اجتهادات الفقهاء لإظهار وجه الحق، وبيان البدائل فتكون معينا على التسديد وحسن التوجيه وتدفعها إلى الأمام دون تخبط أو خذلان.

ولو عرف أولئك حقيقة الاستحسان وأبعاده الفقهية لما وقفوا ذلك الموقف المعيق؛ لأن سنة التدرج في تنزيل أحكام الشريعة تسمح بالتغاضي عن خوارق بعض أحكام الشريعة. متى كان ذلك التجاوز متعلقا ببعض الأحكام وتتحقق بفضله أحكام أخرى بعد أن كانت معدومة تماما.

ومن الأمور التي استحسنها العلماء المعاصرون عقد التأمين الطبي؛ لأن الشرع جاء بضرورة الحفاظ على النفس مع أن عقد التأمين هو عقد على مجهول. والمقصود بعقد التأمين تفتيت آثار المخاطر والمصائب وتوزيعها على مجموعة من الناس المشتركين في التأمين، فلا يتحمل عبأها المصاب وحده.

ومن المقاصد التي يحققها: طمأنة النفس وحفظها، وزوال الخطر المحتمل والتحابب والتواد وتماسك المجتمع. والتأمين الطبي أو الصحي جزء من التأمين التعاوني الذي يدخل تحته نظام تقاعد الموظفين ونظام الضمان الاجتماعي. وهذا التأمين جائز شرعا بجميع صوره. لأنه يحقق وينسجم مع مقاصد الشريعة التي تدعو إلى التعاون والتكافل.

إلا أنه ينبغي أن يراعى في استثمار الأموال المودعة في تلك الصناديق الابتعاد عن المحظورات الشرعية كالربا.

هذا ولا يقصد بالاستحسان توسيع دائرة الحلال وتعليل المعاملات بالمصلحة وتشريعها بناء عليها. وتغليب المصلحة على النص فذلك واضح البطلان والله أعلم.

خاتمة

وختاما أقول: ما أحوجنا اليوم إلى فقهاء مثل أبي حنيفة النعمان ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل. فقد كانوا كالأطباء يعرفون الداء ويعلمون منهج تنزيل الدواء على الداء.

ما أحوجنا إلى أن نفهم الواقع الذي تريد إصلاحه ونفهم الوحي الذي به ستصلح الواقع فهما شموليا لا تحكم فيه في النص ولا تقديم فيه بين يدى الله ورسوله.

وهذا الأمر لا يتم إلا بالأمور التالية:

١- إعادة تشكيل العقل المسلم ليكون قادرا على الربط بين العلوم الإسلامية، وبينها وبين العالم الخارجي.

٢- إصلاح المنظومة التعليمية بحيث تركز على منهجة العقل قبل مده بالمعلومات.

٣- تطوير العلوم الإسلامية حتى تؤدى وظيفتها وخاصة العلوم الاجتماعية حتى تكتشف المشاكل الحقيقية، وحتى لا تبقى في دائرة معالجة المشاكل الوهمية التي كلفتنا الكثير عبر القرون الأخيرة.

فانفصال العلوم الاجتماعية عن العلوم الإسلامية أدى إلى فقدان العلوم الاجتماعية لوجهتها، وفقدان العلوم الإسلامية لوظيفتها.

٤- العناية بالمفاهيم والمصطلحات ذلك أن الواقع لا يتغير إذا لم يتغير السلوك الذي أنتجه، والسلوك لا يتغير إذا لم يتغير الفكر الذي أنتجه أيضا، والفكر لا يستقيم إذا لم تصلح المصطلح الذي أسسه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

(٣١) الموافقات ٤/ ٢٠٩.

(٣٢) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، ١/ ١٩٦.

(٣٣) قواعد الأحكام، ٢/ ١٠٣.

النظر إلى نظام أفكار أبى حنيفة من حيث العلاقة بين الفرد والدولة

للأستاذ الدكتور أحمد كونش

جامعة أتاترك - كلية الإلهيات - أرضروم/ تركيا

لقد وصلت آراء أبى حنيفة فى علم الكلام إلينا مباشرة، ووصلت اجتهاداته الفقهية إلينا أيضاً من خلال تلامذته وعلى وجه الخصوص أبى يوسف والإمام محمد. وللأسف فإن آراء أبى حنيفة المتعلقة بأصول الفقه لم تنل نفس الحظ الذى نالته آرائه الفقهية وآرائه المتعلقة بعلم الكلام. وهذا بالطبع لا يشير إلى عدم وجود منهجية واضحة لأبى حنيفة فنحن نعرف أن أبا يوسف استخدم بالفعل مفهوم "أصول الفقه".

وكما هو الحال فى آراء أبى حنيفة فى علم الكلام فإنه يرى أن أبا حنيفة ذو منهج تحليلى خاص به فى الاجتهادات الفقهية أيضا. لا سيما وأن الكشف عن المواضيع الفقهية ذات الأبعاد المختلفة الإيمانية والأخلاقية والدينية والقانونية والسياسية والإدارية من نقاط التقائها وانفصالها ليست بالشيء السهل على الإطلاق. وبهذا الصدد فإن أبا حنيفة ربما يأتى على قائمة أبرز الشخصيات فى التاريخ الإسلامى منذ القدم وحتى يومنا هذا.

وسوف نستعرض فى حديثنا هنا العلاقة بين الفرد والدولة على وجه الخصوص من خلال وجهات نظر أبى حنيفة.

فى هذا السياق علينا أن نوجز مقدمة بسيطة عن مفهوم الفرد والدولة ومن ثم نتناول الأبعاد المتعلقة بأمن وسلامة القضايا الفقهية.

الفرد

مفهوم الفرد يعنى كل البشر دون أى تمييز. وفى القران الكريم وصف الإنسان بكونه نفخ من روح الله وأنه - تعالى - وعلمه الأسماء وفضله على باقى المخلوقات ووكل إليه الأمانة وجعله فى الأرض خليفة. ومع ذلك فإن لفظ (عبد الله) يطلق على من صدق كتابه ومن لم يصدق، فهو لفظ عام يشمل كل البشر.

يوصف الله تعالى فى السورة الأولى فى المصحف الشريف سورة الفاتحة بكونه رب العالمين الرحمن الرحيم. صفة الله رب العالمين فهو إله الكون رب كل الناس. ويوضح المفسرون الفرق بين الصفتين بقولهم: إن صفة "الرحمن" عامة يدخل تحتها جميع البشر المؤمن منهم وغير المؤمن أما صفة "الرحيم" فهى خاصة وتشمل فقط المؤمنين فى الآخرة.

وفى عهد النبى بالمدينة المنورة مرت جنازة على رسول الله ﷺ فإذا هو يقف على قدميه. وحينما ذكروه بأن الميت يهودى قال: "أليست نفسا؟" يعنى إنسانا. إضافة على ذلك فإن النبى حتى قبيل الحرب الساخنة مع المشركين استخدم العبارة التالية "اللهم هم عبادك ونحن عبادك....".

وفى أصول الفقه فإنه يلفت الأنظار إلى ثلاث خصائص أساسية من حيث الأهلية. أولها البراءة (العصمة) ثانيها: الحرية ثالثها: الملكية. وعلى هذا فإن حرمة روح الإنسان تبدأ منذ فترة الجنين وتستمر حتى وفاته. وشرف الإنسان وعرضه وكل مايدخل فى ملكيته يعتبر أيضاً فى حرمة. بالإضافة إلى أن الأصل فى الإنسان أن يكون حرا. أما مالكية الإنسان فإنها تنبع من حقوق قانونية أو ما يترتب على حق التصرف والأهلية من العقل والإرادة. وفى هذه المسائل لا يمكن التمييز بسبب الدين - العقيدة أو اللغة أو الجنس أو المذهب. باختصار فإن الحصول على هذه الحقوق لا يتطلب سوى أن يكون صاحبها إنسانا.

ففى الفقه الحنفى وفيما يتعلق بحق العبد فإن جميع أحكام القانون الجنائى تعامل (النفس- الإنسان) بمعيار واحد وترى عليهما وتطبق أحكاما متساوية. ففى الآية الكريمة التى أفادت بعدم عودة النساء المهاجرات من مكة إلى المدينة المنورة بعد صلح الحديبية فى نفس الآية يؤمر المسلمون بإعادة مهور تلك النساء إلى أزواجهن المشركين وعدم تفويت هذا الحق عليهم. هذا مثال واحد فقط فى نطاق حق العبد ويمكن القياس على ذلك وزيادة الأمثلة.

العنصر الثانى فى مفهوم الحقوق فى الفقه هو حق الله. فيمكن تعريف حقوق الله بأنها كل ما يتعلق بالأحكام الدينية.

ووفقا لأصول الفقه فإن أصل مصدر الأحكام والتشريعات الدينية ينبع من كون الله تعالى ربنا وكوننا عبادا له. ومثل هذه الحقوق تندرج تحت حقوق الله تعالى. وهى تسبق جميع الحقوق الأخرى ولا يمكن أن تعلو عليها حقوق أخرى. ولا يمكن الاعتراض عليها. وتوصف الأحكام الدينية فى كتب الفقه بالتعبدية أو العبادات. وبما أن العقل لايمكنه إدراك كل المسائل التعبدية فهو لا يحسمها من تلقاء نفسه وهذا

بالطبع لا يعنى عدم عقلانية أو منطقية هذه الأحكام .

إن الإجبار فى الأحكام الدينية التى تفسر العلاقة بين الله والعبد يولد أحد أمرين إما النفاق وإما الظلم . ووفقا لرؤية الفرد فإن إجبار الرافضين أو غير الراغبين على تنفيذ التكاليف والأوامر الدينية تضر بالإخلاص على أقل تقدير، وفى النهاية تنتج أنواعا من المنافقين وإن إيمان المنافق وعمله غير مقبولين عند الله. وهنا نؤكد ضرورة استثناء البعد التعليمى والأخلاقى للموضوع.

إن منع وعرقلة أو تقييد الناس الذين يرغبون فى ممارسة شعائرهم وتكاليفهم الدينية من مباشرة حقوقهم يولد صراعا داخليا فى النفس وفى أغلب الحالات يسفر عن ضحايا. وفى آراء أبى حنيفة فإنه طالب بعدم التدخل فى الأحكام المتعلقة بغير المسلمين وتركهم يمارسون عقائدهم بحرية مما شكل الفلسفة الأساسية للأفراد المسلمين وإدارة الدولة .

ان أجمل ما يمثل هذه الفلسفة على مر التاريخ – باستثناء الحقبة الأولى – كنموذج جيد هو التسامح العثمانى . ونذكر أن أبا حنيفة يشكل أهم مصدرمن مصادر الإلهام فى التسامح العثمانى .

الدولة

تتناول المؤلفات الإسلامية مايتعلق بالدولة من خلال مسألة " الإمامة " . فالإمامة عند الشيعة من أركان الإيمان أما علماء الكلام عند أهل السنة فإنهم أعلنوا أن مسألة الإمامة مهما تم دراستهم لها فى كتب علم الكلام إلا أنهم متفقون على أن المسألة ليست من علم الكلام . ومع ذلك فإن أهل السنة يختلفون على كون الإمامة موضوعا فقهيا أم لا .

أبو حنيفة الذى رجع إلى بعض المذاهب التى تناقش المسألة من منظور فقهى شهد فى حياته تغييرات فى شئون الدولة من تغيير الحكام وانهيار الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية وضع مبدأ رئيسيا لمسألة الإمامة ألا وهو الشورى أى الاستشارة مع الأخذ بالمصلحة العامة. وبعبارة أخرى فإن أبا حنيفة جعل المجتمع هو مصدر الشرعية لرئيس الدولة .

ومهما اختلف علماء المسلمين حول مصدرية الإمامة فإنهم لا يختلفون بحال من الأحوال على ضروريتها وأهميتها وبعبارة أخرى الدولة حقيقة تاريخية . وهى ضرورة اجتماعية وسياسية وقانونية فهى التى تضمن أمن الإنسان على روحه وماله وعرضه وشرفه ضد التهديدات الداخلية والخارجية وتؤمن الاستقرار والوحدة واستمرار الوحدة فهى تجعل نظام الدولة ضروريا . وإذا أردنا أن نقول ذلك بشكل عكسى فإن عدم وجودالدولة هو فقدان الأمن و ضياع للأرواح والممتلكات والشرف والعرض ووسيلة لهيمنة الفوضى والاضطراب . ولذلك اهتم الصحابة بمسألة الخلافة قبل تجهيز النبى وتكفينه .

بما أن طبقة الرهبان غير موجودة فى الإسلام فإنه لا توجد فى إدارة الدولة ما يسمى بطبقة رجال الدين . وبهذا الخصوص فإنه لا يمكن مقارنة نظام الدولة فى الإسلام بالنظام الثيوقراطى المعروف فى الثقافة الغربية المسيحية .

ثمة خاصية أخرى فإن الحكم المقصود به الولاية العامة والذى يتمثل فى شخص رئيس الدولة لا يعنى على الإطلاق معنى الحاكمية والسيادة المطلقة المختصة بالله تعالى كونيا ووجوديا . وهناك فى التاريخ الإسلامى بأواخر عهد الخلفاء من خرج عن إدارة الحاكمين لهذه الآراء فهم طوائف من الخوارج

وفى الإسلام فإن الاتفاقات المتبادلة بين الرئيس والمرؤوسين والتى تعنى الإدارة تتخذ شرعيتها على أساس من الحقوق وسيادة القانون. وعلى هذا فإن القانون فوق الحاكم والمحكوم. بالإضافة إلى هذه الأحكام العامة فإن رئيس الدولة يسير شئون الدولة وفقا للسلطة التى حصل عليها من الشعب .

علاوة على هذا فإنه يتضح أن رئيس الدولة يعهد إليه سلطة الولاية العامة فى المسائل المتعلقة بالسياسة والإدارة .

وفى هذا المعنى فإن الهيئات التشريعية والتنفيذية بإمكانها سن القوانين وتطبيقها فى كل وقت داخل المجتمع نفسه والمتعلقة أيضا بالعلاقات الاقتصادية والسياسية والثقافية مع الأجانب فى إطار ما يتوافق مع الرؤية والمصلحة العامة فى حالة الاحتياج إلى ذلك .

إن كتب القانون العثمانى تضرب أمثلة تاريخية بهذا الصدد. وكما امتثل المحكومون للمبادىء التى يمكننا القول بأنها أسس القانون فإنهم أيضاً يجب التزامهم وامتثالهم للقوانين التى تسنهاالهيئات التشريعية والتنفيذية .

فالقرآن الكريم يأمر بطاعة رئيس الدولة بعد الأمر بطاعة الله ورسوله . و أمرنا النبى بقوله " اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشى " . وتشير كتب الفقه بكل وضوح إلى أنه فى حالة الحرب تجب طاعة الحاكم سواء أكان برا تقيا أم فاجرا . وفى التاريخ الإسلامى فقد أولى السلف الصالحون اهتماما كبيرا بطاعة من برأسهم أيا كان دون الدخول فى أفعال ومواقف من شأنها تقويض أمور الدولة لأن تقويض الثقة تجاه الدولة من شأنه تعزيز الفوضى وإعطاء الفرصة للفساد والإرهاب .

إن فلسفة العلاقة بين الفرد والدولة لها أبعاد كثيرة منها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والقانونية . وفيما يتعلق بالبعد الفقهى يقول الرسول الكريم " أربعٌ إلى السّلطان: الصّلاة والزّكاة والحدود والحكم" .فكما نفهم من هذا الحديث فسنتناول هنا الأحكام المتعلقة بالحاكم من قانون جنائى وقانون حربى أما الأبعاد الأخرى فلا مجال لذكرها هنا .

الأحكام المتعلقة برئيس الدولة فى الفقه الحنفى

تتشكل ٩٥ بالمائة من حياة المسلم الدينية من الأسس الدينية والأحكام الأساسية ومبادئ الدين الأخلاقية . أما ما يخص إدارة

الدولة من قواعد وقوانين فإنها تشكل نسبة ٥ ٪ فقط. وفي المؤلفات الفقهية توجد بعض الأبعاد المختصة بالحاكم من حيث الأحكام الدينية والقانونية والجنائية. ويمكن القول بأن هذه القوانين أو الأحكام هي ماتتصل باستتباب الأمن وضمان السلام في المجتمع واستمرار الأمن والحماية الداخلية والخارجية.

و يمكن رؤية الأحكام المتعلقة برئيس الدولة في المسائل المتعلقة بفقه العبادات وأيضا فقه المعاملات وعلى وجه الخصوص قانون العقوبات و قانون الحرب. فعلى سبيل المثال بينما يشجع على استحباب الصلوات الخمس المفروضة في جماعة فإن الجماعة واجبة عند أداء صلاة الجمعة وصلاة العيدين. وبينما يستحب موافقة الحاكم في بعض المذاهب إذ تستوجب الصلاة في جماعة وحدة المجتمع وأمنه وانتظامه وابتعاده كل البعد عن الفتنة والفساد يرى أبو حنيفة أن موافقة الحاكم شرط من شروط صحتها.

إن اشتراط موافقة الحاكم هو حكم ذو وظائف حيوية لتهيئة الظروف الملائمة للجماعة ووقاية المجتمع من البلبلة والفوضى. وهذا الشرط لا يفيد قطعا أن صلاة الجمعة تتوقف على موافقة الحاكم من عدمه إذ أن فرضيتها ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع. لأن اشتراط موافقة الحاكم لا تتعلق بفرضية الصلاة وإنما تختص فقط بتوفير النظام والأمن العام للمجتمع. بالإضافة إلى ذلك يمكننا أيضا التذكير بجمع الزكاة من قبل الدولة. ويرى أبو حنيفة أن هناك أمورا مثل تشغيل الأراضي الشاغرة وقضايا الإقطاع ووضع وتثبيت أسعار السلع تستلزم الحصول على إذن وموافقة الحاكم. وهذه الأحكام تبين لنا مدى تركيز و اهتمام أبي حنيفة بالنظام الاجتماعي.

ونحن هنا في هذا المبحث نريد أن نسترعي الانتباه أكثر حول القانون الجنائي وحول مبادئ الحرب ذي الأهمية القصوى في الحفاظ على أمن وسلامة واستقرار المجتمع.

القانون الجنائي

إن تجاهل المعايير الأساسية عند تفسير الآيات والأحاديث وقيام الأشخاص غير الأكفاء بتفسير النص حسب المعنى الظاهري هو خطأ كبير للغاية وبخاصة فيما يتعلق بالنظام الاجتماعي العام. تستطيع رؤية ذلك في تفسير هذا الحديث "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه و ذلك أضعف الإيمان" في هذا الحديث تقع مسئولية التغيير باللسان على كل مؤمن. أما عن تغييره باليد يعني بالعقوبات فتقيد على أنها مسئولية الدولة تحديدا لأن الإنسان في حالة رؤيته للمنكر ومحاولته تغييره باليد سوف يولد الفوضى بدلا من النظام ويهيئ البيئة الجيدة للبلبلة والاضطراب. ولهذا السبب فأي شخص أو منظمة أخلاقية كانت أو حقوقية كلاهما لا يمتلك السلطة التي تخول له توقيع الجزاءات على طرف ثالث

لأن هذه السلطة لا تختص بها إلا المحاكم التي تمثل الدولة.

وفي حديث آخر يقول نبينا الكريم "لا ضرر ولا ضرار" ووفقا لهذا الحديث فإن الأشخاص لن يلحقوا الضرر بغيرهم في أرواحهم وأموالهم لأنهم في حال ما إذا تعرضوا للضرر فإنهم لن يقابلوا الضرر بالضرر.

فالفرد لا يمكنه سوى اللجوء إلى من عينه الحاكم أو الذهاب إلى المحكمة بالاتفاقات المتبادلة للمطالبة بالتعويض ورفع الضرر. بمعنى أن الفرد لايمكنه الحكم في دعوى إحقاق الحق من تلقاء نفسه وليس هناك ثمة طريق آخر غير ما ذكر.

وكما هو الحال في معظم النظم القانونية فإن قانون العقوبات في الإسلام ينطبق على الجريمة والشخص بعينه كمبدأ أساسي، والقرآن الكريم يشدد بقوة على أن أحدا لن يحمل وزر غيره. وهذا التشديد يسري على الأحكام المدنية والأحكام الجنائية أيضا. وعلى هذا فجريمة الأب لايعاقب عليها الابن وجريمة الابن لايعاقب عليها الأب وتبعا لهذا فقد أزال النبي الكريم قانون الثأر في خطبته التي ألقاها والمعروفة بخطبة الوداع. لأن الثأر بالدم يأتي على رأس العناصر التي تشوه نظام المجتمع وتهدد وحدته وأمنه واستقراره.

أقارب القتيل مخيرون بين المطالبة بالقصاص والدية أو العفو وعدم المطالبة ولكنهم ليس من حقهم معاقبة القاتل بأي حال من الأحوال ولا يملكون السطة لذلك. لأن توقيع العقوبة على مرتكبي الجرائم منحصر فقط في المحاكم التي تمثل الدولة. لدرجة أن السلطات المختصة بالقبض على الجاني والمدعي الذي يقوم بتنظيم الإجراءات الجنائية حول الجريمة وقاضي الجنايات الذي سيفصل الحكم في الجريمة والأشخاص الذين سيقومون بتنفيذ الحكم كل منهم مثبوت ومقيد بوظيفته ومسئولياته فمثلا قد يحكم القاضي على مجرم ما حكما بالإعدام ولكنه بعد صدور هذا الحكم لن يقوم أبدا بإعدام ذلك الشخص بنفسه لأن وظيفة القاضي الجنائي هي بيان عقوبة المجرم. أما تنفيذ الحكم فهو قضية تنفيذ القانون. والعكس صحيح فمنفذ أحكام الإعدام لا يمكنه إعدام شخص ما قبل صدور حكم الإعدام من القاضي في حق ذلك الشخص قائلا أنه قطعا سيحكم عليه بالإعدام. المهم هنا هو معرفة كل فرد لصلاحياته وسلطاته ومعرفة حدوده والتصرف وفقا لها.

حالة الحرب

ويمكن القول أن أكثر الأقسام التي يرى فيها تأثير رئيس الدولة بوضوح هو قسم السير الموجود في المؤلفات الفقهية. وفي السير يستخدم لفظ القاضي للدلالة على الحاكم وتستخدم بعض الألفاظ للدلالة على رئيس الدولة منها الإمام والوالي والأمير. وتبين أن رئيس الدولة ليس له صلاحيات إذا كان الأمر متعلقا بالمسائل والأحكام القانونية. ويعطي أمثلة كثيرة على ذلك.

وكتب السير تذكر أن رئيس الدولة مخير في الأحكام المختصة بالإدارة ونظام الحكم وأن الأحكام المتصلة بها تتخذ شرعيتها في التفعيل والعمل بها من خلال قراراته. ويشكل قرار السلم أو الحرب أهم القرارات في هذا الصدد.

الحرب كما هو معروف ظاهرة متعددة الأبعاد وهى قضية استراتيجية على وجه الخصوص. أولا الحرب تتعلق برئيس الدولة وفقا للتغيرات التى تطرأ ووفقا للمصلحة العامة. وبعبارة أخرى فإن قرار السلم أو الحرب مع إحدى الدول يخص أركان الجيش والقوى العسكرية والسياسية في المقام الأول. ووفقا لنتيجة المشاورات يقوم رئيس الدولة بتوقيع اتفاقيات السلام إذا لزم الأمر وإذا لزم الأمر ولم يجد بداً من الحرب فله أن يقرر الحرب.

وكمبدأ عام فإن سلطة توقيع معاهدات أو اتفاقيات السلام أو إعلان الحرب لا تخص أى فرد من الأفراد أو المنظمات. يتفق علماء وفقهاء الشريعة الإسلامية على أن سلطة صنع السلام أو إعلان الحرب هى سلطة اختص بها رئيس الدولة. إن الحروب التى خاضها النبى (ﷺ) قادها بنفسه وحتى السرايا التى كان يرسلها كان يرسلها بنفسه. ويستمد أبو حنيفة منهجيته الفقهية من معاهدات السلام والحروب التى أقامها النبى الكريم بوصفه رئيسا للدولة.

إذا أعلنت الحرب من طرف رئيس الدولة وجب على المسلمين طاعة رئيسهم بغض النظر عن كونه براً أم فاجراً. وحتى في حالة الحرب يجب على المسلمين الالتزام بالقواعد الفقهية سواء قبل اندلاع الحرب الساخنة وأثنائها أوحتى بعد انتهائها.

هذه القواعد تعد بمثابة واجب دينى والتزام قانونى ومسئولية أخروية للمسلمين.

ومن أهم شروط الحرب في الإسلام أن يكون هدفها والغرض منها مشروعا وأن تكون الآلات والمعدات المستخدمة فيها مشروعة أيضاً. وبعبارة أخرى فإنه مهما كان الغرض من الحرب مشروعا فلا يجوز على الإطلاق استخدام وسائل حربية غير مشروعة. وعلى هذا يعتبر دم الأعداء وأموالهم هدرا طوال مدة الحرب الساخنة فقط. ويرخص بالحرب للأشخاص المشاركين في الحرب شخصيا فقط وهى مقيدة بالدفاع ودفع شرور الأعداء المحاربين. وكما هو معروف في قواعد الحرب " من يستسلم يصبح أسيراً " وكما ذكر في الآية حول معاملة الأسرى فهناك اختيارين يكتفى بأحدهما إما منا أو فداء. يعنى إما العفو عنه دون مبادلة أو مبادلة الأسير بالمال.

ونحن هنا نرغب في تقديم بعض المعلومات كمثال حول الفهم الجيد للإمام الأعظم أبي حنيفة للقيم الكونية الموجودة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. إذا نصت المعاهدة على أخذ الرهائن من المسلمين والأعداء وقام الأعداء بنقض المعاهدة وقتل أسرى المسلمين فهنا لا يجوز للمسلمين قتل الأسرى من أعدائهم لأن الرهائن ليس لهم ذنب للغدر بهم. فقتل المسلمين لأسراهم جريمة تتعارض مع مبدأ شخصية الجريمة. وعلى هذا فما نراه هذه الأيام من جرائم اختطاف أو احتجاز الرهائن أو الغارة على الأبرياء لا مكان لها أبدا في ديننا.

إن السلوك الذى تم نهى المسلمين عنه أثناء الحرب لا يجوز لهم على الإطلاق الإتيان به وقت السلم. لهذا السبب فلا يجوز أبدا استخدام الإرهاب كهدف للإسلام. ويقول فضيلة الأستاذ فتح الله كولن: لا يمكن أن يكون الإرهابي مسلما ولا يمكن أن يكون المسلم إرهابيا. فالسلم رمز للمصالحة والمسالمة والطمأنينة. حتى في الحرب لايمس الأبرياء. ولا يجوز أن يصبح الأنسان قنبلة انتحارية في وجه الأبرياء. لا يجوز أن يحيط الإنسان نفسه بالقنابل ثم يفجرها في أناس أبرياء أيا كانت ديانة هذا المجتمع الذى نفذ فيه فعلته. فلا يمكن القول أبدا بأنه فعل جائز. وليس لأحد أن يفتى في هذا الموضوع.

لا يدخل الناس الجنة بقتل الإنسان. ولا يمكن أن يحوز الإنسان على رضا الله تعالى بالقتل. وبهذا الصدد لا يمكن إضفاء الشرعية على أعمالهم من خلال مفاهيمهم الدينية. حتى في وقت الحرب فإن القتل ليس فضيلة بل هو ضرورة. ومن هنا كانت رحمة النبى الكبيرة في هذا الشأن والتى بسببها تخلى عن استخدام المنجنيق في الطائف. حتى أن النبى الكريم قام بدفع الدية لمن قتل عن طريق الخطأ حتى في زمن الحرب.

وفى القرآن الكريم بينما يحكى القرآن عن جيش سليمان نجده يتحدث عن النمل. النمل هنا ليس سوى مجرد نموذج ومثال. ومما يسترعى الانتباه هو الرحمة تجاه انتهاك حقوق الحيوانات حتى في الحرب و يتمثل هذا في الأمر للجيش بعدم سحق النمل تحت إقدامهم في طريق الذهاب والعودة. وبالفعل يشار إلى قطع الغصن الأخضر في منطقة الحرم بكونه جريمة. هذا المفهوم هو نتيجة للقيمة والأهمية التى منحها الإسلام لكل ذى روح ومنه النباتات والطبيعة.

الخلاصة

الميزة الأساسية في المفهوم الإسلامى هى أنه لا ينظر إلى الدين والدولة على أنهما متضادان أو أن أحدهما بديل عن الآخر. فهما كالروح والجسد كل منهما عنصر يدعم العنصر الآخر. أما استمرار هذين العنصرين في دعم ومساندة بعضهما البعض في وئام فهو ما يسمى بالمثالية.

وفقا لأبى حنيفة فالمسلمون جميعهم سواسية فيما يخص حقوق الله وكل البشر سواسية فيما يخص حقوق العبد دون أى تمييز بسبب الدين أو اللغة أو الجنس أو المذهب. وإن أمن الإنسان على روحه وشرفه وعرضه وحمايته من التهديدات الخارجية والداخلية يتطلب تأسيس نظام دولة. والفرد ملزم بطاعة رئيس الدولة.

إذا رسخت حقوق السلطة الرسمية والشرعية فلا يجوز لشخص ما أى كان أن يتعاطى سلطة إحقاق الحق من تلقاء نفسه.

وكما أنه لن يضر الآخرين فعليه أيضاً ألا يضرهم حتى وإن لحقه الضرر منهم. فلا يجوز لأى فرد أن يستخدم سلطة عقاب الآخرين

فإذا وقع عليه الضرر أو كان ضحية يجب عليه أن يحصل على حقه من خلال المحاكم التى تمثل الدولة. لأن سلطة توقيع العقوبات والجزاءات منحصرة فى المحاكم التى تمثل الدولة. بخلاف ذلك تحل الفوضى محل النظام.

وكما أنه لا يحق للفرد أو الجماعة أو حتى المنظمات توقيع العقوبات على الآخرين فليس من حقهم أيضاً وليس من صلاحياتهم إعلان الحرب على دولة أخرى. إذا استدعت الظروف إعلان الحرب أو توقيع معاهدات سلام مع دولة أخرى فهذه السلطة يختص بها فقط رئيس الدولة.

إذا لم يكن هناك بديلا عن الحرب يجب على المسلمين الالتزام بالمبادئ الفقهية. فحتى المبادئ التى أمر المسلمون بالالتزام بها أثناء الحرب الساخنة لا يجوز لهم انتهاكها ضد الأبرياء فى وقت السلم. ووفقا لهذه المبادئ الأساسية فليس من الجائز استخدام الإرهاب كغاية إسلامية سواء كان ذلك داخل البلاد أو خارجها. وفى هذا الصدد فإن فهمهم للمفاهيم الدينية لا يضفى الشرعية على أعمالهم ولا ينالون بهذا الفعل ثوابا.

الإسلام يعنى السلام. لذلك لا يرغب فى النزاع والخصومة. وعند أبى حنيفة يطلق لفظ الفتنة على كل ما من شأنه نشر البلبلة وزعزعة الأمن. ويشير أبو حنيفة إلى ضرورة انصياع والتزام المسلمين المقيمين فى الدول الأجنبية بقوانين تلك الدول. يجب على المسلمين ألا يخونوا الأمانة.

إذا كان عالمنا المعولم اليوم يعول على السلام العالمى كهدف، فإن هذا الهدف يرنو إلى عدم التمييز بين الناس بسبب الجنس والدين أو العقيدة واللغة والمذهب وقبول الآخر و احترام أفكارهم ومعتقداتهم والتركيز على الحب لأنه قد يصنع ما لا يصنعه البشر. وبذلك لن توجد تفرقة بين البشر. يشير أبو حنيفة إلى أن الأخطاء لا تنسب إلى الإنسان أو عقيدته وإنما تنسب إلى سلوكه.

ومما لا شك فيه أن العمل على إقامة عالم أفضل لأطفالنا، هو مسؤولية مشتركة لنا جميعا. فالاختلاف لايعنى الانفصال ولكن يجب أن يكون سببا للإثراء. ندعو الله أن يكون الحب الساكن فى نفس الإنسان بمثابة حجر الأساس لحضارة العالم فى المستقبل.

لقد حاولت فى مقالى هذا توضيح كيف كان لأبى حنيفة منهجا تحليلا خاصا به حتى فى أكثر المواضيع حساسية. وبالفعل فهو مع تحليله المنهجي يعد شخصية عظيمة ليس فقط لإخواننا الطاجيك ولكن للعالم الإسلامى بل يعد تراثا ثقافيا عالميا. وبهذا فنحن اليوم بحاجة شديدة إلى تفسير الدين تفسيرا صحيحا بمعايير أبى حنيفة أكثر من أى وقت آخر.

الثقافة القانونية الإسلامية وتطورها التاريخى

د.ج.إ.مورامسيف
(روسيا الاتحادية. الجامعة الروسية لصداقة الشعوب)

١-تعتبر مسألة الثقافة القانونية الإسلامية من القضايا الحيوية من وجهات النظر المتعددة. وإن دراستهابطريقة المقارنة التاريخية تسفر لنا عن طبيعة تكون وتطور هذه الثقافة، ومكانتها فى المراحل التاريخية العامة وعلاقتها بسائر الثقافات القانونية سواء كانت غربية أو شرقية. وإن هذه الطريقة للبحث تثير قضية دور ومكانة الثقافة القانونية الإسلامية فى الدول المعاصرة ذات الأغلبية المسلمة بما فيه جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق حيث لا تكسب هذه القضية أهمية نظرية فحسب بل لها أهمية عملية أيضا .وبالجملة إن هذا النوع من الدراسة له أهميته من حيث تحديد وضع الثقافة الإسلامية عامة والثقافة الإسلامية القانونية خاصة فى ظل ظروف العولمة.

٢-إن دراسة الثقافة القانونية الإسلامية ترتبط بتعقيدات وعقبات منهجية معروفة. وهى تتمثل فى أن العلم المعاصر على المستويين الوطنى والعالمى ليس لديه مفاهيم مشتركة عامة للثقافة القانونية يمكن بناء مفاهيم الحقوق والثقافة عليها. وإن مفاهيم "الثقافة" و"الثقافة القانونية"، و"الثقافة الإسلامية القانونية" بالنظر إلى حيوية ما تتضمنه هذه المفاهيم فإن ترابطها والعلاقة بينها يبين حسب الترتيب الآتى: عام، خاص، فرد. ويستنبط من خلال منطق هذا الترابط أن الثقافة القانونية عامة والإسلامية منها خاصة تندرج فى إطار الثقافة الاجتماعية العامة العظمى وتخضع لخصائصها إذ أنها كأية ثقافة

أخرى قابلة للتغير تاريخيا (حيث إن القانون هو أهم عنصر فيها) كما أنها تحتوى فى بنيتها على عناصر ذات المزايا الروحية والمادية والموضوعية والذاتية. وإن مفهوم الثقافة يمكن إدراكه بمعان عامة واسعة ومعان خاصة ضيقة. وأما المعنى العام فهو عبارة عن منظومة للمجتمع انتقت شرائطها على مر التاريخ وتجسدت فى وعى أفراد المجتمع وفئاته الاجتماعية. وأما بمعنى الخاص فإنه يفسر كأنواع الثقافة المستقلة، مثل الروحية والمادية والمعيشية إلخ.

وكذلك يتم تفسير الثقافة القانونية كقطاع للثقافة العظمى بمعنيين عام وخاص. بالمعنى الأول هى تماثل عادة النظام القانونى للمجتمع والذى يندرج ضمن أنظمتها كل من الوعى القانونى، والنظرية القانونية، والقانون الإيجابى السارى المفعول، وكذلك وسائل صياغة القوانين وتطبيق القانون والمؤسسات القانونية الحكومية الوسيطة(١).

ويفهم من الثقافة القانونية بمعنى الخاص الأوضاع المعينة للوعى القانونى: الاجتماعى، والعام، والجماعى، والانفرادى(٢).

٣- إن ميزة الثقافة القانونية للإسلام تتمثل قبل كل شىء فى شكلها الدينى. وهذه الجزئية لا يمكن الإغفال عنها فى عملية استيعاب الثقافة القانونية الإسلامية. فهكذا يحدد الدكتور فيصل الأستاذ بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة هذه الخاصية كقيمة للقيم الدينية والمعايير الأخلاقية والمعرفة العلمية والأشكال الفنية والعادات والتقاليد والتى هى بمثابة حجر الزاوية لحياة المسلمين والمجتمعات الدينية فى العالم الإسلامى(٣).

ففى هذه الظروف ومن خلال الثقافة القانونية الإسلامية ينبغى الانتباه لقيمة القيم الدينية والقانونية والمعايير السلوكية ومؤسسات صناعة القوانين والتعليمات والثوابت العقائدية وقبول الفن القانونى والعادات والتقاليد والتى بالجملة تمثل جوانب حياة المسلمين والجماعات الدينية.

والمشكلة هنا تكمن فى عدم دقة وضع الحد الفاصل بين مفهومى الثقافة الإسلامية والثقافة القانونية الإسلامية حيث يوضح هذا الأمر مدى صيانة الاتصال الوثيق بين جوانب الدين الإسلامى والفقه الإسلامى. والعلاقة بين القانون والدين قوية هنا بدرجة أن الفقه الإسلامى يعتبر أحيانا كالجانب العملى للنظريات الدينية والاجتماعية الإسلامية(٤)، ولبها وجوهرها(٥). وأما الإسلام من حيث الماهية والجوهر يعتبر

(١) "الثقافة القانونية" ويلولا. (٢) المرجع السابق. (٣) د. ق. فيصل "المنهج الحديث للثقافة القانونية الإسلامية".

(4) Gibb HAR. Ahistory Survey. 2 nded. L. 1975 P.61.

(5) The Cambridge history of Islam, In 2 Vol. 2 L.. 1970 P.539.

دين القانون(٦).

والصيغة الدينية للثقافة الاسلامية تؤدى إلى انسجام عديد من جوانب القانون والدين وكذلك الدين والثقافة. فمن هذا المنطلق فإن مجال تنظيم القوانين الإسلامية لا ينحصر على تصرفات قانونية بحتة فحسب بل تندرج تحته أيضا قضية علاقة العبد المؤمن بربه. فبالتالى إن الإسلام يعتبر نظرية دينية - فلسفية وحقوقية من ناحية، ونمط الحياة للمسلمين من ناحية أخرى.

٤- ويجب إلحاق ميزة أخرى بخصائص الثقافة القانونية الإسلامية وهى ميزة تتعلق بمراحلها التاريخية. فبناء على ذلك فإن الامتداد الزمنى عبر القرون لعملية تحديد ضوابط التشريع الإسلامى يعكس مستقبل تطور المجتمع من خلال أنظمته. وبالجملة يتضمن نظام الفقه الإسلامى عناصر من المراحل التاريخية المختلفة: بداية من المجتمع الطبقى إلى أطواره المتقدمة نسبيا. وليس فى ذلك شذوذ من حيث التاريخ. وفى المقابل يعكس الفقه الإسلامى فى كثير من خصائص تطوره شرعية ضبط وتطوير القوانين تحت ظروف المجتمعات التقليدية وكذلك المجتمعات الطبقية البدائية والمتطورة نسبيا. وعلى وجه العموم هى تؤدى إلى نتائج تالية:

(أ) الفقه الإسلامى مثل أى قانون دينى تقليدى لا ينشأ من فراغ بل إنه بالتعويل على المبدأ التاريخى يتقبل عديدا من الخصائص الواقعية لثقافة القوانين العامة. وهذا قبل كل شىء ميزة الوعى القانونى التى بمقتضاها يعتبر الفقه الإسلامى غير متغير ولا موضوع من قبل البشر إذ أن المشرع الحقيقى هو الله تعالى. ولهذا السبب نفسه يعتبر التشريع الإسلامى جامعا وشاملا وصالحا لجميع الأزمان والأحوال.

وأما تأثير الثقافة التقليدية للتقنين العادى يتجلى فى أن القرآن الكريم - كتاب الإسلام المقدس لديه قوة تشريعية عالية والسبب فى ذلك لا يقتصر أنه وحى من الله فحسب بل لأنه أقدم مصدر للتشريع فى إطار هذا النظام.

(ب) ولما كان التشريع الإسلامى كنظام ثابت غير قابل للتغير والتحديث، كان الحفاظ على فاعليته ونشاطه من خلال الشروح التى يقدم حولها، إذ أن مفهوم صناعة القانون بمعناه الحالى لم يكن معروفا بعد. وإن الظروف التى عاش فيها كبار شراح الضوابط الفقهية القانونية وهم من علماء الدين وكذلك تنوع وجهات نظرهم تجاه القوانين والمعايير الإلهية أدى إلى ظهور الاتجاهات والمذاهب الفقهية التى هى بدورها تعتبر من خصائص الأنظمة الدينية القانونية الشرقية.

(٦) داويد ر. "الأنظمة القانونية المعاصرة الأساسي".

(ج) ومن النتائج التي أسفر عنها هذا النوع من الوعي القانوني هي إقامة نظرية الإثنينية (dualism) في النظام التشريعي الإسلامي.

وإن القرآن لم يكن كمصدر شامل وحيد غير متغير لجميع الأحكام والقواعد إذ أنه لم يحتو على جميع الأحكام والمعايير الشرعية، كما أن القرآن تضمن غالباً الثوابت والقضايا الكلية ولم يتعرض للأحكام التي تستجد بمقتضى المعاملات الجماعية.

وفي مثل هذه الظروف تتكامل القوانين الإلهية على حساب معايير وضعتها البشرية. فإذا كانت الأولى ثابتة غير متغيرة فإن الثانية تتغير حسب تغيرات الظروف الاجتماعية. فإن تشكلها يعني تشكل مؤسسة صناعة القوانين والمعايير، حيث إنها نشأت في محيط الجماعة الإسلامية ثم تطورت فيما بعد في عهود الخلافة الإسلامية كنظام يمثل الدولة الإسلامية.

وإن هذا التطور أدى إلى النظام الإثنيني في التشريع الإسلامي .بحيث إن القوانين الإلهية تأتي على قمة هذا النظام بينما يشاركها في الوجود معايير موضوعة بأيدي البشر تقوم بدور ثانوي وفرعي. وهذه المعايير وغيرها تكشف عن المراحل المختلفة لتطور الثقافة القانونية الإسلامية. فإذا كانت المجموعة الأولى من تلك المعايير تظهر في المرحلة الابتدائة الانتقالية من نظام القبائل إلى نظام الدولة فإن الثانية منها كانت تنشأ وتتكون بالتدريج خلال تطور الدولة. وإن الإثنينية كنظام للقانون التقليدي تعتبر ظاهرة عامة. فإننا نجد في التشريع الإسلامي التفريق بين الشريعة والفقه وفي القانون الهندوسي بين "شروتي" و"سمريتي" وفي القانون الرومي بين -fas- و-jus- وغير ذلك.

بيد أن المعايير الإلهية تفقد دورها وتضمحل تدريجيا في القانون الرومي تحت ظروف التباين الاجتماعي الأكثر انتشارا، بينما تحتفظ بتأثيرها وفاعليتها في الشرق حيث الظروف الاجتماعية فعالة في حقيقة الأمر.

٥- ومن خلال تلاقي المعايير القانونية والبشرية في إطار نظام قانوني موحد تتجلى لنا التناقضات الأساسية داخل التشريع الإسلامي. وفي واقع الأمر هناك اختلاف بين القوانين الإلهية والمعايير الوضعية من حيث التصور القانوني، والفن الحقوقي، وآلية عمل القوانين. فإذا اعتبرنا أن الأخيرة تتكون في إطار أنظمة الدولة، فإنه لا مفر من حدوث تعارض ما بين هذه القوانين وتلك في أي طور من أطوار تطور الدولة، لطالما تزاحم معايير القانون الحكومي القوانين الإلهية في أولويتها. ومن نماذج إزالة مثل هذا التعارض على أساس مبدأ الحل الوسط ما وقع في عهد الخلافة العثمانية، حيث كانت المرجعية القانونية تستحوزها الوثائق السلطانية غير أنها كانت تكتسب شرعيتها من اعتماد ديني خاص يصدر بشكل الفتوى يضمن موافقتها لأخلاقيات وقوانين الإسلام. وكانت الفتوى تصدر من قبل شيخ الإسلام - السلطة الدينية العليا والرجل الثاني في الدولة. وهذا كان يمثل نموذجا إسلاميا فريدا للرقابة القانونية.

٦- وعند التأمل حول قضايا الثقافة القانونية الإسلامية يجب الانتباه إلى أن العرف عند النظريات الإسلامية القانونية يعترف به كمصدر مساعد للتشريع. ولقد لعب هذا الاتجاه دورا كبيرا من أجل انتشار الإسلام فيما بعد كما أنه حتم تواجد أنظمة الإسلام في الدول التي عرف فيها الإسلام كثقافة ثانية. وفي بعض الأحيان كان يتم نشر الإسلام في بعض الدول وبين بعض الشعوب من خلال تقبل إقامة الشعائر والعبادات الدينية مع الحفاظ على عادات وتقاليد ما قبل الإسلامية. فنتيجة لذلك تتضمن الثقافة الإسلامية في أقاليم واسعة لأفريقيا الاستوائية وشمال قفقاز وآسيا الوسطى وغيرها من البلدان عناصر من ثقافات قبل الإسلامية.

٧- وبعد أن تطور النظام الرأسمالي في دول الشرق الإسلامي حيث تم قبول الدساتير والقوانين نشأت مشكلة علاقة تلك الدساتير كمصدر للقانون على غرار الدول الأوروبية مع الأحكام والمعايير الإلهية الشرعية. وإن تسوية هذه المشكلة غالبا ما تتم من خلال تزويد نص الدستور بمبادىء أساسية إسلامية التي توضح علاقة الإسلام بشؤون إدارة الدولة وتبرز مزايا الشريعة كمصدر أساسي للتقنين. وإن المضامين الواقعية لهذه الأوضاع القانونية مرنة للغاية وهي رهينة مستوى التقدم الرأسمالي وكذلك خصائص النظام السياسي الحاكم في بلد معين.

٨- وفي الظروف التي يشهد العالم فيها عمليات العولمة تظهر قضية ما ومدى تأثير تداعياتها على الثقافة القانونية الإسلامية، إذ أن العولمة على صعيد القانون تتلخص غالبا في تعزيز الاعتبار العالمي للمؤسسات والمبادئ التي تتشرب من معين الثقافة القانونية الأوروبية. وتتفرع من هذه القضية قضية أخرى وهي: ما دور ومكانة الثقافة القانونية الإسلامية في ظروف العولمة. فأما القضية الأولى تقتضي الرد على هذا السؤال: إلى أي مدى يمكن أن تبدي الثقافة القانونية الإسلامية كثقافة قبل بورجوازية الاستجابة لثقافة العولمة التي تقوم ركائزها على الثقافة الرأسمالية البورجوازية.

وأما الثانية منهما تفتقر بدورها إلى معرفة مسألة أخرى وهي: إلى أي مدى تجتمع العولمة مع تنوع الثقافات القانونية. والإجابة عن هذه التساؤلات هي قضية وقت.

توقير العلماء حق لهم وواجب علينا

طوال أيام الأسابيع الماضية، دارت رحى معركة حامية الوطيس، بين أطراف شتى، قد يكون من بينهم بحر علوم الدين، وقد يكون منهم الواقف على ساحله، والسبب جعل النفس تعايش ما استدعته الذاكرة، من الحديث النبوى الشريف، الذى رواه الطبرانى عن كعب بن عجرة، قال: مر على النبى ﷺ رجل، فرأى أصحابه من جلده ونشاطه ما أعجبهم، فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا فى سبيل الله فقال ﷺ: «إن كان خرج يسعى على ولده صغارا، فهو فى سبيل الله.....» فعلى شاشة إحدى قنوات الإذاعة المرئية، تشاهد حوارا بين بعض أطراف هذه المعركة، لكل منهم جلده وقوته الفكرية والبحثية، فى استعمال الأسلحة الفتاكة، من كل نوع، لتحقيق النصر بالضربة القاضية فى هذه الموقعة الفاصلة، والفوز بوضع قطعة من القماش على وجه بنت حواء، أو نزعها من عليه!

للمستشار/ حسن حسن منصور

نائب رئيس محكمة النقض

ومن الغريب فى أيامنا هذه، أنه عندما تثار مثل هذه القضايا الخلافية، ينبرى هذا وذاك من أفراد المجتمع، أيا كان حظه من العلم، ويدلى بدلوه فيها، فكأنما أصبح كل فرد فينا عالما ببواطن الأمور فى كل شيء، ولا يعترف بما استقر عليه بنيان العلم الحديث، من احترام التخصص وأهله، فى كل فرع من فروعه المتعددة، ولا سيما علم الدين، الذى صار مرتعاً خصباً لكل ناعق، لا يحول دونه والخوض فى أدق أحكامه ثمة حائل، ومن يحاول تقديم النصح له، بترك ذلك لأهل التخصص من العلماء، سرعان ما يتشدق، دون عميق فهم، قائلا، إن ديننا ليس فيه كهنوت، أو ما يسمى رجال الدين، الأمر الذى يستوجب ضرورة الوقوف على مدى صحة هذه الدعوى، وهذا يقتضي تجلية الصورة الواجب إظهار علماء الدين الحنيف عليها، فى هذا الخضم المتلاطم فى حياتنا المعاصرة، ويكون ذلك بتناول النقاط الآتية:

أولاً: العلماء هم مصابيح الدارين

وكثيراً ما عايشت محاورات من هذا القبيل، مع أناس كل همهم ترديد هذه الدعاوى، ويزعمون ملكية ناصية علم الدين، ولكن عقولهم خاوية من أصوله فى الأساس، ودائما يكون الرد عليهم فى هذا الإدعاء، بأن الفرق شاسع بين العلم وجمع المعلومات، فالعلم له أصوله، الذى أنفق أكابر العلماء جل حياتهم فى وضعها وتثبيت أركانها، حتى تكاملت مقومات العلوم فى شتى فروع المعرفة، ولكن من اليسير على أى إنسان بعد ذلك، أن يجمع ما يشاء من معلومات عن واحد أو أكثر من هذه الفروع، ولا يصبح فى هذه الحالة من العلماء، بل هو فى الحقيقة عالة عليهم، فيما حصل شذرات العلم، الذين أفنوا أعمارهم فى مدارسته وتعليمه للآخرين، فلا يتطاول من كان هذا قدره الضئيل عليهم، ويدعى مسابقتهم فى هذا الميدان، ولكن يجب عليه أن يلتزم بما قاله الصادقون من عباد الله:

﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴾

«الصافات: ١٦٤»

وهناك مفهوم خاطئ، عند بعض مدعى العلم بأمور الدنيا، حول فهمهم لعبارة قالها أئمة العلماء قديماً، احتراما لأمثالهم من العلماء، وهى مقولة هم رجال، ونحن رجال فكل من الفريقين وضع أسساً كاملة للاجتهاد فى مذهبه، وسار عليها هو وتلاميذه، والجميع كان يقف على أرضية واحدة من القوة فى الاجتهاد والبحث، لإيجاد الحلول الشافية لمعضلات العلم والفقه، ولم يكن منهم المقلد لغيره، الذى يقصر جهده عن بلوغ عشر معشار ما وصل إليه هؤلاء الكبار، فأين الثرى من الثريا؟!.

فمقام العلماء فى الدنيا والآخرة، كما روى صاحب الفردوس عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - أن الرسول ﷺ، قال: «اتبعوا العلماء، فإنهم سرج الدنيا، ومصابيح الآخرة»، وكما روى ابن عساكر عن جابر - رضى الله عنه - أن الرسول ﷺ، قال: «إن أهل الجنة ليحتاجون إلى العلماء فى الجنة، وذلك أنهم يزورون الله تعالى فى كل جمعة، فيقول لهم: تمنوا على ما شئتم، فيلتفتون إلى العلماء، فيقولون: ماذا نتمنى؟، فيقولون: تمنوا عليه كذا وكذا، فهم يحتاجون إليهم فى الجنة، كما يحتاجون إليهم فى الدنيا».

وإذا كان هذا مقام العلماء بين يدى الله ومع الناس فى الدارين، فإن إنكار فضلهم، والسعى إلى النيل من علو قدرهم فى العلم والفقه والتقوى والورع، ينذر بسوء العاقبة أيضا فى الدارين، وربما الحرب من الله على من يعادى العلماء، باعتبارهم من أولياء الله، بل هم ورثة الأنبياء، كما أخبر الرسول ﷺ..

ثانياً: العلماء ورثة الأنبياء

يروى أن الإمام البخارى، لم يكتب فى صحيحه، أى حديث من أحاديث سيدنا رسول الله ﷺ، إلا بعد أن يتوضأ، ويصلى لله - تعالى - ركعتين، وكذلك

كان يفعل الإمام مالك، عندما كان يجلس في درس العلم، في المسجد النبوى الشريف، وكان الكثير من العلماء الذين جاءوا من بعدهم، من كان يقرأ صحيح البخارى واقفاً، وهو على طهارة تامة، إجلالاً وتكريماً لصاحب الحديث الشريف ﷺ.

وهكذا يكون التعامل مع المصدر الثانى لشريعة الإسلام، وهذا هو منهج العلماء الأوتاد، الذين ذكرهم الحديث الشريف على أنهم: «العلماء ورثة الأنبياء»، وهذا جزء من الحديث الصحيح، الذى رواه الإمام أحمد وابن حبان، عن أبى الدرداء رضى الله عنه، أن الرسول ﷺ، قال: «من سلك طريقاً، يطلب فيه علماً، سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم، رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض، والحيتان فى جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد، كفضل القمر ليلة البدر، على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر».

وأخرج ابن عدى وأبو نعيم والديلمى والحافظ عبدالغنى عن أمير المؤمنين على - كرم الله وجهه - أن الرسول ﷺ، قال: «العلماء مصابيح الأرض، وخلفاء الأنبياء، وورثتى، وورثة الأنبياء»، وفى رواية أخرى عند ابن النجار عن أنس - رضى الله عنه -: «العلماء ورثة الأنبياء، يحبهم أهل السماء، وتستغفر لهم الحيتان فى البحر، إذا ماتوا إلى يوم القيامة».

ثالثاً: النظرة إلى علماء الأمس وإلى علماء اليوم

مما يروى عن الإمام أحمد بن حنبل - رضى الله عنه - أنه كان يمسك بزمام الدابة، حتى يتمكن الإمام الشافعى - رضى الله عنه - من ركوبها، فعاتبه بعض تلاميذه، قائلاً: أتفعل هذا، وأنت إمام فى العلم، فرد عليه الإمام أحمد، بقوله: يا بنى، لو لزمت دابة الشافعى لتعلمت منه الكثير، فقيل له: كيف ذلك؟!، قال: تسمع منه دعاء السفر والركوب، والصبر على مكاره الطريق، وتتعلم أدب المسافر وتعامله مع الغير، من الناس والدواب، فضلاً عن تعظيم وتوقير العلم والعلماء، وغير ذلك من أحكام الشرع الحنيف فى هذا المجال.

هكذا كان حال العلماء العاملين، فى أزمان الخير فى سالف العصر، ولكن فى أيامنا المعاصرة، لم يقف الأمر عند فساد الزمن، بل زاد عليه فساد المنتسبين إلى العلم، فأساءوا إلى العلماء الحقيقيين، فعلى سبيل المثال: يحل إمام أحد المساجد المغمورين، ضيفاً على شاشة إحدى القنوات الفضائية الإخبارية العربية الشهيرة، ومن خلال أحد برامجها الحوارية الملتهبة، يكيل الاتهامات وألفاظ السباب والقذف، لمن أفنوا حياتهم فى تحصيل ومدارسة علوم الدين، وهم من رموز أعلى مؤسسة دينية يعترف بها العالم، وليت الأمر كان متعلقاً بإحدى مسائل القمة فى الدين الحنيف، بل كانت مجرد مسألة شكلية، متصلة بحكم تغطية وجه المرأة، التى لم يتوقف الخلاف حولها منذ بدء الرسالة، وربما يمتد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومن المؤسف حقاً أن يطلق مدير الحوار العنان، لهذا المتجاوز لكل حدود التعامل مع العلم والعلماء، مما ألهب حفيظة الطرف الآخر للحوار، واتهم هذا المدير بالانحياز فى إدارته لهذا الحوار، مما أثار حوله العديد من علامات الاستفهام، لدى المشاهدين.

رابعاً: قميص العلم على غير أهله

لا تقاس عظمة عالم الدين بقدرته على التحدث بمعسول القول، وأفصح العبارات، وغريب الألفاظ، ولكن القياس الحقيقى لهذا العالم، بما يحوزه من تواضع العلماء فى البحث والفتوى، فمما يروى عن قاضى القضاة العز بن عبدالسلام، الملقب بسلطان العلماء، أن أحد الأفراد، استفتاه فى إحدى مسائل الدين، فأفتاه فى مجلسه على الفور، بما لديه من فهم فى أمور الشرع والحياة، وانصرف طالب الفتوى، ولكن المفتى أراد أن يستوثق مما قاله، وبعد أن راجع كتب العلم، واستشار نظراءه من العلماء، تحقق له، أنه أخطأ فى فتواه، ولأنه لا يعرف شخص ولا مكان المستفتى، فقد استأجر منادياً - كعادة أهل زمانه - ليبلغ الكافة، بأن العز أخطأ فى الفتوى «عن كذا وكذا»، وعلى صاحبها ألا يعمل، بما قاله ابن عبدالسلام فيها.

وبحمد الله تعالى فقد عايشنا فى أيام الزمن الجميل، منذ عشرات السنين، من علماء الأزهر الشريف، من كان يقف على المنبر، ويقول بكل صراحة وبلا خجل: من أجبته عن سؤاله الجمعة الماضية، عن موضوع كذا، فلا يأخذ بما قلته فيه، لأنه بعد مراجعة كتب العلم، ظهر لى أننى على خطأ، ومما أكبرته فى هذا العالم المحترم، أنه كان لا يتصدى للفتوى، فى أى موضوع فقهى يحتاج إلى بحث فى المذاهب، ويطلب من السائل أن يتوجه إلى دار الإفتاء المصرية، للحصول على الفتوى الشرعية، فيما يهم فى أمور الحياة، وكان يقول: إن الفتوى الصادرة عن هذه الدار لها قوتها، لأنها صادرة عن ولى الأمر، الذى تجب طاعته، بمقتضى الأمر الإلهى، فى قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي
الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾

«النساء: ٥٩»

ولكن من العجيب فى زماننا هذا، أن يجلس المرء أمام شاشة إحدى القنوات الفضائية، فيشاهد أناس، يجلسون مجلس العلماء، وربما كان الشكل وحده، هو الذى يربطهم بالعلماء، ويتلقى الواحد منهم العديد من الأسئلة فى الموضوعات المختلفة، فيرد على كل منها على الفور، رغم أن الموضوع الواحد ربما يحتاج للرد عليه، البحث والتأمل لساعات طويلة أو ربما لعدة أيام، فهل هذا ينم عن عبقرية فذة فى شتى علوم الدين؟! أم هى الجرأة على الفتوى!! وإذا كان الأمر يعلق بفتوى فى موضوع فردى، فقد يكون الخطر محدود الأثر،

ولكن من الخطر الفادح، أن تتعلق الفتوى بعمل، يجب أن يقوم به المجتمع ككل، كالعبادات والأخلاق، والمعاملات متعددة الأطراف وغيرها، ولهذا فلا يجب أن تصدر الفتوى عن مجرد فرد له مسوح العلماء، ولكن لابد أن يتصدى لهذه الفتوى أجلة علماء أهل التخصص، فرادى أو جماعات، من خلال دور الإفتاء الرسمية، أو المجامع الفقهية المعترف بها، على طول العالم الإسلامي وعرضه، ولا يترك أمرها هكذا، نهباً لمن لهم سطوة على هواء الفضائيات، في ساعات الليل والنهار، دون حسيب أو رقيب.

توقير العلماء ضرورة

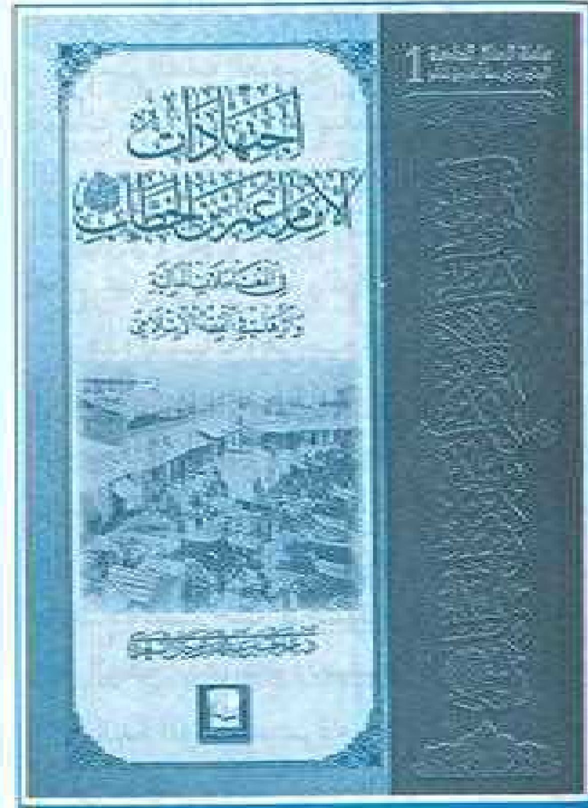
هذا التوقير هو أقل ما يستحقه ورثة الأنبياء ومصابيح الدارين، وهو لا يقتصر على الجانب المعنوى، في التعامل معهم ولكن يشمل ضرورة احترام تخصصهم في شتى فروع المعرفة، ولا ينبغى السطو على هذا التخصص، وحمل دعوى الانتساب إليه، دون أن يكون مؤهلاً لذلك، وفق ما جرى عليه عمل أهل هذا الزمان، ولكن من المؤسف حقاً، أن الأمر لا يقف عند عدم التوقير، ولكن ربما يصل إلى درجة التطاول بالقول، على مقام العلم والعلماء الحقيقيين، ولاسيما في مجال علوم الدين، ولكن في مجالات العلوم الأخرى، إذا حاول واحد من غير أهلها التدخل فيها أو حتى المساس بها، فإنه يلقى أشد المقاومة والدفاع، من أعضاء النقابة التي تجمع أفراد علماء هذا المجال من العلوم، وكأن الدين هو الوحيد الذى ليس له نقابة تدافع عن علمائه!

فأين هذا، من وصية الرسول ﷺ بتوقير العلماء، التي رواها البيهقى عن أبي أمامة - رضى الله عنه - بقوله: «أوصى الخليفة من بعدى، بتقوى الله، وأوصيه بجماعة المسلمين، أن يعظم كبيرهم، ويرحم صغيرهم، ويوقر عالمهم، وأن لا يضربهم فيذلهم، ولا يوحشهم فيكفرهم، وأن لا يغلق بابه دونهم، فيأكل قويهم ضعيفهم»، إن من مقتضى هذه الوصية الموجهة لخلفاء هذه الأمة، أن تكون من المهام الملقاة على عاتقهم، العمل على توفير الاحترام والتوقير اللازم للعلماء، وفى سبيل ذلك، فإنه يجوز لولى الأمر أن يضع عقوبة تعزيرية، لمن يعتدى على مقام العلماء، وينال من توقيرهم بلا سبب، حماية لما يمثلونه من هيبة العلم والدين في نفوس الكافة، وذلك بإصدار تشريع جزائى مناسب، يحقق هذا الغرض.

والعلماء كبار في علمهم، وهم أيضاً بلغوا هذه الدرجة بعد مرور السنوات الطوال في تحصيله، فيهم من يصدق فيهم، ما رواه الترمذى عن أنس - رضى الله عنه - أن الرسول ﷺ قال: «ليس منا، من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا»، أم حتى هذه الفضيلة ضاعت من حياتنا، ولم يعد لها وجود حتى بين من لهم نسبة إلى العلم، فماذا يبقى بعد ذلك!!

والله تعالى ولى التوفيق

قراءة في كتاب



٢

للأستاذ / عادل خفاجة

بيع المزايدة

من عظمة هذه الشريعة الإسلامية أنها قابلة للتطور واحتواء كل المستجدات لكل المجتمعات الإنسانية على اختلاف أحوالها وعاداتها ذلك أن قواعد الشريعة وأصولها ثابتة تحكم التعاملات المالية والتجارات. هذه القواعد إذا ما تمسك بها المتعاملون مع السوق ارتقوا الى أعلى درجات المعاملة الحسنة وأصبح السوق ميزانا صادقا للتجارة التى أحلها الله تعالى.

ولما كان بيع المزايدة التى انتشرت اليوم في العالم الاسلامي والغربي وأصبحت مشهورة متداولة ولها نظم خاصة بل أصبحت الحكومات تباشرها فى حالات البيع بالمزاد العلنى وكذلك الحاكم في بيع أموال الشركاء حين اختلافهم وغير ذلك من الحالات ومع انتشار هذا البيع في الأسواق العالمية فان الشريعة الاسلامية لم تتجاوز هذا البيع، بل وجد له في الفقه الاسلامي قواعد وضوابط تحكمه ولأن هذا البيع له أهمية خاصة إضافة إلى شيوعه وانتشاره فان له قواعد تحكمه فى الفقه الاسلامى كما ان هذا البيع قد يشتبه ببعض البيوع المنهى عنها كالنجش والسوم على السوم.

وقد تناول المؤلف هذا النوع من البيوع ضمن ما تناوله، ليجلى من خلاله جانبا من فقه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فذكر الأثر الوارد في بيع المزايدة عن عمر رضى الله عنه. حيث حدث وكيع عن حزام بن هشام الخزاعى عن أبيه قال:

«شهدت عمر بن الخطاب باع إبلا من إبل الصدقة فيمن يزيد». [1]

وقد استخلص المؤلف من هذا الأثر مشروعية هذا البيع وأنه الأكثر مناسبة للمال العام، فإبل الصدقة تعد من مال الدولة وفي بيعها بهذه الكيفية دلالة على حرص الفاروق عمر رضي الله عنه على المال العام وان يباع بسعر منصف وهو الذي حدا به رضي الله عنه إلى أن يبيعه فيمن يزيد في هذه الإبل حتى تصل الى أعلى سعر يعود بالمصلحة على بيت مال المسلمين.

ثم يعرض المؤلف أدلة القائلين بالجواز وأدلة غير المجيزين وكذلك أدلة من قال بالكراهة. إذ يقول:

«ومما تقدم من الأدلة والشواهد وأقوال الصحابة والتابعين والفقهاء نجد أن بيع المزايدة اذا خلا من المحذورات كالنجش والسوم المحرم فهو من البيوع الجائزة، بل إنه من البيوع التي تحقق المصلحة وتحافظ على الاستقرار الاقتصادى عند عرض مناقصات الدولة في المزايدات العامة أو عرض الشركات أو الغنائم أو حقوق الشركاء والقول بخلاف ذلك يهدر الكثير من هذه المصالح خاصة وأن الصحابة تعاملوا بهذا البيع دون نكير.

وفي التطبيق المعاصر لهذا النوع من البيع تنظيمات خاصة وذلك بالاعلان في الصحف والجرائد وفي وسائل الاعلام المختلفة ويتم تحديد يوم للمزاد وفي بعض الأحيان يحدد حد أدنى للسلعة لا تباع بأقل منه ثم ان صاحب المزاد له الحرية المطلقة بالبيع بالسعر الذي يصل اليه المزاد أو عدم البيع وله تأجيل المزاد وما يحقق مصلحة الناس بدون ضرر فهو مباح شرعا».

بيع الثمر قبل بدو صلاحه

يتسم الفقه العمري بالواقعية ومعالجة الوقائع بفكر حر وثاب يتلمس روح النصوص الشرعية ولا يقف جامدا أمام النص ومن تتبع المنهج الفقهي للفاروق رضي الله عنه وجده دائما يميل الى المعايشة والواقع.

وهذه المسألة وهي بيع الثمر قبل بدو صلاحه من المسائل الحادثة في زمنه رضي الله عنه- وذلك لاتساع الفتوحات والاختلاط بالدول الأخرى التي أظهر الله المسلمين عليها -مما وقع من أحداث في زمانه رضي الله عنه وأرضاه واستوجب الاجتهاد في ومعالجتها وفق الواقع الذي كانوا يعيشونه.

ويقدم المؤلف عشرة من الآثار الواردة عن الفاروق عمر رضي الله عنه وأرضاه، بعضها يجيز البيع وبعضها الآخر لا يجيزه.

يقول المؤلف تلخيصا لذلك:

لعمر رضي الله عنه في هذه المسألة قولان:

القول الأول: بعدم جواز بيع الثمر حتى يبدو صلاحه.

(١) ابن أبي شيبة «المصنف».

القول الثاني: بجواز بيعه قبل بدو صلاحه.

وللتوفيق بين هذين القولين ننقل كلام شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عند الكلام عن بيع الثمر عند بدء الصلاح:

«وكما أن العالم من الصحابة والتابعين والأئمة كثيرا ما يكون له في المسألة الواحدة قولان في وقتين، فكذلك يكون له في النوع الواحد من المسائل قولان، فيجيب في بعض أفرادها بجواب في وقت، ويجيب في بعض الأفراد بجواب آخر في وقت آخر .... فاذا اختلفت المقالتان مرة بالتحريم ومرة بأنه غير حرام أو ما يستلزم أن ليس بحرام فقد تناقض قولاه وهو مصيب في كليهما عند من يقول ان كل مجتهد مصيب ... والجمهور: على أنه لله حكم في الباطن علمه العالم في احدى المقالتين ولم يعلمه فيما يناقضها وعدم علمه مع اجتهاده مغفور له ويثاب على قصد الحق والاجتهاد في الطلب هذا فيمن يتقي الله فيما يقوله مع علمه بتقواه وسلوكه الطريق الراشد.

وتفسر قول عمر رضي الله عنه بأن القول الأخير الذي استقر عليه هو الجواز وهو الذي نقله عنه ابن عبدالبر رحمه الله فقد كان ينهى عن بيع الثمرة قبل بدو صلاحها ولعله رآه رضي الله عنه أنه من الربا أن تباع الثمرة ويبقى البائع يسقيها ويعتني بها، إلا أن الاجتهاد الذي استقر عليه عند موت أسيد بن الحضير رضي الله عنه وتعطيل مزرعته وما فعله بأرض السواد من الخراج يدل أنه استقر فقهه رضي الله عنه على الجواز وهو الذي نقله عنه ابن عبدالبر وقال لم يتابع عليه وانتصر له ابن تيمية وساق الأدلة على تأييده.

ثم يناقش المؤلف أدلة المجيزين وأدلة المانعين ويستخلص من مناقشته أن بدو الصلاح وأحوال الزراعة والثمار ووقتها والعاهات التي تصيب الزرع وعلاجها قد يكون أهل الخبرة بها أعلم من الفقهاء الذين لم يباشروا ذلك.

ومعلوم أن هناك ضررا شديدا على الناس بتحريم هذه المعاملات، وأن الاختلاف بين الناس في أوقات الحصاد والاستلام والتسليم والأثمان.

ولما كانت هذه المبايعات مما عمت بها البلوى في كثير من بلاد الإسلام وأن حاجة الناس ماسة لهذه البيوع.

فإن كل ما لا يتم المعاش إلا به فتحريمه حرج وهو منتف شرعا، ولا يمكن للأمة التزامه قط لما فيه من الفساد الذي لا يطاق، فعلم أنه ليس بحرام، لأنه في معنى المضطر الذي ليس بباغ ولا عاد.

ثم يخلص المؤلف إلى ترجيح جواز البيع فيقول: فالراجح والله أعلم جواز بيع الثمر قبل بدو صلاحه إذا كانت هنالك حاجة تدعو إليه ويتم تحديد العقود وفق قواعد الشريعة الإسلامية في العقود وقد أقر المصطفى صلى الله عليه وسلم قواعد العقود فقد جاز في بيع النخل المؤبر أن يشترط المبتاع ثمرتها وفي ذلك شراء ثمرها قبل بدو صلاحها فالحاكم لهذا البيع هو الاتفاق والعقد بالاشتراك أو

عدمه حسب المتفق عليه بين المتبايعين وبذلك يكون في الأمر سعة ويكون المؤمنون عند شروطهم والله أعلم.

احتكار السلع

لقد أباح الإسلام الحرية الاقتصادية للفرد المسلم في التعامل التجاري ولكن هذه الحرية ليست مطلقة إطلاقاً لا حدود له فهي تتوقف حينما تتعارض مع حرية الآخرين لأن المجتمع الإسلامي كالجسد الواحد والمسلمون تتكافأ دماؤهم فالفرد عضو في منظومة المجتمع الإسلامي تظله مظلة واقية هي مظلة المسئولية التضامنية بين أفراد المجتمع فالجماعة مسئولة عن الفرد والفرد عضو في الجماعة مسئول عن التعاون معها تعاونا على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان فليس في الجماعة الإسلامية من بات شبعان وجاره جائع ولذلك فالسوق الإسلامي أقام العدل ومنع الظلم وأباح العمل الشريف والإنتاج الخير وفي الوقت ذاته منع كل ما يؤدي إلى الظلم في السوق وما يخالف النزاهة في المعاملة ومن ذلك الاحتكار الجائر الذي يجعل التاجر ينظر نظرة فردية شرهة إلى جمع المال دون النظر إلى المجتمع نظرة عادلة رحيمة.

والإسلام يحفظ حق الفرد والجماعة معاً في العيش في سلام آمن وتعاون مطمئن لتحقيق الرخاء والاستقرار.

إن الإسلام ينكر الملكية المحتكرة المستغلة وينكر اختزان السلع وتجويع الناس وانتهاز عوزهم واضطرارهم إلى بيع مالا غنى لهم عنه بأبخس الأثمان أو إلى شراء ما هم في أشد الحاجة إليه بثمن باهظ فيه غبن واعتساف.

ومع ذلك فالإسلام حرص على عدم المساس بالملكية الخاصة المشروعة، وحرص ذلك على سد كل أوجه الاستغلال والإضرار بالمجتمع الإسلامي، وحماية الفرد المتوسط والفقير من ظلم التجار.

ويقدم المؤلف الآثار الواردة عن عمر رضي الله عنه في الاحتكار ومنها:

› قال عمر: «من جاء أرضنا بسلعة فليبعها كما أراد، وهو ضيفي حتى يخرج، وهو أسوتنا ولا يبيع في سوقنا محتكر».

› قال عمر بن الخطاب: من باع في سوقنا فنحن له ضامنون، ولا يبيع في سوقنا محتكر.

ويتناول المؤلف هذه الآثار بالدراسة والمناقشة، ليبين فقه عمر من خلالها مستعيناً بأقوال الفقهاء فيها عارضاً أدلة المجيزين والمانعين.

فإذا ما أشبع المسألة بحثاً ودراسة انتهى إلى القول أن العلة في الاحتكار هي الإضرار بالناس وهو شامل لكل ما يضر الناس في معيشتهم سواء في الأطعمة أو الألبسة أو الوقود أو السيارات أو غيرها في العصر الحديث فكل من احتكر هذه الأصناف قاصداً الربح الجشع دون النظر إلى الناس فقد أوقع نفسه في الخطأ الذي لا يأمن معه عقوبة الله النازلة به وربما عامله الله عز وجل بنقيض مقصده فإن أراد الربح تحول إلى إفلاس.

ولولي الأمر تقدير الضرورة في بيع ما احتكره المحتكر وهي مسألة تقدر بقدرها، وتطبق عليها القواعد الشرعية من إزالة الضرر ورفعه وفق الضرورات الشرعية التي تقدر بقدرها ولهذا كان لولي الأمر أن يُكره المحتكرين على بيع ما عندهم بقيمة المثل عند ضرورة الناس إليه فمن وجد عنده طعاماً لا يحتاج إليه والناس في مخمصة أو سلاحاً لا يحتاج إليه والناس يحتاجون إليه للجهاد أو غير ذلك فإنه يؤخذ منه بغير اختياره بقيمة المثل.

وأرى أن الأولى بولي الأمر هو منعه من البيع في سوق المسلمين وهو الأقرب للتقوى فيخرجه من السوق وهو ما يسمى في الأنظمة الحديثة (شطب السجل التجاري).

والذي يؤكد ذلك قول عمر رضي الله عنه لا يبيع في سوقنا محتكر.

رد المبيع للعيب

الإسلام حريص على استقامة الحياة واستقرار المعاملات بين الناس، لذا أغلق كل الأبواب التي تزعزع الثقة بين الناس فمنع الضرر والغش والربا والتدليس ومن التدليس وجود العيب في المبيعات سواء كان يعلمه البائع أو يجهله لذلك فإن الرد بالعيب الأصل في مشروعيته قوله تعالى:

«إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم» ووجود العيب في المبيع يخرجه عن رضى أحد المتعاقدين.

ولقد أورد المؤلف عدداً من الآثار التي وردت عن الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه نذكر منها:

› عن الشعبي، قال: ساوم عمر بن الخطاب بفرس فركبه ليشوره فعطب، فقال للرجل: «خذ فرسك»، فقال الرجل: لا، فقال: «اجعل بيني وبينك حكماً قال الرجل: شريح، فتحاكما إليه فقال شريح: يا أمير المؤمنين، خذ ما ابتعت أو رد كما أخذت، قال عمر: «وهل القضاء إلا هكذا، سر إلي الكوفة، فبعثه إليها قاضياً عليها، وإنه لأول يوم عرفه فيه.

› عن طلحة بن يزيد بن ركانة أنه كلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه في البيوع فقال: «ما أجد لكم شيئاً أوسع مما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لحبان بن منقذ إنه كان ضرير البصر فجعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدة ثلاثة أيام إن رضي أخذ وإن سخط ترك».

ويسير المؤلف وفق منهج منضبط لا يتخلف في الكتاب كله فيتناول فقه الآثار الواردة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم يعرض أقوال الفقهاء إلي آخر ما التزمه من منهج، فإذا بلغ إجماع الفقهاء قال:

من اشترى معيباً ولم يعلم عن العيب من وقت العقد إلي وقت القبض ولا بين البائع له ذلك، ثم اطلع على العيب بعد القبض وكانت على الحالة التي اشتراها المشتري عليها لم تتغير، فإن العقد يعتبر جائزاً في حقه ويكون له الخيار في الرجوع عن العقد ورد المبيع على البائع والرجوع بالثمن كاملاً، كما أن له الخيار في إمساك المبيع المعيب.

وهذا القدر من الحكم محل إجماع بين الفقهاء.

«يتبع»

تراثنا العلمى.. بين الأصالة والمعاصرة

للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا

تراثنا العلمى من المنظور القومى

عندما نتناول القضية من منظور قومى فيما يتعلق بالتراث العلمى العربى، فإننا نجد ما يناظرها بشكل خاص فى أوربا حيث يحظى تاريخ العلم الأوربى اليوم باهتمام متعاظم من أجل تأصيل الثقافة العلمية الأوروبية. فقد عُقد فى فلورنسا عام ١٩٩١م ندوة "تاريخ العلوم والثقافة العلمية فى أوربا" للبحث عن جهود إحياء التراث العلمى فى أوربا المعاصرة والمكانة التى يمكن أن يحتلها تاريخ العلم والتقنية فى المجتمع الأوربى المعاصر، وجاء فى تقرير عن هذه الندوة أن العلم والتقنية ينظر إليهما كمكونات أساسية للعزة القومية؛ لذلك فإن التأريخ لهما يميل عادة إلى اتخاذ شكل "الدفاع والمباهاة" فيما يتعلق بالمجتمع العلمى للبلد المعنى، ومن سماته المثيرة فى معظم البلدان الأوربية ميله إلى النمو فى إطار قومى بالضرورة، على الرغم من العديد من اللقاءات والصلات الدولية القائمة بين الباحثين.

ويتجلى الانحياز المقصود، أو غير المقصود، بوضوح عند مؤرخى بلد ما عند اختيارهم لموضوعات البحث، ومنها الحقب التاريخية، أو الإنجازات التى تبين تفوق دولة على الأخرى. مثال ذلك: الثورة الصناعية (الصلب والبخار والمنسوجات) فى إنجلترا خلال القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، وصناعة الحديد والصلب فى السويد فى القرن الثامن عشر، والميكانيكا والهيدروليكا فى إيطاليا فى عصر الاكتشافات، وهلم جرا. والنتيجة الواضحة لهذه الظاهرة هى صورة شائعة لتطور العلم والتقنية فى أوربا، وهى تشبه منظرا طبيعيا لا تظهر فيه سوى قمم الجبال.

كذلك أشار هذا التقرير الهام إلى وجود قدر كبير من الغموض يحيط بموضوع "الأسلوب القومى فى تاريخ العلم"، وتعدد الرؤى حول مشاهير العلماء فى ضوء التعددية الثقافية الأوربية، واعتبرت الندوة هذا الموضوع جديرا بالبحث المنهاجى.

وفى محاولة لإيضاح الأهمية البالغة لتاريخ العلم والتقنية فى أوربا المعاصرة وانتشار الفهم العميق للماضى العلمى والتقنى يركز التقرير على النقاط التالية:

١- إن أول نقطة جديدة بالملاحظة حول تاريخ العلم والتقنية فى أوربا هى أن هذا التاريخ حى، وأنه تحت رعاية مجموعة كبيرة من الباحثين فى مختلف الدول الأوربية، لكن مستوى العلم المؤسسى يكاد يكون غائباً، حيث يتناثر الباحثون فى جهات أكاديمية متعددة: كليات العلوم وكليات التاريخ وأقسام الفلسفة وما إليها. واقترح البعض مناقشة تأسيس اتحاد أوربى وإصدار دورية أوربية لتاريخ العلم والتقنية، بالإضافة إلى إجراء مشروعات مشتركة على أساس تعاونى، مثل طبع الأعمال الكاملة لكبار العلماء.

٢- إذا كان العلم يوصف هذه الأيام بأنه "معرفة بدون ذاكرة"، وأنه يشق طريقه إلى الأمام دون التفاتة واحدة إلى الخلف، وذلك بسبب انغلاق الباحثين أنفسهم فى حاضر شبه دائم، واعتمادهم على مراجع لا يزيد عمرها على بضع سنوات.. فإن "فقدان الذاكرة المقنن" هذا قد أسهم فى وقت من الأوقات فى زيادة فاعلية المشروع العلمى، إلا أنه أصبح الآن مضادا للإنتاجية. والباحثون المحرومون من الثقافة التاريخية، والمنعزلون عن الأسس التى تقوم عليها علومهم يكونون أكثر عرضة لأن يضلوا طريقهم ويضاعفوا أخطاءهم. وكما اتضح جليا من رواية "ذاكرة الماء" فإن أولئك الباحثين قد يظلون دائرين فى حلقات مفرغة، أى فى مسارات سبق اكتشافها من قبل، واتضح أنها تفضى إلى نهايات مسدودة.. وبعض الاكتشافات التى تقدم اليوم على أنها إنجازات ثورية وإبداعية غير مسبوقة، قد لا تكون فى الحقيقة سوى إعادة تشكيل لبعض الأفكار القديمة التى أهملت وغمرها النسيان لسنين عديدة.

٣- توقع المشاركون فى هذه الندوة المعنية بالتأصيل الأوربى للعلم، والتى اقتصرت المناقشات فيها على معالجة الموضوع فى سياق أوربى محض، توقعوا لمبحث تاريخ العلم والتقنية أن يؤدى دورا كبيرا فى المستقبل، وأن يحتل مكانة بارزة فى مجال التعليم، مع دور جوهرى فى ميادين التدريب الأولى، وأثناء فترة الخدمة. ويعنى هذا بوضوح تدريب الباحثين فى المقام الأول، وهو ينطبق أيضا على المهندسين وطلاب العلوم الإنسانية والآداب، مما يتيح لهم مقدمة ميسرة لفهم حركة العلم والتقنية، واستيعاب ما فيها من طرق ومشكلات.

كذلك يوجد طوائف أخرى كثيرة من العاملين الذين يهمهم هذا الأمر، مثل صانعى القرار السياسيين ومستشاريهم، والمتخصصين فى دراسة السياسات العلمية، ورجال الاقتصاد، ومحللى الابتكارات الذين يسعون إلى الحصول على معلومات وأدوات تمكنهم من مواجهة المشكلات المعاصرة؛ بل إن أعضاء هذه الندوة يرون أهمية قصوى لتاريخ العلوم وتقنياتها بالنسبة لجميع فئات المجتمع فى الريف والحضر، باعتباره يمثل الحد الأدنى من المعرفة بعلم التاريخ وفلسفته العامة، وبجوانبه الاجتماعية والسياسية

والعلمية، من أجل ممارسة صحيحة لحق التصويت!!

والآن، ترى هل يمكن أن نجد شيئا يخصنا - نحن العرب - فيما ذكرناه عن مظاهر وأسباب الاهتمام الدولي والأوربى بقضايا التراث العلمى؟! ذلك الاهتمام الذى أخذ فى الازدياد بصورة تلفت النظر خلال العقود القليلة الماضية، وخاصة بعد أن أظهرت الدراسات المتعلقة بتاريخ العلم وفلسفته أن الباحث الجيد هو الذى يكون على دراية تامة بأحدث ما توصل إليه زملاؤه فى مجال تخصصه، وأن يكون فى الوقت نفسه ملما إلماما كافيا بأصول المفاهيم العلمية المتصلة بموضوع بحثه، وذلك من خلال متابعته الدقيقة لطبيعة نموها عبر مراحل تطورها. وهذا يعنى أن الجمع بين الأصالة المعاصرة فى العلوم الطبيعية يعتبر من أهم سمات الباحث المتميز الذى يكون بلا شك أقدر من غيره على ممارسة البحث العلمى برؤية أعم ومنهج أصوب وذوق أرقى.

دعاوى مضللة ومواقف متحيزة

تراثنا العلمى والتقنى يشمل جزءا كبيرا من التاريخ العلمى والحضارى يخص الحضارة العربية الإسلامية ودورها الرائد فى مسيرة الحضارة الإنسانية، بشهادة المنصفين من المؤرخين، لكن بعض المنظرين يغفلون هذا الدور العربى الإسلامى الرائد، فى الوقت الذى يحاولون فيه أن يؤرخوا لنظرية العلم بإيجاد أساس لها عند أفلاطون وأرسطو فى الحضارة الإغريقية، أو عند بيكون وديكارت وهل وغيرهم من رواد النهضة الأوربية الحديثة، بل إننا نجد من يثنى كثيرا على ما يسمى "بالعلم العبرى" والعلم المسيحى"، كما تساق التبريرات الواهية لاعتبار إسرائيل ضمن الحضارات الكبرى القديمة فى الشرق، وللإشادة بالعصر الذهبى "للعبقرية السامية" فى حضارة بابل وآشور.

ولم يستطع "جورج سارتون"، أكثر المؤرخين المعاصرين إنصافا للحضارة العربية الإسلامية، أن يخفى نزعته العرقية عندما تحدث فى مقدمة كتابه "تاريخ العلم" عما أسماه "بالمعجزة اليونانية" وتفوقها على الحضارات المجاورة لها، قائلا: "... وحديثنا عن الماضى محدود من عدة وجوه، وأحد هذه الوجوه الضرورية: أنه يجب علينا أن نقصر أنفسنا على أسلافنا فحسب.. والواقع أن ثقافتنا النابعة من الأصل الإغريقى والعبرى هى الثقافة التى تعنينا كثيرا، إن لم تكن هى كل ما يعنينا.. والزعم بأنها بالضرورة أرقى الثقافات فيه خطأ وشر.. لأننى إن كنت أرقى من جيرانى فليس لى أن أقول ذلك، ولكن لهم فقط أن يقولوه، وإذا زعمت لنفسى شيئا من العلو لا يستطيعون - أو لا يقبلون - أن يصادقوا عليه، فإن ذلك لا يثمر سوى العداوة بيننا".

وفى كتاب "العلم فى التاريخ" لم يستطع المؤلف "جون ديزموند برنال" أن يخفى تحيزه الواضح إلى جانب الإغريق والفرس والرومان، فى الوقت الذى يكيل فيه اتهامات متنوعة للإسلام والمسلمين دون أن يشرحها أو يدلل عليها. فالإسلام - فيما يزعم برنال - أقام ثقافة متلاحمة ظلت باقية إلى يومنا هذا بالرغم من أنها ليست ثقافة تقدمية، واللغة العربية - فيما يزعم برنال أيضا - هى التى حجبت الدور الكبير للعنصر الفارسى فى العلوم الإسلامية الشرقية، والمسلمون يتحملون مسئولية كبيرة عن إقامة حواجز بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية إلى يومنا هذا، بدعوى أنهم لم يترجموا إنسانيات الإغريق مثلما ترجموا معارفهم العلمية والفلسفية، فانتقلت الإنسانيات والعلوم إلى الثقافة الحديثة عن طريقين مختلفين. وينكر "برنال" مآثر علماء المسلمين ويقصرها فقط على مجرد حفظهم لمواريث القدماء، قائلا: "رضى معظم علماء المسلمين بالنمط الكلاسيكى الأخير للعلوم، ووثقوا فى هذا النمط ولم يكن لديهم أى طموح لأن يطوروه تطويرا ثوريا".

ونجد الإشارة أيضا إلى بعض صور التحيز الواضح من جانب بعض المؤرخين عندما يتجهون إلى التأليف فى تاريخ العلوم وتقنياتها لإذكاء نزعة قومية، حيث نجد بينهم من يكتب عن علم غير غربى، لا ليؤكد حق حضارة أخرى أسقط دورها من حركة التاريخ الإنسانى، ولكن لكى يثبت أسطورة الجنس الآرى وتفوقه، ويؤكد مقولة أن العلم لا يمكن إلا أن يكون غربيا. فعندما صنف "جوزيف نيدهام" وزملاؤه سبعة مجلدات ضخمة (بدأ إصدارها عام ١٩٥٤م) عن العلم والحضارة فى الصين، إنما كانوا يحاولون أن يفسروا السبب الذى حال دون أن تتبع التنمية فى الصين نفس المسار الذى اتبعته الثورة العلمية الحديثة فى أوربا، ثم يسعون من خلال ذلك إلى تأكيد فرض ضمنى مفاده أن العلم والتقنية اللذين أينعا بالفعل فى أوربا النهضة عالميان، وأن كل ما هو أوربى لابد أن يكون عالميا. وغالبا ما يطرح أمثال هؤلاء المؤرخين المتحيزين مسألة "العلم القومى" فى صورة مناقشة يحاول فيها كل فريق التصدى بحماس لا يخلو من المبالغة فى كثير من الأحيان للرد على كل ما يقلل من شأنهم فى ساحة الفكر العالمى.

وعلى غرار ما فعل "نيدهام" بالنسبة للعلم الصينى، أو شيء قريب منه حاول "توبى هاف" مؤخرا أن يجيب عن سؤال: "لماذا ظهر العلم الحديث فى أوربا، على حين أن العالم العربى الإسلامى كان متقدما عن الغرب الأوربى بكثير طوال الفترة التى مهدت لظهور هذا العلم؟" وروج بالطبع لبعض المغالطات التاريخية فى نقده للثقافة الإسلامية، لكنه لم يستطع أن يخفى جوانب التقدم التى يسميها "فجر العلم الحديث".

أما أولئك الذين حاولوا اختراق الثقافة الإسلامية من خلال دراستهم لتراثها العلمى، فقد تطرقوا لأمور من صميم العقيدة الإسلامية ذاتها، وروجوا لأفكار خاطئة عن الإسلام والمسلمين. ففى مقال بعنوان "العلم فى خدمة الدين" يتخذ "ديفيد كنج" من خلال دراسته للتراث العربى الإسلامى مدخلا لترويج أفكار خاطئة عن الإسلام، ويتخذ من هذا الستار العلمى رداء خادعا، بحيث تبدو هذه الأفكار وكأنها تعبير صادق عن واقع الإسلام والمسلمين. ففى غمرة انشغاله

بقضايا التراث العلمى الإسلامى المتعلقة بمسائل تحديد اتجاه القبلة واستطلاع أهلة الشهور القمرية، نجده يثير أسئلة لا تؤهله ثقافته للرد عليها، فهو مثلا يتساءل عن سبب اعتماد المسلمين لخمس صلوات رئيسية فقط، زعما أن هذا التحديد لم يرد بشأنه نص صريح فى آيات القرآن الكريم، أو فى أحاديث الرسول (ﷺ)، ويظهر من خلال مناقشته لهذه القضية التى أقحمها على موضوع بحثه إقحاماً أنه يخلط بين الصلوات المفروضة وصلوات التطوع، ويسوق روايات من عنده تنسب إلى الرسول (ﷺ) قوله بأن صلاة الضحى بدعة موروثة، وأن هذا كان سببا واضحا- فيما يزعم - لحيرة المتأخرين وترددهم فى ضم صلاة الضحى إلى الصلوات الخمس الرئيسية.

وفى كتاب "تاريخ الطب" يسير "جان - شارل سورنيا" على الدرب نفسه ليوهم القارئ الغربى بأن المؤمنين فى بلاد الإسلام اليوم يؤسسون علمهم الطبى على "الطب النبوى"، وأن كتاب "القانون" فى الطب لابن سينا ركام غامض لا يتضمن أى فائدة عملية للمرضى، فى الوقت الذى يقرر فيه - مناقضاً نفسه - أن هذا الكتاب ظل خلال ثمانية قرون من عمر الطب الغربى أحد المصادر الأساسية للحقيقة ومادة تعليمية إجبارية فى الجامعات الأوربية.

إن مثل هذه المواقف المتحيزة بدرجات متفاوتة للعلم الغربى، بل لكل ما هو غربى، على حساب الإنجازات الحضارية للأمم الأخرى بصورة عامة، والأمة العربية والإسلامية بوجه خاص، ومثل هذه الدعاوى والافتراءات الموجهة ضد الإسلام، والمشككة فى قدرات العقلية العربية الإسلامية وأصالة الفكر العلمى الإسلامى، والمشوهة لحقائق التاريخ والعلم على حد سواء، هو الذى يدعونا دائما إلى البحث فى كنوز التراث لتأصيل الثقافة العربية الإسلامية وإعادة صياغتها بما يلائم إيقاعات العصر، وتوقعات المستقبل، وذلك فى إطار الإلمام الواعى بكل الخصائص والقسمات الحضارية التى تخصنا وتميزنا عن الآخرين.

من ناحية أخرى، يجب أن ننتبه فى جميع الأحوال على ما يبديه الباحثون الغربيون من اهتمام متزايد بالتراث العلمى عند العرب والمسلمين، وعلى تفوقهم بالنسبة لما لديهم من معاهد وأقسام علمية ودوريات متخصصة فى هذا المجال، مقارنة بما هو موجود فى العالم العربى والإسلامى، الأمر الذى يفرض علينا مضاعفة الجهود للحاق بركبهم ومشاركتهم فى كتابة ما يخصنا من تاريخ العلم والحضارة.

ومهما يكن من أمر، فإن التأصيل لنظرية العلم عموماً يكون مقبولاً فى إطار المعالجة الموضوعية لطبيعة المعرفة العلمية فى كل مرحلة تاريخية من مراحل تطورها، ولم يعد مقبولاً فى عصرنا - أكثر من أى وقت مضى - أن يصر بعض الذين يؤرخون للعلم من منطلقات منهجية أو تعصبية على طمس حقائق التاريخ العلمى لاحتكار شرف الإنسانية فى نشأة العلم ومناهجه لجنس بعينه دون بقية الأجناس.

نحو عولمة إسلامية

للأستاذ الدكتور/ حمدى فتوح والى

برغم ما يقع أمام أعيننا من أحداث توحى لقصار النظر بأن الجولة ستكسبها الحضارة الغربية. فإننا لا نشك لحظة فى أن قيادة البشرية صائرة إلى الإسلام. لأنه لو لم يكن موجودا لبحثت عنه الإنسانية. ولابتدعت نظاما يشبهه. بعد انحسار الموجتين اللتى كانتا على طرفى نقيض. الموجة الأولى التى أفلست فى عالم القيم ولم يعد لديها ما تقدمه لإشباع الخواء الروحى الظامى بشدة إلى نداوة الإيمان وبرد اليقين وهى الرأسمالية. والموجة الثانية التى أرادت أن تشق طريقها ضد الفطرة. وضد مقومات الإنسان الطبيعية فانتهت إلى مصرعها المحقق. ومصيرها المحتوم. على يد المجاهدين الأفغان وأصبحت الشيوعية المتحدة أثرا بعد عين.

وإذا كانت الموجة المادية مازالت تكابر وتتبجح وتظهر للعالم أن لديها ما تقدمه فيما أسمته بـ«العولمة» فإن ذلك لا يعنى أنها على شئ، فالعولمة لا تفرض بالسلاح، ولا على أمم الأرض بالقوة، وإنما النظام الذى يستحق أن يسود ويقود، هو النظام الذى يحظى باحترام أهل الأرض، ليس لأنه يملك سلاحاً لا يملك غيره مثله، ولكن لأنه يملك رصيداً من القيم الإنسانية والمبادئ الربانية. تجعله يسخر قوته وعبقريته وآلياته لخدمة الإنسان كل الإنسان، دون تمييز واستعلاء. وهذا ما فعله الإسلام أول مرة وهو أيضاً ما سيفعله الإسلام اليوم.

يقول الفيلسوف الإنجليزى المعاصر «برتراند راسل»:

«لقد انتهى العصر الذى يسود فيه الرجل الأبيض- وبقاء تلك السيادة إلى الأبد ليس قانوناً من قوانين الطبيعة- وأعتقد أن الرجل الأبيض لن يلقى أياماً رضية كتلك التى لقيها خلال أربعة قرون»[1].

إن بقاء الحضارة الغربية إلى اليوم برغم ما ينخر فى كيانها من أمراض الجنس والقلق والشذوذ والاكتئاب، وما يعصف بأعصابهم من سموم المخدرات والخمور والشهوات.

هو بسبب غياب أبناء الحضارة الإسلامية الذين تخلفوا عن احتلال مقعد السيادة، ليس لأن الأمة لا تملك منهجاً ثابتاً أو

(١) الأهرام بتاريخ ٩ أغسطس سنة ١٩٥١م

عقيدة راسخة أو حضارة شامخة، وإنما لأن الجيل القائم اليوم هو حصاد تدبير شيطانى محكم، استمر يعمل طيلة قرنين من الزمان، ليغيب عن وجه الحياة منهجنا، ويميع ثوابتنا ويشكك أبناء الأمة فيما لديهم من رصيد القيم الذى لا تملك الأرض كلها شيئاً منه، لسبب واحد هو أن رصيدنا:

﴿وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾

(النجم: ٤، ٥)

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾

الشعراء (١٩٣)

على قلب رسول الله - ﷺ - ليتير به الأرض كلها، وما تزال الأرض كلها تسترشد ببقية النور الذى جاء به محمد - ﷺ - برغم المحاولات المستميتة التى يقوم بها شياطين الإنس والجن، ليحجبوا عن وجه الأرض هذا النور الإلهى المبين. تلك المحاولات التى أوشكت أن تفقد الأمة الإسلامية ثقتها فيما تملك من هذا الوحى المقدس العظيم، بعد أن عجزت عن تغييب القرآن، كتاباً مسطوراً، ووحياً محفوظاً.

ولم يكن عجزهم لقلة جهدهم أو ضعف خططهم، أو عجز مواردهم، فقد بذلوا ما لا طاقة لبشر فى بذله، ولكن لأنهم نسوا أنهم يواجهون جبار السموات والأرض الذى تعهد بحفظ هذا الكتاب بنفسه بقوله سبحانه:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

(الحجر: ٩)

وإن مما يدعو إلى التفاؤل ويوحى بالثقة، ويبشر بالنصر العظيم لهذه الأمة: أن الله قد جعل فى هذا الكتاب دستورها، وأوضح فيها منهجها، وحوى فيه أسرار حياتها ونبع قوتها:

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

(الأنبياء: ١٠)

وخاطب نبيه محمداً - ﷺ - بهذا الخير وأوضح له حقيقة هذا الفضل بقوله:

﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾

(الزخرف: ٤٣، ٤٤)

ولهذا فإننى أرى أن أى طفل يتردد على «الكتاب» ويحمل فى يده كتاب الله، هو أحكم وأعلم من أعظم فلاسفة الغرب ومفكريه، لأن هذا الطفل بما يتلو من آيات، وبما يعتقد من عقائد إنما ينطلق من حقائق ثابتة وقواعد راسخة وكليات إلهية لا تقبل التخمين والتهويم،

﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾

(فصلت: ٤١، ٤٢)

أما أهل الغرب فينطلقون من أوهام، ويتعاملون مع المستقبل والغيب بألوان من التخمين والاستنتاج، كما يتعاملون مع الجانب الحقيقى من الحياة وهو جانب الروح والإيمان، بنوع من الاستخفاف والاستهزاء والإنكار:

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾

(الروم: ٧)

إنهم مهما ملكوا من حديد الأرض وحجارتها، ومهما حازوا من ألوان القوة المادية - قوة المخلب والناب - فإنهم سيظلون ملتصقين بالتراب لأن حضارة الأرض لا يمكن أن تطير بجناح واحد، وتلك هى نقطة الضعف فى العولمة الجديدة التى تريد أمريكا أن تفرضها على البشرية اليوم، وهى نقطة لا يمكن أن يقوم بدونها منهج، أو تستقيم بدونها حياة، فليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، كما يقول السيد المسيح.

وإذا كانت أمتنا تعانى نقصاً فى جوانب الاختراعات المادية، فإن ما تعانيه من نقص فى هذه الجوانب، هو شيء يمكن تعويضه بقليل من الجهد، وغياب الكمال فيه لا يؤثر فى مسيرة الحياة، بل إن استيراده ونقله من الغير لا يعيب المستورد الناقل، لأنها أمور كمالية جاءت لتيسير شئون الحياة. أما الحياة نفسها التى هى مجموعة القيم والمبادئ والأفكار.. والتى تمثل الإجابة عن كل ما يعتمل فى صدر الإنسان من استفهامات حول الكون والحياة والإنسان فإن أية فلسفة أرضية لا تملك ما تقدمه لأتباعها حول هذه الأساسيات التى لا يمكن لكيان أن يستقر بدونها، أو أن يعيش دون يقين نحوها، وإنما الإسلام وحده هو القادر على أن يقدم للإنسان جوابا شافياً عن كل ما يجول بخاطره أو يعتمل فى صدره، مما لا يمكن أن يجد له جوابا فى غير الإسلام.

فالإيمان تصديق القلب بالله وبرسوله، التصديق الذى لا يرد عليه شك أو ارتياب، التصديق المطمئن الثابت المستيقن الذى لا يتزعزع ولا يضطرب، ولا تهجس فيه الهواجس، ولا يتلجلج فيه القلب والشعور، والقلب متى تذوق حلاوة هذا الإيمان واطمأن إليه وثبت عليه، لابد مندفع لتحقيق حقيقته فى خارج القلب، فى واقع الحياة فى دنيا الناس، لأنه لا يطيق الصبر على المفارقة بين الصورة الإيمانية التى هى فى حسه، وبين الصورة الواقعية من حوله، هذه المفارقة تؤذيه وتصدمه فى كل لحظة، ومن هنا كان هذا الانطلاق إلى الجهاد فى سبيل الله بالمال والنفس.

وإذا كانت الفلسفات الأرضية المحدودة بالتفكير البشرى الضيق لا تملك القدرة على الانطلاق وراء المادى المحسوس، فإنها لن تجد مبرراً مقبولاً لما هو فوق مقدور هذا التفكير، مما لا يقع تحت قدرة الحواس البشرية، كقضايا الإيمان بالله واليوم الآخر والثواب والعقاب والبعث والحساب. ومجازاة الناس بأعمالهم إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. ومع وجود العجز الكامل عن إدراك حقائق الإيمان بالله واليوم الآخر لن يجد هذا العقل أمامه إلا الرفض والشك فى وجود هذه القضايا. والإيمان بهذه المسلمات. وعندها سيقع ما يقع اليوم فى الأرض من خراب ودمار. وما يمارس من ظلم وجور. وما تسجله أجهزة الصحة فى تلك البلاد المادية من تزايد نسبة المنتحرين الهاربين من الحياة، بعد أن تحولت الحياة معهم إلى عبء ثقيل وكابوس مخيف لا يمكن أن تتحمله أعصابهم بحال من الأحوال، وما ظنك بإنسان لا يجد فى نفسه معنى لقضية وجوده، ولا يستشعر الأمن على مستقبله. ولا أمل له فى تعويضه عما يتعرض له فى الدنيا من ظلم وما يقع له من شقاء إنه لن يجد أمامه إلا التفكير الجدى فى إلقاء هذا العبء الثقيل عن كاهله،

ولن يجد وقتها إلا أن يهرب من واقعه إلى الموت الحقيقى. إن كان شجاعا حاسما. أو الموت المعنوى البطىء ممثلا فى تغييب عقله وإدراكه، عن الشعور بالحياة من حوله عن طريق إدمان المخدرات بجميع أنواعها. راضيا بما يترتب على إدمانها من انهيار فى أعصابه، وتلف فى خلاياه وتقرح فى معدته، واهتراء فى كبده، واضطراب فى قلبه، فضلا عن أمراض النفس من الاكتئاب والانفصام والجنون. فهل تملك أمريكا التى تتبجح بقدرتها على سيادة الأرض وقيادة البشرية ـ منهجا سويا يريح القلب ويطمئن النفس، ويرضى الضمير كالذى يملكه الإسلام؟! وهل استطاعت أن تقدم لإنسانها تصورا واضحا حول حقيقة الوجود من حوله، وحقيقة دوره المقسوم له فى هذا الوجود وحقيقة الطاقة المهيأة له للقيام بهذا الدور؟! هل استطاعت هذه الحضارة أن تقدم له جوابا شافيا لتساؤلاته الحائرة القاسية من أين جاء؟ ولماذا جاء؟ وإلى أين يذهب؟ وماذا هو واجد هناك بعد الذهاب؟ إن إنسان الحضارة الغربية لا يملك جوابا عن هذه التساؤلات فهذا شاعرهم المهجرى «إيليا أبوماضى» يعبر عن حالته النفسية وحالة كل من يعانون القلق والحيرة مثله فيقول:

جئت لا أعرف من أين ولكنى أتيت

ولقد أبصرت أمامى طريقا فمشيت

وسأبقى أمشى هكذا إن شئت هذا أم أبيت

كيف جئت؟

كيف أبصرت طريقى؟ لست أدرى

إن الإسلام دين البشرية الخالدة. هكذا أراده الله. وهكذا ينبغى أن يكون، لأنه الدين الذى يقدم التفسير الشامل الكامل للوجود، وعلاقته بخالقه العظيم، ولمركز الإنسان فى هذا الوجود، ولغاية وجوده الإنسانى، فى حالة من الانسجام الرائع والتوازن الحميم، فإن الإسلام ـ بالذات ـ كان هو الإعلان الشامل لحرية العقل البشرى تجاه الكون المادى، وقوانينه، وقواه، ومدخراته، وكان الإيذان العام بانطلاق هذا العقل ليعمل ويبدع فى ذلك المدى العريض الذى استخلفه فيه ربه.

إن الحضارة الغربية التى تتبجح اليوم بقوتها المادية ـ تظن أنها بحديدها ونارها تستحق أن تسوق البشر إلى ما تريد ـ ما فعلت ذلك ولا تجرأت عليه إلا عن فراغ الساحة من سيدها الحقيقى الذى خلق ليحكم وخوطب بالقرآن ليسود ويقود. هذا القائد الذى بذل من نفسه ليسعد البشرية وتعب لكى يستريح الناس، هو الذى خاطبه ربه بقوله:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾

(آل عمران: ١١٠)

إنه المسلم الذى غيب عن الساحة بتخطيط محكم، وتدبير شيطانى لعين. لكى يعربد فى الأرض شياطين الجنس وعباد الشهوات. وسأكتفى بتقديم شهادة بعض العقلاء من أمريكا ممن أحسوا بالخطر القادم الذى يتهدد أمريكا وينذر بسقوطها القريب، يقول «روبرت هاى» Robert P.Hay. أستاذ التاريخ فى جامعة «ماركويت» فى مدينة «Migwaukee» الأمريكية:

«إن أمريكا عام ١٩٨١ مفككة إلى حد لا يطاق، ونحن فى أمس الحاجة إلى الإحساس بالحياة الاجتماعية، ومن السهل أن نفهم أن أمريكا ضائعة الأرواح حيث لا يرتبط الفرد بشىء، فهو يبحث عن هويته، يبحث فى العمل وفى المهنة وفى التقدم الاقتصادى عن علامة تميزه، وتخبره من هو»[٢] ويقول الكاهن المشهور «جيرى فولول» Jerry Falwell فى كتابه: «اسمعى يا أمريكا Listen America» لدى إحصاءات مرعبة عن حوادث الطلاق، وتدمير الأسرة، والإجهاض وجنوح الناشئة، والفوضى الجنسية، وتعاطى المخدرات، وجرائم القتل، إننى أشاهد حطام الإنسان والأرواح المهدورة بأكداس تفوق الإحصاءات، إن أمريكا بحاجة سريعة إلى الإنقاذ الروحى والأخلاقى إذا كانت تريد أن لا تهلك فى القرن القادم»[٣] قال ذلك فى عام ١٩٨١م.

إن أمريكا اليوم تدفع ثمن انحرافها عن الفطرة وهى فى طريقها إلى السقوط، وإذا كانت مازال تملك بعض القوة التى تظهرها وكأنها تتحرك فإن هذه الحركة هى حركة الدفع الذاتى التى تبقى بعد توقف آلات الدفع تمهيدا للسكون النهائى. وإذا كان سقوط «الاتحاد السوفيتى» قد جاء على يد المسلمين فى أفغانستان، فإن لعنة أفغانستان والعراق ستنشب بالجسد الأمريكى ولن تتركه إلا حطاما. فالضربات التى تنهال على الجيش الأمريكى ضربات موجعة قاتلة، والخسائر التى تمنى بها جيوش الكفر خسائر مروعة[٤].

إن الحضارة الغربية والأمريكية التى عجزت عن صيانة أهلها وكفايتهم، هى عن صيانة غيرها أعجز. ولم يبق للبشرية اليوم منقذ ومخلص إلا الإسلام.

إن هتافات كثيرة من هنا ومن هناك، تنبعث من القلوب الحائرة.. تهتف بمنقذ. وتتلفت على «مخلص» وتتصور لهذا المخلص سمات وملامح معينة تطلبها فيها. وهذه السمات والملامح المعينة لا تنطبق إلا على الإسلام: فهل آن الأوان لكى يتقدم أبناء الإسلام ليقودوا سفينة البشرية بعد أن خلا فيها مقعد الربان؟؟!

***

٢- Ropert P. Hay"Alexisde Toegue vill and his American 150 Years later" USA Today, No. 1980, PP:62 -65

٣- Jerry Falwell, Listen America, New york Bantam Book Inc. 1981

(٤) أذاعت قناة الجزيرة يوم ٢٢/٤/٢٠٠٥م، اعتماد الكونجرس الأمريكى مبلغ ٨١ مليار دولار لزيادة الإنفاق على الحرب فى العراق وأفغانستان.

﴿ فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

اطلعنا على الطلب المقدم من/ مجلة الأزهر - المتضمن لبعض الأسئلة وهى:

الأذان الثانى يوم الجمعة

● السؤال من أ.س.ى. يقول:

ما حكم الأذان الثانى يوم الجمعة؟

● الجواب: شرع الله الأذان لإعلام الناس بدخول وقت الصلاة، وتنبيههم للإقدام عليها، وشرعت الإقامة لاستنهاض الناس لأداء الصلاة، وشرع أذان واحد لكل فريضة، وكان زمن التشريع للأذان بعد الهجرة فى السنة الأولى، كما ثبت فى حديث رؤيا عبد الله بن زيد وعمر بن الخطاب -رضى الله عنهما-، رواه الترمذى وصححه ابن خزيمة وابن حبان، وكان لكل فريضة أذان واحد وإقامة، وكانت الجمعة كسائر الفرائض فى عهد النبى -ﷺ- وصاحبيه أبى بكر وعمر -رضى الله عنهما-، وزاد عثمان -رضى الله عنه- الأذان الثانى يوم الجمعة للحاجة إليه، وهى كثرة الناس، فعُلم أن الأذان مشروع بأصله، وليس هناك مانع من زيادة أذان مشروع فى وقت يحتاج الناس إليه، كما فهم بلال -رضى الله عنه- ذلك عندما صلى سنة الوضوء مع كونها لم تكن مشروعة بخصوصها.

وأورد الإمام البخارى زيادة عثمان -رضى الله عنه- للأذان الثانى، فعن السائب بن يزيد -رضى الله عنه قال: «كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد النبى -ﷺ- وأبى بكر وعمر -رضى الله عنهما- فلما كان عثمان -رضى الله عنه- وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء، وسماه البخارى الثالث لأنه يسمى الإقامة أذانا».

وما فعله عثمان -رضى الله عنه- لم يشذ به عن باقى الأمة، فقد أقره الصحابة فى عهده، وثبت الأمر على ذلك بعده فى عهد على بن أبى طالب -رضى الله عنه- إلى يومنا هذا، ولقد روى البخارى نفس الحديث برواية أخرى زاد فيها «عن

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
علـى جمعـة
مفتى جمهورية مصر العربية

الزهرى قال: سمعت السائب بن يزيد -رضى الله عنه- يقول: «إن الأذان يوم الجمعة كان أوله حين يجلس الإمام يوم الجمعة على المنبر فى عهد رسول الله -ﷺ- وأبى بكر وعمر -رضى الله عنهما-، فلما كان فى خلافة عثمان -رضى الله عنه- وكثروا، أمر عثمان يوم الجمعة بالأذان الثالث، فأذن به على الزوراء، فثبت الأمر على ذلك».

ويقول ابن حجر العسقلانى فى «فتح البارى» (٢/ ٣٩٤): «والذى يظهر أن الناس أخذوا بفعل عثمان فى جميع البلاد إذ ذاك، لكونه خليفة مطاع الأمر» إلى أن قال: «وكل ما لم يكن فى زمنه -ﷺ- يسمى بدعة، لكن منها ما يكون حسنا، ومنها ما يكون بخلاف ذلك. وتبين بما مضى أن عثمان أحدثه لإعلام الناس بدخول وقت الصلاة، قياسا على بقية الصلوات فألحق الجمعة بها، وأبقى خصوصيتها بالأذان بين يدى الخطيب، وفيه استنباط معنى من الأصل لا يبطله».

ومما سبق نعلم أن الأذان الثانى للجمعة سنة سيدنا عثمان -رضى الله عنه-، وقد قال النبى -ﷺ-: «من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء المهديين الراشدين»، رواه ابن حبان، والحاكم، وعثمان -رضى الله عنه- من الخلفاء الراشدين ولقد قام الإجماع العملى من لدن الصحابة إلى يومنا هذا على قبول الأذان الثانى، فالذى يطعن فيه وينكره فإنه يطعن فى إجماع وفى شعائر الإسلام التى ارتضاها العلماء عبر القرون، والذى يدعى أنه بدعة ضلالة يخالف ما تواتر عن النبى -ﷺ- من أن الله -سبحانه- لا يجمع أمته على ضلالة.

والله سبحانه وتعالى أعلم

حكم قراءة القرآن يوم الجمعة

● ومن القارئة: م.ش.ن جاء السؤال

ما حكم قراءة القرآن يوم الجمعة قبل الخطبة؟

●● الجواب: يستحب جمع الناس على سماع تلاوة القرآن الكريم يوم الجمعة فى المسجد قبل خطبة الجمعة، سواء أكان هناك من يقرأ لهم من بينهم، أم يتم تشغيل المذياع لسماع تلاوة القرآن الكريم، ولا شئ فى ذلك، لأن قراءة القرآن ندب إليها الشرع الشريف، وبخاصة إن كان القارئ ماهرا فى تلاوته، كمن يقرأ فى إذاعة القرآن

الكريم، وقد صح عن النبي - ﷺ - أنه قال: «الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذى يقرؤه وهو شديد عليه - قال شعبة: «وهو عليه شاق - فله أجران» متفق عليه، وكذلك استماعه والإنصات إليه مأمور به شرعاً كما قال الله فى كتابه العزيز:

﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

«الأعراف: ٢٠٤»

وحيث إنه لم يرد نهى عن قراءة القرآن فى ذلك الوقت المسئول عنه، فالحكم فيه على الأصل المبيّن وهو الندب.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

تصرفات الولى في مال اليتيم

● ومن ح.ح.م جاء السؤال الثانى:

عقد ولى أمر يتيم عقد بيع قطعة أرض زراعية هى ميراث هذا اليتيم لكى يشترى قطعة أرض زراعية أخرى لليتيم، بدلاً من الأولى، ولما بلغ اليتيم سن الرشد وأخذ ميراثه وجد أن ما باعه ولى أمره مما ورثه يتضاعف ثمنه أضعافاً مضاعفة على ما اشتراه له، والسؤال: - هل يحق ويجوز شرعاً للوارث أن يفسخ عقد هذا البيع، نظراً للفارق الباهظ فى الثمن.

● ● الجواب: تصرفات الولى فى مال الصبى والصبية وغيرهما ممن يحجر عليه - كالمجنون والسفيه - تكون بالغبطة أو بالضرورة، أى بمحض المصلحة، قال صاحب «فتح الوهاب» فى فقه الشافعية: («ولا يشترى» الولى «لموليه» من صبى ومجنون وسفيه «بعضه» - يقصد بعض العبد -، لأنه إنما يتصرف له بالغبطة) اهـ. يقصد أن يجنبه الشركة ومضايقها، وقال صاحب «شرح الوجيز» («و» ولا يتصرف الوالى إلا بالغبطة، ولا يستوفى قصاصه، ولا يعفو عنه ولا يعتق ولا يطلق بعوض وغير عوض ولا يعفو عن حق شفعته إلا لمصلحته) اهـ، وقال صاحب «أسنى المطالب»: (الولى لا يرهن إلا بالغبطة أو الضرورة) اهـ.

وقال أيضاً صاحب «أسنى المطالب» فى باب الشفعة: (ولو أخذ الوالى مع الغبطة ثم بلغ الصبى وأراد الرد لم يُمكّن كما صرح به الأصل «والقول قوله» بيمينه بعد زوال حجره فى أن الولى ترك الأخذ مع الغبطة، فيلزم الولى البينة «إلا على أب أو جد قال: إنها تركت لغير غبطة» فلا يقبل قوله عليه) اهـ، وقال أيضاً فى باب الوقف: «ولو أجر الناظر الوقف فزادت الأجرة أو ظهر طالب بزيادة بعد ذلك لم ينقض» عقد الإجارة «ولو أجره سنين»، لأن العقد جرى بالغبطة فى وقته، فأشبه ما إذا باع الولى مال طفله ثم ارتفعت القيمة بالأسواق أو ظهر طالب بالزيادة» اهـ.

وعليه فإن كان تصرف ولى اليتيم بالبيع المذكور قد تم وقتها بالغبطة - أى المنفعة المحققة - أو الضرورة فلا يحق لليتيم بعد رشده أن يفسخ لمجرد ظهور ما هو أغبط من ذلك بعدها، أما إذا لم يكن تصرفه وقتها قائماً على الغبطة أو الضرورة فيحق لليتيم بعد رشده المطالبة بالفسخ، وكذلك إذا لم يكن يعرف ذلك وادعى أمام القاضى أنه لم يكن بالغبطة ولم يستطع الولى الإتيان بالبينة على كونها بالغبطة، فيفسخ القاضى وقتئذ.

والله سبحانه وتعالى أعلم

صورة الإسلام عبر شبكة المعلومات العالمية (الانترنت)

للأستاذ الدكتور محمد الشحات الجندى
الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

يكاد يتعذر على المطالع والمتابع لشبكة المعلومات الدولية، أن يحيط علماً بكل ما يبث على هذه الشبكة العنكبوتية الجبارة، لما تحويه من الجديد والغريب والفريد من المعلومات والأنباء. فلا يستطيع أن يحصى كم الأخبار والمقالات والأطروحات والآراء والرؤى التى تتناول الإسلام فى كل مناحيه و تصوراته ومفاهيمه باعتباره ديناً إلهياً وعقيدة يدين بها المسلمون حول العالم ونظرته للكون من حولنا، وتصوره للحياة التى نعيشها، واعتبار الإنسان محور الوجود ومحط الاهتمام فى هذا العالم منذ بدء الخليقة، وحتى قيام الساعة، ولذلك تزايد الاهتمام بالإسلام الدين والأيدلوجية والشرع والأخلاق والحضارة، بغرض تحجيم دوره، والحد من سلطانه على النفوس والعقول، فى العالم المتقدم وفى عقر داره، ضماناً لسيطرة الغرب على مقدرات العالم المعاصر.

وثمة ملاحظة لا تخطئها العين البصيرة، على مواقع هذه الشبكة الأثيرة تتحصل فى جعل الإسلام محاصراً وهدفا للاتهام ومرمى لتصويب السهام إليه دائماً ليس بغرض النقد الموضوعى، وإنما بقصد تجريده من مواضع القدسية وإزاحته عن مواقعه الحصينة فى بلاد الإسلام، وبالأولى عن بلاد الغرب، والاجتراء عليه وتقييمه بحسبانه فكراً بشرياً، يخلع عنه وصف الدين الإلهى الذى نبع من مشكاة ووحى الأديان السماوية، باعتبارها الأديان التى انبثقت من تعاليم السماء وهى الدين اليهودى والدين المسيحى، ثم كان ختامها الدين الإسلامى، باعتباره الدين الشامل والمتمم والمحصن للديانات السماوية السابقة عليه، ومصدقاً لها، ومنافحاً عن قيمها وتعاليمها الإلهية فى مجابهة الأديان الوضعية والوثنية الجديدة، والمادية الطاغية.

هذه الصورة المغلوطة والخاطئة عن الإسلام ليست الوحيدة فى هذا الزخم من المعلومات، لكن تبقى هى الجانب الغالب على مجمل الفضاء الخارجي الذى يعرض به الغرب الإسلام،

بما يملكه من تقنيات هائلة باعتباره صاحب السبق والريادة فى المجالات العلمية والتقنية، الموجه لها بحسب ما يبوئه مركز الصدارة والنفوذ، ويحقق مصالحه ومطامعه، ويضمن له السيطرة والتحكم فى مصير ومستقبل العالم المعاصر.

ومن الإنصاف القول بأن هذا الفضاء المعلوماتى، يطلع فيه المتصفح للمواقع على لون آخر من الإنصاف يتمثل فى إظهار مكانة الإسلام كدين إلهى حمل للبشرية مبادىء وقيم وحضارة، أضافت للعطاء الإنسانى عبر المسيرة البشرية المتطاولة فى توالى الأزمان، وتعاقب الأجيال. وعلى الرغم من النظر الموضوعى والبناء فى هذا التوجه، لكنه يظل قابعا فى مساحة ضيقة وعلى استحياء، ومحاطا بالانتقادات والهجوم عليه من المعسكر المناوىء.

وثالث الاتجاهات التى يرصدها المتابع لما ينشر فى هذا الجهاز الخطير، تلك المعلومات والأخبار الملتبسة خليط من عمل صالح وطالح معاً، بما يكشف عن جهل ونقص المعرفة عن الآخر، خاصة الجهل بحقائق الإسلام ومقاصده العليا فى الحياة وطبيعة رسالته، ونمط علاقاته بالآخر، وفى المقابل القصور المعيب من جانب المسلمين فى فهم الغرب، وتوجهاته إزاء الإسلام ونظرته السلبية تجاه الأديان، ونفى المقدس، وتعظيم كل ما هو عقلانى ومادى.

وإذا كان مقبولاً أن تتعدد الرؤى والاتجاهات فى منظورها للإسلام على سند من أن التنوع والتباين وهو من السنن الإلهية التى أرساها الإسلام بقوله تعالى:

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾

(هود ١١٨، ١١٩)

إلا أنه من غير المقنع والمجافى للعقل والمنطق بث هذا السيل من الهجوم الضارى على الإسلام برمته، والسعى لاختراق أصوله وجماع منظومته، فى عصر تقاربت فيه سبل التواصل والاجتماع بين البشر، وطويت المسافات، وأصبحت السماوات مفتوحة تيسر سبل الحصول على المعلومات، وبتستى الإطلاع على الحقائق على أرض الواقع، بحكم المنجزات التكنولوجية التى صيرت العالم قرية كونية، وجعلت من عصر المعلوماتية حقيقة كائنة.

ومن غير المفهوم كذلك، أن تتصدى لهذه الحملات المسيئة للإسلام شبكات إعلامية ورموز غربية ومراكز صناعة القرار فيه، ومؤسسات بحثية وأكاديمية ومجموعات عنصرية ولوبيات صهيونية يهودية ومسيحية، وتنظيمات سياسية عن طريق وصم الإسلام بكل ما هو غير إنسانى وغير حضارى.

لقد بات مألوفا ومعروفاً نعت الإسلام بأنه دين بدائى متخلف، يتخذ من العنف والتصفية الجسدية والإرهاب نهجاً للتعامل مع المخالفين له، وأنه لا يعرف التعايش السلمى مع الآخر، وأنه دين الكراهية والتعصب والتمييز ضد الأغيار الكفار والمشركين. وأنه لا يؤمن بحقوق الإنسان وحق المواطنة، ويزدرى المرأة ويجعلها مواطناً من الدرجة الثانية.

كان لزاماً فى ظل هذه الأجواء العاصفة ضد

الإسلام، أن تنشأ ظاهرة الإسلاموفوبيا (الخوف من الإسلام) ويعزى هذه النشأة إلى منظمة The Runnymede Trust.[1] وهى إحدى منظمات المجتمع المدنى NGO.S عام ١٩٩٧م، فقد حددت معالم هذه الظاهرة فى المعايير الثمانية الآتية:

١- اعتبار الإسلام كياناً أحادياً جامداً قلما يتأثر بالتغيير.

٢- نعت الإسلام بوصفه الآخر، الذى ليس له قيم مشتركة مع الثقافات الأخرى، ومن ثم لا يتأثر بها ولا يؤثر فيها.

٣- الإسلام يحتل مكانة دولية بالنسبة للغرب، وهو بربرى وغير عقلانى بدائى وجنسى النزعة.

٤- وصم الإسلام بالعنف والعدوانية ومصدر خطورة للسلام، وأنه مفطور على الإرهاب والصدام بين الحضارات.

٥- النظر للإسلام على أنه أيديولوجية سياسية لتحقيق مصالح سياسية وعسكرية.

٦- رفض أى نقد إسلامى للنظام الغربى.

٧- تصنيف الإسلام ضمن الأعداء، لتبرير ممارسات تمييزية ضد المسلمين وإبعادهم عن المجتمع المهيمن.

٨- تبنى سياسة العداء تجاه المسلمين، باعتبارها أمرا طبيعيا وعاديا.

والمستقرىء المدقق فى معالم الصورة، يخرج بخليط من الرؤى والاتجاهات يمكن رصدها فى ثلاثة نماذج:

> النموذج الأول: نموذج الطعن والإساءة والتشكيك فى الإسلام.

> النموذج الثانى: نموذج الموضوعية والإنصاف تجاه الإسلام والمسلمين.

> النموذج الثالث: نموذج الالتباس أو الخليط بين الطعن والإنصاف.

نموذج الطعن والإساءة والتشكيك فى الإسلام

واللافت للانتباه غلبة هذا النموذج على الصورة المرسومة عن الإسلام فى الذهنية الغربية وواقع التعامل، حتى يعطى الانطباع لمن يوالى المبثوث والمنشور عبر هذه الشبكة العالمية أنه المتربع وحده الطاغى على كافة جوانب الصورة، حتى ليتوارى ما سواه ويخبو ولا يحتل غيره فى مجمل الصورة إلا جانبا هامشيا ومكانا قصيا قد يجعل الناظر يتجاوزه ويعزف عنه. ومظهر هذا النموذج وتجلياته تسطع فى بعض ما يعرض على الشبكة وفى وسائل الإعلام، من بينها:

١- موقف البابا واتهامه الإسلام بأنه دين العنف والسيف

جاءت مواقف البابا بنديكت السادس عشر من الإسلام، فى إطار محاضرة عن اللاهوت المسيحى ألقاها فى جمع من الطلبة فى إحدى الجامعات الألمانية، وفى سياقها ذكر كلاماً مؤداه: أن المسيحية ترتكز على مبادىء العقل والحب، فى حين أن الإسلام انتشر بحد السيف مما يفسر الطابع العنيف للإسلام[2].

ومقولة البابا وهو رمز الكنيسة الكاثوليكية فى العالم، تصب فى مربع إظهار الإسلام بالدين

(1) http://www.aljazeera.net/portal/templates

العدوانى، الرافض للسلم العالمى والتسامح الإنسانى وأنه دين قام على الإكراه والإجبار، ولا يعترف بالاقتناع والاختيار، وهو ما يتناقض مع نصوص محكمة وصريحة لا مجال لتأويلها أو الالتفاف على منطوقها. كما أن فى تلك المقولة للبابا استدعاء للغة الصدام، واستحضار للموروث التاريخى بشكل انتقائى، إذ يبدو وكأنه يتجاهل حقائق التاريخ، ومنزع المدرسة العقلية فى علم الكلام، التى أسسها المعتزلة، والفلاسفة المسلمين من أمثال ابن رشد والفارابى وابن سينا وغيرهم.

ومن بين الرموز التى أسست هذا التوجه الخاطىء والصدامى عن الإسلام الأب بيار المهيب الذى على الرغم من أنه كان وراء أول ترجمة للقرآن الكريم إلى اللاتينية سنة ١١٤٣م، إلا أنه علق عليها من خلال رسالة بعنوان: «الأدلة على الهرطقة المحمدية البغيضة والمدمرة». وقد ورد فى هذه الترجمة رسم متخيل لصورة نبى الإسلام يستوحى من خلاله أن مبادىء هذه الديانة لا تعدو أن تكون أفكاراً شيطانية. وهو تدشين لفكر مسىء ومشوه واغتيال لشخصية الرسول الكريم، وطعن فى رسالة الإسلام وعطائه الدينى والإنسانى.

وفى سياق متصل فقد حمل العديد من المستشرقين نفس التوجه فى تكريس فكر النعى على الإسلام، وهدم منظومته العقدية والحضارية، وموقف البعض أشهر من أن يذكر.

لم يتحصر هذا الفكر على الباحثين والدارسين للإسلام، وإنما رسخ ذلك التوجه الإعلام الغربى الذى لا يفتأ أن يرسم صورة مقيتة للإسلام والمسلمين فى عالم اليوم، إذ يختزل الإسلام فى كونه الدين العتيق، الرجعى، والمتعصب، ولا يعدو أن يظهر المسلمون بأنهم جمهور المصلين ذوى اللحى الكثيفة، والحجاب رمز القهر والاستبداد، وتقديم المسلمين على أنهم أشخاص مدججين بالسلاح، المهددين بزرع الموت فى كل مكان، وأنهم صناع القتل أينما ذهبوا، وهو الملمح البارز والصورة الذهنية المرسومة عن الإسلام والمسلمين فى الأبواق الغربية.

٢- التشكيك فى صحة الوحى القرآنى

بالإدعاء بأن محمد الرسول ﷺ مصدران للوحى جبريل والشيطان، فالشيطان يوحى لمحمد بآيات صباحاً، يصححها له جبريل مساءً(3).

ويستشهد أصحاب هذا الزعم بقوله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (الحج: ٥٢)

وهم يفسرون الآية:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾ هو نبى أمر بالتبليغ ﴿وَلَا نَبِيٍّ﴾ أى لم يؤمر بالتبليغ ﴿إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ﴾ قرأ: ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾

(2) http://www.aljazeera.net/portal/templates/ postings/ pocketpc Detailed Page. aspx3 13/11/2008/ P.1
(3) http://e17ad.com/smf/index.pnp/topic.20399.msg219766.html.

قراءته ماليس من القرآن مما يرضاه المرسل إليهم، وقد قرأ النبى ﷺ فى سورة النجم بمجلس من قريش بعد:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾

بإلقاء الشيطان على لسانه من غير علمه ﷺ به: تلك الغرانيق العلا، وأن شفاعتهن لترتجى، ففرحوا بذلك، ثم أخبره جبريل بما ألقاه الشيطان على لسانه من ذلك، فحزن فسلى بهذه الآية ليطمئن ﴿فَيَنسَخُ اللَّهُ﴾ يبطل ﴿مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾ يثبتها ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بإلقاء الشيطان ما ذكر ﴿حَكِيمٌ﴾ فى تمكينه منه يفعل ما يشاء.

وهذا الادعاء مردود على قائله بأن الشيطان كان يوحى لمحمد صلوات الله عليه- ساقط ويناقض الثابت فى محكم آيات القرآن الكريم، فى العديد من النصوص نورد منها، قوله تعالى:

﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ (الشعراء: ١٩٢-١٩٤)

ويجمع المفسرون على أن الروح الأمين هو جبريل عليه السلام.

وبقوله سبحانه فى سورة النجم التى يتمحل بها المدعون، على الوحى الشيطانى المزعوم، رداً على كل فرية فى مستهل السورة، بقوله تعالى:

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ (النجم: ١-٥)

فإن الرسول قد عصمه الله بالوحى، فلا يقول فى القرآن كلاما من عند نفسه.

فالذى علم الرسول ﷺ هو جبريل عليه السلام، فالرسول لا يتكلم عن هوى نفسى ورأى شخصى، وإنما يتكلم عن وحى من الله -عز وجل- قال البيضاوى: أى ما القرآن إلا وحى يوحيه الله إليه، ومعنى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ أى علمه القرآن ملك شديد قواه وهو جبريل الأمين(4).

والثابت المقطوع به أن أحداً من المفسرين لم يقل بأن الشيطان كان يوحى للنبى فى أى وقت، إذ لم يحدث ذلك لا صباحاً ولا مساء ولا ليلاً ولا نهاراً، وهذا ما نفاه ابن كثير، بإيراده سؤالاً: كيف وقع مثل هذا مع العصمة المضمونة من الله لرسوله صلوات الله عليه؟ ثم حكى أجوبة عن الناس من ألطفها: أن الشيطان أوقع فى مسامع المشركين ذلك، فتوهموا أنه صدر عن رسول الله ﷺ، وليس كذلك فى نفس الأمر، بل إنما كان من صنيع الشيطان لا من رسول الرحمن ﷺ(5).

«يتبع»

(4) الصابونى، صفوة التفاسير، تفسير سورة النجم، ص:١٤٣٠.
(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، سورة الحج، ص-٤٤.

طرائف.. ومواقف

للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

رجعت إلى زوجها بثلاثة آلاف درهم وثلاثة آلاف شاة

خرج الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر حجاجا، فسبقتهم رحالهم ومن يحملونها، وجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز في خباء لها، فقال أحدهم: هل من شراب؟ فقالت نعم، فأناخوا عندها، ليس لديها إلا «شويهة» فقالت: احلبوها، واشربوا لبنها ففعلوا.

فقالوا: هل من طعام، فقالت: ليس إلا الشاة، فليذبحها أحدكم حتى أهيئ لكم ما تأكلون وقام أحدهم فذبح الشاة وكشطها، ثم هيأت الطعام، فأكلوا، وقالوا لها: نحن نفر من قريش نريد الحج، فإذا رجعنا فألمّي بنا بالمدينة لنجزيك خيرا.

وأقبل زوجها، فأخبرته بخبر القوم والشاة فغضب، وقال ويحك: تذبحين الشاة لنفر لا تعرفين من هم ثم تقولين إنهم من قريش!!

ثم ألجأتهم الحاجة - الرجل وامرأته - إلى المدينة، فذهبا يلتقطان الفتات من الشوارع ومرت بمنزل الحسن، فعرف العجوز، وكان واقفا أمام داره، فبعث إليها غلامه، فدعا بها وقال لها: يا أمة الله، ألا تعرفينني؟ قالت: لا، قال أنا ضيفك بالأمس يوم كذا وكذا. قالت فداك أبي وأمي.

فاشترى لها من شياه الصدقة ألف شاة، وأعطاها ألف درهم، وبعث بها مع غلامه إلى الحسين وعبدالله بن جعفر، ففعلا ما فعل، وقال عبدالله بن جعفر لو بدأت بي لأكثرت، ولكنني لا أخالفهما فرجعت العجوز إلى زوجها بثلاثة آلاف درهم، وثلاثة آلاف شاة!.

أهل الشر

● قال النبي - صلى الله عليه وسلم - «شر الناس من اتقاه الناس لشره»

● وسئل شبيب بن شبة عن خالد بن صفوان، فقال: ليس له صديق في السر، ولا عدو في العلانية.

● وقال الأحنف بن قيس: رب رجل لا تغيب فوائده وإن غاب، وآخر لا يسلم منه جليسه وإن احترس.

● وأنشد العتبي:

لي صديق يرى حقوقي عليه
نافلات وحقه الدهر فرضا
لو قطعت البلاد طولا إليه
ثم من بعد طولها سرت عرضا
لرأى ما فعلت غير كثير
واشتهى أن يزيد في الأرض أرضا

● وقال صالح بن عبدالقدوس:

تجنب صديق السوء واصرم حباله
وإن لم تجد عنه محيصا فداره
ومن يطلب المعروف من غير أهله
يجده وراء البحر أو في قراره
ولله في عرض السماوات جنة
ولكنها محفوفة بالمكاره

إبراهيم بن هرمة

لما ولي الحسن بن زيد المدينة دخل عليه إبراهيم بن علي بن هرمة، فقال له الحسن: يا إبراهيم، لست كمن باع لك دينه رجاء مدحك، أو خوف ذمك، فقد رزقني الله ـ تعالى ـ بولادة نبيه - صلى الله عليه وسلم - الممادح، وجنبني المقابح، وإن من حقه عليّ ألا أغضي على تقصير في حق وجب، وأنا أقسم لئن أتيت بك سكران لأضربنك حدا للخمر، وحدا للسكر، ولأزيدن لموضع حرمتك بي، فليكن تركك لها لله ـ عز وجل ـ تُعن عليه، ولا تدعها للناس فتوكل إليهم، فنهض ابن هرمة وهو يقول:

نهاني ابن الرسول عن المدام
وأدبني بآداب الكرام
وقال لي اصطبر عنها ودعها
لخوف الله لا خوف الأنام
وكيف تصبري عنها وحبي
لها حب تمكن في عظامي

تأديب مغتر

جاء في «عيون الأخبار» أن ابن أبي فنن قال :

إذا كنت تغضب من غير ذنب
وتعتب من غير جرم عليا
طلبت رضاك ، فإن عزني
عددتك ميتا وإن كنت حيا
قنعت وإن كنت ذا حاجة
فأصبحت من أكثر الناس شيا
فلا تعجبن بما في يديك
فأكثر منه الذي في يديا !

أظلم الظالمين

أظلم الظالمين لنفسه ، من تواضع لمن لا يكرمه ، ورغب في مودة من لا ينفعه ، وقبل مدح من لا يعرفه .

الإمام الشافعي رضي الله عنه

حقا

إذا ما أراد الله إذلال أمة
رماها بتشتيت الهوى والتخاذل
وأول عجز القوم عما ينوبهم
تدافعهم عنه وطول التواكل

رسالة

قدم جرير على عمر بن عبدالعزيز ، فقال له : مالي وللشعر يا جرير إني لفي شغل عنه ، فأجابه : يا أمير المؤمنين إنها رسالة من أهل الحجاز ، قال : فهاتها إذن ، فقال :

كم من ضرير أمير المؤمنين لدى
أهل الحجاز دهاه البؤس والضرر
أصابت السنة الشهباء ما ملكت
يمينه فحناه الجهد والكبر
ومن قطيع الحشا عاشت مخبأة
ما كانت الشمس تلقاها ولا القمر
لما اجتلتها صروف الدهر كارهة
قامت تنادي بأعلى الصوت يا عمر

دعاء

اللهم ارحمني من زماني هذا ، وإحداق الفتن وتطاول أهل الجرأة علي ، واستضعافهم إياي ، اللهم اجعلني منك في عياذ منيع وحرز حصين من جميع خلقك حتى تبلغني أجلي معافا .

***

خطبة الجمعة

ما هي مهمة الإسلام؟

لفضيلة الشيخ أحمد الشرباصي

إعداد فضيلة الشيخ/ علي حامد عبدالرحيم

لله الحمد حمداً يكافئ فضله العميم، ويليق بسلطانه العظيم، ويناسب خيره الكريم، سبحانه هو الله نور السموات والأرض، وفالق الحب والنوى ومحيي الأرض بعد موتها، وبارئ النفس ومزكيها، وهو بكل شيء عليم نشهد أن لا إله إلا أنت، الأمر كله منك وإليك، والاعتماد بك وعليك:

﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ (يوسف: ٣٩)

ونشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبدك ورسولك، بعث الأمة بفضلك من رقادها وأصلح البشرية بعنايتك من فسادها، فصلواتك اللهم وسلامك عليه وعلى آله شجرات الوجود المثمرة، وأصحابه النجوم الساطعة النيرة وأتباعه العصبة الطاهرة الخيرة:

﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ (الروم: ٤٤)

يا أتباع محمد ﷺ :

افرضوا أن سائلا تقدم إليكم وطلب منكم وأنتم مسلمون أن تحددوا له: ماذا كانت مهمة الرسالة الإسلامية المحمدية في العالم بعبارة واحدة، فماذا يكون الجواب؟ وهل يستطيع كل منا أن يسارع بالرد على ذلك السؤال في حكمة وصواب؟ أو أن الموقف سيستدعي حيرة في أول الأمر لطرافة السؤال ولغرابة التحديد بعبارة واحدة، ثم يستدعي الموقف بعد هذا استعراضاً وبحثا وتنقيباً وتركيزاً وخصوصاً للآلاف المؤلفة من الذين ينتسبون إلى الإسلام ويتسمون بوسمه، ويضاعفون

أعداد أبنائه ولكنهم مع الحسرة الممضة المرة لا يعرفون عن الإسلام شيئاً ذا بال ولا يفقهون من تعاليمه ما يشفى الغليل، حتى استدعانا ذلك الجهل المعيب من المسلمين للإسلام أن نهتف عدة مرات: ما أحوج الإسلام إلى التبشير به، لا بين الغرباء عنه بل بين أبناء الإسلام أولا، لأنهم أحق من غيرهم بتقديم ذلك التبشير!؟

لقد سألنى شخص غير مسلم هذا السؤال فتأنيت مفكراً ثم أجبت: كانت مهمة الإسلام فى العالم هى: «تجديد ميلاد الإنسان والزمان والمكان والأديان» وتطلع إلىَّ السائل كأنه يرقب منى تفصيلا لما أوجزت، وتحليلا لما ركزت، فقلت: نعم كان الإسلام تجديداً لميلاد الإنسان فقد كان الإنسان قبل الإسلام ميت الأحياء، لا يحس بكيانه ولا يؤمن بشأنه، وكيف يحيا وهو مسترق للجبارين من الرؤساء، مستذل لخسيس الرغبات والأهواء مستعبد لخرافات الوثنية والإشراك، تائه فى أوهام الأباطيل والضلالات، لا ينتفع بعقله لأنه مغلق معطل، ولا ينتفع بجسمه لأنه عليل محطم، ولا ينتفع لأنه غليظ محجب، فلما جاء الإسلام العظيم بهديه الحبيب ونوره العجيب أحيا الإنسان من مواته، ومكن له من الانتفاع بحياته، وكيف لا وقد جمله بالعلم الغزير النافع، والتقويم الجسدى السليم، والخلق المحمدى الكريم، ورفع شأنه فى الوجود فذكره بأنه خليفة الله فى أرضه، وأفضل المخلوقات عند ربه:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾

(الإسراء - ٧٠)

﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾

(التين: ١ - ٤)

﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾

(البلد: ٨ - ١٠)

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝٦ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾

(الانفطار: ٦ - ٨)

وبهذا التعليم والتقويم والتكريم خلق الإنسان على يد الإسلام خلقاً جديداً بدأت به الدنيا تاريخها من جديد!!

وكان الإسلام تجديداً لميلاد الزمان، فقد كان الزمان قبل الإسلام فى ضلالات الجاهلية وعمايات الإنسانية حملا ثقيلاً ينوء به كاهل الإنسان.

وكان الناس يضيقون بأعمارهم وتضيق بهم، فكل من الاثنين يبغى الفرار من صاحبه لو استطاع إلى ذلك سبيلا، وكان الزمان مسلطاً على أهله كأنه لا يتحرك ولا يتغير، فهو أشبه شىء بالكلكل الرابض على صدور أهليه لا يتخفف ولا يتلطف ولا يريم، وكثيراً ما كان الإنسان يضيق بهذا الزمان، فينفقه إنفاق السفهاء فى المآثم والمناكر والسيئات أو يتخلص منه بالغفلة السادرة أو الانتحار السريع أو التقاتل المبيد، فلما أشرق الإسلام المجيد بضوئه الساطع علم الناس أن للزمان حرمة، وأن للوقت كرامة، وأنه كسيف إن لم تقطعه قطعك، وأن أى يوم يمر من حياة الإنسان دون أن يستفيد فيه جديداً، أو يحصل فيه علماً مفيداً، أو يعمل فيه عملاً مجيداً، أو يدخر فيه عند ربه خيراً باقياً، فليس ذلك من عمره، بل هو نكبة تضاف إلى سيئاته، وثقل يلقى على أحماله وأعبائه، وأن المرء سيسأل بين يدى الحق تبارك وتعالى عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، فمن الواجب إذن على المرء كما ينادى الإسلام أن يأخذ من شبابه لهرمه، ومن صحته لمرضه، ومن حياته لموته، فما بعد الموت من مستعتب، وما بعد الموت من دار إلا الجنة أو النار:

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

(التوبة: ١٠٥)

وحينئذ انطلق الإنسان المسلم فى أنحاء الكون وأرجاء المعمورة عاملا ناصباً جاداً مجاهداً مجتهداً، قد شغلته فضائل الأعمال ومكارم الفعال وعظائم الأمور عن لهو الفراغ وباطل التضييع، وبذلك سعدت البشرية بعد شقاء، وعمرت الدنيا بعد خراب، وسمت البشرية بعد انحطاط، ورأينا موكب البشرية يتابع فتوحه فى كل ميدان.

ولقد كان الإسلام العظيم تجديداً لميلاد المكان ميلاداً تطهرت به الأرض التى بارك الله فيها وقدر أقواتها وأخرج منها ماءها ومرعاها، حتى أصبحت خليقة بأن يسرى فيها الصالحون والصديقون والشهداء.. فقد كانت أغلب بقاع الأرض قبل الإسلام الحنيف الطهور تفيض بالإثم وتنبت بالعهر، وتحتشد بالأصنام والأوثان والأزلام وتسيل بأنهار الخمر وجداول الدماء، وتستقل بحلقات الهيجاء والميسر والتفاخر الكاذب، ويتطاير عثيرها هنا وهناك ممزوجاً بالفحش والنكر، وتتمزق أرجاؤها كل حين بشرعة البغى والطغيان، فلا ملكية تحترم، ولا حقوق تصان، فلما جاء الإسلام أعاد ميلاد الأرض ميلاداً كريماً تحفه الطهارة والبراءة والصفاء، فإذا بوجه الأرض يشرف بجباه الساجدين، ويتطهر مرتوياً بدموع الخاشعين، وتهتز أرجاؤها بابتهال الراجين، وحلقات الذاكرين الذين تحفهم الملائكة وتغشاهم الرحمة وتنزل عليهم السكينة ويذكرهم الله فيمن عنده من أهل الملأ الأعلى.. وإذا بالإسلام يذكرنا بحرمة المكان فيتحدث عن البلد الحرام، وعن المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله، وإذا برسول الله يزكى هذه الأرض ويرتفع بشأنها

عن أدناس الناس وأوساخ البشرية، فيجعلها له ولأهله ولأتباعه مصلى ومسجداً، وليس وراء ذلك تشريف، فيقول صوات الله عليه وسلامه (جعلت لى الأرض مسجداً وترابها طهوراً) [1] وينص على أنها مصدر الخير والرزق والبركة حتى يكرمها الناس ويعنوا بشأنها ويرفعوا مقدارها ويحرصوا على تطهيرها، ما دامت مصدر نعمة ومحل بركة، فيقول الرسول (التمسوا الرزق فى خبايا الأرض) [2] ويذكر بحرمة هذه الأرض وخلوصها لمالكها، ويحذر من الاعتداء عليها أو الاستبداد بها أو سلبها من أهليها فيقول: (من أخذ من الأرض شيئاً بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين) [3].. وإذا بكل مسلم تقى ذكور يردد فى دعائه بشأن المكان الذى يقيم فيه هذه العبارة: اللهم واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين!

ولقد كان الإسلام العظيم تجديداً لميلاد الأديان، لا بمعنى أنه ناقضها أو أتى بسواها، فالدين الإلهى واحد منذ نزل:

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾

(آل عمران: ١٩)

وما كان نبى الإسلام محمد ﷺ يدعا من الرسل، وما كان إلا خاتم النبيين.. وإنما جدد الإسلام ميلاد الأديان بمعنى أنه أحياها من جديد وأعادها صحيحة سليمة إلى الوجود، فقد وصلت الأديان قبيل الإسلام إلى حالة مؤسفة من التحريف والتبديل، وبسط الأحبار والرهبان والكهان وأكلة الدنيا بالدين أيديهم الأثيمة الباغية فى كتب الله وتراث السماء وأمانات الأنبياء بما شاء لهم الهوى من التغيير والكتمان والحذف والافتراء، حتى لم يبق على وجه الأرض يومئذ دين سليم بعيد عن هذا التطاول فجاء الإسلام مصححاً ومتمماً ومكملاً، ولذلك نرى الحق تبارك وتعالى يمتن بذلك على عباده حيث يقول:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

(المائدة: ٣)

ويدعونا فى صراحة إلى الإيمان بما سبق من رسالات وما سلف من كتب فيقول:

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾

(البقرة: ٢٨٥)

(١) صحيح البخارى ج١، ص ٩١، ١٦٩.
(٢) كشف الخفاء ج١ ص ٢٠٣.
(٣) صحيح البخارى ج ٣ ص ١٧٦.

ولقد كان الإسلام الحنيف فى هذا الموقف الفاصل صريحاً رفيعاً سامياً، هدى الإنسان إلى طريق العبادة الحقة، وأرشده إلى ربه الأحد الأعلى الذى لا يحجبه عنه شئ، ولا يحيط به ستار، ولا يحتاج إلى وسيط أو شفيع، وليس له والد ولا ولد ولا صاحبة ولا قرين، ليس كمثله شئ وهو السميع البصير، وبذلك ثبت الإسلام إلى الأبد دعائم التوحيد الخالص الصافى الصحيح الذى لا لبس فيه ولا إبهام:

﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾

(البقرة: ٢٥٥)

يا أتباع محمد ﷺ..

هذا والله هو الإسلام الذى تدعو إليه، هذا والله هو الإسلام الذى يقرع أسماعنا الحديث عنه فى الصباح والمساء وفى كل زمان ومكان، هذا والله هو الإسلام الذى يلاقى رجاله الأحرار الصادقون المخلصون فى سبيل دعوته ونصرة فكرته وتطبيق شرعته ما يلاقون فى كل صقيع وفى كل فترة من عنت ورهق، ومع ذلك لم ييأسوا ولم يقنطوا، ولا يزالون يرجون ويأملون أن ترعوى الجماهير وأن تستجيب الناس لهدى الله الذى يخرج به الناس من الظلمات إلى النور، وكلما اشتدت حولهم دواعى اليأس ذكروا قول ربهم:

﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾

(يوسف: ١١٠)

وهذه هى رسالة الإسلام التى يجاهد المجاهدون منا لكى تسود الإنسان والزمان والمكان والأديان، فهل لى أن أسائلكم أين أنتم من صفوف جنديتها وخطوط جهادها.

أو ماذا قدمتم من أجلها وأجل نصرتها من مالكم أو عملكم أو كلامكم أو جهودكم؟ أو ماذا أقمتم من دعائمها وهياكلها حتى يحقق لكم الدخول فى حماها والانتساب إليها؟ أين أنتم من الشموع التى تحترق فى سبيل نصرتها وسيادتها؟.. أين أنتم من المصابيح التى يترنح سناها ويتراوح ذات اليمين وذات الشمال بفعل الأعاصير وتتابع النكبات؟ أسألكم بربكم أن تفكروا طويلا فى هذا وأن تحاسبوا أنفسكم حساباً عسيراً على هذا ولتتذكروا فى نهاية المطاف أننا قد عرفنا ما هو الإسلام وبقى علينا أن نكون مسلمين، وأن نحمل الناس على هذا الإسلام، واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم، سلوا ربكم التوفيق يستجب لكم!

محمـــود الشـــرقاوى كاتب ذو رسالة



للدكتور / أبى حسام

كانت الفترة الزمنية التى تلت رحيل الإمام محمد عبده -رضى الله عنه- مصدر قلق فكرى بين الشباب الأزهرى، إذ تطلع بعضهم وهم القلة القليلة إلى مستوى من التعليم الدينى يخالف النهج المعهود فى دراسات الأزهر مما عارضه الإمام وشن عليه النكير، على حين ظلت الأكثرية عاكفة على السنن المألوف مما حاربه الإمام، وظل هذا القلق قائما مدى الثلث الأول من القرن العشرين، حتى قام الإمام المراغى بإصلاحه المعروف فكان رجفة هائلة فى بناء راسخ أخذت تزلزله من القواعد، وممن ظهر من القلة القليلة التى عشقت نهج الإمام محمد عبده فى الإصلاح أساتذة كرام اشتهروا بالتوثب الفكرى فى ميدان النهوض الأزهرى نذكر منهم: محمود شلتوت ومحمود أبا العيون ومحمد عرفة ومصطفى القاياتى ومحمود الشرقاوى وهو الذى تعنيه فى هذه العجالة إنصافاً لمفكر أصيل قدم الرأى الناضج، وحمل الفكر المستنير وقد قرأت مقالاً قيماً للأستاذ الشرقاوى عن حياته الدراسية بالأزهر نشر بعدد يناير سنة ١٩٣٤ بمجلة المجلة الجديدة عقب تخرجه من الأزهر تحت عنوان «ثلاثة عشر عاماً فى الأزهر» بدأه بتحديد الزمن الذى قضاه فى التعليم بالأزهر مبتدئا من أيام سبتمبر ١٩١٨ ومنتهيا فى أغسطس سنة ١٩٣٢، وهى فترة من الزمن قال عنها: «إنها قطعة من كيانى وشخصيتى، وقد امتزجت منى باللحم والعصب» وما قاله عن هذه الفترة معروف مسلم به، وأحسن ما فيه أن الحرية فى التعليم بالأزهر كانت واسعة الحدود، إذ كان الطلاب يلتقون طائفة طائفة، بعضهم يقرأ الجرائد والمجلات، وقد استفاد من هذه الحرية إذ قرأ كثيراً من الكتب التى يريدها واتجه بالتفكير إلى أشياء لا يستطيعها من يأبون هذه الحرية! ومعنى هذا أن الطالب الأزهرى فى هذا العهد كان لا يقتصر على الكتب المقررة بل يمتد إلى قراءة ما يصدر من الصحف والكتب فى مدة حرجة

تلاطمت فيها التيارات الفكرية، وقامت المعارك حول الشعر الجاهلي والخلافة الإسلامية التى عصف بها أتاتورك عن طيش أرعن، وقضايا الحجاب والسفور، وحق الملك فى الحكم المقيد بالدستور، وكل ذلك مما تفيض به الصحف اليومية ويقرؤه الطالب النابه، بل يشارك بالرأى فى صحف سيارة كالسياسة والبلاغ الأسبوعى، بل إن هذه الحرية لم تمنعه أن يقرأ مجلة المقتطف فى أحد الدروس التى لا تتفق مع رغبته، وأن يقوم المدرس الغاضب بإلقاء المجلة فى الفضاء منكرا سلوك الطالب، حتى يأتى أستاذ مستنير فيشفع له.. عالماً أن الطالب لم يجد جدوى فى الاستماع فانصرف إلى أعرق مجلة علمية تحتل الصدارة فى عهدها الزاهر، وهكذا تكونت عقلية الطالب من قراءات غير محدودة بمنهج خاص، وخلص إلى الحياة عالماً ذا فكر، وباحثاً ذا اتجاه.

ومن الطريف أن أذكر أن الأستاذ الشرقاوى قد التحق بالمدرسة الابتدائية قبل التحاقه بالأزهر، فعرف نمطاً نظامياً من التعليم لم يجده حين التحق بالأزهر، وكان له أثره الواضح فى سلوكه الخاص بين زملائه الأزهريين، وهو شبيه فى ذلك بالأستاذ أحمد أمين، حين التحق بالأزهر بعد الدراسة المدنية بالمدارس الحكومية فقال عن نفسه: «كنت كالفرع قطع من شجرته، أو الغريب فى بلد غير بلدته، وتضرعت إلى أبى أن يعيدنى إلى مدرستى فلم يسمع، وأن يعفينى من العمة فلم يقبل، ولم يكن أمامى إلا أن أحتمل على مضض»(١)، وهذا الشعور الأليم الذى أحسه الأستاذ أحمد أمين قد أحسه الأستاذ الشرقاوى دون ريب، ولكنه لم يصرخ ولم يستغث كما صرخ الأستاذ، بل رضى بالواقع وكان مما خفف العبء عليه أن والده الأستاذ بالأزهر وأن زملاءه يحابونه رعاية لمكانة أبيه، وهو مالم يتح لغيره من المتألمين.

لم يتخرج محمود الشرقاوى حاملاً عالمية الأزهر ليكون مدرساً فى معهد أو إماماً فى مسجد أو واعظاً فى مركز ولكنه اختار لنفسه أفقاً واسعاً رحيباً يوازى آماله الأدبية، وطموحه العلمى، فآثر أن يطل على القراء من منابر الصحافة الراقية وفى مقدمتها مجلة الرسالة والمجلة الجديدة وجريدة البلاغ، كما آثر أن يجادل بالمنطق الحاسم أعلام الأدب فيما يشغل ذهنه من قضايا الفكر، فقد تعرض إلى مخالفة الأستاذ أحمد أمين فى مقاله عن التجديد فى الأدب حيث رأى الأستاذ أحمد أمين أن المعاجم اللغوية ذات ألفاظ كثيرة ليس لها قيمة إلا أنها أثرية تحفظ فيها كما تحفظ التحف فى دار الآثار، وأفاض فى هذا المعنى ضارباً الأمثلة الواضحة من مهجور اللغة، فقال الأستاذ محمود فى الرد عليه ما ملخصه: «إن هذه المعاجم تشمل ألفاظاً كثيرة لها قيمة عظيمة عند من يحسن الأداء بها فالبحث عن هذه الألفاظ واستعمالها يزيد من غير شك فى حيوية اللغة ونمائها، وأما ما ذكره الأستاذ أمين من

(١) حياتى للدكتور أحمد أمين، الطبعة الأولى ص: ٥.

إلغاء هذه الألفاظ لأن الذوق العام لا يستسيغ أكثرها الآن فأنا أظن أن درجة المعرفة التى يصل إليها جمهور القراء ليست كافية للاعتبار والحكم على اللغة والكاتبين، والكاتب النافذ البصيرة له أن يقدم لهذا الجمهور القارئ ما يرى أنه مفيد من الألفاظ للإبانة عما يريد من الإحساس، ولو كان الجمهور القارئ لا يعرف هذه الألفاظ أو لا يسيغها ذوقه، ولكن المهم أن يقتصر فى ذلك على الضرورى المفيد ولا يتعمد الإغراب.

وكلام الأستاذ محمود مقبول فى جملته ولكن الأستاذ أحمد أمين على حق حين ينكر استعمال الألفاظ الحوشية التى أشار إليها دون أن تضطر إلى ذكرها ولأضرب للأستاذ المثل بكاتب كبير من أدباء العصر الماضى أسرف إسرافاً لا طائل تحته فى استعمال هذه الألفاظ وهو السيد محمد توفيق البكرى فى كتابه الشهير «صهاريج اللؤلؤ» وكان معاصراً للأديب الكبير محمد المويلحى ويذكران معاً فى مجال النثر الفنى، فقد أقبل القراء المتخصصون «وليس العامة فقط» على كتاب حديث عيسى بن هاشم، وانصرف المتخصصون عن صهاريج اللؤلؤ وماذاك إلا لأن الغريب لم يعد يناسب طبيعة العصر، وقد احتاط الأستاذ الشرقاوى حين ذكر أن من المهم أن يقتصر الكاتب على الضرورى المفيد.

وفى المقال نفسه الذى تحدث فيه الأستاذ الشرقاوى عن التجديد فى الأدب أشار إلى

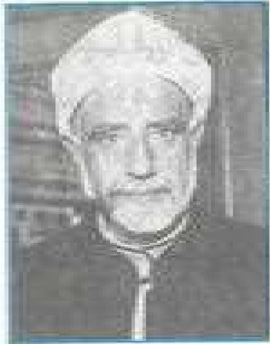


الزيات — احمد امين

محادثة جادة جرت بينه وبين كاتب من كبار كتابنا المتحمسين لتبسيط اللغة ولم يذكر الأستاذ اسمه ولكنى أذكر أنه الأستاذ سلامة موسى الذى يرى أن الألفاظ الموجودة فى القواميس هى مثل الزائدة الدودية فى جسم الإنسان، وقد رد عليه الأستاذ بأمثلة تؤدى أكثر من معنى بلفظ واحد، وأنا مع الأستاذ فى رده على الكاتب الذى قال عنه إنه الكاتب الكبير ولكنى أقول له إن محاوره لم يقرأ القواميس العربية حتى يعرف المهجور وغير المهجور وأن اعتبار الاختصار وحده ميزة الأسلوب قول لا يذهب إليه من يكتب النثر الأدبى لإشباع العاطفة وإمتاع الوجدان، بل يذهب إليه من يكتب الروشتة للدواء! وقد كرر الأستاذ سلامة موسى هذا القول فى أكثر من مقال حتى أمل، ومازال الإشباع العاطفى والإمتاع الوجدانى يستلزمان الإطناب الرقيق الذى يهز الأحاسيس، وأذكر أن الأستاذ الزيات قال فى هذه المناسبة ما معناه: إن من ينكرون نعمة الأسلوب المتدفق الحار يفخرون كل الفخر حين يعثرون على جملة راقية تنتمى إلى البيان الموفق فلم يحاربون الإسهاب البليغ؟! وللقارئ أن يرجع إلى مقال الأستاذ

الشرقاوى فى العدد التاسع من مجلة الرسالة الصادرة فى ١٥ مايو سنة ١٩٣٣، ليدرك كثيراً مما لم أذكره فى هذا النطاق خشية التطويل.

فإذا انتقلنا إلى الاستشهاد ببعض ما قاله الأستاذ الشرقاوى فى موضوع التجديد فى الدين بعدما تحدث عن التجديد فى الأدب فإننا نجد أن موضوع التجديد الدينى ظل شغلاً شاغلاً للأستاذ فى جميع أدوار حياته، وهو يضيف الجديد دائماً دون أن يكرر نفسه.. وإن كاتباً يشغل نفسه بالتجديد الدينى طيلة هذا المدى المتواصل لهو كاتب ذو رسالة يحرص على أدائها فى شتى المناسبات ومع أن بوارق التجديد قد لمعت فى زمن الإمام محمد عبده فإن اختفاءها السريع على أيدى الجامدين مدى يقرب من عشرين عاما، قد دعا تلاميذ الإمام إلى إعادة صيحاته الماضية. وكان جهد الإمام المراغى فى هذا النطاق حافزاً قوياً إلى الدعوة الملحة إلى التجديد الناجع، وقد شعر هؤلاء الدعاة أنهم فى حاجة إلى تنبيه الأذهان الغافلة إلى المضى فى التجديد، ومع أن الأمر واضح كل الوضوح فى ضرورته فإن الأستاذ محمود الشرقاوى قد أحس أن كثيراً من رجال الدين أساتذة وزملاء لايزالون فى حاجة إلى الصحوة التامة من إغفائهم الطويل، فأخذ يتحدث عن التجديد فى مقالاته الأولى وكأنه موضع التباس يتطلب الإيضاح، فأخذ يتحدث عن البديهى الواضح وكأنه مشكلة ذات غموض تتطلب الكشف المبين، ومن يقرأ حديثه منذ ثمانين عاماً فى هذا النطاق يدرك ما عاناه فى تبديد الظلمات المتراكمة فى عقول تتزعم القيادة العلمية وهى فى حقيقتها المؤلمة ملزمة بالاعتراف الشائن بتأخرها الموجع المحزن، وإلا فأى حاجة بعد جهد الإمامين محمد عبده ومصطفى المراغى إلى الحديث عن خلود الشريعة وصلاحيتها لكل عصر تتوالى أعوامه فى دورات الحياة؟ أى حاجة تدعو الأستاذ الشرقاوى إلى أن يتساءل قائلاً: فهل روح الإسلام وغايته العليا تعارض سير الحياة وتقدم العالم وتلزم البشرية بالوقوف عند حال واحد لا تتعداها إلا إذا تركت الدين واستعاضت عنه بأشياء مدنية لابد منها لاستكمال الحياة البشرية واطراد السير فيها والتطور من حال إلى حال؟ أما أنا فأجيب بأن الإسلام لا يتعارض بتاتاً مع سير البشرية وتحولها، وأنه دين لين واسع الأفق. نستطيع أن نوفق بين روحه وبين كل مظهر من مظاهر الحضارة، وأن نجد فى نصوصه ما يساير الأطوار المختلفة التى تتخطاها البشرية فى عصورها المتباينة» الرسالة العدد ٣٩: ٢/ ٤/ ١٩٣٤.



المراغى

وقد وجد نفسه بعد تحديد المراد من دعوته إلى التجديد السريع فى حاجة إلى الاستئناس ببعض الأقوال الجهيرة لأئمة الفقهاء والأصوليين فافتتح المقال بكلمة للإمام الشاطبى تؤيد منحاه التجديدى

وجعلها في الصدر تحت العنوان لتجذب الأنظار، وهي كما يلي: «إنا وجدنا الشارع قاصدا لصالح العباد، والأحكام العادية تدور معه حيث دار، فترى الشيء الواحد يمنع في حال لا تكون فيه مصلحة، فإذا كان فيه مصلحة جاز».

ثم ينقل عنه في غضون المقال الهادف مثل قوله: «المسكوت عنه من الشارع لا يقتضي مخالفته، ولا يفهم للشارع قصد دون ضده وخلافه فإذا كان كذلك رجعنا إلى النظر في وجوه المصالح فما وجدنا فيه مصلحة قبلناه إعمالاً للمصالح المرسلة، وما وجدنا فيه مفسدة تركناه إعمالاً للمصالح أيضا، وما لم نجد فيه هذا ولا هذا فهو كسائر المباحات إعمالاً للمصالح المرسلة أيضا»، ثم يتابع النصوص الشاطبية توضيحاً لنحاه الهادف إلى ضرورة التجديد، وهي نصوص يجب الوقوف عندها، والتمرس بمقدماتها ونتائجها، وأقول في صراحة: إن كتابي الاعتصام والموافقات للشاطبي لو درسا في علم الأصول بالأزهر وحلقات العلم في البلاد الإسلامية بدلاً من كتب الشروح والحواشي والتقارير ما ران الجمود على العالم الإسلامي في عصور التقليد!! وهذان الكتابان في حاجة إلى دراسات نقدية تضعهما الموضع الصحيح في جبهة القيادة الفكرية، وهما في انفساح آفاقهما التوجيهية أسهل تعبيرا وأسلس توضيحاً من كتب المتون والشروح والتقريرات.

وفي هذا المقال مع تلك النصوص أمثلة من اجتهادات عملية لعمر بن الخطاب كانت تطبيقاً عملياً لدعوة الإصلاح التشريعي، وقد ترددت هذه النصوص لدى دعاة التجديد اتباعا لنهج الشرقاوي في هذا المقال، وما وليه من كتب خاصة بالتقويم الفكري لقضايا التشريع.

وقد يتحول الكاتب الموضوعي إلى داعية إسلامي إذا اعتنق فكرة يريد أن يثبتها في الأذهان، وموضوع التجديد في الشريعة الإسلامية هو الموضوع الذي صار به الشرقاوي داعية يردد مغزاه في أكثر من مقال على ما يزيد عن ثلاثين عاما، وأنفس ما قرأت له في هذا النطاق مقال جيد نشره بمجلة الرسالة الجديدة في ١٩ سبتمبر سنة ١٩٦٣ تحت عنوان «الإسلام ومجتمعات الناس» يرد به على مستشرق أمريكي هو الأستاذ مورد بريجر، في بحث ذهب فيه إلى أن الشريعة الإسلامية لا تلائم قوانين العصر الراهن وهي فرية يرددها الأفاكون، والأستاذ الشرقاوي الكاتب أولاً والداعية ثانيا قد دحضها بما يملك من البراهين دون جهد ما فهو المبرز في هذا المجال.

على أن الحس الديني ظل متوهجا في آثار الشرقاوي الصحفية وإن بعد الموضوع ظاهرا عن المسائل الدينية، مثله في ذلك مثل الكرام من كتاب الأزهر الذين يأتلقون على صفحات الجرائد في مقالاتهم الاجتماعية مثل عبدالباقي سرور نعيم، ومحمد الههياوي ومحمود أبي العيون، وهكذا تغلب الثقافة الدينية النقية على مشاعر أصحابها، فيعرفون بسيماهم فيما يسطرون، لأن الأدب في مختلف كتبه لديهم وكذلك كتب التاريخ الإسلامي رافدان هامان للبراع الديني المثقف، وأضرب الشاهد على ذلك بما كتبه الأستاذ محمود الشرقاوي عن الحسبة في الإسلام حين أصدرت الحكومة المصرية قانون التسعيرة الجبرية أثناء الحرب العالمية الثانية وطالبت بتطبيقها الصارم في معاملات البيع والشراء، وحددت لكل سلعة سعراً خاصا، وكثر اللجاج في حل ذلك وحرمته من أناس تقف ثقافتهم المحدودة على كتب من التراث الفقهي لا تتسع لهذه الأحكام فكتب الأستاذ الشرقاوي بحثا موجزا بمجلة «الرسالة» يقرر فيه أن نظام التسعيرة ليس بدعا في الحضارة الجديدة وليس محاكاة للقانون الأوروبي في الدول الغربية بل هو من صميم التراث الإسلامي، ثم نقل عن «نفح الطيب» للمقري سطورا مضيئة يضيق المجال عن نقلها معقبا عليها بقوله [١]: «فهذه الفقرة التي كتبها المقري عن نظام الاحتساب في الأندلس تدلنا على أن المسلمين كان من نُظم حضارتهم ما تسميه بالتسعيرة الجبرية وأنهم كانوا يعاقبون من يطفف الناس أو يزيد عليهم سعر ما يبيعون».

وهذا التنويه المعجب بثقافة الأستاذ التاريخية والفقهية معا لا يمنعني أن أخالفه في بعض ما ينتهي إليه من آراء، فقد كتب مقالا [٢] تحت عنوان «الناحية الفنية في حياة الإمام مالك اعتمد فيه على بعض الروايات المدونة في كتاب الأغاني والتي تذهب إلى أن صاحب الموطأ كان يجيد الغناء، وأنه سمع بالليل مغنيا ينشد بعض الألحان إنشادا مخطئا فأطل عليه من النافذة وأفهمه في معرض التوبيخ ما وقع فيه من الخطأ وأصلح له اللحن ليغنيه على وجهه الصحيح، وذلك وأمثاله مما يروى في قصص ساذجة يظهر عليها الوضع لا يحسن أن يكون مجالا للإشادة والترحيب، وأذكر أني عالجت هذه الناحية في مقال نشرته بالجزء الأول من كتاب «الصراط المستقيم» قلت فيه من حديث طويل [٣]:

«إن الإمام مالكا في رأيه الفقهي ينهى عن الغناء، ويراه عيبا ترد به الجارية المشتراة إذا كانت مغنية على حين يرى الإمام الشافعي أن الغناء مكروه فقط، فكيف يمارس مالك الغناء، وهذا هو حكمه الفقهي عليه، وتلك فتواه».

إني أرحب بالفن الراقي وأنحو باللائمة على الفن المسف ولن يكون مالك حاذقا للغناء، وساعيا إلى إصلاح ألحانه وهو الذي يفتي بالنهي عن الغناء ويراه عيبا ترد به الجارية! وللأستاذ الشرقاوي وجهة نظره الخاصة به، وبمن ينحو منحاه، ولكن اختلاف الرأي يوجب التدقيق فيما يروى من هذه الأفاكيه.

«يتبع»

١ـ مجلة الرسالة «العدد» ٤١٧ من السنة التاسعة.

٢ ـ مجلة الرسالة «الجديدة» عدد ٥ ـ ٤ ـ ١٠٦ من السنة الحادية والعشرين.

٣ ـ الصراط المستقيم جـ ١، ص ١٦٦ للكاتب.

الشورى فى عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه

لفضيلة الشيخ/ عمر الديب

عضو مجمع البحوث الإسلامية

مكانة الشورى فى الحكم

الشورى هى أساس الحكم الصالح وهى السبيل للوصول إلى الحق ومعرفة الآراء الناضجة، أمر بها القرآن، وجعلها عنصرا من العناصر التى تقوم عليها الدولة الإسلامية ففى الكتاب الكريم سورة عرفت باسم سورة «الشورى» وقد سميت بذلك لأنها السورة الوحيدة التى قررت الشورى عنصرا من عناصر الشخصية الإيمانية الحقة ونظمتها فى عقد حباته طهارة القلب بالإيمان والتوكل، وطهارة الجوارح من الإثم والفواحش، ومراقبة الله بإقامة الصلاة، وحسن التضامن بالشورى والإنفاق فى سبيل الله ثم عنصر العزة بالانتصار على البغى والعدوان وذلك فى قوله ـ تعالى ـ فى تلك السورة:

﴿ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾

(الشورى: ٣٦ - ٣٩)

وقد نزلت تلك الآيات بعد أن أصيب المسلمون فى غزوة أحد بما أصيبوا، عندئذ أمر الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - بمشاورة أصحابه فيما يطرأ لهم من الشئون ربطا للقلوب وتقريرا لما يجب أن يكون بين المؤمنين من حسن التضامن فى سياسة الأمور وتدبير الشئون وذلك قوله ـ تعالى ـ فى سورة آل عمران:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾

(آل عمران: ١٥٩)

الشورى فى عهد النبى - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه

وقد كان النبى - صلى الله عليه وسلم - يشاور أصحابه فيما لم ينزل عليه فيه الوحى وكان فى بعض الأحيان يعدل عن رأيه ويأخذ برأى أصحابه، وقد حدث أنه أخذ برأيه ورأى أبى بكر فى حادثة أسرى بدر ورفض العمل برأى عمر بن الخطاب ومن وافقه، فنزلت فى ذلك آيات شديدة العتب على النبى - صلى الله عليه وسلم - فى أنه لم يأخذ برأى الآخرين وقد كان هو الأوفق بحالتهم فى هذا الوقت:

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧) لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

(الأنفال: ٦٧، ٦٨)

ومن هنا كانت الشورى أصلا فى إدارة الشئون الجماعية وكان تحرى الحق أو الموافقة فى المصلحة من ألزم الواجبات على صاحب الأمر وقد درج على ذلك أصحاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - بعده فكان أبوبكر يستشير الصحابة فيما يعرض له من شئون الجماعة وكان يأخذ برأى غيره متى بدت آيات الحق فيه وكان عمر يجمع الصحابة فى عهده وكان يمنعهم من الخروج من المدينة لمكان حاجته إلى استشارتهم وكان الأساس فى الاستشارة كفالة الحرية التامة فى إبداء الآراء ما لم تمس أصلا من أصول العقيدة أو العبادة، ولم يضع القرآن ولا الرسول للشورى نظاما خاصا وإنما هو النظام الفطرى يجمع النبى أو الخليفة من بعده أصحابه ويطرح عليهم المسألة ويبدون آراءهم فيها ومتى أجمعوا على رأى أو ترجح عندهم رأى عن طريق الأغلبية أو عن طريق قوة البرهان أخذ به، وإنما ترك هذا الجانب من غير أن يوضع له نظام خاص لأنه من الشئون التى تتغير فيها وجهة النظر بتغير الأجيال والأزمان والتقدم البشرى فلو وضع نظام فى ذلك العهد لاتخذ أصلا لا يحيد عنه من يجيء بعدهم ويكون فى ذلك التضييق كل التضييق عليهم ألا يجاروا غيرهم فى نظام الشورى، فالشورى من الأمور والأنظمة التى تركت نظمها دون تحديد أو تقييد رحمة بالناس غير نسيان توسعة عليهم وتمكينا لهم من اختيار ما يتاح للعقول وتدركه البشرية الناضجة، ومادام المقصود هو أصل المشورة والوصول بها إلى قوانين التنظيم العادل التى تجمع الأمة ولا تفرقها والتى تعمر وتبنى ولا تخرب وتهدم فالأمر فى الوسيلة سهل ميسور.

الشورى تمنع الاستبداد

لما قرر القرآن الكريم مبدأ الشورى قضى بذلك على عدو الإنسانية الفاضلة ومفسد حياة الأفراد والجماعة وهو الاستبداد بالحكم والرأى واحتكار التشريع والتصريف والإدارة وحقق للفرد كرامته وعزته وللجماعة الإنسانية حقها الطبيعى فى تدبير شئونها، والقرآن لا يريد من الشورى حين يضعها بين

عنصرى الصلاة والإنفاق فى سبيل الله، لا يريد هذه الصورة الهزلية التى ألفناها فى الماضى وتواضع أرباب البغى والاحتكار عليها واتخاذها ستارا يخفون به طغيانهم النفسى فى إرادة سلب الحقوق، وإنما يريدها حقيقة نقية فى واقعها كما يريد من الصلاة والإنفاق حقيقتهما المحققة لأثرهما، الخالصة مما يكدر صفوها وهكذا فإن الشورى تحقق للإنسان ذاته وكرامته وحياته فى عزة وأنفة لا يكدر ذلك طغيان ولا استبداد بل يظلله العدل والسلام النفسى.

الشورى الزائفة

وإن مما يسمى بالشورى لا قيمة له عند الله، إذ أن الإسلام الذى يحكم بالبرهان والمنطق الإنسانى السليم فى عقائده وشرائعه وينعى على التقليد والمقلدين وعلى اتخاذ الهوى إلها يمتثل أمره، لا يمكن أن يهمل من أصول الحكم ذلكم المبدأ الطبيعى فى الحياة وهو الشورى، كما لا يمكن أن يريده حين يضعه من الصفات الحميدة الاختيارية يقصد بها مجرد تأليف القلوب وعلاج النفوس دون العمل به كما يذهب لذلك صنائع الملوك المستبدين، ولا أن يريده صورة مفتعلة يبرو بها أرباب الطغيان طغيانهم، وإنما يريده أمرا ثابتا مقررا مأمورا به هو حق للأمة لابد لها أن تطالب به وواجب عليها الحفاظ عليه تأثم جميعها بتركه، هذه الحقيقة لها أثرها العملى فى الحكم وسياسة الجماعة، وإذن فالشورى التى تنسج خيوطها بكثرة العدد أو عن طريق الإغراء والإرهاب لا قيمة لها عند الله، والشورى التى لا يجد المخلصون فى جوها متنفسا يكشفون فيه عن عبث العابثين وفساد المفسدين لا قيمة لها عند الله والشورى التى يلبس المنافقون فى جوها مسوح الصدق والإخلاص ويكتمون عن الحاكم المخلص بذور الشر والفساد، ولا قيمة لها عند الله.

الشورى وأولو الأمر

لقد وضع الإسلام مبدأ الشورى وعمل به النبى فى حياته والخليفتان من بعده وكان له فى صدر الإسلام شأن تجلى به سمو الإسلام فى تقرير حق الإنسان، وكان الأساس فيه الحرية التامة فى إبداء الرأى من أهل الرأى ما لم يمس أصلا من أصول العقيدة أو العبادة، وقد جاء فى بيان المصادر التى يجب على المؤمنين اتباع الأحكام والنظم والأوامر الصادرة عنها قوله تعالى فى سورة النساء:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾

(النساء: ٥٩)

وإذا كانت طاعة الله هى العمل بما تضمنه كتابه الواضح الذى لا يحتمل الرأى وكانت طاعة الرسول هى العمل بما تضمنته أقواله التشريعية العامة الموثوق بنسبتها إليه كان أولو الأمر هم أهل النظر الذين عرفوا فى الأمة بكمال الاختصاص فى بحث الشئون وإدراك المصالح والغيرة عليها وكانت طاعتهم هى الأخذ بما يتفقون عليه فى المسألة ذات النظر والاجتهاد أو بما يترجح فيها عن طريق الأغلبية أو قوة البرهان وليس من شك أن شئون الأمة متعددة بتعدد عناصر الحياة وأن الله قد وزع الاستعداد الإدراكى على الأفراد حسب تنوع الشئون وصار لكل شأن بهذا التوزيع رجال هم أهل معرفته ومعرفة ما يجب أن يكون عليه، ففى الأمة جانب القوة التى تحمى حماها والتى تحفظ أمنها الداخلى، وفى الأمة جانب القضاء وفض المنازعات وحسم الخصومات وفيها جانب المال والاقتصاد، وفيها جانب السياسة الخارجية، وفيها غير ذلك من الجوانب ولكل جانب رجال عرفوا فيه بنضج الآراء وعظيم الآثار وطول الخبرة والمران، وهؤلاء الرجال هم أولوا الأمر من الأمة وهم الذين يجب على الأمة أن تعرفهم بآثارهم وتمنحهم ثقتها وتنيبهم عنها فى نظمها وتشريعها والهيمنة على حياتها وهم الوسيلة الدائمة فى نظر الإسلام لمعرفة ما تسوس به الأمة أمورها مما لم يرد من المصادر السماوية الحاسمة، وأخيرا هم أهل الإجماع الذين يكون اتفاقهم حجة يجب النزول عليها والعمل بمقتضاها مادام الشأن هو الشأن والمصلحة هى المصلحة حتى إذا ما تبدل الشأن وتغير وجه المصلحة بتغير المقتضيات المتعلقة بموضوع النظر، كان عليهم أو على من يخلفهم إعادة النظر على ضوء ما جد من ظروف ومقتضيات، وحل الاتفاق اللاحق محل الاتفاق السابق وكانت الأمة فى الحالين خاضعة لما أمرها الله بطاعته، فقد أقام من رحمته رأى أولى الأمر فيما ترك التشريع العينى فيه فقام تشريع كتابه وتشريع رسوله فيما وردا فيه وسوى بين الثلاثة كل فى دائرته فى عموم وجوب الطاعة والامتثال.

والخلاصة أنه ليس أولو الأمر الذين أمر المؤمنون بوجوب طاعتهم هم الأمراء والحكام كيفما كان شأنهم ولكن هم أهل الاختصاص كل فيما يخصه من الشئون العامة كشئون السلم والحرب والزراعة والتجارة والصناعة والإدارة والسياسة، وذلك كله فى إطار ما رسم القرآن من قواعد تشريعية أو تشريعات جزئية وفى هذا سعادة للأمة وارتقاء بها نحو التقدم والأمن والسلام الاجتماعى والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل.

ظاهرة الإعراض عن القراءة النافعة
المظاهر - الأسباب - الآثار - العلاج

للأستاذ أحمد نصيب علي حسين

إن القراءة هي إحدى الوسائل المهمة لاكتساب العلوم المختلفة، والاستفادة من منجزات المتقدمين والمتأخرين وخبراتهم، وهي أمر حيوي يصعب الاستغناء عنه لمن يريد التعلم، وحاجة ملحة لا تقل أهمية عن الحاجة إلى الطعام والشراب، ولا تقدم للأفراد فضلاً عن الأمم والحضارات بدون القراءة، فبالقراءة تحيا العقول ويستقيم الفكر. والقراء المنهجيون هم في الغالب النخبة المتميزة، والصفوة المؤثرة في التكوين الفكري والبناء الثقافي المعرفي للأمم وللقراءة أهمية بالغة في بناء الثقافة وهي الصلة بين الإنسان وبين المعارف والعلوم قديمها وحديثها، وهي الوسيلة الأساسية في ملء الفراغ وإشباع الميول والرغبات الثقافية ومازالت القراءة أهم وسيلة موثقة لنقل المعلومات في عصرنا المليء بالوسائل الإعلامية التقنية المتقدمة، إذ التلفاز والمذياع وما يشابههما لا يستطيعان بناء الثقافة المتنوعة الهادفة لطالب العلم الجاد، ولكنهما يشاركان الكتاب في ذلك بلا شك.

وكانت لكتب العلم مكانة عظيمة في نفوس العلماء، فهي جليسهم الذي لا يُمل، ورفيقهم في السفر، ومائدتهم في الجلسات، وأنيسهم في الخلوات، وكانوا ينفقون في تحصيل الكتب الأموال الطائلة وربما أنفق بعضهم ما يملك في ذلك، وبلغ من اهتمامهم بالكتب أنهم ألفوا تآليف خاصة ذات فصول وأبواب من آداب طالب العلم مع كتابه، وكيفية النسخ، والحث على الجيد من الورق، وصفة القلم الذي يكتب به.. وغير ذلك من الآداب.

ومع هذه الأهمية الكبيرة للقراءة ومصاحبة الكتاب، مازال الإعراض عن القراءة هو السمة الغالبة في بلادنا الإسلامية «فمن المظاهر التي تسترعي الانتباه وتثير التساؤل العريض ما نراه من ضعف الإقبال على القراءة والمطالعة، وما نشهده من زهد بهما لدى الجمهرة الكبرى من

الناس في مختلف سني العمر».

ومن عجائب الإحصاء أن متوسط اقتناء كل ألف نسمة في العالم العربي لا يتجاوز عشرين كتاباً، ويقل ذلك كثيراً عن نظيره في العالم حيث متوسط الاقتناء العالمي يزيد على أربعين كتاباً.

وفي دراسات قديمة جاء فيها أن متوسط قراءة الإنسان العربي ٦ دقائق كل يوم وللأوروبي ٣٨ دقيقة، والوضع لم يتغير كثيراً.

يقول المفكر الإسلامي الدكتور عبدالكريم بكار: «والغريب في الأمر أننا لم نقم ببذل الجهد الأدنى من الجهد المطلوب والممكن لمعالجة مشكلة الإعراض الجماعي، للشباب عن القراءة ومصاحبة الكتاب» ويضيف الدكتور بكار قائلاً: إنني أعتقد أن هذه المشكلة لا تقل في خطورتها عن مشكلة البطالة، أو التدخين، أو المخدرات، أو الطلاق، وإنما أقول هذا القول للاعتبارات الآتية:

١- لا يمكن فهم مرامي الإسلام الحضارية والتفاعل مع أطره ومفاهيمه من غير علم جيد وخلفية ثقافية راقية، وهذا يفسر انبعاث الصحوة الإسلامية في المدن والمراكز الحضارية دون البوادي والأرياف على نحو أساسي.

٢- يشكل العلم اليوم المدخل الوحيد للتقدم التقني، والذي من جهته يشكل الطريق إلى امتلاك المال والقوة والمنعة وأمتنا في حاجة ماسة إلى هذا اليوم.

٣- العلم يغير نوعية الحياة، ويهذب النفوس، ويجعل تربية الأبناء والتعامل مع الناس أقرب إلى السواء، وهو إن كان لا يؤدي إلى التدين والالتزام على نحو مباشر إلا انه يولد حساسيات خاصة من شأنها الحث على البحث عن المصير الإنساني وعن المثل والقيم الرفيعة.

ولأهمية هذا الموضوع، أردت أن ألقي الضوء عليه في هذا البحث، لعله يكون سبباً لتنبيه الأمة لخطر هذه الظاهرة، وطريقاً لعلاجها، وتشجيعاً على القراءة لتعود الأمة إلى ماضيها الزاهر.

أولاً: مظاهر الإعراض عن القراءة النافعة

١- الاعراض عن القراءة بعد نهاية الدراسة:
«يخطيء شبابنا المتعلم عندما يظن أن أيام الدراسة هي مرحلة القراءة والاطلاع فقط، إننا عندما نقطع أكبر مرحلة دراسية لا نكون قد قبضنا على زمام الحياة، بل نكون قد بنينا أساساً صلباً يمكن أن نثبت عليه أقدامنا لنسير في الحياة نحو الكمال حتى الشوط الأخير فيها ولا يمكننا أن نساير روح العصر الذي نعيش فيه مرحلة عمرنا إلا بالقراءة المستمرة والوقوف على أسرار الحياة المختلفة.

٢- الإعراض عن القراءة الجادة مع اقتناء الكتب «القراءة غير المنتظمة»: هؤلاء القراء «يقبلون على الكتاب ويولعون بالقراءة إلا أنهم يوصفون بالقراء الكسالى» فهم يقرأون بشكل واسع، ولكن ليس بشكل جيد وفعال، ويقرأون دون القدر الكافي من الانتباه والاستقراء، ولا يبذلك القسط الوافر من التركيز والاستغراق من التفكير المطلوب للفهم الصحيح والكامل، وإنهم كما يدعوهم ألكسندر بوب «الحمقى جاهلو القراءة» أو «ضاحلو الثقافة» كما يسميهم اليونانيون، ويشير رونالد بار إلى هذا النوع من القراء بقوله «قد يتنازلون مقلبين صفحات المزيد من الكتب، لكن ما يفعلونه في كل سنة أقل شبهاً بالقراءة إنهم أموات في عالم الأحياء لا في عالم التراب».

وقيدت القراءة بالنافعة، حتى أشير إلى أن كل قراءة ليست دائماً تكون نافعة، بل تكون غير منظمة أو غير نافعة، إن لم تكن جادة ومنظمة ومستمرة.

٣- الإعراض عن القراءة فى مجال التخصص: فالعلوم دائماً تتقدم، وهذا يتطلب من المتخصصين المداومة على الاطلاع والقراءة، فالمرء عندما يشعر بالاكتفاء بما لديه من معلومات سيضع نفسه على شفا الانحطاط، وإذا كان متخصصاً فإن أمواج القفزات العلمية فى تخصصه، ستقذف به نحو الشاطىء.

٤- الإعراض عن قراءة الواقع: هناك عجز فى المعرفة بالحاضر المعيشى والواقع المعاصر، وهناك جهل بالآخرين نقع فيه بين التهويل والتهوين، مع أن الآخرين يعرفون عنا كل شيء، وقد كشفونا حتى النخاع.

ثانياً: أسباب الإعراض عن القراءة النافعة

لاشك أن للإعراض عن القراءة عدة أسباب نذكر منها ما يلى:

١- عدم تنظيم الوقت.

٢- عدم اعتياد شغل الفراغ بالقراءة.

٣- ضعف اللغة العربية عند كثير من الشباب مما يصرفهم عن قراءة الكتب، خاصة التراثية منها، ويجعل تذوقهم لجمال ما يقرأون ضعيفاً لا قيمة له ولا أثر له فى النفس.

٤- تفشى الأمية فى الوطن العربى.

٥- إخفاق المناهج الدراسية فى تشجيع النشء على القراءة والاطلاع بسبب فقدان التنظيم المبرمج للكتاب المدرسى على أسس عصرية مبسطة وشائقة باستبدال روائع الفكر والأدب بكتابات سطحية تقتل فى التلميذ روح الرغبة للمعرفة بدعوى إذابة الحدود بين الثقافة العليا والثقافة الشعبية.

٦- ظهور الوسائل الاعلامية الحديثة من تلفاز وفضائيات التى استهلكت حيزاً كبيراً من وقت الناس، وأسهمت بشكل كبير فى إقصاء الكتاب عن عالمنا العربى.

٧- ارتفاع أسعار الكتب.

٨- عدم تعويد الأطفال على القراءة منذ الصغر.

يقول أحد الكتاب: إن مشكلة العزوف عن القراءة تعود فى رأيى إلى تكويننا الثقافى منذ الطفولة، فأكثر أطفالنا لا يتعاملون فى بيوتهم مع الكتاب أو المجلة أو الجريدة، وقليلون هم الأباء الذين يصطحبون أطفالهم أو أولادهم إلى المكتبات ليختاروا لهم الكتب الجميلة أو المفيدة.

ثالثاً: الآثار السلبية للإعراض عن القراءة

١- ضعف الثقافة لدى الأمة منذر بمزيد من التأخر فى مجال العلوم والنتيجة المباشرة لذلك هى تقادم ما يحوزتنا من معارف.

٢- تفشى البدع والخرافات وغير ذلك مما يخالف الشرع فى المجتمع: «إن شيوع الأمية الأبجدية والحضارية قد جلب على أمة الإسلام مشكلات هى أكبر مما نظن وليس ذلك على صعيد المعيشة والإنتاج فحسب، وإنما على صعيد فهم الإسلام ايضا، فالإسلام بما أنه بنية حضارية راقية لا يتجلى على نحو كامل إلا عبر تجربة معرفية وحضارية رائدة، مما يعني أن التخلف الذى نعانى منه قد حال بيننا وبين رؤية المنهج الربانى على النحو المطلوب.

٣- ضعف الوعى لدى عامة الناس، سواء كان فى الجانب التربوى أو الصحى أو الدينى.. وهذا الضعف يؤدى إلى وقوع المشكلات فى وقت الأزمات، فالسطحية والارتجالية التى يعانى منها الكثير لا تؤهلهم للتعامل مع الأزمات.

٤- ضيق الأفق وهذا يأتى نتيجة بديهية لقلة المعارف، وهذا يظهر جليا فى المناقشات التى تكون فى المسائل التى يسوغ فيها الخلاف، فيظهر فيها سوء الأدب وعدم اعتذار المخالف.

٥- السطحية فى المعرفة والمعلومات، ويرجع ذلك لتلقى المعلومات والمعرفة بطريقة شفوية، أو عن طريق وسائل الإعلام الأخرى، لأن المعرفة المتعمقة لا ينازع الكتاب فيها وسيلة إعلامية أخرى، أما «وسائل الإعلام فهى تقدم معلومات سطحية قلما تتصل بالحاجة المعرفية».

رابعاً: العلاج: الأسباب التى ذكرناها يمكن معالجتها بعون الله- عز وجل- أما ارتفاع الأسعار فيمكن معالجته عن طريق توفير جزء يسير من الميزانية الشهرية لشراء كتاب صغير أو مجلة نافعة كل شهر، وإنما السبيل، أو تحميل الكتب الإلكترونية عن طريق الإنترنت، وأما عدم التعود على القراءة فيمكن معالجة ذلك بمجاهدة النفس بقراءة كل يوم ولو ربع ساعة وبذلك ستصبح القراءة عادة يومية كالأكل والشراب، وأما ضيق الوقت فعن طريق استغلال الفراغات البينية وأوقات الانتظار سيقرأ المرء عشرات الكتب وإليكم بعض المقترحات الأخرى لعلاج هذه الظاهرة.

١- تعويد الأطفال على القراءة منذ الصغر، عن طريق توفير بعض مجلات الأطفال النافعة، أو ذات التوجه الإسلامى، أو شراء بعض القصص السهلة ذات الألوان الزاهية، والصور المعبرة.

٢- تقديم العلوم والمعارف لجميع فئات المجتمع بطريقة سهلة وميسرة.

٣- الاهتمام بإنشاء المكتبات العامة وتنويع كتبها لتناسب جميع الفئات، وتيسير طرق الاستعارة منها.

٤- الاهتمام بنشر سير القراء الكبار مثل الجاحظ وابن الجوزى وابن تيمية والعقاد والطنطاوى، وإيضاح أثر سعة الاطلاع فى تحصيلهم للعلوم ووصولهم لقمة المجد والشرف، ولا شك أن هذه السير لها أثر كبير فى شحذ الهمم وتقوية العزائم نحو القراءة ومطالعة الكتب.

٥- الاهتمام بتوعية المجتمع بأهمية القراءة، وأثرها فى تنمية المواهب وزيادة المعارف وصقل التجارب، وتوسيع الأفق.

٦- طباعة الكتب المهمة بتكلفة منخفضة ليسهل اقتناؤها.

٧- تعميم الأندية الرياضية التى تدعمها الحكومات، مع وضع برامج خاصة لمسابقات القراءة والحفظ وتلخيص الكتب واستظهار المعلومات وتطبيق نظام خاص لجوائز المتفوقين.

الخاتمة

فى نهاية البحث أتمنى أن أكون قدمت بعض التنبيهات بهذه الظاهرة، لعلها تكون فاتحة خير للاهتمام بمعالجة هذا الموضوع والتشجيع على القراءة ومصاحبة الكتاب... هذا وبالله التوفيق.

إسرائيل تعلن الحرب على الأمة الإسلامية

بين الصحف و المجلات

إعداد

أ/ محمد جمعة

أ/ علا عبدالرحمن

ضم الحرم الإبراهيمى للتراث اليهودى خطوة إسرائيل الأخطر.. لتهويد المقدسات الإسلامية

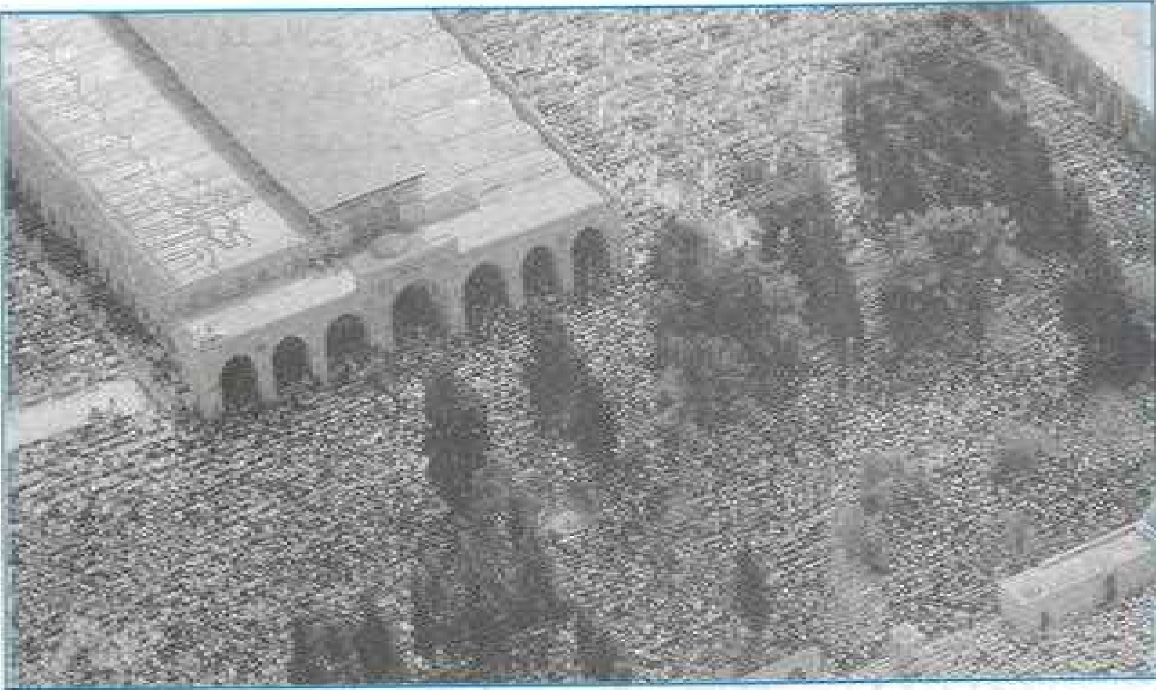
تحت هذا العنوان جاءت كلمة الأستاذة/ هالة فؤاد المنشورة فى مجلة آخر ساعة الصادرة بتاريخ ٢٠١٠/٣/٣م:

بضم الحرم الإبراهيمى ومسجد بلال بن رباح إلى التراث اليهودى المزعوم تكون إسرائيل قد نجحت فى تنفيذ الخطوة الأخطر فى مخططها الرامى لتهويد القدس.

ولم تعد تبعد كثيرا عن تحقيق هدفها الأهم بهدم المسجد الأقصى وإقامة هيكل سليمان على أنقاضه وهو ما يدعو ليقظة عربية إسلامية تقف بحزام لردع المخططات الإجرامية للدولة العبرية بعيدا عن تصريحات الشجب والإدانة والتنديد التى لاتجدى مع دولة احترفت اغتصاب الأرض وتحاول تزوير ملكيتها بسرقة التراث.

لاتتحرك إسرائيل فجأة لكنها تفضل دائما سياسة النفس الطويل وتنفيذ مخططاتها الإجرامية بالتدريج.. ويأتى قرار ضمها للحرم الإبراهيمى ومسجد بلال بن رباح فى إطار خطة خماسية لتهويد المعالم الأثرية الفلسطينية ودمجها بطابع يهودى وتشمل إقامة مشاريع تراثية مرتبطة بالتاريخ اليهودى وتضم إقامة نصب تذكارية ومتاحف صغيرة ومسارات للمشاة ومواقع أثرية ومراكز معلومات وترميم مواقع قائمة.

والخطة التى ترمى فى النهاية إلى تهويد القدس بدأتها الدولة العبرية منذ فترة طويلة، وكان الحرم الإبراهيمى هدفا منذ أمد بعيد لها طبقا لما رصدته وزارة الإعلام



المسجد الأقصى وقت أن كان عامرا بالمصلين المسلمين

الفلسطينية.

ففى نفس العام أيضا وبالتحديد فى شهر سبتمبر أقيمت صلاة يهودية فى الحرم، بعدها بعامين تم إدخال كلاب وأدوات عبادة يهودية إلى المسجد، ولم تكتف إسرائيل بذلك بل حظرت على المسلمين دخول بعض المناطق بالحرم وخصصتها لليهود فقط حدث ذلك فى شهر نوفمبر ١٩٧٢.. لتفرض بعد ذلك عام ١٩٨٠ برنامجا يحدد فترات زمنية معينة لصلاة المسلمين.

ويبدو أن هذه الخطوات الإجرامية لم تشبع أطماع الدولة العبرية فجاء الاعتداء السافر على المسجد عام ١٩٨٩ وقام البعض بتمزيق المصاحف الموجودة به.

بعد الاعتداء والحظر والسرقة جاء الاحتلال فأنشأت إسرائيل مدرسة يهودية فى أحد أجزاء الحرم.

واستمرت الجرائم الإسرائيلية وتعدياتها على الحرم الإبراهيمى ليصل إلى ذروته بعد المجزرة التى قام بها اليهودى المتطرف جولد شتاين فى الخامس والعشرين من شهر فبراير لعام ١٩٩٤ عندما استهدف عشرات المصلين فى شهر رمضان ويبدو أن جريمته حولته إلى بطل فى عيون الساسة الإسرائيليين فجاء قرار ضم الحرم الإبراهيمى فى الذكرى السادسة عشرة للمجزرة.

ومثلما تعرض الحرم الإبراهيمى للاعتداءات لم يسلم مسجد بلال بن رباح أيضا منها، فتحت زعم أن المسجد أقيم على قبر يعتقد أنه للسيدة راحيل زوجة

سيدنا يعقوب عليه السلام، بالرغم من تأكيد الروايات التاريخية بأن المسجد مقام على أوقاف إسلامية وبجانبه توجد مقبرة إسلامية في مدينة بيت لحم وهو ما أكده كثير من المؤرخين والرحالة الذين زاروا فلسطين قبل التغيرات الجوهرية.

أهم هذه التغيرات وقعت عام ٦٧ عندما حولت إسرائيل الموقع الذي يقع فيه المسجد إلى مستعمرة عسكرية والمصلى جعلته كنيسا يهوديا، وأصبحت هذه المستعمرة وسيلة لترويع الأطفال والشباب.

وأخيرا يأتي قرار ضم المسجد والحرم الإبراهيمي تتويجا لمسيرة طويلة من محاولات الاستيلاء والتي تشمل الكثير من المقدسات الدينية بهدف تزييف التاريخ وتهويد الأرض.

> خطورة الحدث دفعت البعض بالتنبؤ بتصاعد المواجهات ووقوع ما يمكن أن نطلق عليه انتفاضة ثالثة إلا أن الكاتب الفلسطيني عبد القادر ياسين يستبعد ذلك رغم تأكيده على أن خطوة ضم الحرم الإبراهيمي ومسجد بلال تمثل قفزة نوعية إسرائيلية تجاه هدفها الأكبر وهو هدم المسجد الأقصى، إلا أن رد فعل الشعب الفلسطيني لن يصل لحد الانتفاضة في ظل الظروف الصعبة التي يعاني منها فهو مثقل بآلاف الشهداء، وعشرات الآلاف من الأرامل والأيتام والمعاقين ومخنوق بالحصار المحكم حوله والذي يجعله في أمس الحاجة لتضميد جراحه مما يكبله عن الانطلاق في انتفاضة أخرى.

ولا يتوقع أيضا أن ينتفض العالم العربي والإسلامي مثلما لم يفعل بعد كل جريمة قامت بها إسرائيل من استيلاء وعدوان على أكثر من ألف ومائة مسجد في فلسطين حولتها إلى كباريهات واسطبلات وبارات وأندية قمار.

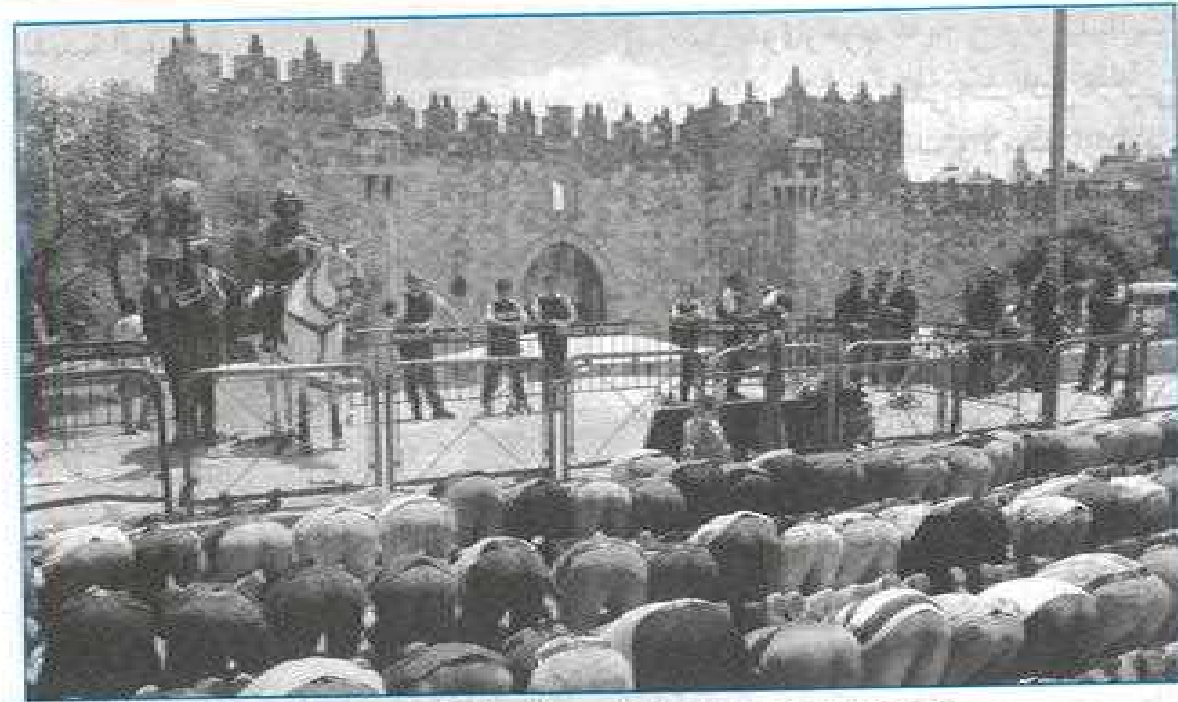
ويأتي ضم الحرم الإبراهيمي ومسجد بلال بمثابة بالون اختبار أو بروفة أخيرة للإجهاز على المسجد الأقصى.

هذه الجريمة التي ترتكبها الآن الدولة العبرية تأتي بعد فشلها طوال سنوات طويلة من العثور على أي شاهد أثري يثبت حق اليهود أو حتى مجرد وجود لهم على هذه الأرض. فلجأوا إلى التزييف والتزوير والتحايل بضم مواقع أثرية فلسطينية على قائمة تراثهم اليهودي المزعوم.

والتهاون في ملف القدس يفتح الباب بسهولة أمام المخططات الإسرائيلية ولن نتعجب كثيرا إذا ما طالبت في مرحلة لاحقة وهو مايتوقعه أستاذ الآثار الإسلامية أن تطالب بحقها في مناطق بني قينقاع وبني النضير بالملكة السعودية، بعد أن تكرر سيناريو ضم الحرم الإبراهيمي وتستكمله بهدم الأقصى، لتتحول بعد ذلك أيضا إلى الكنيسة القبطية ببيت المقدس وتخضعها لسيطرتها وتفصلها عن الكنيسة المصرية.

ويقع الحرم الإبراهيمي بوسط مدينة الخليل جنوب الضفة الغربية ويعد ثاني أهم معلم إسلامي في فلسطين بعد المسجد الأقصى، ويحيط به سور كبير يرجح أن أساساته بنيت في عصر هيرودوس الأدموي قبل حوالي ألف عام قبل الميلاد وتوجد داخل المسجد قباب مغطاة تشير بعض المصادر التاريخية إلى أنها قبور للأنبياء إبراهيم، وزوجته سارة، وإسحق، وإسماعيل، ويعقوب، ويوسف، وزوجاتهم.

وظل الحرم الإبراهيمي إسلاميا حتى عام ٦٧ بعدما وضعت سلطات الاحتلال العلم الإسرائيلي عليه وإن بقي مسجدا إسلاميا حتى وقوع مجزرة الحرم الأبراهيمي عام ٩٤، حيث قام المتطرف اليهودي جولدشتاين بمذبحة راح ضحيتها ٢٩ من المصلين في شهر رمضان، وعلى إثرها تشكلت لجنة تحقيق أسفرت عن أول قرار بتقسيم مسجد إسلامي إلى كنيس يهودي ومسجد ووضعت بداخله بوابة الكترونية وفرضت قيوداً على دخول المسلمين اليه.


امام فوهات البنادق يصلي المسلمون خارج اسوار المسجد الاقصى

استنكار دولي لمخطط إسرائيلي لتهويد الحرم الإبراهيمي

تحت هذا العنوان كتب الدكتور/ رضا شتا في مجلة آخر ساعة الصادرة في ٢٠١٠م يقول:

فاجأتنا إسرائيل الأسبوع الماضي كما فاجأت العالم كله بهذا الإجراء الأحمق الخطير بضم الحرم الإبراهيمي ومسجد بلال بن رباح في بيت لحم إلى قائمة الآثار

الدينية اليهودية.

والحقيقة أن هذا القرار الذى استنكرته كافة الهيئات والمنظمات الدولية والإقليمية لا يعد مفاجأة بالنسبة لكل متابع للحركة الصهيونية منذ نشأتها وحتى قيام دولة إسرائيل.

ذلك أنها كلها مليئة بالمفاجآت والصدمات للرأى العام العربى والإسلامى بل والدولى نظراً لما تمثله من تحديات وتهديدات سافرة للأمن والسلم العالمين واستقرار هذه المنطقة الحساسة من العالم.. حتى الولايات المتحدة الأمريكية الحليف الأول لإسرائيل وصفته بالقرار الاستفزازى.

إن المظاهرات والهتافات والخطب الرنانة ورشق القوات الإسرائيلية بالحجارة لايمكن أن تكون أبداً عنصراً رادعاً لإسرائيل وخططها التوسعية، إنما التضامن والنضال المشترك ووحدة الهدف والمصير هى التى يمكن أن توقف إسرائيل عند حدها وتفشل كل مخططاتها ونواياها.

إننا لابد أن نترك مصالحنا الشخصية خلف ظهورنا وننظر إلى مصالحنا القومية من خلال المصالحة ولم شمل كافة المنظمات الفلسطينية والمضى قدماً بخطى ثابتة وعقلانية وفكر رزين حتى نحصل على ثقة العالم فينا وتأييده لنا ووقوفه إلى جانبنا من أجل تحقيق أهدافنا القومية وقيام الدولة الفلسطينية المستقلة والتصدى للانتهاكات الإسرائيلية بحق المقدسات الإسلامية فى إسرائيل بقوة وحزم.

غير أنه ينبغى على إسرائيل أن تعى وتعلم أن هذه التجاوزات والاستفزازات لن تكون فى صالحها على المدى الطويل، فقد أدانتها واستنكرتها الهيئات والمنظمات الدولية والإقليمية وفى مقدمتها الأمم المتحدة والجامعة العربية التى أكدت فى بياناتها أن كافة الإجراءات والقرارات التى يتخذها الاحتلال الإسرائيلى فى الأرض الفلسطينية المحتلة باطلة داعية كافة المنظمات الدولية والإقليمية ومحبى السلام ومنظمات المجتمع المدنى للضغط على إسرائيل لإحراجها بالكف عن تلك الممارسات الخطيرة التى تتنافى مع اتفاقية جنيف والتزاماتها المنصوص عليها بصفتها دولة «قائمة بالاحتلال».

الحرم الإبراهيمى

تحت هذا العنوان جاء مقال الأستاذ/ محمود عيسى المنشور فى جريدة اللواء الإسلامى الصادرة بتاريخ ٢٠١٠/٣/٤م يقول فيه:-

اختار بنيامين نتنياهو رئيس الوزراء الإسرائيلى، موقعا وتوقيتا بالغى الدلالة، ليعلن سطو بلاده على التاريخ الإسلامى فى فلسطين - المسطو عليها والمنهوبة أصلاً - بإعلان ضم الحرم الإبراهيمى إلى قائمة التراث اليهودى، فمن حيث التوقيت أو الدلالة الزمانية، فقد أعلن نتنياهو القرار قبل أيام من الذكرى الخامسة عشر، لمذبحة الحرم الإبراهيم، التى ارتكبها السفاح الإسرائيلى باروخ جولد يشتاين، حين أطلق النار على المصلين فجر يوم الجمعة فى شهر رمضان وقد قتل ٢٩ مصليا وجرح ١٥٠ الأمر الذى يؤكد أن مذبحة عام ١٩٩٤، لم تكن مجرد حادث إجراء، لمتطرف إرهابى فرد، بل كانت اختبارا لقوة تماسك الفلسطينيين والعرب ورغم سقوط هذا الكم من القتلى والجرحى وقتها، فقد اتضح من ردة الفعل الداخلية والإقليمية أن الوقت لم يحن بعد لإعلان السطو واللصوصية، وهاقد حانت اللحظة الآن، وهى فى الحقيقة أنسب اللحظات بالنسبة لقراصنة إسرائيل حيث حالة الضعف والمهانة العربية فى أعلى درجاتها، ورتق الانقسام الفلسطينى يزداد اتساعا!

ومن الخطأ أن يُظن أن قرار ضم الحرم الإبراهيمي للتراث اليهودي مجرد تزوير للتاريخ ومحاولة لإثبات اليهود أن لهم جذورا فى أرض فلسطين العربية الإسلامية فقط، ذلك أن القرار يعنى عمليا أن مسئولية المسجد من حيث الهدم والبناء والترميم والزيارة، ستئول إلى الهيئة المسئولة عن التراث اليهودى فى إسرائيل!

الأهم والأخطر - وهى الدلالة المكانية للقرار - أن الحرم الإبراهيمى، وكذا مسجد بلال بن رباح الذى شمله قرار الضم يقعان فى مدينة الخليل، وهى من أكبر مدن الضفة الغربية الموعود قيام الدولة الفلسطينية عليها وبالتالى فهو فرض لواقع جديد يعرقل محاولات قيام الدولة المتعثرة، أصلاً!



حريق المسجد الأقصى ١٩٦٨

من حق إسرائيل أن تتمادى فى اللصوصية، وتتفنن فى توجيه صفعات الإهانة، طالما بقى المسروق والمهان على حالته من التخلف والعجز والانقسام فهم يعلمون أن أقصى ما يمكن أن نفعله، لصق بوسترات على جدران شوارعنا تؤكد أن «الحرم الإبراهيمى لنا - والقدس والأقصى إن امكننا».

دعوة لمحاكمة إسرائيل دوليا

تحت هذا العنوان كتب محرر «كلمة اليوم» فى جريدة أخبار اليوم الصادرة فى ٢٠١٠/٣/٤م يقول:

بعد العبث بالمقدسات الإسلامية فى القدس والحرم الإبراهيمى ومسجد بلال بن رباح واعتبار هذه المقدسات من التراث اليهودى وهو تزييف سافر للحقائق ويفتح الباب أمام صراع الحضارات والثقافات والأديان.

دعا الدكتور أحمد فتحى سرور رئيس مجلس الشعب ـ فى افتتاح الاتحاد البرلمانى العربى ـ المجتمع الدولى إلى وقفة حاسمة وحازمة أمام أفعال إسرائيل وأهمية محاكمتها دوليا لأنها دولة خارجة عن القانون وتسعى لاغتصاب الثقافة والتراث العربى، وجاء اجتماع المؤتمر البرلمانى العربى وسط ظروف بالغة الصعوبة، حيث تندلع بؤر التوتر والصراع والاحتلال الإسرائيلى لجزء عزيز من الوطن العربى وتغتال وتدمر الأبرياء بصورة غير شرعية مخالفة للقوانين الإنسانية والدولية.

العالم العربى يواجه تحديات هى تحديات وجود ومخاطر فى غياب التضامن والتكامل الاقتصادى وتصاعد التوتر والعنف فى مواقع كثيرة فى منطقتنا العربية، وهناك أزمة ثقة تصاعدت وبلغت الذروة ووصل الأمر إلى العلاقات العربية ـ حتى القضية الفلسطينية صار العبث بها بين الفصائل وعلى رأسها فتح وحماس التى رفضت ورقة المصالحة المصرية، وبذلك تم القضاء على فرص السلام، وإسرائيل ترفض وقف الاستيطان ومستمرة فى تهويد القدس وأخيرا تصريح نتنياهو رئيس الوزراء الإسرائيلى بأنه سيسعى إلى جلب مليون يهودى من أنحاء العالم للعيش على أرض فلسطين، وهذا يزيد الشكوك فى مصداقية إسرائيل للعودة إلى مائدة المفاوضات مع الفلسطينيين.

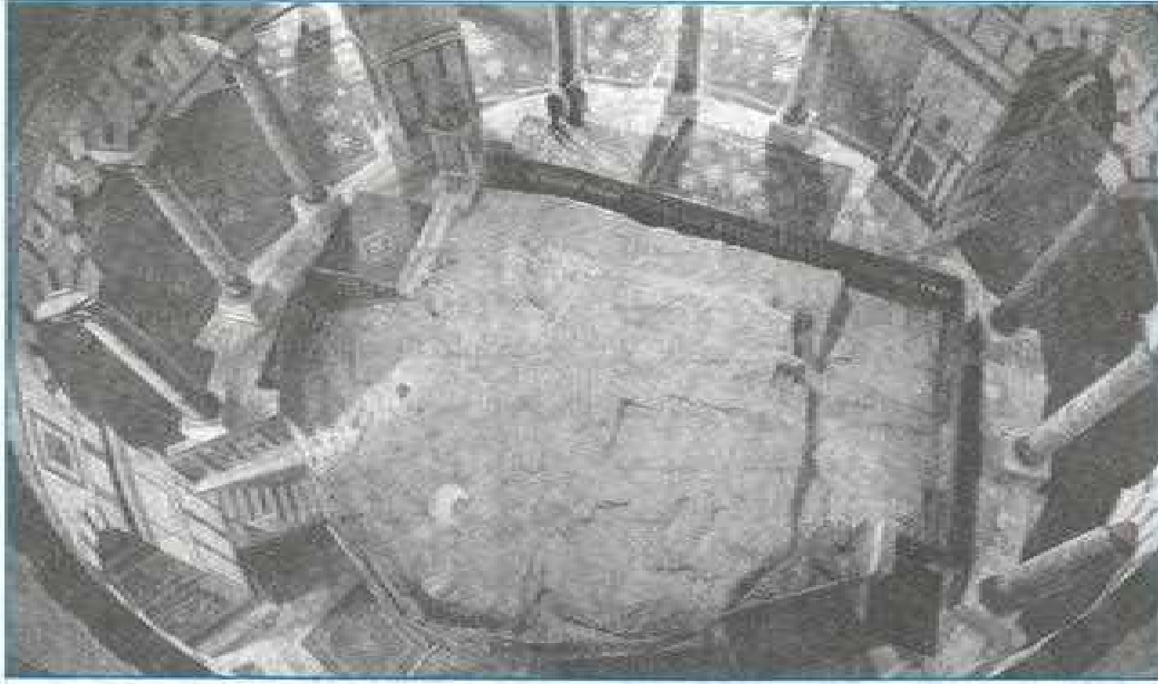
ونحن نتمنى أن يضع القادة ما تقوم به قوات الاحتلال الإسرائيلى وتنفيذ مخططها الرامى إلى الاستحواذ على المقدسات الإسلامية والمسيحية وضمها إلى التراث اليهودى فى أولوية الموضوعات.. إن إسرائيل تستفيد من الانقسام الفلسطينى واستمرار الخلاف الذى يضر بالنضال الوطنى الفلسطينى وشرعيته.. وهذا ما يدعونا إلى مطالبة المجتمع الدولى بمحاكمة إسرائيل عن أفعالها المشينة.

أسبوع «الأبارتهيد» الإسرائيلى

وكتب الأستاذ/ جهاد الخازن فى عموده «عيون وآذان» فى جريدة الحياة الصادرة فى ٢٠١٠/٣/٤م يقول:-

تشارك جامعات عالمية فى ٤٠ بلداً حول العالم فى «أسبوع الأبارتهيد الإسرائيلى» أى التفرقة العنصرية، وهو يشمل محاضرات وأفلاماً وتظاهرات ونشاطاً إعلامياً.

فى الوقت نفسه أعلن ٥٠٠ فنان من مونتريال تضمهم جمعية «تضامن» وقوفهم



قبة الصخرة

إلى جانب الشعب الفلسطينى فى نضاله ضد العنصرية الإسرائيلية، وهم يؤيدون حملة مقاطعة إسرائيل وعدم الاستثمار فيها وفرض عقوبات عليها.

وتلقيت بياناً يتحدث عن النكبة والاحتلال وسرقة البيوت وانتهاك القوانين الدولية، صيغ بلهجة كالتى نستعملها نحن ضد إسرائيل، ومع ذلك فالغالبية العظمى من تواقيع الأعضاء الخمسمائة هى لأسماء غربية واضحة وتضم يهوداً.

إن «أسبوع الأبارتهيد الإسرائيلى» سيفتتح بثلاثة محاضرين كلهم إسرائيليون، وهم الاقتصادى «شير هيفر»، وعالم السلالات «جيف هالبر»، والسينمائى «شاى كارمل ـ بولاك»، الذى أنتج الفيلم الوثائقى «بلعين حبيبتى».

مثل هؤلاء اليهود طلاب السلام يمكن عقد سلام معهم غداً من دون قتل أو تدمير.

وأزيد عليهم الكنائس المسيحية، خصوصاً الأمريكية، مثل الكنيسة المنهجية والكنيسة المشيخية وغيرهما، فهى ردت على المسيحيين الصهيونيين من أنصار إسرائيل، وهم قاعدة جورج بوش الانتخابية، بالانتصار للفلسطينيين وحقوقهم، وبمطالبة كل طائفة أتباعها بعدم الاستثمار فى إسرائيل ومقاطعة بضائعها.

وأخيراً أعلن مجلس الكنائس العالمى فى جنيف الذى يضم مائة كنيسة، حملة مماثلة على إسرائيل.

إسرائيل خلفت جنوب أفريقيا القديمة

كدولة أبارتهيد عنصرية، ونهايتها ستكون مثل نهاية جنوب أفريقيا البيض، مهما بلغت قوتها العسكرية.

وعندما يجتمع دعاة سلام إسرائيليون مع فنانين كنديين، ورجال كنائس مسيحية من حول العالم القس «دزموند توتو» اتهم إسرائيل بممارسة أبارتهيد ضد الفلسطينيين بأوضح عبارة ممكنة) لايعود السؤال هل تسقط العنصرية الإسرائيلية؟ وإنما متى؟

المتطرفون الفاشيست من أنصار إسرائيل سيقاومون حتى آخر لحظة ويكذبون على الله وعباده، فالذين اخترعوا تاريخاً وممالك وهمية لن يخافوا داعية سلام أو فناناً أو قساً، أو وزيراً سويدياً.

ولعل آخر مثل على المتطرفين هو «مارتن كريمر» من برنامج دراسات الأمن القومي في هارفارد، فهو دعا إلى حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين بمنع المعونة عنهم حتى يتوقفوا عن الإنجاب.

ولعل كريمر يلقي محاضرة ثانية تدعو إلى استخدام الطب (من خصي وتعقيم) لمنع الحمل بين الفلسطينيين، كما أراد هتلر يوماً مع اليهود والغجر وغيرهم.

في إسرائيل اليوم عصابة حكم من: «ليكود» و«شاس» و«إسرائيل بيتنا» لاتشرف اليهود حول العالم فهي تجمع المتطرفين السياسيين والدينيين.

ويكفي أن رئيس الموساد هو مائير داغان، رجل العام الإسرائيلي سنة ٢٠٠٨ الذي شارك آريل شارون في قتل الفلسطينيين بيديه في القطاع الجنوبي (غزة) في السبعينات، وكان يذبح الأسرى بسكين ياباني، بحسب قول شارون نفسه.

هذا الرجل وأمثاله عار على الإنسانية كلها، لا إسرائيل وحدها وهو وراء قتل القيادي من حماس محمود المبحوح مما أدى إلى غضبة عالمية رد عليها الليكوديون بمقالات تبرر القتل لأنهم قتلة وإرهابيون محتملون ينتظرون فرصتهم.

وأين المخططات العربية والإسلامية؟!

تحت هذا العنوان كتب محرر «الجمهورية تقول» بجريدة الجمهورية الصادرة في ٢٠١٠/٢/٢٥ يقول:

لاتخفى الحكومة العنصرية المتطرفة في إسرائيل مخططاتها لتثبيت احتلال الأراضي الفلسطينية وتغيير شخصيتها العربية والانقضاض على المقدسات الإسلامية وتهويدها طبقاً للأساطير اليهودية التي يعتنقها غلاة المتعصبين العنصريين ويريدون فرضها على غيرهم بالإرهاب والعدوان.

يأتي داخل هذه المخططات القرار الإسرائيلي بتهويد الحرم الإبراهيمي وقبر بلال في الخليل تالياً لما يجرى تنفيذه في القدس العربية من إزالة للآثار والمنازل العربية لإقامة مؤسسات دينية وسياحية يهودية على أنقاضها استكمالاً لمخطط القدس الموحدة العاصمة الأبدية لدولة إسرائيل اليهودية.

أصبح كل ذلك واضحاً للعيان، أما غير الواضح فهو الرد العربي والإسلامي على هذه المخططات التي لم تعد سطوراً على الورق وإنما بلغت الصفاقة الإسرائيلية حد ترجمتها عملاً فعلياً على الأرض.

السؤال الآن: ما هي المخططات العربية والإسلامية التي تمنع إسرائيل من تنفيذ مؤامراتها العلنية قبل السرية؟ هل بلغ الضعف العربي والتشتت الإسلامي حد العجز عن حماية المقدسات وضمان بقائها لا نقول تحريرها؟!

لماذا الآن يا إسرائيل؟!

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ سمير الشحات في جريدة الأهرام الصادرة في ٢٠١٠/٣/١م يقول:

من الحقائق الثابتة أنه يمكنك أن تشعل النار في أي وقت، لكنك أبداً لاتضمن إلى أي مدى سوف تمتد النار!

ومن تجاربنا المستمرة مع إسرائيل تعلمنا أن قادتهم هناك يفكرون ألف مرة قبل الإقدام على أي خطوة، إن كل شيء عندهم محسوب، وبالتالي فإن التصعيد الأخير من جانب إسرائيل لايمكن فهمه إلا باعتباره تمهيداً لخناقة ما، أو «جر شكل»!

عن أي تصعيد تتحدث؟ إسرائيل أولاً نفذت عملية اغتيال الكادر الحماسي محمود المبحوح في دبي، مما أسفر عن مأزق كبير تعيشه الآن، داخلياً وخارجياً.

ثم إنها ثانياً قامت بالاستيلاء على الحرم الإبراهيمي في الخليل ومسجد بلال في بيت لحم وضمتهما للائحة الآثار التاريخية اليهودية، وذلك ضمن محاولات تهويد القدس، وقد يتساءل المراقب: هل هذا وقته وسط كل الاحتقان القائم حالياً؟

ثم إنها ثالثاً لاتتوقف عن التلويح بل والتهديد بشن الحرب من جديد في المنطقة سواء على غزة (حيث حماس) أو على الجنوب اللبناني (حيث حزب الله).. ويعلم الجميع أن المستهدف بالتهديد هو إيران.

هل نفهم من هذا السيناريو التصعيدي الإسرائيلي أن الموضوع مجرد عنترية لحظية واستعراض عضلات؟ لا.. لايبدو ذلك كذلك.. فما القصة؟

القصة - والله أعلم - كالتالي: إن إسرائيل الآن في مأزق نتيجة لثلاثة عوامل هي:

١- رد الفعل السلبي في أوروبا ضد إسرائيل نتيجة لاغتيال المبحوح.

٢- قلة حيلة إسرائيل في مواجهة إيران التي تكسب كل يوم أرضاً جديدة في برنامجها النووي.

٣- الضغوط الداخلية على حكومة نيتانياهو التي لا هي قادرة على إرضاء اليمين الإسرائيلي المتشدد في الداخل ولا هي قادرة على المضي قدماً في السلام.

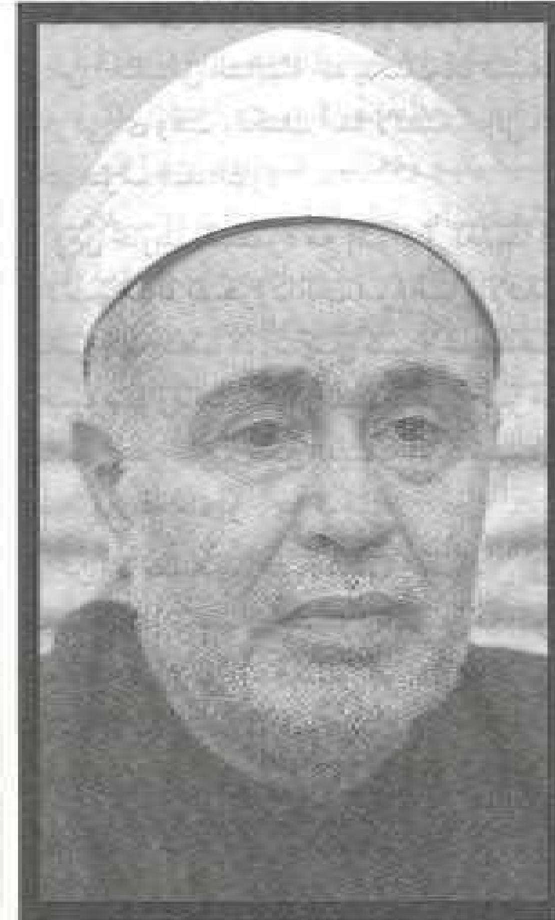
لو أنك في مكان قادة إسرائيل ماذا تفعل؟ الحل بسيط: افتعل خناقة وليكن ما يكون.

غير أن المشكلة هي أنك عندما تشعل الحريق فإنك لاتعرف إلى أي مدى سيمتد شرر النار، فحذار لأن الحريق قد يمتد ليحرق ثيابك أنت شخصياً!

أنباء مجمع البحوث الاسلامية

للأستاذين: عبدالموجود أمين - يحيى سليمان

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ينعى إلى العالم الإسلامى
وفاة رئيس المجمع شيخ الأزهر الشريف
الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى



قال فضيلة الشيخ على عبدالباقى:

لقد فقد الأزهر الشريف والعالم الإسلامى كله شيخًا اتصف بالتواضع والزهد، عالما لا يبارى، حكيمًا عاقلاً محباً لآل البيت وصحابة رسول الله ﷺ وهو ما دعاه إلى تغيير موضوع مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الذى انعقد قبل وفاته قائلا: نريد أن نبرز للعالم كله مكانة الصحابة وجهودهم فى الدعوة.

وأكد فضيلة الشيخ على عبدالباقى أن دفن الشيخ فى البقيع يعد أعظم دلالة وأفضل مكافأة على حبه لصحابة رسول الله ﷺ.

معانى المصحف الشريف باللغة الأمهرية

انتهت الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة والنشر من مراجعة ترجمة نصية لمعانى المصحف الشريف باللغة الأمهرية، وهى لغة جمهورية أثيوبيا، وذلك بواسطة أساتذة متخصصين ومشاركة عدد من علماء الأزهر الشريف عملوا جميعًا لما يقرب من ثمانية أشهر.

وقد تبرع أحد أبناء مصر بطباعة هذه الترجمة لتوزيعها علي الناطقين باللغة الأمهرية.

صرح بذلك فضيلة الشيخ / ضياء الدين محمد مدير عام الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة والنشر.

امتحانات البعوث

بدأت في ٢١ من فبراير سنة ٢٠١٠م أعمال الامتحانات للمتقدمين للابتعاث إلى الخارج للعمل بالتدريس والدعوة والوعظ والإرشاد، حيث تم تشكيل لجنة عُليا للإشراف على أعمال الامتحانات يرأسها فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وتضم فى عضويتها وكيل الأزهر الشريف، والأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، ورؤساء القطاعات بالأزهر الشريف.

ومن المقرر ان تنتهي أعمال الامتحانات يوم ٣١ مارس ٢٠١٠م.

صرّح بذلك فضيلة الشيخ فوزى زيدان الأمين العام المساعد للبعوث الإسلامية.

١٣٩ طالبا ليبيا يدرسون بالأزهر الشريف

بلغ عدد الطلاب الدارسين بالأزهر الشريف الوافدين من الجماهيرية الليبية ١٣٩ طالبًا يتوزعون على النحو التالى:

- فى المرحلة الابتدائية: ٢٠ طالبًا، و٤ طالبات.
- فى المرحلة الإعدادية: ٢١ طالبًا، وطالبة واحدة.
- فى المرحلة الثانوية: ٤١ طالبًا، وطالبتين.
- فى مرحلة التعليم الجامعى: ٢٧ طالبًا، و٤ طالبات.
- فى مرحلة الدراسات العليا: ١٩ طالبًا.

صرّح بذلك فضيلة الشيخ / رجب سليم مدير عام الإدارة العامة لشئون الطلاب الوافدين.

دورة تدريبية لمراجعة معايير الجودة
لاعتماد المعاهد الأزهرية

بمناسبة افتتاح الصالون الثقافى بمكتبة الأزهر، تم تنظيم دورة تدريبية لتأهيل مجموعة من العاملين بالأزهر الشريف لأعمال المراجعة الخارجية لمعايير الجودة اللازمة لاعتماد المعاهد الأزهرية، وذلك فى الفترة من ٢١ فبراير وحتى ١١ من مارس ٢٠١٠، وذلك بالتعاون مع الهيئة القومية لضمان الجودة والاعتماد.

صرّح بذلك الشيخ/ مهدى هادى شلتوت رئيس الإدارة المركزية لمكتبة الأزهر.

أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذين:
محمود الفشنى - أحمد رضوان

الاتحاد الأوروبى: ضم إسرائيل الحرم الإبراهيمى عمل استفزازى

دعا الاتحاد الأوروبى إسرائيل إلى الامتناع عن القيام بأعمال استفزازية وذلك ردا على قرار حكومة بنيامين نتنياهو بشأن ضم الحرم الإبراهيمى فى الخليل وقبر راحيل فى بيت لحم بالضفة الغربية إلى قائمة المواقع الأثرية الإسرائيلية.

وقال المتحدث الرسمى باسم كاثرين اشتون ممثلة الاتحاد الأوروبى العليا للسياسة الخارجية والشئون الأمنية نائبة رئيس المفوضية الأوروبية: إن الاتحاد الأوروبى يعتبر قرار الحكومة الإسرائيلية ضارا بمحاولات إعادة إطلاق مفاوضات السلام.

تشكيل لجان لإسقاط قرار تهويد الحرم الإبراهيمى ومسجد بلال

أقرت القوى الفلسطينية والمؤسسات الرسمية والأهلية والشخصيات الوطنية فى محافظة الخليل، عددا من القرارات لاستمرار النضال لاسقاط القرار الإسرائيلى بشأن تهويد الحرم الإبراهيمى ومسجد بلال بن رباح والحفاظ على البلدة القديمة فى محافظة الخليل بأسواقها ومساكنها ومؤسساتها كمقدمة لطرد المستوطنين من قلب المدينة، واعتبرت هذه المؤسسات التى عقدت اجتماعا فى محافظة الخليل على ضوء القرار الإسرائيلى القاضى بإدراج الحرم الإبراهيمى الشريف ومسجد بلال بن رباح ضمن التراث اليهودى ـ أن القرار قرصنة ثقافية وسرقة فى وضح النهار، لتراث عربى عبر آلاف السنين وطالب المشاركون فى الاجتماع بالإسراع فى إنجاز المصالحة الوطنية لأن القرار الإسرائيلى جاء نتيجة لحالة الضعف والانقسام فى الساحة الفلسطينية.

ودعا المشاركون فى الاجتماع الجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الاسلامى إلى مساندة الشعب الفلسطينى والعمل على إلغاء هذا القرار، خاصة وأن الحرم الابراهيمى الشريف يعتبر أحد المعالم الإسلامية العريقة فى

عالمنا الإسلامى ودعوة مؤسسات المجتمع الدولى لتحمل مسئولياتها تجاه إنهاء الاحتلال الإسرائيلى للأراضى الفلسطينية.

مصر تطلب اجتماع الأثاريين العرب لوقف ضم الحرم الإبراهيمى

طالب المجلس الأعلى للآثار الأمين العام لجامعة الدول العربية عمرو موسى بالدعوة لعقد مؤتمر طارىء لرؤساء هيئات الآثار والتراث بالوطن العربى وممثلى الدول العربية فى لجنة التراث العالمى للاجتماع بمقر الجامعة العربية بالقاهرة، لاتخاذ الخطوات اللازمة للتحرك على الصعيد الدولى، ممثلا فى منظمة اليونسكو ولجنة التراث العالمى التابعة لها لوقف الإجراءات الاسرائيلية الأخيرة لضم الحرم الابراهيمى بمدينة الخليل ومسجد بلال بن رباح بمدينة بيت لحم بقائمة التراث اليهودى، وذلك فى ضوء القرار الذى اتخذته بضم هذين المسجدين ضمن قائمة التراث اليهودى.

مخطط إسرائيلى لهدم ١٠٠ منزل وبناء ٦٠٠ وحدة سكنية استيطانية

أدت الحفريات الإسرائيلية فى الأحياء العربية بالقدس إلى انهيار أرضى بالقرب من مسجد العين بحى سلوان، وحذرت لجنة الدفاع عن أراضى وعقارات البلدة من وقوع المزيد من الانهيارات مشيرة إلى التصدعات والتشققات فى مبان وعقارات البلدة.

وذكرت صحيفة «جيروزاليم بوست» الاسرائيلية: أن بلدية القدس تخطط أيضا لهدم مائة منزل فى الحى بدعوى عمليات تطوير للضاحية التابعة للقدس المحتلة، ومن جانبها وصفت حركة السلام الآن المخطط بأنه قنبلة سياسية، وقالت إن نيربكات رئيس بلدية القدس يسعى لمصالحة اليمين المتطرف، وقد يتسبب فى إشعال فتنة، وهو عمل خطير يهدف إلى إفشال التسوية السياسية المستقبلية بين إسرائيل والفلسطينيين.

كما أعلنت لجنة الدفاع عن رفض أهالى الحى لمخطط الترحيل الطوعى معلنين اعتزامهم التوجه للمؤسسات المحلية والدولية لوقف تشريد سكان الحى من العرب فى مخطط للتطهير العرقى فى القدس، وكانت الهيئة الإسلامية المسيحية لنصرة القدس قد حذرت ـ فى وقت سابق ـ من مخطط يستهدف بناء ٦٠٠ وحدة استيطانية فى حى البستان والشيخ جراح بالقدس الشرقية المحتلة، وقالت إن حى البستان يشكل حزام أمان للمسجد الأقصى والبلدة القديمة من الناحية الجنوبية، وفى حال إزالته، فإن هذا يعنى تمكين الاحتلال من الإطباق على الأقصى والبلدة القديمة من ثلاث جهات.

إسرائيل تمحو آخر معالم الهوية العربية بيافا

رفضت محكمة إسرائيلية استئنافا تقدم به سكان يافا ضد فوز شركة «بأمونا» الاستيطانية بمناقصة لتشييد مبنى استيطانى فى الحى العربى بالمدينة هو آخر ما تبقى من الوجود الفلسطينى فى المدينة التاريخية العريقة التى احتلتها إسرائيل عام ١٩٤٨ وكشفت لجنة الدفاع عن يافا أن هناك مخططا لجلب المستوطنين

إلى المدن المختلفة في البلدة وكذلك في عكا وقد بدأ المستوطنون مسيرة في يافا مرورا بمستوطنات الضفة الغربية والأحياء العربية وأقاموا مدرسة دينية تحديدا في حي العجمي، والآن فازوا بمناقصة في الحي ويريدون وفق المشروع أن يبنوا كنيسا ومدرسة دينية.

وأشارت إلى أن القضية لم تعد تهويداً لأن المدينة تهودت بالفعل، القضية هي صراع على ما تبقى وخاصة أن الشباب العرب والأزواج بالمدينة يعانون نقصا في المنازل السكنية ويعاني عرب إسرائيل من سياسات تمييز تمتد إلى كافة مناحي الحياة مثل مستوى المعيشة والوظائف والتعليم.

وجدير بالذكر أن إسرائيل تواصل عملية منظمة لتهويد وطمس معالم الوجود العربي في الأراضي التي احتلتها عام ١٩٤٨ وتمتد الحملة إلى أدق التفاصيل مثل وضع أسماء ولافتات عبرية للمدن.

الكنيست الإسرائيلي يبحث حظر رفع آذان الفجر في مساجد فلسطين

قالت تقارير صحفية إسرائيلية إن الكنيست الاسرائيلي بصدد الانتهاء من مناقشة مشروع قانون جديد يحظر رفع أذان الفجر في مساجد وجوامع مدينة القدس المحتلة والمدن الفلسطينية المحتلة عام ١٩٤٨م وتقدم بمشروع القانون الجديد إلى الكنيست النائب عن حزب «كاديما» أريه بيبي بزعم أنه تلقى مئات الطلبات الخطية والشفهية التي تعبر عن انزعاج ملايين اليهود من رفع الأذان في ساعات الفجر الأولى.

وفسر بيبي تقدمه بمشروع القانون بالقول بأن المسلمين في القدس وفي غيرها من البلدان العربية يطلقون الأذان في ساعات الفجر الأولى ويزعجون بذلك ملايين اليهود من غير المسلمين. وتابع: إذا كان المؤمنون المسلمون مضطرين إلى سماع الآذان ينبغي عليهم أن يجدوا طريقة أخرى لرفع الأذان دون إزعاج الآخرين.

وأدعى بيبي في تسويغ اقتراع القانون أن هذه القضية باتت مشكلة عالمية في كل دولة يعيش فيها مسلمون إلى جانب أبناء طوائف دينية أخرى وما جرى في سويسرا من حظر لبناء مآذن للمساجد دليل على أن البشرية بدأت تعالج هذه المشكلة على حد زعمه.

مقاطعة إنجليزية تقيم أول مدرسة إسلامية على أرضها

وافق مجلس بلدية بيورناي التابعة لمقاطعة لانكشاير الإنجليزية على مشروع لإقامة مدرسة داخلية للبنات المسلمات فيما قال أحد المشرفين على المشروع إن تلك المدرسة لن تكون قاصرة على الطالبات المسلمات وإنما ستفتح أبوابها للفتيات بصرف النظر عن معتقداتهن الدينية بحسب صحيفة «لانكشاير تليجراف» البريطانية.

وتبنى المشروع جمعية «محيي الدين تراست» الخيرية ومقرها برمنجهام والتي تخطط لأن تستوعب المدرسة الجديدة ١٥٠٠ طالبة مسلمة من بينهن ٢٣٠ طالبة من جميع أنحاء أوروبا.

وخلال اجتماع عقدته اللجنة الخاصة التي شكلتها بلدية بيورنلي لبحث المشروع قال نائب رئيس

المدرسة الجديدة جان ويستون: «سوف تحسن المدرسة من الانجاز التربوي والاجتماعي في البلدة، وسوف تثير المزيد من التطلعات على المستوى المحلي».

وأضاف ويستون: أن مواطني البلدة سوف يستفيدون عملياً من المشروع موضحاً أن أوجه الفائدة تتمثل في توفير فرص عمل لأبناء البلدة كما سوف تتيح إنشاء العديد من المشروعات التي سوف تخدم المدرسة مثل إنشاء محال تجارية ومشروعات أخرى تقدم خدماتها للمدرسة.

بروتكول التعرفة التجارية بين الدول الإسلامية يدخل حيز التنفيذ

أعلن المركز الإسلامي لتنمية التجارة أن البروتوكول الخاص بالتعرفة التفضيلية لنظام التجارة بين الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي «بريتاس» دخل حيز النفاذ هذا الاسبوع وذلك بعد التصديق عليه من قبل العدد المطلوب من الدول الأعضاء المحدد بعشر دول.

وأوضح المركز أن هذا الاتفاق يهدف إلى القضاء تدريجيا على الرسوم الجمركية والحواجز غير الجمركية من أجل تعزيز التجارة البينية، وقد أبرم هذا البروتوكول في إطار الاتفاقية بشأن نظام الأفضلية التجارية بين الأعضاء في المنظمة.

ستة خبراء هولنديين يدافعون عن القرآن الكريم من تهمة الإرهاب والعنف

بعث عدد من خبراء هولندا في مجالات الترجمة والشريعة والقانون وعلوم الأديان برسالة مشتركة إلى محكمة أمستردام التي تحاكم زعيم اليمين المتطرف فيلدرز بتهمة إهانة القرآن والإساءة للمسلمين. قال الخبراء في رسالتهم: إن فيلدرز فسر مقاطع آيات القرآن الكريم على نحو خاطىء سواء في تصريحاته أو في فيلم الفتنة الذي انتجه وساق آيات منقوصة دون استكمالها ليثبت اتهامه للقرآن بالعنف والإرهاب في حين أن القرآن يدعو للسلام ولا يدعو للقتل إلا في الحرب وأن المسلمين أنفسهم هم الذين وقعوا ضحايا للعنف أكثر من غيرهم على مر العصور وقالت الرسالة التي تعد بمثابة شهادة رسمية أمام المحكمة: من خلال التحليل المنطقي للقرآن الكريم كاملا وتبين المعلومات الواردة من مصادر أخرى تأكد أن الحكم الذي أصدره فيلدرز على عنف الإسلام يتناقض مع الحقائق الحالية والأساليب العلمية، فالمسلمون لم ينشروا الدين الإسلامي بحد السيف وأغلبية المسلمين ضد الإرهاب، بل هم أنفسهم كانوا أكثر عرضة للعنف والارهاب من الضحايا الغربيين. والخبراء هم الدكتور فريد ليمهاوس مستعرب معروف ومترجم للقرآن، وجان ميشيل أوتو أستاذ في القانون والشريعة، وجيرار فيجرز خبير الدراسات الدينية، وروديتر شوردفان كونينفيلد خبير في الدراسات الإسلامية وبيتر شورد فان كونيفيلد خبير الدراسات الإسلامية، وديترز خبير اللغة العربية والثقافة، وماريليس بروغ خبير في القرآن والكتاب المقدس، وبهذه الشهادة المكتوبة من هؤلاء الخبراء فقد تغلب السحر على الساحر حيث طلب فيلدرز من المحكمة الاستدلال بشهادة هؤلاء الخبراء لتأكيد تفسيره واتهاماته للقرآن إلا أن شهادتهم جاءت مخالفة تماما لتوقعاته وعلى النقيض، مما يمثل ضربة قاصمة لأكاذيبه ويهز من موقفه القانوني أمام المحكمة.

is the spiritual sword – or the religious authority of the church – and the time sword or the civil authority of the state.

When the church exceeded the limits of the message of spirit and the kingdom of heaven and seized the time authority, it added to the world the sanctity of religion and the variables of the human society fixed. Thus, it entered with the European societies a phase of freezing, deterioration and its dark ages. Then, the Theory of One Sword – i.e. the authority uniting religion and world - dominated the age; either undertaken by the Popes or the kings blessed by the Popes. This system was known in the European history by the Divine Right of the King.[6]

In encountering this system and the reality of the cultural deterioration caused by its applications – sanctifying the state and its rulers and freezing the world and its societies and sciences - , the "secular revolution" caused by the European enlightenment philosophy that went far from the priestly autonomic philosophy and set up the modern secular trend on the old European heritage and the rationality of modern European enlightening which replaced "reason" and "experience" by "religion" and "theology".

"The secular revolution" restored to the church its first limits: the salvation of the soul, divine kingdom and the saying that Ceaser is something and Allah is Another! It made "reason" and "experience" without "religion and theology" the reference in managing the human construction affairs, i.e. separating "heaven" from "earth" starting from the philosophy that the world is satisfied with itself. It manages the creatures in its appearances, powers and nature without need for divine protection or legal managing coming from supernatural power. Secularism made the world a pure humanity without interference of Divine Sharia inspired by Allah.

The European secularism – other than the pagan attitude – knew believing attitude, whose philosophers – such as Hobbes (1588-1679), Loke (1632-1713), Leibinz (1646-1716), Rousseau (1712-1778, Lessine (1729-1871) – could harmonize between the existence of Allah, the Creator of the world and secularism that sees the world satisfying with itself and limits the human society to the authority of the human being free from Allah's Sharia. This harmony was based on Aristotle's depiction of the field of the work of the Divine Self. Allah, in the depiction of Aristotle, is only One and is the Creator of this world. He put in this world that made the world and the nature able to manage themselves automatically without the need of Divine interference or Divine protection after the phase of creation.[7]

"Movement exists in the inner part of the thing and there is nothing external causes this movement" and "Allah's protection depends on His self and does not

---

[6] Look: (Encyclopedia of politics) Vol. 1 – article "The Right of the Divine Authority" – Kuwait University edition, 1994.

[7] Abdul Rahman Badawy (Philosophy Encyclopedia) – Aristotle's article – p. 104, 106, Beirut edition in 1984.

interfere in the partial events of the world and nature. The world is satisfied with itself and is the only source of real knowledge subject to proving and justification. The management of the world is referred to the human being – with his reason and experience – without protection, management or interference from heaven.

In this way, secularism depended in setting "its worldly theory" on Aristotle's depiction of the scope of the work or the Divine Self. He is merely the Creator; when he finished the creation of the world, He protects Himself only without protecting the creatures like the maker of the watch, who puts in it the reasons for its working without need for his existence with it to work.

The Christian depiction of the relation between religion and state helped secularism to trend to win. It calls for the idea that Ceaser is satisfied by himself and stands with religion in the phase of the salvation of the soul and the kingdom of heaven without presenting Sharia to the society and the state, the matter that made the "prison" of the religion in the church and in the individual conscience "the revolution of religious correction" and not aggression to the religion!

Also, it was helped by the fact that the Roman heritage in the philosophy of legislation and rationing made "the benefit" that is not linked to religion and its morals and divine Sharia the standard. The way to the positive law was opened to secularism, being recommended by this heritage.

Secularism rose within the context of Western positive enlightenment to separate heaven from earth and liberate mankind from the limits of the divine Sharia and restricting the management of the world to the human being as he is the "master" in managing his world. It is the fruit of the rationality and the positive enlightenment, which replaced Allah and religion by reason and experience.

It set informative alienation with religion – in managing the world, or in phrase of one of the heralds of the western enlightenment, "The human being subjects only to his mind. In the enlightenment ideology which founded the major epistemic – informative - rupture which separates two ages of the human soul: the age of the divine salvation for Saint Thomas Aquinas and the encyclopedia age for the enlightenment philosophers. Hope in the kingdom of Allah diminished to leave the place for the domination of the age of reason. The system of the Divine grace vanished against the nature system. Allah's rule subjected to the human awareness which calls the later rule freedom."[8] .It is the separation of heaven from earth, and the religion from the world along with replacing Allah by the human being in managing the human construction!

---

[8] Email Paula (Liberty, Secularism: The war of the two parts of France and the novelty principle), the publications of Cerf, Paris in 1987 – Quotation from Hashim Saleh, "Al-Wehda" magazine, Morocco, February edition, March, 1993, p. 20, 21.

Abu Umamah (may Allah be pleased with him) narrated that a youth came to the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) and said, "O Allah's Messenger, will you allow me to adultery? The people cried, but the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) said, "Come closer to me." When he did so, the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) asked him, "Do you accept your mother committing it? He said, "No, may I sacrifice myself for you." The prophet said, "Also, the people do not accept it to happen to their mothers." Then, he asked him, "Do you accept your daughter committing it? He said, "No, may I sacrifice myself for you." The prophet said, "Also, the people do not accept it to happen to their daughters." the Prophet asked him, "Do you accept your sister committing it? He said, "No, may I sacrifice myself for you." "Also, the people do not accept it to happen to their sisters."

Other narrations added the aunts and he replies in the same way in every time. The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) put his hand on the youth's chest saying, "O Lord! Purify his heart, forgive him and protect him from adultery." [4]The Prophet hates adultery more than anything else.

Thus, Allah's Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) treated the crime of adultery in the youth's soul in an educational and physiological way. He followed the roots of this crime in the deepest part of the soul and was able to pluck it out by his kind hand and wise way of speaking like the professional doctor, who diagnoses the illness to let the patient recover his health.

As the doctor treats the bodies, Allah's Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) treats the souls. No doubt that the best treatment is the one that treats the best part. The poet said:

O you seek serving the body

Do you ask for winning or defeat?

Complete the virtues of the soul

Soul is the part that makes you a human being

Look, Muslims, how Allah's Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) could reveal to the youth that the woman surely is a mother, a daughter, a sister and an aunt. He does not accept this horrible crime to happen to any of his relatives. Thus, how does he accept it to other people?! If he wants his family members to be virtuous, he should be virtuous with the other families to live in peace and safety.

---

[4] Narrated by Ahman in his Musnad, part 5 / 256 / 257.

*The Western Rise of Secularism[5]...!

By: Dr. Muhammad Imarah

Member of the Islamic Research Academy

-1-

"Al 'amaneyya" is the widespread expression of secularism – in Egypt and the Arab East – in the worldly meaning. In fact – in the world and reality – it is opposite to the "sacred" or the religious which is representative of heaven, monopolizing its authority, breaching the rules of nature, sanctifying life as religion and fixing its scientific, lawful and social variables like religion.

As this is the meaning of the expression in its rise and its European surrounding circumstances – which is the worldly trend, and the realistic attitude in managing the inner world affairs without Sharia – the measuring of the source is "universality". However, its non-standard shape – "secularism" – is destined to spread.

We cannot understand secularism, as an attitude in managing the world affairs and a trend in the worldly reference of the human construction affairs as well as the Islamic stance towards it separately from the European accompanying circumstances for its rise in the frame of the Christian Western civilization with its philosophic Greek roots, Roman heritage and Christian addition to these roots.

Detail in these issues let this study get out of its scopes and aims. We will refer to some of these issues in short:

Christianity from its rise and throughout long centuries in the European societies remained religion not state. It was a loving Sharia that does not present to the European societies lawful reference or ruling system. It was message to the salvation of the soul, calling that Ceaser is something and Allah is Another. The message of its church belongs to heaven and has nothing to do with the earth and the laws of organizing the human society in politics, sociology, economics and its scientific branches.

Throughout these centuries, the relationship between the church and the state – i.e. religion and the society was governed by the Theory of the Two Swords, which

---

* An Article published (in Arabic) at Al Azhar Magazine.

[5] Look: (Dictionary of Social Sciences), the Arabic language Academy – Cairo, 1975, and (Sociology Dictionary) – Supervised by Dr. Atef Ghaith, Cairo edition, 1970 and Dr. Muhammad Al-Bahy (Secularism and Islam between Thinking and Application) p. 8 and 7 – Cairo edition, 1976.

Allah's Messenger was wise in addressing each person with the style which is simple for hem. He said, "I was ordered to address the people in the way suitable to their minds." He noticed the personal differences among the individuals according to urbanization, nomadism, intelligence, stupidity, young age, old age...etc. Also, he noticed the gender differences between the male and female. The way he speaks to the male may not be suitable to the female and vice versa.

It was narrated that a nomad came to the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) in sorrow, asking him about a serious case linked to honor, as he doubted that the newborn baby is not his son, as his black, while the nomad is not. The man told Allah's Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) in a state of sorrow and regret, "O Allah's Messenger, my wife bore a black baby. Allah's Messenger told him, "Do you have camels?" He said, "Yes." The Prophet asked him, "What are its colors?" He said, "Red."He asked him, "Is there any grey one?" He said, "Yes." The Prophet asked, "How come?" He said, "It may belong to its ancestors." Then, Allah's Messenger said, "May the color of your son belongs to one of your ancestors."

In this honorable hadith, Allah's Messenger resorted to this kind of affirmative dialogue to conclude that the grey camel may bear red one, i.e., the son may be different in color from his next father. Allah's Messenger asks this nomad about this phenomenon in the camels as he is knows well their state. The nomad said, "it may belong to an ancestor whose color is grey.

Thus, we see the Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) moves intelligently from the world of camels to that of the human beings exploiting similarity element. He said, "Your son may have the black color of one of his ancestors." Thus, there is no difference between the world of animals and that of the human beings. He moved him from the matters he knows to the matters he does not know and showed the resemblance between them.

It is noticed that Allah's Messenger did not respond the second response from the very beginning, but it was concluded from the man after he led him to the reality in kindness and quietness. This is great simplification and strong realization. This indicates the modern educational theories, which we say in our institutes, universities and Educational buildings and we adhere to the West. These theories were practiced by Allah's Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) fourteen centuries ago.

Ibn Garir and Ibn Abu Hatim said that Allah's Messenger asks a man, "What is the gender of your son?" The man said, "O Allah's Messenger, What will it be? Either a boy or a girl, he asked him, "Whom will it resemble? The man said, "Either his father or his mother." Allah's Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) said, "Do not say so, because when the sperm stays in the womb, Allah, Glory be to Him, brings every lineage between it and Adam. Did not you read Allah's saying?

{In whichever fashion He (so) decides, He compounds you.} [Al-Infitar (The Rending): 8]

Allah be upon him). Abu Bakr As-Seddik (may Allah be pleased with him) said, "I wandered among the Arabs and listened to the most eloquent persons, but I did not find anyone more eloquent than you, who taught you this eloquent style? He said, "Allah taught me well."[1]

Omar Ibn Al-Khattab (may Allah be pleased with him) told him, "How are you the most fluent of us while your eloquence is not like ours?" He said, 'The language of Ismail was studied and Jibril came with it, then, I memorized it.'"[2]

This indicates the divine supply accompanying him. Allah is Truthful, as He says in the Noble Quran: {And Allah has sent down on you the Book and (the) Wisdom, and He has taught you whatever you did not know; and the Grace of Allah upon you has been magnificent.} [An-Nisaa (The Women): 113]

Thus, Allah's Messenger was always cheerful, flexible, good-mannered, delicate, extremely forbearing, compassionate, loving and merciful. The people loved him extremely, as Allah, Glory be to Him, says: {So it was by (some) mercy from Allah that you have been lenient with them; and if you had been stern (and) harsh of heart, they would indeed have broken away from round about you. So be clement towards them, and ask forgiveness for them, and take counsel of them in the command. Yet when you are resolved, then put your trust in Allah; surely Allah loves the (ones) trusting (in Him).} [Al-Imran (The House of Imran): 159]

One of the situations revealing these attributes is what Asma (may Allah be pleased with her) narrated. She said, "When Allah's Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) entered Mecca and sat in the mosque, Abu Bakr (may Allah be pleased with him) came to him with Abu Quhafa. When Allah's Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) said, 'Abu Bakr, please let the old man and I will come to him.' He said, 'O Allah's Messenger, he should go to you." Allah's Messenger invited him to sit and put his hand on his heart saying, "O Abu Quhafa, if you believe in Islam, you will live in peace." Then, he declared that he will be a Muslim."

Tell me: Is there a merciful person like Allah's Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him)?! Allah, Glory be to Him, says :{And in no way have We sent you except as a mercy to the worlds.} [Al-Anbiaa (The Prophets): 107]

No one is more merciful except Allah, Glory be to Him. Allah's Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him, said: "Allah sent me as mercy."[3]

---

[1] Revealing the Hidden Matters 1/72.

[2] Kanz Al-Ummal 35462

[3] Ithaf As-Sadah Al-Muttaqin 7/262.

Ibrahim, welcomed them. Some of them believed in Judaism and resided in Khyber and Yathrib, which were the location of the Jewish Quraitha and the Nadar tribes. Sabeans, the worshippers of stars, the Majos, the worshippers of fire spread among the Ahumairien, the Arab Gulf coast. Also, there were some Barhamien. Ghassanids as well as some tribes in Iraq, the Peninsula and Bahrain believed in Christianity. Abraha tried to make the Church of Sanaa a Kaaba to which the people can perform pilgrimage after destroying the Kaaba. However, paganism was the dominant religion, if it is right to call it a religion.

The Kaba was a sacred place for the pagans, stars and fire worshippers. The appearance of Muhammad and his new religion was an actual danger threatening the benefits of servants and priests. Thus, he was oppressed, hurt and tormented extremely. Thus, he was boycotted and dismissed from Mecca and immigrated to Medina, where the advocators and immigrants gathered around him. The Prophet fought for the sake of Allah and was victorious. Islam settled and prevailed extremely; and the Muslims had a great nation like no other nation.

As for Muhammad, it is difficult to describe a worshipper in Hera Cave, preacher of Mecca and the conqueror of the Arabian Peninsula. This victorious person was characterized by piety, contemplation and avoiding the path of greed. He lived a simple life. The idea of monotheism occupied his mind and heart as he despised the paganism of Mecca. He believed in his Message as a human being directed to spreading the Salvation Message and rescuing his country from sin and delusion.

The reason for his active mind and his orientation towards one aim is his belief in the Inspiration of Heaven. We can believe that the original motives were real benevolence and charity. As a human being, he was upset from the people who refused his religion. They tyrannized him, but he forgave him in the way he hated the enemies of Allah. He eliminated in the policy of his rule the unruly fanaticism. He practiced the subjective and social graces as a prophet among his followers and friends. The philosopher who notices the belief of his followers in him and his Message emphasizes the power of this Message.

Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon him) was characterized with humbleness, as he was satisfied with a piece of barely bread, which he presented to the poor in spite of his need for it. His normal food was dates and water, and his favorite food was milk and honey. However, he did not drink wine ever, and avoided the luxurious food.

The series of inspiration did not stop from Adam to Muhammad. Every Messenger moved a step forward with humanity till religion is completed with the last Message of Muhammad. He is an ideal pattern for perfect morals and is far above all of the defects that the ill souls imagined.

*The Educational Course in the Life of Allah's Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him)...!

By: The Honorable Sheikh Ibtahim Ata Al-Fayoumy

Humanity did not know in its long history a man like Muhammad, who amazed the world with his biography and filled the history and universe with his greatness and good smell. Moreover, he attracted the world to his eternal effects in the life of humanity and its happiness.

The one who contemplates at the greatness of the honorable Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) will find that it cannot be forgotten or vanish throughout history, but it is as eternal as the Noble Quran. It is the greatness of mercy, compassion, guidance, culturing, refinement, reformation and construction.

Moreover, it is the greatness of peace, safety and protection that is eternal. The whole world derives from it the nutrition of its spiritual and social life. This greatness prepares and paves the way for the honorable life, as its Messenger guides, teaches and calls the people to Allah by wisdom and good preachment, as Allah, Glory be to Him, taught him. Allah, Glory be to Him, said: {Call to the way of your Lord with wisdom and fair admonition, and dispute with them in the way (which is) fairest. Surely your Lord is The Best Knower of the ones who have erred away from His way, and He is The Best Knower of the right-guided.} [An-Nahl (The Bee): 125]

This Messenger promises the obedient people with paradise and warns the disobedient people from Hell. He is the preacher and warner. Allah, Glory be to Him, says: {O you Prophet, surely We have sent you as a witness, and a bearer of good tidings, and constant warner, And a Caller to Allah by His permission, and as an enlightening luminary.} [Al-Ahzab (The Allaied Parties): 45, 46]

Allah's Messenger called for Allah's path having insight:

{Say, "This is my way. I call to Allah with demonstration}[Yusuf (Joseph): 108]

He had marvelous style and attractive logic that fascinates the hearts and affects in refining, guiding and reforming the people. His sayings are distinguished by clarity of meaning, eloquent and elegant style. His sayings were memorized by the sitting and understood by the hearer. The Mother of the believers, `Aishah (may Allah be pleased with her) said, "The saying of Allah's Messenger was so easy to be memorized."

Thus, the companions (may Allah be pleased with them) were amazed by the eloquence and splendor of the style of the Prophet (May the blessing and peace of

---

* An Article published [in Arabic] at Al Azhar Magazine.

promised Zakaria with Yahia, the angels promised the Virgin Marian with Isa (may the peace of Allah be upon him) and Isa with a Prophet named "Ahmad". Mosa was promised with Isa, but the Jews denied him although he belongs to them. They said that he was not the Prophet with whom they were promised.

Isa was promised with Muhammad as the coming Messenger in addition to the confession of the king of (Al-Habashah) Ethiopia and the Emperor of Rome of him after they heard about him from some of the disbelievers of Quraish. There were some signs of the Prophecy of Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon him) before his birth narrated by the contemporary Arabs such as Pagans, Jews and Christians such as the following signs:

His mother Amena, when she was pregnant, said that she saw light coming out of her showing the palaces of Basra in the Levant. Hassan Ibn Thabit narrated that he heard a Jew screaming in a very loud voice saying in a fort in Yathrib: O Jews, tonight the star of Ahmad appeared today.

Before breastfeeding the Prophet, Halima had a baby who was weeping all the night due to hunger, as her milk did not nourish him. When she put Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon him) on her legs to breastfeed him, her breasts were filled with milk that quenched his thirst and that of his half brother. Then, they slept and Halima and her husband slept quietly. The land of her homeland was very barren, as the sheep became full of milk, while the other sheep became hungry and did not produce a drop of milk.

Allah's Messenger and his half brother narrated when they were children, "He was grazing the sheep while two men dressed in white brought him a gold basin full of ice. They took and split it and pulled out its heart. Then, they got out of it black leech. They washed its heart and belly with this ice till it became pure. One of them told the other that if he weighed it against a nation, it will be equivalent to it.

Halima narrated that some people from Guinea saw him after ablactating, they asked her about him and said, "We will take this boy to our king and our country, as this boy will be a very important person and we know about him." It is narrated that a priest saw Muhammad while he was still a boy and said, "I swear that he will be a significant person." When his uncle Abu Taleb accompanied him in a trip to the Levant, they stayed in Basra where there was a priest – called Buhairy – staying in his cell. They were passing by him in the previous times without speaking to them till this year, as he prepared much food for them. He saw Muhammad and a cloud overshadowing him.

Buhairy contemplated at him and looked at his body. He asked Muhammad many questions about his status and Muhammad answered him. Then, he found the sign of prophecy on his shoulder. He told Abu Taleb, "Go back with your

nephew to his country and be cautious about the Jews. If they know what I discovered, they will plot against him, as your nephew will be a significant person.

Three Christians did the same with him. Muhammad travelled after his marriage to Khadija to the Levant accompanying her servant Maisarah. He stopped at the shadow of a tree near the cell of a priest. He looked at Maisarah and said, "No one but a prophet comes under the shadow of this tree." Khadija told her cousin Waraqa Ibn Nofal, who was Christain, what Maisarah said. Waraqah said, "If this is true, Muhammad will be the Prophet of this nation, and I know that there will be a Prophet and this is its time."

The birth of the Prophet Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) was not only a historical local event, such as any Israeli Prophet, but it was a serious universal event, not only for his people, Arabs, his own self or position, but for the whole world and for every time and place. Muhammad is the last of the Prophets and Messengers and Islam is the religion of Allah and the most perfect Message. Islam, Quran and the history of Muhammad studied many stories that are not related to his people.

Some people studied Islam objectively without fanaticism, and Allah guided them to Islam or at least dealt neutrally with it. Others were blinded by fanaticism and searched for fabrications about Islam without trying to know the truth. Whatever deluded these fanatics are, we find from time to time in their sayings and writings glow of hope which Allah reveals to be a proof of the reality of Islam.

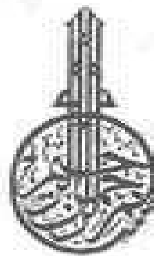
It is said that the most realistic matters are those witnessed by the enemies. It is good for the heralds of Islam to study the sayings and writings of those people. When the Muslims quote from the Quran, Sunna and the sayings of interpreters and narrators, their sayings are not accepted by the non-Muslim fanatic people. However, when the proof is taken from their sayings, it becomes more persuasive. I remember for example what is mentioned in "The World History by the Historians", which is the greatest encyclopedia in the writing of which a thousand of historians and scientists participated.

"The Seventh century AD is marked by the appearance of Prophet Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon him), who was destined to rebuild the Arab society on a new basis and stirs life and activity to the dull Peninsula. It was the beginning of improvement and progress, which had a new appearance and unlimited expansion as well as emphasizing decisively the Arab nationality and union. His religion eliminated worshipping idols, which the Arab of the Pre-Islamic era substituting for worshipping Allah. The real religious emotion appeared and there were many religions besides paganism.

When the Assyrians, Greeks and Romans dismissed the Jews from their homes, they went to the Arab Peninsula. The sons of Ismail, who worshipped the Lord of

AL-AZHAR MAGAZINE

Rabiul-Akher, 1431 A. H.



ENGLISH SECTION

April, 2010

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

The Wisdom of Delegating Sending the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him)...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Allah, Glory be to Him, willed to create the earth, providing it with all kinds of livelihood for the sake of the residence of the human being. Allah created the human being to live on earth to work and exert effort to earn his living in permitted ways and to give birth to children to people the earth till the Day of Judgment. Some of the human beings will worship and fear Allah extremely in spite of the fact that Allah does not need any of that. The human being, whom Allah created, should have good morals to be qualified for this sublime mission, chosen by Allah for him.

Allah, Glory be to Him, did not create him from light to be infallible angel or from fire to be reveler devil. However, Allah created him from clay to be valid for living on earth and receiving the Divine Message. The soul of the human being, by virtue of the nature of his creation, has evil temptations. It seeks meeting the necessary requirements of body and satisfying its desires by any means without considering the noble morals or sound principles.

Moreover, he has mind that distinguishes between the permitted and non-permitted matters and to guide him to the straight path. If his soul wins over his mind, he becomes misguided. If he resorts to his mind, he becomes good. The human being is sometimes right and other times wrong, but he makes use of the experiment every time and step by step.

The life of the human being on earth, since he was sent on earth, is a series of developing stages, each of which follows the other. Allah protects him in all of these stages by sending down a Prophet and a Messenger to guide him and warn him of evil. The Message of every Messenger was an addition to the previous one and paved the way for the next one according to the circumstances of the human being and the stages of his development.

In this way, Nouh was sent with his seven commandments, Mosa with his Ten Commandments and Isa with the Message of love and peace. Then, Allah willed to complete His graces for the human being by sending Islam and Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon him) with perfect constitution for the life of the human being in the life and afterlife. Thus, Muhammad became the last of the Prophets and Messengers.

The Divine Books proves that every Messenger promises of another one and reveals the signs of his sending down for the people not to be mistaken. Allah

الفهـــرس

بسم الله الرحمن الرحيم

وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ



الأستاذ الدكتور أحمد الطيب شيخًا للأزهر

قرار رئيس جمهورية مصر العربية
رئيس الجمهورية

بعد الاطلاع على الدستور وعلى القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها وعلى القانون رقم ٢ لسنة ١٩٧٩ بشأن بعض الأحكام الخاصة بمنصب الإمام الأكبر شيخ الأزهر.

قـــرر:

المـــــادة الأولى

يعين فضيلة الشيخ الدكتور أحمد محمد أحمد الطيب شيخا للأزهر.

المـــــادة الثانية

ينشر هذا القرار بالجريدة الرسمية.

محمد حسنى مبارك

صدر برئاسة الجمهورية فى ٣ ربيع الآخر سنة ١٤٣١هـ الموافق ١٩ مارس سنة ٢٠١٠م.

لمحات من حياة الإمام الأكبر

البيانات الشخصية

الاسم: أ.د / أحمد محمد أحمد الطيب

الجنسية: مصرى

تاريخ الميلاد: ٦ / ١ / ١٩٤٦

المؤهلات العلمية

- دكتوراه فى العقيدة والفلسفة من جامعة الأزهر بمصر عام ١٩٧٧.
- ماجستير فى العقيدة والفلسفة من جامعة الأزهر بمصر عام ١٩٧١.
- الليسانس فى العقيدة والفلسفة من جامعة الأزهر بمصر عام ١٩٦٩م.

الدرجة العلمية

- رئيس جامعة الأزهر ٢٨ / ٩ / ٢٠٠٣.
- مفتى جمهورية مصر العربية: ١٠ / ٣ / ٢٠٠٢ حتى ٢٧ / ٩ / ٢٠٠٣م.
- عين عميداً لكلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية العالمية بباكستان فى العام الدراسى ١٩٩٩ م / ٢٠٠٠م.
- تجدد انتدابه عميداً لذات الكلية اعتباراً من ٩ / ١١ / ١٩٩٧م وحتى ٣ / ١٠ / ١٩٩٩م.
- انتدب عميداً لكلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بأسوان «مصر» اعتباراً من ١٥ / ١١ / ١٩٩٥م.
- انتدب عميداً لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بمحافظة قنا «مصر» اعتباراً من: ٢٧ / ١٠ / ١٩٩٠م حتى ٣١ / ٨ / ١٩٩١م.
- أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر من ٦ / ١ / ١٩٨٨م حتى الآن.
- أستاذ مساعد العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر من ١ / ٩ / ١٩٨٢م.
- مدرس العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر من ٢٤ / ٨ / ١٩٧٧ م.
- مدرس مساعد العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر من ٥ / ١٠ / ١٩٧٢ م.
- معيد بقسم العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر من ٢ / ٩ / ١٩٦٩ م.

الجامعات التى عمل بها سابقا

- جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض.
- جامعة قطر.
- جامعة الإمارات.

● الجامعة الإسلامية العالمية - إسلام آباد - باكستان.

المؤلفــات

أولاً: الكتب العلمية

١ - الجانب النقدى فى فلسفة أبى البركات البغدادى، دار الشروق - القاهرة ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.

٢ - تعليق على قسم الإلهيات من كتاب تهذيب الكلام للتفتازانى - القاهرة ١٩٩٧م.

٣ - بحوث فى الثقافة الإسلامية بالاشتراك مع آخرين - جامعة قطر - الدوحة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.

٤ - مدخل لدراسة المنطق القديم - القاهرة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

٥ - مباحث الوجود والماهية من كتاب المواقف عرض ودراسة - القاهرة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م.

٦ - مفهوم الحركة بين الفلسفة الإسلامية والفلسفة الماركسية «بحث» القاهرة ١٩٨٢م.

٧ - أصول نظرية العلم عند الأشعرى «بحث» القاهرة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٢م.

٨ - مباحث العلة والمعلول من كتاب المواقف: عرض ودراسة، القاهرة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٢م.

ثانياً: الأبحاث المنشورة فى مجلات علمية محكمة

١ - التراث والتجديد: مناقشات وردود.

«بحث منشور فى حولية كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية بجامعة قطر العدد الحادى عشر ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م».

٢ - أسس علم الجدل عند الأشعرى «بحث منشور فى حولية كلية أصول الدين - القاهرة - العدد الرابع - ١٩٨٧م».

ثالثاً: التحقيق

تحقيق رسالة «صحيح أدلة النقل فى ماهية العقل» لأبى البركات البغدادى، مع مقدمة باللغة الفرنسية، نشر بمجلة Annales Islamogiques التى يصدرها المعهد العلمى الفرنسى بالقاهرة مجلد ١٦ سنة ١٩٨٠م.

رابعاً: الترجمة

ترجمة كتاب: Chodkiewiez, Prophetie et Saintete dans la doctrine d'Ibn Arabi

من الفرنسية إلى العربية بعنوان: الولاية والنبوة عند الشيخ محى الدين بن عربى، دار القبة الزرقاء للنشر مراكش - المغرب ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨م

- أعيد نشرها بالمجلس الأعلى للثقافة.. ودار الشروق الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م.

٢ - ترجمة المقدمات الفرنسية للمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى، نشرت بمجلة مركز بحوث السيرة والسنة - جامعة قطر، العدد الأول ١٤١٤ هـ - ١٩٩٨م.

٣ - ترجمة كتاب:

Osman Yahya Histoire Classification de l' oeuvre d'Ibn Arabi

(٢ volumes) من الفرنسية إلى العربية بعنوان: مؤلفات ابن عربى تاريخها وتصنيفها - القاهرة ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢م.

● خامساً: أبحاث المؤتمرات والندوات:

١ - بحث مقدم بعنوان: الإمام محمد عبده متكلماً «لاحتفالية الأزهر الشريف بمرور مائة عام على رحيل الإمام محمد عبده فى الفترة ٢١ - ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٤٢٦ هـ الموافق ٢٧ - ٢٨ من يوليو ٢٠٠٥م.

٢ - ضرورة التجديد «بحث ألقى بالمؤتمر العالمى للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة» فى الفترة من ٣١ مايو - ٣ يونيو ٢٠٠١م.

٣ - الشيخ مصطفى عبدالرازق المفترى عليه «بحث ألقى فى ندوة معهد العالم العربى IMA بباريس عن التصوف فى مصر من ٢٢ - ٢٩ / ٤ / ١٩٩٨م».

٤ - ابن عربى فى أروقة الجامعات المصرية «بحث ألقى فى المؤتمر الدولى عن ابن عربى فى الفترة ٧ - ١٥ / ٥ / ١٩٩٧م بمدينة مراكش بالمغرب مائل للنشر الآن فى مجلة آفاق مغربية «باللغة الفرنسية».

٥ - نظرات فى قضية تحريف القرآن المنسوبة للشيعة الإمامية «بحث ألقى بندوة كلية أصول الدين بالقاهرة فى ١ مايو ١٩٩٧م».

٦ - دراسات الفرنسيين عن ابن العربى «بحث ألقى فى المؤتمر الدولى الأول للفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم بالقاهرة ٢٠ - ٢٢ أبريل ١٩٩٦م ونشر بكتاب للمؤتمر».

المهمات العلمية

١ - سافر إلى فرنسا لحضور الملتقى الدولى التاسع عشر من أجل السلام والذى عقد بمدينة ليون، فرنسا فى الفترة من ١٠ - ١٤ / ٩ / ٢٠٠٥م.

٢ - سافر إلى المملكة الأردنية الهاشمية فى الفترة من ٣ - ٧ / ٧ / ٢٠٠٥ للمشاركة فى المؤتمر الإسلامى الدولى حول حقيقة الإسلام ودوره فى المجتمع المعاصر ورئاسة الجلسة الأولى.

٣ - سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية على رأس وفد لحضور مؤتمر

القمة للاحترام المتبادل بين الأديان المنعقد في نيويورك وجامعة هارفارد في الفترة من ٢٨ نوفمبر - إلى ٦ ديسمبر ٢٠٠٤م.

٤ - سافر إلى إيطاليا لحضور مؤتمر الأديان والثقافات «شجاعة الإنسانية الحديثة» والذي تنظمه Univversita Per-stranieri Perucia بميلانو في الفترة من ٥ - ٧ / ٩ / ٢٠٠٤.

٥ - سافر إلى إيطاليا لحضور مؤتمر الثقافة والأديان في منطقة البحر المتوسط والذي نظمته الجامعة الثالثة بروما في الفترة من ٢٥ - ٢٧ / ٦ / ٢٠٠٤.

٦ - سافر إلى إندونيسيا لحضور المؤتمر العالمي لعلماء المسلمين بإندونيسيا تحت شعار «رفع راية الإسلام رحمة للعالمين» في الفترة من ٢٢ - ٢٧ / ٢ / ٢٠٠٤م.

٧ - سافر إلى ألمانيا على رأس وفد من الصحافة ومجلس الشعب لإجراء حوار مع البرلمان الألماني ووسائل الإعلام ومجلس الكنائس في ألمانيا من ١ / ٦ / ٢٠٠٣ إلى ٦ / ٦ / ٢٠٠٣م.

٨ - سافر إلى سويسرا أستاذا زائرا بدعوة من جامعة «فريبورج» لمدة ثلاثة أسابيع من ٩ مايو ١٩٨٩ إلى ٣١ مايو ١٩٨٩م.

٩ - سافر إلى فرنسا لمدة ستة أشهر في مهمة علمية إلى جامعة باريس من ديسمبر ١٩٧٧م إلى ١٩٧٨.

١٠ - رئيس الملتقى العالمي الأول خريجي الأزهر.

مهام أخرى

- عضو الجمعية الفلسفية المصرية.
- عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- عضو مجمع البحوث الإسلامية.
- عضو مجلس أمناء اتحاد الإذاعة والتليفزيون.
- رئيس اللجنة الدينية باتحاد الإذاعة والتليفزيون.
- مقرر لجنة مراجعة وإعداد معايير التربية بوزارة التربية والتعليم.

❊❊❊

بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف في مطلع كل شهر عربي
تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

رئيس التحرير
أ.د. محمد رجب البيومي

مدير التحرير
عادل رفاعي خفاجة

سكرتير التحرير
أحمد السيد تقي الدين

الاشتراك السنوي
داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا
أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا
عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر
ت: ٢٢٦٣٨٥٩٩

جمادى الأولى ١٤٣١هـ - مايو ٢٠١٠م - الجزء الخامس - السنة الثالثة والثمانون

افتتاحية العدد

قضيـــة للمناقشـــة

هل مضى عصر الخطابة؟

ليست الخطابة ـ كما قد يظن ـ مفردات تنمق وجملا تنسق ليتسجم وقعها فى الأذهان، كما يتبادر لدى قوم يكرهون البلاغة لأنهم لا يعرفون عنها شيئا والناس أعداء ما جهلوا ولكن الخطابة تحتاج إلى قدرة عقلية فائقة فى الإحاطة بالموضوع وطريق معالجته وسبل الاستمالة المرجوة من السامعين وكل ذلك يتطلب زاداً من المعرفة وخبرة وافية بأحوال الناس ودرسا دقيقا لتيارات المجتمع المتباينة ولن يبلغ ذلك كله إلا إنسان واع ضليع.

ونحن نتلفت فى حاضرنا الراهن وما قبلنا إلى ما يبلغ خمسة وأربعين من الأعوام فلا نكاد نجد خطيبا تروى آثاره وتحفظ شوارده والعهد عهد الجامعات الممتدة بكلياتها المتنوعة إلى أكثر عواصم الأقاليم وعهد المدارس المبثوثة فى النجوع والقرى حتى لاتكاد تخلو قرية من مدرسة وأساتذة وطلاب، وعهد ازدهار أدوات الإعلام من إذاعة مرئية ومسموعة وصحافة وشركات أنباء وعهد تدفق المطابع بالكثرة الكاثرة من المؤلفات أصيلة ودخيلة عربية وأعجمية، وعهد قصور الثقافة بندواتها ومسارحها ووفود المتحدثين المتنقلين من بلد إلى بلد ليجلسوا فوق المنصات ويتبادلوا الحديث فى شئون السياسة والأدب والاجتماع!! أجل إن هذا الأفق المتسع الممتد في حقل الثقافة والعلم والفن لم يسمح بخطيب واحد كعبد الله النديم الذى انبثق نوره قبل الشروق وفى غبش الظلام أو مصطفى كامل الذى رنت آثاره قبل أن تنشأ جامعة واحدة أو سعد زغلول الذى أنشأ جيلا من الخطباء يتربون بزيه ويترسمون نهجه أنشاه فى أمد قريب إذ ما خطب سعد خطبته الأولى بعد رجوعه من منفاه حتى استعد لمحاكاته عشرات من ذوى الأصالة وحتى كادت كل قرية أن يكون بها خطيب ثائر كسعد دعك من حوارييه الكبار فى ندوات السياسة ومجلسى النواب والشيوخ ومنابر المساجد فى الأزهر وما شابهه وتضيق بى السطور حين أذكر مثل مصطفى القاياتى وإبراهيم عبد الهادى ومكرم عبيد ومحمد عبد الرحمن الجديلى ويوسف الجندى ومحمد توفيق دياب ممن لا أستطيع إحصاءهم وجميعهم أبناء سعد ومازال الموج يحتشد ويتلاطم بعد رحيل سعد إذ أصبحت الأشبال آسادا وازدهرت الجامعة الواحدة بمن خرجت من رجال القانون والسياسة والاجتماع حتى قامت الثورة سنة ١٩٥٢ م فإذا المتكلم فى كل اجتماع زعيم واحد وإذا القوم أصفار وليت هذا المتكلم كان على شيء من الدربة الخطابية ولكنه كان يتحدث فقط فأعطى مثالا جديدا للمتحدثين من بعده وهكذا ضاعت الخطابة والخطباء بل هكذا زحفت العامية الرخيصة لتكون أداة الحديث فى المحافل والندوات والمتكلمون وزراء ومحافظون ونواب يقال إن نصفهم من العمال والفلاحين والحقيقة أنهم كلهم ذلك إلا من ندر


سعد زغلول


مصطفى كامل

ولست أريد فى هذا المقال أن أتحدث عن مزايا الخطابة وأثرها فى ارتقاء المجتمع وقيادته إلى سبل الصلاح فكتب التاريخ الأدبى قد حفلت بذلك حين تحدثت عن أثر الخطابة في ازدهار الحركة الفكرية باليونان ثم تلاشى هذا الأثر فى دولة الرومان حين سادها الحكم الدكتاتورى بدءا فعاش الناس فى شرور الظلم والاضطهاد إلى أن ظهرت بوادر الحرية فارتقت روما بأمثال شيشرون واستشرفت إلى أفق وضاء وجاء الإسلام فازدهرت الخطابة فى عهود الحرية وانتكست فى عهود الطغيان ثم هذه نهضة أوربا التى قامت على أكتاف النابهين من الخطباء حتى أن الظلمة من الطغاة أمثال روبسبير أخذوا يوالون الخطب تأييدا لبطشهم الغادر ولكن هذه المزوقات الخادعة وجدت من يرد عليها بمنطق صارم فازدهرت الحرية بازدهار الخطابة وقد يقال: إن الأمر على النقيض إذ ازدهرت الخطابة بازدهار الحرية وهذا صحيح بالنظر إلى اتساع الأفق أمام الخطباء فى عصر الحرية ولكنه

لايمنع أن تكون الخطابة باعثة الحرية حين تبهت الأذهان إلى صبح جديد

لست في حاجة إذن إلى أن أتحدث عن مزايا الخطابة ولكنى الآن أهدف إلى أسباب موت الخطابة المعاصرة ولا أقول ركودها والدليل على ذلك أنى أبحث عن خطيب واحد فلا أجد..

تعرف أن من لوازم الخطيب الجدير بهذا الوصف أن يكون مثقفا فالثقافة غذاؤه الذى يستمد منه فكره وكلما عمقت ثقافته زاد رسوخا وأنا لا أنكر فضل الموهبة ولكن الموهبة ليست بشىء إذا لم تجد الرى الدائم يهمى على البذرة المستكنة فى أعماق الأرض لتشق طرفها غصنا ناميا حيا فينانا وثقافة الطالب بالأمس كانت ذات دسم ثرى، لأن المدرسة كانت مدرسة حقيقية بأدواتها وأساتذتها ومناهجها وليست هيكلا صوريا لا يؤدى رسالته إلا بالمسكنات الطارئة وأكبرها فداحة هذه الدروس الخصوصية المتسرة التى تجعل من التلميذ أداة للتلقين المكتنز كى يجتاز الامتحان بكتابة سطور يضطر المصحح لإجازتها لأنها تمثل الطابع العام فالطالب فى المدرسة الابتدائية القديمة كان لا ينال درجتها النهائية إلا وهو حافظ لنصوص أدبية كثيرة من القرآن الكريم والحديث الشريف والمختار من الشعر والنثر هذا إلى الإلمام الوافى بقواعد النحو والإملاء والخط فإذا اقتصر على ما حصل وانتهى إلى وظيفة متواضعة فإنه بثقافته تلك يصير قارئا جيدا للصحف والكتب ويصبح مشاركا فى أفانين الحديث ويظل على حبه للقراءة يزداد نضوجا واكتمالا والدليل الواضح على ما أقول أنك تجد حامل الابتدائية القديمة يجلس مع ولده المتخرج فى إحدى كليات الجامعة فيكون أكثر منه إلماما باللغة العربية وأحداث التاريخ فحامل الليسانس الآن يخطىء إذا قرأ وأبوه لا يخطىء بل يستنكر الخطأ ويقلب كفا على كف فإذا تركنا الابتدائية القديمة إلى الثانوية القديمة فإنك تجد بمدارسها من الثقافة الحقيقية ما لا تجده فى كليات اليوم لقد كان النشاط المدرسى إذ ذاك منهجا مرسوما له جمعياته أساتذة وطلابا فأسرة للخطابة وهى موضوع الحديث وأسرة للشعر وأسرة للرحلات وأسرة للتربية البدنية وغيرها ولكل أسرة موعدها الأسبوعى إذ يجتمع الطلاب مع الأستاذ المشرف ليزاولوا النشاط العملى فى عمل مجسد شاخص وقد كانت أسرة الخطابة ميدانا لتسابق الناشئين حيث يحرص كل منتسب إلى أسرة الخطابة أن يكون ذا دور مرموق فإذا حانت المناسبات الدورية الخاصة بالاحتفالات الموسمية كانت أسرتا الخطابة والشعر بطلابهما وأساتذتهما موضع احتفاء السامعين من



طه حسين أحمد أمين

الزائرين وأولياء أمور الطلاب وتسألني من أين استمد طالب المدرسة الثانوية غذاءه العقلى وهو مراهق يخطو الخطوات الأولى فى حياته العلمية فأجيب :

كنت طالبا بالمعاهد الدينية الأزهرية وكان عددها أول التحاقى بالأزهر سبعة معاهد فقط فكانت كتب التفسير والحديث وبعض كتب التراث تقدم لى غذاء فكريا أصيلا ولكنى أسكن مع بعض تلاميذ المدارس الثانوية فأجد بين أيديهم كتبا للثقافة العربية ليست ملك يدى وقد كُتب فى أعلى كل كتاب (وزارة المعارف العمومية) هذه الكتب الممتازة توزع على الطلاب ومن بينها كتاب البخلاء للجاحظ وأدب الدنيا والدين للماوردى وحضارة الإسلام لجميل نخلة المدور والمكافأة لأحمد بن يوسف وديوان البارودى (الأول والثانى) ومهذب رحلة ابن بطوطة ونقد النثر لقدامة بن جعفر وهذا ما أذكره على بعد الأمد وغيره من طرازه كثير مثل كتب النصوص وتاريخ الأدب التى تأتى تحت عنوان (المنتخب من أدب العرب) (المجمل فى تاريخ الأدب) (المفصل فى تاريخ الأدب) (التوجيه الأدبى) وكلها من تأليف أعلام العصر مثل أحمد أمين وعلى الجارم وعبد العزيز البشرى وأحمد الاسكندرى وأحمد ضيف وطه حسين هذه المكتبة العلمية الرائعة كانت فى متناول كل طالب وكنت أجد ما يباع منها بعد نهاية العام على أسوار المكاتب الشعبية بما لا يزيد ثمن الكتاب الواحد عن أربعة قروش على الأكثر فيقرؤها من لم يتح لهم تسلمها فى المدارس وأنا منهم فإذا كان هذا بعض ما يقرأ الطالب بإرشاد الأستاذ فكيف لا يكون عضوا فى جماعة الخطابة بالمدرسة أو جماعة الشعر أو جماعة المسرح أما كتب المطالعة ذات الموضوع الواحد فكانت من آثار طه حسين والعقاد ومحمد فريد أبو حديد وعلى الجارم ونجيب محفوظ وعلى أحمد باكثير ومحمد سعيد العريان وكلهم من كتاب الصف الأول أفلا تكون المدرسة الثانوية وهى بهذه القوة العلمية جديرة بأن تؤهل الطالب للدراسة فى كليتى الآداب والحقوق إذا كان من ذوى الاتجاه الأدبى وجديرة أن يستنير بها ذوو الاتجاه العلمى ممن يلتحقون بالكليات الأخرى ولهم فى المرحلة الثانوية كتبهم


محمد حسين هيكل

العلمية أيضا وكثير من هؤلاء الطلاب قد اقتصروا على المرحلة التوجيهية بالمدارس وتلقفتهم بعض الوظائف المناسبة فكانوا أعظم كفاءة من حاملى الليسانس والبكالوريوس فى هذه الأيام بحيث يكتبون ما يطلب منهم من التقارير كتابة مستوية سليمة وبحيث يقرءون فى المحافل ما تعهد إليهم قراءته باطمئنان إننا نرى اليوم من كبار المسئولين من يتحدث فيخطئ فى السطر الواحد مرات ثم لا يعد ذلك شيئا ذا بال، وقد سمعت بأذنى من يتظرف مبتسما وهو يقول لا مؤاخذة (النحو عندى مكسور) مع أنه لو كان طالبا فى السنة الأولى الثانوية وكسر نحوه بهذه الأضحوكة لرسب فى الامتحان

لنترك المدرسة إلى صحافة اليوم فقد تجد من كتابها نفرا من الأصلاء تهش لما يكتبون ولكنك تجد معهم من يكتب جملا متراكبة لا تفضى إلى جلاء ناصع وقد كان هذا محظورا كل الحظر أيام كان رؤساء التحرير أمثال طه حسين وانطون الجميل وعبد القادر حمزة ومحمد توفيق دياب ومحمد حسين هيكل وأحمد حافظ عوض وكلهم جميعا من أعضاء مجمع اللغة العربية فخلف من بعدهم خلف لا أحاول أن أصمهم بما يستحقون بل أترك للقارئ أن يسأل كيف يسمح هؤلاء أن ينشروا هذا الإسفاف لأناس تتكرر أسماؤهم كل أسبوع ويحسبون أنفسهم على شىء وعلى مائدة هؤلاء يتثقف من تلاميذ المدارس اليوم من حرم الزاد فى نشأته المدرسية ليزداد حرمانا بما يقرأ ويختار

لم نبعد عن موضوع الخطابة لأننا نتحدث عن الزاد الأدبى المنتظر لكل من يريد أن يقنع الناس برأيه فى محفل عام وإذا كنت قد خصصت علوم الأدب بالنصيب الأوفر من الحديث فلن أنكر جدوى علوم النفس والتربية والتاريخ والاجتماع والسياسة فى عصر تمازجت فيه الثقافات وتعددت روافدها ما بين مشرق ومغرب على أن الأهم من ذلك كله أن يوجد لدينا الخطيب القدوة الذى يحتذيه تلاميذه وأن يكون هذا المثال رحيم القلب واسع الصدر مرحبا بالمؤيد والمخالف معا وأذكر سعد زغلول العظيم فى هذا المجال إذ كان يصغى إلى خطباء المحافل الذين يلونه فى الحديث إصغاء مشجعا ويثنى عليهم فى التعقيب النهائى بل كان لا يتحرج أن يعترف لمناوئه بأنه أفضل منه لقد ذكر الأستاذ حافظ محمود فى مقال جيد له تحت عنوان (تحولت الخطابة إلى نصوص) نشره بجريدة الأهرام الصادرة بتاريخ

٢٨/٦/١٩٩٦م (أن سعد زغلول قرأ فى جريدة السياسة وهى صحيفة معارضة أنه لا يملك من أدوات الزعامة غير تفوقه الخطابى الذى بنى عليه شعبيته فرد قائلا كيف لا أملك من أدوات الزعامة سوى تفوقى الخطابى وفى جريدتكم (السياسة) من هو أخطب منى وهو توفيق دياب)

لقد اعترف سعد للشاب الواعد توفيق دياب بأنه أخطب منه وهو اعتراف رفع من شأن سعد دون أن يهبط به وقد كان توفيق يهاجم سعدا كل يوم فى جريدة السياسة وكان من المنتظر أن يتأثر الزعيم بمهاجمات غريمه المتكررة ولكنه نظر لشباب مصر جميعا نظرة الأب الرحيم الذى قد يغضب على نجله حينا ولكنه لا يبخل عليه بحبه وتقديره وإخال هذه اللفتة الكريمة كانت دافع توفيق دياب لكتابة فصل رائع تحت عنوان سعد زغلول خطيبا كتبه فى مجلة الهلال قبل أن يرحل سعد إلى جوار ربه وفيه يقول [1]: «أحس أن هذه الشخصية لا تلقى أقوالا من اللفظ ولكن قطعا من الروح من روح غنية بالذكاء والفطنة غنية بالشعور والعاطفة غنية بالعزيمة وشدة البأس ثم أحس أن هذه الروح قد أوتيت من وسائل الخطيب مالم يؤته أحد ممن رأيت، وجه قد ارتسمت فيه مخايل القوة وأقصى درجات الثقة بالنفس وقامة مع هذه السن معتدلة لا تنحنى للأيام وإشارة باليدين فى مواطن التوكيد أو الاستعانة على أداء الغرض لم أشهد مثلها سدادا وحسن دلالة وقد يومئ الإيماءة فتجئ أبلغ من الجمل ذات الطنين والرنين وصوت يا له من صوت قوى فى حنان عميق دون أن يكون أجوف مرتفع إذا شاء دون أن يكون حادا يحز فى الآذان صوت مرن فى الدرجة القصوى من المرونة يعلو به ويهبط ويوسع من حجمه ويضيّق كما تشاء له عواطفه ومعانيه دون تعمل ولاقصد كالموسيقار النابغة يجرى قوسه على أوتار القيثارة فيروعك بالمطرب والمعجب دون أن يتكلف لذلك جهدا وإن سعدا ليتكلم فتحس أن خلجاتك متصلة بنبرات صوته ذلك أن نبرات صوته متصلة بخلجات فؤاده، وخلجات فؤاده صادرة عن عواطف قوية، بين سارة تسر السامعين، وحزينة تحزنهم وثائرة تثيرهم فلا تمسك خفائظهم إلا هو»

أعتقد أننا لو حللنا سمات الخطيب الممتاز فى أى لغة أو عصر لوجدنا ما قاله

---

(١) مجلة الهلال مجلد سنة ١٩٢٦م وقد أعيد نشره فى مجموعة "اللمحات" لتوفيق دياب

محمد توفيق دياب عن سعد زغلول ذا غنية وافية لما نريد وإذن فلا نزيد..

وبعد، فانحدار الخطابة في هذا الزمن أمر لاجدال فيه، ولا يستطيع أحد أن يذكر لنا في غير الخطب الدينية لأمثال المراغي والغزالي والشعراوي والطنطاوي خطيبا مرموقا يمتع الناس في شئون السياسة والاجتماع والاقتصاد



الغزالي — الشعراوي

وأعجب ما أجده لدى مؤرخي الأدب في هذا العصر من أساتذة الجامعة وغيرهم أنهم يتحدثون عن القصة بإشباع وعن الشعر بإسهاب ثم يتركون الحديث عن الخطابة وكأنها ليست فنا أدبيا ممتازا سطعت في أفقه نجوم ذات إشعاع فإذا قلت إنهم لم يجدوا ما يتحدثون عنه من النتاج الخطابي فلماذا لا يقفون وقفات تحليلية أمام انحدار الخطابة المعاصرة، لقد تخلف الشعر في عصر المماليك مثلا فوجد من يعلل هذا التأخر وقد فقدت القصة بنموذجها المعاصر فيما قبل هذا العصر فوجدنا من يعلل ذلك ويلتمس ما يقرب من القصة من أمثال المقامات والسير الشعبية لأبي زيد، وليالي ألف ليلة ليجعل منها إرهاصات سابقة تمهد لما جد في هذا العصر أما الخطابة التي ازدهرت بأسماء قس بن ساعدة وعلي بن أبي طالب والحجاج في القديم وبأمثال من أشرنا إليهم من قبل في الحديث فلم تجد من المؤرخين من يقول كيف كانت وأين صارت ؟

لقد كان الصحافي الكبير الأستاذ حافظ محمود أحد الذين توجعوا لمصير الخطابة في هذا العصر إذ قدر له أن يعيش أرقى عهودها الزاهرة منذ قيام ثورة ١٩١٩ واشترك في جماعات الخطابة طالبا ثم في ندوات السياسة الوطنية صحافيا نابها وقد كتب بمجلة الثقافة الصادرة في أكتوبر سنة ١٩٧٨ مقالا تحت عنوان (العصر الذهبي للخطابة) أفاض فيه بشجونه الآسية على انحدار هذا الفن الرفيع وأذكر أني عقبت عليه بمقال تال بالعدد الصادر في نوفمبر سنة ١٩٧٨ بتوقيع (أبو حسام ـ المنصورة) إذ مس المقال وترا مشجيا في نفسي فتجاوبت معه كما يتجاوب طائران كسيرا الجناحين في فن واحد ثم أعاد الأستاذ الكرة بحديث مستفيض نشره بجريدة الأهرام تحت عنوان (تحولت الخطابة إلى نصوص واختفت جمعياتها ونصوصها من المدارس والجامعات (٢٨ / ٦ / ١٩٩٦م) وقد ابتدأ الحوار مع كاتب الجريدة بتشخيص دقيق لما انحدرت فيه الخطابة المعاصرة ثم رد على رأي يقول : " إن الخطابة تعتمد على العاطفة ومن الصعب أن تجد مكانها الآن في عصر العقل " فقال إن هذا اتهام صارخ للخطابة ووصم لها بالقصور عن الإقناع وهو تجاهل صريح لسمات الخطابة المتوارثة منذ الأجيال.

أما انحطاط الخطابة فيرجع فيما أدلى به الأستاذ حافظ وهو ما أوافقه عليه تماما إلى العجز الواضح الذي نشهده في ندوات المسئولين عن الإفصاح المبين مع ظهور جماعة من الأدعياء جعلوا العامية وحدها وسيلة التعبير ومن يريد الظهور بمظهر الخطيب يخلط بين العامية والعربية ويسكن أواخر الكلمات لأنه لا يعرف البديهيات من قواعد النحو..

هذا وقد يظن ظان أن العجز هنا في الصياغة وحدها كما قد يفهم ذلك من وجه السؤال إلى الأستاذ حافظ ولكن الذي يتعمق المأساة يجد العجز في التفكير مواكبا للعجز في التعبير لأن صاحب التفكير المنطقي المتصل يجد الألفاظ تنهال على لسانه انهيالا لوجود ما يمتلئ به من فكر واع قامت براهينه في نفسه وأصبح هدفا يسعى إلى تحقيقه وقد كانت لدينا دروس مستقلة في فن الإلقاء بالجامعات يقوم بها أمثال الأساتذة محمد توفيق دياب ومحمد مظهر سعيد وعبد الوهاب حمودة في كليتي الحقوق والآداب فمضت هذه الدروس إلى غير رجعة وواضح أن الذي يحرص على الإلقاء الجيد يحرص على الموضوع الجيد والإقناع الفاصل والتعبير الدقيق وهذه الثلاثة كل متكامل لا ينفصل أحد منهما عن صاحبيه لمن احترم حق السامع في التوجيه والإقناع واحترم موقفه أمام النقاد من الحاضرين وكل مستمع ناقد على قدر طاقته فهو يبدي رأيه فيما يسمع كما يبدي رأيه فيما يأكل ويلبس عفوا دون إمهال .

إن اختفاء الخطابة في هذا العصر قضية تفرض وجودها على الساحة الأدبية وتستدعي تداول الآراء وتعدد الأفكار.

د./ محمد رجب البيومي

تفسير سورة النساء

لفضيلة/ الأستاذ الدكتور
محمد سيد طنطاوى
رحمه الله

قال تعالى:

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾

(الآيات: ٢٦ : ٢٨)

قوله تعالى:

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾

استئناف مقرر لما سبق من الأحكام وقد ساقه- سبحانه- لإيناس قلوب المؤمنين حتى يمتثلوا عن اقتناع وتسليم لما شرعه الله لهم من أحكام.

قال الآلوسى: ومثل هذا التركيب- قوله: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ وقع فى كلام العرب قديما وخرجه النحاة على مذاهب:

فقيل مفعول ﴿يُرِيدُ﴾ محذوف أى: يريد الله تحليل ما أحل وتحريم ما حرم ونحوه.. واللام للتعليل.. ونسب هذا إلى سيبويه وجمهور البصريين.

فتعلق الإرادة غير التبيين، وإنما فعلوه لئلا يتعدى الفعل إلى مفعوله المتأخر عنه باللام وهو ممتنع أو ضعيف.

وذهب بعض البصريين إلى أن الفعل مؤول بالمصدر من غير سابك، كما قيل به فى قولهم: «تسمع بالمعيدى خير من أن تراه» أى إرادتى كائنة للتبيين وفيه تكلف.

وذهب الكوفيون إلى أن اللام هى الناصبة للفعل من غير إضمار أن، وهى وما بعدها مفعول للفعل المقدم أى: يريد الله البيان لكم [1].

والمعنى: يريد الله- تعالى- بما شرع لكم من أحكام، وبما ذكر من محرمات ومباحات أن يبين لكم ما فيه خيركم وصلاحكم وسعادتكم، وأن يميز لكم بين الحلال والحرام والحسن والقبيح.

وقوله:

﴿ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾

معطوف على ما قبله.. والسنن: جمع سنة وهى الطريقة وفى أكثر استعمالها تكون للطريقة المثلى الهادية إلى الحق.

أى: ويهديكم مناهج وطرائق من تقدمكم من الأنبياء والصالحين، لتقتفوا آثارهم وتسلكوا سبيلهم.

وليس المراد أن جميع ما شرعه الله من حلال أو من حرام كان مشروعاً بعينه للأمم السابقة.

بل المراد أن الله كما قد شرع للأمم السابقة من الأحكام ما هم فى حاجة إليه وما اقتضته مصالحهم، فكذلك قد شرع لنا ما نحن فى حاجة إليه وما يحقق مصالحنا، فإن الشرائع والتكاليف وإن كانت مختلفة فى ذاتها إلا أنها متفقة فى باب المصالح.

وقوله: ﴿ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ عطوف على ما قبله.. والتوبة معناها: ترك الذنب مع الندم عليه والعزم على عدم العودة، وذلك مستحيل فى حقه- سبحانه- لذا قالوا: المراد بها هنا المغفرة لتسببها عنها. أو المراد بها قبول التوبة. أى: ويقبل توبتكم متى رجعتم إليه بصدق وإخلاص، فقد تكفل- سبحانه- لعباده أن يغفر لهم خطاياهم متى تابوا إليه توبة صادقة نصوحاً وفى التعبير عن قبول التوبة بقوله: ﴿ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾

إشارة إلى ما يتضمنه معنى قبول التوبة من ستر للذنوب، ومنع لكشفها، فهى غطاء على المعاصى يمنعها من الظهور حتى يذهب تأثيرها فى النفس: فالآية الكريمة تحريض على التوبة، لأن الوعد بقبولها متى كانت صادقة يغرى الناس. بطرق بابها وبالإكثار منها.

وقوله: ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

١- تفسير الألوسى جـ٥/ ١٣.

أى والله – تعالى – ذو علم شامل لجميع الأشياء، فيعلم أن ما شرع لكم من أحكام مناسب لكم، وما سلكه المهتدون من الأمم قبلكم، ومتى تكون توبة أحدكم صادقة ومتى لا تكون كذلك ﴿ حَكِيمٌ ﴾ يضع الأمور فى مواضعها.

فيبين لمن يشاء، ويهدى من يشاء، ويتوب على من يشاء.

فأنت ترى أن هذه الآية قد بينت جانباً من مظاهر فضل الله ورحمته بعباده، حيث كشفت للناس أن الله – تعالى – يريد بإنزاله لهذا القرآن أن يبين لهم التكاليف التى كلفهم بها ليعرفوا الخير من الشر، وأن يرشدهم إلى سبل من تقدمهم من أهل الحق، وأن يغفر لهم ذنوبهم متى أخلصوا له التوبة.

ثم أخبر – سبحانه – عما يريد لعباده من خير وصلاح وما يريده لهم الفاسقون من شر وفساد فقال – تعالى –:

﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾

أى: والله – تعالى – يريد منكم أن تفعلوا ما يجعلكم أهلاً لمغفرته ورضوانه وما يفضى بكم إلى قبول توبتكم، وارتفاع منزلتكم عنده، بينما يريد الذين يتبعون الشهوات من أهل الكفر والفسوق والعصيان أن تبتعدوا عن الحق والخير ابتعاداً عظيماً. والميل: أصله الانحراف من الوسط إلى جانب من الجوانب: ولما كان الاعتدال عبارة عن العدل والتوسط، أطلق الميل على الجور والابتعاد عن الحق.

ووصف الميل بالعظم للإشعار بأن الذين يتبعون الشهوات لا يكتفون من غيرهم بالميل اليسير عن الحق، وإنما يريدون منهم انحرافاً مطلقاً عن الطريق المستقيم الذى أمر الله بسلوكه والسير فيه.

وهؤلاء الذين وصفهم الله بما وصف موجودون فى كل زمان، وتراهم دائماً يحملون لواء الرذيلة والفجور تارة باسم الحرية وتارة باسم المدنية وقد حذر الله – تعالى – عباده منهم حتى لا يتأثروا بهم، وحتى يقاوموهم ويكشفوا عن زيفهم وضلالهم.

﴿ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾

(التوبة: ٣٢)

ثم بين – سبحانه – لوناً آخر من ألوان رحمته ورأفته بعباده فقال:

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾

أى: يريد الله بما شرعه لكم من أحكام، وبما كلفكم به من تكاليف هى فى قدرتكم واستطاعتكم أن يخفف عنكم فى شرائعه وأوامره ونواهيه، لكى تزدادوا له فى الطاعة والاستجابة والشكر.

﴿ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾

أى لا يصبر على مشاق الطاعات، فكان من رحمة الله – تعالى – به أن خفف عنه فى التكاليف.

وهذا اليسر والتخفيف فى التكاليف من أبرز مميزات الشريعة الإسلامية، وقد بين القرآن الكريم ذلك فى كثير من آياته، ومن ذلك قوله – تعالى – :

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾

(البقرة: ١٨٥)

وقوله – تعالى :

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾

(الحج: ٧٨)

وقوله – تعالى :

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾

(الأعراف: ١٥٦: ١٥٧)

ولقد كان من هدى النبى ﷺ التخفيف والتيسير، ففى الحديث الشريف: «إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه»[٢].

وكان من وصاياه لمعاذ بن جبل، وأبى موسى الأشعرى عندما أرسلهما إلى اليمن: «يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا»[٣].

وبذلك ترى أن هذه الآيات الكريمة قد بينت لنا ألواناً من مظاهر فضل الله على عباده ورحمته بهم، لكى يزدادوا له شكراً وطاعة وخضوعاً.

***

(٢) البخارى.

(٣) البخارى.

﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾

لفضيلة الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومى

روى الإمام أحمد عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت: «أتانى رسول الله ﷺ فقال: «إنى سأعرض عليك أمراً فلا عليك ألا تعجلى فيه حتى تشاورى أبويك». فقلت: وما هذا الأمر؟ قالت: فتلا علىّ:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (28) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

(الأحزاب: ٢٨، ٢٩)

قالت عائشة: فقلت: وفى أى ذلك تأمرنى أشاور أبوى؟! بل أريد الله ورسوله والدار الآخرة قالت: فسر بذلك النبى ﷺ وأعجبه، وقال: «سأعرض على صواحبك ما عرضت عليك».

قالت: فقلت له: فلا تخبرهن بالذى اخترت، فلم يفعل وكان يقول لهن كما قال لعائشة، ثم يقول: «قد اختارت عائشة الله ورسوله والدار الآخرة». قالت عائشة: قد خيرنا رسول الله ﷺ فلم نر ذلك طلاقاً».

الشرح والبيان

لقد أرسل الله - عز وجل - الرسل هداة مرشدين وقادة ناصحين، يدلون الناس على أبواب الخير، ويرشدونهم إلى ما يصلحهم فى معاشهم ومعادهم، ويضمن لهم عز الدنيا ونعيم الآخرة، ورضوان الله والجنة، ولم تعرف الدنيا على مر العصور وتتابع الأجيال إنساناً كمحمد ﷺ بهر الدنيا بسيرته، وأوقف التاريخ خاشعاً مبهوراً أمام عظمته، وكيف لا وقد ختم الله به الرسل، وبرسالته الرسالات، وجعل رسالته رسالة عامة تامة صالحة لكل زمان ومكان تساير الدهر وتستقر فى

صفحة الخلود، ويجد الناس فيها الحلول لكافة مشكلاتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والبيئية وغيرها؟! روى الحاكم فى مستدركه عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إنى قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتى، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض».

فقد أرسله ربه رحمة للعالمين وهداية للخلق أجمعين، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، ما ترك خيراً إلا أمر به وحث عليه، ولا شراً إلا نهى عنه وحذر منه، وبذلك تحقق فى الأمة فضله، وعم الأنام نفعه، يتضح هذا فى مبدأ الشورى الذى أرسى قواعده رسول الله ﷺ، والذى ينبغى أن ينتهجه المسلمون فى حياتهم وسلوكهم.

والشورى اسم من أشار عليه بكذا، بمعنى: استخراج الرأى، ومنه: أهل المشورة، ومجلس الشورى. والشورى فى الاصطلاح: استنباط المرء الرأى من غيره فى الأمور التى يتردد المرء بين فعلها وتركها.

هذا وقد أمر الله - عز وجل - نبيه ورسوله محمداً ﷺ أن يشاور أصحابه فيما يعن له من أمور، قال تعالى:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾

(آل عمران - ١٥٩)

فكان رسول الله ﷺ فى أفعاله وأقواله تطبيقاً أميناً وترجمة صادقة لما جاء فى كتاب الله تعالى وقد اقتدى به خلفاؤه وأصحابه، وبهذا ورد نعتهم ومدحهم فى كتاب الله، قال سبحانه وتعالى:

﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾

(الشورى - ٣٨)

وبأسلوب بليغ تتجلى فيه الحكمة والروعة وتبرز من خلاله الشفقة والرحمة يقول النبى ﷺ للصديقة بن الصديق - رضى الله عنهما - حين تأذى ﷺ من بعض زوجاته لما سألنه شيئاً من عرض الدنيا - وقيل: سألنه زيادة فى النفقة، وقيل: آذينه بغيرة بعضهن من بعض، وقيل: أمر بتلاوة الآية الكريمة:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (28) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

(الأحزاب ٢٨ : ٢٩)

إلى آخر ما جاء فى الحديث الشريف الذى صدرنا به هذا المقال، حتى قالت عائشة: «قد خيرنا رسول الله فلم نر ذلك طلاقاً»، وفى هذا دلالة - على مذهب الأئمة مالك، وأحمد، والشافعى، وأبى حنيفة، وجماهير العلماء - على أن من خير زوجته فاختارته لم يكن ذلك طلاقاً

ولا يقع به فرقة، وهو المعتمد، وغيره ضعيف مردود بهذا الحديث وغيره.

وقد وردت رواية أخرى زادت هذا الحديث وضوحاً، وبينت الأسباب التي أدت إليه، روى الإمام مسلم عن جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد منهم قال: فأذن لأبي بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له، فوجد النبي ﷺ جالساً حوله نساؤه واجماً ساكتاً، قال: فقال: لأقولن شيئاً أضحك النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها. فضحك رسول الله ﷺ وقال: «هن حولي كما ترى يسألنني النفقة» فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده فقلن: والله لا نسأل رسول الله ﷺ شيئاً أبداً ليس عنده، ثم اعتزلهن شهراً أو تسعاً وعشرين، ثم نزلت عليه هذه الآية:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ ﴾

حتى بلغ:

﴿ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

قال: فبدأ بعائشة فقال: «يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمراً أحب ألا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك». قالت: وما هو يا رسول الله؟ فتلا عليها الآية قالت: أفيك يا رسول الله استشير أبوي؟! بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة وأسألك ألا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت. قال: «لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها، إن الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا، ولكن بعثني معلماً ميسراً».

ويتجلى ذلك في موقفه ﷺ من أسرى بدر حين استشار أصحابه فيهم، فأشار عليه أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - بأن يقبل منهم الفداء، لعل الله يقبل توبتهم، فهم قومه وأهله.. وأشار عليه الفاروق - رضي الله عنه - فقال: يا رسول الله كذبوك وأخرجوك فاضرب أعناقهم، فقال ﷺ: إن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم عليه السلام، قال:

﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

(إبراهيم: ٣٦)

ومثلك يا أبا بكر كمثل عيسى عليه السلام قال:

﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

(المائدة: ١١٨)

وإن مثلك يا عمر كمثل نوح عليه السلام قال:

﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾

(نوح: ٢٦، ٢٧)

وإن مثلك يا عمر كمثل موسى عليه السلام، قال:

﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾

(يونس: ٨٨)

وأخذ رسول الله ﷺ برأي أبي بكر، وقبل منهم الفداء، فأنزل الله جل وعز قوله:

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

(الأنفال: ٦٧: ٦٨)

فلقي رسول الله ﷺ عمر فقال: «كاد أن يصيبنا في خلافك بلاء»!

ولذلك اشترط العلماء لأهلية المستشار- أن يتمتع بالعقل الكامل، والفكر المستنير، والخبرة والتجربة، وأن يكون ذا دين وتقوى وصلاح وورع، ليوفق فيما يشير به، وأن يكون ناصحاً ودوداً سليم الفكر من هم قاطع، وغم شاغل، وألا يكون له في الأمر المستشار فيه غرض ولا هوى.

فإذا استشار المؤمن أخاه وجب أن يشير عليه بما يراه خيراً، فقد روى أصحاب السنن- بإسناد حسن- أن النبي ﷺ قال: «المستشار مؤتمن» فمن غش أخاه في الاستشارة فقد خانه، روى أبو داود والحاكم- بسند صحيح- أن النبي ﷺ قال: «من أشار على أخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره- فقد خانه».

فليتنا- حكاماً ومحكومين- نأخذ بهذا المبدأ الإسلامي العظيم، لينتشر الأمن ويعم السلام ويشيع الحب، والله يوفقنا جميعاً إلى ما يحبه ويرضاه.

***

الإيثار

لفضيلة الشيخ/ علي عبدالباقي شحاتة
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

في المقال السابق وعدنا أن نتكلم عن خاصة المتصدقين وهم الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة لأن الإيثار لا يقدر عليه إلا أهل الصبر وأهل التوكل وأهل الثقة بالله تعالى.

وأريد في هذا المقال أن أتعرض لما يظهر أهمية الإيثار عند المسلم مع بيان أنواعه ودرجته عند الله تعالى فيتنبه الغافل ويعلم الجاهل بهذه الصفة والتي يبلغ كل من تحلى بها إلى الجنة أن الله هو الذي يتقبل هذا الإحسان كله عن عباده فأتعرض لتعريفه وأقوال العلماء بطريقة علمية أكثر، من ذكر الدليل من الآيات والأحاديث، وذكر الآثار التي ترقق القلوب أكثر من أن تعلم الإيثار.

وقال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٨/١٨: «الإيثار هو تقديم الغير على النفس في حظوظها الدنيوية رغبة في الحظوظ الدينية، وذلك ينشأ عن قوة اليقين وتوكيد المحبة والصبر على المشقة».

وقال ابن القيم - يرحمه الله: الإيثار على درجات:

الأولى: أن تؤثر الخلق على نفسك في ما لا يحرم عليك دينا ولا يقطع عليك طريقاً. ولا يفسد عليك وقتاً، يعني أن تقدمهم على نفسك في مصالحهم، مثل أن تطعمهم وتجوع، وتكسوهم وتعرى، وتسقيهم وتظمأ، بحيث لا يؤدي ذلك إلى ارتكاب إتلاف لا يجوز في الدين، وكل سبب يعود عليك بصلاح قلبك ووقتك وحالك مع الله فلا تؤثر به أحداً فإن آثرت به فإنما تؤثر الشيطان على الله وأنت لا تعلم.

الثانية: إيثار رضا الله على رضا غيره وإن عظمت فيه المحن وثقلت فيه المؤن وضعف عنه الطول والبدن.

وإيثار رضا الله على رضا غيره هو أن يريد ويفعل ما فيه مرضاته ولو أغضب الخلق وهي درجة الأنبياء، وأعلاها للرسل - عليهم السلام - وأعلاها لأولي العزم منهم، وأعلاها لنبينا ﷺ، فإنه قاوم العالم كله، وتجرد للدعوة إلى الله، واحتمل عداوة البعيد والقريب في الله تعالى، وآثر رضا الله على رضا الخلق من كل وجه.

هذا وقد جرت سنة الله - التي لا تبديل لها - أن من آثر رضا الخلق على مرضاته أن يسخط عليه من آثر رضاه، ويخذله من جهته. قال الشافعي: رضا الناس غاية لا تدرك فعليك بما فيه صلاح نفسك فالزمه.. ومعلوم أن لا صلاح للنفس إلا بإيثار رضا ربها ومولاها على غيره.

الثالثة: أن تنسب إيثارك إلى الله دون نفسك - أن تقصد بهذا كله رضا الله بأن تحمده بأن وفقك لهذا حتى يكون صدقة - لأنه هو الذي تفرد بالإيثار لا أنت، فكأنك سلمت الإيثار إليه هو: فإذا آثرت غيرك بشيء فإن الذي آثره هو الله لا أنت في الحقيقة، إذ هو المعطي حقيقة.

ومن الأسباب التي تعين على الإيثار:

١- تعظيم الحقوق: فإذا عظمت الحقوق عنده قام بواجبها ورعاها حق رعايتها واستعظم إضاعتها وعلم أنه إن لم يبلغ درجة الإيثار لم يؤدها كما ينبغي فيجعل إيثاره احتياطاً لأدائها.

٢- مقت الشح: فإنه إذا مقته وأبغضه التزم الإيثار.

٣- الرغبة في مكارم الأخلاق: وبحسب رغبته فيها يكون إيثاره لأن الإيثار أفضل درجات مكارم الأخلاق.

من فوائد الإيثار:

١- دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام.

٢- الطريق الموصل إلى محبة الله ورسوله.

٣- حصول الألفة والمحبة بين الناس.

٤- دليل سخاء النفس وارتقائها.

٥- مظهر من مظاهر حسن الظن بالله.

٦- علامة على حسن الخاتمة.

٧- الإيثار دليل علو الهمة والبعد عن صفة الأثرة.

٨- الإيثار يجلب البركة وينمي الخير.

٩- الإيثار من علامات الرحمة التي توجب لصاحبها الجنة ويعتق بها من النار.

١٠- الإيثار طريق موصل إلى الفلاح لأنه يقي الإنسان من داء الشح.

﴿ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ﴾

للأستاذ/صديق بكر عيطة

قال تعالى فى سورة «الفجر»:

﴿ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (17) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (18) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا (19) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾

«سورة الفجر ١٧ - ٢٠»

وردت هذ الآيات البينات فى سورة «الفجر» بين مجموعتين من الآيات:

الأولى: هى قوله تعالى:

﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (15) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴾

«الفجر: ١٥، ١٦»

والثانية: هى قوله تعالى:

﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (21) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (22) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ (23) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (24) فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴾

«الفجر: ٢١-٢٦»

وإن من يقرأ السورة كلها، يرى فيها إيقاظا للضمير الغافل، ودعوة لإعمال العقل والروية، فى بحث قضايا المال والتملك، ليفرق الإنسان بين ما هو غث، وما هو ثمين من المال والممتلكات.

والآيتان ترفعان إلى بؤرة الشعور حقيقة أن كثرة المال فى يد الإنسان لا تدل على أسبقية فى الفضل والمكرمة، كما أن قلة المال وضيق ذات اليد، لا تعنى بغض الله للعبد وإنما الغنى والفقر كلاهما ابتلاء من الله تعالى لعباده أما الآيات:

﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (21) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (22) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ (23) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (24) فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴾

ففيها تهديد قوى النغمات على النبرات.. يرسم صورة فنية واضحة القسمات للموقف يوم القيامة «وليس هذا أوان تحليلها».

وبين المجموعتين، الأولى بإيقاعها الهادىء، ولمساتها الرقيقة والثانية بإيقاعها القوى الصاخب، الذى يدك النفس دكا.. ويأخذ بمجامع القلوب أخذا، لشدة نبراته، وما يرسمه من رهبة الموقف وهول الحساب.. تقف آيات المشهد، الذى معنا:

﴿ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴾

بمثابة القنطرة بين تقرير حال جامعى المال فى الدنيا، وما ينتظرهم فى مآلهم فى الآخرة كما يقول سيد قطب رحمه الله فى كتابه الشهير «فى ظلال القرآن».

ففيها تعرية لصنف خاص منهم، وكشف لحالهم، وبيان أنهم أصيبوا بأسوأ ما يصاب به مجتمع من المجتمعات فيها نحن أولاء نرى فقيرا تشتد عليه وطأة الحاجة، وحوله أناس يجمعون المال، كيفما اتفق.. ولا يمدون له يد المساعدة وقد انعقد إجماعهم على الشح والبخل، حتى إنك إذا فتشت فيهم عن رجل يدعوهم إلى إطعام المسكين، أو البر باليتامى والمحتاجين فلا تجده. وليت الأمر يقف عند هذا الحد - على ما به من سوء - وإنما ترى فى المقابل صورة هؤلاء الرجال الذين انفتحت شهيتهم، واتسعت بطونهم، ولم يعد لهم من هم إلا أن يملأوها من كل ما تقع عليه أعينهم أو تصل إليه أيديهم، فى شره مقيت وطمع زرى، لا يفرقون معه بين ما يجمعون من ميراث حلال، أو ميراث حرام فهم يلمون كل ما أمامهم لما، ويقذفونه فى بطونهم التى لا تشبع قذفا، وهم فى ذات الوقت يهيمون حبا فى المال هياما، لا مجال معه لإكرام المحتاجين، ولا لأريحية فى تعاملهم مع الفقراء والمساكين.

وإن الجانب المادى هنا ظاهر فى إقبالهم على أكل التراث فى شراهة لا تفرق بين حلاله وحرامه، فهم «يلمون» كل ما أمامهم، كما أنه ظاهر أيضا فى حبهم للمال حبا جما فهم يجمعونه، ويكثرون منه لا ينتفعون به لا هم ولا غيرهم من الذين فقدوا كاسبيهم، أو فقدوا القدرة على تحصيله من المرضى والمساكين، ولكن - من واقع حالهم فيما يشاهد من أمثالهم فى كل عصر وفى كل مكان - ليعدوه ويتفاخروا به ظنا منهم أن فى كثرته دلالة على مكرمتهم عند الله ـ تعالى ـ وعند الناس.

وإن من يتأمل هذه الصورة الفنية، يرى أنها قد اجتمعت لها كل عوامل النجاح، والتأثير فى القارىء، حتى لكأنه يعيش أحداثا تتفاعل لا فكرة تتقرر.

أولاً: جاءت الآيات التفاتا من الغائب إلى المخاطب، فإذا كانت الآيات السابقة تعرض «بالإنسان» عامة، لأنه يقيم من المال ميزانا، يزن به - خطأ - أقدار الناس فى الدنيا وعند الله ـ تعالى ـ فإن هذه الآيات التى معنا، تضع هذا الصنف الخاص، الذى دأب على جمع المال وحرمان اليتيم والمسكين حقه فيه أمام نفسه فى مرآة الحقيقة، وتتركه يتأمل صورته، وهو يبخل بما جعله الله مستخلفا فيه على مستحقيه ثم يرى نفسه وقد انتفخت أوداجه وانفتحت شهيته، وهو يلم فى شراهة كل ما أمامه تارة، ويراها وقد هامت حبا ووجدا فى المال تارة أخرى ليتحول المال من خادم له إلى مخدوم، ومن وسيلة إلى غاية. والذى أدى إلى أن يتأمل الإنسان هذه الصورة عن قرب ومباشرة، أن الأسلوب انتقل من الغيبة إلى الخطاب.

ثانياً: لفظة «كلا» التى جيء بها فى مفتتح الصورة لتهز الإنسان من أعماقه. فإذا كانت الآيات السابقة تنعى على الإنسان عامة بعض خصاله، وبخاصة جعله المال هو المقياس.. فإن ما تركز عليه هذه اللوحة له شأن آخر، ولذا جاءت «كلا» لتوقظ فيه مشاعره، التى ماتت أو كادت بسبب عبادته للمادة الطاغية. قبل أن تعرض عليه هذه اللوحة.

ثالثاً: ما تتميز به الآيات من إيقاع ظاهر، يختلف عما قبله وما بعده، والصورة كلها تمثل قفزات تختلف باختلاف توجهات الآيات، وما تعالجه من قضايا فرعية، تحقق فى مجموعها الهدف الأعلى للسورة المباركة، وهو الدعوة لإيقاظ الضمير، وإعمال العقل والروية فى بحث قضايا المال والتملك. ولسنا الآن بصدد الكلام فى هذا الجانب.

فالملاحظ أن الآيات الأربع، تدخل فى إطار واحد، يتمثل فى هذا التوازن الملحوظ بينها، حيث تتقارب فى طولها وتتشابه فى نظمها ويقترب هذا التوازن أكثر بين كل جملتين ـ أقصد بين كل آيتين ـ طولا، وقافية. بالإضافة إلى اتحاد الملحظ الوصفى بينهما، وهو ما يعبر عنه بالازدواج: اقرأ:

﴿ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾

خمس كلمات فى مقابل خمس كلمات. وإذا كانت ﴿ كَلَّا ﴾ تنسحب فى الزجر على المقطع كله، فإنها تمثل عنصرا فى تكوين الازدواج بين الآيتين، فضلا عن تقارب الفاصلتين «ياء وميم فى مقابل ياء ونون». وما يقال فى هاتين الآيتين التاليتين:

﴿ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا (١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾

وذلك لاتحادهما فى الطول، وتكوين النظم والقافية:

﴿ أَكْلًا لَّمًّا ﴾ ﴿ حُبًّا جَمًّا ﴾

وبينهما جناس ناقص ـ كما يقول البلاغيون ـ فضلا عن اتحاد الملحظ الوصفى أيضا.

ويتكون من كل هذا ما يسمى «الازدواج».

رابعاً: ما ترسمه بعض الكلمات المفردة من مشاهد ترسخ فى النفس بآثارها القوية، التى تخطو بالمشاهد خطوة بعد أخرى، فى طريق تحقيق الهدف. يقول سيد قطب: «وقد يستقل لفظ واحد ـ لا عبارة كاملة ـ برسم صورة شاخصة ـ لا بمجرد المساعدة على إكمال معالم صورة ـ وهذه خطوة أخرى فى تناسق التصوير»(١).

فمثلا كلمتا «اليتيم» و«المسكين» بما يحيط بهما من نبر هادئ وإيماء حزين، تصوران اليتيم والمسكين فى صورة ذليلة ساكنة هى صورة اليتيم الذى فقد كاسيه، والمسكين الذى قعدت به الحاجة، وقلة الحيلة. وهذا كله يجسد واقع المأساة أمام المشاهد. وفى المقابل ترى كلمتى «لما» و«جما» بما يتتهيان به من «زم» الشفتين، وما يوحى به من الحرص والبخل.. ومن مجموع هذه المفردات، وما تصوره من حال الغنى الشحيح فى مقابل اليتيم والمسكين، تتضح أمام المشاهد أبعاد الجريمة، التى تحدث فى أوساط الناس عندما يقيمون من المال والممتلكات موازين الفضل، ومعايير المكرمات.

إن هذا النمط العالى من التسق التعبيرى، لا تتوقف آثاره عند حد تزيين العبارة فحسب، وإنما تمتد بها لتكون هى الفاعل الأول فى رسم الصورة الفنية المؤثرة، سواء على مستوى السورة كلها، أو على مستوى المقطع من السورة، أو على مستوى الآية من المقطع، أو على مستوى الكلمة من الآية.

***

(١) التصوير الفنى فى القرآن ص٩٦ ط الشروق

حول قضية الشيطان والإنسان

للأستاذ / محمد مصطفى البسيونى

ارتبطت معارضة الحق قديماً وحديثاً بالعناد ليس إلا، وقد اتخذ هذا العناد أحياناً صورة التمسك بالموروث، وأحياناً أخرى تمثل فى المعارضة لمجرد المعارضة، وأحياناً ثالثة لبس هذا العناد ثوب الحمق والكبرياء وغير ذلك من الأساليب الفجة الفارغة التى لا يؤيدها برهان ولا يساندها من الفكر السليم سلطان.

وقد توارث المعاندون من الكفرة الفجرة هذا النهج عن إبليس لعنه الله منذ عاند ربه فى موقف السجود للنفخة الإلهية فى كيان آدم التى أمدته بسر الحياة، وقد سجل الحق سبحانه هذا الموقف فى محكم آياته:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾

(الإسراء: ٦١)

فكانت مشكلة إبليس أنه رد الأمر إلى الآمر فى إعتزاز كاذب وغرور سقيه مع اعترافه البين بأنه من خلق هذا الآمر - عز وجل - ويقيم المبرر الفج على مقارنة حمقاء:

﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾

(الأعراف: ١٢)

وتناسى أن هذا الطين قد كرمه الله بالنفخة الإلهية المقدسة

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾

(الحجر: ٢٩)

ولم يقل سبحانه (فاسجدوا له)، ولكن ﴿ فَقَعُوا۟ ﴾ اى أن المسألة ليست مسألة انتظار للتفكير وإنما المسألة هى الاستجابة الفورية للأمر الإلهى الذى ينبغى أن يطاع دون انتظار للمقارنة والموازنة والنظر فى القبول والرفض، إنها قضية:

﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾

(النور: ٥١)

التى تتسق مع:

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾

(يس: ٨٢)

وهكذا بدأت قضية الإيمان والكفر منذ بدء الخليقة، فالإيمان تسليم بالأمر، وانصياع للتكليف بينما الكفر هو الرفض والمكابرة والعناد.

والأهم من هذا وذاك أن التفكر فيما بعد فى قبول الأمر يضيئ أمامنا سلسلة من المبررات المقبولة والأدلة المعقولة وإن كان فى بدايته اختياراً إلهياً للمخلوق فى مدى القبول الفورى والطاعة بلا تردد.

أما الرفض فسلسلته مقطوعة وأدلته ممنوعة.

وقد استمرت هذه القضية منذ ذلك الحين بين المهتدين والمعتدين حتى قضى الحق جل وعلا أن يرسل الرسل مبشرين ومنذرين على مدى حقب طويلة من الزمان كل يأتى بنفس الرسالة الربانية التى تعيد الأمر إلى نصابه فتميز أهل الحق الذين سلكوا سلوك الملائكة فى طاعة الأمر، وأهل الباطل الذين ساروا مسار إبليس فى رفض الأمر ورده، إذ لعب إبليس اللعين وتسلل ليجرى فى الإنسان مجرى الدم كما قال لربه حينذاك:

﴿ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

(الحجر: ٣٩)

وقد كان، فبعض أبناء آدم استمرأوا الدم الملوث يجرى فى عروقهم فاستجابوا للخطيئة واستحبوا العمى على الإيمان، وقد بدأ ذلك بالجد الأكبر لهؤلاء وهو "قابيل":

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ ﴾

(المائدة: ٣٠)

كما حكى القرآن مرجع المؤمنين ومصدر الموقنين وبالرغم من أن قابيل ندم على فعلته حتى ساق الله إليه أقبح الطيور وهو الغراب ليعلم أقبح الآدميين ورائدهم فى الجريمة الشنعاء، وقد أدرك هذه اللعنة الإلهية التى ساقت له أسوأ الأساتذة لأنه أسوأ تلميذ ليعلمه كيف يوارى سوأة أخيه إذ أخذ يناجى نفسه:

﴿ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ ﴾

(المائدة: ٣١)

وفى هذه الصياغة ما يشير إلى أنه قد أدرك مكانه السفلى بين البشر ولا سيما عندما يشير قائلاً ﴿ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ ﴾ أى هذا المخلوق الوضيع الكريه.

وهكذا سار أبناء قابيل وأحفاده مسار جدهم الأبعد فى الخروج على السنن الإلهية التى ارتضاها آدم لبنيه فى الزواج والتى حاول إبليس اللعين أن يفسدها بوسوسته الجنسية التى أدت إلى وقوع أول جريمة قتل فى العالمين.

وليس من شك فى أن إبليس الطريد قد أخذته النشوة لنجاح خطته وتنفيذ وعيده، ولا شك فى أنه أخذ يتراقص عجباً وزهواً أمام الملائكة الكرام الذين استجابوا استجابتهم الإيمانية الفورية للسجود

ولكنهم لم يأخذهم الزهو أو الغرور بكلامهم إلى العليم الخبير:

﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾

(البقرة: ٣٠)

لأن صفاءهم الخالص وطهارتهم المحضة انعكست على إيمانهم العميق بقوله تعالى:

﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(البقرة: ٣٠)

فتركوا إبليس فى غروره يلهو ويلعب ويمرح ويفرح وانكبوا هم على عبادتهم المؤمنة الموقنة لرب العرش العظيم.

الوسوسة مستمرة

فإذا وجدت فى قوم نوح من يسخر منه وهو يصنع الفلك، وإذا وجدت فى قوم هود من يكذبه ويكفر به، وإذا وجدت فى قوم صالح من اعترض على قسمة الماء مع الناقة المعجزة، وإذا وجدت فى قوم شعيب من يصر على إفساد المكيال وإخلال الميزان ويستمرئ الكسب الحرام، وإذا وجدت فى قوم موسى من يتعشق عبادة غير الله ويتوجه بعبادته إلى عجل جسد له خوار من صنع السامرى، وإذا وجدت فى قوم عيسى طفولة الفكر وسذاجة الاعتقاد فلا يصدقون إعجاز الله - عز وجل - فى خلق ولد من أم بدون أب، غافلين أو متغافلين عن خلق آدم بغير أم وأب، وإذا وجدت، فى قوم محمد ﷺ من يرفض نزول الكتاب الحكيم عليه دون رجل من القريتين عظيم، بل إذا رأيت فى عصور ما بعد محمد ﷺ من عبد الماركسية وأله الوجودية، وإذا رأيت فى كل العصور:

﴿ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ ﴾

(الفرقان: ٤٣)

فاعلم أن جنود إبليس من الجن والأنس لا يزالون على عهد سيدهم الرجيم حيث يرانا هو وقبيله من حيث لا تراهم، واعلم كذلك أن من البشر من يحلو له أن يتسى فيتناسى روح الآية المعجزة:

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾

(فاطر: ٦)

وهى آية معبرة عن أبسط قواعد الفكر السليم أن تعادى من بدأ بعداوته لك طالما أنه يصر على هذه العداوة ويتخذها سبيله فى علاقته معك.

ولكن المشكلة فى هؤلاء أنهم يستجيبون لوسوسة الشيطان دون أن يملكوا البرهان المقنع، والدليل المعقول، بينما إبليس نفسه يعترف بأنه لم يفعل إلا أن وسوس لهم فاستجابوا له، وأعجب للهمس عندما يكون رد فعله الصياح، وأعجب للسر الدفين عندما تكون استجابته العلن المبين.

إن الذين يستجيبون للعصيان الشيطانى يهيئون أنفسهم له فلا يكاد العاصى يشعر بتخيل إبليس له كما لو كان معه على ميعاد مسبق.

وقد حدث هذا - على سبيل المثال - فى غزوة بدر الكبرى عندما خيل للمشركين أنهم سيهزمون المؤمنين لأنهم أكثر منهم عدداً وأقوى منهم عدة فدخلوا المعركة - معتمدين - على هذا الوسواس الشيطانى الضال ومن هنا لم يعوا ما وراء قول الشيطان لهم:

﴿ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ ﴾

(الأنفال: ٤٨)

والعجيب فى أن الشيطان كان صادقاً معهم ومع نفسه عندما قال ﴿ مِنَ النَّاسِ ﴾ لأن الذين غلبوا الكفار لم يكونوا المؤمنين لقوله تعالى:

﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾

(الأنفال: ١٧)

فالذين هزموا المشركين لم يكونوا المؤمنين وحدهم ولكن كتائب الملائكة المؤمنين الذين تدخلوا فى المعركة بعد أن بذل المسلمون وسعهم فى الإعداد والتنفيذ فكان لابد أن يتدخل جند الله ليؤازروا هؤلاء المتوكلين عليه من المؤمنين به المدافعين عن دينه، وهذه هى (النتيجة) الحتمية (للمقدمة) الإيمانية العملية، ومن هنا فقد علمنا الدعاة الأقدمون والمحدثون أن التوكل الحقيقى على الله هو استنفاد الجهد البشرى فى العمل ليصبح المجال مهيئاً للتدخل الإلهى، وكأن الجهد البشرى يمثل الحلقة التى تحاصر المشكلة، فإذا بقى فى هذه الحلقة بعض الفراغ كان التدخل الإلهى هو الذى يملأ هذا الفراغ لتحيط الدائرة بالمشكلة إحاطة السوار بالمعصم كما يقول الأقدمون.

والإنسان.....كذلك

أما إذا أرجعنا كل فشلنا للشيطان دون أن نتوسل بأسباب النجاح فذلكم هو التواكل بعينه - وليس التوكل، وهذا هو التعلق «بشماعة» التكاسل والاستجداء كالرجل قوى البنية وقويم البناء عندما يتكاسل عن العمل، ويتجه إلى السؤال والاستجداء، وهو يعلم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة.

إن قضية الشيطان والإنسان ليست قضية مركبة أو معقدة وإنما هى قضية بسيطة التكوين، يسيرة المعالجة.

لقد خلق الله سبحانه الشيطان كما برأ - عز وجل - الإنسان، وقد مد سبحانه الإنسان بكل ما يستطيع به أن يواجه هذا العدو المتربص اللعين من عقل واع، وإرادة صامدة وروح عامرة بالطاقة التى تشحن كلاً من العقل والإرادة بما يؤهلهما لمواجهة كيد الشيطان فإذا حرص الإنسان على استمرار شحن كل من العقل والإرادة بهذه الطاقة، كان من اليسير عليه أن يواجه كيد الشيطان الذى وصفه خالقه بقوله:

﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾

(النساء: ٧٦)

فمتى إذن يكون كيد الشيطان ضعيفاً؟ إذا وجد العقل البشرى والإرادة الإنسانية

مشحونين بالطاقة الروحية المكثفة، وهذه الطاقة التى تمد الروح بالمدد الإلهى الذى لا يغلب هى : ذكر الإنسان لربه الكبير المتعال، سواء فى العبادات المعروفة أو فى التأمل العميق، والتفكير الدقيق فى كل ما يحيط بالإنسان من الأمور وهذا هو ما أوحى به إلينا ربنا الحق بقوله :

﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

(آل عمران: ١٩١)

والنار هنا نار الدنيا الممثلة فى طبيعة إبليس، ونار الآخرة التى أعدها الله للمتكبرين الجاحدين الذين تلهيهم أموالهم وأولادهم عن ذكر الله، وهكذا يعرف الإنسان دوره فى خلافة الأرض وعمارة الكون فلا هو لاه عن الله، ولا هو مستسلم للشيطان.

وليس الذكر هنا مجرد الأصوات المنغمة التى يركن الإنسان إليها مكتفياً باللسان دون الجنان والوجدان وإنما هى الأقوال الناطقة المشفوعة بالأعمال الصادقة، لأن الحق ـ سبحانه ـ عندما أرسل رسله متأبطين كتبه لكافه البشر، لم يفعل ذلك لمجرد التغنى بهذه الكتب فى دور العبادة إنما لتكون دور العبادة هذه ثكنات مهيأة للتأمل ومعسكرات معدة للانطلاق فلا يلبث المؤمنون يتذاكرون ويتدارسون ما فى هذه الكتب المنزلة حتى ينطلقوا خارجها إلى زحام الحياة، يعملون فى إطار ما قرأوا ويجاهدون على قدر ما وعوا، وهكذا تصبح العبادة عملة شفافة وذات وجهين يرى أحدهما من خلال الآخر، وجه تربوى فكرى ووجه تطبيقى عملى، وأحدهما لا يغنى عن الآخر شيئاً.

ولقد فطن الفاروق ـ رضى الله عنه ـ إلى ذلك عندما قال له المسلم المعتكف دائماً بالمسجد : "إن أخى هو الذى يتولى نفقتى" فرد عليه عمر ـ رضى الله ـ عنه : "أخوك أعبد منك" وذلك هو الفهم الواعى الإيجابى للعبادة : شحن الروح بالذكر والانطلاق للعمل.

بهذا النهج الذى فتح الله علينا به نوقن تماماً أن من خلال هذه العملة ذات الوجهين المترابطين نواجه وساوس الشيطان، ونستجيب عملياً لتوجيهات الرحمن، ونطمئن إلى سلامة الطريق ورعاية الرفيق إذا اعتقدنا أن الرفيق هو الله وأن الطريق هو صراطه المستقيم، ألا نقول دائماً فى وداع أحبائنا : إنهم انتقلوا إلى "الرفيق الأعلى"؟ وعندئذ لن يجد الشيطان الرجيم ثغرة يدخل منها بين الرفيق الرحمن الرحيم وبين الملتزمين بالطريق القويم المستقيم، ولكن علينا ألا نقنع أنفسنا دائما بأن الخطيئة ترجع إلى الشيطان لأن هذا كثيراً ما يكون هرباً من المسئولية الذاتية.

نقول ذلك لأننا نجد أن بعض الخطايا ليس مصدرها الشيطان وإنما أساسها الإنسان إما لتقصير فى العقل أو خلل فى الوجدان أو سقم فى الروح، وهذه الثلاثة كما أسلفنا هى مرجعية الفعل عند الإنسان.

وقد ناقش ذلك أستاذنا الإمام متولى الشعراوى فى بعض أحاديثه التربوية النافعة فقال : "إذا كان النبى ﷺ قد ذكر أنه إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين [1] وصدق رسول الله فأين إذن دور الشيطان فى خطايا بعض الناس فى هذا الشهر العظيم من العبث بقدسيته مثل التبجح فى تناول الطعام علنا خلال النهار أو التدخين والإساءة إلى آداب الطريق، وغير ذلك من السلبيات التى غالبا ما يتهم الشيطان بأنه من ورائها؟ إذن فالإنسان فى ضوء هذا الكلام هو المسؤل أولاً وأخيراً عن أفعاله المخلة فى رمضان، وقياسا على ذلك بالنسبة لضعاف النفوس من الأشرار فى غير رمضان وكثير ما هم.

وهذا كله يلفتنا إلى أهمية أن نكون على بينة من أمرنا فلا ننساق وراء دعاوى الشيطان أو دعاوى أنفسنا الأمارة، وأن يكون المرء المؤمن يقظاً لتصرفاته فى القول والفعل، وألا يستسلم للغيبوبة التى تولدها الغرائز الحيوانية لديه، وأن يكون فى حالة انتباه دائم أشبه بانتباه الجندى اليقظ أمام عدو خفى يتسلل إليه فى الظلمات وينتهز غفلته فينقض عليه بينما قائده اليقظ يراقبه من خلال أجهزة لا متناهية الدقة ترى ولا ترى فإذا وقعت الكارثة أسر الندامة، ولات مندم.

فيا أخى الآدمى المؤمن، ألا ترضى أن تكون جنديا عاملا فى كتيبة يقودها الحق ـ سبحانه ـ أعداؤها كثر منهم الشياطين الجبارة والأنفس الأمارة وبين يديك أسلحة ربانية الصنع معدنها الإيمان الصادق الذى يحوط دائماً عقل متفكر متدبر ووجدان نقى تقى وروح شحنت بطاقة هائلة من الصدق والإخلاص.

وليكن شعارك الإيمانى فى هذه المعركة :

﴿ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾

(النساء: ٧٦)

ولنعلم جميعاً ـ معشر المؤمنين ـ أن هذه المعركة ليست معركة حياة أو موت كما يطلق على المعارك إنما هى معركة جنة أبداً أو نار أبداً، وأنت فى هذا مخير، وإلا لما استنفرت للمشاركة فى هذه المعركة، ولما دعيت إلى اللواء المحمدى المرابط والمصابر لعمارة الدنيا ولتكن من الذين قال الحق فيهم :

﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ﴾

(آل عمران: ١٤٨)

(١) عن أبى هريرة (الجامع الصغير).

خطبة الجمعة

حفظ الأمانة

لفضيلة الشيخ أحمد الشرباصي

إعداد فضيلة الشيخ/ على حامد عبد الرحيم

الحمد لله عز وجل، هو القائم على كل نفس بما كسبت، والمؤاخذ لكل يد بما اجترحت:

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾

(الأنبياء: ٤٧)

أشهد أن لا إله إلا الله، هو ولى الهداية والتوفيق

﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾

(الكهف: ١٧)

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، كاشف الغمة وهادى الأمة إلى أقوم طريق، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، وأتباعه وأحبابه:

﴿ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴾

(الأنبياء: ٤٩)

إن الشخصية المؤمنة لها صفاتها ومقوماتها، التى ترشد بها وتعز، والتى تركن إليها وتحرص عليها، متخذة منها درع مقاومة في حياتها التي تقيمها على الإيمان والعمل والكفاح والاستقامة، ومن هذه الصفات صفة الأمانة.

والأمانة في مفهومها العام ومضمونها السليم هى حفظ كل ما بين يدى الإنسان من أشياء أو حقوق أو

تبعات، وهى صفة تفيد إحساس صاحبها العميق بالتبعات الملقاة على عاتقه في كل شأن يقوم به، سواء أكان وظيفة يباشرها، أم موضوعاً يدرسه، أم رأياً يعرضه، أم مشروعاً ينفذه، أم شيئاً مادياً أو معنوياً أودع لديه واؤتمن عليه، فهو يصونه ولا يخونه، وهو يقوم بحقه في كل حال من الأحوال، وعلى أى وضع من الأوضاع، حتى ولو كان بعيداً عن عيون الرقباء والمتابعين، لأنه يؤمن في أعماقه وطواياه بأن معه دائماً ذلك الرقيب الأعلى، وهو الله جل جلاله، الذى يعلم السر والنجوى:

﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾

(الملك: ١٣، ١٤)

وإذا كان عرف العامة قد جرى على إطلاق كلمة «الأمانة» على حفظ الودائع المادية التى توضع عند الإنسان لحين من الزمان، فقد ضيق هذا العرف واسعاً، لأن هذا الحفظ المادى ليس إلا لوناً من ألوان الأمانة التى تتعدد وتتجدد، فتشمل المحسوس والمعقول، والظاهر والباطن، وما يتصل بالماديات والمعنويات، ولعل هذا هو ما تفيده عبارة التوديع التى علم النبى ﷺ أتباعه أن يقولوها لأخيهم المرتحل عنهم: «نستودع الله دينك وأمانتك، وخواتيم عملك»(١).

ولقد زكى القرآن الكريم مكانة «الأمانة» حين تحدث عنها حديثه الجميل الرائع، فجعلها سمة واضحة من سمات المؤمنين، فقال عنهم:

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾

(المعارج: ٣٢)

وجعلها صفة لسفير الرحمن جبريل عليه السلام فقال:

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾

(الشعراء: ١٩٣، ١٩٤)

وجعلها صفة لأنبيائه ورسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فقال على لسان أحدهم:

﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾

(الشعراء: ١٠٧)

قال أيضاً:

﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾

(الأعراف: ٦٨)

أى أمين على دعوة ربى، وأمين على ما أبلغه، لا أكذب فيه ولا أخون، وهذه

(١) سنن الترمذي.

بنت شعيب عليه السلام تجعل الأمانة - كما أخبرنا القرآن الكريم - مصدراً لإعجاب المرأة الحرة النجيبة بالرجل الأصيل النبيل، فتقول لأبيها عن موسى عليه السلام:

﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾

(القصص: ٢٦)

ولقد حث القرآن الكريم المؤمنين - وهم أصحاب الشخصية السليمة القويمة على حفظ الأمانة، والحذر من الخيانة، فقال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾

(الأنفال: ٢٧، ٢٨)

والمراد بالأمانات هنا جميع الأعمال والفرائض والواجبات وكل أمر يؤتمن عليه من قول أو عمل.. والخيانة هنا قد تكون بالإهمال أو التقصير أو المخادعة أو إفشاء ما يجب أن يطوى أو تحريف ما يلزم أن يروى في صدق ونزاهة، ولما كان الكثير من أعمال الإنسان في هذه الحياة له ارتباط مباشر أو غير مباشر بالأولاد والأموال حذر القرآن من فتنة الولد والمال التي قد تدعو إلى الإقدام على شيء من خيانة الأمانة، وحينئذ يضل الإنسان ضلالاً بعيداً، وبئس المصير.. ونجد المفسرين قد تكلموا كثيراً عن قول الله جل جلاله:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾

(الأحزاب: ٧٢)

فمنهم من قال إن الأمانة هي شهادة التوحيد، ومنهم من قال إنها، العقل، ومنهم من قال إنها العدل، ومنهم من قال غير ذلك، ولكن كلمة الأمانة في الآية الكريمة كما أبان المحققون من العلماء تشمل جميع التكاليف التي وجهها الله تبارك وتعالى إلى الإنسان، وهي تقتضي أول ما تقتضي أن يكون الإنسان مخلصاً في أداء واجبه، وأميناً على أسراره، مراقباً ربه في حركاته، وسكناته، متقيداً في أعماله وأقواله بصفة الأمانة التي تجعله على الدوام متمسكاً بالصراط المستقيم، لا يحيد عنه ولا يميل عنه، بل يمضي في طريق واجبه، عارفاً له متمكناً منه مقتدراً عليه، فإن كان جاهلاً به أو عاجزاً عنه أو غير صالح له، فليس من الأمانة أن يقتحم فيه، وهذا أحد المسلمين يسأل رسول الله ﷺ أن يوليه ولاية وهو لا يصلح لها ولا يقتدر عليها، فيجيبه المصطفى قائلاً له: «إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة «أي عاقبة من يفرط فيها» إلا من أخذها

بحقها، وأدى الذي عليه فيها»[٢].. وكذلك قال صلوات الله وسلامه عليه: «إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة».. قيل: وكيف إضاعتها؟ فقال: إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة»[٣].. وتضييع الأمانة قد يحدث في أمور يحسبها كثير من الناس هينة وهي عند الله عظيمة، فالخبر الذي يلقيه صاحبه كاذباً غير صحيح فيه عدوان على الأمانة، والحديث الذي يفشيه من سمعه في مجلس التمنة عليه فيه عدوان على الأمانة، ولقد ورد في السنة المطهرة: «المجالس بأمانة»[٤] وهذا تنبيه إلى ترك الكلام عما دار في مجلس الحديث الخاص من قول أو عمل، ولعل أخطر مواطن الأمانة شأناً، وأجلها حرمة، المواطن التي يدور فيها حديث أو بحث أو عمل يتعلق بسلامة الأمة أو كيان الدولة، وأسرار قواتها ومعداتها، والأفراد الذين تهيىء لهم الأقدار أن يطلعوا على شيء من هذه الجوانب الدقيقة الجليلة يصبحون حراساً للأمانة يطوون الأسرار، ويكتمون مالا يذاع من الأخبار، والإسلام يعد كل من حمل تبعة من تبعات الأمة أحد رعاتها وهداتها، فيقول الرسول ﷺ: «كلكم راع، وكل راع مسئول عن رعيته»[٥] فالتبعة الملقاة بين يديه أمانة يسأله الله عنها، وعن صيانتها، ويطالبه بحفظها وأدائها، والله تعالى يقول:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾

(النساء: ٥٨)

والحديث يقول: «أد الأمانة إلى من ائتمنك»[٦] ويقول: «لا إيمان لمن لا أمانة له»[٧].

فلنتذكر أن سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام كان يدعو ربه فيقول: «اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئس البطانة»[٨].. وليتذكر كل منا أن بين يديه أمانة أو أكثر من أمانة، فليتق الله ربه فيها، وليحسن رعايتها وصيانتها، وإلا تعرض لغضب الجبار الذي يقول:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾

(النساء: ١٠٧)

واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

---

(٢) مسلم. (٣) البخاري.
(٤) سنن أبي داود. (٥) الترمذي.
(٦) مسند أحمد. (٨) سنن النسائي.

قصيدة العدد

ركب الهداية النبوية

للشاعر السوري الكبير الأستاذ عمر أبو ريشة

أوقفي الركب يا رمال البيد ... إنه تاه في مداك البعيد
ظمئت نوقه وجف فم الحا ... دي وغصت لهاته بالنشيد
والأشداء يلهثون كخيل الـ ... ـغزو عادت من يومها المشهود
عصفت في جفونهم ريحك الهو ... جاء والشمس عربدت في الخدود
والصبايا من الهوادج ينظر ... ن إلى الأفق نظرة المفئود
ليس يبصرن منك غير هضاب ... في هضاب مبعثرات الحدود
غابت الشمس يا رمال. وهذا الـ ... ـركب في قبضة العياء الشديد
وحبا الليل يا رمال وهذا الـ ... ـركب أخنته وطأة التسهيد
فهوى فاقد الرجاء يرى المو ... ت مشيحاً بمنجل من حديد
فتراءت إليه نار على البعـ ... ـد فكانت إماءة للشريد
فسرى في سنائها فأطلت ... خلفها مكة الفخار التليد
يا عروس الرمال يا قبس التا ... ئه في مهمه الضلال المبيد
أمنَ الركبُ في حماك فرديـ ... ـه إلى ذكريات تلك العهود
يوم أرخى على جوانيك الوحـ ... ـي جناحين من سماء الخلود
حاملا آية النبوة ما بيـ ... ـن شفاه علوية التأييد!!

ضمنتها قبلة على فم طفل ... قرشي النجار سامي الجدود!
وحواليه من حمام الفراديـ ... ـس حسانٌ مرنّحات القدود
ساحيات بيض البرود كما لو ... جمد النور فوق تلك البرود
يتزاحمن واثبات ويلثمـ ... ـن من الشوق مبسم المولود!
فإذا بالسماء تهمي تسابيح ... وتدوي أصداؤها في الوجود
وإذا الكون بعد عيسى تعرّى ... نصب عيني محمد من جديد!!

* * *

درج الطفل والهداية تحبو ... ه بتاج من السناء فريد
وبحيراء في الدير يضرب في الـ ... ـناقوس بشرى بالسيد المنشود
والذؤابات من قريش سكارى ... في هوى الجاهلية العربيد!
هتكت كبرياؤهم سنن العقـ ... ـل وصالت بشرعها المردود
كم بنات لم تنفطم وأدتها ... كفّ باغ على القضاء عتيد
كم وراء الجدران في الكعبة العصـ ... ـماء من عابد ومن معبود
جلجلت صرخة النبي فردّت ... رجع أصدائها أعالي النجود
وأشاحت يسراه بالمعول الصلـ ... ـد وعناه بالكتاب المجيد!!
فتهاوت تلك الصفوف من الأصـ ... ـنام عن أوج عرشها المعقود
وتبارت - الله أكبر - تعلو ... من شفاه المؤذن الغريد!!!

* * *

أخذت غضبة البداوة تخبو ... بعد إعنات ضلة وجحود
إنها النفس لا تبدل طبعا ... ألفته فكيف نفس الحقود
ومن الصعب أن يشاهد أعمى ... قبس الحق في الليالي السود
يوم «بدر» فض النزاع وبث الـ ... ـرعب في كل أشهب صنديد
فقريش مغلوبة وأبو سفـ ... ـيان في ثوبه رجفة الرعديد

والميـــامين فى المدينة يطوو ... ن سيـوف السـلام طى الغمـود
فـأتم النبى آيتــه الكبـرى ... على شعبــه الكريم الودود
وانطوت بعدها الهيولى فثارت ... فـتنة فى النفـوس ذات وقـود
وتلاشت كـأنهـا حلم الذعـ ... ـر بجفن المسهد المكدود!!
الفجـاءات كم تزلزل عـزمـاً ... وترد الرشيـد غير رشيد!!

***

دفقت موجة الهدى تغسل الشر ... ك وتروى النفوس بالتوحيد
وتبث الوئام والحب والرحـ ... ـمة ما بين سيد ومسود
مذهب ضجت الأعاجم منه ... وتعاموا عن شرعه المحمود
ورأوا فيه ما يدك عروشاً ... شيدوها بالظلم والتهديد
فرمت بالكتائب الخرس «روما» ... وبأبطالها الغزاة الصيد
وطغى الهول والكتائب ماجت ... فى خضم من القنا والبنود
فـاطلت تلك الفلول من العر ... ب بعزم النبوة المشدود
وانحنت فوق ضمَّر تعلك اللجـ ... ـم وتنزو مجنونة فى الصعيد!
وأغارت ترمى الفوارس رميـاً ... وتحز الوريد إثر الوريد
كلما انهار حائط من جنود ... أتبعته بحائط من جنود
وضفاف «اليرموك» ترسل منها ... زمزمات الحداء لابن الوليد!!
جولة ترعف الصوارم فيها ... وتصيح الأكف هل من مزيد
جولة كفنت بها الروم حلماً ... بين أنقاض صرحها المهدود!
وكأن اندحارها لم يردّ «الـ ... ـفرس» عن نشر بغيها المعهود
سخّرت كل فيلق كسروى ... لم يذق قبل نكبة التشريد!
مزقته فى القادسية تلك الـ ... ـبيض والسمر فى أكف الأسود
إن طود الرمال تحمله الريح ... وتذريه فى الفضاء المديد

***

بسطت كفهـا الهداية والشر ... ق تفيّئا بظلها الممدود
رافعاً مشعل الحضارة والغر ... ب صريع فى غفوة من جمود
إن فى الشام من معاوية الـ ... ـسمح بقايا من الدهاء السديد
وبغداد مسحة من نعيم ... تتغنى بذكريات «الرشيد»
وبغرناطة من الملك النا ... صر آثار روعة «للنشيد»
أمة يعربية تركت فى ... مسمع الدهر آية التمجيد؟
إنما عقها البنون فزجوا ... بالمروءات فى بطون اللحود
أسكرتهم لذائذ الترف الأهـ ... ـوج عن يقظة القضاء العتيد
وتلوّت ما بينهم تنفث الـ ... ـسمَّ أفاعى حقائد وحقود!
وتناسوا ما بثه السيد الأعـ ... ـظم من سنة الوئام الأكيد
وخبت نارهم وصُبّت عليهم ... عاصفات التعذيب والتنكيد
فإذا جبهة الشموخ لطيم ... تتنزى بالجرح عند السجود
وانتهت سيرة الجدود إلينا ... فجررنا القيود إثر القيود
والتفتنا فلم نجد غير مُلك ... مزقته أصابع التبديد
ونهدنا للذود عنه ولكن ... ما حملنا غير الإباء الحميد!
ورجعنا فكم جريح كئيب ... يتلوّى وكم قتيل شهيد!!
يا عروس الرمال يا قبس التا ... ئه فى مهمه الضلال المبيد
نحن فى هذه البلاد كذاك الـ ... ركب غشى فى طالع منكود
أنظرى فالجموع شاخصة الأبـ ... ـصار ترنو إلى ضياك الوحيد
فامددى الكف للكرام فغبن ... أن تعيش الكرام عيش العبيد!

***

من أروع ما كتب الدكتور طه حسين

اليتيم

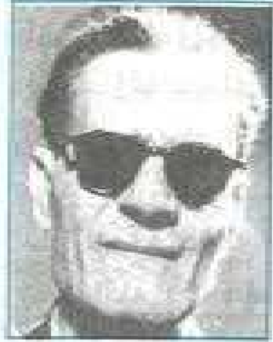
قضى أهل مكة أيامهم فرحين مبتهجين، يملؤهم الفخر، ويزدهيهم النصر، ويتحدثون بحديث الفيل إذا أصحوا، ويتذاكرون انهزام الحبشة إذا أمسوا، حتى كاد يشغلهم ذلك عن تجارتهم ويصرفهم عن مرافقهم. وتسامعت العرب بهذه الآية الكبرى التي أظهر الله بها كرامة هذا البيت، ورفع الله بها مكانة الذين يقومون حوله من قريش! فازداد العرب لقريش حباً وإكراماً، وأخذت تستوثق الأمور لأهل مكة على من دنا منهم أو نأى عنهم في تهامة ونجد والحجاز. ولكن شيخاً من قريش لم يشغله فخر، ولم يزدهه نصر، ولم تصرفه أحاديث الناس من حوله عن حديث نفسه المتصل و حزنها المقيم! وهو عبدالمطلب بن هاشم.

ولكن امرأة من قريش لم يأخذها عُجب ولم يملكها تيه، ولم تشارك نساء قريش فيما كن يتخذن من زينة، وينصرفن إليه من لذات الحياة، إنما كانت تؤثر العزلة وترغب في الخلوة إلى نفسها، تتحدث إليها وتسمع منها، لا تجد في هذا الحديث حزناً صريحا ولا سروراً صريحاً، وإنما هو شيء بين بين: فيه راحة من لذع اليأس، وفيه صارف عن نشوة الأمل! وهي آمنة بنت وهب.

كان الشيخ يذكر ابنه فيشغله الحزن المُمِضّ العميق عما كانت فيه قريش من بهجة وسرور، ومن غبطة وحبور، وكان الشيخ يفكر في قصة الفيل وانصراف المغيرين عن مكة، ثم يرى فخر قريش وتمدُّحها واستعلاءها على العرب، فيبتسم في نفسه ساخراً منها عاطفاً عليها. فلم تصنع قريش شيئاً إلا أنها لاذت بشعاف[1] الجبال، وفرّت إلى حيث كانت تهيم الوحوش، وخلّت بين طاغية الحبشة وبين البيت. فلم تردّده إذاً، ولكن الله ردّه، ولم تحطمه إذاً ولكن الله حطمه. وهي على ذلك تفاخر وتكاثر، وهي على ذلك تستكبر وتستعلي. وكذلك الإنسان يغره بنفسه الغرور، فيضيف إليها ما لم تفعل، ويحمل عليها ما لم تأت من الأمر.

كان الشيخ يسخر في نفسه من قريش، ويعطف في نفسه على قريش، يلتمس لها المعاذير في هذا الضعف الذي يصيب الناس فيخدعهم عن أنفسهم ويكبرهم في أعينهم، ويخيل إليهم أنهم شيء، وما هم بشيء أمام هذه القوة القاهرة التي تغلب ولا تُغلب، والتي تقهر ولا تُقهر، والتي لا تريد إلا بلغت ما تريد. هذه القوة التي أخرجت من البحر طيراً لم يرها الناس من قبل، فسلطتها على جيش لم يرَ الناس مثله من قبل، فما هي إلا أن حلقت فوقه ساعة من نهار حتى انهزم وانحطم، وأصبح كعصف مأكول، وسلم البيت من عادية المعتدي، وأمن البيت من طغيان الطاغية.

هذه القوة التي ظنّ هو أنه قد استنقذ منها ابنه فحماه من الموت، وضمن له حياة كحياة الرجال: فيها في حياة الرجال من سعادة وشقاء، ومن راحة وتعب، ومن جد وسعي، ومن اضطراب بين اليمن والشام. ومن استقرار في الظواهر والبطحاء. ألم يصارع الموت عن ابنه صراعاً! ألم يشتر ابنه من القضاء شراء! فما هذا الجهاد بالقداح بينه وبين القضاء المسلط! يفادي ابنه بالإبل فيشتطّ عليه القضاء ولا يرضى حتى يبلغ المائة. وفيم كان انتصاره؟ وفيم كان ابتهاج بني هاشم؟ وفيم كان ابتهاج قريش بانتصار الحياة على الموت، وإفلات الشباب من مدية المضحي؟



طه حسين

وكان الشيخ يضحك في نفسه ضحكاً حزيناً يوشك أن يكون يأساً مهلكاً وثورة جامحة، لولا أنه كان ذا قلب تعلم كيف يطمئن للأحداث ويُذعن للخطوب، ويصبر على النائبات، كان الشيخ يضحك في نفسه ضحكاً حزيناً حين كان يفكر في غرور قريش، وتقديرها أن الله قد ردّ طاغية الحبشة، وأرسل عليه وعلى جيشه ما أرسل من الطير الأبابيل، تكريماً لها وإيثاراً؛ حين كان يفكر في غروره هو، حين كان يقدّر أن الله قد أنقذ ابنه من مُديته وفداه بمائة من الإبل إيثاراً له بالعافية، واختصاصاً له بالكرامة. كلا! كلا! لم يُهزم الفيل وأصحاب الفيل إكراماً لقريش، وإنما هي آية أجراها الله لأمر يعلمه هو، ولا يعلم الناس منه شيئاً. ولم ينقذ الله عبدالله من الموت ويفاده بمائة من الإبل إكراماً له أو إكراماً لأبيه، وإنما أنقذه من الموت وفاداه بالإبل لأمر يريده هو، ولا يعلم الناس منه شيئاً. وإلا فقيم نجا هذا الفتى من الموت ليموت بعد ذلك بقليل! أليس غريباً أن ينجو من الموت فيتخذ له زوجاً لا يقيم معها إلا وقتاً قصيراً، ثم يفارقها كما يفارق الناس أزواجهم ليعود إليها كما يعود الناس إلى

(١) شعاف الجبال: رؤوسها، واحدها شعفة بالتحريك.

أزواجهم، ولكن رفاقه يعودون وهو لا يعود، إنما يتخلف في يثرب ليموت عند أخواله من بني النجار، وقد عرفت زوجه بعد أن ارتحل عنها أنه قد حملها أمانة مازالت تحملها في جوانحها، حتى إذا جاء أمر الله أدت هذه الأمانة. ومن يدرى! لعل عبد الله لم يوجد إلا ليودع هذه الأمانة عند زوجه! ومن يدرى! لعل آمنة لم توجد إلا لتؤدى هذه الأمانة إلى الناس!

وكان الشيخ إذا فكر في هذا كله، لم يملك نفسه أن يرى ابنه شديد النشاط، عظيم القوة، رائع الشباب، بارع الجمال، يستقبل السفر بأمل لا حد له؛ ثم يراه نحيلا، هزيلا، شاحبا، متهالكا، محزونا، يمرض على فراشه عند بني النجار؛ ثم يراه وقد دنا منه الموت مكابراً مكاثراً، فاستله من الحياة أو استل الحياة منه، كأنما يثأر لنفسه من تلك الهزيمة التي أصابته يوم الفداء. فكان الشيخ يستسلم لحزن عميق لا يخرجه منه إلا اضطراب الناس من حوله، وإلحاح الناس عليه، وفيهم أبناؤه وبناته. فيما كان يشغلهم من الأمور.

وكانت آمنة ترى نساء قريش ونساء بني هاشم من حولها، يبسمن للأيام ويبتهجن للحياة، فيعجبها ذلك منهن، ولا يداخلها حسد لهن أو ميل إلى مشاركتهن. كانت تحس إحساساً قوياً، ولكنه غامض، بأن الأيام قد وفتها حظها من الغبطة وقسطها من النعيم في ذلك الوقت القصير، الذى قضته مع زوجها منذ لقيته بعد الفداء إلى الرحيل. وكانت تريد أن تسعد بالتفكير في هذا الجنين الذى تحسه يضطرب في أحشائها، ولكنها لا تلبث أن تذكر زوجها، وأنه قد حرم السعادة بهذه النعمة، فتكره أن تستأثر من دونه بالخير، وتتحدث إلى نفسها بأن الاستمتاع بالأبناء والبنات لذة لا يستبد بها الفرد، وإنما هي مشتركة بين اثنين، فإذا ذهب أحدهما ثقلت على الآخر وشق احتمالها عليه وكانت له مصدر ألم وحزن، ولكنها مع ذلك لم تكن تجد هذا الألم الممض الذى كانت تقدره وتنتظره، كأنما خلقت نفسها مذعنة، وكأنما فطر قلبها على الرضا، وكأنما استيقنت أن حياة الأحياء عبء يجب أن يحمل، رضى الناس أو سخطوا، وأن احتماله مع الرضا والاطمئنان خير من السخط الذى لا يجدى، والثورة التي لا تفيد.

على أن الأيام لم تكن تتقدم بآمنة نحو ذلك اليوم المشهود حتى يغمرها شيء يشبه نسيان النفس والانصراف عن الشعور الواضح بالحياة والتفكير الجلى فيها. وكانت تنفق نهارها ذاهلة أو كالذاهلة، وتنفق ليلها في نوم هادئ حلو الأحلام. وما أكثر ما كان يزورها من حلم؛ وما أكثر ما كان يلم بها من طيف! وما أكثر ما كان يلقى إليها من حديث! حتى إذا كانت ذات ليلة تتهيأ للخروج من ذهول النهار والدخول في هدوء الليل، أحست بعض ما يحس النساء حين يدنو منهن المخاض.

هنالك دعت إليها من حضرها من نساء بني هاشم، فأسرعن إليها وقضين معها ليلة لا كالليالي، أنكرن فيها كل شيء وأعجبن فيها بكل شيء. أنكرن حتى أنفسهن؛ فقد رأين ما لم ير أحد، وسمعن ما لم يسمع أحد، وأحسسن ما لم يحس أحد. ولم تكن آمنة أقلهن إنكاراً وإكباراً وإعجابا؛ فقد كانت ترى، وهي يقظة غير نائمة، أن نورا ينبعث منها فيملأ الأرض من حولها ويزيل الحجب عن عينيها. وكانت تنظر فترى قصور بصرى في أطراف الشام. وكانت تنظر فترى أعناق الإبل تردى [٢] في أقصى الصحراء. وكانت لا تتحدث إلى من حولها بما ترى مخافة أن ينكرن ما تقول، وأن يظنن بها الظنون. وكانت هذه من صاحباتها لا تمد طرفها إلى شيء حتى تراه نورا كله لا ظلمة فيه، وإنما هو مشرق مضيء، أو هو الإشراق الخالص. وكانت هذه الأخرى من صاحباتها تنظر فإذا نجوم السماء تدنو من الأرض وتمد إليها أشعة قوية نقية باهرة ساحرة، وإنها لتدنو وتدنو حتى يخيل إلى الرائية أنها توشك أن تمسها وتقع عليها.

وكانت هذه الأخرى من صاحباتها ترى ظلمة مظلمة قاتمة، وتأخذها رعدة قوية ناهكة، ويلم بها شيء كأنه النوم، تسمع أثناءه صوتا مهيبا رهيبا يسأل: إلى أين ذهبت به؟ فيجيبه صوت مهيب رهيب: إلى المشرق. ثم ينجلي عنها ما ألم بها فتفيق. ثم يعاودها ما كانت فيه، فإذا ظلمة قاتمة، وإذا رعدة قوية ناهكة، وإذا غاش يغشاها كأنه النوم، وإذا هي تسمع الصوت المهيب الرهيب يسأل: أين ذهبت به؟ فيجيبه صوت مهيب رهيب: إلى المغرب. ثم ينجلي عنها ما هي فيه فتفيق.

وكذلك لم تدن السماء من الأرض كما دنت في هذه الليلة. وكذلك لم ير الناس من الأعاجيب كما رأى هؤلاء النساء في هذه الليلة. ولم تكن آمنة على هذا كله تجد ألما قليلا أو كثيرا، إنما كشف عنها كل حجاب، ورفع عنها كل غشاء، وخلى بينها وبين عالم من الجمال الذى يرى ومن الجمال الذى يسمع لا عهد للناس بمثله. ثم ترى ويرى صاحباتها كأن شهابا انبعثت منها فملأ الأرض من حولها نورا يبهر الأبصار، ثم ترى فإذا ابنها قد مس الأرض يتقيها بيديه رافعا رأسه إلى السماء محدقاً ببصره إليها كأنما يلتمس عندها شيئاً. ثم تسرع صاحباتها إليه وإليها ليؤدين له ولها ما تحتاج إليه الأم حين تمنح الحياة، وما يحتاج إليه الابن حين يستقبل الحياة، فإذا هي لا تحتاج إلى شيء، وإذا هو لا يحتاج إلى شيء، وإذا هن يتناولن أجمل صبي، وأروع صبي، وأبرع صبي، وإذا قلوبهن قد امتلأت بأن الأرض قد استقبلت وليداً لا كالولدان.

---

(٢) تردى: تسرع بين العدو والمشي الشديد.

ثم يشرق الفجر وتبسط الشمس رداءها النقي على بطحاء مكة وما يحيط بها من الجبال؛ ويرتفع الضحى ويضطرب الناس في أمورهم وقد قضوا ليلا جاهلا غافلا، لم يشعروا فيه بشيء، كأن لم يكن فيه شيء. ولو قد كُشف عنهم الغطاء، ولو قد أزيلت عن قلوبهم الحجب لرأوا وسمعوا. ولكن الله قد جعل لكل شيء قدراً؛ فهو يظهر آياته لمن يشاء، ويخفي آياته على من يشاء. وعبدالمطلب جالس في الحِجْر وحوله أبناؤه وجماعة من قريش، قد أخذوا فيما كانوا يأخذون فيه من حديث. وهو يسمع إليهم بأذنيه ويعرض عنهم بنفسه، يفكر في فقيده الذي لا يستطيع أن ينساه. وإنه لفي ذلك وإذا البشير يُقبل عليه مسرعاً، حتى إذا انتهى إليه حيّاه وقال: لقد وُلد لك غلام، فهلّمّ فانظرْ إليه؛ فلا يسمع هذه البشرى حتى يُحس أن الله قد أخلفه من فقيده ورفق به في مُصابه، وادخر له عزاء عن محنته. فيسأل: أهو ابن عبدالله؟ فيجيبه البشير: نعم. فينهض مسرعاً وينهض معه بنوه، ويمضون لا يلوون على شيء حتى يبلغوا بيت آمنة. فإذا دخل الشيخ ورأى الغلام أحس كأنّ الله قد أنزل على قلبه السكينة وجلا عن قلبه الحزن، ورده إلى غبطة وسرور بعُد عهده بهما.

ثم يسمع حديثَ النساء فلا يُنكر منه شيئا، كأنما كان ينتظره، وكأنما كان منه على ميعاد. ثم يرفع الصبي إليه فيقبله ويقول: لأسمينّه محمداً. قالت آمنة: لقد أتاني في النوم فأمرني أن أسميه أحمد. قال عبدالمطلب: فهو محمد وهو أحمد، وما أرى إلا أنهم بعض أسمائه.

قلت محدثي: فقد زعموا أن عبدالمطلب خرج بعد ذلك فنحر الإبل لأهل مكة، ونحر الإبل لأهل الشِّعاب، ونحر الإبل على رءوس الجبال، ليُطعم الناس وليُطعم الوحش. قال: وهل كان عبدالمطلب إلا نعمةً للناس ونقمةً على الإبل!

ولكن عبدالمطلب لم يفرغ من شأنه ذاك، ولم يعُد إلى المسجد مع العصر، حتى رأى أندية قريش مُتجمعة فيه، تلهج كلها بحديث غريب ونبأ طريف! أذاعه في مكة رجلٌ من أهل الظواهر، فشغل به الناس وتناقلوه. وكان هذا الرجل طَلِبة أهل المسجد، ينتقل بحديثه من ندى إلى ندىّ. فلا يكاد يُتم حديثه إلى قوم حتى يدعوه إليهم قومٌ آخرون ليسمعوا منه ويسألوه. وكان يستجيبُ لمن يدعوه، ولا يزهد في أن يُعيد قصته مرة ومرة، وكأنه قد أحس لنفسه خطراً، وكأنه قد رأى نفسه مطلوباً بعد أن لم يكن من قبل إلا طالباً، وكأنه قد كبر في نفسه، فكان يقول ويُطيلُ في القول، وكان يفصّل ويُغرق في التفصيل. وكانت أفناء قريش تسمع له، فمنها من يَعجبُ، ومنها من يرتاع، ومنها من يلقى الحديث بالإغراق في الضحك، ومنها من يلقى الحديث بهز الرءوس.

وكان هذا الرجل يقص قصصه فيقول: ما كنت أعلم أن لليل أسراراً ليست للنهار. وما كنت أعلم أن للصحراء أنباء ليست للمدن والأرض العامرة. وما كنتُ أحسبُ أن في هذا الهواء الذي تتنسمه وفي هذا الفضاء الذي يحيط بنا أرواحاً تتناجى، وأحياء تتجاذب الحديث، حتى رأيت ما رأيت، وسمعتُ ما سمعت، فتبينت أن حياتنا غُرور، وأن علمنا جهل، وأن أحاديثنا لهوٌ وهراء. والناس يتعجلونه فيقولون له: هات ما عندك من النبأ، حتى إذا فرغتَ من قصته فقل ما شئت، وهو يقول: لقد جَنّني الليل، وإني لفي طريقي من الطائف إلى مكة فلا أحفل بذلك ولا آبه له، ولا أفكر في أن آوي إلى حيٍّ من هذه الأحياء التي تنتشر بيوتها في الطريق لأنتظر مشرق الشمس، ولكنني أمضي أمامي لا ألوي على شيء ولا أرهب شيئاً، وماذا أرهب والطريق آمنة واضحة يسلكها الناس إذا أصبحوا، ويسلكونها إذا أمسوا، يسيرون فيها مع ضوء النهار، ويسيرون فيها مع ظلمة الليل؛ قد عرفوها فهم لا يحتاجون إلى مرشد ولا دليل. فأمضي أمامي مُجداً في السرى، أريد أن أفجأ أهلي مع الصبح. وإني لفي بعض الطريق وقد سكن من حولي كل شيء حتى لا أسمع إلا أخفاف مطيتي تمس الأرض مساً رفيقاً. وإلا هذه الأنّات التي تُرسلها المطايا إذا جهدها السير وحنّت إلى الراحة، وإلا ما كنت أناجي نفسي به من حديث أهلي إذ طلعت عليهم مع ضوء الشمس. وكان ضوء القمر قد انبسط على الفلاة هادئاً نقيًّا، فملأ نفسي أمناً ودعة وهدوءاً.

وإني لفي ذلك، وإذا غمغمة تصل إليّ من بعيد، فلا أحفل بها ولا ألقي إليها بالاً، وإنما أمضي فيما أنا فيه من الاستمتاع بلذة هذا السُّرى، ومسِّ أخفاف مطيتي للأرض، وحنينها إلى ما بعُد عهدُها به من الراحة، وأحاديث نفسي عمن فارقت، في الطائف وعمن سألقى في مكة. ولكن الغمغمة تدنو مني أو أنا أدنو منها، وإذا هي تشتد شيئاً فشيئاً، وإذا أصواتها تمتاز وتستبين، وإذا أنا أسمع أحاديث قوم يتهامسون، وإذا أنا أنظر فلا أرى أحداً. والقمر مع ذلك مشرق مضيء، والفلاة مع ذلك مبسوطة لا عوج فيها ولا ارتفاع، والحديث مع ذلك من حولي واضح يملأ الهواء، وقلبي مع ذلك يضطرب ويمشي في صدري رعباً. وأنا أذهب بمطيتي إلى أمام وأرجع بها إلى وراء، وأذهب بها عن يمين وأذهب بها عن شمال، وأرفع بصري إلى السماء وأخفض بصري إلى الأرض، فلا أرى شيئاً ولا أتبيّن شيئاً إلا جمال هذا الضوء الرائع يغشّي الأرض برداء نقيّ رقيق. وهذه النجوم التي لا تُحصى وقد تألقت في السماء كأنها المصابيح، وانطلقت في طريقها مسرعة كأنها تستبق، وهذه الأحاديث الواضحة تتحدّث بها جماعاتٌ لا أراها، ولكنها لا تستقر إنما يمضي بعضها إثر بعض. وإني لأسمع قائلا يقول: «انظروا إلى السماء، فما أرى أنها كعهدنا بها من قبل. إن نجومها لتتألق في قوة لم نرها قط. إنها

لتستبق فى سرعة لم نرها قط. إنها لتدنو من الأرض حتى إن نارها لتوشك أن تحرقنا. إن التصعيد فى السماء لعسير. وفيم نصعد إلى السماء وإن السماء لتهبط إلينا! إن البقاء على الأرض لعسير. وأنى لنا الثبات بهذا الضوء الذى لا يخفى عليه شيء، حتى أشباحنا الخفية التى لا تراها العيون! النجاء النجاء! إن للغيب لعجبا، وإن فى الأرض لحدثا، وإن الزمان ليستدير، وإنا لا ندرى أشر أريد بالناس أم خيرا!!».

وإنى لأسمع ما أسمع وأرى ما أرى، فيبهرنى ما أسمع ويسحرنى ما أرى، وأشغل به حتى عن أن أسائل نفسى، أين أكون وما تكون هذه الأصوات. ولكنى أحس أصواتا أخرى كأنها تهيب بأهل تلك الأصوات التى كنت أسمعها قائلة: النجاء النجاء! ولكن إلى أين؟! إنكم لتفرون من مكة كأن شيئا أزعجكم عنها وقد كنتم فيها آمنين، وقد كنا نفر إليكم لأن شيئا أزعجنا عن دورنا، وأخرجنا من مأمننا، واضطرنا إلى أن نهيم فى الأرض، لا ندرى ما هو، ولا ندرى من أين جاء، إنا لنتسامع من أطراف الأرض بأن حدثا قد حدث، وبأن كائنا قد كان. إنا لنتسامع بأن إيوان كسرى قد اضطرب ومادت به الأرض، فسقطت شرفاته وتهدم بنيانه. وإذا أصوات أخرى تصيح منتشرة فى الفضاء: وإنا لنتسامع بأن نار الفرس قد خبت فجأة لأول مرة منذ ألف سنة. وإذا أصوات أخرى تصيح: إنا لنتسامع بأن بحيرة ساوة قد جفت، وما عهدناها إلا غزيرة جمة الماء.

وإذا هذه الأصوات كلها تملأ الأرض، رقيقة خفيفة، خائفة قلقة: النجاء! النجاء! إن للسماء خبرا، وإن الأرض لتستقبل يوما لم تستقبله من قبل، وإن لهذا اليوم فى حياة الأرض لشأنا لا ندرى أخير هو أم شر! النجاء النجاء!

وقد فقدت صوابى وأضللت عقلى، فلا أحس شيئا، ولا أرى شيئا، ولا أسمع شيئا، كأنما انتزعت من الحياة انتزاعا. ثم يمسنى برد السحر فأفيق وكأنما ثبت إلى نفسى من سفر بعيد. وأنظر حولى فأرى أصابع الفجر تمتد إلى الأشياء كأنما تريد أن تلمسها، وأرى الليل ينحسر عن الأشياء كأنما يودعها محزونا، وأرى النجوم تنهزم فى السماء كأنما تخاف جيشا منتصرا، وأرى ناقتى مذعنة لحكم السرى تمضى أمامها كأن شيئا لم يكن من حولها. وأبلغ أهلى مع الصبح، فيستقبلوننى دهشين كما كنت أقدر، ولكنى لا أستمتع بهذا الدهش كما كنت أريد.

ويتفرق الناس عن هذا الرجل وقد سمعوا منه، وإن بعضهم ليسأل بعضا: ماذا يقول ماذا رأى؟ وإن بعضهم ليقول لبعض: لقد أخذه النوم فعبثت به الأحلام، وإن بعضهم ليقول لبعض: لقد مر بجماعة من جن الصحراء كانوا يسمرون.

ويسمع عبدالمطلب هذا كله فتثور فى نفسه خواطر لا ينكرها ولا يعرفها، ولكنه لا يطيل الوقوف عندها؛ لأنه مشغول عنها بمقدم حفيده اليتيم.

محمود الشرقاوى كاتب ذو رسالة

٢

للدكتور / أبى حسام

لم يكن الأستاذ الشرقاوى يتحدث عن التجديد الدينى وهو بعيد عن الأزهر فى مشكلاته التعليمية بل كان الأزهر يعيش فى أعماقه فى كل كلمة كتبها عن هذا التجديد لأن الإصلاح الدينى يبدأ منه وينتهى إليه، لهذا نجده فى كل مناسبة يتجه إلى الحديث عن إصلاح الأزهر بنبرة خارقة كأن إعصارا عاتيا يهب فى أعماقه فهو يريد أن يهدئ من ثورته الجامحة وقد اعتاد من ينادون بالإصلاح الأزهرى أن يشنوا الحملات القاسية على نظمه وأساليبه القديمة فى الوقوف عند حد ضيق ينطلب السعة والانفتاح، ولكن الشرقاوى وهو ابن الأزهر الشفيق ينظر إليه نظرة الولد الحانى إلى الأب المريض ويرى أن اشتداد المؤاخذة فى مثل هذا المجال قد تسئ أكثر مما تحسن وقد آله أن يندفع الكاتبون بحق أو بغير حق إلى تأنيب هذا الوالد ورميه بالتأخر المتحجر والجمود الناكل، إذ عليهم أن يكونوا هادئى النبرة معتدلى النصيحة فاتخذ منهم متخذ المعارض الذى يواجه أقوالهم الطاغية بما يردها عن الطغيان فهو فى مقاله المنشور بالرسالة تحت عنوان الأزهر والحياة العامة العدد ٣٥٨ يستنكر آراء من يقولون إن على الأزهر أن يخرج علماء كرجال أوروبا المتخصصين فى شئون الدين ثقافة ذهن واستنارة فكر وسعة عقل ومرونة تفكير وأن يكون طلبته على شاكلة ما يكون أندادهم فى بلاد الغرب من التهيؤ والاستعداد ويلجون فى هذا الاتجاه لجاجا صارخا وكأنهم يرسمون النموذج المثالى للإصلاح الأزهرى وفى طليعة هؤلاء الدكتور زكى مبارك الذى يتحدث عن كل شيء وكأنه ابن يحدثه مع أن كلامه عاطفى فى أكثره لايعتمد على واقع صريح وهى دعوة براقة خادعة تغفل

الاختلاف الحاسم بين وضع ووضع، وبين بلد وآخر وتحتاج فى هدمها إلى معول جاد يتجاوز السطح الخارجى من البناء إلى الأساس الممتد فى الأعماق. إن الشرقاوى يجابه هؤلاء المتسرعين فيقول لهم: إن قياس الأزهر بمعاهد الشرق شطط بعيد عن الصواب فالحياة المصرية والحياة الشرقية كلها بعيدة عن الحياة الغربية والثقافة الأوربية، ومن الشطط والبعد عن الإنصاف أن نفصل بين الأزهر وبين أنواع الحياة المصرية والشرقية وألوانها بل الإنصاف العادل يقتضينا أن نقارن بين الأزهر وغيره فى مصر بمعنى أنه لا يجب أن تكون كليات إنجلترا و باريس وبرلين هى مجال الموازنة، بل يجب أن يجب أن تكون كليات مصر موضع المقارنة. لنعلم هل تقهقر الأزهر فى بيئته التعليمية عن كليات وطنه هذا التأخر الذى يوجب الضجيج.

يقول الأستاذ الشرقاوى فى سؤال حاسم: «نقول للذين يقيمون الميزان بين الأزهر وبين جامعات أوربا هل يرضيكم أن نقيم الميزان بين الجامعة المصرية والجامعات الأوربية وأن نقيم الميزان بين المدارس المصرية و المدارس الأوربية ؟ و الجواب أن هذه الموازنة ستعود بالخسران على جامعة مصر فلا مجال إذن لجعل الأزهر وحده موضع الصراخ والاحتجاج، وإذا أردنا الموازنة المستقيمة فيجب أن يحدد مكان الأزهر بالمقارنة بينه وبين غيره فى مصر فإذا فعلنا ذلك ضاقت



مصطفى عبدالرازق — الأفغانى

الشقة فى ساحة الاختلاف " وعندئذ لا تظن أن كفة الأزهر ستثقل ولا أن كفة غيره ستميل ولا يكون غيره الراجح وهو المرجوح».

إن الشرقاوى ينشد بذلك الإصلاح العام للتعليم المصرى جميعه أزهريا وغير أزهرى ولكن معارضيه يظنون أن الجامعة التى ينتمون إليها قد برئت من كل عيب ولهم وراء ذلك أن يحملوا الأزهر التبعات.

ثم يؤكد اعتداله المنصف فى قوله (لا نريد أن نقول بعد ذلك أن الأزهر عظيم عظيم ولا أنه يقوم بواجبه ولا أن الحياة الذهنية والتعليمية به مما تغتبط به النفس وينشرح له الصدر، ولكننا نقول إن البلاء مشترك بين معاهد التعليم فى مصر كلها بل وفى مدارس الشرق أيضا ومعنى البلاء المشترك أن التعليم جميعه فى حاجة إلى إصلاح ومن هنا يكون الاتجاه إلى الإصلاح الأزهرى موضوعيا لا لغط فيه، والذين يلومون الأزهر وحده فى حاجة إلى تخفيض نبراتهم حين يلجئون إلى الموازنة بين التعليم الأزهرى وسواه بل إن هذه النبرة المرتفعة تدل على العنجهية الشامخة ولا تدل على الإنصاف المعتدل وإذا فقد المتحدث سمة الإنصاف فقد حاد عن الطريق.

ومن سمة الشرقاوى أن يخص الصحف الرصينة والمجلات الملتزمة بأحاديثه فهو ليس ممن يتظاهرون بحب الإصلاح فى صحف متواضعة لا ترحب بغير الانسياب الإنشائى المتواضع ويدعون أنهم بذلك يضعون البلسم فوق الجرح المريض لذلك نجده ينتهز كل فرصة عملاقة ذات تأثير ثقافى للجهر برأيه فى معترك يتعارك فيه الأبطال. وقد ابتهل فرصة طيبة سمحت للرسالة حين كتبت افتتاحية ضافية خاصة بحديث الإمام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى عن الإصلاح الأزهرى العدد ٣٥٦ قالت فى مفتتحه (كان مما لابد منه لمن يكتب فى الإصلاح الأزهرى أن يستضئ برأى الإمام الذى هيأه الله واختاره التوفيق لزعامة الثقافة الإسلامية فى أشد العصور افتتانا بالعلم وامتحانا للعقيدة وهزا للشعور واستعدادا للتطور) وقد أعلن فى هذا الحديث أن الأزهر ليس جامدا كما كان من قبل وأنه يتقدم مع الزمن تقدما يتفق مع طبيعة أهله فى الأناة والروية، وقد قال فيما قال: " أليس من العجيب أن تكون عدد الاجتهاد التشريعى لدينا أكثر منها عند مالك، وذرائع الابتكار الأدبى فى عصرنا أوفر منها فى عصر الجاحظ، ثم لا نجد فينا فقيها يجتهد بعض اجتهاد صاحب الموطأ، ولا أديبا يؤلف بعض ما ألف صاحب الحيوان وهو قول صادق اعتراض محمود الشرقاوى الجاد لأنه يغفل الفوارق بين بيئة وبيئة وعهد وعهد، فالحياة الاجتماعية والحياة السياسية فى عصر مالك والجاحظ تفور بالنشاط بل بالعنف والأمة الإسلامية فى هذا العهد هى صاحبة السيادة والسلطان المطلق وحضارات الأمم القديمة وآثارها العقلية تنحدر كالسيل فى الحياة الإسلامية فتملأ الفضاء ! وفى ظل ذلك كله نشأ مالك والجاحظ ولهذه البيئات العلمية والوسط الاجتماعى ومستوى الحياة الذهنية وشعور المجتمع بالسيادة تأثيره فى تكوين رجال كالجاحظ ومالك.

وكل قرن ناجم فى زمن
فهو شبيه زمن فيه بدا

وهذا تحليل دقيق ولكنه يغفل أن فتوح العلم فى هذا العصر قد اتسعت أبعد ما تتسع إذا قورنت بعهد الدولة العباسية وأصبحت ثمار هذه الفتوح دانية القطوف فى مصر وفى غيرها من البلاد العربية فكان من الواجب أن يخرج لنا رجالا لا أفرادا من طراز الجاحظ ومالك وقد ذهب الشرقاوى فى مقاله إلى أن أحاديث المراغى ونظرائه فى هذا العصر لا تفقد قيمتها إذا قورنت بمؤلفات العصر العباسى، وإذن فدعامة الابتكار

فى العهدين موجودة لاشك فيها ! ولكن السير الوئيد للأزهر فى سنواته الطويلة حال دون ازدهار النشاط وقد وجد مجاله فى عهد الإمام المراغى والسبب الأصيل فى تأخر النهضة الدينية عن مستواها المنشود هو اشتغال كل فرد بنفسه، وعمله على أن يكون متميزا عن سواه، ولو تلاقت الأكف فى بناء واحد لسارت النهضة على الوجه المنشود، وهذه مسألة لا ترجع إلى ازدهار الثقافة الدينية وحدها بل ترجع إلى ضرورة الإعداد النفسى للتوثب المقصود وهو مما يحتاج إلى خلوص النيات وإلا فما يفعل دعاة الإصلاح وفى طليعتهم الإمام المراغى وهم يجدون أسباب النكوص والتراجع فى كل اتجاه حتى ليصدق فيهم قول القائل:

متى يبلغ البنيان يوما تمامه
إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

على أن إخلاص الشرقاوى لعقيدته فى الإصلاح الدينى لم يقتصر على معالجة الموضوعات التوجيهية بل جعل من رسالته فى الصحافة منبرا لهذا التوجه الإصلاحى الحميد، إذ أنه بعد أن أحرز الشهادة العالمية والتحق بإحدى كبريات الصحف اليومية لم ينس هيامه بالنهوض الدينى المنشود وكانت الصحافة منبره العالى فى هذا المجال فأخذ يكتب فى الصحف اليومية والأسبوعية ما يطفئ سعار حبه المتوقد للإنقاذ والوثوب. وقد


على مبارك


محمد فريد وجدى

يكتب مقالا فى غير الإصلاح ولكن روح الدعوة إلى النهوض تتضح بسطوعه فيما يكتب وإن ظهر العنوان بعيدا عما ينتحيه وهيامه برجال الإصلاح الأزهرى والزعامة السياسية المؤمنة قد عبر عنه فيما كتب من مقالات ضافية عن الدردير، والشرقاوى، والسادات، وعن على مبارك ومحمد عبده، وجمال الدين الأفغانى، وهى مقالات تخرج من الحيز النمطى المعهود فى تراجم هؤلاء متوثبة إلى البعث التجديدى المنشود، وقد يكتب الكاتب السطحى مقالا دينيا يملؤه بالآيات والأحاديث ثم لا يخرج منه القارئ بمثل ما يخرج من مقال للشرقاوى يبعد موضوعه عن الدين ولكنه يهدف فى صميمه إلى أصول الدين فى توجيهاته الخلقية والإنسانية ومن مظاهر هذا الحب الصحفى دعوة الشرقاوى الملحة: إلى إصلاح مجلة الأزهر فقد نشأت فى أول عهدها محافظة على الطابع التقليدى ثم تقدمت كثيرا على يد الأستاذ محمد فريد وجدى حين جعل بعض مقالاتها ردودا على الشبهات الاستشراقية وحين فتح بابا لتوضيح التيارات العالمية للإصلاح وجاء الأستاذ الأكبر مصطفى عبد الرازق فرأى أن ينهض بالمجلة إلى حيث تساوى حوليات المجلات العلمية فى الغرب فألف لجنة تختص بوضع لائحة جديدة للمجلة و قرأ الشرقاوى هذه اللائحة فعرف منها ما عرف وأنكر ما أنكر ثم تقدم بمقال متزن يشرح وجهة نظره فى إصلاح المجلة ويرسم لذلك اتجاهات يقترب بعضها من مواد اللائحة ويبتعد البعض الآخر عنها وكان مما قاله الشرقاوى فى هذا النطاق ببعض الإيجاز[1] إنه يجب أن يكون للمجلة هدفان الأول: إبراز نواحى النشاط المختلفة للأزهر وصلاته العامة بالداخل والخارج فتنشئ المجلة قسما خاصا بشئون البلاد الإسلامية وتنشر الجيد مما يكتبه أعضاء البعوث الإسلامية فى الأزهر عن بلاد الإسلام ويكون لأعضاء البعوث رسائل مهمة ودراسات هادفة تتم دراستها على نحو يوحى بقوة الروابط بين الشعوب الإسلامية ويعلن أن الأزهر منارة للإشعاع فى هذه البلاد.

أما الهدف الثانى: فهو إبراز صورة من النشاط الداخلى للأزهر بنشر ما يقوم به الأساتذة المبرزون من بحوث تقود التيار الدينى إلى مساره الصحيح مع معالجة ما يجد من الأمور الدينية فى شتى الربوع فى ضوء معارف الإسلام الصحيحة ورعاية الحياة الدينية فى مصر وتوجيهها الوجهة الإصلاحية التى طال ترقب الناس لها والتى ظن الناس أن الأزهر تخلى عنها وأنه رضى لنفسه أن تكون حياته الحاضرة والمقبلة امتدادا لحياة بئيسة عاشها قرونا طويلة وقد بعدت عن روح العلم والنقد الصحيح كما بعدت عن مسايرة الحياة والناس والزمان.

وهذا كلام جيد والنفوس المؤمنة تشرئب إلى أن يصبح واقعا عمليا ولكن ذلك يتطلب هيئة تحرير مستنيرة. وقد يكون الأزهر غير مستعد استعدادا كافيا لتكوين هذه الهيئة من أبنائه، وإذا كانت البعثات الأوربية قد ارتفعت بالمستوى الثقافى لمبعوثيها فقد كنا نأمل من هؤلاء أن يحملوا المشعل المضئ فى شعاب البحث والتوجيه ولكن كثيرا من الأعضاء قد ظنوا الدراسة الأوربية وحدها سبيل الدرجة العلمية الراقية فإذا حملوا الدكتوراة والماجستير فقد بلغوا أحلى ما يريدون. أما ما بعد الدكتوراة والتعيين فى الكليات فقد دلت الكثرة من هؤلاء على أنهم دون المستوى المنشود ونجحت القلة القليلة فى إنتاج محصول علمى ممتاز ولكنها قلة قليلة تترك وراءها من ذوى الكل العلمى ما يبعث على الأسف والعتاب الذى يبلغ درجة الملام.

(١) نقلا عن الرسالة العدد (٦٨٩).

﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

علـــى جمعـــة

مفتى جمهورية مصر العربية

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

اطلعنا على الطلب المقدم من/ مجلة الأزهر - المتضمن لبعض الأسئلة وهى:

ســرادقات العــزاء

● من الأستاذ / ا.ا.ن. جاء السؤال التالى:

ما حكم سرادقات العزاء ؟

●● الجـــواب: الدين الإسلامى الحنيف هو دين المودة والرحمة والترابط والتواصل والمواساة؛ لقول سيدنا محمد رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (متفق عليه من حديث النعمان بن بشير رضى الله عنهما)، وقد حث الإسلام أتباعه على مواساة المصاب منهم حتى يخففوا آلام المصيبة عنه، ووعد ﷺ المعزى بثواب عظيم فقال فى حديثه الشريف: «من عزّى مصابا فله مثل أجره» (رواه الترمذى وابن ماجه والبيهقى)، وقال صلى الله عليه وتسليماته: «ما من مؤمن يُعزى أخاه بمصيبة إلا كساه الله سبحانه من حُلل الكرامة يوم القيامة» (رواه ابن ماجه)، ويستحب تعزية أهل الميت جميعا صغيرا وكبيرا رجالا ونساء ولا يعزى الرجال الشابات من النساء، أو اللاتى يخشى منهن الفتنة، ولا يكون العزاء بعد ثلاثة أيام إلا لمن كان غائبا عن المكان أو لم يعلم فإنه يعزى حين يحضر أو يعلم.

وإقامة المأتم والسرادقات لقبول العزاء من العادات التى جرى بها العرف عندنا بما لا يخالف الشرع الشريف؛ إذ هى فى حقيقتها وسيلة تساعد على تنفيذ الأمر الشرعى بتعزية المصاب، ومن المقرر شرعا أن الوسائل تأخذ أحكام المقاصد مالم تكن الوسائل محرمة فى نفسها، فإذا تمت إقامة هذه السرادقات بطريقة لا إسراف فيها ولا مباهاة ولا تفاخر وكان القصد منها استيعاب أعداد المعزين الذين لا تسعهم البيوت والدور فلا بأس من ذلك.

وكذلك الحال فى إحضار القراء لقراءة القرآن؛ هو فى أصله جائز ولا شىء فيه، بشرط أن يكون كله من تركة الميت، ولم يكن المقصود به المباهاة والتفاخر.

أما إذا كان ذلك من أجل المباهاة والتفاخر -كما يحصل كثيراً- فهو إسراف محرم شرعا، وتشتد الحرمة إذا كان قد حُمِّل القُصَّر من أهل الميت نصيبا فى ذلك، أو كان أهل الميت فى حاجة إليها، ولا يجوز أن ينفق أحد فى ذلك كله من تركة الميت أو مال غيره إلا عن طيب نفس منه، ولا يُحمَّل القصَّر ولا من لم تطب نفسه بذلك شيئاً منه.

ولا شك أن أهل الميت يكونون فى أمس الحاجة إلى من يخفف عنهم ويواسيهم بالقول وبإعداد الطعام لهم وبالمال إذا كانوا فى حاجة إلى ذلك؛ لانشغالهم وإرهاقهم بمصابهم وتجهيزاته، وهذا معنى قول رسول الله ﷺ: «اصنعوا لآل جعفر طعاما؛ فقد جاءهم ما يشغلهم» (رواه أبو داود وابن ماجه والبيهقى من حديث عبدالله بن جعفر رضى الله عنهما) بل قد يجب الجلوس لتلقى المعزين كما إذا غلب على ظن المعزى أنه لو لم يجلس لنسبه المعزون إلى كراهته لهم حيث لم يجلس لتلقيهم، كما أشار إلى ذلك الشروانى فى حاشيته على تحفة المحتاج بشرح المناهج لابن حجر الهيتمى.

وعليه وفى واقعة السؤال: فإن إقامة السرادقات وإحضار القراء للقراءة من الأمور المباحة فى أصلها مالم يقترن بها إسراف أو مباهاة وتفاخر أو أكل أموال الناس بالباطل، وإلا فهى حرام، ولا يجوز إشراك القصر ولا غيرهم ممن لم يأذن بذلك فى تحمل هذه النفقات؛ لأن فى ذلك أكلاً لأموال الناس بالباطل.

والله سبحانه وتعالى أعلم

الاستخارة

● ومن القارئة: ن.ح.ش. ورد السؤال التالي:

هل لصلاة الاستخارة مفهوم غير المعتقد عند العامة أن بعد الصلاة ستكون هناك دلالة على الاستجابة؟

●● الجواب: الاستخارة دعاء يدعو فيه الإنسان ربه أن ييسر له الخير ويصرف عنه الشر وليس من شرطها أن يرى بعدها رؤيا يقال له فيها «افعل ولا تفعل» بل من علاماتها التيسير فإذا أقدم الإنسان على ما استخار فيه ربه فوجده ميسراً ووجد أبوابه مفتوحة له فإن فيه الخير إن شاء الله وإن كان غير ذلك ورأى فيه عسراً فإنه ينصرف عنه. والله سبحانه وتعالى أعلم.

إشهار الزواج

● ومن الأستاذ: ج.ص.ن ورد السؤال التالي:

ما معنى إشهار الزواج بعد كتابة عقد الزواج؟

●● الجواب: حقيقة صيغة النكاح إنما هي للإخبار وليست للإنشاء، وإنما احتجنا لنقلها من دائرة الإخبار إلى دائرة الإنشاء حتى يتم العقد وتكون دلالة الكلام هي الواقع في الخارج دون احتمال الصدق والكذب الذى يكتنف الإخبار، وهو غرض مهم صحيح جعل صيغة الإخبار ملغاة مع أنها هي الأصل ليحل محلها الإنشاء وهو الفرع. فإذا قيلت الصيغة مرة أخرى على جهة الأصل التى وضعت له وهو الإخبار بقرينة الحال فذلك صحيح لغة وجائز شرعا، كما لو قال ولي الزوجة لزوجها: زوجتك موليتي، فقال له: قبلت؛ يريدان حكاية الماضي، ولايريدان إنشاء عقد جديد؛ فكأن معنى كلام الولي: زوجتك موليتي منذ سنين، ومعنى كلام الزوج: وأنا قبلت حينئذ. ولا مانع من ذلك شرعا ولا حرج فيه.

أما الاحتجاج بعدم فعل النبي ﷺ لذلك على عدم الجواز فهو غير سديد؛ لأنه لا يلزم من عدم وروده عدم حصوله، كما أنه إذا سُلّم عدمُ الحصول فلا يلزم منه عدم الجواز؛ لأنه استدلال بالترك، والاستدلال بالترك باطل كما هو مقرر في أصول الفقه.

وبناء على ذلك وفي واقعة السؤال فإن ما تفعله مما جاء في سؤالك صحيح وجائز شرعا.

والله سبحانه وتعالى أعلم

صلاة الجماعة

● ومن الأستاذ: س.ج.ط. جاء السؤال الآتي:

دخل رجل للصلاة والإمام في التشهد الأخير فهل يصلي مع الجماعة أم ينتظر جماعة أخرى؟

●● الجواب: ذهب جمهور الفقهاء إلى أن صلاة الجماعة تدرك إذا شارك المأموم إمامه في جزء من الصلاة ولو آخر الجلسة الأخيرة قبل السلام.

وبناء على ذلك وفي واقعة السؤال:

فيجوز لك الدخول مع الإمام في التشهد الأخير ويكون لك ثواب الجماعة على رأي جمهور الفقهاء.

والله سبحانه وتعالى أعلم

● ومن الأستاذ م.ا.ج. ورد السؤال التالي:

هل يجوز لمن أتى خلف الصف أن يجذب أحد المصلين ليصلي معه؟

●● الجواب: صلاة المنفرد إما أن ترد مطلقة أو مقيدة، فإن وردت مطلقة فإنها تكون في مقابلة صلاة الجماعة كما قال رسول الله ﷺ: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ -أي المنفرد- بسبع وعشرين درجة» (متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما)، أما إذا أريد بها ما ذكر بالسؤال فإنها تقيد به فيقال: صلاة المنفرد خلف الصف.

وصلاة المنفرد خلف الصف إذا كانت لعذر -كأن لم يجد من يصف معه- صحيحة، فإذا انتفى العذر فإنها تكون صحيحة مع الكراهة، وذلك لما روى البخاري عن أبي بكرة -رضي الله عنه- أنه انتهى إلى النبي ﷺ وهو راكع، فركع قبل أن يصل إلى الصف، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «زادك الله حرصا ولا تعد». فأخذ الفقهاء من ذلك عدم لزوم الإعادة، وأن الأمر الذي ورد في حديث وابصة بن معبد -رضي الله عنه- عند الترمذي -من أن رسول الله ﷺ رأى رجلا يصلي خلف الصف وحده فأمره أن يعيد الصلاة- إنما هو على سبيل الاستحباب جمعا بين الدليلين.

أما الحنابلة فأبطلوا صلاة من صلى خلف الصف وحده ركعة كاملة دون عذر، حملاً للأمر في حديث وابصة على الوجوب.

ومن لم يجد فرجة ولا سعة في الصف فللفقهاء فيه مذاهب:

١- فعند المالكية وأحد قولي الشافعية -وهو ما نص عليه الإمام الشافعي في البويطي واختاره القاضي أبو الطيب- أنه يقف منفردا خلف الصف ولا يجذب أحداً لئلا يحرم غيره فضيلة الصف السابق، بل زاد المالكية أنه إن جذب أحداً فلا يطعه المجذوب وهذا رأي الكمال بن الهمام من الحنفية.

٢- أما عند الحنفية والصحيح عند الشافعية فإنه يستحب أن يجذب إليه شخصا من الصف ليصطف معه، لكن مع مراعاة أن المجرور سيوافقه، وإلا فلا يجر أحدا منعا للفتنة.

٣- وعند الحنابلة يقف عن يمين الإمام إن أمكنه ذلك لأنه موقف الواحد، فإن لم يمكنه ذلك فله أن ينبه رجلاً من الصف ليقف معه وإلا صلى وحده خلف الصف؛ ويكره تنبيهه بجذبه واستقبحه أحمد وإسحاق لما فيه من التصرف بغير إذنه.

وبناء على ما سبق؛ فصلاة المنفرد خلف الصف إن لم يمكنه إلا ذلك صحيحة باتفاق الفقهاء، ومن أجاز منهم له أن يجذب رجلا من الصف أمامه فإنما اشترط معرفة موافقة المجرور على ذلك مسبقا، ولذلك فإنا نرى قصر ذلك على هذه الحالة فقط، أما إن لم يعلم المنفرد خلف الصف هل يوافقه المجذوب أو لا أو علم عدم موافقته على ذلك فليس له أن يجذب أحداً؛ وذلك تأدبا مع مذهب المخالف ودرءا للفتنة.

والله سبحانه وتعالى أعلم

لا تعارض بين الإسلام والتقدم الحضاري

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

الإسلام هو دين العلم والمعرفة، ودين التقدم الحضاري والعمران ولا يأبى على أتباعه أن يصتعوا لأنفسهم وحياتهم ما يدفعهم قدماً إلى الأمام، بل إن الإسلام أمر بإعادة القوة، ليكون المسلمون أقوى من أعدائهم، وأقدر على دفع كل عدوان يتربص بهم الدوائر.. قال الله تعالى:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾

كما أمر الإسلام أتباعه بالسير والنظر في ملكوت السموات والأرض، وما بث الله في ملكوته من آيات.

ومعلوم أن الحضارة الإسلامية التي تبوأت مكانتها العالمية على ظهر الأرض، لم تكن وليدة الصدفة، ولم تَنْبعث من فراغ، وإنما أخذت وضعها في المجتمعات الإنسانية لأنها قامت على فكر مستنير، استمد رشده وهداه من ينابيع الإسلام الأصيلة، فقد منح الله ـ تعالى ـ الإنسان عقلاً مفكراً يميز به بين الحق والباطل، وبين الخير والشر، وليفكر ويتدبر، ويبحث وينقب ويكتشف ويتقدم في هذا الكون الفسيح.

وإلى جانب هذه المنحة الربانية وهي العقل، منح الله ـ سبحانه وتعالى ـ الإنسان سمعاً وبصراً وفؤاداً، وجعله مسئولاً عما منحه إياه.. فقال ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾

(الإسراء: ٣٦)

وقد اضطلع رجال أفذاذ من أمتنا الإسلامية بمهمة البحث والاكتشاف، وكانت لهم مناهجهم التجريبية التي اعترفت بها أوروبا ولا تزال مدينة لهم حتى الآن، ومن هؤلاء: الرازي، وابن سينا في الطب، والكندي في الرياضيات، وجابر بن حيان في الكيمياء، وابن الهيثم في الطبيعة.

ويقول الأستاذ بريفولت في كتابه: «بناء الإنسانية» ليس لروجيه باكون، ولا لفرانسيس باكون الذي جاء بعده الحق في أن ينسب إليهما الفضل في ابتكار المنهج التجريبي، فلم يكن باكون إلا واسطة من وسطاء العلم والمنهج الإسلاميين إلى أوروبا وهو نفسه لم يمل ـ قط ـ من التصريح بأن تعلم معاصريه في أوروبا اللغة العربية وعلوم العرب هو الطريق الوحيد للمعرفة الحقة.

تلك كانت نظرتهم، وذلك اعترافهم، وإلى أي مدى أدركوا أهمية اللغة العربية كطريق للمعرفة الحقة، أين هذا من إهمال الكثير من العرب للغتهم، وأين هذا من أولئك الذين ينادون للعامية؟!.. بل ويتحدثون بها ويهجرون اللغة العربية في الكثير من الأحاديث في وسائل الإعلام المختلفة؟!.. وأين هذا من الأمية التي فشت في بعض المواقع ولا تزال؟!

لقد آن الأوان أن يُقضى على الأمية، وأن يأخذ المسلمون طريقهم إلى العلم والمعرفة، وإلى الثقافة الأصيلة، والحضارة الإسلامية العريقة التي أسسها أسلافنا!!

إن المسلمين إذا تأخروا فهذا نتيجة إهمالهم وتفريطهم في تراثهم وليس الذنب ذنب الإسلام، فالإسلام هو دين العلم، حثهم عليه وأمرهم بالبحث والنظر وأولى آياته:

﴿ اقْرَأْ ﴾ (العلق: ١)

دعوة للعلم والمعرفة ولطالما تفشت دعاوى زائفة أثارها أعداء الإسلام في القديم وفي الحديث بغياً منهم وعدواناً، زاعمين ـ كذباً وبهتاناً ـ أن الإسلام يتعارض مع التقدم الحضاري، وأن المسلمين متأخرون.

وقد وضح لنا مما سبق كيف حث الإسلام أتباعه وجعلهم مسئولين عما منحهم به من نعمة العقل والسمع والبصر والفؤاد.

وكم انطلقت دعاوى أخرى تقول بضرورة أخذ الحضارة الحديثة بحذافيرها، ودعوات ينادي أصحابها برفض الحضارة الحديثة، وآخرون يرون أنهم معتدلون فيأخذون منها الصالح ويتركون غيره، ولكنها آراء إذا طرحت على بساط البحث والمناقشة لا يبقى منها شيء، فالقول بأخذ الحضارة الحديثة جملة مرفوض؛ لأن فيها ما ليس بصالح، ولأن فيها ما يتعارض مع روح أمة لها شخصيتها ومكانتها، والقول بتركها جملة لا يتفق أيضاً بحال إذ أن هناك أشياء في تلك الحضارة أصبحت من ضرورات الأفراد والمجتمعات، والقول بأخذ الصالح منها أيضاً لنا عنده وقفة؛ لأن تحديد الصالح وغير الصالح سيختلف من عقل لعقل، ومن فكر لفكر، ومن بيئة لبيئة، ونقف بعد ذلك لنقول: فما الحل؟!

والإجابة على هذا: أن في الإسلام ـ كما سبق ـ نهوضاً وتقدماً، وأن العقل الإسلامي يدين له العالم الحديث بحضارته، فليَسِر الفكر الإسلامي المستنير بعلمائه وخبراته، وليأخذ مسيرته الموفقة موصولة من الخَلَف بالسلف، وليس في الإسلام تعارض بحال من الأحوال مع الحضارة والتقدم والنهوض، بل إنه أمر بالسير والنظر والعلم والمعرفة

كما سبق، فالحضارة المادية والحياة العملية بمخابرها وأدواتها وكل أجهزتها ومعاملها وصناعتها لا تتنافى مع الإسلام، بل تتفق معه ويدعو إليها.

وأما ما يتصل بالفكر والثقافة، فإن لنا أصول ثقافتنا التي ترتكز على الوحي الإلهي فيما يتصل بالشئون الدينية، والوحي الإلهي مصون من أي زلل أو شطط لأنه معصوم، وأما الفكر البشري فهو قابل للخطأ والصواب، فمن حاول أن يأخذ من غير أصول الإسلام ضل، وما تسرّب الغزو الفكري إلى البيئة الإسلامية إلا في فترات الضعف التي انتابت الأمة فترات وفترات.

وواضح أن القرآن الكريم دستور حياة، وتبيان لكل شيء، وهدى ورحمة للعالمين، كفل للبشرية سعادتها دنيا وأخرى، فمن حاول التقدم عن غير طريقه ضل ضلالا مبينا، وللسُّنَّة النبوية المشرقة على صاحبها سيدنا محمد ﷺ فضلها، فهي مفصلة لمجمل القرآن وموضحة لمبهمه، ومقيدة لمطلقه، ومخصِّصة لعامه، وشارحة لأحكامه، وفيهما معًا الأمان من الفتن ما ظهر منها وما بطن، والأمان من الانحراف والضلال كما قال الرسول ﷺ: «تركتُ فيكُم ما إن تمسكتُم به لن تضلوا بعدى أبدًا.. كتاب الله وسُنّتي» (رواه الحاكم).

وإن في القرآن والسُّنَّة غناء للفكر الإسلامي، وللثقافة الإسلامية يقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

(العنكبوت: ٥١)

وقد حذر الرسول ﷺ من الخروج عن دائرة الكتاب والسُّنَّة، وأرسى مناهج الحياة الثقافية الإسلامية الصحيحة حتى لا يتخبط أحد في دياجير الظلمات الفكرية أو التيارات المغرضة.

عن جابر ـ رضي الله عنه ـ: أتى سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه النبي ﷺ، قال: فغضب، وقال: «أمتهوكون، (أي تتشككون) فيها يا ابن الخطاب؟.. والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء، فيخبروكم بحق فتكذبونه، أو بباطل فتصدقونه، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني» (رواه أحمد).. هذا فيما يتعلق بالدين والعبادة وأمر الثقافة الإسلامية.

أما ما يتعلق بعالم الصناعات والمكتشفات الحديثة، فالإسلام حث على أخذ العلم والتقدم والحكمة، حيث وجدها، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها، فهو أحق بها لا يعنيه من أي وعاء خرجت، وقد أمرنا ديننا أن نأخذ النافع، وأن نطرح الضار، وقال رسول الله ﷺ: «لا يكُن أحدكُم إمّعة، يقول: إن أحسن الناس أحسنتُ، وإن أساءوا أسأت، ولكن

وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا» (رواه الترمذي).

ومن أهم ما يتميز به التقدم الحضاري في ظل الإسلام هو أنه يعمل على الاستقرار والأمان، والتواصل والتعارف بين الجميع، قال الله ـ تعالى ـ:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

(الحجرات: ١٣)

والتقدم الحضاري في ظل الإسلام لا ينحو إلى الصراع أو الصدام، بل إلى التعاون والتدافع، قال الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾

(البقرة: ٢٥١)

ويسعى التقدم الحضاري في ظل الإسلام إلى البناء والتعمير وليس للهدم أو التدمير؛ لأن الحضارة الإسلامية لم تقم كالحضارات الأخرى على الجانب المادي فحسب، بل قامت على الجانب الروحي والديني والقيمي مع الجانب المادي في توازن واتفاق وانسجام ودون أن يطغى جانب على جانب آخر.

ومما لا شك فيه أن للقيم الدينية والمبادئ الإسلامية الروحية أكبر الأثر في صيانة الحضارة من أي شطط، وأي أسلحة دمار شامل، وأي عدوان أو تربص، وإنما الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، والعمل من أجل الصالح العام؛ لأن الرسالة التي تسير في ضوئها هي رسالة الرحمة، ولأن الرسول ﷺ جاءنا بالرحمة، بل هو نفسه رحمة مهداة ونعمة مُسْداة من الله ـ سبحانه وتعالى ـ به على المؤمنين وبعثه رحمة للعالمين، وقال رب العزة جل شأنه:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

(الأنبياء: ١٠٧)

وإذا كانت عظمة الحضارة الإسلامية على هذا النحو؛ فإن سيادة هذه الحضارة وريادتها فيها الأمان الحقيقي للعالم المفزع بالحروب، وفيها التعايش السلمي والحضاري، حتى لا يخدعنا الانبهار بغيرنا.

إن لدى أمتنا مخزونًا ثقافيًا، ومشروعًا حضاريًا، يتضمن كل خصائص الثبات والاستقرار على هويتنا، وعدم الذوبان في الآخر، ولكن المهم هو العمل والإخلاص، ومضاعفة الإنتاج، والتقدم العلمي والحضاري الذي حث عليه الإسلام؛ لأن الأنساق الثقافية لحضارتنا تتميز بأنها إنسانية وعالمية، جوهرها الرحمة والبر والتعايش والتسامح والأخوة التي تحمي حقوق الإنسان، وتصون كرامة كل آدمي، كما قال الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾

(الإسراء: ٧٠)

المسلمون والحضارات الأخرى



للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

عضو مجمع البحوث الإسلامية

عندما انفتح المسلمون على الحضارات الفارسية والهندية واليونانية أخذوا وطوروا العلوم الطبيعية.. علوم المادة.. العلوم التجريبية.. وفى ذات الوقت رفضوا الإنسانيات.. أى أنهم قبلوا «المشترك الإنسانى العام» ورفضوا «الخصوصيات الحضارية» وذلك للاحتفاظ بهويتهم الإسلامية.. مع دعمها بعوامل القوة والاستقلال.. تلك هى حقيقة سيرة التفاعل بين حضارتنا وبين غيرها من الحضارات.

لكن.. لمعترض أن يعترض فيقول: لكن الفلسفة من الإنسانيات.. فلماذا ترجم المسلمون الفلسفة اليونانية ـ وخاصة فلسفة أرسطو (٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق.م) ـ الذى سموه «المعلم الأول» واحتفوا بها الاحتفاء الذى يعرفه الجميع؟!

وحتى نقدم إجابة موضوعية على هذا الاعتراض.. وحتى يتأكد الصدق والعموم لما رأيناه قانونا حاكما للقاء الصحى بين الحضارات، لابد من تسليط الضوء على عدد من الحقائق الهادية فى هذا الموضوع:

› لقد كانت المواجهة الأولى بين «الخصوصية الحضارية الإسلامية» ـ بعد الفتوحات ـ وبين «الخصوصية اليونانية» عندما واجه الإسلام النمط الهلينى فى النظر والتفكير، والتى كانت «الغنوصية ـ الباطنية» أبرز مذاهبه فى نظريات المعرفة.. كانت «الهلينية» ـ كما وجدها العرب فى البلاد التى فتحوها ـ هى «اليونانية الشرقية».. التى امتزج فيها الفكر الفلسفى اليونانى ـ والأفلوطينى بشكل خاصة «بإشراقية الفرس ـ العرفانية» وبالديانة الشعبية الإسرائيلية ـ «القبالة» ـ ذات الإغراق فى أسرار الحروف والأعداد ـ فالباطنية كانت هى العدو الأول للخصوصية الإسلامية.. والخطر الأكبر على الوسطية الإسلامية فى البلاد ذات المواريث الفلسفية التى فتحها المسلمون.. ومن هنا كانت ترجمة عقلانية أرسطو، لا لتكون فلسفة للإسلام والمسلمين ـ ففلسفة الإسلام والمسلمين هى علم التوحيد ـ الذى قعد المتكلمون المسلمون قواعده.. وإنما كانت ترجمة عقلانية اليونان لتكون «سلاحا يونانيا» يتصدى به المسلمون لـ«سلاح يونانى» آخر هو «الغنوصية ـ الباطنية» عند الذين لا يعترفون إلا بما هو يونانى؟!.. وحتى لا تميل عقلانية أرسطو بالكفة على حساب الروحانية، فينقلب الأمر إلى الضد، وتخسر الوسطية، كان اهتمام المسلمين ـ بعد أرسطو ـ بأفلاطون (٤٢٧ ـ ٣٤٧ ق.م).. بل وكانت محاولاتهم للتوفيق بينهما..؟!

ففلسفة الإسلام والمسلمين كانت هى علم التوحيد الإسلامى ـ وهو خصوصية حضارية إسلامية خالصة ـ أما ترجمة الفلسفة اليونانية فإنها قد تمت فى إطار النخبة للصراع الفلسفى مع النخبة التى لم تكن تعترف إلا بما هو من ثمرات فكر اليونان وعقل اليونان! ولقد ظلت هذه المعركة فى إطار النخبة والصفوة المتفلسفة على حين كانت واستمرت فلسفة الأمة متمثلة فى علم التوحيد!..

لقد كان أنصار الغنوصية ـ كمتغربي زماننا ـ أثراً يونانيا فى الشرق، وامتداداً شرقيا لفكرية اليونان.. فعمد علماؤنا وأعلامنا إلى ترجمة العقلانية اليونانية ليردوا بها على فلسفة اليونان وكأنهم أرادوا أن يقولوا لهم: إذا كنتم لا تحترمون إلا ما هو وافد ومستورد ويونانى الصنع، فها نحن نجابهكم بأرسطو، المعلم الأول عند اليونان، وأبرز عقولهم الفلسفية بإطلاق!.. نجابهكم بالعقلانية اليونانية، نقضا لغنوصية الأفلاطونية المحدثة اليونانية، استخداما للأسلحة التى تحترمون وتعظمون»؟!..

ولنا على هذه الحقيقة الفاصلة كثير من الأدلة.. لكننا نكتفى هنا ـ مراعاة للمقام ـ بشهادتين.. الأولى لواحد من أبرز الذين عرضوا فلسفة اليونان من أعلام فلاسفتنا.. وهو الشيخ الرئيس ابن سينا (٣٧٠ ـ ٤٢٨هـ ـ ٩٨٠ ـ ١٠٣٧م).. والثانية للمستشرق الألمانى بكر (كارل هينرش)، Becker.GH (١٨٧٦ ـ ١٩٣٩م)..

● فابن سينا.. الذى كان أول من أفرد للفلسفة المشائية اليونانية موسوعته (الشفاء).. هو الذى يقول إنه قد عرض هذه الفلسفة، لا لأنها الفلسفة الحقة.. وإنما لمكانتها عند المشائين الذى لا يستعينون بغيرها ولا يألفون سواها.. وأنه، لذلك وحتى لا يظن المحققون تبنيه لمقولاتها، قد وضع فى ثنايا عرضه لها بكتابيه (الشفاء) و(اللواحق) إضافات لو فطن إليها المدققون لرأوا فيها الفلسفة الحقيقية للمشرقيين، والمتميزة عن الفلسفة المغربية (اليونانية).. وأنه لم يكتف بهذه الإضافات.. وإنما عمد، أيضا إلى إفراد فلسفتنا بكتاب خاص هو كتابه (الحكمة المشرقية)، بسط فيه، صراحة معارضة فلسفتنا للفلسفة اليونانية أو على الأخص فى الإلهيات..

ففى مقدمة (الشفاء) يقول ابن سينا:

«.. ولى كتاب غير هذين الكتابين .. («الشفاء» و«اللواحق») أوردت فيه الفلسفة على ما هي بالطبع، وعلى ما يوجبه الرأى الصريح الذى لا يراعى فيه جانب الشركاء فى الصناعة، ولا يتقى فيه من شق عصاهم ما يتقى فى غيره وهو كتابى فى «الفلسفة المشرقية». أما هذا الكتاب – (الشفاء) فأكثر بسطا، وأشد مع الشركاء من المشائين مساعدة ومن أراد الحق الذى لا مجمجة[1] فيه، فعليه بطلب ذلك الكتاب – (الفلسفة المشرقية) – ومن أراد الحق على طريق فيه ترض ما إلى الشركاء، وتبسط كثير، وتلويح بما لوفطن له استغنى عن الكتاب الآخر، فعليه بهذا الكتاب (الشفاء)..»[2].

ثم هو – فى كتابه (الفلسفة المشرقية) يقول: «نزعت الهمة بنا إلى أن نجمع كلاما فيما اختلف أهل البحث فيه، لا نلتفت فيه لفت عصبية أو هوى أو عادة أو إلف، ولا نبالى من مفارقة تظهر منا لما ألفه متعلموا كتب اليونانيين إلفا عن غفلة، وقلة منهم، ولما سمع منا في كتب ألفناها للعاميين من المتفلسفة المشغوفين بالمشائين، الظانين أن الله لم يهد إلا إياهم، ولم ينل رحمته سواهم.. وطلبنا لكل شيء وجهه، فحق ما حق وزاف ما زاف.. ولما كان المشتغلون بالعلم شديدى الاعتزاء إلى المشائين من اليونانيين، كرهنا شق العصا ومخالفة الجمهور، فانحزنا إليهم، وتعصبنا للمشائين إذ كانوا أولى فرقهم (فرق اليونانيين؟) – بالتعصب لهم وأكملنا ما أرادوه وقصروا فيه ولم يبلغوا أربهم منه، وأغضينا عما تخبطوا فيه، وجعلنا له وجها ومخرجا، ونحن بدخلته شاعرون، وعلى ظله واقفون فإن جاهرنا بمخالفتهم، ففى الذى لم يكن الصبر عليه، وأما الكثير فقد غطيناه بأغطية التغافل.. ولما كانت الصورة هذه، والقضية على هذه الجملة «أحببنا أن نجمع كتابا يحتوى على أمهات العلم الحق الذى استنبطه من نظر كثيرا، وفكر مليا، ولم يكن من جودة الحدس بعيدا...»[3].

فابن سينا، الذى استوعب فلسفة اليونان، يقدمها فى (الشفاء) و(اللواحق) – مع انتقادات لايدركها إلا الخاصة – باعتبارها فلسفة «العوام المشغوفين بالمشائين، الظانين أن الله لم يهد إلا إياهم، ولم ينل رحمته سواهم»!.. ثم يقدم فى كتابه (الفلسفة المشرقية): «أمهات العلم الحق، الذى استنبطه من نظر كثيرا، وفكر مليا، ولم يكن من جودة الحدس بعيدا.. ثم يقول: «.. ومن أراد الحق الذى لا غموض فيه فعليه بكتاب (الفلسفة المشرقية)..».

تلك هى شهادة ابن سينا .. التى قال عنها روجيـر بيكون Rogeri Bacon (١٢١٤ – ١٢٩٤م): «إن ابن سينا – وهو أحد أكبر مقلدى أرسطو، وعارضى مذهبه، والمتمم لفلسفته – بحسب ما كان فى استطاعته – قد ألف (كتاب الشفاء) حسب المذهب السائد عند المشائين الذين هم شيعة أرسطو.. كما ألف (كتاب الفلسفة المشرقية) بحسب الحقيقة في الفلسفة تلك الحقيقة التى لا تخشى طعنات رماح المعترضين..»[4].

> أما الشهادة الثانية: التى تقدمها على أن ترجمة المسلمين للفلسفة اليونانية لم تكن بغرض جعلها فلسفة للإسلام أو المسلمين.. وإنما كانت ترجمتها مشروعا إسلاميا لمواجهة «الغنوصية – الباطنية – العرفانية».. فهى شهادة المستشرق الألمانى «بكر».. والتى يقول فيها: «إننا نرى إن كفاح المسيحية من أجل استقلالها وتوكيد ذاتها بإزاء الروح اليونانية المجسدة فى «الغنوص» يتكرر من جديد فى الإسلام، فى القرون الأولى، تحت أسماء أخرى: فكما كانت المسيحية الأولى معادية للروح الهلينية، كان الإسلام فى الصدر الأول على العموم معاديا هو الآخر للروح الهلينية.. والميزة الرئيسية للقرآن هى أنه كان يؤثر تأثيرا مضادا للروح الهلينية فى عصر تغلغلت فيه الهلينية. وفى اللحظة التى تخطى فيها الإسلام حدود مهده الأول، بدأ الصراع والتصادم.. إن المانوية والزاردشتية كانتا – بالنسبة للإسلام – عدوتين خطيرتين كالمسيحية. وإن «غنوص» المانوية والمذاهب الشبيهة بها كانت خطرة على الإسلام خطرا مباشرا. لذلك ترى أن أول مدرسة كلامية فى الإسلام، ونعنى بها المعتزلة قد استفادت بعضا من أصولها ومسائل بحثها عن طريق كفاحها ضد المانوية. «وفى كل هذه الألوان من الكفاح تكونت جبهة كفاح فريدة فى بابها، فالدولة والمذهب الدينى الرسمى يسيران هنا كما يسيران فى كل مكان جنبا إلي جنب وفى صف واحد، لكنهما فى كفاحهما ضد «الغنوص» الذى لا يعترف لأحد بسلطان يهيبان بالروح اليونانية الحقيقية – (الفلسفة اليونانية) – كى تساعدهما – لقد كان الغنوص يحارب الإسلام دينيا وسياسيا وفى هذا النضال استعان الإسلام بالفلسفة اليونانية وعنى بإيجاد عالم من العلوم الدينية العقلية.. فكأن الإسلام الرسمى قد تحالف إذا مع التفكير اليونانى والفلسفة اليونانية ضد «الغنوص» الذى كان خليطا من المذاهب القائمة على النظر والنطق، وعلى مذاهب الخلاص. ومن هنا تستطيع أن تفسر حماسة الخليفة المأمون للعمل على ترجمة أكبر عدد من مؤلفات الفلاسفة اليونانيين إلى العربية. وقد اعتاد الناس أن يفسروا هذا حتى الآن بإرجاعه إلى ميل المأمون إلى العلم وحبه له. لكن، إذا كانت الرغبة فى ترجمة كتب الأطباء القدماء قد نشأت عما اشتهرت به المدارس الطبية الكبرى من حاجة عملية إلى هذه الكتب، فلعل ترجمة كتب أرسطو أن تكون قد نشأت بالضرورة: عن حاجة عملية كذلك، وإلا فإنه إذا كانت المسألة مسألة حماسة للعلم ورغبة خالصة فى تحصيله فحسب، لكان هوميروس أو أصحاب المآسى من بين من ترجمت كتبهم أيضا، لكن الواقع هو أن الناس لم يحفلوا بها، ولم يشعروا

(١) أى لا غموض فيه ولا إبهام.

(٢) تلينو (محاولة المسلمين إيجاد فلسفة شرقية) بحث منشور فى كتاب (التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية) ترجمة د. عبدالرحمن بدوى. ص٢٧٧ هامش – طبعة القاهرة سنة ١٩٦٥م.

(٣) المرجع السابق ص٢٧٨ – ٢٨٢.

(٤) المرجع السابق – هامش – ص٢٧٧.

بحاجة ما إليها..»[٥]

هكذا قامت شهادات الخبراء على أن ترجمة المسلمين للفلسفة اليونانية لم تكن تبنيا لها، كفلسفة للأمة، وإنما كانت استخداما لسلاح يونانى فى مواجهة الخطر الأعظم على الخصوصية الحضارية الإسلامية فى الفلسفة.. خطر «الغنوص» الذى كان يهدد «التوحيد» الإسلامى، كما سبق وهدد -وغبش- التوحيد المسيحى!..

وهكذا يتأكد صدق وعموم قانون العلاقة الصحية فى الاحتكاك الحضارى.. قانون التمييز بين «المشترك الإنسانى العام» وبين «الخصوصيات الحضارية».

وإذا كانت المذاهب الشاذة- كالإسماعيلية.. وإخوان الصفا.. وأصحاب وحدة الوجود -مثل السهروردى المقتول (٥٤٩-٥٨٧هـ ١١٥٤-١١٩١م).. وابن عربى (٥٦٠-٦٣٨هـ.. ١١٦٥-١٢٤٠م)- قد مثلت نماذج للغزو الفكرى الغنصوى فى تراثنا الإسلامى.. كما مثلت الإسرائيليات آثارا للغزو الفكرى فى بعض المؤلفات التراثية.. فإن يقظة الأمة -من خلال دعوات التجديد وأعلامه.. قد ظلت الحارس الأمين على تميز الهوية الحضارية لأمة الإسلام.. فكان «التفاعل الحضارى» موقفا متميزا عن «التبعية والذوبان» وعن «العزلة والانغلاق» كليهما!..

***

وإذا كان هذا هو صنيع حضارتنا الإسلامية، عندما انفتحت على الحضارات الأخرى- فارسية.. وهندية.. ورومانية -وإغريقية-.. فلا يظن ظان أن هذا قانون -للاحتكاك الحضارى- خاص بحضارتنا.. فعندما كان الغرب بسبيل نهضته، التى أخرجته من عصوره الوسطى والمظلمة، وانفتحت قوى هذه النهضة على حضارتنا العربية الإسلامية، وجدنا ذات القانون عاملا ذات العمل.. فكان التمييز بين ما هو «مشترك إنسانى عام»، فتبنوه، وانطلقوا منه، وأضافوا إليه.. وبين ما هو «خصوصية حضارية» للعرب والمسلمين، وقفوا منه موقف الحذر والشك، والرفض والعداء، بعد أن عرضوه على «خصوصيتهم الحضارية»، التى ميزت الحضارة الغربية وطبعتها بما ميزها منذ تراثها اليونانى وحتى عصرها الحديث..

لقد أقبل الغرب بنهم على امتلاك رصيد الحضارة الإسلامية من العلوم الطبيعية.. علوم المادة وظواهرها وخصائصها.. علوم التمدن المدنى والعملى.. من مثل علوم: الطب والصيدلة، وقواعد النظافة العامة والخاصة، وعلوم الزراعة والنباتات، والحيوان، وفنون وعلوم الحرف والصناعات والتجارة، والمواصلات، ووسائل الاتصال، وفنون القتال واستحكامات الحرب، وطبقات الأرض وأنواعها -«الجيولوجيا»- والمعادن، والبصريات والمناظر، والكيمياء، والفلك، والرياضيات، من جبر وهندسة، وحساب بفروعه- والميكانيكا -«الحيل»- والجغرافية، والرحلات، وعلوم البحار والملاحة فيها إلخ.. إلخ.. إلخ.

كذلك أخذ الغرب عن علمائنا وحضارتنا الإبداع فى «المنهج التجريبى» الذى تجاوزنا به نطاق القياس الأرسطى إلى الملاحظة والاستقراء والتجريب.. فكان ثورة إنسانية فى صناعة الفكر نقلت العلوم والمعارف إلى «كيف جديد»..

لقد أخذوا ما سبق أن أخذناه نحن عن أسلافهم اليونان، وغيرهم من الفرس والهنود، وما أخذناه عن مدرسة الإسكندرية من «علوم الصنعة» مضافا إليه إبداع حضارتنا وتقدها وإضافاتها إلى هذا الموروث.. فلقد كان ذلك جميعه من «المشترك الإنسانى العام»..

أما فيما هو «خصوصية حضارية» عربية إسلامية، مما يتصل بالإنسانيات الإسلامية، سياسة واجتماعا واقتصادا وفلسفة وأنماطا خاصة فى الذوق والسلوك والقيم والمثل والأعراف.. إلخ.. إلخ.. فكل ذلك قد تحفظ عليه الغرب الناهض، وذلك حتى يكون انفتاحه على حضارتنا كافلا إضافة مصادر القوة، وحافظا -فى ذات الوقت- على حضارته هويتها و«بصمتها» وخصوصيتها التى تميزت بها عن غيرها من الحضارات.. لقد أجمعت واجتمعت تيارات فكر النهضة الغربية على رفض أبرز خصائص حضارتنا الإسلامية.. وهى خصيصة «التوحيد».. وخصيصة «الوسطية».. وخصيصة «التدين» -بالمعنى الشامل والعميق- الذى يعمم التدين فى شئون الفرد والأمة والدولة والمجتمع.. أى أنهم قد رفضوا هويتنا الحضارية، كى يحفظوا لحضارتهم الناهضة هويتها!..

ورفض هذه الهوية الإسلامية، هو الذى ميز الحضارة الغربية الحديثة بطابعها الأصيل: الطابع المادى.. فتبنت «الثنائية -الانشطارية» فى الكثير من القضايا والسمات، التى اهتدت فيها حضارتنا -بالوسطية» إلى «التوازن- التوحيدى».

لم يأخذوا توفيق حضارتنا ما بين «الحكمة» و«الشريعة».. فتميزت حضارتهم بالثنائية التى أخرجت التدين من إطار العقل، كما أخرجت الدنيا والدولة وعلوم التمدن من إطار الدين.. والتى قسمت الفلسفة والفلاسفة إلى «ماديين» و«مثاليين» بثنائية «الفكر» و«المادة».

ولم يأخذوا خصوصيتنا الحضارية فى علاقة «الدين» بـ«الدولة».. فكانت «علمانيتهم فصلا للدين عن الدولة، وتحريراً لعلوم الدنيا من الروح الإيمانية.. فى مقابل «الكهانة» التى سبق وألغت الطابع المدنى للدولة والدنيا وعلومها لحساب «المقدس -الثابت»..

ولم يأخذوا خصوصيتنا فى التوفيق بين «الفرد» و«المجموع» فكانت «ليبراليتهم» انحيازا للفرد، بإطلاق، ضد المجموع، بإطلاق.. وعلى عكس ذلك تماما كانت «شموليتهم» -حدث ذلك فى «الفكر السياسى» وأيضا فى «الاقتصاد والمال».

ولم يأخذوا بخصوصيتنا الحضارية التى ربطت الأعمال بالحكمة منها.. والوسائل بأخلاقية الغايات المبتغاة من ورائها.. والدنيا كلها بدار الحساب والجزاء.. فكان اهتمامهم باللذة والشهوة واللحظة.. وكانت سياستهم-

(٥) بكر «وارث ووارث» بحث منشور فى المرجع السابق. ص ٧-٩، ١١.

الميكيافيلية ـ: «فن الممكن من الواقع» بصرف النظر عن الأخلاق.. على حين كانت السياسة عندنا هي «الأعمال التي يكون الناس معها أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد»!..

ولم يأخذوا خصوصيتنا التي وازنت بين «سيادة الله» ـ في حاكمية الشريعة ـ و«سلطان الأمة» ـ في سياسة الدولة وتنظيم المجتمع وتنمية العمران.. لأن حضارتهم قد جعلت الإنسان «سيد الكون» فأطلقت ديمقراطيتها العنان لسلطة الشعب من كل إطار ديني وقيد سماوي، حتى ليجوز للأمة فيها أن تحل الحرام وتحرم الحلال.. على حين وازنت خصوصيتنا الحضارية بين «سيادة الله وحاكميته» المتمثلة في مقاصد الشريعة الإلهية وحدودها ـ وبين «سلطة الأمة وسلطانها» المتمثلة في حريتها المحكومة بإطار الشريعة ومقاصدها.. لأن حضارتنا قد تميزت عن حضارتهم في تحديدها لمكانة الإنسان في الكون.. فهو ليس «سيد الكون» وإنما هو «سيد فيه.. وخليفة» عن سيده، سبحانه وتعالى!..

ولم يأخذوا خصوصية نظام الخلافة الإسلامي، الذي يكون فيه الحاكم الأعلى نائبا عن الأمة وحاكما مدنيا، لكنه منفذ لمقاصد الشريعة الإلهية.. أي سائسا للدنيا ـ دون علمانية تتجاهل الدين ـ وحارسا للدين ـ دون كهانة تقدس المدني وتثبت وتجمد المتغيرات!..

نعم.. لقد حكم القانون الذي حكم ويحكم التقاء واحتكاك الحضارات، عندما انفتح الغرب على حضارتنا الإسلامية.. كما سبق وعمل عندما انفتحت حضارتنا الإسلامية على حضارات الفرس، والهنود، واليونان.. فثبت عمومه.. وثبتت علميته، عندما يكون الإطار «طبيعيا» للتفاعل الحضاري، وعندما يكون المناخ الصحي هو المحيط باحتكاك والتقاء الحضارات.

بل إننا نستطيع أن نلمح كيف عاد هذا القانون، مرة أخرى، ليعمل عمله، في عصرنا الحديث، عندما انفتحت حضارتنا ـ بعد حقبة تراجعها «المملوكي ـ العثماني» ـ على الحضارة الغربية الحديثة.. ففي تجربة النهضة والتجديد التي قادها محمد علي باشا الكبير «١١٨٤ ـ ١٢٦٥هـ ـ ١٧٧٠ ـ ١٨٤٩م» ذهبت البعثات العلمية إلى الغرب لتتعلم علوم «التمدن المدني».. العلوم المادية.. والخبرات العملية..لا لتتعلم الإنسانيات والخصوصيات الحضارية.. وباستقراء التخصصات التي ذهبت لتتعلمها هذه البعثات على يد الغرب والغربيين، نجدها علوم وفنون وحرف وصناعات:

١ـ الفنون الحربية والإدارة العسكرية ٢ـ والملاحة والفنون البحرية ٣ـ والهندسة الحربية ٤ـ والمدفعية ٥ـ وصنع الأسلحة وصب المدافع ٦ـ وبناء السفن ٧ـ وهندسة الري ٨ـ والميكانيكا ٩ـ والطباعة والحفر ١٠ـ والزراعة ١١ـ والتاريخ الطبيعي والمعادن ١٢ـ والكيمياء ١٣ـ والطب والجراحة ١٤ـ وفن إدارة الماكينات ١٥ـ وفن المعمار ١٦ـ ورسم الخرائط ١٧ـ والترجمة ١٨ـ والإدارة ١٩ـ والدبلوماسية ٢٠ـ والصياغة والجواهر ٢١ـ والغزل والنسيج والصباغة وتجهيز الأقمشة. ٢٢ـ والسراجة. ٢٣ـ وصناعة الجلود والأحذية. ٢٤ـ وصناعة الأختام وتصنيع الشمع. ٢٥ـ وصناعة النقش والدهان. ٢٦ـ وصناعة الساعات. ٢٧ـ وصناعة الصيني والفخار. ٢٨ـ وصناعة التنجيد والفراشة. ٢٩ـ واللغات. ٣٠ـ وعلم توازن القوى والآلات. ٣١ـ والطبوغرافيا. ٣٢ـ والتحصينات. ٣٣ـ وفن معدن الفحم. ٣٤ـ وصناعة الحرير. ٣٥ـ وصناعة الورق[٦].. وغيرها من العلوم الطبيعية والحرف والصناعات.. بينما لم يذهب مبعوث واحد إلى الغرب لتعلم ودراسة العلوم الإنسانية أو الاجتماعية أو الفلسفية، التي تتصل مناهجها ومثلها وقيمها بخصوصية الحضارة الغربية في الطابع «المادي ـ العلماني».. فعن هوية الحضارة الغربية هذه قال رائد الانفتاح الفكري على الغرب يومئذ رفاعة الطهطاوي (١٢١٦ ـ ١٢٩٠هـ) ـ (١٨٠١ ـ ١٨٧٣م) منبها على ضرورة التمييز في الفكر الغربي بين «المفيد» ـ العلمي ـ و«الضار» ـ الأيديولوجي ـ: علينا أن نأخذ عنهم «المعارف البشرية المدنية.. والعلوم الحكمية العملية».. أما روح حضارتهم وفلسفاتهم فإنها «مليئة بالحشوات الضلالية المخالفة لسائر الكتب السماوية»[٧]؟!..

بل إن هذه التجربة الشرقية ـ تجربة محمد علي ـ في التجديد والتحديث، قد تزاملت في مطابعها مشاريع ترجمة العلوم الطبيعية الغربية مع مشاريع إحياء التراث الإسلامي، منذ ثلاثينيات القرن التاسع عشر الميلادي!.. وهو نفس الصنيع الذي صنعه اليابانيون إبان الاحتكاك بالغرب والنهوض؟؟!!..

>>>

ذلك هو قانون التقاء واحتكام الحضارات.. وتلك هي «شهادة الفكر» و«شهادة التاريخ» على عمله، عندما يكون المناخ صحيا.. وعندما تتوافر لأطراف الالتقاء: حرية الاختيار.. والبصيرة النافذة بقواعد الاختيار.. فتكون الثمرات: «تفاعلاً حضاريا خلاقا»

أما إذا افتقدنا حرية الاختيار.. والبصيرة النافذة بقواعد الاختيار.. فإن منا من سيغرق في لجج «التبعية.. والذوبان.. والمسخ والنسخ والتشويه»، التي يحدثها الغزو الفكري.. ومنا من سيتكفئ على ذاته، منعزلا ومنغلقا.. وكلا الطريقين ـ التبعية.. والانغلاق ـ سبيل إلى ذبول شديد وفناء أكيد!

(٦) انظر: عبدالرحمن الرافعي «عصر محمد علي» ص٤٦٤ ـ ٤٧٣، ٤٧٨، ٤٨٣ ـ ٤٨٩، ٤٩٤، ٤٩٦، طبعة القاهرة سنة ١٩٥١. وعمر طوسون «البعثات العلمية في عهد محمد علي وعباس وسعيد» ص٢٣، ٢٤، ٢١٩، ١٦٢، ١٦٣ ـ طبعة القاهرة سنة ١٩٣٤م. وانظر «الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي» جـ٢ ص٢١، ٢٢ ـ دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة ـ طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م.

(٧) «الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي» جـ١ ص٢٣٣، ٢٣٤، ٢٦٤، ٢٦٥.

تراثنا العلمى.. بين الأصالة والمعاصرة

٤

للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا

آفاق المعاصرة فى تراثنا العلمى والتقنى

إن البحث فى ذخائر التراث لا يقتصر على كشف قيمتها المعرفية والتاريخية، وإنما يعنى إظهار إمكانيات جديدة قابلة "للعصرنة"، والفوائد التى نجنيها من إحياء تراثنا العلمى ودراسته عديدة ومتنوعة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١- إثراء المدخل التاريخى فى تدريس العلوم، وتنمية الحس النقدى والثقة بالنفس لدى الناشئة، والوقوف على طبيعة التطور العلمى ومنهجية البحث والتفكير فى العلوم المختلفة.

٢- تصحيح تاريخ العلم بكشف حالات الغش الفكرى والقرصنة العلمية التى حدثت من جانب بعض المؤرخين والنقلة والمستشرقين فى حق تراثنا العربى والإسلامى وأعلامه الرواد.

٣- التأصيل الجيد لمختلف فروع العلم المعاصر (البصريات - الصوتيات - الوراثة - البيئة - الشفرة - الجيولوجيا - الفلك .... إلى آخره).

٤- الكشف عن المزيد من النظريات والاختراعات المتقدمة فى التراث الإسلامى. ونسوق مثالاً على ذلك: قوانين الحركة والجاذبية التى اكتشفها البيرونى وابن ملكا البغدادى والحسن الهمدانى قبل نيوتن بعدة قرون.

يقول ابن ملكا البغدادى فى كتاب "المعتبر فى الحكمة"، معبراً عن تناسب القوة مع تسارع الحركة: "... القوة الأشد تحرك أسرع وفى زمن أقصر"، ويقول معبرا عن قانون الفعل ورد الفعل: "إن الحلقة المتجاذبة بين المصارعين، لكل واحد من المتجاذبين فى جذبهما قوة مقاومة لقوة الآخر، بل تلك القوة موجودة مقهورة، ولولاها لما احتاج الآخر إلى كل ذلك الجذب".

ويقول الهمدانى عن الجاذبية الأرضية فى كتاب الجوهرتين: "... فهى (أى الأرض) بمنزلة حجر المغناطيس الذى

تجذب قواه الحديد من كل جانب".

وهنا لا ينبغى التعامل مع هذه النصوص التراثية دون اعتبار لفارق الزمن، فليس من قبيل المبالغة ما قيل من أن عددا قليلاً من الدارسين هم الذين قرأوا واستوعبوا كتاب "برنسيبيا" الذى وضعه إسحق نيوتن عام ١٦٧٨م خلال القرون الثلاثة التالية لنشره .. ويرجع ذلك إلى الصعوبة البالغة للموضوع وغموض اللغة التى كتب بها، بل إن المعادلات الشهيرة المنسوبة إلى نيوتن داخل الكتاب لا توجد بالصورة التى نعرف بها اليوم، وإنما وضعت فى صورتها المألوفة لدينا عام ١٧٥٠م فقط على يد العالم "أويلر". فالكتاب لا يحتوى إلا على عدد قليل جدا من الصياغات الدقيقة، ويقصر نيوتن دراسته فيه على منظومات ذات كتل نقطية ويتناول الأجسام الصلبة تناولاً طفيفاً ولا يتطرق مطلقا للأجسام المرنة.

كذلك ينبغى التحديد الدقيق لما أسهم به كل عالم من علماء المسلمين فى الموضوع الواحد لإنصاف السابق منهم بنسبة فكرته إليه من واقع ما أثبته بنفسه فى مؤلفاته، وبيان التسلسل الزمنى لإضافات من جاء بعده.

٥- يمكن توظيف نصوص جيدة من التراث العلمى العربى فى أغراض التأصيل لمناهج البحث العلمى ونظريات فلسفة العلم المعاصرة. ويكفى أن نشير هنا على سبيل المثال إلى ما ذكره ابن الهيثم فى مقدمة كتابه "المناظر" عن المنهج العلمى ومقارنته بآراء "فرنسيس بيكون" وغيره، وما ذكره فى مقدمة كتابه فى "الشكوك على بطليموس" ومقارنته بمبدأ "قابلية التكذيب" المنسوب إلى "كارل بوبر"، كما نشير إلى الثورة العلمية التى بدأت بجبر الخوارزمى وبصريات ابن الهيثم وجاذبية الهمدانى وغيرهم فى ضوء آراء "توماس كون" وهنا يجد الباحث فى تراثنا العلمى مددا متدفقاً ومتجددا لدراسات مستقبلية مقارنة فى مجالات الفكر العلمى. وأشير فى هذا الصدد إلى مقال مهم للمفكر الأمريكى المعاصر "ريتشارد باورز" على موقع مجلة "نيويورك تايمز" عن "أفضل فكرة خلال الألفية الماضية"، وأعزاها إلى الحسن ابن الهيثم مؤسس المنهج العلمى التجريبى فى القرن العاشر الميلادى.

٦- تتضمن مخطوطات العلوم إفادات مباشرة وغير مباشرة تعنى مؤرخى الحضارة. مثال ذلك أن كتاب أبى الوفاء البوزجانى فى "المنازل السبع" أو "ما يحتاج إليه العمال والكتاب من صناعة الحساب" تضمن أدق البيانات عن الضرائب ونظام الخراج وأعطيات العساكر، مما يعد إضافة فريدة لا توجد فى غيره، وأن كتاب "التيسير فى صناعة التدبير" لابن زهر الإشبيلى اشتمل على تفاصيل مهمة عن الصراعات الداخلية والدسائس فى أسرة الدولة المرابطية

بالمغرب، وهو كتاب طب لا يقصده الباحث عادة لمثل هذه الإفادات، وكتاب "إنباط المياه الخفية" للكرجي به تفاصيل لغوية وشرعية.

٧- يمكن الإفادة من التراث العلمي العربي في ميادين تطبيقية عديدة، تتضح مما يلي:

أ- بفضل المعلومات الجيولوجية والتعدينية التي تضمنها "كتاب الجوهرتين" للهمداني، اهتدت بعثة المسح الجيوفيزيائي حديثا لمعرفة موارد اليمن المعدنية والبترولية إلى اكتشاف العديد من المناجم المهمة التي تحتوي على خامات الزنك والحديد والرصاص إلى جانب الفضة، بكميات تجارية.

ب- كتب باحث غربي عن الفولاذ الدمشقي بأنه أكثر أنواع الفولاذ صلابة، وسرد تاريخ دراسته من جانب الأوربيين، وأشار إلى أهميته في الصناعات الحديثة.

ج- جاء في عدد من الكتب التراثية وصف دقيق للهزات الزلزالية التي تعرضت لها البلدان العربية والإسلامية خلال القرون الماضية، منها: كتاب "صفة جزيرة العرب" للهمداني، وكتاب "بدائع الزهور في وقائع الدهور" لابن إياس، وكتاب "كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة" لجلال الدين السيوطي، وغيرها. ولا شك أن مثل هذه المؤلفات التراثية تعتبر بمثابة سجلات زلزالية موثقة على أساس من الملاحظة والتجريب، والاسترشاد بما جاء فيها عن كل ما يتعلق بظاهرة الزلازل وتواريخ حدوثها ودرجات تأثيرها في المنطقة العربية والإسلامية خلال القرون الماضية يعتبر ضرورة منهجية ومعرفية لأي دراسات معاصرة أو مستقبلية تتعلق بخرائط التوزيع الزلزالي وتوقعات حدوث الزلازل في منطقة ما، وخاصة بعد ما ظهر حديثا ما يشير إلى أن أجزاء كثيرة من الأرض العربية والإسلامية لم تعد بعيدة تماما عن "الأحزمة" النشطة زلزاليا في أماكن محددة من العالم.

د- يزخر التراث الإسلامي بالعديد من المؤلفات في مجالات علوم النبات والحيوان والعلوم الزراعية وعلم الرعي والمراعي، نذكر منها: كتاب "النبات" للدينوري، وكتاب "جامع فرائد الملاحة في جوامع فوائد الفلاحة" لرضي الدين بن محمد الغزي، وكتاب "الفلاحة النبطية" لأبي بكر أحمد بن وحشية، وكتاب "الفلاحة الأندلسية" لأبي زكريا محمد بن العوام الإشبيلي. وقد ترجم هذا الكتاب الأخير في القرن التاسع عشر الميلادي إلى الإسبانية والفرنسية، وقال عنه "أنطون باسي" في تقرير قدمه سنة ١٨٥٩م إلى الجمعية الوطنية الزراعية الفرنسية، إنه موسوعة زراعية تامة تفرد بها القرن الثاني عشر الميلادي، وقال عنه مؤرخ الحضارة "ول ديورانت" إنه أكمل بحث في علم الزراعة ألف في القرون الوسطى برمتها.

ويمكن الإفادة من هذه المؤلفات

التراثية حاضراً ومستقبلاً في تحديد العوامل الأكثر أثرا في زحف الملوحة والجفاف على مناطق عديدة من الأرض العربية والإسلامية التي تعجز الآن عن تلبية احتياجات أهلها بعد أن كانت تجذب في عصور الازدهار الإسلامي كل الأوربيين بجمالها وخيراتها. ويبقى على المهتمين والمختصين أن يدرسوا أنواع النبات بهذه المناطق، وكيفية نموها والعناية ببيئاتها. والأسماء العربية للنباتات كثيرة في التراث العلمي الزراعي وتحتاج من المحققين العرب الهمة والدأب للكشف عن كنوز علمية وتعريبية في غاية الأهمية للأجيال العربية القادمة.

هـ - توجد مؤلفات تراثية عديدة يمكن الإفادة منها في مجال طب الأعشاب الذي برع فيه علماء السلف ولا يزال معتمداً في أكثر الدول، فقد أنشأت الهند والصين وباكستان معاهد وكليات لتدريسه، وتجري فيه بحوث تطبيقية في أكثر من مؤسسة بمصر والمملكة العربية السعودية، ويدعو بعض الباحثين العربيين إلى إحياء تدريس "الطب العربي" وإنشاء اللوائح والأنظمة الضابطة للأطباء والصيادلة الممارسين له. ومن الملاحظ أن علماء أوربا وأمريكا بدأوا يعيدون قراءة هذه المؤلفات التراثية بعد أن قل الاهتمام بها لفترة أمام التطور العلمي والتقني، وشرعوا في إجراء التجارب على الوصفات الشعبية التي وردت فيها في محاولة للكشف عن أدوية جديدة للأمراض، وفي السنوات الأخيرة زاد اهتمام شركات الأدوية في ألمانيا والدنمرك وهولندا وإيطاليا وأمريكا بهذا الموضوع، وطلبوا من مصر وبعض دول المشرق شراء بعض النباتات مثل ورق السكران لتصنيع البنج الموضعي، وبذور الرجلة لعلاج الأرق، وغيرها.

وإذا علمنا أن هناك كثيراً من الأمراض لا تزال تنتظر تطوير العلاج اللازم لها، وأن العلماء يبحثون في كل مكان، في أعماق الغابات وقيعان المحيطات، عن أعشاب تخلص البشرية من الأمراض الصعبة، وأن كتب التراث لا تزال كنزا لم تصل إليه أيدي الباحثين، أدركنا أهمية التراث في عصرنا هذا، وتزايد حاجتنا إليه في المستقبل.

و- يهتم الباحثون المعاصرون بدراسة الأساس العلمي للتصميمات الهندسية التي قامت عليها تقنية العقود والقباب بأشكالها المختلفة وزخارفها المتنوعة، وذلك لإظهار قيمتها الجمالية الفائقة من جهة، ولإرشاد المعنيين برعاية الآثار قبل الشروع في أعمال الترميم والصيانة وإعادة البناء والتركيب والزخرفة، من جهة أخرى. ونشير هنا إلى أهمية الأبحاث التي تجري حاليا حول هندسة العمارة الإسلامية في معهد أمير ويلز للآثار بلندن.

أيضا، يقوم العديد من الباحثين بتطبيق ما ورد في كتب التراث العلمي

باستخدام الحاسب الآلى، وخرجوا بنتائج بالغة الطرافة والدقة والنفاسة، من ذلك أن أكثر من باحث استعمل الصيغ الرياضية التى وردت فى كتاب "مفتاح الحساب" لجمشيد الكاشى حول تصميم القبة والمقرنص والأزج أو الطاق، وأدخل تلك الصيغ فى الحاسب الآلى لاستخراج تصاميم حديثة فى العمارة الإسلامية.

ز- كتب التراث العلمى والتقنى تفيد كثيرا فى مجال التربية والتعليم لتدريب الطلاب على إعادة تركيب بعض الأجهزة والآلات البسيطة. فقد كان المهندسون والتقنيون فى عصر الحضارة العربية الإسلامية يتبعون منهجا علمياً رائدا فى كل أعمالهم، ويبدأون فى الحالات الصعبة برسم مخططات، ثم يصنعون نموذجاً مصغراً لما ينوون تنفيذه. وقد أعاد الفنيون المحدثون بناء العديد من التركيبات والآلات تبعا للشروح التى قدمها التقنيون الإسلاميون فى مؤلفاتهم، مثل كتاب "الحيل" لبنى موسى شاكر، وكتاب "الجامع بين العلم والعمل النافع فى صناعة الحيل" لبديع الزمان الجزرى، وكتاب "الطرق السنية فى الآلات الروحانية" لتقى الدين بن معروف الدمشقى، وكتاب "الأسرار فى نتائج الأفكار" لأحمد بن خلف المرادى.

ينسحب الشىء نفسه على الآلات والأجهزة والأدوات العلمية والفلكية التى طورها علماء الحضارة العربية الإسلامية، ومثل هذه الأعمال تفيد كثيرا فى الأغراض التعليمية، كما تفيد بالنسبة لمعارض ومتاحف العلوم. وقد قام أكثر من باحث بتحديث التعامل مع المعلومات التراثية لاستخراج أوقات الصلوات وتحديد المناسبات الإسلامية المهمة من الصيغ الرياضية المقتبسة من كتب التراث، وأمكن الاستعانة بالحاسب الآلى لوضع جداول حديثة لكل المدن فى العالم فى كل أيام السنة الشمسية. ونجد فى عصرنا جهازا شبيها بالاسطرلاب الخطى، هو المسطرة الحاسبة الزلاقة التى كانت الآلة الحاسبة الأحدث المعتمدة فى الأبحاث العلمية قبل أربعة عقود عندما انتشرت الآلات الحاسبة الإلكترونية (أجهزة الكمبيوتر).

خاتمة

حاولنا فيما سبق أن نجيب بإيجاز شديد على السؤال المطروح بشأن جدوى العمل التراثى وما يمكن أن يقدمه التراث العلمى من فوائد للأمة فى الحاضر والمستقبل.. ومن عجب أن نجد أنفسنا مطالبين باتخاذ موقف المدافع عن التراث، والبحث عن أدلة مقنعة تؤكد أهميته ومكانته فى حياتنا المعاصرة والآتية، فى الوقت الذى نجد فيه أناسا زالت حضاراتهم واندثرت على مر العصور، وغدت لغتهم أغرب من أن يتكلمها حتى المنتمون إليها، ومع ذلك فلا يزالون يعتزون ويفخرون بما يسمونه "حضارتهم"، مع أنهم لم يقدموا للإنسانية إلا المآسى تعقبها المآسى.

لقد أصبحت مراجعة الخطاب العلمى فى عالمنا العربى والإسلامى، بين الحين والحين، ضرورة حتمية من ضرورات التجديد الحضارى، انطلاقا من أهمية العلم ذاته كعنصر أساسى وحاكم فى بناء الحياة المعاصرة وتوجيه حركتها، وفى علاقتنا مع أنفسنا ومع غيرنا، فى حدود أوضاع اجتماعية واقتصادية وأخلاقية وروحية لا يمكن إغفالها، بعد أن أصبحت موضوعاتها وثيقة الصلة بفلسفة العلم الجديدة، أو لنقل: "علوم العلم الجديدة" التى من خلالها تتحدد رؤيتنا للعالم.

وينبغى لمثل هذا الخطاب العلمى أن يوجّه أولا لإشاعة الروح العلمية بين كل فئات المجتمع ليصبح التفكير العلمى منهاج عمل وأسلوب حياة لمواجهة كل مظاهر الوهم والخرافة، مع التأكيد على أهمية البعد الأخلاقى فى التطبيقات العملية لمنتجات البحث العلمى والتقنى، والإعلاء من قيم التقدم الحضارى وما تتضمنه من شعور بالمسئولية والتزام بالدقة والأمانة والموضوعية.

وبنفس الدرجة من الضرورة والأهمية يرجى من مراجعة الخطاب العلمى وتطويره أن يتصدى لتفنيد مزاعم المشككين فى الإسلام عقيدة وتاريخا وحضارة خاصة أولئك الذين يتسترون بالعلم ومنهجه لكى تبدو مزاعمهم وكأنها نتاج منطقى للفكر العلمى وتعبير حقيقى عن الواقع الإنسانى، فتجوز على كثير ممن لا يعلمون.

وفى إطار هذه المعانى الكلية تبرز أهمية تراثنا العلمى، باعتباره ذاكرة الأمة ورصيدها الحضارى لفترة تمتد عبر الزمان على مدى أكثر من خمسة عشر قرنا، كما ترحب مكانا وتمتد إلى مساحات شاسعة من أرض الله الواسعة، فهو الكاشف عن حقيقة ذاتها وطاقتها، والباعث لقيمها فى نفوس أبنائها، والمضئ لمعالم طموحها وآفاق مستقبلها. كذلك تتضح أهمية البحث عن منهجية رشيدة فى التعامل معه وإعادة قراءته ودراسته ونشره بلغة العصر وأسلوبه ومصطلحاته، لتعظيم الإفادة منه حاضراً ومستقبلا. والأمة التى تهمل تراثها كالإنسان الذى يفقد ذاكرته فيفقد معها ماضيه وحاضره ومستقبله.

ألا هل بلغت... اللهم فاشهد

هذا، وبالله التوفيق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



السنة والحديث فى منهجية اجتهاد الإمام الأعظم أبى حنيفة (*)

بشير كوزوبنلى
أستاذ الإلهيات فى جامعة آته ترك - تركيا

الإمام الأعظم أبو حنيفة هو مؤسس المذهب الفقهى الأوسع تطبيقاً منذ القدم وحتى يومنا الحالى. وهو واحد من علماء الإسلام الذين لهم أرفع الإسهامات فى التراث الثقافى الإسلامى. وجزء مهم من تلك الإسهامات كان فى ميدان الفقه. ولأبى حنيفة باع كبير جداً فى التنظيم المنهجى سواء لفقه الفروع المختص بالحياة العملية، أو أصول الفقه المعنية بمنهجية وفلسفة الحقوق. وفى مقالنا هذا نحاول تسليط الضوء على آراء أبى حنيفة المنبثقة عن فهمه وإدراكه للحديث والسنة.

ليس هناك أى مجال للجدل فى أن السنة النبوية - التى تكونت من أقوال وأفعال وتقريرات نبينا ﷺ - هى المرجع الأساسى الثانى للإسلام بعد القرآن الكريم. ولكنه من المعروف أيضاً أن علوم رواية السنة لها العديد من الأنواع من حيث معاييرها، وأن الفقهاء لا يجعلون جميع الروايات فى مرتبة واحدة حيث إنها تختلف من حيث السند. ولاشك أن هذا الأمر لا ينطبق على القرآن الكريم، لأن القرآن الكريم قد وصل إلينا كاملا بشكل واحد أى بشكل متواتر. أما السنة فجزء منها قد وصل إلينا بشكل متواتر، وجزء منها وصل بشكل آحادى، والجزء الآخر بمرتبة بين المتواتر والآحاد (المشهور). بالإضافة إلى ذلك فإن هناك تدرجا لتلك المراتب.

فأصبح للفقهاء مفاهيم مختلفة حول درجة المرجعية والسند لما هو دون المتواتر. ولذلك فمنذ العصور الأولى، لا يزال موضوع شروط ومعايير سند أحاديث الآحاد مطروحا للمناقشة على أجندة أهل العلم بشكل عالى.

أما أبعاد هذه المناقشات الخاصة بأبى حنيفة فهى أكثر احتداماً، فكثير من الناس حرموا من الإسهامات التى قام بها الإمام أبو حنيفة فى ميدان العلم حيث إنهم يعيشون فى مناطق متأثرة بالتعصب المذهبى بسبب الأحكام المسبقة التى شكَّلها أناس لم يتمكنوا من الوعى الجيد لمنهجية اجتهاد الإمام أبى حنيفة كما ينبغى.

فالأغلبية العظمى التى تعانى صعوبة فى فهم أبى حنيفة يعجزون بشكل عام عن إدراك فهمه واستيعابه للسنة. فقد قال الكثير من المخالفين لمنهجية أبى حنيفة فى اجتهاداته فى السنة أقوالا بعيدة تماما عن الأسس العلمية بشأن معرفة هذا الإمام العظيم بالحديث.

لدرجة أنه قد أدرجت فى المصادر الكلاسيكية أسانيد لا أصل لها ينبثق أغلبها من التعصب المذهبى وماشابهه، تتطرق إلى كون الإمام أبى حنيفة قد التزم بالسنة فى أنشطته الاجتهادية أم لم يلتزم كما تتطرق أيضاً إلى مدى معرفته بالحديث.

حتى إن هناك أناسا من نفس المذهب قد انزعجوا من هذه الأسانيد التى لا أساس لها وتفتقر إلى الأسس العلمية، وبذلك شعر بعضهم بضرورة الرد عليهم.

فمن الواضح أن جزءاً من تلك الأسانيد التى لا أصل لها أبعد أن تكون ملحوظات علمية، إذ تستند على التعصب وسوء النية الواضحة. ومع اعتراف بعض المدَّعين بأن الإمام أبا حنيفة قد تعامل بحساسية كبيرة فيما يتعلق بأسانيد السنة إلا أنهم يقولون: إنه ينبغى القبول باحتمال عدم وصول بعض أحاديث الأحكام إليه. فعلى الرغم من كونهم يحترمون هذا الإمام الجليل ويدافعون عنه، إلا أنهم بذلك يساندون ذوى النوايا السيئة دون وعى.

وفى الواقع فإن هذا النوع من التقييم مصدره عدم الفهم الجيد لمنهجية اجتهاد هذا الإمام العظيم. وسنعرض الآن معلومات عن محصلات الإمام الأعظم أبى حنيفة فى علم الحديث ودرجة سند السنة فى منهجية اجتهاده:

١ - ملحوظات حول مسيرة تحصيل أبى حنيفة لعلوم الحديث

سوف نتناول تحت هذا العنوان ملاحظاتنا حول مدى معرفة الإمام أبى حنيفة بالحديث، ومدى صحة عدم إلمامه بأحاديث الأحكام.

نشأ أبو حنيفة فى بيئة ذات تراث فكرى رفيع. فكما هو معروف أن الكوفة التى ولد ونشأ بها هذا الإمام الجليل كانت ولا سيما بعد نقل مركز الخلافة إليها فى عهد سيدنا على كرم الله وجهه، مركزاً علمياً مهماً أقام فيه مئات الصحابة (مايقرب من الألف وخمسمائة) الذين امتازوا من الناحية العلمية، وشكَّلوا فيها مجالس العلم وعلَّموا فيها الطلاب، وكان على رأسهم عبد الله بن مسعود.

لذا فقد كانت واحدة من أهم المحطات فى رحلات علم الحديث فى ذلك العصر. إذ صارت الكوفة مركزاً علمياً يضم علماء على مستوى عال من مدخرات الحديث. وكان

(*) من أبحاث مؤتمر الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان المنعقدة فى عاصمة طاجيكستان سنة ٢٠٠٩م

للصحابة والعلماء التابعين، الذين استقروا بالكوفة دور كبير فى أن تصبح مدينةالكوفة أحد أهم مراكز علم الحديث. إذ ساعد هؤلاء العلماء فى نقل الحصيلة التى اكتسبوها من شيوخ الحديث فى المراكز العلمية المختلفة إلى الكوفة وجعلها واحدة من أهم مراكز علم الحديث. فقد نشأ فيها مئات العلماء التابعين وعلى رأسهم علقمة، ومسروق، وأسود، والقاضى شريح، وإبراهيم النخعى، وحماد بن أبى سليمان، والشعبى.

وهكذا كان المركز العلمى الذى نشأ فيه الإمام الأعظم أبو حنيفة. ومن المعروف أنه حفظ القرآن الكريم، وبدأ الاهتمام بعلوم الدين عن كثب وهو فى سن صغيرة، كما ركَّز على المراجع الأساسية العقلية والنقلية للأسس الاعتقادية وذلك فى الفترة التى اهتم فيها بعلم الكلام. كما ذاع فى دنيا العلم أنه قد وجّه لعلم الفقه من قبل الإمام الشعبى مع بزوغ نبوغه فى هذا الأمر بالأوساط العلمية. فاكتسب أبو حنيفة فى البداية ثقافة الحديث فى البيئة المتواجد فيها، لإعداد العُدّة العلمية الأساسية الخاصة بالأدلّة النقلية للموضوعات الفقهية. ومعروف أنه كان يسعى لتعويض ما ينقصه من خلال الالتقاء بعلماء الحديث القادمين إلى الكوفة ومقارنة محصلاته من الحديث بطرقه المتعددة.

كانت مكة أيضاً واحدة من أهم المراكز العلمية فى حياة أبى حنيفة التحصيلية. فنحن نعرف من خلال المصادر التاريخية القديمة أن هذا الإمام العظيم كان يسعى جاهداً للحج كل عام. ومعروفٌ أنه كان يدخل فى مناقشات طويلة مع العلماء فى المراكز العلمية التى كان يمر بها أثناء رحلاته للحج. وهكذا اشتغل بالأنشطة العلمية بجانب العبادة فى مكة والمدينة المنورة. لا سيما أن الأنشطة العلمية فى مكة قد اشتهرت لحد كبير فى تاريخ الثقافة الإسلامية.

فمن المعروف أن حياة الإمام أبى حنيفة فى مكة لم تكن قاصرة على أداء فريضة الحج فقط .فكما نعلم أن هذا الإمام العظيم قد لجأ إلى مكة فارا من قمع الحكم الأموى، وأنه فضّل الإقامة هناك على فترات متباينة خلال الحكم العباسى أيضاً. فقد أمضى مدة تفوق الخمسة أعوام من فترات النضج والريعان من حياته فى مكة. فحياته فى مكة والتى اشتملت على الأنشطة العلمية والنقاشات الخاصة بالأدلة النقلية والعقلية التى تستند فى الغالب على الاجتهادات لعبت دورا مهماً جداً فى تكوّن منهجية اجتهاد أبى حنيفة. إذ كانت فرصة كبيرة للإلمام بالمدّخرات العلمية لمدرسة الحجاز والمراكز العلمية الأخرى، حيث استغل الإمام هذه الفرصة بشكل مثمر للغاية.

ويُذكر فى مصادر التاريخ الموثوق فيها من بين الأساتذة الذين تلقى الإمام أبو حنيفة على أيديهم دروس الحديث مايقرب من مائة اسم من أسماء العلماء التابعين العظام وعلى رأسهم عطاء بن أبى رباح، وزيد بن على، وطاوس، وعكرمة ,و قتادة، ونافع، والزهرى، والسماك، وحمّاد بن أبى سليمان. أما فى بعض المصادر الأخرى يذكر أن أبا حنيفة قد التقى بمئات العلماء التابعين وأخذ عنهم الحديث. وقد استفاد أبو حنيفة من حمّاد بن أبى سليمان أكثر فى الحصول على المدخرات المعرفية للعلماء التابعين فى الكوفة. ومن المعروف أنه واظب على دروس حمّاد بن أبى سليمان حوالى عشرين عاما بلا انقطاع. ومن المعروف أنه دوّن عن شيخه هذا من أحاديث الأحكام مايقرب من الألفى حديث .

ونعلم أن لعطاء بن أبى رباح، وزيد بن على مكانة خاصة جداً فى حياته التحصيلية. إذ نشأ أبو حنيفة فى عصر لم تُصنّف ولم تدوّن فيه كل الأحاديث بعد، وقد كان عالما لا يكتفى بمدخر علمى محيطٍ معينٍ فحسب، بل كان عالما يسعى للوصول إلى الثروات العلمية الموجودة لدى العلماء الذين نشأوا فى المراكز العلمية المختلفة فى كل أرجاء العالم الإسلامى، وقد نجح فى ذلك.

وفى هذا الصدد يُحكى بقدرٍ من التفصيل فى المصادر التاريخية نقاشاته العلمية الطويلة مع مالك بن أنس الذى كان أحد أئمة مدرسة الحجاز.

لم يكتف الإمام أبو حنيفة بالحصيلة الموجودة لدى أئمة أهل السنة فحسب، بل ألمّ أيضا بمدخرات الحديث لأئمة أهل البيت، وذلك خلافاً لمعظم الأئمة المجتهدين الآخرين. ومن المعروف أنه التقى بزيد بن على عن قرب لمدة طويلة، واستمع منه إلى الحديث. ويذكر فى المصادر التاريخية أنه التقى أثناء الحج بالإمام محمد بكر، والإمام جعفر الصادق، وهم من أئمة أهل البيت، وناقشهم فى بعض الموضوعات الفقهية.

وكان الكثير من علماء الإسلام يحاولون العثور على الوسيلة للالتقاء بالإمام أبى حنيفة وعقد أحاديث علمية معه وذلك لذيوع صيته فى مراكز العلم بالعالم الإسلامى وهو لا يزال على قيد الحياة. لذا كانت رحلاته للحج وسيلة مهمة للتعرُّف عن قرب برجال العلم الذين نشأوا فى مراكز العلم الموجودة فى البقاع المختلفة من العالم الإسلامى.

ويجب ألا نغفل أن نشأته المتعددة الجوانب أثرت فيه كما أثرت دراسته وحياته التحصيلية. إذ كانت دروسه مادة فى ساحة النقاشات الطويلة. وفيها كان يستمع إلى آراء طلابه حتى أدق التفاصيل، ويقارن تلك الآراء برأيه الشخصى من كافة الزوايا. ومن المعروف أنه قد أسس فى الأعوام الأخيرة من حياته مجمعاً علمياً شبيهاً بمعاهد التدريس الأكاديمية، يتكوّن مما يقرب من أربعين طالباً من صفوة طلابه وأنبغهم فى فروع العلم المختلفة. وكان من بين تلك الطائفة المصطفاة العديد من طلابه الذين تعمقوا فى مجال الحديث. ومن هنا يُلاحظ أن حياته التحصيلية النشطة قد استمرت حتى آخر أيام حياته.

وعند أخذ كل ذلك فى الاعتبار، يتضح أن الادعاءات التى تزعم بأن هناك أحاديث أحكام لم تصل إليه ليست أكثر من احتمالات نظرية. لذا فإن الضرورة العلمية تقتضى عدم التسرع فى اتخاذ القرار عند تقييم الاجتهادات التى بدت مخالفة لبعض الروايات الواردة فى كتب الحديث ولاسيما فى المؤلفات الفقهية المقارنة. ولكننا سوف نفسح فى الجزء الأخير من هذا المقال مكاناً للبرهنة حول حقيقة وصول الأحاديث

المتعلقة بالأحكام من عدم وصولها خصوصا وأن كتب الفقه الحنفي الكلاسيكية القديمة تقول بعدم وصولها إلى الإمام أبي حنيفة.

٢- رؤى عن السنة وأنواعها وفقا للإمام أبي حنيفة

أ- علوم المناهج (الميثودولوجيا) وأصول الحديث في الثقافة الحنفية:

تنقسم السنة النبوية - التي تكونت من أقوال وأفعال وتقريرات نبينا ﷺ - لأقسام مختلفة من حيث صورة (كيفية) النقل للأجيال القادمة، كما تنقسم فيما بينها من حيث ماهيتها إلى ثلاثة أقسام: قولية وفعلية وتقريرية. والتصنيفات التي أعدت من الزوايا المختلفة للسنة خارج محتوى عملنا. فعلى الرغم من وجود إجماع للآراء بين علماء الإسلام فيما يتعلق بماهية السنة إلا أنه يجرى تصنيفات أخرى من حيث كيفية النقل للأجيال التالية. ويقسم علماء الإسلام عامة الأحاديث في السنة النبوية الشريفة إلى متواترة وآحاد. والعلماء المذكورون في تاريخ الثقافة الإسلامية بـ"أهل الحديث" يصنفون أحاديث الآحاد بمعايير مختلفة فيما بينها، وتحت أسماء متباينة مثل "المستفيض، والعزيز، والغريب". وتفاصيل هذا الموضوع ترد في كتب أصول الحديث التي دونها العلماء الذين يُطلق عليهم عامة أهل الحديث.

وفيما يتعلق بأنواع الحديث لا يوجد أي خلاف للرأي بشأن المتواتر اللفظي. ولكنه لم يتم التوصل إلى اتفاق بشأن تقسيم وتسمية أحاديث الآحاد وأيضاً درجة سندها. ولم يتم التوصل إلى إجماع للآراء فيما يتعلق بوضع الأحاديث المتواترة واتخاذها كمصدر لاستنباط الأحكام بالرغم من عدم تواترها لفظاً.

وبالرغم من أن التفاصيل الخاصة بالموضوع خارج محتوى هذا العمل الذي بين أيدينا، ينبغي ألا نغفل أن هذا التقسيم والمعايير الخاصة بأحاديث الآحاد كانت نتاج الأزمنة التي أعقبت الإمام أبا حنيفة.

والأمر المهم الذي ينبغي الإشارة إليه هنا هو أنه ليس هناك فرع علمي مستقل باسم "أصول الحديث" في الثقافة الحنفية. والوضع نفسه سار على أصول التفسير. فالأصول المتعلقة بعلوم الدين أي علم المناهج (الميثودولوجيا) عند الحنفية واحدة، ألا وهي أصول الفقه. بمعنى أن الموضوعات التطبيقية والمنهجية المتعلقة بالحديث في الثقافة الحنفية تُبحث في كتب أصول الفقه كما تُبحث الموضوعات الخاصة بفهم القرآن الكريم في أصول الفقه. أما الكتب الخاصة بأصول التفسير وأصول الحديث في الثقافة الحنفية فقد كُتبت على يد بعض العلماء الذين ظهروا في عصور تالية لعصر أبي حنيفة.

ويجدر بنا الإشارة إلى أننا لم نصادف أي معلومة مؤكدة بصدد تقسيم الإمام الأعظم أبي حنيفة للأحاديث من حيث الرواية، أو الطبقة أو السند الخاص بكل نوع. إذ لاتوجد لدينا أي معلومات مفصّلة وصلت عن أبي حنيفة شخصيا فيما يتعلق بالمبادئ الاجتهادية التي اتبعها عند الاجتهاد. وكما هو معروف فإن اجتهادات الإمام أبي حنيفة قد نُقلت دون ذكر

أدلتها. فلما ظهرت الحاجة لتوضيح مبادئه الاجتهادية لإعداد جيل جديد من العلماء يقوم بالاجتهاد بمنهجية أبي حنيفة في العهود التالية، شرع العلماء الحنفيون في بحث دؤوب. وركزوا على مقارنة الأحكام التكليفية التي على مستوى مشابه لكي يمكن تثبيت المبادئ الاجتهادية التي تؤمّن الوحدة المنهجية فيما بين الاجتهادات المنقولة عنه. وقد كانت المعلومات التي أدلى بها بعض الأئمة الذين نشأوا في مدرسة أبي حنيفة الفقهية مثل عيسى بن أبان بمثابة حجر الأساس. فالتصنيفات والمعايير الخاصة بالأحاديث الموجودة في كتب أصول الفقه الحنفي كانت الإثباتات التي تم التوصل إليها نتيجة لهذه الأعمال التي أجريت لاستنباط منهجية اجتهاد أبي حنيفة.

ومن الممكن ألا يؤدي تقييم تلك المعلومات التي وردت في الكتب الكلاسيكية المختصة بأصول الفقه الحنفي بمقارنتها بقواعد أصول الحديث التي تم تطويرها بعد أبي حنيفة بحوالي قرن من الزمان للتوصل دائما إلى نتائج سليمة. وهذا واحد من أهم الأمور التي يجب ألا يتم إغفالها في التقييمات المتعلقة بإدراك الإمام أبي حنيفة للحديث والسنة.

ب- القيمة التشريعية للسنة في ثقافة الفقه الحنفي

إن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هما المرجعان الأساسيان اللذان عرفنا من خلالهما الرسالة الإلهية. فجزءٌ من منظومة القيم في الإسلام ورد من خلال القرآن الكريم، في حين أن جزءاً آخر قد ورد في السنة النبوية الشريفة. فالقرآن الكريم بالكامل وصل عن طريق الوحي من حيث المعنى واللفظ. أما السنة النبوية الشريفة قد تكونت من خلال الحكمة (المعرفة) التي تستند على الوحي.

وعند شرح قواعد أصدار الحكم من خلال الأدلة النقلية في ثقافة أصول الفقه الحنفي، يتضح أن القرآن والسنة يتخذان نفس المكانة(١)، وهذا من أعظم الأدلة الموضحة على قيمة السنّة في المدرسة الحنفية. لأن هذه المنهجية هي دليل على الاعتقاد بانبثاق السنّة عن الوحي. فلو جاء عن الأدلة النقلية شئٌ عن أمر ما، فالمعيار الأساسي الفاصل لكي يمكن أن يثبت الحكم التكليفي معه، هو مدى الثبوت، والدلالة ودرجة الاقتضاء.

ولأن محتوى القرآن الكريم بالكامل أي كل آياته قاطعة من حيث الثبوت، فمدى ثبوت الآيات يكون خارج نطاق البحث في أصول الفقه. أي أنه فيما يتعلق بالآيات يُبحث فقط في مدلول الألفاظ على المعنى، ودرجة اقتضاء الأمر المبين في الآيات. أما في الأحاديث فيُبحث بالإضافة لما سبق في مدى ثبوتها. كما أن القراءات الشاذة للقرآن الكريم تبحث كما هو الحال في الأحاديث.

عند القيام بتعريف الأحكام التكليفية وفقا

(١) المباحث المشتركة بين الكتاب والسنّة.

لهذه المنهجية، يُراعى أولاً مستوى الأدلة النقلية المعنية من حيث الثبوت والدلالة دون التمييز فيما أن يكون الموضوع قد ذُكر فى الكتاب والسنة. وهذا واحدٌ من أهم الأدلة للقيمة التشريعية للسنة فى ثقافة الفقه الحنفى.

ج- درجات سند الأحاديث

وفقا لمنهجية الاجتهاد عند الحنفية فهناك شرط أساسى للحكم على أمر ما بكونه حراما أو فرضا وهو وجود دليل نقلى ثابت قاطع الثبوت. لأنه حتى لو كان مدى الدلالة والاقتضاء للأدلة النقلية الغير قاطعة الثبوت على أعلى مستوى، فلا تثبت أحكام الفرض والحرام بها. ولهذا السبب لاتثبت أحكام الفرض والحرام فى الفقه الحنفى فى أحاديث الآحاد. ولكن يمكن أن تثبت من خلال تلك النوعية من الأحاديث أحكام الواجب فقط، والمكروه تحريماً من خلال الكف. وهذه المبادئ فى منهجية الاجتهاد ناتجة عن ضرورة توخى الاحتياط فى الأحكام الدينية.

إذن، هل تستند أحكام الحرام والفرض فى الفقه الحنفى التى مصدرها الحديث أو السنة على الأحاديث المتواترة؟ وبما أن عدد الأحاديث اللفظية المتواترة محدود جداً، كيف سيشرح الأحناف هذا الموقف؟

إن الإمام أبا حنيفة – كما ذكرنا آنفاً – قد عاصر الأغلبية العظمى من العلماء التابعين، والتقى وجها لوجه بالكثير منهم وتعلّم منهم الحديث والعلوم الإسلامية الأخرى. لم يتردد أبو حنيفة ومعاصروه فى الاعتقاد بأن معظم العلماء التابعين اتفقوا فيما بينهم على أن الموضوعات الشرعية التشريعية والعملية التطبيقية تستند إلى السنة النبوية الشريفة. وحتى لو لم تتحقق الشروط اللازمة للمتواتر من حيث طبقة الصحابة وعدد الرواة فى تلك الروايات، فقد ثُبتت أحكام الفرض والحرام من خلال الأحاديث التى نقلها العلماء العظماء فى عهد التابعين للثقة فى الصحابة. إذ لا توجد شروط المتواتر فى تلك الروايات فقط من حيث عدد الرواة من طبقة الصحابة، فقد كانت شروط التواتر لدى طبقة التابعين. ولأنه لا يمكن أن ينقل صحابى عن قصد قولاً ليس من الحديث فى شئ على أنه حديث، أُعتبرت تلك النوعية من الأحاديث شبه متواترة (متواترة الحكم) من الناحية العملية (التطبيقية) فى استنباط الحكم، على الرغم من أنها غير متواترة، وذلك للثقة فى معرفة الصحابة الذين نقل العلماء التابعون الحديث عنهم بالحديث، وتعلم أنه قد أُطلق على تلك النوعية من الروايات فيما بعد بـ"الأحاديث المشهورة".

وإدراك الأحناف هذا ليس قاصراً على الروايات المرفوعة للعلماء التابعين. إذ إن الأحاديث التى تم نقلها بشكل مُرسل من قبل علماء التابعين الأجلاء تتكون من أحاديث معروف بشكل مؤكد أنها قد نقلت بشكل مرفوع من قبل العديد من الصحابة. على سبيل المثال قال حسن البصرى: إن نقل الأحاديث التى رواها ثلاثة من الصحابة على الأقل عن نبينا ﷺ بشكل مُرسل دون ذكر راويها، كان منهجاً متعارفاً عليه بين علماء عصره. لذا فإن الأحاديث التى نقلها العلماء التابعون فى ذلك العصر بشكل مُرسل هى أحاديث مثبوت مصداقيتها من حيث السلسلة الروائية ولا ريب فيها.

تعتبر الأحاديث هى دعامة التطبيق فى الموضوعات الفقهية التى اتفق عليها العلماء التابعون فى العصر الذى عاش فيه الإمام أبو حنيفة، حيث إنها موثوقة من حيث الرواية. فقد أُعتد بتطبيقات الصحابة والتابعين وفقا لحديث معنوى متواتر بالرغم من عدم وجود حديث لفظى متواتر بهذا الشأن، وذلك على فرض أن هناك اتفاقاً بين الصحابة، ولا سيما أنه لم ترد أى معلومة عن أن هناك اختلافاً بين الصحابة فى موضوع كهذا. فتلك الأحاديث قد تم بحثها بدقة بالغة من قبل الكثير من علماء العصر العظام، وثُبت مصداقيتها من حيث الرواية. فأغلب الأحاديث التى وصفها الحنفيون بـ"المشهورة" تدخل فى هذا النطاق. وهذا هو ما يوازى مبدأ "عمل أهل المدينة" الموجود لدى المالكية.

إن تقييم تلك النوعية من الروايات بوصفها روايات آحادية ضعيفة أو عادية من قبل علماء الحديث الذين جاءوا بعد عصر أبى حنيفة بقرن أو اثنين من الزمان لايُهمّش أو يقلل من اجتهادات العلماء العظام كأبى حنيفة ومعاصريه.

د- مقاييس أخرى متعلقة بأحاديث الآحاد

هناك بعض الشروط التى ينبغى تقييمها فى نطاق المقاييس الواردة فى كتب أصول الفقه: منها أن يكون راوى أحاديث الآحاد فقيهاً، وعدم مخالفة الراوى بصورة مناقضة للحديث الذى رواه، وكذلك عدم مخالفته للمبادئ العامة.

ويتضح أن العلماء الأحناف قد أثبتوا أن الإمام أبا حنيفة كان يقوم بالاختيار من خلال تلك المعايير عند وجود أكثر من حديث ذى محتوى مختلف فى نفس الموضوع الفقهى.

أما عند وجود نصوص أحاديث قصيرة وطويلة ذات محتوى مشترك حول نفس الموضوع، كان يعتمد أبو حنيفة على النصوص القصيرة الأقوى مصداقية من حيث الرواية. وقد تم صياغة هذا المبدأ الاجتهادى فى صورة "رد الزائد على الناقص". فمن الواضح أن الحكم من خلال النصوص القصيرة ذات المحتوى المشترك أكثر احتياطا. فهذا المبدأ الذى يُعد ضرورة لاستيعاب مبدأ الاحتياط فى منهجية اجتهاد أبى حنيفة، لايعنى أنه لن تُؤخذ النصوص الطويلة المتعلقة بالموضوع بعين الاعتبار. إذ يثبت الحكم التكليفى الأعلى معه باقتضاء هذا المبدأ لأن النص المشترك موثوق أكثر. والأجزاء الزائدة تُستخدم فى استنباط الحكم وفقاً لدرجتها. وإن لم تؤخذ تلك الأمور فى الاعتبار بكافة أبعادها، من الممكن أن لا يتضح توافق بعض الأحكام الموجودة فى ثقافة الفقه الحنفى مع بعض الروايات الواردة فى كتب الحديث كما ينبغى.

فمن الجلى وجوب التعرف على مبادئ الأئمة المجتهدين فى الاجتهاد بكافة الأبعاد لكى يمكن استخراج الوحدة المنهجية القائمة بين أحكام الحديث الخاصة بكل مجال. فالقيام بالتقديرات دون النظر فى المبادئ المنهجية

للاجتهاد الخاصة بالإمام أبى حنيفة من الممكن أن يؤدى إلى نتائج لا تتفق مع الحقائق العلمية.

٣- بحث وتقييم أحد الأحاديث المتعلقة بالأحكام

نود أن نعرض معلومات عن أحد الأحاديث المتعلقة بالأحكام الفقهية للأوقاف واجتهاد الإمام أبى حنيفة فى ذلك الصدد، للاطلاع على الأبعاد الخاصة بالإمام أبى حنيفة عند تناوله للسنة ومدى معرفته بالحديث.

كما هو معروف، تستند هيئة الأوقاف على قيم إسلامية أساسية ذُكرت فى القرآن الكريم. ولكن الأسس الفقهية للأوقاف تستند إلى السُّنة النبوية الشريفة. والسنة اللفظية المتعلقة بذلك الأمر هى إحدى الأحاديث المشهورة التى ذُكر فيها الوصيَّة التى قام بها نبينا ﷺ بناء على رغبة سيدنا عمر (رضى الله عنه) فى معرفة ماهية الطريقة المُثلى للتصدق.

تأثر سيدنا عمر (رضى الله عنه) عندما رأى بستاناً نفيساً يُقال له "ثمغ" ناله كنصيب له من الغنيمة. فأراد أن يتصدق به فى سبيل الله، فذهب إلى النبى ﷺ بانفعال، وحكى له سماته وخصائصه، وسأله عن أفضل استغلال له[٢]، فأوصاه النبى ﷺ بالاحتفاظ بأصل المال والتصدق بثمره. وعن كيفية الاحتفاظ بأصل المال قال له: إنه يجب أن يكتسب المال وضعاً قانونياً بحيث لا يُباع ولا يُوهب ولا يُورث من خلاله[٣]. هذا الحديث المذكور بين مجموعات الأحاديث المشهورة يُشكّل أساساً لقانون الوقف الإسلامى. إذ يتم إسناد الاجتهادات الخاصة بالموضوعات المتعلقة بلزوم إقامة الأوقاف، وحقوق الوصى عليها، وصلاحياته ومسئولياته، والوضع القانونى (الحقوقى) لأملاك (أموال) الوقف، إلى هذا الحديث والتطبيق الذى عمل به سيدنا عمر (رضى الله عنه) بموجب الحديث المذكور. وفى ذلك المقال سيتم تناول موضوع إلزامية إقامة الأوقاف.

يرى بعض الأئمة المجتهدين أن تصريح الشخص بأنه قد أوقف ماله، أى إعلانه العزم على إقامة الوقف كاف لإقامة الوقف. إذ يُقام الوقف ويكتسب سمة اللزوم والإلزام من خلال إعلان العزم المذكور. حيث إنه بذلك يخرج المال الموقوف عن ملكية الواقف.

أما البعض فقال: إن الوقف يكتسب سمة اللزوم والإلزامية ليس بإعلان العزم على إيقافه، وإنما بتسليم المال الموقوف للوصى. أما اجتهاد أبى حنيفة فهو يذهب إلى لزوم إجراء الوقف

(٢) عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ عُمَرَ، اسْتَشَارَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - فِى أَنْ يَتَصَدَّقَ بِمَالِهِ الَّذِى بِثَمْغٍ فَقَالَ لَهُ النَّبِىُّ ﷺ : تَصَدَّقْ بِثَمَرِهِ وَاحْبِسْ أَصْلَهُ لاَ يُبَاعُ وَلاَ يُورَثُ.

(٣) حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ الأَشْعَثِ حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ مَوْلَى بَنِى هَاشِمٍ حَدَّثَنَا صَخْرُ بْنُ جُوَيْرِيَةَ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ عُمَرَ تَصَدَّقَ بِمَالٍ لَهُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ يُقَالُ لَهُ ثَمْغٌ وَكَانَ نَخْلاً فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّى اسْتَفَدْتُ مَالاً وَهُوَ عِنْدِى نَفِيسٌ فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِهِ فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : تَصَدَّقْ بِأَصْلِهِ لاَ يُبَاعُ وَلاَ يُوهَبُ وَلاَ يُورَثُ وَلَكِنْ يُنْفَقُ ثَمَرُهُ فَتَصَدَّقَ بِهِ عُمَرُ فَصَدَقَتُهُ ذَلِكَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَفِى الرِّقَابِ وَالْمَسَاكِينِ وَالضَّيْفِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَلِذِى الْقُرْبَى وَلاَ جُنَاحَ عَلَى مَنْ وَلِيَهُ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ أَوْ يُوكِلَ صَدِيقَهُ غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ بِهِ.

بقرار قضائى. فطبقاً لهذا الاجتهاد يظل المال الموقوف فى ملكية الواقف حتى قرار قضائى.

ويرى بعض من علماء الإسلام أن اجتهاد الإمام أبى حنيفة هذا يخالف الحديث المذكور، ويعللون سبب الخلاف قائلين: إن ذلك الحديث لم يصل إليه. ووجود الإمام أبى يوسف بين هؤلاء العلماء يزيد من الأمر جذبا للانتباه. ونرى أنه قد تم قبول هذا الادعاء الوارد فى المؤلفات المكتوبة على يد العلماء الأحناف وذلك رداً على من ينتقدون فهم الإمام أبى حنيفة للحديث والسنة.

تم الإشارة قبلاً إلى أن الإمام أبا حنيفة كان يمتلك معرفة عالية المستوى عن الحديث، من خلال المحصلة التى اكتسبها سواء فى حياته الدراسية التى بدأها اعتبارا من سن الطفولة، أو من خلال الأنشطة العلمية التى كان يجريها وهو يقوم بالتدريس. علاوة على ذلك، إذا أخذنا فى الاعتبار الحوارات والنقاشات التى عقدها مع العلماء فى الكوفة والحجاز فيما يتعلق باجتهاداته، فإن احتمالية عدم سماعه بحديث مشهور يتناول حكما بشأن موضوع مهم كهذا تكاد تكون منعدمة. وحسب القناعة التى توصلنا إليها نتيجة لبحثنا فى اجتهادات الإمام الأعظم أبى حنيفة فيما يتعلق بإقامة الأوقاف، فإن اجتهادات الإمام موضوع البحث على توافق تام فيما عدا مخالفتها فقط لهذا الحديث. ويفهم من هذه الاجتهادات أن الإمام كان ملما بكل الروايات المتعلقة بالحديث المذكور.

ففى ثقافة الحقوق الإسلامية لابد من أن يكون هناك شخص قانونى لإقامة الوقف. وكما نعرف، أن الهوية الشخصية الحقيقية تثبت من خلال حياة المرء. فالمرء يكتسب هوية حقيقية منذ اللحظة التى يُعرف فيها أن أمه حملت فيه قبلما يُولد. كما تنتهى هوية المرء عند وفاته. لأن تلك الهوية الشخصية مرتبطة بحياة الإنسان. ومهما استمرت الآثار الحقوقية والقانونية للشخصية فى بعض الأمور بعد الوفاة، إلا أن هذا لا يعنى استمرار الشخصية الحقيقية. فحينما يتم إصدار قرار قضائى عن وفاته وإن لم يتم التمكن من إثبات وفاة المرء بشكل فعلى، يعد فى حكم المتوفى، وتعتبر الهوية الشخصية الحقيقية قد انتهت بحكم الوفاة هنا. أما الهوية القانونية الشخصية الاعتبارية يُعترف بها من قِبل السلطات العامة. علاوة على أن إجراء الهوية القانونية لقطاع عاماً كان أو خاصاً فى الأنظمة الحقوقية القانونية الحالية صار يرتبط بترتيبات قانونية تشريعية. وقد ارتبط حصول هيئة الأوقاف لهوية الشخصية قانونية فى يومنا الحالى بقرار قضائى.

إن ربط الإمام الأعظم أبى حنيفة حصول هيئة الأوقاف على تصريح قانونى بقرار قضائى قبل يومنا هذا بحوالى ثلاثة عشر قرنا هو موضوع مهم ينبغى أن يقف عنده مؤرخو القانون والحقوقيون. ويستند اجتهاد أبى حنيفة هذا على تطبيق سيدنا عمر (رضى الله عنه) لموضوع البحث. ففى رواية مختلفة من الحديث المذكور يُوصف موقف سيدنا عمر فى هذا الموضوع بـ «قضية عمر[٤]». أما فى روايات أخرى يُحكى أن تنفيذ سيدنا عمر ارتبط بأسس مكتوبة، وجعل

(٤) ورواه صخر بن جويرية، عن نافع، عن ابن عُمَر فى قضية عُمَر فى ثمغ قال: فقال النَّبِىُّ ﷺ : تصدق بأصله لا يباع ولا يوهب ولا يورث ولكن ينفق ثمره فتصدق به عمر.

قراراً قضائياً بشهود.

فعند استشارة سيدنا عمر (رضى الله عنه) للنبى ﷺ بشأن الطريقة المثلى للتصدق بماله، أوصاه نبينا ﷺ بأن يحتفظ بأصل المال والتصدق بثمره، وأخبره بوجوب إكساب المال المذكور وضعية قانونية تحظر بيعه أو وهبه أو توريثه. ولكن لم ترد أى معلومة فى نص الحديث عن كيفية تحقيق تلك الوضعية القانونية. ففى روايات متعلقة بالموضوع، ورد أن سيدنا عمر قد قام بعد وصية نبينا ﷺ تلك بتعيين وصى على المال أو الوقف الذى تصدَّق به، وسلَّمه للوصى موثقاً حقوق الوصى وصلاحياته ومسئولياته فى حضور شهود.

ويُفهم من ذلك أن التصدُّق المُتفق مع وصية نبينا ﷺ تتحقق فقط من خلال الهوية القانونية، وأن الهوية القانونية للوقف تُجرى باعتراف من قبَل السلطة العامة. لأن سيدنا عمر قد قام بإجراء كهذا من طرف السلطة العامة. ولهذا أطلق على هذا الإجراء "قضية عمر" أو حكم القضاء لعمر. فكما تعلَّم سيدنا عمر (رضى الله عنه) من نبينا ﷺ ماهية الوقف، تعلَّم منه أيضاً الإجراءات اللازمة لإقامة الوقف. إذ يُفهم أن سيدنا عمر (رضى الله عنه) لم يكن على دراية بخصوص تلك النوعية من الإجراءات. فالروايات المذكورة هى أدلَّة نقلية استند إليها الإمام أبو حنيفة لاشتراط حكم القاضى حتى يصبح حكم الوقف ساريا وهو إجراء مُلزم فى تاريخ القانون الإسلامى.

واشتراط الإمام أبى حنيفة رفع الملكية الخاصة سواء بوصية أو بوضع فعلى حتى يصبح الوقف لازماً وملزماً، يستند إلى السنة الفعلية وتطبيقات الصحابة ذات الصلة بالموضوع. فمن المعروف أن نبينا ﷺ والصحابة لم يُخضعوا كافة الأوقاف التى قاموا بها للإجراءات السابق ذكرها. ويتضح فى أنشطة اجتهاد الإمام الأعظم أبى حنيفة المتعلقة بالأوقاف أنه قد بحث بدقة السمات والخصائص المشتركة لتلك النوعية من الأوقاف. إذ تطرح اجتهادات الإمام أبى حنيفة المتعلقة بالأوقاف وحدة منهجية مع اجتهاداته الخاصة بقانون القروض والأملاك.

إنه لمن البديهى أن الزعم بأن أحد الأحاديث المتعلقة بالأحكام والخاصة بأحكام الوقف- دون مراعاة التشعبات الأخرى للموضوع- لم يصل إلى الإمام أبى حنيفة هو زعم عار من الصحة ويتنافى مع الحقائق العلمية.

إننا على قناعة بأن اجتهادات الإمام الأعظم أبى حنيفة المتعلقة بالأوقاف ستقدم معلومات كافية حول فهمه واستيعابه للسنة ومعرفته بعلم الحديث.

وختاماً، ينبغى ونحن بصدد تقييم منهجية اجتهاد الإمام أبى حنيفة، ألا نغفل أن هذا الإمام قد وُصف فى تاريخ الثقافة الإسلامية بـ"الإمام الأعظم"، وأنه حظى بقبول عام منذ القدم وحتى الآن بين المسلمين.

أبو حنيفة والقضايا العقلانية فى علم القانون (★)

د. عبدالرحيم خالقوف
رئيس إدارة تنظيم العادات والتقاليد
لدى رئاسة جمهورية طاجيكستان

فى تلك الحقبة الغابرة التى كانت قد وصلت الحروب بين الأمويين والعباسيين إلى ذروتها وفى تلك الظروف العصيبة التى كانت تندلع فيها نار الفتن والنزاعات بين شعوب وقوميات الأقاليم التابعة لحدود الخلافة وفى ذلك الزمن الذى كان المسلمون الأتقياء يقبلون على القرآن والسنة وينهلون من معينهما بحثا عن سبيل الفلاح والسعادة بينما كانت أيد خفية آثمة دساسة تعمل جاهدة من أجل إطفاء نور الحق والعلم والعدل بتفسيرها الآيات بمقتضى الهوى وتحريف الأحاديث حرصا على المصالح السياسية والمادية ولتوقع بالناس فى مستنقع الفتن والصعوبات، وفى تلك الأيام التى كانت الفتوحات الإسلامية تبث نور الإسلام إلى أقصى الغرب والشرق لتزداد حاجة الأمة أكثر من ذى قبل إلى علماء ربانيين يأخذون بأيدى الناس إلى التمسك بالكتاب والسنة وإقامة الحياة الكريمة تحت لواء التوحيد والوحدة والرحمة والمودة، قيض الله على الأمة الإسلامية رجلا خاض غمار العلم والمعرفة بكل حماس، ألا وهو الإمام أبوحنيفة النعمان بن ثابت. ذلك الرجل الذى بتأسيه لرسول الله (ﷺ) فى الحكمة والنبوغ والتواضع والسماحة، وباتباعه لمنهج على (كرم الله وجهه) فى جمع الشمل، وبالحنكة والعقلانية التى ورثها من عبدالله بن مسعود، وإبراهيم النخعى وحماد بن أبى سليمان، شمر ساعد الجد فى الدفاع عن الإسلام ومصالح القوميات والشعوب المعتنقة للإسلام وبذل قصارى جهده من أجل تخفيف حدة الفتن والنزاعات لتصب محاولاتها كلها على توحيد صف المسلمين ووضع أرضيات ملائمة للتعايش السلمى بين المسلمين وغيرهم. وفى هذا الصعيد كان النجاح حليفه حيث إن إنجازاته وتعاليمه الرشيدة كانت نبراسا للبشرية من

(★) من أبحاث مؤتمر الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان المنعقدة فى عاصمة طاجيكستان سنة ٢٠٠٩م

أجل الخروج من غيابات الجهالة والصعوبات على مر التاريخ.

وقبل ألف عام عندما عمت البلاد الفتن والنزاعات المذهبية المدمرة، أمر الأمير العادل إسماعيل الساماني (فترة حكمه من ٨٩٢م إلى ٩٠٧) عبدالله بن أبي جعفر وسائر الفقهاء عنده قائلا: "بينوا لنا المذهب الحق لطريقة أهل السنة والجماعة والذي كان عليه آباؤنا". والجميع بما فيه الأمير التفتت أنظارهم نحو قاضي سمرقند الخواجة أبي القاسم السمرقندي فقالو له: "أرنا طريق أهل السنة والجماعة التي كان عليها النبي (ﷺ)"[1]

فألف هذا العالم كتابا بالعربية وسماه "السواد الأعظم" ليكون هذا الكتاب مرجعا ميسرا لشعوب ماوراء النهر وخراسان الذين لطالما أحبوا العلم والثقافة، وعرض هذا الكتاب القضايا الإنسانية وسبل التقارب والمودة والتسامح بين شعوب المنطقة في ميزان الأحكام والتعاليم الإسلامية بأساليب أكثر جاذبية وتأثيرا مع إعطاء الأولوية للمذهب الحنفي، إذ أن له دورا في جذورهم التاريخية. هذا فإن أخذ زمام شئون إدارة الدولة بالعدل والحنكة والصلاح له ارتباط وثيق باسم الأمير إسماعيل الذي صنع من مدينتي بخارى وسمرقند مركزا للعلوم والفنون ذاع صيته في الشرق الأوسط، حيث تلتقي فيه الأفكار والثقافات ويتعايش الناس فيه، بما فيهم المسلمون واليهود والمجوس في جو التفاهم.

وفي هذا الاتجاه قدم أبناء الشعب الطاجيكي النبلاء مساهمات مجيدة، منهم أبوحفص الكبير البخاري وأبو حفص الصغير البخاري والإمام الماتريدي والشيخ برهان الدين المرغيناني إضافة إلى عشرات من العلماء (رحم الله الجميع).

وفي القرن العشرين وأوائل القرن الحادي والعشرين دقت البلاد الشرقية ناقوس الخطر والتهديد باجتياح رياح الظلم والعدوان والتفريق لها، ولم تمر هذه الأخطار بلا تأثير على طاجيكستان الحديثة. ثم بعد هذه التداعيات والتحديات تأتي مبادرة فخامة رئيس جمهورية طاجيكستان للاحتفال بذكرى مرور ١٣١٠ سنوات على ميلاد المجتهد العبقري للعالم الإسلامي ليرفع النداء بين المسلمين وغير المسلمين عن قناعة أن الإسلام ليس دين حرب ولا عدوان بل إنه طريقة مثلى للتعامل والتعايش بين الناس مصداقا للتعبير القرآني الحكيم:

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

«النحل: ١٢٥»

وهذا المنهج الإسلامي النبيل نراه قد وجد تطبيقه العملي في حياة النبي (ﷺ) وصحابته الكرام ثم بعد ذلك في سيرة حياة هذه الشخصية التاريخية الفذة.

وإنا لنعلم جيدا أن إطار التاريخ لن يرجع إلى

١- السواد الأعظم لأبي القاسم السمرقندي.

الخلف ولكنه كما ذكر علماء التاريخ وعلم الاجتماع المعروفين كأمثال هيرودوت، وابن النديم، والطبري، وبيتيريم سوروكين وغيرهم كثير يحمل في طياته أحداثا تقع في المستقبل نظيراتها. ونحن الآن على وشك تكرر متشابهات الأحداث التي عرفت في التاريخ كأحداث التفريق والتمزيق. وقد آن الأوان أن نتصفح سجل تعاليم الإمام أبي حنيفة لمواجهة ما يستجد من الأحداث. وإن عظمة الإمام أبي حنيفة تتمثل في أقوله وأفعاله وهمومه التي كان يعول من خلالها على القيم الإنسانية ليبرز للعالمين استنادا إلى العقل والحكمة السديدة أن الشريعة الإسلامية هي ميزان ومعيار للعدل والإنصاف والأخوة والمساواة والسماحة. وإذا نظرنا إلى تعاليم أبي حنيفة من زاوية علم الحقوق نجدها تتسم بهذه السمات:

١ . إن المذهب الفقهي الذي أسسه الإمام الأعظم يستحق الاهتمام والتقدير من وجهة نظر علم القانون، حيث إنه رفع من شأن العقل كوسيلة من الوسائل المهمة في فهم واستنباط الأحكام من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ومناقشة آراء واجتهادات الصحابة بأسلوب ينسجم مع المنطق، مع مراعاة أن هنالك ثوابت في دين الله لا سبيل للعقل إليها. والإمام في واقع الأمر مؤسس للمدرسة الحقوقية المستقلة التي وصلت إلى درجة التكامل مستمدا أصولها في تحديد الأحكام والمعايير الشرعية من القرآن والسنة وسنة الخلفاء الراشدين وآراء الصحابة والإجماع والأدلة العقلية كالقياس والاستحسان الذي تتم من خلاله مراعاة متطلبات الزمان ومصالح الناس. وإن التعويل على الأصول العقلية كاستخدام القياس لبيان الحكم الشرعي لما يستجد من الوقائع والنوازل والرجوع إلى الاستحسان الذي يقتضي اختيار القياس الخفي على القياس الجلي مرعاة لظروف العصر ومصالح الأفراد، جعل من الإمام وأتباعه رموزا وأعلاما لتيسير الأمور وتسهيل الصعوبات وحل عقد المسائل المعضلة للشريعة الإسلامية. وإن تعاليمه العقلية الحقوقية بالذات والتي كانت تضمن حرية الاختيار ومصالح الأشخاص واحترام عادات السكان المحليين وتقاليدهم وأعرافهم، حظيت بقبول دوائر مختلفة في أرجاء الخلافة وأصبحت نافذة تبث الحضارة الإسلامية أنوارها إلى أقاليم غير العربية لما تعتمد هذه المدرسة من أصول عقلية في تقرير الحقوق والمعاملات مما جعلها تتطور على أوسع نطاق.

٢ – إن المذهب الفقهي الذي أسسه هذا العلامة له مكانة في الإسلام ليست بمتناول أحد غيره. ولو لا تعاليم هذا الرجل العظيم والفقيه الجليل والعارف بأسرار قوانين الشرع لما كنا نعرف مصير علم الشريعة في مقتبل الدولة العباسية وخفي علينا مستقبل فقه أهل السنة في ظل تلك الظروف الحرجة. وهذا العالم الكبير اجتاز بالفقه الإسلامي أكبر أزمة في تاريخه حيث إنه عالج المسائل الفقهية بطريقة جمع فيها بين الأصول العقلية ومنهج أهل الحديث مما يشهد لقدرته الفقهية الضخمة التي استطاع الإمام من خلالها أن يصنف

الأحكام الفقهية الإسلامية مع المراعاة لمشاعر ومصالح قوميات الخلافة واحترام تقاليدها وطقوسها ووضع بذلك منهجا قويما ينبنى على النصوص الشرعية والأصول العقلية كالقياس والاستحسان تمهيدا لتطور ونضج النظام التشريعى الإسلامى.

وقد حباه الله عقلية فقهية نادرة وضع من خلالها منهجا قويما حيال القضايا العقائدية والمسائل الخلافية بالاستناد إلى النصوص الشرعية والأصول العقلية السليمة وبنى بذلك جسر التواصل بين عناصر الأمة الإسلامية مراعيا مصالحها العامة كعدم القول بتكفير مرتكب الكبيرة ما لم يستحلها، وذلك فى الحين الذى كانت نار الفتن والحروب السياسية بين الأمويين والعباسيين تأكل الأخضر واليابس وكانت المساجلات والمجادلات العقلية قد تطورت على نطاق واسع بين أهل السنة وسائر الفرق كالشيعة والخوارج. ومن هنا نجد أن جميع أئمة المذاهب الفقهية الإسلامية يعتبرون أنفسهم عيالا له فى الفقه.

وإن سر الارتباط الوثيق لهذا المذهب الفقهى بالعقل والأصول المنطقية يكمن فى العوامل الآتية:

› العامل الأول: يتمثل فى المسيرة العلمية ونشأة الفكر العلمى للإمام حيث إنه قبل أن يتوجه إلى الفقه خاض علم الكلام فتكونت لديه مقدرة على تناول مسائل الأصول والفروع بالتعويل على الأصول العقلية. فانظروا إلى تلك المرحلة التى بدأ الإمام فيها الانشغال بالفقه حيث تراكمت لديه فى الوقت المبكر تجارب كافية واطلاع واسع لمسائل علم الكلام الفلسفية والجدلية والتى كان محكها العقل والحكمة، وبتعبير آخر استخدم الإمام تلك الأصول العقلية والاستنتاجات المنطقية التى تقتضى حدوث الأعراض والعالم فى تبنى أفكاره وتعاليمه على أوسع نطاق.

وإنه دخل بفكره العلمى الناضج ميدان الفقه عن قناعة وبمنهجية علمية دقيقة لا عن طريق التقليد البحت. وكان الفقه الإسلامى يمر بمرحلة تتوسع فيها حدود الخلافة مما يضع على كاهل الفقه النظر فى نوازل ووقائع جديدة يستعصى حلها على كثير من العلماء. ولم يكن رسول الله (ﷺ) حيا ليبين أحكام تلك الوقائع، ولا الخلفاء الراشدين ولا الصحابة الأجلاء. ففى هذه الفترة الزمنية بالذات جاء الإمام ليخوض غمار علم الفقه بما لديه من موارد فكرية وعلمية وأصول عقلية بينما وجد أهل زمانه يتعاملون مع النوازل بأساليب تقليدية. وإن علم تقرير القوانين والأحكام يتطلب حرية الاختيار ومراعاة المصالح والتعامل مع الواقع وكانت هذه الآليات متوفرة لدى هذا العالم صاحب الرأى الثاقب مما جعل أهل زمانه يتقبلونه إماما فى الفقه.

› والعامل الثانى: هو أن المذهب فتح الباب على مصراعيه لاقتراح الآراء والأفكار وحرية اختيارها. يقول ابن حجر المكى فى "مناقب أبى حنيفة"[٢]: ونقل عن الإمام أنه كان يقول دائما: "

٢- مناقب الإمام الأعظم لابن حجر المكى، ترجمه من العربية عبدالرءوف المخلص ٢/٧٥.

«علمنا هذا رأى وهو أحسن ما قدرنا عليه، ومن جاءنا بأحسن منه قبلناه منه»".

وإنما اتخذ الإمام هذا الموقف عملا بالآية رقم ٢٥٦ من سورة البقرة حيث يقول الله تعالى:

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾

وقد قررت الآية الكريمة مدى حرية الاعتقاد مبينة أنه لا يجوز فى الإسلام إجبار شخص على اعتناق الدين. والحرية فى الإسلام لا تخرج من إطار الحدود والأحكام الشرعية، حيث يتم من خلالها مراعاة مصالح الناس وتقدير القيم الإنسانية. وخدمة أبى حنيفة تبرز فى أنه التزم بتلك المعايير وبمبدأ الرأى والرأى الآخر فى تقرير تعاليمه.

› والعامل الثالث: فى تقديرى هو ترجيح رأى الأغلبية واتباع منهج التعليم المباشر والمشاركة الجماعية فى التعليم والبحث والذى يعبر عن هذا المنهج فى علم القانون المعاصر بالديمقراطية العلمية. والشيخ المحقق أبو زهرة يقول استنادا إلى ما قاله ابن البزازى والمكى فى مناقب الإمام: "

«وضع أبو حنيفة -رحمه الله- مذهبه شورى بينهم، ولم يستبد فيه بنفسه دونهم اجتهادا منه فى الدين، ومبالغة فى النصيحة لله ورسوله والمؤمنين، فكان يلقى مسألة مسألة، يقلبها ويسمع ما عندهم ويقول ما عنده ويناظرهم حتى يستقر أحد الأقوال فيها، ثم يثبته أبو يوسف فى الأصول، حتى أثبت الأصول كلها»."[٣]

وهذا المنهج أيضا له أصل فى الآية ٣٨ من سورة الشورى إذ يقول الله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾

وإن انتهاجه منهج التعليم الحيوى المباشر فى مدرسته وحلقاته العلمية استقطب إليه عددا هائلا من طلبة العلم كما أنه ساعد فى تكامل آرائه وتعاليمه. فإنه كانت له أياد بيضاء فى نشر العلم وإن حلقته العلمية كانت متواصلة دائما يتزاحمها حشد كبير من طلبة العلم، وكان الإمام يمد يد العون المادى إلى المحتاجين منهم فضلا عن جهوده فى إيقاظ حبهم للعلم وتنمية مواهبهم وقدراتهم إيمانا منه أن تلك المواهب لها دورها لصالح المجتمع وحل المسائل الفقهية. وكان الإمام بحرا للعلم يلقظ بالعلم الذى يكمن فيه لتلاميذه وما كان ليكتم علما ولا فنا ولا سرا علميا عن تلامذته بل كان يلقى عليهم بما لديه من العلم. وكان يعتبر مجالسة أهل العلم وطلابه نعمة ليست بعدها نعمة. وإن المقولة النبوية الشهيرة: "طلب العلم فريضة على كل مسلم"[٤] كان لها أثر بالغ فى نفس الإمام.

٣- أبو حنيفة، حياته وعصره" للشيخ محمد أبو زهرة، ٣/ ٢١٣.

٤- البخارى

> والعامل الرابع: من تلكم العوامل هو ميزة هذا المذهب فى نظرته تجاه العقل البشرى حيث إنه يقدر شأن العقل ويعترف بدوره فى حل المسائل واستخراج الأحكام إلا أنه لا يعطى له صفة العصمة بل يعترف أن العقل معرض للخطأ. وميزة هذا المذهب والتى ساعدته فى الانتشار وأذاعت صيت صاحب المذهب بين العالمين أنه مع تقديره للعقل لا يخرجه من مظان الخطأ ولا يستثنى من ذلك أبا حنيفة نفسه. وإن الإمام وإن كان يميل إلى ما اجتمع عليه الأكثر فى غالب الأحيان إلا أنه كان يعطى لتلامذته دائما فرصة حرية التعبير عن مواقفهم وآرائهم الشخصية تجاه قضية ما، وكان من سجيته أن يعلمهم ضرورة أن يكون للإنسان موقف وقول شخصى كما كان يحثهم على مناقشة آرائه وتصويبها إذا بدى لهم ذلك.

وإن تحليه بالتواضع واعترافه باحتمالية صدور الخطأ من البشر وبضرورة إصلاح ذلك الخطأ فى أسرع وقت ممكن، من الأمور التى أعلت من شأنه وشأن مذهبه على مر الزمن. فإنه لم يدّع يوما العصمة والكبرياء لنفسه بل كان أسوة لهم فى التواضع والحلم وما كان ليدافع عن الخطأ بل كان حريصا على إصلاحه وتقييمه كلما رآه. وهذا النهج القويم نور لتلامذته طريقا لمعالجة الأخطاء والزلات فحرصوا جاهدين على تصويب وتقييم ما كانوا يرونه غير صواب من الجزئيات بكل أدب وتوقير وإنصاف وموضوعية ليؤمنوا بذلك عظمة المذهب ومستقبله. والدليل على ذلك هو الاختلاف الدائر بين أبى حنيفة وابن أبى ليلى فى قضية إذا أثبت القاضى فى ديوانه الإقرار وشهادة الشهود ثم يرفع إليه فلا يذكره. [4] فإن الإمام أبا يوسف أيد رأى الأخير منهما مما يدل على علو كعب أبى يوسف فى أحكام القضاء.

> والعامل الخامس: هو العمل بمقتضى الحكمة والتيسير على الناس. فمن مزايا مذهب الإمام اليسر وعدم التشدد فى آرائه. وكان من منهجه أنه إذا خير بين أمرين كلاهما فيه صعوبة اختار أيسرهما وأما إذا وجد أمامه أمرين يسيرين اختار أحسنهما. وكان مقتنعا بأن التيسير فى الأحكام هو من مقاصد الشرع ومقتضياته إذ يقول الله تعالى:

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾

«البقرة: ١٨٥»

فمن أجل تطبيق هذا المقصد توسع الإمام فى الاستدلال بالاستحسان، حيث إن العلماء أكدوا أن الاستحسان هو وسيلة للتيسير على الناس وحل قضاياهم مراعاة لمصالحهم. وإن هذا المقصد النبيل هو بغية لكل نظام قانونى وتشريعى.

> والعامل السادس: أنه نشر تعاليمه وآراءه شفويا وإن لم يكن هذا عاملا عقليا فإنه تسبب لحكم عقلية أخرى حيث إن عدم تسجيله لآرائه كتابة أتاح للمحققين من بعده التوسع فى فهمها

٤- أبو حنيفة، حياته وعصره، للشيخ محمد أبو زهرة ٥/ ٢١٠.

وشرحها. كما أن فى تلك الفترة لم تكن كتابة العلم أمرا سائدا بين العلماء بالنسبة للأزمنة التالية، حتى إن الصحابة كانوا يجتنبون تدوين آرائهم بل وتدوين الأحاديث النبوية مخافة أن يختلط شيئ منها بالآيات القرآنية. وقد استمر هذا الوضع طيلة القرنين الأول والثانى الهجريين وكان ذلك نابعا عن شدة تقوى وتحرى أهل العلم حينذاك. وكما يقول المؤرخون إن تأليف الكتب لم يشع وينتشر إلا بعد وفاة أبى حنيفة أو فى آخر حياته. [6] وهذا العامل وإن لم تكن له أهمية من الناحية العلمية، إلا أنه كان من أسباب انتشار الفقه الحنفى وتوسع ميدانه الفكرى حيث إن تعاليم تلامذته وآرائهم عن الإمام الأعظم كانت شائعة بين الناس بدرجة أنهم كانوا يقعون فى التباس فى تمييز ومعرفة آرائه الشخصية عن آراء غيره. وأن تلامذته فى معرض بيان آراء الإمام كانوا يقومون بواجبهم بكل إخلاص تجاه شيخهم مبرزين الجوانب الجديدة والإيجابية لتعاليمه عندما يضطرون لذلك لتلائم تعاليمه ظروف الأزمان ومتطلباتها. وأفضل مثال يعكس لنا هذه القضية هو الخلاف الدائر بين الإمام الأعظم وابن أبى ليلى وموقف أبى يوسف من هذا الخلاف.

> والعامل السابع: فى رأينا هو التضلع فى فقه الأحاديث وتناولها بالحكمة فى المسائل القانونية ونعنى بذلك الاستنباط السليم للأحكام الشرعية منها. فإذا كان المحدثون يبذلون قصارى جهدهم فى حفظ وجمع الأحاديث ودراستها من نواحى صحة الأسانيد وضعفها وبيان أحوال رجال السند والمتون ومدى مطابقة المتون المروية لأصول الشرع كالقرآن وواقع الحال فإن الفقهاء كان عليهم واجب آخر وهو تصنيف الأحاديث من ناحية الأحكام وتمحيص أحاديث الأحكام عن غيرها ووضعها فى الأبواب الفقهية التى تخصها. ويقول العلامة شبلى النعمانى:

«من الأقوال والأفعال الشرعية التى تم جمعها ونقلها فى سلسلة الروايات أمور عدة ليست لها أى صلة بمنصب الرسالة، ولكنها سميت أحاديث اصطلاحا. والخطأ العظيم الذى كان يصدر عند وضع الفقه وبناء أركانه أن الناس اعتبروا تلك الأشياء أمورا شرعية فبنوا عليها المسائل والأحكام مع أنها ليست لها أية مناسبة مع مقام التشريع...» [7]

وإن عظمة الإمام كفقيه تبرز من خلال ما وهبه الله من قدرة على تمحيص واختيار أحاديث الأحكام وعدم الانشغال كثيرا بالروايات التى ليس لها أى ارتباط بالموضوعات الدينية.

وإن أساليب ومناهج هذا الفقيه الجليل فى صياغة الأحكام من شأنها أن تستفاد منها اليوم كنموذج وتجربة عملية فى سبيل تقارب وتصالح الأنظمة والثقافات القانونية.

ونحن نتطلع من خلال الاحتفال بذكرى هذه الشخصية العظيمة للتعرف على مزيد من مزايا وأسرار آرائه وتعاليمه الفقهية لنمهد بذلك طريق التواصل والتقارب بين الشرق والغرب وشعوب العالم على أمثل وجه ممكن.

٦- أبو حنيفة، حياته وعصره، للشيخ محمد أبو زهرة ٥/ ٢١٠.

٧- شبلى النعمانى، سيرة الإمام الأعظم.

الاختلاف فى ماهية العقل

٢

للأستاذ الدكتور/ السيد أحمد فرج

إن صفوة المفكرين من المتكلمين والفلاسفة لا يكادون يتفقون على ماهية العقل ووظيفته. ففى المعجم الفلسفى الصادر عن مجمع اللغة العربية جاء فى مادة «عقل»: «لا يكاد يجمع الناس على تعريف جامع لماهية العقل. فالعقل له معان متباينة تدور فيما يلى:

١. معناه بوجه عام: ما يميز به الحق من الباطل، والصواب من الخطأ.

٢. يطلق على أسمى صور العمليات الذهنية بعامة، وعلى البرهنة والاستدلال بخاصة.

٣. يراد به أيضا المبادىء اليقينية التى يلتقى عندها العقلاء جميعا. وهى: مبدأ الهوية، ومبدأ عدم التناقض، ومبدأ العلمية.

٤. والعقل لغة، وهو رأى للمعتزلة فى العقل. فالمعقول ما عقله أهل اللغة وعبروا عنه بلفظ، ووضعوا له عبارة تنبىء عن معناه، لأنه لا يجوز فى معنى عقلوه أن يخلوه من لفظة تنبىء عنه، ولابد أن يكون على حال لأنه لم يثبت الحال معقولة بمفردها، وإنما جعل الذات على الحال معقولا. فلا جرم ما من أحد من أرباب اللسان إلا وقد وضعوا للموصوف اسما وللصفة اسما، وفصلوا بين كل واحد منهما بعبارة، وذلك مقولة الشىء يعقل ثم يحد».

وهذه المعانى قريبة، بل مستمدة مما ذكره حكماء السلف فى العقل «كما ورد فى مقالنا السابق».

وهؤلاء لم يتأثروا بأقاويل الفلسفة اليونانية فى العقل، فقد قسم أرسطو مقالته فى العقل إلى عقل بالفعل، وعقل بالقوة، أحدهما فاعل والآخر منفعل، ورأى أنه لا يستغنى واحد منهما عن الآخر.

ولقد ذهب شراح أرسطو إلى تسمية العقل بالفعل عقلا فعالا، وأغدقوا عليه صفات تسمو به على عالم المادة، وتنزهه عنها.

ولقد تأثر بعض فلاسفة الإسلام المتأثرين بأرسطو فعدوا العقل الفعال فى نهاية سلسلة العقول الفلكية، وسموه العقل العاشر الذى يدبر شئون الأرض، فقال الفارابى: العقل الفعال صورة مفارقة لم تكن فى مادة ولا تكون أصلا. «رسالة فى العقل الفعال». وعده ابن سينا: حلقة الوصل بين عالم الغيب وعالم الشهادة.(١)

إن مفهوم عالم الغيب والشهادة، هو الذى يحدد معنى الوجود الإنسانى، ودور العقل فى الحياة الإنسانية التى جعل الله ـ تعالى ـ الإنسان فيها خليفة فى الأرض بعلاقات وجود كلية فيما وراء طاقة العقل «عالم الغيب» وفى مجال طاقة العقل وإدراكه «عالم الشهادة» فى الوقت نفسه. إذ جعل الله تعالى للإنسان إرادة مريدة حرة فى مهمة السعى فى إعمار الأرض بالعلم الذى هو ثمرة العقل.

لقد جعل الله تعالى العقل وسيلة الإنسان إلى علم عالمى الغيب والشهادة، وبواسطته يتصل الإنسان بعالم الغيب بالإيمان بالكليات الإلهية وأوامرها ونواهيها، والإيمان بالقضاء والقدر، وفيما جاء به الوحى عن طريق رسالات الأنبياء، ثم بالاهتمام بأعمال الفكر والسعى فى تقدم عالم الشهادة، وبحث الكون بواسطة العقل.

وفى الفلسفة الغربية الحديثة أخذ فلاسفة الغرب يهتمون بالعقل ـ خاصة منذ ديكارت فى القرن السابع عشر، فقد رأى ديكارت أن العالم ينقسم إلى نوعين من الجواهر «الموجود بذاته» وهى جواهر عقلية، وجواهر مادية. وقد استمد ديكارت هذه الفكرة من مقولة أرسطو من أن ماهية العقل هى الوعى أو الفكر، وأن ماهية الجسد الامتداد ورأى ديكارت تلازم الوعى والجسد، إذ إن ماهية العقل: الوعى الذى إذا فقده الجسد افتقد وجوده، لأن البشر كائنات واعية ينعدم وجودها إذا فقدت حالة الوعى. وهو ما لخصه فى مقولته الشهيرة أنا أفكر، إذن أنا موجود.

كان ديكارت قد لجأ إلى هذه الفكرة على أساس أنها ميثاق تصالح بين العلماء الطبيعيين، والعلماء الدينيين، فقد طغت الاكتشافات العلمية والمخترعات على حياة الأوربيين حتى ظنوا أن الإنسان يستطيع أن يستغنى بعقله، ويصنع صيرورته دون ما حاجة إلى الدين، فأراد ديكارت أن يقصر العالم المادى على العلماء الطبيعيين،

(١) راجع المعجم الفلسفى ص١٢٠، إصدار مجمع اللغة العربية، القاهرة، المطابع الأميرية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، وراجع أيضا القاضى عبدالجبار: شرح الأصول الخمسة ص٢٦٦.

والعالم العقلي على اللاهوتيين.[٢]

ولقد طور (كانط Kant) فكرة ديكارت في العقل الذي حصره في العالم العقلي اللاهوتي فيما رآه من ثنائية العقل النظري الذي يختص بالإدراك والمعرفة. والعقل العملي الذي يختص بالأخلاق والسلوك. إذ كانت فكرتا اللاهوتي - والعلماني تسيطران على التفكير الغربي.

والعقل النظري الخالص كما صوره كانط خالص من أن تشوبه تجربة أو أي شيء حسي، فهو يقصد بالعقل النظري الخالص: نشأة المبادئ والمعارف التي لا تستمد من تجربة، وإنما تصدر عن العقل. فهو إذن علم الفهم الخالص والعقل الخالص الذي يتيح للعقل بأن يفكر في الموضوعات تفكيرا قبليا بحتا. إذ إن العقل الخالص يسعى إلى المعرفة مستقلا عن كل تجربة عملية.[٣]

ويؤكد كانط أن الإنسان العاقل لا يستطيع أن يتعرف على الأشياء في ذاتها، قال كانط: أقول إننا لا نستطيع مع ذلك أن نتوصل إلا إلى معرفة الظواهر[٤] أي ظواهر الأشياء.

أما العقل العملي الذي اختصه ديكارت بكل ما هو لاهوتي وأخلاقي، وهو ما أطلق عليه كانط: المبدأ الأعلى للأخلاق، ورآه مستكن في العقل إذ إن العقل «يحتوي على الأساس الذي ينبني عليه العالم المحسوس، كما تبنى عليه تبعا لذلك قوانينه»[٥] إذ إن كل معرفة داخلة في إطار الزمان والمكان مقيدة بحدود التجربة، ومن ثم كان العقل العملي يكمل ما عجز عنه العقل النظري[٦].

ومع أن رأي كل من ديكارت في العالم المادي، والعالم العقلي، وكانط في العقل الخالص والعقل العملي سادت زمنا طويلا، استمر لأطول من قرنين، فإن علماء الغرب في نهاية القرن العشرين، وأوائل القرن الحادي والعشرين، يقولون بأن العقل أو الظواهر العقلية جزء من العالم الطبيعي، ومن ثم فهي تصور العقل بجميع مظاهره مثل: الوعي والقصدية، والإرادة الحرة والسببية العقلية والإدراك بالعقل العضوي، على أساس أن الظواهر العقلية جزء من الطبيعة فقط، وأن الآلية التفسيرية التي تفسر الظواهر العقلية، هي الآلية التي تفسر الطبيعة بعامة تفسيرا حيويا (بيولوجيا) وبذلك خلصوا إلى أن الظواهر العقلية ظواهر حيوية بحتة تنتجها عمليات بيولوجية، ورأوا أن ذلك لا يضاد تمايز العقول الفردية التي تشكلها الثقافة العامة في المجتمع؛ والثقافة الخاصة في الفرد، لأن الثقافة لا تضاد

(٢) راجع جون سيرل: العقل: مدخل موجز، ترجمة ميشيل حنا ميتاس، ص١٦، ٩٧، عالم المعرفة رقم ٣٤٣، الكويت: شعبان ١٤٢٨هـ - سبتمبر ٢٠٠٧م.

(٣) راجع تعليق د. عبدالغفار مكاوي رقم ٣، ص٣ - ٥ على تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق لكانط.

(٤) إمانويل كانط: تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق ص١١٢، ترجمه وقدم له وعلق عليه د. عبدالغفار مكاوي وراجع الترجمة د. عبدالرحمن بدوي، القاهرة: الدار القومية، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

(٥) كانط: تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، ص١١٧.

(٦) تعليق د. مكاوي رقم ٨٠، ص٤٠٦ على كتاب كانط: تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق.

العلم الحيوي - البيولوجي، فالثقافة هي الشكل الذي تكتسبه (البيولوجيا) في الجماعات المختلفة، وقد تختلف ثقافة ما عن ثقافة أخرى، ولكنها في كل الأحوال لا تتجاوز الحدود المشتركة للجنس الإنساني، ولا تهبط عنه.

وبذلك يرى أصحاب هذا الرأي أنه لا يوجد عالمان عالم مادي، وعالم عقلي، بل يوجد عالم واحد، والإنسان في حاجة ملحة دائمة تفرض عليه أن يعرف كيف وجد فيه، وكيف يتعامل معه[٧].

وهكذا نقض بعض علماء الغرب ثنائية العقل عند كل من ديكارت وكانط، ولكنهم - مع ذلك - لم يقتربوا من حد العقل، كما هو عند مفكري الإسلام.

وهذه الثنائية التي فرق بها كل من ديكارت وكانط حد العقل، وبها جعل كانط العقل عقلين: عقل خالص، وعقل عملي لم يقع فيها علماء الإسلام كما بين وفصل أبو حامد الغزالي من أن العقل واحد، ولكن له حدود أربعة، اثنان منهما بالطبع وهما حالة العقل النظري - واثنان منهما بالاكتساب، وهما حالة استخدام العقل للتجربة في العالم المحسوس - عالم الاجتماع والافتراق والامتداد.

العقل يعين على التجريد، ويدرك الكلي والجزئي، وهو وسيلة المعرفة، ويدرك به الإنسان ما لا يدرك بالحواس فهو أول أدلة الاستدلال على وجود الله - تعالى - والنظر في الكون عند المعتزلة وواحد من أهم الأدلة عند غيرهم من مفكري الإسلام. وإن كانت الحواس أدوات تخدم وظيفة العقل في معرفة كنه الأشياء، وإدراك ماهيتها، والقدرة على التخيل والتصرف في المتخيلات والمجردات[٨]، وهذا مختص بالعقل الفطري، ومن صفاته اليقين والشك والتوهم وطلب الأسباب، والتفكر في جلب المنافع ودفع المضار، وهذا مختص بحالتي العقل المكتسب (راجع مقالنا السابق).

ولقد اهتم مفكرو الإسلام من متكلمين وفلاسفة بالعقل، وكانوا على حذر من الوقوع في ثنائيات العقل الغربي، كما أنهم آثروا أن يكون الفهم العقلي في خدمة عقيدة التوحيد، وأن يتضمن عالمي الغيب والشهادة، لأن مفهومهما هو الإطار الأشمل الذي يحدد معنى الوجود الإنساني، الذي تميز بالعقل عن سائر المخلوقات، ذلك أن العقل هو الذي حدد دور الإنسان في الكون، وأهله للخلافة في الأرض.



(٧) راجع جون سيرل: العقل (مرجع سابق: ٢٣٣ - ٢٣٥).

(٨) راجع أحمد شاه ولي الله الدهلوي: حجة الله البالغة ٢/٨٨-٨٩، دار التراث، القاهرة ١٩٧٨م.

طرائف.. ومواقف

للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

من فضائل بيت المقدس

بشرفية زكريا بيحيى، ومريم باصطفائها على نساء العالمين. وبحملها بسيدنا عيسى -عليه السلام- وولادته، وإنبات نخلتها، وحملها بالرطب، وإسراء رسول الله -ﷺ- إليه وصلاته فيه إماما بالأنبياء، وغفران ذنوب من يصلي فيه أو من تصدق فيه، ومضاعفة الصلاة فيه بخمسمائة في غيره، ووجود الصخرة فيه وهي قبلة الأنبياء من لدن آدم- عليه السلام.

فضل البيان

قال حكيم: فضل الإنسان على الحيوان بالبيان، فإذا نطق ولم يفصح عاد بهيما .

وقيل: ما لعي مروءة، ولا لمنقوص البيان بهاء، ولوحك يا فوخه في عنان السماء.

وقالوا: العي داء دواؤه الخرس.

وروى: أنه تكلم رجل في حضرة معاوية بن أبي سفيان وكان ذا عي، فقال عمرو بن العاص وكان حاضرا: سكوت الألكن نعمة. وقال معاوية: وكلام الأحمق نقمة.

وقالوا: البيان بصر والعي عمى، والبيان من نتاج العلم، والعي من نتاج الجهل.

ويحكى أن رجلا وكان داهية جريئا قام إلى محمد بن الزيات وزير المعتصم فقال له: إني مظلومك!

فقال الوزير: هذا الكلام يحتاج إلى شهود وبينة، وأشياء غير ذلك. فقال الرجل: أصلحك الله: الشهود هم البينة، والبينة هم الشهود، وأشياء غير ذلك حصر وعي وزيادة هي نقص في القيام بحجتك أيها الوزير!

فضحك ابن الزيات منه وكشف ظلامته.

طيب الرزق

أخذ أحد أصحاب عمر بن عبدالعزيز يردد في مجلسه قول الله -تعالى-

﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (طه:٨١)

بقصد حمل عمر على الإقبال على ما لذ وطاب من الطعام.

فقال عمر: هيهات لقد ذهبت به إلى غير مذهبه، إنما يريد به طيب الكسب، وليس طيب الطعام.

البلاغة في الاستجداء

كتب أبوالعيناء المشهور بالأدب والأجوبة المسكتة في القرن الثالث إلى أبي الوليد يستجديه: «مسنا وأهلنا الضر، وبضاعتنا الود والشكر، فإن لم تعطنا فلسنا ممن يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا، وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون».

وأبوالعيناء سئل عنه محمد بن مكرم فقال: من زعم أن عبدالحميد أكتب من أبي العيناء إذا أحسن بكرم، أو شرع في طمع فقد ظلم.

فضيلة الحلم

قال رجل للأحنف بن قيس: علمني الحلم يا أبا بحر.

قال: هو الذل يا ابن أخي أفتصبر عليه؟

تقول: يريد بقوله هو الذل أنه كبح للنفس عن مقابلة الجهل بالجهل، فإن النفس تميل لذلك، ولكنه يردعها عنه فكأنه يذلها.

وقال الأحنف نفسه أيضا: آفة الحلم، الذل. وقال: لا حلم لمن لاسفيه له.

وأحسن بيت فيما يناسب هذا المقام لكعب بن زهير:

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنى
أصبت حليما أو أصابك جاهل

الحطيئة

قدم الحطيئة الشاعر المشهور بالهجاء إلى عنيسة فقال: أعطني؟! فانصرف عنه وخرج الحطيئة مغضبا. فلام عنيسة بعض أصحابه وحذروه من مغبة رده.

فأرسل وراءه من رده إليه وقال له: لقد كتمتنا نفسك كأنك الحطيئة؟! قال هو ذلك، وأجلسه، ثم أمر وكيله أن يمضي به إلى السوق ويشترى له كل ما يشير

إليه مهما غلا ثمنه. فكان يتخير غليظ الديباج وما إليه حتى استوفى حاجته وأمسك.

فقال له وكيله: زد ما شئت فقد أمرني عنبسة أن أبسط يدي بالنفقة. فقال: لا حاجة لي بغير هذا. ولم تمض أيام حتى بلغ عنبسة أنه قال فيه:

سئلت فلم تبخل ولم تعط طائلا
فسيان لاذم عليك ولا حمد
وأنت امرؤ لا الجود منك سجية
فتعطي وقد يعدى على النائل الوغد

أقل من القليل

وكل لذاذة ستمل إلا
محادثة الرجال ذوي العقول
وقد كنا نعدهم قليلا
فقد صاروا أقل من القليل

هين.. وعزيز

مد الإمام الشعبي يده، وكان على مائدة قتيبة بن مسلم الباهلي يلتمس الشراب، فلم يدر الساقي ما يطلبه؟ العسل أم اللبن!! فقال له: أي الأشربة أحب إليك، فقال: أعزها مفقوداً وأهونها موجوداً!

فقال قتيبة: اسقه ماءً.

أعز الخلق

ينسب إلى سفيان الثوري قوله: أعز الخلق خمسة أنفس: عالم زاهد، وفقيه صوفي، وغني متواضع، وفقيه شاكر، وشريف سني.

مناجاة

قال ابن القيم يناجي ربه:

يا من ألوذ به فيما أؤمله
ومن أعوذ به مما أحاذره
لا يجبر الناس عظماً أنت كاسره
ولا يهيضون عظما أنت جابره!

دعاء

اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك ﷺ.

***

الأدب مع النفس
التحلي بالحياء.. والحلم.. والصفح

لفضيلة الشيخ / فوزي الزفزاف
عضو مجمع البحوث الإسلامية

الإسلام ـ كسائر الرسالات السماوية ـ يعتمد في إصلاحه العام للمجتمع البشري على تهذيب النفس الإنسانية، وإصلاح شأنها، وتقويم إعوجاجها قبل كل شيء، فهو يكرس جهوداً ضخمة للتغلغل في أعماقها، وغرس تعاليمه وفضائله في جوهرها حتى تصير جزءاً منها، تعصمه من الدنايا، وتدفعه إلى المكرمات.. ومن ثم فإن الله ـ تعالى ـ عندما يدعو عباده إلى خير أو ينفرهم من شر.. يجعل ذلك مقتضى الإيمان المستقر في قلوبهم، المسيطر على سلوكهم، المتحكم في أفعالهم.. وما أكثر ما يقول ـ سبحانه ـ في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (الأنفال: ٢٧)

ثم يذكر ـ بعد ـ ما يكلفهم به:

﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٩)

ولذلك حرص الإسلام على أن يلتزم الإنسان بالتحلي بصفات حسنة، إن وجدت فيه كانت علامات مضيئة تؤكد على أدب الإنسان مع نفسه، من هذه الصفات:

التحلي بالحياء

فالحياء من الصفات عظيمة القدر والمنزلة التي اهتم الدين الإسلامي ببيان فضلها وعلو مكانتها، وشرح قدرها ومنزلتها، وحث المسلمين على التحلي بها، لأنها تضفي على صاحبها كمالا، وتكسبه احتراماً، وتحميه من فعل النقائص، وتمنعه من ارتكاب الرذائل، وتصونه من اللمم.

والحياء خُلق يبعث على ترك القبح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق، وهو تغيير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يُعاب به، وهو ملكة راسخة في النفس توزعها «تدفعها» على إيفاء الحقوق، وترك القطيعة والعقوق.

ويكفي الحياء شرفاً وقدراً أنه صفة من صفات المولى ـ عز وجل ـ فعن سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه يدعوه أن يردهما صفراً ليس فيهما شيء»[١].

وقد وصى الإسلام تبيه بالحياء، وجعل هذا الخلق السامي أبرز ما يتميز به الإسلام من فضائل، فعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل دين خلقاً وخلق الإسلام الحياء»[٢]، بل إن رسول الله ﷺ ربط الحياء بالإيمان، وجعلهما متلازمين، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر، فعن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «الحياء والإيمان قرنا جميعاً، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر»[٣].

يقول شيخنا المرحوم فضيلة الشيخ محمد الغزالي[٤]:

وعلة ذلك أن المرء حينما يفقد حياءه يتدرج من سيئ إلى أسوأ، ويهبط من رذيلة إلى أرذل، ولايزال يهوي حتى ينحدر إلى الدرك الأسفل، وقد روى عن رسول الله ﷺ حديث يكشف عن مراحل هذا السقوط الذي يبتدئ بضياع الحياء وينتهي بشر العواقب:



الغزالي

«إن الله إذا أراد أن يهلك عبداً نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا مقيتاً ممقتاً، فإذا لم تلقه إلا مقيتاً ممقتاً نزعت منه الأمانة، فإذا نزعت منه الأمانة لم تلقه إلا خائناً مخوناً، فإذا لم تلقه إلا خائناً مخوناً نزعت منه الرحمة، فإذا نزعت منه الرحمة لم تلقه إلا رجيماً ملعناً، فإذا لم تلقه إلا رجيماً ملعناً نزعت منه ربقة الإسلام»[٥].

وهذا ترتيب دقيق في وصفه لأمراض النفوس، وتتبعه لأطوارها، وكيف تسلم كل مرحلة خبيثة إلى أخرى أشد نكراً، فإن الرجل إذا مزق الحجاب عن وجهه، ولم يتهيب على عمله حساباً، ولم يخش في سلوكه لومة لائم، مد يد الأذى للناس، وطغى على كل من يقع في سلطانه، ومثل هذا الشخص الشرس لن يجد قلباً يعطف عليه، بل إنه يغرس الضغائن في القلوب ويتميها.

وأي حب لامرئ جرئ على الله وعلى الناس لا يرده عن الآثام الحياء!

فإذا صار الشخص بهذه الثابة لم يؤتمن على

(١)- الترمذي وأبوداود (٢)- مالك (٣)- الحاكم

(٤)- كتاب «خلق المسلم» ص١٥٩ (٥)- ابن ماجة

شئ قط، إذ كيف يؤتمن عل أموال لا يخجل من أكلها، أو على أعراض لا يستحي من فضحها، أو على موعد لا يهمه أن يخلفه، أو على واجب لا يبالي أن يفرط فيه، أو على بضاعة لايتنزه عن الغش فيها!!

فإذا فقد الشخص حياءه، وفقد أمانته أصبح وحشاً كاسراً ينطلق معربداً وراء شهواته، ويدوس في سبيلها أزكى العواطف، فهو يغتال أموال الفقراء غير شاعر نحوهم برقة، وينظر إلى آلام المنكوبين والمستضعفين فلا يهزه فؤاده بشفقة.. إن أثرته الجامحة وضعت على عينيه غشاوة مظلمة، فهو لا يعرف إلا ما يغويه ويغريه بالمزيد من إشباع شهواته، ويوم يبلغ امرؤ هذا الحضيض فقد أفلت من قيود الدين، وانخلع من ربقة الإسلام.

قال عمر ـ رضي الله عنه ـ من قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه.

وقد حث رسول الله ﷺ المسلمين بصيغة الأمر على أن يتحلوا بصفة الحياء، فعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «استحيوا من الله حق الحياء» قال: قلنا يا رسول الله إنا نستحي من الله والحمد لله قال: «ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء: أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، وآثر الآخرة على الأولى، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء»[٦].

وهكذا يرشدنا المصطفى ـ ﷺ ـ إلى الالتزام بصفة الحياء، ويدلنا إلى الأعمال التي من يلتزم بفعلها، ويقوم بأدائها فقد اتصف بصفة الحياء.

وللحياء[٧] مواضع كثيرة متعددة يستحب أن يظهر فيها، وأن يتزين الإنسان بالتحلي بصفة الحياء فيها.. فالحياء في الكلام يتطلب من المسلم أن يطهر فمه من الفحش، وأن ينزه لسانه من العيب، وأن يخجل من ذكر العورات والخوض في الأعراض، فإن من سوء الأدب أن تفلت الألفاظ البذيئة من المرء غير عابئ بمواقعها، وغير مكترث بآثارها، قال رسول الله ﷺ: «الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة، والبذاءة من الجفاء والجفاء في النار»[٨].

ومن الحياء في الكلام أن يقتصد المسلم في حديثه بالمجالس، فلا يستحوذ على الحديث كله، ولا يستأثر بالكلام وحده، فإن بعض الناس لا يستحيون من امتلاك ناصية الحديث في المحافل الجامعة، ولا يعطون الفرصة لغيرهم في الكلام، فيملئون القلوب بالضجر من طول ما يتحدثون، ويصاب الجميع بالملل والسأم من كثرة ما يتكلمون، وقد كره الإسلام هذا الصنف من الناس، قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «من تعلم صرف الكلام ليسبي به قلوب الرجال لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً»[٩].

ومن الحياء أن يخجل الإنسان من أن يؤثر

(٦)- الترمذي (٧)- كتاب «روح وريحان» - الكاتب الفلال ج٣ ص٣١

(٨)- الترمذي (٩)- أبوداود

عنه سوء، أو تُشاع عنه نقيصة، أو تنقل عنه رذيلة.. وأن يحرص على بقاء سمعته نقية من الشوائب خالصة من النقائص، فلا عجب إذن أن يكون من الأدب مع النفس أن يتحلى الإنسان بالحياء.

التحلي بالحلم والصفح

قديماً قال الحكماء: الحلم سيد الأخلاق، حقاً ما قالوا، وصدقاً ما نطقوا، فقد عرفوا قدر الحلم ومنزلته فسودوه على الأخلاق جميعها بما تشمل من فضائل ومكارم، وجعلوه ذروتها وقمتها.

وقد استحق الحلم هذه السيادة لأن صاحبه استطاع أن يكبح شطط غضبه، ويتحكم في اندفاع غيظه، وهذا منتهى القوة والشدة، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله -ﷺ-: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[10]، وبذلك حقق الحليم المحافظة على سلامة العشرة، وعلى بقاء صلة المودة، وعلى استقطاب عدوه وتوجيه سلوكه مستقبلاً إلى فعل الخير.

والحلم والصفح من صفات عظماء الرجال، إذ لا يقدر على التحلي بتلك الصفة الكريمة إلا من تعالى على الصغائر، وتسامى في آفاق الكمال، فاتسع صدره، وتعالت هامته، وتغاضى عن هفوات وزلات غيره، والتمس المبررات لأخطائهم وأغلاطهم، فإذا واجه اعتداء سفيه بالقول أو الفعل نظر إليه من قمته العالية نظرة الكبير إلى الصغير، كما ينظر الحكيم إلى أطفال يعبثون في الطريق وربما يرمونه بالحجارة، وتعامل مع هذا السفيه كما يتعامل الطبيب مع المريض.

وإذا كان التحلي بصفة الحلم أمر مطلوب للإنسان على وجه عام، لأن الحلم يرفع من شأن صاحبه، ويعلي منزلته، ويجعله سيداً في قومه، محبوبا في مجتمعه، ويعمل على انتشار الحب في المجتمع، ويعمم حسن المعاملة بين الناس، فإن الرسل والأنبياء - عليهم جميعا الصلاة والسلام - كانوا قدوة حسنة، ومثالا طيبا، ونموذجا يحتذى في التحلي بصفة الحلم، وكانت تلك الصفة بالنسبة لهم عاملا أساسياً من عوامل نجاح مهمتهم في أداء رسالتهم التي كلفهم الله - عز وجل - بها.

وكان رسول الله ﷺ - نموذجا فريداً، ومثلا طيبا، وقدوة حسنة في التحلي بالحلم والصفح، وقد أراد عليه الصلاة والسلام أن يُعلّم أصحابه هذا الدرس في الأناة وضبط النفس، فروى أن أعرابياً جاءه يطلب منه شيئا، فأعطاه الرسول ﷺ، ثم قال له: أحسنتُ إليك؟ قال الأعرابي: لا، ولا أجملت!! فغضب المسلمون وقاموا إليه، فأشار ﷺ اليهم أن كفوا، ثم قام ودخل منزله، وأرسل إليه وزاده شيئا، ثم قال له: أحسنت إليك؟ قال: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً، فقال له الرسول: إنك قلت ما قلت آنفاً، وفي نفس أصحابي من ذلك شيء، فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلتَ بين يديّ حتى يذهب ما في صدورهم عليك، فقال الأعرابي: نعم، فلما كان الغد جاء، فقال النبي ﷺ لأصحابه: إن هذا

[10]- البخاري ومسلم

الأعرابي قال ما قال فزدناه، فزعم أنه رضي، أكذلك؟ - موجها حديثه إلى الأعرابي - قال: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً، فقال رسول الله ﷺ: «مثلي ومثل هذا كمثل رجل له ناقة شردت عليه، فاتبعها الناس - جروا خلفها - فلم يزيدوها إلا نفوراً، فناداهم صاحبها فقال لهم: خلوا بيني وبين ناقتي، فإني أرفق بها منكم وأعلم، فتوجه لها بين يديها فأخذ من قمام الأرض، فردها حتى جاءت واستناخت، وشد عليها رحلها، واستوى عليها، وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال، فقتلتموه دخل النار»[11].

إن الرسول الحليم لم تأخذه الدهشة لكنود الأعرابي أول الأمر، ولم يغضب من رده الذي فيه غلظه وجفوة، بل عرف فيه طبيعة صنف من الناس مرد على الجفوة في التعبير، والإسراع بالشر، ومثال هؤلاء لو عوجلوا بالعقوبة لقضت عليهم - ولما كانت ظلما - ولكن في الوقت نفسه لن يسلم من عاجلوا بالعقوبة بعد ذلك من النقد والتجريح والذم، وقد تتفاقم الأمور وتتداخل فيها العصبيات والقبليات، وتسفك بسبب ذلك الدماء، وتزهق الأرواح، ويخرب العمار.

لكن المصلحين العظماء لا ينتهون بمصاير العامة الى هذا الختام الأليم، إنهم يفيضون من أناتهم وحلمهم على ذوي النزق حتى يلجئوهم الى الخير، ويطلقوا ألسنتهم تلهج بالثناء[12].

لقد اختص الله - عز وجل - بعض الفضائل فأجزل لصاحبها الجزاء والثواب، ترغيبا للناس على فعلها، وحثا لهم على التمسك بها، والعمل على انتشارها لما لها من خير عظيم يعم أثره على صاحبها وعلى المجتمع.. ومن هذه الفضائل الحلم والصفح، فللحليم جزاء عند الله لا يناله إلا من أنعم الله عليه بالتحلي بتلك الصفة الكريمة.

روى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد: أين أهل الفضل؟ قال: فيقوم الناس - وهم يسير - فينطلقون سراعا الى الجنة، فتتلقاهم الملائكة فيقولون: إنا نراكم سراعا إلى الجنة، فمن أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الفضل، فيقولون: وما فضلكم؟ فيقولون: كنا إذا ظُلمنا صبرنا، وإذا أسيء إلينا حلمنا، فيقال لهم: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين»[13].

ويكفي الحلم فضلا وشرفا، وقدراً ورفعة، أن الله - جل وعلا - تسمى به، فهو اسم من أسماء الله الحسنى، وأنه من أسماء الله التي يلجأ الانسان عند نزول الكرب بالدعاء به لرفعه، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: كان النبي ﷺ عند الكرب يقول: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش العظيم»[14].

فلا عجب إذن أن يكون من الأدب مع النفس أن يتحلى الإنسان بالحلم والصفح.

(11) الشفاء للقاضي عياض.
(12) كتاب خلق المسلم للشيخ محمد الغزالي صـ104-105.
(13) الأصبهاني.
(14) صحيح البخاري.

الشيخ محمد سيد طنطاوى

حامل لواء التسامح والاعتدال والاجتهاد

عرض وتقديم الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوى

عضو المجلس الإسلامى الأعلى. تونس

رحم الله الدكتور الشيخ محمد سيد طنطاوى شيخ الجامع الأزهر الذى وافته المنية فى الأيام القريبة الماضية وهو فى طريق عودته إلى مصر بعد حضوره فعاليات احتفالية جائزة الملك فيصل العالمية فى العاصمة السعودية الرياض فكتب الله له أن يوارى جثمانه بالمدينة المنورة فى مقبرة البقيع المباركة التى يتوق المؤمنون أن يجاوروا فيها أمهات المؤمنين وآل بيت رسول الله ﷺ الطاهرين وأصحابه الكرام ومن تبعهم من سلف الأمة الصالحين ومن جاء بعدهم ممن بشرهم رسول الله ﷺ بأنهم سيكونون أول من تنشق عليهم الأرض فيكونون بإذن الله من أهل شفاعة سيد الأولين والآخرين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.. ندعو الله أن يكون ذلك مما من به الله على الشيخ محمد سيد طنطاوى رحمه الله وأجزل مثوبته وتقبله وتقبلنا بواسع عفوه ومغفرته إنه سبحانه وتعالى سميع مجيب.

واليوم والرجل وقد أفضى إلى ربه فإننا مأمورون بأن نذكره بخير، ولن نعدم فى حياة الشيخ محمد سيد طنطاوى المديدة وجود الخير الكثير. لقد اجتهد الشيخ محمد سيد طنطاوى رحمه الله وأصاب فى الكثير من اجتهاداته وجانب الصواب فى العديد من القضايا وهو فيما أخطأ فيه لن يعدم بإذن الله الأجر والثواب (ومن اجتهد ولم يصب فله أجر واحد).

تدرج الشيخ محمد سيد طنطاوى رحمه الله فى الأزهر من التلمذ فى معاهده وكلياته إلى أن تخرج فيه بأرفع شهاداته العلمية العليا (العالمية والدكتوراه) ومارس التدريس فى كلية أصول الدين وتولى عمادتها، وعمادة كلية الدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وعمل فى الجامعة الليبية، ثم أسندت إليه خطة الإفتاء التى انتقل منها إلى مشيخة الأزهر التى حمل بها صفة الإمام الأكبر وقد تميز فى توليه لهاتين الخطتين (الإفتاء ومشيخة الأزهر) بجرأة غير معهودة لدى من سبقوه فى هذين المركزين الدينيين المهمين فخاض -رحمه الله- العديد من المعارك العلمية والدينية التى أعلن فيها آراءه الاجتهادية فى القضايا الدينية العويصة بكل جرأة وصراحة، ولم يكن رحمه الله يهاب ردود الفعل التى تطلقها عديد الأطراف التى لم تكن دائما موضوعية وعلمية متجردة، ولكن الشيخ محمد سيد طنطاوى -رحمه الله- كان يمضى فى رأيه إلى آخر مداه فالرجل صاحب مواقف ولم يكن يحرجه أن يقل من يشاطره الرأى فيما ينتهى إليه ويصدع به فى قضايا عدة مثل موقفه من المعاملات المصرفية، وموقفه من مسألة معركة الحجاب التى أثيرت فى فرنسا فى السنوات الماضية، ومسألة المنقبات فى المعاهد والكليات الأزهرية، وغيرها من القضايا التى تطفو على الساحة المصرية والعربية والعالمية وكان للإعلام ورجاله الدور البارز فى إثارتها والذى وصل إلى حد التصادم مع الشيخ محمد سيد طنطاوى -رحمه الله.

لقد تميز الشيخ محمد سيد طنطاوى بالجرأة والصراحة كما تميز بالالتزام الكلى والكامل الدينى والوطنى، وكان مقدرا شديد التقدير لمسئوليته وأهمية موقعه العلمى والدينى وتأثيره الكبير على الرأى العام ليس فقط فى مصر ولكن في شتى بقاع العالم الإسلامي فضلا عن تعاظم دور الأزهر من خلال ترحال علمائه فى المواسم الدينية ومشاركتهم فيما يعقد من مؤتمرات وندوات وملتقيات كان الأزهر وشيخه حاضرين بارزين فيها، وكذلك من خلال حرص البلدان الإسلامية على إرسال العديد من أبنائها إلى الأزهر ليتخرجوا فيه ويعودوا من هناك ليتبوأوا أرفع المسئوليات العلمية والدينية فى بلدانهم فى مختلف قارات المعمورة.

لقد حرص الشيخ محمد سيد طنطاوى رحمه الله على أن ينأى بالأزهر من الانزلاق فى متاهات الاختلافات الدينية التى لو انساق إليها الأزهر وشيوخه لعمت الفتنة ولنشبت صراعات طائفية ما كان يمكن لمصر مهد الأزهر أن تبقى معها على وحدتها الوطنية والترابية، وكان الشيخ محمد سيد طنطاوى -رحمه الله- دائما أول المنددين الواقفين فى وجه مثيرى الفتنة الطائفية، وكان الجميع يحمد للشيخ محمد سيد طنطاوى -رحمه الله- هذا الشعور بالمسئولية أمام الله وأمام الأمة وأمام التاريخ.

ولم يكن فضيلة الشيخ محمد سيد طنطاوى -رحمه الله- ذلك الشيخ القابع فى مكتبه المتحاشى للاختلاط بالناس المتخوف من الأضواء، فعلى العكس من ذلك، فإن الشيخ محمد سيد طنطاوى كانت لا تهدأ له حركة ولا يغيب عن مجمع أو لقاء، لقد كان إلى آخر يوم يتصدر المجالس ويحرص على تناول الكلمة وإلقاء البيان المسهب الذى يشد إليه الحضور بما يجرى على لسانه من آيات الكتاب العزيز الذى كان الشيخ يحفظه عن ظهر قلب وينزله حسب ما يقتضيه المقام..

وكيف لا والشيخ محمد سيد طنطاوى له عديد المؤلفات فى علوم القرآن لاسيما فى تفسير معانيه وبيان مغازيه ومقاصده ومراميه.

كان الشيخ محمد سيد طنطاوى مناظرا يسارع إلى إصدار البيانات وكتابة الدراسات لاسيما فى مجال الرد على الشبهات والافتراءات التى تلصق بالإسلام صفات التعصب والتزمت والتطرف والإرهاب فكان الشيخ محمد سيد طنطاوى حامل لواء التسامح والوسطية والاعتدال والاجتهاد والتجديد والتعايش والحوار بين الديانات والثقافات والحضارات، وقد نشط خطة للحوار الإسلامى المسيحى بالتعاون مع الفاتيكان.

وكان الشيخ محمد سيد طنطاوى ـ رحمه الله ـ يستجيب للدعوات التى يوجهها إليه قادة الدول العربية والإسلامية سواء كان ذلك للمشاركة فى المؤتمرات والندوات أو كان ذلك لإلقاء المحاضرات فى المناسبات والمواسم الدينية، من ذلك أنه ضيف دائم على الدروس الحسنية التى تقام بمناسبة شهر رمضان المبارك فى المملكة المغربية وكان درسه هو الدرس الثانى الذى يلقى فى هذه الدروس بعد درس وزير الأوقاف والشئون الإسلامية فى المملكة المغربية.

وأذكر أنه فى التسعينيات من القرن الماضى تشرفت تونس باستضافة الشيخ محمد سيد طنطاوى بدعوة كريمة من سيادة الرئيس زين العابدين بن على وذلك لإلقاء مسامرة رمضانية استجاب لها الشيخ محمد سيد طنطاوى بكل سرور وتلقائية رغم كثرة التزاماته فى الشهر المبارك فى مصر وخارجها. وقد شهد هذه المسامرة فى الدار القديمة للتجمع الدستورى الديمقراطى بشارع ٩ أبريل جمهور كبير من مختلف الفئات ضاقت بهم القاعة الفسيحة وتزاحموا فى مداخل الدار ليسمعوا وليروا من قرب شيخ الأزهر الإمام الأكبر وهو يزور تونس لأول مرة زيارة رسمية مدعوا من أرفع مستوى فى الدولة فى إشارات ومغاز معبرة على أن تونس العهد الجديد هى فى مصالحة حقيقية وفعلية مع دينها وهويتها العربية الإسلامية الأمر الذى لم يتأخر الشيخ محمد سيد طنطاوى عن تسجيله بكل امتنان وإكبار.

وقد جمعنا به قبل المحاضرة الدكتور حامد القروى نائب رئيس التجمع والوزير الأول السابق فى مأدبة إفطار حضرها الأمين العام للتجمع ووزير الشئون الدينية ومفتى الجمهورية ورئيس المجلس الإسلامى وكاتب هذه الكلمة وكانت جلسة لطيفة مليئة بالعطاء المفيد والجديد ولم تكن هذه هى الزيارة الأولى التى يؤديها الشيخ محمد سيد طنطاوى ـ رحمه الله ـ لتونس فقد سبق له أن شارك بصحبة الشيخ عبد المنعم النمر ـ رحمه الله ـ فى ندوة عقدت بتونس نظمها المجلس الإسلامى الأعلى الذى كان فضيلة الشيخ محمد المختار السلامى المفتى الأسبق، وكان موضوع هذه الندوة حول قداسة الحرمين وكانت بتعاون مع وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية والدعوة والإرشاد

بالمملكة العربية السعودية.

كان الشيخ محمد سيد طنطاوى ـ رحمه الله ـ آنذاك يتقلد خطة مفتى جمهورية مصر العربية وكان فى بداية الظهور فكانت الفرصة مواتية للاقتراب منه أكثر فكان رحمه الله تلقائيا عفويا يألف ويؤلف، وكان حريصا على التعرف على عطاءات هذه البلاد العلمية والثقافية والدينية وكان شديد الرغبة فى التواصل مع علمائنا وشيوخنا.

ومرت السنوات وازداد إشعاع الشيخ محمد سيد طنطاوى وتكثف حضوره وازدحم جدول أوقاته وازداد رسمية وبروتكولية ـ أظن أنهما من طبعه وسجيته ـ فالرجل صاحب نكتة وأدب ولكنه الموقع الكبير الذى يحتله وظللت أرقبه من بعد وأتابع مسيرته وأشفق عليه وعلى صحته وحتى على سلامته فالزمن صعب والشيخ شديد الصراحة فى إبداء مواقفه لا يخشى فيها لومة لائم ولا يعبأ بما يمكن أن يناله من أذى وتصرف طائش ولكن الله سلمه فلاقى ربه وهو عائد من عمل علمى يستعد لامتطاء الطائرة التى تنطلق فى رحلتها الليلية من الرياض لتصل إلى القاهرة مع بداية النهار ليذهب الشيخ كما كان يحب إلى مكتبه فى مشيخة الأزهر لا يضيع فى خدمته ولو يوما واحدا ولكن مشيئة الله والأجل المحتوم حال دون ذلك فأفضى إلى ربه راضيا مرضيا.

استمعت إليه ـ رحمه الله ـ وصليت وراءه وهو يلقى خطبة الجمعة على منبر جامع الأزهر واستمعت إليه فى افتتاح دورات مؤتمر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى القاهرة إلى جانب كل من الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف، والبابا شنودة، واستمعت إليه فى الدروس الحسنية بالمغرب، واستمعت إليه فى عديد من المؤتمرات والندوات وفى الحصص الدينية الذى تستضيفه فيها الفضائيات المصرية العربية، وظللت لسنوات طويلة أقرأ له على صفحات جريدة الأهرام كل يوم اثنين، كما اقرأ له كل شهر على صفحات مجلة منبر الإسلام، ومجلة الأزهر، وجريدتى: صوت الأزهر، واللواء الإسلامى، وغيرها من الصحف والمجلات التى تصدر فى مصر وفى خارجها، عطاء ثرى وقلم سيال وأفكار نيرة وتقريب لكتاب الله العزيز بأسلوب ميسر ومبسط خال من التعقيد، ولكنه متقيد بالمنهجية العلمية، ذلك هو الشيخ محمد سيد طنطاوى الإمام الأكبر شيخ الأزهر الذى رحل عن هذه الدار تاركا وراءه آثارا علمية واجتهادات فقهية يؤخذ منها ويرد ولكنها شاهدة له بين يدى ربه أن الرجل لم يبدل ولم يغير، فقد ظل إلى آخر لحظة من عمره المديد الذى تجاوز الثمانين والملىء بالنشاط والحيوية والتفاؤل والعمل الجاد من أجل تقديم الإسلام بخصوصياته التى آمن بها ويؤمن بها معه كل مخلص صادق للأمة ودينها الحنيف، خصوصيات الوسطية والاعتدال والتسامح والاجتهاد والتجديد، كتب الله له كل ذلك فى صحائفه وأسكنه فراديس جناته.

وداعاً إلى العلياء ياخير راحلٍ



شعر الدكتور/ محمد إبراهيم العشماوي

تهـاوى شـهــاب النور من أفق العــلا — وأضـحى ربيع الأرض جـدبا ومـاحــلا
لـيـبك على الإســلام فى الأرض أهله — فـقـد صـار «شـيخ الأزهر» اليوم راحــلا
وداعــا إلى العليــاء يا خـيــر راحلٍ — فـقــد زفت الـبــشـرى إليك رســائلا
فـدفنك فى أرض الـبـقـيـع كـرامــة — بـهـــا رد عـنـك الـلـه زورا وباطـلا
ليــعـلم من آذاك قــدرك عـنـده — وأنـك عـنـد الـلـه من أشــرف المـلا
لقـد كنت محـتـاجـا إلى ثوب عـفـوه — وها أنت قـد أصـبحت فى الثوب رافـلا
ســيـشـفع عند الله فـيك كـلامـه — فـقــد كنت للقـرآن دومـا مـرتلا
وكنت ذليل النفس لله خــائفــا — وكنت لفـضـل الله فى الحشـر آمـلا
لئن كنت قـد أخطأت يومـا فـهل ترى — من الناس مـعصـومـا كمن كان مرسـلا!!

***

بين الصحف و المجلات

إعـداد

أ/ محمد جمعة

أ/ علا عبدالرحمن

من سوهاج إلى بقيع المدينة المنورة

الشيخ طنطاوى تاريخ من العطاء والمعارك

تحت هذا العنوان جاءت كلمة الأستاذ/ السيد رشاد المنشورة فى مجلة الأهرام العربى الصادرة بتاريخ: ٢٠/٢/٢٠١٠م يقول فيها:

فى الثامن والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٩٢٨م كان مولد فضيلة الشيخ/ محمد سيد طنطاوى.. فقد قدر الله له أن يحمل رسالة مشيخة الأزهر، المرجعية الدينية الأولى للأمة الإسلامية، وأن يصبح حلقة ضمن السلسلة الذهبية التى تحمل لقب الإمام الأكبر، حيث توالت الخطوات تحمل هذه البشارات منذ تبوغ الصغير محمد فى حفظ القرآن الكريم بكتاب القرية مقارنة بأقرانه، حيث تجاوب القلب البرىء سريعا مع كتاب الله، حتى أتم حفظ القرآن كاملا فى قريته، وأتم معه تعليمه الأساسى هناك لينتقل بعدها الصبى محمد طنطاوى إلى الإسكندرية عام ١٩٤٤م، ملتحقا بمعهدها الدينى الأزهرى، وينهى دراسته به متفوقا، ثم بكلية أصول الدين، وتخرج فيها بتفوق كالعادة عام ١٩٥٨، واستمرت المسيرة حتى حصل على درجة الدكتورة فى التفسير والحديث من جامعة الأزهر، بتقدير ممتاز فى ٥/٩/١٩٦٦م عن رسالته الشهيرة «بنو إسرائيل فى القرآن والسنة» وكان قد عمل إماما وخطيبا بوزارة الأوقاف أثناء إعداده للدكتوراة منذ عام ١٩٦٠م حتى تم تعيينه مدرسا فى قسم التفسير والحديث بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر عام ١٩٦٧م.

ثم أعير إلى جامعتى بغداد والبصرة فى الفترة ما بين ١٩٦٧ إلى ١٩٦٩، كما تم انتدابه إلى الجامعة الإسلامية فى طرابلس بليبيا م عام ١٩٧٢ حتى ١٩٧٦، ثم أصبح عميدا لكلية أصول الدين بأسيوط عام ١٩٧٦م، بعدها انتقل إلى المدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية ليعمل رئيسا لقسم التفسير فى الجامعة الإسلامية منذ عام ١٩٨٠، حتى ١٩٨٤،

فعميدا لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين عام ١٩٨٥.

وفى الثامن والعشرين من أكتوبر عام ١٩٨٦ وهو اليوم الموافق لمولده، كان على موعد مع محطة شديدة الأهمية فى مشواره، حيث أضحى مفتيا للديار المصرية، وهى الخطوة التى كانت مقدمة للخطوة الأهم فى مشواره الحافل، وذلك حين صدر مرسوم رئاسى فى ٢٧ مارس عام ١٩٩٦م من الرئيس محمد حسنى مبارك بتعيينه شيخا للأزهر، ليصبح الدكتور محمد سيد طنطاوى هو الإمام الأكبر رقم ٤٤ وظل متوليا مشيخة الأزهر حتى رحيله المفاجىء.

لم يبتعد الكاتب لمعى المطيعى، عن الحقيقة حينما وصف الشيخ الجليل د. محمد سيد طنطاوى فى موسوعته ألف شخصية مصرية بأنه شيخ الإسلام والمصباح المضىء الحريص على تقديم صحيح الدين، وبأنه إحدى دعائم الوحدة الوطنية فى الداخل بعلاقاته الطيبة مع رموز الكنيسة المصرية، وعلى رأسهم البابا شنودة. فقد ظل الإمام الراحل ملتزما طيلة مشوار حياته بخط لا يحيد عنه فى الدعوة الإسلامية يقوم على التسامح، ولين الخطاب، التزاما بالآية الكريمة:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾

(النحل : ١٢٥)

وقد ساعده فى ذلك ما اتسم به من ملامح طيبة، ونبرة هادئة فى خطبه الدينية، وأيضا بما عقده من صداقات حقيقية مع كثير من الرموز المسيحية فى مصر والخارج، وهو ما جسده أبلغ تجسيد ذلك الحزن العميق والعام بين أوساط المسلمين والمسيحيين على السواء داخل مصر، وكذلك ما جاء فى بيانات دول ومؤسسات خارجية كثيرة تنعى رحيله، ومنها بيان البيت الأبيض الذى وصف الإمام الراحل بأنه كان صوتا مدويا للإيمان والتسامح، ومن الذين ينشدون بناء عالم يقوم على الاحترام المتبادل، وأيضا كما وصفته هيلارى كلينتون وزيرة خارجية أمريكا بأنه كان صوتا مهما للحوار بين الأديان والمجتمعات، وأن الأمريكيين سوف يتذكرون الإمام طنطاوى على الدوام لمواقفه المنددة بالعنف، حينما قال بعد هجمات ١١ سبتمبر: أنه ليس من الشجاعة بأى حال أن يقتل إنسان برىء، فيما اعتبر الفاتيكان - أكبر مرجعية للمسيحيين الكاثوليك فى العالم - أنه بوفاة د. طنطاوى خسر العالم رجل سلام، وأن الفاتيكان تعده صديقا كان يبدى تفهما كبيرا تجاهها، وأنه يشارك المصريين الحزن على رحيله، وهو ما أكده أيضا بيان الخارجية الفرنسية والإيطالية، وعدد كبير من المؤسسات الرسمية الدولية والاقليمية والمحلية.

ثم يقول الكاتب:

على الصعيد الإنسانى، اتسم الإمام الراحل بالبساطة والتى جعلت باب مكتبه مفتوحا على مصراعيه أمام الناس، بلا وساطة أو تمييز، وهو ما أكده سكرتيره الخاص عبدالرحمن النحاس، مشيرا إلى أن تعليمات الإمام الراحل المشددة للعاملين معه كانت بعدم حجب أى مشكلة أو طلب عنه، وكان يستجيب لمقابلة أشخاص بسطاء يأتون لفضيلته لحل مشكلة عائلية أو طلب فتوى.

كما كان الراحل الكبير نموذجا لرب الأسرة المحافظ على نهج الشريعة السمحاء، حيث تزوج فى بواكير العمر من ابنة عمه وأنجب منها ولدين هما المستشار عمرو، ويعمل فى السلك القضائى، والابن الآخر المحاسب أحمد ويعمل فى الجهاز المركزى للمحاسبات، وابنة وحيدة تعمل طبيبة أطفال.

كان آخر قراراته - رحمه الله - الموافقة على رصد عشرين مليون جنيه لتشجيع حفظة القرآن الكريم، وذلك قبل ساعات من رحيله إلى المملكة العربية السعودية الثلاثاء ٩ مارس، للمشاركة فى حفل جائزة الملك فيصل العالمية لتكون البوابة ٢٨ لمطار الملك خالد الدولى فى الرياض هى البوابة الأخيرة التى يودع منها العالم، حيث فاضت روحه إلى خالقها إثر أزمة قلبية مفاجئة، وقد اختار الله تعالى له خير ختام لحياته الحافلة بالعطاء، ومعارك الجدل والاشتباك الفقهى والسياسى، والإنجاز العلمى والدعوى، كان الختام فى أطهر بقاع الأرض، حيث دفن فى مقابر البقيع فى المدينة المنورة على بعد خطوات من مسجد النبى - صلى الله عليه وسلم - ومقابر صحابته رضى الله عنه، فى العاشر من مارس، لتكون بالفعل «خير نهاية».

يرى بنور الله

وكتب الدكتور عبدالله النجار مقاله فى عموده «قرآن وسنة» المنشور بجريدة الجمهورية بعددها الصادر بتاريخ: ٢٠١٠/٣/١٤م يقول فيه:

مضى الإمام الأكبر المرحوم الدكتور محمد سيد طنطاوى، وأصبح فى قائمة الأئمة الراحلين وأحد شيوخ الأزهر السابقين، فهل كان هذا الإمام العظيم يعلم نهايته؟ إن ماصاحب رحيله من الأحداث يدل على أن هذا الرجل كان يرى بنور الله، وأنه لم يكن يتحرك حركة، ولايتلفظ بقول الا ابتغاء وجه ربه الأعلى، وقد تحمل فى سبيل رضا ربه من سخط الناس ونقدهم لبعض ماكان يراه من الآراء الفقهية المعاصرة الكثير فلم يبع دينه بدنياه، ولم يؤثر رضا الناس على سخط الله، لقد رحل الى أرض المملكة العربية السعودية بمفرده ولايحمل أكثر من الثوب الذى يلبسه حتى تلك الحقيبة الصغيرة التى اعتاد أن يحمل فيها بعض أوراقه كلما سافر، لم يأخذها معه، وقد رتب له القدر ذلك الذى صنعه، فقد كانت المهمة التى سافر من أجلها قصيرة لاتستغرق أكثر من يوم وليلة وقد رأى أن ينام فى تلك الليلة بثوبه الذى كان يرتديه تحت جبته الأزهرية المعهودة. ولما انتهى من مهمته العلمية الإسلامية العظيمة. وبدأ رحلة العودة وأوشك أن يضع قدمه اليمنى على سلم الطائرة فى مطار الرياض.. لم تسعفه قواه، ولم تتحرك يمناه وآذن قلبه بالتوقف حتى لايركب الطائرة بعيدا عن الأرض

الطاهرة التى كتب الله له أن يدفن فيها مع الصحابة والتابعين ومن رضى الله عنهم من عباده المخلصين. فكان ما كان وتحقق المراد وشمله فضل ربه ليكون مع هذا الطراز المتميز من رجال الإسلام المخلصين وليكون بجوار الحبيب المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى البقيع حتى لاتنقطع عنه الزيارة ولا يتوقف الدعاء له بالرحمة والمغفرة الى يوم الدين ـ حيث لاتتوقف زيارة الحجاج والعمار للبقيع ساعة من نهار أو ليل سوى مواقيت الصلاة، وفى كل مرة يقف الزوار طوابير يدعون الله مخلصين ويقرءون القرآن الكريم وأوراد الذكر والتسبيح والتهليل ترحما على هؤلاء النائمين تحت ثرى البقيع.

لقد رحل الإمام فى مناسبة أعدت قبل رحيله من قبل الدولة لأول مرة وهى يوم الشهيد، فهل كانت تلك المناسبة الوطنية الجليلة على موعد معه: لكى يكون أحد المحتفى بهم فى يوم الشهيد؟ وحين اختار موضوع مؤتمر المجمع الأخير، كانت النية متجهة الى موضوع غير موضوع الصحابة، لكنه قرر فجأة وبحزم أن يكون موضوعه عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والدفاع عنهم والإشادة بحبهم وبما قدموه للإسلام والمسلمين، وتم انعقاد المؤتمر فكان مهرجانا إسلاميا عاليا للإشادة بصحابة رسول الله، وإن كانت توصياته لم تعتمد بعد من جلسة المجمع التى كان من المقرر أن تنعقد برئاسته إلا أنها لن تخرج عما أعلنه رحمه الله حين قال: إن من لايحترم صحابة رسول الله أو يفعل ماينافى احترامهم خارج عن الملة. فهل كان الشيخ الجليل يقدم هدية القدوم لهم أو تحية السفر لهؤلاء الأئمة الأماجد إحساسا منه بأنه قادم إليهم؟

هل كان يجهز زوادة السفر؟ ألم أقل لك قارئى العزيز: إن هذا الرجل كان يرى بنور الله.

شيخنا الجليل الغالى طنطاوى.. إمام المجتهدين

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ أسامة سرايا مقاله المنشور بجريدة الأهرام بعددها الصادر بتاريخ ٢٠١٠/٣/١١ يقول فيه:

فقدنا شيخا جليلا، وعالما إسلاميا ملأ القلوب حكمة وعلما.. فقدنا الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر وهو علامة بارزة فى تاريخ تلك المؤسسة الدينية العريقة والكبرى والمتفردة فى قيمتها، ووزنها.

حمل مسئولية الدعوة كشيخ للأزهر من ١٩٩٦ وحتى ٢٠١٠ وهو زمن غير مسبوق فكان شيخا مجددا، وسيقال ويكتب الكثير عنه فى قادم الأيام، لأنه دفع ثمن إخلاصه ورغبته فى أن يرى أمته تنهض بين الأمم مستندة إلى صحيح الدين، عمل فى حياته وبرهن فى مسيرته وعقله المستنير بجلاء على صلاحية هذا الدين الحنيف لتوجيه أمم المسلمين فى كل مكان وزمان.

ودفع ثمن مواقفه الصلبة فى مواجهة قوى التخلف والتغييب ومحاولات الردة بالمسلمين وتسييس الأزهر واختراقه وإحداث الفرقة بين علمائه.

ظل الشيخ الجليل منذ توليه منصبه فى مواجهة أولئك الذين يريدون النيل من هيبة الأزهر وإضعاف تأثيره حتى ينفردوا بالمسلمين ويصوغوا ضميرهم الدينى بما يحقق لهم أهدافهم، ولم يتركوا مناسبة تمر أو حادثة تقع إلا وحاولوا فيها النيل من شيخنا الجليل وعلمائنا الثقات.

وشيخنا محمد سيد طنطاوى مدرسة حقيقية فى فهم العصر وتطبيق الإسلام فى ظل المتغيرات العالمية فهو لم يكن فقط واحدا من أغزر علماء المسلمين والأزهر إنتاجا، بل كان أيضا من أكثرهم شجاعة على اقتحام العصر وتجديد الرؤى خاصة فى فتاواه بشأن فوائد البنوك ومكانة المرأة وأهليتها فى الإسلام وفتواه الحكيمة بأن المباهاة بالمسلمين لم تكن بالكم ولكن بالكيف.. فقد كان صوتا قويا للوعى والاستنارة والسماحة عبر اكتشاف صحيح الدين وتقديمه للأجيال المعاصرة، فهو الشيخ المجتهد الذى وضع أسس الاجتهاد فى الأحكام الشرعة للمعاصرين بلا تخويف أو تهديد.

وحض جمهور العلماء المعاصرين والقادمين على متابعة العصر، والاجتهاد كما اجتهد الرسل وكما اجتهد الصحابة والخلفاء والتابعون، وصولا إلى الأئمة الأربعة، وجدد الأزهر جامعا وجامعة فشهد ازدهارا واتساعا لم يحدث من قبل. شيخ الأزهر الراحل مصرى حتى النخاع، سماحته لا نظير لها، يغضب عندما يرى الجهلاء يتصدون للفتوى ولتعليم الناس، ثم يعود صافيا فى دقائق متدفقا علما وفقها وفكرا وصبرا حتى مع مناوئيه.

شيخى الجليل سوف أفتقد صوتك الحنون واتصالاتك التى تحمل الحكمة والنصيحة ولكنى سأعود إلى كتاباتك وفكرك وما تركت لنا من زاد وعلم، بل وقصص فأنت صاحب القصص الإسلامية الخالدة من آدم إلى نوح، وهود، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وختمتها بأطيب القصص.. مسلسل الختام عن خير الأنام محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى من فرط حبك له وإخلاصك للإسلام اختارك الخالق ـ تجلت حكمته فى الدقائق الأخيرة لحياة حافلة لتكون إلى جواره بين الصحابة والصادقين من أوائل المسلمين.

وبالرغم من أننا نحن المصريين حرمنا من شرف المشاركة فى وداعك يوم الرحيل الجليل كما كنت معنا فى أفراحنا وفى كل لحظات وداع أو رحيل تمر بنا، فنحن وبرغم ألم الفراق والغياب نحتسبك عند الله ونرضى بأنك فى المدينة المنورة إلى جوار أفضل خلق الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

رحم الله الإمام الأكبر وجزاه عما قدم فى خدمة الإسلام والمسلمين خير الجزاء وإنا لله وإنا إليه راجعون.

رحم الله الإمام المجتهد

وكتب الأستاذ محمد الزرقاني مقاله المنشور في عموده، كلام صريح، المنشور في جريدة الأخبار الصادرة بتاريخ ٢٠١٠/٣/١٢ يقول فيه:

عرفت فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى رحمه الله منذ حوالى ربع قرن وكان عائدا لتوه من المملكة العربية السعودية بعد أن عمل فى جامعاتها لعدة سنوات.

وطوال هذه السنوات لم تتغير شخصية الدكتور طنطاوى السمحة بالرغم من توليه أهم منصبين دينيين فى مصر منصب المفتى ومنصب شيخ الأزهر، بل إن منصب شيخ الأزهر هو واحد من أرفع المناصب الدينية فى العالم بأسره، وعندما تم اختياره لمنصب المفتى كان ذلك مفاجأة كبيرة للكثيرين، فهو لم يكن شخصية معروفة إلى حد كبير ولكن المفاجأة الاكبر هى ذلك التحول الكبير الذى أحدثه فى المنصب بحد ذاته والذى كان غالبا منصبا مكتبيا لا يعرف الكثيرون عن دوره أكثر من تحديد أهلة الشهور العربية وإبداء الرأى فى أحكام الإعدام التى تحال إليه ولكن عندما تولاه الدكتور طنطاوى جعله منصبا شعبيا ونزل إلى الشارع، شارك فى المؤتمرات على طول مصر وعرضها وأحدث حراكا فكريا باجتهاداته وفتاواه العصرية التى تحدى بها الجمود ولم يتراجع بالرغم من الهجوم عليه.

ولذلك عندما انتقل الإمام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق إلى جوار ربه كان هناك يقين بالشارع المصرى بأن الدكتور طنطاوى هو شيخ الأزهر القادم وقد كان.

وبدأ الأزهر مرحلة جديدة وانطلق الدكتور طنطاوى يطور ويتوسع فى المبانى والإنشاءات وأيضا فى الأفكار.

وواصل دوره فى إصدار الفتاوى الجريئة فى أدق الامور ولم يثنه عن ذلك تطاول البعض فى عصر ظهرت فيه صحافة جديدة لا تملك إلا السباب والتجريح وإطلاق البذاءات، وبالرغم من المسئوليات الجسام التى كان يتحملها، فإنه كان يشارك فى جميع المناسبات الدينية ويفتتح مسجدا جديدا كل يوم جمعة، وتستطيع أن تجده فى مكتبه فى الصباح الباكر من كل يوم وعقب أن يؤدى صلاة الفجر فى منزله.. ولم يغلق باب هذا المكتب أبدا فى وجه عالم أو مواطن صاحب حاجة، ودون موعد مسبق، وكان يسعده أن يحل مشكلات المواطنين بنفسه دون ان يحيلها لمسئول آخر.. وكان صاحب قدرة شديدة على الإقناع حتى مع أشد مناوئيه.

رحم الله إمامنا الأكبر.. الذى افتقدنا برحيله عالما جليلا ومجتهدا فى عصر عز فيه الاجتهاد

رحيل عالم مجدد!

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/مكرم محمد أحمد فى جريدة الأهرام الصادرة فى ٢٠١٠/٣/١٥م يقول:

برحيل الإمام الأكبر الشيخ الدكتور سيد طنطاوى إلى رحاب الله ـ تفقد مصر واحداً

من أهم شيوخ الاعتدال وكبار المجددين الذين اعتلوا سدة الأزهر الشريف، وحاولوا مخلصين التوفيق بين متغيرات الشريعة ومتغيرات الحياة، من خلال فهم حقيقى لروح الإسلام يتسم بالاعتدال والسماحة، ويضع فى اعتباره مصالح العباد باعتبارها أهم مقاصد الشريعة، ويفهم الدين على أنه يسر لا عسر، لا يغلظ ولا ينفر ولا يتجهم ولا يهدد، ولكنه ييسر ويرغب ويفتح أبواب الرحمة واسعة لأن رحمة الله تسع كل العالمين.

كان ـ رحمه الله ـ عندما يعتلى المنبر يحرص على أن يكون بشوشاً ودوداً، لا يزعق ولا يصرخ ولا يتوعد، وإنما تنساب الحكمة من كلماته هادئة لينة تصل إلى العقل والقلب معاً، وكان رغم علمه الغزير جم التواضع، كثير المجاملة لا يتأخر عن واجب، وكان من الدارسين المجددين، يحسن تأويل نصوص القرآن والسنة، يغوص فى أعماقها بحثاً عن حكمتها ليقدم للناس فهماً متطوراً للنص الدينى ينفع الناس وييسر حياتهم ويحفزهم على التقدم.

وقد كان لقوله الفصل الذى أبرأ البنوك التجارية من أن تكون مجرد أوعية ربوية لدورها المهم فى التنمية أثره الكبير فى استقرار المعاملات البنكية. وما من شك فى أن تفسيره المهم لمباهاة الرسول بالمسلمين يوم القيامة بأنها سوف تكون مباهاة بالقوة وليس مجرد العدد، لأن التفوق العددى فى غيبة العلم والمعرفة يصبح دلالة تخلف وعبئاً على التقدم.

وضع قضية تنظيم النسل فى مصر فى موضعها الصحيح، لأن المسلم القوى خير عند الله من المسلم الضعيف.

وكان شجاعاً فى مواجهة أفكار التطرف، وعندما كانت ملاقاة هؤلاء على أرض الحوار مغامرة صعبة يتردد فى قبولها كثير من الوعاظ والعلماء، كان الشيخ طنطاوى يذهب إلى عقر دارهم، ليجادلهم فى فهمهم الخاطىء للدين، لا يعبأ بما يمكن أن يفعلوه معه، وكثيرا ما لقى العنت وسوء الظن، بل وإساءة الأدب من الأدعياء والمتطرفين والمنظرفين الذين لم يرعوا مكانة منصبه، لكنه لم يتخاذل ولم يتردد. وظل على رسالته يقف إلى جوار السماحة والاعتدال، ويدعو إلى تعارف الشعوب والأمم، ويرى فى التواصل مع أصحاب الديانات السماوية الأخرى تكليفاً دينياً يعزز رسالة التواصل والتعارف بين الأمم.

ورحل الشيخ الشجاع

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ عصام كامل مقاله المنشور فى جريدة الأحرار بعددها الصادر بتاريخ: ٢٠١٠/٣/١٧م يقول فيه:

رحل العالم الجليل الدكتور محمد سيد طنطاوى ودفن فى البقيع، حيث قدسية المكان وهالته والهيبة التى يحظى بها فى نفوس المسلمين.

رحل الرجل الذى وقف بحسم فى قضايا كان غيره يحومون حولها دون الاقتراب أو التصوير، رحل وهو قانع بأن ما فعله كان صواباً، وظل حتى آخر لحظة فى حياته مؤمناً

بالمبادرة واقتحام أعشاش الدبابير دون خوف أو رهبة في الحق.

كان عالماً جليلاً يؤمن بدوره في مواجهة التيارات الظلامية وخاض حروباً كثيرة في سبيل الحق ولا شيء غيره.

أضاء بعمله جنبات مظلمة في حياتنا وفتح كل الأبواب الموصدة وحارب الجمود والتخلف بروح شبابية، متحمسة، قانعاً بأن الباب الذي تأتي منه الرياح لابد من فتحه على مصراعيه ومواجهة ريحه حتى لا يمثل تهديداً لنا ولديننا ولدولتنا ولقيمنا وعاداتنا.

رحل الإمام الأكبر، إمام الاعتدال والتسامح والحب، وترك لنا مساحة من فراغ نتمنى أن نجد من يسدها بفقهه وفكره، وقبل هذا وذاك بشجاعته التي تحلى بها طوال مشوار حياته منذ كان واعظاً.. وحتى وصوله إلى أعلى موقع ديني في العالم الإسلامي كله.

رحل الرجل الذي تحمل منا هجوماً لم يتحمله شيخ غيره وظل كما هو لم يتغير ولم يتراجع عن دعم الوسطية والتواصل الإنساني، وبقدر إثارته للجدل أثار فينا إعمال العقل والمنطق والسير على درب التسامح الإنساني فعرفنا قدر الشيخ كعادتنا بعد رحيله وسندرك مع مرور السنوات أي شيخ هذا الذي تحمل المسئوليات بقلب شجاع فتحاور مع المتطرفين وأعاد إليهم فطرة الإسلام وحياده وتسامحه.

رحم الله الإمام الأكبر وتجاوز عن سيئاته وأبدله داراً خيراً من داره وأهلاً خيراً من أهله وجعل مثواه الجنة.. اللهم آمين.

إشارة لمقتضى الحال في وفاة الشيخ طنطاوي

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ عبداللطيف فايد في جريدة الجمهورية الصادرة في ٢/١١/٢٠١٠م يقول:

كانت مفاجأة بكل المقاييس أن يغادر الشيخ محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر حياتنا الدنيا.

كان عندما أسلم الروح في زيارة علمية للمملكة العربية السعودية. ولم تظهر عليه آثار مرض مفاجئ يوحي باستقبال الآخرة، فكانت وفاته هادئة مثل حياته تماماً التي حفلت بآثار علمية جليلة، قرأ لها في صمت وكتبها في صمت، وأهمها كتابه «التفسير الوسيط» الذي وضع فيه عصارة عقله وقلبه، وكتبه وكأنه يسير على الشوك، فالكتابة في تفسير القرآن الكريم تحيط بها أمور كثيرة منها ما يتعلق بالقلب ومنها ما يتعلق بالعقل، ومنها ما يرتبط بالتاريخ، لكنها كلها تستلهم الوحي الإلهي الذي أنزله الله على خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم.

والشيخ طنطاوي - رضي الله عنه - من أهل صعيد مصر، لكنه نشأ وتربى لدى أعمامه الذين استوطنوا الإسكندرية، فحفظ فيها القرآن، وتلقى تعليمه الأول الذي يؤهله للالتحاق بالمعاهد الأزهرية، فالتحق بمعهد الإسكندرية الديني، وحصل منه على الشهادتين الابتدائية والثانوية الأزهريتين، حيث لم يكن التعليم الإعدادي قد أنشئ بعد، ثم انتقل إلى القاهرة حيث التحق بكلية أصول الدين ليتخرج فيها إماماً بالمساجد ثم واعظاً بالأزهر بالمحافل العامة، وخلال ذلك أضاء نجمه وأفادت دول كثيرة عربية إسلامية، ودول غير إسلامية من عطائه العلمي المستنير، وكان في تعبيره عن رأيه هادئ الطبع، وإذا اختلف مع آخرين كان خلافه علمياً يستخدم فيه الألفاظ الراقية مهما كانت تعبر عن عنف في الرأي والتعبير ونقد الآخرين، وكان هذا من عطاء القرآن الكريم له. الذي ظل يحفظه عن ظهر قلب منذ صغره وحتى وافاه الأجل، ولذلك نرى أهم كتبه «التفسير الوسيط» الذي وضع فيه كل خبرته العلمية في فهم كتاب الله، وهو الأمر الذي جعل أحاديثه في الدين والدنيا مصبوغة كلها بصبغة القرآن الكريم.

وعلى قدر عنف الشيخ الراحل مع مخالفيه في التعقيب على آرائهم كان سمح الخلق طيب اللفظ حسن المعشر، فإذا انتهى تعبيره عن وصف وتقييم ما يقولون عاد إلى هدوئه معهم وحسن النصح لهم ورسم الطريق العلمي لهم، بخاصة في فهم القرآن الكريم لأنه الأساس الأول للمعرفة الإسلامية، والذي توفرت السنة الشريفة على خدمته شرحاً وتفصيلاً.

وفي مطلع حياته بعد التخرج في كلية أصول الدين اشتغل بالإمامة في المساجد والخطابة لروادها، وكان فيها حسن الريادة للآخرين، وأفادت بعلمه في هذا الشأن دول إسلامية عديدة من أهمها العراق، لكنه كان نجماً مضيئاً في كل المؤتمرات والمحافل العلمية، يعود الجميع إلى كلمته والاهتداء بما يقول، وكتبه ورسائله العلمية ومقالاته الكثيرة وأحاديثه الإذاعية التي طافت تسجيلاتها الآفاق تشهد له بذلك في وضوح وبيان.

ولا يستطيع أحد في هذه العجالة أن يحيط بشخصية الشيخ طنطاوي علماً وخلقاً وآثاراً في تفسير القرآن الكريم والاستنارة بمصابيحه العلوية في متاهات الحياة الحديثة التي حفلت بعلم وأعلام في الدين، لكنها وزنت بكثير من الذين خرجوا عن الصراط المستقيم في فهم الإسلام، فكان الشيخ طنطاوي هادياً لهم.

وكان هذا الشيخ الجليل من أكثر شيوخ الأزهر استقبالاً لضيوف مصر من الأعلام غير المسلمين، فكان يشرح لهم الإسلام وامتيازه على كل النظريات والمذاهب الوضعية، مما يجعله هو الطريق الأمثل بل الطريق الوحيد لريادة الحياة لأنه دين من عند الله الذي يحيط علمه بما يصلح الدنيا ويسعد حياة الإنسان في الآخرة، وكان بذلك داعية متنقلاً في كل أنحاء الدنيا وهو يأخذ مكانه القيادي الأول في مشيخة الأزهر الشريف.

ولم يكن أصدقاء الشيخ من أعلام المسلمين فقط، وإنما كانت تربطه صداقات طيبة مع غير المسلمين من ذوي الشأن والحيثية بين أقوامهم، وكان بذلك داعية للإسلام بالقدوة والموعظة الحسنة التي تجسم لهم الإسلام في أجمل صوره وأحسن مراتبه.

ولست أحاول في هذه العجالة أن أكتب عن الشيخ الجليل الراحل، ولكن الكتابة هنا

تعبر عن مقتضى الحال بالإشارة فقط، فسوالى أهل البيان الأحاديث عن هذا الرجل الفاضل كعلم من أعلام الإسلام فى العصر الحديث.. طيب الله ثراه وأجزل مثوبته فى الصالحين.

ويبقى شامخا

كتب الأستاذ/ محسن محمد فى جريدة المساء الصادرة فى ٢٠١٠/٣/١٢م فى عموده «من القلب» عن رحيل الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى يقول:

كلما زرت المدينة المنورة فوجئت بأهلها يتكلمون عن الشيخ الفاضل الذى بعثت به مصر ليحاضر فى الجامعة الإسلامية.

كانوا يتكلمون عنه بإعجاب وتقدير واحترام، ويصفون محاضراته وسماحته وشفافيته ومعرفته بعلم أصول الدين الذى يقوم بتدريسه. وما أكثر ما قالوا عنه خلال السنوات الأربعة التى قام بالتدريس فيها لطلبة الجامعة الإسلامية!!

وعندما أصبح هذا الشيخ الفاضل الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخاً للجامع الأزهر كانوا يعجبون كيف أن بعض الناس فى مصر ينتقدونه ويهاجمونه؟!

قالوا لى فى المدينة المنورة أكثر من مرة:

- الذين يهاجمونه إنما يبحثون عن علم وعالم فى مصر حتى يشتهروا بأنهم يتمتعون بجرأة بدليل أنهم ينتقدون أعلى مفكر دينى فى البلاد.

ولقد تحمل الدكتور طنطاوى الكثير من النقد العنيف الظالم. وكان يجب على الذين ينتقدونه بعنف أن يعرفوا أنهم يهاجمون إحدى قلاع الدين الإسلامى الحنيف الكبرى وهى الأزهر. وكان دوما يقول: سيعرفون.. وسيعلمون.

ومرت السنون، وشاء القدر أن يبقى الرجل حياً وميتاً فى المدينة المنورة التى أحبها وزارها كثيراً وعاش فيها، وتصادف أن كانت مثواه الأخير الذى كان يتمناه وقد تحققت أمنيته ولم تتحقق أمنيات الذين انتقدوه.

بقى الرجل شامخاً فى علمه ودينه وسماحته، وعرف العالم كله أن شيخ الأزهر يجب أن يبقى إلى الأبد قويا صلباً متمسكاً بدينه ولا يغير آراءه مهما اشتدت حوله العواصف، ولا يلين أبداً.

***

من الميلاد إلى البعثة

لفضيلة الشيخ الطاهر الحامدى

لا تجد عظيما فى تاريخ البشرية حظى تاريخه وسيرته بهذا الاهتمام البالغ مثلما حظى تاريخ الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا تجد سيرة فى القديم والحديث كانت بهذا الوضوح والصفاء مثلما كانت سيرة النبى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهى سيرة واضحة، بمعنى أنه لا توجد فترة من فترات حياته الكريمة، خافية غير معلومة. فما من عظيم من عظماء التاريخ أو صاحب دعوة من الدعوات، احتفل التاريخ به وقدمه وآثره إلا وفى حياته فترة اكتنفها الغموض والخفاء، حتى على أقرب الناس من مريديه وأشياعه. مهما كانت عظمته ومهما كان شأنه إلا وفى حياته غموض وفى تاريخه ضباب ألقى بظلال الشك والوهم على سيرة الرجل مما حمل كثيرا ممن يوالونه أو يدينون بمنهجه إلى تخطى فترة من حياته أو التجاوز عما يجهلون منها.

ورغم ما يكتنف حياة هؤلاء العظماء من غموض كثير قد يكون فيه ما يعيب أو يشين فإنا لا نجد من تعرض لهم بالقدح أو اللوم، بل ترى من يتجاوز عن كثير من المثالب التى لا تليق بعظمة أو عظيم، وما ذلك إلا تقديرا لجهودهم فيما يفيد البشرية، إن كان فى حياتهم وتاريخهم ما يعاب لأن العظمة عند كثير من الناس لا تقاس بمقدار ما يفيد الناس جميعا، وإنما تقاس فى كثير من الأحيان بقدر ما حققه العظماء لأممهم خاصة، وفى هذا افتئات على نزاهة المقاييس وانتقاص الحيدة التى ينبغى أن تراعى عند من يضعون أنفسهم فى مراتب من يقيمون تاريخ العظماء، وعظماء التاريخ، لأننا إذا قدرنا عظمة لعظيم بمقدار ما يفيد أمته خاصة، فإننا نكون بذلك قد أجحفنا الذين يفيدون الإنسانية جميعا بغمطهم جل حقوقهم المشروعة النبيلة ونقاء سريرتهم وخلوص نيتهم فى فعل الخير للخير، فتلك مرتبة لا يصل إليها إلا نبلاء أحبوا الخير للخير وأرادوا العدل والمساواة لكل الناس، فليس الخير والعدل هو ما يصيب بنى جلدتهم، وليست المساواة ما يكون فى صالح أهلهم وكفى.

فتلك نفوس سامية ارتقت عن ذاتها وعن

حب الأثرة إلى نزل كريم يرى البر حق لكل الناس، وما قولك فيمن يعلم ويعمل ويقول: «فى كل كبد رطبة أجر» إنسانا أو حيوانا كائنا ما كان عربيا كان أم أجنبيا أمريكيا كان أم أفريقيا، حتى وإن كانت لا تجرى فى عروقه الدماء الزرقاء!!! إننا نظلم هؤلاء لأننا نغمط حقوقهم ونظلم الآخرين لأننا نساويهم بمن هم أعلى منهم درجة بل درجات فى سلم الإنسانية وسلم العظمة، وتكون بذلك قد علمناهم إن اجحاف المستحقين لحقهم ومنح المقلين لغير ما يستحقون ظلم تأباه شريعة العدل وذلك فى ميزان القول المستقيم والفهم الواعى الرشيد لقوله ﷺ: «انصر أخاك ظالما أو مظلوما» كيف أنصره ظالما؟ ترده عن ظلمه، لأن إكراهه على اتباع الحق وجبره على ترك الظلم إحياء لمبدأ العدالة والمساواة وذلك نصرة للإنسانية والإنسان فى حاجة إلى قهر يجبر الظالم على ترك الظلم، مهما كان شاقا ومؤلما، شاقا على العادل الآمر بالمساواة، ومؤلما على الظالم المتمادى فى ظلمه، لكنه فى النهاية خير وبركة على الإنسانية.

فإن سياسة الكيل بمكيالين فى مشكلة الشرق الأوسط لا تؤجل حل القضية فحسب، ولا يؤدى إلى ضياع حقوق المظلومين فقط، ولكنه يفسد الأخلاق، أخلاق الدول والأفراد.

ولو أننا تتبعنا تاريخ عظماء التاريخ البشرى كله من أوله إلى آخره، شرقه وغربه، شماله وجنوبه، قديمه وحديثه، لو تتبعنا سيرة العظماء وتتبعنا فيما سطر أو يسطر لم نعثر على تدوين يفيد فى نشأة أى عظيم، متى ولد وأين وكيف نشأ وتربى، اللهم إلا ما يصاحب سجل عظمته أو دعواه. أما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنحن نعرف مولده زمانا ومكانا، ونعلم ونتلذذ بسيرته وطفولته وحياته وشبابه ورجولته وعشرته وأصدقائه والأباعد والأقارب وفوق ذلك نعرف أباه وأمه وشباب والده ورجولته وسيرته وعفته ودماثة خلقه وجماله، نعرف كل ذلك، ونعرف ذلك الطود الراسخ والجبل الأشم الذى روى التاريخ والزمان والمكان بعبير سيرته وخلقه وسلوكه وعفته وقوة منطقه وسلامة دربه فى غضبه ورضاه، فى سلمه وحربه، فى سروره وترحه، لسنا وحدنا الذين نعرف كل هذا أو بعضه وغيره عن أرومة هذا السيد العظيم والنبى الخاتم، بل يعرف ذلك شانئوه وحساده، مبغضوه وأعداءه، ولا يجدون غضاضة وهم يطالعون هذا الفيض الغامر من الإنسانية ولا يجدون غضاضة أن يعترفوا بما لها من جمال وجلال وأمانة وصدق، شريطة أن يكون هذا الاعتراف بينهم وبين أنفسهم، لا يظهرونه لأحد ويكرهون أن يعلمه الناس وهذا الإقرار والاعتراف بجمال وجلال الشخصية المحمدية يدفع الكارهين والحاقدين ممن طبع الله على قلوبهم، يدفعهم إلى تلمس ثغرات التاريخ وعورات يصمون بها صاحب السيرة النبيلة.

وما ذلك إلا أن نفوسهم الخبيثة وطباعهم المعوجة لا تستقيم على منهج سوى ولا ترضى أن يستقيم الناس، وليس ذلك عيبا فى السيرة ولا فى التاريخ ولا فى الذين دونوا السيرة وحفظوا التاريخ، إنما العيب فى نفوسهم التى تنفر من العفة كما ينفر الكريم من الخنا، وتأبى الاستقامة كما يأبى الكريم العوج، وترفض النقاء كما يرفض التقى الدنس، على أى حال.. أرجو أيها القارىء

الكريم أن تسمح لى أن استعرض لك ثلاثة مواقف مع ثلاث شخصيات فى ثلاث حقب مختلفة من سيرة النبى الكريم ﷺ.

الحقبة الأولى

فى أيام الجد العظيم عبدالمطلب يوم أن وقفت منه قريش موقفا متخاذلا فى حفر بئر زمزم، فحلف لئن رزقه الله من الأولاد عشرة يمنعونه ليذبحن واحدا منهن، فلما اكتمل له من الأولاد عشرة، كان ذلك بعبد الله والد النبى ﷺ أراد أن يوفى نذره فجاء بولده كلهم وأسهم بينهم أيهم يذبح، فخرج السهم على عبدالله، فهم بذبحه، فقامت إليه قريش تمنعه وهو مصر فى عناد، وانتهى الأمر أن يقدم بدلا منه دية الرجل منهم ويقرع بينه وبين عبدالله فجعل يقرع بين عبدالله وبين الإبل، فكانت السهام تخرج على عبدالله، فكان يزيد فى الإبل عشرة، حتى أبلغت الإبل مائة، وأقرع عليها ثلاثة، وكان يخرج السهم على الإبل فى كل مرة، فذبح الإبل، هذه القصة تبين لنا مدى أمانة الرجل «عبدالمطلب» وإيمانه، أمانته حيث إنه لم يرض بالحلول الجزئية الملتوية التى رآها قومه اشفاقا عليه، وتبين مدى إيمانه وأمانته، حيث إنه لم يرض بالحلول الجزئية الملتوية التى رآها قومه اشفاقا عليه، وتبين مدي إيمانه، وأن عنده ثقة بأن الله هو الذى سيجعل له مخرجا أمينا صادقا، كما أن هذه الحادثة تومىء وتشير إلى أن عبدالله والد النبى ﷺ يساوى عشرة رجال، أليس كذلك؟ بلى.. إنه كذلك أو بعضه.

الموقف الثانى: الذى يدل على نبل الجد وإيمانه، ما هو مشهور ومعروف يوم حادث الفيل عندما ذهب يطلب إبله من أبراهة، فقال له أبرهة: لقد أكبرتك لما سمعت بك، أما وقد قلت ما قلت وطلبت الإبل فقط ولم تسأل عن البيت مع أنى جئت أهدم البيت الذى تعظمون، فقال عبدالمطلب قولته المشهورة، أما الإبل فهى لى وأما البيت فله رب يحميه.

لقد استخف أبرهة بمقولة عبدالمطلب، ويستخف بها كل الذين على شاكلته إلى يومنا هذا فعيب أولئك الذين يعيبون هذه الكلمة، أن بشاشة الإيمان لم تخالط قلوبهم، أنا أستطيع أن أؤكد أن كلمة عبدالمطلب تدل على أنه مؤمن بإله واحد قاهر قادر، قاهر لأبرهة، قادر على حماية بيته من جحافل الفيلة، فتلك قولة صادقة تعبر عن يقين صادق وإيمان عميق.

الحقبة الثانية

فى أيام النبى ﷺ كان أبوه عبدالله بن عبدالمطلب هو الفتى المحبوب، الذى وجه الأنظار إليه وتوجهت القلوب نحوه، تحوطه خوفا عليه وإشفاقا من نذر والده أن يقدم وفاء للنذر كان شهما دمثا ذو مروءة جميل القسمات ولما قارب سن الزواج ذهب به أبوه ليزوجه مثل أترابه، وتوجه إلى وهب، أبو آمنة، وهى من هى نسبا وعراقة وقابلت عبدالله امرأة دعته إلى مضاجعتها فأبى، مع أن ذلك كان مألوفا عند العرب فى الجاهلية وليس الغريب أنه يرفض المضاجعة رغم أن رفضه يعتبر غريبا فى مجتمعه، لأن المرأة كانت ذات جمال ونسب، إلا أن الأكثر غرابة ما قاله لها عند رفضه، هل كان ثمة حلال وحرام فى جاهلية الجاهلية تلك، أم كيف ولماذا وردت هذه الكلمات على لسان والده ﷺ؟ قال عبدالله:

أما الحرام فالممات دونه .

والحـــل لا حـــل فاستبينـــه

فأيـــن من ذلك الـــذى تبغيـــه

ليس لهذه الكلمات من تعليل فى رأيى - إلا أن هذه أنفاس طاهرة، وأجواف نقية، وأصلاب أبيه على الفجور، وأرحام نظيفة لا تعرف الخنا، لفطرتها وسجيتها، وذلك ما لا يعرفه المرجفون ولا يتصورونه، فلا ترقى عقولهم إلى هذا المستوى النقى، ولا تتطلع إليه خيالاتهم المريضة، وبعد أن دخل بالسيدة آمنة - رضى الله عنها - مر على تلك المرأة، فلم تطلب منه ما طلبت آنفا، فسألها عن سبب إعراضها فقالت: ذهب النور الذى بين حاجبيك، هل يصدق أو هل يعقل أتباع فالانتين أو راسبوتين[1] هذا الطهر وهذا العفاف، لا يعنينى ولا أطلبه ولا أجعله مقياساً أقيس به تاريخى الناصع البياض.

الحقبة الثالثة

من ميلاده إلى بعثته ﷺ، أنا أعنى هذه الفترة التى لم يكن قد أوحى إليه ﷺ بعد، وأيد أن أؤكد أنها لم تكن فترة عادية مثل أى حقبة فى حياة أى إنسان، وليس ذلك تهورا ولا اندفاعا منى، فأنا أقولها بكل الوعى والصدق واليقين، فنحن نلاحظ فى حياتنا العملية أن رجل الفضاء الذى يعدونه لمركبة فضائية رغم أنه انتقى من بين آلاف المرشحين لأنه لا يصلح لهذه الرحلة أى إنسان، ومع هذا الانتقاء الدقيق الحذر فإنه يمر بمراحل تأهيليه وإعداد على مستوى عال ذى كفاءة وتميز فى الأداء، فهل يعقل أو يسوغ فى ميزان الذوق والعقل ألا يصطفى ويجتبى، ثم يؤهل إنسان سوف يتحمل أعباء النبوة وتبعاتها؟

﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾

(الحج: ٧٥)

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾

«الأنعام: ١٢٤»

كانت حياته - صلى الله عليه وسلم - قبل البعثة إعدادا له وتأهيلا لتحمل تبعات النبوة وتهيئة لمجتمعه ليستشرف معالم الرسالة التى بات العالم يترقبها، ولقد أحسن العقاد[2] حين تحدث عن علامات نبينا ﷺ ومدى حاجة البشرية إليه فى هذا الوقت قال: كان مولده ﷺ فى هذا الوقت المحتوم لظهوره كمنقذ للبشرية ومخلص لها من الأخطار المحدقة بها، وأن الله - سبحانه وتعالى - قد هيأ له القبيلة والبيت والأب والأم الذين يليقون به، لقد قالت حوادث الكون: لقد كانت الدنيا فى حاجة إلى رسالة، وقالت حقائق التاريخ: كان محمد ﷺ هو صاحب تلك الرسالة، ولا كلمة لقائل بعد علامة الكون وعلامة التاريخ، اتفقت أحوال العالم إذن على انتظار الرسالة واتفقت أحواله ﷺ على ترشيحه لتلك الرسالة.

والله أعلم

---

(١) - كلاهما راهب متآمر غادر.

(٢) - عبقرية محمد لعباس محمود العقاد.

حقوق اليتامى بين الإسلام والمواثيق الدولية

للشيخ/ على عبد العظيم على

واعظ بمنطقة وعظ القاهرة

يعنى كثير من المهتمين بجانب المقارنة بين المواثيق الدولية والإسلام عموماً والحقوق خصوصاً بالتركيز على عامل الزمن باعتباره عاملاً مهماً، يتمثل فى سبق الإسلام بما يزيد على ألف عام فى إقرار الحقوق والالتزام بالواجبات، غير أننى أعتبر العزف على وتر الزمن وحده ليس كافياً فى مجال المقارنة، بل هناك عامل مهم وحرى بالالتفات إليه، ألا وهو نوعية التناول.

ولكى أدخل من التعميم إلى التخصيص أتناول شريحة مجتمعية مهمة لا يخلو منها مجتمع قديماً وحديثاً شرقاً وغرباً، ألا وهم "اليتامى"، فقد سمحت لى دراستى أن أطلع على معظم المواثيق الدولية، الإقليمية منها والعالمية، ولم أجد بشكل مباشر التركيز على هذه الشريحة المجتمعية إلا إذا فهمت ضمناً تحت مفهوم الضعفاء وأصحاب الحاجات، بيد أن هذه الشريحة المجتمعية لاقت من القرآن الكريم ومن السنة النبوية عناية فائقة، فأما القرآن الكريم فقد ذكر لفظ اليتيم وما يتفرع عنه فى ثلاثة وعشرين موضعا يمكن تناولها فى السياق التالى:

أولاً: جاء فى القرآن الكريم ما يوضح أن أمر اليتيم مرفوع إلى الله مباشرة، وهذا ما نلحظه عند قراءة سورة الكهف فى الجزء الذى يتحدث عن قصة سيدنا موسى مع العبد الصالح، فقد علل العبد الصالح أمر السفينة بقوله:

﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾

(الكهف: ٧٩)

ومسألة قتل الغلام بقوله:

﴿ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾

(الكهف: ٨١)

لكن لما تعلق الأمر باليتيم قال

﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾

(الكهف: ٨٢)

وهذا يدل على أن اليتيم له منزلة خاصة عند الله تعالى.

ثانياً: حث القرآن الكريم على الإحسان إلى اليتامى في أكثر من موضع قال تعالى:

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ ﴾

(النساء: ٣٦)

وقال عز من قائل:

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ﴾

(البقرة: ٢٢٠)

ثالثاً: امتدح القرآن الكريم أولئك الذين يحسنون إلى اليتامى ويبشرهم بالثواب الجزيل عند الله يوم القيامة قال تعالى:

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾

(الإنسان: ٥ - ١٢)

وقد ذكر الجزاء أولاً ليرغب في الإحسان ويشجع عليه.

رابعاً: ومن مظاهر اهتمام القرآن الكريم باليتامى أنه حرم على الأولياء والأوصياء وغيرهم أن يتصرفوا في أموال اليتامى أي تصرف يؤدى إلى الإضرار بها، بل عليهم أن يحفظوها حتى يدفعوها إليهم سالمة عند البلوغ، لذا قال تعالى:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

(الإسراء: ٣٤)

وقوله أيضاً:

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾

(النساء: ٢)

أى إثماً كبيراً.

خامساً: قد لا يصغى الإنسان إلى

الآيات التى تنهى برفق عن أكل مال اليتيم، بل يحتاج إلى رادع أقوى وزاجر أشد، لذا نجد ءاية لم يأت مثيل لها في القرآن الكريم تصور للنفوس صورة مآل أكل مال اليتيم ظلماً حتى إن الإنسان مهما كانت المنفعة التى تعود عليه والمصلحة التى ترجع إليه فإنه يبتعد عن أكل مال اليتيم قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾

(النساء: ١٠)

وهذه الآية إضافة إلى ما سبق توضح عناية الله - تعالى - باليتامى، لأنهم لكمال عجزهم وضعفهم استحقوا من الله مزيداً من العناية.

وأما السنة النبوية ففيها ما تطيب به خواطر اليتامى في كل زمان ومكان، ويكفيهم منه أنه كان مثالاً واقعياً على عناية الله باليتيم ومنته عليه فقد لاقى - ﷺ في كفالة جده عبد المطلب من العناية والرعاية ما يعوضه عن فقد ابويه، فقد روى ابن إسحاق أن النبى ﷺ لما كان في كفالة جده عبد المطلب وكان لعبد المطلب فراش يوضع له في ظل الكعبة ليجلس عليه، وكان بنوه يجلسون حول فراشه لا يجلسون عليه حتى يحضر إجلالاً له، فكان رسول الله يأتى وهو غلام يجلس عليه فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه فيقول عبد المطلب إذا رأى منهم ذلك: دعوا ابنى فوالله إن له لشأناً ثم يجلسه معه على الفراش ويمسح ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع[1].

وبعد وفاة جده نقلت كفالته إلى عمه أبى طالب حسب وصية جده، فنهض أبوطالب بحق ابن أخيه على أكمل وجه وضمه إلى ولده وقدمه عليهم واختصه بفضل واحترام وتقدير فكان لا ينام إلا وهو إلى جواره ويصطحبه معه ما أمكنه.

لذا كانت منة الله في موقعها عندما قال:

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴾

(الضحى: ٦)

وبعد هذا اليتم الذى أحاطته عناية الله جاءت أحاديث الرسول ﷺ باليتامى بالحث على الإحسان إليهم وابتغاء رضا الله في كفالتهم وكذلك التحذير من أكل أموالهم بالباطل، وفيما يلى بيان ذلك:

أولاً: يسعى الإنسان بعمله في الدنيا لينال رضا الله والفوز بجنته في الآخرة وجعل مجرد البعد عن النار في حد ذاته فوزاً فقال:

﴿ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾

(آل عمران: ١٨٥)

فما بالنا بعمل لا يبعد الإنسان عن

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/١٩٤.

النار ويدخله الجنة فقط وإنما يجعله في صحبة الرسول ﷺ في الجنة، هذا العمل لا يتطلب أكثر من لقيمات يسد بها جوع اليتيم أو كلمات تدخل السرور على نفسه، هذا العمل هو كفالة طفل يتيم فقد روى الإمام البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما».

ثانياً: في خضم هذه الحياة التي لا تخلو من الكد والتعب والمشقة وتموج بأحداث يدور معها الإنسان وقد يقسو قلبه تحت وطأة الرغبة في الدنيا والتكالب عليها، وهو في سبيل إشباع رغبته منها قد يبتعد عن الله. فما العلاج في هذه الحالة؟ العلاج وضعه الرسول في الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً شكا إلى النبي ﷺ قسوة قلبه فقال له: «امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين».

ثالثاً: ما أحوج البيوت أن تسودها المودة ويعمها الرخاء؟ وما أحوج البيوت التي تبحث عن السعادة التي لم تجدها في مال جمعته ولا في اثاث فاخر اقتنته ولا في مناصب وصلت إليها - ما أحوجها إلى خير تنعم به وسعادة تعيش في ظلها؟

هذه السعادة جعل النبي ﷺ طريقها الإحسان إلى اليتامى فقد قال في الحديث الذي رواه ابن ماجة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه».

رابعاً: لقد حذر الرسول ﷺ ضعاف النفوس أن تمتد أيديهم إلى مال اليتامى، بل وضع أكل مال اليتيم في حديث يضم الشرك بالله وهو من أكبر الكبائر، فقد روى الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا يارسول الله وما هن؟ قال:

«الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات».

وختاماً أقول إن الإسلام في مصدريه الأساسيين «القرآن الكريم والسنة النبوية» عني باليتامى عناية لا يوجد لها مثيل وجعل الإحسان إليهم باب الخير والسعادة والقرب من الله، وكذلك حافظ علي مال اليتيم - لا من خلال السجلات والأوراق التي يتلاعب فيها بعض الناس بمهارة شديدة ولكن من خلال الوعيد الذي لا يقدر على تنفيذه إلا الله.

هذه النهاية لا يوجد شبيه لها ولا قريب منها في المواثيق التي يتغنى الناس بها في المحافل والمؤتمرات ويعتبرونها قمة ما وصلت إليه البشرية في حفظ الحقوق وإرساء التشريعات.

هذه المدينة وتلك الندوة

بقلم/عادل خفاجة


مسقط.. الأصالة والمعاصرة

أما المدينة فهي مدينة مسقط التي حظيت على مدى سنوات النهضة الحديثة بالكثير من الاهتمام باعتبارها مدينة تاريخية ومحطة تجارية منذ العصور الإسلامية الأولى وبخاصة أنها تتميز بموقع استراتيجي مميز على بحر عمان المرتبط بالخليج العربي وبحر العرب والمحيط الهندي، وهو ما جعل مسقط مركزاً بحرياً مؤثراً في حركة الاتصال بين آسيا وأفريقيا وأوروبا.

وتضم محافظة مسقط ست ولايات هي: مسقط، ومطرح، وبوشر، والسيب والعامرات وقريات.

ومسقط هي عاصمة سلطنة عمان صاحبة الموقع الاستراتيجي حيث تقع السلطنة في أقصى الجنوب الشرقي لشبه الجزيرة العربية وتمتد بين خطي عرض ١٦،٤٠ و ٢٦،٢٠ درجة شمالاً وبين



خطى طول ٥١,٥٠ و٥٩,٤٠ درجة شرقاً وتطل على ساحل يمتد بطول ٣١٦٥ كيلومتراً ومساحتها ٣٠٩,٥٠٠ كيلو متر مربع.

أما الندوة.. فهى ندوة تطور العلوم الفقهية التى تقيمها سنويا وزارة الأوقاف والشئون الدينية بعمان فى دورتها التاسعة تحت عنوان «الفقه الحضارى - فقه العمران» إذ جاءت الندوة الأولى فى عام ٢٠٠٢م تحت عنوان: تطور العلوم الفقهية فى عمان خلال القرن الثالث الهجرى - الإمام محمد بن محبوب أنموذجاً، ثم الندوة الثانية بعنوان: «الخطاب الدينى فى شعر أبى مسلم البهلانى الرواحى» ثم الثالثة بعنوان: «تطور العلوم الفقهية فى عمان خلال القرن الرابع الهجرى - القواعد الشرعية أنموذجا» ثم الرابعة بعنوان: «تطور العلوم الفقهية فى عمان خلال القرن السادس الهجرى - التأليف الموسوعى والفقه المقارن»، وجاءت الندوة الخامسة بعنوان: «تطور العلوم الفقهية فى عمان من القرن السابع إلى العاشر للهجرة - الفقه العمانى والمقاصد الشرعية» ثم الندوة السادسة كانت تحت عنوان «فقه النوازل وتجديد الفتوى» وجاءت الندوة السابعة لتحمل عنوان: «التقنين والتجديد فى الفقه الإسلامى المعاصر» وحملت الندوة الثامنة عنوان: «الفقه الإسلامى والمستقبل - الأصول المقاصدية وفقه التوقع» عام ٢٠٠٩م أما الندوة الحالية ٢٠١٠ فندوة: «الفقه الحضارى - فقه العمران» والتى أقيمت برعاية معالى عبدالعزيز بن محمد الرواس مستشار جلالة السلطان للشئون الثقافية.

وقد استهلت بخير استهلال: قراءة مباركة من آى الذكر الحكيم. ثم كلمة وزارة الأوقاف والشئون الدينية ألقاها **سعادة الدكتور عبدالرحمن بن سليمان السالمى - رئيس اللجنة التحضيرية للندوة**، قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله

معالى عبدالعزيز بن محمد الرواس الموقر

مستشار جلالة السلطان للشئون الثقافية

راعى الحفل.. أصحاب المعالى الوزراء، أصحاب السماحة والفضيلة، أصحاب السعادة العلماء الأجلاء الضيوف الكرام

ربما لم يكن تعبير أو مصطلح «الفقه الحضارى - العمرانى» متداولا لدى الفقهاء فى الفترة الإسلامية المبكرة والوسيطة بيد أن المؤرخ الكبير ابن خلدون عندما كان يحاول وضع قوانين أو محددات للتطور التاريخى للمجتمعات والدول تحدث عن «العمران البشرى» فتطور المجتمعات البشرية عنده يخضع لقوانين يكون على المؤرخ أن يتابعها ويتفهمها لكى يستطيع فهم الماضى وتاريخه والحاضر المتعايش معه.

وفى هذا اللقاء السنوى المتجدد تقدم وزارة الأوقاف والشئون الدينية أطروحتها فى هذه المسألة وهو فقه العمران والحضارة من وجهين: الوجه المبكر والوسيط، والوجه الحديث والمعاصر، فالتجربة الإسلامية القديمة، الفقهية والكلامية والعمرانية والتنظيمية، غنية بموضوعات العمران البشرى والإنسانى، ليس من حيث التنظيم والمتابعة لجهة الأحكام ورعاية حياة الناس، وتسهيل مرافقهم، وصون



سلامتهم فى سبلهم وأسفارهم وسكناهم ومواطن عباداتهم وحسب، بل ولجهة أو جهات التنمية والتحسين والتطوير.

وستظهر فى أعمال هذه الندوة القواسم المشتركة للتجربة الحضرية أو الحضارية الإسلامية فى معظم المجالات الحياتية المختلفة منظورا اليها دوما من أعمال الفقهاء وأحكامهم والتنظيمات التى اقترحوها فضلا عن الأجزاء الأخرى من النخبة الاسلامية العالمية.

بيد أن الأمر كما سبق القول لا يقتصر على التجربة الاسلامية المبكرة أو الوسيطة، بل تتناول أيضا والى حد كبير التوجهات ووجهات النظر الحديثة والمعاصرة، وتبدو التوجهات المعاصرة فى الاجتهادات الاسلامية بالتأمل والتشريع لمجالات لم تكن معروفة قديما أو أن الحلول والمعالجات التى كانت مطروحة لها لم تعد ملائمة.

وهكذا يجتمع فى ندوة تطور العلوم الفقهية التاسعة هذه، نخبة عظيمة من العلماء يقدمون فيها التجربة التاريخية الحضرية والحضارية

الاسلامية كما أنهم يتابعون من جهة أخرى الجهود المبذولة فى الأزمنة الحديثة والمعاصرة للتطوير والتحسين والتنمية من جانب علماء المسلمين، والمشكلات المتعلقة بالرأى والفتوى فى المسائل التى أتت بها الاجتهادات المعاصرة.

معالى راعى الحفل
الحضور الكرام

إن هذه الندوة فى أطروحتها المتجددة لا تبتدع جديدا فى المادة أو الاهتمام، بل انها تسعى لإنتاج رؤية جديدة ووعى جديد للعمران الحضرى والحضارى الاسلامى الذى دار النقاش فيه طويلا بين المؤرخين وعلماء الاجتماع فى معنى الحضارة، والفرق بينها وبين الثقافة، والرأى الغالب اليوم أن الحضارة تتناول العناصر المادية فى المجتمع الانسانى على فترات متباعدة بينما تتناول الثقافة العناصر المعنوية والأفكار الاجتماعية والذهنية على فترات متباعدة أيضا، وكما سبق القول فإن ابن خلدون أطلق على المجتمع الإنسانى تعبير العمران البشرى والعمران فى كل الأحوال حضر وحضارة.

وفى الرؤية الجديدة التى يحاول العلماء المسلمون إنتاجها كان هناك اهتمام بالتفكير فى قواعد المصطلح الجديد «الفقه الحضارى» واهتماماته ورؤاه ومجالاته، على سبيل الإيضاح والتأصيل، وفيما عدا الموضوع المنهجى هذا انقسمت أعمال الندوة ـ كما سبق القول ـ إلى عهد مبكر وآخر جديد، ففى مجال التجربة الإسلامية المبكرة، كان هناك اهتمام بفقه المدينة والأسواق، وفقه السبل والطرق، وفقه الحضر وفقه الجوار وفقه السفر وفقه الوقف على ضعاف الناس والفقراء، وفقه الرياضة والترفيه والصحة النفسية، وكل هذه الموضوعات أحب الأساتذة الباحثون إدخالها فى باب فقه الإنسان وقد تحدثوا فى هذا الباب أيضا عن اهتمام الفقيه بحقوق الإنسان وحرياته فى نطاق المجتمع والدولة.

اهتم الفقهاء قديما بفقه الثروة الزراعية والحيوانية، وقسمة الأراضين، وتنظيم مرافق المياه واستعمالاتها وقد امتزجت هذه البحوث فى هذه الندوة بالبحوث المستجدة من ضمن الوعى الجديد بالبيئة وحمايتها، وحماية الموارد البشرية.

ولم تغب المدينة بسكناها وحيطانها والمساجد الجامعة وأماكن العبادة والأسواق والحياة الاقتصادية والنقدية من الناحيتين العمرانية والإنسانية عن أعمال الندوة وبحوث الباحثين، فوردت فيها عدة بحوث تناقش المشكلات والتنظيمات الحديثة.

وكانت هناك أخيرا تأملات فى مصائر المنظومة العمرانية والحضارية الإسلامية، فى ضوء التجارب الماضية، والاجتهادات المعاصرة، وفى علاقاتها بالعالم، وإمكانيات التجدد والتجديد وأدوار الفقيه والعلماء بشكل عام فى النهوض بالوجود العمرانى والحضارى الإسلامى.

معالى راعى الحفل
الحضور الكرام

إن هذه الندوة تقام بتوجيهات من لدن حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم - حفظه الله ورعاه - قائد هذه النهضة الكبرى فى العمران الحضرى والبشرى فى عمان على مدى أربعة عقود، لأجل تقدمها الحضارى مع

جانبيها الدينى والروحى.

والذى نرجوه ونتمناه من هذه الندوة بحضور هذه النخبة الجليلة من العلماء التمكن بالفعل من دراسة وتأمل هذه التأزم الحضارى الذى تعانى منه أمتنا، ليس عن طريق التمدح بالتجربة الإسلامية المبكرة، بل من طريق تجديد الرؤية والعزيمة من أجل تواصل متنام ومختلف بين الماضى والحاضر والتاريخ والمستقبل.

أهلا وسهلا بالعلماء الأفاضل الكرام الذين كتبوا بحوثا جادة وتحملوا مشاق السفر، أهلا بكم فى سلطنة عمان، موئل هذا الدين منذ قيامه، وواجهته على الجزيرة والمحيط.

والله ولى التوفيق،،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ثم توالت الكلمات فكان أول المتحدثين سماحة الشيخ العلامة **أحمد بن حمد الخليلى المفتى العام للسلطنة** حيث جاء فى كلمته:

ما أسعدنا من فرصة أن نلتقى مرة أخرى مع نخبة من العلماء فى ندوة تطور العلوم الفقهية على أن يكون المجال ومجال العمران والحضارة.

ولا ريب أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان مدنيا بطبعه، اجتماعيا بفطرته، وجعل الدين الإسلامى هو دين الفطرة وجعله دينا يتجاوب مع الفطرة الإنسانية التى فطره الله سبحانه وتعالى عليه، كما أن الله سبحانه جعل الإنسان مدنيا فانه شرع فى دينه هذا من المعالم الحضارية ما يصل مجتمعه وبأمته وبدينه ليكون عضوا فعالا مع المجتمع ومع الأمة ومع الدين حتى يكون التكامل بين الجنس البشرى، وإذا كان لكل حضارة طابعها الخاص فان حضارة الإسلام طابعها الأخلاق ولذلك كان عنصر الأخلاق يبدو واضحا فى كل تشريع يأتى من قبل الله عز وجل، كيف لا والله سبحانه وتعالى عندما أراد ان يثنى على نبيه العظيم عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والتسليم، كما أثنى عليه بالخلق العظيم، حيث قال:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

وقد جاء فيما روى عن النبى (ﷺ): «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، وهو - صلوات الله وسلامه عليه - ينبه على أن مكارم الأخلاق هى التى تجمع خير الدنيا والآخرة جميعا، وقد قال لأم المؤمنين أم سلمة (رضى الله عنها): «يا أم سلمة ذهب حسن الخلق خير الدنيا والآخرة»، ومعنى ذلك أنه لم يبق شيء من خير الدنيا والآخرة إلا اشتمل عليه، وكذلك - صلوات الله وسلامه عليه - يبين ان مكارم الأخلاق هى التى ترفع الإنسان فى الدنيا والآخرة، وقد قال: (إن أحبكم إلىّ وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا)، وإذا كان حسن الخلق من شيمة المسلم ومن طبيعة الإسلام فلا غرو أن تتمثل الأخلاق فى المجال العمرانى والمجال الحضارى فى الإسلام، ونحن نرى ان الله سبحانه وتعالى عندما يذكر عباده التعليم يقرن ذلك بالتزكية اذ بعث سبحانه وتعالى عبده ورسوله محمدا (ﷺ) معلما ومزكيا فهو يقول:

﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾

ويقول سبحانه:

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾

وقال سماحته: إن الله امتن بهذه النعمة على العرب الأميين، إذ قال:

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾

وحكى عن العبدين الصالحين الخليل إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل عليه السلام أنهما كانا يقولان في دعائهما وهما يرفعان قواعد البيت العتيق:

﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

فلا غرو أن نجد هذا الجانب في كل مجال من مجالات الحياة المدنية والاجتماعية الإنسانية، فلذلك كان العمران في الإسلام لا بد من أن يراعى فيه هذا الجانب كيف والإسلام يدعو الإنسان أولاً إلى الأخلاق كما يدعوه إلى العقيدة الصحيحة إذ يوجه سبحانه وتعالى المؤمنين والمؤمنات معاً الوجهة الأخلاقية عندما يقول:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾



ثم يتبع ذلك قوله: ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

النور ٣٠، ٣١

وأكد سماحته بأن العمران في الإسلام لا بد من أن يراعى فيه صون الحرمات وستر العورات فجاء الفقه الإسلامي على هذا الأساس في بناء المدنية الإنسانية.

وفي كلمته أكد **فضيلة الشيخ علي عبدالباقي الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية** على أهمية المرسلين الذين يبعثهم الله لتصحيح مسار الإنسان حيث قال:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله المبعوث رحمة للعالمين صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه الذين اتبعوا هديه وأحبوا سنته.

﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

معالي السادة الوزراء والاخوة العلماء الحضور الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. حقيقة لقد عودتنا ندوة تطور العلوم الفقهية في عمان على أن القضايا العصرية التي تمس حياة الإنسان في الكون تطرحها على العلماء ليجتهدوا ويربطوا بين فقه الواقع وبين الشريعة الإسلامية ليذكرنا أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ خلق الإنسان وحدد رسالته في الكون في قوله تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

(الذاريات: ٥٦)

فحينما خلق الإنسان طغى وتكبر وتجبر على نفسه وظلم فكانت قدرة المولى عز وجل أن ينزل ويبعث رسله لهذا المخلوق، ليخبره ويعلمه برسالته التي خلق من أجلها ويعلمه أن هناك قوة عليا تحكم هذا الكون وسوف يقوم بمصير هذا الإنسان في هذه الأمة.

الله سبحانه وتعالى يبعث رسله يقولون:

﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾

ونزل بدون كتب وبدون تشريع، ليستقيم



سلوك هذا الإنسان، وأرسلت هذه الرسل لتضبط حركة الإنسان في الكون وتنظم علاقة الإنسان بهذه المفردات الكونية، ومقومات حياة الإنسان مقومات الحياة متعددة ومختلفة ومتنوعة، من هذه المقومات.. الإنسان نفسه فتضبط علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، وكما أن الكون مختلف في جزئياته ومقوماته أيضا، الإنسان مختلف في خلقته فمنهم الطويل والقصير والغني والفقير والضعيف والقوي، كل هذا الاختلاف مع اختلاف الألسنة، وهناك اختلاف أيضا في العقائد، هناك من يؤمن بالله وهناك من لا يؤمن بالله وهناك الملحد.

كل هذه الاختلافات في هذه البيئة التي من المفروض فيها أن تكون صالحة للإنسان ليتفرغ لعبادة ربه أخذ الإنسان يظلم نفسه مع أخيه الإنسان مرة أخرى.

وتصارع الإنسان الآن في البيئة الإنسانية في العقيدة والدين، وتصارع أصحاب الديانات كل يريد أن يجذب الآخر إلى دينه وما كان عليه أن يفعل هذا لأن الدين لله سبحانه وتعالى وهو

الذى يحكم فى هذا بين عباده يوم العرض عليه وهو الذى يقول:

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾

(البقرة: ٢٥٦)

والذى يقول:

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾

(الكهف: ٢٩)

ويقول:

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ﴾

(فاطر: ٣٩)

وهو الذى يقول:

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾

(يونس: ٩٩)

هذه ظاهرة من ظواهر علاقة الإنسان بأخيه الإنسان الله يحددها لا تقتتلوا فى الدين ولا داخل الدين الواحد فى المذاهب الأخرى بل هى رسالة نافعة للإنسانية جميعا لتوفير الأمن والأمان والسلام ليعبد الإنسان ربه وهو مطمئن حتى يخلص فى العبادة ولذلك اختم بآية واحدة فى آخر سورة هود:

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾

(هود: ١١٩)

بالتأمل البسيط فى هذه الآية «جعل الناس أمة واحدة»: أى على دين واحد جعلهم كلهم مسلمين أو جعلهم كلهم مسيحيين أو جعلهم كلهم يهوداً ولايزالون مختلفين، أى أن حكمة الله - سبحانه وتعالى - ألا يكون الناس كلهم على دين واحد، وهناك من بعض البشر من يريد أن يجعل الناس كلهم على دين واحد.. وهو مخالف لمشيئة الله سبحانه وتعالى.. وتأتى

﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾

إن الاختلاف والتنوع فى الدين وفى العقيدة وفى المذاهب هى إرادة الله - سبحانه وتعالى - وخلق الإنسان من أجل هذا حتى يكون كل على اختياره، كل على ما اختار لنفسه، كل على ما سلك فى هذه الحياة وإلا كنا مسخرين مثل باقى الكائنات ولا حاجة لمعنى البعث ولا الحساب ولا القيامة ولا الجنة والنار كل هذا موجود لينفى أن ينفى الإنسان لضبط حركته فى الكون بما أنزل الله عليه حتى يعبد الله ربه - سبحانه وتعالى - كما أراد الله منه وكما رسم الله له.. هذه عبر بسيطة وددت أن ألقيها بين أساتذتى وعلمائى، وحتى لا أطيل أنهى كلمتى وشكرا لحضراتكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

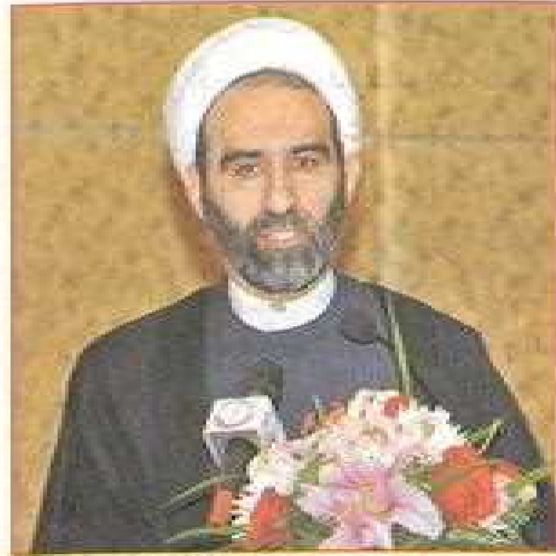
كما ألقى **سماحة الشيخ آية الله أحمد مبلغى** من علماء حوزة قم كلمة أكد فيها على أنه لابد من التركيز على الفقه الحضارى لتنشيط الأبعاد الثابتة لكل باب من أبواب الفقه، حتى لا نفقد الأبعاد الحضارية في الفقه، وسوف يكون الفقه بدون فعاليات وبدون أبعاده الحضارية، وأوضح أن الفقه سيعمل على تطوير المنظومة الفقهية إذ هو الخيط الرابط الذى تربط به المفاهيم الفقهيه.

وأضاف أن فقه الحضارة يتضمن عدة محاولات أهمها محاولة الكشف عن الأبعاد الاجتماعية للفقه، ومحاولة استخراج واستنتاج وتفعيل الجوانب الثقافية للفقه والتى أهملت إلى حد كبير، وكذلك محاولة إيجاد التلازم بين الفقه والواقع والقضايا المعاصرة وإعطاء أبعاد وجوانب عالمية وعولمة الفقه، وهذه كلها تتحقق من خلال تفعيل المنهج الحضارى فى استنباطنا للفقه، وحذر مبلغى من أن غياب الفقه الحضارى يعنى انقطاع الفقه عن الأخلاق وعند غيابه نكون غير قادرين على تحقيق تلك المفاهيم الأخلاقية التى تكون فى مرحلة قبل التدين والدين وجاء ليعمله، كما أن غياب الفقه الحضارى يعنى بقاء الجوانب الإنسانية فى مرحلة الخفاء والتخفى.

وقال سماحته: إن الفقه الحضارى يمهد لنا أكبر فرصة للمباحث كلها وللتبادل الفقهى المشترك لكى تبنى الحضارة الإسلامية الكبرى على أساس هذا التبادل والتقارب المشترك، وأن عقد هذه الندوة إن دلّ على شىء فإنما يدلّ على القابلية العظيمة فى هذه البلاد دولة وشعبا وعلماء.

وألقى **فضيلة الشيخ الدكتور وهبة الزحيلى** رئيس رابطة علماء الشام كلمة جاء فيها: إن رسالة الإسلام منذ فجر عهدها وعلى يد فقهائها كانت ولا تزال قائمة على الحضارة، الإنسانية والوسطية والاعتدال، فلا يمكن بحال من الأحوال أن تنفصل الحضارة والإنسانية والوسطية عن منطلقات الإسلام الكبرى، لأننا لو ظننا أن الفقه الحضارى هو قسيم موازٍ لبقية أنواع الفقه نكون قد ظلمنا فقهنا العظيم، ففقهنا كله يدور حول الحضارة وينبعث من الحضارة ويؤصل للحضارة وغايته هى بناء الحضارة.

ولكل هذا أقدم خالص التحية والتقدير للسلطنة مشرق الأرض الإسلامية والعربية،



حيث جمعت بين هذه المعانى الكريمة وحققت هذا التطور العلمي الواضح المعالم، فى الندوات الثمانى الماضية واتبعتها هذه الندوة وكل هذه الندوات تعبر عن التجديد والبناء والتقدم والإسهام فى دفع عجلة الحضارة العالمية.

لكل هذا نحن العلماء فى أسعد حال حينما نجد معالم هذه النهضة وهذه الحضارة المعبر عنها فى قول الله جل جلاله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾

«الأنفال: ٢٤»

والإحياء هو النهضة والحضارة، إحياء الفرد، إحياء الدولة، إحياء المجتمع إحياء الانسانية كلها.

الحضارة إذن معلم أصيل من معانى هذه الشريعة ليس مقصورا علي الفقه بالمعنى الضيق وإنما كل علوم الإسلام تشدت أن تحقق هذا المعلم العظيم لتتفاعل الشريعة مع الوجود الإنسانى، ولتعبر كل الأزمات التى تمر بالانسانية لتظل هذه

الشريعة خالدة على مدى الزمان إلى يوم القيامة.

وقال: إننى أفخر بأن هذه الندوات حققت هذه المعانى فى حصاد البحوث والمناقشات التى حدثت من قبل وفيما سيكون فى هذه الندوة.

وأهنئ السلطنة بهذا الانفتاح الذى جسده جلالة السلطان على العالم الإسلامى وعلماء هذه الأمة حيث أحسوا جميعا أنهم أبناء جلدة واحدة ورسالة واحدة ومهمة واحدة.

كما أريد أن أهنئ السلطنة لتوجيهات جلالة السلطان المعظم على ما حققه لهذا البلد الأمين من وجود الوفاق والألفة والمحبة بين جميع أتباع المذاهب الإسلامية دون أن يكون هناك أثر للنعرات ولا للخلافات ولا للفرقة الطائفية والعنصرية والمذهبية، فهذا توفيق عظيم من الله ـ جل جلاله ـ هدى الله السلطان منذ بداية عهده إلى أن يحقق هذا الأمل المرتقب والذى يعد أنموذجا حضاريا رائعا يحقق الأمن والاستقرار والسكينة والمحبة والألفة والتعاون فى أنحاء هذا المجتمع.

ونريد أن نؤكد أننا الآن على مفترق طرق وأننا نتعرض لتحديات جسيمة مطلعها أنهم يريدون تحجيم الإسلام وهدم معالمه من خلال التجزئة والفرقة وإثارة النزعات الطائفية والعنصرية والمذهبية فى كل بلد من البلدان وما وجود ظاهرة الإرهاب إلا دليل على هذا التوجه لنتقاتل ونعيش فى حمامات من الدماء ويترك من أشلاء هذه الضحايا التى يترفع الإسلام الحنيف عن أن يلوث بمثل هذه المساعى الخبيثة.

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾

«الأنبياء: ٩٢»



نريد أن نحفظ كيان بلادنا من هذه الفرقة وهذه التناطحات، نريد أن نترك كل مذهب ليعمل فى مذهبه ما يشاء ولكننا ينبغى أن نتفق على إحياء الجذور المشتركة بين جميع الفرق الإسلامية والمذهبية حتى نكون أمة واحدة قوية نقف أمام هذا العملاق الذى يريد تهديم أمة وجودنا وحضارتنا بل ورسالتنا وقرآننا. فعلينا أن نعى خطورة المرحلة التى نمر بها ولا علاج لها إلا أن نتجاوز كل الخلافات فيما بيننا وأن لا نبذر بذور الفرقة والشتات والتكفير الذى لا يعرفه الإسلام من قريب ولا بعيد لأن ذلك هو أول ما يطعن الحضارة الإسلامية ويدق بخنجر عميق جسد هذه الأمة وقلبها ومشاعرها وتحركاتها.. نريد أن نكون واعين لهذه المرحلة الخطيرة التى نمر بها حتى نسلم ويسلم ديننا وأمتنا وقرآننا وسنة نبينا وفقهنا من كل هذه المعكرات لأن كل ذلك غريب عن فكر الإسلام وحضارته ونهضته وبناء عمرانه.

وعلى مدى أربعة أيام توالت الجلسات لعرض ومناقشة أربعة وأربعين بحثا.

نسأل الله أن تتاح الفرصة لعرض موجز لبعضها فى عدد قادم.

وفى ختام الندوة كانت للمشاركين كلمة ألقاها **فضيلة الشيخ الدكتور السيد عبدالله فدعق الهاشمى المكى** قال فيها:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله الأطهار وصحبه الأخيار وسلم تسليما كثيرا،،،

سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلى المفتى العام لسلطنة عمان

فضيلة الشيخ د. عبدالرحمن بن سليمان السالمى رئيس اللجنة المنظمة لندوة تطوير العلوم الفقهية

أصحاب الفضيلة والمعالى والسعادة

الحضور المبارك

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد

فلقد أتاحت لنا عناية حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم يحفظه الله لهذا الحدث العلمى الرصين فرصة عظيمة للتباحث فى هذا الموضوع الحيوى الهام: «الفقه الحضارى ـ فقه العمران»، وأرجو فى البداية أن يسمح لنا إخواننا وأهلنا فى سلطنة عمان نحن الذين نشارك فى هذه الندوة السنوية المباركة أن نهنئكم على نيلكم أرقى درجات الإبداع الدينى والثقافى والفكرى والاجتماعى، وفى ذات الوقت نستأذنكم فى أن تسمحوا لنا أن نعلن



لكم ونكل غبطة عن سر حصادكم لها، إنها الشخصية العمانية التى تحب الحياد والهدوء والابتسامة، وتكره الانحياز والجلبة والحديث عن النفس، إنها شخصية السلطان فى السلطنة، السلطان الذى تعمق فى دراسة الدين الإسلامى، وكل ما يتصل بالتاريخ والحضارة، والأدب والفلك وشؤون البيئة، مع الاهتمام بالمعاصرة جنبا إلى جنب مع الأصالة والحفاظ على الهوية، فهنيئا ثم هنيئا لكم ولمن يحبكم.

الحضور الكريم

إن «فقه العمران» من الفقه القديم الجديد الذى يحتاجه المجتمع فى حركة نموه واطراد حاجاته، ولقد ساهمت هذه الندوة المباركة فى تحديد أهم ملامحه من خلال الحديث عن غاية العمران من خلق الإنسان، ومن خلال الإمعان فى مقاصد التشريع التى جاءت دلالاتها بالتأكيد على هذه الغاية. ولقد تأكد بما لا شك فيه أن هناك طلبا تشريعيا قد وجهه العلماء المشاركون للأمة كلها لعمارة الأرض، مع تأكيداتهم على أن

مفهوم العمران ليس مفهوما ماديا بحتا، إنما هو أثر لقوة العلم والقيم وعمق الوعي بسنن التحضر والمدنية. هذه القوة وهذا العمق أكدا أيضا تفرد هذه الأمة الإسلامية بمنهج حضاري يقي العالم من إفرازات وسلبيات الحضارة المدنية الراهنة وعولمتها التي اجتاحت العالم بأسره. نعم لقد فتحت ندوة «الفقه الحضاري ـ فقه العمران» الباب لأهل العلم والبحث لمزيد من التنظير والتأطير، لتأسيس فعل حضاري رشيد يبني الدنيا وفي ذات الوقت يعمر الآخرة.

أذكر ما ذكرت، وكلي يقين من أنه لا يعقل أن تقف أمام ما تقدمه البشرية من سيل المعلومات الكثيفة والقضايا الحديثة والمسائل المستجدة دون فقه جديد، وخبرة وآراء جديدة، الأمر يحتاج فقط إلى أن نحسن الجمع بين الأصالة والمعاصرة، وبين المحافظة على الثوابت الإسلامية، ومراعاة المتغيرات التي تتغير بسبب تغير المصالح والأعراف، والمكان والزمان. لا شك أن الدين كل لا يتجزأ؛ عبادات ومعاملات، فقه وعقيدة، وكلها تنشد تحقيق الفرد والمجتمع الفاضلين، والمهم أن نراعي عدم الفصل بين ساحتي العبادات والمعاملات، وإن كانت المعاملات مهمة جدا، وكما يقولون: «الدين المعاملة».

ختاما؛ باسمي وباسم من أسعد بالحديث نيابة عنهم أعطف الشكر الذي ابتدأته مع الشكر الذي لا ينتهي لكل مهتم بتطوير الفقه، ولكل من اهتم بإنجاح ندوتنا هذه ندوة تطوير الفقه التاسعة، وملتقانا في العاشرة وما بعدها بحول الله، ونحن وأنتم في أسعد حال، وأهنأ بال، دمتم بخير، ودامت أيام التفقه في الدين بكم عامرة.

ثم ألقى التوصيات **سعادة الدكتور سالم بن هلال الخروصي مدير عام الوعظ والإرشاد** بالوزارة حيث قال:

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة الشيخ/ أحمد بن حمد الخليلي المفتي العام للسلطنة

راعي الحفل الختامي لندوة تطور العلوم الفقهية في عمان «الفقه الحضاري-فقه العمران».

أصحاب السماحة والفضيلة العلماء الأجلاء.

أيها الحفل الكريم:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.، لقد مرت الحضارة الإسلامية طيلة أربعة عشر قرنا ونيفا بأطوار متعددة، انتقلت فيها من طور التأصيل إلى طور الاجتهاد، مرورا بالتقليد وعودا إلى الاستنباط، وفي كل مرحلة خرجت إلى النور مؤلفات تعنى بمستجدات كل عصر، تباينت بين البحوث المختصرة والفتاوى والموسوعات، وشملت الجوانب الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وغيرها، فشكلت إرثا حضاريا، ومرجعا تاريخيا وفكريا، حددت فيها الأصول الفقهية، وقعدت القواعد الشرعية، فكانت مسلك المجتهدين، ومنهج الفقهاء المجددين، واليوم في الندوة التاسعة لتطور العلوم الفقهية في عمان، التي تحمل عنوان الفقه الحضاري – فقه العمران نسير على خطى ماضينا العريق لخير حاضرنا المعيش، ولمستقبل أمتنا المشرق، ننظر في ظروف زماننا ونستقرئ أحوال مجتمعنا، ونستشرف مستقبل أجيالنا، ونحن نغترف من معين كتاب ربنا،

ونستلهم من سنة نبينا – ﷺ –.

إن هذه الندوة التاسعة لتطور العلوم الفقهية في عمان الفقه الحضاري – فقه العمران التي بدأت أعمالها في الثامن عشر من ربيع الآخر لعام ألف وأربعمائة وإحدى وثلاثين من الهجرة، الموافق الثالث من إبريل لعام ألفين وعشرة للميلاد برعاية من معالي/ عبد العزيز بن محمد الرواس مستشار جلالة السلطان للشؤون الثقافية، والتي استمرت جلساتها طيلة أربعة أيام، استعرض فيها العلماء والباحثون الذين وفدوا مشكورين من كافة أرجاء المعمورة ليرفدوا هذه الندوة بما تعنى به مجتمعاتهم من قضايا فقه العمران اجتماعيا واقتصاديا وبيئيا ومهنيا إلى غير ذلك من محاور.

إن هذه الندوة تسدل ستارها اليوم الثلاثاء الحادي والعشرين من ربيع الآخر لعام ألف وأربعمائة وإحدى وثلاثين للهجرة الشريفة الموافق السادس من إبريل لعام ألفين وعشرة للميلاد عما تمخض عنها من توصيات كانت نتاج حوار هادف ومداخلات بناءة ونقاش علمي معطاء، فجاءت على ما يأتي:- أولا: إن للفقه الحضاري أو فقه العمران مفهوما شاملا لا يقتصر على الجانب الإنشائي أو المادي فحسب، بل يشمل جوانب معنوية كثيرة تكتمل بها نظرية الحضارة الإسلامية، فهناك قيم العدل والأمن والعلم والحرية والرخاء والأخوة والتعاون والتكافل وغيرها من الجوانب المشرقة في حضارة الإسلام، لا بد من العناية بها فقها وتأصيلا، يلي ذلك التركيز على جانب التطبيق بعد التنظير، وصولا إلى العناية بجوانب الحضارة المادية مع نظيرها من الجوانب المعنوية بحيث يقدم الفقه الحضاري



للعالم أجمع على أنه مشروع متكامل.

ثانيا: فتح الإسلام أفق النظر في الكون للاستفادة العلمية والعملية: «قل سيروا في الأرض فانظروا»، ونحو ذلك من النصوص التي تعد قاعدة ومنطلقا للفقه الحضاري العمراني بما مكن أهل الخبرات المختلفة من إبراز مواهبهم وأفكارهم في بناء الحياة وتطويرها، وحيث إن الفقه الحضاري لا يمكن أن يستقيم عوده إلا باستقائه من ينابيع الدين الصافية، فلذلك توصي الندوة بإعداد مصنف مرجعي يشتمل على نصوص الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المرتبطة بمكونات الفقه الحضاري، مرتبا ومبوبا على مسائل العمران، بحيث يشكل مادة نصية مرجعية في ذلك.

ثالثا: إعداد مدونة واسعة للفقه الحضاري يشتمل على مباحث الفقه المتعلقة بمسائل العمران وفقه البيئة والمياه ونحوها، لإيجاد فقه مفصل مؤصل في هذه المجالات بين أيدي الفقهاء المحدثين، يربط فيه الفقه الحضاري بالفقه

الموروث وفق المذاهب الفقهية المتعددة، للخلوص إلى رؤية عامة وشاملة للمسائل المتعلقة بذلك، ثم وضع إطار مستقبلي لاستيعاب مستجدات الحياة الحديثة المعاصرة.

رابعًا: للعمانيين إسهامات واضحة في بناء الحضارة الإسلامية منذ دخول الإسلام، وقد كان عهد الإمام الصلت بن مالك الخروصي شاهدًا حضاريًا على ذلك، لما احتواه من قيم ومبادئ تضبط سلوك المسلم في حالي السلم والحرب، والرخاء والمحن، ومن منطلق هذه الوثيقة الحضارية العمانية توصي الندوة بالآتي:

أولاً: دراسة هذا العهد وتحقيقه وترجمته إلى لغات عدة والتعريف به في المحافل الإقليمية والدولية المهتمة بحقوق الإنسان، لما تضمّنه من أسس أخلاقية في التعامل مع أسرى الحرب.

ثانيًا: دراسة كلّ ما حفظه التراث من عهود إسلامية سابقة لاستخراج الأسس الحضارية والاستفادة منها في بناء الحضارة الإسلامية الجديدة، وقضايا التواصل والتعارف مع الأمم الأخرى.

خامسًا: التأكيد على رؤية الإسلام العميقة والأصيلة والسابقة في احترام الحرية الفردية في مقابل شمول المجتمع وتوجهاته، وإعمال التوازن بين المصالح الفردية والجماعية بحسب القاعدة المعروفة لا ضرر ولا ضرار.

سادسًا: إظهار رؤية الإسلام في إعمار الكون وإصلاحه، وعنايته بتنمية حياة الناس وجميع الكائنات والمخلوقات في مختلف البيئات، من خلال قواعد الفقه ومقاصد الشريعة المعنية بذلك، ليكون هذا ردًا حضاريًا على ما يُتّهم به الإسلام من إرهاب وعنف ونحوه.

سابعًا: الأصل في البيئة السلامة والنقاء، وتلوثها هو من جناية الإنسان بسوء التصرف معها وإفسادها، فينبغي التوعية المستدامة لحماية البيئة وصيانتها لتكون عونًا على الحياة الكريمة.

ثامنًا: الحدّ من ظاهرة التصحر والاحتباس الحراري والاهتمام بالتشجير انطلاقًا من حضّ الإسلام على الغرس والزرع.

تاسعًا: إحياء الآداب والأخلاقيات التي أسهم بها الفقه الإسلامي في التعامل مع المياه، والتراث الموروث يحتوي على جوانب عدة لا تزال تحمل بداخلها عناصر بقائها وفاعليتها في هذا المجال، ووضع ميثاق أخلاقي لاستهلاك المياه وتضمينها في قوانين إدارتها.

عاشرًا: الاهتمام بمسائل تقسيم الأرضين والاستثمار العقاري مع الحفاظ على سلامة البيئة، والإفادة في ذلك من الموروثات الفقهية والخبرات الكبيرة للمزارعين بما يخدم أغراض التنمية والبيئة الصحية.

حادي عشر: لقد عمل الفقهاء والإداريون والمشتغلون بالشأن العام طويلاً على تنظيمات المدينة الإسلامية في العصر الوسيط، ولا شك أنّ التنظيمات الحديثة مختلفة، لكن يمكن الإفادة كثيراً من التراث الأخلاقي والتنظيمي للمدينة، إسهامًا في معالجة المشكلات المتفاقمة للديموغرافيا المعاصرة.

ثاني عشر: عني الإسلام بالطريق وجعلها من المصالح العامة التي تجب المحافظة عليها، وصرف كلّ ما يؤذي المارّة عليها، ومن هنا وجب التزام



قواعد المرور التي يُؤدّي التفريط فيها إلى الإضرار بالآخرين، ونشر ثقافة الوعي بهذه القواعد على أنها واجبٌ شرعيٌ يستحق مخالفُه العقوبة الأخروية مع العقوبة الدنيوية. وكما يلزم مرتادي الطريق مراعاة حقوقها المادية والمعنوية، كالستر وغض البصر ورد السلام ونحوها، فكذلك يلزم المشرفين على الطرق حفظ الحقوق الاجتماعية والأخلاقية، وتجنيب كل ما شأنه التشويش على قائدي المركبات ووقوع الحوادث.

ثالث عشر: اتخاذ الإجراءات والوسائل التي تحول دون التلاعب بالأسواق المالية والاحتكارات، وتشجيع المؤسسات المالية على التعامل وفق قيم الفقه الحضاري باعتبارها حلولاً للأزمات المالية الحالية.

رابع عشر: لا يقتصر دور المسجد على أداء العبادات البدنية كالصلاة، بل يشمل كل جوانب الحياة التي لها صلة بالمسجد كالأنشطة العلمية والاجتماعية، وهذا يستدعي التنسيق بين علماء الشريعة والمهندسين المعماريين عند تصميم المساجد لاستغلال جميع مساحات المسجد وتزويده بالمرافق اللازمة لأداء رسالته.

خامس عشر: جاء الإسلام الحنيف بما يحفظ للعامل حقوقه المادية والمعنوية باعتباره موردًا بشريًا حيويًا، ومن هنا توصي الندوة بضرورة دراسة حقوق العمال ونشر ثقافة احترام العامل وعدم ازدرائه وانتقاصه، وإعمال المبادئ الأخلاقية الحضارية المتصلة بحقوق العمال.

سادس عشر: تعميم التصورات الفقهية الحضارية في مناحي الحياة المختلفة، وإشاعتها عبر وسائل الإعلام والدروس والمحاضرات والخطب، وضمن المناهج التعليمية بشقيها العام والعالي، وذلك لبيان عظمة التراث الفقهي من جهة، ولاستعادة بعض تلك القيم والتعاليم والتأسّي بها من جهة أخرى.



سابع عشر: العمل على الانفتاح على محيطنا الإقليمى والدولى لفهم التغيرات التى تعتمل داخله ولها صلة وثيقة بمجتمعاتنا، ومن هنا تبرز أهمية الإسقاط على الواقع والالتفات إلى فقه النوازل المعاصرة لإزالة ما يشكل على الناس، وربطهم بقواعد الشرع الحنيف وأصوله الثابتة.

ثامن عشر: يجب أن يكون هناك تواصل بين المشتغلين بالفقه الحضارى والمعنيين بتطبيقه فى المؤسسات المدنية، من أجل تضمين القيم والأحكام الفقهية العمرانية التشريعات والقوانين، الأمر الذى يؤدى إلى دقتها وانضباطها مع مقتضى الواقع وتغير أحوال المجتمع ويضمن استمرارها واستدامتها.

تاسع عشر: توصى الندوة بالاهتمام بإظهار دور الأوقاف الإسلامية فى تفعيل فقه العمران.

هذا وفى ختام هذه الندوة يرفع العلماء والباحثون المشاركون فى الندوة أسمى آيات الشكر والتقدير والعرفان إلى المقام السامى حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم - حفظه الله ورعاه - على عظيم اهتمام جلالته بهذه الندوة وسائر الندوات التى تُعنى بقضايا المجتمع وصولاً إلى النتائج المرجوة لبنائه ورقيه، متمنين لجلالته موفور الصحة والعافية والعمر المديد، والسلطنة تستشرف عقدها الخامس المزدهر بالإنجازات، المفعم بالأمل، المشرق بالعطاء.

كما تتقدم وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بخالص الشكر والتقدير إلى العلماء المشاركين على جميل استجابتهم لدعوتها، وما أسهموا به من غزير علمهم فى هذه الندوة المباركة، مما كان له الأثر الطيب فى توصياتها، شاكرين الجميع على حضورهم وإنصاتهم، متمنين أن نلتقى بهم فى الندوة القادمة - إن شاء الله تعالى -.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

أنباء مكتب الإمام الأكبر

للأستاذ/ أحمد إبراهيم توفيق
مدير عام الإعلام بمكتب الإمام الأكبر



الإمام الأكبر: الأزهر كان سببا رئيسيا فى وحدة المسلمين الثقافية

عقد فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد الطيب شيخ الأزهر الشريف مؤتمرا صحفيا بمكتبه صباح يوم الأحد ٢٠١٠/٣/٢١ وذلك فى أول يوم له بالعمل كشيخ للأزهر الشريف.

قام فضيلته فى بداية المؤتمر بتقديم خالص العزاء للأمة الإسلامية فى فقيدها الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الراحل.

وعبر عن سعادته بقرار تعيينه شيخا للأزهر موجها الشكر للسيد الرئيس/ محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية على الثقة التى أولاه إياها معتبرا ذلك تكليفا ومصدرا للعمل، متمنيا لسيادته دوام الصحة والعافية، وأن يعيده لمصر سالما فى أتم صحة وعافية.

وقال: لم أكن بعيدا عن العمل فى مشيخة الأزهر فقد كنت يوميا مع الإمام الراحل نتناقش فى أمور العمل بجامعة الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية والمجلس الأعلى للأزهر.

وأضاف أن هناك مهام كثيرة أمامى فى العمل أبدأها بمواصلة البناء على المكاسب التى حققها الإمام الراحل لأنها مبادىء لا يمكن المساس بها، لكننا سنبنى ونطور، خاصة ملف التعليم الأزهرى، وكذلك منهج الوحدة الوطنية الذى يحرص عليه الأزهر باعتباره يمثل الإسلام فى هذه النقطة.

وأكد على أنه سيعمل على أن يظل الأزهر المرجعية الأولى للثقافة الإسلامية والفيصل فى كل ما يجد للمسلمين باعتباره المرجعية الأولى للعقل الإسلامى.

وأوضح أن الأزهر كان سببا رئيسيا فى وحدة المسلمين الثقافية، وكان دوره محوريا فى الحفاظ على وحدة الأمة وعدم حدوث نزاعات أو حروب تقوم على أساس مذهبى، فلا يوجد مذهب فقهى أو عقائدى يتحدث باسم الإسلام، فالأزهر يدرس جميع المذاهب ويطرحها كمذاهب معبرة عن الإسلام مؤكدا على أن الأزهر سيعمل على وحدة المسلمين داخل وخارج مصر.

ومن جانبه أشاد فضيلة الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف بقرار السيد رئيس الجمهورية واختياره لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ أحمد الطيب شيخا للأزهر مؤكدا أن الإمام الأكبر يمتاز بالهدوء والعقلانية والرزانة، فهو يجمع بين المميزات العقلية والخلقية والعلمية التى تؤهله لقيادة الأزهر الشريف كما يتمناه الجميع.

ومن جانبه عاهد الدكتور/ محمد واصل وكيل الأزهر باسم جميع العاملين فى مشيخة الأزهر فضيلة الإمام الأكبر على الإخلاص والأمانة فى العمل من أجل رفعة الأزهر الشريف.

وفى ختام المؤتمر أجاب فضيلة الإمام الأكبر عن أسئلة الصحفيين التى تم طرحها مؤكدا أن منهجه أزهرى حتى النخاع وكل ما يتعارض مع ذلك سنقف له بالمرصاد الفكرى فالأزهر ليس له أجندة سياسية أو حزبية ولكنه مؤسسة أكاديمية.



الإمام الأكبر يستقبل رئيس مجلس الشعب

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر بمكتبه صباح يوم السبت ٢٧/٣/٢٠١٠ الأستاذ الدكتور/ أحمد فتحى سرور رئيس مجلس الشعب وذلك لتهنئة فضيلة الإمام الأكبر بتوليه مشيخة الأزهر الشريف.

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر أن مشيخة الأزهر تشرف باستقبال الدكتور/ أحمد فتحى سرور رئيس مجلس الشعب الذى يقف على ثغر هام وخطير فى مصر حيث التشريع والتأصيل والتقنين، وهو أستاذ جليل مخضرم تعلمنا منه الفرق بين القواعد فوق الدستورية والقواعد الدستورية القابلة للتغيير والتى تقود قاطرة القوانين فى اتجاهها الصحيح نحو الأصالة والمعاصرة.

ومن جانبه قال رئيس مجلس الشعب: إنه جاء داعيا قبل أن يأتى مهنئا للإمام الأكبر باسم مجلس الشعب، متمنيا لفضيلته التوفيق فى أن يظل الأزهر مقدما لدوره فى إعلاء الإسلام ونشر تعاليمه، وأن يكون منارا لنشر الفكر الوسطى فى العالم الإسلامى فمصر لا تعرف فقط بأهراماتها ولكن بأزهرها، فمصر درة العالم الإسلامى.

وأضاف: إن الأزهر على يد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ أحمد الطيب شيخ الأزهر سيعلو شأنه لأن فضيلته بعلمه ودراسته الأكاديمية وتوليه لمنصبى الافتاء ورئاسة جامعة الأزهر يستطيع تأصيل الأمور وتوصيلها للعالم الإسلامى.



ويستقبل رئيس مجلس الشورى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر صباح يوم الاثنين ٢٩ / ٣ / ٢٠١٠ السيد الأستاذ/ صفوت الشريف رئيس مجلس الشورى وذلك لتهنئة فضيلة الإمام الأكبر بتوليه مشيخة الأزهر الشريف.

وأكد رئيس مجلس الشورى أن جميع طوائف الشعب رحبت بتولي فضيلة الإمام الأكبر لمشيخة الأزهر لما يتمتع به من العلم والحكمة والحزم المعهودين عن فضيلته. وقال إن مجلس الشورى كمجلس تشريعي ونيابي يؤيد فضيلة الإمام الأكبر ويدعمه في كافة القضايا.

ومن جانبه أكد فضيلة الإمام الأكبر أن الأزهر الشريف يرحب بدعم ومساندة مجلس الشورى وذلك لما يمثله المجلس من أهمية كبرى في مجال التشريع وسن القوانين في خدمة الوطن.

الإمام الأكبر يستقبل الدكتور عكرمة صبرى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر بمكتبه صباح يوم الثلاثاء ٣٠ / ٣ / ٢٠١٠ الدكتور/ عكرمة صبرى مفتى القدس السابق وذلك لتهنئة فضيلة الإمام الأكبر بتوليه مشيخة الأزهر الشريف.

وأكد فضيلة الإمام الأكبر على ضرورة توعية الشعوب العربية والإسلامية بتاريخ القدس وعروبتها وإسلاميتها وإعداد كتب ومطبوعات من قبل متخصصين في التاريخ والتربية ليكون هذا مادة علمية شاملة يمكن تدريسها للطلاب بالتنسيق مع وزارة التربية والتعليم.

وأضاف ان المسئولين في القدس يجب أن يبدأوا في هذا الأمر وأننا في الأزهر على استعداد لمراجعة الكتاب وتوزيعه مع جريدة صوت الأزهر ومجلة الأزهر.

ومن جانبه أيد مفتى القدس السابق فضيلة الإمام الأكبر على اقتراحه بضرورة توعية الشعوب



العربية والإسلامية بتاريخ القدس وإعداد كتاب يوضح ذلك، وكذلك ما يتعرض له القدس الشريف من تهويد مستمر حتى يكون هناك موقف عربى إسلامى موحد.

ويستقبل المدير الإقليمى لبرنامج الأغذية العالمى

●● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر بمكتبه صباح يوم الأحد ٢٨ / ٣ / ٢٠١٠ السيد/ الدالى بلقاسمى المدير الاقليمى لبرنامج الأغذية العالمى برافقه السيد/ جيان بيتر ممثل مكتب القاهرة والسيد/ أشرف حمود مدير تنمية الأعمال بالمنظمة وذلك لتهنئة فضيلة الإمام الأكبر على تعيينه شيخا للأزهر الشريف متمنين لفضيلته دوام التوفيق فى عمله.

وفى بداية اللقاء قدم المدير الاقليمى للمنظمة شرحا موجزا عن برنامج المنظمة والذى يعد أكبر البرامج العالمية فى التغذية التى تهتم بالمجاعة ومساعدة الفقراء، وأكد على أن المنظمة تحتاج إلى دعم الأزهر والتواصل معه لنشر الوعى الدينى لحث الأغنياء على مساعدة ومؤازرة الفقراء، لأن دعم الأزهر قوة عالمية لرسالة المنظمة.

ومن جانبه قال فضيلة الإمام الأكبر إن دور المنظمة مهم جدا، ونتمنى أن يصل إلى مرحلة التأثير ليلتف حولها الأغنياء من أجل مساعدة الفقراء.

وأضاف: إنه بدعم الأزهر للمنظمة ستكون أكثر تأثيرا، لأن الأزهر الصوت المعبر عن الفقراء.



ويستقبل البابا شنودة الثالث

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر بمكتبه صباح الثلاثاء ٢٣ / ٣ / ٢٠١٠ قداسة البابا/ شنودة الثالث بطريرك الكرازة المرقسية وذلك لتهنئة فضيلة الإمام الأكبر بمناسبة تولي فضيلته مشيخة الأزهر الشريف.

أكد البابا شنودة فى كلمته على سرور الكنيسة القبطية باختيار فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ أحمد الطيب شيخا للأزهر لما نعرفه عنه من صلة طيبة وموضع محبة وتقدير من الجميع ونرجو من الله أن يوفقه فى أداء رسالته وأن يسير على نهج شيخ الأزهر الراحل لأن عمله شاق.

ومن جانبه قال فضيلة الإمام الأكبر: إننى كنت أتمنى أن أبادر قداسة البابا بالزيارة إلا أنه أصر على المجيء وتشريفنا بزيارته.

هذا وقد تواصل استقبال فضيلة الإمام الأكبر لكبار رجال الدولة الذين توافدوا لتقديم التهنئة لفضيلته، حيث استقبل الاستاذ الدكتور/ هانى هلال وزير التعليم العالى، والاستاذ الدكتور/ أحمد زكي بدر وزير التربية والتعليم، والدكتور/ جلال سعيد محافظ الفيوم، كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتورة/ فايزة أبوالنجا وزيرة التعاون الدولي، والسيد أحمد أبوالغيط وزير الخارجية، والدكتور أحمد درويش وزير الدولة للتنمية الإدارية.

أنباء مجمع البحوث الإسلامية

للأستاذ/ يحيى سليمان

الأمين العام يستقبل مدير مكتب جريدة لوس أنجلوس تايمز

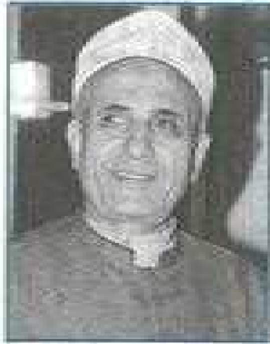
استقبل فضيلة الشيخ- على عبدالباقى شحاتة- الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بمكتبه السيد- جيفرى فلايشمن مدير مكتب جريدة لوس أنجلوس بالقاهرة يرافقه السيد- عمرو حسن مراسل الجريدة بالقاهرة.

تمحور الحديث حول دور الأزهر فى الحياة العامة، وكذا دور مجمع البحوث الإسلامية فى الدعوة الإسلامية «داخليا، وخارجيا» وكذا دوره فى تثقيف شباب العالم الإسلامى.

وقد أكد الأمين العام للمجمع على عدة حقائق جاءت كما يلى:

١- إن دور الأزهر فى الحفاظ على ثوابت الدين وأصول العقيدة الحقيقية واضح وجلى للكافة والخاصة، كما أن دور مجمع البحوث فى تنقية التراث الإسلامى من الشوائب والفضول وكل ما يضر بالمجتمع الإنسانى أيضا واضح.

٢- إن الأزهر الشريف يقوم - وبكل حب- بتقديم كل الممكن من أجل تدعيم أواصر المحبة وتعميق العلاقات مع كل شعوب العالم، ويمقت إشعال وقود الاحتكاكات الطائفية والمذهبية، ويرى أنها أخطر ما يمكن أن تزهق روح الأمة.



الشيخ/ على عبدالباقى

٣- إن أولى مسئوليات الأزهر الشريف هى مواجهة الشطط الدينى والفكرى ليعيد الأمة إلى وسطيتها واعتدالها.

٤- إن الأزهر الشريف يواجه كل من يسئ للإسلام أو يشوهه، أو يقدمه للناس مبتورا، سواء كان هذا التقديم تلفزيونيا وقنوات فضائية، أو إعلاما مقروءا أو مسموعا بغية تحويل الميديا الإعلامية الإسلامية إلى الدعوة إلى الله على بصيرة وباعتدال وسماحة.

٥- إن الأزهر الشريف يؤمن بضرورة الحوار مع الآخر أيا كان معتقده ومعتنقه، وعنده قيادات وأولى أمر، تتميز بأفق واسع

ومستنير كما أن لديها القدرة على الإقناع، وفتح حوار عقلانى مع كل النخب.

٦- إن المجتمع الدولى لم يبخل على الأزهر بالتقدير- الذى يستحقه- لما وجد من أثر اعتداله وسماحته ووسطيته وقيامه على الحفاظ على لغته والعقيدة السمحاء، وكذا مواجهة التطرف والغلو.

٧- إن النتائج التى حققها الأزهر فى تثقيف أبناء الأمة، بالعلوم الدينية الصحيحة، نتائج مرضية- وإن لم تصل إلى حد الكمال- وضعت ولا شك مصر عبر قرون طويلة فى مكانة مرموقة على مستوى العالم.

٨- لا نبالغ إذا قلنا: لولا الدور الذى تلعبه عدة جهات ومؤسسات دعوية فى المجتمع الإسلامى من تشويه لدور الأزهر الشريف والانتقاص من قدره- لغرض فى نفس يعقوب- لسطع دور الأزهر أكثر وأكثر، ولكن ما يرضينا هو شهادة جموع الأمة على أن العنف والتشدد هو الذى يميز تلك الهيئات والمؤسسات إذا ما قورنت بالأزهر الشريف.

٩- إن الأزهر الشريف يؤمن بالحوار المبنى على الحجة والسماحة والموضوعية فى إطار قول الحق:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

«النحل: ١٢٥»

الحوار المبنى على الثوابت والعزة وكرامة المسلم.

١٠- إن وسطية الأزهر ليست مذهباً، وإنما هى طريقة التفكير والبحث والإفتاء، بل هى منهج يتسع لآراء المختلفين واجتهادات المتنافرين فكرياً.

١١- إن الأزهر الشريف كان وسيزال- إن شاء الله- شعلة للاستنارة ومصدراً لحداثة الأفكار السليمة التى تساير العصر، وترتبط بالأصل.

١٢- كما يقوم المجمع من خلال «الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة» بمقاومة الأفكار الدخيلة والتيارات المنحرفة والمبادئ الهدامة، بأسلوب علمى رصين ملائم لروح العصر بعيداً عن التحيز الفكرى والتعصب المذهبى.

١٣- كما يقوم المجمع من خلال «مجلة الأزهر» على نشر آداب الإسلام وإظهار خصائصه نقية من كل لبس، والتنبيه على ما دس على السنة من أحاديث موضوعة.

١٤- كما يقوم المجمع من خلال «الأمانة المساعدة للدعوة والإعلام الدينى» على محاربة التخلف والانحراف والدعوة إلى الله على بصيرة.

١٥- كما تقوم الإدارة العامة للمطبوعات وإحياء التراث بمؤازرة الكتاب والأدباء والعلماء فى نشر علومهم واستنهاض هممهم لشرح تعاليم الإسلام السمحة.

حضر اللقاء الأستاذ إسماعيل أحمد أبو الهيثم- مدير المركز الإعلامى بمكتب

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية.

الاجتماع الخامس لمشروع ذاكرة العالم العربى بالبحرين

شارك الأزهر فى فعاليات الاجتماع الخامس لمشروع ذاكرة العالم العربى بمدينة المنامة بالبحرين فى الفترة من ٢٣- ٢٥ مارس ٢٠١٠م وذلك بناء على الدعوة الموجهة إليه من مركز توثيق التراث الحضارى والطبيعى التابع لوزارة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات.

مثل الأزهر فى المؤتمر الأستاذ- مهدى هادى محمود شلتوت- رئيس الإدارة المركزية لمكتبة الأزهر والأستاذ- محمد يس حمدى حسنين- عضو محور المخطوطات بالمشروع.

قام الأستاذ- مهدى شلتوت- بعرض تقديمى لما تم إنجازه من أعمال المكتبة سواء فى الماضى أو الحاضر والمشروعات الجديدة فى نطاق رسالة المكتبة.

وتم عرض إسهامات فضيلة الشيخ الراحل محمد عبده، وفضيلة الإمام الشيخ جاد الحق على جاد الحق، وفضيلة الإمام الراحل الشيخ محمد سيد طنطاوى فى الحفاظ على مقتنيات مكتبة الأزهر وترميمها وإتاحتها للباحثين فى المشرق والمغرب، وذلك من خلال التعاون مع مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ومؤسسة سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم- نائب رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة ورئيس الوزراء وحاكم دبى.

قرارات مجمع البحوث الإسلامية

فوض أعضاء مجلس مجمع البحوث الإسلامية فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب فى إعادة صياغة البيان الختامى للمؤتمر الرابع عشر لمجمع البحوث الإسلامية.

وشهدت جلسة المجمع كذلك فتح باب الترشيح للسادة الأعضاء لجائزة رئيس دولة تونس فخامة الرئيس زين العابدين بن على للدراسات الإسلامية.

كما تم تأبين فضيلة الإمام الراحل شيخ الأزهر السابق د. محمد سيد طنطاوى من السادة الأعضاء وقراءة الفاتحة ترحماً عليه.

صرح بذلك فضيلة الشيخ قاسم محمد قاسم مدير عام الإدارة العامة لشئون مجلس المجمع ولجانه.

***

أنباء العالم الإسلامي

للأستاذين:
محمود الفشني - أحمد رضوان

٤٣٪ من الأمريكيين متحيزون ضد المسلمين بسبب الإعلام

أكد باحث مسلم بمركز للدراسات الإسلامية أن دراسة حديثة أثبتت أن الإعلام الأمريكي ينقل للشعب الأمريكي معلومات مغلوطة ومشوهة عن المسلمين، تفضي إلى أخذ انطباع سيئ عنهم.. وأكد محمد يونس الباحث بمركز «جالوب» للدراسات الإسلامية بواشنطن أن ٤٣٪ من المواطنين الأمريكيين لديهم شعور بالتمييز ضد المسلمين، وأن ٥٣٪ لديهم انطباع سلبي عن الإسلام، و٦٣٪ لا يعرفون الكثير عن الإسلام.. وأضاف الباحث وفقا لما نشره موقع «مفكرة الإسلام» أن دراسة أخرى لأحد المراكز أثبتت أن أربع قنوات من أكبر القنوات الأمريكية تنقل مواضيع تتعلق بالإسلام بشكل سلبي وغير محايد، وتعتبر أن ٦٠٪ من المنظمات التي تمثل الإسلام مسلحة، مما يؤثر على رأي الجميع.. وعلى الرغم من الحقائق التي أثبتتها الدراسات إلا أن الباحث أكد أن انطباع الشعب الأمريكي عن العالم الإسلامي تحسن العام الماضي بعد خطاب أوباما، مشيرا إلى أن الدراسة كشفت أن الناس الذين ليس لديهم معرفة تامة بالإسلام لديهم تحيز أقل ضد الإسلام والمسلمين.

الإيسيسكو تؤيد المغرب في حماية أطفالها من حملات التنصير

أيدت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «الإيسيسكو» المغرب في الإجراءات التي اتخذتها لحماية أطفالها من حملات التنصير التي تقوم بها إرساليات تتستر وراء غطاء الأعمال الإنسانية، مستغلة براءة الأطفال اليتامى وحاجتهم للتغرير بهم وتلقينهم مبادئ الدين المسيحي. وقالت «الإيسيسكو» في بيان لها: إن من حق المملكة المغربية السيادي، منع مثل هذه الحملات غير الأخلاقية وغير القانونية، التي تنتهك سيادة المغرب وقدسية دينه الرسمي وحقوق أطفاله وأشادت الإيسيسكو بما تتمتع به المملكة المغربية من تسامح، وبما توفره لأتباع الديانات من حرية ممارسة شعائرهم الدينية وبما تحفظ لهم من كرامة وحقوق.. وأكدت «الإيسيسكو» في بيانها: أن هذا التسامح وهذه الامتيازات لا يجوز اتخاذها وسيلة للقيام بممارسة غير أخلاقية وغير قانونية للتنصير تحت غطاء الأعمال الخيرية أو الإنسانية، وبخاصة في حق الأطفال الأبرياء اليتامى والمحتاجين للعون.

معرض للقدس الشريف وفلسطين بالرياض

افتتح الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض، ورئيس وزراء تركيا رجب طيب أردوغان في الرياض معرض «القدس الشريف وفلسطين» الذي ينظمه مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ويهدف المعرض إلى إبراز المعالم الحضارية والتاريخية والثقافية لمدينة القدس في محاولة للتنبيه إلى الممارسات الإسرائيلية والتي تحاول طمس الهوية الحضارية وتزوير التاريخ لمدينة القدس خصوصا وفلسطين عموما.. ويشتمل المعرض على مجموعة من الوثائق التذكارية والعملات المعدنية والورقية والخرائط والمخطوطات في موضوعات علمية مختلفة كتبت في فلسطين وتحدثت عنها، إضافة إلى مجموعة من الأشغال اليدوية الفلسطينية وبعض الكتب التي رصدت تاريخ القضية من جوانبها المختلفة.. ومن المعروضات كذلك مجموعة من صور المقالات نشرت في صحف عربية في أوج فترة الصراع تظهر شعور المثقفين العرب بالخطر القادم وما كتبوه في التحذير منه.

القضاء الفرنسي يوقف نشر ملصقات انتخابية معادية للإسلام

في خطوة غير متوقعة، أمرت محكمة الاستئناف الفرنسية في مرسيليا حزب الجبهة الوطنية اليميني المتطرف بزعامة

جان ماري لوبان بسحب الملصقات الانتخابية التي استخدمها الحزب في حملته الانتخابية إثر شكوى دفعتها لهيئة المحكمة جمعية لمكافحة العنصرية كانت اعتبرته مناهضا للإسلام ومعاديا لمشاعر المسلمين والجزائريين في فرنسا والعالم، وتمثل تلك الملصقات خارطة فرنسا وقد تم تثبيت العلم الجزائري فوقها بواسطة سبع مآذن اتخذت شكل الصواريخ، وتقف امرأة منقبة بجانب الخريطة كتب فوق رأسها «لا للأسلمة، والشباب مع لوبان».. وفي تزامن مع اعتراضات وشجب من قبل مسلمي فرنسا خاصة الجزائريين، رفعت عدة حركات مناهضة للعنصرية شكوى أمام القضاء الفرنسي ضد تلك الملصقات التي اعتبرتها «مناهضة للإسلام» وفي نفس السياق احتجت الجزائر رسميا على لسان وزير خارجيتها أمام السلطات الفرنسية بأن الملصق الانتخابي والذي يعتبر «معاديا للمسلمين والجزائريين» حسب تعبيره، داعيا السلطات الفرنسية إلى اتخاذ الإجراءات المناسبة عندما تهان رموز دولة أجنبية على أراضيها.

تهديدات باغتيال زعيم الحزب الإسلامي بهولندا

تلقى زعيم الحزب الإسلامي بهولندا، ميني كريفتن تهديدات باغتياله، عبر هاتفه وبريده الالكتروني إن لم يتخل عن زعامة الحزب، والعمل على تفكيكه وعدم خوض الانتخابات البرلمانية المقبلة من خلاله.. ولجأ كريفت إلى الشرطة بمدينة إيمرلورد، وقدم بلاغا حول التهديدات التي تلقاها.. يذكر أن أهداف الحزب الإسلامي «حزب المسلمين بهولندا» ترمي إلى الاهتمام بالجاليات الإسلامية، والأشخاص المهمشين من الفقراء في المجتمع ومكافحة العنصرية ومساواة حقوق المرأة ويعد ثاني حزب إسلامي بهولندا وتأسس عام ٢٠٠٧ فيما تأسس قبله حزب «الإسلام الديمقراطي» عام ٢٠٠٦م.

مؤتمر عالمي عن القرآن الكريم

تنظم الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم التابعة لرابطة العالم الإسلامي المؤتمر العالمي الأول لتعليم القرآن الكريم خلال الفترة من ٥ إلى ٧ يونيه القادم.. وصرح الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي -الأمين العام للرابطة رئيس مجلس إدارة الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم- بأن الهيئة كونت لجانا خاصة بتنظيم المؤتمر وعقدت عددا من الاجتماعات ووضعت خططا لإنجاح المؤتمر وتنفيذه وفق الصورة التي تليق بعظمة القرآن الكريم، وأوضح أن الهيئة اختارت عددا من العلماء وأساتذة الجامعات والباحثين المتخصصين في مختلف أنحاء العالم لإعداد بحوث وأوراق عمل لمناقشة موضوع المؤتمر، وذلك من خلال محاور متعددة هي: التعاون والتكامل بين مؤسسات تعليم القرآن وعلاجها، والاستفادة من التقنيات الحديثة في التعليم القرآني، والأسس العلمية التأهيلية للتعلم القرآني.

الإيسيسكو تزود مائتي مكتبة أمريكية بمراجع إسلامية

خصصت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «الإيسيسكو» دعما ماليا لتزويد مائتي مكتبة عامة في الولايات المتحدة الأمريكية بمجموعة مختارة من الكتب والمراجع حول الإسلام والحضارة الإسلامية.. ويتم تنفيذ هذا البرنامج بالتعاون مع مجلس العلاقات الإسلامية بأمريكا «كير» ومقرها واشنطن.

الحكم بسجن أمريكي ١٥ عاما لإلقائه قنابل حارقة على مسجد

أصدرت محكمة أمريكية حكما بالسجن ١٥ عاما بحق عامل تسبب في تخريب وحرق المركز الإسلامي في كولومبيا في ولاية تينسي حسبما أفادت وزارة العدل الأمريكية.. أقر بريك بالا بيكر في ١٨ سبتمبر الماضي بمسئوليته عن تدمير المسجد وحرقه، واعترف بيكر في وقت سابق أمام المحكمة بأنه واثنين آخرين صنعوا واستخدموا قنابل حارقة لتدمير المسجد في ٦ فبراير ٢٠٠٨ واعترف أيضا برسم صلبان معقوفة وكتابة عبارة «القوة البيضاء» على جدران المسجد.. قال توماس فيرز مساعد النائب العام للحقوق المدنية: يمثل حق العبادة بدون الخوف من هذا النوع من التدخل العنيف، واحدا من أهم حقوقنا المدنية، وسنلاحق بشدة أي شخص يعمد إلى ترهيب أو إلحاق الأذى بأي طائفة بسبب ما تعتقده أو كيف تمارس عبادتها أو أيا كانت هويتها.. وكان متهم آخر في القضية مع بيكر واسمه مايل كوري جولدن قد حكم عليه بالسجن ١٤ سنة لدوره في جريمة إشعال الحريق، وأقر المتهم الثالث في القضية واسمه جوناثان إدوارد ستون بأنه مذنب ولكن لم يصدر بحقه حكما بعد.

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم

أحمد السيد تقي الدين

توراة هاميليخ!!

كتاب صهيونى يدعو لقتل غير اليهود!!

«توراة هاميليخ» اسم لأحدث إصدار مطبوع يرفع لواء التعصب لصالح كل يهودى ضد كل أصحاب العقائد الأخرى وفى مقدمتها الإسلام!!

مؤلف الكتاب اسمه: «اسحاق شيفرا» حاخام إسرائيلى أصدر فتوى صريحة فى كتابه بأن قتل الأغيار (أى غير اليهود) ليس ممنوعا فى العقيدة اليهودية!! ويؤكد أن قتل الأطفال والرضع من أبناء أعداء إسرائيل حلال لأنهم أعداء محتملون بل مؤكدون لأن ابن عدوى لن يكون أبداً صديقى وما دام الأمر كذلك فلابد من قتله اتقاء لشره.

مؤلف الكتاب لا يعتبر أن أعداءه هم فقط الذين يقاتلونه بالسلاح بل يرى أن كل من ينتقد اليهود وسياساتهم هم أعداء ينبغى قتلهم وتصفيتهم لماذا..؟ لأنهم يعارضون مشيئة الله الذى اصطفى اليهود من بين شعوب الأرض وجعلهم شعب الله المختار، فهم أسياد البشر بالأمر الإلهى، ومن يعارض هذا الأمر لا يستحق إلا القتل.

هكذا يقول مؤلف الكتاب!!

هذا الكتاب ليس هو الأول من نوعه ولكن هناك غيره الكثير والكثير مما كتبه حاخامات اليهود ويعلمونه لطلابهم فى المدارس الدينية التى أصبحت معاهد لزرع الكراهية ضد كل من يفكر فى معارضة أو مخالفة التوجهات السياسية الإسرائيلية وكانت النتيجة مذابح مروعة ترتكب يوميا ضد الشعب الفلسطينى البطل المناضل من أجل الحصول على حريته واستقلاله من مذبحة دير ياسين سنة ١٩٤٨ إلى مذبحة غزة سنة ٢٠٠٩ أى أكثر من ستين عاماً من المذابح الدموية ضد شعب فلسطين.. قتلوا الأطفال وبقروا بطون الحوامل وحرقوا الأخضر واليابس وهدموا المساجد والكنائس..!! وكل هذا تنفيذاً لفتاوى أصدرها حاخامات الإرهاب!!



الشهيدة إيمان بلحو .. نموذج لضحايا فتاوى حاخامات الصهاينة

وبعد ذلك كله يتهم الفلسطينيون بأنهم إرهابيون..!! لماذا..؟ لأنهم يدافعون عن أنفسهم ضد قوم أحلوا لأنفسهم قتل كل من يخالفهم فى العقيدة والرأى!!

بعد كل ذلك يتهم العرب ويتهم المسلمون بأنهم متعصبون ويرفضون الآخر وأنهم يزعجون الناس برفع الأذان خمس مرات يوميا ويقرر البعض بناء على ذلك عدم بناء مآذن للمساجد!!

أما عندما يقرر اليهود أن من حقهم قتل كل من يخالفهم فى العقيدة وينتقد سياساتهم فإن العالم ومعه منظمات حقوق الإنسان يقف متفرجا بل لعله يقف خائفا مرتعدا من أن يقرر الحاخامات قتلهم وتصفيتهم.

«توراة هاميليخ» ومعناها: «نظرية الملك» هذا الكتاب يقرر أن الدولة الإسرائيلية لن تتحقق لها السيادة إلا بقدر ما تسفك من دماء الأغيار!!

«توراة هاميليخ» ليس أول ولن يكون آخر كتاب يروج للتعصب والكراهية وضد كل من هو غير يهودى وضد العرب والمسلمين بوجه خاص.

أحمد تقى الدين

محمود عبد أحمد عريان

جاءتنا هذه الكلمة الموجزة التي تشيد بذكرى أستاذ نابه أدى دوره التعليمى والسياسى أداء مشرفا، وقد كتبها صديقه الأستاذ «م . ر» محييا جهوده البناءة فى كفاحه المديد.

حين يسرح بى الذهن إلى ذكريات الصبا وسمر الأصدقاء يلوح لعينى شخص الطالب النابه محمود عبد أحمد عريان فتى نشيطا من طلاب المعهد الدينى بدمياط، وقد اكتمل فى ريعانه دءوبا مثابرا فى قاعة العلم، يناقش الأساتذة، ومجتمع مع زملائه فى روحات الجدل، لا يقتصر على العلم الأزهرى بل يشترى الصحف والمجلات الأدبية ويناقش ما يقرأ لطه حسين، والعقاد، والزيات، مناقشة جادة، ويعرف ذوى الأصالة من رجال العلم والأدب فى دمياط، فيعقد بينه وبينهم أوثق الصلات، وقد يتسع المدى فى السن ما بين طالب ناشئ وعالم مطلع. ولكن هذا المدى يتيح للطالب انفساحًا فى فكره، واتساعا فى أفقه، وأذكر أنه اهتدى إلى باحث مشغوف بالقراءة والاطلاع من أبناء الثغر، فكان يشترى منه المؤلفات بعد أن يقرأها بثمن يقل عن ثمنها، وكلا الطرفين قانع بصفقته، فالبائع قد اشترى وقرأ، والمشترى أخذ ما رأى من بضاعته بثمن معتدل فى جو من الألفة والوداد.

وقد نشأ فى قرية الكردى من أعمال محافظة الدقهلية فى بيت والد كريم يشتغل بالتجارة ولكنه يرعى حق الله فى الربح اليسير، ويربى أولاده تربية مؤمنة حتى صاروا رجالا يشتغلون بالتدريس والطب والمحاماة، ومن أشهرهم محمود الذى انتقل إلى كلية اللغة العربية بعد التعليم الثانوى فتزعم الطلاب فى المطالبة بحقهم فى التعليم بمعهد التربية العالى بعد الليسانس، وظفروا على يده بهذا الحق، ليصبح فيما بعد أستاذا للغة العربية فى أرقى مدارس القاهرة ثم يدفعه الأمل إلى إنشاء مدارس خاصة بالتعليم يقوم برعايتها مستعينا بعلمه فى معهد التربية، وخبرته فى التعليم العام، ويختار من الزملاء من يسمو بالتدريس إلى مستوى مشرف، فيذاع له ذكر حميد بين رجال التربية، ويكتب فى المجلات التربوية متحدثا عن أمله فى الإصلاح التعليمى، ويقود قافلة من ذوى التطلع الجاد إلى أفق أرقى وأرحب، كما يمارس السياسة المصرية فيما قبل الثورة، وطنياً لا حزبياً، وبعد الثورة فى مجالات الدعاية للقومية العربية، والإصلاح الدينى مثابرا دءوبا، وله حواريون ينهجون نهجه ولو تفرغ للتأليف المدرسى لأبدع فيه، لأن دروسه فى هذا الحقل كانت ذات تجديد حافز، بحيث تشمل مرافق المدرسة من إعداد الطالب داخليا، ومصاحبا له فى الرحلات التوجيهية، وكانت نقابة المعلمين تعده من أقوى دعائمها الناهضين، ولاتزال جهوده التربوية موضع القدوة والاحتذاء، كما لايزال زملاؤه وتلاميذه يذكرون كفاحه النضالى فى مضمار السياسة العامة، والتربية الحرة الناشطة.

ولم ينس وطنه الصغير بالكردى ـ دقهلية حيث عقد الصلات بين ذوى الرأى به لينهض بالقرية إلى مستوى تعليمى وصحى واجتماعى بحيث تصبح مثالا للقرى المجاورة، ويزين ذلك تواضع مشكور يعهده زملاؤه بالقاهرة فى سيرته الشخصية كما يترسمه أتباعه فى القرية الناهضة، وقد أراد أن يدون مذكراته فى حقلى التربية والاجتماع لتكون نموذجا يدرس ويقرر، فكتب الكثير من الصفحات، ولعل أنجاله الكرام يعملون على نشرها رعاية لحق الأمة قبل أن تكون رعاية للوالد المجد العامل، وإنى أكتب هذه الصفحة لأحيى ذكرى بطل صامت فى حومة الجهاد، أدى رسالته الهادفة دون صخب أو ضجيج.

(م ـ ر)

عقوق الوالدين ثمرة يجنيها الأبناء

ومن الأستاذ أحمد عبد المحسن على محمد ـ مدرسة الأورمان الثانوية النموذجية ـ إدرة الدقى التعليمية ـ الجيزة كانت هذه الكلمات

حافظ الإسلام بتعاليمه السمحة على كيان الأسرة من الضياع والتفكك الذى تعانى منه كثير من المجتمعات الغربية.

- وقد بين القرآن الكريم بعضا من جوانب العقوق التى تصدر عن الأبناء نحو آبائهم وحذرنا منها قال تعالى:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾

(الإسراء/ ٢٣)

- وإلى ذلك المعنى الكريم ذهبت السنة المطهرة بورود كثير من الأحاديث التى تشدد فى عقوبة عقوق الوالدين، قال ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثا.. قلنا: بلى يا رسول الله.. قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وكان متكئا فجلس فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور فمازال يكررها حتى قلنا: ليته سكت».

- والعقوق مأخوذ من الفعل «عق» بمعنى «القطع» وهو من أعظم الذنوب.

- واعلم أن ثمرة العقوق سوف يجنيها الأبناء سواء فى الدنيا أم فى الآخرة قال ﷺ: «كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين، فإن الله يعجله لصاحبه قبل الممات».

- واعلم أن رضا الله فى رضا الوالدين قال ﷺ: «رضا الرب فى رضا الوالدين وسخطه فى سخطهما».

- إن عقوق الأبناء يتوارثه أبناؤهم فيعامل الإبن أباه بمثل ما عامل الأب جده، ورد فى الأثر: (أن رجلا أدرك أباه كبيرا مريضا، وكان يضع له الطعام فى طبق بعيدا عنه وعن أولاده، وفى يوم كسر الطبق فجاءه الإبن بطبق من خشب، فما كان من أحد أبنائه إلا أن قال له: سنحتفظ لك يا أبى بهذا الطبق حتى تصير مثل جدنا فنضع لك الطعام فيه).

- وبهذا يحرم العاق من عفو الله ورحمته.. قال ﷺ: رغم أنفه ثم رغم أنفه ثم «رغم أنفه من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة».

- فما أحلى أن نسير على هدى هذا الدين العظيم ونترسم منهاجه القويم فى بر الوالدين وحسن رعايتهما.

قال تعالى:

﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾

(الإسراء/ ٢٤)

رحيل المفسر الهادئ

تحت هذا العنوان جاءت كلمة الشيخ/ مصطفى الأزهري - خطيب مسجد سوق الحمام - السيدة عائشة - القاهرة:

من أصعب الكلمات التي يخطها قلم محب للعلم وأهله أن يسطر بشأنهم رثاء عند رحيلهم، إذ إن خبر رحيل العالم فزعة قلب وهزة وجدان ووخزة ألم في خاصرة من يعرف معنى موت العلماء الذين يتنفس الناس بعلمهم الشرعي هواء الشريعة الصافي ونسيمها العليل، ويسترشد الناس بما ورثوه لدنياهم وآخرتهم، فالعلماء ورثة الأنبياء وهم كما قال الإمام أحمد عن أستاذه الإمام الشافعي رحمهما الله: «الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للبدن»، وفجيعة الأمة في وفاة علمائها لا تتأتى من باب الموت الذي هو قدر مقدور.

لكن المصيبة في الفراغ العلمي والشرعي الذي يحدثه موت العالم بل وفي عطش الناس للعلم فيسعون لأشباه العلماء يتخذون - دون تمحيص - رؤوساً جهالاً كما بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا» رواه البخاري.

وقال ﷺ في حجة الوداع: «يا أيها الناس خذوا من العلم قبل أن يقبض، وقبل أن يرفع من الأرض»... الحديث وفي آخره «ألا إن ذهاب العلم



ذهاب حملته» ثلاث مرات، أخرجه أحمد.

والعلماء بمنزلة الشمس يذهبون ظلمات الجهل بنشر العلم والخير، وهم حماة الدين يحمونه من تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، ولولا هم لدرست معالم الدين واستولى على الناس تدليس المضلين وتلبيس الغاوين.

يقول الإمام أحمد رحمه الله: «الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من تائه ضال قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم! ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عقال الفتنة فهم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب مجمعون على مفارقة الكتاب يقولون على الله، وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم من فتن المضلين»، لهذا كان على الأمة الانتباه لهذا الخطب الجلل، بفقد أهل العلم والعمل على سد هذه الثلمة، وذلك يكون بأمور منها:

أن يذكر العلماء بالجميل وتعرف الأجيال الناشئة قيمة هؤلاء الرجال، الذين بذلوا أوقاتهم وأموالهم والغالي والرخيص، نصحاً لله ولرسوله ﷺ، ولأئمة المسلمين وعامتهم، لا أن تشغل الأجيال بمتابعة أخبار التافهين والتافهات، وأن تعلم أن العلماء هم القدوة بعد النبي ﷺ.

وأنا إذ أرثي - في هذه المساحة الصغيرة - فضيلة الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوي، يرحمه الله لست أرثيه كرجل عاش متربعاً على كرسي الإفتاء ومشيخة الأزهر كمناصب إدارية بل أرثيه كعالم حضرت له وأنا طالب في الأزهر محاضرات في التفسير شربنا فيها المفردات القرآنية منه كماء سلسبيل بهدوئه المعروف، وكنا نعد من روائه الكلمات ومعانيها.. أراه وقد ختم له بهذا الجوار الطيب إذ دفن في البقيع فلعلها كرامة خدمته شرحاً وتفسيراً ووسيطاً للقرآن الكريم الذي يرفع الله تعالى به أهله وخادميه أحياء وأمواتاً، ويبقى الأزهر كأعلى مؤسسة إسلامية وكرمز أممي وعالمي لمصر والإسلام، يبقى أمانة ضخمة نسأل الله تعالى أن يوفق شيخه الجديد الدكتور «أحمد الطيب»، لتقديم أطيب ما تلقيه شجرة ضاربة في جذور العلم والزمان - كالأزهر الشريف - من ثمرات ليس في مصر وحدها بل وعلى ربوع العالم الإسلامي كله، وأن يبقى جامعاً وجامعة بعيداً عن الخلافات المحلية بل يبقى الملاذ الأخير للمسلمين وقضاياهم المصيرية ليصلح بوسطية الدين دنيا الناس وأخراهم.. والله الموفق والمستعان.



نعتذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة، وذلك حرصاً من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء. ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق في اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها. كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعاً بمشيئة الله تعالى.

Allah's Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) and the modern science[1]

Dr. Muhammad Fathy Farag

The human history from the creation of the universe up to now and till the Day of Judgment does not remember a person who encourages and calls for science more than Muhammad Ibn Abdullah (May the blessings and peace of Allah be upon him).

One of the undoubted sayings is that Islam is a religion of science and civilization. The verses of the Noble Quran concerning urging the Muslims for science are emphasized by the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) in many occasions and situations directly and indirectly. The beginning of the sending down of the Noble Quran was an order of reading, which is the best means of learning and science. Allah, Glory be to Him, says:

{Read: In the Name of your Lord Who created, Created man from clots, Read: And your Lord is The Most Honorable, Who taught by the pen. He taught man what he did not know} [Al-Alaq (The Clot): 1-5]

Then, Allah honored a means of writing which is the pencil and the lines it produces and science hidden in the souls. Allah, Glory be to Him, swore by them defending His Prophet from the accusation fastened to him by the deluded disbelievers. Then, Allah promised him with great reward and granted him great morals in His saying in Surat Al-Qalam:

{Nun, and (by) the pen and what they inscribe, In no way are you, by the favor of your Lord, a madman. And surely you will have indeed a reward bountifully unfailing. And surely you are indeed of a magnificent character.} [Al-Qalam (The Pen): 1-4]

Allah's Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) says urging for science, "Every Muslim is obliged to ask for science."[2] Then, we were introduced to the allowed and disallowed matters in our religion to satisfy Allah.

Allah's Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) said, "The one who came out seeing science is for the sake of Allah till he comes back."[3] Allah's Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) revealed that science and learning are from the means of protecting and maintaining the human being from ruin. Allah's Messenger said, "Be a scientist,

[1] An article published in Arabic at A-Azhar Magazine.
[2] Al-Awsat Dictionary by At-Tabarany.
[3] Sunan At-Turmozy

learner, listener or lover and do not go far from science, otherwise you will perish."[4]

Also, Allah's Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) said, "The angels lower their wings to the learner, being satisfied with the science he seeks."[5] As for his evaluation of the grace of brain and negligence of superstition as well as his belief in the universal rules that follow Allah's orders, being far from misunderstanding and misinterpretation, they reveal the Prophet's truthful call – even if indirectly – for science.

Thus, he made use of every opportunity to reveal and emphasize this matter even if in a sad occasion. When his son Ibrahim died in a day in which the sun eclipsed, the Muslims thought that it eclipsed for the death of Ibrahim, but the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him), in whose eyes the sun eclipsed - as Al-Aqad (May Allah forgive him) - said, "No." Then he emphasized, "The sun and the moon are signs of Allah and do not eclipse for the death of any body." [6]

This is our truthful and honest Prophet, who refuses linking the eclipse event with the death of his beloved son. He was able to keep silent, especially at the time of his sorrow, and he would be excused. But, he is the truthful and honest Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) who called for science and discarding superstition. He refused to say that the natural phenomenon occurred due to the death of his son, even if it eclipsed because of his own death.

The Messenger and the modern Science:

This leads us to the Prophet's attitude towards the experimental science and many people wrote in this field, But from another side that agrees with the opinion of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him). This is due to the new discoveries, facts or theories of the modern science. One of the books that dealt with this field is some of the books of Dr. Zaghloul An-Naggar, and formerly Prof. Abd Ar-Razzaq Nufal – may Allah forgive him – in his books "The Messenger and the Modern Science" and "Sunnah and Modern Science".

[4] Al-Ibana Al-Kubra by Ibn Batta
[5] Musnad Ahmad
[6] Sahih Al-Bukhary

The Grand Imam: Proff-Dr. Ahmad At-Tayyeb, "Combines courage and asceticism of the previous Grand Imams of Al-Azhar and knowledge of the variables of time... !

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

The honorable Grand Imam, Al-Azhar Sheikh Prof-Dr. Ahmed At-Tayyeb declared on Tuesday, 27th of March, 2010 that he will not deal with any Israeli or exist in any place in which they exist. Moreover, he declared that his point of view about visiting the Furthest Mosque under these circumstances. He said that he will not visit the Furthest Mosque, being under occupation. I call the Muslims not to visit it. He insisted that there is no contradiction between his message as Al-Azhar Sheikh and his membership in the National Party. He emphasized that he will retire if this party limited his message, maintaining the position of Al-Azhar Sheikh.

The declarations of At-Tayyeb came on the first day he assumes his position in Al-Azhar in the programs, "Egypt Today, Ten o Clock and Point of View." Al-Azhar Sheikh defended Dr. Muhammad Sayyed Tantawi, the departed Al-Azhar Sheikh, who shook hands with Shemon Peres. He said, "Dr. Tantawi swore that he did not recognize him." He added that it is a diplomatic mistake, as the meetings of Sheikh Tantawi should have been organized because he did not follow up the political activity accurately, as he dedicates his life to science.

At-Tayyeb gave an example of his interview with Mona Ash-Shazly saying that he did not recognize the artist Farouk Al-Fishawy, whom he met wearing a Galabiyya in Luxor, shook hands with and kissed. At-Tayyeb asked him, "Who are you?" Al-Azhar Sheikh added, "We are preoccupied with science, and matters should be clarified to us." Also, he declared to Al-Akhbar newspaper that the educational side of Al-Azhar is his first priority in the coming phase after he is chosen as Grand Imam and Sheikh for Al-Azhar.

The Grand Imam said that he will undertake his duties in Al-Azhar today. He added that there will be a gradual plan for reevaluating the education experiment in Al-Azhar and whether this experiment needs reconsideration.

The Grand Imam emphasized that he will maintain the firmly established facts of Al-Azhar such as moderateness along with maintaining the national unity and the

gains of Al-Azhar, which it attained by the departed Imam, Dr. Sayyed Tantawi and the previous Al-Azhar Sheikhs. He referred to the importance of enhancing the role of Al-Azhar to continue to be an opened conversational institution and advocating its position as it is the most important reference for the Islamic mind in the east and the west.

He said that Al-Azhar reflects the role of Islam internationally. Moreover, he added that Al-Azhar will continue in his age to reflect dialogue between religions and openness to the civilizations. When he wore once again the uniform of Al-Azhar, he commented saying, "The uniform of Al-Azhar is not strange for me, as I wore it when I was the Republic Mufti. Also, he belongs to a family that studied in Al-Azhar. When he was a student, he used to wear this uniform at the beginning of his study in Al-Azhar in 1956.

Dr. At-Tayyeb says that he feels satisfied with the tasks he did at the time of being the president of Al-Azhar University. He emphasized on the kind relationship between him and the departed Imam, Dr. Muhammad Sayyed Tantawi. He emphasized on continuing his march. Dr. Ali Gom`a, the Republic Mufti, visited the Grand Imam in Al-Azhar University during his visit to congratulate him. He wished him success in the new big mission for serving Islam and the Muslims in Egypt and the world. Also, he wished that may Allah help him in these hard missions, describing the decision of President Mubarak of choosing him as a sound one.

Pope Shenouda III, Alex Pops and Patriarch of Saint Macarios congratulated Dr. Ahmad At-Tayyeb for assigning him as Al-Azhar Sheikh. Dr. Ahmad At-Tayyeb is chosen for the highest responsibility for Islam in the world from Al-Azhar after the issuance of the Republic decision no. 62 of 2010 for assigning him as Al-Azhar Sheikh. This decision is not without reason, as Dr, Ahmad At-Tayyeb is the most remarkable scholar nowadays and has great efforts in different sectors of the religious institutions in Egypt.

Prof-Dr. Ahmad At-Tayyeb has many studies, researches and writings in creed and Islamic philosophy. Also, he has many translations and reports of French books about the Islamic philosophy such as Themes of Existence, Movement Concept between the Islamic and Marxist Philosophy, Introduction to Studying the old Logic, The Origins of Science Theory, Comment on Theology Chapter of the Rectification of Speech by At-Taftazany.

He was one the greatest Islamic scholars in interpreting the Quran and its sciences. One of his scientific attributes is that he was brave in right. He was qualified for leading the Islamic thinking and confronted many serious cases, being decisive, defendant and fixed in his situation. He was merciful, as he printed the heritage books at the expense of Al-Azhar and distributed them to the students free of charge. He was a model of the tolerance and simplicity of Islam as well as a pioneer of tolerance and conciliation.

Moreover, Dr. Ahmad Fathi Surur, the president of the People's Assembly delivered a statement in this regard as follows:

The honorable Grand Imam was one of my dear friends. With his death, we lost great knowledge, honesty and good morals. I knew him as a great scholar and jurist as well as an important Imam. I got used to speak with him concerning all of the Islamic affairs. The president of the People's Assembly concluded his statement praying that Allah may forgive him, reward him with Paradise and grant his family patience and consolation.

Mr. Safwat Ash-Sherif, the president of the State Consultative Council, delivered as statement as follows:

The State Council announces to the Egyptian people and the Arab and Islamic nation the death of the honorable Grand Imam, Al-Azhar Sheikh, Muhammad Sayed Tantawi, who died after a life full of giving to his religion, homeland and nation. He was one of the symbols of Islam and he held its banner in good morals, knowledge and modesty following the guidance of the master of the prophets and the last Messenger.

He was ascetic and he defended Islam, its Messenger and sacred places without fanaticism. He was moderate in thinking and approach as well as simple in his instructions, building bridges of intercommunication and kindness with the other creeds. He settled the Islamic Sharia values and principles of tolerance. May Allah forgive the great departed, reward him with Paradise, rank him with the martyrs and good people, who are good companions and replace him with a good person as a consolation for his homeland and the Arab and Islamic world.

The Ministry of Religious Endowments announced the death of Great Imam, Al-Azhar Sheikh, Muhammad Sayed Tantawi. The statement was delivered by Dr. Mahmoud Hamdy Zaqzouq as follows:

Egypt and the Islamic world received the news of the death of Grand Imam, Al-Azhar Sheikh, Muhammad Sayed Tantawi, with deep sorrow, as he died in the Kingdom of Saudi Arabia. The Ministry of Religious Endowments

emphasizes that his death is regarded as a serious loss for Egypt and the Islamic world.

We are consoled by the fact that he performed his mission and message till the last moment of his life. During his life, he strived for spreading the sublime Islamic values such as moderateness and tolerance and presented to Islam non-forgettable services. Moreover, he left eternal scientific marks, from which different generations will learn. May Allah forgive our Sheikh; reward him plentifully for the services he presented to Islam and the Muslims throughout more than half a century.

The Honorable mufti delivered a statement in which he spoke about the Grand Imam, Al-Azhar Sheikh, Muhammad Sayed Tantawi as follows:

Dr. Ali Gom`a, the Republic mufty, mourns over the death of Grand Imam, Al-Azhar Sheikh, Muhammad Sayed Tantawi, who died on 24th of Rabi` Al-Awwal, 1431 H, 10th of March, 2010.

The Islamic nation lost with his death the linguistic interpreter, great jurist, eminent herald and one of its great symbols. It lost a man who dedicated his life to serving science, the Noble Quran, Islam and Al-Azhar. The death of the scholars is regarded as a disaster, especially when they lost one after another. We lost in this period many of these stars. The great Imam left a great treasure of science and brilliant interpretation of the Noble Quran. The Sheikh (May Allah forgive him) is regarded as one of the most remarkable heralds in the Islamic world.

He dedicated his life for Islam, carrying the burden of informing the Message of Islam and its universality to the whole people. Allah willed that he dies serving Islam and the Muslims in the land of the Inviolable Mosque.

We pay farewell to this ascetic sheikh, deep believer and one of the scholars who enlightened the hearts with Islam and the guidance of Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) and linked the people to Allah, gathering them in this religion.

Then, we should pray to Allah, Glory be to Him, to forgive the Sheikh, accept him with the good people and reward him plentifully for his efforts in Al-Azhar, science, Islam and his nation as He does with the good scholars, truthful heralds and striving Imams. We ask Allah to console us for losing him. May Allah forgive the departed, sanctify his soul and resurrect him with the prophets, faithful people, martyrs and good people.

The Grand Imam Proff-Dr. Muhammad Sayyed Tantawey, Al-Azhar Sheikh Departed to Allah's Mercy...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

On 24th of Rabi' Al-Awwal, 1431 A.H, 10th of March, 2010, Egypt, the Arab nation and Islamic nation lost the Grand Imam, Dr. Muhammad Sayed Tantawi, Al-Azhar Sheikh, who died in Riyadh, the capital of Saudi Arabia as a result of sudden heart attack while he was in Khaled International airport in Riyadh. He wanted to return to Egypt after participating in the celebration of distributing the world Faisal presents for serving Islam. The departed was transported to the military hospital in Riyadh where he died.

President Mubarak announced the death of the Grand Imam, Al-Azhar Sheikh to Egypt and the Islamic world, as he was a great Islamic scholar, herald and Imam as well as one of the defendants of its moderateness, enlightenment and the generosity of its instructions. President Mubarak assured the generous Imam departed to Allah Mercy, Glory be to Him. He asks Allah to forgive him and to reward him with good for his efforts for the sake of Islam and the Muslims.

The King of Saudi Arabia, Abdullah Ibn Abdul Aziz ordered to transport the corpse of the departed from Riyadh to Medina in a private plane to bury him in Al-Baqia tomb near Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) at the request of his family. Al-Azhar held at Omar Makram mosque a funeral service for the departed on Friday night, 12th of March, 2010.

The Grand departed Imam left huge religious and intellectual treasure. One his most important book is "The Moderate Interpretation of the Noble Quran", in the writing of which he spent eleven years. It was issued in 15 volumes.

The honorable departed Imam was born in Salim Ash-Sharqiya village, Tema, Suhaj on 28th of October, 1928. He joined Alexandria Religious Institute in 1944 and was graduated from the faculty of Theology (Usuluel-Din). He attained doctorate certificate in 1966 and was appointed as the dean of the faculty of Theology in Asyut in 1976. Then, he was appointed as the dean of the Faculty of Islamic Studies in 1985. Afterwards, he became the Mufti of the Republic in 1986 and Al-Azhar Sheikh in 27th of March, 1996.

Many Arab, Muslim and international presidents and kings sent telegrams of condolence in the deceased of Egypt and the Islamic nation, to Dr. Ahamd Nadhif, charge d'affaires of the president, and the Prime Minister. Dr. Nadhif spoke about him after his death and praised his abundant knowledge and science

as well as his moderateness and kindness. Also, he expressed that the Arab and Islamic worlds lost much with his death.

Pope Shenouda III declared that the death of the Grand Imam, Al-Azhar Sheikh is an irreparable loss. Al-Azhar delivered a statement to the Islamic world about the death of the Grand Imam Al-Azhar Sheikh, Muhammad Sayed Tantawi. The following is the statement:

{O you self (that is) composed, Return to your Lord with Supreme Satisfaction! So enter among my bondmen! And enter My Garden!

[Al-Fajr (The Dawn): 27-30]

The Arab and Islamic nation lost one of its greatest scholars and Jurists, who is Dr. Muhammad Sayed Tantawi in Riyadh, Kingdom of Saudi Arabia in the morning of Wednesday, 24th of Rabi' Al-Awwal, 1431 A.H, 10th of March, 2010. The departed (May Allah forgive him) was sincere to his work and to anything that brings good to Islam and the Muslims. He continued to be fully dedicated to his work till his last breath. He was in one of his missions dedicated to Allah, Glory be to Him, in Saudi Arabia and died before ascending the airplane ladder, which was supposed to transport him to his homeland.

The departed Imam did much in every place to activate the role of the Islamic Da'wah all over the world. He traveled to Saudi Arabia at the last time to honor the winners of the International Fisal Prize for serving Islam. Al-Azhar with its professors, scholars, students and employees confess his graces in its improvement and continuous effort for enhancing its religious and scientific level.

May Allah forgive him.

Al-Azhar Deputy

Dr. Muhammad Abd Al-Aziz Wasel

Dr. Ahmad At-Tayeb, the head of Al-Azhar University later on, the Gran Immam, Al-Azhar Sheikh read a statement on behalf of the University as follows:

No doubt that Al-Azhar lost an important pillar and pioneer, who is the Grand Imam, Al-Azhar Sheikh, Muhammad Sayed Tantawi, the Imam that is irreplaceable. The departed (May Allah forgive him) was marked by modesty and asceticism. When he traveled to Germany for an operation in his son's eye, he insisted on paying the costs of the operation from his personal money. When he was ill and entered An-Nil Hospital as a professor in Al-Azhar University, he refused that the University bears the costs of his treatment.

President Hosni Mubarak returned to the Homeland and all the Citizens Felt Happy...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

The President of the Arab Republic of Egypt, Muhammad Hosni Mubarak, came back safe (praise be to Allah) to the homeland on Saturday, 11th of Rabi` Al-Akhar, 1431 H, 27th of March, 2010, after recovering from his temporary illness. As the President came back to the homeland being surrounded by the hearts and invocations of all of the Egyptians, the period of worry that befell all of the Egyptians during the period of treatment ended. Thus, tranquility, which they are accustomed fill up their souls, came back to them, as they love and appreciate him deeply.

If we translate actually the feelings of the people in Egypt, both the young and the old, towards President Hosni Mubarak, we will find it most probably a strong and coherent mixture of tranquility, safety and security. These are the ties felt by all the people and eliminate their worry and panic in the presence of a president, caretaker, father, brother and support to them in all circumstances.

This feeling stirs in their souls safety and security as well as reassures them for their day and tomorrow. The president, as they always know, is the faithful son to Egypt, the truthful lover of its pure land, strong defender of every grain of sand, courageous leader in its wars and peace, pusher of the boom, modernization, development, permanent support for all of the ordinary people and continuously partial to the poor and the needy people.

At the same time, they consider him throughout the days and the years an efficient leader for the nation, as he leads it with awareness, proficiency, head held high and dignity towards safety amidst local and international severe problems in a world full of changes and fast developments, the matter that needs permanent wakefulness, sound opinion and great wisdom. Thus, the Egyptians say to President Mubarak, the father, brother and leader, "Praise be to Allah for your safety."

They wait for his decision in every problem and expect his support to the simple people in every case. The President cares mostly about the benefit of the homeland and all of the Egyptians, as they look at him whenever a crisis befall the region or disturbance afflicts their interests and stirs their upset.

Many years gathered the President and the Egyptian citizens on a long way of work and hope for better tomorrow for all of the people living in this

homeland. Many years strengthened and supported ties between the Egyptians and the President, as he approached the worries of every Egyptian family as well as the worries and hopes of the nation. Also, the Egyptians approached the deepness of his opinion and aspirations for Egypt to be strong, safe and tranquil building without hesitance the future of generations and beating the problems of long years.

President Mubarak came back to his homeland safe due to the prayers of millions of Egyptians to continue non-stop achievements. There are still many aspirations towards safe future for the Egyptians and their sons. When he come back to his citizens, people that is faithful to him, grateful to his march and his years that were spent in serving Egypt in war and peace. Thus, the worry of the Egyptians, which continued in the previous days, is eliminated, leaving them with high spirit and hope for improvement for this nation.

In this day, which combines the Egyptians from all categories with their leader, who was and is still exerting effort for the sake of Egypt, hope is renewed for a better tomorrow. We are prepared to continue the trip that started with him to reach our goals.

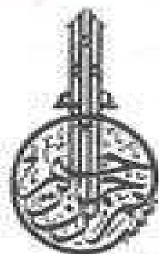
We trespassed many problems that suspended our energies; and we passed through the obstacles of development. There are still problems that require more effort and work. We need his deep opinion and frankness in confronting these problems. Moreover, we need his faithfulness to the issues of his nation and his patience towards the behavior of some of us.

We need to be reassured with his presence with us being at the head of our march and maintaining our safety and security in a region full of worries. We are happy for his coming back home, being the source of freedom which we live with him and light to the benefits of our nation.

Mubarak came back home with the prayers and invocations of the Egyptians along with his previous giving for them and the love of the citizens of this country for him due to his efforts exerted for their sake. "Praise be to Allah for your safety" is a sentence came out of the heart of every Egyptian to the President.

It is worth mentioning that he underwent the surgery in Heidelberg Hospital in Germany, due to which he spent three weeks there. Then, he came back to his homeland. He reached Sharm Ash-Sheikh Airport on Saturday, 11th of Rabi` Al-Awwal, 1431 H, 27th of March, 2010 in 5:20PM.

AL-AZHAR MAGAZINE	ENGLISH SECTION
Jumada Al-Oula, 1431 A. H.	April & May, 2010



﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

Attention

The English Section of issue (Gomada Al Ula, 1431 H) carries happy news preceded by sad one. All Extolment be to Allah, the Owner of the whole universe and praise be to Him in the first and the last.

The Editor

الفهـــــرس

بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا

أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٢٦٢٨٥٩٩

جمادى الآخرة ١٤٣١هـ - يونيه ٢٠١٠م - الجزء السادس - السنة الثالثة والثمانون

المستقبل للإسلام(*)

العلم والفلسفة يهيئان العقول والقلوب لقبول الإسلام دينا عالميا

بمناسبة الهجمة الأوروبية الشرسة على الإسلام



للأستاذ الكبير:
محمد فريد وجدى
رئيس تحرير مجلة الأزهر سابقا

ربما خيل لمن لا يعرف الإسلام أن هذا إعلان جرىء، ولكنا نعتقد أنه متى عرفه فسيقرنا عليه. فكل ما علينا الآن أن نقيم عليه الدليل.

نعم، إن العالم بفضل تحرره من الوراثات والتقاليد، وإمعانه في النقد والتمحيص، يتمشى على غير قصد منه نحو الإسلام بخطوات متزنة ثابتة، لا توجد قوة في الأرض ترده عنه، إلا إذا انحل عصام المدنية، وارتكست الجماعات الإنسانية عن وجهتها العلمية. هذا إجمال يعوزه البيان، فإليك:

قُذف بالإنسان إلى هذا العالم جاهلا به غاية الجهل، عميًا عن أسراره كل العماية، ولولا أن خالقه جل شأنه أوجده حيث الماء والنبات، لمات ظمأ وسغبا، ولولا أنه منحه معارف ضرورية يستطيع بها أن يهرب من الضوارى التي كانت تتعقبه، ويحتمي من العوارض الطبيعية التي كانت تنصب عليه، لما أمكنه أن يبقى أكثر من أيام معدودة. ولكنه وهبه عقلا ليس لسلطانه حد يقف عنده، فأخذ يستهدى بنوره يسيراً يسيراً؛ حتى استطاع أن يأمن شر العوادى، وأن يجتمع على أمثاله، وأن يكتشف أوليات العلم، ومبادىء الحكمة. ثم ما برح يرقى حتى أسس الأمصار، وأوغل في المعارف، وسخر قوى الكون، وسبر مساتير الوجود، واخترع الآلات المعجبة، وهو اليوم يحدث نفسه بالصعود إلى الكواكب، وكشف عالم الروح، والتحكم في نواميس الحياة.

هذا كله مشاهد محسوس لا يحتاج لتدليل، ولكن الذي يحتاج لتنبيه هو أن الإنسان فوق كل ما يحصله من علم، وما يكتشفه من مستور، يزداد معرفة بما يجب أن يكون عليه الدين الحق، وما يلزم أن يؤخذ به النفس من الآداب القويمة، وما ينبغي أن يقيمه لتوثباته من المثل الأعلى للإنسانية الصحيحة.

في أثناء تمشى الإنسان في هذه السبيل الأدبية، تحت ضوء العلم والفلسفة، تسقط في نظره -الواحدة بعد الأخرى- جميع الأوهام الموروثة، والتعصبات التقليدية، فيرى الخضوع لها عارا عليه، وسقوطا لكرامته، ويعمل على تطهير قلبه منها، واجتثاث جذورها المنبثة في أقصى ثناياه، عاداً ذلك من متممات وجوده الأدبي فتكون النتيجة الحتمية من وراء هذه المحاولات الثقافية في هذه الناحية، تأسس الأصول الآتية:

(أولا) زوال آثار الوراثات الدينية.

(ثانيا) امّحاء التعصب المذموم للعقائد الباطلة.

(ثالثا) قيام النظر العقلى مقام التقليد الأعمى.

(رابعا) قبول كل عقيدة تسلم من النقد وتنهض بها حجة.

(خامسا) الميل إلى إيجاد زمالة عامة بين الناس كافة، ومحاربة كل العقائد المفرقة للأمم، والجاعلة إياها شيعا.

(سادسا) الاتجاه إلى نصب العلم فاروقا بين الحق والباطل، بغير اعتداد برأى أية طائفة من الطوائف، أو فرد من الأفراد.

هذه الأصول الستة لا محيص من تولدها كثمرة طبيعية للثقافة العصرية وقد تولدت فعلا وصارت جزءا من الدستور العلمي لدى ألوف من المشتغلين بجميع الفروع العلمية، وليس بينها وبين أن تصبح عنصرا رئيسيا من عناصر العقلية الأوروبية إلا أن تنتشر فيها المبادىء الفلسفية، وهي لا تزال بعيدة عن الدهماء لأسباب اقتصادية، ولكن لابد من بلوغها هذه المنزلة بعد قرنين أو ثلاثة قرون.

فإذا بلغ العالم هذه المرتبة من التعقل، والخلاص من آثار الوراثة، ثم لاح له أن ينظر في الأديان التي يعتبرها إذ ذاك

(*) مجلة الأزهر، المجلد الحادي عشر، ص٢٨٩، سنة ١٣٥٩هـ.

بقايا أثرية، للعقلية البشرية، تبين له أنه في صميم الإسلام، وأنه في جهاده العلمي الطويل كان يعمل لإقامة دولته، وأعلاء كلمته، وهو يتوهم أنه يهدمه فيما يهدم من العقائد الباطلة، والوساوس المعطلة.

فكما جاءت الحوادث مصدقة لقوله تعالى:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾

(سورة النور: ٥٥)

وقد كانوا يعبدون الله سرا ويخشون أن يتخطفهم أعداؤهم ويمزقوهم شذر مذر، فأتاهم الله خلافة الأرض، وجعل دينهم ظاهرا على الأديان كلها، كذلك ستصدق الحوادث ما وعد الله به من أنه سيرى الناس آياته في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أن هذا الدين هو الحق:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾

(سورة فصلت: ٥٣)

وقد ظهرت بوادر هذا الانقلاب في أقوال الكثيرين من أقوال علماء الغرب، وقد رأى بعضهم ومنهم (برنارد شو) أن أوروبا قد لا يمضي عليها قرنان حتى تكون قد اتخذت الإسلام دينا.

أي شيء يعتبر في حكمه هذا بعيدا عن العقل؟ أليست الأصول الستة التي أتيتناها هنا، وهي أخص أصول الدستور العلمي، هي نفسها أخص أصول الإسلام، بل هي معناه وروحه، والموجب لجعله دينا للعالمين كافة في كل زمان ومكان؟

لقد كلف الإسلام كل داخل فيه أن يكون متجردا من كل ما يربطه بالماضي من دين ووراثة وتقليد ووهم وخيال؛ وأن يقبل عليه خالي القلب من كل صورة ذهنية، ورأى سابق، على مثال ما يكون عليه الطفل ساعة تضعه أمه.

فإذا تمت له هذه التصفية ولقّن أمور الدين، أمر أن يتعقلها وأن ينظر في أدلتها، ونهى أن يأخذ بها تقليدا مهما كانت مكانة الرجل الذي يقلده؛ وكلف أيضاً أن يتأمل فيما نصبه الله في الكون من معالم الحق، وأن يدرسها دراسة المتتبع لأسرار الخلق، مخضعاً كل ما يحصله لأدق أساليب التمحيص والتحليل، حتى لا يتورط في الأخطاء فيضل ويضل، وهو مسئول عن كل ما يستخدمه في هذا السبيل من حواسه ومشاعره، ومحاسب حتى على جيشات خواطره، وإنا لمقتبسون لك آيات من الكتاب تريك مكان هذه الأصول منه، فإليك:

قال الله تعالى في ماهية الدين الحق:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(سورة الروم: ٣٠)

وقد شرح النبي ﷺ هذه الفطرة فقرر أنها مثل الحالة التي يكون عليها الطفل ساعة ميلاده: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»(١)، أي أن كل مولود يولد على الدين الحق المطلق «الإسلام» ولكن أبويه ينقشان في عقله من الصور ما يغيران به هذه الفطرة السليمة لتعلق به فلا يستطيع عنها حولاً.

وقال تعالى في ذم الظنون والأوهام:

﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾

(سورة يونس: ٦٦)

وقال:

﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾

(سورة يونس: ٣٦)

وقال تعالى في النهي عن اتباع الهوى:

﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾

(سورة ص: ٢٦)

وقال في وجوب إقامة سلطان العقل:

﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ وكرر ذلك في آيات كثيرة بألوان مختلفة عشرات من المرات.

وقال في ذم الذين لا يعرفون للعقل حقه:

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾

(سورة الأنفال: ٢٢)

وقال:

﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾

(سورة البقرة: ١٨)

وقال:

﴿ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾

(سورة يونس: ١٠٠)

وقال:

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝١٠ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾

(سورة الملك: ١٠، ١١)

وقال تعالى في المسئولية الشخصية، وفي عدم جواز الاعتماد على الغير:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾

(سورة المدثر: ٣٨)

وقال:

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴾

(سورة النجم: ٣٩ - ٤١)

(١) البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين.

وقال:

﴿ واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ﴾

(سورة البقرة: ٤٨)

«أي فداء».

وقال تعالى في ذم التقليد الأعمى:

﴿ ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ﴾

(سورة الأحزاب: ٦٧)

وقال:

﴿ إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب (١٦٦) وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار ﴾

(سورة البقرة: ١٦٦، ١٦٧)

وقال تعالى في وجوب طلب الدليل القاطع على كل عقيدة، وفي النعي على الذين يعتقدون تقليداً بغير حجة:

﴿ ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه ﴾

(سورة المؤمنون: ١١٧)

وقال في وجوب تقاضي الدليل من كل صاحب قول:

﴿ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾

(سورة النمل: ٦٤)

وقال في تسفيه أحلام الذين يجمدون على ما ورثوه من آبائهم من الأباطيل:

﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ﴾

(سورة البقرة: ١٧٠)

﴿ بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون ﴾

(سورة الزخرف: ٢٢)

هذا دستور ديني جاء به ﷺ في زمن لم يكن فيه لدستور أياً كان نوعه دولة في الأرض، لا من الناحية السياسية، ولا من الناحية العلمية. أما من الناحية السياسية فقد كان لا يعرف أحد أن للحكومة دستورا قط. فكان الناس من هذه الناحية غرقى إلى يآفيخهم في حكومة الفرد لا يعرفون لهم حقوقاً، ولا وجوداً معها.

أما أمر الدين فقد كان دستوره عندهم: «اعتقد وأنت أعمى» كما قاله العلامة لاروس في دائرة معارف القرن التاسع عشر. أما هذا معقول وهذا غير معقول، وهذا يحتاج الدليل، فعبارات كانت تجر إلى النار المحرقة في تنانير كانت أعدت لذلك.

جاء ﷺ بذلك الدستور الديني، وهو القرآن، والناس قاطبة على ما وصفنا من العمايات المتراكبة بعضها فوق بعض، وقد جمدوا على ما كانوا عليه حتى صار حالاً ملازماً لهم لا يتصورون الحياة على حال غيره، بل لا يحبون أن يسمعوا داعيا يدعوهم إلى نقيضه، وإذا أقدم على ذلك وصموه بالجنون. وقد حكى الله ما قالوه للنبي ﷺ حين دعاهم إلى النور فقال تعالى:

﴿ وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون ﴾

(سورة الحجر: ٦)

وقالوا:

﴿ أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون ﴾

(سورة الصافات: ٣٦)

فرد الله عليهم بقوله:

﴿ أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون ﴾

(سورة المؤمنون: ٧٠)

فإذا كانت ثمرة هذا الدستور الإلهي في البقعة الفسيحة من الأرض التي استولى عليها المسلمون في أول الإسلام، هي دخول أمم برمتها فيه، بغير إجبار، بل بغير دعاية منظمة، والعقول لم تكملها العلوم، والنفوس لم تصقلها الشكوك، فماذا ينتظر أن يكون عليه حال العالم المتمدن إذا عرف الإسلام حق معرفته، وتبين الناس أنه لا ينطبق على الدستور العلمي فحسب، ولكن أصوله الأولية هي ذلك الدستور نفسه، بالغا أكمل ما يمكن أن يصل إليه من السمو والإحاطة بكبريات الأمور وصغرياتها، بحيث لا تفلت منه حتى همسات السرائر، وحركات الضمائر:

﴿ وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ﴾

(سورة البقرة: ٢٨٤)

العالم المتمدن يحاول حل مسألة الدين

قد يقول معترض: إنكم تنفقون أوقاتكم في الكلام عن العالم المتمدن من ناحية الدين، على حين أنه قد فرغ منها، ولم يعد يخطرها بباله، وقد محض نفسه للبحوث المادية، وتسخير قوى الكون لحياته الدنيوية.

الحقيقة أن المعترض غير مصيب فيما يقول. فإن العالم المتمدن اليوم أشغل ما يكون بالمسألة الدينية من جميع نواحيها. فإن كان لابد من الاستشهاد بأقوال أقطابه، فإليك ما كتبه الأستاذ «هنري بيراجيه» في المجلد الرابع والعشرين من مجلة المجلات الفرنسية، قال: «إن المسألة الدينية أهم ما يشغل العالم المتمدن اليوم، لأن مستقبل الأمم المتحضرة يتوقف على حلها».

ثم قال: «إذا كان النقد التاريخي قد حطم اليوم كل الأشكال المتحجرة في الأديان،

فإنه لم يستطع أن يعدو على العاطفة الدينية، بل اعترف باستمرارها وشيوعها في كل دور من أدوار التاريخ، ورأى أن كل تلك الآلهة المختلفة المتعاقبة، تشهد بأن الإنسان مفطور على الاعتقاد بالله رغم أنفه. ففي كل جهة وكل زمان قد شوهدت حاجة الإنسان إلى الدعاء والعبادة والتضحية، في أخس الأديان الوثنية، كما في أرقى المذاهب الروحانية. هذه هي الشرارة السيكولوجية «أي النفسية» التي استخلصها من رماد العصور الماضية تاريخ المقارنة بين الأديان. فمن المحال أن يطفئها، ولكنه سينقلها إلى المستقبل».

ثم قال: «إننا نأمل الوصول إلى حل المسألة الدينية، وبخاصة لأن الديانة الفطرية «أي الطبيعية» قد ولدت منذ مائة عام، ودرست بواسطة بعض كبار الفلاسفة الفرنسيين. فجان جاك روسو ولامرتين ولامنيه وميشيليه وكينيه، كانوا من كبار المبشرين بهذه الديانة الجديدة. وقريب منا إرنست رينان وجيو وشوريه وساباتييه قد أمدوها بقوة عظيمة جديدة» انتهى.

نقول: ما هي هذه الديانة الطبيعية التي يعتقد كبار المفكرين في الغرب بأنها الديانة العالمية العلمية المستقبلة؟

إنا نأتيك بها على لسان أحد كبار أشياعها، وهو الفيلسوف الفرنسي «كارو»، فقد قال في كتابه: «البحوث الأدبية على الزمان الحاضر» ما يأتي:

«أصول الديانة الطبيعية هي الاعتقاد بوجود إله مختار خلق الكائنات وعنى بها. وهو متميز عن العوالم الكونية وعن النوع الإنساني، ووجود روح للإنسان متصفة بالإدراك والحرية، ومحبوسة في هذا الجثمان المادى أمدا لتبتلى فيه، وهذه الروح تستطيع بإرادتها أن تطهر هذا الجثمان وتنقيه، إذا عرجت به نحو السماء، ويمكنها أن تسفله بإخلادها إلى المادة الصماء، والاعتقاد المطلق بسمو العقل على الحس، ووضع الحرية الخلقية التي هي ينبوع وأصل جميع الحريات، تحت سيطرة الاعتدال، وإعطاء الصفات الفاضلة اسمها الحقيقي وهو الامتحان والابتلاء، وتحديد غرضها الصحيح، وهو التخليص التدريجي للنفس من علائق الجسم، والتهيؤ لساعة الموت بالزهادة. وأخيرا الاعتراف بناموس الترقي. ولكن بدون فصل ترقي الإنسان في مدارج السعادة المادية عن العواطف الفاضلة التي هي وحدها تبرر تلك السعادة» اهـ.

نقول: هل يعني كل هذا الجهد الجاهد من الفلاسفة والمفكرين، غير محاولة الرجوع لدين الفطرة، تحت تأثير حوافز من أنفسهم، ومن تجلي آيات الله لهم، في الآفاق المحيطة بهم، مصداقا لتلك الآية الكريمة؟

فالدين الفطرى «أي الطبيعي» آت لا محالة باعتبار أنه دين عالمي للبشر كافة بحكم العلم نفسه. والدين الفطرى هو الإسلام بنص كتابه، وبموجب أصوله. فإذا آنس الناس تلكؤا في التمشي إليه فذلك أمر طبيعي، لأن أكثر الناس عوام يجمدون على ما ورثوه، ويستميتون في تأييده وإن كانوا لا يعقلونه، ولكن بوتقة الوجود دائبة على صهر العقول جيلا فجيلا

تطهيرا لها من الكدر العالق بها طبقة بعد طبقة، والحقائق في الوقت نفسه تزداد ذيوعا بينهم، فلا يزال الأمر جاريا على هذه الوتيرة حتى لا يبقى في الناس من يعتقد فيما لا يعقل، وإذ ذاك تحل الروح الإسلامية في العالم بكل ما قامت عليه من أصول عقلية، ومبادىء علمية، فيتحقق أعظم إصلاح عالمي يتمناه المصلحون في العصر الحاضر.

في ذلك اليوم لا يستطيع مفكر كالأستاذ «هنرى بيرانجيه» المتقدم ذكره أن يقول: «لما كانت الأديان ليست بشيء غير مظاهر رمزية للعاطفة الدينية فستتلاشى عاجلا أو آجلا ككل الآثار الإنسانية، ولكن تلك العاطفة لن تتلاشى أبدا إلا مع الإنسان نفسه».

نعم، لا يستطيع أن يقول ذلك، لأنه يجد الدين الأخير منها هو تلك العاطفة نفسها، كما ينص عليه كتابه في قوله تعالى:

﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(سورة الروم: ٣٠)

ويجد أن كل ما تستدعيه تلك العاطفة الدينية من معتقدات وعبادات ومعاملات مشروط فيه الرجوع به إلى حكم العقل والعلم، لا إلى تحكم الهوى والجهل. فكل حق وهدى وعلم وخير وترقٍّ، فهو في شرعة هذا الدين الفطرى دين. وكل باطل وضلال وجهل وشر وتدلٍّ، فهو في شرعته كفر.

هذا هو الدين الذي جاء به محمد ﷺ دينا عاما للبشر كافة. فهل تجد محيصا للبشر عنه؟ كيف يعقل ذلك والفطرة أساسه، والعقل نبراسه، والعلم مادته؟ وهل للبشر محيص عن هذه الثلاثة الأصول الطبيعية مهما حاولوا ذلك وتكلفوه؟ فإن كان في العالم أصول كلما أمعنت في البعد عنها، ازددت قربا منها، فهي الفطرة والعقل والعلم.

وهذا كله معنى قوله تعالى:

﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ۝٨٣ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾

(سورة آل عمران: ٨٣ ـ ٨٤)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ۝١٧٤ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝١٧٥ ﴾

(سورة النساء: ١٧٤ ـ ١٧٥)

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾

(سورة الصف: ٨)

﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾

(سورة سبأ: ٦)

تفسير سورة النساء

لفضيلة/ الأستاذ الدكتور
محمد سيد طنطاوى
رحمه الله

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾

(الآيات: ٢٩ : ٣١)

المراد بالأكل فى قوله:

﴿ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم ﴾

مطلق الأخذ الذى يشمل سائر التصرفات التى نهى الله عنها.

وخص الأكل بالذكر؛ لأن المقصود الأعظم من الأموال هو التصرف فيها بالأكل.

والباطل: اسم لكل تصرف لا يبيحه الشرع كالربا والقمار والرشوة والغصب والسرقة والخيانة والظلم إلى غير ذلك من التصرفات المحرمة.

والمعنى: يأيها المؤمنون لا يحل لكم أن يأكل بعضكم مال غيره بطريقة باطلة لا يقرها الشرع، ولا يرتضيها الدين، كما أنه لا يحل لكم أن تتصرفوا فى الأموال التى تملكونها تصرفا منهيا عنه بأن تنفقوها فى وجوه المعاصى التى نهى الله عنها؛ فإن ذلك يتنافى مع طبيعة هذا الدين الذى آمنتم به.

وناداهم - سبحانه - بصفة الإيمان، لتحريك حرارة العقيدة فى قلوبهم وإغرائهم بالاستجابة لما أمروا به أو نهوا عنه.

وفى قوله ﴿ أَمْوَالَكُم ﴾ إشارة إلى أن هذه الأموال هى نعمة من الله لنا، وأن على الأمة جميعها أن تصون هذه الأموال عن التصرفات الباطلة التى لا تبيحها شريعة الله.

وفى قوله ﴿ بَيْنَكُم ﴾ إشارة إلى أن تبادل الأموال بين الأفراد والجماعات يجب أن يكون على أساس من الحق والعدل ولا يكون بالباطل أو بالظلم.

والاستثناء فى قوله:

﴿ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾

استثناء منقطع لأن التجارة ليست من جنس الأموال المأكولة بالباطل.

والمعنى: لا يحل لكم - أيها المؤمنون - أن تتصرفوا فى أموالكم بالطرق المحرمة، لكن يباح لكم أن تتصرفوا فيها بالتجارة الناشئة عن تراض فيما بينكم؛ لأنه لا يحل لمسلم أن يقتطع مال أخيه المسلم إلا عن طيب نفس منه.

والتجارة: اسم يقع على عقود المعاوضات التى يقصد بها طلب الربح، وخصت بالذكر من سائر أسباب الملك؛ لكونها أغلب وقوعا ولأن أسباب الرزق أكثرها متعلق بها.

أخرج الأصبهانى عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: (أطيب الكسب كسب التجار الذين إذا حدثوا لم يكذبوا، وإذا وعدوا لم يخلفوا وإذا ائتمنوا لم يخونوا، وإذا اشتروا لم يذموا وإذا باعوا لم يمدحوا، وإذا كان عليهم لم يمطلوا، وإذا كان لهم لم يعسروا).

وكلمة «تجارة» قرأها عاصم وحمزة والكسائى بالنصب على أنها خبر لكان الناقصة واسم كان ضمير يعود على الأموال أى إلا أن تكون الأموال المتداولة بينكم تجارة صادرة عن تراض منكم. وقرأها الباقون بالرفع على أنها فاعل لكان التامة أى: إلا أن تقع تجارة بينكم عن تراض منكم.

وقوله ﴿ عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾ صفة لقوله: ﴿ تِجَارَةً ﴾ ولفظ ﴿ عَن ﴾ للمجاوزة أى: إلا أن تكون تجارة صادرة عن تراض كائن منكم.

والتراضى: هو الرضا من الجانبين بما يدل عليه من لفظ أو عرف، وهو أساس العقود بصفة عامة، وأساس المبادلات المالية بصفة خاصة، فلا بيع ولا شراء ولا إجارة ولا شركة ولا غيرها من عقود التجارة مالم يتحقق الرضا.

قال بعضهم: وحقيقة التراضى لا يعلمها إلا الله - تعالى - والمراد هنا أمارته. كالإيجاب والقبول وكالتعاطى عند القائل به. وقد قال - تعالى -:

﴿ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾

فدل ذلك على أن مجرد التراضى هو المناط. ولابد من الدلالة عليه بلفظ أو إشارة أو كتابة، بأى لفظ وقع وعلى أى صفة كان،

وبأي إشارة مفيدة حصل»[1].

وقال الآلوسي: والمراد بالتراضي مراضاة المتبايعين بما تعاقدوا عليه في حال المبايعة وقت الإيجاب والقبول عندنا. وعند المالكية والشافعية حالة الافتراق عن مجلس العقد وقيل التراضي: التخيير بعد البيع...»[2].

هذا، وظاهر قوله ـ تعالى ـ:

﴿ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾

يفيد إباحة جميع أنواع التجارات ما دام قد حصل التراضي بين المتعاقدين، ولكن هذا الظاهر غير مراد، لأن الشارع قد حرم المتاجرة في أشياء معينة حتى ولو تم التراضي بين المتعاقدين فيها، وذلك مثل المتاجرة في الخمر والميتة ولحم الخنزير، ومثل بيع الغرر والعبد الآبق ونحو ذلك مما نهى عنه الشارع من العقود والمعاملات.

وقوله:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾

معطوف على ما قبله.

وللعلماء في تأويله اتجاهات: فمنهم من يرى أن معناه: ولا يقتل بعضكم بعضا، فإن قتل بعضكم لبعض قتل لأنفسكم. والتعبير عن قتل بعضهم لبعض بقتل أنفسهم للمبالغة في الزجر عن هذا الفعل، وبتصويره بصورة مالا يكاد يفعله عاقل.

وإلى هذا المعنى اتجه الفخر الرازي فقد قال: اتفقوا على أن هذا نهي عن أن يقتل بعضهم بعضا. وإنما قال: ﴿ أَنفُسَكُمْ ﴾ لقوله ﷺ «المؤمنون كنفس واحدة». ولأن العرب يقولون: قتلنا ورب الكعبة إذا قتل بعضهم، لأن قتل بعضهم يجري مجرى قتلهم»[3].

ومنهم من يرى أن معناه النهي عن قتل الإنسان لنفسه. ومن ذلك ما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا. ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا. ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ ـ أي يطعن ـ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا»[4].

وروى مسلم عن جابر بن سمرة قال: أتى النبي ﷺ برجل قتل نفسه بمشاقص ـ أي سهام عراض واحدها مشقص ـ فلم يصل عليه[5].

ومنهم من يرى أن معناه: لا تقتلوا أنفسكم بأكل بعضكم أموال بعض وارتكابكم للمعاصي التي نهى الله عنها، فإن ذلك يؤدي إلى إفساد أمركم، وذهاب ريحكم، وتمزق وحدتكم، ولا قتل للأمم والجماعات أشد من فساد أمرها، وذهاب ريحها.

وقد ذهب إلى هذا المعنى الإمام ابن كثير فقد قال: وقوله:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾

أي بارتكاب محارم الله ـ وتعاطي معاصيه ـ وأكل أموالكم بينكم بالباطل»[6].

والذي نراه أن الجملة الكريمة تتناول كل هذه الاتجاهات، فهي تنهى المسلم عن أن يقتل نفسه، كما أنها تنهاه عن أن يقتل غيره، وهي أيضا تنهاه عن ارتكاب المعاصي التي تؤدي إلى هلاكه.

وقدم ـ سبحانه ـ النهي عن أكل الأموال بالباطل على النهي عن قتل الأنفس مع أن الثاني أخطر، للإشعار بالتدرج في النهي من الشديد إلى الأشد ولأن وقوعهم في أكل الأموال بالباطل كان أكثر منهم وأسهل عليهم من وقوعهم في القتل.

وقد ختم ـ سبحانه ـ الآية الكريمة بقوله:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾

لبيان أن ما نهى الله عنه من محرمات، وما أباحه من مباحات، إنما هو من باب الرحمة بالناس، وعدم المشقة عليهم. فالله ـ تعالى ـ رءوف بعباده ومن مظاهر ذلك أنه لم يكلفهم إلا بما هو في قدرتهم واستطاعتهم.

وهذه الآية الكريمة أصل عظيم في حرمة الأموال والأنفس ولقد أكد النبي ﷺ هذا المعنى في خطبته في حجة الوداع حيث قال: «إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا».

ثم بين ـ سبحانه ـ سوء عاقبة من يفعل ما نهى الله عنه فقال:

﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾

واسم الإشارة في قوله:

﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ﴾

يعود إلى المذكور من أكل الأموال بالباطل ومن القتل، وقيل الإشارة إلى القتل لأنه أقرب مذكور.

والعدوان: مجاوزة الحد المشروع عن قصد وتعمد.

والظلم: وضع الشيء في غير موضعه.

والمعنى: أن من يفعل ذلك المحرم حال كونه ذا عدوان وظلم عاقبه الله على ذلك عقابا شديدا في الآخرة، بإدخاله نارا هائلة محرقة، وكان عقابه بهذا العذاب الهائل الشديد يسيرا على الله، لأنه ـ سبحانه ـ لا يعجزه شيء.

وجمع ـ سبحانه ـ بين العدوان والظلم ليشمل العذاب كل أحوال الارتكاب لمحارم الله، وليخرج ما كان غير مقصود من الجرائم، كمن يتلف مال غيره بدون قصد، وكمن يقتل غيره بدون تعمد، فإنه يكون ظالما وعليه دفع عوض معين للمستحق لذلك، إلا أنه لا يكون مستحقا لهذا العذاب الشديد الذي توعد الله به من يرتكب هذه الجنايات

(1) تفسير القاسمي جـ٥ ص ٢٠٢. (2) تفسير الآلوسي جـ٥ ص١٦. (3) تفسير الفخر الرازي جـ١٠ ص٧٢.

(4) أخرجه البخاري في باب شرب السم من كتاب الطب جـ٧ ص١٨١، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان جـ١ ص١٠٣.

(5) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز جـ٣ ص٦٦.

(6) تفسير ابن كثير جـ١ ص٤٨٠.

عن عدوان وظلم.

وبعد هذا الوعيد الشديد لكل معتد وظالم، فتح القرآن الكريم باب الرحمة للناس حتى لا يقنطوا من رحمة الله فقال ـ تعالى ـ:

﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾

واجتناب الشيء معناه: المباعدة عنه وتركه جانباً بحيث تكون أنت فى جانب وهو فى جانب آخر ولا تلاقى بينكما.

وكبائر الذنوب: ما عظم منها، وعظمت العقوبة عليه، كالشرك، وقتل النفس بغير حق، وأكل مال اليتيم ونحو ذلك من المحرمات.

والسيئات: جمع سيئة وهى الفعلة القبيحة، وسميت بذلك؛ لأنها تسوء صاحبها عاجلاً أو آجلاً.

والمراد بالسيئات هنا: صغائر الذنوب بدليل مقابلتها بالكبائر.

والمعنى: إن تتركوا ـ يا معشر المؤمنين ـ كبائر الذنوب التى نهاكم الشرع عن اقترافها.

﴿ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾

أى نسترها عليكم، ونمحها عنكم حتى تصير بمنزلة مالم يعمل فضلاً من الله عليكم، ورحمة بكم.

﴿ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾

أى وندخلكم فى الآخرة مدخلاً حسناً وهو الجنة التى وعد الله بها عباده الصالحين، فهى مكان طيب يجد من يحل فيه الكثير من كرم الله ورضاه.

والمدخل ـ بضم الميم ـ كما قرأه الجمهور مصدر بمعنى الإدخال، ومفعول ندخلكم محذوف أى نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم إدخالاً كريماً.

ويصح أن يكون اسم مكان منصوباً على الظرفية عند سيبويه، وعلى المفعولية عند الأخفش، وقرأ نافع «مدخلا» ـ بفتح الميم ـ على أنه اسم مكان للدخول، ويجوز أن يكون مصدراً ميمياً، أى ندخلكم مكاناً كريماً أو ندخلكم دخولاً كريماً.

هذا، وقد استدل العلماء بهذه الآية على أن صغائر الذنوب يغفرها الله ـ تعالى ـ لعباده رحمة منه وكرماً متى اجتنبوا كبائر الذنوب، وصدقوا فى توبتهم إليه.

كما استدلوا بها على أن الذنوب منها الكبائر ومنها الصغائر، لأن هذه الآية قد فصلت بين كبائر الذنوب وبين ما يكفر باجتنابها وهو صغار الذنوب المعبر عنها بقوله ـ تعالى ـ:

﴿ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾

ولأن الله ـ تعالى ـ يقول فى موضع آخر:

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ۝ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ﴾

«النجم: ٣١ ـ ٣٢»

قال الألوسى ما ملخصه: واختلفوا فى حد الكبيرة على أقوال منها: أنها كل معصية أوجبت الحد، ومنها: أنها كل جريمة تؤذن بقلة اكتراث مرتكبها بالدين وبضعف ديانته.

وقال الواحدى: الصحيح أن الكبيرة ليس لها حد يعرفها العباد به، وإلا لاقتحم الناس الصغائر واستباحوها، ولكن الله ـ تعالى ـ أخفى ذلك عن العباد ليجتهدوا فى اجتناب المنهى عنه رجاء أن تجتنب الكبائر، ونظير ذلك إخفاء الصلاة الوسطى، وليلة القدر، وساعة الإجابة.

وذهب جماعة إلى ضبطها بالعد من غير ضبط بحد، فعن ابن عباس وغيره أنها ما ذكره الله ـ تعالى ـ من أول هذه السورة إلى هنا، وقيل هى سبع بدليل ما جاء فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: اجتنبوا السبع الموبقات قالوا: وما هن يا رسول الله؟ قال: الشرك بالله ـ تعالى ـ والسحر، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات».

فإن قيل: جاء فى روايات أخرى أن من الكبائر «اليمين الغموس» و«قول الزور» و«عقوق الوالدين»؟ قلنا فى الجواب: إن ذلك محمول على أنه ﷺ ذكر ما ذكر منها قصداً لبيان المحتاج منها وقت الذكر وليس لحصره الكبائر فيه ـ فإن النص على هذه السبع بأنهن كبائر لا ينفى ما عداهن»(٧).

والذى نراه أن الذنوب منها الكبائر ومنها الصغائر، وأن الصغائر يغفرها الله لعباده متى اجتنبوا الكبائر وأخلصوا دينهم لله، وأن الكبائر هى ما حذر الشرع من ارتكابها تحذيراً شديداً، وتوعد مرتكبها بسوء المصير، كالإشراك بالله، وقتل النفس بغير حق وغير ذلك من الفواحش التى يؤدى ارتكابها إلى إفساد شأن الأفراد والجماعات والتى ورد النهى عنها فى كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.. وأن الصغائر، هى الذنوب اليسيرة التى يرتكبها الشخص من غير إصرار عليها ولا استهانة بها أو مداومة عليها، بل يعقبها بالتوبة الصادقة والعمل الصالح وصدق الله إذ يقول:

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴾

«هود: ١١٤»

ولقد فتح الله ـ تعالى ـ لعباده باب التوبة من الذنوب صغيرها وكبيرها حتى لا ييأسوا من رحمته فقال ـ سبحانه ـ:

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۝ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

«سورة الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠»

(٧) تفسير الألوسى ج٥ ص١٧.

من مآثر السنة الدعاء عند النوم

لفضيلة الشيخ إبراهيم عطا الفيومى

روى الإمام مسلم فى صحيحة عن البراء بن عازب، ﷺ، أن رسول الله ﷺ، قال: «إذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل: اللهم إنى أسلمت وجهى إليك وفوضت أمرى إليك وألجأت ظهرى إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذى أنزلت وبنبيك الذى أرسلت، واجعلهن من آخر كلامك. فإن مت من ليلتك مت وأنت على الفطرة». قال فرددتهن لأستذكرهن فقلت: آمنت برسولك الذى أرسلت قال: «قل: آمنت بنبيك الذى أرسلت».

التعريف بالراوى

- هو البراء بن عازب بن حارث الأنصارى الحارثى الخزرجى، يكنى أبا عمارة، صحب النبى ﷺ فاستصغره يوم بدر، وشهد معه غير غزوة، وشهد مع على - رضى الله عنه - الجمل فى صفين والنهروان..

وروى له البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه، ثم نزل الكوفة ومات بها سنة إحدى وسبعين للهجرة أيام مصعب بن الزبير رحمه الله تعالى.

اللغويات

- إذا أخذت مضجعك: إذا أردت النوم فى مضجعك.
- أسلمت وجهى إليك: استسلمت وجعلت نفسى منقادة لك طائعة لحكمك، والوجه والنفس بمعنى الذات.
- ألجأت ظهرى إليك: توكلت عليك واعتمدت فى أمرى كله كما يعتمد الإنسان ظهره إلى مايسنده.
- رغبة ورهبة: طمعاً فى ثوابك وخوفاً من عقابك.
- مت على الفطرة: على الإسلام.

الشرح والبيان

لقد بعث الله «عز وجل» رسوله ﷺ بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من ظلمات الجهل والشرك إلى نور التوحيد والعلم، فأرشدهم إلى خير الفرد والجماعة، وإلى عز الدنيا ونعيم الآخرة بالحجة والبرهان، ببيان خلاب ومنطق جذاب وسحر يأخذ بالألباب، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصى دخل النار، روى ابن حبان فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «والذى نفسى بيده، لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى وشرد على الله كشراد البعير»، قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى أن يدخل الجنة؟ قال: «من أطاعنى دخل الجنة، ومن عصانى فقد أبى».

وفى هذا الحديث الشريف توجيه كريم من النبى ﷺ لكل مسلم إذا أراد أن يأوى إلى فراشه أن يدعو عند نومه بهذا الدعاء الجميل بعد أن يتوضأ وضوءه للصلاة استحباباً، فإن كان متوضئاً كفاه ذلك الوضوء، إذ المقصود النوم على طهارة، ليكون أصدق لرؤياه وأبعد من تلاعب الشيطان به فى منامه وترويعه إياه، وكذلك إن مات فى ليلته مات على طهارة.

كما يسن أن ينام على جنبه الأيمن؛ لأن النبى ﷺ كان يحب التيامن فى كل شىء؛ ولأنه أسرع إلى الانتباه.

ويسن كذلك أن يذكر الله «عزوجل» ليكون خاتمة عمله، وليقل: «اللهم إنى أسلمت وجهى إليك»، وجاء فى رواية أخرى: «أسلمت نفسى إليك»، «رغبة ورهبة»، أى: رغبة فيما عند الله «عزوجل» ورهبة من عذابه.

وآيات الذكر الحكيم وأحاديث النبى الكريم ﷺ حافلة بذكر الجنة وما أعده الله «عز وجل» فيها للمتقين، ترغيباً للمؤمنين، وحثاً لهم على الطاعات وتحمل مشاق العبادة، لأن الإنسان إذا علم أن الله «عزوجل» قد أعد له داراً فيها كل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين - تولدت عنده الرغبة الصادقة فى أن يكون من أهل هذه الجنة، وسعى لها سعيها فكان من المتقين ومن المحسنين، ومن الذاكرين ومن المخبتين، ومن المنفقين، ومن الأوابين المنيبين ومن الذين يدعون ربهم خوفاً وطمعاً.

ومن الآيات الواردة فى الترغيب قوله تعالى:

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾ «التوبة: ٥٩»

وقوله تعالى:

﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ

﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾

«الأنبياء : ٨٩ - ٩٠»

وقوله تعالى:

﴿ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴾

«القلم : ٣٢»

ومن الأحاديث الواردة فى الترغيب فى الجنة مارواه البخارى عن أبى هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ قال: «إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، أراه فوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة»، وما رواه مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة».

فإذا أطاع المسلم وفعل الأوامر وأدى تلك السنن وحصل تلك الخيرات ـ نال بذلك أجر الطاعة وثواب تلك السنن، وإن مات فى ليلته مات على الفطرة، أى: الإسلام. ومن الآيات الواردة فى الترهيب من النار قوله تعالى:

﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾

«آل عمران : ١٣١»

وقوله تعالى:

﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴾

«آل عمران : ١٩٦»

وقوله تعالى:

﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾

«النساء : ١٤»

وقوله تعالى:

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾

«النساء : ١١٥»

وقوله تعالى:

﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ۝٤٧ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾

«القمر : ٤٧ - ٤٨»

ومن الاحاديث الواردة فى ذلك ما رواه مسلم عن أسماء بنت أبى بكر - رضى الله عنهما - ما قالت: «قلت: يارسول الله، إن أمى قدمت على وهى راغبة أو راهبة أفأصلها؟ قال«ﷺ»: نعم، وروى

البخارى عن أبى هريرة عن النبى«ﷺ» قال: «يحشر الناس على ثلاث طرائق ـ أى: فرق ـ راغبين وراهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، ويحشر بقيتهم النار، تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسى معهم حيث أمسوا».

وإنما كان الترغيب فى ثواب الجنة والترهيب من عذاب النار؛ لأن الجزاء العاجل الذى يلقاه الطائعون والعصاة فى هذه الدنيا لايردع العصاة ولا يكافىء الطائعين على النحو الذى يستحقه كل منهم، لأن الجزاء الدنيوى مقدمة للعدالة الإلهية الشاملة الكاملة مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾

«آل عمران : ١٨٥»

وقد بينت الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ما يرغب الطائعين فى الطاعة، ويحثهم عليها ويحببهم فيها؛ لينالوا ما أعده الله «عز وجل» لهم فى الجنة مما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، كما خوفت العصاة وأرهبتهم، وأوقفهم على ما أعده الله لهم حتى تتحقق رهبتهم منه، ويعلموا سلفاً عاقبة عصيانهم ومخالفة أمر ربهم، وما سوف ينتظرهم من العذاب.

هذا ولما ردد الصحابى الجليل البراء بن عازب عبارة النبى «ﷺ» حتى لا ينساها، فقال: «آمنت برسولك الذى أرسلت» ـ قال رسول الله«ﷺ»: «قل: آمنت بنبيك الذى أرسلت»..

وقد اختلف العلماء فى سبب إنكاره«ﷺ» ورده اللفظ، فقيل: إنما رده لأن قوله «آمنت برسولك» يحتمل غير النبى «ﷺ» من حيث اللفظ، واختار المازرى وغيره أن سبب الإنكار أن هذا ذكر ودعاء فينبغى فيه الاقتصار على اللفظ الوارد بحروفه، وقد يتعلق الجزاء بتلك الحروف، ولعله أوحى إلى النبى «ﷺ» بتلك الكلمات، فيتعين أداؤها بحروفها، وقيل: لأن قوله: «آمنت بنبيك الذى أرسلت» فيه جزالة من حيث صنعة الكلام، وفيه جمع النبوة والرسالة، فإذا قال: «آمنت برسولك الذى أرسلت» فاته هذان الأمران، مع ما فيه من تكرار لفظ، «رسول و «أرسلت»، ومع جوازه فأهل البلاغة يعيبونه.. والله تعالى أعلى وأعلم.

***

عود على بدء

ملامح من شخصية الإمام محمد سيد الطنطاوى



للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى

قُدِّر للأستاذ الطنطاوى أن يكون رئيساً لمن يكبرونه فى السن منذ تولى رئاسة القسم حتى صار شيخاً للأزهر، ولكن اتصافه بالتواضع الخَبِى، جعل منه رئيساً محبباً لدى مرءوسيه، فقد كان يُشاورهم فى أدق المسائل محتفظاً بوجهة نظره، فإذا شاء أن يتجه إلى غير ما يريدون، أبدى لهم ما ينقُد به الرأى المخالف، فى شبه الاستفهام المتسائل، وبهذا المسلك الخلقى ملك زمام الأمر عن رضا واقتناع، وهو لا ينى عن تشجيع ما يبدو من الآراء السديدة بل يشيد بها معجبا، ويُسندها فى السّجلات الرسمية إلى قائلها باعتزاز، ولو سلك كلّ رئيس هذا المسلك لأراح من شر كثير!

هذا التواضعُ العملى يُرافقه تواضع علمىّ ينبع معينُه من عين صافية لا تكدّرها الدلاء، فهو فى نشاطه التأليفىّ يزن مقتضى الحال وزنا دقيقا، فقبلَ أن يكتب المقال، أو يلقى البحث. يقدّر من يتّجه إليهم بالخطاب، فإذا كانُوا من العَامة سلك مسلكَ التوجيه المبسوط دُون غوص إلى الأعماق المستكنَة فى لفائف البحث، وقد يضطر إلى التكْرار عالما أنّ العقول قد تشطّ فى غفلة ساهية فلا تتكامل لديها عناصرُ البحث، هذا مع العامة فى حلقات الوعْظ، ووقفات المنبر، وندوات الإذاعة من مرئيّة ومسموعة، أما إذا اتجه بالتأليف إلى الخاصّة فإنّه يسلك المسلك العلمى الدقيق، فيفكّر فى الموضوع تفكيراً منهجيا، يضع مقدماته ويشرح أدلّته، ويأتى بالاستنباط وكأنه نتيجةٌ طبيعية لأرقام تجمع فتأتى بالحاصل تلقائيًا دُون أن تثير اعتراض منصف، وكأنه بذلك يقتدى بأستاذه الإمام الأكبر الشيخ عبدالحليم محمود إذ كانت مجالسُ وعظه، وبعضُ مقالاته الإرشادية تلتفت إلى العامة أكثر مما تلتفت إلى الخاصة. أما مؤلفاته المنهجيّة فى الفلسفة وعلم الكلام، وأصول التوحيد فذات دسم قوى شاف! ولولاَ هذا التواضع العلمى ما بلغ الشيخ من تأثيره هذا المبلغ من نفوس السامعين، والذين يظنّون أن التعالى على المخاطبين - باصطناع أدقّ المناهج فى التأليف - يرفعُ أقدارهم ويجهلون أن كتاب الله، وهو أفصح كتاب فى العربية قد جاء بلسان عربى مبين، وقد قال الله عز وجل:

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾

(القمر: ١٧)

ومن التيسير أن يبلغ بوضوحه قلوب العامة كما يبلغ بإقناعه عقول الخاصة، وكلٌ يأخذ منه ما تتحمل مداركه وهو الكاسب فى كل اتجاه.

فإذا تركنا سمة التواضع الخبيئة إلى غيرها، فإننا نجدُ من السمات البارزة فى شخصيّة الإمام الأكبر الحرص على استغلال الوقت فيما يفيد، ومؤلفاتُه الكثيرة، وبعضُها يصل إلى خمسة عشر مجلدا مليئة بالدسم العلْمى النافع تُقدّم الدليل على ذلك، حتى لكأنّ التأليف العلمى لديه صار نزهةً خلويّة تُتيح أسباب الراحة، لا معركةً فكرية تتصاول فيها الآراء، وتتشابه الأفكار فى مجالات ضيقة، تتطلب الخُلوص من ظُلماتها المتراكمة! وكنّا نقرأ فى تاريخ الإمام الطبرى، وابن الجوزى، وابن حزم، أنّ هؤلاء يُقدّرون لأنفسهم يوميًا حدًا معلومًا من التأليف يحرصون على إنجازه مهما قامت الحوائل، ونحن نجدُ أمثال ذلك فى عصرنا الراهن لدى الأستاذ محمد الغزالى والأستاذ محمد سيد الطنطاوى فكلاهما يجد راحته التامة فى مُسامرة القلم، وتسويد الصحائف بنور المداد، وأكادُ أجزم أن



عبدالحليم محمود — محمد الغزالى

كليهما قد فرض على نفسه مقدارا معيّنا من الكتابة كما فعل الطبرى وابن الجوزى وابن حزم من قبل، ولكن الغريب أنّ الإمام الطبرى مثلا لم يكن ذا منصب رسمى يتطلّب المهامّ العسيرة المتشعبَة كمنصب مفتى الديار المصرية أو شيخ الأزهر مثلا، فمثل هذين المنصبين يشغلان من الفراغ اليومى ما يعوق دون النّتاج المتواصل، والذى يقرأ أنباء الشيخ فى مكتبه بالأزهر وفى ندواته بالمجتمعات العامة، وفى رحلاته المتكررة داخل القطر وخارجه، يتعجب لهذا السّيل الدافق مع وجود هذه الحوائل المانعة! ومعروفٌ أن المسألة ليست مسألة الزمن الذى يُقضى فى التأليف فحسب، فقبل العُكوف على الكتابة لابدّ من مجالس خلوية مطمئنة يفكر فيها الباحث تفكيراً جادًا فيما سيتناول.. ليجمع خواطره الثائرة، وكأنّه يصطادُ طُيورا نائية ترتقى فى الأفق الفسيح ليجعلها فى متناول يده، هذه الجلسات الصامتة يحسبها غير المتمرس هدوءا مريحا، وهى تيّارات مائجةٌ تجيش فى بحر لُجّى، وإذن فكلّ من يوفقه الله إلى التأليف المُثمر المُمتد، ذُو عزيمة قوية لا تُقهر وذُو إرادة فولاذية، تُصلْصل أجراسها فى أذنيه فتدفعُه إلى الكدْح الطويل، فإذا استجاب

لهواتفه الصارخة فذلك توفيق من الله تهيأت أسبابه، وسهل مجتناه!

على أن الأخلاق الكريمة كل لا يتجزأ، إذ عهدنا الصادق مثلا يتحلى بالأمانة والوفاء والبر، ويقدر جانب المسئولية حق قدرها، كما عهدنا صاحب الأخلاق الهابطة إذا كان سارقا أو غاشا فإننا نجده كاذبا ومدلسا. وقد يندفع في موبقات محرجة كالربا أو الزنا أو تدبير المؤامرات، لأن عنصر الفساد يدب في كيانه وما يعوق بينه وبين التنفيذ إلا صعوبة الإجراء وبعد التناول، ومعنى ما أريده في هذا المجال هو النص على أن من رزق سمة التواضع، والعمل الدائب كما أشرت من قبل، لابد أن يجمع من الفضائل المتناسقة ما يمتد بخلاله النفسية إلى مستوى عال شريف، ومن هذه الخلال ما نلمسه لدى الإمام الطنطاوى من حب للزملاء، وعمل جاد على تحقيق رغباتهم المشروعة، واتساع صدر لكل ما يقال، مع إغضاء عما يندر من الهنات، وتلك سمات لا يقدرها حق قدرها إلا من يعرف أن الضعف البشرى أمر طبيعى لا محيد عنه، وأن الكمال لله وحده، ومما أعرفه في هذا المنحى أن قوما قد تورطوا في نقد ظالم لبعض ما كتبه الشيخ من آراء، ولم يرعوا جانب الأدب في المناظرة العلمية، ثم توجهوا إليه في بعض أمورهم الخاصة التي ينتهي الأمر إليه في تنفيذها، فلاقاهم بالوجه الباش، وحادثهم بالتي هي أحسن، وكأنه لم يقرأ شيئا مما جاهروا به، وكأن لسان حاله ينشد مع الأمير أسامة بن منقذ:

إذا أذمت قوارصهم فؤادى
صبرت على أذاهم وانطويت
وزحت إليهم طلق المحيا
كأنى ما رأيت وما سمعت!

وتلك منزلة عالية يصعب الارتقاء إلى أوجها، ولابد من مراس طويل بين المرء ونفسه حتى يتغلب على نوازع الثأر، والمقابلة بالمثل، ولأمر ما قال الله عز وجل:

﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾

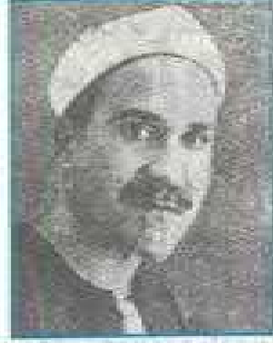
(الشورى ٤٣)

وأهم ما راع انتباهي فيما قرأت من مؤلفات الدكتور الطنطاوى ما لمسته من الأمانة الدقيقة في نقل الآراء وفي عزوها إلى أصحابها محددة بإيضاح موقعها من الكتب والمقالات، فإذا كان الرجل قد قرأ كثيرا وكثيرا فإن هذه القراءة لم تسمح له أن يقتنص من الآراء ما تقدم به سواه، لذلك تجد نقولا كثيرة عن أئمة المفسرين، وفيها ما تكرر لدى أكثر من مفسر، ولكنه ينقل الرأى المختار، مشيرا إلى مرجعه، ينقله سليما خاليا من الابتسار، إذ دأب بعض الناقلين على تصرف في النص لا يقدمه على وجهه الصحيح، وفي هذا ظلم صارخ لصاحب القول، لأنه حين جهير به إنما ساقه في إتمام كامل بحيث لم يبق شيء في صدره يتعلق بموضوعه، وعلى الناقل أن يكون أمينا أمام قول اختاره للبيان مؤيدا أو معارضا، ولا يكفى الإشارة إلى المصدر، إذ ليس لدى كل قارئ من الفراغ أو الإمكان ما يسمح له بالمراجعة والتثبت، هذا من ناحية تمام النص وكماله، أما الناحية الأخرى فهي الحرص الزائد على إسناد كل رأى لمصدره، فقد عهدنا من المؤلفين من يقرأ الموضوع ويستوعبه، ثم يقتنع بما جاء به. لا

ليوجه الأنظار إليه، بل لينسبه إلى نفسه، وكأن الاتفاق التام إذا اتضح للقارئ الناقد مما يحب أن يعزى إلى توارد الخواطر، وهذا المسلك الابتزازى يهوى بصاحبه، حين ظن أنه يرتفع به! وقد كان الأستاذ مصطفى عبدالرازق يكثر من النصوص المختارة من أقاويل العلماء كثرة تشبه الإفراط، وقد قال في تعليل ذلك، إن الأمانة العلمية تقضى هذا الإكثار، وأنا أكتب لا لأثبت أنى ابتكرت، فحسبي أن أكون قد فهمت ووافقت ثم عرضت!! وبعض الناس يظنون أن الاستشهاد بالنصوص المتتالية أمر سهل هين، وهو سهل حقا لدى المبتدئين في الخطوات الأولى، أما الأثبات الكبار فإنهم قبل أن ينقلوا النصوص كابدوا عناء في الاختيار والترجيح، إذ كانت هذه النصوص وسط ركام حاشد يتطلب الإنقاذ، كما يبحث عن الذهب في أعماق التراب، فلما ظفروا بما يبتغون حرصوا على استيفائه نصا وتخريجا وتأويلا، وتلك هي الأمانة بعينها!

والذين يزنون الأخلاق الإنسانية بميزانها الدقيق، يلتفتون إلى ظواهر صغيرة في مشهدها، لكنها ذات دلالة كبرى في مغزاها النفسي، ففى مجلس واحد يستطيع الباحث النفسى أن يصدر حكمه على السلوك الإنسانى، تفسيرا لإشارة عابرة. أو كلمة مختصرة، أو حركة جاءت عفوا دون قصد، فهذه الأشياء الصغيرة في مظهرها ذات دلالة كبيرة عن مخبر مختف عن الأنظار، وقد أفصحت عنه كل الإفصاح.

كنت أزور الأستاذ الأكبر ذات صباح، فاستأذن عليه موظف صغير يطلب أمرا ذا بال بالنسبة إلى الموظف، وكان في الرجوع إلى من يجلسون في الإدارة من ذوى الوظائف العامة ما يدفع صاحب الطلب إلى ذوى الاختصاص دون أن يشغل الإمام، بما هو بمنأى عنه، ولكن الشيخ قابل الموظف بابتسام ملاطف دون أن يراه من قبل، وقرأ الطلب بإمعان، ثم دق الجرس فجاء من يطلب إليه أن يذهب بالرجل إلى موضع التنفيذ، ثم يعمل على قضاء حاجته في أسرع ما يمكن، وما كاد الموظف يبارح مكتب الشيخ حتى حضر سفير كبير لإحدى الدول المرموقة، فما اختلف موقف الإمام في استقبال الزائر الكبير عن موقفه في استقبال الموظف الصغير، فاللطف هو اللطف، والإصغاء هو الإصغاء، والتوديع هو التوديع، هذان المشهدان المتواليان فتحا أمام عيني كتابا أطالعه عن أصالة الخلق النفسى لدى من يقدرون الإنسان لذات الإنسان، لا لأعراض براقة ترفع أناسا عن أناس، ولو وجد كل مرءوس من رئيسه ما يطمئنه على استقراره، وما يسهل به رجوع الحق إلى صاحبه، ما كثرت الشكوى اليوم من مواقف الملق والمحاباة!


مصطفى عبدالرازق

وناحية ألفت النظر إليها، فقد عارض الشيخ الأكبر في بعض آرائه، من لم يرعوا حرمة النقاش، فلجئوا إلى تأليب الجمهور ببيانات تحمل جانبا من الرأى دون أن تستوعب ما قيل، وشغبوا عليه شغبا كان من اللائق ألا يكون، فاتهموه بما هو منه برئ، واضطر الشيخ إلى أن يرفع أمرهم إلى القضاء بعد أن فاضت الكأس بما

غمرها من الماء! وهنا شغب الشاغبون لأن الرجل قد انتصف لنفسه، وهذا هو اللجاج بعينه، ولعل السبب في هذا الاندفاع من هؤلاء، هو ما اعتادوه من عدم احترام الرأى الآخر، وكان في منزلتهم العلمية ما يربأ بهم عن اتساع الخلاف، والتشهير في صحف دأبها الوقيعة بين العلماء، ومما كان سببا لنزاع القوم ما ارتضاه الشيخ من استقبال مسئول يهودى من رجال الدين بمكتبه، إذ عدّوا ذلك جرما لا يغتفر، ولم يسألوا أنفسهم عما تم في هذا الاستقبال، فقد واجه الشيخ زائره بما قام به اليهود من إرهاب دموى ينكره كل دين سماوى، وطالبه باحترام حقوق الفلسطينيين إذا أراد اليهود حوارا بين اليهودية والإسلام، وخرج الزائر غير مستريح لما سمع، فماذا يأخذه اللائمون على اجتماع نادى بوجوب احترام الحقوق، ودفع مظاهر العدوان، وأكد أن الحوار لا يبدأ مع انتشار العدوان والإرهاب! ألم يقابل الرسول وفد نجران من النصارى؟ ألم يعقد معاهدة مع اليهود بدء إقامته في المدينة حتى إذا بدت البغضاء من نفوسهم، واجههم بالقطيعة والجفاء! إن من الخير للعلماء في الأزهر أن يكونوا صفا واحدا كالبنيان المرصوص، وآمل أن يتم ذلك عن قريب.

أما جماع هذه الخلال المنتظمة في عقد متسق، فهو قوة الإرادة الدافعة إلى العمل الجاهد وبعض الناس يظنون أن قوة الإرادة لا تكون إلا لدى نفر من الناس عرفوا بالصلابة في القول، والصرامة في الفعل، والظهور بمظهر الجندى المتحفز للقتال، ولكن قوة الإرادة قد تكون مع الهدوء الباسم، والقول الوادع والنظر الحنون، فتلك شمائل إنسانية تفسح مجال القبول والاغتباط، وهى مع ذلك لا تتعارض مع قوة الإرادة الدافعة للعمل الجاد، والأستاذ في وعظه الرقيق، وخطابه السهل، وسلوكه الطيب مثل للإرادة واللطف معا! هذه الإرادة التى جعلت اليوم عملا متواصلا، لا تكاد تتخلله غير أوقات الطعام والصلاة والضروريات الملزمة في ميدان الحياة، أذكر أن صديقا أديبا من علماء تونس ذكر لى أن العلامة الكبير الإمام محمد الطاهر بن عاشور كان يستريح من العمل بالعمل، فتساءلت: كيف هذا؟ فقال: إن نهاره الأطول كان يقضيه في التدريس والإدارة والتأليف قبل إحالته إلى المعاش، أما عهده الأخير فقد خلص للتأليف وحده، فكان يزاوله طيلة اليوم، فإذا أراد الاستراحة من تحرير باب في الفقه انتقل إلى تحرير باب في الأدب ثم إلى التاريخ ثم إلى التفسير، واجدا في اختلاف المواد ما يذهب عناء البحث! هذا ما سمعته وأكاد أقف منه موقف الحائر، ولكن ما تركه الرجل الكبير في دنيا التأليف العلمي يقدم دليلا على صحة هذا القول، فقد ترك مؤلفات شتى في علوم متنوعة، ولعل من غرائبه أن يستريح مثلا من شرح ديوان بشار فينهض إلى شرح آية من آيات الذكر الحكيم، وبين الشرحين من التباين جوا واتجاها ومغزى ما بين النقيض والنقيض!

هذه بعض الملامح الشخصية التى آثرت أن أتحدث عنها في هذا الباب، وأقول بعض الملامح لأن الاستقصاء لا يبلغه إلا باحث متأمل يعاود النظر في تؤدة لا تعرف الإعجال، ومن قدرى أن لست بهذا الباحث المتئد، فقد جبلت على الحديث السريع مكتفيا ببعض ما يقال.

العقلانية في الإسلام تيار عام

رفع الإسلام من شأن النظر والتفكير وعقل الأمور، وبين أنها مؤدية إلى بلوغ أعلى درجات العلم والمعرفة، فقد جاء النبى ﷺ بالقرآن ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وحث كل مسلم على أن ينظر ويفكر بقدر ما تعينه قدرته العقلية على استهداف العلوم الكونية على اختلافها، سواء كانت نظرية أو تجريبية، وأن يتلمس أدوات العلوم من جميع مظانها، وأن يأخذ المسلمون من غيرهم ما ينفعهم، وأن يزيدوا عليه، وأن يتوسعوا فى الاجتهاد والابتكار، بإعمال قوى العقل فى النظر والتفكير والاستدلال والاستنتاج.

للأستاذ الدكتور: السيد أحمد فرج

ومع أن المسلمين شغلوا بعد النبى ﷺ بالفتوح الإسلامية، غير أنهم لم ينشغلوا عن النظر والتفكير، ولقد بدأ تيار النظر بالفعل في عهد الراشدين في خلافة عثمان، وخلافة على رضى الله عنهما، ثم زاد حراك هذا التيار بعد انقضاء عهد الراشدين وبداية عصر بنى أمية، فقد انقسم المسلمون إلى مشايعين لكل من على ومعاوية رضى الله عنهما وخوارج خرجوا عليهما، ومرجئة وجبرية ذرائعيين يبررون حتمية الواقع السياسى.

في هذه الأثناء أخذت أصوات العلماء تعلو وتتساءل عن مواقف حكام بنى أمية من مخالفيهم: هل هى بقضاء الله تعالى؟ وكانت إجابة العموم إلا الأقلين: ليس الجور من قضاء الله، ولكن قضاء الله تعالى وحكمه في الناس يكون بإقامة التوحيد والعدل، وإمضاء أمر الله عزوجل بالمعروف، ونهيه تعالى عن المنكر والبغى.

في خضم هذه المواجهات الفكرية ظهرت الفرق الإسلامية المذهبية لمواجهة الذين يبررون الواقع السياسى الذى انتهى إليه حكم بنى أمية.

وكان من أهم هذه الفرق: الخوارج والشيعة والمعتزلة، وعلى أيدى هؤلاء ظهرت تحولات الاختلاف فى الفكر بين المسلمين فى فهم العقيدة والسياسة الحكمية.

ومع أن بواعث الاختلاف كانت سياسية بالدرجة الأولى، غير أنهم أدخلوا فيها نصوص العقيدة لكى تؤيد بها كل فرقة الرأى الذى تذهب إليه، وقد أخذت هذه التحولات مظهرا عقليا يفند آراء الخصوم، ويعلى من شأن العقل. ومع أن هذه التحولات صارت تيارا عاما، إلا أنها أخذت شكلا خاصا فى مجلس الحسن البصرى (ت: ١١٠) وإن لم تخرج من عباءته، فقد كان رحمه الله تعالى على طريقة السلف الذين عملوا بأمر الله تعالى، ورووا حكمته، واستنوا بسنة رسول الله ﷺ فكانوا لا ينكرون حقا، ولا يحقون باطلا، ولا يلحقون بالرب تبارك وتعالى، إلا ما ألحق بنفسه، ولا يحتجون إلا بما احتج الله تعالى به على خلقه فى كتابه[1]. ولكن الحسن البصرى لم يكن فى مقدوره أن يحجب تيارا فكريا خرج من مجلسه، وهو لا يوافقه، فقد قدر الله وما شاء فعل.

لأن بعض تلاميذه أثاروا فى مجلسه قضايا كانت تشغل الناس فى الإيمان والكفر، وهل يزيد الإيمان وينقص، وهل يدخل مرتكب الكبيرة النار مخلدا فيها، ولو كان دخلها مؤمنا.

أضف إلى ذلك الكلام فى القدر.

وعرضت هذه المسائل على الحسن البصرى، وكان لا يريد للناس الفتنة، كما كان لايحب الجهر بالكلام فى القدر، والجدل فيه.

ولكن المسائل فرضت نفسها على مجلسه، وخرج منها مدارس جدلية تحترف الجدل للجدل فى الربع الأخير من القرن الأول الهجرى، وبرز فى مجلسه كلام تيارات كلامية كان لها تأثير خطير فى المجتمع الإسلامى يأتى فى مقدمتها:

١- دعوة معبد الجهنى وابن يسار إلى حرية الإرادة عند الإنسان، فقالا: إن الإنسان هو المختار لأفعاله بإرادته، لا دخل لقوة من خارج فيها.

٢- مذهب الجبر المحض الذى تزعمه الجهم بن صفوان، على خطا أستاذه الجعد ابن درهم، الذى كان يرى أن الإنسان مجبر مسير، ليس له من الأمر شئ.

٣- مذهب المرجئة الذين قالوا بترك الأمر إلى الله يفصل فيه بين الناس فى يوم الدين.

وأخذ كل مذهب بالتأويل العقلى الغال لآى القرآن الكريم لتأييد مذهبه.

وكان الحسن البصرى - عالم السنة

١- من رسالة للحسن البصرى - ارجع إلى نص الرسالة فى كتاب: رسائل التوحيد والعدل، دراسة وتحقيق د. محمد عمارة، ص ٨٢، دار الهلال، ١٩٧٦م.

الذى لم يحد عن طريقة السلف رضى الله عنهم - يعمل من أجل ترسيخ الوسطية الفكرية، التى تتوسط بين أصحاب حرية الاختيار المطلق، ومذهب الجبرية المحض.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فقد بث من مجلس الحسن البصرى أفكار جديدة إزاء من يقولون بأن صاحب الكبيرة مخلد فى النار ولو مات مؤمنا، والذين يقولون: إنه فاسق يعذب بقدر ذنبه، ثم يغفر له مادام قد مات مؤمنا.

وكان أهم من شغل بهذه المسألة تلميذا الحسن البصرى: واصل بن عطاء (ت: ١٣١هـ)، وعمرو بن عبيد (ت ١٤٤هـ) اللذان طلبا من شيخهما أن يكون له رأى إيجابى منها.

فقال: إنه يتبع رأى السلف فى مرتكب الكبيرة إذا مات على الإيمان، أى أنه يعذب بقدر ذنبه، ثم يغفر له مادام قد مات مؤمنا.

وقال واصل: بل أقول بالمنزلة بين المنزلتين.

واعتزل مجلس شيخه، ومعه عمرو بن عبيد، وأنشأ فرقة المعتزلة، التى صارت من أهم الفرق المذهبية الكلامية الإسلامية لعدة قرون.

ولقد أخذت هذه الفرقة بالتأويل العقلى الغال.

كما أخذت عن القدرية: القول بالاختيار، وحرية الإرادة للإنسان.

إذن فقد نشأ تيار المعتزلة العقلى فى مجلس الحسن البصرى، وليس من عباءته، وكان فى بدايته هادئا فى فكر واصل بن عطاء، الذى لم يكن قد تخلص كلية من تأثير شيخه الحسن البصرى.

ولكن بعد واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد أخذت أمواجه تعلو وتصخب وتهدر حتى بلغت عنفها فى تقدير العقل عند كبار شيوخ المعتزلة من أمثال: أبى الهذيل العلاف، وإبراهيم بن سيار النظام، وأبى على الجبائى والجاحظ وغيرهم.

وهم ليسوا على رأى واحد فى مسائلهم الفرعية، ولكنهم متفقون على مبادئ خمسة عرفت بالأصول الخمسة، ورأوا أنه لا يستحق الواحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة[2] وهى:

١- التوحيد
٢- العدل.
٣- الوعد والوعيد.
٤- المنزلة بين المنزلين.
٥- الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

فإذا كملت فيه هذه الأصول الخمسة، فهو معتزلى.

وقد وضع المعتزلة قاعدة عامة للحكم

٢- راجع القاضى عبدالجبار: شرح الأصول الخمسة، ص ١٢٢-١٢٥، تحقيق د. عبدالكريم عثمان، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٦٥م.

على الشئ ؛ فلا يكون الحكم على الشئ قبل عقله، أو كما قال القاضي عبد الجبار : «فالشئ يعقل أولا، ثم يحد» [3]

وحد العقل عندهم كما قال القاضي عبدالجبار في بيان ماهية العقل، في كتاب المغني : اعلم أن العقل عن جملة من العلوم مخصوصة، متى حصلت في المكلف، صح منه النظر والاستدلال، والقيام بأداء ما كلف" [4]

«ولابد من اجتماع هذه العلوم حتى يسمى عقلا ؛ أما إذا تفردت عن بعضها، فهي ليست عقلا» [5]

وهذا القول في العقل نقله الماوردي الشافعي، ولم يسم قائله : قال : قال آخرون من المتكلمين : العقل هو جملة علوم ضرورية.

وهو قول لم يوافق عليه الماوردي فأردف قائلا : وقال آخرون - وهو القول الصحيح : إن العقل هو العلم بالمدركات الضرورية.

وذلك نوعان أحدهما : ما وقع عن درك الحواس.

والثاني : ما كان مبتدأ في النفوس، فأما ما كان واقعا عن درك الحواس فمثل المرئيات المدركة بالبصر، والأصوات المدركة بالسمع والطعوم المدركة بالذوق، والروائح المدركة بالشم، والأجسام المدركة باللمس.

وأما ما كان مبتدأ في النفوس (العقل الفطري) فكالعلم بأن الشئ لا يخلو من وجود أو عدم، وأن الوجود لا يخلو من حدوث أو قدم، وأن من المحال اجتماع الضدين، وأن الواحد أقل من الاثنين.

وهذا النوع من العلم لا يجوز أن ينتفي عن العاقل - مع سلامة حاله وكمال عقله، فإذا صار عالما بالمدركات الضرورية من هذين النوعين فهو كامل العقل [6]

والعقل برأي الماوردي هو المبلغ إلى معرفة كل العلوم المادية والشرعية، لأن السبب المؤدي إلى معرفة الأصول الشرعية والعمل بها : علم الحس، وهو العقل، لأن حجج العقل أصل لمعرفة الأصول، إذا ليس تعرف الأصول إلا بحجج العقل [7]

كانت حركة الجدل العقلية قد شملت المتكلمين من غير المعتزلة، وكان الأشاعرة يمثلون أهم تيار واجه المعتزلة، وكان الأشعري إمام المذهب لا ينكر فضل العقل في الفعل الإنساني، شاهدا على السمع، وأن أهم وظائفه أنه قوة حاصرة مميزة بين الأشياء، وبذلك أكد الأشعري أن النص الشرعي (القرآن والسنة) هو أصل الأحكام، ولا مجال للعقل أن يشرع بعد ورود الشرع، إذ إن مهمته التمييز بين ما يجب أن يفعل، وما يجب أن يترك مما يتلقى من الشريعة، وهذا الرأي يضاد قول المعتزلة : إن العقل معرف لبعض الأحكام الإلهية.

ثم جاء الماتريدي ليؤكد أن " العقل يجمع بين المجتمع (ما يقبل التجمع) ويفرق بين الذي حقه التفريق، وهو الذي سمته الحكماء العالم الصغير".

وتلك نظرة كلية رأى بها الماتريدي العالم على أنه مؤلف مفرق (بالفتح) في الوقت ذاته.

وعلى طريقة التفكير نفسها رأى إسماعيل البغدادي أن وظيفة العقل قدرة معرفية تتضمن : العلم الضروري الذي لا ضد له من الجهل، وأنه علم نظري مكتسب، وهو ما يعرفه الإنسان بالاستدلال ولهذا رأى البغدادي في تعريفه الوظيفي للعقل : "إن العقل يدل على صحة الصحيح، واستحالة المحال".

أما الباقلاني المعاصر للقاضي عبدالجبار فقد رأى في كتاب : التمهيد في الرد على الملحدة، والمعطلة والرافضة والخوراج والمعتزلة " أن وظيفة العقل تستحيل أن تجتمع كلها في الصحة والفساد " وقسم الباقلاني العلم إلى : ضروري ومكتسب، فالضروري : علم يلزم نفس المخلوق لزوما لا يمكنه معه الخروج عنه ولا انفكاك منه، والمكتسب أو الكسبي هو العلم الذي يقع بعقب استدلال وتفكر.

كان المتكلمون السنة يرومون تفنيد تناقض المعتزلة في نزعتهم العقلية الغالية سواء في توجهات التفكير التحررية، أو التوجهات السياسية، وكانوا يهدفون الانتصار للشرع قبل العقل، دون أن يهملوا أهمية العقل. [8]

وفي الختام يطرح السؤال التالي، هل قرأ ديكارت وكانط مباحث فرق متكلمة المسلمين في العقل قبل أن يكتبوا مباحثهم فيه ؟! هذا ما يجب أن يفرغ له والبحث فيه من قبل علماء أفذاذ.

***

٣- المرجع السابق نفسه، ص ٣٦٦.

٤- القاضي عبدالجبار : المغني ٣٧٥/١١، تحقيق : محمد علي النجار، ود. عبدالمنعم النجار، القاهرة، ١٩٦٥م.

٥- من تعليق د. عبدالكريم عثمان بهامش المغني ٣٧٥/١١.

٦- الماوردي : أدب الدنيا والدين، ص ٢١ بتحقيق مصطفى السقا، طبع بيروت، ١٩٧٨.

٧- الماوردي : أدب القاضي ٢٧٤/١، طبع بغداد، ١٩٧١م.

٨- راجع مسلم الثبوت ٢٥/١ على هامش المستصفى للغزالي، والماتريدي : كتاب التوحيد ص٩، تحقيق فتح الله خليف، بيروت، ١٩٧٠م وإسماعيل الخطيب : أصول الدين، ص ٢٠٢، طبع استانبول سنة ١٩٢٨م، والباقلاني : كتاب التمهيد، تحقيق رتشارد مكارثي، ص ٧ - ١١، ط بيروت سنة ١٩٥٧م.

التربية الأسرية وأثرها على المجتمع

للأستاذ الدكتور/ محمد الشحات الجندى

الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الأبناء هم فلذات الأكباد، والآباء هم الشجرة الوارفة التى أنبتت هؤلاء البراعم، وتعهدتها بيد الرعاية، والعناية، فشب الصغير، حتى كبر، واعيا يعظم حق الأب والأم عليه، على أساس أنه امتداد لهما، وإضافة لحياتهما، وذكر لهما بعد مماتهما وحامل صفاتهما.. ويتساند جيل الصغار، وجيل الكبار فى منظومة متناغمة. جعلت الآباء يسألون أن يرزقهم الله بالذرية الصالحة التى تبقى على ذكرهما بعد رحيلهما، وتحمل للأم والأب كل المعانى الطيبة والرحمة الواسعة، ولعل هذا هو أهم أسباب توسل أهل الإيمان بالرب سبحانه أن يعطيهم هذا الفضل بقوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾

(الفرقان: ٧٤)

ومما جعل الخليل إبراهيم عليه السلام يسأل الغفران لوالديه فى قوله تعالى:

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾

(إبراهيم: ٤١)

وهذا الشعور بالتراحم، والتواصل والمودة الفطرية منشؤها أن تتأسس الأسرة على وفق أصول التربية الإيمانية السليمة، والوعى العميق بحقيقة المسئولية المتبادلة بين كل من الجيلين: الأصول من الآباء، والفروع من الأبناء.

المسئولية الوالدية أو الأبوية

التربية فى الإسلام نموذج القدوة والسلوك، وهى تنشئة على الإيمان، لتحصين الناشئة ضد الفساد والشرور، وتقويمهم على العمل الصالح النافع للنفس والمجتمع والأمة، ومعتمدها الانتماء للدين والوطن.

أوجب الله مسئولية الآباء لرعاية الأبناء، وفرض المسئولية فى قوله تعالى:

﴿ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

(النحل: ٩٣)

قال رسول الله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها...»[1].

ذلك أن الأبناء أمانة ووديعة فى أعناق الآباء ينبغى رعايتها وتنمية هذا الغرس الصغير بالحب والود والحنان ومتى قام الآباء بهذا الواجب، استقامت الأسرة وصلح الأبناء، إذ لن يضيع الأبناء إلا بتقصير الآباء، وعدم قيامهم بمسئولياتهم فى حسن التنشئة والتعهد بالتربية، وقد نبه الله إلى هذا الواجب فى قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾

(التحريم: ٦)

وحيث إن كل صغير يمر بمرحلة سنية مبكرة يعتر فيها الصغير لحاجته إلى الإدراك، ونقص الأهلية، فإنه يستوجب الرعاية، والمشاهد أن الأولاد ضعاف، بحسب الخلقة والطبيعة البشرية فى هذه المرحلة العمرية. قال تعالى:

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾

(الروم: ٥٤)

والطفل نبتة صغيرة ومادة خام يشكله أبواه، فينشأ على حسب ما ربى فى قوله تعالى:

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

(النحل: ٧٨)

ولله در الشاعر فى قوله:

وينشأ ناشئ الفتيان منا
على ما كان عوده أبوه

لذلك فإن على الآباء تقوى الله فى أولادهم فيقول تعالى:

﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾

(النساء: ٩)

ذلك أن الصغير أمانة ومسئولية فى يد الأم والأب والجد والأخ والأخت وسائر أفراد الأسرة، بل إنه مسئولية المجتمع بأكمله، وواجب الأب تعليمه وتهذيبه، وتعويده على أداء الفروض والواجبات الشرعية، وعلى رأسها الصلاة، وهى أول ما يبدأ بها:

«مروا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم فى المضاجع»[2].

ولا يجوز تعنيف الصغير أو استخدام القوة ضده فى مرحلة سنه المبكرة،

---

(١) صحيح البخارى، كتاب الجمعة.

(٢) نيل الأوطار للشوكانى، جـ١، ص٣٤٨.

خاصة فى السبع سنوات الأولى؛ لأنها مرحلة غرس الحب والحنان والتهذيب الرقيق للصغير.

كما أن واجب الأب العناية بالصغير والقيام على تربيته وغرس الأخلاق الطيبة فيه، فإن الاعتناء بأخلاق الوالد وإيجاد القدوة الحسنة له، يجعله يشب وفق النموذج الصالح.

والنموذج الإسلامى لهذه المسئولية يقدمها القرآن فى قصة لقمان مع ابنه، من حيث إنه يرسم له نظام حياته وسلوكياته الدينية والاجتماعية.

فيعلمه الصلاة، أول شىء يبدأ به:

يا بنى أقم الصلاة لأنها عمود الدين ولبه.

ويبين له الخير ويحضه عليه، ويعرفه الشر وينهاه عنه باعتبارهما أساس التربية الإيمانية بقوله:

﴿ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾

(لقمان: ١٧)

ويرشده إلى تحمل المسئولية:

﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾

(لقمان: ١٧)

ويعلمه آداب المعاملة والسلوك المهذب، عند حديثه مع الناس، وفى حركته على الأرض وتسيير أموره:

﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ﴾

(لقمان: ١٩)

ويوجهه إلى أن يراعى آداب التعامل مع الناس والبيئة، فى قوله جل شأنه:

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾

(لقمان: ١٨)

والسبب فى وجوب أن يقوم الأب على أمر الطفل مرده إلى أن المؤاخذة والمسئولية مرفوعة عن الصغير، بسبب ضعف مداركه، وعدم قدرته على تبصر الأمور وفهمها.

وهذا ظاهر فى حديث الرسول ﷺ:

رفع القلم عن ثلاث: (عن الصبى حتى يحتلم أو حتى يبلغ أو يعقل، وعن المجنون حتى يفيق، وعن النائم حتى يستيقظ)[3].

وتعتبر الشريعة الصغير الذى لم يبلغ السابعة منعدم الإدراك، لا يؤاخذ على خطئه أو إهماله، وفى هذه المرحلة يجب توجيهه وتربيته، وتهذيبه.

ويحرم على الأب فى هذه السن استعمال القسوة ضده، بل على العكس فيعامله بالرفق والعطف عليه، وإظهار الحب له، والحرص عليه، برهانه قول الرسول ﷺ: (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا)[4].

فى هذه المرحلة يظهر الدور التربوى للأب، وعنايته بأمر طفله، وإحساسه بتحمل

(٣) سنن البيهقى، جـ٦، ص٤٧.

(٤) سنن الترمذى، كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ.

المسئولية، مسئولية التربية، والتوجيه، والتهذيب، وغرس الصفات الكريمة وتوجيهه إلى الأعمال الصالحة والنافعة له ولمن حوله.

ذلك أن هذه الفترة هى حجر الأساس والعمود الفقرى فى التنشئة الصحيحة للصغير، فيجب معاملته بالرحمة والعطف وتعريفه بأوجه البر والخير.

فقال ﷺ: (بر والديك. فقال: ليس لى والدان فقال: ولدك. فكما أن لوالديك عليك حقا، كذلك لولدك عليك حق)[5].

وإن مسلك الأب فى توجيه أولاده إلى أعمال البر هو من الرعاية وحسن التربية والتنشئة للصغير، فيطبع ذلك فى نفسه ويتغرس فى أعماله ويشعره بحق والديه عليه، وحق الله، وحق المجتمع والناس فى عنقه.

كما يشير الحديث:

(رحم الله والدا أعان ولده على بره)[6] يعنى لم يحمله على عقوقه بسبب ما فرط فيه الأب من مسئوليته عند تربيته وتهذيبه.

وتجدر الإشارة إلى أن العقيقة سنة:

يقول رسول الله ﷺ: (الغلام يعق عنه يوم السابع، ويسمى ويحاط عنه الأذى، فإذا بلغ ست سنين أدب، وإذا بلغ سبع سنين عزل فراشه)[7] ويقول ﷺ: (كل غلام رهينة بعقيقته تذبح عنه يوم السابع، ويحلق رأسه)[8].

ويتصدق عليه فى العقيقة بمثل وزن شعره ذهبا.

ويعظم الإسلام من قطرة الأبوة فى الشفقة والرحمة بالصغير فى كل حال، حال الشدة وحال الرخاء، فى وقت العسر وفى وقت اليسر.

وعن ابن عباس قال، قال رسول الله ﷺ: (ريح الولد من ريح الجنة)[9].

وأرسل معاوية إلى الأحنف بن قيس، وسأله ما تقول فى الولد؟ قال يا أمير المؤمنين: (ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة، وبهم نصول على كل جليل؛ فإن طلبوا فأعطهم، وإن غضبوا فأرضهم، يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم، ولا تكن عليهم ثقلا ثقيلا فيملوا حياتك، ويودوا وفاتك ويكرهوا قربك)[10].

وجاء فى الحديث الشريف: (حق الولد على أبيه أن يحسن أدبه ويحسن تسميته)[11].

وعلى الجملة فإن معاملة الأب للابن تختلف بين مرحلة وأخرى بحسب المرحلة العمرية التى يمر بها، فهى فى مرحلة انعدام

(٥) تخريج أحاديث الإحياء.

(٦) ابن حبان فى كتاب الثواب من حديث على وابن عمر.

(٧) تخريج أحاديث الإحياء.

(٨) سنن أبى داود، كتاب الضحايا، باب فى العقيقة.

(٩) الطبرانى فى الصغير والأوسط، وابن حبان فى الضعفاء.

(١٠) إحياء علوم الدين للغزالى، جـ١، ص٣٢-١٠.

(١١) البيهقى فى الشعب من حديث عباس وحديث عائشة.

التمييز والإدراك غيرها في مرحلة التمييز وبعض الإدراك، وهذه العاملة تختلف قطعا عند مرحلة البلوغ والنضج وعند الوصول إلى مرحلة الرشد.

وتتمثل المعاملة في ذلك الأثر المروى، الذى يرسم حدود وإطار هذه المعاملة في المراحل العمرية جميعاً في القول المأثور:

«لاعب ولدك سبعا، وأدبه سبعاً، وآخه سبعاً ثم ألق حبله على غاربه»[12].

ويضحى الالتزام بهذه المقررات الدينية في التربية، ضمانة فعالة، ومكون فولاذى لصحة نفسية وبدنية وعاقبة للصغار تقيهم من الانحراف، وتقومهم من الاندفاع في طريق الشر، وارتياد طريق الجريمة، ويجعل من الإخلال بهذه المقومات الدينية التربوية طريقا لضعف الأواصر الأسرية، والتماسك المجتمعي، فضلا عن ضياع الصغير.

مسئولية الأب في وقاية الصغير

من الشر وإبعاده عنه

على الأب أن يحول بين الصغير وبين الشر فيعزله عنه بأن يجنب الصبي مجالس اللهو والباطل، وسماع الفحش والبدع ومصاحبة رفاق السوء، لأن تركه في هذه المجالس ينشئه عليها فيتخلق بها ويسلكها عندما يكبر إذ النفس على ما عودت عليه.

يقول الشاعر:

والنفس من خيرها في خير عافية
والنفس من شرها في مرتع وخم

وقد أثر عن عمر حماية الفتيان عن بطانة السوء، فقد كان يراقب سلوك الصبيان في الطرقات، ويمنع أن يجتمع الصبيان بمن كان يتهم بالفاحشة. كما بلغه أن رجلا يجلس إليه الصبيان، فنهى عن مجالسته.[13]

وروى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه إذا رأى رجلا داعرا حبسه ويتولى الإنفاق عليه من ماله إن كان له مال، وإن لم يكن له مال أنفق عليه من بيت مال المسلمين[14] وذلك بغرض حبس شره عن الغلمان وعن سائر أفراد المجتمع.

فإذا كان الأب قادراً على ذلك، ولم يقم بواجبه تجاه طفله ولم ينتشله من أماكن الانحراف، ولم يبعده عن رفقاء السوء، فإن طفله ينزع منه شرعا وينقل إلى جده أو أقرب الناس إليه ليحميه من مواضع الفجور والفسوق ويقوم سلوكه، ويجنب المجتمع انحرافه وشروره.

بل إن من الفقهاء من يقول بتعزير الأب، وتوقيع العقاب المناسب عليه، حتى يقوم بواجبه ويضطلع بمسئولياته تطبيقا للأثر:

يزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

وحسبنا في أهمية دور الأب في القيام بمسئولياته ظاهرة أطفال الشوارع، أو الأطفال بلا مأوى وهي إفراز للتفريط والتقصير في

(١٢) روى عن الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه.

(١٤) الخراج لأبى يوسف، صـ١٦٦.

(١٣) الحسبة لابن تيمية، صـ٤٤.

واجب الرعاية والتربية من الآباء.

حقوق الآباء على الأبناء

منشأ هذه الحقوق عظم الدور الذى قام به الآباء والذى نبه الله إليه بقوله تعالى:

﴿ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾

(الإسراء: ٢٤)

ويفرض الإسلام على الأبناء رعاية حق الآباء، ويعظم من حقوق الآباء على الأبناء، ويرتقى بها إلى مرتقى أقرب إلى التقديس، لما تحمله الأبوان من تعب ومشقة وتضحية لصالح الأولاد، وبصفة خاصة الأم، كما جاء في الحديث الشريف.

ولن يبلغ حق أعظم من حق الآباء على الأبناء، إلى الدرجة التي يكون فيها الأبناء كأنهم ملك للآباء، لعظيم تضحياتهم وتحملهم المشاق في سبيل إسعاد أولادهم.

عبر عن هذا ـ حديث الرسول ﷺ: «أنت ومالك لأبيك»[15].

وفي ذات السياق قال عليه الصلاة والسلام: «لن يجزى ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه»[16].

لذلك فإن حق الوالدين والبر بهما يصل إلى مرتبة أقرب إلى مرتبة العبادة.

ففي حديث الرسول ﷺ «بر الوالدين أفضل من الصلاة والصدقة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله»[17].

وقال ﷺ: «من أصبح مرضيا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة، ومن أمسى فمثل ذلك......».

«ومن أصبح مسخطاً لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى النار وإن أمسى فمثل ذلك»[18].

ويتعاظم حق الأبوين وواجب الأبناء تجاههما حالة الشيخوخة والكبر، ويكفى أن نعلم أن الله قرن حقوق الأبوين بحق الله في العبادة، وأنزله مكانة رفيعة يستحقها الأم والأب:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾

(الإسراء: ٢٣ - ٢٤)

ويظل واجب الأبناء في البر بالآباء، حتى بعد وفاتهما أو وفاة أحدهما.

فقد جاء رجل من بنى سلمة فقال يا رسول الله: «هل بقى على من بر أبوى شيء أبرهما به بعد وفاتهما؟ قال: نعم

(١٥) سنن ابن ماجة، كتاب التجارات، باب ما للرجل من مال ولده.

(١٧) راجع ما روى عن أبى يعلى والطبرانى في الصغير والأوسط.

(١٨) البيهقى في الشعب، من حديث ابن عباس.

(١٦) رواه مسلم من حديث أبى هريرة.

الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقهما وصلة الرحم لا توصل إلا بهما»[19].

وفى تأكيد هذا المعنى، وحماية لحرمة حق الآباء على الأبناء قال رسول الله ﷺ: «إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولى الأب»[20].

وفى خصوصية حق الأم، وكريم منزلتهما، قال ﷺ «دعوة الوالدة أسرع إجابة - قيل يا رسول الله ولم ذاك؟ قال: هى أرحم من الأب ودعوة الرحم لا تسقط».

العنف الأسرى وأسبابه

ما هذا الذى يحدث، ونعيشه فى أيامنا هذه؛ إن تردى العلاقة بين الآباء والأبناء ومشكلات الأسر، وتفشى ظاهرة العنف، وتكرار حالات القتل لفلذات الأكباد، من بعض الآباء، وإجرام بعض الأبناء فى حق الآباء.

والاعتداء على حق الحياة، أصبح أمراً مروعاً، ومسألة ينفطر لها الوجدان، وتنكسر لها القلوب.

وهى آفة دينية واجتماعية تتعدد أسبابها، وتتفاقم تبعاتها، ونذكر من بينها تفكك الأسر، وتفسخ العلاقات العائلية، وتراجع الوازع الدينى، وضعفه فى النفوس، وخطأ التربية، وعدم قيام الآباء بمسئولياتهم فى الرقابة والتوجيه، وعقوق الأولاد والعامل الاقتصادى، وسيطرة الطمع المادى، والأنانية وحب الذات، وفكرة الأنا البغيضة، والمصلحة الضيقة، وعدم الإحساس والشعور بواجب الأهل، وحقوق ذوى الأرحام، والغزو الفكرى والصراع الحضارى، وهى مشكلات ناشئة عن القصور فى المسئولية للفرد والأسرة والمسجد والمدرسة والمجتمع، إذ أن لكل من هؤلاء دوراً فى تربية وتنشئة الصغار، الأمر الذى أفرز أوضاعاً تشيب لها الولدان، وأوجد من العداوات بين الآباء والأبناء، وبين الأسر والأقارب، ما لا يمكن تصور حدوثه مما أصبح حقيقة واقعة، وأسفر عن أوضاع مرعبة من صور العنف والتفكك الأسرى وإراقة الدماء بين أفراد أقدس المؤسسات: مؤسسة الأسرة الخلية الأولى فى صرح المجتمع، وأبرز أسباب ذلك ما جنته أيدينا بسبب بعدنا عن الدين، مما يصدق عليه قوله تعالى:

﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ﴾ (الشورى: ٣٠)

والله أعلم..

(١٩) حديث مالك بن ربيعة، أبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال صحيح الإسناد.

(٢٠) رواه مسلم من حديث ابن عمر.

قصة العدد

صفحات متتابعات

من سيرة رسول الله ﷺ

للأستاذ الدكتور عبدالوهاب عزام

١٠.

هذا يوم العشرين من رمضان سنة سبع من الهجرة، وقد أخذت مكة صولة الجيش الإسلامى، ودهمها جند التوحيد من أعلاها وأسفلها، خالد ابن الوليد قائد الميمنة يدخل من الليط أسفل مكة يقود جموعاً من غفار وأسلم ومزينة وغيرها، والزبير بن العوام قائد الميسرة يدخل من كدى أعلى مكة، وأبو عبيدة بن الجراح فى صف من المسلمين يدخل من أذاخر بين يدى رسول الله.

وقريش وألفافها حائرة، منها من يعد للقتال، ومنها من يدعو إلى السلم، ومنهم من ترددت به الفجاءة بين القتال والاستسلام، فناوش قليلاً ثم سكن.

ورسول الله على راحلته مطأطئاً رأسه كأنه ساجد على الرحل تواضعاً وشكراً.. قد غض بصره عن هذا الجيش الكثيف، وهذا الجند المطيع، وهذه السطوة المحيطة ليفتحه على الحق الذى يدعو إليه، والعدل الذى يقوم به، والسلام الذى يبغيه، والألفة التى يريدها.

هذه هى القرية التى أخرجت الرسول وصحبه قبل ثمانى سنين، التى هاجر منها رسول الله وصاحبه يلوذان بالغار ليختفيا عن الأبصار، القرية التى أبت على المسلمين الإقامة فيها والخروج منها، القرية التى آذت محمداً فى دينه ونفسه وصحبه عشر سنين، ثم اتبعته العداوة والحرب حيثما كان، وهذه قريش التى سخرت بمحمد ودينه، وآذت أصحابه، وعذبت المستضعفين منهم، وألجأتهم أن يهاجروا إلى الحبشة ثم إلى يثرب، ثم حاربتهم فى بدر وأحد، وألبت عليهم القبائل فى غزوة الأحزاب، فأحاطت بالمدينة تبغى استئصال المسلمين، ثم ردت المسلمين عن دخول مكة معتمرين عام الحديبية.

ليس فى هذه البقعة جبل ولا شعب ولا واد ولا طريق إلا شهد بطش الباطل الكثير بالحق القليل، والشرك العاتى بالتوحيد الناشئ،

واستهزاء الجهلة الجفاة بالحكماء البررة، وضوضاء اللغو تطغى على ترتيل القرآن، وأصوات السخرية تحيط بتكبير الصلاة.

واليوم قد أخذت سورة الحق تهاويل الباطل، وزلزل الجبابرة لسطوة المستضعفين، وخرت الأصنام بكلمة التوحيد.. إنه ليوم جزاء وانتقام وقصاص لمن يريد.. وقد قال سعد بن عبادة وهو يحمل راية من رايات المسلمين داخلاً إلى مكة: «اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة».

كلا! كلا! إن محمداً لا ينتقم لنفسه، ولا يقتص لأصحابه؛ ولكنه رسول توحيد، وداعية ألفة وسلام.. فقد لقى الجهل بالحلم، والذنب بالعفو، والإساءة بالإحسان والبغضاء بالمودة.

رسول الله قائم بباب الكعبة يخطب ليعلم هذه الجاهلية شرائع الدين ومكارم الأخلاق، ويحطم فى نفوسها أصنام الجهل والهوى والعصبية، كما أنزل عن الكعبة هذه الأصنام المحطمة الذليلة؛ يقول:

«يا معشر قريش، إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء؛ الناس من آدم، وآدم خلق من تراب».

ويقول: يا معشر قريش، ويا أهل مكة! ما ترون أنى فاعل بكم؟ فيقولون: خيراً.. أخ كريم وابن أخ كريم؛ فيقول: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

٢.

قبائل هوازن وثقيف ترتاع لفتح مكة، وتخشى أن يمتد إليها سلطان الإسلام.. فتخرج بقضها وقضيضها عامدة لحرب الرسول، وتجتمع بوادى حنين بين مكة والطائف، وتأتى الأنباء رسول الله فيخرج من مكة بعد دخولها بخمسة عشر يوماً ويسير المسلمون للقاء العدو قبل أن يحيط بهم. عشرة آلاف أتوا مع الرسول إلى مكة وألفان من أهل مكة، يسيرون للقاء هوازن وثقيف! ها هو ذا وادى حنين تنحط إليه الجيوش فى الغلس معتدة بكثرتها معتزة بقوتها، والعدو كامن فى أحناء الوادى، وأحشاء الظلام يفجأ هذا الحشد العظيم فيضطرب ويموج بعضه فى بعض، ويأخذ التيار من أراد الهزيمة ومن لم يردها. وظن الذين لا يعرفون ثبات الإيمان حين يطغى به الكفر، وجلد اليقين حين يحيط به الشك، وعزة الحق حين يثور به الباطل، ظن هؤلاء أنها هزيمة طوت فتح مكة وما قبل فتح مكة من جهاد المسلمين؛ وحسبوها حروبا تأكل حروبا، وغفلوا عما وراء الحروب من عقائد وأخلاق.

زلزل المسلمون زلزالاً شديداً ولكن القطب لم يزل فى مكانه. ثبت رسول الله ونادى العباس أصحاب بيعة الرضوان فانثالوا إليه بين الجموع كما ينساب الماء القليل بين الصخور والرضف.

وخلق ثبات الإيمان واليقين من هذا التفرق اجتماعا، ومن هذا الاضطراب قرارا، ومن هذا الفر كراً، فأخرج من هذه الهزيمة نصرا مؤزرا.

لم يرع رسول الله هذا الفزع، ولم تأخذه هذه الظواهر المائجة، ولكن ثبت ثبات الإيمان، ورسخ رسوخ الحق وكان فى المأزق الشديد يوم حنين كما كان فى الموكب العظيم يوم الفتح، واثقا بالله متوكلا عليه، تجيش النفوس وهو مطمئن، وتموج الجموع وهو ساكن يوقره عظمة لا يهزها نصر ولا هزيمة، ويقين لا يغيره أمن ولا فزع، ووقار لا تستفزه رغبة ولا رهبة.

٣.

واجتمع المسلمون بالجعرانة – ماء بين الطائف ومكة – ومعهم من سبى هوازن وإبلها وشائها ألوف كثيرة.

وجاء وفد هوازن يسأل الرسول الكريم، أن يرد عليهم أولادهم ونساءهم. وقال رجل من بنى سعد، قوم حليمة مرضعة الرسول: «يارسول الله إنما فى الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتى كن يكفلنك».

ولو شاء الرسول لجزى هوازن بما صنعوا؛ وإنهم لأهل للجزاء، ولكنه لقى جهلهم بحلمه، وجرمهم بصفحه كما فعل بأهل مكة؛ قال: «أما ما كان لى ولبنى عبدالمطلب فهو لكم، فإذا أنا صليت بالناس فقولوا: إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين؛ وبالمسلمين إلى رسول الله فى أبنائنا ونسائنا؛ فلما اجتمع الناس للصلاة جاء الوفد فتكلموا بما علمهم الرسول؛ فقال: أما ما كان لى ولبنى عبدالمطلب فهو لكم وقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله؛ وقال الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله؛ وأبى الأقرع ابن حابس زعيم تميم، وعيينة بن حصن زعيم فزارة، والعباس بن مرداس زعيم سليم أن يتركوا غنائمهم؛ فوعدهم الرسول أن يعوضهم عنها حتى رضوا، ورجعت هوازن بأبنائها ونسائها.

٤.

وقسم الرسول الغنائم على أصحابها، وزاد فأجزل العطية لجماعة من رؤساء العرب قرشيين وغير قرشيين ليتألف قلوبهم؛ ولم يعط أحدا من الأنصار، فعجب الأنصار، وتكلموا فيما بينهم. وجاء سعد بن عبادة سيد الخزرج، فقال: يا رسول الله! إن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك فى أنفسهم، لما صنعت فى هذا الفىء الذى أصبت، قسمت فى قومك، وأعطيت عطايا عظاما فى قبائل العرب، ولم يكن فى هذا الحى من الأنصار شىء.

ـ فأين أنت من ذلك يا سعد؟!

ـ يا رسول الله، ما أنا إلا من قومى.

ـ فاجمع لى قومك فى الحظيرة.

اجتمع الأنصار فى الحظيرة وهم عماد هذا الإسلام وجنده. اجتمعوا عاتبين على قائدهم العظيم، يرون أنه آثر عليهم جماعة من رؤساء العرب ليس لهم فى الإسلام سابقة ولا فى نصرته بلاء، فليت شعرى ماذا يقول هذا القائد الكريم، وكيف يرضى خلص جنوده العاتبين!

استمع:

ـ يا معشر الأنصار! ما قالة بلغتنى عنكم، وموجدة وجدتموها فى أنفسكم؟ ألم آتكم ضلالا فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟!

ـ بلى! لله ولرسوله المن والفضل.

ـ ألا تجيبوننى يا معشر الأنصار؟!

ـ وبماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ولرسوله المن والفضل.

ـ أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ثم لصدقتم «آتيتنا مكذبا فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وعائلاً فآسيناك»... وجدتم فى أنفسكم يا معشر الأنصار، فى لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم!! أفلا ترضون، يا معشر الأنصار، أن يذهب الناس بالشاء والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ فوا الذى نفسى بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً، وسلكت الأنصار شعباً، لسلكت شعب الأنصار.

اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار!

قال الأنصار، والدموع تبل لحاهم، وقد غسلت كلمات الرسول عتبهم، وأيقظت قلوبهم، وزادتهم حبا للرسول وطاعة، وأصابوا فيها ما يحقر كل ما أخذ الناس من مال، وما يأخذون، قال والدموع تبل لحاهم: رضينا برسول الله قسما وحظاً.

التَّعَدُّدِيَّة والاختلاف من سُنَن الفِطرة.. والقوانين التى لا تبديل لها ولا تحويل

للدكتور/ محمد عمارة

الإسلام: دين الفطرة، أى جبلة المعرفة بالله وطبيعة الإيمان به، سبحانه وتعالى..

وكل إنسان يولد على الفطرة، أى على براءة الخلقة الأولى، مجبولا ومطبوعا على الإيمان الفطرى بخالق صانع، هو الله..

وفى الإسلام، تبلغ التعددية، المؤسسة على طبع وسجية التنوع والاختلاف، مبلغ الفطرة التى فطر الله الناس عليها.. وقد تكبت أو تقهر، لكنها سُنّة من سُنن الله التى لا تبديل لها ولا تحويل.

لأن هذا هو شأن الاختلاف، ومكان التعددية، ومقام التنوع، فى الرؤية الإسلامية، كان القرآن الكريم -كتاب العقيدة والشريعة ومنظومة القيم وفلسفة التنظيم والتدبير للعمران- هو المصدر الأول لالتماس موقف الإسلام من التعددية والاختلاف.. فنحن، بإزاء هذه القضية، لسنا حيال «فكرة حديثة أو طارئة»، ابتدعناها أو استعرناها، وإنما بإزاء «مبدأ إسلامى» أخبرنا القرآن أنه «جعل إلهى» وسُنّة «أزلية- أبدية»، قد فطر الله عليها جميع المخلوقات.. فلم ولن يكون الناس نمطا واحدا أو قالبا فردا، وإنما كانوا ولا يزالون مختلفين:

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾

(هود: ١١٨، ١١٩)

وإذا كانت الإنسانية والبشرية قد بدأت بآدم وحواء، أمة واحدة، فى الدين والشريعة، فإن تحول هذه الأمة الواحدة إلى أمم، قد اقتضى التعددية فى شرائع الرسل بتعدد أمم الرسالات، فكانت سنة التعددية منذ فجر تاريخ الإنسان:

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

(البقرة: ٢١٣)

فإذا كانت البداية -بداية البشرية- بالأمة الواحدة، أى الملة المتحدة فى العقائد وأصول الشرائع[1]:

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾

فلقد تلت تلك البداية مرحلة تعدد الرسالات والرسل والأنبياء -بتعدد الأمم وتوالى الأجيال- دينهم واحد، وشرائعهم متعددة -والكتب متعددة- فكانت التعددية فى الشرائع فى إطار وحدة الدين، وذلك ليحكم الله - من خلال الكتب المتعددة بالشرائع المتعددة -بين الأمم المتعددة، فيما اختلفت فيه هذه الأمم.. والاختلاف هنا طبيعى، وغير مذموم:

﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾

فهو اختلاف فى الشرائع.. و«فاء» العطف فى «فبعث»، تجعل هذه المرحلة -مرحلة التعددية- تالية لمرحلة الأمة -الملة- الواحدة.

أما الاختلاف الآخر، فى داخل الأمة الواحدة، المخاطبة بالشريعة الخاتمة، وبعد مجيء كتابها بالبينات، فهو مغاير للاختلاف المحمود والطبيعى، لأنه اختلاف فى الشريعة الواحدة الخاتمة، وليس اختلاف شرائع أمم الرسالات المتعددة فى إطار وحدة الدين، ولذلك عطف «بالواو» -الدالة على المغايرة للاختلاف الأول:

﴿ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ﴾

فاختلاف الشرائع هو تنوع طبيعى فى إطار جامع الدين الواحد، أما الاختلاف فى أصول الاعتقاد الدينى أو أصول الشريعة الواحدة، فإنه تشرذم القطيعة، والخلاف الذى لا جامع لأقطابه وفرقائه..

ولأن هذه هى حقيقة الموقف القرآنى من التعددية، عندما تكون تنوعا فى إطار الوحدة.. وهو الموقف الذى رآها سنة إلهية فطر الله الناس عليها، عندما جعلهم متعددين فى الخلق والفكر والعمل، حتى لكأنما كل إنسان هو بصمة

(1) الإمام محمد عبده (الأعمال الكاملة) جـ٤ ص٥٢٦. دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م.

متميزة في إطار جنس الإنسان.. لهذه الحقيقة القرآنية، كان اجتماع المفسرين عليها، من كل المذاهب، وعلى مر القرون.. فالقدماء قد جعلوا هذا الاختلاف والتنوع علة في خلق الله للناس، فقالوا: «وللاختلاف خلقهم»![2].. والمحدثون زادوا هذه الحقيقة تأكيدا وتفصيلا.. فصاحب (المنار) –الشيخ محمد رشيد رضا– (١٢٨٢– ١٣٥٤هـ ١٨٦٥– ١٩٣٥م)– يقول: «والذي دل عليه الكلام من مشيئته– تعالى– في الناس: «خلقهم مستعدين للاختلاف والتفرق في علومهم، ومعارفهم وآرائهم، وشعورهم وما يتبع ذلك من إرادتهم واختيارهم في أعمالهم، ومن ذلك الدين والإيمان والطاعة والعصيان.. فالاختلاف طبيعي في البشر، وفيه من الفوائد والمنافع العلمية –والعملية– ما لاتظهر مزايا نوعهم بدونه.. وقد شرع الله لهم الدين لتكميل فطرتهم، والحكم بينهم فيما اختلفوا فيه بكتاب الله الذي لا مجال فيه للاختلاف»[3].

وذات التفسير، تجده عند الطباطبائي – محمد حسين– الذي يقول: «إن اختلاف الطبائع، المنتهية إلى اختلاف البنى، أمر لا مناص منه في العالم الإنساني.. ذلك أن التركيبات البدنية مختلفة في الأفراد، مما يؤدي إلى اختلاف الاستعدادات البدنية والروحية. وبانضمام اختلاف الأجواء والظروف إلى ذلك يظهر اختلاف السلائق والسنن والآداب والمقاصد والأعمال النوعية والشخصية في المجتمعات الإنسانية التي لولاها لم يعش المجتمع الإنساني»[4].


رشيد رضا

فالتعددية والاختلاف «طبيعي في البشر.. خلقوا مستعدين له» ومجبولين عليه.. وميادينه متسعة ومتعددة باتساع وتعدد ميادين الحياة، المادية منها والفكرية على السواء.. وبعبارة حجة الإسلام الغزالي: «.. وكيف يجتمعون على الإصغاء –(لرأي واحد)– وقد حُكم عليهم في الأزل بأنهم لا يزالون مختلفين. إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم»[5]!؟..

فالتعددية والاختلاف «جعل إلهي»، وليس مجرد مباح أو حق من حقوق الإنسان!.

وإذا كان التنوع، وكذلك الكثرة من دواعي ومقتضيات الاختلاف، فإن جامع الإنسانية هو رابطة الائتلاف.. إذ «ليس يجوز أن يكون الناس مختلفين في ظاهرهم.. ولا يختلفون في باطنهم.. وليس يجوز في الحكمة أن يكثروا ولا يختلفوا، وليس يجواز أيضا أن يضم الجنس والنوع ولا يأتلفوا»![6]

وإذا كان الله– سبحانه –وتعالى– قد:

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾

(الفرقان: ٢)

﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ﴾

(الملك: ٣)

فإن هذا الاختلاف والتنوع الذي فطر الله الناس عليه قد جاء لحكمة إلهية بالغة، لأنه هو الحافز –بالتعدد والتنوع– للفرقاء المختلفين على التنافس والتدافع والاستباق، انتصارا من كل فريق لما به يتميزون، وما فيه يختلفون عن الآخرين.. ولو لم تكن هذه التعددية وهذا التنوع والاختلاف، لما كانت حوافز الاستباق ودواعي التدافع وأسباب التنافس بين الأفراد والأمم والأفكار والشرائع والفلسفات والحضارات، ولكانت الحياة سكونا آسنا، ومواتا لا حيوية فيه، ولا استطاع الإنسان تحقيق مقاصد الأمانة التي حملها بالاستخلاف لاستعمار الأرض وعمران هذا الوجود..

فالإيمان بالتنوع والتميز والاختلاف، هو الحافز على الإبداع والتدافع في ميادين التقدم والعمران والارتقاء.. بينما الاعتقاد بوحدة النموذج، الفكري والحضاري، هو باب التقليد والتشبه، ومن ثم السكون، وذبول ملكات الإبداع، المفضي إلى الموات:

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾

(المائدة: ٤٨)

لهذه الحكمة الإلهية البالغة، جعل الله الناس مختلفين.. وعن هذه الحكمة حدثنا القرآن الكريم فقال:

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾

(البقرة: ٢٥١)

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾

(الحج: ٤٠)

وفي التفسير لهذه الحكمة الإلهية يقول سيد قطب (١٣٢٤– ١٣٨٦هـ / ١٩٠٦– ١٩٦٦م): «إن من طبيعة الناس أن يختلفوا،

---

(٢) القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) جـ٩ ص١١٤، ١١٥.

(٣) (تفسير المنار) جـ١٢ ص١٩، ٢٢. طبعة دار المعرفة. بيروت– (ولقد كان الفضل في جمع كثير من آراء المفسرين حول هذه السنة للأستاذة زينب عطية محمد. انظر كتابها (أصول العلوم الإنسانية من القرآن الكريم) جـ١ ص٢٢٤، ٢٢٧، ٢٣٠، وطبعة القاهرة سنة ١٤٢٦هـ/١٩٩٥م.

(٤) (الميزان في تفسير القرآن) جـ١١ ص٦٠ طبعة بيروت سنة ١٣٩٢هـ سنة ١٩٧٢م.

(٥) (القسطاس المستقيم) ص٦١ –ضمن مجموعة «القصور العوالي من رسائل الإمام الغزالي» طبعة القاهرة. مكتبة الجندي. بدون تاريخ.

(٦) أبوحيان التوحيدي (الإمتاع والمؤانسة) جـ٢ ص٩٩. تحقيق أحمد أمين، أحمد الزين. طبعة القاهرة سنة

لأن هذا الاختلاف أصل من أصول خلقتهم، يحقق حكمة عليا من استخلاف هذا الكائن في الأرض، والاختلاف في الاستعدادات والوظائف ينشيء بدوره اختلافا في التصورات والاهتمامات والمناهج والطرائق.. ولقد كانت الحياة كلها تأسن وتتعفن لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض، ولولا أن طبيعة الناس التي فطرهم الله عليها أن تتعارض مصالحهم واتجاهاتهم الظاهرية، لتنطلق الطاقات كلها تتزاحم وتتغالب وتتدافع فتنفض عنها الكسل والخمول، وتستجيش ما فيها من مكنونات مذخورة، وتظل أبدا يقظة عاملة، مستنبطة لذخائر الأرض، مستخدمة قواها وأسرارها الدفينة، وفي النهاية يكون الصلاح والخير والنماء.. فالعقيدة في حاجة إلى الدفع عنها، وأماكن العبادة لا يحميها إلا دفع الله الناس بعضهم ببعض، أي دفع حماة العقيدة لأعدائها الذين ينتهكون حرمتها، ويعتدون على أهلها، وهي قاعدة كلية لا تتبدل ما دام الإنسان هو الإنسان..»

لكن هذا التدافع، الذي يحفز عليه وإليه التنوع والاختلاف، يجب -كي يظل في الإطار النافع- أن يكون داخل إطار الجوامع والثوابت والأصول الجامعة للفرقاء المختلفين والمتدافعين، إذ «لابد أن يكون هناك ميزان ثابت يفيء إليه المختلفون، وقول فصل ينتهي عنده الجدل، ومشروع واحد لبني الإنسان، ثم تختلف التفصيلات بعد ذلك وفق حاجات الأمم والأجيال. وهذه الحقيقة ذات أهمية كبرى في عزل أصول الدين عما يُدخله عليها الناس، حتى يظل ذلك الميزان الثابت والحكم العادل..»[7].. فهو تنوع واختلاف في إطار جامع الأصول الثوابت والواحدة.. «ولما كان اختلاف الفهم ضروريا، لأنه من طباع البشر، وجب عليهم أن يتحاكموا فيه إلى الكتاب والسنة، حتى يزول، ولا يجوز أن يقيموا عليه:

﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾

(النساء: ٥٩)...»[8]

فالتنوع والاختلاف -الطبيعي والمحمود- لا يكون في الأصول الجامعة.. فإذا حدث الخلاف في الأصول الجامعة، كان «تنازعا» وليس «تنوعا»، وغدا خلافا في الدين، أي في الوضع الإلهي الثابت، أي في ذات «الجامع.. الموحِّد»، وليس في إطار الجامع الموحد!..

فلا بد من «جامع» للتنوع، ومرجع للاختلاف، ومشترك بين المتمايزين، حتى تكون التعددية وسطا عدلا متوازنا بين قطبي غلو الإفراط والتفريط -التشرذم والقطيعة التي لا جامع لفرقائها- والواحدية القاهرة للتمايز والمنكرة للتنوع والاختلاف- ذلك «أن الناس، في أصل جبلتهم، وبدء خلقتهم، قد افترقوا مجتمعين، واجتمعوا مفترقين، واختلفوا مؤتلفين، وائتلفوا مختلفين...»[9]!

(يتبع)

(٧) (في ظلال القرآن) جـ١ ص٢١٥، ٢٧٦، جـ٤ ص٢٤٢٥. طبعة بيروت سنة ١٤٠٧هـ سنة ١٩٨٧م.

(٨) الإمام محمد عبده (الأعمال الكاملة) جـ٤ ص٤٠٧.

(٩) أبوحيان التوحيدي (المقابسات) ص٨٣. تحقيق: محمد توفيق حسين. طبعة دار الآداب بيروت سنة ١٩٨٩م.

جسور التغريب

للأستاذ الدكتور/ حمدى فتوح والى

تشهد الكرة الأرضية على صغرها في ميزان الله صراعات لاتهدأ، واضطرابات لاتتوقف ومعارك لاتنام، وذلك راجع إلى غياب الهدف الواحد، والفهم المشترك، والوعي الصحيح بالغاية العليا من تلك الحياة.

وبسبب اختلاف التصورات، وتباين الاتجاهات، كان لابد من أن تتصادم الإرادات، وأن يقع في الأرض ما نراه اليوم من هذه الحروب والصراعات.

وبرغم اعتبار هذه الحال غير سوية وغير طبيعية في نظر كثير من البشر، فإنها في نظر الإسلام تعد ضرورة لكي تستمر الحياة، وهذا ما نفهمه من قول الخالق الحكيم سبحانه:

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾

(البقرة: ٢٥١)

إنها نعمة ـ إذن ـ يمن الله بها على عباده أن جعلهم يختلفون فيتدافعون، ويتدافعون فيمحصون، ويمحصون فيتمايزون

﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾

(الرعد: ١٧)

ولقد سبقت إرادة الله سبحانة وتعالى بإيجاد هذا الاختلاف بين الأمم وجعله علة لوجودهم وسبباً خلقهم وذلك في قوله تعالى:

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾

(هود: ١١٨ - ١١٩)

وأظهر الحكمة من ذلك بقوله ـ سبحانه:

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾

(المائدة: ٤٨)

ومن هنا كان الاختلاف إرادة إلهية، وضرورة كونية، وحقيقة بشرية ولأن الصراع لابد أن ينتج عنه غالب ومغلوب، ومنتصر ومهزوم، فقد احتاج كل فريق أن يستكمل عدته، وأن يستنفر قوته، وأول درجة من درجات القوة، قوة العقيدة والإيمان، ويلي ذلك قوة الوحدة والارتباط ثم بعدهما قوة الساعد والسلاح، ولا يصح أن توصف أمة بالقوة حتى تتوفر لها هذه المعاني جميعاً. ولايليق بأمة وصفها الله بالخيرية، واختصها بختم الرسالات واصطفاها بكتاب كريم:

﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾

(فصلت : ٤٢)

وشهد لها خالقها بأنها خير أمة أخرجت للناس، أن تحتقر ذاتها وأن تنسى دورها وأن تخون رسالتها، وأن تفقد خصائصها وترضى بدور التابع الذليل، وهي المنتدبة من خالقها سبحانه بأن تتقدم لقيادة البشرية وهداية الناس.

ولقد ظلت مصر تحكم بالإسلام شريعة ومنهاجا منذ اعتنقته عقيدة وآمنت به رسالة واحتضنته حضارة ونظام حياة، وظل الإسلام يمثل لمصر درعها الواقية وهويتها الحارسة، أمام جميع التيارات الوافدة، التي استهدفت كسر الدرع، واستباحة البلاد والعباد.

وشهدت الدنيا كلها حقيقة ما تنبأ به رسولنا ﷺ.

بقوله: «إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيرا، فذلك الجند خير أجناد الأرض» فقال له أبو بكر: ولم يا رسول الله؟! قال: «لأنهم وأزواجهم في رباط إلى يوم القيامة» (كنز العمال).

وقد ظهر مصداق ذلك في قدرة أهل مصر على التصدي لموجات الحروب التي استهدفت أرضها بداية بالهكسوس ومرورا بالحملات الصليبية والتترية، وانتهاء بحملات الاستعمار الأوربي في العصر الحديث. ومع انكسار تلك الموجات الحاقدة، وتمايز الإرادة الإسلامية وشموخها، كان لابد لهذا العدو الحاقد أن يفكر في طريقة أخرى تتيح له الوصول إلى غرضه من كسر شوكة الأمة وتفريقها من أسباب استعصائها وحصانتها فكان ما نراه في عصرنا هذا من هذه الحرب الخبيثة، والتي استهدفت أعز ماتملك الأمة، وأغلى ماتفخر به على مدى التاريخ، وهل تملك أمة الإسلام شيئاً أغلى عليها من دينها وأعز عليها من حضارتها وتاريخها؟! فكانت معركة الغزو الفكري والصراع على الهوية.

«إن الدين بالنسبة لنا نحن المسلمين ليس ضمانا للآخرة فحسب ولكنه أضحى سياج دنيانا وكهف بقائنا»[1] ولقد علم أعداء الإسلام ذلك جيداً فأعدوا عدتهم للقضاء على هذا الدين، وإفساد عقيدة المسلمين، وقد استطاعوا أن ينالوا بالكيد والتخطيط والمكر ما عجزوا عن تحصيله في ميادين القتال، وبدأت مظاهر هذا التآمر المحكم تظهر في أجنحة المكر الثلاثة: الاستعمار والاستشراق والتبشير.

وإذا كان الاستعمار قد ينجح في توفير نوع من الحماية وتهيئة الأجواء لحركتي الاستشراق والتبشير، فإن الاستشراق قدم للحضارة الأوربية أجلّ الخدمات عندما أخذ على عاتقه مهمة الاضطلاع بتقديم التفسير الذي يراه مناسباً للنص الإسلامي بما يحرفه عن حقيقته، ويوظفه توظيفا يتناسب مع خطة الاستعمار في ترويض العقل المسلم وإخضاعه لأفكاره وأخلاقه وأحكامه عن طريق تلك المغالطات الماكرة، التي لايفطن إليها إلا الراسخون في العلم، فهم عندما يريدون تعطيل الإسلام وتفريغه من مضمونه وتحويله إلى تراث عاطل من كل مقومات الحياة، لايسلكون إلى ذلك سبيل الانتقاص والهجوم، وإنما يصلون إلى مرادهم بأن يكثروا الثناء على الإسلام، فيصفونه بأنه كان أعظم ثورة تحررية شهدتها الأرض، فقد جاء والأرض تعج بعبادة الأصنام والأوثان، فدعا الناس إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة الأصنام والأوثان وخاض في سبيل ذلك معارك كثيرة حتى إذا نجح في القضاء على الأصنام والأوثان، كان قد أدى مهمته كاملة وأفسح الطريق للحضارة الغربية لتواصل مشوار التقدم وقيادة الأرض. وهكذا لايشعر المسلم في هذا العرض المغري وهذا الثناء الكبير إلا بأنهم يمدحون الإسلام، ولا يدرك أنهم قد طعنوا الإسلام في مقتل وحولوه إلى متاحف التاريخ وهكذا يفعلون في تفسيرهم لنصوص القرآن وأحاديث الرسول، ومعارك الفتح الإسلامي وهم في سبيل ذلك يقسمون أنفسهم كل في التخصص الذي يحسن فهمه وترويضه وإشاعة السموم فيه.

فهؤلاء للدراسات القرآنية وأولئك لدراسة السنة وآخرون لدراسة التاريخ والحضارة الإسلامية، وفئة أخرى تتخصص في اللغة والأدب، ولك أن تتصور ماذا يمكن أن يقول نصراني متعصب في نبي الإسلام وتاريخ الإسلام إذا أردت أن تعرف ماذا يمكن أن يقول فاقرأ ما كتبه «جورجي زيدان» في رواياته التي اختار لها تاريخ الإسلام وقد استطاع أن يوظف براعته الأدبية وحبكته القصصية في إشاعة أفكاره ونشر سمومه عن طريق الأسلوب القصصي الساحر الذي صادف هوى وحبا لدى ناشئة الأمة وعوامها بل ومثقفيها من أبناء المسلمين ويكفي أن تمسك بالقصة لتجد نفسك من أول وهلة مأخوذا بأسلوبها مشدوداً إلى أحداثها كأنما ابتلعتك في تيارها، أو جذبتك بسحرها ولقد قرأت لهذا الرجل قصة طارق بن زياد أو فتح الأندلس كما أسماها فما بقي في ذهني بعد قراءة القصة إلا أن طارق بن زياد ما

(١) حصاد الغرور، الشيخ محمد الغزالي ص٩ ـ دار الشروق.

استطاع فتح الأندلس إلا بأن أوقع ابنة رودريك ملك القوط الأسبان في حبه، وبسبب وقوع الفتاة في حب طارق فقد دلته على أسرار أبيها، وعن طريقها استطاع طارق أن يفتح الأندلس أما جيش الإسلام وعظمة الإسلام وجهاد المجاهدين وبسالة المؤمنين، فكل ذلك لاتجد له أثراً وهكذا يُسرق تاريخنا، وتزيف حقائقه، ولا يصل إلى أبنائنا إلا مايريدون توصيله عن طريق صحافتهم التي نشطت نشاطاً عظيماً على أيدي موارنة الشام، من أفعال أسرة آل صروف وآل سركيس وآل زيدان وآل تكلا «ففي مجال اللغة العربية والأدب العربي جاء فيليب حتي، وجورجي زيدان وفي مجال الدراسات الاجتماعية جاء: شبلي شميل وسلامة موسى ووقف الدكتور يعقوب صروف صحيفته المقتطف على الترويج للثقافة الغربية، والدفاع عن الاستعمار، وفي مجال الفكر جاء: فرح أنطون وسليم نقاش الذي حمل لواء العنصرية ورفع شعار «مصر للمصريين» والذي يدعو للريبة والدهشة أنه غير مصري وفي مجال مهاجمة الإسلام والخلافة الإسلامية جاء: سليم سركيس وصابونجي وغيرهم»(٢)

وبينما كان الاستعمار والاستشراق والصحافة تعمل على أشدها للحيلولة بين الشخصية المسلمة وبين منابعها الأصيلة من



جورجي زيدان — طه حسين

الكتاب والسنة مستهدفة الخواص والعوام من أبناء الأمة كان التعليم يستهدف ناشئة الأمة، ويضع مناهجه رجل دين إنجليزي يدعى «دنلوب»، ولهذا لاتعجب إذا رأينا حصاد هذا التخطيط المحكم وهذا التدبير الماكر على مدى القرن العشرين ـ مانراه اليوم من ضعف الولاء وغياب الانتماء، والانبهار الشديد بالغرب، والجهل الفاضح بالإسلام وفي غفلة من العلماء الربانيين، وضعف من الحكام العثمانيين آلت حال المسلمين إلى تخلف وضعف عندما غاب الإسلام عن حياة الناس عدالة اجتماعية، وأخلاقاً نبوية، وسلوكيات إيمانية وحل مكانها انتشار الخرافات، والاعتماد على الرؤى والاحلام، وتعطل الاجتهاد، واقتصرت كتب الشريعة على الحواشي والشروح، ووقف الادب عند جماليات الألفاظ بعيداً عن مضمونها ومعانيها، فأصاب الجمود حياة الناس العلمية والدينية والأدبية وانسحب الناس من

(٢) صفحات مضيئة من تراث الإسلام ـ أنور الجندي ـ دار الاعتصام ص ٣٧٥.

ميادين الحياة العملية مكتفين بالتغني بالأمجاد القديمة والتشدق بعظمة الأجداد بينما الدنيا من حولهم تحتفل كل يوم باكتشاف جديد ونظر شباب الأمة حولهم ينشدون قائداً أديباً ورائداً ثقافياً يثقون به وينتمون إليه، فإذا الرموز الذين تفردوا بالميدان قد اصطبغوا بثقافة الغرب ورجعوا من بعثاتهم إلى أوربا يدعون إلى ثقافته ويتعصبون له. ويكفي أن تقرأ هذه العبارة من كتاب: مستقبل الثقافة في مصر كما يحددها عميد الأدب العربي وقتها لتدرك إلى أي مدى بلغ الانبهار بالغرب مبلغاً يقول د. طه حسين مستخفاً بدعاة الأصالة والمحافظة على شخصية مصر الإسلامية «وإني لأتخيل داعياً يدعو المصريين إلى أن يعودوا إلى حياتهم القديمة التي ورثوها عن آبائهم في عهد الفراعنة وفي عهد الرومان واليونان أو في عصرها الإسلامي أتخيل هذا الداعي وأسأل نفسي: أتراه يجد من يسمع له.. فلا أرى جواباً واحداً يتمثل أمامي بل يصدر من أعماق نفسي وهو أن هذا الداعي إن وجد لن يلقى بين المصريين إلا من يسخر منه ويهزأ به»(٣)

إن من يراجع أحداث الفترة في بدايات القرن العشرين سيرى تنسيقاً محكماً ودقيقاً بين الاستعمار والاستشراق وتلامذتهم في مصر لتذويب شخصية المسلم وقطعها عن جذورها وأصالتها من



الأفغاني



الرافعي

خلال منظومة التغريب المعتمدة على التعليم والصحافة والثقافة والفكر.

وسيجد أن الساحة قد خلت أو كادت من أسماء الأعلام المسلمين وسلفنا الصالح واتسعت لأعلام الفكر الغربي من أمثال: دور كايم في الاجتماع وفرويد في علم النفس ونظريات التربية، وداروين في علم الأحياء وماركس في الاقتصاد وإذا كانت تلك الهجمة قد وجدت من يتصدى لها في بدايات القرن الماضي وعلى امتداده من رجال مخلصين وجنود صادقين من أمثال الشيخ محمد عبده وجمال الدين الأفغاني ومصطفى صادق الرافعي، ومحب الدين الخطيب، والأستاذ محمد فريد وجدي وآخرين. فإن الميدان اليوم ينشد ربانه، ويستنفر ميدانه ويستنهض همة المخلصين من أبناء الأمة لكي يؤدوا واجبهم دفاعاً عن دينهم، وصيانة لعقيدتهم، وحراسة لأطفال هذه الأمة العظيمة:

﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾

(البقرة: ١٩٣)

(٣) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر د. محمد محمد حسين مؤسسة الرسالة ص ٢٣١ الطبعة الرابعة ١٩٨٠.

منهج الإسلام

لفضيلة الشيخ/ أحمد الشرباصى

إعداد فضيلة الشيخ/ على حامد عبدالرحيم

الحمد لله عز وجل، أزال عن عباده النقمة، وأتم عليهم النعمة.

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

(المائدة: ٣)

أشهد أن لا إله إلا الله، أعز بالإسلام قوما وخفض بالكفر آخرين

﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾

(القلم: ٣٥ - ٣٦)

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، شرح الله بالإسلام صدره، فشرح به صدور المؤمنين، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وذريته، وأنصاره وذوى صحبته، والقائمين بأمر دعوته:

﴿ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾

(البينة: ٧)

يا أتباع محمد ﷺ ..

ما زال الإسلام عند بعض أهله غريباً يحتاج إلى تعريف، حتى يقبلوا عليه ويعتزوا به، بأنه طريق الخلاص وسبيل الأمان ومفتاح السعادة فى الدنيا والآخرة، فهو دين ينظم شئون الحس والنفس، ويوائم بين مطلب الروح والجسد، وينسق علاقة الفرد والجماعة، ويضبط الإنسان فى كل حالاته بضوابط حكيمة رشيدة، تشعره بأن له مكانة، ورسالة وأن له مرجعاً إلى ربه ليحاسبه ويجازيه، ولذلك يقول القرآن:

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾

(المؤمنون: ١١٥)

وقد أقام الإسلام نظام الحياة للإنسان على مراعاة حقوق أربعة أساسية هى حقوق الله، وحقوق النفس، وحقوق العباد، وحقوق الأشياء.

أما حقوق الله تبارك وتعالى فهى أن تؤمن به رباً خالقاً قادراً رازقاً.

ولا تشرك به أحداً. وتعبر عن إيمانك بلسانك قائلاً «لا إله إلا الله»، وأن تخضع لما جاءك من عنده من الحق والهدى. وهذا الخضوع يستلزم الإيمان بمحمد رسولاً، لأنه هو الذى بلغك ونقل إليك عن ربك، فتنزل على حكمه وتقتدى بنهجه، وأن تعبر عن شكرانك لبارئك وتعظيمك لشأنه، بذكره وعبادته، والخوف منه ومراقبته. والله تعالى حينما أوجب لذاته العلية حقوقاً أو واجبات أو عبادات لم يجعلها مرهقة أو متعبة، بل قال:

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾

(البقرة: ٢٨٦)

وقال:

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾

(البقرة: ١٨٥)

وإذا كان فى العبادات عزائم ففيها أيضاً رخص، والله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه. والصلاة مثلا تؤدى كما يتيسر للإنسان، إن وجد الماء توضأ به، وإن عجز عنه تيمم، وهو يصلى قائما إن كان سليما، وقاعداً أو مضطجعاً إن كان مريضاً، وهو يقصر الصلاة إن كان على سفر، وهو يقرأ فى الصلاة ما تيسر من القرآن، والصوم جعله الله أياما معدودات، ولم يجعله طويل المدة ولا موصولاً، بل هو سحابة النهار، وفى الليل متسع للأكل والتمتع.

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾

(البقرة: ١٨٧)

والزكاة نسبة قليلة ضئيلة من المال، يدفعها من قدر واكتسب وملك النصاب، والحج لا يجب إلا على من استطاع إليه سبيلا، ووجد الصحة والقدرة والزاد وأمن الطريق، وهو واجب مرة واحدة فى العمر، فما زاد فهو تطوع.

وحقوق النفس يدعو إليها الإسلام ويذكر بها وينظم طريقها، فيقول القرآن:

﴿ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾

(القصص: ٧٧)

ويقول الحديث: «إن لبدنك عليك حقا» ويقول: «ابدأ بنفسك»، وحقوق نفسك عليك فى الإسلام هى أن تمنعها وتعطيها حظها المعتدل من الطيبات:

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾

(الأعراف: ٣٢)

وأن تحصنها من المهلكات والآفات كالمسكرات والمخدرات وخبيث الشهوات ومراتع الفساد:

﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾

(البقرة: ١٩٥)

وأن تزكيها بالطهارة الحسية والنفسية عن طريق النظافة والتعبد والتفكر فى

ملكوت السموات والأرض، وأن تحملها بمكارم الأخلاق ومحامد الصفات، حتى تكون قريباً من رسول الله ﷺ الذى جاء ليتمم مكارم الأخلاق، والذى يقول: «أقربكم منى مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، الذين يألفون ويؤلفون». وقد وهب الله للإنسان فى نفسه طاقات ومواهب، وهى نعم تثمر أطيب الثمرات إذا أحسن الإنسان استعمالها واستخدامها، وتنتج أوخم العواقب إذا أساء توجيهها أو استخدامها، ولذلك يقول القرآن:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾

(الشمس: ٧-١٠)

ومن فضل الله علينا فى الإسلام أنه أباح لنا استخدام هذه الطاقات فى منافعنا ومصالحنا ولذاتنا الطيبة المشروعة، بحيث لا يضر ذلك أحداً غيرنا، وبحيث نشكر الله ونحمده على فضله ونعمته، لنكون منصفين من جهة ومستحقين للنعمة والزيادة فيها من جهة أخرى:

﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾

(إبراهيم: ٧)

وصلوات الله وسلامه على خيرة أنبيائه وصفوة أوليائه محمد حينما سهر الليل عابداً ساجداً، فسألته زوجته عائشة: لم كل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال لها: أفلا أكون عبداً شكوراً يا عائشة؟!..

وأما حقوق العبادة فتقوم فى الإسلام على أساس أن الناس كلهم عباد الله.

وأن الكل مخلوقون من نفس واحدة، فبينهم صلة رحم إنسانية، يجب عليهم أن يرعوها حق رعايتها فلا بغى ولا عدوان على الآخرين، بل تعاون معهم وحسن معاملة لهم وإحسان إليهم عند الاستطاعة، يقول القرآن الكريم:

﴿ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾

(المائدة: ٨٧)

ويقول:

﴿ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ﴾

(القصص: ٧٧)

ويقول:

﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾

(البقرة: ٨٣)

ويقول الحديث: «خير الناس أنفعهم للناس».

ويتدرج الإسلام تدرجاً رائعاً فى تحديد ما على الإنسان من حقوق للعباد، وذلك لأن منهم القريب القريب، ومنهم البعيد أو الغريب، فيبدأ الإسلام بالأهم ثم المهم كثيراً ثم المهم قليلاً، ثم العام الواسع أو الشائع بعد ذلك، فيجعل الإسلام رعاية الأبوين والإحسان إليهما مرتبة أولى بعد عبادة الله:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

(الإسراء: ٢٣)

ثم ينتقل إلى الأسرة فيقول الحديث: «ابدأ بمن تعول» ثم ينتقل إلى القرابة والرحم فيقول القرآن:

﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾

(الأنفال: ٧٥)

ثم ينتقل إلى أفراد الأمة المسلمة فيقول الحديث: «المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً» ثم ينتقل إلى الناس كافة فيقول الحديث: «تصدقوا على أهل الأديان كلها»، ويقول: «ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء».

ثم تأتى حقوق الأشياء، وهذه الأشياء إما حيوانات أو نباتات أو جماد، والإسلام يأمر المسلم بأن يحسن استعمال كل نوع من هذه الأنواع، يأمره بالرحمة والرفق بالحيوان فلا يعذبه ولا يرهقه ولا يمثل به، ولا يجيعه ولا يحمله مالا يطيق، بل يحسن إليه حتى فى حالة الذبح، وكذلك أمر الإسلام الإنسان بأن يقدر نعمة النبات فلا يفسدها لغير حاجة، ولا يقطع شجرا لغير مصلحة، بل يحسن استخدام ذلك كله فى حدود المنفعة والاستقامة.

كما يجب عليه أن يحسن استخدام كل شىء من الجمادات فى حدود الأصول الدينية والقواعد الشرعية، وهذا هو الاسلام مثلا ينهى الإنسان عن الإسراف فى استعمال الماء ولو فى حالة الوضوء ولو كان يتوضأ من البحر الكبير أو المحيط الواسع، حتى لا يتعود الإخلال بسنة الاحسان فى استعمال الأشياء.

وما دام الإسلام قد حدد للإنسان حقوق ربه وحقوق نفسه وحقوق العباد وحقوق الأشياء، وجعل الإسلام بابه مفتوحاً لكل من يؤمن به ويردد شهادة «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، ولا يعوقه عن الدخول فيه لون أو جنس أو وطن أو نسب، فهو إذن الدين الإلهى العام الخالد الذى يبقى ويدوم ليكون صالحا لكل زمان ومكان، لأنه لم يقم على أساس عنصرى أو إقليمى أو زمنى أو مكانى، بل قام على الفطرة الإلهية الدائمة، ولذلك قال القرآن:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(الروم: ٣٠)

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام..

هذا هو الإسلام.. ترونه نوراً فى الدنيا ونوراً فى الآخرة، وتقويما للحس والنفس، وتكريما للإنسان والإنسانية فمن ذا يجد بديلا سواه يوازيه أو يدانيه؟ وإذا كنا نؤمن بأنه الحق والصدق، وأنه طريق الهدى والعلا، فلم نصد عنه؟ ولم نعرض عن حماه؟ ولم نتقيد بقيوده وحدوده؟ ولم لا نخضع لنظمه وتعاليمه؟

﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾

(المائدة: ٥٠)

وسبحان من لو شاء لهدى الناس جميعاً إلى سواء السبيل.

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾

(الممتحنة: ١١)

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾

(النحل: ١٢٨)

محمود الشرقاوي كاتب ذو رسالة (٢)

للدكتور/ أبي حسام

كان الأسلوب الأدبي في الأزهر قبل الإمام محمد عبده يعتبر ميتا لا حياة به، فلما وثب الإمام بدروسه ومقالاته وثبته الأدبية الرائعة أخذت الروح تدب في أجسام الناشطين من تلاميذه، بل أخذ توابع الشباب الأزهري يصدرون مجلات أدبية كالبيان للبرقوقي والثمرات للسندوبي وعكاظ لفهيم قنديل، ومن هنا نشأ بالأزهر جيل جديد يهتم بالأسلوب الأدبي، ويكتب في الصحف الأدبية، ومن هؤلاء محمود الشرقاوي الذي حفلت مجلات الأدب الكبرى بمقالاته بعد تخرجه مباشرة بالأزهر. واحتل مكانه في صحف كالرسالة والحياة الجديدة والسياسة الأسبوعية. وأصبح الاتجاه الأدبي شغله الشاغل فنأى عن التدريس بالأزهر، والتحق محررا بالبلاغ اليومية يكتب في صفحتها الأدبية أسبوعيا مقالات تواكب مقالات محمد لطفي جمعة وزكي مبارك وغيرهما من أفذاذ الكتاب. كما خاض معارك أدبية مع نجوم الأساتذة مثل أحمد أمين وزكي مبارك ومحمد على غريب، وكان اتجاهه دائما إلى القضايا الأدبية الهامة مثل قضايا الأدب الجاهلي والجناية عليه، ومن العجيب أنه تحرج أن يناقش الدكتور مبارك على صفحات البلاغ التي تجمعهما في مقالاته الرائعة، فاتجه إلى السياسة الأسبوعية بإمضاء مستعار، وأعلن رأيه الصريح في اندفاع مبارك حين هاجم رأي أحمد أمين في شعر الطبيعة في الأدب العربي حيث ذهب أحمد أمين إلى أن شعر الطبيعة قد تخلف تخلفا شاذا فكاد يصبح في العصور المختلفة صورة للشعر الجاهلي، فهو في مجموعه ليس صرخة إعجاب خرجت من أعماق القلب في بساطة فكرية، ولا هو تمجيد للجمال وتقديس لظاهره التي يخر أمامها الشاعر ساجدا، ولا هو شعور بحياة الطبيعة وقوتها ونبضها كما ينبض القلب، ولا هو شعور الظمآن الذي يريد أن يرتوي من جمال الحياة فلا يجد من أقوال الشعراء إلا ما يزيده ظمأ على ظمأ، هذا النقد الصادق لم يجد من الدكتور مبارك إلا الاعتراض في تعال مفرط يخرجه عن حدود اللياقة. فقام الأستاذ الشرقاوي بتفنيد شطحاته، ونقد استشهاداته التي لم يتنكرها أحمد أمين بل وزنها بميزانه الصحيح، ولو سلك الشرقاوي هذا السبيل النقدي الأصيل في نقد كثير مما تزخر به صحف الجامعيين من مكررات تافهة لا طائل وراءها. لو سلك الشرقاوي هذا المسلك لكانت آثاره الأدبية ذات محل مشهود، وقد كان من الممكن أن يجمع من هذه الآثار كتابا قيما ولكن أنهار الصحف قد تقاذفت بآرائه إلى محيط لا حد لمنتهاه.

والرسالة ما الرسالة كانت بعض مجالات أدبه التي تتسم بالجدة والطرافة، فهو أول من حلل ثورة الزنج وجعل من بعض أحداثها مثالا للصيحة العالية في وجه الظلم. كما جعل قصيدة ابن الرومي مثالا حيا لما يريد، ولكني أخالف وجهة نظره في بعض ما قال، فقد كانت ثورة العبيد هذه ثورة ضريرة عمياء أكلت الأخضر واليابس في طغيان غاشم، وقد هبت لتهدم لا لتبني! وباء زعماؤها بالخسران المبين، وهو ما يؤكده الشرقاوي تماما، ولكنه يعرض صفحة من التاريخ.

أما مصر فقد ملكت بحبها الخالص جنان الشرقاوي، فقد طفق يبحث في بطون التاريخ عن مواقف البطولات



الزيات — أحمد أمين

المنهزمة والمنتصرة ليجلوها أبدع جلاء وله في ذلك كتب قيمة يضيق المجال عن عرضها، وإذا كانت مجلة الرسالة في طليعة الصحف التي أشادت بالثورة العرابية منذ كتب الشاعر الكبير الأستاذ فخري أبو السعود قصيدته عن التل الكبير في عصر فؤاد المتجبر الطموح ثم تابعت حديث عرابي في مقالات وطنية نشرها الأستاذ محمود الخفيف ثم جمعها في كتاب قام الزيات بتزكيته وتقريظه في افتتاحية خالدة من افتتاحياته البارعة، فإن محمود الشرقاوي نشر في مجلة الرسالة صحيفة مطوية عن كفاح البطل المظلوم، إذ تحدث عن احتفاء الشعب به بعد رجوعه، وعن عظمته النفسية التي لم ينطفئ بريقها في عيون الناس، واستقباله لمشايخ القرى والمدن في منزله، تحدث عن ذلك حديث الوطني المخلص الذي يعرف جهاد البطل وصرخته في وجوه الظلم والظالمين، وتلك شجاعة فائقة تنسب للزيات الكبير في الرسالة ولمحمود الخفيف ومحمود الشرقاوي، وقد

حازت الإعجاب كل الإعجاب.

ولعل أخصب أيام الشرقاوي الفكرية في فورة شبابه هي أيام تحريره بالبلاغ، فقد كانت البلاغ اليومية حينئذ تؤدي رسالة البلاغ الأسبوعي في صفحتها الأدبية، وكان الشرقاوي من كتاب هذه الصفحة البارزين، كما أشرت إلى ذلك من قبل، وكان أسلوبه الأدبي ذا رصانة فكرية تكاد تلحقه بالطبقة الأولى من كتاب الصحافة الكبار أمثال توفيق دياب، حتى إن صاحب البلاغ الأستاذ الكبير عبدالقادر حمزة، وهو من هو ضلاعة منطق، ورصانة تفكير كان يخصه من بين المحررين بمودة خالصة سداها ولحمتها التقدير الأكيد لشاب مكتمل النمو، وكان يصحبه في الزيارات الخاصة بكبار السياسيين من ذوي التأثير الشعبي في مصر، وهي منزلة لم يصل إليها شيوخ المحررين بالبلاغ، وله مقال جيد في رثائه كشف عن هذه الناحية بجلاء، ولعلَّ أقوى ما ميَّز الشرقاوي عن نظرائه في البلاغ ما تترقرق به مقالاته من سبحات عاطفية تنبئ عن وجد عاقل متئد وله مع تفوقه النثري قصائد عاطفية تدل على شعور رومانسي رقيق، ولو خلص من أعباء التحرير إلى السماع المتواصل لدقات قلبه لَعُدَّ من شعراء الرومانسية في عصره، ولكن الشعر يتطلب من الفراغ العملي ما لا يتاح لشاب يأكل رزقه من شباة قلمه. وأذكر له بهذه الناحية قصيدة عاطفية نشرها بالرسالة تحت عنوان (الخلوة الأولى) وهي ذات حنين هادئ لم ينحدر إلى الذوبان اللاهث، بل إلى وقفة الرجولة المتماسكة من الانهيار وقد ختمها بقوله:

هلم نفرحْ بعد هذا النوى
ونسدل الستر على ما مضى
أسقيك من روحي صرف الهوى
وتملأ الكأس بخمر الرضى
هيهات لا قلبي له مسعد
ولا حبيب قربه يرتجى
بل أمنيات أشتهي أن ترى
أشقيت عمري وهي ليست تجي

أما مصر فقد خلدت في أكثر آثاره، ولعل أروعها في هذه الناحية كتابه الفذ عن (مصر في القرن الثامن عشر) وهو أوفى دراسة كتبت عن تاريخ الجبرتي؛ لأن هذا الكتاب الضخم كان كالغابة اللفاء المتكاثفة الشجر، يلجها القارئ فيجد الأشواك الحادة، والصخور المتراكمة، ولا يكاد يعثر على الزهر والثمر إلا بعد معاناة هائلة في اقتحام الصخور واجتياز الأشواك، وقد خصَّ الحملة الفرنسية وعصر محمد علي بما لا يستغني عنه أي دارس لهذا القرن. وكاد اهتمامه بالشيوخ والأعيان وأبطال الكفاح في العهدين اهتماما جعل من تاريخ الجبرتي قصة تاريخية نابضة بالأحداث، متوهجة اللقطات، صخابة الرنين في مواقف الفزع

والالتحام ولا أجد أبلغ من قوله في مقدمة الجزء الثالث بإيجاز: «من يعتقد أو يظن أن شعب مصر كان في تاريخه مستسلما للظلم، راضيا بالهوان، كما يزعم كثير من المؤرخين فقد ظلم نفسه، وظلم وطنه، أما ظلمه لنفسه فلأنه لم يعرف جهاد آبائه وأجداده في كفاح المعتدين، ولم يدرك ما بذل هؤلاء وهؤلاء من قوة وعزم وصبر وما تحملوا من تضحيات غالية في سبيل الحياة الكريمة القويمة الحرة، وأما ظلمه لوطنه، فلأنه يضعه وضعا غير كريم، وغير صادق، ويقبل في تاريخ هذا الوطن ما لبس المستعمرون، وما دلسوا ولفقوا من هذا التاريخ الذي وضعوه لوطنه. فأظهروه ضعيفا متخاذلا مستكينا، يقيم على الضيم ولا يغضب للهوان ولا يرد كيد الكائدين، وحاشاه ذلك، هذه العقيدة الظالمة الخاطئة روج لها في مصر المستبدون والمستعمرون ومكنوا لها في نفوس الناس وعقولهم دهرا طويلا، حتى أوشكت أن تكون من الحقائق التي تعلو على النقاش والجدل... وقد آن لنا أن نراجع تاريخنا وأن ننفي منه الزيوف، وأن ندرك قيمة هذا الشعب الصبور في غير جبن، المتسامح في غير تخاذل، اللين في غير ضعف، الكريم في غير مذلة».

والأجزاء الثلاثة من كتاب (مصر في القرن الثامن عشر) هي الترجمة الوافية لجهاد هذا الشعب البطل، المجاهد في غير توان، وماذا تقول في شعب يقدم أبناؤه على القذائف النارية ذات الرصاص المبيد ليهاجم الدبابات بالهراوات والعصي، وهي جلّ ما في أيدي العامة من الفقراء الجوعى، ولكنهم بحماستهم الملتهبة صناديد بواسل يبذلون الدماء في حومة الاستشهاد دون نكوص أو توان.

لقد قدم الشرقاوي صفحة شهية من كتب التراث القريب حين كتب الأجزاء الثلاثة عن الجبرتي؛ وكنت أتمنى أن ينهض باحث منصف يفعل بكتاب (بدائع الزهور في أحوال الدهور) لابن إياس ما فعله الشرقاوي بالجبرتي، لأن أوائل العصر العثماني في عهد ابن إياس قد سيء فهمها تماما؛ ومع ما تضمنت من الغبن الفادح للشعب قد وجد بها علماء مخلصون قاوموا الطغيان. كما قاوم علماء الأزهر طغيان الطغاة في عهدي الحملة ومحمد علي. وقد يجيء في المستقبل من يفعل ذلك، ولكن أين من له قدرة محمود الشرقاوي في البحث والتعليل؟!

ولا ينبغي أن يتحدث باحث عن الشرقاوي ويترك الحديث عن مؤلفه الممتاز حقا «تقويم الفكر الديني» إذ هو في لبابه خلاصة صادقة لآراء الشرقاوي على مدى عمره منذ الصبا اليافع إلى الكهولة الهادئة. فقد استطاع أن يبلور آراءه المتناثرة عبر الزمن الماضي في صفحات مركزة نيرة تحدثت في الفصل الأول عن الدولة العثمانية

وعن المذهبية والتقليد ثم عن الجمود والتقليد فى أحكام هذه المذاهب، كما تحدث فى الفصل الثانى وهو كسابقه طويل مديد عن الشريعة والناس وعن التطور وروح التشريع ثم عن الاجتهاد وهو الهدف الأصيل الذى اتجه إليه الكتاب بحيث يعد محورا تدور عليه سائر الأبحاث. أما البحوث الأخيرة فأمثلة تطبيقية من الشريعة الإسلامية تتحدث عن قضايا معاصرة هامة، تتضمن فقه الشريعة وأمثلة من اجتهادات عمر، وجاء الباب التالى ليتحدث عن المرأة والأسرة، وهو حديث يحمل روح العصر من حيث الانفتاح على مسائل جديدة فى تصورها المعاصر مثل: الطلاق وتحديد النسل وترجمة القرآن وهى مسائل لم تنهض بقضايا الفقه المحدودة وحدها بل امتدت إلى نواح هامة مثل المسلمون فى قبرص، والقضاء فى أمريكا، والتفرقة القضائية وعواقبها فى فرض النفقة الزوجية. أما الموضوع الأخير وهو محنة العقيدة، فقد كان صادقا، صادقا لأنه عرض الواقع الممتد من أغوار الماضى حتى إلى شجون العصر الحاضر، متحدثا عن علاقة الإسلام بالعقل والتطور، وعن الأسباب والنتائج مع أمثلة سافرة من الحياة الواقعية تبسط المشكلة وتدلى بالحل الصريح.

ولم يك قاسيا حين تحدث عن جمود من اقتصروا فى تبويب فصول الفقه على المنهج المتوارث من عهدى المماليك والعثمانيين، فلم يخالفوا منهج الشروح والحواشى والتقارير ولم يذكر الأسماء مع اشتهارها لأنه لا يريد التنديد بل يريد الإصلاح كما تابع التطور التأليفى الحديث من لدى الأحكام العدلية إلى جهود قدرى باشا البناءة، وليته امتد فى الحديث عن نوبار باشا ودعوته إلى التقنين الأوروبى فى التشريع مما يجافى روح التشريع الإسلامى؛ لأن إصرار هذا الأجنبى الدخيل على تنحية الشريعة الإسلامية هو الذى دفع الأزهر إلى المعارضة، وقد بدت هذه المعارضة وكأنها جمود مستحكم ولكنها فى الواقع دعوة إلى محاربة الدخلاء ممن يتحكمون بمراكزهم السياسة فى شئون المسلمين، وإسماعيل فى انبهاره بالمدنية الأوروبية قد أغفل روح الأمة المذعنة إلى أحكام الإسلام عن حب واعتقاد! فللعلماء عذرهم الواضح، ولنوبار تجنيه الفاضح دون مساءلة أو محاباة، والفكرة العامة لكتاب (تقويم الفكر الدينى) هى كما قال المؤلف ص٣٤ أن الدين فى مجتمعنا العربى مقوم من المقومات الأولى لهذا المجتمع، وأساس من الأسس الراسخة التى يقوم عليها بناؤه بل لابد أن يكون الركيزة التى يستند عليها بناء القومية العربية، قال الشرقاوى ذلك فى وقت سيطرت فيه فكرة ساطع الحصرى التى عملت على إزاحة الدين كمقوم أساسى من مقومات الأمة العربية. وباءت بالفشل الذريع رغم ما أحاطها من التهريج والتهويل على أيدى قوم لا يكادون ينتمون للإسلام إلا بأسمائهم فقط، فخابت آمالهم فيما يأفكون.

هذا هو الشرقاوى، كاتب ذو كلمة وباحث ذو رسالة، وأديب ذو وجدان.

(نظرة فلسفية ممتزجة بالوجدان العاطفى)

الأرض

للشاعر العربى الكبير الأستاذ/ فؤاد الخطيب

أيها البرق إن بلغت الشآما — حىَّ عنى قصورها والخياما
أنت نعم الرسول يحمل شجوى — حين لا يأمن الأنام الأناما
نفخت فيك آية العلم روحا — علمتك البيان والإلهاما
وأفاضت عليك سحراً حلالا — كان فى الغابرين سحراً حراما
تركب السلك تارة، وأوانا — تطأ الريح واثبا والغماما
قل لمن يوجف الركاب خفافا — ولمن ناء بالخطوب جساما:
ويح أمسى إن كنت أهبط رمسى — نازح الدار، موجعاً، مستهاما
يوم يرمى القضاء بالنفس رميا — مثلما الأرض تجذب الأجساما

***

كرة تنهب الفضاء وتطوى — فى مداه القرون والأعواما
تترامى والشمس دون مناها — دوراناً من حولها وهياما
كفراش يحوم حول لهيب — أجل ساقه إليه فحاما

***

ذات وجهين يشهدان عليها ... كل يوم: نهارها والظلاما

فهي من جانب تكون ضياء ... وهي من جانب تكون قتاما

كوجوه المنافقين وأشقى ... من جوار المنافقين مقاما

***

نسجت من غلائل النبت برداً ... واستعارت من السحاب لثاما

وتراءت في ظاهر مطمئن ... تحته النار تستشيط ضراما

كبنيها أو أن حقد بنيها ... فوق ما أضمرت جوى وانتقاما

***

تنفث الغيظ مارجا ودخانا ... فتشق الوهاد والآكاما

وتبث الذي انطوى من لظاها ... سحبا ثرة وسيلا ركاما

ضج منها صعيدها، وقديما ... خددته السيول عاما فعاما

كخدود الباكين سح عليها ... مهرق الدمع صيبا وسجاما

***

ولكم سدد القضاء إليها ... من خلال المذنبات سهاما

نذر كل قترة، وعظات ... أذن الله أن تمر لماما

***

إيه يا أرض يوم كنت خلاء ... هل أحس الحطام فيك الحطاما

فتململت وحشة وانفرادا ... وتغلغلت في الوجود اقتحاما

فتمخضت بالزواحف لهوا ... لك تنساب في العراء سواما

طلعة غثة، وجسم دميم ... يصف القبح هامة وسناما

كخطوط الوليد أول عهد ... عرف الخط فيه والأقلاما

ضحكة منك مثلت فتجلت ... حيوانا مشوها مستضاما

نشأت ثم أعقبت ثم بادت ... وقطعت الصلات والأرحاما

وولدت الأنام بعد ليال ... ثقلت وطأة وشطت مراما

جئت سقطا بهم وطال عليهم ... أمد ينشدون فيه التماما

أقضاء ولدتهم واضطراراً ... بعد لأي، أم شهوة ووحاما

لست أدري وليتني كنت أدري ... كيف ذقت المخاض والآلاما

وشهدت الحياة كيف استهلت ... فيك واستقبلت عليك زحاما

كفروع الغضى التقت ثم شبت ... فغدا بعضها لبعض طعاما

***

فسل الحي: كيف يطمع منها ... بسلام، وأين يبغي السلاما؟

راض هوج الرياح حتى امتطاها ... ذللا أسلست إليه الزماما

واستباح البحار فوق جوار ... منشآت تطاول الأعلاما

خضع العلم في يديه ولكن ... مسخ العلم فتنة وأثاما

***

فانفري ما استطعت أيتها الأر ... ض فهيهات ترغمين النظاما

فانقصي منه ذرة أو فزيدي ... وانظري كيف ينسف الأجراما

تمسك بالوجود علوا وسفلا ... قدرة الله سخرته خطاما

كنت بالأمس شعلة أو سديما ... فاحذري البدء أن يكون ختاما

***

قراءة في كتاب

٣

للأستاذ / عادل خفاجة

استئجار الظئر

عمر رضي الله عنه من الفقهاء المعدودين في الاجتهاد وله في الرضاع اجتهادات صائبة ودقيقة فكان يرى رضي الله عنه أن الرضاع المحرم هو ما كان في الحولين وما تعدى الحولين فليس من الرضاع المحرم.

وهو رضي الله عنه من الذين يرون جواز الإجارة على الرضاع.

ونذكر من الآثار الواردة عنه رضي الله عنه:

١ـ عن سعيد بن المسيب: إن عمر جبر عصبة صبي أن ينفقوا عليه، الرجال دون النساء[1].

٢ـ عن ابن المسيب: «إن عمر بن الخطاب جبر رجلا على رضاع ابن أخيه»[2].

٣ـ عن الزهري: «أن عمر بن الخطاب أغرم ثلاثة كلهم يرث الصبي أجر رضاعه»[3].

وبعد استعراض أقوال الفقهاء وأدلتهم ومناقشتها خلص المؤلف إلي ترجيح: «أن نفقة الرضاع واجبة علي الورثة كما ألزمهم عمر رضي الله عنه، وأن أجرة الظئر ـ وهي المرأة المرضعة غير ولدها ـ جائزة بنص الكتاب وفعل أصحاب الرسول ﷺ ومنهم عمر رضي الله عنه، وأن المرأة لا تجبر على الإرضاع لابنها بدون مقابل، والوارث في حالة الغنم بالغرم، فكما أنه يستفيد بالميراث يفيد بالإنفاق على الرضاع.

المزارعة بجزء معلوم يجعل للعامل من الزرع

وعمر رضي الله عنه ممن يري جواز المزارعة بجزء معلوم يجعل للعامل من الزرع وقد عمل بذلك في أرض خيبر وكذلك في الأرض الخراجية وكذلك في أرض أسيد بن الحضير رضي الله عنه وهذا يحقق مصلحة للطرفين فصاحب الأرض قد لا يستطيع العمل فيها إما لضعفه أو لانشغاله وكذلك فإن هنالك من لديه الخبرة والمعرفة بالزراعة والقدرة الجسدية على العمل ولكنه لا يملك الأرض وبذلك إذا أتيحت له الفرصة للعمل فإنه سيحقق الربح والفائدة المشتركة لطرفي العقد حسبما يتفقان عليه.

قدم المؤلف عددا من الآثار الواردة عن عمر رضي الله عنه نذكر منها ما أورده البخاري قال: «وعامل عمر الناس على إن جاء عمر بالبذر من عنده فله الشطر وإن جاءوا بالبذر فلهم كذا»[4].

وبعد أن عرض المؤلف أقوال الفقهاء وأدلة القائلين بالجواز وأدلة القائلين بالمنع خلص إلي أن: المزارعة بثلث الزرع أو ربعه أو غير ذلك من الأجزاء الشائعة جائز بسنة رسول الله ﷺ وعمل الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة والتابعين وهو قول محققي الفقهاء.

والصحيح الذي عليه فقهاء الحديث أن المزارعة جائزة سواء كان البذر من المالك أو من العامل أو منهما وسواء كانت أرضا بيضاء أو ذات شجر وكذلك المساقاة على جميع الأشجار ومن منع ذلك ظن أنه إجارة بعوض مجهول وليس كذلك بل هو مشاركة كالمضاربة، والمضاربة على وفق القياس لا على خلافه من جنس المشاركات.

يقول الدكتور محمد سلام مدكور: والذى نراه أن إجارة الأرض بالنقد أو المزارعة جائز كما قال جمهور الفقهاء والأخذ بما قاله ابن حزم يقيد الملاك في مثل عصورنا وإذا أخذنا بوجهة ابن حزم في إباحة المزارعة تحقق بها نفع كبير للملاك في هذا العصر.

حكم مشاركة اليهودي والنصراني

الإسلام دين التسامح والعدالة فقد سمح المسلمون لسكان البلاد التي فتحوها بالبقاء ببلادهم التي تحولت بحكم الفتح إلي دار الإسلام ومكنوا من حق العمل في الفلاحة والصناعة والتجارة ومنحهم الإسلام - بموجب عهد الذمة إذا أدوا الجزية - الحماية والمعاملة الحسنة وقد ما

---

(١)، (٢)، (٣) رواه البيهقي في معرفة السنن والآثار، كتاب النفقات.

(٤) صحيح البخاري.

(٥) سنن أبي داود.

أوصى الرسول ﷺ: الخلفاء الراشدين بهم خيراً بل إن الرسول ﷺ قال «من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه»[٥].

وكان فيما تكلم به عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه عند وفاته: «أوصي الخليفة من بعدي بذمة رسول الله ﷺ أن يوفي لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا فوق طاقتهم».

من أجل ذلك خصص المؤلف الفصل الخامس من هذا الباب لعقد الشراكة وبه هذا المبحث عن حكم مشاركة اليهودي والنصراني فيذكر من الآثار التي وردت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما رواه سويد بن غفلة أن بلالاً قال لعمر: إن عمالك يأخذون الخمر والخنازير في الخراج فقال: لا تأخذوها منهم، ولكن ولوهم بيعها وخذوا أنتم الثمن»[٦].

ثم يعرض أقوال الفقهاء ويذهب في ترجيحه إلى ما قاله ابن حزم أن: مشاركة المسلم للذمي جائزة ولا يحل للذمي من البيع والتصرف إلا ما يحل للمسلم لأنه لم يأت قرآن ولا سنة بالمنع من ذلك وقد عامل رسول الله ﷺ أهل خيبر وهم يهود بنصف ما يخرج من الأرض على أن يعملوها بأنفسهم فهذه شركة في الثمن والزرع والغرس وقد ابتاع رسول الله ﷺ طعاما من يهودي بالمدينة ورهنه درعه فمات عليه الصلاة والسلام وهي رهن عنده فهذه تجارة اليهود جائزة ومعاملتهم جائزة ومن خالف هذا فلا برهان له»[٧].

اجتهادات عمر فى التبرعات

الهبة فيها دلالة على النفوس الطيبة الكريمة المبتعدة عن الشح

﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾

(الحشر: ٩)

وكان الفاروق رضى الله عنه من الأئمة المجتهدين والفقهاء الملهمين وكان له اجتهادات فقهية فى هذا الشأن.

ومن الآثار الواردة عنه رضى الله عنه وأرضاه قوله:

«من وهب هبة أراد بها الثواب فهو على هبته يرجع فيها إذا لم يرض منها».

ويخلص المؤلف فى هذا المبحث إلى أنه: «ان اشترط فى الهبة ثوابا معلوما صح، لأنه تمليك بعوض معلوم، فهذا كالبيع لقول عمر رضى الله عنه وموافقة الإمامين مالك وأحمد له رضى الله عنهم أجمعين.

الوقف

إن ما تتميز به الأمة الإسلامية عمل الخير فهى خير أمة أخرجت للناس ومن السمات الطيبة للأمة الإسلامية الأوقاف يقول الإمام الشافعى رحمه الله:

(٦) أبو عبيد فى الأموال.

(٧) ابن حزم فى المحلى ٨/ ٢٦٢

«ولم يحبس أهل الجاهلية -فيما علمته- دارا ولا أرضا تبررا وتقربا إلى الله بحبسها وإنما حبس أهل الإسلام». ذلك أنها ثمرة دائمة وخير مستمر يبقى ما بقى الوقف وهو ما يمثل شريانا اقتصاديا متدفقا يضخ الخير للفئات الموقوفة عليهم سواء كان وقفا خيريا أو وقفا ذريا وعادة ما تكون الأوقاف الخيرية لفئات لها الحاجة الماسة لما يصون وجوههم عن الكفاف وأيديهم عن السؤال كالفقراء والمساكين أو لفئات حاجتها للمال ملحة وإن كانت وقتية كالضيوف والمسافرين. أو لفئات تحتاج من ينفق عليها لتقوم بأعمال جليلة كطلبة العلم أو المجاهدين فى سبيل الله وطرق الخير وسبله واسعة وعديدة فالوقف مؤسسة اقتصادية لها أهميتها الواضحة فى الفقه الإسلامى.

ومع التطور الاقتصادى العالمى والشكل الجديد للنمو الاقتصادى المتسارع فمن الواجب أن تنال الأوقاف فى البلاد الإسلامية اهتماما كبيرا فى الجانب الفقهى المالى الاقتصادى نحو تنمية الأوقاف لتلحق بالنمو الاقتصادى الحديث مما يحافظ على استمرارية العطاء وتدفق الوقف على المصارف التى من أجلها أنشئت، ويصل الأجر والثواب للواقفين وتصل الثمرة إلى الموقوف عليهم.

وعمر رضى الله عنه من فقهاء الأمة المعدودين فى جانب الوقف وذلك لأنه أوقف عقارا خاصا به وأوقف للأمة سواد العراق وكان له فكر متميز ونظرة بعيدة المدى جسدت لنا عقلية اقتصادية متميزة اتضحت عبر الأيام وهذا الباب يتحدث عن المسائل المتعلقة بالوقف من خلال الفقه العمرى الناصع:

ومن المباحث التى عرض لها المؤلف فى هذا الفصل: حكم الوقف فى مرض الموت، فأورد ما احتج به الإمام أحمد رضى الله عنه «أن عمر وصى فكان فى وصيته: «هذا ما أوصى به عبدالله عمر أمير المؤمنين إن حدث به حدث أن ثمغا صدقة».

وبعد مناقشة أدلة الفقهاء قال المؤلف: والذى يتضح والله أعلم من فعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأرضاه أن الوقف فى مرض الموت جائز بل هو من الأعمال التى يتقرب بها إلى الله عز وجل ولكنها تجوز بإجازة الورثة فيما زاد عن الثلث وتنفذ فيما دون ذلك وهذا الذى حدث مع عمر رضى الله عنه وأرضاه ولم ينكر عليه أحد من الصحابة.

اجتهادات عمر فى جوانب أخرى من المعاملات

وفى هذا الباب الأخير يناقش المؤلف عددا من القضايا هى: الشفعة - الصلح - إحياء الموات - اللقطة - اللقيط - الحجر والإفلاس.

واللقطة من الأمور التى عالجها الفقه الإسلامى وسن لها أحكاما ولاشك أنها من الأمور المهمة التى تحدث بشكل دائم فى أوساط المجتمع، والفاروق رضى الله عنه له

في اللقطة فقه منير، فقد ورد أنه رضي الله عنه أتاه رجل وجد جرابا فيه سويق فأمره أن يعرفه ثلاثا، ثم أتاه، فقال: لم يعرفه أحد. فقال عمر: خذه يا غلام! هذا خير من أن تذهب به السباع وتسفيه الرياح».

وبعد أن يستعرض المؤلف أقوال الفقهاء في المسألة يقول: والذي يترجح والله أعلم أن الشيء اليسير ـ الذي لا تنبعث إليه الهمة لا بأس من الانتفاع به وهو مضمون على لاقطه إن طالب به صاحبه.

ويواصل المؤلف استيفاء هذه القضية فيعرض آثارا أخر عن عمر رضي الله عنه فيقول:

١ـ عن سعيد بن المسيب قال: «كتب عمر بن الخطاب إلى عماله قال: لا تضموا الضوال فلقد كانت الإبل تتناتج هملا وترد المياه لا يعرض لها أحد حتى يأتي من يتعرفها فيأخذها حتى إذا كان عثمان: ضمنوها وعرفوها، فإن جاء من يتعرفها وإلا بيعوها وضعوا أثمانها في بيت المال، فإن جاء من يتعرفها فادفعوا إليه الأثمان»[٨].

٢ـ عن سليمان بن يسار: «أن ثابت بن الضحاك كان قد وجد بعيرا فقال له عمر «عرفه» فعرف ذلك ثلاث مرات، ثم جاء إلى عمر فقال: قد شغلني عن صنعتي فقال له عمر: انزع خطامه، ثم أرسله، حيث وجدته». [٩]

٣ـ قال عمر بن الخطاب: «رضي الله عنه وأرضاه:

«من أخذ ضالة فهو ضال». [١٠]

ويستخلص من ذلك أن للفاروق عمر رضي الله عنه في هذه المسألة أقوال عدة ولعل السبب في ذلك أنها على فترات زمنية مختلفة فيروى أنه حينما اتخذ الحمى رضي الله عنه كان يضع الضوال بها حتى يأتي صاحبها وتبقى في الحمى فإذا جاء صاحبها دفعها إليه فكان رضي الله عنه يحفظه لصاحبه وكان يرى رضي الله عنه أن الضالة على من ضمنها أن يقوم بواجب التعريف خير قيام.

وينتهي المؤلف إلى القول: والذي يترجح من خلال الآثار الواردة معنا أن الإنسان ابتداء يجوز له ضم الضالة إذا كان نيته حفظها لصاحبها وكذلك إذا كان هنالك مكان من قبل الإمام مهيأ لهذا الحفظ تسلم له حتى يأتي صاحبها فإذا تعذر حضوره تباع ويودع ثمنها في بيت المال حتى يأتي صاحبها وإن تصرف بها ملتقطها بأن باعها أو ذبحها وجاء صاحبها فهو ضامن لها. والله أعلم.

لقطة الحرم

وعن لقطة الحرم يقول: يجب التفرقة بين اللقطة التي تتم أثناء الحج وغير الحج فاللقطة في الحج يصعب تعريفها من الملتقط الآفاقي لمدة عام إذ كيف يقيم في مكة من أجل هذه اللقطة وتعريفها وإذا كان الملتقط من أهل مكة أو المقيمين بها فإنها ربما ضاعت من آفاقي وبعد سفره إلى بلاده فلا يكون للتعريف فائدة والزوار لا ينقطعون عن مكة المكرمة أبدا طول العام لأداء الصلاة والعمرة. لذا فإنني أرجح عدم جواز التقاط لقطة مكة للتملك وأن تلتقط للحفظ وإن قدر على التعريف فبها ونعمت وإن لم يجد صاحبها تكون وقفا وتصرف لصالح المسلمين كقول ابن حزم.

اللقيط

لقد خلق الله عز وجل ابن آدم وكرمه على كثير ممن خلق وفضله تفضيلا فكان هذا الإنسان خليفة الله في الأرض، وقد أخرج الله هذا الطفل من بطن أمه لا يعلم شيئا وتكفل سبحانه برزقه ورعايته وتهيئة الأسباب التي تكفل رعايته وحفظه ولما كان الإسلام يعالج كل أوجه الخطأ ويعالج نتائجها كان مما يعالجه موضوع اللقطاء، فاللقيط لا ذنب له أن وجد نفسه منبوذا في المجتمع بلا أبوين وعمر رضي الله عنه من الفقهاء الذين كان لهم اجتهادات موفقة في شأن المنبوذ فقد عرض عليه عدة حالات نالت اجتهاده الموفق ورؤيته البصيرة النيرة.

ومن الآثار الواردة عنه رضي الله تعالى عنه ما روى عن سنين أبي جميلة من بني سليم «أنه وجد منبوذا في زمان عمر بن الخطاب فقال: فجئت به إلى عمر بن الخطاب فقال: ما حملك على أخذ هذه النسمة؟ فقال وجدتها ضائعة فأخذتها، فقال له عريفه: يا أمير المؤمنين إنه رجل صالح، قال عمر: أكذلك؟ قال: نعم، فقال عمر بن الخطاب: اذهب فهو حر ولك ولاؤه وعلينا نفقته». [١١]

وبعد أن عرض المؤلف أقوال العلماء في هذه المسألة يذهب إلى ترجيح أن نفقة اللقيط تكون من بيت المال لأن هذا اللقيط لا ذنب له، فبيت مال المسلمين أولى بالإنفاق عليه، وهذا الرأي الذي رآه الفاروق رضي الله عنه وسنه وأقره الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين. وحيث إن الواجب على المسلمين التعاون على البر والتقوى، وأن اللقيط يعتبر يتيما حكما بل إن اليتيم له من الوضع الاجتماعي ما هو أفضل من اللقيط، حيث اجتمعت على اللقيط العوامل المؤدية إلى الضياع، فالواجب أن يتم الإنفاق عليه من بيت المال فإن عدم ما في بيت المال كان الإنفاق عليه فرض كفاية على المسلمين.

وبعد..

فالكتاب يُعد ـ بحق ـ مرجعاً فقهياً متميزاً، لمن أراد أن يُطل على اجتهادات الخليفة الراشد عمر بن الخطاب.

ويتميز الكتاب بسهولة العرض وثبات

---

(٨)، (٩) البيهقي.

(١٠) مالك بن أنس في الموطأ.

(١١) البيهقي في السنن الكبرى ٢٠٢/٦.

المنهج، حيث أدى التماثل الموجود في سبعين مبحثاً إلى حدوث الألفة بين الكتاب وقارئه، فهذه الوتيرة الواحدة التي التزمها المؤلف، والتي جعلته يقدم التعريف اللغوى ثم الآثار الواردة عن الخليفة عمر - رضى الله عنه - ثم فقه هذه الآثار، ثم أقوال الفقهاء، ثم أدلة القائلين بالجواز فأدلة القائلين بالمنع أو الكراهة، ثم يختتم بالترجيح، هذه الوتيرة وهذا النسق الواحد الذى التزمه المؤلف أدى إلى معرفة القارئ بالكتاب فأثمرت هذه المعرفة - بدورها شغفا بقراءة سبعين مبحثا، وطاقة لإنهاء قراءة كتاب بلغت صفحاته سبعمائة وثمانين صفحة.

والكتاب ينطق بالجهد الضخم والعناء الذى تجشمه المؤلف في جمع المادة وتصنيفها ودراستها ثم المفاضلة بين الآراء الواردة في المسألة والوصول إلى ما ارتاحت إليه نفسه ليسجلها في نهاية كل مبحث من مباحث الكتاب السبعين.

ولايقلل أبداً من هذا الجهد الجهيد وذلك البحث الواعي المستفيض أن نسجل أن الكتاب به عدد غير قليل من الأخطاء الطباعية التي لولاها لكان القارئ أسرع إلماماً بما في الكتاب وبخاصة في بعض المواضع التي كانت تستدعي التوقف، ليستبين القارئ وجه الصواب في الكلمة التي وقع فيها ذلك الخطأ.

من هذه الأخطاء ما ورد بهامش ص١٤٦:

«يقول ابن حجر عند شرح حديث: من أشراط الساعة أن تلد الأمة ابنها».

لقد توقفت أمام هذا الهامش وتساءلت وما عساها أن تلد غير ابنها؟ مما دعاني للبحث عن أصل الحديث في البخارى وفي شرحه لابن حجر فوجدت للحديث أكثر من رواية منها: (أن تلد الأمة ربتها)، (أن تلد الأمة ربها)، (سيدها) وجميعها ألفاظ متقاربة المعنى وجميعها يزيل الإبهام الناشئ من الخطأ الطباعي السابق.

ومن هذه الأخطاء أيضا ما ورد بصفحة ٤١٣ حين قال: قال البخارى: «وعامل عمر الناس على أنه إن جاء بالبذر من عنده فله الشرط، وإن جاء والبذر فلهم كذا».

وقد توقفت أمام جملة: «إن جاء بالبذر من عنده» وتساءلت من عند من جاء البذر؟ وأى شرط هذا الذى وجب النص عليه هنا في قوله: «فله الشرط»؟ ووجدت الإجابة بعد الرجوع لصحيح البخارى حيث النص هكذا «وعامل عمر الناس على إن جاء عمر بالبذر من عنده فله الشطر وإن جاءوا بالبذر فلهم كذا».

غير أننا نسجل هنا التزام المؤلف بتخريج كافة الأحاديث الواردة في الكتاب وإثبات أسانيدها في أسلوب مُنظم دقيق.

والكتاب يُعد إضافة طيبة للمكتبة الإسلامية، وجدير بالمعاهد العلمية أن تضيفه إلى مكتباتها لتتيح لطلابها فرصة الاطلاع على تلك الدقائق الفقهية في اجتهادات الفاروق رضي الله عنه.

الأدب مع النفس
التحلى بالصدق والأمانة

٣

لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف
عضو مجمع البحوث الإسلامية

ما أحوج أن يعود المسلمون اليوم إلى تعاليم دينهم فيطبقوها على أنفسهم سلوكا وعملاً لا قولاً وحديثا، وأن يشرحوا آداب الإسلام وأخلاقه، وسمو مبادئه وأحكامه بأن يلتزموا بتنفيذها مع أنفسهم قبل أن يتحدثوا عنها مع غيرهم...

لقد اعتنق الناس في مشارق الأرض ومغاربها، وآمنوا بالإسلام عقيدة وشريعة، ودخلوا فيه - في صدر الإسلام - بسلوك المسلمين وتأدبهم بآدابه...

لقد تحدثنا في مقالات سابقة عن بعض الصفات التي إن وُجدتْ في المسلم كانت علامات مضيئة تؤكد على أدبه مع نفسه... ونستكمل في هذا المقال الحديث عن بعض هذه الصفات التي منها:

التحلى بالصدق

سُئل سيدنا رسول الله ﷺ: «أيكون المؤمن جبانا؟، قال: نعم، قيل له: أيكون المؤمن بخيلاً؟ قال: نعم، قيل له: أيكون المؤمن كذاباً؟ قال: لا..»[1].

هذه الإجابات الجازمة القاطعة من سيدنا رسول الله ﷺ على تلك الأسئلة الصريحة، تنفي الإيمان عن الكذّاب، وتُبعده عن الدين، وذلك لأن الكذب رذيلة من أخسّ الرذائل وأفحشها سوءاً؛ لأنها تنبئ عن تغلغل الفساد والسوء في نفس صاحبها، وعن سلوك يُنشئ الشر في المجتمع إنشاء، ويهدم الفضائل والأخلاق هدماً، ويدفع إلى ارتكاب الإثم والمنكر، ويفقد الثقة في

(1) مالك.

معاملات الناس بعضهم مع بعض...

ومع أن الجُبن والبخل صفتان مذمومتان فى الإسلام، ينفر منهما أصحاب النفوس الكريمة، ويتبرأ منهما أصحاب الهمم العالية... مع ذلك لم يُخرج سيدنا رسول الله ﷺ مَنْ يتصف بهما، أو بإحداهما، من دائرة الإيمان، وإنما أخرج الكذَّاب..

وهذا لا يعنى أبداً تهوين الجُبْن، أو تسويغ البُخل، كيف ذلك؟. ومَنْع الزكاة وترك الجهاد بابان إلى الكفر!!.. وإنما القصد تجسيم جريمة الكذب، وبيان ضررها على الناس وعلى المجتمع، كما قال سيدنا رسول الله ﷺ: «يُطْبَع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب»(٢).

ويقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾

(سورة النحل: ١٠٥)

أى: إن افتراء الكذب واختلاقه واختراعه لا يصدر عن المؤمنين وفى ذلك دلالة على أن الكذب من أكبر الكبائر وأفحش الفواحش.. وكلما اتسع نطاق الضرر على الناس وعلى المجتمع إثر كذبة يشيعها أفاك أثيم، ويعلنها كذاب أشر، كان الوزر عندالله أعظم، والعقاب عند الله أشد - كما قال سيدنا رسول الله ﷺ - لاتساع نطاق ضرر كذبهم، وسوء عاقبة فعلهم، وعمق الجراح وشدة الأذى الذى يلحق بالمتضررين من هذا الكذب... وفى الحديث الشريف: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: الشيخ الزانى، والإمام الكذاب، والعائل المزهو»(٣).. فقد حرَّم رسول الله ﷺ الجنة على الإمام الكذاب أيًا كان موقعه.

ومن هذا القبيل كان كذب الحكام على الشعوب، وكذب أدعياء العلم على دين الله، ونسبتهم أشياء إلى الدين ليست منه، وكتمانهم شهادة الحق..

وقد حرص الإسلام على أن يبنى المجتمع الإسلامى على أسس سليمة، وعلى مبادئ واضحة قويمة، وعلى أخلاق فاضلة، وعلى علاقات بين الناس واضحة جلية، مبنية على الصدق، قائمة على الحق، لذلك طلب الإسلام من الناس أن يبنوا حياتهم على الحق، فلا يقولوا إلا حقًا، ولا يعملوا إلا حقًا، ولا يشهدوا إلا حقًا...

ومن هنا كان الاستمساك بالصدق فى كل شأن من شئون الحياة، وتحريه فى كل قول أو عمل فى المعاملات بين الناس، والحرص عليه فى كل حكم... دعامة قوية فى خلق المسلم، وصفة ثابتة فى سلوكه، ومبادئ مهيمنة على كل تصرفاته، وعلامة مضيئة تؤكد على أدب الإنسان مع نفسه..

ولذلك عزَّ المجتمع الإسلامى فى صدر الإسلام، وعاش أفراده فى أمن وأمان، واستقرت حياتهم فى مودة وحب، وصلة

(٢) أحمد.

(٣) مالك.

وإخاء، وأمن ورخاء؛ لأنهم كانوا يستظلون بمظلة الحق، ويشهدون بالصدق، فإذا أساء أحد السيرة، وانحرف عن الجادة، وحاول أن ينفرد بمسلك خاطئ بعيد عن الحق والصدق والصواب، بدا بعمله هذا كالأجرب بين الأصحاء، فلا يطيب له مُقام بينهم حتى يبرأ من علَّته، ويشفى من مرضه..

ولأجل تربية النشء على رفض الكذب، وتقبيح الاتصاف به، نجد أن الإسلام يُوصى بأن تُغرس فضيلة الصدق فى نفوس الأطفال حتى يشبوا عليها، وقد ألفوها فى أقوالهم كلها، فعن عبدالله بن عامر ـ رضى الله عنهما ـ قال: «دعتنى أمى يومًا ورسول الله ﷺ فى بيتنا، فقالت: تعال أُعطك. فقال لها ﷺ: «وما أردت أن تعطيه»..؟ قالت: أردت أن أعطيه تمرًا، فقال لها: أما إنك لو لم تُعطه شيئًا كُتبتْ عليك كذبة»(٤).. وعن أبى هُريرة ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قال لصبى تعال، هاك... ثم لم يُعطه فهى كذبة»(٥).

فانظر كيف يُعلم الرسول ﷺ الأمهات والآباء أن يُنشئوا أولادهم تنشئة يُقدسون فيها الصدق، ويتنزهون عن الكذب، ولو أنه ﷺ تجاوز عن هذه الأمور، وحسبها من التوافه الهيِّنة لخشى أن يكبر الأطفال وهم يعتبرون الكذب ذنبا صغيرا هيِّنًا مع أنه عند الله عظيم.

وهكذا نرى الإسلام يبنى المجتمع الإسلامى على أقوى القواعد، وعلى أمتن الأسس، وعلى أشرف المبادئ، وعلى أنبل الخصال.

فلا عجب إذن أن يكون من الأدب مع النفس أن يتحلى الإنسان بالصدق..

التحلى بالأمانة

جاء الإسلام بأركانه وفرائضه، وأحكامه وتعاليمه، وأخلاقه وفضائله، وتوجيهاته وإرشاده، ليجعل من المسلم صاحب ضمير حى يقظ، يراقب الله فى كل حركاته وسكناته، وأفعاله وأقواله، وسلوكه وتصرفاته... وبذلك تُصان حقوق الله وحقوق الناس، ويكون ضمير المسلم حارسًا أمينًا عليه، يحميه من التفريط والإهمال، ومن التجاوز فى الأفعال والأقوال..

ومن أجل تحقيق هذه الغايات والأهداف أوجب الإسلام أن يكون المسلم أمينًا.

يقول أستاذنا الشيخ محمد الغزالى ـ رحمه الله ـ:

«والأمانة(٦) فى نظر الشارع واسعة الدلالة، وهى ترمز إلى معان شتى، مناطها جميعًا شعور المرء بتبعته فى كل أمر يوكل إليه، وإدراكه الجازم بأنه مسئول عنه أمام

(٤) مسلم.

(٥) أحمد.

(٦) كتاب «خلق المسلم».

ربه، على النحو الذى فصّله الحديث الكريم: «كلكم راعٍ، وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راعٍ ومسئول عن رعيته، والرجلُ راعٍ فى أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة فى بيت زوجها راعية وهى مسئولة عن رعيتها، والخادم فى مال سيده راعٍ وهو مسئول عن رعيته»(٧).. قال ابن عمر ـ راوى الحديث ـ: سمعت هؤلاء من النبى ﷺ، وأحسبه قال: «الرجل فى مال أبيه راعٍ ومسئول عن رعيته».

والعوام يقصرُون الأمانة فى أضيق معانيها وآخرها ترتيبا، وهو حفظ الودائع، مع أن حقيقتها فى دين الله أضخم وأثقل..

إنها الفريضة التى يتواصى المسلمون برعايتها ويستعينون بالله على حفظها، حتى إنه عندما يكون أحدهم على أهبة سفر، يقول له أخوه: «استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك»(٨).. وعن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال: «ما خطبنا رسول الله ﷺ إلا قال: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»(٩).

ولما كانت السعادة القصوى أن يوقى الإنسان شقاء العيش فى الدنيا وسوء المنقلب فى الآخرة، فإن رسول الله ﷺ جمع فى استعاذته بين الحالين معا؛ إذ قال: «اللهم إنى أعوذُ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، وأعوذُ بك من الخيانة فإنها بئس البطانة»(١٠).. فالجوع ضياع الدنيا، والخيانة ضياع الدين!!.. وكان رسول الله ﷺ فى حياته الأولى قبل البعثة وبعدها مشهوراً بين قومه بأنه: (الصادق الأمين).


الغزالى

وباب الأمانة واسع، والمجالات التى تدخل فيها الأمانة كثيرة ومتعددة، منها: الدين، والأعراض، والأموال، والأجسام، والأرواح، والمعارف، والعلوم، والولاية، والوصاية، والشهادة، والقضاء، والكتابة، ونقل الأحاديث، والأسرار، والرسالات، والسمع، والبصر، وسائر الحواس، والعلاقات الزوجية... ولكل مجال من هذه المجالات شرح وتوضيح يناسبه..

وأشير إلى مجال مهم من مجالات الأمانة ـ أهمله كثير من الحكام، ومن بيدهم الأمر والنفوذ والسلطان ـ ألا وهو ضرورة الالتزام التام بدقة المعايير، ومطابقة الشروط ومراعاة الصالح العام عند اختيار الأشخاص الذين تُسند إليهم مناصب عامة فى الدولة.. فيتحتم عند اختيارهم الآتى: أن تُنحى الأهواء الشخصية، وأن تُستبعد المجاملات الاجتماعية، وأن تُجنّب الميول إلى ذوى القربى، وأن تُغلق أبواب الرشوة والمحسوبية، وأن تُقطع دابر الشفاعات المغرضة... فلا

(٧) البخارى. (٨) الترمذى.
(٩) أحمد. (١٠) أبو داود.

يختار لشغل المكان إلا الشخص المناسب له، الجدير بملئه، الكفء فى إدارته، الملتزم بمراعاة أداء الأمانة فيه...

فما أضاع الدول، ولا قضى على الأمم، ولا عانت الشعوب من القهر والاستبداد، ومن الظلم والطغيان، ومن الفقر والحرمان، إلا عندما طبق الحكام عند اختيار الأشخاص الذين يتولون المناصب العامة قاعدة «أهل الثقة مُقدّمون على أهل الخبرة، وأهل القرابة والعصبية القبلية مُقدّمون على أهل الحق والمصلحة العامة»، فأسندوا المناصب إلى الجهلاء أهل الثقة من الأقارب والأصدقاء، ومن الطفيليين والمرتشين، ومن المنتمين إلى كوادر أحزابهم السياسية.. وتركوا الأكفاء أهل المعرفة والخبرة، والحنكة والدراية، الذين يرعون الأمانة، ويخشون الله فى دينهم ودنياهم، ويراقبون الله فى كل أقوالهم وأفعالهم وتصرفاتهم...

واعتبار الولايات والمناصب العامة أمانات مسئولة، يُسأل عنها الحكام أمام الله، ثابت ومعلوم من الدين بالضرورة، «فالإمام راعٍ ومسئول عن رعيته»، فعن أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ قال: قلت: يا رسول الله، ألا تستعملنى؟.. قال: فضرب بيده على منكبى ثم قال: «يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزى وندامة، إلا مَنْ أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها»(١١).

فظاهر وواضح أن أبا ذر ـ رضى الله عنه ـ لما طلب الولاية لم يره رسول الله ﷺ جلداً ومناسباً لها رغم مكانة أبى ذر وعلمه ومنزلته وقربه من مجالس رسول الله ﷺ ومعنى ذلك أن الأمانة تقتضى أن نصطفى للأعمال ونختار لها أحسن الناس قياماً بها، وأداء بواجبها، فإذا ملنا عنه إلى غيره ـ لهوى أو قرابة أو رشوة أو مجاملة، أو تعصبا لحزب، أو كُرها وبُغضا للأصلح، أو غير ذلك من الأسباب الفاسدة ـ فقد ارتكبنا بتنحية الكفء القادر، وتولية العاجز خيانة فادحة، حسابها وعقابها عند الله عسير...

قال رسول الله ﷺ: «من استعمل رجلاً على عصابة وفيهم مَنْ هو أرضى لله منه، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين»(١٢).

والأمة التى لا أمانة فيها، هى الأمة التى تعبث فيها الشفاعات، والمجاملات، والأهواء بالمصالح المقررة، وتطيش بأقدار الرجال الأكفاء، لتهملهم وتقدم دونهم الجهلاء والمنافقين... وقد أرشدت السُّنة النبوية إلى أن هذا من مظاهر الفساد الذى سوف يقع آخر الزمان، فعن أبى هُريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: بينما النبى ﷺ فى مجلس يحدّث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه قال: أين أراه السائل عن الساعة؟، قال: ها أنا يا رسول الله، قال: فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قال: كيف إضاعتها؟، قال: «إذا وسّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»(١٣). فلا عجب إذن أن يكون من الأدب مع النفس أن يتحلى الإنسان بالأمانة.

(١١) مسلم. (١٢) الحاكم. (١٣) البخارى.

﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾

للأستاذ/صديق بكر عيطة

قال تعالى في سورة «المدثر»:

﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨) فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾

(الآيات ٤٨-٥١)

وردت هذه الآيات المباركات فى سورة «المدثر» لتصور فى سخرية لاذعة حال أولئك الذين سلكوا أنفسهم «فى سقر» بما أتوا من أعمال ذميمة، حتى إنه لم تعد «تنفعهم شفاعة الشافعين» فكان مصيرهم ما كان، ولذلك سبقت هذه الآيات بقوله تعالى على لسانهم حينما سئلوا

﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ﴾

(المدثر: ٤٢ - ٤٧)

ولذلك عقب عليهم الوحى بقوله:

﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾

(المدثر: ٤٨)

الآيات، ثم وصف من حالهم ما هو أشد غرابة مما تقدم، حيث قال:

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾

(المدثر: ٥٢)

دلالة على أنهم بلغوا الغاية القصوى فى التبجح والوقاحة فى مواجهة الدعوة الكريمة، التى ما جاءت إلا من أجلهم، ولتنقذهم من هذا المصير المرعب الذى ينتظرهم.

والمتأمل فى هذه الصورة، يرى مشهدا عجيبا، فيه الكثير من مغريات الضحك الساخر، أو السخرية المضحكة....، حيث يبدو من خلاله هذا الصنف من الناس، وقد انكشف فيه الغطاء عن نفس هباء، هى أو هى من خيط العنكبوت فى مكوناتها التى تميز بها الخير والشر، فلم تعد تملك من موازين العقل والحكمة ما تفرق به بين من يأخذ بحجوزاتها ليمنعها من خطر السقوط فى النار، ومن يدعوها إلى اقتحامها.

والقرآن الكريم - كعادته فى معالجة مثل هذه القضايا - ينحو منحا تصويريا يسلط فيه الضوء على جوانب الدرس المستفاد من هذه الصورة لتكون العبرة أوضح، وأبلغ فى النفوس، التى شاء الله أن يستبقى فيها بقية من الخير، فتغير من سلوكها الشائن، وترشد من خطواتها الطائشة، ومن هنا كانت الروعة كل الروعة، والحكمة كل الحكمة فى هذا التعقيب الباهر على الموقف بأسره:

﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ (٥٤) فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾

(المدثر: ٥٤-٥٥)

﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾

(المدثر: ٥٦)

ولا يزال باب التوبة على مصراعيه..

ولنعد إلى الصورة الحية، التى تحركها الآيات أمام القارئ - أعنى المشاهد - لأولئك النافرين الجاحدين. فها هو ذا «مشهد حمر الوحش وهى مستنفرة تفر فى كل اتجاه حين تسمع زئير الأسد وتخشاه.. «وهو بالطبع» مشهد يعرفه العرب، وهو مشهد عنيف الحركة، مضحك أشد الضحك حين يشبه به الآدميون! حين يخافون! فكيف إذا كانوا إنما ينفرون هذا النفار، الذى يتحولون به من آدميين إلى حمر، لا لأنهم خائفون مهددون، بل لأن مذكرا يذكرهم بربهم ومصيرهم، ويمهد لهم الفرصة ليتقوا ذلك الموقف الزرى المهين، وذلك المصير العصيب الأليم؟!»[1]

وهذا يذكرنا - أيضاً - بمشهد غريب.. عجيب.. مضحك.. لا يملك المرء نفسه - إن هو حاول منعها من الضحك - وهل هناك أعجب وأغرب من حمار، يدعوه صاحبه فى رفق، ومودة ليقدم له «العلف» المفيد، الذى يقوى به على تحمل مشقة العمل، ومجابهة أحماله الكثيرة الثقيلة، فإذا به ينفر و«ينهق» و«يرفس» ويجرى فى سرعة لا يلوى معها على شىء وكأنه أمام أسد هائج ثائر، يوشك أن ينقض عليه ليمزق أوصاله ويلتهمه؟! مشهد نراه قليلا أو كثيراً - ويراه الفلاح فى حقله، ويعيش أحداثه المثيرة، مما يرى معه الرجل وقد امتلأ حتى فاض بالمشاعر القوية المختلطة ما بين غيظ مكبوت، وسخرية لاذعة، وتعجب شديد.. وشعور بالحرج للمصالح المعطلة، ولا يملك إزاء هذا الموقف إلا أن يضحك هازئا من هذا الحمار.. هكذا يبدو هؤلاء الذين نزل القرآن الكريم لهدايتهم ولإنقاذهم من النار، التى يتأجج لهيبها، وتعلو ألسنتها، ويتطاير شررها، وتستعد لاستقبالهم.

«إنها الريشة المبدعة، ترسم هذا المشهد

---

(١) سيد قطب. فى ظلال القرآن.

وتسجله في صلب الكون، تتملاه النفوس فتخجل وتستنكف أن تكون فيه، ويروح النافرون المعرضون أنفسهم يتوارون من الخجل، ويطامنون من الإعراض والنفار مخافة هذا التصوير الحي العتيق»[٣]

لكن ما العوامل التي أدت إلى أن يكون هذا المشهد - على قصر حجمه - قوي التأثير، حافلا بالحركة القوية المثيرة، عميق الدلالة في النفوس، حينما تتملاه؟

أولاً: لفظة «كأن»، التي هي أقوى أدوات التشبيه وأعمقها أثرا في مصداقية الشبه وقوته بين صفات المشبه به وصفات المشبه، وليس ببعيد عنا ما أجابت به ملكة سبأ حينما سألها سليمان عليه السلام: «أهكذا عرشك؟ قالت: كأنه هو»، والواقع أنه لم يكن مجرد شبيه به. وإنما كان هو هو عينه. وفي هذا دلالة قوية على قوة الشبه إذا كانت الأداة «كأن».

وحتى لو لم يكن القارئ يعرف وجه الاستدلال البلاغي على قوة «كأن» في أداة التشبيه في قصة عرش بلقيس، فإن قوة الأداة في منطوقها، توحي بقوة هذا المشهد، وما يعبر عنه من وحدة الصورة بين المتشابهين. فالقارئ حينما يتلو الآية المباركة:

﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴾

بما فيها من تشديد حرف النون في أداة التشبيه، تطفو أمام ناظريه حركة عنيفة لأولئك الذين يفرون أمام النصيحة فرار الحمار، بحركاته السريعة الطائشة، التي لا يستطيع التكهن بها، أو الحد من عنفها وسرعتها أحد..!!

إذن ليس وجه الشبه مجرد تقارب بين طرفي الصورة فقط.. وإنما كل ما تتصف به الحمر المستنفرة، التي تفر أمام الأسد الهائج الثائر، يوصف به هؤلاء: فهم حمقى.. أغبياء.. قلوبهم لا تستقر على حال.. دائمو الفزع.. طائرو اللب.. غافلون عما فيه صالحهم، نافرون منه.. مقبلون - بما فيهم من طيش وخفة - على ما فيه هلاكهم..!!

ثانيا: الإيقاع السريع المستفاد من كل من هذه الكلمات «حمر - مستنفرة - فرت - قسورة» ويزيد المشهد سرعة تتابعها في نسق واحد، يجعل القارئ أمام مشهد حقيقي، لا يكاد النظر يقوى على ملاحقته.

والحق، أن الإيقاع السريع، إنما يلمح في الإطار العام للموقف بأسره، منذ أن سئلوا:

﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴾

(المدثر: ٤٢)

حيث كان جوابهم، وهم يجرون:

﴿ لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴾

(المدثر: ٤٣-٤٧)

حتى التعليق عليهم، وبيان مصيرهم كان بنفس الإيقاع، حتى لا يغيب عن أعينهم أو تغيب عنه أعينهم:

(٣) سيد قطب: في ظلال القرآن.

﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾

(المدثر: ٤٨)

وحتى الجملة التي تلخص جريمتهم كانت بنفس السرعة:

﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾

(المدثر: ٤٩)

ثم يأتي المشهد الذي تنعكس فيه حقيقتهم الضحكة الداعية إلى السخرية المرة من هذه الحمر المستنفرة، التي تفر من قسورة.. مشهد كله سريع: في قصر آياته، وفي ظلال كلماته، مما يجعل القارئ يلهث.. ويلهث.. ويجري.. ولا يملك أن يتوقف عن الجري - أقصد عن القراءة - إلا بعد أن يلم بأطراف الصورة كلها ويخرج بالدرس كاملا غير منقوص.

ثالثا: الاستفهام التعجبي المبطن بالاستنكار:

﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾

(المدثر: ٤٩)

مما يمهد النفس لتتأمل الصورة بكل أبعادها المرئية والنفسية.

وتلك من عظمة القرآن، في معالجة قضايا العقيدة، وحواشيها، حينما تستنبط عبارته من القضية الفكرية المجردة.. صورة حية متحركة من الواقع المعيش، الذي يأخذ بتلابيب النفس، ومجامع القلب، إما لشدة غرابته.. وإما لما يثيره من السخرية والتهكم.. وإما لما يحمل في طياته مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين.. وإما لما فيه من مرعبات وزاجرات.. وغير ذلك مما يخرج بنا عن سواء القصد استعراضه والتمثيل له.. غير أننا نود أن نقول: إن المرء - في قضيتنا هذه - حينما يتأمل هذه الصورة للحمر الوحشية، التي تفر أمام قسورة، مذعورة، بما تنطوي عليه من سخرية شديدة وتهكم لاذع.. ويرى أنها مثل يضرب لمن يفر أمام من يذكره بالله رب العالمين، بما يترتب عليها، أو يترسب في النفس منها. وهو - بعد - لا يزال مالكا لزمام أمره.. إن المرء حينما يتأمل كل ذلك، وهو ذو نفس يقظى وضمير حي.. لحري به أن يفر هو بنفسه حتى لا تصدق عليه.. بعد أن يقوم هو بما نسميه في عصرنا الحديث النقد الذاتي.. والذي فتح الباب أمام النفس لتتأمل هذه الصورة وتبلغ بها ما أرادت من الهداية، إنما هو الاستفهام التعجبي المبطن بالاستنكار في قوله تعالى:

﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾

وهو يقف بالقارئ على أعتاب هذه الصورة الفنية الرائعة

﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾

والنذارة والتذكرة إنما هما أهم أهداف السورة كلها بموضوعاتها المتعددة ومنها هذه اللوحة الفنية. اقرأ قبلها بقليل:

﴿ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴾

وبعدها بقليل:

﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾

(سورة المدثر ٥٤-٥٦)

وهكذا تكون الصورة. قد بلغت الغاية القصوى في القوة والإيحاء والتأثير.

تحريم الإسلام للعنف ضد المرأة

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

عضو مجمع البحوث الإسلامية

أوصى الإسلام برعاية الرجل لزوجته وبين أنها ستار ووقاية له، وهو ستار ووقاية لها، وكان التعبير القرآني أبلغ ما يكون، حيث قال الله -تعالى- عن هذه العلاقة:

﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ ﴾

سورة البقرة «١٨٧»

بين الله -تعالى- الغاية المنشودة من حياة الزوجين، وهي منها السكن والمودة والرحمة بين الزوجين وليس العنف ولا الشقاق فقال الله -تعالى-:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

«سورة الروم «٢١»

أمر الله- سبحانه- بالمعاشرة بالمعروف حيث قال جل شأنه:

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

(النساء: ١٩)

وكان من آخر وصايا رسول الله ﷺ ثلاثة أمور، قال ﷺ: «الصلاة الصلاة، وما ملكت أيمانكم لا تكلفوهم مالا يطيقون، الله الله في النساء، فإنهن عوان في أيديكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله»،[1] ومعنى «عوان»: أسراء. وقد أعطى الرسول ﷺ للرجال القدوة في حسن معاملة النساء، فكان يداعب زوجاته ويلاعبهن تطبيبا لقلوبهن حتى إنه روى أنه ﷺ كان يسابق عائشة في العدو أي الجرى فسبقته يوما وسبقها في بعض الأيام فقال عليه الصلاة والسلام: «هذه بتلك»[2].

وقد قرر الإسلام للمرأة حق الصداق، والعدل، النفقة، وحسن العاشرة، قال ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر»[3] ومعنى قوله «لا يفرك»: لا يبغض ولا يكره.

(١) أخرجه النسائي، وابن ماجه. (٢) أخرجه أبو داود، والنسائي وابن ماجه.

(٣) أخرجه مسلم.

ووضح أن حسن معاملة النساء دلالة خيرية الإنسان وإيمانه، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: «قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخياركم خياركم لنسائهم خلقا»[4] ومما قرره الإسلام من حقوق للمرأة: حق الإعفاف، واستشارتها وأخذ رأيها، والوفاء لها.

فإذا كان الإسلام قد حمى حقوق المرأة على هذا النحو فكيف يتسنى للبعض أن يوجه عنفا وتشددا بأي، وفي العنف ضد المرأة مخالفة صريحة لهذه التوجيهات، ولما كان عليه رسول الله ﷺ.

إن العنف ضد المرأة ليس خلقا إسلاميا بل هو من عادات الجاهلية الأولى، حيث كان من عنفهم ضد المرأة: ظاهرة «وأد البنات» في بعض القبائل، ولما جاء الإسلام حرم ذلك، ونعى على مرتكبيه ظلمهم قال الله تعالى:

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾

«سورة النحل: ٥٨ - ٥٩»

وقال الله تعالى:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾

سورة الإسراء آية «٣١»

وقال الله- سبحانه-:

﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾

سورة التكوير «٨، ٩»

ومن ظواهر العنف ضد المرأة منعها في الجاهلية من الميراث ولم تزل هذه الظاهرة لها رواسبها في بعض البيئات التي تحرم النساء من حقوقهن التي فرضها الله -تعالى- في القرآن الكريم.

- من ظواهر العنف ضد المرأة أيضاً تفضيل بعض الأسر الذكور على الإناث.
- ومن ظواهر العنف ضد المرأة إكراهها على الزواج من إنسان قد لا تكون راغبة فيه ولا موافقة عليه، وقد قرر الإسلام ضرورة أخذ رأيها وموافقتها، وشرع رؤية كل منهما للآخر قبل الزواج.
- ومن ظواهر العنف ضد المرأة الظواهر الخارجة عن تعاليم الإسلام وآدابه، مثل التحرش الجنسي، ومثل الاغتصاب، وهي ظواهر سيئة لا يقرها شرع ولا إنسانية ولا آداب.

مثل هذه الظواهر من الرجال تعتبر عدوانا على كرامة المرأة وحقها في الحياة الآمنة المستقرة.

- إن ظاهرة النشوز كما تكون عند المرأة قد تكون عند الرجل عندما يعرض عن زوجته ويبغضها ويسيء معاملتها وقد وضح القرآن الكريم الحل في مثل هذه

(٤) أخرجه الترمذي.

الحالة حيث قال الله سبحانه:

﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾

(سورة النساء: ١٢٨)

إن القرآن يقرر في مثل هذا الموقف:

﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ﴾

في القسم أو في النفقة مثلاً، فتترك الزوجة له شيئاً رغبة في الاستمرار والبقاء، هذا إذا كانت راضية بذلك، وإلا فعلى الزواج حينئذ أن يوفيها حقها أو يفارقها، ويوضح الله - تعالى - بأن الصلح أفضل وخير من الفرقة.. وهناك جانب آخر أسمى وأرقى وهو الإحسان: «وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً».

● ومن حرص الإسلام على عدم العنف ضد المرأة أنه حتى في حالة النشوز وضع مراحل العلاج بدءاً بالوعظ ثم الهجر، ولا يكون إلا في المضجع ومكان المبيت تمهيداً لعودة المياه والصلح، ثم آخر المراحل الضرب وهو غير شديد ولا مبرح، قال الله تعالى:

﴿ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا (٣٤) وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾

(سورة النساء: ٣٤، ٣٥)

وبين القرآن أن المرحلة الثانية - في الإصلاح - والتي تلي الوعظ هي الهجر في المضجع فقط، وهو هجر يسير، ولا يكون أمام الأبناء حتى لا يتأثروا نفسياً، وإن لم يجد الهجر كانت الخطوة الثالثة وهي الضرب اليسير غير المبرح وليس ضرب عدوان أو تشفٍ، بل ضرب محبة تصحبه عاطفة حميمة ووضحت السنة النبوية ذلك في قول الرسول ﷺ: «ولا يضرب إلا ضرباً غير مبرح ولا يهجرها إلى في المبيت»(٥).

● ومما لا ريب فيه أن المرأة هي الأم والزوجة والبنت والأخت وهي حاضنة الرسل، ولولا المرأة ما كان الرجل ولولا الرجل أيضاً ما كانت المرأة، فهما مكملان لبعضهما، ولا يستغني أحدهما عن الآخر، ومن أجل ذلك كانت توجيهات الإسلام كثيرة في حسن التعامل مع المرأة وفي تحريم العنف معها في أي حال من الأحوال، فهي سكن للرجل وبينهما يجب أن تسود المودة والمحبة لا العنف ولا التشدد.

(٥) أخرجه أبو داود، وابن ماجه.

المودة والمحبة لا العنف ولا التشدد.

وأرى أن مقاومة العنف لا تكون بالقانون وحده فما أيسر أن يفلت الناس من طائلة القانون، ولكن لابد لمناهضة ظاهرة العنف ضد المرأة، من غرس الضمير الديني والوازع الديني الذي يصوغ شخصية الرجل على نحو كريم يحترم فيه المرأة ويصونها، ويعلم أن الله سيحاسبه على ظلمه لها أو عنفه معها، ولا يكون غرس الوازع الديني إلا بالتوعية الصحيحة والمكثفة من المؤسسات الدينية والدراسات الإسلامية في كل مجال من المجالات. وبيان أهمية العلاقات الزوجية والحفاظ على ما بين الزوجين من عهد وارتباط وميثاق وصفه الله - تعالى - بأنه ميثاق غليظ، فلا يصح التهاون فيه بحال من الأحوال، والتعبير القرآني يبين أن الله - تعالى - خلق النساء من أنفسنا:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

(الروم: ٢١)

فهي من نفس الرجل، فالزوجان مثل النفس الواحدة، فلا يصح العدوان على الزوجة ولا العنف معها بل لابد من المودة والرحمة.

ومن ظواهر العنف ضد المرأة إضافة إلى ما سبق وضعها في الأعمال الهابطة في المجتمع والتي لا تليق بأنوثتها.

ومنها تحميلها أو تكليفها بالأعمال الشاقة كالعمل الزراعي في الحقول بالريف.

ومنها إكراه المرأة على الحمل المتواصل دون فترة راحة.

ومنها فرض بعض الرجال آراءهم على النساء بالإكراه أياً كان الرأي ولو كان غير صواب.

ومن ظواهر العنف أيضاً: حرمان المرأة من أبنائها عند التنازع والفراق، ومنها إيذاء الأبناء أمامها وبلاشك أنها ظواهر متنافية مع التعاليم الإسلامية.

وإذا كانت أسباب العنف ضد المرأة ترجع إلى عدم الإيمان بالله - سبحانه وتعالى - إيماناً صادقاً صحيحاً وإلى ضعف الوازع الديني، وضعف الثقافة الدينية والأسرية، وإذا كانت ترجع أيضاً تلك الأسباب إلى الظروف الاجتماعية القاسية في بعض الأسر:

● فإن علاجها يتمثل في غرس الوازع الديني وتكثيف التوعية الدينية والأخلاقية وإسهام المجتمع والمسئولين في حل المشكلات الاجتماعية والأسرية التي تنغص على الأسرة حياتها، وفي مراقبة الزوجين معاً لله - تعالى - واتباع التوجيهات الإسلامية التي تدعو إلى بناء أسرة صالحة يصلح بها المجتمع.

منهج الإسلام فى تأسيس الأسرة

للشيخ/ عمر الديب
عضو مجمع البحوث الإسلامية

شدد الإسلام على الالتزام والوفاء بالعقود ومن أهم تلك العقود عقد الزواج وقد أضفى عليه صيغة الميثاق الغليظ فى قوله تعالى:

﴿ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾

(النساء: ٢١)

وجعله أساسا للنسل والذرية بالبنين والأحفاد كما جعله الخلية الأولى التى تتكون منها الأسرة وتتفرع عنها غصون شجرة الإنسانية «شعوبا وقبائل» تتعارف وتتعاون وتكون منها الأمة المثالية الفاضلة التى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتعلى للإنسان مجده وتحقق له معنى الخلافة فى الأرض التى خلق لأجلها وفضل بها على كثير من الخلق.

لقد اهتم الإسلام بجملة من الوسائل التى من شأنها إذا روعيت وحوفظ عليها كانت قوة فى الحياة الزوجية وقوة فى استمرارها ووقايتها من التعرض للتدهور والانحلال والتفكك وكان من هذه الوسائل ما يجب اتخاذه فى الزواج منذ اللحظة الأولى: لحظة التفكير فيه والتوجه إليه والعزم عليه وكان منها ما يجب مراعاته بعد أن يتم عقد الزواج وتسير الحياة الزوجية فى طريقها، ومنها أيضا ما تجب مراعاته حين الشعور بمبدأ الزعزعة والاضطراب فترجع النفوس عن غيها وتقف فى جانب المحافظة ودوام الاتصال بدلا من الاندفاع فى تيار الغضب والانحلال ولهذا كان ما يجب مراعاته من بين تلك الوسائل قبل الإقدام على الزواج:

١- التعرف: يجب أن يتعرف الطرفان كل على الآخر وكلاهما على صاحبه فلا يتركان الأمر للمصادفة الخابطة بل إن الإسلام فى هذه الناحية يوصى باختيار من له دين وخلق فعنه ﷺ أنه قال: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير» ويقول صلوات الله وسلامه عليه أيضا فى بيان أوصاف المرأة تنكح المرأة لأربع «مالها وجمالها ونسبها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك» ويحذر الإسلام أيضا من الاعتماد على مجرد الجمال أو الحسب أو المال ويؤكد أن لصاحب الدين والخلق من دينه وخلقه أقوى مرشد وأهدى سبيل إلى تقدير هذه الرابطة تقديرا يدفع إلى القيام بمقتضاها والمحافظة على حقوقها وقديما قيل: «إذا تزوج الرجل المرأة وقال: أى شىء لها؟ فاعلموا أنه لص أى إذا سأل عن مالها فهو قد جاء ليسرق المال لا ليتزوج بهذه المرأة ومن روائع الهدى النبوى فى هذا المقام ما قاله ﷺ: «من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلا، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقرا ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة، ومن تزوجها لم يرد بها إلا أن يغض بصره ويحصن نفسه بارك الله له فيها وبارك لها فيه» وليس معنى هذا إهمال جانب الجمال، كيف وهو من بواعث الألفة والمحبة وإنما القصد أن الإنسان لا يخضع فى الزواج لمجرد الجمال أو أحد أخويه، المال أو الحسب وإن كان مقترنا بسوء الخلق ولاشك أن سوء الخلق يقضى على كل خير ويبعث الريبة فى كل مظهر وعندئذ لا ينفع مال ولا جمال فى إنشاء هذه الرابطة الشريفة.

٢- الاختيار فإذا تم تعرف أحد الطرفين على صاحبه من هذه الجهات واطمأنت النفوس إلى حسن الأخلاق الذى هو أساس فى حسن المعاملة ونمو الرابطة وازدهارها، فإن الإسلام يوصى بعد ذلك بخطوة ثانية هى خطوة الخطبة أو خطوة الاختيار عن طريق الحواس مشاهدة واستماعا فله أن يرى وجهها ويديها ويستمع حديثها وبهذا الاختيار يتعرف كل من الطرفين ما لصاحبه من المزايا الجسمية والصوتية والفكرية ومن هذا التعرف تنبت الرغبة وتعرف اتجاهات القلوب والأرواح - كما قيل - جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ومن المفيد أن نذكر فى هذا المقام بعض عادات الناس وبخاصة أهل القرى والريف والبادية حيث يرون أن رؤية الخاطب لخطوبته أمر لا يسمح به شرف العائلات ولهذا فهم لا يسمحون إلى التعرف عن طريق الوصف من جاره أو قريبة للمخطوبة أو الخاطب.

ويرى آخرون وهم كثيرون ممن يقلدون الغرب - ويرون فى ذلك عنوانا للحضارة والمدنية - أن سبيل الاختيار: العشرة الطويلة والاختلاط الكثير الذى يسبر به كل من الطرفين غور صاحبه ويعرف كامن أخلاقه وإننا نرى أن كلتا الطريقتين السابقتين بعيدتان عن الصراط السوى لما فيهما من الغلو والإفراط والتفريط فإن فى مفاجأة كل من الزوجين لصاحبه على الطريقة الأولى دون أن يسبق بينهما تعارف ما أو رؤية ما تعريض الحياة الزوجية للانحلال إذا قدر للقلوب أن تتنافر وللضمائر ألا تسكن وإذا كانت هذه الطريقة فيها من الغلظة ما يقضى على الأسرة فى مبدأ أمرها فإن فى

الطريقة الأخرى شرا كبيراً وقد يكون فيما يقرؤه أو تسمعه أو تراه بين اليوم والآخر من حوادث المخطوبين والمخطوبات ـ بعد أن رفعت بينهما الحجب وتمكنا من الخلوة فى الأسفار والمتنزهات ـ ما يغنينا عن التصريح بالآثار السيئة لهذه الطريقة التى كثيرا ما يهدر الشرف والكرامة وكثيرا ما تسبب إعراض الخاطبين عن المخطوبة ولا تجنى المسكينة سوى الحسرة والضياع.

إذن فما السبيل إلى القول الفصل فى اختيار الخاطب مخطوبته؟

نقول: إذ كانت الفضيلة كما يقولون: وسطا بين طرفين هما رزيلة وكان اللبن الخالص السائغ للشاربين يخرج من بين الفرث والدم فإن أعدل الآراء فى الخطبة ومعيار اختيار الخاطب مخطوبته هو ما جاءت به الشريعة الإسلامية وتضمنه إرشاد النبى الكريم لأمته عليه الصلاة والسلام.

وهذا المعيار أن يرى كل منهما صاحبه وأن يستمع إلى حديثه وأنه لا بأس أن يجتمعا ومعهما بعض الأهل والأقارب دون أن تسد منافذ الرؤية ويحكم سدها ودون أن يطلق لهما السراح ويرخى لهما العنان، وقد صح أن المغيرة بن شعبة خطب امرأة فقال له النبى ﷺ: «أنظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما» ومعناه أن تحصل بينكما الموافقة والملاءمة.

والأحاديث التى تبيح للخاطب أن يرى مخطوبته كثيرة فى كتب الصحاح ولعل فيها ما يخفف من غيرة أرباب الغيرة فلا يزجون بفتياتهم فى ظلام قد لا يشرق عليهن نور من أفقه ولعل فيه أيضا ما يخفف من إسراف الآخرين فلا يتركون الحبل على الغارب فتلحقهم نار الخزى والعار.

٣ـ لم تقف الشريعة الإسلامية فى وسائل تكوين الأسرة وبناء الحياة الزوجية السعيدة على التعرف والاختيار السابقين فلم تكتف بهذين السبيلين وإنما أوجبت بعد ذلك: الرضا والاقتناع التام من الطرفين بل وجعلته شرطا فى صحة العقد ولم تقم ـ فى الزواج فى أصح الآراء والمذاهب ـ وزنا لمجرد رضا الولى ولو كان أبا مادام الطرفان أو أحدهما غير راض بقلبه وضميره، إن لم يكن بمنطقه ولسانه، وكما لم تقم الشريعة فى الزواج وزنا لمجرد رأى الولى، ولم تقم فيه وزنا لمجرد رأى المخطوبة وإنما جعلت الأمر شورى بينها وبين ولى أمرها وأمها فأمرت الولى أن يأخذ رأى المخطوبة فى شريك حياتها وأن يأخذ رأى أمها التى هى أدرى الناس بأحوالها وصح فى ذلك كله قول النبى ﷺ: «أيما امرأة تزوجت بغير إذن وليها فزواجها باطل وكررها ثلاثا»، وقوله ﷺ وفى شأن البكر، وقد قيل له: إن البكر تستأمر فتستحى، فتسكت، فقال ﷺ: «سكوتها إذنها» وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: «آمروا النساء فى بناتهن» وبهذا الوضع تحفظ الشريعة للأب سلطته الأبوية وتصون للبنت أدبها مع تمكينها من الإفصاح عن رغبتها وبهذا الوضع لا نرى أبا يستبد بسلطان الأبوة فى تزويج بناته دون تعرف رضاهن ولا رضا أمهن، ولا نرى فتاة تخرج عن سلطان أبيها وأمها وترتبط بزوج لا يعرف أهلها شيئا عنه وكلا الأمرين يؤدى إلى فتن لا تقف عند حد وهذا ما نقرأ عواقبه فى الصحف والمجلات.

٤ـ ومن الوسائل التى اهتم بها الإسلام الكفاءة: فلم تقف شريعة الإسلام على الوسائل السابقة فى بناء الأسرة وهى التعرف والاختيار بجانب الرضا وإنما طلبت شيئا آخر هو فى الكثير الغالب ضمان لقوة الألفة وحسن العشرة ويسر تبادل الرأى والاقتناع والموافقة.

هذا الشىء هو أن يكون الزوج كفئا للزوجة فى الفضائل التى يعتز بها الناس فى حياتهم الاجتماعية وهو شأن فى صالح الزوجة وصالح أسرتها أكثر من أن يكون فى صالح الزوج وأسرته. ولاشك أن انحطاط مكانة الزوج من مكانة الزوجة أو تدنى هذه المكانة يجعلها دائما تنظر إليه بعين الاحتقار وتتلقى فى شأنه من الناس نظرات النقد والتعيير ومن هنا تأبى عليها نفسها أن تخضع لرأيه أو تنزل على مقتضى قوامته وسلطانه.

وهو زوج فى نظر نفسه وله حق الأزواج وذليل فى نظرها فلا تمنحه ذلك الحق فتختلف الحياة وهذا مما يجب التنبه له والاحتراس منه قبل الوقوع فيه وقبل أن يستفحل الخطب ويدخل الزوج على زوجته وعندئذ يفتحون بأيديهم أبواب المحاكم والقضاء.

٥ ـ الصداق أو المهر: فرضت شريعة الإسلام للزوجة منحة تقدير تحفظ عليها حياءها هذه المنحة يقدمها الزوج معبرا عن تقديره إياها وعن رغبته فى إتمام الزواج بها هذه المنحة تعرف باسم المهر وقد حثت الشريعة على يسره وخفته وكان من ذلك: «من بركة المرأة سرعة تزويجها ويسر مهرها» والواقع أن التشديد والمغالاة فى المهور ليس من صالح الفتيات وبخاصة بعد أن تزايدت أعداد العوانس ومن فاتهن قطار الزواج حتى إن الكثيرات منهن يقضين عمرهن دون زواج وفى هذا تعطيل لسنة الله فى خلقه لهن.

هذا ما تراه الشريعة من الوسائل التى يجب مراعاتها قبل الإقدام على عقد الزواج تركيزا على الأسس القوية المتينة حتى تدوم العشرة بين الزوجية وتكتب لهما الحياة الهانئة السعيدة المبنية على المودة والسكن والرحمة.

والله ولى التوفيق.

***

﴿ فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

اطلعنا على الطلب المقدم من/ مجلة الأزهر - المتضمن لبعض الأسئلة وهي:

القنــــــوت

• السؤال من: أ.ن.ى:

هل دعاء القنوت في صلاة الفجر مشروع أم لا؟

•• الجواب: القنوت في صلاة الفجر سنة ماضية قال بها أكثر السلف الصالح من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من علماء الأمصار، وجاء فيه حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ قنت شهراً يدعو عليهم ثم تركه، وأما في الصبح فلم يزل يقنت حتى فارق الدنيا»، وهو حديث صحيح رواه جماعة من الحفاظ وصححوه -كما قال الإمام النووي وغيره- وبه أخذ الشافعية والمالكية في المشهور عنهم؛ فيستحب عندهم القنوت في الفجر مطلقاً، وحملوا ما روي في نسخ القنوت أو النهي عنه على أن المتروك منه هو الدعاء على أقوام بأعيانهم؛ لا مطلق القنوت.

والفريق الآخر من العلماء يرى أن القنوت في صلاة الفجر إنما يكون في النوازل التي تقع بالمسلمين، فإذا لم تكن هناك نازلة تستدعي القنوت فإنه لا يكون حينئذ مشروعاً، وهذا مذهب الحنفية والحنابلة.

فإذا ألمت بالمسلمين نازلة فلاخلاف في مشروعية القنوت في الفجر، وإنما

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

علـــى جمعـــة

مفتي جمهورية مصر العربية

الخلاف في غير الفجر من الصلوات المكتوبة؛ فمن العلماء من رأى الاقتصار في القنوت على صلاة الفجر، كالمالكية، ومنهم من عدى ذلك إلى بقية الصلوات الجهرية، وهم الحنفية، والصحيح عند الشافعية تعميم القنوت حينئذ في جميع الصلوات المكتوبة، ومثلوا النازلة بوباء أو قحط أو مطر يضر بالعمران أو الزرع أو خوف عدو أو أسر عالم.

فالحاصل أن العلماء إنما اختلفوا في مشروعية القنوت في صلاة الفجر في غير النوازل، أما في النوازل فقد اتفق العلماء على مشروعية القنوت واستحبابه في صلاة الفجر واختلفوا في غيرها من الصلوات المكتوبة.

وعليه فإن قنوت صلاة الفجر مشروع في واقع الأمة الحالي؛ بالنظر إلى ما تعيشه من النوازل والنكبات والأوبئة وتداعي الأمم عليها من كل جانب وما يستوجبه ذلك من كثرة الدعاء والتضرع إلى الله تعالى عسى الله أن يرفع أيدي الأمم عنا ويرد علينا أرضنا وأن يقر عين نبيه المصطفى ﷺ بنصر أمته ورد مقدساتها؛ إن قريب مجيب.

هذا إذا أخذنا في الاعتبار تواصل النوازل وعدم محدوديتها، وأما من قال بمحدودية النازلة ووقتها بما لايزيد على شهر أو أربعين يوماً، فالأمر مبني على أن من قنت فقد قلد مذهب أحد الأئمة المجتهدين المتبوعين الذين أُمرنا باتباعهم في قوله تعالى:

﴿ فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل:٤٣)

ومن كان مقلداً لمذهب إمام آخر يرى صوابه في هذه المسألة فلا يحق له الإنكار على من يقنت؛ لأنه لا يُنكر المختلف فيه، ولأنه لا ينقض الاجتهاد بالاجتهاد.

• السؤال من: ش.ج.ق:

ما حكم المواظبة على قراءة سورة السجدة فى فجر الجمعة؟

•• الجواب: قراءة سورتى السجدة والإنسان فى صلاة الفجر يوم الجمعة من السنن التى كان يفعلها النبى ﷺ كما ورد ذلك فى الصحيحين، بل وجاء فى رواية الطبرانى أنه ﷺ كان «يُديم ذلك»، وهذا يدفع اعتراض من ينكر المداومة على ذلك أو من يدّعى أن من السنة ترك السنة؛ فإن هذا كلام غير صحيح على عمومه، ولو فُهم على ظاهره لكان تناقضاً؛ إذ حقيقة المستحب والمندوب والسنة هو ما أمر بفعله أمراً غير جازم؛ فهو مأمور به وليس بمستحب تركُه أصلاً، بل المستحب تركُه إنما هو المكروه الذى نُهى عن فعله نهياً غير جازم، فصار تركه لذلك مستحباً.

وقد كان فعل الصحابة رضى الله عنهم على خلاف هذه المقولة؛ فكانوا يتعاملون مع المستحب والمندوب من سنة النبى ﷺ وكأنه واجب؛ فيداومون على فعله ويتلاومون على تركه؛ حرصا منهم على التأسى بالحبيب ﷺ فى كل صغيرة وكبيرة من أفعاله الشريفة، حتى كان بعضهم يتأسى بأفعاله الجبلية ﷺ. وقد روى ابن أبى شيبة فى «المصنف» عن الشعبى رحمه الله تعالى أنه قال: «ما شهدت ابن عباس قرأ يوم الجمعة إلا بـ (تنزيل) و(هل أتى)».

ولعل مقصود من قال ذلك أن النبى ﷺ كان يترك بعض المستحبات خوفا من أن تفرض على أمته، أو يظن الناس أنها واجب، وأن العالم والمقتدى به قد يفعل ذلك لنفس الغرض؛ وذلك من باب سد الذرائع، كما يقول بعض العلماء من المالكية وغيرهم، والتحقيق أن التوسع فى باب سد الذرائع غير مرضى، وقد يتصور هذا قبل استقرار الأحكام، أما بعد استقرارها وتميز المستحب من الواجب فلا مدخل لهذه المقولة، ولا مجال للأخذ بها، فضلا عن أن هذه السنة بخصوصها ورد عن النبى ﷺ المداومة عليها، ولا يصح أن يُجعل سد الذرائع وأمثال هذه المقولات حاجزاً بين الناس وبين المواظبة على سنة النبى ﷺ، وقد قال أهل العلم: «سنة رسول الله ﷺ أولى بالاتباع على كل حال».

•••

حقوق وواجبات المسلمين فى المجتمعات الغربية

للأستاذ/ عاطف مصطفى

فى إطار موسمها الثقافى نظمت رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع المعهد السويدى بالإسكندرية المؤتمر الدولى عن: «حقوق وواجبات المسلمين فى المجتمعات الغربية»، وذلك يومى ٢٦ و٢٧ أبريل ٢٠١٠م الموافق ١٣-١٤ جمادى الأولى ١٤٣١هـ.

ويهدف المؤتمر إلى التعرف عن قرب على مشكلات المهاجرين المسلمين فى المجتمعات الأوروبية وذلك من خلال مشاركة فئات منهم فى المؤتمر.

وقد تناولت محاور المؤتمر التعرف على نظرة المجتمعات الأوروبية للمسلمين المهاجرين، كما ناقش أيضاً طرح الحلول للمشكلات التى يعانى منها المسلمون داخل الدول الأوروبية من تعليم وزواج. فضلاً عن كيفية الاندماج فى المجتمع الغربى دون الذوبان فيه، وكذلك بحث كيفية جعل المسلمين فى هذه البلاد جسوراً للتواصل والتنمية بين المجتمعات الإسلامية والغربية، وإلى تحويل المسلمين فى الغرب إلى عناصر منتجة ومفيدة، وما هى حقوقهم وواجباتهم، وإلى دور المسلم المقيم فى الغرب من شرح لحقائق الإسلام، وإزالة المفاهيم الخاطئة عنه.

كما ناقش المؤتمر إمكانية معرفة احتياجات المسلمين فى الغرب ومدى إمكانية مساعدتهم وتقديم العون لهم.

وقد شارك فى المؤتمر عدد من رؤساء الجامعات الإسلامية والعلماء إلى جانب عدد من القيادات الشابة المسلمة وغير المسلمة من دول السويد والنرويج والدنمارك.

وفى قاعة الاجتماعات بالمعهد السويدى جاءت الجلسة الافتتاحية والتى بدأتها السيدة سيسيليا سترتامو نائب مدير المعهد السويدى حيث بينت أهمية مثل هذه اللقاءات العلمية، والتى تتيح الكثير من صيغ التعاون ليتحقق

للمسلمين الاندماج فى المجتمعات العربية وتفعيل دورهم فى مجالات العمل، وخلق نوع من التواصل داخل المجتمعات التى يعيشون فيها.

وكانت سيسيليا قد رحبت للوهلة الأولى حينما طرح الدكتور جعفر عبدالسلام فكرة عقد هذا المؤتمر بالمعهد، وقامت الحكومة السويدية بدعم كامل أيضاً للمؤتمر عن المسلمين بمقر المعهد وهى ليست المرة الأولى التى يتم فيها مثل هذا المؤتمر، فقد بدأ التعاون الذى قام به «يان هنتجسون» مدير المعهد السابق مع رابطة الجامعات الإسلامية.

قيم راسخة فى ديننا

ثم ألقى معالى الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركى كلمة ضافية قال فيها: إن موضوع هذا المؤتمر فى غاية الأهمية، لأنه يتعرض لموضوع المساواة وحقوق الإنسان فى الوقت الحاضر، وهذه القضية تمر بامتحان صعب، وهى تتصل بكل تأكيد بالقيم التى تبلورت فى المواثيق الدولية التى هى محل قناعة، وإن كانت فى بعض المجالات قناعات نظرية، لكنها قناعة دولية صدرت فيها مواثيق أقرت من الأمم المتحدة دساتير تعترف بها الدول فى مختلف أنحاء العالم.. المساواة، العدل، الابتعاد عن التمييز لسبب دينى أو عرقى.

ونحن المسلمين نؤكد على هذه القيم الراسخة فى ديننا والراسخة فى حضارتنا.

وقد تعايش المسلمون عبر تاريخهم مع العديد من المجتمعات، سواء أكانت تختلف معهم دينيا أو عرقياً، ليس هناك تمييز بين العرب وغير العرب فى الإسلام.

وإن الأصل فى الإسلام أنه انطلق فى بلاد العرب، ونزل كتابه بلغة العرب، ولكنه رسالة عالمية مفتوحة، ولذلك استوعب الكثير من الثقافات فى مختلف أنحاء العالم.

وأضاف الدكتور التركى: وأيضاً تعايش المسلمون مع غيرهم فى العديد من الدول، وكان هناك التقاء حضارى بين المسلمين وغير المسلمين عبر الأندلس، وعبر المؤسسات العلمية فى بغداد عبر الجهود المتبادلة فى مختلف عواصم العالم.

إن هذه القيم التى تتعرض لامتحان صعب فى الحاضر، تحتاج إلى دراسة وبحث من المتخصصين.

التمييز فى الحقوق

وعما يتعرض له المسلمون فى بعض الدول الأوروبية قال الدكتور التركى: نحن نجد ـ لا نقول فى كل الدول الأوروبية ـ ولكن فى بعض الدول الأوروبية يتعرض بعض المسلمين إلى مضايقات، وإلى تمييز فى الحقوق.

هذه المضايقات وهذا التمييز قائم على تهم افتراضية، وتتخذ تدابير استباقية بالطبع تخالف أصول العدالة، مع أن الإنسان إذا رجع إلى نظم ودساتير وقوانين تلك الدول، يجد أن تلك الدساتير وتلك النظم التى تحكم تلك المجتمعات خالية من إعطاء الانتماء الدينى أو العرقى أى تمييز، لكنها فى الواقع تأتى خاصة فى الفترات الأخيرة ضمن الممارسات التى يجدها الإنسان هناك، وبالطبع فى تلك المضايقات تحدث روح الكراهية والعداء بين المجتمعات.

وأكد الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى قائلا: نحن نعرف أن الذى يزكيها الصورة السلبية فى الذهن الغربى عن الشخصية المسلمة فى وسائل الإعلام، حيث تثار قضايا كثيرة لا أساس لها فى الإسلام، وأن الإسلام يشجع الإرهاب وأنه دين تطرف، وأن الإسلام لا يريد التعارف مع الآخرين، بينما من يدرس الشريعة الإسلامية دراسة حقيقية ينظر إلى القرآن الكريم وهو آخر كتاب نزل من الله على البشر، ينظر للقرآن الكريم وهو رسالة منفتحة، تحث على التعاون الإنسانى وعلى التواصل وعلى التعاون، وحل المشكلات التى تواجه البشرية جمعاء، وليست هذه المشكلات خاصة بالمسلمين فقط.

أصل الرسالات الإلهية واحد

يواصل د.التركى قائلاً: نعم المسلمون لهم دينهم ولهم رسالتهم ويؤمنون بأن هذه الرسالة رسالة إلهية، نزلت من الله وأنها منفتحة للعالم كله، ويؤمنون بأن رسالة الإسلام تتفق مع الرسالات الإلهية السابقة، ويستحيل أن تختلف الديانات الإلهية، لأن مصدرها واحد وهو الله، ونزلت على أنبياء الله ليبلغوا هذه الرسالة للناس.



عبدالله تركى

وقد تختلف الظروف، وقد تختلف الأحكام، وقد تختلف البيئات لكن أصل الرسالات الإلهية جميعاً واحد، وهو أن يعبد البشر خالقهم، ويخلصوا العبادة لله، لأنه هو الذى أوجد هذا الكون وأوجد الإنسان، ومختلف الديانات أو الرسالات الإلهية فيها نصوص واضحة وصريحة فى هذا الأمر.

إذاً لماذا تثار المشكلات ضد الإسلام وضد المسلمين؟

كيفية التعامل مع المسلمين فى الغرب

يجيب الدكتور عبدالله التركى عن السؤال الذى طرحه بقوله:

قد تكون هذه الندوة لا تستوعب البحث فى القضايا الجزئية.. لكن الذى يهمنا أن تسلط هذه الندوة الضوء على مناقشة الإجراءات التى تتخذ فى التعامل

مع الشريحة المسلمة، خاصة فى الدول الغربية، وأن يتأمل الباحثون المردود المتوقع من ذلك وحجم الضرر الذى يقع على تلك الفئات المسلمة، وهل من مصلحة البشرية أن يزكى الصراع بين الحضارات وبين الثقافات؟

.. إن العقلاء يدركون أن مصلحة الإنسانية أن تركز على القواسم المشتركة، وأن تتعاون القواسم المشتركة، والرسالات الإلهية لا يمكن أن تتضارب إطلاقاً.

مآسى المسلمين فى الأندلس

ويتساءل د.عبدالله التركى وهو يستعرض المشكلات التى تواجه المسلمين.. قائلاً: هل من مصلحة البشر أن يستعيدوا المآسى الماضية؟ ماذا حصل للمسلمين فى الأندلس من مآس ونكبات؟

ماذا وقع للمسلمين فى العديد من الأماكن والمجتمعات البشرية فى الماضى وحتى فى الحاضر؟

وهل من المصلحة أن يركز على هذه المآسى، وتبقى أمام الناس ليتعاملوا من خلالها؟

وتجىء إجابته: إن العقلاء يدركون أن المصلحة فى أن ينظر العقلاء من الناس، والحكماء إلى حل هذه المشكلات وإلى التركيز على الجوانب الإيجابية.

إشاعة الصورة السلبية

وأكد د.التركى على ضرورة أن يركز فى هذا المؤتمر على الأسباب التى أسهمت فى إشاعة الصورة السلبية عن المسلم وثقافته الحضارية، وعلاقة ذلك بمن يركز على إزكاء الصراع من أتباع الأديان والحضارات.

مشيراً إلى أننا نعرف أن هناك فلسفة وأن هناك أناساً يتبنون هذه الفكرة، ويقولون إن من مصلحتهم أن يستمر الصراع، لكن الضحية هو الإنسان.. والضحية هى المجتمعات، حيث تصرف الكثير من الجهود والامكانيات المالية والبشرية فى تغذية هذا الصراع وإدارته، بينما الإنسان فى حاجة إلى تعليم، وفى حاجة إلى رعاية، أيضاً فإن البيئة نفسها فى حاجة إلى تعاون لإصلاحها، بدلاً من أن تدمر عبر الحروب وعبر الوسائل الضارة. وبالطبع فنحن فى زمن يفرض علينا التواصل والتعاون، ويختلف عن الأزمنة الماضية، التى فيها حواجز كثيرة، وفواصل منع بين الالتقاء بين هذه الشعوب.

مبادرة خادم الحرمين

وقال د.عبدالله التركى: إننى أؤكد على مبادرة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود فيما يتعلق بالحوار، وإن هدفها الأساسى تقليل الأزمات الإنسانية والتعاون فى

القضايا المشتركة والابتعاد عن الصراع سواء أكان دينياً أم عرقياً.

كما أؤكد أن رابطة العالم الإسلامى وهى منظمة شعبية عالمية إسلامية تمثل الشعوب والأقليات المسلمة، وأيضاً رابطة الجامعات الإسلامية، وهى منظمة تجمع الجامعات الإسلامية، ونحن ندرك أهمية الجامعات وما تقوم به فى المجتمعات.

هاتان الرابطتان تركزان فى مخاطبة الجاليات المسلمة، خاصة فى الغرب على اتخاذ الخطوات القانونية فى المطالبة بأى حق، فنحن ضد العنف وضد التطرف، وضد الإساءة لأى شخص أياً كان ولابد من أن تسلك الوسائل والطرق القانونية للمطالبة بأى حق، كذلك فإن الرابطتين تؤكدان على إقامة علاقات تعاونية مع المجتمعات التى يعيش فيها المسلمون..

ونحن نؤكد على أن المسلم ينبغى أن يكون عنصراً إيجابياً فى مجتمعه، ولذلك لابد أن يتعاون مع المسلمين وغير المسلمين.

لابد أن يتخذ أفضل السبل للتوفيق بين الاندماج الوطنى والمحافظة على الهوية الدينية.

ولا يتعارض انتماء الإنسان إلى وطنه، وتعاونه مع أبناء وطنه، وإسهامه فى تنمية مجتمعه مع محافظته على دينه.

وشدد على أن الدين عقيدة وسلوك يتعامل الإنسان المسلم بموجبه.

كما أكد على ضرورة أن تحافظ المرأة المسلمة فى أى مجتمع من المجتمعات التى تعيش فيها على دينها، وعلى أخلاقها وعلى قيمها، وتؤدى واجبها فى هذا المجتمع.

واختتم كلمته بقوله: أتمنى أن يكون الهدف من إقامة مثل هذا المؤتمر.. إقامة مشروعات وبرامج وخطط مستمرة يستفاد منها على المستوى الأكاديمى فى الجامعات، وعلى المستوى الثقافى فى الثقافة، وعلى المستوى الإعلامى فى وسائل الإعلام، وحتى على المستويات السياسية فالتعاون السياسى فى حاجة إلى أن تذلل العقبات أمامه من خلال الثقافة ومن خلال البحث والندوات.

ومن هنا أدعو أن يحول هذا البرنامج بخطوات عملية فى المستقبل.

***

معالم التلاقى بين علوم اللغـــة العربية والعلوم الإسلامية

متابعة الأستاذ / أحمد رضوان

ـ شهدت مدينة الزقازيق عاصمة محافظة الشرقية على مدى ثلاثة أيام من ٦ـ٨ جمادى الأولى ١٤٣١هـ الموافق ٢٠ـ٢٢ أبريل ٢٠١٠م أعمال المؤتمر العلمى الدولى الثانى بكلية اللغة العربية/ جامعة الأزهر/ فرع الزقازيق، والذى جاء تحت عنوان: «معالم التلاقى بين علوم اللغة العربية والعلوم الإسلامية».

ـ شارك فى المؤتمر علماء مسلمون من جميع بقاع مصر ومن خارج مصر من البلاد الإسلامية ببحوث مهمة وهادفة تربو على الستين بحثاً، نأمل أن تكون ومضات متألقة تنبىء عن الجهود المخلصة التى بذلها السادة الباحثون فى ضوء تنوع الرؤى وتعدد المشارب وجدية التناول ودقة المنهج، وصولاً إلى التكامل المعرفى لفكر أمتنا العربية والإسلامية من خلال التفاعل والتلاقى بين التخصصات المتعددة وكان هذا المؤتمر تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر والسيد اللواء يحيى عبدالمجيد محافظ الشرقية.

ـ وفى الجلسة الافتتاحية للمؤتمر تحدث الأستاذ الدكتور: صابر عبدالدايم ـ رئيس المؤتمر وعميد كلية اللغة العربية ـ بالزقازيق قائلاً: إنه فى ظل تواصل النشاط العلمى والثقافى للكلية وفى ظل التوجه الحضارى لجامعة الأزهر وللأزهر الشريف، وهى أقدم جامعة حملت مشاعل الحضارة وألوية التنوير ـ لابد من عودة اللغة العربية إلى هويتها الأصيلة، وتنوير الشباب إلى ما يهمهم فى دينهم ولغتهم ومستقبلهم.

مشيراً إلى أن كلية اللغة فى ضوء الإيمان برسالة الأزهر الحضارية التى تحلق بجناحين من الأصالة والمعاصرة وتنطلق من آفاق ومعالم القيم الإسلامية المشعة بالتوحيد، والإيمان بأن إتقان العلم وإجادته هو السبيل الأقوى لترسيخ معالم الهوية وتثبيت دعائم الشخصية الإسلامية بكل مقوماتها.



موضحا: أن المحاور الأساسية لآفاق المؤتمر تتضمن أكثر من ثلاثين عنواناً.

وفى كلمته أشار الأستاذ الدكتور: محمد محمود أبوهاشم ـ أمين عام المؤتمر وعميد كلية أصول الدين ـ بالزقازيق ـ إلى موضوع مهم وهو «اللغة العربية فى واقعنا المعاصر» قائلاً: إن هذا المؤتمر جاء فى الوقت المناسب الذى بدأت فيه الثقافات الغربية البعيدة عن هويتنا الثقافية الأصيلة ـ تغزو بلادنا مما ينعكس على أبنائنا الشباب وثقافتهم، فيكون اهتمامهم الأول باللغات الأجنبية، لذا يجب علينا جميعاً أن نهتم بعلوم اللغة العربية وآدابها أولاً، ثم يأت بعد ذلك الاهتمام باللغات الأخرى؛ لأن ذلك الغزو يعد من أساليب الغزو الثقافى الفكرى.

وفى نهاية كلمته توجه إلى الله داعياً أن تعود أمتنا إلى لغة القرآن الكريم ولغة نبينا محمد ﷺ.

الأزهر.. مرجعية الشرع واللغة

كما تحدث الدكتور: محمد بن مريس الحارثي ـ جامعة أم القرى ـ السعودية ـ مقدراً للأزهر الشريف دوره العريق منذ أنشائه بالمرجعية التى أسس الأزهر على أساسها «مرجعية الشرع واللغة العربية» التى نزلت بها آخر رسالة سماوية «القرآن الكريم» على نبينا محمد ﷺ فاللغة العربية هى لغة القرآن الكريم، وعلى أساس هذه المرجعية تستمد منها الأصول الدينية والعربية والفكرية واللغوية، مشيراً إلى أن المعرفة الإسلامية أسست أصولها على معرفة هذا الكون الفسيح.

وأن العربية تستند فى مرتكزاتها على أسس أربعة:

١ـ الأساس الشرعى: تشترك فيه بعض الديانات «المسلمين وغير المسلمين».

٢ـ القومية: وهى دعوة إلى لسان عربى ويشترك فيها العربى المسلم وغير المسلم.

٣ـ الوطنية: وهو مقام تتسع فيه الدائرة إذ ينضم فيه غير العربى.

٤ـ الإنسانية.

فهذه الركائز الأربعة تستوجب العناية بها فى البحوث المستقبلية من علماء الأمة العربية والإسلامية حتى تنهض بلغتنا العربية، فلا نخشى عليها من عولمة ولا من أية دعايات، فلغتنا قوية لا خوف عليها.

وفى كلمته فى افتتاح المؤتمر قال الدكتور/ إسماعيل شاهين ـ نائب رئيس جامعة الأزهر ـ وجه بحرى:ـ

إن اللغة العربية منذ فجر التاريخ هبطت إلى جزيرة العرب، فهى إحدى اللغات السامية ـ نسبة إلى سام بن نوح ـ مع كونها أرقى اللغات فى هذا العصر.

فاللغة العربية لم تندثر، وهى باقية حتى الآن، وظلت منتشرة بين مشارق الأرض ومغاربها، انطلاقاً من كونها لغة القرآن الكريم الذى تعهد الله بحفظه

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

الحجر: ٩

فالواجب علينا الاهتمام بهذه اللغة حتى ننزلها منزلة عالية حتى تكون اللغة العالمية، فهى لغة العرب وغير العرب؛ لأن الإسلام لم يأت لشعب دون آخر، وإنما جاء لكل العالم برسالة سامية دينية عالمية.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾

سبأ: ٢٨

فالقرآن الكريم هو الذى أبقى على اللغة العربية؛ إذ هى اللغة الوحيدة القادرة على تفسير وكشف أسرار كتاب الله ـ تعالى ـ التى لا تنتهى، وهذا هو سر عظمتها، وذلك على عكس اللغات الأجنبية التى تقف عاجزة عند تفسير «القرآن الكريم» فهى لا تملك سوى الترجمة الحرفية التى لا تفيد شيئاً، لذلك علماء الشريعة يقولون:

ينبغى على المسلم أن يتعلم شيئاً من العربية حتى يستطيع أن يؤدى فرائض دينه من صلاة وصيام، وغيرها، فبها تكون العبادات مكتملة بين العبد وربه.

فالعلوم الشرعية فضلاً عن القرآن الكريم هى ضمان البقاء والانتشار للغة العربية حتى الآن.

وفى نهاية كلمته ناشد الدكتور/ إسماعيل شاهين ـ المجامع اللغوية والعلمية بذل المزيد حتى تنهض بلغتنا وأمتنا العربية والإسلامية.

أهداف المؤتمر

ومن أهم وأبرز أهداف المؤتمر:ـ

ـ رصد ملامح التكامل المعرفى لفكر الأمة من خلال التلاقى بين التخصصات المتعددة.

ـ تفنيد مواقف المغرضين الذين يشوهون حقائق التاريخ ويسيئون لرموز الأمة وتراثها وهويتها.

ـ توضيح دور علوم اللغة العربية فى بيان أوجه التلاقى بين الإعجاز العلمى والإعجاز البيانى واللغوى فى القرآن الكريم.

ـ رصد واقع أدب الطفولة فى ظل منهج التربية فى الإسلام، والمناهج التربوية الحديثة.

ـ رصد معالم التلاقى بين الأسس النقدية فى التراث العربى والمذاهب النقدية الحديثة.

ـ رصد معالم التلاقى بين الدراسات اللغوية والعلوم الشرعية.

خمسة محاور

وعلى مدى ثلاثة أيام نوقش أكثر من ستين بحثاً حول خمسة محاور أساسية:

● المحور الأول: وتناول معالم التلاقى بين الدراسات الأدبية والنقدية والعلوم الإسلامية.

وتضمن عدداً كبيراً من البحوث منها:ـ

ـ معالم التلاقى بين الأسس النقدية فى التراث العربى الإسلامى والمذاهب النقدية الحديثة ـ للدكتور داود لطفى حافظ ـ كلية اللغة العربية بأسيوط.

ـ التعريب والترجمة.. مشكلات وحلول ـ للدكتور السيد محمد أحمد الديب ـ كلية اللغة العربية بالزقازيق.

ـ من خصائص قصص القرآن ـ للدكتور عبدالحكيم بن راشد الشبرحى ـ السعودية.

ـ التفكير النقدى عند ابن الأثير فى ضوء النقد الحديث للدكتور تركى المغيض ـ جامعة الكويت.

● المحور الثانى: معالم التلاقى بين البلاغة العربية والدراسات الإسلامية، ومن بين ما تضمنته موضوعاته:ـ

ـ فاعلية التضمين البلاغى فى شعر أبى نواس ـ للدكتور عدنان محمود عبيدات ـ الأردن.

ـ من دلائل الإعجاز فى الذكر الحكيم «الحذف والذكر» فى الدر المصون للسمين الحلبى ـ للدكتور عبدالله محمد سليمان هنداوى وكيل كلية اللغة العربية بالزقازيق.

● المحور الثالث: دراسة معالم التلاقى بين الدراسات النحوية والصرفية والعلوم الإسلامية، ومن أهم موضوعاته التى نوقشت فى المؤتمر:ـ

ـ دور النحو العربى فى تعدد الأحكام الشرعية والقراءات القرآنية ـ للدكتورة رضا حميدة عبدالرحيم.

ـ عناصر السياق والإشارة وأثرها فى الدلالة التركيبية من خلال القرآن الكريم للدكتور بكرى محمد الحاج عميد كلية اللغة العربية ـ

جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان.

● المحور الرابع: فقد تناول «معالم التلاقي بين فقه اللغة والأصوات والعلوم الإسلامية» ومن بين ما تضمنته بحوثه:-

ـ علم الدلالة والمعاني الشرعية ـ للدكتورة زينب أحمد أبو النجا ـ كلية الدراسات الإسلامية والعربية ـ القاهرة.

ـ أثر الدرس اللغوي في فهم النص الشرعي ـ للدكتور محمد مبارك الشاذلي ـ كلية الدراسات الإسلامية والعربية بقنا.

ـ أثر اللغة في استنباط الأحكام الشرعية ـ للدكتور ياسر السيد رياض ـ كلية اللغة العربية بالزقازيق.

● المحور الخامس: دراسة معالم التلاقي بين الدراسات التاريخية والعلوم الإسلامية.. ومن أهم الموضوعات التي تناولته:

ـ القوميات بين الانتماء وتعارض المصالح ـ للدكتور محمد عادل عبدالعزيز.

ـ هجمات المغرضين على الرسول ﷺ والصحابة ـ للدكتور السيد محمد يونس ـ كلية اللغة العربية بالزقازيق.

توصيات المؤتمر

ـ ضرورة قراءة التراث قراءة واعية تكاملية تجمع بين العلوم المتخصصة في ميادين اللغة العربية والعلوم الإسلامية وصولاً إلى تكامل الشخصية الإسلامية فكراً ومنهجاً وسلوكاً.

ـ اهتمام الدارسين في الجامعات العربية والإسلامية بقضية الأدب الإسلامي في ظل التصور الصحيح المنطلق من الرؤية الإسلامية للكون والإنسان والحياة في ضوء التلاقي المعرفي بين فنون اللغة العربية وآدابها والعلوم الإسلامية.

ـ تدريس مادتي البيان القرآني والبيان النبوي في إطار المواد المقررة على طلاب كليات اللغة العربية وكذلك طلاب وطالبات كليات الدراسات الإسلامية والعربية بالجامعة، وذلك أسوة بما هو معمول به في الجامعات العربية.

ـ تفعيل القرارات الجمهورية حيث تنص المادة الثانية من الدستور على: «أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية» وتفعيل المادة القانونية التي توجه الجميع إلى ضرورة الالتزام باللغة العربية الفصحى وحمايتها، وفي كتابة الإعلانات وأسماء الشوارع وواجهات المحلات وكذلك أسماء الشركات والمؤسسات.

ـ مؤازرة الدعوة إلى اتخاذ النصوص القرآنية والحديثية والنصوص الأدبية منهجاً لتعليم القواعد العربية في مراحل التعليم المختلفة، رغبة في تواصل الطالب مع تراث الأمة وربطه بالمفاهيم الإسلامية الصحيحة.

ـ التوسع في إنشاء معاهد ومراكز لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في جميع الدول الإسلامية والإفادة من تجربة الأزهر الشريف «جامعاً وجامعة» في هذا المجال.

ـ التعاون الجاد بين المتخصصين في علوم اللغة العربية بضرورة إجراء اختبار عالمي للغة العربية شبيه باختبار التويفل في اللغة الإنجليزية حرصاً على تجويد مستوى الأداء اللغوي.

ـ ضرورة إجراء اختبار جاد في اللغة العربية نطقاً وكتابة ومحادثة لكل وافد من الدول

الغربية أو الشرقية للعمل في الدول العربية أسوة بما يحدث مع المبعوثين العرب والراغبين في العمل بالدول الأجنبية.

ـ دعوة الباحثين والمهتمين بالعلوم العربية والإسلامية للتصدي العلمي للحملات المغرضة والشبهات المثارة حول القرآن الكريم والسنة النبوية واللغة العربية مع ضرورة ترجمة هذه الجهود إلى اللغات العالمية المعاصرة ونشرها في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة وشبكة الإنترنت.

ـ تفعيل المادة القانونية التي تحظر ازدراء الأديان والإساءة إلى شخصيات الأنبياء والصحابة والرموز الدينية بصفة عامة حرصاً على الوحدة الوطنية والقضاء على الفتنة الطائفية.

ـ العناية بوضع معجم تاريخي للتطور الدلالي للألفاظ العربية عبر العصور المتعددة والبيئات المختلفة مع الاحتفاظ بقواعد اللغة الفصحى ومقاييسها الصحيحة وربط ذلك بمعالم التلاقي بين علوم اللغة العربية والعلوم الإسلامية وتطورها.

ـ الاهتمام بإنشاء مراكز للإبداع وتنمية المهارات اللغوية العربية في جامعة الأزهر والكليات المناظرة لها في الجامعات الأخرى حرصاً على تجويد الأداء اللغوي من خلال تدريب الإعلاميين والدعاة والمدرسين وكل راغب في الاستزادة من علوم اللغة العربية وآدابها.

ـ ضرورة إعادة النظر في المناهج التربوية الحديثة التي تعنى بتعليم الطفل وأدب الطفولة وضرورة تطورها وملاءمتها لمنهج التربية في ضوء المنظور الإسلامي.

ـ ضرورة تحديث علوم اللغة العربية والعلوم الإسلامية وتطورها من النص الشفوي والمكتوب إلى المكتبة الرقمية في ظل مواكبة الإنجازات العلمية المعاصرة من خلال جهود الخبراء المتخصصين في هذا المجال.

ـ ضرورة اتباع منهج التقريب بين الفرق الإسلامية المتعددة حفاظاً على وحدة الأمة في ظل الإدراك الواعي للتكامل المعرفي لفكر الأمة من خلال التلاقي بين التيارات المتعددة.

ـ ضرورة التعاون الجاد والبناء بين كل طوائف الأمة في العمل على تعريب العلوم الطبية والهندسية وكل العلوم الحديثة التي تدرس في الجامعات باللغات الأجنبية وهذه تعد قضية قومية؛ لأن اللغة ترمز إلى الأمة تاريخاً ووجوداً وضماناً لمستقبل آمن؛ ولهذا يحتاج هذا الأمر إلى قرار سيادي تلتزم به كل الجامعات والمعاهد والمدارس المصرية الحكومية والخاصة.

ـ ضرورة رعاية النظرية العروبية التي تقوم على دعامتي العروبة والإسلام وإحلالها المحل اللائق بها في الدراسات العلمية والمناهج والمجامع اللغوية وجامعة الدول العربية واللغويين وجامعة الأزهر والجامعات المصرية والعمل على توثيق هذه النظرية لما لها من فائدة في دعم الوحدة العربية والإسلامية ورد دعوات الفرقة والتفكيك.

ـ ضرورة العناية بترجمة العلوم العربية والإسلامية، وكذلك الأعمال الإبداعية إلى اللغات الأجنبية «الغربية والشرقية» حتى تزداد معرفة الأجانب بتعاليم الإسلام وأسرار اللغة العربية.

من الميلاد إلى البعثة (٢)

لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى

إن بعثته ﷺ وكونه خاتم المرسلين مهمة شاقة بكل المقاييس، فأعباء الرسالة ثقيلة يكفى فيها قربه من الله ـ سبحانه وتعالى ـ فإن جلال الله - سبحانه وتعالى - ورهبته لا تطيق الجبال حملها فضلاً عن أعباء الرسالة والوحى وذلك واضح فى قوله تعالى:

﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾

(المزمل - ٥)

كما أنه يتضح فى قوله تعالى:

﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾

(الأعراف: ١٤٣)

وهذا فى جانب صلته ﷺ بربه، وثمة جانب آخر وهو ما يتعلق به شخصياً بمعنى أنه الجانب الذى يخصه ﷺ وهو فى الجانب الإنسانى البشرى يمكن أن نطلق عليه جانب التأهيل والإعداد وهو على ضربين

الأول: إعداد الذات لتحمل أعباء الرسالة والقرب وهو ما وضح فى قول سيدنا جبريل لسيدنا رسول الله ﷺ ليلةالمعراج ـ لما دنا رفيق الرحلة من سدرة المنتهى ـ (هذا مقامى ولو تقدمت لاحترقت ولو تقدمت أنت لاخترقت) لماذا مع أنه ملك نورانى؟

نحسب أن نورانيته أقل احتمالاً لمصدر النور الإلهى الذى أعد له وأهل له صلى الله عليه وآله وسلم!!!؟

وإلا فقل لى بربك ما تعليلك أو تفسيرك لكلام سيدنا جبريل؟ ليس له تعليل فيما نحسب أو نظن إلا ذلك والله أعلم.

طرق الوحى

وفى اعتقادنا ـ والحالة هذه ـ أنه لولا قوانين التلقى عن الله جل جلاله بطريقة الواسطة ـ أمين الوحى جبريل ـ لأمكن للنبى ﷺ أن يتلقى عن ربه دون واسطة فإنه معد ومؤهل لهذا. وذكر السهيلى طرائق تلقيه ﷺ الوحى عن ربه فجمعها فى ست طرق:

- أولها: الرؤيا الصادقة كما فى حديث السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ: أول ما بدء به ﷺ الرؤيا الصادقة.
- الثانية: أن ينفث فى روعه الكلام نفثاً كما قال ﷺ إن روح القدس نفث فى روعى أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها.
- الثالثة: أن يأتيه مثل صلصلة الجرس وهو أشد عليه، وقيل إن ذلك ليستجمع قلبه عند تلك الصلصلة فيكون أوعى لما سمع.
- الرابعة: أن يتمثل له الملك رجلاً فقد كان يأتيه فى صورة دحية الكلبى.
- الخامسة: أن يتراءى له جبريل فى صورته التى خلقه الله عليها فله ستمائة جناح.
- السادسة: أن يكلمه الله من وراء حجاب وذلك إما فى اليقظة كما فى ليلة الإسراء، وإما فى النوم كما جاء فى حديث معاذ: «أتانى ربى فى أحسن صورة، فقال: فيم يختصم الملأ الأعلى»... الحديث ـ كما رواه الترمذى وكما ذكره ابن كثير فى تفسير سورة «ص» عند قوله ـ تعالى ـ:

﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾

(ص: ٦٩)... أ.هـ.[١]

كما نحسب أن تأهيله ﷺ ذاتياً أيضاً تمثل فى حادثة شق صدره الشريف، خصوصاً أن شق صدره الشريف تم أكثر من مرة على فترات متباعدة أو متقاربة، وما ذلك فى تقديرنا إلا لإظهار كماله وشجاعته صلى الله عليه وآله وسلم واحتماله للملأ الأعلى، وأنه أهل لتحمل أعباء الرسالة، وأنه جدير بما يلقى إليه، كما أن عملية شق الصدر هى إعداد لما سيلقى عليه أيضاً من مهمات قد تصعب أو تحل، وأيضاً فإنه بيان وإرشاد للصالحين المقربين من عباد الله ـ تعالى ـ أن طريق الوصول والقرب من الله ليس دائماً وردياً معبداً، إنما هو عسير وشاق، مرهق ومقض. لكن عسره أخاذ ومشقته عذبة فبعد العسر يسراً وليس بعد ألم المخاض إلا ميلاد جديد وإذا اشتد ظلام الليل فذلك إيذان بميلاد فجر جديد.

كأنه انتزع النبوة!!

كان هذا إعداداً وتهيئة ذاتية له ﷺ من ربه صاحبها مقارناً لها جهد مبذول منه ﷺ وفى تعبير رشيق موفق دقيق يصف الدكتور عبدالحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق اجتهاده ﷺ وتحنثه قبل

(١) الروض الأنف فى ذكر نزول جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم

البعثة فيقول: «كان يكثر التحنث فى غار حراء حتى جاءه الوحى. فكأنه انتزع النبوة انتزاعا» مع أن النبوة اجتباء واصطفاء لا تنال أو تطال بتعبد أو خلوات.

إلا أن حال النبى ﷺ فى كثرة تعبده وطول خلوته كأنه باجتهاده انتزع النبوة انتزاعاً. فلعل المتشدقين بالكلمات من رجالات التصوف اليوم يرتدعون ويهرعون إلى منهجه ونهجه ﷺ وهو المجتبى المختار فلا يتمادون فى ترديد كلمات يلوكونها كالعلك الماسخ وينتهون عن التشدق بمقامات لا تطاولها قاماتهم القصيرة وأنظارهم العليلة ولا تطمح إليها هممهم البليدة الكسيحة.

وإذا قلنا إن شق صدره الشريف كان تأهيلاً ذاتياً له ﷺ قبل البعثة كما أن وقوعها بعد البعثة وقبل الإسراء يؤكد ما ذهبنا إليه حيث إنه ما دامت أعباء الرسالة تحتاج إلى تأهيل قد تم. إن المعراج إلى السماوات العلا والرقى إلى ما فوق السماوات العلا وسدرة المنتهى حيث سمع صرير الأقلام وناجى ربه كفاحاً. كل ذلك يحتاج إلى قمة التأهيل حيث لم يكد يبقي للبشرية أثر فى كيانه الشريف ﷺ وبعد كل هذا نحسب أنه لابد من تأهيل المجتمع للرسول القادم والرسالة الخاتمة بأعمال جادة مؤثرة.

ورغم جديتها وتأثيرها إلا أنها تنساب انسياباً مألوفاً يتقبلها المجتمع وتحدث أثرها فيه دون ضجيج أو افتعال لكنها تلفت النظر إلى ذلك القادم الموعود!!!

وأنا أحاول أن أجلى لك بعض الحوادث التى وقعت فى حياته ﷺ قبل البعثة تشير فى وضوح تام كأنها توقف الحدث والزمن، وتشير إلى هذه الشخصية الفذة وما لديها من مؤهلات خاصة وشمائل سامية وهى موعودة وقادرة على تحمل أمانة هى لها أهل وهو بها جدير مستحق.!!!!

وقد تبدو هذه الأحداث غير ذات بال بالنسبة لك لكننى أؤكد لك ولغيرك أنها مؤشر مهم إلى مستقبل حافل واعد لمن يعيشون فى هذه الحياة ساعين إلى أهداف رفيعة يقوّمون بها سلوك الناس ويصلحون ما اعوج من طبائع البشر.!!!

أذكر أننى حدثتك عن ترك المراضع له ﷺ فى طفولته وعلتهن فى ذلك أنه يتيم فلا مطمع ولا أمل فى رفد أو عطاء من أب مؤمل فى ولده ترجوه المراضع أو تطمع فيه!! فما جئن يحتسبن بعمل خير يقدمنه لفقراء أو يتامى وما عساه الجد أن يفعل!!!؟؟؟؟ أذكر أننى قلت لك تأمل كيف رجعت السعيدة حليمة السعدية وكيف رجع ركبها المبارك الوافر الحظ والغنيمة؟ وكيف دهشت المرضعات من أتان حليمة يرفل فى الحبور يسبق الركب كله؟. وماذا قال زوجها لها لما لاحظ السعد والهناء يلفه وآله جميعاً، قال الرجل بعفوية قطرية دون تدبير أو افتعال قولة فاحصة تشف عن معان جليلة وتومىء إلى مستقبل رحب كريم. لكن هذا الوعد الواعد أو الترقب تلفه غلالة من حذر فطرى كريم قال البدوى فى عفوية مؤملة: «تعلمين يا حليمة والله لقد حزت نسمة مباركة»!!!؟

حادثة.. وحادثات!!

أرى أن هذه الحادثة تأهيل للمجتمع المكى فى حدوده المحدودة كى يتأهب ويستيقظ ليتابع عن كثب ويراقب فى رشد هذا القادم الكريم فهل فعل المجتمع المكى أو حاول أو لاحظ؟ كنت أرجو أن يكون ذلك لكن إرادة الله فوق كل رجاء وأمل.

وحادثة أخرى وحادثات. وحوادث لكن هل تنبه المجتمع الغارق فى طوفان الشهوات والملذات؟ أم هى سنن الله يطبقها فى المجتمع الهالك المضلل.

تذكر كتب السنة أن النبى ﷺ كان وهو صبى يرعى الغنم مثل أترابه من صبيان خارج مكة، كانت تهيم الشياه والقطعان باحثة عن بقايا العشب وكان الصبية يرعونها. وداخل مكة كان المجتمع الغارق فى الملذات ينعق طول الليل سكارى أو أشباح يغنون ويرقصون، يقضون الليل فى لهو ماجن ومجون فاجر وتطلعت نفس الصبية إلى حفل فى عُرس قريب، وعقدوا العزم على حضوره وتأهبوا لليل ينتظرونه حتى يقضونه يشاركون العابثين ولو بالمشاهدة وما أن وصل النبى ﷺ إلى حدود مكة وأطرافها فجلس قليلاً كأنه يتأهب فغلبه النوم فلم يستيقظ إلا ولهيب الشمس يلفح وجهه الصغير ولم يشاهد عبث العابثين ولا لهو اللاهين، حفظه الله ـ تعالى ـ فى صباه كما حفظه فى طفولته.

لكن هل تنبه المجتمع المكى إلى هذه الرعاية الربانية؟ وأنى له أن يفيق وهو الغارق فى اللهو!! وإلى لقاء آخر لترى حادثة أخرى أو حوادث أخريات.



الحياء سبيل الرُقىّ والفلاح فى المجتمع

للأستاذ/ أحمد سالم سليمان النويرة

سيظل دين الله ـ عز وجل ـ طريقًا للسعادة البشرية وسبيلا لرُقى المجتمعات وفلاحها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فما من فضيلة إلا وحث الدين الحنيف على التخلق بها، وما من رذيلة إلا ونهى الشرع الحنيف عنها وأمر باجتنابها وبيّن مفسدتها وسوء عاقبتها:

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

(الأنعام: ١٥٣)

والحياء خلق عظيم أوصانا الشرع الحنيف بالتخلق به، وقد حث رسول الله ﷺ على ذلك فقال: «إن لكل دين خلقا وخلق الإسلام الحياء» (أخرجه الإمام مالك بن أنس) والحياء لغة هو الاحتشام وفى المعجم الوسيط استحيا فلان فلانا: أى خجل منه، ويقال استحيا منه واستحاه أى استحى منه وخجل منه، ولقد بعث الحبيب ﷺ هاديا وبشيرا وداعيا إلى الأخلاق العظيمة فقال: «إنما بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق» (السنن الكبرى للبيهقى) وهذه الأخلاق العظيمة لرسول الله ﷺ كانت سببا فى نشر دين الله ـ عز وجل ـ فى أنحاء من الأرض لم يتم فتحها عن طريق الجيوش الإسلامية، إنما نشر بأخلاق الذين اتخذوا من رسول الله ﷺ قدوة حسنة وتخلّقوا بأخلاقه، يقول ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا» (أخرجه البخارى فى الأدب ومسلم فى الفضائل، والترمذى وابن حنبل).

الحياء طريق الجنة

وخلق الحياء يجعل المرء مطيعا لربه؛ فاستحياء العبد من الله يجعله لا يفكر فى معصيته، بل يسعى إلى الخير ويبعد نفسه عن الشبهات وكل ذلك سبيل إلى رضوان الله ـ عز وجل ـ بل سبيل أيضا لرحمة الله الواسعة ومكافأته لهذا العبد بالجنة، ويقول المصطفى ﷺ فى هذا الشأن: «الحياء من الإيمان، والإيمان فى الجنة، والبذاءة من الجفاء، والجفاء فى النار» (أخرجه الحكيم الترمذى من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه)، وللإمام الزمخشرى تعقيب لطيف على هذا الحديث مفاده أن الحياء من بعض الإيمان الذى به يمنع المرء من المعاصى وبه يدخل الجنة ويوصل إليها على عكس الفُحش والبذاءة التى توصل الإنسان إلى النار، وإذا نظرنا فى واقعنا الأليم وأيامنا هذه وجدنا أن الحياء أصبح منعدما عند الكثيرين من البشر فى هذه الأيام مما أدى إلى ابتعاد الناس عن أمور دينهم وتبجحوا واستهانوا بتعاليمه وعبثوا بواجباته، بل صار الكثير من الشباب إباحيا لا يأبه بأى شىء ينتهك الحرمات ولا يكترث بارتكاب الجرائم والفواحش والسيئات، يقول المولى ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

(القصص: ٥٠)

الحياء سبيل طاعة الله

ولقد اتخذ بعض الناس من الذين يحثونهم على الحياء والأخلاق الكريمة مثالا للسخرية والتندر ونحن فى أيام كثرت فيها الفتن وانغمس الكثيرون فيها، ولا مخرج منها إلا باتباع ما جاء فى كتاب الله وسُنّة رسول الله ﷺ وما وافق الشرع الحنيف؛ قال رسول الله ﷺ فى الحديث الذى أخرجه الترمذى عن أنس بن مالك: «ما كان الفحش فى شىء إلا شانه، وما كان الحياء فى شىء إلا زانه»، وقال ﷺ أيضا: «الحياء لا يأتى إلا بخير» (أخرجه الشيخان وأبوداود وعمران بن حصين)، وهذا يبيّن لنا أن من استحى أن يراه الناس على معصية كان من باب أولى له أن لا يراه الله على تلك المعصية، وأن يكون من ربه شديد الحياء، فلا يضيع فريضة ولا يرتكب خطيئة، ولذلك قال النبى ﷺ: «استحيوا من الله حق الحياء: قلنا يا رسول الله: إنا نستحى والحمد لله، قال: ليس ذلك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء: أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا وآثر الآخرة على الأولى، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء» (أخرجه الحكيم الترمذى من حديث بن مسعود)، ومعنى هذا الحديث أن المرء لا يفكر إلا فيما يرضى الله ـ عز وجل ـ وأن يحفظ الفم عن أكل الحرام واللسان عن الكذب والغيبة والنميمة، والشتم والسب ويحفظ البطن عن أكل الحرام، ويحفظ الفرج عن الزنا.

ولقد كان النبى ﷺ أشد حياء من العذراء فى خدرها، وفى رواية الإمام مسلم ـ رضى الله عنه ـ من حديث أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنهما ـ أن السيدة أسماء بنت شكل سألت النبى ﷺ عن غسل المحيض، فقال: تأخذ إحداكن ماءها وسدرتها فتطهر فتحسن الطهور، ثم تصب على رأسها فتدلكه دلكا شديدا حتى تبلغ شئون رأسها، ثم تصب عليها الماء، ثم تأخذ فرصة ممسكة، فقالت أسماء: وكيف تطهر بها؟. فقال: سبحان الله تطهر بها، فقالت السيدة عائشة،

كأنها تخفى ذلك: تتبعين أثر الدم؛ ولقد ذكر عن هذا الحديث فى بعض الروايات أن المرأة عندما أمرها النبى بالتطيب بقطعة قطن بها مسك، فسألته عن كيفية ذلك فاحمر وجه النبى ﷺ خجلاً، وأمرها أن تذهب إلى عائشة لتعلمها كيفية استعمال ذلك. فلننظر إلى سيد البشرية ومنقذها كيف كان حياؤه وأخلاقه؟!

الحياء سبيل إصلاح الأمة وتقدم المجتمع

سؤال يطرح نفسه على بساط البحث: ماذا يحدث للأمة إذا سيطر الحياء عليها؟!.. إن ذلك لأفضل شىء لتغيير حال الناس من سيء إلى حسن، بأن يفكر الناس فيما يصلح لهم ويبتعدوا عن الخبيث النتن. فإذا سيطر الحياء على صانعى الإعلام ورواده لم تجد إعلامًا هزيلاً وقنوات فضائية تعرض صورًا مبتذلة، مثل ما يحدث فى هذه الأيام.

إذا سيطر الحياء على صناعة السينما لم تجدها تخرج لنا إلا الثمر الطيب. إذا سيطر الحياء على هذه الصناعة لكانت سبيلاً لبث القيم الفاضلة فى نفوس الناس من خلال أعمال عظيمة وشخصيات رائدة تحث على الكرم والجود والخلق العظيم وما يأمر به الإسلام خاصة وأن الإعلام بجميع وسائله له تأثير على النشء وجميع أفراد المجتمع عامة.

إذا سيطر الحياء على الناس لم تجد مضيعًا لصلاته ولم تجد سارقًا ولا معتديا على الأعراض ولا آكلاً لأموال الناس بالباطل، لم تجد تزييفًا ولا تزويرًا ولا تدليسا.

إذا سيطر الحياء على الشباب الذين هم عصب الأمة وأمل تقدمها ونهضتها، لم تجد شابًا يعثو فى الأرض فسادًا؛ ولقد صدق الحبيب ﷺ حينما قال: «أول ما يرفع من هذه الأمة الحياء والأمانة، فسلوهما الله» (أخرجه البيهقى عن أبى هريرة).

إذا سيطر الحياء على الفتاة المسلمة والمرأة المسلمة لم تجد من تسير فى الطرقات متبرجة، كاشفة عن مفاتن جسدها، بل الحياء يجعلها تحرص على صيانة نفسها بالاحتشام وعدم الابتذال وترك الزينة والعطر حينما تخرج لقضاء شىء خارج بيتها، أضف إلى ما سبق أن الحياء شرط لازم للمرأة إذا أجبرتها الظروف للخروج إلى سوق العمل، ولهذا السبب يجب على المرأة أن تتخلق بخلق الحياء فى ملابسها وتعاملها وفى غضها البصر عن زملائها من الرجال، ولنأخذ الدرس المفيد من كلام رب العالمين من قول الله تعالى:

﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ﴾

(القصص: ٢٥)

ذلك أن نبىّ الله موسى - عليه السلام - لما توجه إلى مدين ووجد مجموعة من الناس تسقى ووجد فتاتين واقفتين لا تسقيان سألهما عن السبب فى عدم السُّقيا فأجابتاه أنهما لا تسقيان حتى ينفض الرعاء من السقى لأنهما فتاتان، وهذا يوضح لنا أنه على الرغم من خروج الفتاتين للعمل إلا أن خلق الحياء سيطر عليهما لدرجة عدم السقى إلى بعد أن يسقى الرجال لعدم التزاحم والذى به تكون فتنة تصب جام نارها على المرأة فيما بعد.

وبعدما سقى لهما موسى قصت الفتاتان على أبيهما ما حدث فأرسل إحداهن إليه:

﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾

(القصص: ٢٥)

ولقد جاء فى أحد تفاسير القرآن العظيم أن الآية:

﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ﴾

أن ذلك يبين لنا مشية الفتاة الطاهرة العفيفة النظيفة حين تلقى الرجال على استحياء لتنهى إليه دعوة فى أقصر لفظ، وأدله يحكيه القرآن الكريم:

﴿ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾

فمع الحياء نجد الإبانة والدقة والوضوح، وهذا من إيحاءات الفطرة السليمة الصحيحة النظيفة، فالفتاة القويمة تستحى بفطرتها عند لقاء الرجال والحديث معهم، ومع ذلك فإنها تستحى فى غير اضطراب من أجل ذلك يجب تثقيف الفتاة وإعدادها لينطبق عليها قول الشاعر:

الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعبًا طيب الأعراق

الحياء لا يمنع الفضائل

ولا يكون الحياء عائقًا وحجر عثرة أمام فضيلة كفضيلة التعلم والسعى إليها، فإن العلم يضيع بين أمرين: التكبُّر والحياء.

ولا يمنع الحياء المرأة من طلبها الزواج من الرجل الصالح، إذا علمت بصلاح أمره ودينه وخلقه وتقواه، وتستطيع أن تقول:

أ- خلق الحياء خلق إسلامى به ترتقى المجتمعات وبه يعم الأمن والأمان وبه تتقدم الأمم.

ب- الحياء خلق عظيم من الأخلاق الحميدة التى اتصف بها المصطفى ﷺ فواجب على كل مسلم التأسى برسول الله ﷺ والتخلق بخلق الحياء.

ج- الحياء طريق الجنة وموصل إليها، كما أنه مبعد عن طريق النار وما يؤدى إليها وما خالط الحياء شيئا، إلا زانه وما ابتعد عن شئ إلا شانه.

د- الحياء لا يقف سدًا منيعًا أمام التعلم كتعلم أمور الدين مثلاً ولو كان فى سؤال التعلم حرج، فلا حرج فى الدين ولا حياء فى العلم، كذلك لا يمنع الحياء أن تطالب بالحقوق.

هـ- لا يمنع خلق الحياء المرأة من أن تطلب الزواج من الرجل الصالح التقى العفيف وذلك لفضل دينى.

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل.

إليك الصحف و المجلات

إعداد
أ/ محمد جمعة
أ/ علا عبد الرحمن

مشاغبات دول حوض النيل

وتحت عنوان «مشاغبات دول حوض النيل» كتب الأستاذ محمد التهامى مقاله المنشور فى جريدة «روز اليوسف» الصادرة بتاريخ ٢٠١٠/٥/١م يقول فيه:

.. ربما نسينا أو تناسينا أن حياة كل المصريين جملة واحدة ترتبط بهذا النهر العظيم الذى يمد البلد بشريان الحياة نفسها فجأة وعلى غير توقع وجد الرأى العام نفسه محاصراً بحكاية النهر، واتفاقية إطار، ودول منبع، ودول مصب..

حالياً الموقف بالنسبة لدول حوض النيل لا يدعو إلى الفزع أو التوتر، ولكنه يستدعى اليقظة والانتباه لكى تبقى العلاقة مع شركاء النيل علاقة ود واحترام وتبادل للمنافع مبنية على رؤية واضحة.

الفرضية التى تثير القلق تأتى من تصور قدرة دول المنبع على التحكم فى تدفق المياه بطرق صناعية إلى مجرى النهر الرئيسى المتجه شمالاً إلى المصب أى إلى السودان ثم مصر، وبالتالى تكون تلك الدول قادرة على حرمان مصر والسودان من المياه التى تحتاجان إليها.

ربما تكون العوامل الطبيعية حاليًا فى صف دول المصب، فمياه الفيضان التى تأتى سنويًا من أثيوبيا لا يمكن احتجازها للتخزين، كذلك الإيراد الآتى من المنابع الدائمة فى وسط أفريقيا لا يشكل إلا نسبة ضئيلة من الإيراد الكلى للنهر، وبالتالى فإن الأخطار المباشرة الحالية محدودة ولا تبعث على التوتر وإن كان الاتجاه إلى عدم الاتفاق فى حد ذاته هو الذى يثير القلق ويعطى إشارات إنذار إلى ضرورة مراجعة السياسات المتبعة مع دول حوض النيل فى ضوء التطورات التى تجرى فى تلك البلاد وتدفق العروض الدولية عليها لأسباب اقتصادية وأخرى سياسية.

.. لابد أن نعترف أن اللغة العالمية تتغير فى المعاملات الدولية وأن الدول التى ساعدتها مصر يومًا ما على تحقيق استقلالها الوطنى قد شبَّت عن الطوق، لكن تبقى العلاقة عضوية ينبغى الحفاظ عليها بأساليب متنوعة ومرنة حسب ظروف تلك الدول والتغيرات الاجتماعية والسياسية التى تحدث فيها.

لهذه الأسباب ولأسباب أخرى أعتقد أن ملف المفاوضات بين دول حوض النيل حساس للغاية ويجب التعامل معه بمنتهى الحذر والكياسة نظراً لأهمية استمرار العلاقات بين دول المنبع والمصب هادئة ومنطقية.

استراتيجية جديدة

وفى جريدة «الأخبار» الصادرة فى ٢٠١٠/٥/٢م كتب الأستاذ شريف رياض تحت عنوان «استراتيجية جديدة» يقول:

فشل المفاوضات بين دول حوض النيل لم يبدأ من جولة شرم الشيخ أو الجولة التى سبقتها فى مايو ٢٠٠٩م، إنما بدأ من اللحظة التى ابتعدنا فيها عن أفريقيا وتخلينا عن دورنا تجاه شعوبها وخاصة فى دول حوض النيل، حينما سمحنا لإسرائيل أن تعبث بعقول قادتها وتعدهم بمساعدات ومشروعات تنمية كان يجب أن يكون لنا زمام المبادأة فيها.

وها هى النتيجة: دول المنبع تقف لأول مرة فى مواجهة دولتى المصب مصر والسودان.. وتصر على توقيع اتفاق جديد منفرد لا يعترف باتفاقية تقسيم مياه النيل التى حددت حصة مصر بـ ٥٥ مليار متر مكعب سنوياً بحجة أنها وُقِّعت فى عهد الاستعمار.

على أى حال.. البكاء على اللبن المسكوب لن يجدى الآن ويجب ألا نقف ونضيع الوقت فى معرفة أو محاسبة المسئول عما انتهت إليه مفاوضات دول حوض النيل؛ فقضية المياه بالنسبة لمصر خط أحمر فعلاً، وقضية أمن قومى لا يمكن التفريط فيه، لأن مصر تعتمد على النيل فى توفير ٩٥٪ من احتياجاتها المائية وليس هناك بديل أمامها.. لهذا لابد من التحرك بسرعة وباستراتيجية جديدة تعيد لمصر دورها التاريخى فى أفريقيا وتحرم إسرائيل من فرصة التحكم فى قضايا يمكن أن تمثل ورقة ضغط على مصر. ولعل الرسائل الرئاسية التى بعث بها الرئيس مبارك والرئيس السودانى البشير لرؤساء دول المنبع لفتح الباب أمام جولة مفاوضات جديدة تكون البداية لهذه الاستراتيجية التى يجب أن تقوم على تكثيف الجهود المصرية لمساعدة دول المنبع فى إقامة مشروعات تنموية، خاصة تلك التى تحقق الاستفادة من موارد النيل لصالح جميع دول المنبع والمصب، والاستعداد فى نفس الوقت لعرض القضية على التحكيم الدولى إذا ما وصلنا إلى طريق مسدود.

على الجانب الآخر يجب علينا العمل بجد واتخاذ كل الإجراءات التى تكفل ترشيد استخدام المياه مستقبلاً والاهتمام بالتوعية الإعلامية المستمرة بهذه القضية لحث المواطنين على ترشيد استخدام المياه.

ويختم الكاتب قائلاً:

التعامل مع دول المنبع فى قضية مياه النيل يحتاج إلى الحكمة.

إسرائيل هى العدو

تحت هذا العنوان كتبت الأستاذة سناء السعيد فى جريدة «الأسبوع» الصادرة فى ٢٠١٠/٤/٣٠م تقول:

تصريحات وزير خارجية مصر ـ أحمد أبو الغيط ـ التي أدلى بها خلال زيارته للبنان جاءت لتتسق مع ما يعتمل بصدر كل مواطن عربي عندما وصف ما أثير من اتهامات لسوريا بنقل صواريخ «سكود» إلى حزب الله بأنها أكذوبة تستدعي الضحك، ووصف تهديدات إسرائيل لسوريا ولبنان بأنها استفزاز، وصنّف إسرائيل كعدو...

إسرائيل عن حق هي عدو لمصر، ولكل الدول العربية، فما يجمع العرب لا يمكن أن تفرقه إسرائيل، وإن ظنت خلاف ذلك وذهبت بها أوهامها إلى أن معاهدة السلام التي تم إبرامها بيننا وبينها ستفصل مصر عن محيطها العربي، فهذا لن يكون أبداً، إسرائيل دولة احتلال وكيان صهيوني غاصب، ويكفي ما تقوم به في المنطقة، فكل ممارساتها تنضح بالعداء للعرب شعوباً وقيادات.

إسرائيل عدو حقاً، وتكفي ممارساتها في المنطقة وقصفها للحدود المصرية مع غزة، وقتلها لجنود مصريين على الحدود، وممارساتها القمعية ضد الفلسطينيين ومن بينها الاغتيالات والاعتقالات وتهويد القدس ومحاصرة المسجد الأقصى، ويكفي قرارها الأخير (١٦٥٠) القاضي بطرد سبعين ألف فلسطيني من الضفة إلى غزة أو إلى خارج الأراضي الفلسطينية وهو القرار الذي شرعت بالفعل في تنفيذه، وتكفي انتهاكاتها المستمرة للأجواء والأراضي اللبنانية وهو ما يعد خرقاً للقرار الدولي ١٧٠١، ويكفي توجه وزير خارجيتها «أفيجدور ليبرمان» إلى أفريقيا في مهمة تحريض لدول منابع النيل ضد مصر فيما يتعلق بحصتها في مياه النيل وحثه الدول الأفريقية «دول المنبع» على بناء سدود من أجل تقليص حصة مصر المائية المقررة وفق الاتفاق المبرم سنة ١٩٢٩، والذي بمقتضاه تحصل مصر على ٥٥,٥ مليار متر مكعب من المياه سنوياً.



ابو الغيط

الغريب أن نرى «داني أيالون» نائب «ليبرمان» وزير خارجية إسرائيل يتحدث مؤخراً عن العلاقات مع مصر ويحرص على توصيفها بالعلاقات الاستراتيجية، وهو بالقطع حديث مفرغ من مضمونه لأن الجميع يعلم أن العلاقات بين مصر وإسرائيل هي علاقات فاترة باردة، ورغم ذلك يمضي «أيالون» فيتحدث عن أن مصر مع إسرائيل في خندق واحد لمحاربة الإرهاب والتطرف!!

نسي «أيالون» أن إسرائيل هي الإرهاب نفسه الذي ينبغي على دول المنطقة حشد القوى لمجابهته، إسرائيل هي الإرهاب بلا منازع، يكشف عن ذلك توغلها في المنطقة وحروبها ضد لبنان، والمحرقة التي سلطتها على غزة، وما ترتكبه من جرائم يومية ضد الفلسطينيين.

لقد نطق أبو الغيط بالحقيقة عندما قال: إن إسرائيل عدو، ولم يأت كلامه هذا اعتباطاً، وإنما جاء ليسجل موقفاً كنا في حاجة إلى سماعه، فإسرائيل وبلا جدال تتبوأ مركز الصدارة كعدو وهو ما تنطق به الأحداث على أرض الواقع.

الأمن النووي الإسرائيلي

تحت هذا العنوان جاء مقال الأستاذ عبد العظيم الباسل المنشور بجريدة «الأهرام» الصادرة بتاريخ ٢٠١٠/٤/١٧م يقول فيه:

.. أنهت قمة أوباما للأمن النووي أعمالها في واشنطن بثلاث وثائق غير ملزمة، بينما وفرت لإسرائيل الارتياح التام واستمرار التزامها بسياسة الغموض النووي التي تمارسها منذ عام ١٩٦٩م دون ضغط من أمريكا لكشف هذا الغموض.

وبرغم أن هذه القمة ـ التي دعا إليها أوباما ٥٠ دولة من المجتمع الدولي ـ لمواجهة الإرهاب النووي ومنع وصول المواد النووية لتنظيم القاعدة ـ وأخواتها ـ إلا أن ذلك كان شعاراً لانعقاد القمة، أما هدفها الحقيقي فهو حشد التأييد العالمي ضد إيران لامتلاكها السلاح النووي في مواجهة إسرائيل.

ظهر ذلك بوضوح خلال انعقاد جلسات القمة من جانب رئيس الوزراء التركي رجب أردوغان، الذي ربط بين النشاط النووي الإسرائيلي وبين نشاط إيران النووي مطالباً بأن تطبق إجراءات على الدولتين معاً في هذا الإطار.

هذا الموقف التركي الداعم لإخلاء منطقة الشرق الأوسط من أسلحة الدمار الشامل يتطابق تماماً مع الموقف المصري الثابت، الذي أكدته رسالة الرئيس مبارك لقادة القمة والتي نصت على ضرورة السعي لشرق أوسط جديد دون أسلحة نووية بما فيه إسرائيل، تحسباً لسباق نووي قد ينشأ بين دول المنطقة حماية لأمنها.



اردوغان

إن الهدف من وراء هذه القمة كان واضحاً قبل انعقادها ومجسداً في غياب نتنياهو رئيس وزراء إسرائيل عن حضور أعمالها بغرض الاحتفاظ بغموض إسرائيل النووي والضغط على إيران لكشف أسرارها النووية.. وإلا لماذا لم تطرح القمة الأوبامية الملفين الإيراني والإسرائيلي معاً على مائدتها في واشنطن؟!.. الأمر الذي يؤكد ازدواجية أمريكا في التعامل مع إيران وإسرائيل، ويعكس ـ أيضاً ـ ازدواجيتها في اختيار عنوان لقمتها تحت شعار «حصار الإرهاب النووي»، وهو في الحقيقة «الحفاظ على الأمن النووي لإسرائيل».

انقذوا الأقصى قبل أن يصبح هيكلاً

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ إبراهيم أبو كيلة في جريدة «الجمهورية» الصادرة في ٢٠١٠/٤/١٣م يقول:

اذا كانت القدس عربية الأصل فإنها أيضا إسلامية الهوية منذ أن فتحها المسلمون سلماً في السنة الخامسة عشرة للهجرة التي وافقت عام ٦٣ ميلادية.. وأعطى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لأهلها الأمان من خلال وثيقته التي عرفت باسم العهدة العمرية.. وبعد أن تسلم عمر مفاتيح بيت المقدس من بطريرك الروم صفرنيوس خطب في أهل بيت المقدس قائلاً:

«يا أهل إيلياء لكم مالنا وعليكم ماعلينا».. ثم توجه إلي منطقة الحرم الشريف التي كانت خرابا تاما في ذلك الوقت وزار موقع الصخرة المشرفة التي صعد منها رسول الله ﷺ إلى السماء في رحلة المعراج وأمر بتنظيف المكان وإقامة مسجد في الجهة الجنوبية .. ثم دعاه البطريرك لتفقد كنيسة القيامة.. فلبى دعوته وأدركته الصلاة وهو فيها فتلفت إلى البطريرك وقال له: أين أصلي؟!.. فقال: «مكانك صل» فقال ما كان لعمر أن يصلي في كنيسة القيامة فيأتي المسلمون من بعدي ويقولون: هنا صلى عمر ويبنون عليها مسجدا.. وابتعد عنها رمية حجر وفرش عباءته وصلى.

والمسجد الأقصى المبارك هو اسم يطلق على كل ما دار حوله السور الواقع في أقصى الزاوية الجنوبية الشرقية من مدينة القدس القديمة ويشمل كلاً من مسجد قبة الصخرة المشرفة «ذى القبة الذهبية» والجامع القِبْلي «ذى القبة الرصاصية السوداء» والمُصلى المرواني بالإضافة إلى نحو ٢٠٠ معلم آخر تقع ضمن حدود المسجد الأقصى، ما بين مساجد وقباب وأسبلة ومصاطب وأروقة ومدارس ومحاريب ومنابر ومآذن وأبواب وآبار ومكتبات ومبان أخرى.. ولكن اليهود يبرزون لنا دائما صورة مسجد الصخرة ذى القبة الذهبية على أنه المسجد الأقصى وذلك للتمويه وإخفاء ما يقومون به من حفريات وأعمال تهدف إلى هدم المسجد الأقصى لإقامة هيكلهم المزعوم وحائط مبكاهم الوهمي.

لقد ظل المسجد الأقصى ينعم بالسلام تحت راية الإسلام منذ الفتح العمري لبيت المقدس ما عدا ٨٨ عاما هي الفترة التي احتل فيها الصليبيون القدس عام ١٠٩٩ و حررها صلاح الدين الأيوبي منهم عام ١١٨٧م.. ولكن المسجد الأقصى المبارك يعاني منذ عام ١٩٦٧م من الاحتلال الصهيوني الذي اعتدى على حرمة المصلين داخله ومنع المسلمين من الاقتراب منه.. وأتاح لليهود المتطرفين دخوله.. وأحرق جزءا منه وحاول تفجيره وتخريبه عدة مرات.. واستولى على أجزاء منه وحفر الأنفاق تحت أساساته مما أدى إلى تصدع أجزاء منه.. ومنع محاولات ترميم ما تصدع منه.

إن المسجد الأقصى حق المسلمين.. ولكن اليهود يحاولون طمس هذه الحقيقة وهم ماضون في مخططهم.. ولن يردعهم مناشدات وتنديدات.. ولابد من وقفة صارمة ضد هؤلاء الصهاينة وإلا سنقول: إنه كان هنا مكان الهيكل مسجد يُدعى المسجد الأقصى مثلما تغير اسم فلسطين على الخريطة وأصبح اسرائيل واعترف العالم كله بذلك.. فهُبُّوا قبل أن يصبح الهيكل أمرا واقعا وساعتها لن تجد وليا ولا نصيرا.

التزام أوباما.. وتهديد جيتس!

تحت هذا العوان جاءت كلمة محرر «الجمهورية تقول» بجريدة «الجمهورية» الصادرة في ٢٠١٠/٤/٢٩م يقول:

جدد الرئيس الأمريكي باراك أوباما - بعد عام كامل من خطابه في القاهرة إلى العالم الإسلامي - التزامه بتنفيذ حل الدولتين بما يضمن أمن الفلسطينيين والإسرائيليين على السواء، وهو التزام مشكور لو كان مشفوعا بتحديد آليات تنفيذه التي تملكها الولايات المتحدة الأمريكية وحدها على الجانب الإسرائيلي الذي تزوده بوسائل التفوق العسكري والاقتصادي على الدول العربية والإسلامية قاطبة بحيث لم تعد هذه الدول - ومعها الفلسطينيون - قادرة رغم سيل من التنازلات على استخلاص حقوقها المشروعة واسترداد أراضيها المغتصبة.

إنه لمن التناقض أن يتزامن تأكيد أوباما التزامه هذا في مؤتمر بالبيت الأبيض يحضره ممثلو ٥٠ دولة غالبية إسلامية، مع وقوف وزير دفاعه جيتس ووزير دفاع إسرائيل باراك في مؤتمر صحفي مشترك بالبنتاجون يوجهان فيه الاتهامات الزائفة والتهديدات لسوريا وإيران بزعم تزويدهما حزب الله بأسلحة متطورة زعما أنها تهدد الأمن والاستقرار في المنطقة، بينما تحصل تل أبيب من واشنطن على أحدث أسلحة الفتك والدمار بجانب ترساناتها النووية ذات الحصانة من المساءلة الدولية، دون أن يجيب أحد من المسئولين بالبيت الأبيض على التساؤل.. أليست هذه الترسانات الإسرائيلية تهديدا لأمن واستقرار الشرق الأوسط؟؟!

لقد مضى عام كامل على التزام أوباما بحل الدولتين، مثلما مضت ثمانية أعوام على التزام سابقه بوش الصغير بهذا الحل، ولم تدب الحياة في عملية السلام التي أجهزت عليها الحكومة العنصرية المتطرفة بقيادة نتنياهو وشريكه ليبرمان، دون أن تتحرك الإدارة الأمريكية بفعالية ومسئولية لإلزام إسرائيل بحل الدولتين، بدلا من ممارسة سياسة كسب الوقت والبحث عن صيغ لاستعادة لعبة المفاوضات كي تستمر لما لا نهاية.



أوباما

قوائم الإرهاب الأمريكية

تحت هذا العنوان جاءت افتتاحية «الأهرام العربي» الصادرة بتاريخ ٢٠١٠/٤/٢٤م:

بين الحين والآخر تُصدر الولايات المتحدة قائمة بأسماء شخصيات تصفها بأنها إرهابية، أو بأسماء دول تطلق عليها «محور الشر» أو دول مارقة، ولا نعلم مَن الذى أعطى هذا الحق لدولة كبقية دول العالم؟!

وفي الآونة الأخيرة وضعت أسماء شخصيات عراقية ترفض الاحتلال، ورفض الاحتلال طبقا للقانون الدولي ليس جريمة، بل هو حق واجب على أى شعب أن يقاوم محتليه..

ثم يقول الكاتب:

ألم تفعل إسرائيل بالفلسطينيين نفس الأفعال؟!.. ألم تأت من أمريكا من وراء المحيط لتغزو بلدا عضوا في الأمم المتحدة والجامعة العربية، والمنظمات الدولية بذرائع كاذبة؟!.. كفى عبثا بالعقول وعلينا أن نتغير ونرفض هذه القوائم سواء على الدول أو الأشخاص.

طرائف.. ومواقف

للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

أعظم مثال لتواضع العظماء

روى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أمر مناديا ينادى: الصلاة جامعة، فلما اجتمع الناس صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله، ثم قال: أيها الناس لقد رأيتنى أرعى على خالات لى من بنى مخزوم، فيقبضن لى القبضة من التمر والزبيب فأظل اليوم وأى يوم.

فقال له عبدالرحمن بن عوف: والله يا أمير المؤمنين مازدت على أن قصرت بنفسك، فقال عمر: ويحك يا ابن عوف إنى خلوت فحدثتنى نفسى فقالت: أنت أمير المؤمنين فمن ذا أفضل منك!!

الحلم وما قيل فيه

الحلم ضبط النفس عند ثوران الغضب، وقد قال الحكماء: ثلاثة لا يعرفون إلا فى ثلاثة مواطن: لا يعرف الجواد إلا فى العسرة، والشجاع إلا فى الحرب، والحليم إلا فى الغضب، وقال الشاعر:

ليست الأحلام فى حال الرضا
إنما الأحلام فى حال الغضب

وقال آخر:

من يدعى الحلم أغضبه لتعرفه
لا يعرف الحلم إلا ساعة الغضب

ما أجمل الأدب

قال عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز أمير المؤمنين: قال لى رجاء بن حيوة: ما رأيت أكرم أدباً من أبيك: سمرت عنده ليلة فغشى المصباح ونام الغلام، فاستأذنته فى إصلاحه فقال: إنه ليس من مروءة الرجل أن يستخدم ضيفه، ونهض هو نفسه فأصلحه ثم رجع. فقال جرير بن عبدالله يا أمير المؤمنين: أعزم علينا كلنا أن نقوم فنتوضأ. قال عمر بن عبدالعزيز: صدقت، ولا علمتك إلا سيداً فى الجاهلية فقيهاً فى الإسلام، قوموا فتوضأوا.

وقال الأصمعي: حدثنى عثمان الشحام قال: قلت للحسن يا أبا سعيد! قال: لبيك. قلت أتقول لى لبيك؟ قال: إنى أقولها لخادمي.

نقول فى أمثال هؤلاء يقول الشاعر:

يخدمونى، كرام فى مجالسهم
وفى الرجال إذا رافقتهم خدم
وما أصاحب من قوم فأذكرهم
إلا يزيدهم حبا إلى حبهم

كلمات حكيمة

- تعلموا كتاب الله تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله.
- عاشق المال لا يشفيه إلا الموت.
- الشكر قيد للنعمة الموجودة، وصيد للنعمة المفقودة.
- رب قريب أبعد من بعيد، وبعيد أقرب من قريب والغريب من لم يكن له حبيب.
- الفقيه كل الفقيه، من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يؤيسهم من روح الله، ولم يؤمنهم من مكر الله.
- من كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ.

قرى الضيف

قال الأصمعي:

سئل أقرى اليمامة للضيف: كيف ضبطتم القرى؟ قال: بأننا لا نتكلف ما ليس عندنا.

وقال الشاعر:

أضاحك ضيفى قبل إنزال رحله
ويخصب عندى والمحل جديب
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى
ولكنما وجه الكريم خصيب

الجمال

تحدث الإمام الرفاعى عن القلب والجمال فقال: جمال القلب بالخوف، وجمال العقل بالفكر، وجمال الروح بالشكر، وجمال اللسان بالصمت، وجمال الوجه بالعبادة، وجمال النية بترك الخواطر، وجمال الفؤاد بترك الحسد، وجمال النفس بالمخالفة، وجمال الحال بالاستقامة، وجمال السير بالتسليم، وجمال الخدمة بالأدب، وجمال الكلام بالصدق، وجمال الطريق بموافقة الشرع، وجمال الكل بتوفيق الله.

أى الدولتين أحب إليك؟!

دخل معن بن زائدة على أبي جعفر المنصور فقال له: كبرت يا معن، قال: في طاعتك يا أمير المؤمنين، قال: وإنك لجلد، قال: على أعدائك يا أمير المؤمنين، قال: وإن فيك لبقية، قال: هي لك يا أمير المؤمنين، قال: أى الدولتين أحب إليك، أهذه أم دولة بني أمية؟ قال: ذلك إليك يا أمير المؤمنين، إن زاد برك على برهم كانت دولتك أحب إليّ. فقال المنصور: صدقت.

أمتنى الله بفقده

قال الأصمعي:

سألت أعرابية عن ولدها وكنت أعرفه، فقالت: مات والله وقد أمتني الله بفقده المصائب، ثم أنشدت:

وكنت أخاف الدهر ما كان باقياً

فلما تولى مات خوفي من الدهر

ومن ارتج عليه وهو يخطب

كان أسلافنا من الأمراء والعلماء لا يكتبون الكلام ثم يقرأونه على الناس كما يفعل أخلافهم اليوم، فإن هذا لا يعتبر خطباً ولكن تعتبر تلاوة، بهذا السبب حفظ على أسلافنا من فرسان الخطابة أنهم قد ارتج عليهم باب الكلام بعد صعودهم إلى المنبر فاعتذروا للحاضرين ونزلوا.

منهم سيدنا عثمان ـ رضي الله عنه ـ صعد المنبر ليخطب فارتج عليه فقال: «سيجعل الله بعد عسر يسراً، وبعد عي بياناً، وأنتم إلى أمير فعال، أحوج منكم إلى أمير قوال»، ثم نزل.

وإني أرى ولعل كل قارئ يرى معي أن هذه العبارة على إيجازها تساوي خطبة على طولها.

وصعد عبدالله بن عامر والي البصرة يوم عيد الأضحى ليخطب خطبة العيد فحصر ولم يستطع الكلام فقال: لا أجمع عليكم عياً وبخلا، أدخلوا سوق الغنم فمن أخذ شاة فهي له وعليّ ثمنها.

وأراد ثابت مولى يزيد بن المهلب أن يخطب فارتج عليه فنزل وهو يقول:

فإلا أكن فيكم خطيباً فإنني

بسيفي إذا جد الوغى لخطيب

فبلغ ذلك المهلب فقال: لو قال هذا وهو على المنبر لكان من أخطب الناس.

دعـــاء

اللهم صل على سيدنا محمد، حبيب الرحمن، وسيد الأكوان، الحاضر مع من صلى عليه في كل زمان ومكان، وارزقنا بمحبته الأمان والاطمئنان، وعلى آله وصحبه وسلم.

أنباء مكتب الإمام الأكبر

للأستاذ/ أحمد إبراهيم توفيق
مدير عام الإعلام بمكتب الإمام الأكبر

الإمام الأكبر يهنئ رئيس الجمهورية بذكرى عيد تحرير سيناء



أرسل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد الطيب شيخ الأزهر الشريف برقية تهنئة للسيد الرئيس محمد حسني مبارك رئيس جمهورية مصر العربية بمناسبة ذكرى عيد تحرير سيناء - هذا نصها:

فخامة الرئيس / محمد حسني مبارك

حفظه الله

رئيس الجمهورية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.... وبعد

فبمناسبة ذكرى عيد تحرير سيناء يطيب لي أن أتقدم لفخامتكم باسم الأزهر الشريف علمائه وطلابه والعاملين فيه بخالص التهنئة القلبية بهذه المناسبة العظيمة، داعين الله ـ تعالى ـ أن يمتعكم بتمام الصحة وموفور العافية وأن يديم على مصرنا الحبيبة نعمة الأمن والأمان في ظل قيادتكم الحكيمة.

وكل عام وفخامتكم بخير وسعادة

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

شيخ الأزهر

(أ. د/ أحمد الطيب)



الإمام الأكبر يؤكد: الغرب لم يفهم الإسلام فهماً صحيحاً !!

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر السفير الدنماركي بالقاهرة السيد/ كريستيان هوبى وذلك لتهنئة فضيلة الإمام الأكبر بتوليه مشيخة الأزهر.

وأكد فضيلة الإمام خلال اللقاء أن أهم الملفات التى تشغل باله حالياً هى تحقيق السلام بين الشعوب وأنه يفكر دائماً فى هذا الأمر وأن بداية هذه الخطوة هى تحقيق السلام بين رجال الأديان.

وطالب بضرورة عقد لقاءات بين رجال الدين لتصفية الخلافات فيما بينهم انطلاقاً من أن الأديان بينها مساحات مشتركة وهائلة للالتقاء لإنقاذ البشرية وإذا لم يحدث سلام بين قادة السلام فلا يمكن أن يتحقق السلام بين أتباع الأديان.

وقال: إن تحقيق السلام يتطلب مساعدات كبيرة من الجانبين سواء من جانب الأزهر المرجعية الأولى للإسلام وأهل السنة أو بالنسبة للكنائس الغربية المختلفة بالنسبة للمسيحيين وأعتقد أن هناك مشكلات كبيرة، فبالنسبة للغرب فيما يخص فهمهم للإسلام فهما صحيحا فهذا الآن فمازال غير واضح لديهم وبالنسبة للمسلمين هناك مشاكل للجاليات المسلمة التى تعيش فى الغرب تتمثل فى الشكليات التى تظهر أهمية التحديات التى تواجههم فى التفاعل مع الثقافة الغربية ويجب أن نعترف أن هناك جهات تمول هذه الثنائيات بغرض تحقيق أهداف سياسية، ومن وجهة نظرى أعتقد أن المؤسسات الدينية إذا تداركت ووعت ذلك فيمكنها أن تحقق التوازن فى الشارع الأوروبى.

ومن جانبه وافق سفير الدنمارك فضيلة الإمام فى الرأى، وقال: إن سوء الفهم من الغرب بصفة عامة أو الدنمارك بصفة خاصة يرجع لوجود بعض المتشددين الذين ينشرون الأفكار المتطرفة كما لو كانت هى الصورة الصحيحة عن الإسلام، وهذا يسىء لحقيقة الإسلام، ونحن فى الدنمارك على سبيل المثال تعداد السكان ٥ ملايين منهم ٢٥٠ ألف مسلم من جنسيات مختلفة وصلوا لمناصب عالية حتى البرلمان، لكن هناك مجموعة من الشباب تتجه نحو العنف من منطلق عدم فهم الأديان ونحاول إشراكهم فى المجتمع ومن هنا أتفق مع فضيلتكم على أهمية الحوار والتعايش بين الدول بعضها البعض وبين الأديان داخل الدولة الواحدة.

الإمام الأكبر فى استقباله لسفير كندا:

قبل أن نتحدث عن حقوق الإنسان يجب أن نوقف الظلم الواقع على الشرق

كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر بمكتبه صباح يوم الثلاثاء ٤/ ٥/ ٢٠١٠ السفير الكندى بالقاهرة السيد/ فيردى كاركوف.

رحب فضيلة الإمام بالضيف فى الأزهر الشريف وأكد فضيلته خلال اللقاء أن الإسلام دين حى بطبيعته وموجود فى كل تصرفات الإنسان المسلم ويمثل المكون الرئيسى فى تشكيل فكر الإنسان فى الحضارة الشرقية بينما تمثل الحرية الشخصية المكون الرئيسى فى تشكيل الفكر لدى الإنسان الغربى ومن هنا يحدث الاختلاف فى تفسير معنى الحرية الشخصية وحقوق الإنسان بين الشرق والغرب، فأنا أعترف بحقوق الإنسان فى الغرب للغرب وأحترم هذا من منطلق أن هناك فروقا فى الحضارات.



وقال: إن هناك قواسم مشتركة بين الشرق والغرب في مجال حقوق الإنسان يجب علينا أن نعمل سوياً على تحقيقها وفي مقدمتها الحرية والعدل ومحاربة الجهل والأمراض.

وأضاف أنه مع هذا الاتفاق إلا أننا في الشرق نعاني من مشكلة الحروب والظلم، ومن ثم يجب علينا قبل أن نتحدث عن حقوق الإنسان أن نوقف ذلك الظلم الواقع على الشرق، ثم بعد ذلك نتحدث عن حقوق الإنسان وحقوق الشعوب ويجب أن يساعدنا الغرب في الحصول على حقوقنا وأن تبتعد منطقة الشرق عن الحروب وأن تكون حقوق الإنسان علاقات أساسية بين الشرق والغرب بدلاً من اتخاذها حجة للسيطرة على تلك الشعوب.

الإمام الأكبر يستقبل سفير باراجواي

كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر سفير باراجواي بالقاهرة السيد / أوسيرتو رودريجي جارا حيث أعرب فضيلة الإمام عن أمله في أن يكون هناك تعاون مع سيادة السفير في توضيح الصورة الحقيقية للإسلام في دول أمريكا اللاتينية خاصة مع وجود الحرية الفكرية لدى الشعوب بأمريكا اللاتينية.

ومن جانبه أشاد السيد السفير بزيارته للإمام الأكبر وأنه يعتبرها بداية للتواصل والصداقة لما يمثله الأزهر الشريف من وسطية واعتدال وسماحة بعيداً عن التشدد.

وقال: إنه يكذب كل ما ينشر عن الإسلام من أنه دين للتطرف والإرهاب وأنه سيعمل جاهداً على توصيل الصورة الحقيقية للإسلام لدى دول أمريكا اللاتينية وتوضيح أن الإسلام دين الحب والعدالة والتسامح والصبر.

الإمام الأكبر في استقباله لوفد أمريكي:

الإسلام حرم على الزوج المساس بممتلكات زوجته

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد الطيب ـ شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح الاثنين الموافق ١٩ / ٤ / ٢٠١٠ السيدة السفيرة/ ميلان فرفير ـ سفيرة بوزارة الخارجية الأمريكية لشئون المرأة الدولية ـ يرافقها السيدة السفيرة/ مارجريت سكوبي ـ سفيرة الولايات المتحدة الأمريكية بالقاهرة.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسادة الحضور في الأزهر الشريف، وهنأ السفيرة/ ميلان فرفير ـ على وظيفتها الجديدة، مشيراً إلى أنه سعيد بهذا التواصل، وعلى الاهتمام بالمرأة المسلمة والمرأة الشرقية بشكل عام، وقدم فضيلته شرحاً للدور الذي تحظى به المرأة المسلمة في ظل شريعة الإسلام، وما تعرضت له المرأة من حرمان في بعض حقوقها الأصلية من جراء بعض العادات والتقاليد التي حرمتها هذه الحقوق وكفلها لها الإسلام، كما أشار فضيلة الإمام إلى تخلف المرأة في بعض المجالات ولم يكن السبب في ذلك الإسلام، وإنما يرجع ذلك إلى وجود بعض عادات وتقاليد ما قبل الإسلام التي مازالت تحكم بعض عاداتنا، فنحن نعلم أن الإسلام حرر المرأة في عصر كان لا يمكن تحريرها، وجعل لها حقوقاً وذمة مالية، وحرم على الزوج المساس بممتلكاتها الخاصة، كما أعطاها الإسلام حقوقاً جمة، وقد كان للمرأة المسلمة حقوق في المجتمعات الإسلامية قبل أن تنال المرأة الغربية حقوقها، فنحن نؤمن بالاختلاف وبخصوصيات الحضارات المختلفة، وحينما نتعاون سوياً نقول: إن المرأة مثل الرجل بما يتفق مع خصائص المرأة وشريعة الإسلام.

والأزهر بدوره يعمل على نشر الإسلام الصحيح الذي يوضح الأمور المغلوطة عن الإسلام وذلك من خلال جامعة الأزهر التي بها مركز تدريب للأئمة الموجودين من أفغان وكردستان، ونأمل أن يكون للأزهر صوت يؤثر على السياسة العالمية بتوجهه نحو العمل على تحقيق السلام العالمي وهو مجال صعب.

ومن جانبها شكرت السيدة السفيرة فضيلة الإمام الأكبر على إتاحة الفرصة لها لهذه الزيارة، مشيدة بقيمة فضيلة الإمام العالمية وبالأزهر الشريف جامعاً وجامعة وما لهم من تأثير في العالم، وأنها بوظيفتها التي حددها الرئيس/ أوباما لدعم قضايا المرأة العالمية وتحسين دورها وتعزيز هذا الدور للارتقاء بدور العائلة، فإنها سعيدة بهذا اللقاء وبما سمعته من فضيلة الإمام، وأشادت بدور فضيلته في الحوار الذي يحظى بالاحترام والتقدير من أجل التعايش السلمي.

الإمام الأكبر يستقبل وفد المنتدى العالمي للوسطية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر بمكتبه صباح الأحد ٢ / ٥ / ٢٠١٠ وفد المنتدى العالمي للوسطية بالأردن برئاسة المهندس/ مروان الفاعوري الأمين العام للمنتدى.

رحب فضيلة الإمام بالوفد في الأزهر الشريف مؤكداً أن الأزهر يؤيد كافة الجهود التي تدعم وحدة المسلمين ويرفض الفكر الذي يدعو إلى فرض مذهب بعينه على حساب مذهب الآخر.

مشيراً إلى أن هناك من يسعى لنشر الفرقة بين أبناء الأمة وينفق على فرقتها أكثر مما ينفق على وحدتها وهو ما يدعونا إلى العمل على تشجيع ودعم كافة أوجه التقارب والوحدة بين المسلمين.

ومن جانبهم أكد أعضاء الوفد على أهمية مساندة الأزهر لدعم جهود المنظمة التي تسعى لنشر الوسطية وزيادة الترابط بين المسلمين.

الإمام الأكبر يستقبل رئيس طائفة الأقباط الأدفنتست

كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر وفد طائفة الأقباط الأدفنتست برئاسة القس/ ادوارز ليلواليم رئيس الطائفة بمصر وأكد فضيلة الإمام خلال اللقاء على أن الأزهر سيتخذ خلال الفترة القادمة خطوات علمية وحوارات مع القيادات الدينية في داخل مصر وخارجها لنشر مبادىء السلام والتسامح بين

الشعوب من منطلق إيمانه بضرورة تحقيق السلام بين رجال الدين حتى يتحقق بين الشعوب.

ومن جانبه وصف رئيس الوفد فضيلة الإمام الأكبر بأنه صانع للسلام وأنه لم يعرف الإسلام على حقيقته إلا من الشعب المصرى الذى يعكس بسماحته الصورة الإيجابية والحقيقية للدين الإسلامى.

الإمام الأكبر يستقبل رئيس لجنة الحوار الدولى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / أحمد محمد الطيب - شيخ الأزهر بمكتبه صباح الثلاثاء الموافق ٢٧ / ٤ / ٢٠١٠ السيد / أنتيت سيرفستاقا - رئيس لجنة الحوار الدولى ببروكسل - وجاءت الزيارة لتقديم التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر بمناسبة توليه مشيخة الأزهر الشريف.

كما قدم الضيف ملخصاً مختصراً عن مؤسسة المجلس الدولى للحوار ببروكسل الذى تشارك فيه دول العالم الإسلامى والدول الأوروبية من خلال الأئمة، وأشار الضيف إلى المؤتمر المنعقد فى أغسطس المقبل ببروكسل تحت عنوان «الأئمة» ويحضره رئيس الاتحاد الأوروبى متمنياً أن يحظى المؤتمر بحضور فضيلة الإمام الأكبر الذى يبارك هذا العمل لأنه من خلال الانفتاح على الأزهر يمكننا الاستعانة بخبرة الأزهر من خلال بعض أساتذة الأزهر، لما للأزهر من إسهامات فى إشاعة الهدوء لدى الشارع الدولى ولعلمنا بأن فضيلة الإمام الأكبر ذو رؤية بعيدة وثاقبة، كما أن تربيته الروحية واضحة، ونأمل أن يعطينا البركة فى عملنا..

ومن جانبه رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف فى الأزهر الشريف وخاصة أنه جاء للأزهر وهى زيارة محل تقدير باعتبار أن الأزهر المرجعية الأولى للمسلمين فى العالم وهى مؤسسة تؤمن بمسألة الحوار بين الأديان كطريق لا مفر منه فى هذه الظروف المعاصرة، كما شكره على دعوته للمؤتمر، مشيرا بأننا لدينا ما يسمى بالرابطة العالمية لخريجى الأزهر، ومن أهم الأنشطة لهذه الرابطة هو تدريب الأئمة فى العالم العربى، وهناك برامج مصممة للتعامل مع التحديات المطروحة فى الساحة والتدريب على مواجهة تلك التحديات، وهناك مجموعة من الأئمة من بريطانيا وهم يدرسون فى هذا البرنامج، وأشار على الضيف أن يزور هذه الرابطة للاستفادة منها، مشيرا إلى أن الأزهر يتعاون بلا حدود مع أى برنامج أوروبى من أجل التسامح بين أتباع الأديان، كما أشار فضيلته إلى أنه إذا سمح الوقت سيلبى الدعوة وإذا لم يتيسر فسيكتفى بتمثيل الأزهر من خلال مبعوثنا بالمركز الإسلامى ببروكسل.



ويستقبل قاضى بيروت

كما استقبل فضيلته الشيخ / يحيى الرافعى قاضى بيروت الذى هنأ فضيلته بالمنصب الجديد وأشار إلى أن زيارته تهدف إلى زيادة التعاون العلمى والدعم لمواجهة التحديات التى تواجه الأمة وتحصين المجتمع بالوحدة وقام بنقل انطباع الشعب اللبنانى ومحبته لفضيلة الإمام الأكبر.

بحث عودة تدريس مناهج التراث

- وافق المجلس الأعلى للأزهر برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر من حيث المبدأ على مذكرة قطاع المعاهد الأزهرية فى شأن عمل مقارنة بين الخطة والمنهج للمرحلة الانتقالية بين النظامين القديم والجديد وذلك من أجل عودة تدريس مناهج التراث بالأزهر للمراحل الدراسية الإعدادية والثانوية على أن تشكل لجنة مشتركة بين جامعة الأزهر وقطاع المعاهد الأزهرية لبدء دراسة الموضوع دراسة كاملة وعرضه على المجلس لمناقشته وإقراره.

- كما وافق المجلس على إلغاء التفويضات الخاصة لشيخ الأزهر فى بعض الاختصاصات لينعقد الاختصاص فيها للمجلس الأعلى للأزهر وفقاً لأحكام القانون «١٠٣» لسنة ١٩٦١ ولائحته التنفيذية.

- كما وافق المجلس على إعفاء طلبة الشهادات بالمعهد الأزهرى بأفغانستان من مصاريف رسم الشهادات.

- كما وافق المجلس على معادلة درجة الدكتوراه فى الكيمياء من جامعة ريجنسبورج بألمانيا، ودرجة الدكتوراه فى الفلسفة من جامعة إكسترا بإنجلترا، ودرجة الدكتوراه فى اللغة العبرية من جامعة فيينا بالنمسا، ودرجة الدكتوراه فى الدراسات الإسلامية باللغة الأجنبية من جامعة برمنجهام بإنجلترا، بما تمنحها الجامعات المصرية فى التخصص الناظر.



الإمام الأكبر يشهد حفل تكريم الأيتام المتفوقين

شهد فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر يوم الخميس ٢٢ / ٤ / ٢٠١٠ الاحتفال الذى نظمه قطاع المعاهد الأزهرية - الإدارة المركزية لرعاية الطلاب بالأزهر لتكريم الطلاب الأيتام المتفوقين من طلاب وطالبات المعاهد الأزهرية الإعدادية والثانوية للعام الثالث على التوالى بالتعاون مع دار الأورمان بالقاهرة بمبنى مشيخة الأزهر.

وأكد فضيلة الإمام الأكبر خلال الاحتفال أن رعاية وتكريم الطلاب المتفوقين وخاصة الأيتام من أولويات الأزهر بل يعد أمراً واجباً.

وقال: إننا فى الأزهر نعمل على تشجيع ورعاية الطلاب الأيتام اقتداء بالنبى ﷺ.

ومن جانبه قال فضيلة الدكتور / محمد واصل وكيل الأزهر: إن شريعة الإسلام حثتنا على رعاية الأيتام وأن نساهم فى إدخال السرور عليهم ووجه الشكر لجمعية دار الأورمان على ما تقدمه من رعاية للأيتام فى الأزهر الشريف وخارجه لأنها تقوم بدور مهم نحتاج إليه فى مجتمعاتنا الإسلامية.

وقال اللواء ممدوح شعبان مدير جمعية دار الأورمان: إن الأزهر الشريف أتاح لجمعية دار الأورمان فرصة الوصول إلى طلاب ٢٨ منطقة أزهرية لمساندة الطلاب الأيتام المتفوقين.

تم خلال الاحتفال تكريم ١٠٠ طالب وطالبة من ٢٨ منطقة أزهرية حصل الطالب المكرم على ١٠٠٠ جنيه.

أنباء مجمع البحوث الإسلامية

للأستاذ: عبد الموجود أميـــن

مكتبة الأزهر تشارك فى المؤتمر الدولى لترجمة خطة التصنيف العشرى «ديوى»

شاركت مكتبة الأزهر الشريف فى الاجتماع الخامس لمشروع ذاكرة العالم العربى بالبحرين والذى شاركت مكتبة الأزهر الشريف فى أعماله بحضور الأستاذ / مهدى هادى محمود شلتوت - رئيس الإدارة المركزية لمكتبة الأزهر، حيث عرض تجربة مكتبة الأزهر فى حفظ وترميم التراث الإسلامى.

كما تلقت مكتبة الأزهر دعوة من مكتبة الإسكندرية للمشاركة فى فعاليات المؤتمر الدولى الخاص بترجمة خطة التصنيف العشرى «ديوى» لتوائم طبيعة العلوم والفنون التى تقتنيها المكتبات العربية ومناقشة توحيد تلك الترجمات.

الطلاب الوافـــدون من تايـــلاند

بلغ عـدد الطلاب الوافـدين من دولة تايلاند (١٩٤١) طالبا وطالبة يدرسون بالمعــاهد الأزهرية وجــامــعــة الأزهر ويتوزعون على مراحل التعليم بالأزهر الشريف على النحو التالى:

- التعليم الابتدائى: خمس طالبات، وطالبان.
- التعليم الإعدادى: ثلاث طليبات، وسبعة طلاب.
- التعليم الثانوى: ثمان طالبات، و(٩١) طالباً.
- الدراسات الخاصة: عشر طالبات، و(٢٦) طالباً.
- التعليم الجامعى: (٥٢٨) طالبة، و(١٢٥٢) طالباً.
- الدراسات العليا: تسعة طلاب.

صرح بذلك فضيلة الشيخ رجب سليم مدير عام الإدارة العامة لشئون الطلاب الوافدين.

في رحاب السنة

صدر عن سلسلة مجمع البحوث الإسلامية طبعتها الجديدة من كتاب (في رحاب السنة: الكتب الصحاح الستة) لعالم من علماء الأزهر الأجلاء الذين دافعوا عن الكتاب والسنة في وقت تسابقت فيه أقلام المشككين والمتطاولين بألسنتهم بالحملات الضارية للتشكيك تارة والتضليل تارة أخرى بسوق الشبهات الزائفة التي تبدو وكأنها حقائق، مع بث السموم لزلزلة الثقة في عقيدة الإسلام ومفاهيمها.

فقام عالمنا الجليل فضيلة الأستاذ الدكتور محمد محمد أبوشهبة ـ رحمه الله تعالى ـ وهو عالم من علماء الحديث والتفسير بكشف هذا الزيف ودحض هذه الشبهات وبيان الحق الواضح في سلسلة من كتبه التي ستتناولها سلسلة مجمع البحوث الإسلامية بإذن الله ـ تعالى ـ حتى ينكشف هذا الباطل.

والكتاب الذي بين يديك أيها القارئ هو واحد من هذه السلسلة وقد بين فيه المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ منزلة السنة النبوية في التشريع الإسلامي ومن القرآن الكريم، واستقلال السنة في هذا التشريع، وعناية الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ بالأحاديث النبوية، وسبب عدم كتابة هذه الأحاديث في العصر النبوي واهتمام الصحابة بكتابتها بعد وفاة الرسول ﷺ وكيف كان الصحابة ومن اتبعهم يتثبتون في كتابة الحديث وتدوينه وتوثيقه والمقارنة بين الروايات، وتحرير القواعد والأصول التي وضعوها لنقد الحديث لمعرفة المقبول والمردود والصحيح والموضوع.

ثم ألقى مؤلفنا ـ رحمه الله تعالى ـ الضوء



على كتب الصحاح الستة ومؤلفيها بأسلوب ينم عن ثقافته العلمية الواضحة وأسلوبه السهل الميسر ليتعرف كل من يقرأ هذا الكتاب على هذه الكتب وهؤلاء الأئمة الذين حفظوا السنة واعتنوا بها عناية فائقة وقاموا بتبليغها للناس كافة لأنهم يفقهون ويفهمون ويعرفون مغزاها ومقصدها، فجزى الله المؤلف خيراً لتعريفه بهؤلاء الأئمة: الإمام البخاري ـ الإمام مسلم ـ الإمام أبوداود ـ الإمام الترمذي ـ الإمام النسائي ـ الإمام ابن ماجة، وقد اقتصر المؤلف على هؤلاء ـ كما قال ـ لشهرتها واهتمام الناس بها مع أن هناك كتباً أخرى في منزلتها أو قريبة منها مثل موطأ الإمام مالك، ومسند الإمام أحمد، وصحيح ابن خزيمة وغيرها.

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذين:
محمود القشني - يحيى سليمان

في محاولة لإصلاح العلاقات مع العالم الإسلامي

أوباما، يستضيف قمة لرجال الأعمال المسلمين

في إطار استراتيجية لإصلاح العلاقات مع العالم الإسلامي عقد الرئيس الأمريكي باراك أوباما قمة لتعزيز التنمية الاقتصادية في الدول الإسلامية.

وفي خطوة يأمل البيت الأبيض في أن تسهم في تجاوز مرحلة من الخلافات مع العالم الإسلامي اتسمت بالحديث عن الإرهاب والنزاع، استضاف أوباما القمة التي يحضرها رجال الأعمال من ٥٠ بلداً في واشنطن لمدة يومين لتعزيز العلاقات الاقتصادية.

وقال روس أحد كبار مستشاري الأمن القومي للرئيس أوباما: إن القمة ليست مجرد مظهر من المظاهر العامة للدبلوماسية بل إننا نعتقد أنها بداية إرساء علاقات صلبة في مجال حساس.

وكان أوباما وعد باستضافة القمة أثناء خطاب تاريخي ألقاه في القاهرة في يونيو الماضي دعا فيه كذلك إلى بداية جديدة في العلاقات بين الولايات المتحدة والعالم الإسلامي، وصرح أحد المسئولين في الإدارة الأمريكية قبل القمة بأن أحد الأهداف الرئيسية توسيع علاقاتنا التي هيمن عليها عدد من القضايا على الأقل في العقد الماضي وتجاوز تلك القضايا وأضاف بقوله نحن لا نعتبر ذلك بديلاً عن عملنا على أمور مثل عملية السلام في الشرق الأوسط، والعمل على مكافحة الإرهاب وعملنا بشأن إيران، بل نحن نرى هذا كجزء من إقامة مجموعة أكثر تنوعاً من العلاقات وهذه ركيزة أخرى من الركائز.

ويشارك فى القمة نحو ٢٥٠ من رجال الأعمال وأصحاب المشاريع من مختلف دول العالم الإسلامى. ويتوقع أن يناقش أوباما سبل تحسين الحصول على رأس المال وتمويل برامج الابتكار والتبادل التكنولوجى فى إطار مساعى واشنطن لتحسين صورتها التى شوهت بسبب الحربين فى العراق وأفغانستان وفضيحة سجن أبوغريب ومعتقل جوانتانامو.

دورة لتأهيل أئمة المساجد فى بلجيكا فى مجال نشر قيم الحوار

شهدت العاصمة البلجيكية بروكسل ولمدة أربعة أيام دورة تدريبية لتأهيل أئمة المساجد فى بلجيكا فى مجال نشر قيم الحوار والوسطية والاعتدال، واشترك فى هذه الدورة مجموعة من أئمة المساجد والوعاظ والخطباء والمرشدين من مختلف المساجد البلجيكية.. تنعقد الدورة فى إطار برنامج الإيسيسكو لتعليم الأئمة فهم الحوار والوسطية والاعتدال. والذى تم اعتماده فى الاجتماع التاسع للمجلس الأعلى للتربية والعلوم والثقافة للمسلمين خارج العالم الإسلامى الذى انعقد فى موسكو فى يونيو ٢٠٠٨ وعقدت الندوة بالتعاون بين المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة مع وزارة الشئون الإسلامية الكويتية ورابطة التعاون الإسلامى ببلجيكا.

تضمن برنامج الندوة محورين أولهما: نظرى ويشتمل على تقديم عروض من المشاركين حول واقع العمل الدعوى وآفاق تطويره فى ظل المتغيرات الدولية وعرض حول ثقافة الحوار والوسطية والاعتدال فى الإسلام.

وثانى محاور الدورة: تطبيقى وهو تقنيات التواصل وكيفية إعداد خطة الجمعية إضافة إلى عدة ورش عملية فى مواضع تعرض للأئمة خلال مزاولتهم لأعمالهم وقيامهم بمهامهم.

تعيين وزيرة مسلمة يثير غضب حزب ألمانى

أثار تعيين وزيرة مسلمة فى مقاطعة ساكسونيا السفلى الألمانية موجة غضب داخل حزب الاتحاد المسيحى الديمقراطى (المحافظ) بسبب دعوتها إلى سحب الصلبان من المدارس الرسمية.

وقالت إيجول أوزكان الوزيرة القادمة للشئون الاجتماعية فى مقاطعة ساكسونيا السفلى فى مقابلة نشرتها مجلة فوكوس الأسبوعية: لا مكان للرموز المسيحية فى المدارس الرسمية، وأضافت أنه من الضرورى أن تكون المدرسة مكاناً محايداً، موضحة أن الحجاب أيضاً غير ضرورى فى الفصل المدرسى.

وستصبح أوزكان (٣٨ عاماً) أول وزيرة تركية الأصل فى ألمانيا.

ورد الوزير ـ رئيس مقاطعة ساكسونيا السفلى ـ كريستيان فولف إن السلطة التنفيذية

الإقليمية تعتبر الرموز الدينية لا سيما الصليب بمثابة إشارة إلى تربية تتسم بالتسامح على خلفية القيم المسيحية.

وجاءت ردود فعل أخرى أكثر حدة حيث وصف ستيفان مولر- المسئول عن مسائل الاندماج فى المجموعة البرلمانية للاتحادات المسيحية- مواقف أوزكان بأنها شاذة إن لم تكن مرعبة.

توقعات بوصول أول مسلمة للبرلمان البريطانى

قالت صحيفة «مسلم نيوز» البريطانية: إن عدداً من المراقبين يتوقعون أن تصل أول امرأة مسلمة إلى عضوية البرلمان قبل شهر من إجراء الانتخابات لتزداد عدد مقاعد المسلمين خلال الانتخابات المقبلة.

وقالت الصحيفة: إن من إجمالى ١٦ مسلمة يخضن لانتخابات تصل نسبة التوقعات بفوزهن بمقاعد البرلمان للمرة الأولى إلى ٢٥٪.

ويذكر أن غالبية المرشحات المسلمات فى الانتخابات المقبلة من جذور باكستانية.

كما رجحت الصحيفة أن يتضاعف إجمالى عدد النواب المسلمين خلال الانتخابات المقبلة بزيادة نائب أو اثنين عن حزب المحافظين لأول مرة.

وكان أول مسلم انتخب لشغل مقعد بالبرلمان فى عام ١٩٩٧م فيما كان الثانى فى عام ٢٠٠١م، ثم تضاعف العدد مرة أخرى فى الانتخابات الماضية ليصل إلى أربعة نواب جميعهم من حزب العمال.

على صعيد آخر دعا الحزب القومى البريطانى فى برنامجه الانتخابى إلى وقف هجرة المسلمين إلى بريطانيا باعتبارها تشكل خطراً مميتاً للبلاد على حد تعبيره.

كما تضمن البرنامج خطة تقضى بمنح البريطانيين المنحدرين من أصول إسلامية حوافز مادية لإقناعهم بالعودة إلى موطنهم الأصلى.

فيون: حظر النقاب فى فرنسا لا يعنى العداء للإسلام

وسط الجدل الشديد الذى يحيط بدراسة مشروع قانون فرنسى لحظر ارتداء النقاب فى المناطق العامة أعلن رئيس الوزراء الفرنسى فرانسوا فيون أنه لا ينبغى الخلط أو إصدار أحكام مسبقة من شأنها إعطاء صورة مشوهة عن الإسلام فى فرنسا.

وأكد فيون فى بيان رسمى أصدرته الحكومة الفرنسية أن الدولة تضمن حرية ممارسة الأديان والمطالب الأساسية للعيش معاً، لكن فى الوقت نفسه يحق للسلطات العامة مواجهة سلوكيات تغطية الوجه طواعية أو كراهية وعزل من يمارسها عن باقى أفراد المجتمع احتراماً لكرامة الفرد وحريته اللتين أرساهما الدستور الفرنسى منذ أمد بعيد..

وتأتى تصريحات فيون عقب لقائه مع رئيس المجلس الفرنسى للديانة الإسلامية محمد موسوى الذى أعرب عن الاستياء الشديد للجالية المسلمة إزاء هذه الإجراءات، وأكد تمسك الجالية بحقها فى ممارسة عقيدتها دون الإخلال بقيم فرنسا وقوانينها مشيراً إلى أن حظر النقاب قد يساء فهمه. لذا طالب رئيس الوزراء بخطاب رسمى من شأنه طمأنة الجميع.

الحزب الإسلامى الهولندى يقاطع الانتخابات بسبب التهديدات

قرر الحزب الإسلامى الهولندى، مقاطعة الانتخابات البرلمانية المقررة فى ٩ يونيو القادم.. بسبب التهديدات التى تلقتها قيادات الحزب بالاغتيال.

وتلقى رئيس الحزب هانى كريفت (هولندى مسلم) وأعضاء مجلس إدارة الحزب تهديدات بالاغتيال وتعرضهم لعمليات انتقامية هم وأسرهم من قبل عناصر مجهولة عبر الهاتف والبريد الإلكترونى إذا ما شاركوا فى خوض الانتخابات البرلمانية وحاولوا فرض تعاليم الدين الإسلامى على البرلمان.

وقال كريفت إن الحزب يتوقع أن الحكومة الهولندية المقبلة التى ستتشكل بموجب انتخابات ٩ يونيو المقبل لن تعمر طويلاً وستنهار فى أول فرصة وذلك استناداً إلى تجارب الحكومات الهولندية السابقة التى اتسمت بالهشاشة وانهارت أكثر من مرة.

وكان الحزب قد تعرض فى الانتخابات المحلية التى جرت فى مارس الماضى إلى تهديدات أيضاً وإلى سرقة أوراق الدعاية الانتخابية فى بعض الدوائر ويرجح أن عناصر يمينية متطرفة وراء هذه التهديدات.

الفاو: أكثر من مليار شخص يعانون المجاعة فى العالم

أعلن جاك ضيوف المدير العام لمنظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة (الفاو) أن أكثر من مليار شخص على كوكب الأرض يعانون من المجاعة جراء الأزمة الاقتصادية وارتفاع أسعار المنتجات الغذائية وذلك خلال الثلاث سنوات الأخيرة، وقال ضيوف خلال افتتاح المؤتمر الـ ١٣ لمنظمة الفاو من أجل أمريكا اللاتينية والبحر الكاريبى المنعقد فى بنما: إن عدد الأشخاص الذين يعانون من المجاعة يتخطى المليار الآن حيث يوجد نحو ٢٤٦ مليوناً فى آسيا والمحيط الهادى و٥٦٢ مليوناً فى قارة إفريقيا و٢٤ مليوناً فى أمريكا اللاتينية والبحر الكاريبى و٥١ مليوناً فى الدول النامية.

اليهود يحفرون نفقاً لمترو أسفل الأقصى والعرب يشكونها إلى الأمم المتحدة

كشفت تقارير صهيونية: أن الحكومة الإسرائيلية بصدد حفر نفق بطول عدة كيلو مترات يبدأ من بناية السبع فى شارع يافا غربى القدس وصولاً إلى مفترق مقبرة «مأمن الله»


الصخرة المشرفة

الإسلامية صعوداً إلى منطقة باب الخليل إحدى بوابات القدس القديمة.

وذكرت التقارير الإسرائيلية: أن النفق سيخصص لمرور مترو أنفاق يلتف حول الجدار الغربى والجنوبى لسور القدس، ثم يتجه شرقاً إلى باحة البراق قرب الحائط الغربى فى المسجد الأقصى، وسيتم حفر جزء من النفق أسفل المقبرة الأرمينية المقابلة لدير الأرمن باتجاه باب النبى داوود فى منطقة باب الخليل.

ومن المقرر أن تنفذ المشروع شركة أمريكية وصلت إلى مرحلة متقدمة بوضع التصميمات الهندسية بحفر النفق وتصميم عربات القطار الخفيفة.

ـ على الجانب الآخر قدمت الكويت نيابة عن المجموعة العربية فى الأمم المتحدة شكوى بشأن تدنيس إسرائيل لمقبرة «مأمن الله» فى القدس المحتلة مطالبة باتخاذ إجراء عاجل حيال هذه المسألة وحذرت الكويت من أن مثل هذا التطور قد يزيد من حدة التوترات والحساسية الدينية فى المنطقة.

كما أرسل السفير الكويتى لدى الأمم المتحدة منصور العتيبى خطابات مماثلة للسكرتير العام للأمم المتحدة ورئيس مجلس الأمن لجذب انتباهه إلى هذه المسألة الخطيرة ذات الأهمية الكبيرة للمجموعة العربية.

مشيراً فى خطاباته أنه على المجتمع الدولى أن يستنكر ويشجب تدنيس مقبرة «مأمن الله» وأن يبذل قصارى جهده لإجبار إسرائيل على تعليق أفعالها غير الشرعية والاستفزازية حيال القدس.

لجنة دولية لحماية تراث مدينة الخليل

تأسست لجنة دولية فى مدينتى أركوى وباريس بفرنسا من أجل حماية وتعزيز البلدة القديمة فى الخليل بفلسطين المحتلة، وللدفاع عن الطابع العالمى للتراث الثقافى لهذه المدينة.

وقد بدأت اللجنة بعد اجتماع أعضائها فى الإعلان عن قرارات باتخاذها خطوات عملية من أجل تحقيق أهدافها التى تأسست من أجلها، وفى مقدمة هذه الخطوات بعض الإجراءات الرامية إلى تعزيز ترشيحها فى منظمة اليونسكو من أجل دعمها فى قائمة التراث العالمى.

كذلك الحصول على الدعم الفنى، من أجل الانتهاء من الملف المطلوب تقديمه إلى منظمة اليونسكو للحصول على التصريحات اللازمة من أجل عمل لوحات تعريفية واضحة بالعربية والفرنسية والإنجليزية، توضع داخل البلدة القديمة، من أجل إعلام الزوار بالتراث التاريخى والثقافى للمكان، والعمل على ترجمة ونشر أحد الكتب الصادرة حديثا عن الخليل إلى اللغة الفرنسية والذى يحمل عنوان «الخليل ـ الهندسة المعمارية والغموض فى المدينة القديمة».

كما قررت اللجنة التنسيق من أجل تنظيم العديد من الحملات الإعلامية التى توضح أهمية التراث الثقافى للمدينة.



صورة اختفت من الواقع .. الصلاة فى المسجد الأقصى

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم

أحمد السيد تقى الدين

التسرع .. والظن

«محمد سليم مسلم» اسم فرض نفسه بقوة على جميع وسائل الإعلام، مسموعة ومرئية ومقروءة.. الرجل ليس نجما سينمائيا لامعا، ولا لاعب كرة قدم وليس سياسيا يشار إليه بالبنان.. إنه شخص ليس من ذوى الشأن فى الأوساط الاجتماعية على الإطلاق.

هذا الشخص نسب إليه ارتكاب جريمة بشعة هى: قتل أربعة أفراد واغتصاب أحدهم فى إحدى قرى لبنان، الشرطة اللبنانية اعتقلت «محمد سليم مسلم» وشرعت فى التحقيق معه، لكن أهالى القرية غضبوا من هول الجريمة وبشاعتها فاختطفوا المشتبه به وقتلوه وتسابقوا فى التمثيل بجثته، وهى جريمة بشعة بكل المقاييس تسابقت الفضائيات فى نقل أحداثها بالتفصيل وللأسف مثل هذه الجريمة تتكرر فى مجتمعاتنا العربية، وصعيد مصر تحديدا يشهد على ذلك، فالأخذ بالثأر عادة بشعة لا تكاد تخمد نيرانها، ويتساوى فى ارتكابها الجاهل الذى لا يقرأ ولا يكتب والمتعلم الذى حصل على درجة الدكتوراة.

الجريمة التى ارتكبها عدد غير قليل من أهالى قرية «كترمايا» اللبنانية استنكرها القاضى اللبنانى «يحيى الرفاعى» وقال: إن ما ارتكبه أهالى «كترمايا» بقتل العامل المصرى «محمد سليم مسلم» والتمثيل بجثته يعد مخالفة شرعية وقانونية، وقال: «إنه يعلم أن أهالى

المنطقة طبعهم التسرع والحكم على الأشياء بالظن».

وهذه هى آفتنا: التسرع والحكم على الأشياء بالظن.. إنه سلوك يتشارك فيه أبناء العروبة وليس سلوكا لبنانيا محضا.. لم يكن العامل المصرى محمد سليم مسلم مستهدفا من أهالى قرية كترمايا لأنه مصرى كما حاول البعض أن يصور، ولكن هذا السلوك من الممكن أن يتكرر مع شخص آخر قد يكون مغربيا أو سودانيا أو يمنيا أو قطريا أو من أى جنسية عربية.. إنه سلوك يتعلق ببرامج التعليم والتنشئة الاجتماعية والدينية.. وكان المفترض ألا يكون موجودا بين أبناء أمة الإسلام وفيها كتاب الله وسنة النبى ﷺ وما حواه كلاهما من أوامر ونواه.. اننا نقرأ قول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾

(الحجرات: ٦)

ونقرأ قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾

(الحجرات: ١٢)

ومن المؤسف أن كثيرا من النزاعات العربية على مستوى الدول منشؤها التسرع والحكم على الأشياء بالظن، فإذا كانت هذه هى سياسات الدول فى التعامل مع بعضها البعض فمن الطبيعى أن يكون نفس الأسلوب ساريا فى تعاملات الأفراد مع بعضهم البعض، وبالتالى فإن برامج التعليم والتنشئة الاجتماعية وخطب الوعاظ والمشايخ تصبح غير مجدية.

لابد أن يغير الكبار من مسلكهم أولا، وأن يحسنوا الظن ببعضهم البعض، وأن يكونوا قدوة ومثلا فى التسامح وحسن الظن، وما أحداث حرب الخليج بمراحلها المتعددة ببعيدة، ناهيك عن الحروب الأهلية فى السودان واليمن والصومال.. بل وفى لبنان نفسه وغيرها.

لابد أن نحسن الظن بأنفسنا وبإخواننا.

لابد أن يكون الكبار قدوة لنا فى هذا الأمر وإلا فلا فائدة فالناس على دين ملوكهم، والكبير هو القدوة والمثل.

أحمد تقى الدين

وإلى رسائل القراء

أحمد عثمان عبدالمجيد

تحت هذا العنوان جاءت رسالة القارئ «م. و»:

كنت أهديت المربى الكبير الأستاذ أحمد عثمان عبدالمجيد رحمه الله كتابى (البيان القرآنى) فى طبعته الأولى ومضت أيام فلم يحدثنى عنه ثم احتجت إلى إعادة طبعه بعد عدة سنوات وليس لدى نسخة منه. فقيل لى: إن بمكتبة المنصورة الحكومية نسخة يقرؤها أدباء الإقليم. فسارعت إلى استعارتها، ودهشت حين وجدتها النسخة التى أهديتها للصديق العزيز، حيث أهدى مكتبته الحافلة إلى دار الكتب قبل رحيله وموضع الشاهد أنى وجدت الأستاذ قد قرأ الكتاب قراءة فاحصة وقام بتسجيل علامات فى الهامش تدل على ارتياحه أو نقده، وقد راجعت ما أشار إلى نقده فوجدته ذا فكر مستقل، وأسفت، حيث لم يبلغنى آراءه التى ادخرها لنفسه فتكون موضع حوار سديد ثم طلبت بعض ما أهداه للمكتبة فإذا العلامات هى العلامات! وإذا أنا أمام ناقد صامت يقرأ مستوعبا، ويسجل رأيه فيما يقرؤه دون ضجيج.

وقد كان من سعادتى أنى كنت مدرسا بالمنصورة الثانوية فى أول عملى التعليمى وكان رحمه الله المدرس الأول للغة العربية وكانت المدرسة تضم أكثر من خمسة وعشرين مدرسا للمادة كلهم تحت إشرافه وحده فكان يقوم بعبء توجيهى فادح، حيث يراجع كراسات الإعداد للمدرسين مراجعة الأستاذ لكراسات تلاميذه وله مع كل مدرس وقفات ناقدة تهدى الناشئين إلى الصواب، وزملاؤه فى المدارس الأخرى لا يقومون بمعشار جهده التربوى مما أضجر بعض المدرسين بدءا ولكنهم خرجوا من توجيهه بصيد ثمين، وكنت أول المنتفعين بآرائه، إذ كانت منارا لى فى طريق شاق بهيم!

كان الرجل نمطا فريدا فى بابه، وقد علمت أنه كان أحد اثنين رشحا للبعثة الأوروبية حين نال ليسانس دار العلوم، ولكن الميزانية لم تسمح بغير مبعوث واحد فأجريت القرعة بينهما وكان غيره صاحب الحظ مع أنه كان مبرزا بين طلاب الدار وله بحوث أدبية فى الأهرام عن شعراء العربية تدل على مستقبل رائع فى التأليف الأدبى لو لم يرهق نفسه بالتوجيه التربوى، وكان يكتب البحوث الأدبية ثم يطويها لشعور خاص يقوم فى نفسه يدعو إلى الاستيفاء التام ولو تملك هذا الشعور غيره من الكتاب ما ألف أديب كتابا، ولكنه الإحساس بمسئولية التأليف، وأذكر أنه حين قامت مسابقة الترقية إلى التعليم الثانوى بين المدرسين وجد أن همزيات أبى تمام ستكون موضع اختبار المتقدمين فقام بشرح لها فى مدة وجيزة وطبعه تيسيرا لزملائه، ولو نهض لشرح بقية الديوان - وهو كفء ممتاز - لأتى بخير جزيل، ولكن مسئولية الوظيفة التوجيهية كما يتصورها فى مثاليته قد عاقته عن الكثير.

كما أذكر أن «الرسالة» نشرت له بحثا رائعا عن حافظ إبراهيم قبل رحيله فدل به على سبقه، ومن تواضعه أنه بدأه بما معناه أن قلمه الناشئ لا يسمح له أن يتحدث عن شاعر كبير فى مجلة «الرسالة» مع أن قراءة المقال تدل على أن القلم متمرس متمكن وليس قلم ناشئ يخط السطور

الأولى، وهو إحساس مثالى لزمه طيلة حياته، فنهض عائقا عن السيرورة والازدهار فى المحيط الأدبى ولكن زملاءه وتلاميذه يعرفون عنه من المواقف الأدبية ارتجالا وبديهة ما يحفظ له موقفه الرائع فى مقام الإرشاد التربوى والبحث العلمى الطليق.

أما سماحته الخلقية ورفقه بالضعفاء من المدرسين وبشاشة وجهه عند اللقاء، إذ رزقه الله صباحة الوجه ولطف الابتسام أما كل ذلك فقد كان مثالا يحتذى للمربى الفاضل والموجه الناقد والرئيس الحازم الصبور وقد نسيت الحديث عن سلسلة الضياء الخاصة بمقرر اللغة العربية بالتعليم الثانوى وهى عمل مدرسى ممتاز قام به الأستاذ وحده وإن ألصقت به أسماء لم تقم بجدوى نافعة بل كانت أصفاراً على الشمال.

من أعلام الفكر الإسلامى محمد كرد على

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ: «فرج مجاهد عبدالوهاب» عضو اتحاد الكتاب - شربين - دقهلية:

أديب مجدد ومفكر عربى واسع الأفق، وهو أحد أعلام النهضة الأدبية والفكرية المعاصرة فى عالمنا العربى. كان رئيسا للمجمع العلمى العربى فى دمشق بعد أن أسسه وكان وزيرا للمعارف فى سوريا. عمل فى الصحافة فى مصر وسوريا وأصدر مجلة «المقتبس» وأشرف على تحرير مجلة «المجمع العلمى العربى» منذ ظهرت عام ١٩٢١م.

ولد فى عام ١٨٧٦ فى دمشق من أسرة يرجع نسبها إلى الأكراد الأيوبيين، أجاد التركية والفرنسية إلى جانب اللغة العربية، اتصل بالإمام محمد عبده وتعلم من آرائه فى الإصلاح ثم عاد إلى سوريا عام ١٩٠٨ وطاف بأرجاء سوريا والوطن العربى، وقام برحلات إلى فرنسا وإيطاليا وأسبانيا.

وقد أسهم محمد كرد على فى نشر التراث القديم، فنشر رسائل البلغاء، وسيرة ابن طولون، وحكماء الإسلام للبيهقى، وكتاب الأشربة لابن قتيبة. أما عن مؤلفاته - وهى كثيرة - فنذكر منها: الإسلام والحضارة العربية، وأقوالنا وأفعالنا، وأمراء البيان، وخطط الشام، ودمشق مدينة الشعر والسحر، وغرائب الغرب، والقديم والحديث، وكنوز الأجداد، والمذكرات، وغوطة دمشق، والبعثة العلمية إلى دار الخلافة الإسلامية، وكتاب «الحضارة الإسلامية»، وقصة الفضيلة والرذيلة، ورواية المجرم البرىء، وغيرها من الكتب.

كان كرد على وثيق الصلة بدوائر الاستشراق، يعمل على التعريف بآثار المستشرقين ودراساتهم عن الإسلام.

ولا شك أن مصر والعالم العربى ليذكرون أشهر أعلام الفكر والثقافة والأدب فى تاريخ سوريا الحديث وأحد أقطاب السياسة والإصلاح الذى طالما اهتزت بأدبه المنابر ودور العلم والجامعات المختلفة، فقد كان رائدا من رواد الإصلاح، وأديباً صاحب رسالة، وكاتبا موهوبا وصحفيا نزيها، وسياسيا من الطراز الأول فى تفكيره السياسى، ومكافحا جلدا صبورا على أعباء الجهاد حتى توفاه الله فى الثانى من أبريل عام ١٩٥٣.

بركة الطعام.. فى التقوى

ومن الأستاذ «إبراهيم مسلم إبراهيم النجار» مدير عام تنظيم وإدارة سابق، سندنهور - قليوبية كانت هذه الكلمة عن بركة الطعام:

يعيش الإنسان ويحيا بما يتيسر له من أنواع الطعام طلباً للصحة والقوة والنشاط وليستطيع السعى فى الأرض ليعمرها من أجل الحصول على ما قسم الله له من رزق امتثالاً لقوله تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾

(الملك ١٥)

وقد خلقنا سبحانه وتكفل بأرزاقنا، فسخر لنا كل ما فى هذا الكون من نعم لا تحصى فقال:

﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

(النحل: ١٨)

ثم يقول سبحانه معدداً بعض نعمه علينا فيقول:

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

(النحل: ١٠ - ١١)

ومن حيث إن الطعام هو أساس حياة الإنسان فإنه يكد ويكدح بل ربما يتصارع مع آخرين فى سبيل الحصول عليه وقد ضمن لنا ربنا الرزق ما دمنا له شاكرين حيث يقول:

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾

(إبراهيم: ٧)

ومع أمره تعالى بالبحث عن الطعام والشكر عليه، يرسم لنا مراحل إعداد الأرض وتهيئتها للزراعة، ثم استخراج ما تنبته من أنواع شتى لإطعام الإنسان وغيره.. واقرأ فى قوله تعالى:

﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾

(عبس ٢٤ - ٣٢)

إن البحث عن الطعام والتأمل فى أنواعه المتعددة التى أوجدها الله بقدرته وعظمته حيث يعجز الإنسان عن تدبيرها بنفسه، وهذا يجعلنا نسجد شكراً وعرفاناً بفضله فعظمة الله وقدرته واضحة فى كثرة هذه النعم التى لا يمكن حصرها. إلا أنه يجب على المسلم الحق أن يتمتع بهذه النعم حامداً شاكراً لله سبحانه، ومؤكداً على تقواه وحسن طاعته لله واتقاء من الطمع ومن الشح لأن ارتباط الرزق بالتقوى يحبه الله ورسوله.

على باب الامتحان

وبمناسبة موسم الامتحانات جاءت كلمة الشيخ/ مصطفى الأزهرى - إمام وخطيب مسجد سوق الحمام - السيدة عائشة - القاهرة:

أبناؤنا هم زينة حياتنا وفلذات أكبادنا وزهرة الدنيا، وهم رصيدنا بعد رحيلتنا، ونأمل فيهم أن يكونوا سعداء ناجحين متفوقين فى تعليمهم وفى حسن تحصيلهم للعلم النافع، فبذا تتحقق للأسرة كلها نعمة السعادة وراحة البال؛ وبالأخص فى أيام جميعنا يعلم كم يكلف الطالب أسرته من نفقات مالية ونفسية يدفع ثمنها يحب واجتهاد ذلك الوالد الكادح الذى يخرجها من فمه - كما يقولون - ليطعمها أبناءه، بل وربما يحرم نفسه من بعض حقوقه فى الحياة لينفق على أبنائه تعليما وكسوة وطعاما ومواصلات.. الخ ومن هنا تكون فرحة الوالدين بولدهما البار عندما يشعرون بمدى إحساسه بالمسئولية فيجدونه جاداً فى دراسته حريصاً على وقته لا يفرط فيه فى لهو أو عبث أو غير ذلك لأنه - الطالب - يعلم أن ساعات تحصيله للعلم والاجتهاد فى ذلك هى أمانة يجب عليه المحافظة عليها إذ أنها «عصارة» ما تكيده الوالدان من أجله.

وكم تزداد حالة التحفز والاستعداد كلما اقترب موعد امتحان الأولاد؛ فالأب والأم يتمنيان شيئين لأولادهما: الأول: النجاح بتفوق ثانيا: تجاوز السنة الدراسية لسنة أخرى ليخفف العبء المادى إلى حد ما؛ فهل يصل هذا الشعور إلى الأولاد؟ تلك مسئولية تربوية ودينية وإعلامية وتعليمية يجب على الجميع استيعابها ووضع البرامج اللازمة لتوعية الأبناء بها.

غذاء الأعصاب

ومن رحمة ربنا - جل وعلا - بعباده المؤمنين أن أنزل لهم شفاء ورحمة مما هم فيه من تعب ومشقة.

قال تعالى:

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

(الإسراء: ٨٢)

وكذلك وصف لنا ما يجعل قلوبنا هادئة مطمئنة فقال عزوجل

﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾

(الرعد: ٢٨)

فهى وإن كانت أعمالاً صالحة غير أنها «روشتة» خاصة لعلاج توتر الأعصاب الذى عادة ما يصيب الأسرة قبل وأثناء موسم الامتحانات؛ فالتركيز على تلاوة القرآن والاستماع إليه وجعله وردا ثابتا قبل المذاكرة للأولاد والوالدين معا ينزل الله به السكينة على أهل البيت ويشيع روح الهدوء فى الأسرة ويزيد من طاقة الأبناء فى المذاكرة والمراجعة والتحصيل.

والملائكة تدعو للأسرة

كما على الآباء أن يشيعوا روح الأنس بهذه المخلوقات النورانية والتى جعل الإسلام الإيمان بها أحد أركان الإيمان (الإيمان بالملائكة)، أنهم:

﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾

(الانفطار: ١١، ١٢)

وأن الماهر بالقرآن يحظى بصحبتهم كما جاء فى الحديث (......والذى يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة)

(سنن أبى داوود)

وهناك بعد تربوى غاية الأهمية على الأسرة أن توقن به وتؤكده فى نفوس أبنائها وهو دعاء الملائكة لهم وذلك فى قول الله تعالى:

﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

(غافر: ٧، ٩)

توصيات إيمانية

وهذه بعض الوصايا حرصنا على تقديمها لإخواننا وأبنائنا الطلاب بكل الحب والدعاء لا بالنجاح فقط بل وبالتفوق الكبير؛ فالطالب المسلم لا ينبغى أن ينسى أنه طالب «علم» لا طالب «مؤهل» فقط وأن همته تفوق غيره لأنه جزء من طموح الأمة وأملها فى حضارة لا تغيب عنها الشمس:

١- نوصيك بإخلاص النية فى ابتغاء العلم لنيل الأجر العظيم.

٢- نوصيك بالتقوى فهى جالبة للعلم موسعة للمدارك والأفهام.

٣- كما نوصيك بالاستعانة بمفرج الكروب ومسهل الأمور الله الواحد القهار.

٤- نوصيك بحسن التوكل على الله.

٥- تذكر رهبة الحساب وشدة الموقف بين يدى الله - عز وجل - تهن عليك رهبة الامتحان.

نعتذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة، وذلك حرصا من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء. ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق فى اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها. كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعا بمشيئة الله تعالى.

mixed courts – in which he worked as a judge – "as a strong pillar of the pillars of the European domination on Egypt"![9]

"The warning scream" released by Refaa At-Tahtawy (1216-1290H – 1801-1873) was not fruitful in resisting this secular infiltration into the Egyptian jurisdiction and legislation. He wrote books in (1286 H – 1869) about these commercial bodies held in the Islamic cities "to decide in the lawsuits and procedures between the citizens and the foreigners using foreigner laws in most cases."

He commented on this secular penetration of the law saying, "If the Islamic transactions are organized and applied, everyone will receive his rights as it harmonizes between the time and case. The one who contemplates at the Islamic doctrinal book will find that they organize the beneficial methods of the public utilities, as they classified the legal transactions containing the commercial decisions such as company, speculation, loan, communication and conciliation…etc.

The Islamic Sharia is deep and contains all subjects and cases. The political decisions do not deviate from the doctrinal attitudes because they are the origin and all of the attitudes of the policies are branches."[10]

"The warning scream" released by Refaa At-Tahtawy was not fruitful in resisting this secular infiltration into our jurisdiction and legislative institution, but the "general ordeal of infiltration" occurred when the English troops occupied Egypt (1299 H 1882). In the next year, the occupation generalized the foreign law in the Egyptian national jurisdiction.

In 24th of Gomada Al-Akhera, 1300 H, 2nd of May, 1883, the civil law, commercial law, marine commercial law and procedures law were issued following its previous state in the mixed courts – and the penal code and criminal investigations were issued – with some amendments. On 13th of November in 1883, the laws became "secular" in the Egyptian national jurisdiction![11]

If At-Tahtawy indicated that the codification of the principles of the Islamic Sharia and its doctrinal transactions "by reconciling the time and

[9] The previous reference, part2, p.243, 247 – The reference is derived from (Egypt and Europe), part 1, p. 118, 205, edition of 1882.

[10] [The complete works of Refaa At-Tahtawy] part 1, p. 544, 369 and 370, Study and report: Dr. Muhamad Emarah, Beirut edition, 1973.

[11] Ar-Rafiy (Ismail's age), part 2, p. 240, (Egypt and Sudan at the beginning of the age of occupation), p. 65 – 68, Cairo edition, 1966.

case," which is a presentation of the Islamic substitute, his student Muhammad Qadry Basha (1237 – 1306 H – 1821-1888) made every effort to codify the Islamic substitute, as he presented to the library of the Islamic law:

1- The Guide of the Perplexed in Knowing the People's Circumstances) in the doctrinal transactions.

2- The Fair Law for Exterminating the Problems of Religious Endowments)

3- (The Doctrinal Rules in the Personal Circumstances)[12] proving the continuity of the Islamic resistance for the penetration of the Western secularism to our laws and judicial and legislative bodies in our countries.

On this way, planned by At-Tahtawy for "reforming by Islam" and for renewing our worldly life by renewing our religion, Imam Muhammad Abdo (1265-1323 H – 1849 – 1905) walked. He criticized the materialistic attitude towards the European Urbanization "The Silver and Golden Attitudes."[13]

He attracted the attention to the distinction of Islam, which "appeared not merely spiritual and not solidly physical, but moderately human, as it gathers both of the attributes.

It is remarked by suitability to the human instinct in a way that did not occur in any other religion. It became the way of progress from barbarism towards urbanization. It gathers the religion and Sharia and does not know what the foreigners call "divine authority."

At the same time, it did not separate authority from religion. However, it perfects the human being, causes intimacy at home and constitutes a regime for governing in a way that distinguishes the nations that believed in it."[14]

Then he said, "Religion is the inevitable way to reform the Muslims. If we give them literary and wisdom free of religion – i.e. the secularism -, there will be no use and their work will be in vain.

[12] Az-Zarkaly (Al-A'lam), Beiruit edition, Serkis (the dictionary of Arab and Arabized Publications), edition of 1928.

[13] (The Complete Works) part 3, p. 205, study and report: Dr. Muhammad Umarah, Cairo edition, 1994.

[14] The previous reference: part 3, p. 287, 225, 226, 233, 288, 286 and 285.

European country entered the Eastern countries not for the sake of exploitation but for reformation and stirring urbanization. At the beginning of its occupation, it said that it would not interfere in religion or the customs.

Then, it changes both of them gradually, as France did in Tunisia and Algeria, as it enacted laws containing articles that contradict with the Islamic Sharia; rather it issued its contradictory rules, spreading them in the countries. It assigned judges that satisfied it to carry out these rules. When it did not find opposition, it started to change many of its articles to articles denied by Islam to expand the scope of religious abrogation. Shortly, we adopted the same method in Egypt ...!"[3]

The religious abrogation took place with the secular law. Along with the positive secular law, which does not link "benefit" to legislation and does not govern the human rights with Allah's rights and limits, the Western imperialist invasion to the Islamic countries covered by the concept of human liberty came free from the legal limits. It is based on the idea that the human being is the master of the world and the basis of construction. It is contradicted to the Islamic law that links the liberty of the successor to the Divine legislation. It shows that Allah governs the human society. It shows the articles of the contract of the Divine succession to the human being.

About the secular concept of liberty which states in the phrase of Abdullah An-Nadim, "The non-interference of anyone in any other's affairs," An-Nadim says in his criticism and revealing his Islamic substitute, "Liberty is asking for rights and respecting the limits, which we consider as returning to bestiality and getting out of the limits of humanity. It is urban liberty from which the beast detests.

If it is acceptable in Europe, we say that every nation has its customs and religious or domestic ties. This permission does not suit the Muslims' morals, religious bases and customs. Moreover, it does not suit the traditions of the Eastern people or their religions. The right law is the one that protects the rights of the nation without destroying it with its allowance of prohibited matters."[4]

The Western secular law's penetration into our legal and judicial institutions preceded the military occupation and unveiled imperialistic authority. This state occurred after the increase of the imperialistic

---

[3] [Al-Ustaz] magazine, issue 22 p. 514, 515, dated 29 Gomada Al-Akhira, 1310, 17th of January, 1893.

[4] The previous reference, issue 19, p. 439, issue 28, p. 912.

influence in our countries and the increase of the foreign community in it. Its penetration was paving the way to occupation and imperialism.

In Egypt, at the time of Khedewy Said (1237-1279 H, 1822-1863), a wish is issued in 12th of Shaaban, 1237 H, 18th of April, 1855 of establishing mixed commercial court (merchants' meeting) consisting of Egyptians and foreigners to judge the commercial disputes in which the foreigners are one of its parties"[5]. Thus, the secular penetration into the Judiciary institution began.

Along with the increase of the foreign influence, the foreigners constituted the majority in the membership of the court of (Egypt commission) – three Egyptians and four foreigners-![6]

After the multiplicity of the consular jurisdiction – in which the foreign judges judge using the foreign law in the disputes in which one of its parties was f0reign, till it reached seventeen courts at the time of the foreign privileges. The judicial and legal mess was organized by setting the mixed courts in 1875 – which settled the disputes between the Egyptians and foreigners using "Napoleon's secular law" and the French language. The most of its judges and its heads were foreigners.

In its partial circles, which has one judge, the foreigner judge solely gave verdicts and also in the circles of the urgent and temporal matters, sales and real estate expropriation. [7]The secular penetration of the judiciary and legislative institution occurred at the same time. "The mixed system was not limited to the foundation of foreign court whose verdicts were effective over the natives and the government of the country. Rather, it gave the foreign countries the right of interfering in the legislation that is applied upon its citizens."[8]

There was a Dutch judge in these mixed courts – Von Bemmelen – who described the consular jurisdiction as, "The outcome of extortion from the party of the strong over the rights of the weak." Moreover, he described the

---

[5] Amin samy Basha, Taquim An-Nil, vol. 1 of

[6] Abdul Rahman Ar-Rafiy (The age of Ismail) part 1, p.47, 48, Cairo edition, 1984.

[7] The previous reference, part 2, p. 242 – 246.

[8] The previous referenve: part 2, p. 249.

{And do not draw near obscenities whatever (of these) is outward and whatever inward}

[Al-An`am (The Cattle): 151]

One of the factors that all of the Divine Messages call for keeping the people's honor and life. This document, in facilitating the contraceptives to the adolescents, calls frankly for adultery. This call is enhanced by manufacturing hymen for the sake of the woman who lost it in an illegitimate way. Also, it allows abortion for girls who commit adultery and became pregnant as a result, which means a call for killing a human being.

As for eliminating the differences between men and women is stubbornness against nature, as every gender of them has certain biological and physical features. Moreover, the responsibilities of motherhood differ from fatherhood. As for perversion, all of the world medical centers admit that 80% of Aides affliction renders to this sin.

As for giving men and women equal heritage, we can say that women in the Western societies afford for her living unlike the Islamic societies. If we apply the mental standard, we see that the woman's needs are met by her family in all of her life. Thus, she may not take anything from the heritage, but Islam gave her half of man's share in some cases and like the man in other cases. Sometimes, she takes more than man, as these are Allah's graces, given to the one He wants.

The guardianship of man means care and cooperation in kindness and mercy. It is based on the cooperation between man and woman, as woman may help her husband and the girl may help her father in the household activities, following the pattern of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him). He helps his family and repairs his foot-wear.

The last point discussed in this document is the services of preventing Aides by using medical insulator for men and women and training them to use it. We indicate that most of the doctors say that whatever these insulators were accurate, it does not prevent Aides virus, but they may prevent pregnancy. Also, this is a way of facilitating sins. If we want to prevent these diseases, we have to abide by the moral and religious regulations in preventing adultery and perversion, which are the sources of affliction with these diseases.

*The Western Rise of Secularism[1]...!

By: Dr. Muhammad Imarah

Member of the Islamic Research Academy

-2-

The invasion of Napoleon Bonaparte (1769-1821) to Egypt represented the beginning of the modern western imperial invasion to the Arab World – the heart of the Islamic world – after the gathering of imperialism around this world throughout four centuries. This invasion differed from the previous Crusade invasions (489-690 H – 1096 – 1291) in its aiming at occupying mind, thinking and changing the identity along with occupying the earth, plundering the wealth and enslaving the people.

Secularism is one of the coming ideas with the invasion. For the first time, the French word "Lailque" was translated into "Almaniya" in the Arabic French dictionary issued in 1828, which is formulated by "Lais Baqtan Al-Masry" who served the troop of the French occupation in Egypt. Then, it departed with him to teach the Egyptian slang in the schools of Paris. Lailque was translated secularism being ascribed to "the world" in return for "religion".[2]

In every part of the Islamic nation which was occupied by the Western occupation, imperialism started gradually to replace the Islamic system by the secular attitude in managing the country, ruling the society and organizing the society. It implanted the secular positive law wherever it plucked out the Islamic Sharia.

In Tunisia and Algeria, the French Imperialism replaced the laws of the Islamic Sharia by the secular positive law in the way the British Imperialism did in Egypt after its occupation. Abdullah An-Nadim (1261-1313 H, 1845-1896) informs us with secularism coming with the invasion, "Every

---

* An article published (in Arabic) at Al Azhar magazine.

[1] Look: (Dictionary of Social Sciences), the Arabic language Academy – Cairo, 1975, and (Sociology Dictionary) – Supervised by Dr. Atef Ghaith, Cairo edition, 1970 and Dr. Muhammad Al-Bahy (Secularism and Islam between Thinking and Application) p. 8 and 7 – Cairo edition, 1976.

[2] Dr. As-Said Ahmad Farag (Almani, Almaniya, quoted from the dictionary), "Al-Hewar" magazine, Beirut, issue 2, p. 101, 110, in 1986.

Allah, Glory be to Him, says:

{Let him who is owner of affluence expend out of his affluence; and he whose provision has been exactly estimated for him expend of what Allah has brought him. Allah does not charge any self except with what He has brought it. Allah will soon make, difficulty, easiness.}

[At-Talaq (Divorce): 7]

As for dwelling, Allah, Glory be to Him, says:

{Make them dwell (in some part of the housing) where you are dwelling, According to your means, and do not try to hurt them, so as to straiten (their circumstances.}

[At-Talaq (Divorce): 6]

The marital relationship in Islam is based on love, cordiality, cooperation, and altruism. Allah, Glory be to Him, says:

{And of His signs is that He created for you, of yourselves, spouses, that you (may) find rest in them, and he has made between you amity and mercy.}

[Ar-Rum (Romans): 21]

Islam does not give the man the right of mastery because he spends money on her. However, his right is derived from his care, responsibility, and consultancy. Also, she has the right of possession and act freely in relation to her money, as she can invest it without any interference from man, i.e. the civil liberty and human rights are guaranteed in all of its forms, excluding trespassing Allah's limits and disobeying her husband in a legislated and non-hurting matter.

As for what the paper presented by the Commission regarding Beijing Document including facilitating the contraceptives for the adolescents, training the adolescents on how to use them, allowing abortion to get rid of any undesirable pregnancy, cancelling the differences between man and woman, giving all of the rights to the perverted and cancelling the reservations of the Islamic countries, these points are based on absolute sexual liberty dominating in the West. This liberty allows the adolescents as well as husbands and wives to commit sins without any moral or religious restrictions.

As for our Islamic societies, they sanctify the moral and religious regulations that keep the honor and fight sins, either between a man and a woman or between two men. Allah, Glory be to Him, warns us against approaching adultery and sins, saying: {And do not come near to adultery; surely it has been an obscenity and odious as a way.}

[Al-Israa (The Night Journey): 32]

An American writer that visited Egypt and said, "Prevent intermixture between man and woman and limit the freedom of woman and youth to a reasonable extent. This Arab society adheres to its tradition and differs from the American and European societies. You have inherited traditions necessitating limiting the woman and refusing the Western dissoluteness that destroys the family in Europe and America. Adhere to your traditions and morals. Also, wear veil because it is better than dissoluteness, wantonness and shamelessness, which shake morals and families in Europe and America."

This is impartial opinion from a Western woman. We should spread religious awareness throughout the religious institutions, enlightening women in general and the youth of the danger of being carried away by the deluding trend as well as the necessity of wearing the Islamic modest clothes and avoiding adorning themselves except for the husband. Thus, Aisha (may Allah be pleased with her) says, "May Allah forgive the earlier female emigrants, as they obeyed Allah in His saying:

{Let them fix closely their veils over their bosoms}

[An-Nur (The Light): 31]

Thus, the spread of wearing veil is an aspect of Islamic wakefulness in Egypt and the Islamic countries.

The Commission of the United Nations on the Status of Women held its third annual meeting in March, 2009 and concentrated on following up the implementation and application of the terms of Women Agreements and the relative documents. The subject of the Commission in this year was the equal distribution of responsibilities between men and women, targeting the participation of men in the home activities. It claimed that these are not paid for, thus, this attitude is unjust towards the women, as it prevents her from performing paid tasks.

This Commission expresses the traditions of the Western community, which chooses lifestyle according to their wishes, without caring for any creed or Divine Sharia. It assigns the women to spend money to afford their needs, without assigning this task to her husband, father, brother or any one of her family.

Thus, in their traditions, the woman should search for sources to afford her life needs and to be paid. However, the Islamic world has religious reference, as it imposes on man to spend on woman, whether he is rich or poor, and whether this woman is his daughter, mother or wife. Also, it does not assign the woman with such tasks even if she is extremely rich and her husband is poor.

The Grand Imam directed his speech to Nagib saying, "I ask you to defend the right of the Eastern human being, not the Western one, as there is great difference between them. They reject (The human rights of the similarities).

We reject and fight this idea; moreover, the intellectual invasion tries to separate the Muslims from the Christians.

One of the serious catastrophes, which the West tries to transport to us, veiled behind lying claims, is the call for the woman's freedom, referring to the absolute freedom of sex during the familial relationships. This is regarded as a serious danger threatening the Muslim woman, her values and human behavior. One of the negative effects of the woman's freedom is neglecting he familial relationships in the way that she does not care for her husband, home and children as well as any of man's rights.

The Western heralds emphasized the woman's right in these corrupting ideas throughout malicious conferences calling the Muslim woman to commit sins, which Allah prohibited. Moreover, they called for the cancellation of the meaning of respectable Muslim family. It is a conspiracy to transform the human existence to insignificant matter, contradicting with the Divine protection for the human being. This Western thinking is not only dangerous for the Muslim woman, but also for the whole Islamic societies and the human civilization.

This devilish thinking calls the woman for abortion and sinful freedom of the adolescents in "safe love" making to increase the foundlings in the Islamic societies, afflicting them with destruction such as the Western societies.

This fierce attack on the Muslim woman increases on purpose in an age in which the Western cultures are broadcasted throughout media. This occurs along with trends targeting the Muslim woman specifically. It focuses on its religion, values, and morals as well as plucking out the Islamic culture from its religious and moral roots that protect the woman in the Islamic societies.

The Muslim woman faces dangerous challenges. Thus, we should have wise heralds and virtuous media that fears Allah in its shows specialized for woman. Also, it should confront the problems of the age, realizing that Islam is able to solve all of the problems of the Islamic society, and that it does not separate religion form worldly life. Our honorable Prophet is truthful as he says, "I left with you the Noble Quran and the Sunna; if you adhere to them, you will not be deluded after my death."

There is a Western witness for the above mentioned ideas:

Mr. Kamal Razzaq, the consultant of the President of Algeria, declared in the Egyptian Magazine (The Arabic Ahram) in the issue of Saturday, 26th of December, 2009, when Switzerland announced the prohibition of building the minarets of the mosques built by the immigrating Muslims to its lands. "The prohibition of building minarets provokes the Muslims in every place." He added that his country sticks to the necessity of respecting the Muslim immigrating minority in the European countries including Switzerland where hundred thousands of immigrants contain Moroccans, Arabs, Muslims and non-Arabs.

All of the countries – including Switzerland – should respect the Muslims' rights and should not mix Islam with terrorism, non-European cultures and religious fanaticism. One of the Muslims' rights is building the minarets of the mosques, and the prohibition of minarets provokes the Muslims in every place. They should respect our sacred places as we respect in our Muslim countries the Christian and Jewish sacred places.

The consultant of the President of Algeria expressed his sorrow for the issuance of many negative indications about tolerance among the religions and culture deep-rooted European countries in the field of liberties and human rights. However, there are more than twenty million Muslims in the European Union, among whom a huge percentage holds duplicated nationality, the matter that increases our perplexity.

In confrontation of the awful fanaticism practiced by the Western countries, including Switzerland and the countries which follow its pattern, the Islamic tolerance is revealed in what the Greater Imam Al-Azhar Sheikh Prof- Dr. Ahmed At-Taiyyb said. He responded to one of the members of Arab Union for Human Rights, led by Nagib Jibraeil, who came to congratulate the Grand Imam for being assigned to this position.

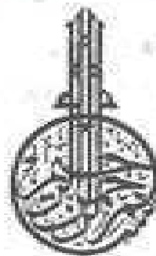
As mentioned in As-Shorouq Newspaper issued in 25th of March, 2010, a member in the name of the Union called for the cancellation of the religious curricula including the Islamic and Christian ones. The Grand Imam responded to him, saying:

"The cancellation of the religious curricula will not be of good use to the students, as every Muslim should study and learn his religion."

He added that there are educational curricula discussing the common points among the religions. Thus, he does not see the necessity of cancelling the religious curricula. Moreover, he said that we do not wrong the Christians and do not refuse the establishing of churches. Furthermore, we refuse the term "Crusade Wars", referring to it by "European Wars" because we appreciate our Christian brothers.

AL-AZHAR MAGAZINE

Jumada Al-a'Khera, 1431 A. H.



ENGLISH SECTION

June, 2010

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

Comments on the foretellings of the British Economist Magazine for the Continuation of Hostility of the West to Islam in 2010 and afterwards...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

The essay consists of fourteen paragraphs, the first of which implies its content. The first paragraph is, "The big question for 2010 – and the whole century – whether the world's civilizations, religions and cultures will finally depart from their persistent patterns of conflict. Some predict that the rift between "Islam" and the "West" will widen and that a clash of civilizations is unavoidable." This meaning is repeated in other paragraphs.

The Magazine continues in this essay to advise the Islamic countries excluding the Western countries. It seems that it is sure that these countries always follow the right path and do not ever err. It tries to forget the increasing the conflicts by spreading poisoned claims against the Muslims. Furthermore, they encourage their people's hostility to Islam.

The impact of this hostile approach is revealed in the case of the German citizen who killed an Egyptian Muslim lady using a knife in the court merely because she was veiled. The Western hostile approach towards Islam is clearly manifested throughout the study implemented by a researcher in the Islamic Studies Center, as it proved that the USA media broadcasts wrong information about the Muslims, giving bad impression about them.

Muhammed Yunis, a researcher in Galob Islamic Center in Washington, assures that 43% of the American citizens have feeling of discrimination and 63% do not know much about Islam.

The researcher added according to the information published on "The Islamic Calendar" that another study to a certain center proved that that four channels out of the major channels in USA reported many subjects related to Islam negatively and non-neutrally, thus, affecting the opinion of the whole people.

In spite of the facts proven by the studies, the researcher emphasized that the impression of the American people improved more than the last year after the speech of Obama, implying that the study revealed that the people who do not have complete picture about Islam, are less impartial against Islam and the Muslims.

الفهـــــرس

بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربي
تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

الاشتراك السنوى
داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا
أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا
عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠-٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر
ت: ٢٢٦٣٨٥٩٩

رجب ١٤٣١هـ - يونيه ٢٠١٠م - الجزء السابع - السنة الثالثة والثمانون



افتتاحية العدد

جريمة الاغتصاب تحتاج إلى عقوبة صارمة

تتوالى حوادث الاغتصاب الشنيعة على نحو يدعو إلى الحسرة والغيظ، وتكرر الصحف نشر أنبائها المزعجة وكأنها أخبار طبيعية لا نشاز فيها ولا عجب، ولم تر من رجال القانون والاجتماع من عقدوا الندوات لتشريح أسبابها، ووضع الطرق القانونية لتلافيها، لأنَّ الأحكام التي تصدر في هذه الجريمة الشنعاء في حاجة إلى تعديل جوهري يجعلها ذات حسم في القضاء على هذا البلاء المريع، ومن أغرب ما تقع فيه الصحافة من أخطاء في تناول هذه الظاهرة الأليمة أنها ترسل مندوبيها لاستطلاع آراء الجمهور! فلا يختارون ذوي الكفاية من رجال القانون والإصلاح الاجتماعي، والوعي الديني بل يُسجلون كل كلام يُقال، ومن هؤلاء من يخلطون الحقّ بالباطل، فيزعمون أن الجريمة قد تكون مشتركة بين الجاني والمجني عليها، ومَن يزعمون أن العلاج أن يتزوّج الجاني بالمغتصبة كي لا يحتقرها الناس، ومن يزعمون أن تعقّد مسائل الزواج هي التي تدفع إلى هذا الجُرم، وصاحبه معذور، إلى آخر هذه الخُزعبلات التافهة التي يجب أن ترمى بعيدا عن المناقشة بمجرد سماعها، لا أن تكتب وتسجّل و تنشر على الناس، وليست الصحافة هي المنقودة وحدها في هذا المجال، فإن القنوات الفضائية قد أحدثت بدعة الاستماع إلى بعض العامة فيما يدور من النقاش، وقد يكون المتكلم شاذا ضعيف الفكر فيأتي تليفونيا بما يُستنكر، ويقابل بالشكر من مديرة الندوة التي لا ترتفع إلى المستوى اللائق، بدل أن تُصحح أخطاء المتكلم أو يتولّى التصحيح أحد المنتدين، أذكر أن ندوة كانت تتحدث عن التطرف، ففوجيء المستمعون بمن يتحدث تليفونياً فيتهجم على الإمامين أحمد بن حنبل وابن تيمية وينسب لهما كل منكر، وكان من الواجب أن يُوصد الحديث معه دُون استرسال، ولكنّ صاحبة الندوة شكرته، ومَن معها من المتحدثين لم يُعقّبوا بما يدفع الباطل، وهكذا تشترك الصحافة والتليفزيون في بلبلة الأفكار، وبدلَ أن تهتدى إلى رأى صائب في مثل مسألة الاغتصاب تبحث عن التبرير ووجوه الاعتذار، لمن؟ للمجرم الأثيم.

قلت: إن الأحكام التي تصدر في هذه الجريمة في حاجة إلى تعديل جوهري، لأن القضاة ملزمون بما لديهم من القوانين التي قد تكون مناسبة حين سُنّت في زمان لم تنتشر فيه هذه المأساة على ما نراه الآن من ذيوعها المروّع، فإن شيوع الاغتصاب على هذا النحو المفزع يدعو المشرّع إلى النظر في عقوبة رادعة تحد هذا البلاء، وقد قرأت أن ثلاثة من المجرمين قد اغتصبوا فتاة مسكينة وحُكم على كل منهم بثلاثة أعوام، والمضحك المبكي في هذه المأساة، أنّ المحكوم عليهم قد فرحوا فرحا شديداً بما جُوزوا به، وقد قالَ أحدهم إنه سيجد الطعام والمأوى في السجن، بدل أن يرهق نفسه في العمل الكادح كي يقوّت نفسه! وهو قولٌ لا يجب أن يمرّ هينا دون نظر، فالمجرم الفاجر قد اعتبر الجريمة مغنماً لا مغرماً، ومثله من العاطلين من يسمع هذا العبث البغيض، وقد ضاقت به سُبل العيش، فيلجأ إلى الاغتصاب مُرحباً بعقوبته التي تتيح له القوت ثلاثة أعوام، وهنا تكون البطالة التي انتشرت على هذا النحو المفزع سبباً من أسباب الفجور، كما يكون الجزاء القانوني من الهوان بحيث يصبح نعمةً لا نقمة في رأى أوشاب فقدوا الكرامة الإنسانية، ولم يعد للرأى العام في نظرهم أدنى اعتبار! والذين يستنكرون حدَّ الزنى في الشريعة الإسلامية ويرونه قسوة فظيعة لا تناسب مدنيّة العصر، في حاجة إلى أن ينظروا عاقبة السهولة المفرطة في تخفيف العقوبات وما أدى إليه هذا التخفيف من اللامبالاة! وأنا أرى أن عقوبة المغتصب لا تقف عند حدّ الزنا فقط بل تندرج في عقوبة الفساد العام الذى قال الله في شأنه:

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ
فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ
وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ
لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (المائدة: ٣٣)

لأن المجرم المفسد الذى يهجم على المنزل، فينهب المال بسيف البغى، أقل خطراً من الذى يهجم على الفتاة المسكينة فيستل شرفها بطشا وعدوانا. وكل رجل يهون لديه أن يفقد ماله، ولا يهون لديه أن يفقد عرض ابنته أو زوجته أو أخته!! وإذن فالنظر في سن عقوبة رادعة ذات بطش وشدة هو أول ما يجب أن يقوم به المشرّع دفعاً صارما لهذا البلاء!

الشاويش والخفير!!

إن جرائم الاغتصاب قد أحدثت فزعاً هائلا في المنازل، فكثير من الآنسات والسيّدات وبخاصة ساكنات الضواحي في العواصم المصرية لا يخرجن من المنازل بعد الغروب، وقد يكون الخروج ضروريا فتضطر الفتاة إلى أن تصحب أخاها أو والدها إتقاءً لشر يتوقع، والاستقرار النفسي في مثل هذا الجو لا يتم على وجه ما، وقد كان الشارع المصرى قبل

هذا العهد الثورى لا يخلو من (الشاويش) الذى يقطعه رائحا غاديا ليحفظ أسباب الأمن، كما أن (خفير الدرك) فى الريف، كان يقبع فى الشارع ليليًا، فإذا رأى شبحًا قادما من بعيد، صاح (مين اللى جاى) وكان للشاويش المدنى، والخفير الريفى أثرهما فى ضبط الأمن، وتعقّب اللصوص من ذوى الإجرام، وأنت تسأل عنهما الآن فلا تجد! بل تجد ما يؤلمك حين ترى الاهتمام بشخوص من الحكّام يتقدمهم الحَرس مباهاة واستعلاء ولا من موجب لهذه الزفة غير التعاظم وإشباع الرغبات الصغيرة، ثم انتقل الأمر إلى الأثرياء، فأصبح لكل منهم حرس خاص دون موجب! أمّا الشارع المصرى فقد فقَد الحارس الذى ظل يصحبه من عهد الاحتلال الإنجليزى حتى شاهدناه فى سنى الدّراسة، ونحن نطالب الآن برجوع الشاويش والخفير كما كانا من قبل حفظاً للنظام كما يقول التعبير الإدارى! ولاشك أنّ وجودهما قد يمنع كثيرا من الجرائم! ولو وُجد الشاويش فى الشارع ما اضطر كثير من الآباء أن يصحبوا بناتهم المدرسات حين يخرجن فى الساعة السادسة إلى المدارس حتّى يركبن الأتوبيس آمنات! وقد يكون الأب شيخا يدب على العصَا، ولكن خَوفه يدعوه إلى التضحية والعناء!

ولا يخفي على الكثيرين أن نسبة هائلة من حوادث الاغتصاب لا يُعلن عنها، إذ يُؤثر ولىّ الأمر المسكين أن يتجنّب ما يسميه بالفضيحة، ويعمل على مداواة الجرح قدر ما يستطيع، ويتحول المنزل إلى مأتم صامت، بل إن المأتم الخاص بالميت، يجد أصحابه التنفيس بالصراخ والبكاء، وتلقى العزاء، أما هذا المأتم فيرين على أصحابه وجوم قاتل، وتتساقط دموع الأب والأم والضحية، وكأنها نيران تلذع الخدود، ومن يعرف من أقرب الخلصاء يأتى ليشارك فى الصمت والبكاء! فكيف تهوى بنا الحياة إلى هذا الشقاء.

المجرم الشهم!!

وبعضُ ضباط الشرطة بنيّة طيبة، وسَعى برىء، حين يجد المجرم ذا قدرة على الكسب، ويستطيع أن يعول زوجة، وينفق على منزل، يرى أن يُعالج الجانى سوء ما ارتكب، فيقترح عليه أن يعقد قرانه بالضحيّة كما يقترح على الأب المتأزم أن يرضى بهذا الوضع، فإذا تم ذلك أوصد المحضر، فلا ينتهى الأمر للنيابة، وهذا الحل خاطىء مخطىء تماما، لأنّ الجانى برضاه السريع يُحاول أن يفلت من العقاب، ويراها حيلة تنقذه قبل أن تُنقذ مستقبل الضحية المسكينة، ومثله فى انحدار خلقه الذى دفعه بدءاً إلى هذا الشر الوبىء لن يرعى حرمة الزوجيّة، فسرعان ما يتنمّر بالزوجة، ويحتسبها مجرمة وهو الذى أوقع بها الشر لعجزها عن دفعه، وآفةُ الآفات أن تنعكس الأوضاع فيتحوّل المجرم الحقيقى فى نظر نفسه إلى شهم ذى تضحية يتحمل عبئا فُرض عليه، وولىّ الأمر فى ساعة ضعف يقع فى حيرة تضطره اضطرارا إلى قبول ما يشق على نفسه درءا لألسنة الناس! وما أقسى هذه الألسنة التى تتلذذ بإذاعة


نصر فريد واصل

الفاحشة ولا ترحمُ الجناح الكسير حين تفترض افتراضات بغيضة تُحيك الأوهام، وهذا بعض ما عناه الله عز وجل حين قال:

﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ (النور: ١٦)

فليتأكد كل من يحاول أن يرأب الصدع بهذا الزواج المتعجل، أنه لم يرأب صدعا، بل عمل على اتساع الهوة مستقبلا، وأنّ الخير كل الخير فى أن يلاقى الآثم عقابه، ويكون عبرة واضحة لمن يحاول أن تزل قدمه فى هذه الوهدة السوداء، وأنا أثق جيدا أن الزوجة حين توافق مرغمة على هذا الاقتراح إنما تحاول النجاة من مأزق ارتطمت فيه، وهى فى أعماقها تكن من الغل الحاقد ما يشتعل نارا فى أعماقها، كراهة لهذا الوحش الذى افترسها معنويا، فقضى على آمالها الزاهية، فى مستقبل كريم وبيت سعيد بنى على تقوى من الله ورضوان. ولم يتأسس على شفا جرف هار، وقد يكونُ هذا الحل مقبولا إذا كان الأمر فى مبدئه يمثّل زنًا برضا الطرفين، حين تفقد الأعصاب اتزانها، فتحدث الجريمة ثم يتضح هولها بعد التنفيذ، فيكون الزواج العاجل حلاً ضرورياً وكلمة ضرورى هنا تعطى الكثير من المعانى المستترة التى لو تكشفت لعبّرت عن ألم مرير.

ستر المآثم

ولى أن أتعرض بعد هذا الطواف السريع بالمأساة الأليمة إلى أمر مهم خاض فيه الخائضون دون اتئاد، وهو الحديث عن (العذرية) التى يقوم بها بعض الأطباء لهذه المسكينة لتعيد البكارة المنتهكة إلى من ساءها الحظ بفقدها عن طريق الإكراه، فقد وجه سؤال بشأنها إلى صديقى الكبير الدكتور نصر فريد واصل المفتى الأسبق للجمهورية فأفتى بإباحة استعمال العذرية من جديد على يد طبيب موثوق فى أمانته وخلقه وصادف أن كنت جالسا بجواره فى مجمع البحوث الإسلامية عقب ذيوع هذه الفتوى فأيدته تأييدا قويا، لأن الرجل الحصيف قدر ملابسات الجريمة الشنعاء، وما نزل بالضحية المسكينة من هول لا طاقة لها باحتماله، فرأى أن يبرىء جراح هذه المنكوبة، فيهدىء من روعها بإباحة ما يحفظ عليها كرامتها، ويصون ماء وجهها أمام بلوى فادحة لم تكن مختارة فى حدوثها، ثم كتبت بجريدة «صوت الأزهر» مقالاً بهذا الشأن قلتُ فيه إنه اهتدى بروح الإسلام الداعية إلى وجوب ستر المآثم، وحجب العورات مواراة للفضائح التى يولع السّفلة بترديدها، ورسول الإسلام ﷺ يقول: «من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة»[1]، كما أن الذين يحبون أن تذيع

(١) أخرجه البخارى.

الفاحشة يجدون لذاذة بغيضة في إذاعة ما أمر الله بستره، وليست إذاعة الفاحشة سوى سهام يتكرر تسديدها دون رحمة بإنسان مفجوع، وما كنت أظن مفكراً من ذوي الخلق الاجتماعي الرصين يبيح لنفسه أن يجهر بمعارضة الفتوى، ويشتد في المعارضة وكأنه أمام رأي شديد الخطورة سيحدث زلزالاً في دنيا الأخلاق، وكل الأدلة الموهومة التي تشدق بها هؤلاء المفكرون -وهم أكثر من واحد- أن العذرية في صميمها نوع من الغش والتدليس لأنه يخالف الواقع وفيه تغرير بالزوج القادم الذي يعتقد عذرية زوجته وهي في واقعها غير ذلك، وقد نسي هؤلاء أن لكل حكم من الأحكام الجائزة في الغالب الأعم منافع كثيرة، مع مآخذ يتجاوز عنها، نظراً لما يرجى من نفع يهون لديه كل مأخذ، فإذا أباح الشارع للمضطر أن يأكل الميتة حفظاً لحياته، فلن يقول قائل: إن الميتة ذات جراثيم ضارة، وقد تودي بحياة الآكل فلا يجوز أن يأكلها، وإذا أباح الشارع الفطر للمسافر في رمضان، فلن يقول قائل: إن في ذلك استهانة بالشهر الكريم، وتشجيعاً على العبث بفريضة الصوم، وهي من قواعد الإسلام الخمس، وهكذا يستطيع كل متسرع أن يتخذ منفذاً يتعلل به مدعياً أنه وحده صاحب الرأي الصحيح، وكان عليه أن يوازن بين نفع كثير، وضرر قليل حرصاً على سعادة أسرة منكوبة داهمها القدر الفاجع بما لا طاقة لها باحتماله، فهي تتطلب النجاة من أيسر طريق.

وأذكر أني قلت في مقالي المشار إليه ما نصه: «وأنا أسأل من يجاهر بتحريم هذا الحل الصائب المريح أن يفترض افتراضاً أن هذا البلاء قد نزل بإحدى قريباته الدانيات، وأنه وجد نفسه أمام كارثة فادحة بين عشية وضحاها، بل أمام عقدة معضلة من الممكن أن تحل ببعض الأعمال، أكان في موقفه الضائق يميل إلى تحريم العذرية أم أن عواطفه الحميمة تدفعه إلى هذه العملية المنقذة، بل إلى استدعاء الطبيب الأمين في أسرع وقت يتاح، كيلا يطول أمد المأساة؟! إني لأستحلف بالله هؤلاء الذين فتحت لهم الصحف أبوابها فصالوا في غير مصال، وأبدوا من الغيرة الموهومة ما لم يبدوه في مواقف تتطلب الغيرة الحقيقية رعاية لبعض الاعتبارات التي توجب في رأيهم الانحناء، أستحلف بالله هؤلاء أن يفترضوا أن الكارثة قد حلت بساحتهم، فهل سيظلون متمسكين بما يرجمون؟! لقد جهلوا أن المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وأن علينا جميعاً أن نقف مع المصاب المفجوع دون أن نتفنن في وضع العراقيل!

والله يعفو عن كثير

ثم إني أسأل من يتشدقون بمسألة التغرير بالزوج القادم، أسألهم عن أي خديعة تستتكر في ستر مأساة وقعت إكراهاً دون اختيار، قد يكون التغرير معقولاً إذا كانت الفتاة متدنية عدة مرات في سلوكها، وأنها اقترفت العمل عن طوع، وهي في أتم حالات الرضا والقبول، ثم حاولت أن تستر فجورها لتأخذ سمة العذراء، في هذه الحالة قد يكون للتغرير معناه على أني أخاف أن أفاجئ القارئ برأي قد يستنكره ولا يرتضيه، وهو أن الضعف الإنساني لا يخلو منه أحد، إنما يتفاوت دائماً قوة وضعفاً، وقد تزل فتاة برضاها تحت تأثير خديعة إنسان عابث أوهمها بالزواج العاجل ثم نكص على عقبيه لدناءة في سلوكه، هذه لا تقاس بالمبتذلة التي خلعت برقع الحياء أكثر من مرة، أما الأولى فإذا أدركها الندم اللاذع، ولجأت إلى العذرية فذلك أيضاً ستر كريم، والله يعفو عن كثير! وأجابه المعترضين على فتوى الدكتور نصر فريد فأقول: أتريدون أن تبقى هذه المسكينة المغتصبة طيلة حياتها عانساً لا تجد الزوج؟ إنها لو لم تتدارك الأمر بهذه العذرية لكان ذلك موتاً معنوياً لها، ثم إن الذين يريدون إعلام الزوج بما كان واهمون مخدوعون، لأنه إذا علم فلن يخلو الأمر من شيئين، إما أن ينصرف عن المسكينة، وهذا هو المتوقع، فتزداد حسرة وألماً، وإما أن يوافق فيكون حادثها المشئوم نقطة ضعف تحسب عليها، وتظل مهددة بتحقيره وازدرائه، ونحن في عصر انتشرت فيه بواعث الخلاف بين الزوجين لأوهى الأسباب وكلاهما تمتع بحسن سلوكه، وطهارة ماضيه، فما ظنك بخلاف يقع -ولابد أن يقع- بين زوجة عاكسها الحظ، وزوج متعاظم يفكر في ماضيها قبل أن يفكر في حاضرها المستقيم وهو يشعرها بما يجرح مشاعرها كناية وتعريضاً؟ إنها في هذه الحالة ستكون أسيرة، لا طليقة، ومقصرة في رأيه مهما أبدته من علائم الطاعة والإخلاص.

حقــــوق المــــرأة!!

ثم إني أعجب من ندوات السيدات المشتغلات اليوم بما يسمى (حقوق المرأة) تلك الندوات المظهرية التي تتم للوجاهة الكاذبة في أكثر دوراتها، وتعلن عنها الصحف وكأنها قامت بإنجاز حقيقي لا بإدعاء مظهري، هذه الندوات لم تتحدث أبداً عن مأساة الفتاة المغتصبة وما موقف المجتمع منها، وكيف يرد لها اعتبارها إذ أجبرت على ما تكره؟! وإنما اتجهت في أكثر أمورها للمناصب البراقة والأماني الخادعة وقد قالت إحداهن في بعض أحاديثها: إنها لا تهدأ حتى ترى كل امرأة، جاهلة أو متعلمة تحمل بطاقة انتخاب ولو رأت آلاف الفقيرات اللاتي لا ينلن رغيف الخبز إلا بعناء مرير، لقالت: إنها لا تهدأ حتى ترى كل امرأة تحمل بطاقة تموين! ولعلها لم تر ضحايا الفقر من هؤلاء يبحثن في القمامات عن لقمة خبز لا عن بطاقة انتخاب!

نحن نريد للمرأة الأمن قبل كل شيء، الأمن إذا كانت خائفة، والطعام إذا كانت جائعة، والرحمة إذا كانت خادمة، والإنصاف إذا كانت عاملة، أما بطاقة الانتخاب، ومجالس النيابة والوزارة والقضاء، فهذا يأتي بعد الضروريات الملحفة، وإلا فنحن نصنع الحذاء اللامع البراق لمقعد كسيح!

د. / محمد رجب البيومي

تفسير سورة النساء

لفضيلة/ الأستاذ الدكتور
محمد سيد طنطاوي
رحمه الله

قال تعالى:

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (32) وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾

(الآيات: ٣٢ : ٣٣)

روى المفسرون في سبب نزول الآية الأولى روايات منها ما رواه الإمام أحمد والترمذي عن مجاهد قال: قالت أم سلمة: يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو، ولنا نصف الميراث فأنزل الله - تعالى:

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾

وقال قتادة: كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصبيان، فلما ورثوا وجعل للذكر مثل حظ الأنثيين تمنى النساء أن لو جعل أنصباؤهن كأنصباء الرجال. وقال الرجال: إنا لنرجو أن نفضل على النساء بحسناتنا في الآخرة كما فضلنا عليهن في الميراث فنزلت:

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾

والتمني المنهي عنه هنا: هو الذي يتضمن معنى الطمع فيما في يد الغير، والحسد له على ما أعطاه الله من مال أو جاه أو غير ذلك مما يجري فيه التنافس بين الناس وذلك لأن التمني بهذه الصورة يؤدي إلى شقاء النفس، وفساد الخلق والدين، ولأنه أشبه ما يكون بالاعتراض على قسمة الخالق العليم الخبير بأحوال خلقه وبشئون عباده.

ولا يدخل في التمني المنهي عنه ما يسميه العلماء بالغبطة، وهي أن يتمنى الرجل أن يكون له مثل ما عند غيره من خير دون أن ينقص شيء مما عند ذلك الغير.

قال صاحب الكشاف: قوله:

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا ﴾ نهوا عن التحاسد وعن تمني ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال، لأن ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم بأحوال العباد، وبما يصلح المقسوم له من بسط في الرزق أو قبض:

﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ ﴾

(الشورى: ٢٧)

فعلى كل أحد أن يرضى بما قسم الله له، علما بأن ما قسم له هو مصلحته، ولو كان خلافه لكان مفسدة له، ولا يحسد أخاه على حظه"[1].

وقوله -تعالى:

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾

تعليل للنهي السابق. أي لكل من فريقي الرجال والنساء حظ مقدر مما اكتسبوه من أعمال، ونصيب معين فيما ورثوه أو أصابوه من أموال، وإذا كان الأمر كذلك فلا يليق بعاقل أن يتمنى خلاف ما قسم الله له من رزق، بل عليه أن يرضى بما قسم الله له. فالله -تعالى- هو الذي قدر أرزاق الرجال والنساء على حسب ما تقتضيه حكمته وعلمه، وهو الذي كلف كل فريق منهم بواجبات وأعمال تليق باستعداده وتكوينه.

وقوله:

﴿ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ﴾

عطف على النهي. فكأنه قيل: لا تتمنوا ولا تتطلعوا إلى ما في أيدي غيركم، ولا تحسدوه على ما رزقهم الله، بل اجعلوا اتجاهكم إلى الله وحده، والتمسوا منه ما تشاءون من نعمه الجليلة، ومن حظوظ الدنيا والآخرة، فهو القائل:

﴿ مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

(1) تفسير الكشاف جـ1 ص٥٠٠.

وحذف المفعول من الجملة الكريمة لإفادة العموم، أى: واسألوا الله ما شئتم من إحسانه الزائد، وإنعامه المتكاثر حتى تطمئن نفوسكم، ويبتعد عنها الطمع والقلق والألم.

قال ابن كثير: قوله:

﴿ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾

أى لا تتمنوا ما فضلنا به بعضكم على بعض؛ فإن التمنى لا يجدى شيئاً، ولكن سلونى من فضلى أعطكم فإنى كريم وهاب. روى أبونعيم وابن مردويه عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يُسأل، وإن أحب عباد الله إلى الله للذى يحب الفرج»[2].

ثم ختم -سبحانه- الآية الكريمة بقوله:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾

أى إن الله -تعالى- كان ومازال عليما بكل شيء من شئون هذا الكون، وقد وزع -سبحانه- أرزاقه ومواهبه على عباده بمقتضى علمه و حكمته، فجعل فيهم الغنى والفقير، فيحتاج بعضهم إلى بعض، وليتبادلوا المنافع التى لا غنى لهم عنها، وكلف كل فريق منهم بما يتناسب مع تكوينه واستعداده

﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾

(النمل: ٨٨)

ثم قال -تعالى-:

﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾

والمضاف إلى كل هنا محذوف عوض عنه التنوين. والتقدير ولكل إنسان أو لكل قوم أو لكل من مات، أو لكل من الرجال والنساء.

والموالى: جمع مولى. والمولى لفظ مشترك بين معان، فيقال للسيد المعتق لعبده مولى، لأنه ولى نعمته فى عتقه له. ويقال للعبد العتيق مولى لاتصال ولاية مولاه فى إنعامه عليه كما يقال لكل من الحليف والنصير والقريب مولى. ويقال لعصبة الشخص موالى.

قال الفخر الرازى: والمراد بالموالى هنا العصبة. ويؤكد ذلك ما رواه أبوصالح عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أولى بالمؤمنين. من مات وترك مالا فماله للموالى العصبة. ومن ترك كلا فأنا وليه» وقال -عليه الصلاة والسلام- «أقسموا هذا المال فما أبقت السهام فلأولى عصبة ذكر»[3].

هذا، وللمفسرين فى تأويل هذه الآية

(٢) تفسير ابن كثير جـ١ ص٤٨٨.

(٣) تفسير الفخر الرازى جـ١ ص٨٤.

الكريمة أقوال متعددة منها أن المعنى:

١- ولكل واحد من الرجال والنساء جعلنا ورثة عصبة، يرثون مما تركه الوالدان والأقربون من المال.

٢- أو المعنى: ولكل من مات من الرجال والنساء جعلنا موالى أى ورثة يقتسمون تركته عن طريق الإرث، ولا حق للحليف فيها لأنه ليس من عصبة هذا الميت.

٣- أو المعنى: ولكل مال مما تركه الوالدان والأقربون جعلنا موالى أى ورثة يلونه ويحوزونه بعد أن يأخذ أصحاب الفروض نصيبهم.

وعلى هذه الوجوه يكون الوالدان والأقربون هم الذين يرثهم غيرهم من مواليهم أى عصبتهم.

٤- قال الفخر الرازى: ويمكن أن تفسر الآية بحيث يكون الوالدان والأقربون هم الورثة، فيكون المعنى: ولكل واحد جعلنا ورثة فى تركته. ثم كأنه قيل: ومن هؤلاء الورثة؟ فقيل. هم الوالدان والأقربون. وعلى هذا الوجه لابد من الوقف عند قوله:

﴿ مِمَّا تَرَكَ ﴾[4]

هذا وتفسير الآية الكريمة بحيث يكون الوالدان والأقربون هم الذين يرثهم غيرهم من عصبتهم هو الأولى، لأنه هو الظاهر فى معنى الآية، وعليه سار جمهور المفسرين، فقد قال ابن جرير: «فالموالى ها هنا: الورثة. ويعنى بقوله:

﴿ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾

مما تركه والداه وأقرباؤه من الميراث. فتأويل الكلام، ولكل منكم أيها الناس جعلنا عصبة يرثون مما ترك والداه وأقرباؤه من ميراثهم»[5].

وقال صاحب الكشاف: قوله

﴿ مِمَّا تَرَكَ ﴾ تبيين لكل. أى: ولكل شيء مما ترك الوالدان والأقربون من المال جعلنا موالى أى ورثة يلونه ويحرزونه، أو ولكل قوم جعلناهم موالى نصيب مما ترك الوالدان والأقربون. على أن

﴿ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ ﴾ صفة لكل، والضمير الراجع إلى كل محذوف، والكلام مبتدأ أو خبر. كما تقول: لكل من خلقه الله إنسانا من رزق الله. أى حظ من رزق الله»[6].

وقال القرطبى: بيّن الله -تعالى- أن لكل إنسان ورثة وموالى، فلينتفع كل واحد بما قسم الله له من الميراث ولا يتمن مال غيره[7].

(٤) تفسير الفخر الرازى جـ١٠ ص٨٤ - بتصرف وتلخيص

(٥) تفسير ابن جرير جـ٥ ص٥١.

(٦) تفسير الكشاف جـ١ ص٥٠٤.

(٧) تفسير القرطبى جـ٥ ص١٦٥.

وقوله:

﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾

جملة من مبتدأ وخبر. وجيء بالفاء في الخبر وهي قوله ﴿ فَآتُوهُمْ ﴾ لتضمن المبتدأ معنى الشرط.

وقوله ﴿ عَقَدَتْ ﴾ من العقد وهو الشد والربط والتوكيد والتغليظ، ومنه قولهم، عقد العهد يعقده، أي: شده وأكده.

والأيمان: جمع يمين والمراد به هنا أيديهم اليمنى، وإسناد العقد إليها على سبيل المجاز، لأنهم كانوا عندما يوثقون عقدا يضع كل واحد منهم يده في يد الآخر، ليكون ذلك علامة على ابرام العقد وتأكيده. ومن هنا قيل للعقود الصفقات لأن كل عاقد يصفق بيمينه على يمين الآخر.

ويصح أن يكون المراد بالأيمان هنا الأقسام التي كانوا يقسمونها ويحلفونها عند التعاقد على شيء يهمهم أمره.

وقد قرأ عاصم وحمزة والكسائي ﴿ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ وقرأ الباقون: «عاقدت أيمانكم» وعلى كلتا القراءتين فالمفعول محذوف أي والذين عقدت حلفهم أيمانكم أو عاقدتهم أيمانكم.

وللعلماء في المراد بقوله:

﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾

أقوال منها:

١- أن المراد بهم الحلفاء وهم موالي الموالاة وكان لهم نصيب من الميراث ثم نسخ، وقد ورد في ذلك آثار منها ما أخرجه ابن جرير وغيره عن قتادة قال: قوله -تعالى-:

﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾

كان الرجل يعاقد الرجل في الجاهلية فيقول: دمي دمك، وهدمي هدمك.. أي مهدومي مهدومك وترثني وأرثك، وتطلب بي وأطلب بك، فجعل له السدس من جميع المال في الإسلام، ثم يقسم أهل الميراث ميراثهم. فنسخ ذلك بعد في سورة الأنفال فقال الله -تعالى-:

﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾

(الأنفال: ٧٥)[8]

٢- ويرى بعضهم أن المراد بهم الأدعياء وهم الأبناء بالتبني، وكانوا يتوارثون بسبب ذلك، ثم نسخه بآية سورة الأنفال السابقة.

٣- ويرى فريق ثالث أن المراد بهم إخوان المؤاخاة، فقد كان النبي ﷺ

(٨) تفسير ابن جرير جـ٥ ص٣٤.

يؤاخي بين الرجلين من أصحابه وكانت تلك المؤاخاة سببا في التوارث ثم نسخ ذلك بآية الأنفال السابقة.

٤- وقال أبو مسلم الأصفهاني: المراد بهم الأزواج، إذ النكاح يسمى عقدا.

والذي نراه أولى هو القول الأول لكثرة الآثار التي تؤيده، ولأنه هو الذي رجحه جمهور المفسرين، وعليه يكون المعنى: والذين عقدت حلفهم أيمانكم وهم الذين تحالفتم معهم على التناصر وغيره

﴿ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾

أي فأعطوهم نصيبهم من الميراث وفاء بالعقود والعهود.

قال ابن جرير عند تفسيره لهذه الآية الكريمة. وأولى الأقوال بالصواب في تأويل قوله -تعالى-:

﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾

قول من قال: والذين عقدت أيمانكم على المحالفة، وهم الحلفاء، وذلك أنه معلوم عند جميع أهل العلم بأيام العرب وأخبارها أن عقد الحلف بينها كان يكون بالأيمان والعهود والمواثيق على نحو ما قد ذكرنا من الروايات في ذلك[9].

وقال ابن كثير: وقوله:

﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾

أي والذين تحالفتم بالأيمان المؤكدة أنتم وهم فآتوهم نصيبهم من الميراث كما وعدتموهم في الأيمان المغلظة، إن الله شاهد بينكم في تلك العقود والمعاهدات. وقد كان هذا في ابتداء الإسلام ثم نسخ بعد ذلك، وأمروا أن يوفوا من عاقدوا ولا ينشئوا بعد نزول هذه الآية معاقدة[10].

ثم ختم -سبحانه- الآية الكريمة بقوله:

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾

أي إن الله -تعالى- كان ومازال عالما بجميع الأشياء، ومطلعا على جليها وخفيها، وسيجازي الذين يتمسكون بشريعته بما يستحقون من ثواب. وسيجازي الذين ينحرفون عنها بما يستحقون من عقاب.

فالجملة الكريمة تذييل قصد به الوعد لمن أطاع الله والوعيد لمن عصاه.

❊❊❊

(٩) تفسير ابن جرير جـ٥ ص٥٥.

(١٠) تفسير ابن كثير جـ١ ص٤٨٩.

لا يُعرفُ الحلمُ إلا ساعةَ الغضبِ

روى الإمام البخارى بسنده فى صحيحه عن أنس بن مالك قال: كنت أمشى مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية، فأدركه أعرابى فجبذه بردائه جبذة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد، مر لى من مال الله الذى عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم ضحك ثم أمر له بعطاء.

لفضيلة الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومى

الشرح والبيان

لقد كان رسول الله ﷺ هاشاً باشاً، يخاطب كل إنسان على قدر عقله، ويعامله بما يتناسب مع حاله، وهو مع هذا الأعرابى قد تذرع بالصبر، وتخلق بالحلم حينما جبذه جبذة قوية أثرت فى صفحة عاتقه ﷺ.

والحلم قدرة نفسية يمنحها الله عز وجل لأصحاب الإرادة القوية يوفرون بها لأنفسهم قدراً من الوقار والثبات وعدم التسرع الذى قد يؤدى إلى الحط من قدرهم.. فالحلم ليس بالأمر الهين، إذ لا يطيقه إلا أصحاب النفوس الكبيرة لأنه أمر شاق عسير، إذ فيه حبس لقوة الغضب، وضبط للتصرف، وتمسك بالمثل السامية.

ولولا حلمه ﷺ مع هذا الأعرابى، لثارت عواطفه، وتوترت نفسه، فاندفع إلى تعجيل الانتقام.. هذا وقد بلغ رسول الله ﷺ غاية الكمال فى الحلم، وكيف لا؟ وقد قال الله تعالى له:

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

(الأعراف: ١٩٩)

فلما نزلت الآية الكريمة سأل الرسول عليه الصلاة والسلام جبريل عن تأويلها. فقال له جبريل عليه السلام: حتى أسأل العليم، ثم ذهب وأتاه، فقال له: «يا محمد، إن الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك، وتعفو عمن ظلمك».

ولهذا لم يغضب الرسول ﷺ ولم يعنف هذا الأعرابى القاسى الغليظ، مع أنه ـ لجفائه ـ نادى رسول الله ﷺ باسمه المجرد، فقال: يا محمد، مر لى من مال الله الذى عندك. ولم يناده بصفة النبوة والرسالة كما أمر الله سبحانه وتعالى:

﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾

(النور: ٦٣)

ومع ذلك يلتفت إليه رسول الله ﷺ بكل الحنان والحب ثم يضحك فى وجهه وكأن شيئاً لم يكن، أليس هو القائل ﷺ: «تبسمك فى وجه أخيك لك صدقة»[1]؟ ولم يقف ﷺ عند هذا الحد، بل لبى له طلبه، وأمر له بعطاء، وصدق رب العالمين القائل فى كتابه الكريم فى وصف نبيه الحليم:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

(القلم: ٤)

فينبغى أن نتخلق بخلق الحلم الذى هو من صفة الله جل وعلا ومن صفات أنبيائه وأوليائه، لأنه يؤلف القلوب، وينشر المحبة بين الناس، ويكسب المتصف به محبة الله ورضوانه، وينال به الدرجات العلى والجزاء الأوفى فى الآخرة.

وقد كان رسول الله ﷺ المثل الأعلى والقدوة الحسنة فى ذلك حتى ليعبر عن ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى بعض كلامه عن رسول الله ﷺ: «بأبى أنت وأمى يا رسول الله ﷺ، لقد دعا نوح على قومه فقال:

﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾

(نوح: ٢٦)

ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا، فقد وطىء ظهرك وأدمى وجهك، وكسرت رباعيتك، فأبيت أن تقول إلا خيراً، فقلت: اللهم اغفر لقومى، فإنهم لا يعلمون»[2].

يقول القاضى عياض رحمه الله تعقيبا على حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «انظر هذا القول من جماع الفضل ودرجات الإحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم، إذا لم يقتصر ﷺ على السكوت عنهم حتى عفا عنهم، ثم أشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم، فقال: اغفر ـ أو اهد ـ، ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله: لقومى، ثم اعتذر بجهلهم فقال: فإنهم لا يعلمون.

ولم يكن رسول الله ﷺ بدعاً من الرسل، فالحلم من صفاتهم جميعا، قال تعالى فى شأن الخليل إبراهيم عليه السلام:

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾

(التوبة: ١١٤)

وقال: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴾

(هود: ٧٥)

وقال فى شأن شعيب عليه السلام:

﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾

(هود: ٨٧)

وقال فى شأن إسماعيل عليه السلام حيث سأل الله عز وجل إبراهيم عليه السلام الذرية الصالحة:

(١) سنن الترمذى.

(٢) صحيح البخارى.

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾

(الصافات : ١٠٠-١٠١)

فالحلم من الصفات الكريمة والخلال العظيمة التى ترفع شأن صاحبها وتعلى قدره، ولا يتصف بها إلا الصفوة من عباد الله - عز وجل - الذين هم أهل لتحمل المسئولية والقيام بعظائم الأمور، وكيف لا؟! والحلم صفة المعبود جل شأنه، وآيات القرآن ناطقة وشاهدة بذلك، ومنها على سبيل المثال قوله سبحانه :

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾

(البقرة : ٢٢٥)

وقوله :

﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾

(البقرة: ٢٦٣)

ولولا حلم الله عز وجل لما أمهل من يبارزه بالعصيان ولعجل لهم العذاب، قال تعالى :

﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا﴾

(الكهف : ٥٨)

وقال :

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾

(فاطر : ٤٥)

فمن تخلق من الناس بخلق من أخلاق الله دخل الجنة. روى الإمام البخارى رحمه الله عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر».

لهذا ينبغى أن نحلم مع الجاهل، وأن نقابل إساءته بالإحسان، وطيشه بالعفو والغفران، ولنا فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة وقدوة طيبة، فقد روى الإمام البخارى رحمه الله عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : إن رجلاً أتى النبى ﷺ يتقاضاه فأغلظ، فهمّ به أصحابه، فقال رسول الله ﷺ : «دعوه، فإن لصاحب الحق مقالاً»، ثم قال : «اعطوه سنا مثل سنه». قالوا : يا رسول الله، إلا أمثل من سنه، فقال : «أعطوه، فإن من خيركم أحسنكم قضاء».

فرسول الله ﷺ كان المثل الأعلى فى الحلم والصفح والصبر على الأذى لذلك لما سألته أمّ المؤمنين عائشة عليها الرضوان : هل أتى عليك يوم كان أشد، من يوم أحد؟ - قال : «لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل ابن عبد كُلال فلم يجبنى إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى، فنظرت فإذا فيها جبريل، فنادانى فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردّوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فنادانى ملك الجبال فسلم علىّ ثم قال : «يا محمد، فقال : ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النبى ﷺ : «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً».(٣)

ولذلك قال أحد العلماء : ليس الحليم من ظلم فحلم، حتى إذا قدر انتقم، ولكن الحليم من ظلم فحلم، حتى إذا قدر عفا. وقد أنشد الإمام الشافعى رحمه الله :

يخاطبنى السفيه بكل قبح
فأكره أن أكون له مجيبا
يزيد سفاهة فأزيد حلما
كعود زاده الإحراق طيبا

وقد قال ابن حبان رحمه الله : الحلم أجمل ما يكون من المقتدر على الانتقام، ومن يتصف به يكون عظيم الشأن رفيع المكان محمود الأجر مرضى الفعل.

وقد أنشد علىّ بن الحسين زين العابدين رحمه الله :

ولى بقايا ذنوب لست أعلمها
الله يعلمها فى السر والعلن
ما أحلم الله عنى حيث أمهلنى
وقد تماديت فى ذنبى ويسترنى

وقد قال معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما : «لا يبلغ العبد مبلغ الرأى حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته، ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم».. وحينما سأل معاوية رضى الله عنه عمرو بن الأهتم : أى الرجال أشجع؟ - قال : من رد جهله بحلمه. قال : فأى الرجال أسخى؟ - قال : من بذل دنياه لصالح دينه.. وهذا حق، وقد أكد هذا المعنى على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال : «ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك، ويعظم حلمك، وألا تباهى الناس بعبادة الله، وإذا أحسنت حمدت الله تعالى، وإذا أسأت استغفرت الله»، وقال أيضا : إن أول ما عوّض الحليم من حلمه - أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل».. هذا وللحلم علامات يعرف بها الحليم، وفى مقدمتها الصبر عند الغضب والعفو عند المقدرة، قال تعالى :

﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾

(الشورى :٤٣)

وقد قال لقمان الحكيم : «ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاث : لا يعرف الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا عند الحرب، ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه»، وقد أنشد الشاعر :

من يدع الحلم أغضبه لتعرفه
لا يعرف الحلم إلا ساعة الغضب

والبواعث على الحلم كثيرة، وفى مقدمتها : الرحمة بالجهال، والعفو عند المقدرة كما يفهم من المأثورات السالفة، وكذلك الترفع عن السباب، ومقابلة السيئة بالحسنة، ولذلك قال الغزالى رحمه الله : «الحلم أفضل من كظم الغيظ، لأن كظم الغيظ عبارة عن التحلم - أى : تكلف الحلم» والمعنى : فإذا اعتاد ذلك فلا يكون فى كظمه تعب، وهذا هو الحلم الطبيعى.

ولهذا كان رسول الله ﷺ يسبق حلمه جهل الجاهل، ولا تزيده شدة الجهل إلا حلما، مما كان سببا فى دخول كثير من الناس فى الإسلام..

فهل آن للمسلمين أن يعطوا لغيرهم تطبيقا عمليا لهذه الأخلاق الكريمة والصفات العظيمة لتجذبهم إلى الدخول فى دين الله عز وجل واتباع الإسلام الذى ارتضاه الحق سبحانه وتعالى لنا دينا؟ - أملنا ذلك، والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل.

(٣) صحيح البخارى

رسالة المسجد

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم
عضو مجمع البحوث الإسلامية

للمسجد فى الإسلام منزلة عالية، ومكانة سامية، فالمساجد هى بيوت الله سبحانه وتعالى، فيها يرتفع الأذان بشهادة التوحيد والرسالة والدعوة إلى الصلاة التى هى عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين.

ولأهمية المسجد فى الإسلام كان أول عمل قام به رسول الله عندما هاجر من مكة إلى المدينة فنزل أولاً فى قباء بنى أول مسجد وهو الذى قال الله تعالى فى شأنه:

﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾

سورة التوبة (١٠٨)

وعندما وصل رسول الله ﷺ المدينة كان أول عمل قام به هو بناء المسجد النبوى، وكان يشارك بنفسه فى البناء مع الصحابة، بل كان فى مقدمتهم يحمل الأحجار وينقل التراب ويقول وهم يرددون وراءه:

اللهم إن الأجر أجر الآخرة
فارحم الأنصار والمهاجرة

وفى شأن هذا المسجد قال رسول الله ﷺ: «صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»(١).

وكان رسول الله ﷺ حريصاً على بناء المساجد فى كل زمان ومكان، فكان فى أسفاره الطويلة يبنى المساجد فى الطرقات، وكان إذا طال الغزو بنى المساجد يصلون فيها أثناء الحصار.

وللمساجد أهميتها البالغة، إنها بيوت الله

﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾

سورة الجن (١٨)

(١) رواه البخارى ومسلم.

والمساجد مهبط الملائكة تنزل فيها وتشهد الصلاة والذكر والدعاء؛ ولذا ينبغى الحرص على حسن النظافة وطيب الرائحة فيها لوجود ملائكة الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: «من أكل من هذه الشجرة المنتنة - الثوم والبصل والكرات - فلا يقربن مسجدنا؛ فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الإنس»(٢).

وفى المساجد تتعاقب فى العباد ملائكة الليل والنهار فى صلاة الفجر والعصر.

عمارة المساجد

وقد بين رب العزة سبحانه وتعالى أنه لا يقوم بعمارة بيوت الله إلا من كان صادق الإيمان بالله واليوم الآخر، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله وعمارة المساجد تكون بتشييدها وبنائها، وتكون - أيضا - بعمارتها بالعبادة والصلاة والذكر وتلاوة القرآن والاعتكاف قال الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾

سورة التوبة (١٨)

ووضح الرسول ﷺ جزاء من يعمر بيوت الله، ومن بنى مسجداً لله حيث قال ﷺ: «من بنى مسجداً يبتغى به وجه الله بنى الله له بيتا فى الجنة»(٣).

وكان المسجد على عهد رسول الله ﷺ يموج بالعديد من النشاط الدينى والتربوى والعلاجى والقضائى والاجتماعى والمناقحة عن الإسلام.

وكان حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ ينشد الشعر فى المسجد النبوى، فى إظهار محاسن الإسلام، والرد على أعداء الإسلام، ويدافع عن رسول الله ﷺ، وكان النبى ﷺ يقول له: «أجب عن رسول الله، اللهم أيده بروح القدس» ولما زجره عمر رضى الله عنه عن إنشاد الشعر فى المسجد النبوى قال له: «لقد كنت أنشد به وفيه من هو خير منك» يريد النبى ﷺ، وقد أشهد حسان أبا هريرة رضى الله عنه على ذلك، فشهد له.

والمسجد هو مكان العبادة وتدارس العلم وتلاوة القرآن ومدارسته عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول ﷺ قال: «ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده»(٤).

واعتياد المساجد دلالة على الإيمان كما قال رسول الله ﷺ:

«إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان» وتلا قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾

وفى توضيح ما أعده الله لمن يعتاد المساجد قال النبى ﷺ: «من غدا إلى

(٢) رواه البخارى.
(٣) رواه البخارى ومسلم
(٤) رواه مسلم وأبو داود.

المسجد أو راح أعد الله له نزلاً في الجنة كلما غدا أو راح»(٥).

ولعمارة المساجد فضلها ومكانتها؛ لأنها بيوت الله وأماكن العبادة والصلاة والذكر والاعتكاف وتلاوة القرآن، ولأنها مهبط الرحمات، ومنزل ملائكة الله سبحانه وتعالى.

رسالة المسجد

وتتجلى رسالة المسجد في أنه مكان الصلاة والعبادة ففيه تؤدى الصلوات والجمع والجماعات، وكلمة «المسجد» تعني موضع السجود، والسجود هو أهم ركن في الصلاة، ففيه يكون الإنسان أقرب إلى الله تعالى، قال عليه الصلاة والسلام: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء».

وفي السجود قرب من الرب المعبود، حيث قال سبحانه:

﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾

(العلق: ١٩)

وللسجود أهمية في التقرب من الله سبحانه فكثرته وكثرة الصلاة والنوافل تجعل الإنسان في أعلى الدرجات، وها هو ذا ربيعة ابن كعب الأسلمي كان رضي الله عنه يخدم رسول الله ﷺ ويأتيه بوضوئه أي الماء الذي يتوضأ به، فأراد الرسول ﷺ أن يكافئه وأن يساعده في تحقيق ما يرجوه فقال له: «سَلْني» أي اطلب مني شيئاً فقال له: «أسألك مرافقتك في الجنة» فقال له النبي ﷺ: «أو غير هذا»؟ أي ألا تطلب شيئاً آخر غير هذا من أمور الدنيا ومن الأشياء التي قد يكون في حاجة إليها؟ فأجابه قائلاً: «هو ذاك» أي أنه لا يطلب إلا هذا فقط، فقال له النبي ﷺ: «أعِنّي على نفسك بكثرة السجود» لأن كثرة السجود تعني كثرة الصلاة وكثرة السنن والنوافل وكما جاء في الحديث القدسي:

«ولايزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه».

ولكثرة الخطى إلى المساجد فضلها في محو الخطايا ورفع الدرجات وفي الإقامة في المسجد اعتكافاً أو انتظاراً للصلاة فضل عظيم فقد قال رسول الله ﷺ:

«ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع الدرجات» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط».

● ومن رسالة المسجد توحيد صف المسلمين وجمعهم والتأليف بين قلوبهم حيث يجتمعون فيه كل يوم خمس مرات فيتعارفون ويتآلفون، وتقوى أواصر الود بينهم.

● وتقوى صلاة الجماعة علاقات المحبة بين

(٥) رواه مسلم.

المصلين، ولذلك كان الثواب عليها أكثر من الثواب على صلاة الفرد مع أن الصلاة هي الصلاة وعدد الركعات واحد ولكن زادت صلاة الجماعة بخمس وعشرين درجة أو بسبع وعشرين درجة.

● وإذا نظرنا إلى تلاوة القرآن الكريم وتلاوته من رسالة المسجد، وكذا مدارسته وحيث يتلى ويتدارس تنزل السكينة والرحمة والملائكة؛ لأن في القرآن هداية القلوب، وتفريجاً للكروب ولا يقرأ القرآن أحد يبتغي الهداية إلا هداه الله، ولعل في موقف سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه من ذلك ما يوضح هذه الحقيقة، فقبل دخوله في الإسلام وعندما ذهب يريد أن يبتغي الأذى في رسول الله ﷺ علم أن أخته أسلمت فذهب إليها وقد سمع بعض الصوت بتلاوة القرآن وعندما سألها وعلم إسلامها صفعها حتى سال وجهها دماً وطلب منها الصحيفة التي تقرأ فيها القرآن فأخبرته أنه لا يصح له أن يمسها وهو مشرك غير طاهر فتطهر وأمسك يقرأ من سورة طه:

﴿ طه ۝١ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ﴾

(طه: ١-٤)

إلى أن وصل لقوله تعالى:

﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾

(طه: ١٤)

فدخل الإسلام قلبه وسأل عن النبي ﷺ ودخل الإسلام.

خرجت تبغي أذاها في محمدها ... وللحنيفة جبار يواليها
سمعت سورة طه من مرتلها ... فزلزلت نية قد كنت تنويها
فلم تكد تسمع الآيات بالغة ... حتى انكفأت تنادي من يناديها
قد كنت أعدى أعاديها فصرت لها ... بنعمة من الله حصنا من أعاديها
رأيت في الدين آراء موفقة ... فأنزل الله قرآنا يزكيها
وكنت أول من قرت بصحبته ... عين الحنيفة واجتازت معانيها

● ولم تقتصر رسالة المسجد على الرجال وحدهم بل كان للنساء نصيب كبير حيث خصص الرسول ﷺ لهن وقتا كان يجلس لهن فيه ويعلمهن الأحكام والسنن. وفي المسجد كانت إحدى النساء تسمع عمر رضي الله عنه ينهى عن المغالاة في مهور النساء فتجادله وتقول له: ليس ذلك لك يا عمر وقد قال رب العزة:

﴿ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا ﴾

(النساء: ٢٠)

فيقول: أخطأ عمر وأصابت امرأة.

● ومن أهم ما يجب أن نركز عليه أن واجب المسلم عندما يخرج من المسجد أن يظل حافظا لروح المسجد وروح العبادة وما تحلى به من مراقبة الله تعالى في السر والعلانية فلا يختلف سلوكه عندما يخرج من المسجد بل عليه أن يظل موصول الصلة بربه فلا يغش ولا يكذب ولا يخون ولا يظلم، بل يحافظ على جوانب المراقبة والتقوى، ويظل مستصحبا لروح الإيمان والهدى ولا يفرط في مكارم الأخلاق.

العقل عند فقهاء السنة

للأستاذ الدكتور/ السيد أحمد فرج

الأستاذ بكلية التربية - جامعة المنصورة

اعتمد الفقه على العقل بعد النقل، أي على العقل في فهم النصوص من الكتاب والسنة، وكان في مقدمة الفقهاء أصحاب المذاهب: أبو حنيفة وأصحابه ومالك والشافعي رحمهم الله جميعا.

وكان أبو حنيفة يرى أن محل العقل الدماغ.

وكان الشافعي يرى أن محله القلب.

أبو حنيفة والقياس والاستحسان

وكان أبو حنيفة وأصحابه يعتمدون في مذهبهم على الكتاب والسنة، كما كانوا يعتمدون على القياس العقلي اعتماداً واسعاً متخذين منه حلولاً للأحكام التي تتطلبها المشاكل التي نشأت في حياة الناس من الجهتين الدينية والدنيوية، وإلى دقة أبي حنيفة يرحمه الله في استخدام القياس يشير مساور الوراق فيقول:

إذا الناس يوما قايسونا
بآبدة من الفتيا طريفة
أتيناهم بمقياس صحيح
تلاد من قياس أبي حنيفة
إذا سمع الفقيه بها وعاها
وأثبتها بحبر في صحيفة[1]

وكان الإمام أبو حنيفة قد اقترب من المعتزلة في إثبات كون الحسن والقبيح عقليين بذاتهما، وأن المصلحة تقوم عليهما. ثم جاء الماتريدي الحنفي (من المتكلمين وتوسع في كون الحسن والقبيح عقليين ذاتيين، ولكن الأحناف في العموم لم يرتبوا على التحسين والتقبيح العقليين الذاتيين ما رتبه المعتزلة عليهما، بل جعلوهما بعد السمع معرفان للأحكام الشرعية حيث لا يوجد نص.

كذلك كان أبو حنيفة يكثر من

١- أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة: عيون الأخبار ١/١٤٠، وابن عبدالبر: جامع بيان العلم وفضله ٢/٧٧، ود. شوقي ضيف: العصر العباسي الأول: ص-١٣، دار المعارف، الطبعة السادسة ١٩٧٦م.

الاستحسان، وهو من الرأى وثمرة العقل. وكان يستحسن لدفع الحرج الناشيء عن إطراد القياس، وكان يقول: إن الاستحسان يؤخذ به إذا قبح القياس، أو إذا كان إطراد القياس مؤد إلى غلو في الحكم، وكان أبو حنيفة يرحمه الله إذا قاس، قاس أصحابه، و إذا قال: استحسن لم ينازعه أحد منهم.

إن الاستحسان عند الأحناف لم يتم على اشتهاء رأى استحسنوه أو اشتهوه، وإنما يقوم على ما فهموه من قصد الشارع، في مسائل للناس فيها مصلحة، وكان تركه يؤدى إلى ضياع تلك المصلحة. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قدوة أبي حنيفة في فقه الاستحسان، في مثل المسألة العمرية في المواريث، إذ استوفى الأخوة لأم التركة، فذهب الأخوة الأشقاء لعمر رضي الله عنه يطلبون حقهم في الميراث، فاستفتى زيداً بن ثابت رضي الله عنه، فقال: إنهم شركاء في الأم، وهم شركاء الأخوة للأم في ميراثهم، فاستحسنه عمر وأمضاه.

ثم كانت المصالح المرسلة عند الإمام مالك، قريبة من الاستحسان عند أبي حنيفة ولا تطابقه.

الإمام مالك والمصالح المرسلة

ومع أن مذهب الإمام مالك يرحمه الله قام على الاعتماد على النصوص من الكتاب والسنة، والآثار عن الصحابة والتابعين، وعمل أهل المدينة، إلا أنه لم يخل من إعمال العقل، وكان أهم ما انبت منه أصل: المصالح المرسلة - أم نظرية المقاصد التي يفخر بها الفقه الإسلامي.

قامت نظرية المقاصد الشرعية الخمسة، أو نظرية الضروريات الخمس، على وجوب حفظ: الدين، والنفس، والنسل، والعقل، والمال. وهي كليات الشريعة الإسلامية.

ولما كان الحديث عن عناية التشريع في مقاصده الخمسة. في هذا المقام عن العقل، فقد أمرنا الشرع الحكيم بأن نحافظ عليه، فلا يتناول الفرد ما يفسده من طعام أو شراب، أو لهو يدفع به إلى الضلال، والعمل على تنميته وترشيده وتشغيله وحفظه.

ومع أن بيان عمل العقل في القرآن والسنة: شرعية الحد أو الزجر، فإن القرآن والسنة لم يجعلا له أصلا على الخصوص، ليبقى الحكم فيه إلى اجتهاد المجتهدين من علماء الأمة وفقهائها، في إعمال العقل في استنباط أحكام فيما لم يأت فيه نص، وهذا جائز للمصلحة، كما نص عليه الشاطبي في كتاب الاعتصام وبين أنه ملائم للشرع، وإن لم ينص على عينه، فإن الشرع قد أجاز أكل الميتة والدم ولحم الخنزير للمضطر مع أنها من الخبائث.

ولقد كان مالك رحمه الله، عندما أخذ بالمصالح المرسلة، قصد الملاءمة بين المصلحة وبين مقاصد الشرع في الجملة، واشترط أن تكون معقولة في ذاتها تتلقاها العقول الرشيدة بالقبول، وأن يكون الأخذ بها رفع حرج لازم في الدين، وأن تكون في مواضع الحاجة والضرورة، فلا تتجاوزها إلى الترف[2].

٢- الشيخ محمد أبو زهرة: مالك ص٣٢٧ - ٣٢٨، دار الفكر العربي، ١٩٧٨م.

لم يجمد الإمام مالك أمام النصوص، فلم يعتبر المصلحة إلا عن طريقها فى المصالح الدنيوية التى أجاز النبى ﷺ عمل العقل فيها، فقال ﷺ: «أنتم أعلم بأمر دنياكم»[3] وكذا الصحابة رضوان الله عليهم الذين اجتهدوا فى حرب مانعى الزكاة، وفى جمع القرآن، وفى قتل الجماعة فى واحد وغير ذلك.

وهكذا أعمل الإمام مالك - رحمه الله - العقل فى إدراك المصالح الدنيوية غير المنصوص عليها فى سلوك الجادة فى ذلك، فلم يجعل أحكام العقل تتجاوز حدودها فتضاد الأحكام القاطعة من النصوص الثابتة، وفى الوقت نفسه لم يحجر على العقل أو يضيق عليه.

الشافعى: مقدمة لتيارات عقلية مؤثرة

يعد الإمام الشافعى - يرحمه الله - مقدمة عظمى لتيارات عقلية مؤثرة، وإن اختلفت توجهاتها وتباينت - عند أهل الفرق المتباينة. ويرى الشيخ أمين الخولى - بدون تحفظ - أن الإمام الشافعى كان رائد العقلانية فى الإسلام، فقد نبه إلى قيم وسائل المعرفة وكان يقول: إن العقل التجربة، وأنها العقل الحق، مع الاحتياط فى الرواية والنقل»[4].

كان اتجاه الشافعى فى الأصول اتجاهاً نظرياً خالصاً، وجد فيه المتكلمون منهجاً يوافق طريقتهم فى عرض المسائل الكلامية، لأن هذا الاتجاه الذى نظمه الشافعى لتحقيق قواعد علم الأصول، قد وافق المتكلمين فتابعوه فى دراساتهم العقلية، ونظرهم التجريدى إلى الحقائق، فقد كان هذا الاتجاه منهاج دراستهم النظرية، ككلامهم فى التحسين والتقبيح العقليين، واتفاقهم على أن الأحكام فيما عدا العبادات معللة معقولة المعنى»[5]، ولهذا رأى بعض الدراسين المحدثين أن الرأى والقياس والنظر العقلى يعد من إرهاصات العقلية المتنامية فى أوساط الفقه السنى»[6].

على أن فقهاء السنة لم يغالوا فى وظيفة العقل، فوق كونه مصدراً موثوقاً به فى المعرفة الإنسانية. ومع أن أبا حنيفة رحمه الله اقترب من المعتزلة فى القول بأن: «للأشياء حسناً ذاتياً وقبحاً ذاتياً، وما بينهما تابع لأمر الله ونهيه، فقد خالفهم فى أنه لا تكليف ولا ثواب ولا عقاب بحكم العقل المجرد، لأن الحاكم هو الله تعالى، وأن العقل لا يكلف، وإن كان يدرك الحسن الذاتى، والقبح الذاتى»[7].

ونخلص إلى مهمة العقل عند علماء السنة فيما يلى:

١- العقل يساعد الإنسان على فهم رسالات السماء، والتصديق بها، ويقنع صاحبه بيقين بصدق الأنبياء والرسل، وأنهم مبعوثون بالحق من رب العالمين. ويقنع صاحبه بما جاء به الدين: عقيدة وشريعة يأخذ بأدلتها وبراهينها القاطعة.

٢- أن الإنسان يبلغ بالعقل إدراك المصالح فيعمل بها، والمفاسد فيتركها، ذلك لأن الإنسان يعرض المصالح الضرورية، والمفاسد الدنيوية على عقله فيعرف الصحيح من غير الصحيح، والراجح من المرجوح.

وعلماء السنة على ذلك لم يجعلوا للعقل سلطة مطلقة، إذ إن إدراك العقل للمصالح والمفاسد قد يعجز فى بعض الأحيان وقد يخطئ. وقد بين ابن القيم قصد القائلين بذلك من علماء السنة بأن «غاية العقل أن يدرك بالإجمال حسن ما أتى به الشرع بتفصيله فيدركه العقل جملة، ويأتى الشرع بتفصيله»[8]. وقد يأتى الفعل مشتملاً على مصلحة ومفسدة، ولا تعلم العقول مصلحته أرجح أم مفسدته، وقد يرى الإنسان بعقله الفعل فى وقت حسناً، ثم يراه فى وقت آخر غير ذلك، قال الشاطبى فى الاعتصام: «إن الواحد منا يأتى عليه وقت يعتقد فيه أنه قد أحاط بأمر ما دراسة وعلماً، ثم لا يمر وقت إلا وقد أدرك فيه ما لم يكن أدرك من قبل وتكشف له من أمره ما لم يكن يظن»[9]. وقال أيضا فى كتاب: الموافقات: قد يحصل الإنسان على لذة دنيوية، فإن فرض فيها فائدة فى الدنيا، فمن شرط كونها فائدة، شهادة الشرع لها بذلك، وكم من لذة وفائدة يعدها الإنسان كذلك، وليست فى أحكام الشرع إلا على الضد كالزنى وشرب الخمر وسائر وجوه الفسق والمعاصى التى يتعلق بها عرض عاجل»[10] ولهذا قال الشاطبى فى موضع آخر: إن المصالح التى تقوم بها أحوال العبد لا يعرفها حق معرفتها إلا خالقها، وليس للعبد بها علم إلا من بعض الوجوه»[11] ولهذا أرسل تعالى الرسل والنبيين بالشرع لتزكية الناس، ليبين لهم أن القول بتحسين العقل وتقبيحه لا يغنى عن الدين.

***

(٣) صحيح مسلم - كتاب الفضائل.

(٤) الشيخ أمين الخولى: المجددون فى الإسلام. فصل الشافعى المجدد، ص٩٨ - ١٠٣، مكتبة الأسرة، سنة ٢٠٠٦م.

(٥) الشيخ محمد أبو زهرة: أصول الفقه ص١٥، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٣٧٧ - ١٩٥٨م، وراجع أيضا: سيف الدين الآمدى: الإحكام فى أصول الأحكام، ٢١٩/١ نشر محمد على صبيح.

(٦) راجع حسنى زينة: العقل عند المعتزلة ص٢١، دار الآفاق، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

(٧) راجع أبا زهرة: أصول الفقه ص٥٤ - ٥٦، والشوكانى إرشاد الفحول، ص٨.

(٨) ابن القيم: مفتاح دار السعادة ١١٧/٢.

(٩) الشاطبى: الاعتصام ٣٢٢/٢.

(١٠) الشاطبى: الموافقات ٣٧/٦.

(١١) الشاطبى: الموافقات ٢٨٦/٦ - ٢٨٧.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾

للأستاذ/ صديق بكر عطية

قال تعالى في سورة «المنافقون»:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (4) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾

«سورة المنافقون: ٤-٥»

جاءت هاتان الآيتان الكريمتان في معرض حديث شامل عن المنافقين، ودورهم في خداع الرسول ﷺ والمؤمنين، وما يقومون به من بث روح الفوضى والحرب النفسية في مجتمع المدينة محتمين في ذلك بظاهر إسلامهم وانخراطهم في المجتمع المسلم.

والنفاق في الخصال الذميمة، التي لم تعرف في البيئة العربية قبل عصر صدر الإسلام، وقد ابتدعه وأدخله إلى المجتمع الإسلامي عبدالله بن أبي بن سلول أحد زعماء «يثرب»[1]، التي سميت بعد قدوم النبي ﷺ إليها «المدينة المنورة» أو «مدينة الرسول».

وقد لجأ إلى ذلك حقداً على النبي ﷺ الذي ـ بقدومه إلى «يثرب» سحب بساط الزعامة والرياسة من تحت أقدامه بعد أن كادت تعقد له في هذا المجتمع.

وإذا كانت آيتا سورة «المنافقون» تلقيان ضوء الحقيقة أمام النبي ﷺ عقب غزوة بني المصطلق، فيما كانوا يبثونه من روح الحقد، ممثلين في عبدالله بن أبي بن سلول، فإنهما تصور في نفس الوقت أدق تصوير، صنفاً من الناس لهم صفات نفسية وجسمية بعينها، تعرفهم في كل عصر وفي كل مكان، هذا الصنف، تعرفنا على بعض ملامحه في بعض آيات سورة البقرة، والآيتان اللتان معنا تصوران المنافقين تصويراً دقيقاً وعميقاً من حيث الملامح الجسدية، ومن ورائها الحركات العضوية التي تراها العين والملامح النفسية، التي لا تقل ظهوراً عن الملامح الجسدية: فمن حيث الملامح الأولى: تراهم رأي العين ضخام الأجسام يتصدرون المجالس في هيئة تعجب الرائي لأول وهلة، ثم إنهم منطلقو الألسنة يتشدقون بكل ما يعجب السامع قبل أن يفكر، فإذا ما فتش في كلامهم، وجد هذه الأجسام الغليظة ذات الحناجر المتميزة لا فائدة منها ولا طائل يرجى من ورائها، فهي كالخشب المسندة بجوار حائط تنتظر دورها في الحريق، أو تنتظر حتى يأتي عليها السوس، الذي لا يبقى منها إلا ما يكسوها من لحاء خارجي، هؤلاء الناس تراهم وقد أصابهم الكبر، الذي لا يستمعون معه لصوت الناصحين المشفقين، فإذا طلب منهم أن يتقدموا للرسول ﷺ علّه يستغفر لهم ربهم على ما كان منهم تراهم وقد لووا رءوسهم كبراً، وجروا ثوبهم بطراً، ونحن نرى أن:

﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾

تعبير حقيقي وليس مجرد تمثيل، لأن هذه «الحركة» نراها حقيقة من لوازم المستكبرين الذين يصدون ملوحين بأيديهم، مبالغة منهم في الإعراض، ومن هنا نرى أن تفسير ابن كثير:

﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾

بـ«صدوا وأعرضوا عما قيل لهم استكباراً عن ذلك» ليس دقيقاً، فلي الرءوس حقيقي، ولذا جاء بعده بقوله:

﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾

والعطف هنا يقتضي المغايرة[2] أما من حيث الملامح النفسية، فهم أجسام لا روح فيها ولا حس، وهم «من التوجس الدائم والفزع الدائم والاهتزاز الدائم» ـ «يحسبون كل صيحة عليهم» ـ وهم «يعرفون أنهم منافقون مستورون بستار رقيق من التظاهر والحلف والملق والالتواء، وهم يخشون في كل لحظة أن يكون أمرهم قد افتضح، وسترهم قد انكشف، والتعبير يرسمهم أبداً متلفتين حواليهم، يتوجسون من كل حركة ومن كل صوت ومن كل هاتف، يحسبونه يطلبهم، وقد عرف حقيقة أمرهم»[3] وإذا كانت الآية الثانية

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾

(١) «يثرب» اسم مشتق من التثريب، وهو الاستقصاء في اللوم والتعنيف ولذا تغير اسمها بعد قدوم النبي إليها إلى «مدينة رسول الله» أو «المدينة المنورة» ولقد ذكرت في القرآن باسمها الأول في قوله تعالى:
﴿وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ (الأحزاب ١٣) وهذه الآية المباركة جاءت على لسان طائفة من المنافقين ـ كما حكى الله عنهم في سورة الأحزاب ـ وهم يمارسون هوايتهم المفضلة في تخذيل جيش المسلمين وإضعافهم، حتى لا يقووا على مقاومة الحصار الذي فرضه جيش المشركين على المدينة في غزوة الأحزاب، حيث لم يصدهم عن اقتحامها إلا الخندق، فكان المشركون من خارج المدينة والمنافقون من داخلها مندسين بين صفوف المسلمين.
ولذا قام المنافقون بتذكير إخوانهم بأيام أن كان مجتمعهم خالصاً لهم ليوقظوا فيهم روح العصبية الماضي، وذلك عندما قالوا: «يا أهل يثرب...» اقرأ في سورة (الأحزاب) الآيات من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ (٩-٢٧).

(٢) ومما يدل على أن لي العنق من لوازمهم الكبرى، وهو صورة حركية معروفة في هذا الصنف من الناس، ما حكاه القرآن الكريم عن لقمان حينما قال لابنه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ (لقمان: ١٨) أي لا تلوِ عنقك كبراً وخيلاء.
(٣) سيد قطب «في ظلال القرآن» جـ٦ ص٣٥٧٦، ٣٥٧٥.

تجسد لديهم صورة التكبر، فإن هذا الكبر معروف أمره، فهو يتلاشى عند أول مواجهة، «فهم يستكبرون ويصدون ويلوون رءوسهم ماداموا في أمان من المواجهة، حتى إذا وجهوا كان الجبن والتخاذل والأيمان»[4] الكاذبة، خوفاً على أنفسهم وحرصاً على حياتهم:

﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾

(المنافقون: ١)

والذي لا شك فيه أن هذه الآيات وغيرها ترسم لنا صورة ساخرة للمنافقين في كل عصر، وتفضح ما خفي ودقّ من أمرهم، وكأني بها تلاحق هذه الخصلة الذميمة في كل مناسبة، ولا تدعها تستقر في المجتمع المسلم، يستوي في ذلك النفاق الموجه ضد العقيدة والدين، والنفاق الموجه ضد القيم والمثل الرفيعة، التي ينبغي أن تسود المجتمع المسلم من حب للوطن، وبذل الأرواح رخيصة في سبيله، والإسهام في التخفيف عن كاهل اليتامى والأرامل والمحرومين.

فهذه المجالات جميعاً لا تخلو من النفاق والمنافقين.. ومن الصور التي نعتاد عليها، أن ترى من يتصدر المجالس، ويلقي الخطب، ويحث على الجهاد في سبيل الوطن، أو الإنفاق في سبيل الله، أو التصدق على الفقراء والمساكين، فإذا جد الجد، وطلب إليه أن يكون قدوة في هذا الأمر أو ذاك كان أول الفارين المتخاذلين وكثيراً ما نرى ونسمع المتشدقين المتفيهقين بمعسول القول، يتمقون الكلام، ويدبجون العبارات، فإذا ما فتشت عما تحتها لم تجد فيه ما يستحق عناء البحث والسؤال، فإذا ما ذهبت تقوّم ما أعوج من أمر هذا وذاك لم تجد إلا علجاً غليظاً جافياً يلوي عنقه ويصد عن الحق في كبر وخيلاء.

وإن من يتأمل الصياغة المباركة في الآيتين الكريمتين، يجد ما يساعد على إطلاق هذه الصورة من مناسبتها التاريخية، لتنطبق على المنافقين في كل عصر وفي كل مناسبة: فالمسلم عند نزول الآية، خوطب بها هكذا:

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٤) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ ﴾

وسوف يظل هكذا إلى يوم القيامة، والذي يعرفه النحاة أن «إذا» ظرف لما يستقبل من الزمان، فالآيتان المباركتان تجمعان صورة النفاق والمنافقين على امتداد التاريخ كله منذ ابتدعه عبدالله بن أبي بن سلول، وأضرابه في مجتمع المدينة وإلى اليوم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها في بؤرة واحدة، وكأنك تراهم بذواتهم وأعيانهم ـ بل كثيراً ما نراهم رأي العين في شتى مجالات النشاط الإنساني ـ وكأن القرآن مايزال يتنزل من لدن الله الحق العليم بخلقه:

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٤) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾

المنافقون: (٤-٥)

(٤) المرجع السابق ج٦ ص٣٥٧٩.

وهكذا، يبصر الله تبارك وتعالى رسوله ﷺ بهذا الصنف من الناس، الذين يساكنونه المدينة، وإن كان ذلك في أواخر عهده عليه السلام، حتى إنه لم يذع على الناس أسماءهم، غير أنه اختار واحداً فقط من بين صحابته الأبرار وهو حذيفة بن اليمان رضي الله عنه وذكر له أسماءهم، ولقد كان هذا الصحابي الجليل عند ظن النبي ﷺ ولم يذكر اسم واحد منهم، حتى إن عمر بن الخطاب عندما كان يسأله عن نفسه كان يقول له: يا عمر، لست منهم!! ولا يزيد على ذلك، ولم يكن أحد من الصحابة يعرف شيئاً عنهم إلا عند الوفاة حيث إن الرسول عليه السلام كان يمتنع عن الصلاة عليه امتثالاً لقول الله عز وجل:

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ﴾

التوبة: (٨٤)

ثم يتوفى الرسول ﷺ فكان عمر بن الخطاب لا يصلي على من مات إلا إذا رأى حذيفة يصلي عليه وإلا امتنع عن الصلاة عليه دون أن يتكلم بشيء.

لقد عرف الله نبيه هذا الصنف من الناس بصفاتهم النفسية والحركية الجسمية، كي يحذر شرورهم ويحذرهم المسلمون، ضمن من يحذرون من أصحاب هذه الصفات، لأن شرور هذا الصنف تنتشر بين الناس، كما تنتشر النار في الهشيم.

ولقد ركزت الآيات على صفاتهم الخبيثة وصفاتهم النفسية الذميمة، التي تعيها البصيرة المؤمنة، لأنها ترى بنور الله، وهو سبحانه لم يسم للناس أسماءهم.

لم يسم للناس أسماءهم، حتى لا ينقسم المجتمع المسلم إلى قسمين متنابذين، ويضعف أمره، على غرار ما أوشك أن يحدث على يد عبدالله بن عبدالله بن أبي بن سلول عندما طلب من النبي ﷺ أن يسمح له بقتل أبيه رأس المنافقين وزعيمهم لولا حكمته عليه الصلاة والسلام الذي قال له «لا. بل تحسن معاملته ما دام معنا».

ولم يسم للناس أسماءهم، حتى يكون المسلم غير متقيد في فهم هذه الصفات النفسية والحركية بأشخاص بأعينهم، فليس المهم الأشخاص وإنما المهم الصفات، وما يتركه كل من يتصف بها من آثار سيئة تترك آثارها على المجتمع كله، وهذا الصنف من الصفات، لا يزال موجوداً في المجتمعات البشرية منذ أن فتح بابه عبدالله بن أبي بن سلول، وأضرابه وإلى الأبد وسوف يستمر إلى ما شاء الله بين بني الإنسان.

***

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

علـــى جمعـــة

مفتى جمهورية مصر العربية

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

اطلعنا على الطلب المقدم من/ مجلة الأزهر - المتضمن لبعض الأسئلة وهى:

التوسل بالنبى ﷺ وأصحابه

● السؤال من القارئ: ش.م.ح:

ما حكم التوسل بالنبى ﷺ وصحابته وآله؟

●● الجواب: الوسيلة فى اللغة: القربة وقضية حياة المسلم هى أن يتقرب إلى الله ويحصل رضاه وثوابه، ومن رحمة الله بنا أن شرع لنا كل العبادات وفتح باب القربة إليه، فالمسلم يتقرب إلى الله بشتى أنواع القربات التى شرعها الله عز وجل و عليه فإن القرآن كله يأمرنا بالوسيلة إلى الله، أى بالتقرب إليه سبحانه.

وقد اتفقت المذاهب الأربعة على جواز التوسل بالنبى ﷺ بل استحباب ذلك، و عدم التفريق بين حياته وانتقاله الشريف ﷺ، ولم يشذ إلا ابن تيمية حيث فرّق بين التوسل بالنبى ﷺ فى حياته وبعد انتقاله ﷺ ولا عبرة لشذوذه وفيما يلي نسرد الأدلة من الكتاب والسنة التى كانت لإجماع المذاهب الأربعة وهى:

أولا: أدلة القرآن الكريم:

١- قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

(المائدة: ٣٥).

وفى ذلك أمر للمؤمنين أن يتقربوا إلى الله بشتى أنواع القربات، والتوسل إلى النبى ﷺ فى الدعاء من القربات، التى ستثبت تفصيلا فى استعراض أدلة السنة، وليس هناك ما يخصص وسيلة من وسيلة، فالأمر عام بكل أنواع الوسائل التى يرضى الله بها، والدعاء عبادة ويقبل طالما لم يكن بقطيعة رحم، أو إثم، أو احتوى على ألفاظ تتعارض مع أصول العقيدة ومبادىء الإسلام.

٢- قوله تعالى:

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾

(الإسراء: ٥٧)

وفى هذه الآية يثنى الله عز وجل على هؤلاء المؤمنين الذين استجابوا لله، وتقربوا إليه بالوسيلة فى الدعاء.

وقوله تعالى:

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾

(النساء: ٦٤)

وهذه الآية صريحة فى طلب الله من المؤمنين الذهاب إلى النبى ﷺ واستغفار الله عند ذاته ﷺ الشريفة، وأن ذلك أرجى فى قبول استغفارهم، وهذه الآية باقية وحكمها باق.

ثانياً: أدلة السنة:

١- عن عثمان بن حنيف رضى الله عنه- أن رجلا ضرير البصر أتى النبى ﷺ فقال: ادع الله أن يعافينى. قال: «إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك»، قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعوه بهذا الدعاء: «اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد، نبى الرحمة، يا محمد إنى قد توجهت بك إلى ربى فى حاجتى هذه لتقضى، اللهم فشفعه فىّ» رواه أحمد والترمذى وابن ماجه، وصححه جماعة من الحفاظ منهم: الترمذى وابن خزيمة والطبرانى والحاكم.

وهذا الحديث دليل على استحباب هذه الصيغة من الأدعية؛ حيث علمها النبى ﷺ لأحد أصحابه، وأظهر الله معجزة نبيه ﷺ حيث استجاب لدعاء الضرير فى نفس المجلس.

وإذا علّم رسول الله ﷺ حدًا من أصحابه صيغةً للدعاء، ونُقلت إلينا بالسند الصحيح دل ذلك على استحباب الدعاء بها فى كل الأوقات حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وليس هناك مخصص لهذا الدعاء لذلك الصحابى وحده، ولا مقيد لذلك بحياته ﷺ، فالأصل فى الأحكام والتشريعات أنها مطلقة وعامة، إلا إن يثبت المخصّص أو المقيّد لها.

قال الشوكاني في «تحفة الذاكرين»: «وفي الحديث دليل جواز التوسل برسول الله ﷺ إلى الله عزو جل مع اعتقاد أن الفاعل هو الله سبحانه وتعالى، وأنه المعطي المانع، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن».

ومما يدل على أن هذا الدعاء عام في حياة النبي ﷺ وبعد انتقاله الشريف أن ذلك الصحابي الجليل أرشد من له حاجة إلى هذا الدعاء بعد انتقال النبي ﷺ، وذلك فيما رواه الطبراني في المعجم الصغير والبيهقي في دلائل النبوة: أن رجلا كان يختلف إلى عثمان ابن عفان رضي الله عنه في حاجة له، فكان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي عثمان ابن حنيف رضي الله عنه، فشكا إليه ذلك، فقال له عثمان بن حنيف رضي الله عنه: ائت الميضأة فتوضأ، ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فتقضي لي حاجتي، وتذكر حاجتك، ورح إلي حتى أروح معك، فانطلق الرجل فصنع ما قاله له، ثم أتى باب عثمان بن عفان، فجاء البواب حتى أخذ بيده، فأدخله على عثمان بن عفان وأجلسه معه على الطنفسة وقال له: ما حاجتك؟ فذكر حاجته، فقضاها له، ثم قال: ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة، وقال ما كانت لك من حاجة فائتنا، ثم إن الرجل خرج من عنده، فلقي عثمان ابن حنيف، فقال له: جزاك الله خيرا، ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إلي حتى كلمته في، فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمته، ولكن شهدت رسول الله ﷺ وأتاه رجل ضرير.. ثم ذكر الحديث.

قال العلامة الحافظ السيد عبدالله بن الصديق الغماري: «وهذا إسناد صحيح؛ فالقصة صحيحة جدا، وقد وافق على تصحيحها أيضا الحافظ المنذري في الترغيب، والحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد» أهـ.

والقصة تدل على ما يدل عليه الحديث مع إغلاق الباب على من حاول أن يزعم أن الحديث خاص بحياة النبي ﷺ -ولا مخصص كما ذكرنا- ولكن ذلك يشد العضد ويؤيد الصواب إن شاء الله تعالى.

٢- حديث الخروج إلى المسجد للصلاة: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قال حين يخرج إلى الصلاة: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاي؛ فإني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة، خرجت إتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، أسألك أن تنقذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، وكل الله له سبعين ألف ملك يستغفرون له وأقبل الله عليه بوجهه حتى يفرغ من صلاته» (رواه أحمد وابن ماجه وابن خزيمة، وهو حديث صحيح، صححه كل من الحافظ البغوي، والحافظ أبوالحسن المقدسي شيخ المنذري، والحافظ الدمياطي، والحافظ العراقي، والحافظ ابن حجر العسقلاني).

والحديث يدل على جواز التوسل إلى الله في الدعاء بالعمل الصالح وهو سير المتوضيء إلى الصلاة، وبحق السائلين لله.

٣- حديث أنس رضي الله عنه عند موت فاطمة بنت أسد أم علي رضي الله عنهما، وهو حديث طويل، وفي آخره أن النبي ﷺ قال: «والله الذي يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي، فإنك أرحم الراحمين» (رواه الطبراني في الأوسط والكبير وأبونعيم في الحلية وغيرهما).

والحديث في سنده مقال، إلا أن معناه مؤيد بما مر من أحاديث صحيحة.

٤- توسل آدم عليه السلام بنبينا ﷺ أن يغفر الله له، وذلك في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم، وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه؟ قال: يا رب؛ لأنك لما خلقتني بيدك، ونفخت في من روحك، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم؛ إنه لأحب الخلق إلي، ادعني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك» (رواه الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرك، وقد صححه الحاكم حيث عقبه بقوله: «هذا حديث صحيح الإسناد، وهو أول حديث ذكرته لعبدالرحمن بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب، وقد بالغ الحافظ الذهبي عندما حكم بوضعه؛ لأن في سنده عبدالرحمن، وعبدالرحمن ليس بكذاب ولا متهم، بل هو ضعيف فقط، ومثله لا يجعل الحديث موضوعا، وأقصى ما فيه أن يكون ضعيفا، والضعيف يعمل به في فضائل الأعمال، وفي الحديث دلالة واضحة على جواز التوسل بالنبي ﷺ في الدعاء).

٥- حديث «أعينوا عباد الله»، فعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن لله ملائكة في الأرض سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ثمر الشجر، فإذا أصاب أحدكم عرجة بأرض فلاة فليناد: أعينوا عباد الله» رواه ابن أبي شيبة في مصنفه والطبراني والبيهقي في شعب الإيمان، وقال عن سنده الحافظ الهيثمي: «رواه الطبراني ورجاله ثقات».

الحديث دليل على الاستعانة بمخلوقات لا تراها، قد يسببها الله عز وجل في عوننا و نتوسل بها إلى ربنا في تحقيق المراد كالملائكة ولا يبعد أن يقاس على الملائكة أرواح الصالحين فهي أجسام نورانية باقية في عالمها.

٦- قصة الاستسقاء بالنبي ﷺ عند قبره في زمن عمر؛ فعن مالك الدار -وكان خازن عمر- قال: «أصاب الناس قحط في زمان عمر، فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتاه رسول الله ﷺ في المنام فقال: إيت عمر فأقرئه مني السلام، وأخبره أنهم يسقون، وقل له: عليك بالكيس الكيس، فأتى الرجل عمر فأخبر عمر فقال: «يارب ما آلوا إلا ما عجزت». رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، وهو حديث صحيح صححه الحافظ ابن حجر العسقلاني حيث قال في «فتح الباري» ما نصه: «وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح من رواية

أبى صالح السمان عن مالك الدار قال: «أصاب الناس قحط فى زمن عمر فجاء رجل إلى قبر النبى ﷺ فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا فأتى الرجل فى المنام فقيل له: ائت عمر.. الحديث، وقد روى سيف فى «فى الفتوح» أن الذى رأى المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزنى أحد الصحابة» أهـ.

وهذه الرواية صحح إسنادها كذلك الحافظ ابن كثير فى «البداية والنهاية»، وصححها أيضا كبار الحفاظ فتصلح أن تكون دليلا على جواز الطلب من النبى ﷺ بالاستسقاء والدعاء بعد انتقاله الشريف ﷺ.

٧- قصة الخليفة المنصور مع الإمام مالك رضى الله عنه وهى: «أن مالكا رضى الله عنه لما سأله أبوجعفر المنصور العباسى -ثانى خلفاء بنى العباس-: «يا أبا عبدالله! أأستقبل رسول الله ﷺ وأدعو أم أستقبل القبلة وأدعو؟ فقال له مالك: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله عز وجل يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله»، وفيه إشارة إلى اعتبار حديث توسل آدم عليه السلام عند الإمام مالك، وأنه يرى أن من الخير استقبال قبر النبى ﷺ والاستشفاع به ﷺ.

وقد روى هذه القصة أبوالحسن على بن فهر فى كتابه «فضائل مالك» بإسناد لا بأس به، وأخرجها القاضى عياض فى الشفاء من طريقه عن شيوخ عدة من ثقات مشايخه، كذلك ذكره السبكى فى شفاء السقام، والسمهودى فى وفاء الوفاء، والقسطلانى فى المواهب اللدنية، قال ابن حجر الهيتمى فى «الجوهر المنظم»: قد روى هذا بسند صحيح، وقال العلامة الزرقانى فى «شرح المواهب»: إن ابن فهر ذكر هذا بسند حسن، وذكره القاضى عياض بسند صحيح.

وللعلامة الشوكانى كلام نفيس فى هذه المسألة ننقله على طوله لما فيه من الفوائد، يقول رحمه الله تعالى فى كتابه «الدر النضيد فى إخلاص كلمة التوحيد»: «وما التوسل إلى الله سبحانه بأحد من خلقه فى مطلب يطلبه العبد من ربه فقد قال الشيخ عزالدين بن عبدالسلام إنه لا يجوز التوسل إلى الله تعالى إلا بالنبى ﷺ إن صح الحديث فيه أهـ. ولعله يشير إلى الحديث الذى أخرجه النسائى فى سننه والترمذى وصححه وابن ماجه وغيرهم أن أعمى أتى إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله إنى أصبت فى بصرى فادع الله لى، فقال له النبى ﷺ: «توضأ وصل ركعتين ثم قل: اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد، يا محمد إنى أستشفع بك فى رد بصرى، اللهم شفع النبى فيّ». وقال: «فإن كان لك حاجة فمثل ذلك» فرد الله بصره.

للناس فى معنى هذا قولان:

أحدهما: أن التوسل هو الذى ذكره عمر ابن الخطاب لما قال: كنا إذا أجدبنا نتوسل بنبينا إليك فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا، وهو فى صحيح البخارى وغيره، فقد ذكر عمر رضى الله عنه أنهم كانوا يتوسلون بالنبى ﷺ فى حياته فى الاستسقاء، ثم توسل بعمه العباس بعد موته، وتوسلهم هو استسقاؤهم بحيث يدعو ويدعون معه، فيكون هو وسيلتهم إلى الله تعالى، والنبى ﷺ كان فى مثل هذا شافعا وداعياً لهم.

والقول الثانى: أن التوسل به ﷺ يكون فى حياته وبعد موته وفى حضرته ومغيبه، ولا يخفاك أنه قد ثبت التوسل به ﷺ فى حياته، وثبت التوسل بغيره بعد موته بإجماع الصحابة إجماعا سكوتيا لعدم إنكار أحد منهم على عمر رضى الله عنه فى التوسل بالعباس رضى الله عنه، وعندى أنه لا وجه لتخصيص جواز التوسل بالنبى ﷺ كما زعمه الشيخ عزالدين بن عبدالسلام لأمرين.

الأول: ما عرفناك به من إجماع الصحابة رضى الله عنهم.

والثانى: أن التوسل إلى الله بأهل الفضل والعلم هو فى التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضلة؛ إذ لا يكون الفاضل فاضلاً إلا بأعماله، فإذا قال القائل: «اللهم إنى أتوسل إليك بالعالم الفلانى» فهو باعتبار ما قام به من العلم، وقد ثبت فى الصحيحين وغيرهما أن النبى ﷺ حكى عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة أن كل واحد منهم توسل إلى الله بأعظم عمل عمله فارتفعت الصخرة، فلو كان التوسل بالأعمال الفاضلة غير جائز أو كان شركا كما يزعمه المتشددون فى هذا الباب كابن عبدالسلام ومن قال بقوله من أتباعه لم تحصل الإجابة لهم ولا سكت النبى ﷺ عن إنكار ما فعلوه بعد حكايته عنهم، وبهذا تعلم أن ما يورده المانعون من التوسل بالأنبياء والصلحاء من نحو قوله تعالى:

﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾

(الزمر: ٣)

ونحو قوله تعالى:

﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾

(الجن: ١٨)

ونحو قوله تعالى:

﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ ﴾

(الرعد: ١٤)

ليس بوارد بل هو من الاستدلال على محل النزاع بما هو أجنبى عنه، فإن قولهم:

﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾

مصرح بأنهم عبدوهم لذلك، والتوسل بالعالم مثلا لم يعبده بل علم أن له مزية عند الله بحمله العلم فتوسل به لذلك، وكذلك قوله:

﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾

فإنه نهى عن أن يدعى مع الله غيره كأن يقول بالله وبفلان، والتوسل بالعالم مثلاً لم يدع إلا الله فإنما وقع منه التوسل عليه بعمل صالح عمله بعض عباده كما توسل الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة بصالح أعمالهم، وكذلك قوله:

﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ﴾

فإن هؤلاء دعوا من لا يستجيب لهم ولم يدعوا ربهم الذى يستجيب لهم، والمتوسل بالعالم مثلا لم يدع إلا الله ولم يدع غيره دونه

ولا دعا غيره معه، وإذا عرفت هذا لم يخف عليك دفع ما يورده المانعون للتوسل من الأدلة الخارجة عن محل النزاع خروجاً زائداً على ما ذكرناه كاستدلالهم بقوله تعالى:

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾

(الانفطار: ١٧-١٩)

فإن هذه الآية الشريفة ليس فيها إلا أنه تعالى المنفرد بالأمر في يوم الدين وأنه ليس لغيره من الأمر شيء، والمتوسل بنبي من الأنبياء أو عالم من العلماء هو لا يعتقد أن لمن توسل به مشاركة لله جل جلاله في أمر يوم الدين، ومن اعتقد هذا لعبد من العباد سواء كان نبيًا أو غير نبي فهو في ضلال مبين، وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله:

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾

(آل عمران: ١٢٨)

وقوله تعالى

﴿ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾

(الأعراف: ١٨٨)

فإن هاتين الآيتين مصرحتان بأنه ليس لرسول الله ﷺ من أمر الله شيء وأنه لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضراً فكيف يملك لغايره، وليس فيهما منع التوسل به أو بغيره من الأنبياء أو الأولياء أو العلماء، وقد جعل الله لرسوله ﷺ المقام المحمود مقام الشفاعة العظمى وأرشد الخلق إلى أن يسألوه ذلك ويطلبوه منه وقال له: سل تعطه واشفع تشفع وقيل ذلك في كتابه العزيز بأن الشفاعة لا تكون إلا بإذنه ولا تكون إلا لمن ارتضى، وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله ﷺ لما نزل قوله تعالى:

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾

(الشعراء: ٢١٤)

يا فلان بن فلان لا أملك لك من الله شيئاً، يا فلانة بنت فلان لا أملك لك من الله شيئاً، فإن هذا ليس فيه إلا التصريح بأنه ﷺ لا يستطيع نفع من أراد الله ضره ولا ضر من أراد الله تعالى نفعه، وأنه لا يملك لأحد من قرابته فضلاً عن غيرهم شيئاً من الله، وهذا معلوم لكل مسلم وليس فيه أنه لا يتوسل به إلى الله فإن ذلك هو طلب الأمر ممن له الأمر والنهي وإنما أراد الطالب أن يقدم بين يديه طلبه ما يكون سبباً للإجابة ممن هو المتفرد بالعطاء والمنع وهو مالك يوم الدين، انتهى كلام الشوكاني.

ولكل هذه الأدلة الصريحة من كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ أجمع علماء الأمة من المذاهب الأربعة وغيرهما على جواز واستحباب التوسل بالنبي ﷺ في حياته وبعد انتقاله ﷺ، واتفقوا على أن ذلك مشروع قطعا ولا حرمة فيه، وهو ما ندين الله به أن التوسل بالنبي ﷺ مستحب وأحد صيغ الدعاء إلى الله عز جل المندوب إليها، ولا عبرة بمن شذ عن إجماع العلماء.

وكذلك القول في التوسل بآل بيت رسول الله ﷺ وأولياء الله الصالحين: فإن جمهور العلماء على أنه مشروع ولا حرمة فيه.

قصيدة العدد



إرادة الحياة

للشاعر التونسي/ أبي القاسم الشابي

إذا الشعبُ يوماً أراد الحياة ... فلا بد أن يستجيب القدرْ
ولا بدّ لليل أن ينجلي ... ولابدّ للقيد أن ينكسرْ
ومن لم يعانقه شوقُ الحياة ... تبخّر في جوّها، واندثرْ
فويل لمن لم تَشُقه الحياة ... من صفعة العدَم المنتصر
كذلك قالت ليَ الكائنات ... وحدثني روحُها المستتر

* * *

ودمدمت الرّيحُ بين الفجاج ... وفوق الجبال وتحت الشجرْ:
إذا ما طمحتُ إلى غاية ... ركبتُ المُنى ونسيتُ الحذرْ
ولم أتجنّب وعورَ الشعاب ... ولا كُبّة اللّهب المستعر
ومن لا يحبُّ صعودَ الجبال ... يعش أبدَ الدهر بين الحُفر
فعجّت بقلبي دماءُ الشباب ... وضجّت بصدري رياحٌ أُخَر..
وأطرقتُ أصغي لقصف الرعود ... وعزف الرياح. ووقع المطر

* * *

وقالت ليَ الأرض - لما سألت: ... «أيا أمُّ هل تكرهين البشرْ؟»:
أبارك في الناس أهلَ الطموح ... ومَن يستلذُّ ركوبَ الخطرْ
وألعنُ من لا يماشي الزمان، ... ويقنع بالعيش عيش الحجر
هو الكون حيٌّ، يحبُّ الحياة ... ويحتقر الميْت، مهما كبُر

فلا الأفق يحضن ميْتَ الطيور،   ولا النحلُ يلثم ميْتَ الزهر
ولولا أُمومةُ قلبي الرَّءوم لَمَا   ضمّت الميْت تلك الحُفَر
فويلٌ لمن لم تشقه الحياة،   من لعنة العدم المنتصر!

***

وفي ليلة من ليالي الخريف   مثقّلة بالأسى والضجر
سكرت بها من ضياء النجوم   وغنّيتُ للحُزْن حتّى سكِر
سألتُ الدّجى: هل تُعيد الحياةُ   لما أذبلته ربيع العمر؟
فلم تتكلّمْ شفاهُ الظلام ولم   تترنّمْ عذارى السّحر
وقال لي الغابُ في رقّة   مُحَبّبة مثل خفق الوتر:
يجيء الشتاءُ، شتاء الضباب،   شتاءُ الثلوج، شتاء المطر
فينطفئُ السّحرُ، سحر الغصون،   وسحرُ الزهور وسحر الثمر
وسحر السماء الشجيُّ، الوديعُ،   وسحرُ المروج الشهيُّ العطر
وتهوي الغصونُ، وأوراقها،   وأزهارُ عهد حبيب نضِر
وتلهو بها الريحُ في كلّ وادٍ،   ويدفنها السيلُ أنّى عَبَر
ويفنى الجميعُ كحُلْمٍ بديع،   تألّق في مهجة واندثر
وتبقى البذورُ، التي حُمّلتْ   ذخيرةَ عُمْرٍ جميلٍ، غَبَر
وذكرى فصولٍ، ورؤيا حياةٍ،   وأشباحَ دنيا، تلاشتْ زُمَر
معانقةً -وهي تحت الضباب،   وتحت الثلوج، وتحت المَدَر-
لِطَيْفِ الحياة الذي لا يُمَلُّ،   وقلبِ الربيع الشذيّ الخضِر
وحالمةً بأغاني الطيور،   وعِطْرِ الزهور، وطعم الثمر

***

ويمشي الزمان، فتنمو صروفٌ،   وتذوي صروف، وتحيا أُخَر
وتُصبحُ أحلامها يقْظةً،   مُوَشّحةً بغموض السَّحَر
تُسائل: أين ضبابُ الصباح؟   وسِحْرُ المساء؟ وضوءُ القمر؟
وأسرابُ ذاك الفَراش الأنيق؟   ونحلٌ يغنّي؟ وغيمٌ يمرّ؟
وأين الأشعّةُ والكائناتُ؟   وأين الحياة التي أنتظر؟

ظمِئْتُ إلى النور فوق الغصون   ظمِئْتُ إلى الظل تحت الشجر!
ظمِئْتُ إلى النّبع، بين المروج   يغنّي، ويرقص فوق الزّهَر!
ظمِئْتُ إلى نَغَمات الطيور،   وهَمْس النّسيم، ولحن المطر
ظمِئْتُ إلى الكون! أين الوجودُ   وأنّى أرى العالَمَ المنتظر؟
هو الكونُ، خلف سُبات الجمود،   وفي أُفُق اليقظات الكُبَر

***

وما هو إلّا كخفق الجناح   حتّى نما شوقها وانتصر
فصدّعت الأرض من فوقها   وأبصرت الكونَ عذبَ الصُّوَرْ
وجاء الربيعُ بأنغامه،   وأحلامه، وصِباه العطِر
وقال لها: قد مُنحتِ الحياةَ،   وخُلّدتِ في نسلك المُدّخَر
وباركَكِ النُّورُ، فاستقبلي   شباب الحياة وخصْب العُمُر
ومن تعبدُ النورَ أحلامُه،   يُبارِكُهُ النّورُ أنّى ظهر
إليكِ الفضاءَ، إليكِ الضياءَ،   إليكِ الثرى الحالمَ، المزدهر!
إليكِ الجمالَ الذي لا يَبيدُ!   إليكِ الوجودَ الرحيبَ، النضِر!
فميدي -كما شئتِ- فوق الحقول،   بحلو الثمار وغضّ الزهر
وناجي النسيمَ، وناجي الغيومَ،   وناجي النجومَ، وناجي القمر
وناجي الحياةَ وأشواقَها،   وفتنةَ هذا الوجود الأغرّ

***

وشفَّ الدجى عن جمالٍ عميقٍ،   يُشِبُّ الخيالَ، ويُذكي الفِكَرْ
ومُدّ على الكون سحرٌ غريبٌ،   يُصَرّفه ساحرٌ مقتدر
وضاءت شموعُ النجوم الوضاء،   وضاع البَخُورُ، بخور الزّهَر
ورفرف روحٌ، غريبُ الجمال   بأجنحة من ضياء القمر
ورنّ نشيدُ الحياة المقدّسُ   في هيكلٍ حالمٍ، قد سُحِر
وأُعْلنَ في الكون: أنّ الطموحَ   لهيبُ الحياة، وروحُ الظفر
إذا طمحتْ للحياة النفوسُ   فلا بدّ أن يستجيبَ القدر؟

***

غرس الانتماء.. ضرورة اجتماعية

للمستشار/ حسن حسن منصور

نائب رئيس محكمة النقض

من الأمور الملحوظة فى الحياة، أن الزارع يجلس فى الحقل يرقب بهيمته العجماء، وهى تضع وليدها الصغير، وبعد قليل يشاهد هذا الوليد، وهو يتجه إلى ضرع أمه، ليتغذى من لبنها، ثم يتبعها بعد ذلك أينما سارت، وربما يبيت بين أحضانها الليالى الطوال، ولا يفرق بينهما، إلا البيع أو الذبح الذى أحله الله تعالى، وهذه فطرة الله فى خلقه:

﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾

(الأعلى: ٢-٣)

وهذه حقيقة واقعة لا يقل حظ الإنسان منها، عن غيره من خلق الله تعالى، فالأم تضع وليدها وترضعه مع لبنها الرحمة والعطف والحنان، ومعه أيضا حب الوطن والدين وخشية الله تعالى، والطمع فى جنته والخوف من ناره، فهو يرضع الانتماء إلى كل هذه القيم العظيمة، التى هى نبراس الحياة على هذه الأرض، وهى طريق السعادة فى الآخرة.

إن الوليد يسمع أولى كلمات الانتماء، من الأم والجدة والعمة والخالة والأخت الكبرى، وغيرهن من النساء الأقرب إلى قلبه دائما، وما أعظم الأثر الذى يبقى فى النفس من حكايات وأقاصيص هؤلاء النسوة، فى الأيام الأولى من حياة كل طفل، ولهذا حرص الإسلام على تنمية هذا الدور فى تربية الأبناء، فقد أوصى رسولنا الكريم ﷺ بالعناية بهذا الأمر، فقال فيما رواه أبونصر عبدالكريم الشيرازى فى فوائده، عن الإمام على كرم الله وجهه: «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب أهل بيته، وقراءة القرآن، فإن حملة القرآن فى ظل الله يوم القيامة، يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه».

والانتماء يتمثل فى الشعور بالارتباط الوجدانى، بمكان أو زمان أو مبدأ أو شخص معين، أو حتى بفكرة معينة، بشرط أن يثمر هذا الارتباط الخير والنفع للجميع، ولا ينجم عنه أى نوع من الضرر للغير، فمثلا: الانتماء إلى الوطن، هو من الأشياء اللصيقة بشخصية الإنسان، لا يتصور تخليه عنها، لأن قيمتها من قيمة ذاته، وقد قرن الله الخروج من الوطن، بقتل الإنسان نفسه، فيقول تعالى:

﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾

(النساء: ٦٦)

وهذا ما كان يعايشه رسولنا الكريم - ﷺ - فى حياته، ولنا فيه الأسوة الحسنة، فقد عبر عن ذلك لدى هجرته المباركة، فقال مخاطبا مكة المكرمة، فيما رواه الترمذى والحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما: «ما أطيبك من بلد، وأحبك إلى، ولولا أن قومى أخرجونى منك، ما سكنت غيرك».

إن من دواعى ضعف الانتماء فى نفوس بعض شباب اليوم - لدرجة أن يصل الأمر ببعضهم إلى التنازل عن جنسيته - تقاعس كثير من الأمهات والجدات وغيرهن ممن لهن صلة بتربية الأبناء، عن القيام بدورهن الخلاق، فى ربط هؤلاء الأبناء بأمجاد تاريخهم العريق، ومآثر دينهم العظيم، وغرس القيم والفضائل فى نفوسهم، والمرجع فى استشراء هذا الضعف، يعود إلى انشغال كل من الأبوين عن القيام بمهمته الأصيلة فى رعاية البيت وتربية الأولاد، وما أكثر الحجج الواهية التى يتذرع بها فى هذا المجال.

وهناك صور متعددة تترك آثارا سلبية فى النفس، من ذلك أن يجلس جميع أفراد الأسرة الواحدة أمام جهاز الإذاعة المرئية وكأن على رءوسهم الطير، لكل منهم شأن يغنيه عن الآخر، وينصرف من مكانه وحيداً، كما جلس وحيداً فى معزل عن الآخر، وكل هذا له خطره على روابط الانتماء الأسرى، ومن بعد الانتماء إلى الوطن الأم، ومن ثم فالواجب على رب الأسرة أن يقاوم هذه الظاهرة السلبية، وصولاً إلى تحقيق الانتماء المطلوب ومن أهم نماذج ميادين غرس الانتماء، الآتى:

أولا: إبراز مكانة الوطن فى النفوس

والوطن المقصود هنا، هو مصر العزيزة، فإذا كان من المعلوم أن مصر فتحها المسلمون بقيادة عمرو بن العاص رضى الله عنه، بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى بحوالى عشر سنوات، فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، إلا أن خبر فتحها جاء على لسانه ﷺ فى حياته، فقد روى مسلم والإمام أحمد عن أبى ذر رضى الله عنه، والطبرانى والحاكم عن كعب بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا فتحت مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمة ورحما»، وهذا ما يقول عنه العلماء: إنه من إعلامات النبوة، أى من الأمور التى أخبر عنها النبى - ﷺ - فى حياته، أنها ستحدث فى مستقبل الأيام والسنين، وهذه إحدى خصوصياته الشريفة، وسندها من السنة النبوية المطهرة ما رواه مسلم وأبوداود والترمذى والإمام أحمد عن ثوبان رضى الله عنه، أن رسول الله - ﷺ - قال: «إن الله زوى (طوى) لى الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتى سيبلغ ما زوى لى منها، ولاتزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خالفهم، حتى يأتى أمر الله».

وقد حاول العلماء إحصاء العدد الذى ذكرت مصر به فى القرآن الكريم، سواء كان ذلك تصريحاً أو تلميحاً، فقال بعضهم: إنها ذكرت فى ثمانية وعشرين موضعا منه، وقال البعض الآخر: بل أكثر من ثلاثين موضعاً، وذكرت فى

السنة النبوية المطهرة ما لا يحصى من العدد. وفي تفسير قوله - ﷺ -: «فاستوصوا بالقبط خيرا»، قالوا: أي اقبلوا وصيتي في أهل مصر، ومن مقتضى هذه الوصية، أنه إذا استولى المسلمون عليهم، وتمكنوا منهم، فيجب الإحسان إليهم، والعفو عما وقع منهم، من سوء أفعالهم وقبح أقوالهم، والعلة في هذه الوصية، هي كما وردت في الحديث، أن هؤلاء القوم لهم ذمة وحرمة وأماناً، من جهة إبراهيم بن المصطفى - ﷺ -، فإن أمه مارية منهم، وما لهم من رحم وقرابة، لأن هاجر أم إسماعيل منهم، وفي هذا إشعار بمحبته - ﷺ - لأهل مصر، وإن فرط منهم ما فرط.

ولعل دلالة هذا التكريم من الله تعالى ومن رسوله - ﷺ - لمصر، تبين عظمة هذا البلد ودوره الحضاري منذ فجر التاريخ، الذي ضم أقدم حضارات العالم، التي حازت أعلى درجات الخلود في هذه الدنيا وتفيد أن هناك روابط صلة قائمة ومستمرة بين العرب وشعب هذا البلد، بما يؤكد احترام الحضارة الإسلامية لما سبقتها من حضارات، ولو لم تكن على ذات المنهج.

ثانياً: حفظ المرافق العامة

فالإنسان في هذه الحياة لا يملك وحده كل الأشياء، إذ لا قدرة له منفرداً على ملكيتها، سواء أكانت هذه الأشياء عامة بطبيعتها، كالماء والهواء والبحار والأنهار وغيرها، أو كانت عامة من صنع الإنسان كالمرافق، التي ينشئها ليستفيد منها جميع أفراده.

والمرافق العامة ليست قاصرة على ما تملكه الدولة منها، كالطرق والمدارس والمستشفيات والحدائق العامة وغيرها، بل تشمل كل شيء مخصص لاستعمال الكافة، أياً كانت الجهة المالكة له، ولو كانت هذه الجهة فرداً من آحاد الناس أو جماعة منهم، لأن العبرة ليست بخصوصية الملكية ولكن بعمومية الانتفاع.

هذا الانتفاع يقتضي قيام علاقة خاصة بين هذه المرافق والمنتفع بها، قوامها السلامة والمحافظة على هذه المرافق، وذلك في إطار المبدأ العام في حياة المسلم، والذي يقرره الرسول الكريم - ﷺ -، في تحديد أهم خصائص المسلم، بقوله الشريف الذي رواه مسلم بسنده عن جابر رضي الله عنه: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»، والسلامة هنا لا تقف عند حد سلامة الأشخاص، بل تتعداهم إلى سلامة ممتلكاتهم، الخاصة منها والعامة، ومن بينها المرافق العامة.

ونلحظ في هذا الحديث أن استعمال كلمة المسلمين، تفيد أن السلامة لا تقتصر على كل فرد مسلم على حدة، بل تشمل مجموع المسلمين، وما لهم من ممتلكات عامة، وهذه السلامة كما تكون بعدم استعمال اليد بالاعتداء على المرفق العام، تكون بكف اللسان عن التحريض ولو بالكلمة على هذا العدوان.

ومن التوجيهات النبوية في كف الأذى عن المرافق العامة، ما رواه أبو داود والإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله - ﷺ - قال في بيان حق الطريق العام: «إياكم والجلوس على الطرقات، فإن أبيتم إلا المجالس، فأعطوا الطريق حقها، قالوا: وما حق الطريق؟، قال: غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر».

ومن المسئولية الملقاة على عاتق كل فرد في الأسرة، حسن توجيه أبنائها الصغار، إلى تبني ثقافة السلامة في التعامل مع المرافق العامة، التي يترددون عليها، ويستفيدون منها، كالحدائق العامة ووسائل المواصلات العامة، ومعاهد العلم وغيرها، وأن تغرس في نفوسهم، حب هذه الأشياء، وجعلها في منزلة الملكية الخاصة، واعتبار ذلك من مقومات الانتماء إلى الوطن، ومردود كل هذا يعود بالخير على الجميع.

ثالثاً: المشاركة في المسئولية الاجتماعية

هذه المسئولية تتمثل، في تحمل القادرين من أبناء المجتمع، لكثير من الأعباء المادية والمعنوية، التي تنوء الفئات الأخرى عن احتمالها، ولاسيما في أوقات الشدائد، التي تمر بها بعض المجتمعات، أياً كانت أنواع هذه الشدائد، وهذه المسئولية من الأهمية بمكان في حياة الناس، أياً كان وطنهم أو جنسهم أو دينهم أو انتماؤهم المذهبي، والأساس في ذلك، هو ما يتميز به الإنسان من خاصية، يعبر عنها علماء الاجتماع بقولهم: إن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، أي أن الله خلقه ليعيش مع غيره في جماعة، وجعل تعالى النفس الواحدة من أفراده، تعدل كل الأنفس البشرية، مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾

(المائدة: ٣٢)

ومن الكلمات التي تجسد هذه المسئولية الاجتماعية، مجردة عن أية اعتبارات - غير تقديم يد العون للآخرين - ما جاء على لسان بيل جيتس، وهو من هو في عالم الحاسب الآلي، عندما زار مصر في السنوات الأخيرة، ولدى سؤاله عن ثروته، فقال: إن ثروتي بسبب المجتمع، وسوف تعود للمجتمع، من خلال تمويل مؤسسات بحث علمي طبي، لعلاج الأوبئة والأمراض المستعصية، وتمويل تطوير التعليم، ولا أعتقد أنني سوف أترك وراثي أموالا لورثتي. وهي كلمات تحتاج لمزيد من نظرة التأمل، من أثرياء العالم، وخاصة من أغنياء المسلمين، بمراعاة الظروف القاسية، التي تكاد تعصف بالعديد من المجتمعات، التي ينتمون إليها.

وقد كان الإسلام سباقاً في تحديد عناصر مسئولية المسلم الاجتماعية في هذه الحياة، بما وضع له من منهج قويم ينظم حركته فيها، ومن أسس هذا المنهج أن يكون للفرد الدور الخلاق في المجتمع الذي يعيش فيه، ومن مظاهر ذلك، ما أشار إليه الرسول العظيم - ﷺ -، فيما رواه الترمذي عن السيدة عائشة رضي الله عنها، من قوله: «خيركم، خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»، ومن ضيق الأفق أن تقتصر النظرة إلى الأهل، على أصول الإنسان وفروعه وزوجه وحدهم، بل إن حقيقة الواقع تفرض، أن تمتد هذه النظرة لتشمل المجتمع كله، باعتبار أن الأسرة هي اللبنة الأولى فيه، وباجتماعها مع غيرها يقوم بنيان هذا المجتمع.

ومما يؤكد عمومية هذه النظرة، ما رواه القضاعي، في مسند الشهاب عن جابر رضي الله عنه، أن الرسول - ﷺ -، قال: «خير الناس، أنفعهم للناس»، على وجه العموم، أياً كان دين أو ملة أو مذهب هؤلاء الناس، المنتفع أو مقدم النفع، لأنهم جميعاً عباد الله، وأحبهم إليه، أكثرهم نفعاً للناس، بنعمة يسديها أو نقمة يزويها عنهم، في أي أمر من أمور الدين أو الدنيا.

والله تعالى ولي التوفيق.

ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

للدكتور / حمدى والى

كثيراً ما رددنا على مسامع أبنائنا عبارات مختصرة فى صورة مأثور شعبى أو أثر أدبى، أو حكمة غالية، ولعل من أشهر هذه العبارات، التى حازت رواجاً وانتشاراً نتيجة حاجة الأمة إليها، قولهم: أكلت يوم أكل الثور الأبيض، يشيرون بذلك إلى القصة الرمزية للثيران الثلاثة.. وكيف اجتمعت كلمتهم أمام الأسد. فلم يستطع كسر إرادتهم أو إضعاف كلمتهم.. فلجأ إلى الحيلة التى فرقت وحدتهم، وأوهنت قوتهم.

يروى أن أمير المؤمنين علياً - كرم الله وجهه - قال: «إنما مثلى ومثل عثمان كمثل أثوار ثلاثة: أبيض وأسود وأحمر، كن فى أجمعة، معهن فيها أسد، فكان لا يقدر منهن على شىء لاجتماعهن عليه، فقال للثور الأسود والثور الأحمر: لا يدل علينا فى أجمتنا إلا الثور الأبيض، فإن لونه مشهور ولونى على لونكما، فلو تركتمانى آكله صفت لنا الأجمة، فقالا: دونك فكله، فلما مضت أيام قال للأحمر: لونى على لونك فدعنى آكل الأسود لتصفو لنا الأجمة، فقال: دونك فكله، فأكله، ثم قال للأحمر: إنى آكلك لا محالة. فقال: دعنى أنادى ثلاثاً. فقال: افعل. فنادى ألا إنى أكلت يوم أكل الثور الأبيض»[1].

وهذه قصة رمزية مشهورة.. لا أظن أحداً من مثقفى الأمة إلا قد علم بها أو استمع إليها، وبالرغم من هذا فإنها مازالت تحدث كل يوم، على علم من الجميع لكننا لا ندرى لهذه الحال الشاذة المريبة تفسيراً، إلا الرضا بأية حياة، والاستعداد لأية نهاية، والرضا بهذا المصير، الذى يشعر كل واحد من أبناء الأمة بأنه مسوق إليه، مشارك فيه، مجزى به، لكنها حالة مريبة من الرضا بجلد الذات، والانتقام من النفس، والتلذذ بألم الفرقة والانقسام والتشرذم فى سادية قاسية وألم رهيب.

إن الحال التى تعيشها أمتنا اليوم هى التجسيد الحقيقى لهذه المأساة فبرغم علمنا بأن حياتنا فى قوتنا.. وبأن قوتنا فى وحدتنا، وأن شواهد الأحوال، ووقائع الأحداث، ولغة الواقع، تشهد كلها فى سفور ووضوح بأنه لا حياة للضعيف فى زمان لا يحترم إلا لغة القوة، ومنطق المخلب والناب، وإن حاول وحوش العالم تغطية هذه الحقيقة تحت ستار المنظمات الدولية، التى أقاموها منذ أول يوم على احترام القوى وقهر الضعيف، عندما خصوا الدول الكبرى بحق الاعتراض على إرادة المؤسسة الدولية وإجهاض قراراتها إذا جاءت مخالفة لمصلحة إحدى هذه الدول الخمس أو لا توافق رغبتها.

العدالة.. أهواء الأقوياء !!

وبهذا تحولت العدالة إلى تابع لأهواء الأقوياء، ولك أن تقارن بين هذا الخلف بهذا العوج الظاهر وبين حلف الفضول الذى شهده رسول الله ﷺ مع نفر من رجال مكة برغم غياب الإسلام عقيدة وشريعة إلا أن النفوس السوية تأبى أن تقر عدالة منحرفة وموجهة وخادمة لأهواء من صنعوها كما نرى اليوم فى سيطرة أمريكا على قرارات الأمم المتحدة. واستعلاء ربيبتها إسرائيل وتمردها على جميع القرارات دون حسيب أو رقيب، لكن الأمم المتحدة وتوابعها من مجلس الأمن والجمعية العامة تكون قراراتها مقدسة وملزمة ومحترمة إذا وافقت رغبات الكبار وكانت موجهة نحو دولة تحاول أن تمارس سيادتها أو تجد كرامتها أو تعترض على ظلم وقع بها، أو حاولت الخروج عن الخط المرسوم لسياسة الكبار. !

العراق.. وكوريا !!

إن عدالة من هذا النوع الذى أملته القوة وفرضته الهيمنة، لا يمكن أن يسمح لقوة أخرى أن تكبر لتنازعه مقام السيادة، أو تتمرد على ما يمليه من أهواء وطموحات. إلا إذا ملك القدرة التى يستند إليها، ويملى إرادته بها. ولك أن تقارن بين لغة أمريكا فى تعاملها مع محور الشر الذى صنفته من وجهة نظرها. كيف كان تعاملها مع العراق الذى لا يملك سلاحاً نووياً وهم يدركون هذا جيداً. وقد ظهر للدنيا كلها وما كان باستطاعتهم أن يقدموا على ما فعلوا لو كانوا يعلمون أن العراق يملك هذا النوع من السلاح، وإلا لكان تعاملهم مع العراق كتعاملهم مع كوريا الشمالية، التى تملى إرادتها، وتضع شروطها وهى آمنة مطمئنة، أن أحداً لن ينالها بسوء لأنها تملك - حقاً وواقعاً - سلاحها النووى، الذى يحسن لغة التفاهم مع الوحوش النووية. ولك أن تتساءل ما الذى يجعل إيران هى شغل أمريكا الشاغل لمجرد أنها تفكر فى امتلاك سلاح تملك به إرادتها، وتحرر به قرارها، وتشعر بأنها

(١) مجمع الأمثال، باب أخذه أخذ سبعة

وأبناءها يملكون حق التمتع بالحرية والشعور بالكرامة، والسعادة بالحياة.

الحضارة الغربية وإخضاع الإنسان!!

إن الحضارة الغربية لا تعرف سبيلاً لسيادة الأرض، إلا بإخضاع الإنسان لإرادتها، وقهره لقوتها. فالغربي لا يمكن أن يتصور العيش إلا قوياً ظالماً، أو ضعيفاً مظلوماً، لأن فلسفته الحضارية التي نشأ في ظلها، ورضع لبانها قامت على أساس من هذا الفهم.. فهم تنازع البقاء.. أو البقاء للأقوى.

إن الرجل الغربي يدرك أن قيم الحق والعدل والكرامة ليست من حقوق الإنسان لأنه إنسان، بل لأنه يحمل سلاحاً يعطيه هذا الحق، إذا لم يُعْطَه من حوله، فإنه سينتزعه بقوته وقهره.

ولعل هذا يفسر لنا السر في حرص الإنسان الغربي على تملك السلاح وتطويره بصورة جنونية، لأنه يشعر بأنه سيفقد الكرامة والعدل والحق، إذا ملك غيره مثلما يملك أو أكثر، فإذا استحضر هذه الصورة وأدرك أن غيره سيسبقه في هذا المضمار، فقد السيطرة على نفسه وأصيب بما يشبه الجنون. وما نراه من أفعال أمريكا اليوم وحرصها على تملك أقوى الأسلحة، وإصرارها على تجريد العالم كله من سلاحه، هو التطبيق العملي لمفهوم الحضارة الغربية.. تلك الحضارة التي لا تعرف الإنسان إلا قويا ظالماً، أو ضعيفاً مظلوما، أما أن تعرفه أخاً أو صديقاً أو شريكاً في قيادة الأرض وصناعة المستقبل فهذا ما لا يخطر لها على بال.

ولهذا لم يكن غريباً - نتيجة هذا الفهم الخاطيء - وتلك التصورات المجنونة أن يوقع أبناء تلك الحضارة المنحرفة بالبشرية حربين عالميتين في أقل من عشرين عاماً دفعت البشرية ثمنها عشرات الملايين من الأرواح، وما تزال قنابلهم تملأ مساحة واسعة من صحراء مصر الغربية في منطقة «العلمين».

حقوق الأمم لا تؤخذ بالتوسل

إن من يظن أو يتوقع أن حقوق الأمم والشعوب تؤخذ بالتسول على موائد الكبار واستعطافهم، فهو واهم لا يفهم لغة الواقع، وقوانين الحياة خاصة إذا كان هذا الكبير يخالفك المنهج والعقيدة وطريقة التفكير.

وإلا لما كان هناك معنى لقول الحق تبارك وتعالى:

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾

(البقرة: ٢٥١)

إن منطق التفاهم والتعايش والإخاء الإنساني يثمر ثمرته، ويؤتي أكله عند من يفهمون الحياة تعارفاً وتآلفاً وتعاوناً وإخاء، لا من يفهمونها تنازعاً وتنافساً وخصومة ودماء. ولهذا فقد خاطب الله البشرية العاقلة التي تحررت من سلطان الأنانية والأثرة، وحب الذات بقوله سبحانه:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾

(الحجرات: ١٣)

فالغاية من الخلق هي التعارف والتآلف. والغاية من تنوع الناس شعوباً وقبائل هو أن يستفيد كل شعب بما عند الآخر من معارف واختراعات. ولك أن تقارن بين أمة تؤمن بأن الغاية من الخلق هو التعارف والتآلف. وبين من يعتقدون مبدأ «صدام الحضارات» الذي يكرسه قادة الفكر في أوروبا وأمريكا من أمثال الكاتب الأمريكي المعروف «هنتنجتون» و«فوكوياما» وغيرهم ممن يصنعون عقلية صناع القرار الأمريكي، ويصوغون طبيعة التفكير لدى أبناء هذه الشعوب.

إن الحضارة الغربية التي تتبجح اليوم بقوتها المادية. وتظن أنها بحديدها ونارها تستحق أن تسوق البشر إلى ما تريد - ما فعلت ذلك ولا تجرأت عليه، إلا عن فراغ الساحة من سيدها الحقيقي، الذي خلق ليحكم، وخوطب بالقرآن ليسود ويقود، هذا القائد الذي يذل من نفسه ليسعد البشرية، هو الذي خاطبه ربه بقوله:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾

(آل عمران: ١٥٩)

وخاطب أمته كلها بقوله سبحانه:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

(آل عمران: ١١٠)

وهو أيضاً المؤمن الذي خوطب من ربه - عند تبجح الشر، واستئساده وبطشه، بقول ربه سبحانه:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾

(الأنفال: ٦٠)

وهو الذي علمه ربه أن العزة خلقت له. وأنه هو وحده صاحبها والأحق بها بعد الله ورسوله بقوله سبحانه:

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(المنافقون: ٨)

إن مقومات العزة والوحدة لا تنقصنا وليست بغائبة عنا ولكن الذي ينقصنا هو إرادة العزة، ورفض هذا الواقع الشائه الكريه.

فهل آن الأوان ليتقدم أبناء الإسلام ليقودوا سفينة البشرية بعد أن خلا فيها مقعد الربان؟!!

***

التعددية والاختلاف من سنن الفطرة.. والقوانين التى لا تبديل لها ولا تحويل

٢

للدكتور/ محمد عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

وإذا كان «الاجتهاد» فريضة إسلامية دائمة، لأنه أداة استنباط الأحكام الشرعية الجزئية من مصادر الوحى الإلهى -البلاغ القرآنى- والبيان النبوى لهذا البلاغ، وعليه يتوقف بقاء الشريعة الإسلامية خاتمة وخالدة ومستجيبة أحكامها لمستجدات الزمان والمكان والمصالح والعادات والأعراف.. فهو -بعبارة السيوطى (٨٤٩ - ٩١١هـ / ١٤٤٥ - ١٥٠٥م) «فرض من فروض الكفايات فى كل عصر، وواجب على أهل كل زمان أن يقوم به طائفة من كل قطر»[١].. فإن فريضة الاجتهاد هذه لا تتأتى إلا مع التعددية والاختلاف فى الاجتهادات.

إن الإسلام لم يعرف «البابوية» المعصومة، التى تحصر فهم الشريعة وفقه الكتاب وتشريع الأحكام فى فرد واحد دون بقية القادرين على الاجتهاد.. لم يعرف الإسلام -بل أنكر- وجود «ولى أمر» الاجتهاد.. وإنما جعل الاجتهاد فريضة كفائية -اجتماعية- على «أولى الأمر» -العلماء- القادرين على هذا الاجتهاد، الأمر الذى لابد معه من التعددية فى الاجتهاد:

﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (٨٢) وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا ﴾

(النساء: ٨٢، ٨٣)

(١) انظر (كتاب الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد فى كل عصر فرض) ص٩٧ - ١١٦، طبعة بيروت سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

وتعدد المجتهدين لابد وأن يثمر تعدد وتنوع واختلاف الاجتهادات، التى يمكن أن تتبلور فى مذاهب ومدارس وتيارات..

ومنذ العصر النبوى، وفى ظل توالى تزول الوحى، ووجود المعصوم ﷺ كان الرسول هو أول الداعين والحافزين لصحابته -الفقهاء والقضاة- على الاجتهاد وتنمية ملكاتهم فى استنباط الأحكام.. فهو القائل: «من اجتهد برأيه فأصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجر واحد»[٢].

وإذا كان حديث رسول الله ﷺ، إلى قاضيه على اليمن -معاذ بن جبل- قد اشتهر فى التقعيد والتشريع لفريضة الاجتهاد فى استنباط الأحكام.. وهو الحديث الذى جاء فى صدره حوار بين الرسول وبين معاذ، بدأه ﷺ بقوله لمعاذ:

- «كيف تقضى إن عرض لك قضاء»؟..
- قال: أقضى بكتاب الله.
- قال: «فإن لم يكن فى كتاب الله»؟..
- قال: فبسنة رسول الله ﷺ..
- قال: «فإن لم يكن فى سنة رسول الله»؟..
- قال: أجتهد رأيى ولا آلوا..
- قال: «الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسوله»[٣]..

فإن الاجتهاد، يومئذ، لم يكن خاصا بالقاضى الفقيه معاذ بن جبل -رضى الله عنه-.. ذلك أن تعدد القضاة الفقهاء، يومئذ، قد جعل الاجتهادات متعددة، على النحو الذى أثمر تعددية فى الأحكام الجزئية والفرعية المستنبطة من أصول ومبادئ وقواعد التشريع.. فغير معاذ، كان هناك فى دولة النبوة قضاة آخرون، منهم على بن أبى طالب، وعمر بن الخطاب، وعمرو بن العاص، وزيد بن ثابت، وعبدالله بن مسعود، والعلاء بن الحضرمى، ومعقل بن يسار، وعقبة بن عامر، وحذيفة بن اليمان العبسى، وعتاب بن أسيد، وأبوموسى الأشعرى، ودحية الكلبى، وأُبىّ بن كعب.. إلخ[٤]..

وهكذا تأسست التعددية -منذ العصر النبوى- على فريضة الاجتهاد.. فالاجتهاد سبب للتعددية، التى تعود فتصبح حافزة على تنمية الاجتهاد.. وإذا كان اجتهاد المجتهد ملزما له هو ولمن قلّده، وغير ملزم للمجتهد الآخر، ولا للذين قلّدوه، فلقد غدت هذه القاعدة -من قواعد الفكر الإسلامى- التقنين الأدق والأوضح لمبدأ التعددية فى الفكر الدينى، ناهيك عن غير الدينى، فى حضارة الإسلام.

بل لقد بلغ علماء الأصول فى إحاطة تقنين التعددية فى الاجتهادات بالضمانات إلى الحد الذى جعلوا فيه اجتهاد المجتهد

(٢) رواه البخارى والنسائى وابن ماجة والإمام أحمد.

(٣) رواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة و الدارمى والإمام أحمد.

(٤) المالكى: أبوعبدالله محمد بن فرج (أقضية رسول الله ﷺ) ص٢٢، ٢٥. تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمى. طبعة القاهرة سنة ١٩٧٨م.

ملزما له، ليس باعتباره الحكم الذى اختاره باجتهاده فقط، وإنما باعتباره «حكم الله فى حقه».. وانعقد على ذلك إجماعهم. فقال الإمام شهاب الدين القرافى (٦٨٤هـ-١٢٨٥م): «... وقد تقرر فى أصول الفقه: أن الأحكام الشرعية كلها معلومة، بسبب انعقاد الإجماع على أن كل مجتهد إذا غلب على ظنه حكم، فهو حكم الله تعالى فى حقه، وحق من قلده»[٥]... فأى قداسة أحاطت بالتعددية تلك التى جعلت الحكم الظنى، الذى أثمره الاجتهاد، هو فى حق المجتهد، ملزم له باعتباره «حكم الله»، فى حقه وحق من قلده؟!..

وانطلاقا من هذه القاعدة التى أجمعت عليها الأمة، قرر الأصوليون تعدد الإفتاء بتعدد مذاهب المستفتين، وليس فقط بتعدد مذاهب المفتين!.. فعلى المفتى أن يفتى المستفتى وفق مذهبه، لا وفق مذهب المفتى، لأن اجتهادات مذهب المستفتى هى حكم الله فى حقه، يجب أن يراعيها المفتى حين يفتيه.. قرر الأصوليون ذلك، فقالوا: «إن الأمة مجمعة على أن المجتهد إذا أداه اجتهاده إلى حكم فهو حكم الله فى حقه وحق من قلده إذا قام به سببه...»..

ثم يمضى القرافى، المالكى، فيقول: «ومتى سئلنا عن الشافعية: هل يجب عليهم مسح الرأس بكماله؟ نقول: لا. ونفتى الحنفية بأنه يجب عليهم الربع -(أى مسح ربع الرأس)-، ونفتى فى مذهبنا -(مذهب مالك)- بخلاف مذهبنا، لكل فرقة مذهب إمامها، يخالفنا بما يخالفنا ويخالف مذهبنا، لأنه مجمع عليه.. ونقول لمن له أهلية الاجتهاد: حكم الله -تعالى- عليك أن تجتهد وتنظر فى أدلة الشريعة ومصادرها ومواردها، فأى شىء غلب على ظنك فهو حكم الله -تعالى- فى حقك وحق من قلدك.. فتارة تكون الفتيا عامة، وتارة تكون خاصة، وتارة تكون بضد ما عليه مذهب المفتى نفسه»![٦]

وحتى لا تصل هذه التعددية فى الفتوى إلى فوضى «التشرذم» الذى لا جامع له، وجدنا ما يمكن أن نميز به بين الاجتهادات والإفتاء فى «فروض العين- الفردية»، تلك التى تراعى الفتيا فيها مذاهب المستفتين، بصرف النظر عن اختلافها مع مذاهب المفتين، وبين الاجتهادات والإفتاء فى «فروض الكفايات- الاجتماعية» التى تتوجه أحكامها إلى الأمة، وتتمثل فيها القوانين والتدابير المنظمة للاجتماع والعمران.. ففى هذه الأخيرة، يحسن أن تصب الاجتهادات الفردية للمجتهدين فى اجتهاد جماعى- مؤسسى- لا يصادر الاجتهاد الفردى، وإنما يوظفه، بشورى المجتهدين، فى مستوى أرفع من مستويات الاجتهاد..

(٥) القرافى (كتاب الأمنية فى إدراك النية) ص٥١٥. تحقيق: عبدالله إبراهيم صلاح. طبعة مالطا سنة ١٩٩١م -فى ذيل كتاب (القرافى وأثره فى الفقه الإسلامى)-.

(٦) القرافى (الإحكام فى تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضى والإمام) ص١١٩، ١٢٠، ١٢٣، ١٢٦. تحقيق الشيخ عبدالفتاح أبوغدة. طبعة حلب سنة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

ونحن نجد التأسيس لهذا الاجتهاد «الجماعى- المؤسسى» منذ عصر النبوة، وفى أحاديث رسول الله ﷺ.. ففيما يرويه الإمام مالك، بسنده إلى على بن أبى طالب، أنه قال: قلت لرسول الله ﷺ:

الأمر ينزل بنا، لم ينزل فيه قرآن، ولم تمض فيه منك سنة؟. فقال: «اجمعوا العالمين من المؤمنين، فاجعلوه شورى بينكم، ولا تقضوا فيه برأى واحد»[٧].. فالسنة تُقعِّد للإفتاء والاجتهاد الجماعى فى صياغة قانون القضاء، إذا لم يكن فى الأمر كتاب ولا سُنّة..

ولقد وضعت الخلافة الراشدة سنة هذا الإفتاء الجماعى فى الأحكام العامة وصياغة القانون الحاكم للمجتمع، ووضعتها فى الممارسة والتطبيق.. «فعن ميمون بن مهران قال: كان أبوبكر -(الصدّيق)- إذا ورد عليه الخصم، نظر فى كتاب الله، فإن وجد فيه ما يقضى بينهم قضى، وإن لم يجد فى الكتاب وعلم من رسول الله، ﷺ، فى ذلك الأمر سنة قضى به، فإن أعياه خرج فسأل المسلمين، وقال: أتانى كذا وكذا، فهل علمتم أن رسول الله، ﷺ، قضى فى ذلك بقضاء؟ فربما اجتمع إليه النفر كلهم يذكر من رسول الله، ﷺ، فيه قضاء، فيقول أبوبكر: الحمدلله الذى جعل فينا من يحفظ على نبينا. فإن أعياه أن يجد فيه سنة من رسول الله، ﷺ، جمع رءوس الناس وخيارهم فاستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به..»[٨]

فترتيب مصادر الاجتهاد: الكتاب.. فالسنة.. فالاجتهاد الجماعى.. فالاجتهاد الفردى.. وخاصة فيما يتعلق بالشئون العامة والفروض الكفائية -الاجتماعية- التى يتوجه التكليف فيها إلى الأمة، وتعم أحكامها سائر الناس.. وفى خطاب عمر بن الخطاب إلى القاضى شريح بن الحارث الكندى (٧٨هـ-٦٩٧م) يقول له: إن جاءك شىء فى كتاب الله فاقض به، ولا يلفتك عنه الرجال، فإن جاءك ماليس فى كتاب الله، فانظر فى سنة رسول الله، ﷺ، فاقض بها، فإن جاءك ماليس فى كتاب الله، ولم تكن فيه سنة رسول الله ﷺ، فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به، فإن جاءك ما ليس فى كتاب الله، ولم يكن فيه سنة رسول الله، ﷺ، ولم يتكلم فيه أحد قبلك، فاختر أى الأمرين شئت، إن شئت أن تجتهد برأيك، ثم تقدم فتقدم، وإن شئت أن تتأخر فتأخر..»[٩].

تلك هى قواعد الإسلام -النظرية والتطبيقية- المقننة لفريضة الاجتهاد بالرأى.. تلك الفريضة التى ازدهرت بها ولها التعددية فى حضارة الإسلام.

«يتبع»

(٧) ابن القيم (إعلام الموقعين) جـ١ ص٧٣، ٧٤ - والنقل عن: د. جمال الدين عطية «النظرية العامة للشريعة الإسلامية» ص١٩٥. طبعة القاهرة سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٨م.

(٨) رواه الدارمى.

(٩) ولى الله الدهلوى (حجة الله البالغة) جـ١ ص١٤٩. طبعة القاهرة / ١٣٥٢هـ.

العقـــاد وعبقرية التاريخ الهجرى



للأستاذ الدكتور/ صابر عبد الدايم
عميد كلية اللغة العربية بالزقازيق

إن الأستاذ العقاد لم يعن بتفاصيل مشاهد الهجرة، وإنما عنى بالإشادة بتحديد يوم الهجرة النبوية بداية لتاريخ الدولة الإسلامية، وذلك فى كتابه «عبقرية محمد»، وفى عبقرية الصديق نوه فى عجالة بهجرة أبى بكر الصديق مع رسول الله، قال: كانت أخطر هجرة أقدم عليها مسلم من أهل مكة[1].

وكما عنى «الرافعى» بقراءة أحداث التاريخ، وتأمل هذه الأحداث التى سبقت الهجرة النبوية، وبأنها صنعت مستقبل الإسلام بعد الهجرة. عنى العقاد برصد مكانة محمد ﷺ فى التاريخ الإنسانى كله ويرى العقاد أن الهجرة عبور إلى المستقبل، وكذلك الرافعى فى رؤيته للهجرة وإرهاصاتها وآثارها، ويرى العقاد أن العالم كله صفحات تنبئنا بمكان محمد فيه، ويقول: محمد فى نفسه عظيم بالغ فى العظمة، وفقاً لكل مقياس صحيح يقاس به العظيم عند بنى الإنسان فى عصور الحضارة، ثم يؤكد على مكانة محمد فى التاريخ بأن التاريخ كله بعد محمد متصل به، مرهون بعمله، وأن حادثا واحدا من أحداثه الباقية لم يكن ليقع فى الدنيا كما وقع لولا ظهور محمد وظهور عمله[2].

ويقدم «العقاد» شهادة لعالم أوروبى هو «الدكتور» ماركس دودز فى كتابه «محمد وبوذا والمسيح» حيث يشيد بالنبى محمد ﷺ، وبثباته على المبدأ، وتعرضه للموت الذى نجا منه بالهجرة، ويقول «إنه على اليقين» أى محمد ﷺ لصاحب فضيلتين من فضائل الأنبياء: فقد عرف حقيقة عن الله لم يعرفها الناس من حوله، وتمكنت من نفسه نزعة باطنية لا تقاوم لنشر تلك الحقيقة[3].

وإنه لخليق فى هذه الفضيلة أن يسامى أوفر الأنبياء شجاعة وبطولة بين بنى إسرائيل، لأنه جازف بحياته فى سبيل الحق، وصبر على الإيذاء يوما بعد يوم عدة سنين، وقابل النفى والحرمان والضغينة، وفقد مودة الأصحاب بغير مبالاة.

فصبر على الجملة قصارى ما يصبر عليه إنسان دون الموت الذى نجا منه بالهجرة، ودأب مع هذا جميعه على بث رسالته غير قادر على إسكاته وعد ولا وعيد[4].

وفى إيجاز دال، وإشارات ولمحات مشعة بهالات الإكبار والإجلال: يصور العقاد عظمة المكان، وعظمة الزمان.. وهما فى مسيرة النبوة يخطان ويشكلان ملامح جديدة للعالم كله: أما المكان فهو غار ثور، وأما الزمان فهو يوم الهجرة، فالرجل الذى اختار يوم الهجرة بدءاً لتاريخ الإسلام قد كان أحكم وأعلم بالعقيدة والإيمان ومواقف الخلود من كل مؤرخ، وكل مفكر يرى غير ما رآه، لأن العقائد إنما تقاس بالشدائد، ولا تقاس بالفوز والغلب؛



الرافعى

ويقول العقاد فى هذا السياق مشيدا بالزمان والمكان اللذين ابتدأ بهما التاريخ فى الإسلام ستطلع الأقمار بعد الأقمار، وتقبل السنة القمرية بعد السنة القمرية، وكأنها تقبل بمعلم من معالم السماء يومئ إلى بقعة من الأرض هى غار الهجرة، أو يومئ إلى يوم لمحمد هو أجمل أيام محمد ﷺ لأنه أدل الأيام على رسالته، وأخلصها لعقيدته، ورجاء سريرته، وهو يوم التقويم الذى اختاره المسلمون بإلهام لا يعلوه تفكير ولا تعليم.

والعقاد هنا مفكر وأديب وليس مؤرخا لأنه لا يستعرض الأحداث، ولا يسرد الحقائق، ولكنه هنا يشبه «القاص» فى أسلوبه السردى، ولجوئه إلى التشويق والحكى فى تحليل للموقف التاريخى.

وفى هذا السياق يشيد العقاد بالفاروق عمر الذى كان له فضل السبق فى اختيار يوم الهجرة بدءاً للتاريخ فى الإسلام، ومع هذه الإشادة يوازن العقاد بين أيام عدة فى الإسلام ومنها يوم ميلاد

---

1. انظر: عبقرية الصديق «عباس محمود العقاد» نهضة مصر ١٩٩٨م.
2. انظر عبقرية محمد: عباس محمود العقاد: روايات الهلال - العدد الأول.
3. أرى أن الأنسب فى الترجمة أن نقول نزعة روحية، اتساقا مع النهج الإسلامى الصحيح لأن مصطلح الباطنية، يثير إشكالات عديدة.
4. عبقرية محمد للعقاد، وانظر كتاب محمد وبوذا والمسيح د/ماكس دودز.

النبي ﷺ ، ويوم الدعوة، ويوم بدر، ويوم أحد، والنصر على فارس، ثم يقرر أن اختيار عمر هو تاريخ للنصر، وتاريخ للثبات والمواجهة والتحول «إن تاريخ النصر في القرآن ظاهر

﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ﴾

(التوبة: ٤٠)

وإن ابن الخطاب كما يقول العقاد ويؤكد قوله: لنبيل ملهم الفؤاد، سواء كان هو المقترح أو مجيب الاقتراح، حين نظر إلى غار «ثور» ولم ينظر في التاريخ إلى نصر المدينة، ولا إلى نصر بدر، ولا إلى نصر أحد، ولا إلى نصر فارس، ونظر إلى تلك الجنود التي لم تروها، وقدنراها نحن الآن.

والعقاد لم يقصد «الرؤية الحقيقية» في قوله: ونحن نراها الآن، بل يعني: الرؤية المجازية، وقد صدر الجملة بالحرف «قد»، وقد هنا: للتعليل، ويمكن أن نرى آثار جنود الله في سرعة انتشار الإسلام، وازدياد عدد المسلمين، ودخول الناس في دين الله أفواجا بعد أن جاء نصر الله والفتح.

ويعلل العقاد عدم اختيار يوم مولد النبي بدء للتاريخ في الإسلام: بأن محمدا بشر مثلنا في مولده، أما ميلاد عيسى فهو معجزة المسيحية، وميلاد محمد لم يكن معجزة في الإسلام، ولكنه كما قال شوقي:

يوم يتيه على الزمان: صباحه
ومساؤه بمحمد وضاء

يقول العقاد: إن محمدا بشر مثلنا في مولده، ولكنه سيد الرسل يوم دعا ويوم نجا بالدعوة إلى حيث تنجو، وحيث تسود، وحيث يكون امتحانها الأول في قلب صاحبها، وقلب صاحبه الصديق، وهما اثنان في الغار، إن يوم الغار ليوم له عبرته وعزاؤه في كل يوم، ولاسيما أيام القلق والحيرة والانتظار؛ إنه يوم عقيدة فهو يوم رجاء، ويوم نظر إلى المستقبل.

ويشير «العقاد إلى دور علي بن أبي طالب» في الهجرة إشارة كأنها البرق الساطع، والشهاب الثاقب، وقد فصل القول عن هذا الدور في «عبقرية الإمام» أما هنا ففي أربعة أسطر وازن بين موقفين لعلي وأبي بكر وأثرهما في الدعوة الإسلامية، والموقفان كانا في يوم حراء ويوم ثور، وهي موازنة دقيقة موجزة تفصح عن طريقة العقاد وأسلوبه في رصد المواقف فهو لا يسهب كثيرا إلا في تحليل الأشياء، والكشف عن مصادرها، وأبعادها، وآثارها؛ ولنتأمل هذا البيان الموجز، والتحليل الدقيق.

لقد كان علي فتى يستقبل الدنيا، وكان أبوبكر كهلا يدبر عنها يوم أعانا محمدا في يوم حراء.

ولكنهما كانا معا على أبواب غد واحد، ورجاء واحد، يستوى فيه الفتى والكهل، والشيخ الدالف إلى قبره، لأنه

رجاء الإيمان لا رجاء العيان.

ويلجأ العقاد إلى خاصية «التكرار» وهي خاصية أسلوبية توظف في تأكيد الرأي، وإقامة الحجة أحيانا على الخصم، وتثبيت الخبر في ذهن السامع، حيث كرر جملة «ليقل من قال» ثلاث مرات: وهو يرد على من يشكك في توقيت «اختيار يوم الهجرة» بداية للتاريخ في الإسلام (ص ٢٢١ عبقرية محمد).

ويؤكد بعد ذلك أن ابن الخطاب هو صاحب الفضل في هذا الاختيار الأوفق والأصوب.

ويختم العقاد كتاب «عبقرية محمد» باستشراف آفاق مستقبل العالم المعاصر الحائر، الغارق في دمائه، الضائق بحاضره، المعرض عن ماضيه، ويعلن أن المستقبل للإيمان في ظل العقيدة الإسلامية التي نشرت الحضارة في العالم كله، ويؤكد موقفه ذلك في ثلاث جمل مصدرة بحرف النفي «لن» وكلها تحذر من أنه: لن تتحرك أمة إلا إذا فتحت أمامها باب المستقبل؛ ثم يكون الختام المشع المضئ بنور التوحيد، ونور العقيدة، ونور القوة، ونور الصمود الذي انطلق من الغار مع الصاحبين «أبي بكر ومحمد» ومن حولهما من الأصحاب الأخيار فأضاء العالم كله بتعاليم الإسلام المشرقات، وآيات القرآن البينات.

ولنتأمل هذه اللوحة الفكرية والأسلوبية التي خطها العقاد ببيانه الرصين، وفكره المحكم، وانتمائه الواعي للمنهج الإسلامي الواضح المبين، إن هذه اللوحة الختامية للعبقرية المحمدية تموج بأسئلة عديدة توقظ العالم الغافي، وتنبه الحائرين السادرين في غفلتهم وحيرتهم: يتساءل العقاد وهو يرصد حيرة العالم.. فيم يحار..؟؟

في طلب المستقبل؟..في طلب العقيدة؟ في طلب المسوغ للوجود؟ لأن الوجود وحده لا يكفي الإنسان إلا أن يكون على طبقة مع الحيوان [وفي ذلك أبلغ رد، وأقوى حجة على الماديين والدهريين].

وبعد هذه التساؤلات المتأججة بالدهشة والاستغراب والاستنكار: يعلن العقاد في صدق وشجاعة، ورجاء قائلا: فالإيمان للمستقبل؛ وعسى أن يكون المستقبل للإيمان !!!! وعسى أن يستجد العالم عزاء باقيا من يوم الغار، ومن صاحب يوم «الغار» ﷺ.

***

قصة العدد

بين كندة وبنى أسد

للدكتور/ أبى حسام

جلس عبيد بن الأبرص مع قبيصة بن نعيم سيد قومه، وكانا صديقين لا يكتم أحدهما عن الآخر شيئا مما في نفسه فرأى عبيد على وجه ابن نعيم عبوسة لم يعهدها من قبل، وكأن همّا تزل به، فقال له مستفهما ماذا يشغلك يا سيد القوم؟

فابتسم قبيصة في مرارة، وقال: سيد القوم! أتصدق ذلك يا عبيد!

فردّ عبيد مسرعا، هذا ما أجمع عليه بنو أسد، وكلهم يعترف بك سيدا ذا أمر ونهى، فما شكُّك في ذلك؟ فسارع يرد عليه: لو كُنت سيدا كما ذكرت، وكما يعتقدون، ما أرسل الملك حُجر بن عمرو الكندى رُسله إلى بنى أسد يطلبُ الجباية من الخيل والنياق والغنم في وقاحة، وأعجزُ عن ردّه بالقول الصارم، وأستقبلُ وفده بحفاوة، وأستضيفه أسبوعاً حريصا على ألا يلحظ بادرة غضب، فينقلها إلى حجر، فتثور ثائرته، وينقض علينا بمن يجمع من ذؤبان العرب، وأتباعه المتوحشين، فلا يبقى ولا يذر.

قال عبيد: أرى أن حجراً قد أنهكته الحروب الطاحنة بين المناذرة، وهو في حاجة إلى استرضائنا قبل أن نكون في حاجة إلى استرضائه!

فنظر قبيصة إلى عبيد، وهو يهز رأسه! ثم قال: تقولُ أنهكته الحرب مع المناذرة، ولا تعلم أنه استعاد قوّته منذ شهر، وهاجم بنى كنانة، وقتل وأسر وذبح، ثم اصطفى لنفسه أجمل فتيات كنانة (هند بنت عدى) وكانت مخطوبة لابن عمها سيد القوم، رآها أمام الخيمة فزلزل زلزالاً وهو ذو قلب كأنه حجر صلد لا يرق لضعيف ولا يرحم مستجيرا، بل يأمر بالقتل إذا شاء، وكأنه يذبح عصفوراً إذا ذبح شيخاً ذا مهابة! وقد ارِقَ لرؤية هند، وقال هي زوجتي من الآن ولا أسمعُ اعتراضا، وسكت القومُ خانعين.

صعق عبيد حين سمع حديث هند، لأن الناس في البادية يتحدثون عن جمالها، بإجماع، وقد رآها في زيارته الأخيرة لسيد بنى كنانة، فأخذ بجمالها الفاتن، ولكنه كتم عواطفه، كيلا يُسيء ضيافته. ورجع وقد ترك معها فؤاده! فقال في حيرة: هندُ بنتُ سيد بنى كنانة تُساقُ إلى حجر كأنها أسيرة لا أمر لها ولا نهى، لقد هانت الحياة.

فقال قبيصة: دعنا من هند الآن، ولنفكر في أمر هؤلاء الذين جاءوا يطلبون الجباية، بلهجة متغطرسة وكأننا دون بنى حجر: ما أرى إلا أن نعتذر بالجدب وقسوة الحياة!

قال عبيد: ولمَ لا نصارحهم بأننا نرفض هذه الإتاوة، ونعتبر أنفسنا أنداداً لهم، وليكن ما يكون.

فرد قبيصة: هذا ما أفكر فيه! فقال عبيد: وسأبلغهم ذلك في قوة، إذا جاء الصباح!

ورجع الوفد يحمل الردّ الجرئ إلى حجر، فاشتعل غيظا، وأعدّ العدّة لاقتحام بنى أسد وجاءت الأنباء إليهم على عجل، ففروا من أماكنهم حاملين أمتعتهم إلى حيث لا يدرى أحد أين استقرّ بهم المكان، وقد شغل عبيد نفسه بحديث (هند)، وكأنها كانت حرمة الذى يجب أن يرعاه! فنهض إلى سيّد بنى كنانة، وأوغر صدره على حجر، وعدّه وقحاً فاسقاً لا يرعى الحرمات!

فسكت الرجل متألما، ثم قال له: جاءنى اليوم ما طمأننى بعض الاطمئنان، فلقد انتهز أحد الموتورين من بنى أسد رحلة حجر إلى قتالنا، وعمد إلى هند فاختطفها، وذلك أمر يشق علينا دون نزاع، ولكنه أهون من أن تظل مقهورة لدى هذا الظالم السّفاح!

فانتهز عبيد هذه الفرصة، وقال يا سيد كنانة لماذا لا تقفون معنا في حرب هذا الطاغية، وإذا لم تكن العدة الحربية كافية لصدّه، فلدينا المكيدة والاحتيال!

قال الرجل: وأى مكيدة ترى. فقال عبيد: سيمر عليكم في طريقه إلينا، فتخرجون لاستقباله فرحين، وتُظهرون من إكرامه ما يعتقد به أنكم أصدقاء مخلصون ثم أنتم في اعتقاده أصهاره المحبون، وتلك التى تدعوه أن يأمن شركم فلا يخطر بباله أنكم تتربصون به الدوائر، وسينسى أنه قتل منكم الكثير دون جريرة، وأنه غصب ونهب واستباح، فقد غرّه سكوتكم وانكماشكم فإذا اتفقت معى على ذلك، سارعت بالذهاب إلى قبيصة بن نعيم سيد بنى أسد، وحضرنا مع قومنا في حندس الليل ثم داهمنا خيمته لديكم وفتكنا بمن يحمها من الحرّاس، وهم من عشيرته كالعادة لا من كنانة! فإذا سال دمه، هجمنا على أتباعه ممن يُطيعونه في الظاهر ويكنّون له أسوأ النيات في

الباطن، وهم سيتسللون مقهورين حين يجدون الأمر الواقع! وستعلن في البادية أن بني أسد هي التي أخذت بثأرها، وأنكم لم تخونوا الضيف، بل فوجئتم بما فوجيء به حجر! فلا ملام!

قال شيخ القوم: لا أكتم عنكم إني ضائق بحجر، فقد أذلنا إذلالاً لا منجاة منه بغير السيف، وقد استرحت إلى ضرورة الانتقام، وسأرسل لك من يخبرك عن مكان ضيافته، ويجيئني الرسول بموعد التنفيذ، فأعلن الأمر ساعة الموقعة، فلا نُفاجيء كنانة بالأمر! بل تعلم أنّ صديقا جاء ينصر صديقا ليأخذ ثأره من قاتلٍ أثيم.

جاء حجرٌ في ملئه وملء ثيابه غطرسةٌ واستعلاء، فطلب في غلظة أن تمدّهُ كنانةُ بشجعانها وأسلحتها لقتال بني أسد، وأنه لن يكتفي بالسلاح بل يريد الرجال، لأنه قد عزم على أن يستأصل أعداءه استئصالا فلا يبقى هنا غير النساء والشيوخ والمرضى، وسيسوق الغنائم التي تقع تحت يده دون أن يُفرّط في شاة واحدة ليكون الأسديون عبرة لأبناء البادية حين نشزوا عن الطاعة، وأعلنوا قطع الجباية. وهي حق لكندة منذ سنوات! أكانوا بالأمس جبناء وهم اليوم شجعان! سيرون وحق هُبل مصارعهم تحوم عليها الغربان وتأكلها الذئاب! وكان في حديث حجر ما أشعل حفيظة بني كنانة، فأصر رئيسها على إحكام المؤامرة وأجلس حُجرا مجلسَ الملك المطاع في خيمة فاخرة أعدت لمقامه، وهرعت له الوفود مُعلنة فروض الطاعة والإخلاص حتى تأكد الطاغية أن الأمر كلّه طوع يده، على حين مضى الرسول إلى بني أسد، فقابل عبيد بن الأبرص واتفق معه على ساعة الصفر، وكانَ من حزم بني أسد أنها جعلت مسيرها بالليل ثم تختفي بالنهار، كيلا تثير ريبة متوجس! وتحدد الموعد بعد ثلاث ليال!

كان حجر في خيمته آمنا مطمئنا، لا يفكر إلا في لقاء ما بعد اليوم بني أسد، ففوجيء بارتفاع ستائر الخيمة من الخلف، وانقضاض طائفة من الشباب عليه، ومعهم سيوفهم المسنونة، ولم يستطع التحركَ أو الصراخ حين أخذته السيوف أخذاً وبيلا وفرّ خادمه الذي شُده بالموقف فخاف على نفسه، على حين انصرفت طائفة أخرى إلى الحراس أمام الخيمة تُعلن أن حُجرا قد انتهى أمره، ولفظ أنفاسه، ففتّ ذلك في أعضاد الحُراس، وانتهى الهرج إلى فرار جائح، لا يدرى فيه أعوان حجر ما يصنعون، وأعلنت قبيلة أسد أنها أخذت بثأرها من نكال شديد لحقها عشر سنوات متتاليات، والناسُ مع الغالب أيا كان، فسرعان ما أخذت تتوالى التهنئات على أسد وكنانة معاً. وطار النبأ إلى أبناء حجر، وهم أربعة شبّان فما تحرك للثأر غير أصغرهم، وهو امرؤ القيس، ويروون أنه تلقى النبأ ليلاً، وهو في

مجلس شرابه مع ندمائه، فسكت قليلاً ثم واصل الشُرب قائلاً: اليومَ خمر وغداً أمر.

والحقّ أنه لم يقصّر في الاستنجاد بالقبائل، فأجابته عدّة منها، ولكنّها أرجأت التنفيذ حتى تضع الحوامل من الأنعام ما في بطونها، وهو اصطلاح بدويّ تعارف القوم عليه، ورأى بنو أسد في هذه المهلة ما دفعهم إلى لقاء امرئ القيس مُحاولين الاعتذار، وكان خطيبهم قبيصة بن نعيم، فأمهلهم امرؤ القيس ثلاثة أيام، وأمر بإكرامهم لأنهم بمنزلة الأضياف وبعد هذه المدة، خرج للقاء القوم، فلما رأوه نهضوا محتفلين، وتقدّم قبيصة بخطبة سياسية بدأها بالثناء على امرئ القيس وأنّ له من سؤدد منصبه، وشرف محتده، مالا ينازع فيه، وأنّ الخطب الذى نزل به لم يخص كندة وحدها ولكنه شمل جميع العرب ومن بينهم بنو أسد، ولو كان يفتدى ميت لافتدى حجر بكرائم الأنفس وغوالي الأموال، ثم خيّره بين أن يختار من بني أسد أشرفها مقاما فيقتله قصاصاً لوالده، أو تُقدّم له الفدية بما يرتضيه من أنعام وجوهر، أو ينتظر حتى تضع الحوامل، فيشن الحرب، وكانت الأخيرة هي التي اعتمدها امرؤ القيس، فانصرف القوم مهددين، وكان أكثرهم حميّة عبيد ابن الأبرص فإنّه ارتجل قصيدة هوّن فيها من شأن امرئ القيس، وتوعّده توعدا شديدا ثم ارتجل في ختامها هذه الأبيات:

يا ذا المخوفنا بقتل أبيه ..
إذلالاً وحينا
هلاّ على حُجر بن أم قطام ..
تبكي لا علينا
نحن الألي فاجمع ..
جموعك ثم وجّههم إلينا
نحمي حقيقتنا ..
وبعضُ القوم يسقط بين بينا

وكانت المهلة في صالح امرئ القيس وبني أسد معا، إذ أخذ كل فريق يجمع ما يستطيع جمعه من السلاح والعتاد، وكانت النفوس أقرب إلى نصرة امرئ القيس من بني أسد، لأن حجرا قُتل وهو آمن، وأُخذ غدراً، ولا بدّ من ثأر يناسب منزلته! ويُرضي آل حجر والكنديين جميعاً!

وما أسرع ما تمرّ الأيام، فقد وضعت الحوامل، ونبت الزرع، وأعدّ كل فريق عُدته، وقد رأت بكر وتغلب أن تكونا مع امرئ القيس فزاد بهما بأساً، وجالَ الفريقان الجولة الأولى فانتصر امرؤ القيس انتصارا مُؤزرا، وتلقى التهنئات إذ أخذ بثأر والده، وآن لضميره أن يطمئن، ولكنه عزم على ألاّ يبقى في بني أسد أحداً له شأن، وأن يعلم الجميع أنه أباد قبيلة عظيمة أخذاً بثأر أبيه، فوقفت بكرٌ وتغلب في وجهه، وصاحتا به أخذتَ ثأرك بنضالنا وأرقنا دماءنا لتدرك هذا الثأر، وقد أدركته، وسترحل دون أن

نشترك معك في معركة ثانية! فرأى أنه لا يستطيع جولة ثانية مع بنى أسد وحده، بل لابدّ من النجدة من شتى القبائل، وخانه حظه فلم يجد نصيراً، فصمم على الرحيل إلى قيصر، عاهل الروم، وراوغه الملكُ في حديث يطول.

أما عبيد بن الأبرص، فقد أدرك بثاقب فكره أن المعركة لم تنتهى بعد، وقد تتحالف بعض القبائل المعادية لبنى أسد مع امرئ القيس فتدور الدائرة على قومه، واجتمع مع قبيصة بن نعيم لُيطارحه الرأى، ثم رأيا معاً أن يذهب عبيد إلى الحيرة عاصمة النعمان بن المنذر، فيطلب إليه أن يمدّ بنى أسد بجنده وسلاحه، فهو عدوّ لدود لحجر ومن يلوذ به من كندة، وسيلبى الرجاء دون إمهاله، إذ يرجو أن يكون بنو أسد حماة لقوافله التجارية حين تنزح إلى اليمن، وقد عرضَ ذلك من قبل، ولكن بنى أسد لم يكونوا إذ ذاك في حاجة إلى معونة ما، وهم الآن يحتاجون إلى قوة كبيرة! ومَن لهم غير النعمان!

سافر عبيد وكله أمل ورجاء! ولكن من الذى يقدر على تحقيق آماله، إذا كان تحقيقها في يد سواه؛ لقد وصل إلى الحيرة، والنعمانُ في يوم بؤسه، وكان قد أقسم أن يهدر دم أوَّل من يُلاقيه في هذا اليوم من كلّ عام، وذلك بغىّ شنيع لا يقومُ به غير ظالم عنيد، وقد عرف الناس شأنه في هذا الجرم، فأنكروه في نفوسهم، ولم يقدروا على الجهر بما يكنّون، وتطلّع النعمان في يومه الأشام، وقد خلا الطريق من أهل الحيرة تخوفاً مما سيكون، تطلّع إلى الأفق لعلّه يجد قادمًا من خارج العراق، لينفّذ ما يعتزمه كل عام، فكانَ الوافد عبيد بن الأبرص الذى لا يدرى ما قدّر له وبدأ بالتحية التى سنّها النعمان فقال (أبيت اللعن أيها المليك) ثم قدَّم رجاءه في إسعاف بنى أسد، فنظر إليه النعمان، وقال: هذا يوم البؤس، وستلقى مصيرك يا عبيد، فماذا تطلب لنفسك قبل التنفيذ. فقال في مرارة -وكانَ يعرفُ سلفاً قصة يوم البؤس- وماذا أطلبُ وسأقتل في هذا اليوم البئيس.

فقال النعمان: أطلب أنا أن تسمعنى بعض قريضك الذى قلته ولم أسمعه! فقال عبيد حزيناً: هيهات هيهات: حال الجريضُ دون القريض.. فذهبت مثلاً.

لقد رجع امرؤ القيس حزيناً من لدن قيصر، ومات في الطريق بعد أن لبس حلة مسمومة ختَله بها قيصر، وقُتل عبيد في الحيرة قبل أن يرجع أو لعلّ روحيهما صعدتا في وقت متقارب وهى الآمال تبرق في سطوع ثم يغمرها الظلام.

***

خطبة الجمعة

ستأتى ذكرى الإسراء

لفضيلة الشيخ/ أحمد الشرباصى

إعداد فضيلة الشيخ/ على حامد عبد الرحيم

الحمد لله عز وجل، يحيى الأرض بعد همودها، ويوقظ القلوب بعد ركودها:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾

(الأنعام: ٩٥)

أشهد أن لا إله إلا الله، يؤدب بالنقمة، ويعز بالنعمة، وهو العليم الخبير، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، كشف الغمة، وأنقذ الأمة، فكان رحمة الله للعالمين، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، وأتباعه وأحبابه:

﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾

(الأنعام: ١٢٧)

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام...

رجب كما تعلمون هو شهر معجزة الإسراء والمعراج، ومعجزة الإسراء والمعراج وثيقة الصلة بفلسطين المحتلة، فقد كانت فلسطين وعاصمتها القدس نهاية رحلة الإسراء في الأرض، وبداية رحلة المعراج إلى السماء، ثم كانت -أيضا- نهاية العودة من المعراج، وبداية العودة في رحلة الإسراء والأمر ما فعل الله ذلك واختاره، فهناك بلا شك حكمة عالية وإشارة سامية:

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾

(ق: ٣٧)

والمرتحل إليه هو رب الكون جل جلاله، وبداية الرحلة من مكة المشرفة التى تضم الكعبة المطهرة أول بيت لله، وواسطة العقد فى الرحلة هو أحد المساجد الثلاثة المقدسة التى تشد إليها الرحال بنية العبادة لله وهو المسجد الأقصى، والطرف الآخر للرحلة هو الملأ الأعلى فى السموات حيث تتجلى قدرة الله، فيجب أن تكون ذكرى الإسراء والمعراج موعداً لهزة تهزنا من الأعماق ومن كل الآفاق، توثق فيها عودتنا إلى الله وغضبتنا لحرمات الله وغيرتنا الإيجابية على تراث رسول الله عليه الصلاة والسلام...

ومعجزة الإسراء والمعراج وثيقة الصلة بمعركتنا ضد الطغاة المعتدين، لأن هذه المعركة تتطلب نوعين من القوة: تتطلب قوة مادية سريعة دافعة رادعة ساحقة للعدوان، وتتطلب قوة معنوية تملأ الطوايا والحنايا، وتطهر القلوب والنفوس، وتسمو بالأرواح والمشاعر، ومعجزة الإسراء والمعراج ترمز إلى أسرع قوة مادية، وإلى أعلى قوة روحية فالقوة المادية التى لا مثيل لها عند الإنسان فى السرعة تتمثل فى سرعة البراق الذى أرادت السيرة النبوية أن تقرب لنا سرعته فقالت إنه :يخطو الخطوة فيضع حافره حيث ينتهى بصره، فهو يعدو ويطير بأقوى من سرعة الصوت والضوء وغيرهما من الأشياء، والقوة الروحية التى لا مثيل لها تتمثل فى المعراج الذى صعد بالرسول ﷺ إلى الملأ الأعلى، وسما به فى مراقى الأنوار الإلهية، حيث تعلو النفس على الحس، وتتغلب الروح على البدن، وحيث تصير الحركة روحية قوية لا مثيل لها، ولا عجب فالرسول الذى كان طهوراً قد تضاعف طهره حتى صار نوراً، وبهذه الذخيرة الروحية النورانية القوية استطاع أن يجتاز الآفاق وأن يخترق الطباق، حيث لا يستطيع أسير لحسه ونفسه وشهواته أن يخطو أو يجول، ولعل أمير الشعراء شوقى قد أراد الإشارة إلى مثل هذا حين قال يخاطب سيد الخلق عليه الصلاة والسلام:

حتى بلغت سماء لا يطار لها
على جناح، ولا يسعى على قدم
وقيل كل نبى عند رتبته
ويا محمد هذا العرش فاستلم
خططت للدين والدنيا علومهما
يا قارىء اللوح، بل يالامس القلم

يجب أن يستيقظ كل مسلم صباح اليوم السابع والعشرين من رجب وكأنه قد جن بأرض الإسراء والمعراج، فيكون أول ما يردده على لسانه عقب استيقاظه: فلسطين، القدس، المسجد الأقصى، أرض الإسراء والمعراج، أولى القبلتين، ثالث الحرمين ويجب أن تلقن كل أم أولادها درس الجهاد فى سبيل تحرير الأرض المحتلة، ويجب أن يحدث كل أب أولاده عما ارتكبه اليهود من جرائم سود، ويجب أن يملأ نفوسهم غيظاً وغضباً من أجل أرض الإسراء

والمعراج، فأقدام اليهود النجسة تصول الآن وتجول حيث أسرى الله بسيد الخلق، وحيث صلى وركع وسجد، وحيث أم الأنبياء والمرسلين لتكون هذه الإمامة مبايعة منهم بأن مواريث النبوات والرسالات - ما بين مادية ومعنوية - قد انتهت إليه، فهو الخاتم وهو الجامع وهو سيد الأنبياء والمرسلين، ويجب أن تسيطر ذكرى الإسراء والمعراج على الإذاعة والتليفزيون والصحف والمجلات والنشرات، ويجب أن يكون كل دروس اليوم السابع والعشرين من رجب عن فلسطين فى المدارس والمعاهد والجامعات، ويجب أن يكون هناك احتفال جاد هادف واع بصير مفيد عن ذكرى الإسراء فى كل مسجد، وكل مصنع، وكل معمل، وكل وزارة، وكل إدارة، وكل مؤسسة جماهيرية، لتمتلىء القلوب بمشاعر التحرير، وتتقد النفوس بشعل النفير، وتحتشد العقول بتفاصيل الحق الضائع وتبعات الواجب الجليل نحو فلسطين وما فيها وما حولها من احتلال أثيم وضيع، ويجب أن تكون تحيتنا عند اللقاء وعند الوداع هى أن نردد فى وعى وفهم وعزم وتصميم: لن ننساك يا فلسطين، لن ننسى دماء الشهداء يا فلسطين، لن ننسى جرائم اليهود فيك وفيما حولك من بقاع غالية يا فلسطين لن تتجمد قضيتك بطول المدة يافلسطين، لن تشغلنا ملاهى الحياة عن واجبك المقدس يافلسطين.

ولنتذكر هنا أن اليهود قد تعودوا منذ عشرات السنين أن الواحد منهم إذا فارق زميلاً له بعد لقاء كانت آخر جملة يرددها هى قوله «قطعت يمينى إن نسيتك يا أورشليم»، فإذا كانوا يحرصون على باطلهم هذا الحرص، فكيف لا يشغلنا حقنا المضيع فنحرص عليه هذا الحرص، وكيف يعاودنا التبلد من جديد - بعد أن كان ما كان - فنرجع سيرتنا الأولى نأكل ونشرب، ونغنى ونطرب، ونلهو ونلعب، كأن اليهود ليسوا فى فلسطين.

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام...

يا طيبها من بشرى لو أن نفحة من نفحات الغيرة الإسلامية والغضبة الدينية ارتفعت بنا إلى مرتبة الرضا الإلهى فعمرنا يوم الإسراء والمعراج بخطوة حاسمة يكون فيها غسل العار، وأخذ الثأر، وتحرير الديار، وتأديب الفجار،

﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾

(الروم: ٤-٥)

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾

(المائدة: ٨٨)

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾

(النحل: ١٢٨)

خواطر فى ذكرى الإسراء والمعراج

للأستاذ الدكتور / محمد فتحى فرج

الأستاذ بجامعة المنوفية

حين يحل علينا شهر رجب الفرد ضيفا عزيزا، تتداعى إلى الذاكرة، مع نسائمه العطرة، ذكرى لا تشيخ على الزمان.

وهى ذكرى الإسراء والمعراج، فهى ذكرى متجددة على الدوام. إنها ذكرى عزيزة على كل مسلم ومسلمة، فى مشارق الأرض ومغاربها، بل إن هذه الذكرى عند يقظان القلب، حاضرة فى نفسه لا تغيب عنه كلما عرج بقلبه إلى ربه فى صلاته، فى الصباح أو المساء، وكأنى بلسان حاله ـ حين يهرع إلى معراجه ذاك ـ يردد قول الله تعالى

﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

(الأنعام: ٧٩)

فيوثق عهده مع خالقه، ويتبرأ من شوائب الشرك، فيتجدد بذلك إيمانه بربه جل وعلا.

حادث عظيم

فالإسراء والمعراج، فى الإسلام ليس حادثا عابرا، ولكنه حادث محورى ـ إن جاز أن نصفه بذلك بتعبير العصر الحديث ـ فقد ارتبط بأمور جوهرية بالنسبة للإسلام والمسلمين على حد سواء.

وهذا الحادث الذى سمى منذ حدوثه بكلمتين فقط عبارة عن رحلتين لا رحلة واحدة: فأما الرحلة الأولى ـ كما أبلغنا ربنا فى قرآن نتلوه ونتعبد الله به ـ فهى رحلة الإسراء، حيث أسرى بالنبى محمد ـ ﷺ ـ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله، ليريه من آياته وهو السميع البصير.

وهذا المسجد يئن ويستصرخنا ويستنصرنا، فهل من يسمع؟ وهل من مجيب؟ أما المعراج فهو الرحلة الثانية، وفيها عرج بالنبى ـ ﷺ ـ من المسجد الأقصى إلى السموات العلا ـ متخطيا عوائق الأرض وحواجز السماء، وبالجملة فقد تجاوز قوانين الكون كله بقدرة الله تعالى، رب هذا الكون وخالقه.

وقد كان جبريل ـ عليه السلام ـ رفيقه فى هذه

الرحلة المباركة، التى شاهد فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

الإسراء وعالمية الإسلام

أما كون حادث الإسراء الذى تقدم وصفه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ففيه إشعار ودليل على أن رسالة الإسلام، التى أمر نبى الإسلام بتبليغها، لم تكن فى واقع الأمر مقصورة على قريش أو على الجزيرة العربية أو على العرب وحدهم أينما كانوا، شأن ما سبقها من رسالات كانت مقصورة على الأقوام التى بعثت فيها، وإنما هى رسالة عالمية، أمر النبى ـ ﷺ ـ بتبليغها للناس كافة، بل هى رسالة تخطت البشر لتشمل الثقلين الإنس والجن، الذين خلقهم الله تعالى لعبادته بنص ما جاء من قوله تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

(الذاريات: ٥٦)

ويؤكد ذلك قول الله تعالى لنبيه ﷺ فيما أنزل عليه من وحى السماء:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(سبأ: ٢٨)

ويتكرر هذا المعنى أيضا فى ما جاء من قول الله تعالى، فى سياق تزكيته لنبيه ـ ﷺ ـ ليؤكد عالمية رسالة الإسلام، التى هى فى جوهرها أيضا رحمة للعالمين، حيث يقول:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

(الأنبياء: ١٠٧)

جوهر الرسالات السماوية واحد



محمود شلتوت

وحينما تتم هذه الرحلة المباركة، لهذا الرسول المبارك، من المكان المقدس المبارك، الذى انبثقت منه أشعة الرسالة الخاتمة، إلى المكان المبارك الذى انطلقت منه الرسالتان السابقتان لرسالة الإسلام، فإنما يؤكد ذلك على أن جوهر الرسالات السماوية واحد، تماما كما أن مصدرها واحد.

يؤكد هذا أيضا اجتماع أنبياء الله ورسله فى صعيد واحد، للتأكيد على أخوتهم، ثم قيامهم بالتوجه جميعا إلى الله تعالى بالصلاة، يؤمهم خاتم النبيين والمرسلين ـ ﷺ ـ وفى هذا ما فيه من الإقرار بأن رسالة الإسلام هى الوريث النهائى لرسالات السماء إلى أهل الأرض، أى إنها هى الرسالة الخاتمة، التى ليس بعدها رسالة أخرى، ومن ثم فهى الرسالة العالمية لجميع البشر على هذه الأرض، وأن محمدا ـ ﷺ ـ هو خاتم النبيين، مصداقا لقوله تعالى:

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾

(الأحزاب: ٤٠)



ولله در شاعرنا الكبير أحمد شوقي حينما غرد قائلا:

أسرى بك الله ليلا إذ ملائكه
والرسل في المسجد الأقصى على قدم

لما خطرت به التفوا بسيدهم
كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم

صلى وراءك منهم كل ذي خطر
ومن يفز بحبيب الله يأتمم

المعراج وقدر نبي الإسلام

أما الرحلة الثانية وهي رحلة المعراج إلى السماوات العلا، وهي التي اختص الله تعالى فيها رسوله برؤية آيات ربه الكبرى مصداقا لما جاء في قوله تعالى من سورة النجم:

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (٩) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (١١) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (١٧) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾

(النجم: ١ - ١٨)

ولاحظ أن الإخبار في الآيات السابقة من الله تعالى، وليس من محمد - ﷺ -. أما الآية الأخيرة فتشير، كما يقول الشيخ الشعراوي - رحمه الله - أنه رأى الآية الكبرى من آيات ربه.. وما دام قد رأى الآية الكبرى فلابد أنه قد رأى قبلها

آيات وآيات.. ومعنى أنه رأى من آيات ربه الكبرى. أنه رأى الكبرى من آيات ربه.. أي أن موقع «الكبرى» مفعول وليست صفة للآيات. أي أنه - ﷺ - رأى الكبرى.. أي الآية الكبرى.. وقد كان جبريل - عليه السلام - معه في الأرض ومعه في السماء.. ولكن الآية الكبرى التي لم يقدر عليها جبريل ولا أحد من الملائكة.. قد انفرد برؤيتها رسول الله ﷺ، وهذا يبين قدر الكريم ومصطفاه، ومدى قربه من ربه جل في علاه. فكل من الإسراء والمعراج إذن كان رحلة تكريم وتثبيت له وتسرية عنه - ﷺ -.

ومنحة أخرى في المعراج

أما المنحة العظيمة التي أفاء الله تعالى بها على حبيبه وعلى أمته - ﷺ -، فقد تمثلت في فرضية الصلاة من فوق سبع سموات، وذلك لعظيم قدرها وجليل شأنها. فهي الفريضة التي تذكر الإنسان بهذه الرحلة الربانية العظيمة، بل إن الإنسان في كل مرة يقبل فيها على الصلاة، إنما يتوجه إلى ربه بقلبه، وكأنه في معراج روحي إليه تعالى، فتطيب نفسه بها، وتسمو روحه بهذه الصلة الإلهية، وهو يناجي ربه، ليس بينه وبين ربه وسيط. ومن ناحية أخرى فإن الصلاة تعتبر من أهم أركان الإسلام بالنسبة للإنسان، فإنها أول عمل يسأل عنه العبد يوم القيامة، فإن صلحت وقبلت، كانت بشرى طيبة



احمد شوقي

وفألا حسنا لصاحبها، وقبل سائر عمله برحمة ربه، فيالها من منحة غالية، إن هو أحسن استثمارها، وحافظ عليها، وأقامها على خير وجه يرضى به ربه جل علا. يقول الشيخ محمود شلتوت - رحمه الله - في مؤلفه الرائع «الإسلام عقيدة وشريعة»: إن الصلوات الخمس خمس رحلات إلهية، أوجبها الله على عباده في أوقات متفرقة من اليوم والليلة، يخلص فيها المؤمن من دنياه، ويتفرغ لربه بالتكبير والمناجاة، وطلب المعونة والهداية، ويلقى فيها بنفسه في كفالة الربوبية الرحيمة، متمثلا العظمة المطلقة، التي تصغر أمامها كل عظمة في هذه الحياة.

وإن تلك الرحلات لجديرة أن تفرج همه، وأن تخفف ويله، وأن تحقق رغائبه الخيرة. لقد كان من سنة نبيه ﷺ إذا حزبه أمر أن يفزع إلى الصلاة، وكان يقول: «جعلت قرة عيني في الصلاة». والله تعالى يقول:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾

(البقرة: ١٥٣)

ويقول عز من قائل:

﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾

(البقرة: ٤٥)

***

من الميلاد إلى البعثة (٣)

لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى

إن رسالة النبى ﷺ أمر عظيم ومهمة شاقة وكما تتطلب إعدادا للرسول تتطلب كذلك تهيئة للمجتمع المرسل إليهم، وقد تمثلت عوامل الإعداد له ﷺ فى عدة أمور تكلمنا عن بعضها فيما سبق وبدأنا الحديث عن حوادث ومواقف نرى فيها تهيئة للمجتمع المرسل إليه ﷺ والمبعوث فيهم، فلقد حدثت أمور جعلت المجتمع يترقب ذلك المبعوث حتى إن بعض الحوادث كانت بمثابة حث للمجتمع أن يطالب النبى ﷺ بأن يخرج المخبوء عنده، وقد كان حريا به ﷺ أن يقدم للناس ما يرجونه منه وما تطمح نفوسهم إليه لولا أن ذلك شيئا قدر الله له موعدا فى سابق علمه تعالى:

وصدق الله حين يقول:

﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ (الرعد:٨)

﴿ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ (الحجر:٢١)

ولقد كان ﷺ ذا خصال حميدة قبل بعثته فلقد حفظه الله تعالى مما كان عليه أهل الجاهلية فاشتهر بالأخلاق الفاضلة فنال مكانة عالية فى قومه، يقول ابن هشام وغيره فيما يرويه: «شب رسول الله ﷺ يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية لما يريد به من كرامته لرسالته حتى بلغ أن كان رجلاً وأفضل قومه رجولة وأحسنهم خلقا وأكرمهم نسبا وأحسنهم جوارا وأعظمهم حلما وأصدقهم حديثا وأعظمهم أمانة وأبعدهم من الفحش والأخلاق التى تدنس الرجال. تنزها وتكرما ما رئى ملاحيا ولا مماريا حتى أسماه قومه إلا الأمين لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة.(١)»

(١) سيرة ابن هشام

ولم يفعل الله -سبحانه وتعالى- ذلك به فى صفاته المعنوية والخلقية مما وجه إليه أنظار قومه فى صفات الكمال التى تزين الرجال والصفات الحميدة التى يتحلى بها كل فتى كريم، بل زاد على ذلك فى الصفات الجسدية فزاده ملاحة وبهاء ومهابة، فكان ﷺ حلو التقاسيم جميلا مليحا ما إن تراه حتى تحبه، وما إن تحبه حتى تألفه، وما إن تألفه حتى تبادر إليه أن تخالطه بلا كلفة ولا حاجز، وما إن تسترسل مع الألفة حتى تبادر إليك المهابة فتحجزك عن اختراق حاجز الوقار اللازم، كل ذلك جعل أكثم بن صيفى - الذى كان يلقب بحكيم العرب - لما رآه يقول لعمه أبى طالب ما أسرع ما شب أخوك!! فقال أبو طالب ليس بأخى ولكنه ابن أخى عبدالله، فقال أكثم: أهو ابن الذبيحين؟ قال: نعم. فجعل يتوسم ثم قال لأبى طالب: ما تظنون به؟ قال نحسن الظن به وإنه لوفى سخى، قال: هل غير هذا؟ فقال: إنا لنبتهجن بمشهده ونتعرف البركة فيما لمسه بيده، فقال أكثم أقول غير هذا ثم قال كلمات بلغة عربية قديمة مستشرفا مستقبل النبى ﷺ وحاله بعد البعثة فكأنه بعبقريته يقرأ من كتاب المستقبل -قال أكثم - إنه ليضرب العرب قاطبة بيد قوية وقدم راسخة ينادى عليهم هلمو إلى الخير العميم فى الدنيا والآخرة فمن تبعه نجا ومن حاد عنه هلك. ذلك هو رأى أكثم ابن صيفى حكيم العرب وما يتوقعه ويرجوه من مستقبل فى أمر ذلك الفتى ابن الذبيحين. لقد كان فى وضاءة الفتى المنظر وشبابه الصافى ورجولته الباكرة ما لفت انتباه ذلك الحكيم أكثم ولعله قد أثار بهيئته الطيبة الغضة وشبابه الباكر تلك الأسئلة التى وجهها أكثم إلى عمه أبى طالب وذلك التتابع المدهش المسترسل الذى أخرج مكنون العم العطوف الحانى المؤصل فى ابن أخيه وما يرجوه منه وما يتمناه له ولقد تمثل ذلك فى قوله لأكثم: إنا لنبتهجن بمشهده ونتعرف البركة فيما لمسه بيده.

لا، لست وحدك يا أبا طالب الذى تبتهج لرؤيته ﷺ بل كل المجتمع المكى يتفاءلون برؤيته ﷺ ويتعرفون البركة ويجدون آثارها فيما لمسته يداه، أليس ذلك فى ذلك الحوار المتبادل بين أبى طالب وبين أكثم تهيئة للمجتمع وهو يلاحظ ويرقب ويشاهد ذلك الفتى الواعد بالأمل، لولا أن طمس الله على البصائر وأعمى الأفئدة وجعل على القلوب أقفالها. كان حريا بالمجتمع المكى أن يؤمن وأن يتبع الأمين لكن الشقارة سبق القضاء بها فلم يؤمنوا ولما كان وقت المبعث تمسك السراة بمواقع الفتنة والطغيان وآثروا ما يفنى على ما يبقى ولقد كانت لرسول الله ﷺ مواقف وأحداث قبل بعثته تنبىء عن مستقبله الواعد وتدفع المجتمع المكى دفعا إلى ترقب، وتملى هذا الإنسان المشرق المضىء منها وهو ابن عشرين سنة أنه شهد حلفا ما نحسب أن التاريخ سطر حلفا يماثله إلا ما جاء عن حلف المطيبين على أن حلف الفضول كان حلفا دعى إليه كبراء أهل مكة وعقلاؤها. لم يشارك فيه من هو فى سن النبى ﷺ، حيث إن من فى هذه السن لا تشغله مثل هذه الأمور، إنما يشغله اللهو والمجون وإن كان فى أحسن حالاته ينشغل بالصيد والقنص والرمى وكان

لابد لهذه المشاركة أن تلفت الأنظار إلى رسول الله ﷺ وأن ما يشغل هذا الشاب يغاير ما يشغل أمثاله من الشباب، إنه يحمل هم العدالة التي يجب أن تطبق والأمن والأمان الذي يجب أن يشمل الناس، كل الناس حول الحرم والعمل بكل الوسائل الممكنة على تحقيق مبادئ العدل والأمان، ولابد من تكوين آلة وجماعة تحمي المظلوم وترد إليه حقه، وأرى أن هذه المشاركة منه ﷺ وحديثه عن هذا الحلف بعد بعثته حيث قال:

(لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم ولو أدعى به في الإسلام لأجبت)[٢] ولابأس أن نورد قصة هذا الحلف: يقال إن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل السهمي وكان ذو قدر وشرف فحبس عنه حقه فاستعدى عليه الأحلاف فأبوا أن يعينوه ونهروه فلما رأى الزبيدي الشر صعد على أبي قبيس فقال بأعلى صوته:

يا آل فهر لمظلوم بضاعته
ببطن مكة نائي الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته
يالالرجال وبين الحجر والحجر
إن الحرام لمن تمت كرامته
ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام الزبير بن عبد المطلب - عم رسول الله ﷺ - وقال مال هذا مترك فاجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان وتعاهدوا ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم وسمي هذا حلف الفضول.

ومن الحوادث المهمة التي ترى أنها تهيئ المجتمع المكي إلى ترقب الفتى الواعد أو هي هيأت بالفعل المجتمع المكي أن يترقب ذلك الفتى الناضج الذي بلغ مبلغ الرجال، ترى أنهما حادثين مهمين:

> أولهما: زواجه من السيدة خديجة رضي الله عنها.

> وثانيهما: بناء الكعبة ووضعه الحجر الأسود مكانه من البيت.

أما زواجه من السيدة خديجة فتروى كتب السنة أنها كانت امرأة حازمة شريفة لبيبة وهي يومئذ أوسط قريش نسبا وأعظم نسائها شرفا وأكثرهن مالا وكل قومها حريص على الزواج بها لو يقدر عليه وقد طلب زواجها علية قومها فرفضت، وأرى أن من لم يتقدم لها كان أكثر رغبة فيها ممن تقدم إليها حيث إنها ما قد علمت من المال والشرف والجمال وكأني بالمجتمع المكي كله بات يترقب من سترضى به خديجة، وقد طلبها أشراف مكة ولم يخطر على بال أحد قدر الشرف الأعظم الذي ستناله خديجة بزواجها بأشرف خلق الله محمد ﷺ، ولا يخفى ما كانت تكنه من رغبة في رسول الله ﷺ وحب له فكم كانت تحب قربه وتأنس إلى سيرته والحديث عنه. تروى كتب السيرة أنها أرسلت إليه تطلبه أن يسير في تجارة لها إلى الشام وأحسب أنها كانت ترغب في قربه والحديث معه، والحديث عنه، والحديث إليه مثل كل حبيب قريب إلى القلب، فلم تكن في حاجة إلى مال أو تجارة فأرسلت إليه وذهب معه غلامها ميسرة يخدمه فلما عاد رابحا وفيرا وميسرة معه من الحكايات ما يسر خاطر خديجة أكثر مما يسرها المال فكان يريد أن يتكلم عن التجارة، وكيف كان التاجر أميناً، وكيف أن المال ربح، وكأني بخديجة تقول له حدثني عن محمد فيحدثها عن الغمامة التي أظلت رسول الله ﷺ فيهش قلب خديجة وتقول حدثني عن محمد وكأني بها عقدت العزم على الزواج منه، ومهما يكن من أمر فإن أمر الزواج قد بدأ وهاهو أبوطالب يذهب لخطبة العروس وتروى كتب السُنة أنه خطب فقال:

«الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضيء معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسوأس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم أن إبن أخي هذا محمد بن عبدالله لايوزن به رجل إلا رجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا وإن كان في المال قلٌ، فإن المال ظل زائل وأمر حائل وعارية مسترجعة وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقد خطب إليكم رغبة في كريمتكم خديجة وقد بدا لها من الصداق حكمكم عاجله وآجله اثنتا عشرة أوقية ونشا، فقال عمها: هو الفحل لا يقدع أنفه - أي لا يضرب أنفه تحقيرا له - وأنكحها منه[٣].

تحسب أن هذا الزواج كان له صداه في مكة، فإن الخطبة التي ألقاها أبا طالب تنم عن أنه أمر شغل مكة وأشرافها زمنا ليس بالقصير، وأن خطابها لم يكونوا بالعدد القليل، وأن زواج محمد ﷺ بها كان حدثا أو خبرا حري أن يوجه المجتمع المكي وأنظار النسوة والرجال إلى ذلك الفارس النبيل.

كما أن بناء الكعبة وأزمة وضع الحجر الأسعد في مكانه، وتأهب القبائل لمعركة حاسمة ماحقة مدمرة تنسف المجتمع المكي كله وتذر الحرب تهدد مكة والبيت نفسه حتى فاء الجميع إلى حل يرضي جميع الأطراف ويقمع بذور الشر في مكانها بشخص يجمع الكل على نبله وصدقه وعفته ونزاهته وعدله وما بل القلوب وأراح النفوس وأخمد نوازع الخلاف والشر في مهدها وأرضى حتى من لم يكن له نزعة ولارغبة في أن ينال شرف وضع الحجر مكانه كل هذا وضح في استبشار الجميع بدخول القادم الكريم من باب الحرم فاستبشر الجميع وقالوا: «رضينا بالأمين حكما» وكان الحل العبقري النبوي فيما أشار به ﷺ. كل ذلك كان من تهيئة المجتمع المكي لاستقبال الواعد الكريم وكان إرهاصا ببعثته ﷺ.

(٢) سيرة ابن هشام.

(٣) الروض الأنف.

الجماعية فى العمل الإسلامى

للأستاذ الدكتور محمد الشحات الجندى
الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

انحياز الإسلام للجماعة والاعتصام بالوحدة ظاهر فى نظامه برمته. فهو يعلى مصلحة الجماعة، ويوجه تشريعات نحو درء المفاسد عنهم وجلب المصالح لهم. ويعتبر حق الجماعة مقدما على حق الفرد وهو أولى وأجدر بالحماية والاعتبار، بل إن هذا الحق يتمتع بالحصانة ويتأبى على التفريط فيه أو النيل منه.
ولا يجد المتابع للمنابع الإسلامية فى معينها الصافى صعوبة فى كشف الغطاء عن النزعة الجماعية للإسلام، أساسه أن الإسلام دين للبشر جميعا، وأنه جاء لإسعاد الناس والارتقاء بحياتهم، ونود إلى شرعة التعاون فيما بينهم، وضرورة اجتماعهم على عبادة الله الواحد، وعلى قيم العدالة التى تفرض حقوقا ومسئوليات إذا التزم بها فإنها تقيم مجتمع المدينة الفاضلة.

هذا المنحى الجماعى يؤكد على رفض وضع المسلمين المعاصر فى التخلى عن معالجة شئونه والقيام على أمرهم تحت ظلال التوحد والاجتماع. ولعل هذا يفسر تأكيد خطاب القرآن الكريم والسنة النبوية على الجماعة، فى كل أشكالها حيث يلفت النظر إليها فى مواضع عدة، فالقرآن يذكر المسلمين بأنه بلاغ ودعوة عامة للناس:

﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

(إبراهيم: ٥٢)

والرسول - صلوات الله عليه - يعلن دعوته للبشرية جميعا، كما جاء فى صريح القرآن:

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

(الأعراف: ١٥٨)

وأن رسالة الإسلام طابعها الرفق والسماحة والرحمة:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾

(الأنبياء: ١٠٧)

وأنها عامة فى الهداية ودعوة الناس كافة بإرشادهم إلى طريق الخير وتحذيرهم من مسالك الشر:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾

(الأحزاب: ٤٥)

وقد اقتفى الرسول - ﷺ - أثر هذه الجماعية والتساند من منطلق أنها سند القوة، والعاصم من الزلل والوقوع فى الخطأ، وهذا يفسر مطلب الشرع فى تحصين الإرادة الجماعية، وعصمة اجتماع الأمة وسداد رأيها والرشد فى أمرها عن غيره من الصور الاجتماعية الأخرى، يقول رسول الله - ﷺ - «إن أمتى لا تجتمع على ضلالة»[1].

وشدد الرسول على لزوم الجماعة والانضواء تحت لوائها فى قوله: «من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام»[2] والربقة هى الرباط والعهد.

وحفزا على انخراط الفرد فى الجماعة، فقد جعل الرسول - ﷺ - جزاءه الجنة بقوله: «من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة»[3].

والجماعة محوطة بعناية الله ورعايته وتأييده، يقول النبى - ﷺ - «يد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ إلى النار»[4] وذلك لكون الجماعة موطن الحماية والنصرة، وهى ركيزة القوة والمهابة.

فالواقع والمشاهد أن رأى الجماعة وتساندها أعظم قوة وأنفذ بصيرة وأضمن للصواب وأبعد عن الخطأ.

يروى عن على بن أبى طالب، قلت: يا رسول الله الأمر يحدث بعدك لم ينزل فيه قرآن ولم يسمع منك فيه شئ قال: اجعلوه بينكم شورى، ولا تقضوا فيه برأى واحد.

وعلى هدى ذلك أقيمت الأمة فى الإسلام، وأمرت بالالتفاف حول الوحدة، واجتماع الكلمة:

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾

(آل عمران: ١٠٣)

ويثبت التاريخ أن قوة الأمة ومصدر فخارها وتحقيق مجدها وعزها كان فى اتحادها واجتماع أمرها، ونبذ الفرقة

---

(١) رواه ابن ماجه والترمذى.
(٢) رواه أبوداود.
(٣) سنن الترمذى.
(٤) سنن الترمذى.

والتشيع والانقسام، لذلك كان النهي مشددا عن الفرقة، لكونها مجلبة للهزيمة والانكسار والمذلة. يقول تعالى:

﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

(الأنفال: ٤٦)

على هذا النسق الجماعي وفلسفة الإسلام في التوحد شرع أداء العبادات في الإسلام، فقوام العبادات المفروضة الجماعية في الأداء، وهذا مشاهد في الصلاة فإن جميع المسلمين مخاطبون بها، وهي تؤدى في جماعة، ويصطف المصلون كافة إشعارا بمغزاها في ضرورة اجتماع الكلمة والمساواة بين جماعة المؤمنين، وإعلاء لقيمة الجماعية في الأداء، فإن صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة. وفي تكرار أداء الصلوات خمس مرات على هذه الصفة يعبر عن مقصد جوهري في الشرع، هو تكريس قيمة الاجتماع على الأمر، واتحاد الكلمة، ووحدة الصف، باعتباره سبيل الفلاح، ومهابة الأمة في عيون الآخرين.

وتمتد هذه الجماعية إلى غيرها من أركان الإسلام، ففريضة الزكاة وهي مواساة ووفاء بحاجات الفقير، تجب على كل غني مالك للنصاب، وهو القدر من المال الذي تجب فيه الزكاة لصالح الفقراء، وفيها القيام على أمر المعاش وأداء الضروريات لحق هذه الفئة التي تتقاصر جهودها وتفتقر في كسبها عن توفير ضرورات الحياة والقوت اللازم للمعيشة، وهو المعنى الذي دل عليه حديث الرسول - ﷺ - بقوله لمعاذ: «وأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم»(٥) وفي قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾

(المعارج: ٢٤، ٢٥)

وفي قوله: أموالهم أي أموال الأغنياء بصيغة الجمع مما يدل على أنها واجب اجتماعي مفروض على سراة الأمة قياما بحق الفقراء والمعوزين، ولا أدل على أهميته من أن الإسلام شن أول حرب للدفاع عن حقوق جماعة الفقراء في الحصول على ضروريات الحياة التي تكفلها لهم الزكاة زمن الخليفة الأول أبو بكر الصديق، وقوله للمانعين لها: والله لو منعوني عقالا - حبل البعير - كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه.

ويتحقق هذا المعنى في فريضة الصيام، فإن المسلمين جميعا مخاطبون به، وهو دلالة قوله تعالى:

(٥) سنن الترمذي.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

(البقرة: ١٨٣)

إذ الخطاب والوجوب فيه على المؤمنين شهود هذا الشهر ممن لم يقم به عذر أو مانع يحول بينه وأداء الفريضة.

ومثل هذا فريضة الحج، فإنها مفروضة على المسلمين ممن تتوفر لديهم الاستطاعة بالقدرة البدنية والمالية، بقوله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾

(آل عمران: ٩٧)

ولا شك أن حشد جماعة الحجيج في صعيد عرفة في يوم عرفة على هيئة واحدة، لهو تعبير عن التذكير الإلهي بوجوب اجتماع المسلمين في شئونهم الدينية والدنيوية، لأنه سبيل رفعة الأمة، وتعبير عن رسالة الإسلام في عموميتها وعالميتها.

يشعر هذا الاتجاه الإسلامي بأن على الفرد أن ينضم إلى الجماعة، لتحقيق معنى الاجتماع الإسلامي، بحسبان أن الإنسان كائن اجتماعي لا غنى له عن الجماعة في مستوياتها المختلفة، فهناك جماعة الأسرة، وزملاء المدرسة، ورفاق العلم، وأصحاب المهنة، وأهل الحي والمدينة الذين يتشكل منهم المجتمع، ومن توحد المجتمعات الإسلامية في الأقاليم المختلفة تتكون الأمة. وإنه بقدر ما يكون البناء المجتمعي متماسكا وقويا، بقدر ما يقوى صرح الأمة ويكون فذا ومتفردا بين الأمم قاطبة، وهو ما أفصح عنه حديث الرسول - ﷺ - «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»(٦).

وتتجذر الجماعية في بنيان الأمة إلى مدى بعيد، فالحفاظ على كيان الجماعة فريضة مقدسة، لذلك فإن الإبقاء على النفس البشرية، هو بمنزلة الإبقاء على الإنسانية كلها، وبنفس الدرجة يكون قتل أو إزهاق نفس واحدة بمثابة إزهاق أرواح البشر جميعا، وهو ما جاء به الخطاب القرآني:

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾

(المائدة: ٣٢)

والنص القرآني يوسع من مفهوم الجماعية فهي تنبع من محيط الأسرة أو الطائفة أو المهنة أو المجتمع أو الأمة لترتفع إلى مستوى الأممية أو الإنسانية

(٦) صحيح مسلم.



مثل العدوان الإسرائيلى على أسطول الحرية نموذجا لغياب الجماعية فى العمل الإسلامى حيث عجز المسلمون عن حماية أسطول الحرية وعن دعم قطاع غزة

كافة، وهو نداء إلهى برعاية الجماعة الإنسانية لأرباب المدنية الغربية بالكف عن سفك الدماء وقتل الأبرياء، والسعى المتواصل لتفتيت الأمة الإسلامية.

إن الاعتداد بالإرادة العامة والرأى الجماعى هو من مقومات الشرع الإسلامى، ومصدر للتشريع يتصل بالقرآن والسنة، فإذا اتفق مجتهدوا الأمة على رأى واحد يصلح به أمر الدين أو الدنيا فإنه يعتبر حكماً شرعياً وحجة على أن ينظم مسألة أو واقعة أو أمراً من الأمور التى تهم المجتمع، ويعد مصدراً فى بناء الأحكام وتنزيل الأحداث، لأنه سبيل المؤمنين الفاقهين للدين يستحق مخالفه العقاب لقوله تعالى:

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾

(النساء: ١١٥)

ومن الأصول المعتبرة في التشريع يكرس به حق الجماعة مراعاة فرض الكفاية، وهو من الفروض التى تخاطب مصالح الأمة، ويجب أداؤه من مجموع المخاطبين بالإسلام، وتظل الأمة ملتزمة بالقيام به ولا تبرأ ساحتها منه إلا إذا أداه البعض منها وقام بهذه الفريضة، لما له من أثر ونتيجة مطلوبة لتحقيق مصلحة سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية.

ويرتب الشرع على تقاعس المجتمع أو الأمة عن القيام بهذا الواجب المقدس

الإثم، وتعد الجماعة مقترفة لذنب تساءل عنه، لأنها أخلت بفريضة اجتماعية، فالمسئولية الدينية والاجتماعية فرائض دينية ولا يجوز الفصل بينهما أو تنزيل الفريضة الاجتماعية منزلة أقل من نظيرتها الدينية، أساسه أهمية هذه الفريضة في بنيان المجتمع وفى صلاح أحواله وحسن تسيير شئونه.

وفضلاً عن ذلك فإن الفريضة الدينية قد يقتصر خطرها على التقصير فى العلاقة الخاصة بين المسلم وربه، وتقف عند حدود نفسه، ولا يكون فيها أثر ممتد، بينما الإخلال بالفريضة الاجتماعية ممثلة فى فرض الكفاية يتجاوز الضرر فيها إلى مجموع الأمة، وقد يزلزل كيانها، ويقوض بنيانها، كما فى عدم وجود الصناعة أو التكنولوجيا وما على شاكلتها فإن فى عدم الاشتغال بهذه المطالب من شأنه تخلف الأمة وتعريض وجودها للخطر، والتأثير سلباً على أدائها للفرائض الدينية، لأنه لا غنى للأمة عنها لنهضتها كأمة ذات شأن فى المجتمع الدولى.

ويلزم من ذلك إحياء فريضة الجماعية وهى فريضة غائبة فى العمل والحياة المعاصرة للمسلمين، مع ما فيها من قوة لكيان المسلمين ووحدة صفوفهم، وهى سبيل نهضتهم والانطلاق بالأمة على طريق التنمية والتقدم، وتبوئها المكانة اللائقة بها بين مجتمعات الأمة، والخروج بها من حالة التخلف والانبطاح أمام الزحف الغربى نحو التقدم، فإن الأمة الإسلامية تحتاج إلى العمل بروح الجماعة والفريق الواحد، أما ذلك التفرق والتشرذم وابتداع الطائفية والشخصانية والحزبية وعمل كل طائفة أو جماعة وحدها كجزيرة منعزلة عن الآخر، فهو ترسيخ لحالة التبعية والتسول التى لا تخطئها العين فى ظل الأوضاع الحالية للمجتمعات والدول الإسلامية، وهو ما يتبرأ منه الإسلام:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾

(الأنعام: ١٥٩)

ولله الأمر من قبل ومن بعد.



قطوف من ثمار ندوة الفقه الإسلامى بعمان

للأستاذ / عادل خفاجة

فى كتاب ربنا العزيز قوله تعالى:

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾

(النساء / ٩٣)

ومن أقوال رسولنا الكريم - ﷺ -:

«من قطع سدرة صوب الله رأسه فى النار» وسئل أبو داود عن معنى هذا الحديث فقال: هذا الحديث مختصر يعنى من قطع سدرة فى فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثا وظلماً بغير حق يكون له فيها، صوب الله رأسه فى النار.

ولاشك أن منع الإفساد هو الغاية المرجوة من هذين التحذيرين فى الآية الكريمة والحديث الشريف، حتى لو كان هذا الإفساد يتمثل فى قطع شجرة من سدر.

ذلك أن الإسلام حين حرم البغى والإفساد حرمه كله: كثيره وقليله، وحرمه أيا كان توجهه، فكما حرمه أن يقع على بنى البشر فيما رواه النبى - ﷺ - عن رب العزة أنه قال: «يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا»[1].

حرمه - أيضا - أن يقع على الحيوانات، فقال ﷺ: «دخلت امرأة النار فى هرة، ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض»[2].

هكذا نجد الإسلام يتوعد الظلمة والجبارين والمفسدين بأشد العذاب، سواء وقع بغيهم وظلمهم على أحد أفراد الجنس البشرى أو وقع ذلك البغى على أى كائن أو مخلوق من مخلوقات الله فى هذا الكون.

فالإسلام يعلم أتباعه عدم الاعتداء ليس على الجنس البشرى فقط بل يأمرهم بعدم الاعتداء على أى من مكونات هذا الكون والتى منها: الأشجار والأنهار والأحجار.

غاية القول: إن الإسلام يحترم البيئة ويقدرها ويحض أتباعه على حبها، فهذا رسول الله - ﷺ - يقول: «أحد جبل يحبنا ونحبه»[3].

ولاينظر الإسلام إلى البيئة والكون نظرة صراع كما يفعل الغربيون، حيث يتكلمون عن: غزو الفضاء وعن غضب الطبيعة ومن ثم قهر الطبيعة.

إن الإسلام يعلم أتباعه أن ما فى الكون كله مسخر لخدمة الإنسان فهذا قول ربنا:

﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

(الجاثية / ١٢ : ١٣)

من أجل ذلك أثمرت تعاليم الإسلام منظومة حافلة بالاهتمام بالبيئة والحفاظ عليها وتحث على الزراعة وتنهى عن قتل الحيوانات وتهتم بالعمران بصفة عامة.

ومن أجل إظهار ذلك والتأكيد على الجانب الحضارى فى الإسلام كانت تلك الندوة التى توالت جلساتها على مدى أربعة أيام لعرض ومناقشة أربعة وأربعين بحثا تناولت الثراء الفكرى الإسلامى فى جانب العمران.

نقدم للقارىء الكريم ماتيسر لنا عرضه فى تلك الصفحات ونبدأ ببحث الدكتور رضوان السيد «الفقه الحضارى الوظائف والغايات» الذى ذكر فيه أن ابن خلدون كان فقيها مالكياً كبيراً، لكنه عندما أراد فهم تطورات العمران الحضرى أو الحضارى، ما ذكر الفقهاء بين الذين ينبغى اللجوء إليهم، ويرجع الباحث ذلك إلى ثلاثة أمور: أنه كان يعتبر علم الفقه علما معياريا، وهو يقصد إلى العلم الوصفى الذى ينظم المعارف المتنوعة ولا يضعها أو يدعو إليها، ولأن التجربة الفقهية الإسلامية من جهة ثانية دأبها التركيز على الأمور التعبدية والحسبية وهى لا تعنى مباشرة بالشأن الإنسانى العام، وأخيراً لأن الفقيه بقدر ما هو معيارى فى علمه وتوجهاته، هو غائى فى مقاصده، إذ إنه يقصد الإرشاد إلى سبل النجاة فى الدارين، بينما يريد ابن خلدون من وراء اكتشاف سنن وقوانين ومسارات المجتمعات الوصول إلى القدرة على استشراف التطورات، وتصحيح السياسات، والتاريخ.

ثم يذهب إلى القول إن الفكرة الغالبة لدى مؤلفى فقه الحضارة والتمدن من الطهطاوى والتونسى ورفيق العظم فى القرن التاسع عشر، وإلى شكيب أرسلان فى ثلاثينات القرن العشرين أنه وبحسب القرآن الكريم، فإن لتطور المجتمعات الإنسانية تقدما أو انتكاسا سننا وقوانين، وأن المسلمين الأوائل اتبعوها وأبدعوا فيها فنهضوا وسادوا، فى حين خالفها المتأخرون فتراجعوا وتأكلتهم الأمم.

(*) عقدت هذه الندوة بمدينة مسقط تحت عنوان «الفقه الحضارى - فقه العمران» فى الفترة من ١٨ : ٢١ ربيع الآخر ١٤٣١هـ.

(١) صحيح مسلم.

(٢) صحيح البخارى.

(٣) صحيح البخارى.

أما البحث الثانى الذى تخيرناه من هذه المجموعة فهو بحث القواعد الفقهية لفقه العمران لسماحة آية الله أحمد مبلغى الذى أوضح فيه أن فقه الحضارة إنما هو مشروع فقهى كبير لو استقرت دعائمه فسوف يتحول إلى أكبر وأعظم فرع فقهى يتخصص فى تنظيم وتنسيق وترشيد سائر الفروع الفقهية، وإعطاء طابع عولى إليها حتى يتمكن من إدارة حضارية وواعية للمجتمع المعقد المعاصر.

وأوضح سماحته أن هناك قواعد فقهية، تنظر إلى قضية العلاقة والصلة بين الملكية والعمران، وقد عرضها عرضاً سريعاً فى هذا البحث.

من هذه القواعد تلك القاعدة التى تسمى بقاعدة ملكية البشر، وهى تتضمن ملكية البشر كلهم «سواء الجيل الحاضر أم الأجيال الآتية» للأرض كلها.

ومنها قاعدة عدم جواز تعطيل الأرض:

وقد استدل الفقهاء بهذه القاعدة فقال الشوكانى: وقد كره بعض العلماء تعطيل الأرض عن الزراعة لأن فيه تضييع المال.

ثم يتحدث عن أن التنمية المستدامة هى الطريق الوحيد للجمع بين متطلبات عملية رفع ومكافحة الفقر من جهة، وبين احتياجات ومتطلبات حماية البيئة والمحافظة عليها من التخريب من جهة أخرى.

أما الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلى فقد جاء بحثه بعنوان: المصادر التشريعية لفقه العمران غير أنه رأى أن الأفضل أن يكون عنوان البحث «المصادر العلمية لفقه العمران» حيث لا يوجد تشريع إسلامى يتناول هذا الموضوع، لأنه موضوع دنيوى محض، وإن كان له انعكاسات على حياة الناس، عملاً بالحديث الصحيح الذى أخرجه مسلم فى صحيحه عن أنس بن مالك وعائشة «أنتم أعلم بأمر دنياكم» وإن فى هذا تفويض للناس فى أمر العمران، وسائر مصالح الدنيا فى عالم الاقتصاد من زراعة وصناعة وتجارة، وعالم الاجتماع من بناء أسرة، أو مدرسة، أو جامعة، أو معمل، أو انتقال فى وسائل المواصلات وغير ذلك، وهو أيضا دليل واضح على ضرورة العناية بمختلف العلوم الدنيوية، وعلى إحالة قضاياها إلى عقول الأمة وممارساتها، علما بأن تعلم هذه العلوم أحد فروض الكفاية.

والبحث بصفة عامة يعتبر كشاف للمراجع والمصادر التى تناولت فقه العمران أعد لمساعدة الباحثين للوصول سريعا إلى المراجع التى تعينهم على مزيد من البحث فى هذا الموضوع.

وننتقل إلى بحث آخر بعنوان عهد الإمام الصلت بن مالك وعمقه الحضارى للدكتور إسماعيل بن صالح بن حمدان الأغبرى الذى يستهله بتحقيق إسناد ميثاق حقوق الإنسان إلى الإسلام حيث يقول: لقد عنى الإسلام عناية بالغة بحقوق الإنسان، فحفظ دمه وماله وعرضه، ومنع التعرض له بما يزعجه أو يخيفه، فقد روى الإمام الربيع بن حبيب فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال «من روع مسلما روعه الله يوم القيامة» كما جاء عنه ﷺ فيما رواه الربيع «من قتل معاهدا لم يجد ريح الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة خمسمائة عام» ثم يقول: إن الميثاق العالمى الإسلامى لحقوق الإنسان، والذى جاء على لسان نبى الرحمة محمد ﷺ فى آخر حجة حجها والمعروفة بحجة الوداع لهى شاهد حى وملموس على تكريم الإسلام للإنسان أيا كان وكيفما كان، فى حال السلم أو حال الحرب، «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا» وإذا كان العالم اليوم يتغنى بوضعه بعضا من المبادئ المتعلقة بحقوق الناس عامة إلا أن هذه المحاولات لم تزل تتعثر، وفيها من الثغرات ما لا يخفى، وكثير منها انتقائى.

إن قول الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾

(الإسراء/ ٧٠)

نص صريح على وجوب احترام حقوق الإنسان مهما كان دينه أو لونه أو عرقه أو جنسه.

لم تكن تلك الدعوات مجرد شعارات لا تتجاوز السطور أو مجرد أمانى لا أثر لها على الواقع أو أحلام يصعب تحقيقها، وإنما تخلق بها المسلمون سواء أكانوا فاتحين مبشرين أو كان العدو قد غزاهم فى أرضهم، فجاهدوه فى سبيل الله بألسنتهم وأسنتهم من غير حيف ولا جور، ولا أدل على ذلك من بقاء أقليات غير مسلمة فى عقر ديار الإسلام وممالكه، فلم تخفف بتابيع النصرانية فى دمشق وهى عاصمة الدولة الأموية، ولم يصبح النصارى أثرا بعد عين فى بغداد عاصمة الدولة العباسية، ولم يزل منهم باق فى حاضرة الخلافة العثمانية، ولم يكن الإمام الصلت بن مالك الخروصى لينتقض على نصارى سقطرى إلا بعد نقضهم العهد وإخلافهم الوعد، واستباحتهم حرمات المسلمين من دماء وأعرض وأموال.

إن الوثيقة «العهد» الذى كان زمن الإمام الصلت بن مالك الخروصى فى القرن الثالث الهجرى، والذى وجهه لقادة جيشه المتوجهين لنصرة المسلمين المغدور بهم ليجلى حقائق كثيرة، تنبئ عن روح إسلامية وأخلاق محمدية، منها وجوب النصرة، وحماية الأرض والعرض، والذود عن الحياض، وحفظ الدين والذمار مع مراعاة حقوق الإنسان سواء أكان مسلما أو غير مسلم، وسواء أكان فى حال الحرب أو حال السلم.

لقد حوى عهد الإمام الصلت بن مالك دررا وجواهر من القيم والمثل الإسلامية، ويمكن اعتباره وثيقة عالمية فى حقوق الإنسان، وهو مصدر موثوق يعبر عن كيفية تعامل المسلمين مع غيرهم - وإن كان الآخر معتديا.

ويأتى بحث أحكام المياه وتصاريفها الشرعية من خلال كتابى «المصنف وبيان

أما البحث الثانى الذى تخيرناه من هذه المجموعة فهو بحث القواعد الفقهية لفقه العمران لسماحة آية الله أحمد مبلغى الذى أوضح فيه أن فقه الحضارة إنما هو مشروع فقهى كبير لو استقرت دعائمه فسوف يتحول إلى أكبر وأعظم فرع فقهى يتخصص فى تنظيم وتنسيق وترشيد سائر الفروع الفقهية، وإعطاء طابع عولمى إليها حتى يتمكن من إدارة حضارية وواعية للمجتمع المعقد المعاصر.

وأوضح سماحته أن هناك قواعد فقهية، تنظر إلى قضية العلاقة والصلة بين الملكية والعمران، وقد عرضها عرضاً سريعا فى هذا البحث.

من هذه القواعد تلك القاعدة التى تسمى بقاعدة ملكية البشر، وهى تتضمن ملكية البشر كلهم «سواء الجيل الحاضر أم الأجيال الآتية» للأرض كلها.

ومنها قاعدة عدم جواز تعطيل الأرض:

وقد استدل الفقهاء بهذه القاعدة فقال الشوكانى: وقد كره بعض العلماء تعطيل الأرض عن الزراعة لأن فيه تضييع المال.

ثم يتحدث عن أن التنمية المستدامة هى الطريق الوحيد للجمع بين متطلبات عملية رفع ومكافحة الفقر من جهة، وبين احتياجات ومتطلبات حماية البيئة والمحافظة عليها من التخريب من جهة أخرى.

أما الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلى فقد جاء بحثه بعنوان: المصادر التشريعية لفقه العمران غير أنه رأى أن الأفضل أن يكون عنوان البحث «المصادر العلمية لفقه العمران» حيث لا يوجد تشريع إسلامى يتناول هذا الموضوع، لأنه موضوع دنيوى محض، وإن كان له انعكاسات على حياة الناس، عملاً بالحديث الصحيح الذى أخرجه مسلم فى صحيحه عن أنس بن مالك وعائشة «أنتم أعلم بأمر دنياكم» وأن فى هذا تفويض للناس فى أمر العمران، وسائر مصالح الدنيا فى عالم الاقتصاد من زراعة وصناعة وتجارة، وعالم الاجتماع من بناء أسرة، أو مدرسة، أو جامعة، أو معمل، أو انتقال في وسائل المواصلات وغير ذلك، وهو أيضا دليل واضح على ضرورة العناية بمختلف العلوم الدنيوية، وعلى إحالة قضاياها إلى عقول الأمة وممارساتها، علماً بأن تعلم هذه العلوم أحد فروض الكفاية.

والبحث بصفة عامة يعتبر كشافا للمراجع والمصادر التى تناولت فقه العمران أعد لمساعدة الباحثين للوصول سريعا إلى المراجع التى تعينهم على مزيد من البحث فى هذا الموضوع.

وننتقل إلى بحث آخر بعنوان عهد الإمام الصلت بن مالك وعمقه الحضارى للدكتور إسماعيل بن صالح بن حمدان الأغبرى الذى يستهله بتحقيق إسناد ميثاق حقوق الإنسان إلى الإسلام حيث يقول: لقد عنى الإسلام عناية بالغة بحقوق الإنسان، فحفظ دمه وماله وعرضه، ومنع التعرض له بما يزعجه أو يخيفه، فقد روى الإمام الربيع بن حبيب فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال «من روع مسلما روعه الله يوم القيامة» كما جاء عنه ﷺ فيما رواه الربيع «من قتل معاهدا لم يجد ريح الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة خمسمائة عام» ثم يقول: إن الميثاق العالمى الإسلامى لحقوق الإنسان، والذى جاء على لسان نبى الرحمة محمد ﷺ فى آخر حجة حجها والمعروفة بحجة الوداع لهى شاهد حى وملموس على تكريم الإسلام للإنسان أيا كان وكيفما كان، فى حال السلم أو حال الحرب، «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا» وإذا كان العالم اليوم يتغنى بوضعه بعضا من المبادئ المتعلقة بحقوق الناس عامة إلا أن هذه المحاولات لم تزل تتعثر، وفيها من الثغرات ما لا يخفى، وكثير منها انتقائى.

إن قول الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾

(الإسراء/ ٧٠)

نص صريح على وجوب احترام حقوق الإنسان مهما كان دينه أو لونه أو عرقه أو جنسه.

لم تكن تلك الدعوات مجرد شعارات لا تبصر النور أو مجرد أمانى لا أثر لها على الواقع أو أحلام يصعب تحقيقها، وإنما تخلق بها المسلمون سواء أكانوا فاتحين مبشرين أو كان العدو قد غزاهم فى أرضهم، فجاهدوه فى سبيل الله بألسنتهم وأسنتهم من غير حيف ولا جور، ولا أدل على ذلك من بقاء أقليات غير مسلمة فى عقر ديار الإسلام وممالكه، فلم تحقق ينابيع النصرانية فى دمشق وهى عاصمة الدولة الأموية، ولم يصبح النصارى أثرا بعد عين فى بغداد عاصمة الدولة العباسية، ولم يزل منهم باق فى حاضرة الخلافة العثمانية، ولم يكن الإمام الصلت بن مالك الخروصى لينتقض على نصارى سقطرى إلا بعد نقضهم العهد وإخلافهم الوعد، واستباحتهم حرمات المسلمين من دماء وأعرض وأموال.

إن الوثيقة «العهد» الذى كان زمن الإمام الصلت بن مالك الخروصى فى القرن الثالث الهجرى، والذى وجهه لقادة جيشه المتوجهين لنصرة المسلمين المغدور بهم ليجلى حقائق كثيرة، تنبئ عن روح إسلامية وأخلاق محمدية، منها وجوب النصرة، وحماية الأرض والعرض، والذود عن الحياض، وحفظ الدين والذمار مع مراعاة حقوق الإنسان سواء أكان مسلما أو غير مسلم، وسواء أكان فى حال الحرب أو حال السلم.

لقد حوى عهد الإمام الصلت بن مالك دررا وجواهر من القيم والمثل الإسلامية، ويمكن اعتباره وثيقة عالمية فى حقوق الإنسان، وهو مصدر موثوق يعبر عن كيفية تعامل المسلمين مع غيرهم - وإن كان الآخر معتديا.

ويأتى بحث أحكام المياه وتصاريفها الشرعية من خلال كتابى «المصنف وبيان

الشرع» الذى أعده الباحث ناصر بن خلفان بن خميس البادى ليلقى الضوء على هذين الكتابين وما تضمنا من أحكام المياه كمكون رئيس من مكونات البيئة ويلقى الضوء على اهتمام كتابى «بيان الشرع والمصنف» بالجانب الحضارى والعمرانى، ومن خلال دراسة موضوع الماء الذى تناوله الكتابان بالتفصيل، يمكن أن نشير إلى بعض الاستنتاجات من ذلك:

- حرص الفقهاء العمانيين المتقدمين على ربط الحياة كلها بالعبادة، ومن ذلك ربط أحكام المياه بالعبودية لله، وتناولها من جهة شرعية صرفة، فينبغى الاستفادة من ذلك المنهج فى السعى لإيجاد أطر حضارية معاصرة للمسلمين منطلقة من الضوابط الشرعية، حتى ينطلق المؤمن فى بناء الحضارة، بدافع من الإيمان، وكون ما يقوم به عبادة لله عز وجل.

- هناك اهتمام كبير فى كتب الفقهاء العمانيين المتقدمين بمسألة المياه وما يتعلق بها من أحكام وتصاريف، ويحتاج هذا الجهد الكبير إلى إبراز وإظهار، لنستفيد منه فى الوقت المعاصر فى التعامل المنضبط بضوابط الشريعة مع المياه ومصادرها، والذى يكفل بدوره الاستثمار الأمثل لمصادر المياه، والتغلب على مسألة إهدارها والتعدى على مصادرها الطبيعية.

فقد وجد لدى الفقهاء العمانيين ما يمكن أن تسميه اهتمام الإسلام بحماية البيئة، وإن لم يعبر عن ذلك صراحة، ولكنه يلمح من أبوابهم المتعلقة بالمياه، ويمكن أن تخصص دراسات مستفيضة لإبراز ذلك للاستفادة منه.

وأما بحث آداب الطريق بين التأصيل الفقهى والتطبيق العملى لسعادة الشيخ بدر بن سالم بن حمدان العبرى/ سلطنة عمان فقد خلص من بحثه إلى أن:

١- الطريق هو كل سبيل مفتوح للسير العام، سواء للمشاة أو الحيوانات أو لوسائل النقل أو الجر، ويشمل الطرقات والشوارع والساحات والممرات والجسور التى يجوز للناس عبورها.

٢- آداب الطريق هى الأدبيات والأنظمة المتعلقة بحفظ الطريق بما فيه من ممتلكات عامة، ومشاة، وركبان، ودواب، ومركبات، ويضمن بها حفظ الأرواح والأموال، والأعراض.

٣- وضع العقلاء من الإنسانية اليوم نظما وقوانين تنظم أمر الطرق، وهذه القوانين والنظم لها نظائر فى الفقه الإسلامى، مما يدل على السبق الحضارى لهذه الأمة.

٤- السبب الرئيسى فى كثرة الحوادث اليوم، مع زيادة معدلات التثقيف، يعود إلى تغييب البعد العقدى الربانى من هذه العوامل التثقيفية، فأصبحت مادية بحتة لا روح فيها، لذلك تلقاها المجتمع، خاصة فى العالم النامى، على أنها ثقافة عامة يحسن التقيد بها، فكان الالتزام بها من قبل فئة محدودة من المجتمع لا غير.

ويأتى بحث الأستاذ عصام الدين مصطفى الشعار مسئول النطاق الشرعى بشبكة إسلام أون لاين. نت عن: البيئة والحفاظ عليها فى الشريعة الإسلامية فيقول:

ليس عجيبا أن تحظى البيئة فى شريعة الإسلام باهتمام بالغ، فهى ميراث الأجيال، وفيها أودع الله كل مقومات الحياة للإنسان، لذلك أرسى الإسلام الأسس والقواعد والمبادئ التى تضبط وتقنن علاقة الإنسان ببيئته لتتحقق من خلالها العلاقة السوية والمتوازنة التى تصون البيئة من ناحية، وتساعدها على أداء دورها المحدد من قبل الخالق العليم فى إعالة الحياة من ناحية أخرى.

لقد حظيت البيئة بعناية بالغة فى تراثنا الفقهى، ولكن الذى يطالع أبواب الفقه لن يجد النص على هذه التسمية «البيئة» صراحة ولكن الحديث عنها جاء فى أبواب شتى فى الفقه الإسلامى.

فأول ما يتصل بالبيئة من الفقه نجده فى كتاب الطهارة، كما يتضح ذلك فى جملة أحكام ثبتت بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وإجماع الأمة.

ونجد للبيئة ورعايتها علاقة بالحج والحرم والإحرام، وتحريم الصيد وقطع النباتات ونحوها مما يتصل بما يسمى «البيئة المحمية». ونجد للبيئة علاقة بإحياء الموات فى فقه المعاملات، ونجد للبيئة ورعايتها علاقة بالزرع والغرس والمزارعة والمساقاة... إلى آخر هذه الأبحاث المتصلة بالبيئة، وتدخل فى أبواب متفرقة من أبواب الفقه، الذى ينظم الحياة الإسلامية كلها بأحكام الشرع، ويقود الدورة الحضارية للأمة المسلمة باعتبارها أمة صاحبة رسالة ومنهج متميز.

ولقد أجمعت الدراسات التى أجريت حول مشكلات التلوث البيئى على وجود علاقة وثيقة بين إسراف الإنسان فى تعامله مع مكونات البيئة المختلفة وبين التلوث البيئى بجميع أشكاله، كما أن الإسراف يفضى إلى مشكلات بيئية أخرى لا يقتصر تأثيرها على الإنسان وحده بل يمتد ليشمل باقى الأحياء التى تشاركه الحياة على كوكب الأرض.

وفى ختام ورقته استخلص بعض التوصيات نذكر منها:

١- غرس فكرة العناية بالبيئة والمحافظة عليها لدى الناشئة من خلال المناهج والكتب الدراسية، ولكن لا يجب أن يلقى العبء على المؤسسات التعليمية فقط، بل يجب أن تتكاتف الجهود فتقوم الأسرة ومؤسسات المجتمع المدنى بدورها التوجيهى والتربوى.

٢- إصلاح البيئة لن يتحقق إلا إذا صلح الإنسان، لذا لا بد من تنمية الوعى البيئى بتثقيف الجماهير بصفة عامة من خلال المؤسسات الثقافية والمنابر الدعوية والإعلامية.

أما أفلح بن أحمد الخليلى رئيس قسم الدراسات والبحوث بمكتب الإفتاء وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بسلطنة عمان فقد تقدم ببحث بعنوان الحماية الإدارية للطريق- القواعد الشرعية وحماية البيئة تناول فيه العديد من النقاط منها: حرمة الإسراف بشتى أنواعه - فساد الحروب -

الشريعة لا تأذن إلا بالحرب الشرعية - النهي عن التعذيب بالنار - تجنب الإضرار بمن لا علاقة له بسبب الحرب - المحافظة على مكونات البيئة - أن الشريعة تنظر إلى الصناعة على أنها نعمة من الله تتطلب شكرا لا كفرا - حرمة إلقاء مخلفات المصانع في الدول الأخرى، لأن الشريعة تحترم أرض العدو، لأن ملكيتها الحقيقية لله - حسن العلاقة بين الكون والإنسان - إنشاء المحميات الطبيعية .. إلى آخر ما شاء الله له أن يكتب في هذا البحث ثم قال: بعد التطواف السريع في حدائق القواعد الشرعية الحامية للبيئة، والمحافظة لها لعل من المناسب أن أسطر بيراعي بعض الاقتراحات العملية التي تقلل الفساد في الأرض، وإليك أهمها:

١- أن علاج البيئة لا يتم إلا بنظرة الدين، فلا يمكن فصل البيئة ومحاولة علاجها دون نظر في الأدلة الشريعة. لأن ذلك يؤدي في النهاية إلى الخصام الوهمي النكد بين الدين والعلم.

٢- بث المقدمات الدينية التي تعالج البيئة في وسائل الإعلام المختلفة حتى يتقرب العباد إلى الله بصيانة بيئتهم، والعبادة أقوى وسيلة تمكن من حسن التطبيق.

٣- منع التدخين كلية لصيانة الهواء من التلوث، وحفظ النفوس من الأسقام.

وتختتم ببحث فضيلة الشيخ عبدالله بن محمد بن حسن قدعق الهاشمي المكي تحت عنوان مقاصد الشريعة وحماية البيئة-فقه البيئة والكون والكائنات وقد عرض البحث العديد من النقاط التي تثبت اهتمام الشريعة بالبيئة مؤيدا كلامه بنصوص من القرآن والسنة المشرفة حيث تكلم عن: عدم الإضرار بالبيئة وإحياء الموات وإقامة المحميات والغرس والزرع النهي عن قطع الشجر وإحياء الحسير وإنقاذ حياة الحيوان والنهي عن قتل أنواع من الحيوانات وتوفير الحياة الآمنة وحماية المصالح العامة والنظافة وإماطة الأذى عن الطريق والاحتياط من الحرائق ومنع انتشار الأوبئة والأمراض ثم خلص إلى أن البيئة خُلقت مهيأة لتحقيق مصلحة الإنسان وتوفير حاجاته، وإن الله تعالى خلقها بطريقة تفرض عليها أن تتكامل وتتعاون مع بعضها البعض، ومن ثم فالحفاظ على أن يؤدي كلٌ من مكونات البيئة دوره المنوط به يعتبر أمراً شرعياً، وذلك حتى لا يحدث خلل في الكون. ولابد في سبيل ذلك من تربية النشء على الوعي البيئي، وتبصيره بحقيقة الموقف الإسلامي الأصيل من البيئة ورعايتها، وتثقيف الجماهير عبر وسائل التثقيف المختلفة، وإيقاظ الضمير الديني في رعاية البيئة ،مع إتاحة الفرصة أمام الضمير الاجتماعي المتمثل في الرأي العام ليمارس دوره في هذا الشأن، كذا سن بعض القوانين والتشريعات التي تحافظ على البيئة من عبث العابثين، وإيجاد قنوات من التعاون الفاعل مع المؤسسات الدولية والإقليمية المهتمة بالبيئة.

بين الصحف و المجلات

إعداد

أ/ محمد جمعة

أ/ علا عبدالرحمن

البحرية الإسرائيلية تضرب أسطول الحرية

تحت عنوان «البلطجة الإسرائيلية .. وازدواج المعايير» كتب الأستاذ محمد علي إبراهيم مقاله المنشور في جريدة الجمهورية بعددها الصادر بتاريخ ١ / ٦ / ٢٠١٠م يقول فيه:

جريمة إسرائيلية جديدة أضيفت إلى سجل جرائمها المفعم بالوحشية واللامبالاة واحتقار كل القوانين والأعراف الدولية.

اقتحام البحرية الإسرائيلية لأسطول المساعدات الإنسانية المتجه إلى غزة والمعروف باسم أسطول الحرية وقتلها أكثر من ٢١ شخصاً وإصابة ما يزيد على ٦٠، يؤكد أن الدولة العبرية لا يحكمها قانون أو شرائع .. لا تعرف ديناً ولا أخلاقاً .. لا تنتمي إلى الدول المحترمة ولكنها أصبحت أقرب إلى العصابات وقطاع الطرق.

إسرائيل تملك حجة دائمة تشهرها في وجه الاعتراضات التي تنهال عليها من كل حدب وصوب .. أمن إسرائيل .. لكن ما هو الأمن الذي هددته قافلة مساعدات إنسانية؟ ما الذي دفع البحرية الصهيونية إلى اقتحام القافلة في المياه الدولية ..؟! قافلة المساعدات الإنسانية كانت على بعد ٦٥ ميلاً من المياه الإسرائيلية! لكن فجأة أطلقت إسرائيل النيران فقتلت من قتلت وأصابت من أصابت ثم اعتقلت أفراد القافلة وقادتهم إلى إسرائيل .. منطق عصابات .. وبعيداً عن البلطجة الإسرائيلية المعتادة أريد أن أتوجه بسؤال للمجتمع الدولي ولأمريكا بالذات: ماذا ستفعلون مع إسرائيل؟ كلمات شجب وإدانة ثم تنسون الصفعة التي وجهتها إسرائيل للرئيس الأمريكي باراك أوباما نفسه.

لقد أعلنت سنثيا ماكيني عضوة الكونجرس الأمريكي السابقة والحاصلة على جائزة نوبل أن الرئيس الأمريكي أوباما أبلغ إسرائيل بأن تترك قافلة المساعدات الإنسانية تمر بما عليها من معونات غذائية ومواد بناء .. لكن مناشدة أوباما لإسرائيل ذهبت أدراج الرياح واعتقلوا أفراد القافلة ومنهم سنثيا نفسها.



جريمة إسرائيل هذه المرة تختلف عن جرائمها السابقة، فهى موجهة ضد العالم كله.. ضد ناشطين لحقوق الإنسان من ١١ دولة.. ضد أفراد ليسوا فى حالة عداء معها.. ضد البشرية جمعاء.. إسرائيل تقول للعالم كله لا تفكروا فى مساعدة الفلسطينيين.. مزاجنا هو الذى يتحكم فى توقيت المساعدة.. لا يصح أن تقدموا شيئاً لهم دون إذن منا.. لكن المشكلة أن إسرائيل كانت قد وافقت ضمناً على دخول القافلة.. وفجأة غيرت رأيها.. قتلت وأصابت وأسرت الناشطين جميعاً.. هذه هى على حقيقتها.. مزاج دموى متقلب يجور على الجميع.

ثم يقول الكاتب:

كل ما حدث فى جريمة إسرائيل بيان هزيل من البيت الأبيض يعرب عن أسفه لسقوط ضحايا ومصابين.. فرق كبير بين الأسف والإدانة.. أمريكا لا تجرؤ على إدانة إسرائيل.. الأسف الكلمة الوحيدة التى يعرفها القاموس الأمريكى والأوروبى إذا ما تعلق الأمر بإسرائيل..

جريمة حرب جديدة

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ خالد إمام فى جريدة المساء الصادر فى ١ / ٦ / ٢٠١٠م يقول:

كل يوم يتأكد للدنيا بأسرها أن إسرائيل هى الدولة الوحيدة المارقة فى العالم.. دولة لا تحترم قانوناً ولا معاهدات دولية ولا قرارات للأمم المتحدة ولا حقوق إنسان.. دولة تنفض يديها من جريمة حرب لتدخل فى أخرى وكأنها تتسلى بلعبة لذيذة..

صدم العالم كله بعملية قرصنة بحرية ارتكبتها إسرائيل وتدخل ضمن جرائم الحرب.. حيث أغارت سفنها الحربية على «أسطول الحرية» المتجه إلى قطاع غزة وضربته بالصواريخ مما أسفر عن سقوط ١٩ شهيداً وأكثر من ٣٦ مصاباً كلهم من المدنيين العزل الذين ينتمون إلى ٤٠ دولة.

لقد فرضت إسرائيل ستاراً حديدياً حول منطقة العمليات بعد أن اعتقلت من بقي حياً من «أسطول الحرية»، وأصدرت أمراً عسكرياً للإعلام بعدم الخوض فى جريمتها.. كما تحاول تبرير الجريمة بسذاجة للخروج من المأزق أمام العالم.

إن هذه الجريمة النازية التى ارتكبتها إسرائيل تكشف العديد من المغالطات الصهيونية:

■ أولاً: تحاول إسرائيل الآن وكعادتها تسويق رواية لا يمكن أن تنطلى على أحد.. حيث تدعي أن ضربها لأسطول الحرية فرض عليها فرضاً.. فقد ادعى وزير «الحرب» الإسرائيلى أن أعضاء القافلة بادروهم بالعنف أولاً.. وبالتالى لم يكن هناك مفر من الرد عليهم!!

رواية هابطة تخرج فاشل.. لأن السؤال الذى يفرض نفسه هنا: وهل كان أعضاء القافلة يحملون صواريخ مثلاً مما كان يستدعى ضربهم بالصواريخ؟

إنهم مدنيون.. وسفنهم تم تحميلها من قبرص أمام العالم كله وتأكد أن بها مساعدات إنسانية وكراسى للمعوقين ويشارك فيها أناس من ٤٠ دولة.. فهل هذه أسباب ليكون الرد هو الضرب بالصواريخ؟!

■ ثانياً: سوف استند إلى ما ذكرته صحيفة هاآرتس الإسرائيلية من أن سفن سلاح البحرية الإسرائيلية اتصلت بسفن أسطول الحرية ودعتها إلى التعريف بنفسها والابتعاد عن «المياه الإقليمية الإسرائيلية»!!!

إن أسطول الحرية كان بالقرب من شواطئ غزة وليس إسرائيل.. فهل شواطئ غزة أصبحت مياهاً إقليمية إسرائيلية؟ وهل الاحتلال يسلب هوية وحقوق الأرض وأصحابها؟

إن غزة فلسطينية عربية تحت الاحتلال.. ولا يجوز أبداً لقوات الاحتلال تجويع الشعب المحتل أو محاصرته أو منع المساعدات الإنسانية عنه.

■ ثالثاً: فرض إسرائيل لستار حديدى عسكرى حول العملية القذرة حتى لا تتسرب أية معلومات عنها يكشف تعمدها استخدام القوة المفرطة وغير المبررة والتى تصل إلى حد جريمة الحرب.. وإلا كانت قد أعلنت كل شيء بصراحة وشفافية وديمقراطية تتشدق بها كذباً.. بل وجلبت هى وسائل الإعلام العالمية لتغطية الأحداث.

■ رابعاً: اعتدنا من إسرائيل ارتكاب المجازر وأن يهيج العالمان العربى والإسلامى وسط صمت أمريكى غربى مثل صمت القبور.. ويوماً بعد يوم يهدأ كل شيء وتصبح الجريمة مجرد حادث عابر!

هذه الجريمة ارتكبت ضد ٤٠ دولة.. والمواجهة أصبحت اليوم بين إسرائيل والعالم كله.. ولن تستطيع إسرائيل أن تقف فى وجه العالم حتى ولو كان وراءها أمريكا.

والآن.. ما هو المطلوب بعد هذه القرصنة البحرية وجريمة الحرب الشنعاء؟

المطلوب أمران محددان: الأول إدانة دولية لإسرائيل، والثانى رفع الحصار عن شعب غزة.

ونحن كمصريين مع أهالى غزة قلباً وقالباً وحتى آخر المطاف.. وهو موقف شعبى ورسمى أكد عليه الرئيس حسنى مبارك فى نيس.

مَنْ يعاقب إسرائيل

وتحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ مكرم محمد أحمد مقاله المنشور بجريدة «الأهرام» بتاريخ: ٢/٦/٢٠١٠م يقول فيه:

ما حدث لقافلة الإغاثة التى تعرضت لعدوان إسرائيل البشع فى المياه الدولية هو أحط صور إرهاب الدولة، وأكثرها اجتراء على حقوق الإنسان وقواعد الشرعية والقانون الدولى وشرائع الأديان، وقيم المجتمع الإنسانى، وهو بكل المعايير جريمة حرب ينبغى أن يحاسب عليها وزير الدفاع الإسرائيلى إيهود باراك، الذى لا يقل خسة عن حليفه بنيامين نتنياهو وأن تلقى إسرائيل بسببها عقاباً رادعاً.. لكن من الذى يجرؤ ومن الذى يستطيع عقاب إسرائيل المشمولة بحصانة دولية خاصة، تمكنها من أن تكون الدولة الوحيدة التى تملك سلاحاً نووياً لا يخضع لتفتيش الوكالة الدولية، بينما يخضع للتفتيش ١٨٩ دولة تشكل المجتمع الدولى.. وتمكنها من تدمير قطاع غزة، المنازل والمزارع والمصانع والمصالح والدور، فى حرب وحشية غير متكافئة.

وبرغم أن العدوان الإسرائيلى يزداد شراسة لا يزال المجتمع الدولى عاجزاً عن عقاب إسرائيل، ولا أظن أنه سوف يستطيع بعد أن تمكنت إسرائيل من كسر إرادة الرئيس الأمريكى، وإلزامه بأن يبتلع وعوده عندما طالب بضرورة وقف بناء المستوطنات قبل استئناف أى تفاوض فلسطينى ـ إسرائيلى، وربما تستطيع إسرائيل أن تفلت من العقاب كما حدث فى كل المرات السابقة، لكن ما من شك أن الولايات المتحدة سوف تدفع بالضرورة ثمن فواتير إسرائيل التى كشفت قبح السياسة الأمريكية وهوانها على نفسها وقبولها البائس تدمير مصداقيتها.

ردود أفعال الصحف العالمية

فى حين قامت جريدة الوفد بترجمة عدة تقارير لعدد من الصحف العالمية وذلك فى عددها الصادر بتاريخ ٢/٦/٢٠١٠:

■ الواشنطن بوست:

تحت عنوان «إدانة الهجوم الإسرائيلى... تعقد العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية» قالت صحيفة «الواشنطن بوست» الأمريكية: إن الإدانة العالمية للهجوم الإسرائيلى المميت على أسطول المساعدات المتجهة إلى غزة سيعقد جهود إدارة أوباما فى تحسين العلاقات المتوترة مع إسرائيل..

وقالت الصحيفة: إن إسرائيل كانت على أرضية «هشة سياسياً» حتى قبل هذا الهجوم وذلك بعد اتهام الحكومة الإسرائيلية باستخدام جوازات سفر مزورة فى اغتيال عميل حماس (محمود المبحوح) فى دبى، فإن بريطانيا واستراليا قررتا طرد دبلوماسيين إسرائيليين فى أعقاب عملية الاغتيال التى من المعتقد أن الموساد الإسرائيلى يقف وراءها..

وعن آثار الهجوم على العلاقات الإسرائيلية التركية، قالت: إن الضجة المثارة حول الهجوم يمكن أن تتسبب فى ضرر لا يمكن إصلاحه فى علاقات إسرائيل بتركيا نظراً لأن العديد ممن كانوا على متن أسطول الحرية أتراك..

الوول ستريت جورنال:

أكدت صحيفة «الوول ستريت جورنال» الأمريكية أن الهجوم الإسرائيلى على أسطول الحرية سيؤدى إلى المزيد من الصعوبات

الدبلوماسية لرئيس الوزراء الإسرائيلى نتنياهو..

وأضافت بقولها: إن هجوم الكوماندوز الإسرائيلى على السفن أسقط نتنياهو فى أسوأ أزمة دبلوماسية يواجهها منذ توليه منصبه فى وقت مبكر من العام الماضى.. ويقول محللون إن الحادث يمكن أن يكون له آثار بعيدة وغير مقصودة على قضايا أمن إسرائيل..

دير شبيجل:

قالت مجلة «دير شبيجل» الألمانية: إن إسرائيل سقطت فى الفخ وكان رد فعلها مبالغاً فيه بشكل كبير، بعد هجومها على أسطول الحرية المتجه إلى قطاع غزة.

وأكدت المجلة أن الهجوم إضافة إلى كونه مأساة إنسانية يمثل ـ أيضاً ـ كارثة سياسية على إسرائيل، ومنح منتقدى إسرائيل حول العالم ذخيرة إضافية.

وقالت: إنه حتى ولو كان نشطاء السلام على متن أسطول الحرية قد قاوموا الجنود الإسرائيليين كما تقول إسرائيل فإن رد فعل إسرائيل، الدولة التى تعلن التزامها بالقانون لم يكن ملائماً تحت أى ظرف من الظروف، فهناك شىء واحد مؤكد وهو أن إسرائيل تعاملت بلامبالاة مع أهم مبادئ استخدام القوة فى البحر، وهو تناسب القوة العسكرية.

الإندبندنت:

قالت صحيفة «الإندبندنت» البريطانية: إن الهجوم على أسطول الحرية يمثل ضربة قوية للعلاقات بين إسرائيل وتركيا..

وأضافت بقولها فى مقال لـه باتريك كوكبورن: إن العلاقات بين إسرائيل وتركيا وصلت إلى أدنى مستوياتها التاريخية، فى ظل وصف رئيس الوزراء التركى رجب طيب أردوغان للهجوم الإسرائيلى بأنه إرهاب دولة، وخروج أكثر من ١٠ آلاف متظاهر إلى شوارع اسطنبول احتجاجاً على الهجوم ومحاولة بعضهم اقتحام القنصلية الإسرائيلية..

الجارديان:

وصفت صحيفة «الجارديان» البريطانية الهجوم على أسطول الحرية المتجه إلى غزة بأنه سيكون هدفاً كارثياً أحرزته إسرائيل فى مرماها.

وأضافت بقولها فى تحليل إخبارى كتبه محلل شئون الشرق الأوسط «أيان بلاك»: إن التقدم الضئيل الذى تحقق فى الشرق الأوسط سيواجه عقبات جديدة بعد مقتل النشطاء وهم فى طريقهم إلى غزة.

ووصفت «الجارديان» الهجوم الإسرائيلى بأنه كان أفضل هدية لألد أعداء إسرائيل بعد المجزرة التى ارتكبتها بحق نشطاء أسطول الحرية فى المياه الدولية.. وانتقدت الصحيفة الحصار الذى تفرضه إسرائيل على غزة وقالت: إنه لم يحقق أى من أهدافه، فلم يؤد الحصار إلى الإطاحة بحركة حماس ولم يتوقف إطلاق الصواريخ على إسرائيل، كما أن الموقف الإنسانى المتدهور فى غزة أدى إلى إلحاق المزيد من الأضرار بسمعة إسرائيل الدولية.

عن الأمن المائى

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ كمال جاب الله فى جريدة «الأهرام» الصادرة فى ٢٧/٥/٢٠١٠م يقول:

بمناسبة أزمة توزيع المياه فى منطقة حوض النيل، اطلعت على عرض كتاب مهم يحمل عنوان «الأمن المائى والغذائى العربى.. المياه فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.. بدائل الحروب والتنمية»..

مؤلف الكتاب هو المهندس زياد خليل الحجار والناشر دار النهضة اللبنانية، وقامت بعرضه دورية «النفط والتعاون العربى» التابعة لأوبيك»..

يبحث الكتاب فى شأن الأمن المائى، ويتضمن أربعة فصول، تتناول وجود المياه فى الطبيعة.. المياه فى الوطن العربى، سيناريوهات استخدام المياه وكلف التنمية.. وأخيراً.. مشاريع التنمية المائية وحروب المياه ودور القوانين والسياسة الدولية..

وفقاً للكتاب الصادر فى عام ٢٠٠٩ فإن الموارد المائية العربية المتجددة تقدر بنحو ٣٥٠ مليار مترمكعب سنوياً، يؤمن نهر النيل منها ٨٤ مليارا، ونهر الفرات ٣٠ مليارا، ونهر دجلة ٤٠ مليارا.

وتتوزع مصادر المياه الجوفية على ثلاثة أحواض كبيرة هى العرق الشرقى جنوب جبال الأطلس فى الجزائر، وتقدر كمية المياه المخزنة فى هذا الحوض بنحو ١٤٠٠ مليار مترمكعب.. حوض النوبة بين مصر وليبيا والسودان بنحو ٧ تريليونات مترمكعب، ويغذى هذا الحوض العديد من الواحات الصحراوية مثل الخارجة والداخلة والفرافرة فى مصرـ كما يمد أيضاًـ النهر الصناعى العظيم فى ليبيا، الذى ينقل المياه الجوفية من الحوض باتجاه الشمال بمعدل ٧٠٠ مليون مترمكعب سنوياً.. وأخيراً هناك حوض الديس بين الأردن والسعودية، فضلاً عن أحواض أخرى أقل أهمية تتيح كميات من المياه تزيد قليلاً على ١٥ مليار مترمكعب.

المصدر الأخير للمياه فى الوطن العربى هو مياه البحار غير المحدودة، حيث تجرى تحلية مياه البحار فى دول الخليج العربى على نطاق واسع، إضافة لذلك هناك مياه الصرف الزراعى والصحى المعالجة، وتقدر بنحو ٦ مليارات مترمكعب.

بلغ نصيب الفرد من المياه فى الوطن العربى قرابة ٣٤٣٠ متراًمكعباً فى عام ١٩٦٠ تناقص إلى ١٤٣٠ فى عام ١٩٩٠ ويتوقع أن ينخفض إلى ٦٦٧ متراًمكعباً فى عام ٢٠٢٥.

فى ورقة عمل مقدمة لمنظمات المجتمع المدنى المهتمة بقضايا المياه حذر أحد التقارير من خطورة بلوغ ١٩ دولة عربية مرحلة الفقر المائى خلال الأعوام العشرة المقبلة، حيث تشير دراسات الأمم المتحدة إلى أن نصيب الفرد سيقل إلى ما دون ١٠٠ مترمكعب سنوياً وهو مقياس المنظمة الدولية لدرجة الفقر المائى تختلف دول العالم.

إسرائيل.. إسرائيل والنيل

تحت هذا العنوان جاءت افتتاحية الأهرام العربى الصادرة بتاريخ ٢٩ / ٥ / ٢٠١٠م.. تتضمن ما يلى:

فجأة انفجرت قصة مياه النيل فى وسائل الإعلام العالمية.. ولأن الموقف جد خطير، سألنا أحد خبراء الاستراتيجية المصرية اللواء الدكتور/ محمود خلف عن رؤيته لما يجرى،

بوصفه خبيراً مصرياً من قلب هذه التربة، فقال: أولاً إسرائيل فى كل شبر من دول حوض النيل، وهى التى تقف وراء كل ما يجرى فى هذا الإطار واستدرك قائلاً: ليس هذا فحسب، بل إنها جاءت بالأمريكيين إلى القرن الأفريقى، فالأمريكيون لم يكونوا مهتمين فى البداية بهذه المنطقة حتى نبهتهم إليها إسرائيل، ولديها أى إسرائيل - ندرة مياه، وتريد أن يصل إليها النيل وتكون الضامن لوصوله مصر.

.. إن إسرائيل بالفعل تريد أن تكون مسألة المياه فى الشرق الأوسط ضمن مفاوضات الوضع النهائى فى فلسطين، وفى آخر لقاء بين المبعوث الأمريكى للسلام جورج ميتشيل وبنيامين نتنياهو حول المفاوضات غير المباشرة بين الإسرائيليين والفلسطينيين خصص نتنياهو ثلاثة أرباع الوقت لمناقشة ملف المياه فى الشرق الأوسط مع ميتشيل بحضور خبراء إسرائيليين..

فما علاقة المفاوضات الفلسطينية ـ الإسرائيلية بملف المياه فى الشرق الأوسط؟!

إسرائيل تهود قصص الأطفال!!

تحت هذا العنوان نشر الأستاذ/ معتز أحمد تحقيقه المنشور فى جريدة «الأهرام العربى» الصادرة بتاريخ ١٥ / ٥ / ٢٠١٠م.. يقول فيه:

لا تترك إسرائيل أى فرصة إلا وتستغلها من أجل تحقيق مصالحها وأهدافها الخبيثة، والتى تهدف إلى تهويد كل شىء، حتى وإن كان قصص الأطفال صغار السن، وهو ما كشفته صحيفة «يديعوت أحرونوت» التى نشرت أخيراً تقريراً أشار إلى أن العديد من الجماعات والمنظمات الصهيونية واليهودية العالمية قامت خلال الفترة الأخيرة بتمويل نشر عدد من قصص سوبرمان المصورة، وهى تظهر أعداء إسرائيل واليهود فى أسوأ الصور، وكأنهم قوى الشر التى يجب القضاء عليها، فى حين يظهر اليهود وإسرائيل فى صورة الدولة الطيبة التى لا تترك الفرصة إلا وتعمل على نشر الحب والخير بين أرجاء العالم..


ياسر عرفات

ومن أبرز هؤلاء الأعداء هتلر وكل من عادى اليهود بمن فيهم عدد من الأبطال العرب فى القصص الخيالية مثل الرئيس عرفات أو يحيى عياش المناضل الفلسطينى، أو المناضل الجزائرى محمد بوضياء الذى أذاق إسرائيل الأمرين بسبب عملياته المتميزة ضد الكثير من أهدافها التى نجح فى القيام بها بأوروبا والعالم، ولم تترك إسرائيل ـ بالطبع ـ الرموز الدينية الإسلامية التى طالما انتقدتها مثل الشيخ أمين الحسينى مفتى القدس الراحل والذى تتهمه ومنذ فترات طويلة بأنه لعب أدواراً مشبوهة فى التعاون مع المسئولين النازيين بزعامة هتلر، وقامت وزارة الخارجية الإسرائيلية بزعامة ليبرمان بإرسال عدد من الصور التى تظهر الحسينى وهو يجتمع مع كبار المسئولين العسكريين النازيين وعلى رأسهم هتلر.

وتعرض العديد من هذه القصص المصورة المشار إليها الحاج أمين الحسينى فى صورة العدو الشرير الذى يرغب فى قتل وخنق الأطفال

اليهود من صغار السن إلا أن البطل سوبر مان وبالتعاون مع ملائكة الرحمة من السماء ينجحون فى إحباط هذه المحاولات الشريرة من الحسينى وأصدقائه من النازيين.

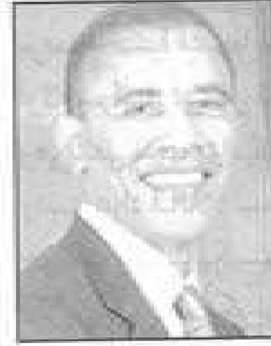
ولم يسلم رجال الدين المسيحى ـ أيضاً ـ من هذه المحاولات الهادفة إلى تشويه صورتهم، حيث حاولت إحدى هذه القصص النيل والاستهزاء بعدد من رجال الدين فى كنيسة القيامة وبعض من الكنائس المسيحية الأخرى ممن يرفضون التعاون مع إسرائيل.. غير أن النقطة الأهم فى هذه القصص المصورة التى يظهر من أسلوب طباعتها الفاخرة أنها مكلفة للغاية أن هناك محاولات حقيقة لانتقاد العرب والفلسطينيين، وتضيف الصحيفة أن الأهم من كل هذا أن الإنجاز المهم الذى حققته هذه الروايات تمثل فى نشرها فى ألمانيا وإقبال الأطفال والشباب الألمانى عليها..

الأخطر من هذا أن هذه الروايات تُصدّر إلى أوروبا، ويُعرض فيها الكثير من العرب فى صورة الإرهابيين الراغبين فى الفتك بالعالم وقتل الأبرياء وهو ما سيساعد على «غسل عقول» هؤلاء الأطفال ودفعهم إلى كراهية العرب، وحب إسرائيل واليهود...

أين وعود أوباما؟!

تحت عنوان «أيام أوباما العصيبة» كتب الأستاذ/ محمود التهامى مقاله المنشور بمجلة «روزاليوسف» الصادرة بتاريخ ٢٩/ ٥/ ٢٠١٠م.. يقول فيه:

الوجود الأمريكى المباشر فى الشرق الأوسط وفى شرق آسيا مصدر قلق لدول كثيرة فى العالم وعلى وجه الخصوص روسيا والصين، فرغم انحسار حقبة الحرب الباردة إلا أنها لم تنته تماماً بل الواقع أنها ـ أى الحرب الباردة ـ تغير اسمها فقط إلى حرب المصالح، لكن الصراع لا يزال قائماً ومتواصلاً..


أوباما

كل ما يهم تلك الدول فى الوقت الحالى هو إبعاد القتال عن أراضيها ونقل المعارك إلى أراضى دول أخرى لديها مشكلات طائفية أو عرقية تكون مثالية لتغذية الفتن وإشعال الحروب بها واتخاذها ميداناً لجذب الذين يرغبون فى منازلة القوى الكبرى بعيداً عن أراضيها..

لا أظن أن الحرب فى العراق يمكن أن تنتهى نهائياً ويسود الاستقرار السياسى، مادام الوجود الأمريكى قائماً هناك، لا أظن أن الصين أو روسيا أو حتى باكستان ستسمح بوجود عسكرى أمريكى مستقر فى أفغانستان، وربما يزداد الموقف تعقيداً إذا لم تجد إيران الشجاعة والقدرة على حل عقدة ملفها النووى، وإلا ستدخل حتماً فى قائمة الدول المرشحة لتكون مسرح قتال بديلاً للقوى العظمى فى العالم..

فى اعتقادى أن انتظار القوى المحلية والإقليمية الراغبة فى الاستقرار أن يأتيها الحل لمشكلاتها عن طريق الدول الكبرى وهم كبير، فليس للدول الكبرى الآن مصلحة فى تحقيق الاستقرار..

ويقول الكاتب: دعونا نتساءل: أين وعود أوباما بالانسحاب من أفغانستان مثلاً؟!.. ولماذا

عاد وتورط فى الحرب على الإرهاب التى شنها سلفه وكان أوباما ضدها حين كان مرشحاً؟!..

لماذا تراجع عن إلزام إسرائيل بالقانون الدولى فيما يتعلق بالأراضى المحتلة، والملف النووى الإسرائيلى؟!.. لماذا الأمريكيون على وشك إشعال حرب بين الكوريتين بسبب البارجة الجنوبية الغارقة؟!..

تطبيقاً لتلك السياسات حذر الرئيس الأمريكى أوباما مؤخراً من أن الولايات المتحدة تعترضها «أيام صعبة» فى أفغانستان، بسبب تواصل ضربات ميليشيات طالبان مؤكداً أن التهديدات التى تمثلها خلايا القاعدة بجميع أنحاء العالم «لن تزول قريباً»..

برر الرئيس الأمريكى، فى كلمة أمام خريجى كلية ويست بوينت فى نيويورك، الغزو الأمريكى لأفغانستان فى أواخر عام ٢٠٠١ بأن الحرب بدأت لأن مدن الولايات المتحدة ومواطنيها تعرضوا لهجمات من قبل متطرفين عنيفين يخططون من على بعد، والأمر يستمر لأن التخطيط متواصل حتى يومنا هذا، على حد قوله.. وقال: إنه على الرغم من تغيير طبيعة الحرب خلال الأعوام التسعة التى استغرقتها، إلا أنها تظل على نفس القدر من الأهمية كما كان الحال بعد هجمات ١١/ ٩ عام ٢٠٠١ على الولايات المتحدة.

أشار أوباما أيضاً إلى أنه مع نهاية الحرب فى العراق، فإن السبيل أمام الولايات المتحدة هو الضغط قدماً فى أفغانستان، لكن من قال إن الحرب فى العراق قد انتهت؟!!!

فيما يخص القاعدة، شدد الرئيس الأمريكى على أنه على الرغم من النجاح فى القضاء على قيادات التنظيم مؤخراً، إلا أن الحركة تواصل جهود تجنيد عناصر للانضمام إلى صفوفها، وأشار إلى المحاولة الفاشلة لتفجير طائرة فى مدينة «ديترويت» بالإضافة إلى محاولة تفجير سيارة مفخخة فى «تايمز سكوير»، كما تحقق السلطات الأمنية مع الأمريكى من أصل باكستانى، بتهمة محاولة تفجير الساحة التى تعد من معالم نيويورك بسيارة مفخخة.

تأتى تصريحات أوباما إثر مخاوف، يقال إنها جدية، من نقل حركة طالبان عملياتها ضد الولايات المتحدة إلى خارج الأراضى الباكستانية، بعدما وجهت أجهزة استخباراتية أمريكية بقوة أن حركة طالبان باكستان تخطط بنشاط وفاعلية لضرب أهداف أمريكية وراء البحار!!!

حق العودة

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ أمين محمد أمين فى جريدة «الأهرام» الصادرة فى ٢٣/ ٥/ ٢٠١٠م.. يقول:

بهدوء.. استقبل العالم العربى والإسلامى الذكرى ٦٢ لنكبة الشعب الفلسطينى ١٥ مايو عام ١٩٤٨ بطرد آلاف الفلسطينيين خارج ديارهم وتحويلهم إلى لاجئين مازالوا يعيشون فى مخيمات الشتات فى الأردن ولبنان وسوريا والعراق، إلى جانب الهجرة

لمصر ودول الخليج، لتتضاعف أعدادهم إلى أكثر من خمسة ملايين لاجئ، فلسطيني في انتظار تنفيذ قرار الشرعية الدولية رقم ١٩٤ بحق العودة، الذي لم تلتزم إسرائيل بتنفيذه مثل العديد من القرارات الدولية الصادرة بحق الشعب البطل الصامد، ولم تُنفذ، ولم تُفرض على إسرائيل العقوبات الدولية.. والأخطر هو ما تقوم به إسرائيل من التنفيذ التدريجي للترنسفير بترحيل فلسطينيّ عرب ١٩٤٨ المتمسكين بأراضيهم التي استولت عليها إسرائيل داخل حدود الدولة العبرية.. بترحيلهم إلى ما تبقى من الأراضي الفلسطينية المشتتة والمنفصلة بين الضفة الغربية وغزة إلى جانب ما تسعى إليه من ترحيل فلسطينيّ الضفة إلى غزة المزدحمة بالسكان، تمهيداً لترحيل الجميع إلى دول الجوار ليتحول ٩ ملايين فلسطيني بالداخل وفقاً لآخر تعداد للجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني إلى لاجئين بعد أن تحقق إسرائيل أطماعها في إقامة دولة إسرائيل اليهودية الديمقراطية التي لا يحق لغير أبناء الديانة اليهودية الإقامة فوق أرض الميعاد!!

وعلى الرغم من رفع فلسطينيّ غزة للشعار لن تنسى في إحيائهم لذكرى النكبة وحمل نموذج لمفتاح العودة للاجئين، فإن الانشقاق الفلسطيني بين فتح وحماس كان له جانب من الاحتفال باعتصام عدد كبير من الشخصيات الفلسطينية المستقلة في مخيم بشمال غزة مطالبين بسرعة تحقيق المصالحة الفلسطينية رافعين شعار «المصالحة حتى لا نعيش نكبة جديدة»، وهو ما يدعو


أبو مازن

أصحاب القضية والمفاوض الفلسطيني إلى التمسك بحقوقهم المشروعة وفي مقدمتها حق العودة إلى جانب الحق في استعادة جميع الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة عام ١٩٦٧، وإقامة الدولة الفلسطينية غير منزوعة السيادة والقدس الشرقية عاصمة لها.. والأهم هو حياد راعي السلام الأمريكي الذي قدم أخيراً لإسرائيل ٢٠٥ ملايين دولار لإنشاء «القبة الحديدية» لحمايتها من صواريخ المقاومة الفلسطينية وحزب الله وإيران التي نجحت أخيراً في التوصل لاتفاق مع تركيا والبرازيل لحل أزمة ملفها النووي..

المهم أن الحماية الأمريكية لولاية إسرائيل ودعمها الدائم بالسلاح الحديث والمتطور، لا يتناسب مع أجواء التهدئة لتحقيق السلام الشامل والعادل في المنطقة التي وعد بها الرئيس أوباما إن لم يغير موقفه باستمرار الدعم الأمريكي المطلق لإسرائيل، التي تحدت رغبته في وقف بناء المستوطنات، وتواصل تحديها بعدم الالتزام بتحقيق استحقاقات السلام.

المقاطعة الفلسطينية.. تغلق مصانع إسرائيل

تحت هذا العنوان ذكرت صحيفة «الأحرار» في عددها الصادر ١٨/ ٥/ ٢٠١٠م.. هذا التقرير الذي جاء فيه:

تسببت حملة المقاطعة التي يتبناها الفلسطينيون لمنتجات مصانع المستوطنات في الضفة الغربية في إغلاق ما لا يقل عن سبعة عشر مصنعاً منذ انطلاق تلك الحملة قبل عدة أشهر..

فالنسبة للإسرائيليين، حسب ما نقلته صحيفة «واشنطن بوست» عن أفيا لكيام الذي يمثل مالكي ثلاثمائة مصنع في مستوطنة ميشور أدوميم الصناعية بالضفة الغربية: «فإن الوضع لا يطاق».

أما بالنسبة للفلسطينيين - والكلام للصحيفة - فربما تكون تلك الحملة الاستراتيجية التي يتطلعون إليها، وأشارت الصحيفة إلى أن الفلسطينيين حاولوا على مدى أكثر من أربعين عاماً إنهاء الاحتلال الإسرائيلي عبر الانتفاضات والمفاوضات التي استمرت ما يزيد على عقدين من الزمن، ولكن دون جدوى.

والآن يتطلع الفلسطينيون إلى تحقيق النجاح بالمقاطعة باعتبارها دليلا على أن الحملة التي تقوم على الاحتجاج السلمي، وليس العنف، ربما تؤتي أكلها في نهاية المطاف.

وقد نشأت هذه الاستراتيجية على مستوى شعبي، ولكنها تنامت بشكل كبير بسبب تبني القيادة الفلسطينية لها.

فقد ظهر مسئولون كبار في احتجاجات مناهضة للمستوطنات بقيادة ناشطين محليين، في محاولة لعزل إسرائيل دولياً ضمن حملة اتخذت مثالاً من الصراع المناهض للعنصرية بجنوب أفريقيا.. وذكرت الصحيفة أن التعاطي مع منتجات المستوطنات محظور بموجب قانون صدر ٢٠٠٥، لكن فياض رئيس حكومة تصريف الأعمال الفلسطينية، شدد على تطبيقه مطلع هذا العام، أملاً في أن تفضي المقاطعة إلى تشجيع المجتمع الدولي كي يتبنى موقفاً قوياً ضد المستوطنات وإنهاء اعتماد الاقتصاد الفلسطيني على إسرائيل.

وكان رئيس السلطة محمود عباس قد وقع على قانون يجرم كل من يتعاطى مع منتجات المستوطنين، وإنزال عقوبة السجن لمدة تصل إلى عامين وغرامة مالية تبلغ ١٤ ألف دولار..

يذكر أن قيمة تلك المنتجات التي تباع للأسواق الفلسطينية لا تشكل سوى جزء بسيط من إجمالي الناتج القومي السنوي البالغ مائتي مليار دولار.

ولكن المسئولين الإسرائيليين يخشون من أن تتسع دائرة الحملة لتشكل جميع المنتجات الإسرائيلية.

فإلى جانب إرغام المصانع في المستوطنات الإسرائيلية على الإغلاق أو الانتقال إلى داخل إسرائيل، نفرت الحملة قطاعات أخرى من الأعمال الإسرائيلية إلى المناطق الصناعية القريبة من الضفة الغربية التي أقيمت لتكون قريبة من العمالة الفلسطينية التي لا تستطيع الحصول على تصاريح عمل داخل إسرائيل.

دور الزكاة فى محاربة البطالة

الأستاذ/ محمد على الشريف

لمشكلة البطالة أثر سيء وخطير على الفرد والأسرة والمجتمع والأمة بأسرها، إنها الكارثة والأخطبوط المدمر الذى ينهش بأذرعه الفتاكة فى الكيان والجسد والروح والعقل والفكر، والعقيدة والخلق، والحاضر والمستقبل.

وعندما تتفاقم مشكلة البطالة يزداد العاطلون ولا يجدون مصدراً لدخلهم؛ فيقل طلبهم على السلع والخدمات مما يؤدى إلى انخفاض مستوى النشاط الاقتصادى وارتفاع نسبة الكساد مع وجود طاقات بشرية مؤهلة وقادرة على الإنتاج.

ومن الناحية الاجتماعية تؤدى البطالة إلى وجود طبقة قادرة على العمل وراغبة فيه ولكنها تعانى الفراغ والقلق والشعور بالإحباط واليأس والضياع فضلاً عن افتقارها إلى الدخل اللازم لمقابلة احتياجاتها الأساسية، الأمر الذى يؤدى إلى مخاطر وعواقب وخيمة حيث ينتشر بين الفئات العاطلة التفكك، والحسد والحقد والبغض، وضعف الشعور بالانتماء، والإدمان والجريمة والمرض والفقر والتخلف، وتصبح قنابل موقوتة تنفجر فى أى وقت وتثور على القيم والنظام، وتبث الرعب وتزعزع أمن المجتمع، وتهدد استقراره الداخلى نتيجة انتشار شعور القلق والضياع وفقدان الثقة بين العاطلين.

الإسلام ومحاربة البطالة

الإسلام يحارب البطالة ويحث على العمل والمشى فى مناكب الأرض وكل إنسان فى مجتمع الإسلام مطالب أن يعمل ويأكل من رزق الله، قال سبحانه وتعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾

(الملك: ١٥)

لقد اعتبر الإسلام العمل عبادة وجهاداً فى سبيل الله إذا صحت فيه النية وروعيت الأمانة والإتقان، ولم يبال الرسول ﷺ أن يكون هذا العمل مما يستهين به الناس، أو ينظرون إليه نظرة استخفاف وازدراء، مثل الاحتطاب، المهم أن يكون حلالاً وأن يكف وجه صاحبه عن ذل السؤال.(١)

فالعمل فى الإسلام فرض عين على كل قادر عليه، وإن كان من الرسل المصطفين الأخيار، فقد كان آدم ـ عليه السلام ـ يزرع الأرض، وكان نوح ـ عليه السلام ـ نجاراً يأكل من كسبه، وكان إدريس ـ عليه السلام ـ خياطاً، وكان إبراهيم ـ عليه السلام ـ بزازاً، وكان داود ـ عليه السلام ـ يصنع الدروع ويبيعها فيأكل ويتصدق، وكان زكريا ـ عليه السلام ـ نجاراً، وكان عيسى ـ عليه السلام ـ يأكل من غزل أمه، وكذلك كان لكل من صحابة رسول الله ﷺ وتابعيه عملاً يتكسبون منه.

دور الزكاة فى محاربة البطالة

للزكاة دور فعال فى محاربة البطالة من خلال عنصرين أساسيين هما: زيادة معدلات الاستثمار ورفع مستوى التشغيل.

دور الزكاة فى زيادة معدلات الاستثمار

الزكاة تحارب الاكتناز؛ لأن اكتناز الأموال بأى شكل من الأشكال وعدم استثماره وتوالى إخراج الزكاة عن المال المستحق فيه ـ عاماً بعد آخر ـ يهدد بفنائه، وهذا يعنى أن فريضة الزكاة تشجع المدخرين على تشغيل مدخراتهم ـ أى استثمارها ـ مما يؤدى إلى زيادة الطاقة الإنتاجية للاقتصاد وتخفيف حدة البطالة.

عن أنس ـ رضى الله عنه ـ أن الرسول ﷺ قال: «اتجروا فى أموال اليتامى لا تأكلها الزكاة»(٢).

إن قول رسول الله ﷺ «اتجروا» ليس تحديداً لقصر النشاط الاقتصادى على المجال التجارى وحده، وإنما الاتجار هنا مصطلح يكنى به عن تشغيل رأس المال فى النشاط الإنتاجى، سواء أكان إنتاجاً مادياً، أم إنتاجاً خدمياً، والمهم هو الالتزام بتشغيل رأس المال تشغيلاً كاملاً، وعدم تركه عاطلاً أو اكتنازه، والتوصية بالاتجار لم توجه لجميع الأفراد، وإنما خصت أموال اليتامى، وفى ذلك بلاغة وعمق، حيث إن المظنون فى الإنسان ألا يهمل مال نفسه، فيدع تنميته وتثميره بمقتضى الدافع الذاتى والرغبة فى المال، أما اليتامى، فمالهم فى أيدى أوصياء، قد يهملون تثميره عمداً أو كسلاً.. فجاء هذا الأمر النبوى الكريم يوجب ابتغاء التنمية فى هذه الأموال حفاظاً عليها من التناقص والفناء، وبذلك تتجه جميع الأموال النامية إلى الاستثمار فى مجالاته المختلفة، ويضع ذلك على عاتق كل صاحب مال أو وصى عليه، واجب أن يفتح ذهنه من أجل البحث عن الاستثمارات الحلال، لا فرق

(١) الدكتور يوسف القرضاوى، دور الزكاة فى علاج المشكلات الاقتصادية، المركز العالمى لأبحاث الاقتصاد الإسلامى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص٢٢٦.

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط حديث صحيح.

في ذلك بين الأفراد أو المؤسسات أو أولياء الأمور.[3]

كذلك فإن تطبيق فريضة الزكاة يسهم في زيادة معدلات الاستثمار من خلال الآتي:

١- أن الإنتاج الذى يتطلب جهداً واستثماراً يتمتع بإعفاءات جزئية من الزكاة بالمقارنة بالإنتاج الذى يستدعى جهداً واستثماراً أقل، كما هو الحال في الثروة الحيوانية، حيث لا تؤخذ الزكاة عن الحيوانات العاملة في الإنتاج كالحرث والسقى ولا عن الأوانى التى تعرض فيها السلع، ولا عن الأشجار المثمرة، كما أن الزكاة تفرض بنسب أقل في حالة الثمار المزروعة بالآلة فتكون (٥٪) بينما تكون في الثمار المزروعة بالري الطبيعي (١٠٪) وتكون الزكاة في أعلى نسبها (٢٠٪) في حالة الركاز والمعادن التى لا يتطلب إنتاجها جهداً.

٢- عدم أحقية القادرين على العمل للزكاة دفعاً لاشتراكهم في العملية الإنتاجية، قال رسول الله ﷺ: «لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى»[4].

فهؤلاء الأقوياء الأسوياء يمثلون القوة العامة للمجتمع، والطاقة البشرية الإنتاجية للاقتصاد، التى يجب أن تؤدى دورها في زيادة الإنتاج.

٣- كما أن للزكاة دورها الكبير في إخراج الفقراء والمساكين من الفقر والمسكنة إلى فئة القادرين المخرجين للزكاة ويأتى ذلك من توفير رأس المال الإنتاجى لمن يحتاجون إليه ولا يستطيعون توفيره بجهودهم الذاتية، إذ توفر الزكاة للفقراء والمساكين الوسائل الإنتاجية التى تتناسب وإمكاناتهم وحرفتهم فتساعدهم الزكاة على التحول إلى أفراد منتجين يفيدون المجتمع بأسره.

فلقد جاء عن الإمام النووى: فإذا كان من عادته الاحتراف أعطى ما يشترى به حرفته، أو آلات حرفته، قلّت قيمة ذلك أو كثرت، ويكون قدره بحيث يحصل له من ربحه ما يفى بكفايته تقريباً، ويختلف ذلك باختلاف الحرف والبلاد والأزمان والأشخاص.. فمن يبيع البقل يعطى خمسة دراهم أو عشرة، ومن حرفته بيع الجوهر يعطى عشرة آلاف درهم مثلاً، إذا لم يتأت له الكفاية بأقل منها، ومن كان تاجراً أو خبازاً أو عطاراً أو صرافاً، أعطى بنسبة ذلك.

ومن كان خياطاً أو نجاراً أو قصاراً أو قصاباً، أو غيرهم من أهل الصنائع، أعطى ما يشترى به الآلات التى تصلح لمثله، وإن كان من أهل الضياع «المزارع» يعطى ما يشترى به ضيعة أو حصة في ضيعة تكفيه غلتها على الدوام.[5]

٤- يساهم مصرف الرقاب في تحرير قوة عاملة تساهم في النشاط الاقتصادى بما يزيد من الإنتاج والذى يزيد بدوره من فرص الاستثمار.

(٣) الدكتور/ يوسف القرضاوى، المرجع السابق، ص٣٧٦.

(٤) رواه الخمسة.

(٥) الإمام النووى، المجموع، دار الطباعة المنيرية، مصر، بدون تاريخ، المجلد السادس، ص١٩٣ ـ ١٩٥.

٥- يساهم مصرف الغارمين في حالة الكوارث التجارية وغير التجارية ضماناً لرأس مال الغارمين وتعويضاً عن أموالهم التى كونوها وتشجيعاً للغير على استثمار مدخراتهم.

٦- يساهم مصرف في سبيل الله «الجهاد في سبيل الله» في حماية الثغور والأوطان وتأمين حدود الدولة الإسلامية من شر الأعداء بما يسهم في توفير الاستقرار وحماية الاستثمارات والمشروعات داخل المجتمع المسلم.

٧- ساهم مصرف ابن السبيل في إصلاح وتعبيد طرق المسلمين وإنشاء شبكات المواصلات بما يدعم البنية الأساسية ورأس المال الاجتماعي الثابت.

دور الزكاة في رفع مستوى التشغيل

تسهم الزكاة بدور كبير في رفع مستوى التشغيل من خلال الآتى:

- عدم أحقية الزكاة للأقوياء القادرين على العمل، ويعنى ذلك محاربة الزكاة للبطالة الاختيارية.
- تحقيق المستوى المعيشى المناسب الذى يوفر للفقراء والمساكين متطلبات الغذاء والكساء والعلاج والمسكن مما يسهم في تحسين مستوى أفراد القوة الإنتاجية ويزيد قدرتهم على العمل المنتج.
- يرفع الإنفاق من حصيلة الزكاة على طالب العلم النافع من مستوى التعليم والتدريب ويزيد من قدرة العامل في موقع إنتاجه، وفي ذلك تخفيف من وطأة البطالة المقنعة والاختيارية.
- يوفر سهم «العاملين عليها» العديد من فرص العمل لمن تتوفر فيهم شروطه لأن ذلك يحتاج إلى جهاز كامل من الخبراء وأهل الاختصاص ومن يعاونهم.

إن للزكاة دور عظيم في رفع مستوى التشغيل والتخفيف من البطالة بكافة أنواعها نظراً لوفرة حصيلتها وانخفاض نفقات جبايتها وتكرارها بانتظام سنويا وعند كل حصاد، وما يقوله البعض من أن الزكاة تسبب البطالة خاصة الاختيارية بما تمنحه من إعانات تشجع آخذيها على التكاسل والتواكل مردود عليه، ذلك أن الضوابط والأسس التى شرعها الله لهذه الفريضة لا تحل لمسلم أن يأخذ منها، إذا ما توافرت له الشروط التالية:

ـ أن يجد العمل الذى يتكسب منه.

ـ أن يكون هذا العمل حلالاً شرعاً.

ـ أن يقدر عليه من غير مشقة شديدة فوق المحتمل عادة.

ـ أن يكون ملائما لمثله ولائقا بحاله ومركزه ومروءته ومنزلته الاجتماعية.

ـ أن يتكسب منه قدر ما تتم به كفايته وكفاية من يعولهم.

أما إذا أخل العمل بأحد هذه الشروط، فإنه من حق العامل مطالبة ولى الأمر بتوفير عمل مناسب له[6].

(٦) د. نعمت عبداللطيف مشهور، الزكاة ـ الأسس الشرعية والدور الإنمائي والتوزيعي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م، ص٣١١ ـ ٣١٢.

طرائف.. ومواقف

للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

ما هو العقل وأين هو؟

● قال حكيم: العقل غريزة لا يقدر أحد أن يصفها فى نفسه ولا فى غيره ولا يعرف إلا بالأقوال والأفعال الدالة عليه.

● وقال العتبى واسمه عبدالله بن عمرو ابن معاوية بن عتبة بن أبى سفيان: العقل عقلان: عقل تفرد الله بصنعه وهو الأصل، وعقل يستفيده المرء بأدبه وهو الفرع، فإذا اجتمعا قوى كل واحد منهما صاحبه تقوية النار فى الظلمة البصر.

● وينسب إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب:

رأيت العقل عقلين ... فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع ... إذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس ... ونور العين ممنوع

● وقد مال حكماء الإسلام إلى أن العقل فى القلب وقد استندوا فى ذلك إلى قوله تعالى:

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾

الحج: ٤٦

● وروى أن النبى ﷺ قال: «العقل فى القلب به يفرق بين الحق والباطل»، وهذا حق لا مرية فيه، فالمراد بالقلب حقيقة الإنسان لا العضو المعروف والعقل مظهر من مظاهره، والدليل على أن المراد بالقلب حقيقة الإنسان قوله تعالى:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾

ق: ٣٧

أى لمن كانت حقيقته الإنسانية متيقظة لا لمن كان له العضو المعروف بالقلب فإنه عام بين الناس جميعا ولكن الذين يدركون آيات الله قليلون، وكذلك قال الله تعالى:

﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾.

الأعراف: ١٧٩

● وقال بعض الحكماء: أربعة تحتاج إلى أربع: الحسب إلى الأدب، والسرور إلى الأمن، والقرابة إلى المودة، والعقل إلى التجربة.

● وقال أبوهريرة ـ رضى الله عنه ـ لو ازددت كل يوم مثقال ذرة من عقل ما بليت ما فاتنى من أنواع التطوع.

● وقال وهب بن منبه: مثل العقلاء فى

الدنيا مثل الليل والنهار لا تقوم الدنيا إلا بهما فكذلك المرء فى الدنيا لاحظ له إلا إذا كان عاقلا.

● وقيل لأنوشروان ملك الفرس: أى الناس أولى بالسعادة؟

● قال: أنقصهم ذنوبا، قيل فمن أنقصهم ذنوبا، قال: أتمهم عقلا.

الذنوب

مر المسيح بن مريم ـ عليه السلام ـ بقوم من بنى اسرائيل يبكون، فقال لهم: ما يبكيكم؟ قالوا: نبكى لذنوبنا، قال: اتركوها تغفر لكم.

لقد أعيانا سفيان

لقى أبوجعفر المنصور سفيان الثورى فى الطواف وسفيان لا يعرفه فضرب بيده على عاتقه وقال: أتعرفنى؟

قال: لا ولكنك قبضت على قبضة جبار.

قال: عظنى أبا عبدالله.

قال: وما عملت فيما علمت فأعظك فيما جهلت.

قال: فما يمنعك أن تأتينا؟.

قال ان الله نهى عنكم فقال تعالى:

﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾

هود: ١١٣

فالتفت أبوجعفر إلى أصحابه فقال: ألقينا الحب إلى العلماء فلقطوا إلا ما كان من سفيان فإنه أعيانا فرارا.

البادى أظلم

التقى شداد الحارثى بأسود، فقال له: «لمن أنت يا أسود»؟ قال: «لسيد الحى يا أصلع» قال: «ما أغضبك من الحق ألست أسود؟»، قال: «وما أغضبك أنت ألست أصلع؟».

حقا

وبينما المرء أمسى ناعما ... فى أهله معجبا بالعيش ذا أنف
فما تزود مما كان يجمعه ... إلا حنوطا وما واراه من خرق

قيدوا العلم

عن عثمان ـ رضى الله عنه ـ قال: قيدوا العلم، قلنا: وما تقييده؟ قال: تعلموه، وعلموه، واستنسخوه فإنه يوشك أن يذهب العلماء، ويبقى القراء لا يجاوز قراءة أحدهم تراقيه.

دلالات

وفى قبض كف المرء عند ولادته ... دليل على الحرص الذى هو مالكه
وفى فتحها عند الممات إشارة ... إلى فرقة المال الذى هو تاركه

بلاغة إياس المبكرة

دخل إياس بن معاوية الشام وهو غلام فقدم خصما له إلى قاض لعبدالملك، وكان خصمه شيخا كبيرا، فقال له القاضى: أتقدم شيخا كبيرا؟

فقال له إياس: الحق أكبر منه.

قال له: اسكت.

قال: فمن ينطق بحجتى؟

قال: ما أظنك تقول حقا حتى تقوم. قال: «أشهد أن لا إله إلا الله».

فقام القاضى فدخل على عبدالملك فأخبره بالخبر، فقال: اقض حاجته الساعة، وأخرجه من الشام حتى لا يفسد علىَّ الناس.

الأنس بالوحدة

للأدباء مجال مستملح فى الغلو، وليس الغلو بمستملح إلا فى الأدب، حتى قيل: إن أعذبه أكذبه، وقد استن الشعراء فى مدح العزلة عن الناس، ونحن نورد أحسن ما قالوه فى ذلك فى معرض الإطراف الشعرى فحسب:

● قال عبدالمحسن الصورى:

أنست بوحدتى حتى لو انى
رأيت الأنس لاستوحشت منه
ولم تدع التجارب لى صديقاً
أميل إليه إلا ملت عنه

● وقال ابن فارس اللغوى:

إذا ازدحمت هموم القلب قلنا
عسى يوما يكون له انفراج
نديمى هرتى وأنيس نفسى
دفاترلى ومعشوقى السراج

● وقال غيره:

عفى الله عن هذا الزمان فإنه
زمان عقوق لا زمان حقوق
وكل رفيق فيه غير موافق
وكل صديق فيه غير صدوق

من كلام عمر بن عبدالعزيز

من ذلك ما كتبه إلى عدى بن أرطاة عامله على العراق: «إذا أمكنتك القدرة على المخلوق فاذكر قدرة الخالق القادر عليك، واعلم أن مالك عند الله أكثر مما لك عند الناس».

وكتب إلى عماله:

«مروا من كان قبلكم فلا يبقى من أحرارهم، ولا مماليكهم، صغيراً ولا كبيراً، ذكراً ولا أنثى، إلا أخرج عنه صدقة فطر رمضان: مدين من قمح، أو صاع من تمر، أو قيمة ذلك نصف درهم. فأما أهل العطاء فيؤخذ ذلك من أعطياتهم عن أنفسهم وعيالاتهم، واستعملوا على ذلك رجلين من أهل الأمانة يقبضان ما اجتمع من ذلك، ثم يقسمانه فى مسكنة أهل الحاضرة، ولا يقسم على أهل البادية».

اللبس من الثياب

● قال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه -: إياكم لبستين لبسة مشهورة، ولبسة محقورة.

● وقال بعض الحكماء: البس من الثياب ما لا يزدريك فيه العظماء، ولا يعيبه الحكماء.

● وقال بعض الشعراء:

إن العيون رمتك إذ فاجأتها
وعليك من شهر الثياب لباس
أما الطعام فكل لنفسك ما تشا
واجعل لباسك ما اشتهاه الناس

دعاء

يا رب تظاهرت منك النعم، وتداركت منى الذنوب، فلك الحمد على النعم التى تظاهرت، واستغفرك للذنوب التى تداركت.

الملاحة البحرية فى العصر الإسلامى

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا
نائب رئيس جامعة القاهرة سابقا

من المعروف أن تطور الملاحة البحرية مرتبط بتطور العلوم الأخرى كالفلك والأرصاد والجغرافيا والجيولوجيا والهندسة وغيرها، كما يكون مرتبطا بتطور المعرفة بعلوم البحار والمحيطات وما يتعلق بدراسة طبيعة شواطئها وقيعانها وصفات مياهها، وأنماط الحياة التى تزخر بها، والظواهر التى تنشط فى قلبها وعلى سطحها مسببة الأمواج والتيارات البحرية وغيرها، ويمكن أن نلمس الكثير من مظاهر هذا التطور الذى أحرزه علماء المسلمين فى كتب العجائب والجغرافيا وأدب الرحلات، حيث أبحرت سفينة المسلمين إلى كل بقاع الدنيا، علاوة على منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط وشواطئ أفريقيا الشمالية وأسبانيا ومصر وسوريا، كانت كلها جزء من ديار الإسلام ولما كان المرور يجرى بشكل دائم وثابت عبر الطرق الشرقية والغربية، فقد كانت التجارة حرة عبر هذه الطرق، لا تعترضها أى حواجز إلا فيما ندر، فعلى سبيل المثال، ذكر المقدسى فى القرن الرابع الهجرى «العاشر الميلادى» فى كتابه «أحسن التقاسيم فى معرف الأقاليم» ما نصه: «... وأما أنا فسرت نحو ألفى فرسخ ودرت على الجزيرة كلها من القلزم «السويس حاليا» إلى عبادان، سوى ما توهت بنا المراكب إلى جزائره ولججه «يقصد المحيط الهندى» وصاحبت مشايخ فيه ولدوا ونشأوا ربابين «جمع ربان» وأشاتمة «جمع أشتيام: وهو مسئول عن إدارة القتال فى البحر ورياضيين ووكلاء وتجار، ورأيتهم من أبصر الناس به وبمراسيه وأرياحه وجزائره، فسألتهم عنه وعن أسبابه وحدوده، ورأيت معهم دفاتر فى ذلك يتدارسونها ويعولون عليها ويعملون بما فيها» والدفاتر التى ذكرها المقدسى فى هذا النص ما هى إلا كتب الإرشادات الملاحية التى كانت تحتوى على الجداول الفلكية وخطوط عرض الموانى، بالإضافة إلى كل ما يحتاج

الربان «قائد السفينة والمسئول عن تسييرها» إلى معرفته من معلومات عن الرياح والسواحل والشعاب والجزر والنجوم وغيرها مما يساعد على الاهتداء في الملاحة، وعلى الاقتراب بالسفن من مراسيها. أما ابن جبير كان قد بدأ في القرن السادس الهجري «الثاني عشر الميلادي» رحلة عودته من عكا التي كانت يومها تحت حكم وقبضة الصليبيين، إلا أنها أعيقت لبضع أسابيع في صقلية تحت حكم النورمان.

كانت التجارة مباشرة ما بين الإمبراطورية البيزنطية وموانئ شمال إفريقيا، وكان للتجار المسلمين على الشواطئ الجنوبية لبحر قزوين علاقات تجارية مع الخزر في الشمال. كان القلزم «السويس حاليا» في الجنوب الشرقي للبحر الأبيض المتوسط ميناء السفن المصرية والسورية المحملة بالبضائع إلى مدينة جدة، ومن ثم إلى المدن المقدسة في بلاد الحجاز «مكة والمدينة» وهي نفس الطريق المستخدمة لأداء فريضة الحج السنوية. في حين كان ميناء عدن يحتل المركز الرئيسي للتجارة مع الحبشة وإلى شواطئ أفريقيا الشرقية البعيدة إلى زنجبار ومدغشقر، وبصورة عامة كان البحارة يتنقلون من العراق وموانئ الخليج في رحلات أذهلت عامة الناس، وإن قصصا من معالمهم لشائقة وحكايات السندباد العجيبة في ألف ليلة وليلة تعكس حقيقة حياتهم التجارية إبان الخلافة العباسية وهي في أوج ازدهارها، حيث إن ميناء سيراف الإيراني وصحار العماني كانا من المراكز المهمة في التجارة الشرقية، إلى جانب البصرة التي كانت تعتبر الأهم بين الموانئ جميعا كذلك أبحرت السفينة مباشرة إلى بغداد حيث شكل شاطئا نهر دجلة والفرات الرئيسية صفا واحدا من الأرصفة لتحميل السفن.

ووصلت سفن المسلمين إلى الهند، وسيريلانكا، وماليزيا، والفلبين، وأندونيسيا، والصين في رحلات منتظمة من القوافل التجارية البحرية ترافقها حراسة قوية لحمايتها وكانت مصادر الخطر مثل الصخور ومناطق المياه الضحلة والرياح الهائجة، مألوفة لدى جميع البحارة أصحاب الخبرة حيث كان الاقتراب من ميناء البصرة، والدخول إلى البحر الأحمر، أو المضايق عموما، محفوفا عادة بمخاطر عظيمة وكان تحديد موضع معين يتم تأكيده بعلامات شتى مثل لون البحر وطبيعة قاعه، بالإضافة إلى بعض المشاهد المميزة في البر والبحر وكانت الطريقة العادية لتقرير خط العرض تعتمد على قياس الارتفاع الزاوي للنجم القطبي، كما شكل إدخال البوصلة البحرية مع مستهل القرن السابع الهجري «الثالث عشر الميلادي» خطوة محورية في تطور الملاحة البحرية عند المسلمين وتدلنا الدراسات التاريخية على أن علم الظواهر

المغناطيسية ظهر جنبا إلى جنب مع اكتشاف الإبرة المغناطيسية في بلاد الصين، غير أن التشابه الكبير بين الطرائق الملاحية عند كل من العرب والصينيين يمكن أن تدل أيضا على دور رائد للمسلمين في اختراع البوصلة البحرية وبصورة عامة يشهد تاريخ الملاحة البحرية على أنه شهد تقدما علميا وتقنيا غير مسبوق على أيدي بحارة المسلمين.

صناعة السفن والأساطيل البحرية

كانت صناعة بناء السفن والأساطيل البحرية مزدهرة في ديار المسلمين، سواء للأغراض التجارية أو للاستخدامات العسكرية، أما صناعة بناء السفن وترميمها فقد كان لها أحواض على جوانب الأنهار الكبيرة وسواحل الخليج والبحر الأحمر، وأكثر المسلمون من بناء السفن حتى ملأوا البحار بالجواري المنشآت كالأعلام، ووضعوا لها الأسماء بحسب أشكالها وتباين أجرامها وحجومها وتنوع أغراضها فكانت السفن التجارية عادة عبارة عن مراكب للإبحار بدعامة أمامية طويلة وعريضة، بما يتناسب وطول المركب، وذلك لغايات تزويدها بأكبر قدر ممكن من التخزين لأغراض الشحن، أما السفن الحربية فقد كانت أقصر، وكانت إما مزودة بمجاذيف أو مهيأة لتركيب الأشرعة، يعتمد هذا على الوظيفة التي صممت السفينة من أجلها. فهناك «الحراقة» المخصصة لرمي النار على الأعداء، و«الحمالة» التي تستخدم لنقل المؤن والزاد للأسطول المصري في العصر الفاطمي، و«الشيني» التي تستخدم لحمل الجنود، ويقام فيها أبراج وقلاع للدفاع والهجوم، و«العشاري» لنقل العتاد والجنود، و«الغراب»: وهي سفينة حربية سوداء اللون بسبب طلائها بالقار الأسود، مزودة بجسر من الخشب يستخدمه المحاربون للنزول على سفن الأعداء. وفي جميع الأحوال، كانت جميع السفن والزوارق تبنى من الألواح الخشبية، وذلك بخلاف صناعة السفن والمراكب في شمال أوروبا حيث كانت تبنى من الألواح والصفائح.. وكانت الألواح الخشبية في الأجزاء الشرقية من بلاد العالم الإسلامي تخاط بالحبال، أما في منطقة البحر الأبيض المتوسط فقد استخدمت المسامير الحديدية، وفي كلتا الحالتين كانت حزوز الخشب تسد بالزيت أو القار. أما الحبال المستخدمة لتزويد الأشرعة والصواري في المركب والمتعلقة بالمرساة فكانت تصنع من القنب أو البردي. واشتملت هذه الصناعة، إلى جانب المراكب الصغيرة ذات المجاذيف، السفن التجارية الضخمة التي يصل وزنها إلى أكثر من ألف طن، أو التي تستخدم في الأعمال الحربية بحمولة تصل إلى ١٥٠٠ شخص.

على أنه مهما تعددت أنواع السفن

وتنوعت حجومها فهى لا تخرج عن كون جزئها السابح فى الماء يشبه الحوت فى عومه، وفى ذلك يقول عالم الاجتماع العربى ابن خلدون فى «المقدمة»: «وهى أجرام هندسية صنعت على قالب الحوت واعتبار سبحه فى الماء بقوادمه وكلكله ليكون ذلك الشكل أعون لها فى مصادمة الماء، وجعل لها عوض الحركة الحيوانية التى للسمك تحريك الرياح، وربما أعينت بحركة المجاذيف كما فى حال الأساطيل».

وأما بالنسبة للأساطيل البحرية، فقد أدرك المسلمون بسرعة فائقة ضرورة القوة البحرية للحفاظ على سيادتهم وتعزيزها. فخلال عقد واحد من الزمن من فتحهم مصر تحدوا قوة البيزنطيين فى السيطرة والهيمنة على حوض البحر الأبيض المتوسط، وفتحوا شمال أفريقيا وأسبانيا، وحققوا تفوقاً بحرياً بدون منافس لقرنين من الزمان، كما قامت حملات عسكرية من شمال أفريقيا واحتلت صقلية سنة ٢١١هـ/٨٢٧م، وامتدت إلى الشواطئ الإيطالية وشواطئ جنوب فرنسا ومنذ الأيام الأولى ـ فيما يقول «دونالدهيل» فى كتابه القيم «التقنية الإسلامية Islamic Technology» قامت صناعة السفن على أيدى البناة والصناع من الأهالى المحليين فى كل من مصر وسوريا، وكانت صناعة متقنة فى تركيبها ومشابهة لنظائرها من الأسطول البيزنطى.. وصار المسلمون على مهارة فائقة فى بناء السفن والأسطول البحرى فقد قام الخليفة المعز لدين الله الفاطمى سنة ٣٢٦ هـ/٩٢٧م بالإشراف على إنشاء المئات من هذه السفن فى مصر من نوع شينى ذات الحجم الكبير وهى مزودة بحوالى ١٤٣ مجذافاً. وهناك نوع آخر من السفن الشراعية الضخمة التى يمكنها رفع ٤٠ شراعاً.. ومن هذا النوع ما له ملحق يرفع ١٥٠٠ شراع إلى جانب طاقم البحرية والمقاتلين.

وكانت السفن والأساطيل البحرية الإسلامية تجهز عادة بالمعدات المساعدة على الملاحة كالبوصلة والأسطرلاب والخرائط والصور ودفاتر الإرشادات البحرية والأسلحة اللازمة للدفاع والهجوم. وظهرت مؤلفات عديدة تشرح كل ما يتعلق بصناعة هذه المعدات وإعداد هذه الأدوات باعتبارها من مستلزمات علم الملاحة البحرية وفنونه المتنوعة، ومازالت بعض هذه المؤلفات من المراجع العالمية ذات القيمة العالية، ومن أشهر هذه المؤلفات كتاب «المترجم بالمدخل الكبير إلى علوم البحر» الذى ألفه أبومعشر، وكتاب «الفوائد فى أصول علم البحر والقواعد» لشهاب الدين أحمد بن ماجد، وكتاب «العمدة المهرية فى ضبط العلوم البحرية» للملاح الحضرمى سليمان ابن أحمد المهدى، وغيرها.

***

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم
أحمد السيد تقي الدين

متى تصحو الضمائر الخربة؟!

هيلين توماس.. واحدة من أقدم وأشهر العاملين فى الصحافة الأمريكية على الإطلاق، تبلغ من العمر تسعين عاماً أما عمرها المهنى فيبلغ نحو ستين عاماً.. أجل قضت هيلين توماس ستين عاماً من عمرها تمارس مهنة الصحافة.

هذه الصحفية أدلت بتصريح كان له وقع الزلزال فى أرجاء الولايات المتحدة ومثّل صدمة رهيبة فى إسرائيل.

هيلين توماس أدلت بتصريح فى ٢٧ من شهر مايو الماضى دعت فيه الإسرائيليين الى مغادرة فلسطين.. كل فلسطين، وتركها لأصحابها وأهلها الشرعيين وهم شعب فلسطين.

وعندما سُئلت هيلين: وأين يذهب الإسرائيليون؟ أجابت الإجابة الصاعقة!! فليذهبوا إلى ديارهم.. إلى بلادهم التى وفدوا منها.. إلى بولندا وفرنسا وألمانيا وانجلترا وأمريكا وكافة البلاد التى قدموا هم وأسلافهم منها!!

هذا التصريح الرهيب تم نشره على موقع «رابى لايف» على شبكة الانترنت.. وهو موقع إسرائيلى وتسبب فى ضجة غير عادية، وتعرضت هيلين توماس لعاصفة من الانتقادات وصلت لحد السب والاهانة والتهديد بالقتل، فاضطرت الى تقديم استقالتها من عملها كصحفية دائمة بالبيت الأبيض الأمريكى.

جميع المؤسسات والهيئات الأمريكية تسابقت فى إهانة وتجريح الصحفية الأمريكية المستقيلة، مثل: مجلس رابطة مراسلى البيت الأبيض، ورابطة مكافحة التشهير، ومؤسسة «هيرست» الإعلامية، وشركة «تاين سبيكرز» والسبب واضح وهو الخوف من النفوذ القوى الباطش للوبى الصهيونى المتغلغل فى أرجاء المجتمع الأمريكى والمسيطر على صناعة القرار.

فى حين أن المتأمل فى تصريح هيلين توماس سيجد أنها أدلت بتصريح مماثل ومتطابق تماماً مع ما أدلت به القيادات الإسرائيلية والمؤسسات الصهيونية حين طالبت عرب فلسطين بالهجرة إلى الدول العربية المحيطة بفلسطين وتركها للإسرائيليين وهى تصريحات لم تلق أى نقد أو استهجان من المؤسسات السياسية والإعلامية الدولية.

ولكن المثير فى الأمر أن «هيلين توماس» لم تحظ بأى دعم أو مساندة من المؤسسات السياسية والإعلامية العربية!!

بل إن أجهزة الإعلام العربية حكومية وخاصة لم تشر إلى هذا الحدث المزلزل الذى فرض نفسه بقوة على الصحافة العالمية ووكالات الأنباء الدولية والفضائيات صاحبة السمعة المحترمة.

أما فى عالمنا العربى فالأمر يكاد يكون مر مرور الكرام ولم يقف عنده أحد!!

هيلين توماس أعلنت ما أملاه عليه ضميرها، وما جبن عن قوله العديد من مشاهير الإعلام العرب.. المتظاهرين بالدفاع عن الحقوق العربية شريطة ألا يخسروا أو يضحوا بمناصبهم ورواتبهم العالية.. هؤلاء الذين ابتليت بهم أمتنا العربية والإسلامية، الذين تجاهلوا مشكلات الأمة وقضاياها، بل وعمدوا إلى خلق مشكلات ومصائب تزيد من اتساع وعمق فجوة الانقسام العربى، وما أحداث مباراة مصر والجزائر الشهيرة عنا ببعيدة.

هيلين توماس ضحت بكل شئ فى سبيل ما أملاه عليها ضميرها، فمتى تصحو الضمائر الخربة؟

أحمد تقى الدين

وإلى رسائل القراء ←

مصر الأزهر

تحت هذا العنوان جاءت مشاركة الدكتور محمد عادل عبدالعزيز- أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية - كلية اللغة العربية بالزقازيق.

فرض نهر النيل على مصر منذ فجر التاريخ أن تكون الزراعة هى العمل الرئيسى للسكان، والزراعة فرضت بدورها بعض الأمور التى كانت لها بصمتها فى تشكيل شخصية مصر؛ فقد فرضت الزراعة على إنسان مصر إيمان بالله لا يتزعزع، لأن الفلاح المصرى يدرك تماما وهو يضع الحبة فى الأرض أن الذى يزرعها هو الله.

كما فرضت الزراعة على إنسان مصر حب العلم، وذلك لارتباط التعليم بجودة الزراعة، وحاجة الفلاح المصرى إلى حفظ المحاصيل الزراعية حتى تكفيه إلى الموسم الزراعى اللاحق، فيتطور علم حفظ المواد الغذائية إلى علم التحنيط، معجزة العصر القديم، وتتطور علوم البناء من تقوية الجسور والوقاية من فيضان النيل إلى بناء الهرم الأكبر أحد عجائب الدنيا السبع.

ولا نستطيع أن نتناسى ما فرضته الزراعة على الفلاح المصرى من تسامح وحب للسلام، وكيف لا وهو الذى يترك كل ماله فى الشارع ليعود آخر النهار بعد يوم شاق من العمل لينام فى منزله وهو مطمئن لعلاقاته الطيبة بكل المحيطين به.

ومصر هى مصر بعد الإسلام؛ طالما ظلت الزراعة هى عمل السواد الأعظم من سكانها، وقد جاء الأزهر ليترجم طبيعة المصرى فى قوة الإيمان، وحب العلم، وتسامحه وعشقه للسلام منذ أن تحول الأزهر فى العام التالى لبنائه فى العصر الفاطمى إلى أكبر جامعات العالم، وذلك حينما كان التعليم على نفقة أهل الخير. فقد اقترح يعقوب بن كلس اليهودى الذى أسلم على يد كافور الأخشيد، أن يعين بالأزهر طائفة من فقهاء العصر ليقوموا بالتدريس، وقد وافق على هذا الاقتراح الخليفة الفاطمى العزيز بالله سنة ٣٦٥هـ لتكون بداية انطلاق تلك الجامعة التى ولدت عملاقة على يد يعقوب بن كلس الذى أنفق عليها كل ماله حتى لقبه الخليفة العزيز بالله بـ«الوزير الأجل».

والأزهر هو أقدم جامعات الأرض قاطبة،

وذلك لاستمرار رسالته منذ إنشائه وحتى يومنا هذا، بينما توقفت كل الجامعات التى سبقته، أو التى لحقت به فى العصور الوسطى. حقا لقد كانت جامعة القرويين بفاس أقدم من جامعة الأزهر، حيث أنشئت سنة ٢٤٥هـ. أى قبل الأزهر بمائة سنة، لكن جامعة القرويين لم تنهض بدورها التعليمى مرة أخرى إلا بعد استقلال المملكة المغربية فى القرن العشرين، كما أنه من المعروف أن جامعة باريس أنشئت فى القرن الثانى عشر الميلادى، وجامعة أكسفورد بانجلترا فى القرن الثالث عشر، وجامعة لوفان ببلجيكا فى القرن الخامس عشر.

وقد كان لرسوخ الأزهر كمؤسسة تعليمية على مدار أكثر من ألف سنة، واستقباله للوافدين من كل الدول الإسلامية وغير الإسلامية، أثره فى أن يصبح للأزهر تلك المكانة الدولية حتى أنه أصبح يستقبل الوافدين من أكثر من تسعين دولة فى العالم، وأن تتعدد كلياته لتتخطى السبعين كلية. كما أن الأزهر كان فى طليعة الذين رفعوا شعار التحديث حيث كان رجال الأزهر وطلبته هم أول من سافروا فى البعثات التى بعث بها محمد على إلى إيطاليا وفرنسا وكانوا النواة التى قامت عليها جامعة القاهرة. وقد كان الخليفة العثمانى السلطان عبدالعزيز محقا فى أن يصدر - بعد زيارته للأزهر فى عصر الخديوى إسماعيل - فرمانا يمنح فيه كل علماء الأزهر لقب «أصحاب الفضيلة» فهم بحق أهل لذلك، وها هو الرئيس الأمريكى باراك أوباما فى زيارته لمصر لتوجيه خطابه التاريخى للعالم الإسلامى، يشيد بالأزهر الذى وقف لأكثر من ألف سنة منارة لتعليم الإسلام، كما قال: «أعرف أن الحضارة مدينة للإسلام، إن الإسلام فيه صروح مثل جامعة الأزهر التى حملت شعلة العلم لعقود طويلة ممهدة الطريق لعصرى النهضة الأوروبية والتنوير».



محمد على

وكما كانت مصر على مدار تاريخها الطويل تقف شامخة لا تنجرف وراء صغائر الأحداث فلم ينجرف أزهر مصر مع التيارات السياسية التى تبعده عن رسالته التعليمية، بل ظل الأزهر هو منبر مصر الوطنى ورسول السلام إلى كل شعوب العالم كما هى مصر دائما.

فلنحصن شبابنا بزاد فكرى وروحى

وتحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ/ محمد عباس عرابى:

إن الأدوار التى يجب على رجال الفكر والإعلام والمربين من آباء ومعلمين فى ظل عصر العولمة والفضائيات والإنترنت يجب أن تتضاعف «تربية ومتابعة وتوجيها» للأجيال والشباب خاصة بعد أن ازدادت فى هذه الآونة مشكلات الشباب وتفشت فى أوساطهم العديد من الظواهر الخطيرة والمقلقة والتى نجم عنها العديد من الآثار السلبية على الأفراد والأسر والمجتمعات ومن أخطر هذه الظواهر ظاهرة الفراغ الدينى والضحالة الفكرية والأفكار الخاطئة وما يصاحب هذه الظواهر من خلل فكرى وزعزعة فى المعتقدات وشك وارتياب فى ثوابتنا وقيمنا ومبادئنا والسير فى فلك التيارات الفكرية السقيمة والأفكار الضالة المنحرفة التى يزينها المضلون «وهم يكشرون على أنيابهم» لشبابنا مزينين لهم السير وراء السراب البراق الخادع الذى يبيح لهم إشباع الشهوات بالسبل غير المشروعة وييسر لهم الانسلاخ من قيمهم التى تربوا عليها ومبادئهم التى كانوا يفتخرون بها.

ومن هذه الظواهر أيضا الجمود الفكرى والتعصب المذهبى والتمرد والعصيان واتساع الفجوة بين جيل الآباء والأبناء.

وأمام كل هذه الظواهر «وغيرها كثير» التى تدق ناقوس الخطر هل نفيق من غفلتنا فننقذ شبابنا من الوقوع فى وحل ومستنقعات الشهوات وما يصاحب ذلك من الانسلاخ من الهوية، وخاصة شبابنا المغترب عن ديارنا قبل أن تتلقفهم يدى الردى والمغرضون وشذاذ الآفاق.

علينا أن نحصن شبابنا بزاد فكرى وروحى يقيهم من الأفكار المسمومة والمكائد المحبوكة والشباك المنصوبة لهم والتى يخطط لها ليل نهار.

نعم يجب علينا أن نسارع ونبادر لحماية واحتضان شبابنا قبل فوات الأوان وتندم ولات ساعة مندم!! ونفقد أعظم كنز نمتلكه: شبابنا.. أمل الحاضر والمستقبل، بل ومن الواجب علينا أن نسخر لهم كل الامكانات للإبداع والابتكار وأن نبعد عن نفوسهم اليأس والقنوط أليس كذلك؟؟!!!

أوليات عمر بن الخطاب

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ/ أحمد عبدالمحسن على محمد - مدرسة الأورمان الثانوية النموذجية بنين ـ إدارة الدقى التعليمية:

الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فاروق الإسلام الذى فرق الله به بين الحق والباطل وأجرى الخير لأمة الإسلام على يديه، هو أول من سمى أمير المؤمنين وأول من كتب التاريخ الهجرى وأول من اتخذ بيت المال، وأول من سن قيام الليل فى شهر رمضان، وأول من عسّ بالليل، وأول من عاقب على الهجاء، وأول من ضرب فى الخمر ثمانين، وأول من حرم المتعة، وأول من نهى عن بيع أمهات الأولاد، وأول من جمع الناس فى صلاة الجنائز على أربع ركعات، وأول من اتخذ الديوان، وأول من فتح الفتوح ومسح السواد، وأول من حمل الطعام من مصر فى بحر «إيلة» إلى المدينة، وأول من احتبس صدقة فى الإسلام، وأول من أعال الفرائض، وأول من أخذ زكاة الخيل، وأول من قال: أطال الله بقاءك «قالها لعلى كرم الله وجهه» وأول من قال: أيدك الله «قالها لعلى كرم الله وجهه».

- وقال النووى: هو أول من اتخذ الدرة.
- وذكر «ابن سعد» فى الطبقات:

قال: ولقد قيل بعده: لدرة «عمر» أهيب من سيفكم.

وقال: وهو أول من استقضى القضاة فى الأمصار وأول من مصر الأمصار «الكوفة - البصرة - الجزيرة - الشام - مصر - الموصل» وأول من أشار على «أبى بكر» بجمع القرآن فى المصحف وأول من أنشأ الدفاتر لحصر الغنائم وتقسيمها على مستحقيها وأول من وضع الخراج.

- وكان نقش خاتمه: كفى بالموت واعظاً يا عمر.

نعتذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة، وذلك حرصاً من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء. ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق فى اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها. كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعا بمشيئة الله تعالى.

أنباء مكتب الإمام الأكبر

للأستاذ/ أحمد إبراهيم توفيق
مدير عام الإعلام بمكتب الإمام الأكبر

بيان من الأزهر

إن الأزهر الشريف وهو يتابع بقلق بالغ ما حدث لقافلة الحرية من اعتداءات إسرائيلية صارخة هزت الضمير العالمى ـ ليعلن عن رفضه واستنكاره لهذا السلوك غير الحضارى.. ويهيب بالضمير العالمى والمنظمات الدولية أن تقف بحزم وصلابة فى وجه هذه الممارسات المؤسفة.

ويتقدم بخالص العزاء لأسر الذين سقطوا ضحايا لهذا الاعتداء الأثيم.

كما يدعو الأزهر شعب فلسطين إلى ضرورة توحيد الصف وجمع الكلمة.

شيخ الأزهر

مجمع البحوث الإسلامية يجدد رفضه ظهور الأنبياء والصحابة وآل البيت فى الأعمال الدرامية

جدد مجمع البحوث الإسلامية برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر رفضه ظهور الإمامين الحسن والحسين ـ رضى الله عنهما ـ بشخصيهما فى الأعمال الدرامية متمسكا ببيانه السابق فى عدم ظهور الأنبياء والصحابة وآل البيت فى الأعمال الدرامية.

ومن منطلق توجيهات فضيلة الإمام الأكبر أن يصبح مجمع البحوث الإسلامية معقلاً للفكر يتفاعل مع قضايا المجتمع ويجيب عنها بما يتفق مع ثوابت الشرع ومع ضرورات العصر بما يضم من نخبة من أفضل العلماء وهو مجمع الاجتهاد والتجديد لإنزال حكم الإسلامى فى واقع الحياة بلا إفراط ولا تفريط.

فقد أكد المجمع الحكم الشرعي بما تقدمت به دولة السنغال بطلب فتوى بشأن الحكم الشرعي في صناعة تماثيل مكتملة بغرض تنشيط السياحة وجذب السائحين؟

أوضح المجمع أن تحريم صناعة التماثيل كان لقرب العهد بعبادة الأصنام، فإذا كان الغرض من صناعة التماثيل الوارد ذكرها بالسؤال هو تنشيط السياحة وإظهار حضارة وتاريخ الأمم ولم يكن هناك قصد للتعبد بها أو التعظيم لها، فقد انتفت العلة التي من أجلها كان الحظر مشروعا، ومن هنا يرى المجمع أنه لا بأس بها، لقول النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات».

شعبة للعلوم الإسلامية بالثانوية الأزهرية

وافق المجلس الأعلى للأزهر برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد الطيب شيخ الأزهر على إنشاء شعبة خاصة للعلوم الإسلامية الأزهرية بالإضافة إلى الشعبتين الأدبية والعلمية بالمرحلة الثانوية الأزهرية لتكون رافداً لكليات أصول الدين واللغة العربية والشريعة والقانون بدءاً من العام المقبل.

- كما وافق المجلس على قواعد وشروط قبول الطلاب والطالبات «المصريين» بمرحلة الإجازة العالية بكليات جامعة الأزهر والمعاهد فوق المتوسطة للعام الجامعي ٢٠١٠/ ٢٠١١.
- كما وافق المجلس على قواعد وشروط قبول الطلاب الوافدين بكليات الجامعة للعام الجامعي ٢٠١٠/ ٢٠١١.
- كما وافق المجلس على طبع أسئلة النقل الثانوي بالمناطق الأزهرية، وذلك تدعيما للامركزية.

لجنة الحوار بين الأديان تستنكر العدوان الإسرائيلي على أسطول الحرية

اجتمعت لجنة الأزهر للحوار بين الأديان ولجنة الحوار بالكنيسة الأسقفية بمصر صباح يوم الأحد ٦/ ٦/ ٢٠١٠ بحضور الشيخ الدكتور/ محمد واصل وكيل الأزهر ورئيس اللجنة، والمطران/ منير حنا، مطران الكنيسة الأسقفية بمصر وشمال أفريقيا، لبحث موضوع الاعتداء الإسرائيلي على أسطول الحرية وسفن الإغاثة المتوجهة إلى غزة.

وفي ختام الاجتماع أعربت اللجنة عن استنكارها للاعتداءات الإسرائيلية ضد أسطول الحرية وقوافل الإغاثة البحرية والتي أسفرت عن وقوع ضحايا أبرياء.

واستنكرت اللجنة أيضاً الاستيلاء على سفينة الإغاثة الأيرلندية (راشيل كوري).

وأكدت اللجنة أيضاً أنها تعتبر حصار غزة من قبل القوات الإسرائيلية والاعتداء على سفن المساعدات الإنسانية عملاً إجرامياً وغير شرعي وغير أخلاقي، وتحدياً لضمير المجتمع الدولي بأسره.

كما أعربت اللجنة عن تقديرها لقرار الرئيس مبارك بفتح معبر رفح للمساعدة في مرور المساعدات الإنسانية للشعب الفلسطيني.

وناشدت اللجنة المجتمع الدولي التدخل لرفع الحصار والتصدي لمثل هذه الاعتداءات المنافية للقانون الدولي ولحقوق الإنسان، الأمر الذي تدينه جميع الشرائع السماوية.



الإمام الأكبر يؤكد على الاهتمام بنشر صحيح الإسلام في أفريقيا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر بمكتبه صباح يوم الخميس ٤/ ٦/ ٢٠١٠ السيد آدم ماليما وزير الطاقة التنزاني والسيد/ محمود محمد نائب وزير الطاقة الكيني.

تناول اللقاء زيادة عدد المنح لطلاب تنزانيا وكينيا للدراسة بالأزهر في جميع التخصصات وخاصة الطب والهندسة وعدم قصرها على التخصصات الشرعية، حيث رحب فضيلة الإمام الأكبر بزيادة عدد المنح وأن يتم التنسيق مع السفارتين التنزانية والكينية في ذلك الأمر، وأن يتم إعداد حصر بالطلاب الراغبين بشرط أن يكونوا مؤهلين للدراسة بالتخصصات المطلوبة وأكد فضيلته خلال اللقاء على اهتمام الأزهر بنشر صحيح الإسلام للمسلمين في أفريقيا لمواجهة ما يسيء للإسلام من خلال رعايته للطلاب الأفارقة الدارسين بالأزهر.

وقال: إنه منذ أن تولى مشيخة الأزهر وهو يفكر جديا بزيارة المسلمين في أفريقيا.

ومن جانبه رغب وزير الطاقة التنزاني أن يقوم فضيلة الإمام الأكبر بزيارة تنزانيا.

الإنسان يجب أن يعيش في سلام

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر بمكتبه ظهر يوم الأربعاء ٥/ ٥/ ٢٠١٠م وفداً من لجنة السياسة الخارجية بالمجلس القومي السويسري «البرلمان» برئاسة السيدة/ كريستا ماركو الدر.. والوفد يمثل الأحزاب الاشتراكية والديمقراطية والليبرالية.

رحب فضيلة الإمام بالوفد فى مصر والأزهر الشريف، مشيراً إلى أهمية هذه الزيارة التى تمثل البرلمان السويسرى، حيث أشار فضيلته إلى أن العالم لا يستحق ما يحدث الآن من فُرقة ونزاع فى أمور ربما تكون ليست مستحيلة، وأن فلسفة الأزهر ثابتة من منطلق أن الله لو أراد خلق الناس على دين واحد أو لغة واحدة، ولكن الاختلاف مستمر حتى آخر لحظة، وهذه حقيقة قرآنية، فالمسلم يعلم أن هناك من يختلف معه، ومن هذا المنطلق حدد القرآن علاقة المسلم بغير المسلم وهى علاقة تعاون، وأن مبدأ الحرية لديه مفهوم، وإن الشعوب يجب أن تكون متحابة وليست متحاربة، والطريق معبد للقائمين على الأديان بأن يعطوا السلام للآخرين بعيداً عن صانعى السياسة ومن منطلق أن الأديان نزلت بالسلام، فالأزهر مستعد للتعاون مع جميع المستويات فى الشرق والغرب وممثلى الأحزاب من أجل تنسيق مفهوم أن الإنسان يجب أن يعيش فى سلام.

وأضاف فضيلته أن الأديان ليست فيها أفكار صارمة أو مرهقة للبشر، فالإسلام يؤمن بالحوار من منطلق اختلاف الناس فى ألسنتهم ودياناتهم.

ومن جانبها شكرت رئيسة الوفد فضيلة الإمام الأكبر لاستقبالهم وعما قدمه من شرح وافٍ حول الحوار، واصفة اللقاء بأنه خطوة على طريق تقوية واحترام الحوار والأفكار.

الأزهر هو الجامعة الوحيدة التى تواصل رسالتها فى حماية المسلمين من التعصب

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر بمكتبه يوم الأحد الموافق ٢٣ / ٥ / ٢٠١٠م معالى السفيرة/ استيفانى شوابسكى.. سفيرة استراليا بالقاهرة.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بسعادة السفيرة مشيراً إلى أن لدى استراليا (٢٠) طالباً وطالبة يدرسون بالأزهر الشريف بمراحله المختلفة وهم يتلقون العلوم الدينية بسماحتها واعتدالها وحينما يعودون لبلادهم يتصدون للتحديات التى يشهدها العالم بسبب الاختلاف بين الأديان ويوضحون الاحترام المتبادل والجاد بين الأديان لأن الأديان لم تنزل من السماء لتعذيب الناس، ولكن جاءت لتقريب الناس وإزالة الكثير من الصور المغلوطة وغير الصحيحة عن الإسلام، فنحن فى الأزهر ننظم الدورات للأئمة والوعاظ ليتلقوا من خلالها الدروس التى تساعدهم على مواجهة التحديات والمشكلات التى تواجه الإسلام فى الغرب وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة فى حدود القواعد القرآنية، فالأزهر بوسطيته واعتداله هو الجامعة العلمية الوحيدة التى تواصل رسالتها فى حماية المسلمين من المذهبية والتشدد والتعصب.

كما أن الدراسة بالأزهر تقوم على دراسة الرأى والرأى الآخر، وعلى احترام الاختلاف، فالدين الإسلامى يعترف بالأديان الأخرى ويحترمها حتى وإن لم يؤمن بها.

ومن جانبها شكرت معالى السفيرة فضيلة الإمام الأكبر على ما سمعته من فضيلته وعلى ما قدمه من شرح وافٍ أكد فيه على احترام الحوار وأنه خطوة للتعاون.



رسالة الأزهر تحقيق السلام فى العالم

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر سفير تايلاند بالقاهرة السيد/ شاليت مابنيتاكول يرافقه وفد من ممثلى وزارة الخارجية والمجلس الإدارى للمقاطعات الحدودية فى جنوب تايلاند والمركز الإسلامى فى تايلاند.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف والوفد المرافق له فى الأزهر الشريف معرباً عن سعادته بالاستقرار الذى تشهده تايلاند فى الفترة الأخيرة.

مؤكداً أن الأزهر رسالته الأساسية هى تحقيق السلام فى العالم من خلال ربط الطلاب بمنهج وثقافة الأزهر بعيداً عن الارتباط بالثقافات الأخرى.

ومن جانبه أكد سفير تايلاند على أن هناك تعاوناً وتنسيقاً كاملاً مع جامعة الأزهر بشأن الطلاب الدارسين فى الأزهر وأن طلاب تايلاند ملتزمون فى طلب العلم وتحقيق الفوائد المرجوة منهم عند عودتهم لبلادهم.

الإمام الأكبر يستقبل رئيس المحاكم الشرعية السُّنية بلبنان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر صباح يوم الخميس الموافق ١٣ / ٥ / ٢٠١٠م الشيخ/ عبداللطيف بريان رئيس المحاكم الشرعية السنية بلبنان وذلك لتقديم التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر لتوليه مشيخة الأزهر.

وطالب فضيلة الإمام الأكبر رئيس المحاكم الشرعية اللبنانى بضرورة دعم ومساندة البعثة

الأزهرية بلبنان حتى تتمكن من أداء رسالتها التى تنبع من منهج الوسطية والاعتدال.

ومن جانبه قال الشيخ عبداللطيف بريان: إننا فى لبنان نعتز ببعثة الأزهر ونقدم لها كافة أوجه المساعدة تقديراً للدور الذى تقوم به ونعتبر الأزهر المرجعية الأولى للمسلمين فى العالم وننظر إليه على أنه منبر الوسطية والاعتدال، ونؤكد دائماً على قوة العلاقة التى تربط الشعبين المصرى واللبنانى وأنه لا يمكن المساس بها أو التأثير عليها.



الإمام الأكبر يؤكد:

الأزهر يدعم القضية الفلسطينية ويقدم كل العون للطلاب الفلسطينيين

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم الثلاثاء الموافق ١ /٦ /٢٠١٠ الدكتور/ بركات الفرا سفير فلسطين بالقاهرة والذى نقل التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر من الرئيس الفلسطينى/ محمود عباس أبومازن بمناسبة توليه مشيخة الأزهر.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف فى الأزهر الشريف مؤكداً أن الأزهر يدعم القضية الفلسطينية ويقدم كل العون للطلاب الفلسطينيين الدارسين بالأزهر الشريف.

ومن جانبه أكد السفير الفلسطينى أن الشعب الفلسطينى قيادة وشعباً يتمنى التوفيق للإمام الأكبر فى مهمته ويثمن مواقف فضيلته الداعمة لقضايا الأمة الإسلامية بصفة عامة ووقوفه إلى جوار الشعب الفلسطينى فى التصدى لمحاولات تهويد القدس بصفة خاصة، وأننا سنستمر فى

التواصل مع الأزهر الشريف من أجل زيادة المنح الدراسية لأبناء الشعب الفلسطينى.

وقال: إن البيان الذى أصدره الأزهر الشريف حول ما حدث لقافلة الحرية جاء معبراً عن الأزهر ومكانته، وإننا فى فلسطين نؤيد وندعم البيان.

الإمام الأكبر يشهد تكريم (١٩) إماما من بريطانيا وأفغانستان

شهد فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر صباح يوم الأحد ١٦ / ٥ / ٢٠١٠م الاحتفال الذى نظمته الرابطة العالمية لخريجى الأزهر لتكريم (١٩) إماما من بريطانيا وأفغانستان خريجى الدورة التدريبية التى نظمتها الرابطة بالتعاون مع جامعة الأزهر والسفارة البريطانية وجامعة كامبريدج.

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة هنأ فيها الخريجين أعرب خلالها عن سعادته بأن تحولت هذه الدورات إلى واقع، موجها الشكر للسفارة البريطانية وجامعة كامبريدج لمساهمتهم فى إنجاح الدورة.

وقال: إننا فى الأزهر تابعنا ما يحدث للأئمة والدعاة والمسلمين فى بريطانيا وأمريكا ووقوعهم فى براثن دعوات مغلقة تعبث بعقولهم، ومن هنا أعددنا فريق عمل ظل يعمل لفترة طويلة فى دراسة المشكلات والتحديات التى تواجه الإسلام ودعوته فى الغرب والشرق، استطاع خلالها أن يصل إلى منهج وبداية صحيحة لضبط اتجاه الدعوة الإسلامية فى الغرب.

وأضاف فضيلة الإمام الأكبر أن التحديات التى يواجهها الإسلام فى الغرب لا تحتمل الإفراط أو التفريط، بل يحتاج إلى الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة فى حدود القواعد القرآنية.

وأكد: إننا فى الأزهر نؤمن أن الله خلق جميع البشر مختلفين وأن علاقتنا بالآخر علاقة تعارف وتواد وتكامل، وأننا يجب أن ندافع عن الإسلام وأن نعرضه كما أمر الله دون مذهبية.

وطالب الأئمة بأن ينتهجوا مذهب الأزهر بوسطيته واعتداله لأنه الجامعة العلمية الوحيدة التى ظلت طوال عشرة قرون تواصل رسالتها فى حماية المسلمين من المذهبية وتحميهم من التشدد والتعصب، فالأزهر حامل لواء الوسطية.

وفى لافتة طيبة من فضيلة الإمام وافق على إعطاء الأئمة الزى الأزهرى هدية بمناسبة تخرجهم.

وفى كلمته طالب الدكتور محمد عبدالفضيل القوصى نائب رئيس مجلس إدارة الرابطة الأئمة بأن يظهروا للعالم سماحة الإسلام ويسره ووسطيته وتقبله للآخر من خلال المنهج الإسلامى الذى يحفظ لواء الأمن والسلام فى كل مكان بعيدا عن التشدد والتعصب لأنهم ينتسبون للأزهر علما ومعرفة.

وصرح الدكتور/ عبدالدايم نصير، الأمين العام لرابطة خريجى الأزهر أن الدورة استمرت لمدة ثلاثة أشهر تلقى خلالها المتدربون محاضرات علمية على أيدى متخصصين بهدف ترسيخ قيم الوسطية والاعتدال طبقا لمنهجية الأزهر.

كما تم عقد سلسلة من الحلقات النقاشية حول الأقليات الإسلامية في الدول الأوروبية، نوقشت خلالها التحديات التي تواجه المسلمين في بعض الدول بهدف مواجهة الأفكار والتحديات التي تدعو إلى إقصاء الآخر، وكذلك تكيف المسلم في تلك البلاد مع متطورات العصر بما يتوافق مع الأمور الدينية.

كما أتيح للدارسين حضور المؤتمرات وآخرها مؤتمر الرابطة العالمية لخريجي الأزهر وكذا الزيارات الميدانية وزيارات المكتبات التي صقلت معرفتهم.

وقال: إن الدارسين أكدوا استفادتهم من الدورة وطلبوا مزيداً من هذه الدورات في المستقبل لما تمثله من أفكار علمية تساعد المسلمين على مواجهة التحديات المستقبلية خاصة في فهم أمور الدين فهماً سليماً من خلال الوسطية والاعتدال.

شهد الاحتفال الدكتور عبدالله الحسيني رئيس جامعة الأزهر وممثلي السفارة البريطانية واللواء أسامة ياسين مدير عام الرابطة.

..ويستقبل سفير كندا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر بمكتبه صباح يوم الثلاثاء ٤ / ٥ / ٢٠١٠م السفير الكندي بالقاهرة السيد/ فيردي كاركوف.

رحب فضيلة الإمام بالضيف في الأزهر الشريف وأكد فضيلته خلال اللقاء أن الإسلام دين حي بطبيعته وموجود في كل تصرفات الإنسان المسلم، ويمثل المكون الرئيسي في تشكيل الفكر لدى الإنسان في الحضارة الشرقية، بينما تمثل الحرية الشخصية المكون الرئيسي في تشكيل الفكر لدى الإنسان الغربي، ومن هنا يحدث الاختلاف في تفسير معنى الحرية الشخصية وحقوق الإنسان بين الشرق والغرب، فأنا أعترف بحقوق الإنسان في الغرب للغرب، وأحترم هذا من منطلق أن هناك فروقاً في الحضارات.

وقال: إن هناك قواسم مشتركة بين الشرق والغرب في مجال حقوق الإنسان يجب علينا أن نعمل سوياً على تحقيقها وفي مقدمتها الحرية والعدل ومحاربة الجهل والأمراض.

وأضاف أنه مع هذا الاتفاق إلا أننا في الشرق نعاني من مشكلة الحروب والظلم ومن ثم يجب علينا قبل أن نتحدث عن حقوق الإنسان أن نوقف ذلك الظلم الواقع على الشرق، ثم بعد ذلك نتحدث عن حقوق الإنسان وحقوق الشعوب، ويجب أن يساعدنا الغرب في الحصول على حقوقنا وأن تبتعد منطقة الشرق الأوسط عن الحروب، وأن تكون حقوق الإنسان علاقات أساسية بين الشرق والغرب بدلاً من اتخاذها حجة للسيطرة على تلك الشعوب.



الإمام الأكبر:

استراتيجية جديدة للتعاون العلمي والثقافي مع الدول الأفريقية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر بمكتبه صباح الأحد ٦ / ٦ / ٢٠١٠ الدكتور محمد ليرغ سفير الكاميرون بالقاهرة، حيث نقل السفير إلى فضيلته تهنئة رئيس جمهورية الكاميرون بمناسبة تعيينه شيخا للأزهر الشريف، واستعرض مع فضيلته الموضوعات المتعلقة بالتعاون العلمي بين الأزهر الشريف والكاميرون خاصة فيما يتعلق بالمبعوثين والدارسين بالأزهر.

ولقد أوضح فضيلة الإمام الأكبر أن الأزهر بصدد إعداد استراتيجية جديدة للتعاون العلمي والثقافي مع الدول الأفريقية، حيث يعتزم الأزهر تحويل معظم المنح إلى منح جامعية وأن تخصص نسبة كبيرة من هذه المنح للكليات العلمية بحيث يصبح خريجو الأزهر جامعين بين الثقافة الإسلامية وبين العلوم الحديثة من طب وهندسة بما يؤهلهم للمساهمة الإيجابية في تنمية مجتمعاتهم.

كذلك قدم فضيلة الإمام الأكبر تصوراً جديداً يقوم على افتتاح مراكز إسلامية وتعليمية للأزهر في أفريقيا وأن يتم اختيار مبعوثي الأزهر لهذه المراكز بما يلبي الاحتياجات التعليمية والثقافية للدول الأفريقية.



الإمام الأكبر يستقبل مستشار السلطان قابوس

■ كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر السيد/ عبدالعزيز بن محمد الرواس مستشار جلالة السلطان قابوس للشئون الثقافية والسيد/ خليفة بن على بن عيسى الحارثى سفير سلطنة عمان بالقاهرة، حيث نقل السيد المستشار لفضيلة الإمام الأكبر التحية والتهنئة المقدمة لفضيلته من جلالة السلطان قابوس بمناسبة تعيين فضيلته شيخاً للأزهر الشريف.

وأعرب الضيف عن دعم السلطنة للأزهر والتعاون معه لتوضيح تعاليم الدين الإسلامى بوسطيته واعتداله.

كما عبر عن سعادته بزيارة فضيلة الإمام الأكبر للسلطنة فى الوقت الذى يراه مناسباً.

ومن جانبه أعرب فضيلة الإمام عن سعادته بهذه الزيارة الكريمة ونقل من خلال السيد المستشار تحياته لجلالة السلطان قابوس وتحدث فضيلته عن سبل التنسيق مع السلطنة لتوضيح الرؤى من أجل توضيح الصورة الصحيحة للإسلام والتصدى لكل من يسىء إلى الإسلام.

فى استقباله لسفير باراجواى:

الإمام الأكبر: سأعمل جاهداً على توصيل الصورة الحقيقية للإسلام

■ كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر سفير باراجواى بالقاهرة السيد/ أوسبرتو رودريجى جارا، حيث أعرب فضيلة الإمام عن أمله فى أن يكون هناك تعاون مع سيادة السفير فى توضيح

الصورة الحقيقية للإسلام فى دول أمريكا اللاتينية خاصة مع وجود الحرية الفكرية لدى الشعوب بأمريكا اللاتينية.

ومن جانبه أشاد السيد السفير بزيارته للإمام الأكبر وأنه يعتبرها بداية للتواصل والصداقة لما يمثله الأزهر الشريف من وسطية واعتدال وسماحة، بعيداً عن التشدد.

وقال: إنه يكذب كل ما نشر عن الإسلام من أنه دين للتطرف والإرهاب وأنه سيعمل جاهداً على توصيل الصورة الحقيقية للإسلام لدى دول أمريكا اللاتينية وتوضيح أن الإسلام دين الحب والعدالة والتسامح والصبر.

الإمام الأكبر يؤكد:

الأزهر المرجعية الأولى لأهل السنّة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر السفير الدانمركى بالقاهرة السيد/ كريستيان هوبى وذلك لتهنئة فضيلة الإمام بتوليه مشيخة الأزهر.

وأكد فضيلة الإمام خلال اللقاء أن أهم الملفات التى تشغل باله حالياً هى تحقيق السلام بين الشعوب وأنه يفكر دائماً فى هذا الأمر وأن بداية هذه الخطوة هى تحقيق السلام بين رجال الأديان.

وطالب بضرورة عقد لقاءات بين رجال الدين لتصفية الخلافات فيما بينهم انطلاقاً من أن الأديان بينها مساحات مشتركة وهائلة للالتقاء لإنقاذ البشرية، وإذا لم يحدث سلام بين قادة السلام، فلا يمكن أن يتحقق السلام بين أتباع الأديان.

وقال: إن تحقيق السلام يتطلب مساعدات كبيرة من الجانبين سواء من جانب الأزهر المرجعية الأولى للإسلام وأهل السنّة، أو بالنسبة للكنائس الغربية المختلفة بالنسبة للمسيحيين، وأعتقد أن هناك مشكلات كبيرة، فبالنسبة للغرب فيما يخص فهمهم للإسلام فهماً صحيحاً مازال غير واضحاً لديهم وبالنسبة للمسلمين هناك مشاكل للجاليات المسلمة التى تعيش فى الغرب تتمثل فى الشكليات التى تظهر أهمية التحديات للثقافة الغربية، ويجب أن نعترف بأن هناك جهات تمول هذه الثنائيات بغرض تحقيق أهداف سياسية، ومن وجهة نظرى أن المؤسسات الدينية إذا تداركت ووعيت لذلك، فيمكنها أن تحقق التوازن فى الشارع الأوروبى.

ومن جانبه وافق سفير الدانمارك فضيلة الإمام فى الرأى وقال: إن سوء الفهم من الغرب بصفة عامة أو الدانمارك بصفة خاصة يرجع لوجود بعض المتشددين الذين ينشرون الأفكار المتطرفة كما لو كانت هى الصورة الصحيحة عن الإسلام، وهذا يسىء لحقيقة الإسلام، ونحن فى الدانمارك على سبيل المثال تعداد السكان ٥ ملايين منهم ٢٥٠ ألف مسلم من جنسيات مختلفة وصلوا

لمناصب عالية حتى البرلمان، لكن هناك مجموعة من الشباب تتجه نحو العنف من منطلق عدم فهم للأديان، ونحاول إشراكهم في المجتمع، ومن هنا أتفق مع فضيلتكم على أهمية الحوار والتعايش بين الدول بعضها البعض وبين الأديان داخل الدولة الواحدة.

الأزهر يفوز بجائزة أفضل جهة فى استخدام قواعد بيانات الأهداف الإنمائية للأمم المتحدة

فاز الأزهر الشريف بجائزة المركز الثالث على مستوى الجمهورية فى مسابقة أفضل جهة حكومية فى استخدام قواعد بيانات الأهداف الإنمائية للأمم المتحدة المعروفة باسم Dev. Info للعام ٢٠٠٩ / ٢٠١٠ والتى نظمها مركز المعلومات بمجلس الوزراء بالتعاون مع الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء واليونيسيف، والتى اشترك فيها ٦٥ هيئة حكومية تشمل الوزارات والمحافظات.

اشترك فى العمل المقدم للمسابقة ممثلاً للأزهر كل من الإدارة العامة للكمبيوتر التعليمى بقطاع المعاهد الأزهرية والإدارة العامة لمركز المعلومات والتوثيق ودعم واتخاذ القرار بمشيخة الأزهر.

وقام فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر بتكريم وفد الأزهر المشارك فى المسابقة ومنحهم شهادات تقدير لتميزهم فى أداء عملهم وطالبهم ببذل المزيد من الجهد وأن تكون الجائزة حافزاً لهم على مواصلة التفوق وأن يكونوا فى المركز الأول من العام المقبل.

وقد أناب فضيلة الدكتور/ محمد واصل، وكيل الأزهر كلاً من الأستاذ/ مهدى شلتوت، رئيس الإدارة المركزية لمكتبة الأزهر ورئيس لجنة مجالات التعاون والتطوير التكنولوجى بالأزهر الشريف والأستاذ/ محمود الأشمونى، مدير عام الكمبيوتر التعليمى والأستاذ/ أحمد فؤاد معبد، مدير عام مركز المعلومات بمشيخة الأزهر.. بحضور الاحتفالية التى أقامها مركز المعلومات بمجلس الوزراء لتكريم الفائزين، حيث تم تكريم كلاً من الأستاذ/ فايز نصر الدين، بالإدارة العامة للكمبيوتر التعليمى والأستاذ/ محمود على حامد، من الإدارة العامة لمركز المعلومات بالمشيخة.

دعوة الإمام الأكبر للمشاركة فى مؤتمر دولى عن دور الأديان فى صنع العولمة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر بمكتبه صباح يوم الاثنين ٧ / ٦ / ٢٠١٠م السفير ميشيل بوك سفير ألمانيا الاتحادية بالقاهرة، حيث قدم لفضيلته دعوة للمشاركة فى مؤتمر دولى عن «دور الأديان كقوة حضارية فى المشاركة فى صنع العولمة»، يعقد فى مدينة وستفاليا فى ألمانيا أكتوبر المقبل.

كما تم بحث تعزيز التعاون الأكاديمى والثقافى بين جامعة الأزهر والجامعات الألمانية، وإمكانية افتتاح مركز لتدريس اللغة الألمانية داخل جامعة الأزهر، فضلاً عن تبادل المبعوثين للدراسات العليا بين الجانبين.



الإمام الأكبر يستقبل رئيس وزراء بلجيكا الأسبق

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر بمكتبه صباح يوم الأربعاء ٢ / ٦ / ٢٠١٠م السيد/ ويلفريد مارتينيز رئيس وزراء بلجيكا الأسبق ورئيس مجموعة الأحزاب الشعبية الأوروبية والوفد المرافق لسيادته.

وقد تناول اللقاء بحث سبل توثيق عرى التفاهم بين أصحاب الثقافات والديانات باعتبار أن أبناء الديانات السماوية الثلاث تجمعهم قواسم مشتركة عديدة وأن الحوار هو السبيل إلى إرساء مفاهيم مشتركة وإلى تمهيد سبل التعاون من أجل التنمية وابتغاء العدل والسلام.

كما أشار رئيس مجموعة الأحزاب الشعبية الأوروبية إلى العدوان الإسرائيلي على أسطول الحرية وأنه يدرك فداحة هذا العدوان وأن هناك ضرورة لأن يتخذ الاتحاد الأوروبى موقفاً سياسياً مؤثراً.

وأوضح فضيلة الإمام الأكبر أننا فى الشرق العربى والإسلامى نمد أيدينا لأصحاب الثقافات الأخرى بلا تعصب ولا تمييز وأننا لا نعرف نظريات صراع الحضارات ولا التمييز العنصرى ولا نشعر بعقيدة الاستعلاء على الآخر.

وأكد فضيلته على ضرورة السعى للتوصل لحل للقضية الفلسطينية على أساس من الحق والعدل وأدان فضيلته بشدة العدوان الإسرائيلى على أسطول الحرية وانتقد ضعف رد الفعل الغربى الرسمى، وقد ذكر رئيس مجموعة الأحزاب الشعبية الأوروبية أنه سعد بالاستماع إلى فضيلة الإمام الأكبر وأنه سينقل رسالته إلى الاجتماع التحضيرى للمجلس الأوروبى الذى يضم رؤساء دول وحكومات الاتحاد الأوروبى القادم.



..ويستقبل سفير إندونيسيا

■ كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر السيد / عبدالرحمن محمد فاخر سفير إندونيسيا بالقاهرة والذى وجه الدعوة لفضيلة الإمام لحضور الاحتفال بمرور ٦٣ عاماً على تبادل العلاقات الدبلوماسية بين البلدين وأن السفارة الإندونيسية ستصدر بهذه المناسبة كتاباً توثيقيا.

وقد تناول البحث موضوعات التعاون بين الأزهر وإندونيسيا وإنشاء معهد أزهرى فى إندونيسيا، فضلاً عن المسائل المتعلقة بالطلاب الإندونيسيين المبعوثين، وقد كرر السفير دعوته لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة إندونيسيا.

الإمام الأكبر يستقبل وفد المنتدى العالمى للوسطية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر بمكتبه صباح يوم ٢ / ٥ / ٢٠١٠م وفد المنتدى العالمى للوسطية بالأردن برئاسة المهندس / مروان الفاعورى، الأمين العام للمنتدى.

رحب فضيلة الإمام بالوفد فى الأزهر الشريف مؤكداً أن الأزهر يؤيد كافة الجهود التى تدعم وحدة المسلمين، ويرفض الفكر الذى يدعو إلى فرض مذهب بعينه على حساب مذهب الآخر، مشيراً إلى أن هناك من يسعى لنشر الفرقة بين أبناء الأمة، وينفق على فرقتها أكثر مما ينفق على وحدتها، وهو ما يدعونا إلى العمل على تشجيع ودعم كافة أوجه التقارب والوحدة بين المسلمين.

ومن جانبهم أكد أعضاء الوفد على أهمية مساندة الأزهر لدعم جهود المنظمة التى تسعى لنشر الوسطية وزيادة الترابط بين المسلمين.

أنباء مجمع البحوث الإسلامية

للأستاذ: عبدالموجود أميـن

إعادة امتحان المتقدمين للابتعاث فى شهر رمضان

تمت إعادة امتحان المتقدمين للابتعاث فى شهر رمضان المبارك من المدرسين والوُعّاظ، وذلك بواقع مبعوث واحد من كل منطقة أزهرية، وذلك بناء على توجيهات فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد الطيب، شيخ الأزهر، وقد عُقد الامتحان بمكتب فضيلة وكيل الأزهر الشريف، وسوف يتم ترشيح كل من استوفى الشروط ونجح فى الامتحان للسفر فى شهر رمضان إلى مختلف دول العالم.

صرح بذلك فضيلة الشيخ / فوزى زيدان، الأمين المساعد للبعوث الإسلامية.

إيداع مكتبة الشيخ محمد حسنين مخلوف بمكتبة الأزهر

وافق فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد الطيب شيخ الأزهر على طلب أسرة المرحوم فضيلة الشيخ محمد حسنين مخلوف مفتى الديار المصرية الأسبق بإيداع مكتبته التى تحوى العديد من المخطوطات النادرة بمكتبة الأزهر الشريف.



محمد حسنين مخلوف

صرح بذلك الأستاذ/ مهدى هادى شلتوت، رئيس الإدارة المركزية لمكتبة الأزهر.

١٠٦٦ طالبا صينيا يدرسون بالأزهر

بلغ عدد الدارسين الصينيين بالأزهر الشريف ١٠٦٦ طالبا وطالبة يتوزعون على النحو التالى:

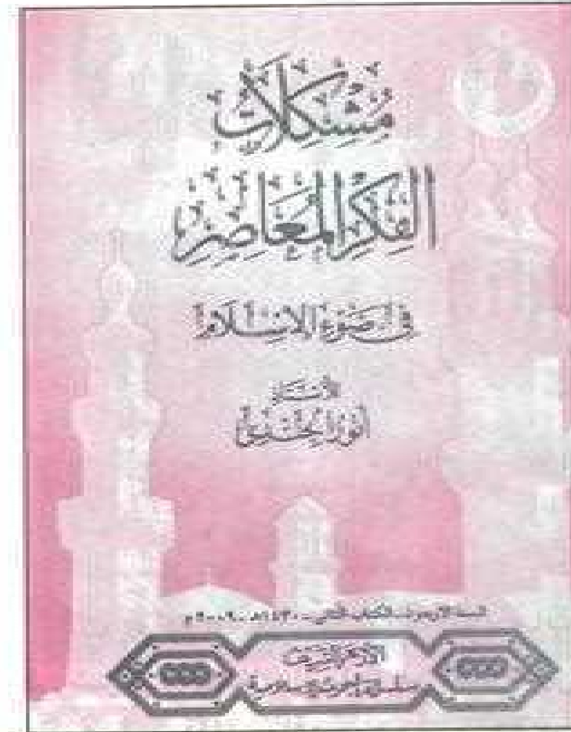
- الدراسات الخاصة: ٢٢٨ طالبا و٧٦ طالبة.
- المرحلة الابتدائية: ٥ طلاب و٣ طالبات.
- المرحلة الإعدادية: ٣٠٤ طلاب و١١٤ طالبة.
- المرحلة الثانوية: ٦٦ طالباً و٣٣ طالبة.
- الجامعة : ١٧٦ طالبا و٤٠ طالبة.
- الدراسات العليا: ١١ طالباً.

صرح بذلك فضيلة الشيخ / سامى عزالدين، مدير عام الإدارة العامة لشئون الطلاب الوافدين بالإنابة.

مشكلات الفكر المعاصر فى ضوء الإسلام

يتربص بالإسلام والمسلمين من يبث سمومه بشتى الطرق لنشر الوقيعة بين المسلمين مع بعضهم البعض ومع غيرهم، كما يقوم بالفرقة بينهم وذلك عبر الأجيال المتعاقبة منذ ظهور الإسلام وتاريخه، ولكن أثبت التاريخ الإسلامى أن المسلمين قادرون على مواجهة هذا العداء وهذه الكراهية ووقف زحف التطاول على الإسلام، ومن هذه الطرق محاولة تحويل المسلمين عن الفكر الإسلامى وفهمه الصحيح، ومحاولة اتهام الإسلام والمسلمين بالعقم فى مواجهة المشكلات وعدم القدرة على حلها، ولكن هيهات...

فقد صدرت كُتب كثيرة تواجه هذه المشكلات والتصدى لها والعمل على حلها بمفهوم الإسلام الصحيح، ومن بين هذه الكتب كتاب «مشكلات الفكر المعاصر فى ضوء الإسلام» للأستاذ أنور الجندى ـ رحمه الله تعالى ـ الذى صدر ضمن سلسلة مجمع البحوث الإسلامية وقد تناول فيه المؤلف الكشف عن الآراء والنظريات البراقة الخادعة بعيدة الأثر فى تحقيق أهداف التغريب والغزو الثقافى الرامية إلى انتقاص قيم المسلمين وزلزلة الثقة بمفاهيم وعقائد أبناء الإسلام



بنشر البدع والخرافات وتحريف المفاهيم، والتنفير من الدين، وغرس مفاهيم ثقافية وتربوية فى نفوس المسلمين باحتقار مفاهيمهم والاعتزاز بقيم أعداء الإسلام، فالمؤلف بأسلوبه المثقف الواعى المدافع عن مفاهيم دينه أثبت أن الفكر الإسلامى بعقائده الموروثة الأصيلة مستمدة من القرآن والسُّنَّة، ولا سبيل إلى التخلص منها، بل حارب الإسلام والمسلمون وواجه وكشف العقائد والمفاهيم الزائفة، بضوء من الإسلام ومقاييسه.

صرح بذلك فضيلة الشيخ / عبدالرحمن العسيلى، مدير عام الإدارة العامة لإحياء التراث.

أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذين
محمود القشلى - أحمد رضوان

تداعيات العدوان الإسرائيلى على أسطول الحرية

نائبة بالكنيست تتهم إسرائيل بالتخطيط مسبقاً للاعتداء

قالت حنين زعبى النائبة العربية فى الكنيست الإسرائيلى، التى شاركت فى أسطول كسر الحصار: إن إسرائيل خططت مسبقاً لجريمة أسطول الحرية ووقوع عدد كبير من الضحايا، مفندة الرواية الإسرائيلية التى تزعم أن الجنود الإسرائيليين اضطروا إلى استخدام العنف. ونقلت الإذاعة الإسرائيلية عن زعبى قولها: إن ركاب سفينة مرمرة التركية كانوا جميعاً من المدنيين العزل، وإن معاملة الجنود والقوات الإسرائيلية كانت عنيفة للغاية وأضافت: إن إسرائيل أرادت من وراء العنف الذى مارسته تحقيق ردع لمنع أى محاولات قادمة لكسر الحصار المفروض على قطاع غزة، مشيرة إلى أن الهدف كان نقل رسالة واحدة ووحيدة وهى أن القمع والسجن للشعب الفلسطينى هو مسئولية كل إنسان حر ومناضل.

روائى إسرائيلى شهير: حكومة نتنياهو ارتكبت جريمة حمقاء لا تغتفر

واعتبر أحد أشهر الروائيين الإسرائيليين أن حكومة بنيامين نتنياهو ارتكبت جريمة حمقاء لا تغتفر وغير مبررة بأى حال من الأحوال، منددا بالهجوم الذى شنه الجيش الإسرائيلى على قافلة المساعدات الإنسانية المحمولة بحرا والمعروفة بـ«أسطول الحرية»، فيما وصف تصرفات الحكومة والجيش معا بـ«الغباء المطبق».

وفى مقالة اختص بها صحيفة «الجارديان» البريطانية وبثتها الليلة الماضية على موقعها الإلكترونى قال الروائى الإسرائيلى دافيد جروسمان: إن إسرائيل حكومة وجيشاً تصرفت بغباء مطبق مع «أسطول الحرية»، فيما ذهب إلى أن منظمى هذا الأسطول الذى يضم نشطاء دوليين

متضامنين مع سكان قطاع غزة لم يكن ليغيب عن أذهانهم إمكانية أن تتصرف القيادة الإسرائيلية الحمقاء على هذا النحو المزرى. أضاف جروسمان: إن الأمر بدا وكأن حكومة بنيامين نتنياهو لا تدرك ولا يمكنها أن تفهم شيئاً أو تتوقع ردود أفعال من جانب النشطاء القادمين على السفن للتضامن مع سكان قطاع غزة.

نيكاراجوا تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل

فى حين قطعت نيكاراجوا علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل رداً على الهجوم الإسرائيلى على الأسطول الدولى الذى كان متجهاً إلى غزة، حسب ما جاء فى بيان للرئاسة.. وأوضح البيان الذى تلاه الرئيس دانييل أورتيجا عبر الإذاعة أن نيكاراجوا تقطع فوراً علاقاتها الدبلوماسية مع حكومة إسرائيل.. وأضاف بأن حكومة نيكاراجوا، تشدد على عدم التكافؤ فى الهجوم على البعثة الإنسانية وذلك فى انتهاك فاضح للقانون الدولى وحقوق الإنسان.

المجلس المصرى الأوروبى:

العدوان الإسرائيلى.. جريمة حرب

كما أدان المجلس المصرى الأوروبى فى اجتماعه برئاسة محمد محمد أبو العينين رئيس المجلس الهجوم الإسرائيلى الوحشى على نشطاء المجتمع المدنى العزل المشاركين فى أسطول الحرية فى مهمة إنسانية لرفع الحصار عن غزة. ووصف الهجوم بأنه جريمة حرب وجريمة ضد الإنسانية يعاقب عليها القانون الدولى لوقوعها فى المياه الدولية وطالب بمعاقبة إسرائيل عليها، وأشاد المجلس بموقف الرئيس مبارك وموقف مصر والفتح المستمر لمعبر رفح لمرور المساعدات والأغذية ولعبور الأشخاص من وإلى قطاع غزة.

جاء ذلك خلال اجتماع المجلس برئاسة أبو العينين وبحضور مارك فرانكو سفير الاتحاد الأوروبى بالقاهرة وسفراء عدد من الدول الأوروبية.

أكد محمد أبو العينين أن ما حدث للمدنيين المشاركين فى قافلة الحرية يدمى قلوبنا جميعاً مؤكداً أن غزة تعيش فى سجن كبير تحت حصار جائر وغير مشروع، مطالباً المجتمع الدولى والأمم المتحدة بإنهاء الاحتلال الإسرائيلى للضفة الغربية ورفع الحصار المفروض على غزة.

وأشار د. نبيل حلمى أستاذ القانون الدولى إلى أن إسرائيل بعدوانها على سفن أسطول الحرية ارتكبت جريمة حرب وجريمة ضد الإنسانية وأنها خالفت التزاماتها بموجب القانون الدولى الإنسانى واتفاقية جنيف الرابعة لحماية المدنيين تحت الاحتلال، فلم تساعد سكان غزة فى الحصول على الغذاء بل وفرضت عليهم حصاراً لمنع وصول الغذاء إليهم، مطالباً بتقديم شكوى إلى الصليب الأحمر باعتباره الجهة الراعية لتنفيذ اتفاقيات جنيف.

وزير أندونيسى أسبق يشيد بدور مصر والأزهر فى دعم قضايا العالم الإسلامى

أشاد وزير الشئون الدينية الأندونيسى الأسبق - قريش شهاب - بدور مصر والأزهر الشريف فى دعم قضايا العالم الإسلامى ونشر رسالة الاعتدال ومحاربة التطرف.

وقال شهاب فى تصريحات خاصة لمراسل وكالة أنباء الشرق الأوسط بجاكرتا: إن الأزهر ساهم فى تدعيم العلاقات التاريخية بين مصر وأندونيسيا، موضحاً أن مصر أول دولة فى العالم تعترف باستقلال أندونيسيا فى ١٧ أغسطس ١٩٤٥م.

وأضاف شهاب الذى عمل سفيراً سابقاً لبلاده بالقاهرة: إن كبار المسئولين الأندونيسيين ومن بينهم الرئيس سوسيلو بامبانج يودهيونو، أشادوا بدور الأزهر باعتباره أكبر مؤسسة تعليمية فى العالم الإسلامى، مشددين على أن الدراسة فى الأزهر ترتكز على الوسطية والاعتدال والتسامح.

وأوضح شهاب - الذى يترأس الرابطة العالمية لخريجى الأزهر «فرع أندونيسيا» - أن عدداً كبيراً من خريجى الأزهر يحتلون مواقع قيادية بارزة سواء فى الحكومة أو الأحزاب السياسية أو جميع المؤسسات الأندونيسية الأخرى، منوهاً بأن خريجى الأزهر يحظون بتقدير بالغ من جانب الرأى العام الأندونيسى.

وأشار إلى أن إنشاء فرع الرابطة العالمية لخريجى الأزهر بأندونيسيا يستهدف نشر رسالة الأزهر العالمية والتى تتسم بالوسطية والاعتدال، خاصة فى المجالات العلمية والثقافية، ودعم الجهود الرامية لرسم الخطاب الدينى المعتدل بأندونيسيا والاستفادة من تجربة مصر الرائدة فى مجال تصحيح المفاهيم الإسلامية.

مؤتمر بفرنسا للرد على التشويه الإعلامى للإسلام

تقيم المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «إيسيسكو» مؤتمراً بالتعاون مع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وبالتنسيق مع معهد ابن سينا للعلوم الإنسانية بمدينة «ليل» بفرنسا للرد على حملات التشويه الإعلامى للإسلام، وقال د. عبدالعزيز التويجرى المدير العام «للإيسيسكو»: إن المؤتمر يهدف إلى الرد على حملات التشويه الإعلامى الغربى للإسلام ورموزه، ولتفعيل دور المؤسسات الإعلامية فى أوروبا، للتصدى لتلك الحملات بأسلوب عقلانى وعلمى.

ويشارك فى المؤتمر نخبة من المتخصصين والإعلاميين ويتناول عدة محاور رئيسية منها: آليات مساهمة المؤسسات الإعلامية فى تفعيل برنامج للرد على حملات التشويه الإعلامى للإسلام والحضارة الإسلامية، ومتطلبات تعزيز التواصل، والتعاون بين المؤسسات الإعلامية الإسلامية ونظيراتها فى أوروبا، والإجراءات القانونية والمهنية لمواجهة ظاهرة الإسلاموفوبيا، ودراسة سبل وضع استراتيجية إعلامية لمواجهة تلك الظاهرة.

4- Equality and Equivalence

It is the cornerstone of the system of the society and state as well as the reason for justice and equity. The act says, "The Jews who follow us will be supported by us without tyranny against them."

The believers are equal in the way they sacrifice their blood for the sake of Allah. The one who kills a believer without evidence will be punished except if the guardian of the killed person is satisfied with a blood money. The believers are equal in this respect.

This signifies that the attitude towards the equality of all of the people in rights and duties. This equality in rights is emphasized by what was stated regarding the right of every group or class in the arising society.

For example: The immigrants from Quraish are free in their affairs and pay blood money with benevolence and justice among the believers. The act goes on determining the groups of the society: Bani Ouf, Bani Al-Harith Ibn Al-Khazraj, Bani Saida, Bani Gashm, Bani An-Nagar, Bani Amr, Bani An-Nabit, Bani Al-Aws in a way that reveals their equality and participation in managing the affairs of the society.

5- Confession of the right of religious privacy:

This confession means the right of choosing the religion, respecting its rituals for laying the foundation of the religious pattern and strengthening the society. This is revealed in the act stating:

The Jews of Bani Ouf share the land with the believers, and they have their own religion and the Muslims have their own religion. The one who oppresses or commits sins will suffer along with his family. "The Jews agree with the believers as long as they are fighters."

The act mentions the sects of the Jews: Bani An-Naggar, Bani Al-Harith, Bani Saedah, Bani gashm, Bani Thalaba, Bani Al-Aws, Bani Ouf, in a way that reveals the respect of this privacy.

6- Solidarity and advice in the civil and defending affairs:

This meaning assures the necessity of mutual coexistence, and that the difference of religion does not prevent cooperation and assistance in the affairs of civil society. This act states:

The Jews depend on themselves in expenditure as well as the Muslims. They should advocate each other in case of war. Moreover, they may advise each other without offense." This signifies participation with the Muslims in managing the affairs of the society as well as the state affairs.

7- Emphasizing dignity and benevolence towards the non-Muslims

This is one of the Islamic principles, as Allah, Glory be to Him, said:

"And indeed We have honored the Seeds of Adam"

[Al-Israa (The Night Journey): 70]

This is mentioned overtly in the act:

The Jews of Al-Aws and Al-Khazraj shall be entitled to benevolence like the owners of this act. They share benevolence not sin. Allah agrees with the articles of this act.

8- Respecting the right of the majority

One of the stable principles in the political systems is the necessity of respecting the law of the majority of the people. This is applied in all of the old and new systems along with submitting to justice. Thus, in case of dispute regarding this act, the disputed parties resort to Islam. The act states:

"In case of dispute or dispute for which they fear to aggravate, they shall resort to Allah and Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon him). Allah is satisfied with this act."

9- Commitment to protecting the homeland and preventing helping the enemies

Every individual should care for this nation and the minority should be faithful and helpful to the majority for the sake of maintaining the safety and security of this nation. They should do this because they share this nation and enjoy its advantages and rights. This meaning is revealed in the act:

"The believers should participate with each other depending on justice."

"The pious believers are perfectly guided"

"No disbeliever shall seize the money of Quraish to himself or to someone else and shall not give any of them to a believer."

"No believer, who agreed on this act and believed in Allah and the Day of Judgment, is entitled to advocate or shelter an enemy. The one who does so is cursed by Allah till the Day of Judgment. Neither his repentance nor his charity is accepted.

10- Establishing relationships on the basis of social peace and cordiality

The reason behind this principle is that the progress of societies takes place when peace and safety exist. The principle is the consideration of peace, cordiality and response to reforming is a social basis. Allah, Glory be to Him, says:

"So be pious to Allah, and act righteously among yourselves"

[Al-Anfal (The Spoils): 1]

This saying is supported by the act stating, "If the people are invited to reconciliation or anything like this, they should accept. The only exception is the one who fight for the sake of religion."

No doubt that the establishment of relations among the individuals and the classes of the society according to this pattern which considers peace and cordiality is regarded the best means that strengthens the pillar of the society. Moreover, it prevents sedition and stabilizes the components of social peace. Thus, accord and tranquility will replace the religious dispute and tension of relations. Moreover, it will prevent the seditions which the enemies of Islam encourage to threaten the unity of the nation.

Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) says, "The love of the homeland is a kind of belief."[3]

An-Nasay, Ibn Hebban and At-Termizy narrated, "I swear by Lord that you are the most beloved land on earth to Allah; and unless I was brought out of you, I would not get out of you." In the great conquest, "I swear by Lord that you are the best land on earth; and unless I was brought out of you, I would not get out of you."[4] This saying signifies great meanings of loyalty, belonging to this safe land, which Allah made a refuge to the dwellers in it. One of the first actions taken by Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) for establishing strong society in Medina is holding a treaty of coexistence and safety among the residents in Medina. He wrote an agreement between him and the Jews.[5] Thus, he set the basis of the social peace.

This attitude revealed by the Quran and Sunnah determines the features of the Islamic nation and reveals the system of sociality among the individuals and groups. It continues to be like an umbrella for its residents, as it protects its individuals and groups to be a nation without the other people.

It includes the young, the old, women, men, Muslim, non-Muslim, Arab and non-Arab under the banner of the homeland, in which all of the people enjoy their rights and carry out their obligations. The reason behind this state is the strong tie that links them to each other. The homeland dwells in the heart of the citizen, as he lives in it. They are not separated, as their destinies and dignity are linked to each other, as the human distinctions and natural and acquired differences do not prevent this link.

The Pillars of Citizenship:

Following the political Islamic system, citizenship represents a solid pillar in the Islamic society, which is based on belief in Allah, belonging to identity, loyalty to the homeland and equality in rights and duties without distinction due to religion, race, color or language. Thus, citizenship is the strong basis for establishing the coherent society, relying on the unity of the entity aiming to the common benefit and defending its existence from the oppressive powers. One of the means of reaching this goal is fixing the principle of citizenship and protecting the society from the inner side.

Allah's Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) was keen on carrying out this aim in establishing the Islamic nation in Medina, being based on unity of entity, social coherence in the frame of multiplicity of religions and equality in right sand duties in spite of difference in religion and race. He followed the means of carrying out this aim such as establishing fraternity among the immigrants and the advocators (Al-Ansar).

---

[3] Reveiling the Hidden Matters by Al-Agaluny, part 1, p. 413, no. 1102.

[4] It is narrated by Imam Ahmad, At-Turmozy, Ibn Magah, Ibn Haban, Al-Hakim about Abdullah Ibn Odau Ibn Al-Hamraa, and both of the hadiths are correct.

[5] Ibn Al-Qaiyem, Zad Al-Ma'ad, Part 2, p. 56.

The proof for this fact is the declaration of Medina, which is regarded as constitutional act prior to its time. It implied the features of Islam as a religion that gathers the different people and confessing the right of the Islamic nationality to every individual in the Islamic society regardless of religion, race, and color. It embodied the right of coexistence among the different religions and races. It confesses the possibility of difference among the people and protecting the rights despite these differences.

It founded the relation among the different classes of the society on respect and guaranteeing the practice of rights ensured by mutual coexistence and the one destiny for the homeland, which is entitled to the whole people. Thus, it formulated a new and genuine formula for the human society varied in religion and race, which is based on a number of rights, summed up as follows:

1- Enjoying the Nationality

These meanings came at the beginning of the Prophetic constitutional act, which started with:

"This is a declaration from Muhammad, Allah's Messenger between the Muslims and believers from Quraish and the residents of yathreb and their followers, who fight with them."

It made the whole residents of the newborn entity in Medina assures what is mentioned in this act, "That they belong to one nation without the other people." It reveals the entity of this fresh nation and integrating its individuals and categories in one society. It described the non-Muslims as the believers.

2- Solidarity

It was necessary for this united society to be based on solidarity among its individuals and groups. This is stated in the act:

The believers should not leave a debited person without helping him in his crisis. There is no more significant solidarity than a society in which its individuals help each other in the crises and ordeals.

3- Protection and advocacy among the individuals of the society

It is the way to protect the human being, the homeland and the whole group. Moreover, it helps maintain the solidarity social establishment and the political and lawful entity. This act settled loyalty among the individuals of the society under the umbrella of the Islamic entity, advocacy among them, protection of the individuals of this homeland and fixation of justice among them. The act states, "No Muslim will delay to help another Muslim."

The pious believers will be against the oppressors and those who spread tyranny, sin or spoilage among the believers. All of them will be against this person even if he is the son of any of them. No believers shall kill another for the sake of a disbeliever, and should not advocate a disbeliever. Allah protects the whole people and, the believers should help each other.

Citizenship in Islam[1]...!

By: Dr. Muhammad Ash-Shahat Al-Gendy

Secretary General of the Supreme Council of Islamic Affairs

Citizenship is derived from homeland, which is the territory where a group of people dwell and live along with belonging and loyalty to this territory and the right of every individual to enjoy rights and human freedom versus performing his duties to live in this homeland. The aim behind this is to implant great social value, which is the value of citizenship.

Homeland is the place of dwelling from which the word homelands, which is mentioned in the Noble Quran, is derived. Allah, Glory be to Him, says:

"Indeed Allah has already (granted) you victory on many battlefields".

[At-Tawba (Repentance): 25]

In Al-Manar:[2] Homelands is the plural of homeland, which means the place in which the human being dwells and lives. The homelands are places for advocating and victory. The most common use of this word in Islam is home or homes, the first of which is mentioned in the saying of Allah, Glory be to Him:

"The poor immigrants who were driven out of their homes and riches"

[Al-Hashr (Mustering): 8]

The second refers to the saying of Allah, Glory be to Him:

"And (the ones) who took their location in the Residence and in belief before them, love whomever has migrated to them, and do not find in their breasts any need for what has been brought, and prefer (the Muhajirun) above themselves, even though penury be (their portion). And whoever is protected from the avarice of his self, then those are they who are the prosperers". [Al-Hashr (The Mustering): 9]

Moreover, the expression of earth signifying homeland is mentioned in the saying of Allah, Glory be to Him:

"Allah has promised the ones of you who have believed and done deeds of righteousness that indeed He will definitely make them successors in the earth, (even) as He made the ones who were before them successors, and that indeed He will definitely establish for them their religion that He is Divinely satisfied with for them, and that indeed He will definitely give them in exchange, even after their fear,

---

[1] An article published [in Arabic] at Al-Azhar magazine.

[2] Muhammad Rashid Reda, the explanation of Al-Manar, P. 217

security."They shall worship Me, not associating with Me anything." And whoever disbelieves after that, then those are they (who are) the immoral".

[An-Nur (The Light): 55]

The verse signifies the rank of the homeland and the value of belonging to it in the first place, as it is the place in which the human being is ordered to inhabit. It is the place of stabilization as well as the place of safety, tranquility and lodging.

As the homeland is the shelter and refuge, in which the people are protected, the Quran regarded it as an essential distinction for the nature of the relationship among religions, nations and peoples. This relation is based on intimacy, understanding and justice. The right way for the non-Muslim to confess the right of the Muslim of safety and security for himself, his religion and land. The opposite of this happens if the others dismissed the Muslims from their homelands, spread sedition in religion and let them lose their rights. Allah, Glory be to Him, says:

"Allah does not forbid you (as regards) the ones who have not fought you on account of the religion and have not driven you out of your residences that you should be benign to them and be equitable towards them; surely Allah love the equitable". [Al-Mumtahina: 8, 9]

This is regarded as a Quranic notification of the importance of homeland and necessity of spreading safety and tranquility among its dwellers from on side. From the other side, it is the place which is dominated by Social peace in its comprehensive and full meaning. It may be derived from the rights mentioned in Quran and sunnah that strengthens psychological safety and national peace. This peace is sought be the individual, group, nations, peoples and countries. It exists among the people who are different in religions, nations, races, colors and languages. It is better to exist among the people who live in the same homeland.

In this way, Islam made the difference among creeds and distinction in the human nature following the universal rules a means of cooperation for the sake of right and justice. Islam never made this difference as a way for fighting and struggle, but it is a way for cooperation and compromise.

It is a common purpose for establishing relations among the human beings, and it is better to exist among the people living in one country, as long as these relations are based on respect, understanding and seeking benefits. This relation is based on the fact that the human being is a social creature; and the constructive sociality and guided cooperation, being founded on benevolence, good and justice are from the supports of the social system in Islam.

The purified sunnah goes on the way of the Noble Quran in fixing the value of citizenship in the souls, as belief penetrates the souls of the believers, formulates the personality of the Muslim controlling his behavior. Thus, he spreads love, faithfulness, devotion, self-denial and sacrifice, which are the bases of the believing in love arising from the human being. He is directed faithfully to Allah and the homeland. Allah's

are the people who do not leave a person in the roads without criticizing and abusing.

Then, the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) saw a group of people whose bellies are like houses. When they attempt to stand up, their bellies make them heavier and prevented them from standing up. He asked Jibril: "Who are those people?" Jibril said: "They are like the usurers, and they are like the one who is insinuated by Satan. He saw people eating fire that burns their chests, tears and burns their guts. He asked Jibril, who told him that they are the people who take the money of the orphans by oppression.

Then, the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) saw people that cut and eat pieces of meat from their flanks. He asked Jibril about them. He said that they are the backbiters. The Messenger of Allah saw many miracles strange creatures and signs till he reached the Farthest Mosque, that Allah blessed the area around it. When he entered, he found the prophets and messengers welcoming him. Jibril (May the peace of Allah be upon him) presented the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) to them.

Then, the Prophet prayed with them, being their Imam. Then, he went out with Jibril to the vast space around the mosque, where he drank milk and little honey. Then, Allah, Glory be to Him, uplifted him to the heavens. When the Messenger reached the lowest heaven with Jibril, who told Radwan to open, he asked him: "Who are you?" He said: "Jibril". Radwan asked: "Are you accompanied by anyone?"

He said: "Yes, Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon him). Radwan said: "Is he summoned?" Jibril said: Yes. When he opened the lowest heaven, the Prophet found a man sitting; whenever he looks at his right, he laughs; whenever he looks at his left, he weeps. When he says the Prophet, he told him, "Welcome to the good prophet, and the good son."

The Prophet asked Jibril about him, he said that he is Adam. When he looks at his right, he sees the inhabitants of Paradise. Thus, he laughs; but when he looks at his left, he sees the inhabitants of Hell. Thus, he weeps.

The same thing happened between Jibril and its guard in the second heaven, where he saw the sons of maternal aunt, prophet Yahia and prophet Isa (May the peace of Allah be upon him). He ascended to the third heaven, where he met prophet Yuful (May the peace of Allah be upon him). In the fourth heaven, he met prophet Idris (May the peace of Allah be upon him). In the fifth heaven, he met Prophet Aaron "Haroon" (May the peace of Allah be upon him).

In the sixth heaven, he met with prophet Mosa (May the peace of Allah be upon him). When the Messenger passed by him, he wept, and was asked about the reason for his weeping. He said that the people that will enter paradise from his

nation will exceed the people entering paradise from my nation. In the seventh heaven, he met prophet Ibrahim (May the peace of Allah be upon him), the father of the prophets.

He leaned his back against Al-Bayt Al-Ma`mur, in which seventy thousand angels enter and do not come back. At every heaven, Jibril asks its guard to open and tell him that he is accompanied by Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon him).

When the Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) meets a prophet, he salutes him with the Islamic salutation. Every prophet told him: "Welcome to the good Prophet and the good brother," except prophet Ibrahim and Prophet Adam who said: "Welcome to the good Prophet and good son."It was really a good coming.

It was narrated that Anas Ibn Malek mentioned that the Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: "Then he went with me to the Lote-Tree, whose leaves were like the ears of an elephant and its fruits are like jars.

When Allah ordered it, it changed to the best picture that can hardly be depicted. Allah inspired me and imposed on me and my nation fifty prayers in every night and day. When I descended to Mosa, he asked me: "What did Allah impose upon you and your nation?" I said: "Fifty prayers" He said: "Go back and ask Him for decreasing them because your nation can not endure them. I was afflicted by Bani Israel and I know them."

Then, I came back and asked my Lord to decrease the prayers. Then, Allah deducted five prayers from them. I came back to Mosa and said that five prayers are deducted.

Then, he told me to ask Allah to decrease them, as my nation cannot endure them. Then, I came back to ask Allah to decrease them several times, till Allah told me that they are only five prayers in every day and night, every one of which is rewarded by ten good deeds.

Thus, they are the fifty prayers. Everyone who intended to do a good deed, but he did not, Allah will reward him once for it. If he did it, Allah will reward him ten times. The one who intends to do a sin without committing it, Allah will not punish him. But if he did it, it will be counted once.

Then I came back to Mosa, telling him that they are now five prayers. He told me to go back to ask Allah to decrease them. But I said, I came back to Allah till I feel embarrassed. Then, the Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) heard the call of Allah (Glory be to Him) saying: "I said my obligation and decreased the burden of My bondsmen."

by Al-Bukhai (may Allah be pleased with him). It is known with Hadith Al-Israa Wa Al-Mi`raj (Hadith of the Night Journey and Ascent).

Allah, Glory be to Him, ended the verse of Al-Israa with His saying:

"All Extolment be to Allah, who made His bondman to set forth at night"

[Al-Israa (The Night Journey): 1]

The Night journey took place with its two phases, as the Prophet ascended to the seven Heavens. Then, he reached the Lote-Tree in which Allah imposed the five prayers. Allah, Exalted be He, protected him and dignified him. The honorable Prophet came back to Mecca, fascinated by what he heard and saw as well as the protection and honoring he was granted.

He informed his people with what he saw, but they exploited the chance to support their claims of his witchcraft, jugglery and madness. Thus, they accused him of lying and declared the impossibility of what he said. However, the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) came back from his journey charged with great spirituality, his soul was satisfied and his heart was happy. He was assured that Allah protect him, and that, undoubtedly, he reached what Allah wanted for him.

Thus, he endured and became stronger. Also, Allah gave him more strength and steadiness, as he described to them the Farthest Mosque in detail and accurately in a way that astonished them. Then, he eliminated their doubt by describing a caravan that was on its way to Mecca and fixing the date of its arrival. Moreover, he gave them detailed description about the camel driver, the person that was in its front, middle and end. They made sure at the time of the arrival of the caravan, then, many people believed in Islam. It was a great beginning for believing the Messenger, accepting his Da`wah and believing in Islam.

The Messenger of Allah contacted with the leaders of "Thaeif", calling them to Islam. However, they did not respond to his Da`wah and replied to him rudely. He asked them to hide what happened between them, not to be hurt by Quraysh. But they did not carry out what he asked for. However, they let their boys throw stones at him till his honorable blood flowed. Zaid Ibn Harithah, his companion, tried hard to keep him apart from the stones.

When the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) resorted to the garden owned by Oqbah and Shaybah Ibn Rabi`ah, who were present in it. Thus, the foolish boys chasing him refrained. They sympathized with him and sent to him a boy called Addas with a bunch of grapes.

Then, the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) mentioned the name of Allah before eating. The boy told him that these words are not said by the residents in this country. The honorable Prophet (May the blessings

and peace of Allah be upon him) asked him about his country and religion. The boy replied that he was Christian and that he was from Nainawa.

The Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) said that this boy belonged to the country of the virtuous bondman, Yunus ibn Matta. Addas asked the Prophet about the way he knew him. Then, the Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) told to him the story of Yunus from the Noble Qur'an, the matter that made Addas astonished.

At the Night Jouney, Allah (Glory be to Him) revealed to His Prophet the state strivers for the sake of Allah, the people who refrain from paying the obligatory Charity, the adulterers, the weak people who could not maintain the trust, the orators of seditions, the usurers, backbiters and other scenes containing wonders and signs. Abu Hurayrah narrated that the Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) passed at the Night Journey by a people cultivating and harvesting at the same day. Whenever they harvest, the matter is repeated. He asked Jibril: "What is this?" He said: "These are the strivers whose rewards double seven hundred times.

Then, he passed by people, breaking their heads by stones, when they are broken, they restore their previous state continuously. He asked Jibril: "What is this?" He said: "These are the people who do not pay the obligatory charity. They are not oppressed by Allah, as He does not oppress anyone.

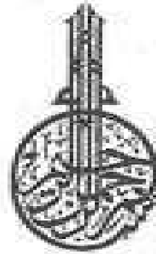
Afterwards, they passed by some people who have both ripe and raw meat. They leave the ripe one and eat the raw. He asked Jibril: "Who are those people?" He said: "This man belongs to your nation and leaves his lawful wife and commits adultery with a malicious woman till the morning. This woman leaves her lawful husband and commits adultery with a malicious man till the morning."

Also, they passed by a man who collects a pack of firewood, which he was not able to bear, and puts more firewood to it. He asked Jibril: "What is this?" He said: "This man, belonging to your nation, bears the trusts of the people, which he cannot bear and even add to them. Then, they passed by people whose tongues and lips are bitten by iron bitters. When they are bitten, they return to their previous state continuously. He asked Jibril: "What is this?" He said: "These are the orators of sedition, who did not put their words into action."

Then, they passed by a small hole from which an ox comes out. The ox tries to come back, but he cannot. He asked Jibril: "What is this?" He said: "This is a man who says word, he regrets and cannot bring it back."

The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) saw a piece of wood that block's the way of the people, tearing the clothes of the walker and rider and caused them to bleed. He asked Jibril about it. Then he replied that they

AL-AZHAR MAGAZINE
Rajab, 1431 A. H.



ENGLISH SECTION
July, 2010

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

The Night Journey and the Ascent: Signs and Lessons…!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

The Night Journey occurred in Mecca before Hijira and after assigning the Message to the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) and his return from Ta'if, as he came back from it complaining to His Lord his weakness. He was extremely hurt by his people's aggression, pride and tyranny as well as their denial of his Message, which came from Allah, Exalted be He. Then, Allah wanted to ease his soul, let him see the signs of His Might and Greatness, and that He is able to move him to any other place where he can live happily.

However, this is not the goal behind the Message, but it is bearing the trust, informing the people with it and spreading the Da'wah for the new religion of Allah, Exalted and Glorified be He. Moreover, as Allah, Glory be to Him, knows that every prophet and messenger suffered much from arrogance, pride and boastfulness of his people.

They endured and were patient till Allah blessed and assisted them extremely. Muhammad, you are the last Prophet and you are not less than them. However, your rank is even higher than theirs in relation to Allah. Be patient, strive for the sake of your Da'wah, complete your mission and Message to which Allah assigned you and be advised that you will conquer them and that Allah reward the pious.

What is the significance of this event? Is its evidence limited to the age of the prophets and messengers, or is it still the miracle of time, history and modern science? Quraysh hurt the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) extremely, denied his call "Da'wah" and Message and accused him of madness, idiocy, witchcraft and jugglery. They hurt him and his followers, then he resorted to Allah, His Lord, Creator and Sender, Complaining his weakness and humiliation by the people in his famous supplication.

Thus, a great event should happen to direct those ignorant people to the right path. A great miracle should happen to persuade them with the Message of Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him), and that he is the Messenger of Allah, Who chose him to bear His Message, spread His call "Da'wah" and raise the word of Islam in every place.

The miracle of the Night Journey occurred at the blessed night, which is explained in detail by the honorable Messenger in a long tradition Hadith, narrated

الفهـــرس

بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى
تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

رئيس التحرير
أ. د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير
عادل رفاعى خفاجة

سكرتير التحرير
أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى
داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا
أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا
عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر
ت: ٢٢٦٣٨٥٩٩

شعبان ١٤٣١هـ - يوليه ٢٠١٠م - الجزء الثامن - السنة الثالثة والثمانون



نقد وتوجيه

متى نصلحُ التعليمَ الأساسِيّ؟؟

أكتب هذا المقال وفي وهمي أن كثيرا من القراء لن يصدقوا وقائعه لأنها تقرب من المستحيلات، ولكني وجدت بعض الفضلاء يذكرون وقائع متشابهة مما أريد أن أتحدث عنه، فقلت في نفسي لقد وجدتُ نصيرا يحفظ ماء وجهي أمام من يكذّبون، ولهم عذرهم في التكذيب لأن الأمر كما قال أحمد شوقي عن بعض الأحداث:

تكاد لروعة الأنباء فيها ... تخال من الخرافة وهي صدق

أما الذي أريد أن أرويه عن نفسي، فهو أني وقفت ذات ضحوة عند بائع الخُضَراوات الذي أشترى منه حاجتي، فوجدته مع ولده الذي يحمل دبلوم التعليم الصناعي، يملي عليه اسم أخيه ليكتبه على ظرف يتجه إلى السعودية فراعني أن يكتب حامل الدبلوم الصناعي كلمة السعودية (أسعدية) وأن يُخطئ في كتابة اسم أخيه (مصطفى) فيكتبه (مُستف) فصحتُ بالكاتب: أأنت تحمل الدبلوم؟ فقال: نعم. فقلتُ: أأنت تحمل الابتدائية فالإعدادية فثانوية التعليم الفني ولا تستطيع أن تكتب اسم أخيك؟! فقال: كلُّنا في الامتحان يساعد بعضنا بعضا! فسكتُ لم أنطق، وكتمت السهم في كبدي.

لم أجرؤ على أن أكتب هذه الواقعة المزعجة، مع شدة ألمها المبرِّح في نفسي، ثم مضت الأيام، فقرأت مقالا للأستاذ صلاح قبضايا بجريدة الوفد الصادرة بتاريخ ٦ / ٦ / ٢٠٠٥ فوجدته يتحدث عن واقعة ملموسة هي أن عددا من طلاب الشهادة الإعداديّة عجزوا عن كتابة أسمائهم في الاستمارات التي تقدموا بها إلى الامتحان، وقد أثار ذلك مع الدكتور حسين كامل بهاء الدين قبل أن يترك الوزارة، وقرر أنه سيجرى تحقيقا مع المدارس التي ينتمي إليها التلاميذ. ويسأل كيف نجحوا في الشهادة الابتدائية، ثم في الأولى والثانية في المدرسة الإعدادية دون أن يتمكنوا من معرفة كتابة أسمائهم فقط، لا أن يتمكنوا من قراءة الأسئلة والإجابة عنها؟! ومضى الحادث دون نتيجة ما. ثم تكرر في عهد الدكتور أحمد جمال الدين موسى، والمأساة هي المأساة! مما دفع الأستاذ صلاح قبضايا إلى إعادة الشكوى من جديد!

وما مرّ أقل من أسبوع حتى نشرت الجمهورية أن السيد محافظ الفيوم كان يمر بلجان امتحانات الإعدادية، فرأى التلاميذ لا يعرفون قراءة الأسئلة، وهم ساكتون لا يكتبون! فالتلميذ المسكين لا يعرف قراءة السؤال، وطبيعي أنه لن يعرف الإجابة فضلا عن كتابتها وقد أمر بالتحقيق، وأشار بضرورة دورات مدرسية في إجازة نصف العام، ليتعلم التلاميذ قراءة الأسئلة! وهذه الدورات التي تتم في خمسة عشر يوما لا يمكن أن تكون علاجا شافيا لمحو الأمية لدى التلاميذ.

وأضيف من عندي ما يتكرر كل عام في أكثر لجان الإعدادية والثانوية بالريف في أكثر المحافظات حيث يقوم العمدة أو شيخ البلد أو أكبر رجالها المرموقين بجمع أموال كثيرة من أولياء الأمور، فتكون حصيلتها إكرام لجنة الامتحان فطورا وغداء وعشاء، ليتركوا التلاميذ في حرية تامة، فيأخذ كلّ منّ جاره ما يستطيع أخذه من الإجابة، بل وليتغاضى المراقب عن أجوبة مكتوبة تأتى من الخارج خاصة ببعض المحظوظين، وتمضى أيام الامتحان على هذا النمط المخجل، وقد يحمل المراقبون بعض الهدايا، ممن أظهروا مهارتهم في تيسير هذا البلاء، وقد علمت أن بعض التلاميذ لا يكتب شيئا، لأنه لا يدرى أيّ شيء، فيسمح المراقب لجاره أن يأخذ ورقة الإجابة، وينقل إليها صورة مما كتبه! دون حرج! وقد برّر أحد هؤلاء المزورين هذا الإثم الفاضح. بأن الرحمة تعم، والنجاح للجميع! فليست هناك محاباة لإنسان دون إنسان!

وأستطرد قليلا، فأقول: إن البلاء لا يقف عند مدارس الأقاليم، بل يتعدّاه إلى الكليات المرموقة في التعليم العالي، والحوادث المشهورة أكثر من أن تُسرد، وأضربُ المثل لواحدة منها بما جاء في جريدة الجمهورية الصادرة بتاريخ (١٦ / ١ / ٢٠٠٥) تحت عنوان (فضيحة في معهد الفنون):

«كان الأربعاء الماضي موعد امتحان مادة علم الجمال التي يدرسها د. وائل غالي الأستاذ بمعهد السينما لطلبة السنة الثالثة بمعهد الفنون المسرحية، ففوجيء الطلاب بأسئلة عن أجزاء من المقرر لم يتم تدريسها، حيث أن أستاذ المادة لم يلتق بطلبته إلا مرتين فقط، الأولى بمعهد السينما ليسلّمهم ملزمة من المقرر، والثانية بمعهد الفنون ليستكمل حديثه عن مواد الملزمة، وقد انسحب الطلبة من قاعة الامتحان ورفضوا الإجابة، وتظاهروا أمام قاعة

الامتحان وقد ضغط عليهم عميد المعهد بعد الوعد والوعيد حتى دخلوا قاعة الامتحان بعد أن ألغى الأسئلة التى جاءت خارج الملزمة، وسمح للطلبة بالدخول بالملزمة والنقل المباشر منها، وكانت النتيجة أن أوراق إجابة (علم الجمال) للسنة الثالثة، جاءت متشابهة، وطبق الأصل تماما من مادة الملزمة».

فهذا معهد عال بأرقى أحياء القاهرة، وليس مدرسة قروية فى أقصى الريف، لا يحضر الأستاذ فى الترم الأول غير مرتين، مرة لتوزيع الملزمة، ومرة لشرح ما بها! ثم تجىء الأسئلة فيما لم يُشرح ولم يدر عنه الطالب شيئا من قبل، وهذا كله هيّن بجوار النتيجة النهائية، وهى السماح للطلاب بالغش الصريح من الملزمة المنكودة، واتفاق الإجابات لدى الجميع، حرفا حرفا! ولم يسأل أحد أين المقرّر الدراسىّ، ولماذا أهمل؟ وأين كان المدرس فى هذه الأشهر التى لم يقم فيها بغير درس واحد، لأن الدرس الأول كان لتوزيع الملزمة، وتسلم أجر الكتاب الذى لم يطبع جميعه بعد؟ ثم ما هذا الإجراء الذى اتخذه العميد بإباحة النقل الحرفى دون مبالاة!! إننى والله لا ألوم شيخ البلد فى القرية حين جمع النقود ليطعم المراقبين، قدر ما ألوم المدرس والعميد!

على أن المشكلة تنحصر فى هذا الانفصام التام بين من يضعون المناهج للدراسة فى المدارس فى مختلف مراحلها، وبين من يقومون بالتدريس، ويعرفون قدرات التلاميذ العقلية عن كثب، فالذين يضعون المناهج يعقدون المؤتمرات التربوية، ليتحدثوا عن وجوب التطور التعليمى لمواكبة التقدم، وهم يقولون لابد من أن يدرس التلميذ الابتدائى فى مدرسته ما يجدّ من مخترعات العصر من كمبيوتر، وفيديو وأن يعرف ما يمتّ إلى الانترنت وطرق الاستخبار الحديثة حتى يكون كزميله الأوربى وفعلا تمّ ذلك فى كثير من المدارس، وتباهت بعضها بصور للتلاميذ الذين يجتمعون حول الكمبيوتر، ويزاولون أعمال الانترنت والفيديو، فنشرت الجرائد بعض هذه الصور على أنها الدليل الملموس على تقدّم التعليم الأساسى فى مصر، وهذا محض تزييف للحقائق الصارخة، لأنّ مدرسة أو مدرستين فى القاهرة والإسكندرية لا تمثلان آلافا من المدارس فى الجمهورية، وأكثرها تجمع من الفصول ما يضمّ الواحد منها سبعين تلميذا، يقف منهم ثلاثون، حيث لا يجدون المقاعد، والمدرّس بطبيعة الحال لا يعطى شيئا فى هذا الجمع الحاشد، فيكتفى بكتابة العنوان على السبورة، ثم يعطى عنوانه للتلاميذ كى يلجئوا إليه فى الدرس الخصوصى لمن يقدر عليه، وأثناء الامتحان يرعى تلاميذه الذين آووا إلى منزله، فيبذل جهده فى إنجاحهم بما يملك من وسائل المجاملة المشتركة بين الزملاء! فليت شعرى أيوجد لدينا مجال للحديث عن الفيديو والكمبيوتر والانترنت، وضرورة اطّرادها فى المدارس على مختلف المستويات، ونحن لا نعلّم حروف

الهجاء، ولا نضبط أعداد الحساب! والدليل المفجع بين أيدينا الآن، حين نرى من يتقدّمون إلى امتحان الإعدادية لا يعرفون كتابة أسمائهم! والجاهل الذى لم يتعلّم فى مدرسة، يستطيع أن يكتب اسمه بالتقليد، دون أن يعرف حروف الهجاء! ليكون بدلاً من الختم القانونى!

وبمناسبة تقرير اللغة الانجليزية بالمدارس الابتدائية أتساءل: هل من الصواب أن تزاحم اللغة الوطنية بلغة أخرى لدى طفل يزحف زحفا فى تفهم حروف الهجاء فى لغته؟ ومن هؤلاء العباقرة الذين سنوا ذلك فى حماسة ملتهبة، وهم أبعد الناس عن معرفة مدارك الأطفال ومقدرتهم المحدودة على الاستيعاب، لقد كتبتُ فى خطر هذا الاتجاه منذ أطلّت رءوسه فى الثمانينيات، وكان مما قُلت فى جريدة الجمهورية الصادرة بتاريخ ٣ / ٣ / ١٩٨٠ تحت عنوان (تدريس اللغة الإنجليزية فى المدارس الابتدائية):

«لقد قامت فلسفة اللغة الواحدة (وهى اللغة الوطنية) فى المرحلة الأولى على قاعدة علمية مسلمة، وهى أن اللغة هى أداة التفكير وأن التفكير لا يطرد فى ذهن الإنسان طفلاً كان أو رجلاً إلا إذا وجد من ألفاظ اللغة ما يستعين به على تصوّر ما يحسّ وما يريد، وتلميذ المرحلة الأولى فى حاجة إلى هضم لغته أولاً، ليستطيع تصوّر ما يريد أولاً ثم التعبير عنه ثانيا، فكيف يكون الأمر لو أرهقنا التلميذ بدراسة لغة ثانية، وهو لا يستوعب من ألفاظ لغته الأولى ما يعينه على أداء أفكاره. كما أننا الآن لا نجد من يستطيع تدريس اللغة الإنجليزية فى المدارس الإعدادية على نحو منشود، فكيف نجد من يستطيع تدريسها فى المدارس الإبتدائية، والذين يظنون الحلّ فى إطالة المدة فى تدريس الإنجليزية ابتدائيا وإعداديا وثانويا ينسون أن الوقت ليس هو المشكلة ولكن المشكلة هى استعداد التلميذ العقلى من ناحية، وفقدان من يتقن التدريس على وجهه الصحيح!

وأقول بعد ذلك: إنه لم يستفد من تدريس اللغة الإنجليزية فى المرحلة الابتدائية إلا أصحاب الدروس الخصوصية وحدهم، على أنهم لا يفهمون قدرات التلاميذ، فيقدمون إليهم ما يفيد، بل يجبرونهم على حفظ الكلمات، ومحاولة كتابتها على نحو من العجلة المقيتة، لأنّ المتزاحمين كثيرون، والإخلاص فقيد.

وإذا كان لنا أن نستفيد من الماضى.. والماضى القريب، فلنرجع إلى المدارس الإلزامية فى الثلاثينيات والأربعينيات التى كانت تمثل المدارس الابتدائية الآن، فنتساءل كيف أدت هذه المدارس دورها بنجاح تام! بحيث كان المتخرج فيها يقرأ الصحف، ويطالع الكتب ويفهم مسائل الحساب المعقدة فى الكسب والخسارة والربح البسيط والمركب، وإنّ نجاح هذه المدارس يرجع إلى أمرين هما: المدرس، والمنهج.


الزيات

أما المدرّس، فلم يكن يحمل غير كفاءة التعليم الأولى، وهى شهادة تأهّل لها خمس سنوات، بعد أن تخرج فى المدرسة الإلزامية واجتاز امتحانا مبدئيا فى علوم هذه المرحلة، يضم إليها حفظ القرآن الكريم، وفى مدرسة المعلمين يجمع التلميذ بين علوم الأزهر فى المرحلة الابتدائية من فقه ونحو وصرف وتاريخ وأدب، وبين علوم المدرسة الثانوية - إذ لم تكن الإعدادية قد وُجدت بعد - فيدرس الرياضية والمواد الاجتماعية والعلوم ما عدا اللغة الأجنبية، يدرس ذلك كله بجدّ، حيث المنهج الملائم، والمدرس المتمرّس، والمراقبة الدقيقة، فإذا أنهى سنوات الدراسة وعيّن مدرسا بالتعليم الأولى كان مؤهلا لرسالته بل لقيادة بيئته فى القرية التى تكنّ له كل تقدير».

يقول الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات عن مُدرّس هذه الحقبة:

«المعلم الإلزامى والطالب الأزهرى هما الشعاع المنبعث من نور الدين والعلم فى القرية ولولاهما لتدجى على القُرى ظلام من الضلال والجهل لا يجد فيه بصر ولا بصيرة، لأنهما يعايشان سواد الشعب وعامّته من الزراع والصناع، فيوقظان فيهم العقل، ويُحييان الضمير ويعقدان الصلة الاجتماعية بين حياة المدينة، وحياة القرية، ولو كان للتوفيق كرسيّ فى الحكومة لاتخذوا من التعليم الإلزامى وحدة ثقافية تبرىء الفلاحين أطفالا ورجالا من الجهالة والمرض. وكان من الممكن أن تعتمد وزارة المعارف على المعلمين الإلزاميين فى تعليم الأطفال بالنهار، وأن تعتمد وزارة الشئون الاجتماعية عليهم فى تعليم الرجال بالليل».

وأما المنهج، فهو المنهج الطبيعى الذى لا يثقل التلميذ بحقيبة ملأى بالكتب والكراسات يحملها فوق ظهره، دون أن يعرف من أثقالها غير القليل، وقد كتبت فى مجلة الهلال مقالاً عن الكتاب المدرسى شرحت فيه ما يُلقى على الطلبة من أحجار ساحقة يحتّمها منهج لا يبالى مؤلفوه بما يُرهق العقول الغضة من كظة تدعو إلى الغثيان، فلا أعود لما كتبت، وأذكر أن الكتب كانت لا تتجاوز فى العام الدراسى أربعة كتب يحملها التلميذ بين يديه، وكأنها جريدة الصباح! إن نظرة واحدة إلى الأسئلة التى تعقب كلّ موضوع فى كتب اليوم تدعوك إلى الحيرة والدهشة، كما أذكر أنى قرأت أسئلة عن موضوع اختاره المؤلفون للدكتور زكى نجيب محمود بالسنة الأولى الثانوية فوجدت من بين هذه الأسئلة الموجهة للطالب: ماذا ترك الدكتور من المعانى التى تكمّل هذا المقال؟ وهو سؤال لا يقدر المدرس أو الموجه على الإجابة عنه! كما قرأت فى السنة نفسها سؤالا خاصا بعبدالقاهر الجرجانى ورأيه فى بعض مسائل البيان! ولا أطيل فى هذه النوادر بل أدعو مخلصا إلى مناهج ميسرة،


زكى نجيب محمود

وكُتب مُبسطة، على أن تبدأ قبل كل شىء بإصلاح التعليم الابتدائى لأنه الأساس الحافظ للبناء الممتد إلى ما يليه!

وما جاء الضعف للمدارس الإعدادية والثانوية والجامعية إلا لأن البناء العلمى قد بُنى على شفا جرف هار!

ويجب ألا نضع رءوسنا فى الرمال حين نتوهم لدى الطفل قدرة فوق طاقته، فنفرغ له من المناهج، ونسُنّ له من الأبواب، ما ينوء به، ولدينا من رجال التربية من يستطيعون القيام عن جدارة بتحديد مواضع الخطأ والصواب فيما نزاوله من المقررات، فقد راعنى أن أجد ثلاثة مجلدات من كتاب سلاح التلميذ جميعها خاصة بتلميذ السنة الرابعة من التعليم الابتدائى، وهى فى مضمونها لا تزيد عن محتويات الكتب المقرّرة لهذا المسكين، ويتهافت أولياء الأمور على شرائها لأنها فى رأيهم أقرب الوسائل إلى الحفظ والاستظهار، ولابد من رجعة إلى الكتب القديمة التى أشرت إليها، والتى أغنت التلاميذ فى عهد الازدهار المدرسى بيسرها وإيجازها، كما لا أرى مانعا من العودة إلى نظام الفترتين فى بعض الأماكن التى يزدحم بها السكان، فذلك أدعى إلى النظام التربوى من فترة واحدة تجمع فصولا تزدحم بالتلاميذ ازدحاما يُفقدُ الدّرس مضمونه، ويحول دون الأداء الصحيح، وقد رأينا بعض الإدارات التعليمية تزهو مفتخرة بأنها قضت على الفترتين فى جميع مدارسها، وهذا حسن جدا لو لم يكن على حساب الأداء التعليمى المنشود. أما أن يتبعه تكدس الفصول بمن لا تُطيق من التلاميذ، فإننا بذلك نحول دون التلقى المنشود، ونجعل الأمر صوريًا لا نفع فيه.

لقد أكثرت من الكتابة على مدى شاسع من العمر متحدثا عن مشكلات التعليم فى جميع مراحله، ولا أزال كأنى لم أقل شيئا، بل يزيد من ألمى أن أضطر إلى التكرار فى بعض ما أقوله لأن المرض الذى أعالجه يزيد ولا ينقص، وقد يُعالج بما يضاعف من شدته، وأكاد أرى من يعترض هازئا من هذا الإلحاح المتواصل، ولكنّى أقابله صابرا، ومتذكرا قول القائل:

(وتضحكُ منّى شيخةٌ بدويّةٌ .. كأنْ لم ترَ قبلى أسيرا يمانيا)

د. / محمد رجب البيومى

تفسير سورة النساء

لفضيلة/ الأستاذ الدكتور
محمد سيد طنطاوى
رحمه الله

قال تعالى:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۚ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾

[الآيات: ٣٤ ـ ٣٥]

روى المفسرون روايات فى سبب نزول قوله ـ تعالى:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ الآية

ومن هذه الروايات ما ذكره القرطبى من أنها نزلت فى سعد بن الربيع نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن خارجة بن أبى زهير فلطمها؛ فقال أبوها: يارسول الله، أفرشته كريمتى فلطمها. فقال ﷺ: (لتقتص من زوجها). فانصرفت مع أبيها لتقتص منه. فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ «ارجعوا هذا جبريل أتانى» فأنزل الله هذه الآية [١].

وقوله ﴿ قَوَّامُونَ ﴾ جمع قوام على وزن فعال للمبالغة من القيام على الشىء وحفظه.

يقال: قام فلان على الشىء وهو قائم عليه وقوام عليه، إذا كان يرعاه ويحفظه ويتولاه.

ويقال: هذا قيم المرأة وقوامها للذى يقوم بأمرها ويهتم بحفظها وإصلاحها ورعاية شئونها.

أى: الرجال يقومون على شئون النساء بالحفظ والرعاية والنفقة والتأديب وغير ذلك مما تقتضيه مصلحتهن.

ثم ذكر ـ سبحانه ـ سببين لهذه القوامة.

أولهما: وهيى وقد بينه بقوله:

﴿ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾

أى ان حكمة الله اقتضت ان يكون الرجال قوامين على النساء بسبب ما فضل الله به الرجال على النساء من قوة الجسم، وزيادة فى العلم، وقدرة على تحمل أعباء الحياة وتكاليفها وما يستتبع ذلك من دفاع عنهن إذا ما تعرضن لسوء.

قال الفخر الرازى: واعلم أن فضل الرجال على النساء حاصل من وجوه كثيرة: بعضها صفات حقيقية وبعضها أحكام شرعية. أما الصفات الحقيقية فاعلم أن الفضائل الحقيقية يرجع حاصلها إلى أمرين. إلى العلم وإلى القدرة.

ولاشك أن عقول الرجال وعلومهم أكثر. ولا شك أن قدرتهم على الأعمال الشاقة أكمل، فلهذين السببين حصلت الفضيلة للرجال على النساء فى العقل والحزم والقوة. وإن منهم الأنبياء والعلماء، وفيهم الإمامة الكبرى والصغرى والجهاد، والأذان، والخطبة، والولاية فى النكاح فكل ذلك يدل على فضل الرجال على النساء [٢].

والمراد بالتفضيل فى قوله:

﴿ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾

تفضيل الجنس على الجنس لا تفضيل الآحاد على الآحاد. فقد يوجد من النساء من هى أقوى عقلا وأكثر معرفة من بعض الرجال.

والباء للسببية، وما مصدرية، والبعض الأول المقصود به الرجال والبعض الثانى المقصود به النساء، والضمير المضاف إليه البعض الأول يقع على مجموع الفريقين على سبيل التغليب. وقال ـ سبحانه:

﴿ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾

ولم يقل ـ مثلا ـ: بما فضلهم الله عليهن، للإشعار بأن الرجال من النساء والنساء من الرجال كما قال فى آية أخرى

﴿ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴾

وللإشارة إلى أن هذا التفضيل هو لصالح الفريقين، فعلى كل فريق منهم أن يتفرغ لأداء المهمة التى كلفه الله بها وبإخلاص وطاعة حتى يسعد الفريقان.

(١) تفسير القرطبى جـ٥ ص١٦٨.

(٢) تفسير الفخر الرازى جـ١٠ ص٨٨.

وأما السبب الثاني: فهو كسبي وقد بينه ـ سبحانه ـ بقوله:

﴿ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ ﴾

أي أن الله ـ تعالى ـ جعل الرجال قوامين على النساء بسبب ما فضل الله به الرجال على النساء من علم وقدرة. وبسبب ما ألزم به الرجال من إنفاق على النساء ومن تقديم المهور لهن عند الزواج بهن، ومن القيام برعايتهن وصيانتهن.

قال الآلوسي: واستدل بالآية على أن للزوج تأديب زوجته ومنعها من الخروج. وأن عليها طاعته إلا في معصية الله ـ تعالى ـ: وفي الخبر «لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها». واستدل بها أيضا من أجاز فسخ النكاح عند الإعسار عن النفقة والكسوة وهو مذهب مالك والشافعي، لأنه إذا خرج عن كونه قواما عليها فقد خرج عن الغرض المقصود بالنكاح. وعندنا لا فسخ لقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ ﴾

واستدل بها أيضا من جعل للزوج الحجر على زوجته في نفسها ومالها فلا تتصرف فيه إلا بإذنه، لأنه ـ سبحانه ـ جعل الرجل قواما بصيغة المبالغة. وهو الناظر على الشيء الحافظ له[٣].

ثم شرع ـ سبحانه ـ في تفصيل أحوال النساء. وفي بيان كيفية القيام عليهن بحسب اختلاف أحوالهن، فقسمهن إلى قسمين:

فقال في شأن القسم الأول:

﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ ﴾

أي: فالصالحات من النساء من صفاتهن أنهن ﴿ قَٰنِتَٰتٌ ﴾ أي مطيعات لله ـ تعالى ـ ولأزواجهن عن طيب نفس واطمئنان قلب، ومن صفاتهن كذلك أنهن:

﴿ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ ﴾

قال صاحب الكشاف: الغيب خلاف الشهادة. أي حافظات لمواجب الغيب. إذا كان الأزواج غير شاهدين لهن، حفظن ما يجب عليهن حفظه في حال الغيبة من الفروج والأموال والبيوت. وعن النبي ﷺ أنه قال: «خير النساء امرأة إن نظرت إليها سرتك، وإن أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها» ثم تلا الآية الكريمة[٤].

و«ما» في قوله: ﴿ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ ﴾ يحتمل أن تكون مصدرية فيكون المعنى: إن هؤلاء النساء الصالحات المطيعات من صفاتهن أيضا أنهن يحفظن في غيبة أزواجهن ما يجب حفظه بسبب حفظ الله لهن ورعايته إياهن بالتوفيق للعمل الذي يحبه ويرضاه.

ويحتمل أن تكون موصولة فيكون المعنى: أنهن حافظات لغيبة أزواجهن في النفس والعرض والمال وكل ما يجب حفظه بسبب الأمر الذي حفظه الله لهن على أزواجهن حيث كلف الأزواج بالإنفاق عليهن وبالإحسان إليهن، فعليهن أن يحفظن حقوق أزواجهن في مقابلة الذي حفظه الله لهن من حقوق على أزواجهن.

فالجملة الكريمة تمدح النساء الصالحات المطيعات الحافظات لأسرار أزواجهن ولكل ما يجب حفظه من عرض أو مال أو غير ذلك مما تقتضيه الحياة الزوجية.

هذا هو القسم الأول من النساء، أما القسم الثاني فقد قال ـ سبحانه ـ في شأنه:

﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ ﴾

والمراد بقوله ﴿ نُشُوزَهُنَّ ﴾ عصيانهن وخروجهن عما توجبه الحياة الزوجية من طاعة الزوجة لزوجها. يقال: نشزت الزوجة نشوزا أي: عصت زوجها وامتنعت عليه. وأصل النشوز مأخوذ من النشز بمعنى الارتفاع في وسط الأرض السهلة المنبسطة ويكون شاذا فيها. فشبهت المرأة المتعالية على طاعة زوجها بالمرتفع من الأرض.

والمعنى: هذا شأن النساء الصالحات القانتات الحافظات للغيب بسبب حفظ الله لهن، أما النساء اللاتي تخافون ﴿ نُشُوزَهُنَّ ﴾ أي عصيانهن لكم، وترفعهن عن مطاوعتكم، وسوء عشرتهن ﴿ فَعِظُوهُنَّ ﴾ بالقول الذي يؤثر في النفس، ويوجههن نحو الخير والفضيلة، بأن تذكروهن بحسن عاقبة الطاعة للزوج. وسوء عاقبة النشوز والمعصية، وبأن تسوقوا لهن من تعاليم الإسلام وآدابه وتوجيهاته ما من شأنه أن يشفي الصدور، ويهدي النفوس إلى الخير.

قال ابن كثير: وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ﴾

أي النساء اللاتي تخافون أن ينشزن على أزواجهن فعظوهن. والنشوز هو الارتفاع فالمرأة الناشز هي المرتفعة على زوجها التاركة لأمره، المعرضة عنه المبغضة له. فمتى ظهر له منها أمارات النشوز فليعظها وليخوفها عقاب الله، فإن الله قد أوجب حق الزوج عليها وطاعته، وحرم عليها معصيته لماله عليها من الفضل. وقد قال رسول الله ﷺ: «لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها»[٥].

وقوله:

﴿ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾

أي وعليكم إذا لم تنفع الموعظة والنصيحة معهن أن تتركوهن منفردات في أماكن نومهن.

فالمضاجع جمع مضجع ـ وهو مكان النوم والاضطجاع.

قال القرطبي: والهجر في المضجع هو أن

(٣) تفسير الآلوسي جـ٥ ص٢٤.

(٤) تفسير الكشاف جـ١ ص٥٠٠.

(٥) تفسير ابن كثير جـ١ ص٤٩٢.

يضاجعها ـ أى ينام معها فى فراش واحد ـ ويوليها ظهره ولا يجامعها. وقال مجاهد:

﴿ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ ﴾

أى تجنبوا مضاجعهن أى ـ اهجروا أماكن نومهن بأن تناموا بعيدا عنهن [6].

روى أبوداود بسنده عن معاوية بن حيدة القشيرى أنه قال يارسول الله: ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت ولاتضرب الوجه ولا تقبح. ولا تهجر إلا فى البيت.

وقوله ﴿ وَٱضْرِبُوهُنَّ ﴾ معطوف على ما قبله. أى إن لم ينفع ما فعلتم من العظة والهجران فاضربوهن ضربا غير مبرح ـ أى غير شديد ولا مشين ـ فقد ثبت فى صحيح مسلم عن جابر عن النبى ﷺ أنه قال فى حجة الوداع: واتقوا الله فى النساء فإنهن عوان عندكم ـ أى أسيرات عندكم ـ ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه. فإن فعلن فاضربوهن ضربا غير مبرح.

وقد فسر العلماء الضرب غير المبرح بأنه الذى لا يكسر عظما، ولا يشين جارحة، وأن يتقى الوجه فإنه مجمع المحاسن ولا يلجأ إليه إلا عند فشل العلاجين السابقين.

وقد قال ـ سبحانه:

﴿ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ﴾

ولم يقل: واللائى ينشزن، للإشعار بأن يبدأ الزوج بعلاج عيوب زوجته عندما تظهر أمارات هذه العيوب وعلاماتها وأن لا يتركها حتى تستشرى وتشتد، بل عليه عندما يخشى النشوز أن يعالجه قبل أن يقع، وأن يكون علاجه بطريقة حكيمة من شأنها أن تقنع وتفيد.

وبعضهم فسر الخوف، بالعلم أى واللاتى تعلمون نشوزهن فعظوهن.. إلخ.

وبعضهم قدر مضافا فى الكلام أى: واللاتى تخافون دوام نشوزهن، فعظوهن واهجروهن فى المضاجع.. إلخ.

وبعضهم قدر معطوفا محذوفا أى: واللاتى تخافون نشوزهن ونشزن، فعظوهن واهجروهن فى المضاجع.. إلخ.

وجمهور العلماء على أن من الواجب على الزوج أن يسلك فى معالجته لزوجته تلك الأنواع الثلاثة على الترتيب بأن يبدأ بالوعظ ثم بالهجر ثم بالضرب، لأن الله ـ تعالى ـ قد أمر بذلك، ولأنه قد رتب هذه العقوبات بتلك الطريقة الحكيمة التى تبدأ بالعقوبة الخفيفة ثم تتدرج إلى العقوبة الشديدة ثم إلى الأكثر شدة.

قال الفخر الرازى: وبالجملة فالتخفيف مراعى فى هذا الباب على أبلغ الوجوه. والذى يدل عليه اللفظ أنه ـ تعالى ـ ابتدأ بالوعظ. ثم ترقى منه إلى الضرب. وذلك تنبيه يجرى مجرى التصريح فى أنه متى حصل الغرض بالطريق الأخف، وجب الاكتفاء به، ولم يجز الإقدام على الطريق

(6) تفسير القرطبى جـ5 ص171 ـ بتصرف وتلخيص.

الأشق. وهذه طريقة من قال: حكم هذه الآية مشروع على الترتيب.

وقال بعض أصحابنا: تحرير المذهب أن له عند خوف النشوز أن يعظها، وهل له أن يهجرها؟ فيه احتمال. وله عند إبداء النشوز أن يعظها أو يهجرها، أو يضربها [7].

ثم بين ـ سبحانه ـ ما يجب على الرجال نحو النساء إذا ما أطعنهم وتركن النشوز والعصيان فقال ـ تعالى ـ:

﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾

أى فإن رجعن عن النشوز إلى الطاعة وانقدن لما أوجب الله عليهن نحوكم أيها الرجال، فلا تطلبوا سبيلا وطريقا إلى التعدى عليهن، أو فلا تظلموهن بأى طريق من طرق الظلم كأن تؤذوهن بألسنتكم أو بأيديكم أو بغير ذلك، بل اجعلوا ما كان منهن كأنه لم يكن، وحاولوا التقرب إليهن بألوان المودة والرحمة.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾

فاحذروا مخالفة أمره، فإن قدرته ـ سبحانه ـ عليكم أعظم من قدرتكم على نسائكم.

فالجملة الكريمة تذييل قصد به حث الأزواج على قبول توبة النساء، وتحذيرهم من ظلمهن إذا ما تركن النشوز، وعدن إلى طريق الطاعة والإنابة.

قال بعضهم: وذكر هاتين الصفتين فى هذا الموضع فى غاية الحسن، وبيانه من وجوه:

الأول: أن المقصود منه تهديد الأزواج على ظلم النساء والمعنى: أنهن إن ضعفن عن دفع ظلمكم وعجزن عن الانتصاف منكم، فالله ـ سبحانه ـ ينتصف لهن منكم لأنه علىّ قاهر كبير.

الثانى: لا تبغوا عليهن إذا أطعنكم لعلو أيديكم، فإن الله أعلى منكم وأكبر من كل شيء.

الثالث: أنه ـ سبحانه ـ مع علوه وكبريائه لا يكلفكم إلا ما تطيقون، كذلك لا تكلفوهن محبتكم، فإنهن لا يقدرن على ذلك.

الرابع: أنه مع علوه وكبريائه لا يؤاخذ العاصى إذا تاب، بل يغفر له، فإذا تابت المرأة عن نشوزها فأنتم أولى بأن تتركوا عقوبتها وتقبلوا توبتها.

الخامس: أنه ـ تعالى ـ مع علوه وكبريائه اكتفى من العبد بالظواهر ولم يهتك السرائر فأنتم أولى أن تكتفوا بظاهر حال المرأة، وأن لا تقعوا فى التفتيش عما فى قلبها وضميرها من الحب والبغض [8].

ثم بين ـ سبحانه ـ ما يجب عمله إذا ما نشب خلاف بين الزوجين فقال ـ تعالى ـ:

(7) تفسير الفخر الرازى جـ10 ص90 ـ بتصرف وتلخيص.
(8) تفسير الفخر الرازى جـ10 ص91.

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾

والمراد بالخوف هنا العلم. والخطاب لولاة الأمور وصلحاء الأمة. وقيل لأهل الزوجين. والمراد بالشقاق ما يحصل بين الزوجين من خلاف ومعاداة. وسمى الخلاف شقاقا لأن المخالف يفعل ما يشق على صاحبه، أو لأن كل واحد من الزوجين صار فى شق وجانب غير الذى فيه صاحبه.

وقوله ﴿ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا ﴾ أصله شقاقا بينهما. فأضيف الشقاق إلى الظرف إما على إجرائه مجرى المفعول فيه اتساعا كقوله ـ تعالى:

﴿ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾

وأصله بل مكر فى الليل والنهار.

وإما على إجرائه مجرى الفاعل بجعل البين مشاقا والليل والنهار ماكرين. كما فى قولك نهارك صائم.

والمعنى: وإن علمتم أيها المؤمنون أن هناك خلافا بين الزوجين قد يتسبب عنه النفور الشديد، وانقطاع حبال الحياة الزوجية بينهما، ففى هذه الحالة عليكم أن تبعثوا «حكما» أى رجلا صالحا عاقلا أهلا للإصلاح ومنع الظالم من الظلم ﴿ مِّنْ أَهْلِهِ ﴾ أى من أهل الزوج وأقاربه ﴿ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ أى من أقارب الزوجة بحيث يكون على صفة الأول: لأن الأقارب فى الغالب أعرف ببواطن الأحوال، وأطلب للإصلاح، وتسكن إليهم النفس أكثر من غيرهم. وعلى الحكمين فى هذه الحالة أن يستكشفا حقيقة الخلاف، وأن يعرفا هل الإصلاح بين الزوجين ممكن أو أن الفراق خير لهما؟.

وظاهر الأمر فى قوله: ﴿ فَابْعَثُوا ﴾ أنه للوجوب، لأنه من باب رفع المظالم ورفع المظالم من الأمور الواجبة على الحكام.

وظاهر وصف الحكمين بأن يكون أحدهما من أهل الزوج والثانى من أهل الزوجة، أن ذلك شرط على سبيل الوجوب، إلا أن كثيرا من العلماء حمله على الاستحباب، وقالوا: إذا بعث القاضى بحكمين من الأجانب جاز ذلك، لأن فائدة بعث الحكمين استطلاع حقيقة الحال بين الزوجين، وهذا أمر يستطيعه الأقارب وغير الأقارب إلا أنه يستحب الأقارب فيه لأنهم أعرف بأحوال الزوجين، وأشد طلباً للإصلاح، وأبعد عن الظنة والريبة، وأقرب إلى أن تسكن إليهم النفس.

والضمير فى قوله ـ تعالى:

﴿ إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا ﴾

يجوز أن يعود للحكمين ويجوز أن يكون للزوجين. وكذلك الضمير فى قوله:

﴿ يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾

يحتمل أن يكون للحكمين وأن يكون للزوجين.

والأولى جعل الضمير الأول للحكمين والثانى للزوجين فيكون المعنى: إن يريدا أى الحكمان إصلاحا بنية صحيحة وعزيمة صادقة، يوفق الله بين الزوجين بإلقاء الألفة والمودة فى نفسيهما، وانتزاع أسباب الخلاف من قلبيهما.

هذا، وقد اختلف العلماء فيما يتولاه الحكمان، أيتوليان الجمع والتفريق بين الزوجين بدون إذنهما أم ليس لهما تنفيذ أمر يتعلق بالزوجين إلا بعد استئذانهما؟.

يرى بعضهم أن للحكمين أن يلزما الزوجين بما يريانه بدون إذنهما، لأن الله ـ تعالى ـ سماهما حكمين، والحكم هو الذى يحسم الخلاف بما تقتضيه المصلحة سواء أرضى المحكوم عليه أم لم يرض؛ ولأن القاضى هو الذى كلفهما بهذه المهمة فلهما أن يتصرفا بما يريانه خيراً بدون إذن الزوجين؛ ولأن عليا ـ رضى الله عنه ـ عندما بعث الحكمين لحسم الخلاف الذى نشب بين أخيه عقيل وبين زوجته قال لهما: أتدريان ما عليكما؟ إن عليكما إن رأيتم أن تجمعا جمعتما وإن رأيتما أن تفرقا فرقتما..

وإلى هذا الرأى اتجه ابن عباس والشعبى ومالك وأحمد بن حنبل وغيرهم ويرى الحسن وأبو حنيفة وغيرهما أنه ليس للحكمين أن يفرقا بين الزوجين إلا برضاهما لأنهما وكيلان للزوجين، ولأن الآية الكريمة قد بينت أن عملهما هو الإصلاح فإن عجزا عنه فقد انتهت مهمتهما، ولأن الطلاق من الزوج وحده، ولا يتولاه غيره إلا بالنيابة عنه.

ثم ختم ـ سبحانه ـ الآية الكريمة بقوله:

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾

أى إنه ـ سبحانه ـ عليم بظواهر الأمور وبواطنها. خبير بأحوال النفوس وطرق علاجها، ولا يخفى عليه شىء من تصرفات الناس وأعمالهم، وسيحاسبهم عليها.

فالجملة الكريمة تذييل المقصود منه الوعيد للحكمين إذا ما سلكا طريقا يخالف الحق والعدل.

وبهذا نرى أن هاتين الآيتين الكريمتين قد بينتا جانبا هاما مما يجب للرجال على النساء، ومما يجب للنساء على الرجال، فقد مدحت أولاهما النساء الصالحات المطيعات الحافظات لحق أزواجهن، ورسمت العلاج الناجع الذى يجب على الرجال أن يستعملوه إذا ما حدث نشوز من زوجاتهم، وحذرت الرجال من البغى على النساء إذا ما تركن النشوز وعدن إلى الطاعة والاستقامة.

﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾

ثم طلبت الآية الثانية من ولاة الأمور وصلحاء الأمة أن يتدخلوا بين الزوجين إذا ما نشب خلاف بينهما، وأن يكون هذا التدخل عن طريق حكمين عدلين عاقلين يتوليان الاصلاح بينهما ويقضيان بما فيه مصلحة الزوجين، وقد وعد ـ سبحانه ـ بالتوفيق بين الزوجين متى صلحت النيات، وصفت النفوس، ومالت القلوب نحو التسامح والتعاطف قال ـ تعالى:

﴿ إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾

وبهذا التشريع الحكيم تسعد الأمم والأسر، وتنال ما تصبو إليه من رقى واستقرار.

خير المجالس

لفضيلة الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومى

روى الإمام البخارى رحمه الله عن أبى واقد الليثى أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس فى المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد، قال: فوقفا على رسول الله ﷺ فأما أحدهما فرأى فرجة فى الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهباً، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال ألا أخبركم عن النفر الثلاثة أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه.

التعريف بالراوى

أبو واقد الليثى: صحابى اختلف فى اسمه، والأشهر أنه الحارث بن عوف، وهو مشهور بكنيته، أسلم قبل الفتح، له أربعة وعشرون حديثا، اتفق البخارى ومسلم على حديث وانفرد مسلم بآخر، يعد فى أهل المدينة وجاور بمكة سنة ومات بها سنة ثمان وستين فدفن فى مقبرة المهاجرين عن خمس وسبعين سنة - رضى الله عنه.

اللغويات

«ثلاثة نفر» : ثلاثة رجال.

«فوقفا على رسول الله ﷺ»: أشرفا على مجلسه ﷺ.

«فرأى فرجة فى الحلقة فجلس فيها»: الفرجة بضم الفاء وفتحها لغتان وهى الخلل بين الشيئين، وفى ذلك بيان أن من حضر جماعة فوجد فى الحلقة فرجة، أو حضر الصلاة وفى الصف فرجة - فالأولى أن يدخل الفرجة، فإن لم يجد فلا يزاحمهم إلا أن يتفسحوا له، بل يجلس حيث ينتهى به المجلس.

«أوى إلى الله»: يعنى فعل ما يرضاه الله ولجأ إليه بدخوله مجلس الذكر والعلم الذى يتصدره رسول الله ﷺ.

«فآواه الله»: جعل الله له فى مجلس النبى ﷺ مكانا وفسحة لما انضم إليه، وأثابه فى الآخرة بجنته.

«وأما الآخر» أى: الثانى.

«فاستحيا»: ترك المزاحمة كما فعل رفيقه حياء من النبى ﷺ والحاضرين.

«فاستحيا فاستحيا الله منه»: هو من اتساع كلام العرب فى ألفاظهم وفصيح كلامهم، والمعنى: أن الله قد غفر له، لأنه من استحيا الله منه لم يعذبه بذنبه وغفر له، بل لم يعاتبه عليه فكان المعنى فى الأول أن فعله أوجب له حسنة، والآخر أوجب له فعله محو سيئة عنه وقيل: معناه جازاه على استحيائه بأن ترك عقوبته على ذنوبه، ومنه قوله - سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا ﴾

(البقرة: ٢٦)

أى: لا يترك، لأن الحياء سبب للترك، وفى هذا الحديث النبوى إثبات الحياء لله - عزوجل، ولكنه ليس كحياء المخلوقين بل هو حياء الكمال يليق بالله - عزوجل.

«فأعرض فأعرض الله عنه»: أراد: أعرض عن عمل البر فأعرض الله عنه بالثواب، وقد يحتمل أن يكون المعرض عن ذلك المجلس من فى قلبه نفاق ومرض، لأنه لا يعرض فى الأغلب عن مجلس رسول الله ﷺ إلا من هذه حاله، بل قد بان لنا بقول رسول الله ﷺ : «فأعرض فأعرض الله عنه» - أنه منهم، لأنه لو أعرض لحاجة عرضت له ما كان من رسول الله ﷺ ذلك القول فيه، ومن كانت هذه حاله كان إعراض الله - عزوجل - عنه عياذا بالله - سخطا عليه.

الشرح والبيان

من مآثر السنة المطهرة وذخائر الهدى النبوى الشريف عقد حلقات العلم فى المسجد، حيث كان المسجد - على عهد رسول الله ﷺ مدرسة لتلقى العلم، إذ تعهد رسول الله ﷺ أصحابه فيها بالتعليم والتوجيه بوحى السماء من غبش الفجر إلى غسق الليل، ودعاهم إلى حضور تلك الحلقات وحضهم على ذلك فقال ﷺ فيما رواه الإمام مسلم عن أبى هريرة - رضى الله عنه -: «... وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده...».

وقد حدث على عهده ﷺ أنه كان جالساً ذات يوم مع أصحابه فى المسجد فأقبل ثلاثة رجال: أما أحدهم فولى وأعرض ولم يأت إلى الحلقة، وأما الثانى فوجد فى الحلقة فرجة فجلس، وأما الثالث فجلس خلف الحلقة كأنه استحيا

أن يزحم الناس وأن يضيق عليهم، فلما فرغ النبي ﷺ قال: ألا أخبركم بنبأ القوم، أما أحدهم فأوى الى الله فآواه الله - عزوجل، وهو الذى جلس فآواه الله - عزوجل - إليه، لأنه كان صادق النية في الجلوس مع النبي ﷺ فيسر الله له، وأما الثاني فاستحيا فاستحيا الله منه لأنه مازاحم ولا تقدم، وأما الأخير فأعرض فأعرض الله عنه، لم يوفقه لأن يجلس مع هؤلاء القوم البررة الأطهار.

وإن دل هذا على شئ فإنما يدل على ذكاء النبي ﷺ وفطنته، فهو خبير بأغوار النفس البشرية، وما تنطوي عليه من بواعث مختلفة، ودوافع متنوعة، وهذه الأسباب وتلك الدوافع قد تدفع بأصحابها الى الخير والهدى والرشاد، أو الشر والغي والضلال، وببساطة شديدة ويسر وسهولة استطاع النبي ﷺ في كلمات قليلة، وعبارات موجزة - أن يخبر عن حال كل من هؤلاء الرجال الثلاثة، فأرشد أصحابه إلى أن الأول أقبل على هذه الحلقة التي تذكر الله وتتدارس العلم مع النبي ﷺ فحرص على أن يكون من أهلها، وأن ينتفع بما فيها من خير وثواب، فكان الجزاء من جنس العمل، فأقبل الله عليه وأثابه.. وأما الثاني فاستحيا من الله - عزوجل - أن ينصرف وأن يحرم نفسه من مجلس الخير والفضل، فاستحيا الله منه، وجازاه على استحيائه بأن غفر له، لأن من استحيا الله منه لم يعذبه بذنبه وغفره له بل لم يعاتبه عليه.. وأما الأخير فلم يبال ولم يستحي، وأعرض وانصرف ولم يخش لوما ولا ربا، فكانت عقوبته موافقة لسوء تصرفه، أعرض عن الله فأعرض الله عنه:

﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾

(الكهف: ٤٩)

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

(يونس: ٤٤)

ويفهم من هذا أن من أعرض عن مجلس العلم وذكر الله أعرض الله عنه وبالتالي تعرض لسخطه، ولتقرأ قوله - جل جلاله -:

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾

(الأعراف: ١٧٥)

وهذا انسلخ من إيواء الله بإعراضه عنه.

هذا إذا كان الإعراض لغير عذر، قال القاضي عياض: (من أعرض عن نبيه عليه الصلاة والسلام وزهد منه فليس بمؤمن، وإن كان هذا مؤمنا وذهب لحاجة دنيوية أو ضرورية فإعراض الله عنه ترك رحمته وعفوه فلا يثبت له حسنة ولا يمحو عنه سيئة).

أما إذا كان ذاك منافقا فقد أطلع النبي ﷺ على أمره، فلذلك قال: «فأعرض الله عنه».

وإن أشار هذا إلى شئ فإنما يشير إلى أن من جلس إلى حلقة فيها علم أو ذكر فهو في كنف الله - سبحانه وتعالى - وفي إيوائه:

لو يعلم العبد ما في الذكر من شرف
أمضى الحياة بتسبيح وتهليل!

وهو ممن تضع له الملائكة أجنحتها، روى أبو داود عن أبي الدرداء قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر». وقد أنشد الشاعر الحكيم.

والعلم نور فكن بالعلم معتصما
إن رمت فوزا لدى الرحمن مولانا
وهو النجاة وفيه الخير أجمعه
والجاهلون أخف الناس ميزانا
والعلم يرفع بيتا كان منخفضا
والجهل يخفضه لو كان ما كانا
وأرفع الناس أهل العلم منزلة
وأوضع الناس من قد كان حيرانا

ويستفاد من هذا الحديث النبوي الشريف أمور كثيرة ذكر أهل العلم منها:

أن من قصد العالم ومجالسته فاستحيا ممن قصده فإن الله يستحيي منه فلا يعذبه، وأن من أعرض عن مجالسة العالم فإن الله يعرض عنه، ومن أعرض الله عنه فقد تعرض لسخطه، وفيه استحباب التحلق للعلم والذكر في المسجد، وفيه استحباب القرب من الكبير في الحلقة ليسمع كلامه، واستحباب الثناء على من فعل جميلا، وأن الإنسان إذا فعل قبيحا أو مذموما وباح به جاز أن ينسب إليه، وأن من حسن الأدب أن يجلس المرء حيث انتهى مجلسه ولا يقيم أحدا، وفيه استحباب ابتداء العالم جلساءه بالعلم قبل أن يسأل عنه، وأن من سبق إلى موضع في مجلس كان هو أحق به لتعلق حقه به في الجلوس، وفيه استحباب سد خلل الحلقة كما ورد الترغيب في سد خلل الصفوف في الصلاة، وجواز التخطي لسد الخلل ما لم يؤذ أحدا فإن خشي استحب أن يجلس حيث ينتهي، والثناء على من زاحم في طلب الخير.

فاللهم انفعنا بما علمتنا وعلمنا ما ينفعنا وزدنا علما، والحمد لله على كل حال ونعوذ بالله من حال أهل النار، وصلى الله على سيدنا رسول الله الذى رد الدنيا إلى صوابها وعدل ميزانها وألقى في وجدانها الحكمة والرشد، ووفقنا جميعا للعمل بقوله والاقتداء بفعله، إنه أكرم مسئول.

كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا

للأستاذ/ صديق بكر عيطة

قال تعالى فى سورة «الجمعة»:

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

«الجمعة: ٥»

وردت هذه الآية المباركة فى سورة الجمعة، ضمن آيات تذكر فضل الله على أمة العرب، الأمية، التى خلفت أهل الكتاب فى القيام على رعاية منهج الله فى الأرض، حيث إن اليهود وهم أهل كتاب، انحرفوا عن الطريق، وضلوا السبيل، فلم يعودوا أهلا لأن يستمروا فى نيل هذا الشرف الكبير.

ولذا نجد قبل هذه الآية:

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢) وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾

(الجمعة: ٢-٤)

كما جاء بعدها:

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾

(الجمعة: ٦، ٧)

هذه الآية المباركة، التى هى موضوع حديثنا تصور اليهود ـ بعد أن نكلوا عن القيام بما أوجبه الله عليهم من رعاية حدوده، وتنفيذ شريعته ـ فى صورة الحمار، الذى يحمل أسفارا، وهو لا يعلم شيئا مما تحتويه.

يقول صاحب الظلال: «فبنو إسرائيل حملوا التوراة، وكلفوا أمانة العقيدة والشريعة.. ﴿ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا ﴾.. فحملها يبدأ بالإدراك والفهم والفقه، وينتهى بالعمل لتحقيق مدلولها فى عالم الضمير وعالم الواقع، ولكن سيرة بنى إسرائيل كما عرفها القرآن الكريم ـ وكما هى فى حقيقتها ـ لا تدل على أنهم قدروا هذه الأمانة، ولا أنهم فقهوا حقيقتها، ولا أنهم عملوا بها، ومن ثم كانوا كالحمار يحمل الكتب الضخام، وليس له منها إلا ثقلها. فهو ليس صاحبها. وليس شريكا فى الغاية منها»(1).

وهى صورة ساخرة تبرز ما وصلت إليه يهود بهذا النكول، والانحراف، من بلادة الذهن، وسطحية الرؤية، فالآية الكريمة لا ترمى إلى مجرد رسم الصورة فى ظاهرها المرئى ـ وإن كان قد حدث فعلا كأدق ما يكون ـ وإلا لاستوى فيها أن يصوروا فى صورة الحمار، أو الحصان، أو الناقة، أو أى حيوان آخر.

صورة معبرة

لكن لما كان الحمار، قد ارتبط فى الذهن، ببلادة الحس، وقلة الاكتراث بما يدور من حوله، والرضوخ التام فى ذلة وضعة، حتى كان أحد شيئين لم يعرف العربى لهما ثالثا، يقيمان على الذلة وانحطاط الشأن مما دفع الشاعر إلى أن يقول:

ولا يقيم على ضيم يراد به ... إلا الأذلان عير الحى والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته ... وذا يشج فلا يرثى له أحد

ولما كان هذا شأن بنى إسرائيل فى بلادة الذهن، وعدم الاكتراث بما كلفوا من أمانة العقيدة والشريعة، ولا يرى الحبر منهم إلا حاملا للكتاب السماوى، وهو لا يفهم ما بداخله، ولا يدرك أبعاده ومراميه، ولا يعمل بما فيه.. لما كان ذاك شأن الحمار، وهذا شأن يهود.. ناسب أن يصوروا فى هذه الصورة الهازئة الساخرة «ولكنها صورة معبرة عن حقيقة صادقة:

(1) فى ظلال القرآن: تفسير سورة الجمعة.

﴿ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾(٢).

وإن من يعيد التأمل في هذه الآية المباركة، يلاحظ فيها بعض الجوانب الفنية في التعبير، التي تضفي على الصورة مزيدا من التأثير والفاعلية، لتبلغ بالقارئ ما يبلغه المنظر الحي المتحرك على شاشة السينما، أو رؤية الحمار في القرية وهو يحمل حملا ثقيلا في طريقه إلى الحقل أو «الجرن»، وقد حنى رأسه، ولا يتخطى نظره مواطئ حافره، وقد أمسك صاحبه بعصا يلهب بها ظهره، متى شاء.

● أولا: أن الآية لم تقطع بذكر اليهود، أو بني إسرائيل بداية.. وإنما عبرت عنهم بطريق الكناية:

﴿ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ﴾

كما لم يرد ذكر صريح لهم قبل ذلك في الآيات.. وإنما جاء أول ذكر صريح لهم في الآية التالية:

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا ﴾

بعد أن التصقت بهم صورة:

﴿ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾

وإن ذكر الكناية:

﴿ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ﴾

ليدل بجلاء على مدى الجريمة، التي ارتكبوها في حق أنفسهم، وفي حق البشرية، حيث أن الله تعالى حملهم أماناتها ثم هم ﴿ لَمْ يَحْمِلُوهَا ﴾ ولم يعوا ما جاء فيها، ولم يفقهوا ما ترمي إليه من تقرير الشريعة، ولم يعملوا بها، فهم ـ إذن ـ ظالمون، ومن هنا كان هذا التذييل المناسب:

﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

● ثانيا: توسط ﴿ ثُمَّ ﴾ بين الجملتين المتعاطفتين. وفيه دلالة قوية على أن عدم حملهم إياها يجب أن يكون أمرا مستبعدا، لأن أحبار بني إسرائيل كانوا يتيهون فخرا على غيرهم من أمم الأرض بأنهم شعب الله المختار لحمل أماناته، القائم على حراسة العقيدة، فضلا عن أن ذلك ـ بحق ـ يعد فضلا ومزية، لا تدانيها مزية أخرى، إذا هي أديت كما أمر الله تعالى ـ فإذا كان الأمر كذلك، كان من المستبعد أن ينكل شعب اختير لهذا الشرف العظيم، عن الاستمرار في أداء هذه الرسالة. ولذا كانت الجريمة عظمى والعقاب عليها مما يتناسب معها.. ومن هنا كان الاستبعاد الذي تدل عليه «ثم» مبطنا بالدهشة والاستنكار.

(٢) المرجع نفسه.

وجه شبه أقوى أثرا

● ثالثا: إن من يتأمل هذه الصورة، ويتدبر هذا التشبيه، يرى أن وجه الشبه المقصود، ليس هو مجرد رسم صورة مادية، في هيئة صورة مادية أخرى فقط ـ وإن كان ذلك قد تم بكل دقة ـ وإلا تصح أن يكون التشبيه بالحصان، أو الناقة أو غيرها من الحيوانات التي تحمل، وربما كانت أشهر من الحمار عند العرب وقت نزول الآيات، وإنما يراد من وراء ذلك وجه شبه أبعد مدى، وأقوى أثرا في تجسيد معنى السخرية والاستهزاء، وذلك حيث تكون بلادة الحس والشعور، والإقامة على حالة الضيم والذل؛ لأنه كثير الأحمال، ولا يكاد يُرى إلا مسخرا في أداء عمل شاق، وهو لا يشكو، ولا يضيق ذرعا بشيء من ذلك.

ورحم الله الإمام عبدالقاهر الجرجاني، فلقد كان على ضربة معول من هذا المفهوم حينما علق على هذه الآية قائلا: «الشبه منتزع من أحوال الحمار وهو أنه يحمل الأسفار التي هي أوعية العلوم، ومستودع ثمر العقول، ثم لا يحس بما فيها ولا يشعر بمضمونها، ولا يفرق بينها وبين سائر الأحمال، التي ليست من العلم في شيء ولا من الدلالة عليه بسبيل، فليس له مما يحمل حظ سوى أنه يثقل عليه ويكد جنبيه»(٣) وإني لعلى ثقة من أن هذا المعنى كان يجول بخاطره وهو يكتب هذا الكلام، غير أنه كان مشغولا بما كان بسبيله وهو بيان الفرق بين التشبيه المفرد والتشبيه التمثيلي»(٤).

وإن عبارة:

﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾

هكذا.. بما يطوى فيها من وجه الشبه.. لموحية بكل هذه المعاني السابقة، التي أصبحت لازمة من لوازم الحمار.. أنى ذكر اسمه. ولذا فقد حسن في النفس موقع هذا التعقيب ﴿ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ ﴾ لأنه بمثابة الغلاف الذي يشي بالكثير مما تحته من ملامح هذه الصورة الساخرة.

***

(٣) أسرار البلاغة ص٧٣.

(٤) راجع «الصورة لدى علماء البلاغة الأقدمين».

التعـددية والاختـلاف من سُنن الفطـــرة.. والقوانين التى لا تبديل لها ولا تحويل

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

لقد غالبت التعددية، فى الفكر الإسلامى، تلك المحاولات التى أرادت اعتماد أحد الاجتهادات والاستغناء به عن بقية الاجتهادات.. وهى محاولات وفدت على الحياة الإسلامية من تراث الفرس، الذى عرفت كسرويته الحكم بالحق الإلهى، وقدسية قانون كسرى، باعتباره قانون السماء، الذى لا اجتهاد معه لبشر.. وفدت هذه المحاولات إلى الحياة الإسلامية إبان صعود النفوذ الفارسى فى البلاط العباسى، على عهد أبى جعفر المنصور (٩٥ - ١٥٨هـ/ ٧١٤-٧٧٥م).. فلقد أشار عبدالله بن المقفع (١٠٩ - ١٤٥هـ/ ٧٢٧- ٧٦٢م) على المنصور باعتماد الدولة لاجتهاد فقهى واحد، فى كل الأمصار، بدلا من تعدد الاجتهادات الفقهية بتعدد مدارس الفقه الإسلامى فى تلك الأمصار.. فكتب إلى الخليفة يقول: «.. فلو رأى أمير المؤمنين أن يأمر بهذه الأقضية والسنن المختلفة، فترفع إليه فى كتاب، ويرفع معها ما يحتج به كل قوم من سنة أو قياس، ثم نظر أمير المؤمنين فى ذلك، وأمر فى كل قضية رأيه الذى يلهمه الله ويعزم عليه، وينهى عن القضاء بخلافه، وكتب بذلك كتابا جامعا عزما. لرجونا أن يجعل الله هذه الأحكام المختلطة الصواب بالخطأ حكما واحدا صوابا، ورجونا أن يكون اجتماع السير قربة لاجتماع الأمر برأى أمير المؤمنين وعلى لسانه..»[1].

٣

فنحن أمام فكر يريد المطابقة بين وحدة الدولة -الخلافة- «اجتماع الأمر» وبين واحدية الاجتهاد والقانون وفقه المعاملات فى الدولة الإسلامية، المترامية الأطراف، والتى تضم أقاليمها وولاياتها المتمايز من الأعراف والعادات، والمختلف من الاجتهادات، والمتعدد من مذاهب الفقه الإسلامى.

ويبدو أن المنصور قد مال إلى ما أشار به ابن المقفع.. فأشار بهذا الرأى على الإمام مالك بن أنس (٩٣ - ١٧٩هـ/ ٧١٢- ٧٩٥م) مقترحا اعتماد اجتهاد مالك، وكتاب (الموطأ) قانونا واحدا يحل محل التعددية الاجتهادية فى أمصار ديار الإسلام.. لكن الإمام مالك -انطلاقا من مكانة التعددية فى الرؤية الإسلامية، ودورها فى تزكية وتنمية الاجتهاد فى الإسلام- رفض هذا الاقتراح -رغم ما فيه من اختيار لاجتهاداته، وسيادة لمذهبه- .. فعندما قال له المنصور:

«- قد عزمت أن آمر بكتبك هذه التى صنعتها فتنسخ، ثم أبعث فى كل مصر من أمصار المسلمين منها نسخة، وآمرهم أن يعملوا بما فيها، ولا يتعدوه إلى غيره».

(١) (رسالة الصحابة) -فى «جمهرة رسائل العرب» لأحمد زكى صفوت- رسالة رقم (٣٦)- والنقل عن «النظرية العامة للشريعة الإسلامية» ص٢٠٠.

كان جواب الإمام مالك، الرفض.. والنهى عن توحيد الاجتهادات فى فقه المعاملات -وهو علم الفروع- .. فقال للمنصور: «- يا أمير المؤمنين، لا تفعل هذا، فإن الناس قد سبقت إليهم أقاويل، وسمعوا أحاديث، ورووا روايات، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم وأتوا به من اختلاف الناس، فدع الناس وما اختار أهل كل بلد منهم لأنفسهم».

ويبدو أن هارون الرشيد (١٤٩- ١٩٣هـ/ ٧٦٦ - ٨٠٩م) قد أعاد الكرَّة مع مالك.. «فشاوره فى أن يعلّق الموطأ على الكعبة، ويحمل الناس على ما فيه».. فأعاد مالك الرفض لذلك، وقال للرشيد: «لا تفعل، فإن أصحاب رسول الله ﷺ، اختلفوا فى الفروع، وتفرقوا فى البلدان، وكل سُنَّة مضت..».. فاقتنع الرشيد برأى مالك، وأثنى عليه، فقال: «وفقك الله يا أبا عبدالله[٢]»!

فانتصرت التعددية فى فروع فقه المعاملات، المستظلة بجامع مبادىء الشريعة وقواعدها.. وطويت محاولة الدولة إلغاء التعددية فى الاجتهادات.. وظلت الدولة الإسلامية، عبر تاريخها الحضارى، تفسح الميادين لاجتهادات علماء الأمصار وقضاة الأقاليم فى فقه الفروع.. ولم تعرف هذه الدولة القانون الموحد إلا بعد ذبول وضمور وتوقف الاجتهاد فى فقه المعاملات، عندما وضعت الدولة العثمانية «مجلة الأحكام العدلية» سنة ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م.. والتى وقف تقنينها، غالبا، عند جمع القواعد وتبويبها، مبقيا الأبواب مفتوحة أمام تمايز القوانين، المستمدة من هذه القواعد، بتمايز العادات والأعراف والمصالح فى مختلف الأقاليم والولايات.

بين الإمام مالك والليث

بل إن مالك بن أنس، إمام دار الهجرة، الذى أعلا من مقام «عمل أهل المدينة»، حتى رأى ضرورة التزامه فى كل أمصار المسلمين، باعتباره «السنة العملية» الموروثة عن تطبيقات عصر النبوة.. نجد الليث بن سعد (٩٤- ١٧٥هـ/ ٧١٣- ٧٩١م) -وهو من هو بين عباقرة فقهاء الإسلام- يراجعه فى هذا الرأى، ويكتب إليه صفحة مشرقة فى الدفاع عن حق علماء الأمصار فى تعددية الاجتهادات، حتى فى الاختلاف مع «عمل أهل المدينة».. يكتب

(٢) (حجة الله البالغة) ج١ ص١٤.

الليث إلى مالك فيقول:

«.. وأما ما ذكرت من مقام رسول الله ﷺ بالمدينة، ونزول القرآن بها عليه بين ظهري أصحابه، وما علمهم الله منه، وأن الناس صاروا به تبعاً لهم فيه، فكما ذكرت.

وأما ما ذكرت من قول الله تعالى:

﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

(التوبة: ١٠٠)

فإن كثيراً من السابقين الأولين خرجوا إلى الجهاد في سبيل الله ابتغاء مرضاة الله، فجندوا الأجناد، واجتمع إليهم الناس، فأظهروا بين ظهرانيهم كتاب الله وسنة نبيه، ويجتهدون برأيهم فيما لم يفسره لهم القرآن والسنة.. فإذا جاء أمر عمل فيه أصحاب رسول الله بمصر والشام والعراق على عهد أبي بكر و عمر و عثمان، ولم يزالوا عليه حتى قبضوا، لم يأمروهم بغيره، فلا نراه يجوز لأجناد المسلمين أن يحدثوا اليوم أمراً لم يعمل به سلفهم من أصحاب رسول الله ﷺ، والتابعين لهم، مع أن أصحاب رسول الله ﷺ، قد اختلفوا في الفتيا في أشياء كثيرة.. ثم اختلف التابعون في أشياء بعد أصحاب رسول الله ﷺ، سعيد بن المسيب ونظراؤه، أشد الاختلاف، ثم اختلف الذين كانوا بعدهم، فحضرتهم بالمدينة وغيرها، ورأسهم يومئذ ابن شهاب، وربيعة بن أبي عبدالرحمن.

القضاء بالشاهد واليمين

وكان من خلاف ربيعة لبعض ما قد مضى ما قد عرفت وحضرت.. ومن ذلك: القضاء بشهادة شاهد ويمين صاحب الحق، وقد عرفت أنه لم يزل يقضى بالمدينة به، ولم يقض به أصحاب رسول الله ﷺ، بالشام وبحمص ولا بمصر ولا بالعراق، ولم يكتب به إليهم الخلفاء الراشدون، أبوبكر وعمر وعثمان وعلي، ثم ولي عمر بن عبدالعزيز، وكان كما قد علمت في إحياء السنن، والجد في إقامة الدين، والإصابة في الرأي والعلم بما مضى من أمر الناس، فكتب إليه رزيق بن الحكم:

إنك كنت تقضي بالمدينة بشهادة الشاهد الواحد ويمين صاحب الحق.

فكتب إليه عمر بن عبدالعزيز:

إنا كنا نقضي بذلك بالمدينة، فوجدنا أهل الشام على غير ذلك، فلا نقضي إلا بشهادة رجلين عدلين أو رجل وامرأتين.

ولم يجمع -(عمر بن عبدالعزيز) -بين المغرب والعشاء قط ليلة المطر، والمطر يسكب عليه في منزله الذي كان فيه بخناصرة[3] ساكناً -(وأهل المدينة يجمعون)-، ومطر الشام أكثر من مطر المدينة بما لا يعلمه إلا الله، لم يجمع منهم إمام قط في ليل مطر، وفيهم

(٣) خناصرة -بضم الخاء- بلدة صغيرة من أعمال حلب باتجاه البادية

أبوعبيدة بن الجراح، وخالد بن الوليد، ويزيد بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، ومعاذ بن جبل..»[4]..

فدافع الليث بن سعد عن حق علماء الأمصار في تعددية الاجتهادات في الفروع، دون التزام منهم بعمل أهل المدينة.. بل وساق الشواهد على تغير اجتهادات المجتهد في غير المدينة عن اجتهاداته فيها، فعمر بن عبدالعزيز، وهو والٍ على المدينة، كان يلتزم الاجتهاد الغالب لأهلها، فلما ولي الخلافة، بالشام، التزم اجتهادات أهل الشام.. فكان أسبق، في هذه التجربة، مما صنعه الشافعي (١٥٠ - ٢٠٤هـ / ٧٦٧ - ٨٢٠م) عندما أصبح له بمصر مذهب جديد متميز عن المذهب القديم الذي سبق إليه اجتهاده عندما كان بالعراق!..

اختلاف مشروع!!

فهذه التعددية في الاجتهادات، هي التعبير عن الاختلاف الطبيعي والمشروع في الفروع، استجابة لتعدد المرويات التي تؤسس عليها الاجتهادات، وللمصالح والأعراف المتميزة بتمايز واقع الأمصار والأقاليم، ولاختلاف نظر المجتهدين في علل الأحكام[5]..

وهذه التعددية في الاجتهادات، بميدان الفروع، لا تمثل خلافاً في ثوابت الدين وأصوله، ولا فرقة بين المسلمين في الدين..

ولقد ميز الشافعي بين الاختلاف الجائز -في الفروع، وفيما يجوز فيه التأويل- وبين الاختلاف المحرم فيما حسمت أمره بينات آيات القرآن الكريم.. فقال: «إني أجد أهل العلم، قديماً وحديثاً، مختلفين في بعض أمورهم. فهل يسعهم ذلك؟».. ثم أجاب عن هذا التساؤل، فقال: «..الاختلاف من وجهين: أحدهما مُحَرَّم، ولا أقول ذلك في الآخر. فالاختلاف المُحَرَّم: كل ما أقام الله به الحجة، في كتابه أو على لسان نبيه، منصوصاً بيناً، لم يحل الاختلاف فيه لمن علمه. وما كان من ذلك يحتمل التأويل، ويُدرك قياساً، فذهب المتأوِّل أو القايس إلى معنى يحتمله الخبر أو القياس، وإن خالفه فيه غيره، لم أقل إنه يُضَيِّق عليه ضيق الخلاف في المنصوص.. ويبين فرق ما بين الاختلافين.. قول الله في ذم التفرق:

﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾

(البينة: ٤)

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾

(آل عمران: ١٠٥)

فذم الاختلاف فيما جاءتهم به البينات[6]».

(٤) ابن القيم (إعلام الموقعين عن رب العالمين) جـ٣ ص٨٣- ٨٦. طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م.

(٥) (حجة الله البالغة) جـ١ ص١٤٠ - ١٤٣. والشاطبي (الموافقات في أصول الأحكام) جـ٤ ص١٥١، ١٥٢. تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد. طبعة مكتبة محمد علي صبيح. القاهرة. بدون تاريخ.

(٦) (الرسالة) ص٥٦٠، ٥٦١. تحقيق: أحمد محمد شاكر. طبعة بيروت- المكتبة العلمية- مصورة عن طبعة القاهرة الأولى.

ويزيد الشاطبى (٧٩٠هـ / ١٣٨٨م) هذا التمييز تحديدا، عندما يميز بين «الافتراق فى الدين» -وهو المُحرّم والمذموم- وبين «الاختلاف فى أحكام الدين»، وهو تعدد الاجتهادات، الذى لا يؤدى إلى الافتراق فى الدين.. فالأول، هو الذى أشار إليه القرآن الكريم بقوله:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾

(الأنعام: ١٥٩)

وهو اختلاف الذين فى قلوبهم زيغ، الذين أشار إليهم القرآن الكريم فى آية:

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

(آل عمران: ٧)

أما الاختلاف المشروع -الذى لا يمثل فرقة فى الدين.. وإنما هو تعددية الاجتهادات فى أحكام الدين، فلقد «وجدنا فى أصحاب رسول الله ﷺ، من بعده قد اختلفوا فى أحكام الدين ولم يفترقوا، ولم يصيروا شيعا، لأنهم لم يفارقوا الدين، وإنما اختلفوا فيما أذن لهم من اجتهاد الرأى والاستنباط من الكتاب والسنة، فيما لم يجدوا فيه نصا، واختلفت فى ذلك أقوالهم، فصاروا محمودين لأنهم اجتهدوا فيما أمروا به.. وكانوا، مع هذا، أهل مودة وتناصح، أخُوّة الإسلام فيما بينهم قائمة..»[٧].

فالتعددية والاختلاف والتنوع فى إطار الجامع المُوَحّد، هو الطبيعى، بل والضرورى لتلبية حاجات الواقع، المتنوع والمتغير والعادات والأعراف والمصالح المتميزة، إلى الملائم من أحكام الدين..

وإذا كان ذلك جائزا فى أحكام الدين وفقه الفروع، فإنه جائز -من باب أولى- فى السياسات التى يتم بها تدبير شئون الاجتماع والعمران... وإذا كانت وحدة الأمة وأخوة العقيدة قد وسعت حتى البُغاة الذين احتكموا إلى العنف فى تحقيق بغيهم، فتحدث عنهم القرآن باعتبارهم جزءا من الأمة المؤمنة، ولم يجردهم من الإيمان:

﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾

(الحجرات: ٩)

الإمام على كرم الله وجهه

فلقد وجدنا تطبيق هذه المبادئ فى كلمات الإمام على بن أبى طالب، وهو يقوّم مكانة الفرقاء المتحاربين فى الفتنة الكبرى.. فلقد سُئل عن خصومه فى «موقعة الجمل»:

«ـ أمشركون هم؟!

ـ فقال: من الشرك فرّوا!

فسُئل:

ـ أمنافقون هم؟!

ـ فقال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا!

فسُئل:

ـ فمن هم إذن؟!

ـ فقال: إخواننا، بغوا علينا[٨]!».

وكذلك كان تقويم الإمام على للذين بغوا عليه فقاتلوه -خلف معاوية بن أبى سفيان- من أهل الشام، فى «صفين».. فتحدث عنهم فقال: «لقد التقينا، وربنا واحد، ونبينا واحد، ودعوتنا فى الإسلام واحدة، ولا نستزيدهم فى الإيمان بالله والتصديق برسوله ولا يستزيدوننا، والأمر واحد، إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان، ونحن منه براء[٩].. إننا، والله، ما قاتلنا أهل الشام على ما توهم هؤلاء -(الخوارج)- من التكفير والفراق فى الدين، وما قاتلناهم إلا لنردهم إلى الجماعة.. وإنهم لإخواننا فى الدين، قبلتنا واحدة، ورأينا أننا على الحق دونهم»![١٠]

ما علم من الدين بالضرورة لا خلاف فيه

فالتعددية والاختلاف و التنوع، لا تمثل افتراقا فى الدين، طالما ظلت تحت جامع الإسلام، المتمثل فى أصوله الثوابت، التى هى وضع إلهى، معلوم بالفطرة والضرورة.. سواء أكانت هذه التعددية فى فروع الأحكام الدينية، من فقه الفروع، أم كانت من السياسات..

فما علم من الدين بالضرورة، فأجمعت عليه الأمة، لا مجال فيه للاختلاف.. وذلك من مثل ما ضرب الشافعى به المثل فى ذلك، فقال: «لستُ أقولُ ولا أحد من أهل العلم: «هذا مُجتَمعٌ عليه»، إلا لما لاتلقى عالما أبدا إلا قاله لك، وحكاه عن من قبله، كالظهر أربعٌ، وكتحريم الخمر، وما أشبه هذا»[١١].

أما ما عدا ذلك، من أحكام الدين، وفروع الفقه، وسياسات العمران، فإن التعددية والاختلاف بين الاجتهادات فى ميادينها، قد استقر الإسلام على اعتبارها سنة فطرية من سنن الله فى الفكر الإنسانى، لا تبديل لها ولا تحويل.. حتى لقد غدا هذا الاختلاف «فنا» من فنون العلم الإسلامى، قصده العلماء بالتأليف والتصنيف[١٢]..

(٧) (الموافقات) جـ٤ ص ١٢٦ - ١٣٤.

(٨) رواه البيهقى. وانظر فى ذلك: د. طه جابر العلوانى (أدب الاختلاف فى الإسلام) ص٣٧. طبعة واشنطن سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

(٩) ابن أبى الحديد (شرح نهج البلاغة) جـ١٧ ص١٤١.

(١٠) الباقلانى (التمهيد) ص٢٣٧، ٢٣٨. (١١) (الرسالة) ص ٥٣٤.

(١٢) انظر فى عناوين بعض المؤلفات فى «فن الاختلاف» د. جمال الدين عطية (التنظير الفقهى) ص١٣٦ - ١٤٨. طبعة القاهرة سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

الأمة الإسلامية والوعى الغائب

للأستاذ الدكتور/ حمدى فتوح والى

قرأت قول الشاعر العربى يصور حال قبيلة من قبائل العرب، ويظهر مدى خفة وزنها، وهوان أمرها، ونزول قدرها فى عين أعدائها بقوله:

ويقضى الأمر حين تغيب تيم ... ولا يستأمرون وهم شهود

وبعيداً عن مناسبة البيت ومدى تحامل الشاعر على قبيلة «تيم» العربية الأصيلة ومكانتها العالية ونسبها العريق ـ فإن هذا البيت من الشعر جاء ليصور حالة الأمة الإسلامية والعربية ومدى خفتها فى ميزان أعدائها ـ وهوانها فى عيونهم. وغيابها عن واقع الحياة.

وأمام هذه الحال المؤلمة الحزينة كان من حق كل عاقل أن يتساءل فى حيرة، وأن يتلفت حوله فى حسرة: ماذا حدث لأمة الإسلام؟!! وكيف وصل بها الحال إلى هذا الدرك الرهيب؟!! ويأتينى الجواب واضحًا وسريعًا فى كلمات معدودات هى قوله تعالى:

﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾

(التوبة: ٦٧)

ولك أن تتصور حال قوم نسيهم الله، والنسيان هنا جاء من قبيل ما يسمى عند علماء البلاغة بالمشاكلة، أما النسيان فلا يليق بجلال الله وعظمته.

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾

(مريم: ٦٤)

ولكن التعبير القرآنى جاء ليقرب الصورة لدى البشر وليظهر مدى هوان من فسق عن أمر ربه، واختار أن يفقد معية الله، وأن يختار طريق الشيطان.

وهو ما حذر الله سبحانه وتعالى منه المؤمنين بقوله سبحانه:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (18) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

(الحشر: ١٨-١٩)

وأشعر كل فريق بجزائه وعاقبة أمره، بقوله تعالى:

﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾

(الحشر: ٢٠)

وواضح من خلال الآية من هم أصحاب النار ومن هم أصحاب الجنة من خلال السياق.

ولقد بدأت مؤامرة إنساء الأمة أمر دينها، وأخذها بعيدا عن رحاب ربها منذ أدركت أوروبا الصليبية بعد فشل حملاتها الثمانية على الأمة الإسلامية أن صمام الأمان الذى ضمن للأمة قوتها، هو عمق إيمانها، وصدق يقينها، والتزامها بكتاب ربها، فكانت منظومة الغزو الفكرى التى استنفر أعداء الإسلام لها كل ما لديهم من إمكانيات، وأعدوا لإنجاحها كل ما يستطيعون من أدوات فى ظلال أجنحة المكر الثلاثة: الاستعمار والاستشراق والتبشير، ومن أدواتهم التى وظفوها بقوة وجدارة: مناهج التعليم، ووسائل الإعلام بدءا بالصحافة وانتهاء بالشبكة المعلوماتية المسماة «بالإنترنت» مرورا بالكلمة المسموعة والصورة الشاهدة. وغير ذلك من الوسائل الخطيرة من مثل إفساح المجال لرموزهم فى مناهجنا الدراسية، فى مقابل تخفيف منابع ثقافتنا الإسلامية. خاصة ما يتعلق بالجوانب الحياتية والواقعية كأمور السياسة والاقتصاد.

ومنذ استطاع أعداء الأمة النفاذ إلى عقل أبنائنا وإعادة تشكيله بعيدا عن كتاب الله وسنة رسوله، ضمنوا بهذا التشكيل الجديد كيانا ضعيفا متواكلا هشا، لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا.

وحتى تستعيد هذه الأمة العظيمة وعيها الغائب ودورها المنشود كان لابد أن نذكر أبناء هذا الجيل بملامح آبائهم، وأخلاق أجدادهم، وحقيقة هذا الشموخ الإيمانى العظيم، حتى لا ينسى هؤلاء الأبناء ملامح هذا الشموخ العظيم.

فمنذ غاب عن حياة الأمة قول قائدها ﷺ:

«لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم»(١)

والأمة تدفع ثمن هذا الغياب الفاضح والمعيب.

---

(١) المعجم الأوسط ١٦٦٩.

ومنذ غاب عن واقع الأمة أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وما أعلنوه على مسامع الأمة منذ أول يوم، فرأينا الخليفة الأول يقف أمام رعيته عارضا عليهم خطته مبينا لهم رسالته قائلا: «أيها الناس: إني وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني.. أطيعوني ما أطعت الله فيكم.. فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم» فيجد من الأمة طاعة وحبا، ومسارعة إلى إعانته على ما يحقق مراد الله ومصالح الناس.

وهذا هو الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، يعلن على الناس من أول يوم ترحيبه بالنصيحة الصادقة والرأي الحكيم فيقول: «أيها الناس: من رأى في اعوجاجا فليقومه، فقام له رجل وقال: والله يا أمير المؤمنين لو رأينا فيك إعوجاجا لقومناه بحد سيوفنا فقال عمر: الحمد لله الذي جعل في أمة محمد من يقوم اعوجاج عمر بسيفه».

ومنذ حرمت الأمة مثل قول الخليفة الثالث عثمان بن عفان وقد رأى تجمهر الخارجين عليه وعرض عليه الصحابة أن يدفعوهم عنه بالسيف أبى ذلك بشدة وقال: «والله ما أحب أن يراق بسببي قدر محجمة من دم» ورضي أن يقتل مظلوما بريئا.

وهذا أمير المؤمنين ـ علي رضي الله عنه ـ يوصي عماله فيقول لأحدهم: «أقبل على خراجك بالحق، وأحسن إلى جندك بالإنصاف، وعلم من قبلك مما علمك الله».

منذ غابت عن حياة المسلمين تلك البدور المضيئة وحل محلها ثقافة الاستبداد والتسلط والقهر ومع طول الإلف ظهرت أجيال تألف الهوان وترضى الذل.. وتقبل الضيم ولا تستغرب التهميش والإبعاد.. وأصبحنا كما قال الشاعر الحكيم:

من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميت إيلام

إن أعظم خسارة تصيب الأمة عند غياب الإسلام هو أن تخسر مكانتها عند ربها وهيبتها عند أعدائها وثقتها في نفسها والأعظم من ذلك أن تكون هدفا لنزول العذاب بها مصداقا لقوله تعالى:

﴿وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا (٨) فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا (٩) أعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرا (١٠) رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا﴾

(الطلاق: ٨-١١)

فالمتأمل في الآيات يدرك استعمال الفاء أداة للعطف وهي تفيد التعقيب وسرعة وقوع الجزاء فالعتو عن أمر الله يقابل بالحساب الشديد، وبرغم أن وصف الحساب بالشديد كاف لبيان رهبته وشدته لكن الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ يتبع ذلك بما هو أشد وأنكى وذلك في قوله سبحانه:

﴿وعذبناها عذابا نكرا﴾

(الطلاق: ٨)

ولك أن تتأمل بقلبك وأذنك في هذه الكلمات المختارة بشدة جرسها وجهارة حروفها ودلالة معناها وتكرار ألفاظها وتأكيدها بذكر مصدرها موصوفا بما يوحي بغاية الشدة والقوة.. وأدعوك من جديد أن تقرأ هاتين الجملتين بتمعن وحضور قلب:

﴿فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا﴾

ثم انظر إلى تعقيب المولى سبحانه وتعالى على هذا العذاب بقوله:

﴿فذاقت وبال أمرها﴾

(الطلاق: ٩)

والجزاء من جنس العمل:

﴿إن الله لا يصلح عمل المفسدين﴾

(يونس: ٨١)

وتكون النتيجة النهائية لمخالفة أوامر الله وأوامر رسله هي الخسران المبين:

﴿وكان عاقبة أمرها خسرا﴾

(الطلاق: ٩)

وإن أردت أن تعرف شيئا عن طبيعة هذا الخسر فهو ما أعده الله لهؤلاء المنكودين المقرتين بقوله:

﴿أعد الله لهم عذابا شديدا﴾

(الطلاق: ١٠)

وتأبى رحمة الله أن تعاجل الأمة بالعذاب مصداقا لقوله تعالى:

﴿وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون إن الله بكل شيء عليم﴾

(التوبة: ١١٥)

ولهذا فقد عقب الله ـ تبارك وتعالى ـ على هذا المشهد الأليم بقوله ـ عز وجل ـ محذرا عقلاء الأمة وحكماءها أن تقع الأمة في هذا المصير الرهيب وفيها هؤلاء المؤمنون الصادقون فيناديهم بقوله:

﴿فاتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرا﴾

(الطلاق: ١٠)

فهم غير معذورين بالجهل ولا يقبل منهم نسيان أوامر الله وقد أمروا أن يسمعوها ويستمسكوا بها ويعتصموا بهديها ليرتفع شأنهم ويصلح أمرهم:

﴿لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون﴾

(الأنبياء: ١٠)

﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾

(الزخرف: ٤٣، ٤٤)

لقد أعذر الله سبحانه وتعالى إلى هذه الأمة بأن أنزل إليها أعظم كتبه وأرسل إليها خير رسله وضمن لمن أخذ بهذا الكتاب حياة طيبة وعاقبة مباركة وسعادة في الدنيا والآخرة:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾

(النحل: ٩٧)

إننا إذا سلمنا بأن من طبيعة الأمور أن يوجد في كل أمة جاهلون وفاسدون وسفهاء فإن هذا لا ينسينا وجود شريعة الله التي جاءت لتعلم كل جاهل وتصلح كل فاسد وتهدي كل ضال وترشد كل سفيه وتأخذ على يد كل ظالم وتخضع الجميع لسلطان الله.. وإذا وجد في الأمة الجاهلون فأين العلماء الربانيون؟ وإذا وجد فيها المفسدون فأين المعلمون المصلحون؟ وإذا وجد فيها السفهاء فأين الحكماء والمربون؟!

إن التاريخ يحدثنا أن الأمة لم تخل في تاريخها كله من وجود طائفة من أبنائها يبزغون في سمائها نجوما هادية عند اشتداد الظلمات ونزول الملمات واحتكام الأزمات، فإذا الأمة قد عادت لرشدها ونهضت من عثرتها واستأنفت سيرها ومن من الأمة ينسى دور عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود وتلميذه العظيم صلاح الدين الأيوبي ودورهم الرائع والمجيد في قتال الصليبيين وتحرير بلاد المسلمين ومن منا لا يذكر موقف المجاهد العظيم سيف الدين قطز وتصديه بعزة وإباء لجحافل المغول والتتار بعد أن عالج الأمة من هزيمتها النفسية بأن قطع رءوس رسل التتار الذين جاءوا يهددونه بالقتل أو عليه بتسليم البلاد وعلق رءوسهم على أبواب القاهرة الأربعة فأدرك الناس أن التتار يقتلون ويشنقون فامتلأوا عزة وقوة وكان النصر العظيم في يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان ٦٥٨ هـ في موقعة «عين جالوت»، ومايزال رحم الأمة مليئا بالعظماء من أبنائها وسيظل لكل جيل رجاله الذين يبزغون في سمائه قادة ربانيين ورجالا مخلصين وشبابا واعين مدركين لمعنى قول ربهم سبحانه:

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

(العنكبوت: ٦٩)

***

خطبة الجمعة

أسس بناء الأسرة في الإسلام

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي

إعداد فضيلة الشيخ/ علي حامد عبدالرحيم

جعل الإسلام الأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع، ونظر إلى الأسرة على أنها مجتمع صغير، كما نظر إلى المجتمع على أنه أسرة كبرى، وأحكم الإسلام العلاقة بين الأسرة والمجتمع، كما أحكم العلاقة بين الفرد والمجموع، فجعل الفرد في خدمة المجموع، والمجموع لحماية الفرد، فقال القرآن الكريم:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]

وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»(١)

وجعل الإسلام عماد الأسرة الزواج الذي ينشأ عن عقد تباركه يد الله عزوجل، وتربط به بين الزوج والزوجة، وتزكيه بروابط الألفة والمحبة، فقال التنزيل المجيد:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[الروم: ٢١]

وقد وجهت شريعة الله إلى طائفة من التوجيهات التي تعاون على توطيد دعائم الأسرة وإسعاد أفرادها، فدعا الإسلام الزوج إلى حسن الاختيار لزوجته وشريكة حياته، فقال رسول الله ﷺ: «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس»(٢) أي أحسنوا اختيار الزوجة الطاهرة الفاضلة ذات

١. صحيح البخاري، كتاب الصلاة

٢. تخريج أحاديث الإحياء.

النبت الكريم حتى برت عنها أبناؤها الطهارة والفضيلة والتقوى، وقد قال ﷺ: إياكم وخضراء الدمن، قالوا: وما خضراء الدمن يا رسول الله؟ فقال: المرأة الجميلة في المنبت السوء[3] أي التي تخدع بجمالها وتسيء بأفعالها.

وقال عليه الصلاة والسلام: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»[4].

والمرأة كذلك قد أعطاها الإسلام حق اختيارها لزوجها، فلا يجوز شرعاً إكراهها على من لا تقبله أو لا تريده

وأوصى الإسلام الزوجين أن يتذكرا على الدوام أن حكمة الزواج في شريعة الله عز وجل هي التعاون المثمر على مطالب الحياة، مع المشاركة الوجدانية القائمة على المودة والرحمة، والهونة لمتاعب العيش، مع إرضاء غريزة الجنس بأسلوب مشروع كريم، يرتضيه الدين الحنيف والعقل السليم والذوق الكريم، مع إنجاب الذرية المناسبة الصالحة الطيبة فهذا هو نبي الله زكريا عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام تتقدم به السن، ويبلغه الكبر، وامرأته عاقر، ولكنه يؤمن بقدرة الله على كل شيء، ولذلك يدعو ربه أن يرزقه ذرية يرجو أن تكون طيبة خالصة من الآفات، متحلية بجميل الصفات:

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾

[آل عمران: ٣٨]

وكذلك تحدث القرآن عن عباد الرحمن، فكان من حديثه عنهم:

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾

[الفرقان: ٧٤]

وإنما تكون الذرية قرة للعيون، وسبباً للمسرة والبهجة، إذا كانت سليمة في حسها ونفسها، قويمة في سلوكها وحياتها، آمنة في بيئتها ودنياها، وإلا كانت قذى في العيون وهما في النفوس.

وبناء الأسرة على الوجه السليم الرشيد ليس أمراً سهلاً، بل هو واجب جليل يحتاج إلى إعداد واستعداد، كما أن الحياة الزوجية ليست لهواً ولا لعباً، وليست مجرد تسلية أو استمتاع، بل هي تبعات ومسئوليات وواجبات، من تعرض لها دون صلاح أو قدرة كان جاهلا غافلا عن حكمة التشريع الإلهي، ومن أساء استعمالها أو ضيع عامداً حقوقها استحق غضب الله وعقابه لأنه أحكم الحاكمين وأعدل العادلين:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾

[النساء: ٤٠]

ولذلك ينبغي أن يكون الإنسان صالحاً لهذه الحياة، قادراً على النهوض بتبعاتها، ومن هنا يقول سيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة «أي القدرة على مسئوليات الزواج» فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[5] أي وقاية وحصانة، والحق جلاجلاله يقول:

﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾

[النور: ٣٣]

وإذا كان الإسلام قد رفع مكانة الوالدين في نظر الأبناء، وجعل الإنسان إليهما فرضا يأتي عقب عبادة الله جل جلاله، فإن قد علم الآباء أن أولادهم أمانة بين أيديهم، يجب عليهم أن يرعوها حق رعايتها، وأن يصونوها أفضل صيانتها، ولا يليق بالوالدين أن يفرطا في ذلك، بل عليهما شرعا تربية أولادهما، وتعليمهم وحسن توجيههم وتنظيم شئونهم، بل والادخار لهم بما ينفعهم بعد وفاة الوالد الراعي لهم، ولذلك يقول رسول الله ﷺ: «لأن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس»[6] أي فقراء يسألون غيرهم المعونة والعطاء.

وليست العبرة في نظر الإسلام أن يتكاثر عدد الأولاد، فتتكاثر تبعاتهم بلا اقتدار أو إعداد، بل الأهم من ذلك هو سلامتهم وقوتهم وحصانتهم واستقامتهم على الطريق الخير والهدى، ولا ينبغي أن ننسى هنا قول رسول الله عليه الصلاة والسلام: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»[7] والقوة هنا تشمل قوة العقيدة، وقوة الأخلاق، وقوة الجسم، وقوة الفهم، ورب قلة صالحة مصلحة، قوية سوية، تكون خيراً من كثرة هزيلة عليلة، والقرآن الكريم يشير إلى هذا حين يقول:

﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ﴾

[المائدة: ١٠٠]

ويقول أيضاً:

﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

[البقرة: ٢٤٩]

فليتذكر الفرد المسلم في المجتمع المسلم أن تكريم الله له أن يهيئ أمامه الأسباب ليقيم دعائم أسرة يتكون منها ومن سواها، المجتمع الفاضل العاقل العادل، الذي يستحق عن جدارة ألوان التكريم الإلهي للإنسان مما يشير إليه قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾

[الإسراء: ٧٠]

فليحسن الإنسان دعم أسرته بأسباب القوة والعزة والحصانة، وعلى الله قصد السبيل.

٣. كنز العمال ٤٥٦٣٠

٤. صحيح مسلم كتاب الرضاع

٥. صحيح البخاري كتاب النكاح

٦. صحيح البخاري كتاب الجنائز

٧. صحيح مسلم كتاب القدر

آيات الله فى نوم الإنسان

للأستاذ الدكتور/ السيد محمد الديب

الأستاذ بكلية اللغة العربية بالزقازيق

لقد دعا القرآن الكريم عباد الله المتقين إلى التأمل فى كتاب رب العالمين، للوصول إلى اليقين الإيمانى، الذى يتجلى فى قدرة الله على خلق الأشياء.

وقد خطا كثير من المفسرين والعلماء خطوات مباركة ورائعة وهادفة إلى توجيه الإشارات العلمية فى القرآن والسنة وجهة معتدلة، وقوبلت بحوثهم بالترحاب والتقدير، وهم كثيرون فى سائر أنحاء العالمين العربى والإسلامى، ولم يتوقف الأمر عند هؤلاء، بل اتسع وراق البحث فيه لصفوة رائدة من غير الناطقين بالضاد، هؤلاء الذين نعتز بكتاباتهم اعتزازاً كبيراً قال ـ تعالى ـ:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾

(النساء: ٨٢)

ونهدف ابتداء إلى بيان ما فى القرآن الكريم من إعجاز علمى، تتعدد مناحى البحث فيه، من عصر إلى آخر خاصة فى المجالات التى تعرض لحياة الإنسان على الأرض، سعياً إلى الرقى بهذه الحياة لتنعكس على السبل المتعددة للتنمية البشرية كثيراً[1].

ولازالت حركة الليل والنهار من أبرز الموضوعات التى حظيت ببحوث جادة، وإن كان القليل منها مضيقاً أو متسعاً فى مساحات العرض والتوجيه، تلك التى لا ينبغى بأى حال من الأحوال أن نسئ الظن بأصحابها، فى المراحل الناضجة من حياة الأمة الإسلامية والعربية والتى توهجت فيها الدعوة للحوار الإسلامى الإسلامى من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية.

(١) لقد شاركت فى مؤتمر عن هذا الموضوع فى كلية الشريعة جامعة جرش الأهلية بالأردن وذلك فى شهر ذى القعدة ١٤٢٩ هـ نوفمبر «تشرين الثانى ٢٠٠٨».

وتتجه بالنداء الواجب والنصيحة اللازمة إلى أصحاب العقل والبصيرة النافذة أن يمعنوا النظر الهادف فى آيات الله الكونية بالأرض والسماء، التزاما وتقديرا للنص القرآنى العظيم، الذى قال الحق ـ تبارك وتعالى فيه ـ:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾

(آل عمران: ١٩٠)

ويلزم فى الوقت الراهن ـ خاصة ـ توظيف المعارف العلمية المتاحة لمزيد من الفهم والوعى للآيات الكونية فى القرآن الكريم، تلك التى توجه كثيراً إلى أولى الألباب، وأهل العقول والبصائر، ذلك أن التفكير العلمى هو فريضة إسلامية، حض عليها التشريع الإسلامى من خلال القرآن الكريم، ودعا إليها الرسول ﷺ.

الآيات الكونية

وتعددت الآيات القرآنية التى تؤكد حتمية التدبر فى أحوال الليل والنهار، ورصد حركة الزمان وسكونه، والتى جلاها القرآن ببيان صادق، وإعجاز خارق فى قصة أصحاب الكهف والرقيم، تلك التى تميزت بفصل الخطاب، وذخرت بالعجب العُجاب كعلامات بارزة، وإشارات هادفة ومؤثرة، فى مسيرة الحياة الإنسانية.

وقد اهتدى أولو البصائر النيرة، والقلوب المبصرة إلى أن البحث فى الآيات الكونية بالقرآن الكريم مجال واسع، وجدير بالمرابطة فيه، مع صعوبة الإحاطة به، والسياحة الآمنة فى بحور فيوضاته، ولذا تبقى قضايا الإعجاز فى كتاب الله متسعة الجوانب على كل مستوى من مستويات الإدراك والبيان وسائر الدلالات التشريعية وغيرها، وأن الحقائق الكونية التى حفل القرآن بها مازالت أسرارها الكاملة مخبأة فى علم الغيب الإلهى، وإن كان البحث فيها والتحرى عنها يفتح كثيرا من مغاليقها، فمن إعجاز القرآن أنه يُعطى البشر بما يتناسب مع محصولهم المعرفى، عبر مسيرة الأيام وتاريخ الفكر الإنسانى، ولهذا الكلام وغيره تعهد ربُّ العالمين بوقاية كلامه والحفاظ عليه، واستمرار تفسيره وتقديمه وفق المعطيات المتجددة التى يتميز بها جيل عن آخر.

قال الله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

(الحجر: ٩)

وقد صار الحديث عن النوم ـ فى السنوات الأخيرة ـ مجالا رحبا فسيحا لكشف أسراره وإيضاح ما قيل عنه فى القرآن الكريم، وما توصل إليه العلماء القدماء والمحدثون، وتأكيد أن كلام الله ثابت لا يتغير، أما البحوث العملية فهى قابلة للتغيير، فلذلك يلزم رفض القول بتبعية القرآن لها، وأن السير فى هذا الطريق ينبغى أن يكون خاضعا للاعتدال فى البحث، والحذر فى رصد النتائج حفاظا على قدسية القرآن الكريم، ومقاصد البيان النبوى.

النوم فى حياة الإنسان

لقد تحدث القرآن الكريم عن نوم الإنسان، وما يجب على المؤمن حياله من نظر وفكر وتأمل، ومن سعى فى الأرض ابتغاء رزق الله بعد تمام النوم، وأن ذلك أدعى لتحقيق اليقظة عند البشر، واستثمار إدراكاتهم العقلية، واستماعهم إلى ما يتلى عليهم من آيات التنزيل الحكيم، فقال ـ تعالى ـ:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾

(الروم: ٢٣)

والنوم معروف وهو النعاس، ونام أي رقد، وفي الحديث أنه قال فيما يحكي عن ربه: (أنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء، تقرؤه نائماً ويقظاناً)[٢] أي في حالتي النوم واليقظة، أراد أنه لا يُمحى أبداً، بل هو محفوظ في صدور الذين أوتوا العلم:

﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾

(فصلت: ٤٢)

ورجل نُوَمة: أي ينام كثيراً، ويطلق عليه إذا كان خامل الذكر، وهو الغامض في الناس، الذي لا يعرف الشر ولا أهله ولا يؤبه له.

والنوم مدة تتميز بعدم النشاط في الإدراك والشعور، ومنه يُعوِّض الجسم ما يفقده من طاقة، وأكثر أجهزة الجسم راحة في أثناء النوم: المراكز العليا للمخ التي تختص بالعمليات «العقلية» ويختلف النوم من شخص لآخر ومن حالة لأخرى[٣].

والرقاد: النوم وقيل هو النوم بالنهار، والرقود: النوم بالليل، والنعاس: النوم قال تعالى:

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾

(الأنفال: ١١)[٤]

قال القرطبي: «وكان هذا النعاس في الليلة التي كان القتال من غدها، فكان النوم عجيباً مع ما كان بين أيديهم من الأمر المهم، ولكن الله ربط جأشهم» ....

النوم.. مصدر قوة يوم بدر!!

وعن علي - كرم الله وجهه - قال: «ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد على فرس أبلق، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله ﷺ تحت شجرة يصلي ويبكي حتى أصبح»[٥].

هذا وقد أبانت الآية ما حققه النوم للمسلمين يوم بدر من قوة استمدوا منها الطاقة على القتال في اليوم التالي، ثم أكسبهم النوم ثقة بالصحة التي تقووا بها، مما أزال الرعب عن قلوبهم قبل بدء المعركة.

لقد جمع الله بين نوم الناس ونشاطاتهم، ابتغاء رزق الله، والتأمل في مخلوقاته وبحيث ينصرفون إلى سماع الحق، ورفض الباطل والتواصل الإيجابي مع الحياة.

والنوم ظاهرة طبيعية، وحدث عضوي «فسيولوجي» صامت في حياة الإنسان، حيث يقضي فيه ثلث الزمن الذي يحياه في الدنيا تقريباً وذلك مما يَلْحق البشر، والذي ينتفي تماماً عن الخالق العظيم الذي قال في قرآنه الحكيم:

(٢) ذكره ابن منظور في لسان العرب مادة - السن - جزء ٦ ص ٤٥٨٣ .

(٣) الموسوعة الثقافية بإشراف د. حسين سعيد طبع دار الشعب ١٩٧٢ صـ ١٠٠٦ .

(٤) الغشاء الغطاء، ويغشيكم: أي يغطيكم، والأمنة: في النعاس، والهاء في «منه» لله تعالى.

(٥) فرس أبلق: فيه سواد وبياض.

﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾

(البقرة: ٢٥٥)

والسِّنة: هي الحالة التي تلحق الإنسان قبل الاستغراق في النوم، أو حالة القائم من نومه الذي لم يسترد وعيه كاملاً.

وفرق بعض العلماء بين السِّنة والنُّعاس والنوم فقال: «السنة من الرأس، والنعاس في العين، والنوم في القلب»[٦].

وأوصى رسول الله ﷺ «بالسعي إلى النوم الهادئ، وذلك بالأخذ عنه ﷺ». فكان إذا أوى إلى فراشه نام على شقه الأيمن ثم قال: (اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا مَنْجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت)[٧].

ويكون النوم على الجانب الأيمن ابتداء، كما أوصى رسول الله بذلك، تلك الهيئة التي أقرها الأطباء المختصون لما يترتب عليها من راحة للجسم، وتحقيق لمزيد من السلامة له، ويكون على الجانب الأيسر إذا عجزت أعضاء الإنسان عن الاسترخاء على الجانب الأيمن، وأفادت بعض الدلائل القرآنية أهمية التنقل من جانب لآخر، أثناء النوم المتواصل لظروف المرض أو غيره، وذلك أفضل الهيئات تحاشياً لقرح الفراش وغيرها مما يلحق بالنائمين لفترات طويلة قال - تعالى -:

﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾

(الكهف: ١٨)

وكان ذلك في حق أهل الكهف، وقال المفسرون لئلا تأكل الأرض لحومهم، واختلفوا في المدة التي بين كل تقليبة وأخرى، وأن الزمن الذي يحتاجه الإنسان للنوم يختلف من شخص لآخر، لاعتبارات كثيرة منها، كبر السن وظروف المرض ونشاط المخ وقدر النشاط الكهربائي فيه.

الليل للسكن والنهار للحركة

وأول النوم الوسن، وهو يختلف عن وسطه وآخره، وأن حرمان الجسم من النوم يؤدي إلى اضطرابات كثيرة في صحة الإنسان، ويؤثر على ذاكرته وقدرته على الإنتاج والتنمية، كما سوف نذكر ذلك فيما بعد، ولذا ينبغي على الإنسان ألا يجور على صحته، بحرمان جسمه مما يستحقه من نوم هادئ، بلا اضطرابات، وتحاشي المنبهات، وما يفقد الإنسان قدرته على نشاطاته الجسمانية والذهنية.

وقد ذكر القرآن الكريم حركة الزمن، وتقليب الأيام بين الناس، فجعل الليل للنوم والسكن كما جعل النهار للحركة والسعي، لتحصيل الرزق مما يستوجب من الناس الذين يستشعرون خشية الله سبحانه وتعالى أن يتوجهوا إليه بالحمد والشكر والثناء، قال - تعالى -:

﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

(القصص: ٧٣)

حتى يستثمر الخلق معطيات الله سبحانه

(٦) القرطبي جزء ٣ صـ ٢٧٢ .

(٧) رواه البخاري ومسلم، واللفظ البخاري حديث «١١٣٦» جـ ١١ ، صـ ١١٢ .

وتعالى فى الجمع بين الراحة والسكون ليلاً، والكسب والسعى نهاراً، وتأكدت تلك الدلالات فى كثير من الآيات فقال ـ تعالى ـ:

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴾

(الفرقان: ٤٧)

وقال ـ جلت قدرته ـ:

﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾

(النبأ: ٩)

رفع القلم عن ثلاثة

ولا يؤاخذ النائم على ما يصدر منه، ولا على ما يوجه إليه، ذلك أن متطلبات العدالة توجب سقوط التكاليف الشرعية، وسائر المحاسبات الدنيوية عن النائم نوماً حقيقياً، فقد روى على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال: إن النبى ﷺ قال: «رفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون حتى يفيق، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبى حتى يحلم»(٨).

ومن السنة أن ينام الإنسان طاهراً ناويا القيام لبعض الليل، بحيث لا يستغرق فى نومه إلى الصباح، تاركاً نفسه على هواها، وغير مدبر لحركة الإيمان فيها، دون أن يروضها على القيام لجزء من الليل استعدادا للآخرة، ولقابلية أعضاء الجسم لأن توقف حركتها عن مواصلة الحياة، إذ أن النوم قريب الشبه بالموت وسماه القرآن الكريم وفاة فقال ـ تعالى ـ:

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ﴾

(الأنعام: ٦٠)

عامل مهم فى تغيير مجريات الأحداث

وقد ذخرت سيرة الرسول ومسيرة الدعوة وحركة الصحابة والتابعين فى الحياة بكثير من المواقف التى كان النوم فيها عاملاً مهماً فى تغيير مجريات الأحداث، التى أثرت على انتشار الإسلام فى داخل الجزيرة العربية وخارجها. فقد نام المكيون من كفار قريش أمام بيت الرسول ليلة الهجرة، ذلك أن الله سبحانه وتعالى ألقى عليهم النوم، وخرج الرسول من بين صفوفهم وهم نيام لا يستشعرون ما يجرى أمامهم، فقال ـ تعالى ـ فى ذلك الشأن:

﴿ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾

(يس: ٩)

وتتحقق فى النوم بعض الرؤى المنامية التى تعطى المؤمنين النقاة زاداً يتحملون به كثيراً من تبعات الحياة، وجرى ذلك مع الرسول قبل فتح مكة، وساق الله إلى علم سيدنا يوسف ما أمكن أن يفسر ببصيرته الأحلام والرؤى، التى كانت تعرض للنائمين مما جعل له شأناً كبيراً فى عصره.

وهكذا يبقى النوم نعمة من الله يتقوى بها الإنسان على الحركة الإيجابية، واستثمار بصيرته فيما يفيد من إنتاج وتنمية تعود آثارها

(٨) رواه أحمد وأبو داوود والترمذى.

على الفرد والمجتمع، وعند الحرمان لسبب أو لآخر من النوم يفقد الإنسان توازنه، ويعجز عن إدارة حركته، ولا يستطيع أن يخطو إلى الأمام الخطوات النافعة، التى حض الشرع الإسلامى عليها.

ولقد احتسب القرآن الكريم قيمة النوم فى حياة الإنسان وارتباطه بالليل، وهو وقت الهدوء والسكينة والراحة بما فيه من نوم يستمد الإنسان منه الطاقة والاستعداد ليوم تشرق فيه الشمس من جديد.

الليل.. ودوافع للتأمل!!

ويعطى الليل للإنسان دوافع للتأمل فى خلق الله للزمن، وما يجرى فيه من أحداث، ومن قدر للعبادة يطول ويقصر حسب استعداد المؤمن للتقوى والورع كالصلاة والذكر وقراءة القرآن فى أجزاء من الليل، تحسم ميزان علاقة الإنسان بغيره من البشر، وما يتمخض عنها من منافع دنيوية، تأتى فى مقدمتها نعمة الصحة، التى تستكمل مقوماتها بالنوم الهادئ، إضافة إلى ارتقاء المؤمن فى مستوى علاقته بربه أولاً، وبالناس بعد ذلك، ففى ظل الاستقرار البدنى والنفسى ترتقى مستويات العلاقة التى تشتمل الإنسان مع غيره من البشر، فيتلطف معهم ويترفق بهم، ولا يقسو عليهم، خاصة القريبين منه، ومن يرتبط بهم، بمصالح خاصة أو مشتركة، مما يحتم فى ظلال كل هذه المعطيات أن يستشعر المؤمن كرم الله وأفضاله التى يجب عليه أن يدركها، ولا يغيب وعيه عنها قال ـ تعالى ـ:

﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

(النمل: ٨٦)

ولهذه الآية نظائر كثيرة تقترب منها فى الصياغة والهدف كقوله ـ تعالى ـ:

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾

(يونس: ٦٧)

وقال ـ جلت قدرته ـ:

﴿ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

(القصص: ٧٢)

والمعنى: أنه سبحانه وتعالى جعل جزءاً من زمن الإنسان فى الحياة ليلاً ينام فيه، وتستقر أعضاؤه وتنشط ذاكرته، موظفاً قدراً من ليله للتأمل والعبادة التى تهدأ فيها مسيرة الإنسان على الأرض مما يوجب على عباد الله المتقين أن يدركوا بأبصارهم وبصائرهم هذه المنافع العظيمة.

قال ـ تعالى ـ فى استكمال هذا الشأن من حياة الإنسان:

﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴾

(الإنسان: ٢٦)

وفى ظلال هذا العطاء الإلهى وتوجيهه للناس جميعا يكون الاستثمار البشرى، وما يكتنفه من سعى واجتهاد، وتنمية للمعطيات المتاحة فى الأرض والسماء، وهو المنهج الواضح والتوجه الإيجابى للشريعة الإسلامية الغراء.

وهكذا تضحك الأقدار

للأستاذ الدكتور/ أبى حسام

جلس محمد بن عبدالملك الزيات وزير الواثق يفكر فى أمره معه، منذ تولى عرش الخلافة، إنّ والده المعتصم كان يستمع إلى رأيه فى ولىّ عهده، وكان من رأى ابن الزيات ألاّ يتصل ولى العهد بأناس يحدّدون اتجاهه السياسىّ، ويزيّنون له ضُروب البطالة واللهو، كما كان من رأيه ألاّ يكثر المال بين يدى الواثق، بحيث يصبح أداة تبذير لا تليق بمن سيتسنم مقاليد الأمور فى الدولة الإسلامية بعد حين! هكذا كان يُشير ابن عبدالملك على المعتصم، وما درى أنه بذلك قد أوغر صدر خليفة المستقبل، ووضع العقبات الحائلة دون التفاهم والوفاق، وها هو ذا الواثق يلى الأمر، ولم يبد منه ما يدل على أنه يريد الانتقام، ولكنّه لا ينسى ما كان، فلعله يُدبّر أمراً يختفى الآن ثم تظهر المفاجأة فيما بعد، وإذا فُرض وتم ذلك، فمن يكون وزير المستقبل؟ لقد جرت العادة أن يُختار الوزير من بين كبار الكتاب فى الدّواوين الرسمية للدولة، وما اختاره المعتصم وزيرا يدبر الشئون إلا لبلاغته الناصعة، وفى كُتّاب اليوم من يصلحون إلى ارتقاء منصبه، ويقومون بمثل ما يقوم به عن جدارة، وقد استطاع أن يهزّ مكانة إبراهيم الصّولى فى عهد المعتصم، حتى علم الناس أنه مع بلاغته وسموه البيانى لا يستطيع إدارة المرافق، ومعالجة الصعاب، كما أنّ تهوّره المالى قد انكشف عواره حين أخذ يبعثر الدنانير فى كل اتجاه! وقد اشتهر بذلك حتى لم يعد يصلح للوزارة، وإن بقى رئيساً لبعض الدواوين! لم يبق غير الكاتب البليغ سليمان بن وهب، فهو داهيةٌ فى الإدارة والبلاغة معا، وله من أسرته الكبيرة حاشيةٌ تأتمر بأمره وأخوه الحسن بن وهب عينٌ من أعيان الدولة يشدّ أزره، ويقف من ورائه. إنّ سليمان هذا مصدر خطر على الوزير، ولابدّ من اتهامه بما يُسقطه فى عين الواثق، ولنْ يرتاح ابن عبدالملك حتى يجد القاصمة قد حلّت بالمنافس الخطير، فلا يفكر الواثق فى سواه..

وكان سليمان بن وهب حينئذ كاتبا للقائد التركى إيتاخ، وللقائد منزلةٌ لدى الواثق تمنع أن يمتهن كاتبه دون إذنه، فلابدّ من استرضائه قبل أن يقع المكروه بصاحبه، لذلك سارع ابن عبدالملك إلى لقاء إيتاخ فأفهمه أن الواثق يُحلّه بالمكان الذى كان له عند المعتصم، ويراهُ سندا واقيا، وحصنا أمينا من حصون الدولة، ولكنّ كاتبه سليمان بن وهب أسرف فى تبديد الأموال وقد انهالت الشكوى منه فى كل يوم، حتى امتلأت خزانة المظالم بما يُرسَل طعنا فى تبذيره، وضيقا بمطاله وابتزازه، والواثق يرجو أن يسلمه إيتاخ للمحاسبة العادلة، وفى هذا نصرٌ للقائد التركى لأن العامة يزعمون أنه ينهب ويغصب ويسلب، تحت عين القائد وبأمره، وهذا ما لم يصدقُه الواثق، وكان فى إيتاخ على نبوغه الحربى سذاجةٌ تحولُ دون استبطان الأسرار، والاطلاع على المكايد، فوافق فوراً على تقديم سليمان إلى المحاكمة، وصدر الأمر بتولية ابن عبدالملك أمره، ليناقشه أدق المناقشة فيما وقع فيه من تبذير، وقد أخذ الوزير الحاقد أهبته الواعية، فأعدّ الاتهام، وقرّر العاقبة.

كان الحسن بن وهب شقيق سليمان ممن يعملون فى ديوان الوزارة تحت رياسة ابن الزيات، وقد أدرك بذكائه اللماح أنّ أخاه لن ينجو من كيد الوزير إلاّ بالاستسلام المطلق وإظهار الطاعة لما يريد، وعليه أن يخبره أنه صنيعةُ أدبه، وغرسُ يده ليستلين منه قناة صلبية، كما عليه أن يتعهّد بتسديد كلّ ما يطلب من غرامات صادقة أو كاذبة، وإن باع أكثر ما يقتنيه من عقار! لأن الشرّ مبيّت من قبل، ولن يُقابل إلاّ بالاحتيال الضارع لأنه قد يكونُ من أسباب النجاة!

وجاء يوم المحاكمة، فصلّى سليمان الفجر وأطال الركوع والسجود والقنوت متوسلا، سائلاً ربّه أن يكشف عنه ما دُبّر من كيد الوزير، وقبل أن يبرحَ منزله جاءته البُشرى من إحدى الجوارى أنه رُزق مولودا ذكرا، وعليه أن يختار اسمه. وكان سليمانُ فى اشتياق إلى الولد، حيث لم يُنجب غير البنات، فوقع اختياره على عبدالله اسماً، وأبى القاسم كُنيةً، وعدّ ذلك فألاً سعيدا، ثم اتجه إلى ديوان الوزير، ليجدهُ جهم الوجه، طائر الشّرر يأمر بتجريده من ملابسه، وبإحضار مُدرّعة سوداء ليلبسها كذوى الاتهام! ثم قدّم له كشفاً بمبلغ قدره أربعمائة ألف دينار، يزعم أنه قد ادّخرها مغتصباً سالبا فى غفلة إيتاخ! ودُهش سليمان إذ رأى قسوة العبيد، وهم يجرّدونه من ملابسه على رءوس الأشهاد، وإذ يسمع اتهامه بالسرقة والخيانة والغصب، ثم يتأمل المبلغ الضخم، أربعمائة ألف دينار فيراه فوق طاقته، فينهار ويقع مغشيا عليه.

ويدخلُ خادمٌ من أتباع ابن عبدالملك مبتهجاً صائحا، هنيئا أيها الوزير، لقد وُلد لك الساعةَ طفل كأجمل من وقعت عليه العين، وسيدتى تستشيرك فى اسمه، فبم تسميه، فابتسم وقال يُسمى عبدالملك باسم أبى، وكنيته أبومروان، وهى كنية أبى الحبيبة إلى.

وهنا سرتْ روحٌ منعشة فى نفس سليمان، إذ تذكّر أنه بُشّر فى الصباح بمولود ذكر، فقال

وهو يرسف في أغلاله: هنيئًا لك أيها الوزير، هذه نعمة الله عليك، وقد أنعم عليّ اليوم بمولود أرجو أن يكون خادمًا لولدك، فَلْحقه من الآن - كعادة متبعة حينئذ - بقصرك، لينشأ على الولاء لك، ولابنك السعيد، فإذا شبّا معاً، فهو خادمه ومستشاره، ويومهما واحدا، كما شاءت الأقدار..

وهنا عبس وجهُ ابن عبدالملك، ووقف صارخا كمن لُدغ بلسعة عقرب، وصاح بسليمان: تريد أن تخدعني يا وغد، إنك تقول في نفسك، سينشأ ابني مع ابنه، وستدور الأيام فيكون بمحلي أحسن منه وأعظم، وربّما توسّل إليه كما أتوسل الآن إلى أبيه! ثمّ علا صوته وهو يصيح: إذا تمّ هذا الوهم، وجاء ابني يستعطف ابنك فأمره أن يصفعه، وأن يرمي به بين الأغلال كما أفعلُ بك الآن!

دُهش المستمعون لما قذف به الوزير من التهكم الساخر، والوعيد الظالم، ونظروا إلى سليمان نظرة استرحام، فمكث صامتا لا ينطق، فصاح به الوزير، ما ترى؟ أربعمائة ألف دينار، أو الطبق والأغلال في سجن القصر!؟

قال سليمان: أمهلني بعض الوقت لأجمع ما أقدر عليه، فقال: أمهلتك ثلاثة أيام! فخرج المسكين حائرا لا يدري ما يصنع، وباع ما يقدرُ على بيعه، وأسعفه أصدقاؤه بما تبرعوا به، ثم رفع أمره إلى الواثق ليعفو عن مائة ألف لم يستطع جمعها، فوافق الواثق في غيبة ابن عبدالملك، وحين علم، كتم غيظه، إذ لا سبيل إلى المعارضة! وحسبُه أن يعلم الواثق أنّ سليمان خائن مريد.

-٢-

ظلّ ابن عبدالملك ممتّعاً بمجده طيلة أيام الواثق، وقد زاده تمكّنُه من نفس الخليفة استعلاءً وتعاظما، فكان يصادرُ ويعاقب ويسجن ويهدر الدّم لأتفه الأسباب، وقد اشتهر بتنوره الذي يعذّب فيه التعساء، وعلى جانبيه المسامير الدقيقة لتخترق جسم الضحيّة في غير ما رحمة، حتى نسب إليه قوله: (الرحمة خورٌ في الطبيعة) مجيباً من يسأله الشفقة من ضحاياه! وقد رأى أن يتملّق الخليفة الواثق، فزيّن له أن ينقل ولاية العهد من أخيه المتوكل إلى ولده الصغير، وفي ظنّه أنّ الصغير سيعرف له حقّه، وسابق فضله إذا ولي الخلافة، فيزيده تمكينا، وسيكون ابنه من بعده صاحب الأمر حين يأتيه الأجل بعد حين بعيد، أجل، لقد اجتهد محمدُ بن عبدالملك في تزيين الرجوع عن ولاية المتوكل للعهد، اجتهادا كان موضع الاستنكار ممّن يعلمون سوء المغبة حين تُنقض العهود، وتُهدر المواثيق، وليته وقف عند ذلك، بل جعل يُشيع السّوء عن المتوكل، ويرميه بالنقائص، ويشدّد عليه في استيفاء حقه المالي باعتباره وليا للعهد، ثم أغرى به المرتزقة ممّن يأكلون على كلّ مائدة ليشيعوا عنه الأراجيف، ويصمونه بالتحلّل والتبذل ومصاحبة الخُلعاء والسكارى والمخنثين كي تسوء سيرته بين الناس، فيرتاحوا إلى خلعه! ويرى المتوكل كلّ ذلك فيأكلُ قلبه الغيظ ثم يقول لأحد أصفيائه: إذا أذن الله، وقدّر لي أن ألي الحكم بعد الواثق دون أن تفلح مكيدة ابن

عبدالملك، فلا تطلب أمري في استئصاله، بل آتيني برقبته قبل أن تسلّم عليّ بالخلافة! وفي هذه العبارة ما ينبيء عن غيظ مضطرم تتلظى به جوانح المتوكل، وحقّ له، وكان في الواثق تؤدة فلم يشأ أن يعجّل بخلع أخيه حتى يشب ابنه، ويصلح في عيون الناس أن يكون صاحب الأمر من بعده! ولكنه يرتاح لما يسمع من الأراجيف العالقة بأخيه، ويعلم ذلك ابن عبدالملك فيزيد الضّرام التهابا، حتى توقع الناس أن يُعزل وليّ العهد بين اليوم والغد، وتحاماه كلُّ من يريد الحظوة لدى الوزير باعتباره صاحب الأمر الفعلي في الخلافة، ثم جاء القدر بما لم يكن في حسبان ابن عبدالملك، إذ مات الواثق فجأة بعد أكلة ثقيلة لم يعمل حسابها، وشراب متخم أوقف حركات الهضم، ونظر ابن عبدالملك فإذا القادةُ والأمراء ووجهاءُ الدولة يُسرعون بمبايعة المتوكل، فيتقدّمهم إلى دار الخلافة أميراً للمؤمنين، وقد احتاط به من أفهمه أن يُبقي على ابن عبدالملك حتى يظنّ أنه موضع الرضا، كيلا يُبدد ما يحتجزه من أموال طائلة لا تنتهي إلى حصر، وليَتمَّ ببراعته المعهودة أخذ المواثيق، وكتابة الرسائل إلى مختلف أصقاع العالم الإسلامي مؤذنة بدولة جديدة وخليفة جديد، ولم يفرق ابن عبدالملك - مع دهائه المشتهر - بين الترحيب المصطنع، والإخلاص الصادق، أو لعلّه وهم أنّ الخلافة في حاجة إليه، وفي هذا ما ينسي المتوكل ماضيه الأليم، ومضى أربعون يوماً والريح هادئة لا تُبشر بالهبوب العاصف، ثم استفاق الوزير في فجر يوم عابس على من يقتحمون منزله ليضعوا الأغلال في يديه ورجليه، وليلبسوه المدرعة السوداء، وكانت دهشته أعظم وأفجع، حين رأى غريمه سليمان بن وهب صاحب الأمر، ووزير المتوكل! وكانَ في سليمان أصالةٌ فلم ينطق بما يؤلم غريمه، بل أعلن قرار المتوكل في أدب هادىء، حيث يقضي بمصادرة أمواله، وإيداعه السجن حتى تتمّ محاكمته على أيدى العدول من القضاة وبشهادة الصادقين من الشهود! ورأى سليمان أن يذهب بنفسه إلي دار ابن عبدالملك ليقف على تنفيذ المصادرة، وكان معه ولده أبو القاسم عبدالله! فشاهد فيمن شاهد، غلاما يبكي وقد أقبل على ولد الوزير يستعطفه ليشفع عند أبيه، فسأل سليمان عنه فقيل: إنه أبو مروان عبدالملك نجل الوزير، فهمّ أن يسجد شاكرا لربّه، ثم قال في هدوء: اذهب معه ياعبدالله ليختار ما يشاء من القصر حُليًا وأثاثا ومالاً فهو له إذ لم يجن على أحد. لقد قبلتُ شفاعتك فيه يا عبدالله!! وكانت والدة أبي مروان ذات حصافة، فجعلت تختار ما ينفعها وينفعُ ولدها، إذ يئست من رجوع الزوج إلى جاهه، بل جعلت تُسيء الظن بما ستأتي به الأيام في غدها المتوقع، إذ تعرف مبلغ حقد الخليفة، وإن ارتاحت إلى سماحة الوزير، ثم تركت سامراء بمن فيها وحملت ما قدرت عليه إلى بغداد لتعيش مع ولدها في ظل الخمول الآمن، بدلاً من النباهة المفزعة، وكان ما لابدّ أن يكون، فقد مات الوزير في التنور الذي أعدّه لضحاياه، وكانَ يقولُ في ساعاته الأخيرة:

﴿ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ۜ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾

[الحاقة: ٢٨، ٢٩]

ويردد الآيتين الكريمتين فى شجو لا ينقطع لظاه..

دارت الأيام وما أسرع ما تدور، ومات المتوكل ومن تلاه من الخلفاء حتى انتهى الأمر إلى الخليفة المعتمد على الله، وكان من حظه أن يستوزر أبا القاسم عبدالله بن الوزير سليمان ابن وهب، وكان فى عبدالله رحمة وأدب ورثهما عن أبيه وعن عمه، فسار فى الناس سيراً حميداً، وقد جعل فى الأسبوع يوماً للمظالم، حيث لا يمتنع أحد فيه عن الوصول إلى مجلسه، وقد تصدر القوم، ليفصل فيما يرى من الشكايات والدعاوى، وقد يطرق المجلس غير متظلم من أحد، ليسأل عطاء، أو يرجو وظيفة تدر عليه الخير، فلا يُمنع من مجلس الوزير، وفى يوم من أيام المظالم فوجىء الوزير برجل ذرى الهيئة، يلبس ثياباً مهلهلة، وبيده رقعة يتقدم بها إلى الوزير، وفى ختامها (أبومروان بن عبدالملك الزيات) فتطلع الوزير إلى صاحب الرقعة فى إشفاق، وقال له: سأقوم بما أمرنى والدى، لا بما أمر والدك؟ فانتظر خارج المجلس حتى أدعوك، وحار المستمعون فيما قال الوزير، وألحوا فى استكناه ما رآه والده، وما رآه والد صاحب الرقعة، فقال: لن أجيب حتى أتوضأ وتتوضئوا معى ونُصلى صلاة الشكر لله، ثم نهض فتوضأ، ونهض القوم معه وقد زادهم ما رأوه من صلاة الوزير اهتماماً بما فى الرقعة، حتى إذا انتهت الصلاة ورجع الوزير إلى مجلسه قال:

كان للوزير ابن عبدالملك مع أبى أمر، وقد وُلدت مع ابنه هذا فى يوم واحد، فرأى والدى أن يستعطفه بهذه المناسبة، فقال له: سيكونُ ابنى تابعاً لابنك، وعطفك علىّ الآن يمتد إلى ولدى إذ صار سعيدا برؤية الحياة مع وليدك، فغضب ابن عبدالملك وقال: لعلك تتوهم أن ابنك سيكون رئيساً، ويرجوه ولدى، ولئن تم ذلك فعليه أن يصفعه ولا يُحقق له رجاء! هكذا أخبرنى والدى، ثم قال فى رفق: يا بنى لقد دالت دولة عبدالملك، فإذا شاء الله وكان لك أمر فى هذه البلاد وجاءك ولده فكن معه أصيلاً سامى الروح، وحقق رجاءه بعكس ما قال أبوه، فلما قرأت الرقعة تذكرتُ أبى وما قال!

عجب السامعون لما علموا، وسأل أحدهم الوزير، وما تريد أن تفعل بأبى مروان؟! فقال أبوالقاسم: لقد أرجأته لأدبر له باباً يرتزق منه عن سعة! إن ديوان الخرائط فى حاجة إلى مثله، فإذا تولاه فسيكفيه، وهذا ما أقترحه، فهل من اعتراض؟ قالوا جميعاً، نحن نتعلم الخلق الكريم من الوزير، وإذا اعترض متشدد، فإنه يسىء إلى مكارم الأخلاق، فابتدر الوزير يقول: لم أصدر أمراً؟! إنما أنفذ رغبة والدى، وكأنى أراه الآن، إذ لا يزال حديثه يرن فى مسمعى، وأنا أدرى اليوم والساعة والمكان حين قال لى: كن معه أصيلا سامى الروح.

صاح الجميع: رحم الله سيدنا سليمان بن وهب، وأبقى خلفه أبا القاسم عبدالله بن سليمان، فكلّ عرق ينزع إلى أرومته، ويأبى نسبُ العيدان أن يتغير! وانفض المجلس وقد تم لأبى مروان ما رآه الوزير..

المقاصد الاجتماعية للعبادات

للأستاذ الدكتور/ محمد الشحات الجندى
الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

العبادات منارات لتزكية النفوس، وهداية القلوب وتنوير العقول، وإحياء الضمير بما ليس فى غيرها من القربات الأخرى ومن وفق فى الانتظام عليها وشهود أحوالها رزق الاستقامة والصلاح فى الظاهر والباطن، وعرف الحق فلزمه.

وهى فى تجلياتها الروحانية زاد للمؤمنين فى تنمية الشعور الاجتماعى، والتساند الأخوى، والعيش المشترك والتوحد فى المآل والمصير، فهى تجمع المؤمنين فى طقوسها وتضعهم على طريق الاشتراك جميعاً فى أدائها، فالكل مطالب بالصلاة فى جماعة ومدعو إليها، استجابة لقول الرسول ﷺ: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ (الفرد) بسبع وعشرين درجة»[1].

كذلك الصوم فإنه فريضة على الأمة، كما فرض على الأمم السابقة، طلباً للتقوى والإحساس بمعاناة المحتاجين. ومثل ذلك الحج فإنه فريضة دينية واجتماعية على كل من استطاعه بالصحة والمال.

أما الزكاة فإنها مطلوب الشرع على الأغنياء للفقراء والمكروبين ومنها زكاة الفطر، وهى واجبة كما قال الرسول - صلوت الله عليه -: «على كل مسلم فضل عن قوته وقوت من يقوته يوم الفطر وليلته..»[2].

فهذه الأصول الخمسة مع شهادة

(١) متفق عليه

(٢) تخريج أحاديث الإحياء.

التوحيد هي للعموم والخطاب فيها لكافة المسلمين، فهي عنوان التوحيد الديني والاجتماعي، وباب التماسك والتكافل في الأمور كلها لبناء مجتمع المؤمنين، وهو مراد الله في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾

(الأنبياء: ٩٢)

وتلحظ في هذه العبادات المساواة بأكمل معانيها، فالخطاب فيها واجب على كل من استجمع شروطها وكان أهلاً للقيام بها، لافرق بين الرئيس والمرءوس، والرجل والمرأة، فإن الكل ينتظم في أدائها دون تمييز، وهو المشاهد في الفرائض الخمسة جميعاً؛ فالكل إخوة يدينون بالعبودية لله تعالى، كما قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

(الحجرات: ١٠)

وفي العبادات انتظام وضبط للصف الإسلامي، وحفاظ على الوقت وتقدير قيمته، وهذا من ركائز الاجتماع الإنساني السليم.

شعيرة وجوهر

ومن أسف أن بعض المسلمين يؤدون العبادة دون فهم لمقاصدها، ذلك أن العبادة في الإسلام خشوع وطاعة وامتثال واعتراف بالربوبية لله تعالى والعبودية للإنسان، وتمجيد وتعظيم للخالق في السر والعلن، وهي مظهر للولاء والانتماء لله ورسوله، ومظهر على الالتزام بالدين في منظومته الجامعة العقيدة والشريعة والأخلاق.

والمفهوم الحق للعبادة أنها شعيرة وجوهر، لايغني أحدهما عن الآخر، وإنما يكمله ويتعانق معه، وفيها من التجليات والأسرار ما لايدركه إلا العابدون المخلصون.

كما في قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾

(الأنفال: ٢)

فهم العباد الربانيون، فحركاتهم وسكناتهم في طاعة الله، وصمتهم تفكر في نعم الله وعطاءاته التي لاتحصى، ولسانه يلهج بذكر الله، وهم في كل حال مع الله وفي معيته، في الحضرة الإلهية، والإشراقات النورانية، وهي مع ذلك جسر بين الأرض والسماء وتنعكس على العابد بمحامد الصفات، وتضبط سلوكه بصالح الأعمال للدين والدنيا، من حيث إن الإيمان مقرون في الإسلام بالعمل الصالح، والإحسان إلى الناس، والتقرب إلى الله - تعالى -، بقضاء حوائجهم والقيام على مصالحهم.

العبادة أساس الدين

وأهمية العبادة في أنها أساس الدين وروحه، ومبناه ومعناه، وفرائضه التي تشكل معلما فارقا بين الإسلام والشرك، وهو ما يتضح في قول الرسول ﷺ:

«بني الإسلام على خمس: شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا»(٣).

إن فهم البعض على غير الحقيقة أن العبادات مجرد طقوس ورسوم تؤدى لتبرأ بها ذمة المسلم تجاه ربه وكفى هو خطأ شائع، لأنها تنطوي على مغزى عميق، مفاده أنها جاءت وفاء بحق الله وإصلاحا للنفس البشرية، وتعبيرا عن قيم حضارية، وهو مايتجلى في أن الالتزام بالعبادات ينطبع على شخصية المسلم في مظهره ومخبره.

فالمسلم الحق يكتسي محياه بإشراقات نورانية، وفي أدائه لمنظومة العبادات أعظم أسلوب لتربية الشخصية، فهو يسمو عن الدنايا والخطايا، ويقتفي أثر الفضيلة ومحبة الناس، ويتخلق بالصدق، وينتصر للحق والعدالة، ويقدس المبدأ ويتحاز للكرامة الإنسانية.

العبادة لا تنفصل عن الدنيا

ولعل في موقف الرسول ﷺ حين مر على الرجل المستغرق في عبادته وأثنى عليه الصحابة، فسأل عمن يخدمه، فقالوا كلنا يا رسول الله: «فقال كلكم خير منه»(٤).

وكذلك إنكاره على هؤلاء النفر الذين تفرغوا للعبادة وهجروا الحياة، بقوله:

«أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني أصلي وأرقد وأصوم وأفطر وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»(٥).

ومن ثم كانت العبادة لاتنفصل عن دنيا الناس.

***

(٣) صحيح البخاري كتاب الإيمان.

(٤) مصنف عبدالرزاق ٢٠٤٤٢.

(٥) رواه البخاري.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال: ٤٦)

من ضوابط التقريب بين المذاهب

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم
عضو مجمع البحوث الإسلامية

إن الدعوة إلى التقريب بين المذاهب، تسد الفجوة المفتعلة التي حاول البعض إحداثها، واستثمر هذا أعداء الأمة في تضخيم الخلافات، واصطناع الصراعات، وراحوا يشعلون الفتن الهوجاء التي حذر منها خاتم الأنبياء، عليه الصلاة والسلام، حين قال: «ويل للعرب من شر قد اقترب فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا، ويمسي كافرا، يبيع قوم دينهم بعرض من الدنيا، المتمسك يومئذ بدينه كالقابض على الجمر»[١].

ولا يخفى على أحد ما يحدث الآن من محاولات سيئة، ودسائس مكشوفة تعمل على تفريق الأمة، وتمزيق شملها، واستعداء بعضها على البعض الآخر، مرة بين السنة والشيعة، ومرة بين السلفية والصوفية، وأخرى بين أتباع المذاهب إلى غير ذلك من محاولات مُعتمة تعمل في الخفاء؛ لإحداث شروخ بين فصائل الشباب المسلم.

وواجب الأمة أن تكون على حذر شديد مما يُحاك لها؛ فإن الذي يحدث من جراء هذا الانشطار في صفوف الأمة أمر جد خطير، تصدعت بسببه أسر وانهارت علاقات أسرية واجتماعية.

وإذا كان الإسلام وصّى أتباعه بحسن العلاقة مع غير المسلمين، فهل من المعقول أن يحسنوا العلاقة مع الآخر ويسيئوا العلاقة مع بعضهم؟!

(١) مسند أحمد.

وليس معنى التقريب بين المذاهب، أن يكون ثمة ترخص في أمر من الأمور التي ورد تحريمها في القرآن الكريم، أو في السنة المطهرة، لأنه لا اجتهاد مع النص، فما ورد صريحا قطعيا لا يصح الاجتهاد فيه.

وإنما المراد بالتقريب تلك الأمور التي ورد خلاف بين العلماء بشأنها وتعددت اجتهاداتهم فيها، وربما كان الكثير من هذه الأمور مما يدور حول الأولى أو خلاف الأولى.

ومن الأمور الهامة التي يجب أن تُراعى، عدم التعصب للرأي وإفساح الطرق أمام تعدد الآراء وأمام الاجتهادات، فإذا كان أحد شوامخ أئمتنا قال: «رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب» فلا يصح لبعض من ينتمي إلى محراب الدعوة أن يتعصب اليوم لرأيه، وأن يحاول فرضه بالقوة، زاعما أن رأيه -وحده- هو الصواب، وأن رأي غيره خطأ، ويعلن أن أئمة المذاهب، وكبار أئمة السلف لا يلزم الأخذ باجتهاداتهم مدعيا وقائلا: «هم رجال ونحن رجال»!!

واجب الدعاة

كما يلزم عند دعوتنا للتقريب أن تكون كل الأطراف قابلة للرأي والرأي الآخر، ومتفقة على اتباع الحق وعدم التعصب الشخصي النابع من الاقتناع الخاص، والناتج عن تأثر ثقافي معين أو حضاري أو قبلي أو أسري أو نفع ذاتي، فالحق فوق هذه الأمور كلها.

ومن ضوابط التقريب بين المذاهب أن واجب جميع العلماء والدعاة وأتباع كل المذاهب والاتجاهات أن ينظروا إلى تلك الأسس التي يجب أن توحدهم.

› فالإله الذي يؤمن الجميع به واحد لا شريك له، إنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

› والرسول الذي يؤمن به جميع المسلمين واحد وهو سيدنا محمد ﷺ، خاتم الأنبياء والمرسلين وقائد الغر المحجلين، ورحمة الله للعالمين.

› والقبلة التي نتجه إليها في صلاتنا واحدة وهي الكعبة المشرفة، البيت الحرام، زاده الله تشريفا وتكريما وتعظيما ومهابة وبرا.

› ودستورنا السماوي وهو القرآن الكريم واحد يهدي للتي هي أقوم، وهو تبيان لكل شيء ومعجزة الرسالة الخالدة إلى أن يقوم الناس لرب العالمين، يوحد الأمة ويدعوها إلى ما فيه سعادتها دنيا وأخرى.

الإسلام بين الرحمة وسوء الظن!!

ونحن إذ ننادي اليوم أمتنا الإسلامية إلى وحدة صفها وجمع كلمتها، ورأب صدعها، فلا يمكن أن تجدي هذه النداءات إلا إذا وحد علماء الإسلام في الأمة رأيهم، ولم يختلفوا فيما بينهم اختلافا يؤدي إلى الشقاق، بل إن بعض المتعصبين لآرائهم الذين ظنوا أنهم -وحدهم على الحق- لم يكتفوا بهذا، بل راحوا يحكمون على غيرهم بالكفر أو الفسق أو البدعة بل إن بعض الذين أساءوا إلى سمعة المسلمين يمارسون التشدد أو العنف والإسلام

من كل هذا براء؛ لأنه دين الرحمة والاعتدال والتسامح وحسن الظن لا سوء الظن بالناس، فما دام الإنسان يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فلا يصح أن يحكم عليه بكفر ولا يحل أن يستحل دمه أى إنسان، وفيما رواه البخارى وغيره من حديث أسامة بن زيد قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة من جهينة قال: فصبحناهم، فقاتلناهم، فكان منهم رجل إذا أقبل القوم كان من أشدهم علينا وإذا أدبروا كان حاميتهم، قال فغشيته أنا ورجل من الأنصار، قال فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله فكف عنه الأنصارى وقتلته، فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال: يا أسامة أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟ قلت: يا رسول الله إنما كان متعوذاً من القتل. فكررها علىّ حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت إلا يومئذ[٢].

وفى رواية أخرى: أن رسول الله ﷺ قال له: ألا شققت على قلبه، فتعلم أصادق أم كاذب؟ قال أسامة: لا أقاتل أحداً يشهد أن لا إله إلا الله.

لا إله إلا الله

وهكذا نرى أن الإسلام لا يقر أحداً على سوء الظن بالناس أو العدوان عليهم أو قتلهم بعد أن قالوا لا إله إلا الله، كما لا يحل لأحد أن يبالغ فيسارع بالحكم على أحد بالكفر، لأن خطورة التكفير أن يوقع من كفر أخاه فى حمأة الكفر، قال رسول الله ﷺ: «إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما»[٣].

كما لا يصح لأحد أن يكفر أحداً بسبب ذنب من الذنوب ما دام مقراً بالشهادتين، عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من أصل الإيمان: الكف عمن قال: لا إله إلا الله لا نكفره بذنب ولا نخرجه عن الإسلام بالعمل، والجهاد ماض منذ بعثنى الله إلى أن يقاتل آخر أمتى الدجال، لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل، والإيمان بالأقدار»[٤].

وقد سئل الإمام على بن أبى طالب -رضى الله عنه- عن المخالفين له من الفرق: أكفار هُم؟ قال: لا، إنهم من الكفر فروا، فقيل: أمنافقون هم؟ فقال: لا.. إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، وهؤلاء يذكرون الله كثيراً. فقيل: أى شىء هم؟ قال: قوم أصابتهم الفتنة فعموا وصموا.

وهكذا نرى أن التعاليم الإسلامية لم تبح أبداً العدوان على أحد، ولا التشدد والتسرع بتكفير أحد يقول لا إله إلا الله.

فإن من قال هذه الكلمة عصم دمه وماله وحسابه على الله، فليس لأحد أن يحكم عليه ولا أن يعتدى عليه، هذه هى التعاليم الإسلامية الصحيحة.. ولو نظرنا إلى أول خطوة من خطوات التقريب بين الآراء لوجدناها كانت فى عهد رسول الله ﷺ، حثًا

(٢) أخرجه الإمام أحمد بمسنده.
(٣) أخرجه البخارى.
(٤) أخرجه أبو داود.

للمسلمين على وحدة الصف وعدم الفرقة ودعما للاجتهاد مادام على صواب، ولا يتنافى مع تعاليم الاسلام ومبادئه.

نرى هذا فى توجيه الرسول ﷺ لبعض أصحابه -رضى الله عنهم أجمعين- عندما قال عليه الصلاة والسلام: «لا يصلين أحدكم العصر إلا فى بنى قريظة»[٥] فمنهم من فهم تنفيذ هذا التوجيه ولو فاتهم وقت صلاة العصر ومنهم من فهم أن المراد هو السرعة، ولكن لو خافوا فوات الوقت وصلوا قبل أن يصلوا، إلى بنى قريظة فلا جناح عليهم وقبل الرسول ﷺ اجتهاد هؤلاء وأولئك؛ لتقارب وجهات النظر، ولأنه ليس فى اجتهاد فريق منهما ما هو محرم أو مخالف.

همومنا الكبرى!!

وإن أمام أمتنا وعلمائها هموما كبرى، ومشكلات تستوجب على الجميع أن يضاعفوا جهودهم من أجل حلها، فلا نترك كبرى المهام والقضايا، ونبدد الأوقات فى الأمور البسيطة، لأن دعامة الأولويات لها أهميتها وضرورتها، فلا تكون كأحد أهل العراق عندما سأل عن دم البعوض فى الإحرام، فأنكر ابن عمر رضى الله عنهما ذلك، وقال: «قتلتم ابن بنت رسول الله ﷺ وتسألون عن دم البعوض!!»، وقد قال رسول الله ﷺ عن الحسن والحسين رضى الله عنهما: «هما ريحانتاى من الدنيا»[٦].


رشيد رضا

بل رأينا البعض يشغل نفسه والناس بأمور تدور حول الأولى وخلاف الأولى ويترك كبرى المهام والقضايا فيؤلف البعض مؤلفا عنوانه: «نهى الصحبة عن النزول على الركبة»، وآخر يكتب كتابا عنوانه «الواحة فى جلسة الاستراحة» وهى أمور ليست من أركان الصلاة بل من هيئاتها.

إن القاعدة الإسلامية البليغة التى قالها الإمام محمد رشيد رضا صاحب تفسير المنار،- رحمه الله- لها أكبر الأثر فى مراعاة حقيقة الأولويات وترك الخلافات، حيث قال: «نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه».

ولنستجب لأمر الله تعالى فى القرآن الكريم:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

(آل عمران: ١٠٣)

وبالله التوفيق

(٥) أخرجه البخارى
(٦) أخرجه البخارى

مؤتمر حقوق وواجبات المسلمين فى الدول الغربية يطالب بـ:

ضرورة اعتراف الغرب بحقوق المسلمين والمسلمون يجب أن يكونوا رسلاً لدينهم

٢

للأستاذ/ عاطف مصطفى

نواصل عرضنا لما تم فى المؤتمر الدولى لحقوق وواجبات المسلمين فى الدول الغربية والذى عقدته رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع المعهد السويدى بالاسكندرية وشارك فيه عدد من المسلمين الذين يعيشون فى السويد والنرويج والدنمارك فضلاً عن مشاركة بعض علماء ورؤساء الجامعات الإسلامية. وقد تحدث فى بداية المؤتمر الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركى رئيس رابطة الجامعات الإسلامية حيث تناول القيم الراسخة فى ديننا الإسلامى، والتمييز فى الحقوق، وما يتعرض له المسلمون فى الغرب، وكذلك كيفية التعامل مع المسلمين فى الغرب.

وبعد ذلك قال الدكتور جعفر عبدالسلام الأمين العام للرابطة:

لقد جلسنا طويلاً نفكر فى هذا المؤتمر وذلك لوضع الأهداف والبرامج واختيار المتحدثين، فنحن نبحث فى قضية شائكة إلى حد ما، تتصل بأن المسلمين الآن جزء من المجتمع الدولى، وجزء من المجتمع الأوروبى والأمريكى، وأيضاً كل الدول الأخرى، أصبح الآن للإسلام والمسلمين مكان فيها، وهو وضع قائم لا سبيل إلى إنكاره على الإطلاق لكن

أخذت أوروبا بعداً خاصاً فى هذا الصدد لأن المسلمين يعيشون الآن بكثرة هناك، ويتزايد عددهم يوماً بعد يوم، بل إن البعض يقول إنه بعد سنوات قليلة سوف تصبح أوروبا دولة إسلامية.

ولا بأس بهذا، لكن المشكلات تأتى -ربما- من هذه الزاوية أو من زوايا أخرى مختلفة.. فماذا نفعل بالمسلمين فى أوروبا؟

يقول الدكتور جعفر: كانت هناك اتجاهات مختلفة.. كان هناك اتجاه يقول: إن الشرق شرق والغرب غرب، ولا يمكن أن يلتقيا ولكن هذه الأطروحات انتهت، وانتهت أيضا ما كان يعرف تاريخيا بالمسألة الشرقية، وهى فكرة وجود دولة لهم.

وأعرف أن هذا آثار صراعات واسعة، ولعل أشدها ما شهدناه فى البوسنة والهرسك وفى دول يوغوسلافيا السابقة ولكننا نجد هناك مشكلات عديدة تتصل بالوجود الإسلامى فى أوروبا بشكل عام.

وأشار د. جعفر إلى نماذج مثل:

المهمشين من المسلمين فى أحياء معينة، فباريس تضم حيا كاملا للمسلمين، لكن خصائصه أنه أقل فى الأهمية، وأقل فى الاهتمام من باقى أحياء مدينة باريس، لذلك يثور المسلمون فى هذا الحى بين الحين والآخر، وينتقدون السلطات الرسمية، وتحدث مشكلات من هذا المنطلق.

أيضاً نجد مشكلات عديدة تتصل بالزواج المختلط بين المسلمين وغيرهم فى أوروبا، فكثير من المسلمين يتزوجون من أوروبيات،



جعفر عبدالسلام — د. عبدالله تركى

لكى يحصلوا على الجنسية الأوروبية التى تسمح لهم بالعمل والإقامة فى أوروبا.

لكن يبدو أن الوقت فى كثير من الأحيان لا يكون طويلا، لكى يكون هذا الزواج سعيداً وموفقاً ولا يلبث أن ينتهى.

عدم فهم أصول الحياة الأوروبية

ويشير الدكتور جعفر أيضاً إلى قضية الزواج المختلط والطلاق وما ينتج عنها من مشكلات عديدة تنتج عن ذلك من بينها: مشكلات الحضانة، النفقة، العمل، اقتسام الثروة، وكلها مشكلات تثور فى أوروبا الآن وتشهدها بشكل موسع فى كثير من الدول الأوروبية.

كذلك لابد أن نعترف بالحقيقة، أن كثيراً من المسلمين الذين يعيشون فى أوروبا لا يفهمون أصول الحياة الأوروبية كثيراً، فالحياة الأوروبية تقوم على النظام، وعلى العمل الشاق، وعلى حساب الوقت، وحساب الحياة، بما يمكن أن ينتج عنها.

وربما لم يتعود كثير من المسلمين على ذلك فى بلادهم، ولعله أساسى وضرورى ويأمر به

الدين الإسلامى :

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾

(التوبة : ١٠٥)

والرسول عليه الصلاة والسلام يقول : «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه».

ويضيف الدكتور جعفر : إن المشكلات الاجتماعية الناتجة عن الزواج والطلاق والزواج المختلط، وما ينتج من طلاق، والمشكلات المتصلة بالأسرة المسلمة فى أوروبا وعدم تكيفها بسهولة مع الأوضاع والحياة الموجودة، هذه أيضاً من مشكلات المسلمين فى الغرب.

متغيرات بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١

وعلينا أن نعرف أنه بعد إعصار الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١، فقد تغيرت كثير من الأمور، بمعنى أن قوانين عديدة صدرت فى أوروبا وفى الولايات المتحدة الأمريكية تتيح للسلطات الآن فى هذه الدول إجراءات وتدابير لم تكن تسمح بها من قبل، وللأسف أن بعضها يوجه إلى المسلمين خاصة، وهذا بلا شك تمييز ضد المسلمين، وتراه أيضاً فى كثير من الدول نتيجة القوانين الاستثنائية التى تتيح التجسس وربما الاعتقال للشبهة وهذه السلسلة من القوانين التى تفنن فى إصدارها المحافظون فى أمريكا وعلى رأسهم الرئيس السابق جورج بوش واتبعه الكثير من دول أوروبا للأسف الشديد.

مشكلات يواجهها المسلمون فى أوروبا

يضيف الدكتور جعفر عبدالسلام مهماً وهو تلك المشكلات الاقتصادية التى تواجه المسلمين فى أوروبا، فالكثير منهم قدموا إلى هناك بالفعل ليمارسوا عملاً يدوياً ويشاركوا فى إصلاح ما خربته الحربين العالميتين الأولى والثانية، لذلك كانت هناك نسبة كبيرة من الحرفيين المسلمين، وقد تغيرت هذه الصورة الآن، وأصبح هناك علماء مسلمون ومفكرون وكتاب وصحفيون وأساتذة جامعات، هؤلاء أصبحوا يشكلون نسبة مهمة فى التشكيلة المسلمة فى أوروبا لكن لا شك أننا لو قارنا الوجود الإسلامى بين المسلمين بغيرهم فسوف نجد أنهم مهمشون والبطالة تنتشر بينهم.

وإذا تحدثنا عن البطالة، فإننا نتحدث عن كل المشكلات التى يمكن أن تنتج عنها، وأعداء الإنسانية الثلاثة: الفقر والجهل، والمرض، تنتشر إلى حد ما بين المسلمين هناك!

لذلك فإن على قمة اهتمامنا بالمسلمين فى أوروبا قضية التعليم أيضاً، بالذات التعليم الدينى، لأن الهجمة الشرسة على المسلمين أساءت إلى التعليم الإسلامى الدينى بغير حق، حيث قيل إن هذا التعليم يساعد على التطرف والإرهاب وكراهية الآخر، وعدم الاعتراف به، حتى أن البعض اقترح حذف آيات من القرآن الكريم، كما أن إدارة بوش حددت ٢٢ آية أغلبها فى سورة التوبة وسورة الأنفال، وبعض السور الأخرى لكى تحذف من القرآن.

ووصل الأمر إلى كتابة قرآن جديد (الفرقان الحق).

وطبعاً كل هذا فى إطار الهجمة غير المبررة والشرسة على الإسلام والمسلمين.

لكن هل ننسى أن هذه المفاهيم لاتزال سارية وتأثر بها الكثير من الأوروبيين الذين يعيش بينهم المسلمون فى أوروبا.

الواقع وما يتضمنه من مشكلات

يشدد الدكتور جعفر عبدالسلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية على أن هذه الندوة خصصت لإظهار ذلك كله:

الواقع وما به، وما فيه من مشكلات فى هذه الأطر التعليمية الثقافية والاجتماعية وأيضاً الأطر الاقتصادية.

فكثير من المسلمين يحرمون معاملات تجرى فى أوروبا بشكل معتاد: التعامل مع البنوك، فعلى سبيل المثال لا يوجد فى أمريكا أو فى أوروبا من لا يتعامل مع بنك، بل من لم يقترض لبناء منزله وبالطبع كلنا يعلم نظام الفوائد، وكثير من العلماء يحرمون الفوائد ويعتبرونها من قبيل الربا، ومن ثم يحرم المسلمون المتمسكين بدينهم، من كثير من الأعمال والمنافع التى ربما أتت عن طريق هذه الفوائد.

عدم الاندماج ومشكلاته

أيضاً عدم الاندماج فى المجتمع، وإنتاج ما يمكن أن يفيد المجتمع والناس، وذلك يعتبر أيضاً من المشكلات الحادة التى تواجه المسلمين، كذلك تحريم كثير مما حرمه الله من مأكل ومشرب، وهذا يثير مشكلة فى الاندماج، على الأقل من الزاوية الأوروبية، التى تنظر إلى هؤلاء الناس الذين لا يأكلون مثلهم ولا يشربون مثلهم نظرة خاصة، تؤثر على وضعهم الاقتصادى وعلى قبولهم فى المنظومة الأوروبية وبشكل عام.

كذلك نجد ظاهرة «الإسلاموفوبيا» وهى ظاهرة خطيرة، ارتبطت أكثر ما ارتبطت بهذه الأحداث، ونترجمها أحياناً بظاهرة الخوف من الإسلام، ونترجمها أحياناً بظاهرة كراهية الإسلام.

وهذه الظواهر بشكل عام تسىء إلى العلاقات بين المسلمين والغرب بشكل عام.

يتوقف د.جعفر ليقول: ويجرنا هذا الحديث إلى مصادر الصورة السيئة لدى بعض الأوروبيين والدول الأوروبية، ولم أقل لدى الأوروبيين لأننا فى هذا المؤتمر نجلس مع أوروبيين الآن وأبناؤنا وبناتنا الذين يجلسون معنا، هم من الأوروبيين والأوروبيات الذين عاشوا واندمجوا فى الحياة الأوروبية.

لكن الكثير من الدوائر لازالت تمارس أعمالاً ضد الإسلام وضد المسلمين وكلما خبت جذوة هذه الإساءات وجدناها تظهر من جديد!

وطبعاً لن أتحدث كثيراً عن الرسوم المسيئة، وعن الأفلام التى أنتجت فى هولندا، ولن أتحدث عن كثير من الظواهر التى نعرفها جميعاً، لكننا نريد أن نلقى الضوء زيادة عليها.

كل هذه المسائل فكرنا فى معالجتها فى هذا المؤتمر، والحمد لله أننا أحضرنا الكثير من العلماء، سواء من أوروبا: من السويد أو من مصر، كما أكرمنا الله بهذه النخبة المتميزة من رؤساء الجامعات الإسلامية الذين كانوا فى

اجتماع معنا في جامعة الإسكندرية وكل هؤلاء سوف يدخلون في حوارات واضحة ومباشرة في كل القضايا التي أثرناها، و التي يريدون هم إثارتها فيما يتصل بالحقوق والواجبات للمسلمين في الغرب.

العلاج

يقول الدكتور جعفر عبدالسلام: وفيما يتصل بالعلاج لهذه المشكلات فربما يهتم رجال القانون بفكرة الحق والواجب، ومن هنا كان عنوان المؤتمر «حقوق المسلمين وواجباتهم في الغرب».

فالحقوق الآن أصبحت واضحة وهناك الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان التي عقدت في عام ١٩٥٠.

بل هناك اللجنة الأوروبية لحقوق الإنسان، والتي هي جهة تنظر في شكاوى الناس التي يقدمونها ضد الحكومات الأوروبية إذا ما أساءت استخدام حقوق المسلمين وغير المسلمين، ولدينا أيضاً ما يعرف بالوثيقة الدولية لحقوق الإنسان وهي ثلاثة أجزاء وأنا أعتبرها المسطرة الأساسية التي يجب أن نقيس بها مدى توافر احترام حقوق الإنسان وحرياته في الغرب.

ومن خلال وزارة الخارجية المصرية، عندما ظهرت مسألة الرسوم المسيئة عرضنا الأمر على الوثيقة الدولية لحقوق الإنسان، وأظهرنا التعارض بين مواد عديدة في حقوق الإنسان وبين هذه الرسوم المسيئة، وأنها ليست على الإطلاق حرية تعبير، ولكنها إساءة تعبير بالنصوص الواردة بها، لذلك نحن جميعاً يجب أن نحتكم إليها، لأننا إذا قلنا نحتكم إلى القرآن الكريم والسنة لمن لا يعترف بها أو لا يعرفها، فإننا لا ننجح كثيراً في مواجهة هذه الحملات المسيئة.

الواجبات

وعموماً أنا كمسلم ومعي الكثير من المسلمين، نعتقد أن الواجبات علينا أكثر، وأول هذه الواجبات هو الاندماج في المجتمعات التي يحيا فيها المسلمون. ولابد أن أنبه هنا إلى أن الاندماج غير الذوبان.

كذلك لابد من الحفاظ على السمات الأساسية للمسلم، ولابد أن يؤدي المسلم عباداته وواجباته، ولابد في تقديري أن تحترم السلطات المختلفة في العالم كله بهذه الحقوق، وأن تمنحه الفرصة لأداء عباداته، والتعبير عن عقيدته.

وعلينا أيضاً واجبات مهمة.. لأن المسلمين في الغرب يجب أن يكونوا رسلاً لدينهم في العالم، وأن يكونوا قدوة ومثلاً تقتدي بخلق الإسلام وبآدابه.

وعلينا أن نكون كمسلمين قدوة في بلاد الغرب، نعطي الآخر ما ينقصه الآن في حياة حائرة، حيث وصف بعض الفلاسفة ما تعانيه أوروبا الآن بمسألتين:

الاستعجال والكآبة والحزن ونحن لدينا خريطة ولدينا مساطر عديدة ضد الكآبة وضد الحزن، وضد السرعة أيضاً فالسرعة مطلوبة لكن بما لا يطغى على حياة الإنسان وعلى ما يحتاج إلى التمتع به من راحة ومن اتصال بالله سبحانه وتعالى.. فكلما اقترب الإنسان



تفجير برج التجارة العالمي في نيويورك ١١ سبتمبر ٢٠٠١

بخالقه، كلما كان سعيداً، وكلما ارتاح من مشكلات الكآبة والمتاعب النفسية التي كثرت في الدول الأوروبية الآن.

وثيقة الإسكندرية

وبعد يومين من الحوار البناء، وكذلك عرض وجهات النظر لما يحدث داخل المجتمعات الغربية، والتركيز على جوانب المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المتعلقة بوضع المسلمين هناك، صدرت وثيقة الإسكندرية للتعاون بين المسلمين في المجتمعات الغربية، وكان من بينها:

● على المسلمين الذين يعيشون في الغرب واجب الاندماج في المجتمع الذي يعيشون فيه ومن حقهم ومن واجبهم التمسك بأصول دينهم والحفاظ على قيمهم.

● إن المسلمين مطالبون بالوحدة والتماسك ونبذ الأحقاد والخلافات التي استشرت بينهم في السنوات الأخيرة، ويجب عليهم المحافظة على الهوية، والذات والسمات المميزة للشخصية الإسلامية على مستوى المبادىء والقيم والعبادات.

● إن الدول الغربية مطالبة بأن تعطي للمسلمين كافة الحقوق والواجبات المنصوص عليها في الدساتير الغربية والوثيقة الدولية لحقوق الإنسان.

كما أن عليها أن تمحو كافة مظاهر التمييز بينهم سواء في التمتع بفرص العمل والتوظيف أو بالحماية الواجبة لهم ضد الإساءات البوليسية والأمنية خاصة تلك التي بدأت تسود في أوروبا في أعقاب ١١ سبتمبر ٢٠٠١م.

قصيدة العدد



أين السعادة؟

للشاعر المهجري الكبير: إيليا أبي ماضي

أنا لست بالحسناء أول مولع   هي مطمع الدنيا كما هي مطمعي
فاقصص عليّ إذا عرفت حديثها   واسكن إذا حدثت عنها واخشع
ألمحتها في صورة؟ أشهدتها   في حالة؟ أرأيتها في موضع؟
إني لذو نفس تهيم وإنها   لجميلة فوق الجمال الأبدع
ويزيد في شوقي إليها أنها   كالصوت لم يسفر ولم يتقنع
فتشت جيب الفجر عنها والدجى   ومددت حتى للكواكب إصبعي
فإذا هما متحيران كلاهما   في عاشق متحير متضعضع
وإذا النجوم لعلمها أو جهلها   مترجرجات في الفضاء الأوسع
رقصت أشعتها على سطح الدجى   وعلى رجاء في غير مشعشع

***

والبحر... كم سائلته فتضاحكت   أمواجه من صوتي المتقطع
فرجعت مرتعش الخواطر والمنى   كحمامة محمولة في زعزع
وكأن أشباح الدهور تألبت   في الشط تضحك كلها من مرجعي

***

ولكم دخلت إلى القصور مفتشا   عنها، وعجت بدارسات الأربع
إن لاح طيف قلت: يا عين انظري،   أو رن صوت قلت: يا أذن اسمعي
فإذا الذي في القصر مثلي حائر   وإذا الذي في القفر مثلي لا يعي

***

قالوا: تورع، إنها محجوبة   إلا عن المتزهد المتورع

فوأدت أفراحي وطلقت المنى   ونسخت آيات الهوى من أضلعي
وحطمت أقداحي ولما أرتو   وعففت عن زادي ولما أشبع
وحسبتني أدنو إليها مسرعا   فوجدت أني قد دنوت لمصرعي
ما كان أجهل نصحي وأضلني   لما أطعتهم ولم أتمنع
إني صرفت عن الطماعة والهوى   قلبي، ولا ظفر لمن لم يطمع
فكأنني البستان جرد نفسه   من زهره المتنوع المتضوع
ليحس نور الشمس في ذراته   ويقابل النسمات غير مقنع
فمشى عليه من الخريف سرادق   كالليل خيم في المكان البلقع
وكأنني العصفور عرى جسمه   من ريشه المتناسق المتلمع
ليخف محمله، فخر إلى الثرى   وسطا عليه النمل غير مروع

***

وهجعت أحسب أنها بنت الرؤى   فصحوت أسخر بالنيام الهجع
ليست حبورا كلها دنيا الكرى   كم مؤلم فيها بجانب مفزع
تخفي أماني الفتى كهمومه   عنه، وتحجب ذاته في برقع
ولربما التبست حوادث يومه   بالغابر الماضي وبالمتوقع
يا حبذا شطط الخيال وإنما   تمحي مشاهده كأن لم تطبع
لما حلمت بها حلمت بزهرة   لا تجتنى، وبنجمة لم تطلع
ثم انتبهت فلم أجد في مخدعي   إلا ضلالي والفراش ومخدعي
من كان يشرب من جداول وهمه   قطع الحياة بغلة لم تنقع

***

ذهب الربيع فلم تكن في الجدول الشـ   ـادي، ولا الروض الأغن الممرع
وأتى الشتاء فلم تكن في غيمه   الباكي، ولا في رعده المتفجع
ومحت وامضة البروق فخلتها   فيها، فلم تك في البروق اللمع
صفرت يدي منها وبي طيش الفتى   وأضلني عنها ذكاء الألمعي
حتى إذا نشر القنوط ضبابه   فوقي، فغيبني وغيب موضعي
وتقطعت أمراس آمالي بها   وهي التي من قبل لم تتقطع
عنصر الأسى روحي فسالت أدمعا   فلمحتها ولمستها في أدمعي
وعلمت حين العلم لا يجدي الفتى   أن التي ضيعتها كانت معي!

النزعة العقلية فى الشعر العربى

للأستاذ الدكتور/ السيد أحمد فرج
الأستاذ بكلية التربية جامعة المنصورة

> كان للنزعة العقلية منذ نهاية القرن الأول الهجرى تأثير فى الشعر، فقد تأثر الشعراء بالتيار العقلى العام الذى أثاره المتكلمون فى الجو الثقافى العام، فشغل العقول فى جميع الأوساط الثقافية، ومنها عقول الشعراء، فكان منهم من يناصر الفكر الاعتزالى، وكان منهم من يواجهه ويباينه ويضاده.

كان العباس بن الأحنف، من هؤلاء الشعراء الذين كان بينهم وبين المعتزلة خلاف ومباينة، وكان من فحول شعراء العصر العباسى الأول، وكان رواة الشعر يقدمونه، وكان غزلا صالحا، وكان بجانب نبوغه فى الشعر غزير الفكر واسع الكلام، كثير التصرف فى الغزل، ولم يكن هجاء ولا مداحا. قال عنه الجاحظ: «لولا أن العباس بن الأحنف أحذق الناس وأشعرهم، وأوسعهم كلاما وخطرا ما يقدر أن يكثر شعره فى مذهب واحد لايجاوزه، وأنه لا يهجو ولا يمدح، وما نعلم شاعرا لزم فنا واحدا لزومه فأحسن فيه وأكثر».

وتعظم هذه الشهادة لصدورها من الجاحظ، وهو من كبار شيوخ الاعتزال الذين كان بينهم وبين الأحنف خلاف وصل إلى حد المباغضة، فقد روى أبو الفرج الأصفهانى فى كتاب الأغانى قال: كان العباس بن الأحنف شاعرا مجيدا غزلا، وكان أبو الهذيل العلاف يبغضه ويلعنه لقوله:

إذا أردت سلوا كـــان ناصـــركم
قلبى ومــا أنا من قلبى بمنتـصـر
فـــاكـثـــروا أو اقلوا من إســاءتكم
فكل ذلك مـــحـمـــول على القــدر

قال: فكان أبو الهذيل يلعنه لهذا ويقول: يعقد الكفر والفجور فى شعره. وهو بذلك يريد أن يقول: إنه لا يقدر على سلواتهم، وهو مجبر على حبهم، لأن القدر فرض عليه ذلك الحب، وإن اللوم إنما يقع على القدر، وهو ما يرفضه المعتزلة رفضا قاطعا، لأنهم يرون إرادة الإنسان وفعله منه لا من القدر، أو من فاعل آخر خارج الإنسان نفسه.

واضطر العباس بن الأحنف الذى لم يعتد الهجاء أن يهجو أبا الهذيل العلاف شيخ المعتزلة. قال أبو الفرج: قال محمد بن العباس اليزيدى، وما سمعت للعباس هجاء غيره قال:(1)

يا من يكذب أخـبـار الرســول لقــد
أخطأت فى كل مــا تأتى به ومــا تذر
كـذبت بالقـدر الجارى عليك فـقـد
أتاك منى بما لا تـشـتـهى القــدر

كان المعتزلة يعيشون فى عالمهم العقلى، وكانوا يحاورون مخالفيهم من أصحاب المذاهب الأخرى فى غوامض الأفكار بأدلة العقل وبراهينه، يقول شاعرهم ومفكرهم بشر بن المعتمر الذى كان يصفه الجاحظ بأنه أروى المعتزلة للشعر:(2)

لـلـه در العـــــقــل من رائـد
وصـــاحب فى العـســر واليـســر
وحـــاكم يقـــضى على غـــائب
قـــضـيـــة الشــاهد للأمـــر
وإن شـــيـــئـا بعض أفــــعــــاله
أن يفـــصــل الخــيـــر من الشـــر
لذوى قـــوى قـــد خـــصـــه ربه
بخـــالص التـــقـــديس والطهــر

وكان أبو نواس يختلف إلى مجالس المعتزلة، ولكنه لم يكن يوافقهم، وكان إبراهيم النظام أحد كبارهم يدعوه إليها، فقد أعجبه بعض شعره فأخذ يتفحصه ويلتقط منه كلمات تضاد فكر المعتزلة فينتقده فيها، وذات يوم دارت بينهما ملاحاة، فعرض أبو نواس بفكر النظام وأراد أن يقول له: إن الله تعالى من حقه أن يترك وعيده لمن أجرم وارتكب الكبائر فيتفضل عليه ويسدل عليه أستار عفوه، وهو ما يضاد أصل المعتزلة فى الوعد والوعيد، ومرتكب الكبيرة، فغضب منه النظام، فهجاه أبو نواس بقوله:(3)

فـقل لمن يدعى فى العلم فلسـفـة
حفظت شيـئـا وغابت عنك أشيـاء
لا تحظر العفو إن كنت امرءا قرحـا
فـــإن حظركــــه بـالدين إزراء

وكان من بين الشعراء من يعتقد بعقيدة المعتزلة، وكان فى مقدمتهم كلثوم بن عمر بن أيوب التغلبى، ومن شعره الذى يصور معتقدهم فى أن الإنسان حر مختار لفعله، وأن الله لا يفعل إلا الحسن، ولا يفعل القبيح أو يأمر به – بحسب معتقد المعتزلة – وأنه تعالى وهب الإنسان العقل الذى يميز به الخبيث من الطيب، والحسن من القبيح، يقول كلثوم بن عمر التغلبى:

وكم نعـمـة آتاكـهــا الله جـزلة
مــبــرأة من خلق يذيمهـــا

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني (علي بن الحسين) كتاب الأغاني ٨/٣٥٤ – ٣٥٥.
(2) الجاحظ: كتاب الحيوان ٦/٢٩٢.
(3) راجع د. شوقي ضيف: العصر العباسي الأولي ص ١٢٦، ود. وديعة طه نجم الجاحظ والنقد الأدبي، حولية لكلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية العاشرة ١٩٨٨م – ١٩٨٩م.

فسلطت أخلاقا عليها ذميمة

تعاورتها حتى تفرى أديمها

وكنت امرءاً لو شئت أن تبلغ المدى

بلغت بأدنى نعمة تستديمها

أراد أن يقول: إن النعمة فعل حسن من الله، لأنه تعالى بحسب رأى المعتزلة لا يفعل القبيح، لكن الإنسان بإرادته الذميمة واختياره يقطعها، وكان يقدر باختياره أن يستديم هذه النعمة.

ويقول شيخهم النظام متغزلا:

وشادن ينطق بالظرف

يقصر عنه منتهى الوصف

رق فلو بزت سرابيله

علقه الجو من اللطف

فهو يستخدم فى وصف محبوبته مصطلح اللطف، إذ إن المعتزلة - خاصة النظام يقولون: إن روح الإنسان جسم لطيف، وما الإنسان إلا الجسم اللطيف الذى يحتويه، والنظام ههنا لم يجد وصفا للمحبوبة إلا أن يصفها بهذا اللفظ (اللطف). وقال النظام أيضا:

حسبى لعمرو جوهر ثابت

وحسبه لى عرض زائل

به جهاتى الست مشغولة

وهو إلى غيرى بها مائل

ومع أن شعر المعتزلة كان قليلا، وكان شعراؤهم قلة مقلين، فقد كان شعرهم مصطبغا بصبغة عقلية صارمة، وكانوا يحشونه بآرائهم التى شغلوا ببثها فى المجتمع الثقافى الذى عاصروه، وكأنهم لا يدرون بأن للشعر طوابعه التى تنأى عن لغة العلم والعقل الصارمة الجافة، ومن ثم فلا نكاد نجد شاعرا واحدا من المعتزلة ارتقى بشعره إلى درجة شاعر من هؤلاء الشعراء الذين عاصروهم مثل: العباس بن الأحنف، أو بشار بن برد، أو أبى نواس وغيرهم.

العالم فى الغالب لا يملك ملكة الشاعر، وهناك الدليل من شعر المعتزلة، كشعر بشر بن المعتمر، وكلثوم التغلبى، والنظام الذين عاصروا فحول شعراء العصر العباسى الأول كالعباس بن الأحنف، وبشار، وأبى نواس. ولقد روى أن بشارا كان يختلف إلى مجلس مؤسس فرقتهم واصل بن عطاء، فكان يستمع إلى المحاورات التى تجرى فى مجلسه، وكان واصل يرفض فكرة الجبر وتعطيل إرادة الإنسان، وكان يقول: إن الإنسان يفعل أفعاله، ويقول أقواله بإرادته وحريته، ويحاسب عليها. وكان بشار بن برد شاعرا أعمى البصر يخالف واصلا، ويرى أن الإنسان فى هذه الدنيا ليس مخيرا، بل مسير بقضاء الله يخط له يومه وغده ويقول:

طبعت على ما فىّ غير مخير

هواى ولو خيرت كنت المهذبا

أريد فلا أعطى وأعطى ولم أرد

ويقصر علمى أن أنال المغيبا

فأصرف عن قصدى وعلمى مقصر

وأمسى وما أعقبت إلا التعجبا

كان المعتزلة أقدر على طبع الكلام المنثور فى أفكارهم الكلامية، ولكنهم لم يستطيعوا أن يقدموا طوابعهم الكلامية شعرا مثلما فعل بشار وأبو نواس وغيرهما الذين كانت لهم القدرة الفائقة على توجيه الفكر العقلى فى شعر قوى جزل، ومليح فى الوقت نفسه. مع القدرة على تقليب المعانى والتوليد فيها.

ولقد روى شوقى ضيف أن أبا نواس الذي لم يكن على طريقة المعتزلة ومنهجهم الفكرى، قد تأثر فى بعض شعره بطابعهم فى تقليل أوجه الكلام فى شعره باستخدام ألفاظهم وأفكارهم، فقد أخذ من النظام فكرة التولد، وهى الفعل الذى ينشأ عن فعل آخر دون قصد فقال يتغزل:

وذات خد مورد

فتانة المتجرد

تأمل العين منها

محاسنا ليس تنفد

فبعضها قد تناهى

وبعضها يتولد

فالحسن فى كل عضو

منها معاد مردد

كما أخذ منه فكرة الجزء الذى لا يتجزأ فقال يتغزل:

يا عاقد القلب عنى

هلا تذكرت حلا

تركت منى قليلا

من القليل أقلا

يكاد لا يتجزأ

أقل فى اللفظ من لا



د. شوقى ضيف

ويقال إن النظام لما سمع منه هذا الشعر قال له: أنت أشعر الناس فى هذا المعنى، والجزء الذى لا يتجزأ أخذ من دهرنا الأطول تخوض فيها ما خرج لنا من القول فيه ما جمعت أنت فى بيت واحد.[4]

ولكن هل كان يتأتى للنظام - وهو من كبار مشايخ المعتزلة، وأول من قال بالجزء الذى لا يتجزأ - أن يتولد عن فكره مثل هذا الذى أتى به أبو نواس فى شعر جميل سائغ مقبول.

ولقد علق الجاحظ، وهو أبلغ نثار المعتزلة ومن شيوخ المذهب الكبار، على مقطوعتى أبى نواس فقال: «وإنما جازت هذه الألفاظ فى صناعة الكلام حين عجزت الأسماء عن اتساع المعانى، وقد تحس أيضا ألفاظ المتكلمين فى مثل شعر أبى نواس، وفى كل ما قالوه على وجه التظرف والتملح.[5]

ولكن مع قول الجاحظ هذا فقد عجز شعراء المعتزلة عن أن يأتوا بشعر مثله.

***

(4) الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام هارون ١٤٦/١ وشوقى ضيف: العصر العباسى الأول ص٤٥٥، نقلا عن أخبار أبى نواس لابن منظور ص٦٣.

(5) الجاحظ: البيان والتبيين ١٤٦/١.

فى فقه الأصالة والمعاصرة

للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا
نائب رئيس جامعة القاهرة «سابقا»

مقدمة فى فقه المصطلحات

إن قضية المصطلحات بصورة عامة كثيرا ما تثير بعض الإشكاليات التى يطول الجدل والنقاش حولها، بالرغم من شيوع مقولة «لا مشاحة فى المصطلح»، أى لا مجادلة فيما تعارف العلماء عليه لغة وشرعا وعرفا واصطلاحا، بوضع اللفظ إزاء المعنى.

ويزيد هذه القضية تعقيداً أصحاب النزعة اللفظية verbalists، الذين يميلون نحو الصيغ والألفاظ، دون عناية بحقيقة المضمون وجوهره، فيسرفون فى تغليب اللفظ على حساب المعنى، ويصبون اهتمامهم على الاستدلالات اللفظية، وفى مقابل هؤلاء، يوجد من يحملون الألفاظ أكثر من معانيها، فيسرفون ـ من ناحية أخرى ـ فى التأويل بعيداً عن لب الموضوع وحقيقته.

ولا شك أن كلا الاتجاهين يؤثر تأثيرا سلبيا على لغة الحوار وآلياته وأهدافه، خاصة إذا ما انصرف الذهن إلى المصطلحات حسب دلالتها فى الثقافات التى أنتجتها فقط أو اقتصر التفكير على معنى بعينه دون اعتبار باقى المعانى، ذلك أن غياب «الفقه» السليم لأى مصطلح من شأنه أن يؤدى إلى ضياع الوقت والجهد فى البحث عن «كلمة» أو عبارة جامعة مانعة يتفق الكل على ضرورتها لأداء مدلول معين فى بنية النسق المعرفى لعلم من العلوم، أو ثقافة من الثقافات.

والواقع بطبيعة الحال يقتضى ملاحظة أن لكل لغة عقلها وإطارها الفكرى الذى يعطى لمفاهيمها ظلالاً ودلالات لا يمكن أن تتطابق مع لغة أخرى وبالنسبة للثقافة الإسلامية ولغتها العربية، يكون المصطلح إسلاميا إذا كان مستمداً فى لفظه ومعناه من الأصول الإسلامية أو كان لا يتعارض فى لفظه ومعناه مع الأصول الإسلامية.

فإذا اعتبرنا كلمة «فقه» ذاتها نجدها تطلق فى الثقافة الإسلامية ليراد بها فى الأغلب علم الدين، وهو أشرف العلوم وأفضلها، ويقصد بالفقه بمعناه الاصطلاحى الذى حدده الفقهاء، العلم بالأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية والاستدلال عليها بها كمعرفة وجوب الطهارة للصلاة، وحرمة صيام الحائض والنفساء، وأدلة ذلك من الكتاب والسنة، وقد جاء فى الحديث النبوى الشريف: «من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين» (رواه البخارى فى صحيحه).

لكن المعنى اللغوى لكلمة «فقه» أعم فى الدلالة من كلمات «فهم» و«علم» و«معرفة» لأن الفقه يعنى الفطنة وحسن الإدراك وتفقه فلان الأمر: تفطنه بتناول المعلومات من الذوات والصفات والمعانى على ما هى عليه فى الواقع، فيدل عليها ويقف على أسرارها، ويكشف عن أعماقها وأغراضها البعيدة، ويدرك ما تهدف إليه، ومن هنا قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن المشركين بعد هزيمتهم فى غزوة بدر:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾

(سورة الحشر: ١٣)

وعيب على المنافقين عدم إدراكهم للغرض والكلام حيث قال تعالى فيهم:

﴿ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾

(سورة النساء: ٧٨)


الغزالى

فهم عرب يفقهون قطعا مدلول الألفاظ وما تحمله من المعانى، لكنهم لمرض فى نفوسهم، وفساد فى قلوبهم لا يفقهون غرض المخاطب، وهو الله- سبحانه وتعالى- أو رسوله -صلي الله عليه وسلم- من خطابه الذى يدعوهم فيه إلى ما يسعدهم فى دنياهم وآخرتهم.

هذا هو معنى «الفقه» لغة، وهو عام فى فهم كل غرض وحكمة من كلام العقلاء والعلماء و«الفقيه» من الصفات المشبهة التى تدل على اسم الفاعل وزيادة ولا تكون على وزنه إذ لا يقال «فاقه» كعالم ولكنه يقال «فقيه» كسعيد وكريم وهو العالم الفطن، والصفة المشبهة أدل على الفعل من اسم الفاعل، وأقوى فى الدلالة عليه.

وهكذا يتضح أن كلمة «فقه» من الناحية اللغوية لها أبعاد غير ما استقر فى الأذهان محصورا فى الحكم التشريعى فينبغى اعتبار هذا المعنى فى سعينا لإدراك حقائق الأشياء ومعرفة جوهر العلوم المختلفة مما تتضمنه من قضايا ومفاهيم ومصطلحات وقد أشار الشيخ محمد الغزالى ـ رحمه الله ـ فى أحد كتبه إلى أن هناك فقها للفلك، وفقها للنفس، وفقها للأخلاق، وفقها للحضارة، وهذا ما نلمحه من قوله تعالى:

﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٩٦) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٧) وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾

(سورة الأنعام: ٩٦ - ٩٨)

ليس الفقه هنا سوى معرفة مستقر النفس الإنسانية قبل أن توجد وهي في الرحم، لأن القرآن الكريم يقول:

﴿ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ ﴾

(سورة الحج: ٥)

ومعرفة المستودع الذي هو القبر وما يصل إليه البدن، ثم معرفة ما بين المستقر والمستودع من حياة، إنه فقه واسع المرادات، وسع القرآن الكريم دائرته لمعنى أوسع بكثير من المعنى الاصطلاحي التشريعي.. إنه فقه العلم والحضارة الذي نستوحيه من تدبر آيات القرآن الكريم، والإفادة من معطيات العلوم والتقنيات وآليات فهمها، للقيام بمسئولية الخلافة التي حمل الله أمانتها للإنسان على الأرض، ولعله المفهوم الأصوب الذي ينبغي أن نسعى في إطاره إلى استئناف مسيرة التقدم الحضاري التي توقفت منذ عهد بعيد.

وإذا أردنا دليلاً على بعض أوجه اللبس والغموض التي يسببها غياب فقه المصطلحات والمفاهيم والعلوم، فيكفي أن نشير إلى التساؤلات التي يثيرها في الذهن استخدام كلمات من قبيل: «الدين» و«العلم»، و«التقنية» و«الحضارة» و«المنهجية»، و«العقلانية»، و«التنوير» و«العولمة»، و«التأصيل» و«الحداثة» وغيرها من جانب كثير من الأدبيات المعاصرة التي تعالج موضوعات الفكر العالمي بعامة والفكر الإسلامي بصورة خاصة.

حضارتنا عربية إسلامية

هناك إشكالية تتعلق بلفظ «العرب» ودلالته في الثقافتين العربية والغربية، وهناك إشكالية أيضا تتعلق بدور الترجمة في تحديد هذه الدلالة عند الحديث عن الحضارة العربية الإسلامية وتأثيرها في أوروبا.

فكلمة «العرب» تستعمل بمعناها الحقيقي المشير إلى الأمة القاطنة في جزيرة العرب، عندما يكون الكلام عن العصر الجاهلي وصدر الإسلام أما عند الكلام عن العصور التالية للقرن الأول من الهجرة فإن لفظ «العرب» يطلق على جميع الأمم الإسلامية التي تستخدم اللغة العربية في أكثر تآليفها العلمية، ولا مشاحة في الاصطلاح فلنا أن نقول: حضارة عربية، ونقصد بها الحضارة الإسلامية، أو العكس. فقد امتزجت الناحيتان بحيث يصعب الفصل بينهما وحينما نقول: «العرب» فإنما نقصد ما كان لهم من حضارة ليست اللغة أو الدين أو العلوم أو الآداب أو الفنون إلا عناصر من عناصرها، وإن كان الإسلام أهم ما يميز هذه الحضارة عن غيرها من الحضارات.

وقد كان الغربيون يطلقون على العرب اسم «السراسنة»، وهي لفظة مشتقة من الكلمة اللاتينية Saracenus نقلا عن اليونانية Sarakenos وتعني ساكن الخيام، وقد ظهر هذا المصلح للمرة الأولى في مؤلفات كتاب القرن الأول الميلادي وقصدوا به البدو الذين كانوا يعيشون منذ أزمان طويلة على أطراف المناطق المزروعة ما بين النهرين ويهددون طرق التجارة أو يحمونها بتكليف من القوتين العظميين يوم ذاك: الرومان والفرس ويدخل في التسمية الأنباط وأهل الحيرة وتدمر.

ويذكر بعض الباحثين أن أصل الكلمة آت من «شرقي» Shraqi وهذا محتمل لأن هؤلاء البدو كانوا يعيشون في شرق الإمبراطورية الرومانية، وقد كتب كاتب إغريقي من القرن السادس الميلادي، بعد سياحة في الجزيرة العربية، أن ثمة فرقاً بين سكان اليمن والسراسنة على أنه لابد من استبعاد الفكرة التي ترجع بأصل الكلمة الى «سارة» زوجة النبي إبراهيم عليه السلام، لأن العرب لا علاقة لهم بها، وهي أم اسحق لا إسماعيل.

وقد كان الكتاب المسيحيون في أوروبا العصور الوسطى يفرقون في التسمية بين العرب، فيطلقون على من كان يعيش منهم وراء البحر الأبيض المتوسط اسم «الإسماعيليين» بينما يطلقون اسم «السراسنة» على من جاءوهم فاتحين في الأندلس وصقلية وجنوب فرنسا، فكأنهم، وهم ورثة الحضارة الرومانية، أرادوا أن يعطوا الاسم الذي يحمل معنى السلب والتدمير لهؤلاء الغزاة الذين كانوا في الواقع خليطاً من العرب والبربر، كما كان فيهم جماعات من الروم، ومن الأسبان، ومن اليهود، يعاونون الفاتحين، ولهذا فإن كلمة «سراسنة» لا ينبغي تعريبها إلى كلمة «عرب» أو «مسلمون» حفاظاً على ما تعني لدى الغربيين، ولأن تعريبها بكلمة «مسلمين» أو «عرب» لا يؤدي الى معناها الحقيقي النفسي لديهم[1].

---

(١) راجع في ذلك:

- مكسيم رودنسون، الصورة العربية والدراسات العربية الإسلامية، الفصل الأول من الجزء الأول من كتاب «تراث الإسلام» تحرير: شاخت وبوزورث، عالم المعرفة، الكويت ١٩٨٨م

- أحمد فؤاد باشا، آفاق المعاصرة في تراثنا العلمي: ضرورات الحيازة، تنوع مصادره، خصوصيات تحقيقه، مكتبة الإمام البخاري، القاهرة ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

الماء وحق الحفاظ عليه

للأستاذة تهاني منير محمد حمودة

بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي للمياه في يوم ٢٢ مارس من كل عام - كما أقرت بذلك الجمعية العامة للأمم المتحدة، استجابة لتوصية للجنة الأمم المتحدة للبيئة والتنمية - ينبغي أن تكون لنا وقفات وتعليقات حول نبأ نشر في صحيفة قومية يقول:

«أعلنت وزارة الموارد المائية والري أن مصر دخلت هذا العام في نطاق السنوات العجاف مائياً، نتيجة انخفاض كمية المياه الواردة من فيضان النيل إلى أقل من ٤٠ مليار م٣، وهو ما يقل عن الاحتياجات اللازمة للتنمية، مع توقع استمرار الانخفاض في السنوات القادمة مما يتطلب «التقشف المائي» مع سحب كميات إضافية من مخزون بحيرة السد العالي.

بعد قراءة هذا النبأ الداهم الغاشم تذكرت قول الله تعالى على لسان إبليس:

﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم﴾

(إبراهيم: ٢٢)

وقول العرب: «على نفسها جنت براقش» في الحقيقة لو فكر كل إنسان في القدر المستهلك من المياه في يومه وليله من وضوء، وغسل، وغسل أيدي قبل وبعد الأكل، وغسل الأسنان، وملابس.. لهاله الأمر وأفزعه.

وإذا أردت التأكد من صدق قولي فقم بجمع الماء المستخدم بعد وضوئك لوقت واحد فقط، ثم انظر ماذا ترى؟!

دعوة الشريعة الإسلامية إلى المحافظة على المياه:

- الماء ثروة عظيمة بل هو من أهم مكونات البيئة إلا أنه يختلف عن الثروة الحيوانية والزراعية في أنه لا يقبل الزيادة لقول الله:

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾

«المؤمنون: ١٨»

ومحافظة الإسلام على الماء تظهر من جانبين:

> الأول: «الاقتصاد في الماء وعدم الإسراف فيه».. وهذا يظهر جلياً في قدوتنا ومعلمنا سيدنا محمد -ﷺ- لما بين لنا كيفية الوضوء والاغتسال والقدار الذي ينبغي أن يتوضأ أو يغتسل به.

ففي وضوئه لم يزد على ثلاث مرات، بل إنه توضأ وغسل أعضاءه مرتين، وكذلك مرة وقال: «من زاد على هذا أو نقص «أي ثلاث مرات» فقد أساء وظلم»(١)

وللإمام البخاري في صحيحه «باب الوضوء بالمد»

قال ابن جبير سمعت أنساً يقول: كان النبي -ﷺ- يغسل أو كان يغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد، ويتوضأ بالمد.

والصاع: هو ما يساوي عند الجمهور «٢,٧٥» لتر تقريباً.

والمد: حفنة بالكفين من كفي الرجل المتوسط.

ولو كان المتوضئ على نهر جار نهى النبي -ﷺ- عن السرف فيه، لأنه ﷺ أنكر على سعد بن أبي وقاص سرفه في الوضوء، قال: «ما هذا السرف يا سعد؟ فقال: أفي الوضوء سرف؟

قال: نعم وإن كنت على نهر جار.(٢)

فإذا كانت هذه دعوة الإسلام إلى الاقتصاد في الماء في أمور التعبدية فكيف بغيرها من العادات وسائر أمور الخاصة؟

- الجانب الثاني: «الحفاظ على الماء من التلوث»

الله سبحانه وتعالى أنزل لنا من السماء ماء طهوراً أي طاهر في نفسه ومطهر لغيره:

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (٤٨) لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾

«الفرقان: ٤٨، ٤٩»

فهل يا ترى حافظنا على طهارة الماء

(١) سنن أبي داود، كتاب الطهارة.
(٢) مسند أحمد.

التى نزل بهـا أم لوثت بمياه المجارى ومخلفات المصانع والمبيدات..؟

ألم ينهنا نبينا عن التبول فى الماء الجارى والراكد؟

ألم يقل لنا: اتقوا الملاعن الثلاثة وعد منها البراز فى الموارد؟ (٣)

ألم يأمرنا بإحكام الإناء الذى فيه الماء حتى لا يتلوث أو يتسرب منه المياه، فقال: «غطوا الإناء وأوكئوا السقاء...»(٤)

ونتيجة لترك هدى نبينا فى المحافظة على المياه من التلوث كانت هذه الدراسة المؤسفة المحزنة من منظمة الصحة العالمية والتى تقول:

إن أكثر من ١,٥ مليون طفل يموتون كل عام بسبب تلوث المياه، وأشارت منظمة الصحة العالمية إلى أن التلوث فى الدول الفقيرة بلغ أشده حيث يصيب نحو ٩٠٪ من مياه ومخلفات الصرف الصحى فى مياه الأنهار.

و٧٠٪ من مخلفات مياه الصرف الصحى غير المعالجة الخطيرة تصب كذلك فى مياه الأنهار وغيرها من موارد المياه السطحية العذبة.

كما أشارت وزارة البيئة المصرية فى يونيو ٢٠٠٩ إلى وجود نحو ١٢٠ مصنعاً تصب ٤,٥ مليار متر مكعب من المخلفات الضارة فى النيل مباشرة ومعها نحو ٥ آلاف «خمسة آلاف» حوض لتجميع مخلفات الصرف الصحى أيضاً تصب فى المجارى المائية.

ونتيجة لهذا التلوث البيئى الخطير فى مصر بلغت نسبة خسارة الاقتصاد المصرى نحو ٣,٦ مليار جنيه سنوياً، طبقاً لتقرير البنك الدولى عام ٢٠٠٦ ويمكن أن تزيد إلى ٩,٥ مليار، إذا لم تتخذ خطوات جادة لحماية الموارد المائية المصرية.(٥)

ترتب على إسرافنا فى الماء وعدم المحافظة عليه من التلوث:

ندرة الموارد المائية العذبة مع تزايد الاحتياجات:

ومع أن العالم العربى يشغل ١٠٪ من مساحة العالم و٥٪ من عدد سكانه إلا أنه لا يحظى بأكثر من ٠,٥٪ من الموارد المائية العذبة فى العالم، ويشهد الواقع تراجعاً ملحوظاً فى حصة الفرد العربى من المياه وصلت إلى حد الفقر المائى، يبلغ حالياً أقل من ١٠٠٠م٣ ويتوقع أن ينخفض إلى ٤٦٤م٣ سنوياً عام ٢٠٢٥ كما أن معظم المياه تنبع من خارج أراضيه.. ومعلوم سياسياً أن من يملك المنبع يملك المصب أو على الأقل يؤثر فيه(٦).

(٣) سنن أبى داود.

(٤) مسند أحمد.

(٥) أخبار اليوم، ٢٠-٣-٢٠١٠م

(٦) منار الإسلامى، ربيع الآخر ١٤٢٧هـ.

تكشف لنا الأرقام السابقة عن مخاطر مرتقبة وهى:

- قضية المياه فى الوطن العربى موضوع استراتيجى تختلط فيه الأبعاد الاقتصادية والسياسية، ودليل ذلك الاغتصاب الصهيونى للمياه العربية من نهر الأردن والليطانى.

- الفقر المائى العربى الحاد.

- أن الحروب القادمة بين الدول حروب المياه.

- معظم المياه تنبع من خارج الوطن العربى.

هذا يدعونا إلى وضع توصيات ومقترحات للحفاظ على الماء فى دولتنا:

١- الاستفادة من الاختراعات المهملة فى هيئة براءات الاختراع، والخاصة بصناديق الطرد التى توفر نصف الاستهلاك الحالى.

٢- محاولة الاستفادة من مياه الصرف الصحى بعد معالجتها ومدها إلى الحدائق.

٣- غلق حمامات السباحة فى القرى السياحية والأندية.

٤- ضرورة الكشف الدورى على عدادات المياه، وذلك من قبل وزارة الموارد المائية وشركات المياه، حتى يتمكن من إجبار المستهلكين على الترشيد لأن الربط الحكمى بكمية استهلاك ثابتة- كما هو جار الآن- يغرى بالإفراط الشديد فى الاستهلاك.

٥- سن قوانين تحظر الرى بالغمر وتوقيع عقوبات صارمة على محطات البنزين التى تغسل السيارات والسجاد بمياه الشرب.

٦- تفعيل القوانين التى تمنع تلوث المياه والبيئة.

٧- على المحليات مهمة المراقبة والمعاقبة الصارمة لمن يستهتر فى إهدار مياه الشرب.

٨- استشعار المسئولية أمام الله يوم القيامة:

«فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون» (الحجر: ٩٢، ٩٣) «ثم لتسألن يومئذ عن النعيم» (التكاثر: ٨)

قيل النعيم: الماء البارد.

٩- دور الإعلام والمؤسسات الدينية وكذلك نوادى الشباب والجمعيات فى الدعوة إلى أهمية المحافظة على الماء خلال إقامة ندوات وحوارات ثقافية مفتوحة للشباب وغيرهم. والله أعلم

***

﴿ فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

اطلعنا على الطلب المقدم من/ مجلة الأزهر - المتضمن لبعض الأسئلة وهى:

بيع المرابحة

● السؤال من ج.س.ث:

زوجتى تاجرة قسط بمعنى أنها تملك رأس مال ومن يريد أن يشترى أى شئ منها يأتى إليها فتشترى له من الشركة أو البائع وتدفع هى ثمن الشئ المباع، ثم تعطيه بالتقسيط وتأخذ على ذلك ربحًا. فهل هذا النوع من التجارة جائز أم لا؟

●● الجواب: من المقرر شرعًا أنه يصح البيع بثمن حال وبثمن مؤجل إلى أجل معلوم، والزيادة فى الثمن نظير الأجل المعلوم جائزة شرعًا على ما ذهب إليه جمهور الفقهاء، لأنها من قبيل المرابحة، وهى نوع من أنواع البيوع الجائزة شرعًا التى يجوز فيها اشتراط الزيادة فى الثمن فى مقابلة الأجل، لأن الأجل وإن لم يكن مالاً حقيقة إلا أنه فى باب المرابحة يزاد فى الثمن لأجله إذا ذكر الأجل المعلوم فى مقابلة زيادة الثمن، قصدًا لحصول التراضى بين الطرفين على ذلك، ولعدم وجود موجب للمنع، ولحاجة الناس الماسة إليه بائعين كانوا أو مشترين، ولا يعد ذلك من قبيل الربا، لأن القاعدة الشرعية أنه إذا توسطت السلعة فلا ربا.

وعليه وفى واقعة السؤال: فمادام الثمن الإجمالى معلومًا من البداية، وزمن الزمن معلومًا أيضًا فإن هذا من قبيل البيع بالتقسيط، وهو نوع من بيع المرابحة الجائز.

والله سبحانه وتعالى أعلم

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

علـى جمعـة

مفتى جمهورية مصر العربية

إخراج زكاة المال لمن أراد الزواج جائز

● السؤال من ا.أ.أ:

تجمع لجنة زكاة الجمعية أموال الزكاة والصدقات والتبرعات، وتصرفها على المستحقين. ويتقدم إليها بعض الشباب من غير القادرين لمساعدتهم فى إتمام زيجاتهم، وتقديم إعانات مادية ونقدية لزواجهم، فهل يجوز أن يكون هذا من الأموال المخصصة للزكاة؟

●● الجواب: إخراج الزكاة مساعدة لمن أراد الزواج وهو عاجز عن تكاليفه أمر جائز كما عند المالكية، وكما صرح به بعض الحنابلة، حيث ذكروا أن من تمام الكفاية التى يشرع إعطاء الفقير من الزكاة ليصل إلى حدها ما يأخذه ليتزوج به إذا لم تكن له زوجة واحتاج للنكاح. «حاشية الروض المربع» (١/ ٤٠٠).

وقال الإمام الحطاب المالكى فى «مواهب الجليل فى شرح مختصر خليل» (٢/ ٣٤٧): [(فرع) تقدم عن البرزلى أن اليتيمة تعطى من الزكاة ما تصرفه فى ضروريات النكاح والأمر الذى يراه القاضى حسنًا فى حق المحجور، فعلى هذا فمن ليس معها من الأمتعة والحلى ما هو من ضروريات النكاح تعطى من الزكاة من باب أولى فتأمله]

وفى الأثر عن عمر بن عبدالعزيز أنه أمر من ينادى فى الناس: «أين المساكين؟ أين الغارمون؟ أين الناكحون؟»، أى: الذين يريدون الزواج، وذلك ليعطيهم من بيت مال المسلمين.

وزكاة المال تجب للمسلمين فقط، لأنها تؤخذ من أغنياء المسلمين وترد على فقرائهم. وزكاة المال الأصل فيها أن تؤدى مالاً، فإن كان المستحق يحتاج إليها عينًا ويفيده ذلك فلا بأس بتأديتها إليه عينًا، لأن المطلوب هو تحقيق مصلحته.

وعليه وفى واقعة السؤال فيجوز للجمعية تقديم زكاة المال للغرض المذكور للمسلمين المحتاجين فى شكل مساعدات مالية، وإذا كان المستفيدون بذلك فى حاجة لشئ من لوازم الزواج بعينه وأمكن للجمعية تقديمه لهم فيجوز ذلك أيضًا.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

الصور والتماثيل

● السؤال من: د.ع.خ:

١- ما حكم الشرع فى تعليق الصور أو التماثيل في المنازل أو المكاتب؟

●● الجواب: لا مانع من تعليق الصور الفوتوغرافية، لأنها عبارة عن حبس للظل، وليس فيها مضاهاة لخلق الله تعالى، وإنما المقصود بالصور الممنوعة في الأحاديث النبوية الشريفة: التماثيل التى تحاكى خلق الله سبحانه وتعالى، فلا يجوز وضعها في المنزل أو المكتب إلا إن كانت ناقصة كأن تكون جسداً بلا رأس أو رأساً بلا جسد أو مثقوبة بحيث لا يمكن للحيوان أن يبقى على هذه الهيئة حياً فى الطبيعة أو كانت قريبة الشبه بلعب الأطفال، وأجاز بعض العلماء وضع التماثيل إذا لم يكن يقصد بها مضاهاة خلق الله تعالى.

المعاملات الحديثة

● السؤال من م.ن.م:

ما حكم الشرع فى إنشاء بوليصة تأمين أو وضع مبلغ فى البنك لتعليم الأبناء أو البنات أو لزواجهم؟

●● الجواب: لا مانع من إنشاء بوليصة للتأمين أو إيداع المال فى البنوك وأخذ أرباحه، فكلا هذين الأمرين من المعاملات الحديثة التى اختلف العلماء بشأنها، والذى نفتى به جواز كل منهما، فلا حرج على المسلم فى التعامل بأى منهما.

والله سبحانه وتعالى أعلم

شهادات الاستثمار

● السؤال من ب.ح.ك:

هل شهادات الاستثمار ذات العائد الجارى يخرج عنها زكاة أم لا؟ مع العلم أن الشهادات لأولاد قصر وقد تعدى المال النصاب؟

●● الجواب: الزكاة فريضة وركن من أركان الإسلام الخمسة تجب في مال المسلم متى بلغ النصاب وحال عليه الحول وكان هذا المال خاليا من الديون فاضلا عن حوائج المزكى الأصلية وحوائج من تلزمه نفقته، والنصاب الشرعى هو ما يعادل قيمة ٨٥ جراما من الذهب عيار ٢١ فأكثر بالسعر السائد وقت إخراج الزكاة.

وبناء على ذلك وفى واقعة السؤال: فإن زكاة المال المودع فى البنوك على هيئة نقود أو شهادات تكون بمقدار ربع العشر على المال المودع فى البنك أو الذى تم به شراء الشهادات الذى مر عليه حول قمرى وعلى المال الذى يمر عليه عام قمرى من الأرباح.

وينوب عن القاصر أو المجنون أو السفيه وليه فى إخراجها، بشرط أن يكون هذا المال فائضا عن نفقة الصبى وحاجته الأصلية وأن يبلغ هذا المال الفائض النصاب ويحول عليه الحول القمرى.

والله سبحانه وتعالى أعلم

محراب المسجد

● السؤال من: ر.ع.خ:

أرجو من فضيلتكم التكرم بإفتائى عن موضوع المحراب فى المسجد، حيث إن قريبا لى يبنى مسجدا ولما وصل إلى عمل المحراب اعترض عليه بعض الناس وأخبروه بأن المحراب لا يجوز فى المسجد، وقال له بعض آخر إن المحراب يجوز، فتضاربت الأقوال بين الجواز وعدمه، مما جعلنى أتقدم إلى فضيلتكم لإنهاء هذا الخلاف.

●● الجواب: يقول الله تعالى:

﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ﴾

[سبأ: ١٣]

وذلك خبر عن تسخير الجن لسيدنا سليمان عليه السلام وقيامهم بهذه الأعمال التى منها المحاريب.

والمحاريب جمع محراب، ومعناه فى اللغة كما فى القاموس المحيط: «الغرفة. وصدر البيت، وأكرم مواضعه، ومقام الإمام من المسجد، والموضع ينفرد به الملك فيتباعد عن الناس» اهـ. وجاء فى نهاية ابن الأثير: المحراب هو الموضع العالى المشرف، وهو صدر المجلس أيضا، ومنه سمى محراب المسجد، وهو صدره وأشرف موضع فيه» اهـ. وجاء فى تفسير القرطبى- إلى جانب المعانى المذكورة- أنه: «ما يرقى إليه بالدرج كالغرفة الحسنة، كما قال:

﴿ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴾

وقوله:

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ ﴾

أى: أشرف عليهم» اهـ.

وفى نهاية ابن الأثير أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم «بعث عروة بن مسعود إلى قومه بالطائف، فأتاهم ودخل محرابا له، فأشرف عليهم عند الفجر، ثم أذن الصلاة» اهـ. وجاء فيها أيضا من حديث أنس أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم «كان يكره المحاريب، أى لم يكن يحب أن يجلس فى صدر المجلس، ويترفع عن الناس» اهـ. كما جاء فيها أنه «أتى برجل ارتد عن الإسلام فقال كعب: (أدخلوه المذبح وضعوا التوراة وحلفوه بالله) المذبح واحد المذابح، وهى المقاصير، وقيل: المحاريب» اهـ.

والمذبح عند أهل الكتاب مقصورة مرتفعة نحو متر ونصف المتر ذات أعمدة ليس بينها حواجز وفوقها سقف تحته خلاء توضع فيه القرابين، وهذه المقصورة داخل حجرة فسيحة أمام المعبد يصعد إليها بسلم ذى درجات قليلة تسمى الهيكل، لا يدخله إلا الكهنة وأرباب الخطايا الذين يريدون المغفرة.

وهذه المحاريب للكنائس وغيرها من بيوت العبادة التى يتعبد فيها أهل الكتاب، وكانت تتعبد فيها السيدة مريم عليها السلام كما جاء فى قوله تعالى:

﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾

[آل عمران: ٣٧]

وقد نهى النبى صلى الله عليه وآله وسلم عنها، فقد جاء فى حديث رواه البيهقى: «اتقوا هذه المذابح» وفى رواية ابن أبى شيبة: «لا تزال هذه الأمة- أو قال: أمتى- بخير ما لم يتخذوا فى مساجدهم مذابح كمذابح النصارى».

فهل محاريب المساجد الإسلامية الآن مثل

محاريب النصارى. لا، لأنها ليست غرفا، وليست مرتفعة عن أرض المسجد، ولم يتميز بالجلوس فيها جماعة من المسلمين، وإنما هى علامات على اتجاه القبلة، وقد تكون مجوفة وغير مجوفة، تبين مقام الإمام من المأمومين، لأن السنة أن يقف الإمام إزاء وسط الصف.

فالحكم بكراهة اتخاذ المحاريب (مقاصير ومذابح النصارى) أساسه إما اختفاء الإمام عن المأمومين، وإما ارتفاعه عليهم بدون مبرر، وقد كان الصحابة يكرهون أن يكون الإمام مرتفعا عليهم، لأنه يوحى بالكبر.

ومحاريب المسلمين الآن لا صلة لها بهذه العلل، فهى- كما سبق- علامة على القبلة. وتعليم جهتها أمر مشروع. وقد غرز النبى صلى الله عليه وسلم وآله وسلم خشبة فى مسجد قوم أسامة بعد أن خطه لهم، ليكون دليلاً على القبلة، فدل هذا على مشروعية إرشاد المصلى إلى القبلة.

ولم يكن لمسجد النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى زمانه الشريف محراب، فالمحراب المجوف فى مسجده الشريف قيل أول من اتخذه عثمان بن عفان سنة ست وعشرين عند بنائه، وقيل مروان بن الحكم سنة خمس وستين أثناء تجديده، وقيل عمر بن عبدالعزيز أيام إمارته على المدينة وتجديده للمسجد سنة تسعين، فهو ليس بدعة مذمومة.

وجاء فى «إعلام الساجد بأحكام المساجد» للزركشى: «كره بعض السلف اتخاذ المحاريب فى المسجد، وفى مصنف عبدالرزاق عن الحسن أنه صلى واعتزل الطاق أن يصلى فيه، والطاق هو المحراب الذى يقف فيه الإمام» اهـ.

وفى شرح الجامع الصغيرة للحنفية: «لا بأس أن يكون مقام الإمام فى المسجد وسجوده فى الطاق، ويكره أن يكون فى الطاق، لأنه يشبه اختلاف المكانين، ألا ترى أنه يكره الانفراد. والمشهور الجواز بلا كراهة، ولم يزل عمل الناس عليه من غير نكير» اهـ.

وعليه فإن محاريب المساجد اليوم ليست هى المحاريب والمقاصير التى فى معابد أهل الكتاب، فلا كراهة فى عملها ولا فى الصلاة فيها.

والمقصود من عمل المحاريب المجوفة فى المساجد هو غاية هندسية راقية للمعماريين والمهندسين المسلمين، وهو الحفاظ على مساحة المسجد للصلاة، وذلك بألا يستهلك موقف الإمام صفا كاملاً من المسجد لشخصه فقط. فبوقوفه فى المحراب أو جعله يسجد فيه يكون قد تم اقتصاد مساحة كبيرة فى المسجد لصالح المصلين كان يمكن أن تذهب على المصلين فى صلاة الجماعة لو كان الإمام يقف فى صف وحده بغير السجود فى المحراب.

وليس هذا من البدع المنهى عنها، بل هو من البدع المستحسنة التى يحق أن يقال فيها قولة عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «نعمت البدعة»، إذ إن البدعة المستهجنة والمستقبحة هى ما كانت إحداثا فى أمر من أمور العقيدة، وذلك كما عليه طائفة من العلماء، أو هى ما كان فى الفروع مخالفا لأمر من أمور الدين سلبا وانتقاصا، وذلك أخذاً من قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، وذلك كما عليه طائفة أخرى منهم.

والله سبحانه وتعالى أعلم

بين الصحف والمجلات

إعداد

أ/ محمد جمعة

أ/ علاء عبدالرحمن

من أحاديث الشعراوى


الشيخ الشعراوى

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ عبداللطيف فايد مقاله المنشور بجريدة الجمهورية بعددها الصادر بتاريخ: ٢٠١٠/٦/٢٥م يقول فيه:

نقرأ فى مأثوراتنا الدينية أن الله يبعث على رأس كل مائة عام من يجدد للناس دينهم فيزدادون وعيا به وثقة بمعطياته فيزداد إيمانهم يقيناً وحبا وتعلقاً، فنرى منهم المبتكر فى النظرة إلى الدين، والشارح له بمنهج جديد يجعله يصل إلى أفئدتهم ويتمكن منها تمكناً شديداً وبذلك يزداد الإيمان فى القلوب والنفوس ولقد شعرت العامة بذلك وهم يستمعون إلى فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى طيب الله ثراه، وذلك لأول مرة يطرق فيها صوته آذانهم فتسعد عيونهم لمرآه من خلال «التليفزيون» ومن العجيب أن صوته ومرآه كان يعرفهما الناس فى عدد من الدول العربية قبل مصر، بخاصة فى المملكة العربية السعودية التى خدم فيها العلم واشتهر بين أهلها قبل أن يتحقق له مثل ذلك فى مصر بلده.

المهم أننا نرى دعاة كثيرين قد تعلموا منه ويسيرون على نهجه فيفيد به الناس، بخاصة من الشباب الواعى الذى يتطلع إلى فهم الدين.

ونحن مهما يطل بنا الحديث عن الشيخ الشعراوى رحمه الله ورضى عنه فإننا لن نوفيه حقه.

مفكر فرنسى يتحدث عن إسرائيل ويفضح أيديولوجيتها

فى جريدة الأهرام الصادرة فى ٢٠١٠/٦/١٤م تحت عنوان «مفكر فرنسى يفضح أيديولوجية إسرائيل» كتبت الأستاذة/ نجاة عبد النعيم تتناول بالتحليل كتابا بعنوان «رسالة إلى صديقى الإسرائيلى» للكاتب والمفكر الفرنسى «ريجيس دوبريه»:

الإيديولوجية التى قامت عليها دولة إسرائيل الصهيونية، والشكوك حول مصداقيتها واستغلالها لشتى الوسائل من الدين إلى الهولوكست إلى عداء السامية للتغطية على الجرائم المرتكبة فى حق الفلسطينيين، كلها قضايا استعرضها كاتب فرنسى مناضل لحقوق الإنسان وله باع طويل فى مناهضة ما يقع على عاتق الأقليات من ظلم لدرجة حمل السلاح من أجل الدفاع عنهم.

الكتاب رسالة كتبها الكاتب والمفكر الفرنسى ريجيس دوبريه فى ١٦٠ صفحة وجهها إلى صديقه سفير إسرائيل - السابق- بفرنسا ايلى برنافى وهو المتضامن مع الفلسطينيين، ألقى باللوم على السياسة الإسرائيلية فى عرقلة السلام وشدد على أن خلاص إسرائيل الحقيقى والمرجو لن يأتى إلا بقيام الدولة الفلسطينية.

ففى الكتاب يحاول دوبريه المقارنة بين الشجاعة فى قيام الدولة العبرية وضرورة إعادة النظر فى الحقيقة الراهنة، ومن حلم الصهيونية المثالى الأول إلى انزلاق الحلم الى هاوية التعصب الدينى، وسيطرة الجماعات المتطرفة، ومن المشروع الأول الجامع للأخلاقيات المختلفة إلى السقوط المتدرج فى العنصرية ضد الفلسطينيين، وحتى ضد العرب الإسرائيليين، كما يتعرض الكاتب البعد الصهيونى، المحرقة، معاداة السامية، وإسرائيل المزدوجة وخطورة الانطوائية.

والكتاب يمنح القضية الفلسطينية بعداً ثقافياً يخلخل الكيان الصهيونى فى فرنسا وخارجها، ويركز على الشعور الفوقى التبريرى للنرجسية اليهودية التى ترفع شعار «تفوق العرق اليهودى باعتباره العرق المختار من الله».

يتوقف دوبريه فى الفصل الرابع عند ذاكرة المحارق وأدائها فى استنهاض التراث الإنسانى لتجميع المسحوقين من اليهود ثم تحويلها الى أداة فى ماكينات النفعية السياسية.

وفى فصل آخر يناقش دوبريه خطر التوحد إلى عمى إسرائيل عن الحقائق واستمرار مسيرتها فى قوة البطش فيما يدفعها على الأرجح إلى الهاوية.

وفى الفصل قبل الأخير يستعرض الكاتب التغيرات والتحولات العالمية التى تنسحب شيئاً فشيئاً من تحت أقدام الإسرائيليين، فالعالم الجديد الأحادى القوى فى أولويات مصالحه لم يعد يرى فى إسرائيل حبيبته الوحيدة فى الشرق، وفى

موازاة ذلك لم يعد السلوك الإسرائيلى يمثل القيم والأفكار الغربية فلماذا تستمر هذه المثاليات للدفاع الأعمى عنه ويخلص الكاتب إلى توصيف إسرائيل بخطين تاركاً الأمل فى أحدهما.

ولم تسلم فرنسا من الانتقادات اللاذعة، حيث يتهمها ريجيس ضمنياً بازدواجية المعايير فى التعامل مع الفرنسيين اليهود الذين اعتبر أنهم مدللو فرنسا مقارنة بالفرنسيين العرب المسلمين فيقول: فى الوقت الذى لا تعترف الجمهورية بأى معتقد أو ديانة إلا أنها عملياً خلقت أفضلية تجاه أماكن العبادة والحفلات الدينية، فعند نهاية الصيام اليهودى «كيبور» مثلاً يتسابق العديد من الوزراء وممثلى المعارضة نحو الكنيس الأكبر لباريس، غير أن الأعياد المسيحية الكاثوليكية والبروتستانتية والإسلامية بفرنسا لا تحظى نهائياً بنفس الاهتمام.

ولم يُغفل الكاتب الإشارة إلى الفوبيا الراسخة فى فرنسا والتى تتجلى فى التنديد بالمآذن وتستثنى معابد اليهود، مبدياً استغراباً إلى ما آلت إليه الأمور بحيث إن كلمة «العرب» أصبحت اليوم بمثابة سبة، كما أن النقاشات التافهة حول الهوية الوطنية ركزت على موضوع وحيد من منطلق الاستياء الفرنسى من النقاب وليس الطاقية اليهودية.

ولم يغفل المفكر والفيلسوف ريجيس دوبريه الإشارة فى كتابه إلى ما يعانيه الفلسطينيون من المسلمين والمسيحيين من الفقر أو العيش تحت خط الفقر، منددا بطريقة الإذلال التى يُعاملون بها، بكونه شاهد عيان ومن منطلق ما رآه بعينيه على أرض الواقع فى الأراضى المحتلة، حيث الآلاف المؤلفة من البشر ينتظرون منذ الصباح الباكر لتفتح لهم إسرائيل الطرقات والحدود للمرور عبر الجدار الفاصل، ويضيف دوبريه: «إذا كانت البربرية تتحكم بالعالم فبأى معجزة يمكن أن يكون قد نجا الضحايا اليهود من أكبر عملية بربرية».

الفصل السابع الإسرائيلى

تحت هذا العنوان جاءت افتتاحية الأهرام العربى الصادرة بتاريخ: ٢٠١٠/٦/١٢م وتتضمن ما يلى:-

لا يجوز أن يكون ما يسمى الضمير العالمى غافلا للأبد.. لم تكن للعرب علاقة بما ارتكبه الأوروبيون تاريخيا بحق اليهود، ولم يقم العرب بما يسمى مذبحة الهولوكست فى ألمانيا أثناء الحرب العالمية الثانية.

واذا كانت أوروبا حاربت نفسها، وكانت نتائج الحرب قيام الدولة العبرية فى الشرق الأوسط فى قلب فلسطين، فإن عليها الآن أن تصحح هذه الخطيئة التاريخية، وتبدأ فى تنظيف الشرق الأوسط من ألاعيب القتل التى تمارسها إسرائيل بحق الشعوب العربية.

أما الجامعة العربية، ومنظمة المؤتمر الإسلامى فعليهما أن يذهبا معا إلى مجلس

الأمن حاملين ملفات الجرائم التى ارتكبها الإسرائيليون، ومطالبة هذا المجلس بضرورة شمول إسرائيل بالبند السابع من ميثاق الأمم المتحدة، والذى ينص على تطبيق قرارات مجلس الأمن بالقوة العسكرية.

ونعتقد أن عمرو موسى، أمين عام جامعة الدول العربية بات مصرا على هذا الإجراء، ونتمنى أن تساعده الدول العربية والدول الإسلامية، لأن إسرائيل بأطماعها ارتكبت جرائم لم يرتكبها هتلر أو موسولينى أو أى مجرم فى التاريخ.

تهويد القدس عدوان مستمر

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ عبدالمجيد فريد رئيس مركز الدراسات العربية - لندن - فى جريدة الأسبوع الصادرة فى ١١/٦/٢٠١٠م يقول:

يجمع المؤرخون العرب على أن اليبوسيين أحد أفرع الكنعانيين العرب هم الذين أسسوا مدينة القدس وكانوا يطلقون عليها بلغتهم اسم «يور سالم» ويعود بناء المدينة إلى حوالى الألف الثالث قبل الميلاد.

وقد توالت عليها الغزوات فخضعت للحكم البابلى والفارسى والرومانى والبيزنطى كما دخلها عمر بن الخطاب أمير المؤمنين - رضى الله عنه - ولم يكن يقطنها فى ذلك الوقت أى يهودى - وإذا وصلنا للعصر الحديث نجد أن تهويد القدس كان من الأهداف الرئيسية التى أعلنتها إسرائيل بعد انسحاب الجيش الأردنى من الضفة الغربية ومدينة القدس عام ١٩٦٧ - ومن أجل تحقيق ذلك يقوم الحكم الإسرائيلى - عبر خطط سنوية - سواء كان الحكم برئاسة حزب الليكود أو حزب العمل أو غيره باتخاذ الخطوات التالية:

أولا: توسيع وتطوير الأحياء اليهودية فى المدينة مما يؤدى إلى عزل المناطق المسلمة والمسيحية، بالإضافة الى أن المبانى الجديدة ستقلل من هيبة المسجد الأقصى والمنظر التقليدى لقبة الصخرة.

ثانيا: توسيع حدود بلدية القدس القديمة بحيث يصبح للعرب مساحات محدودة وكأنهم فى «الجيتو» الذى تعود عليه اليهود عندما كانوا أقلية فى عدد من المدن الأوروبية قبل الحرب العالمية الثانية، على أمل أن تتم تصفية ذلك «الجيتو» فى السنوات التالية وفقا لما تسمح به الظروف الدولية والإقليمية.

ثالثا: إقامة مستوطنات جديدة أو تطوير بعض المستوطنات القديمة التى حول القدس لتصبح بما يشبه القلاع فوق التلال المحيطة بالمدينة.

رابعا: توطين عدد من الأسر اليهودية فى مدينة القدس وضواحيها كل عام، وقد صرح «ديفيد لى» وزير الإسكان بحكومة بيجين مارس ١٩٨١، بأنه يجب على إسرائيل اتخاذ الخطوات اللازمة لتوطين (١٠٠٠٠) عشرة آلاف يهودى بالقدس سنويا من أجل المحافظة على التوازن السكانى بين اليهود والعرب.

وإذا توجهنا إلى ما قامت به السلطة

الإسرائيلية فى القدس وما حولها حتى الآن نجد أنها قامت بإجراءات وأعمال عديدة تصب كلها فى تهويد القدس مثل:

١- بناء عدد من الكنس والمتاحف اليهودية بجوار المسجد الأقصى، وتشير المصادر الصحفية المحلية إلى أن مجموعها حتى الآن حوالى ٦٠ كنيسا ومتحفا.

٢- تشير أنباء صحفية موثقة بتاريخ ٢٨ / ٢ / ٢٠١٠ إلى تفاصيل خطة جديدة لتهويد القدس خلال ثمانين شهرا تؤدى الى تغيير كامل للمعالم الإسلامية والمسيحية وطمس الآثار العربية فيها.

٣- هدم المنازل العربية القديمة لبناء مساكن ومنشآت يهودية عليها، وقد بلغت عام ٢٠٠٩ ثمانين منزلا.

٤- القيام بحفريات وحفر أنفاق تحت منطقة المسجد الأقصى بحيث يخشى منها سقوط وهدم المسجد الأقصى فجأة ليقوم مكانه الهيكل اليهودى المزعوم. وقد ظهرت حاليا ملصقات عديدة فى مدينة القدس وما حولها تقول: «ادفع شيكل تساهم فى بناء الهيكل وتدخل الجنة».

٥- مخطط لبناء كنيس يهودى ضخم بالقرب من المسجد الأقصى يحمل اسم «فخر إسرائيل» أمام كل هذه التحديات نحن بحاجة فى الوقت الحاضر إلى مخطط عربى لإنقاذ المسجد الأقصى وكذلك لمواجهة المخطط الإسرائيلى الجارى تنفيذه لتهويد مدينتنا العربية الغالية «القدس».

١١ سبتمبر.. وإدارة بوش!

تحت عنوان «كم فى طيات الأحداث الجسام من أسرار» كتبت الأستاذة/ مها عبدالفتاح مقالها المنشورة بجريدة أخبار اليوم بعددها الصادر بتاريخ: ٢٠١٠/٧/٣م تقول فيه:

لو أن شخصا آخر غير «بول كريج روبرتس» هو مصدر المعلومات التالية لعبرتها دون توقف ولكنه شخصية اقتصادية معروفة عالميا، فهو من أشهر خبراء المال والاقتصاد حتى إن فرنسا منحته أعلى أوسمتها باعتباره المهندس المجدد لعلم الاقتصاد والسياسة.. غير أنه كاتب ومحلل سياسى ورئيس تحرير صحيفة وول ستريت وكاتب مقالها الافتتاحى، وفى عام ٢٠٠٥ كتب مطالبا الكونجرس بمحاكمة الرئيس السابق دبليو بوش لأنه كذب فيما ساقه تبريرا للحرب وهو أول من قال إن غزة تحولت إلى أكبر معسكر اعتقال.

وأبدأ من قوله «أكثر من نصف الشعب الأمريكى مازال يصدق القصة المؤلفة التى روجتها إدارة بوش / تشينى السابقة حول ما حدث يوم ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١م بكونها مؤامرة قام بها مجموعة أفراد جاءوا من عدة دول إسلامية استطاعوا أن يخدعوا أمريكا بكل أجهزتها.. ثم لا يخطر لهؤلاء المواطنين المصدقين أن يراجعوا الأمر ليتأكدوا كم مرة حدث وقامت الإدارة السابقة بتغيير روايتها؟ وآخرها الظهور الفجائى لمدبر رئيسى آخر ليحل فى التفكير

والتدبير محل بن لادن، هو «خالد شيخ محمد» الذى قاموا بتعذيبه غمراً فى المياه ١٨٣ مرة إلى أن اعترف بأنه العقل المدبر لهجوم ١١ سبتمبر.. يتساءل بول كريج روبرتس عن هذه المفارقة: فى العصور الوسطى كان يؤخذ بالاعترافات التى تأتى بعد التعذيب فتؤخذ قرائن على أصحابها إنما منذ تأسيس الولايات المتحدة ومبدأ الاعتراف على النفس فى الجرائم مرفوض فى القانون الجنائي الأمريكى إلا فى عهد دبليو بوش كان لزاما أن يؤخذ باعتراف خالد شيخ محمد لأنه الدليل الأوحد لديهم على أن من قاموا بعملية ١١ سبتمبر هم من الإرهابيين المسلمين.. ثم يقول بالنص: معنى اعتراف خالد شيخ محمد هذا أنه من حيث الذكاء والقدرات الخارقة فى التفكير والتدبير قد فاق مؤلفى روايات هوليوود وإمكانات ١٦ وكالة مخابرات أمريكية مع حلفائهم بما فيهم الموساد الإسرائيلى.. فأى إنسان هذا الذى يغمرونه فى المياه ١٨٣ مرة ثم لا يعترف بأى شيء مطلوب!

يتساءل روبرتس بسخرية: هل خالد شيخ محمد هذا هو الذى منع مكتب التحقيقات الفيدرالية من الإفراج عن أشرطة كاميرات الفيديو التى يفترض أنها تحمل صور الطائرة المخطوفة التى قيل إنها صدمت مبنى البنتاجون «وفق الرواية الرسمية».

أهم معلومات ترددت فيما كتبه بول كريج روبرتس أن رابطة تجمع ألف مهندس ومعمارى أمريكى يطالبون بإعادة التحقيق فى رواية سقوط أو إسقاط برجى التجارة العالمى وبناية ثالثة بجوارهما.. الألف مهندس يعلنون على الملأ استحالة انصهار روافع الحديد والصلب ليتحولا إلى تراب ـ بودرة وينهار دفعة واحدة كما تقول الرواية الرسمية.. لا من الوجهة العلمية ولا الفنية.

ثم يضيف: رابطة المهندسين هذه تتهم المسئولين فى وكالة الطوارئ والمعهد القومى الأمريكى للتكنولوجيا بتقديم تقرير غير مستوفى ويشمل تناقضات وتطالب الكونجرس بأن يقوم بتشكيل لجنة موسعة للتحقيق مع المسئولين الذين تولوا تقديم ذلك التقرير.. وليست رابطة الألف مهندس فقط من تطالب بإعادة التحقيق بل منظمة أخرى «رجال مطافئ على سبيل الحقيقة» تستهدف إعادة تحقيق فيما وقع يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وفى مؤتمر أخير لهؤلاء عقد مؤخراً بسان فرانسيسكو أعلن رئيسها «إيريك لوبر» أنهم يؤيدون مطالب المهندسين ويطالبون أيضاً بإجراء تحقيق قانونى وهذا ما لم يحدث وعدم إجرائه جريمة فى حد ذاته.

وفوق ما سبق يورد بول كريج روبرتس معلومة فى منتهى الخطورة عن خبير الفيزياء «ستيفن جونز» الذى عثر على مادة «نانو ـ تيرمايت» بين بقايا برجى التجارة العالمى.

ونانو ـ تيرمايت هذه مادة ذات خاصية دمار عالية جداً وتؤدى إلى تسييح الحديد فى التو.. هنا يقول د. روبرتس، قبل أن يصيح أحد مردداً نظرية المؤامرة «لابد أن يعى أولا ونحن معه بأن الألف مهندس وخبراء منظمة رجال مطافئ والعلماء الذين عثروا على المادة الفتاكة بالحديد» كل هؤلاء لا يتقدمون بنظرية بل بدلائل تتحدى الرواية الرسمية لإدارة دبليو بوش التى قدموها إلى الشعب الأمريكى والعالم كله وقامت من جرائرها حروب لاتزال دائرة ولها ضحايا مازالوا يتساقطون غير الأموال الطائلة التى استنزفت فى العمليات ولم تزل.. إلى متى يبقى هذا التعتيم!

أفغانستان تزداد تعقيداً

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ / مكرم محمد احمد مقاله المنشور بجريدة الأهرام الصادرة بتاريخ: ٢٠١٠/٦/٢٨م يقول فيه:

لم يكن أمام الرئيس الأمريكى - أوباما - سوى أن يقيل قائد قواته فى أفغانستان الجنرال ستانلى ماكريستال رغم سجله العسكرى الباهر، ورغم نجاحه فى كسب عقول وقلوب الأفغان بعد أن تمكن من خفض آثار القصف الجوى الأمريكى العشوائى على المدنيين الأفغان.

ورغم الظروف الحرجة التى تمر بها الحرب هناك بعد أن نجحت طالبان فى توجيه عدد من الضربات المؤثرة لقوات حلف الناتو.

أخطأ الجنرال ماكريستال ومساعدوه، عندما أهانوا معظم أركان إدارة أوباما فى حديث نشرته مجلة أمريكية، سخروا فيه من نائب الرئيس بايدن، ووصفوا جيمس جونز مستشار الرئيس للأمن القومى بأنه مجرد مهرج، وأهانوا مبعوثه الخاص إلى أفغانستان ريتشارد هول بروك لأن ماكريستال لا يكترث حتى بقراءة البرقيات التى يبعث بها إليه، وبالغوا فى ازدراء السفير الأمريكى فى كابول «ايكنبرى» لأنه أحد



اوباما

الذين عارضوا إرسال المزيد من القوات الأمريكية إلى أفغانستان، وبرغم أن الجنرال ماكريستال قدم اعتذارا علنيا أكد فيه احترامه البالغ للرئيس أوباما وفريق معاونيه فى البيت الأبيض فإن أوباما أصر على استدعائه إلى واشنطن كى يبلغه بقرار إقالته.

ومع أن إقالة ماكريستال يمكن أن تؤدى إلى تأخير عملية قندهار وقد تضاعف من قلق بعض دول الناتو التى تفكر فى سحب قواتها من أفغانستان إلا أن أخطر آثارها يكمن فى طبيعة العلاقة بين الرئيس الأفغانى حامد قرضاى والوجود العسكرى الأمريكى فى أفغانستان، لأن الأمريكيين يتشككون كثيرا فى مواقف الرئيس قرضاى ويخشون من رغبته المتزايدة فى التصالح مع حركة طالبان، وعدم حماسه لبدء العمليات العسكرية الكبيرة فى قندهار لآثارها السيئة المتوقعة على قبائل البشتون، وكان الجنرال ماكريستال يشكل بالنسبة للرئيس قرضاى صمام الأمن الذى يضمن تحسين علاقاته مع واشنطن، كما كانت واشنطن تعتمد عليه فى ضبط تصرفات الرئيس الأفغانى الذى جاهر أخيرا بضرورة انسحاب القوات الأجنبية من أفغانستان.

قراءة في كتاب

عباس محمود العقاد

ورحلات الشمال والجنوب

للأستاذ / عادل خفاجة

يقول الأستاذ توفيق الحكيم بصدد كتاب (عبقرية محمد) للأستاذ العقاد! «إن كل ما عرف عن النبي ﷺ لن يغنينا عما عند العقاد، لأن العقاد قد درس وفكّر واستنتج لنفسه، ثم صنع للنبي - ﷺ - صورة قلمية لا يمكن أن يُرى نظيرها على التمام في صفحات مثل صفحات كتابه المتوسط الحجم».[1]

ويقول الدكتور محمد رجب البيومي:

«وما يقال عن عبقرية محمد يُقال عن الشخصيات الإسلامية التي خصها العقاد بالدراسة والتحليل، فأنت تقرأ كتابه عن أحد هؤلاء، وقد طالعت في موضوعه عشرات الكتب، وتظن أنك مسيطر على الموضوع بما تعرفه سابقاً. ثم يفاجئك الكاتب الكبير بما لم يخطر لك على بال، لا لأنه ألحق زوائد بعيدة عن الشخصية، ولكن لأنه اكتشف كثيراً من الزوايا الدقيقة بمجهره الحساس، فأتى بالطريف الممتع مما يلذ ويفيد».[2]

ويقول الأستاذ العقاد: «كثيراً ما يكون الباطل أهلاً للهزيمة، ولكن لا يجد من هو أهل للانتصار عليه»[3].

إن من يتأمل هذه الكلمات التي قالها العقاد يعلم تماماً أن للرجل مجهراً حساساً ليس لغيره، يرى به ما لا يراه الآخرون فلابد أنه - حين قال ذلك - رأى ضعف أهل الباطل برغم ما يملكون من سلاح ونفوذ، ورأى أن تقاعس أهل الحق عن نصرته ساعد في إفساح الطريق لأهل الباطل ليعيثوا في الأرض فسادا.

ولأن الحق عنده هو الحق ولو اختلف معه أهل الأرض جميعاً فقد وجدناه يثور للحق حتى ولو كان من أجل أمر شرقي.

إن العقاد - بحق - أستاذ التأمل؛ لأنه ألزم نفسه أن يأتي بالدليل المقنع لغير المسلمين قبل أن يأتي بدليل لأهل الإيمان فتجده يعمل العقل في مسألة «حديث الإفك» فيقول:

«نحن لا نعتمد على دليل يقبله المسلم ويرفضه غير المسلم، إنما دليلنا على براءة السيدة عائشة أنها لو كانت أخطأت وبرأها القرآن- استحال عليها أن تؤمن بالكتاب وأن تصدق أنه وحي من الله، وأيسر شيء عليها إذن أن تخترع الأحاديث على النبي عند مسيس الحاجة إلى الاختراع، وأي حاجة إلى الاختراع أمس من لجاج الخصومة بينها وبين علي أو عثمان، وتشيعها للزبير وطلحة في تقديمها إياهما، وهي قادرة على تعزيز ذلك بكلام تعزوه إلي زوجها العظيم، فإيمانها بالقرآن والأحاديث النبوية، وتقديسها لحرية هذه الأحاديث هو الدليل القاطع على براءتها من التهمة التي افتريت عليها. إذ هي لو كانت قد أخطأت وبرأها القرآن لكان إيمانها بالقرآن والأحاديث من المستحيلات، واستحالة الإيمان هذا حقيقة مقررة يقبلها عقل المسيحي، ويقبلها عقل الملحد الذي لايدين بدين!»

ثم إن من يتأمل الكلمات التي قيلت في العقاد.. ليعلم أنه أمام عبقري قد شق طريقه في الصخر بأظافره؛ حتى صار أستاذا يشار إليه بالبنان.



العقاد

لقد قدم العقاد للمكتبة العربية ما يربو على مائة كتاب أثرت الفكر الإسلامي، بالإضافة إلى آلاف المقالات التي كان يرسل بها إلى الصحف والمجلات.

من أجل ذلك كان اختيارنا لكتاب «عباس محمود العقاد» ورحلات الشمال والجنوب.

● لماذا عباس محمود العقاد ورحلات الشمال والجنوب؟

●● يجيب المؤلف عن هذا السؤال بمقدمة كتابه فيقول: لأن العقاد يوم وعى الحياة بدأ برحلات حسية بدأت من الجنوب من أسوان إلى الشمال إلى القاهرة، فلما قر بالقاهرة كانت له رحلة شتوية في كل عام من الشمال إلى أسوان، وقد انتهت هذه الرحلات من الشمال إلى الجنوب حيث كان قراره الأخير

---

(1)، (2) أ.د. محمد رجب البيومي: رحلة في المكتبة المعاصرة ص٦١ ط الأولي ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م مكتبة سنا الفاروق - السعودية.

(3) الأستاذ عباس محمود العقاد: الفصول.

بأسوان حيث دفن، كما كان للعقاد رحلات عقلية من الجنوب من أرض مصر مركز ثقافة العروبة والإسلام إلى الشمال حيث مركز الثقافة الأوروبية، إلى أن انتهت رحلاته العقلية في الجنوب ليكتب سير عظماء الإسلام والدراسات الإسلامية.

مؤلف الكتاب

مؤلف الكتاب هو الاستاذ الدكتور/ السيد أحمد فرج وقد سبق لمجلة الأزهر أن قدمت له كتاب: «اليهود واليهودية» في عدد شهر صفر ١٤٢٩هـ.

وكتاب «حقوق المرأة» في عدد شهر شعبان من نفس العام.

الكتاب: هذا الكتاب «عباس محمود العقاد ـ ورحلات الشمال والجنوب» يقع في ٤٦٦ صفحة مقاس ١٧×٢٤سم.

صدر عن دار الأصدقاء بالمنصورة.

قسم المؤلف كتابه إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: سيرة عبقري.

القسم الثاني: العقاد أديبا وناقدا.

القسم الثالث: التراجم والسير والدراسات الإسلامية.

ويضم القسم الأول ستة فصول هي: رحلات الشمال والجنوب/ العقاد صحافيا/ العقاد والمرأة/ العقاد يقف في الأمام من الرجال/ معارك العقاد مع أدباء عصره ومفكريه/ العقاد في معترك السياسة.

ولاشك أن هذه الفصول الستة التي ضمها عنوان واحد هو «سيرة عبقري» ستكشف لنا عن عبقرية العقاد.


عبدالله النديم

ولنتجول مع المؤلف في صفحات هذا الكتاب لنستبين مواطن العبقرية عند العقاد في كل ذلك.

لقد لفتنا المؤلف إلى عبقرية العقاد المبكرة حين رغب العقاد -تلميذ المدرسة الابتدائية- في إصدار مجلة حائطية مدرسية يحاكي بها مجلة «الأستاذ» التي كان يصدرها كاتب الثورة العرابية وخطيبها عبدالله النديم، ولتمكنه من اللغة العربية والتاريخ فقد شجعه مدرس اللغة العربية على تحقيق رغبته فأصدر مجلته تحمل اسم «التلميذ».

يقول المؤلف ص٢٠، ٢١ أن العقاد:

«عارض عنوان مجلة النديم «الأستاذ» بعنوان مجلته «التلميذ» وعارض مقال النديم «لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا» بمقال «لو كنا مثلكم ما فعلنا فعلكم»، وكان فحوى مقال النديم كما كتب العقاد تحت فصل معارضة النديم قال فيه: «إننا نطلب الاستقلال وتدعى أننا والأوروبيين أشباه وأمثال، ولكن الأوروبيين ينكرون هذه الدعوى، وختم النديم المقال بقوله: «إن آخر الدواء الكي، وقد بلغ السيل الزبى، فإن رفأنا هذا الخرق، وشددنا أزر بعضنا أمكننا أن نقول لأوروبا: نحن نحن، وأنتم أنتم، وإن بقينا على هذا التضاد والتخاذل واللياذ بالأجانب فريقا بعد فريق، حق لأوروبا أن تطردنا من بلادنا إلى رؤوس

الجبال لتلحقنا بالبهيم الوحشي، وتصدق في قولها: لو كنت مثلنا لفعلتم فعلنا.

وعارض العقاد مقال النديم بمقال قال فحواه: «إننا نحن الشرقيين لو كنا مثلكم أيها الغربيون ـ فاتحين منتصرين لما فعلنا فعلكم من نهب الأموال، واستباحة الحقوق، وافتراء الأكاذيب، والتعلل بالمواعيد، ولكننا لسنا مثلكم ولا نريد أن نفعل فعلكم، وسترون فعلنا عما قريب.

والذي يتأمل قول العقاد -التلميذ- يدرك أنه أجاد العربية والتاريخ وتمكن منهما فعلا وكان عند حسن ظن أستاذه، لأن من درس تاريخ السلف الصالح وصدر الإسلام يعلم أن النبي ﷺ أمر في فتح مكة بإغماد السيوف، وكانت العادة تقتضي أن يعمل المنتصرون السيوف في رقاب أعدائهم الذين طردوهم من ديارهم، ولكن الرسول الكريم قال قولته الشهيرة: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» ومن يومها علم المسلمون الدرس وأيقنوا قيمة التسامح وتأسوا بسنة رسول الله ﷺ.

فإذا قال العقاد كلامه السابق ـ الذي أورده المؤلف- فإنما لعلمه أن اللاحق من المسلمين لابد أن يقتفي أثر السابق من الصالحين ويتأسى بالأسوة الحسنة.

العقاد ورحلة الشمال

من أجل البحث عن عمل

يقول المؤلف في ص٢٤: «وفي سنة ١٩٠٤ وفد عباس إلى القاهرة في أولى رحلاته إلى الشمال تلك الرحلة المعاكسة لرحلة أبيه من الشمال إلى الجنوب، وفي هذه الرحلة كان وافدا زاده الإحساس بالغربة والوحدة والمسغبة، فلم يكن له بالقاهرة أخ ولا صديق، ولا سند ولا معين، ولم يكن يعرف مسلكا من مسالك الحياة، ولولا أن الفقر دفعه، وحداه الأمل في النجاة من قسوة الحياة في أسوان ما تركها، فقد كانت أحب بلاد الأرض إليه.


جمال الدين الأفغاني

ويشير العقاد إلى هذه الفترة بقوله: «وأنا في السادسة عشرة لا أعيد هنا كل ما عرض لي في هذا الطريق من حيرة وشك وعثرات وأزمات».

ولكن هذه الأزمات تهون أمام ما أراد العقاد تحقيقه، فقد استقر على قرار واضح في طريق حياته، بكل القضايا التي تشغله خاصة الكتابة الصحافية، ولكن ليست أي كتابة، لقد قرر أن يخدم بقلمه: الجامعة الإسلامية إذا كان المقصود بها الجامعة التي قصدها جمال الدين الأفغاني، أي جامعة شعوب إسلامية لا جامعة ملوك يخدمون عروشهم بخدمة السلطان العثماني، قبل خدمة الجامعة الإسلامية.

يعود المؤلف ص٣٧ ليتابع الرحلة الثانية للعقاد فيقول:

لما جاء العقاد إلى القاهرة في رحلة الشمال الثانية في سنة ١٩٠٧م للبحث عن عمل، وجد كل الطرق وعرة، بل مسدودة. وبعد

معاناة فى البحث وجد عملا يغنيه من جوع بوظيفة كاتب بالقسم المالى بمديرية الشرقية براتب شهرى خمس جنيهات، وسكن بمدينة الزقازيق، ولكنه كان يتركها من حين لحين إلى القاهرة لكى يشاهد مسرح الشيخ سلامة حجازى، أو يشترى بعض الكتب القديمة من حى الأزهر.

وكان حب العمل الصحافى غالبا على تفكير العقاد، يشغله فلا يفارقه، فلما قرأ إعلانا بالصحف عن حاجة صحيفة تحت الإنشاء -هى صحيفة الدستور لمحمد فريد وجدى- سارع بترك الوظيفة بمديرية الشرقية، وكتب إلى الأستاذ محمد فريد وجدى معبرا عن رغبته فى العمل فى الصحافة، ولما التقيا بين له صاحب الصحيفة مقصده من إنشائها وبين له خطتها فى السياسة الوطنية، وأنها ستكون اللسان الثانى للحزب الوطنى حزب مصطفى كامل بعد صحيفة اللواء التى يرأس تحريرها مصطفى كامل نفسه.

ولكن العقاد ابن الثامنة عشرة، والمشوق للعمل بالصحافة صارحه بأنه يختلف معه فى التوجه فى السياسة الحزبية، وأنه لا يميل إلى سياسة مصطفى كامل، ومن ثم فلن يكتب حرفا فى تزكية الحزب الوطنى ورئيسه، فلم يعترض ذلك الرجل النبيل محمد فريد وجدى على ما أبداه العقاد.

ثم يشير المؤلف إلى الفترة من ١٩١٢: ١٩١٤ التى عمل فيها العقاد فى وظيفة حكومية بديوان الأوقاف، وكم كانت صعبة ثقيلة على العقاد غير أنه استفاد منها.

يقول المؤلف ص٤٢:

«وظل العقاد يعمل فى ديوان الأوقاف من سنة ١٩١٢ إلى سنة ١٩١٤م وكانت هذه الفترة أطول مدة يقضيها العقاد فى عمل من أعمال الارتزاق، كما كان يسمى أعمال الوظائف الحكومية، ولكنها مع ذلك -بصرته بكثير من حقائق بلده، من أسرار شئونه العامة، فقد اكتشف أن مصر كلها ضيعة لحاكم البلاد، يبددها كيفما يشاء».

ولم يكتف العقاد بوظيفة ديوان الأوقاف، فقد كان يكتب مقالات تنشرها صحيفة «المؤيد» ومجلة «البيان» وكانت مقالات هادئة الصياغة.

ويرصد المؤلف رحلة أخرى إلى الجنوب إذ يقول ص٤٣:

«لما اشتعلت الحرب العالمية الأولى، صارت القاهرة أتونا يصهر من فيها من الكتاب والأحزاب، وعامة الشعب، وألم الضيق بالناس، وأصبح العقاد بدون عمل، فهيأ نفسه لرحلة الجنوب، وكأنه طائر مهاجر فى موسم الشتاء القارس هاجر من أرض الشمال ذات البرد القارس ليستمتع بشمس أسوان، وهناك عمل مدرسا بمدرسة ابتدائية أهلية».

ثم يواصل المؤلف تتبع رحلات العقاد فيسجل رحلة أخرى إلى الشمال حيث عمل بالتدريس ثم ودع هذه الأعمال التى كان يطلق عليها «رق الاستخدام» فى نهاية عام ١٩١٨ فعمل فى تحرير صحيفة الأهالى التى أنشأها محمد سعيد باشا رئيسا الوزراء لكى

تعبر عن سياسته ثم تركها ليعمل محررا بصحيفة الأهرام وكان يوقع مقالاته «ع. م. العقاد» على طريقة كبار الكتاب الانجليز.

وبعد أن طوف بنا المؤلف على بعض خصوم العقاد وخاصة ما أخذه الرافعى على العقاد فى أحد سفافيده وأن العقاد كان يغالى فى حبه لمن أحبهم كما يغالى فى خصومته مع خصومه، يقول:

ولكن العقاد مع هذا رجل حيى، وهو إلى حب العزلة أقرب، وإذا التمس من إنسان مودة وحميمية، كان معه فى غاية المودة والحميمية والبراءة ونقاء السريرة، ولازلت أتذكر أننى لم أتحدث معه وأنا أعمل محررا بالمجمع غير أربع مرات، وقد كانت له مهابة، كان فى كل مرة يبادر بمد يده للمصافحة، ويظهر اهتماما واصغاء للسؤال سألته مرة: أتستطيع مصر أن تصنع قنبلة نووية، كان ذلك فى سنة ١٩٦١ فقال فى مودة: نعم فى أسرع وقت، والقرار ليس قرارا علميا أو اقتصاديا، بل هو قرار سياسى فإذا قررت القيادة السياسية الحاكمة صنع قنبلة نووية أمكن ذلك وفى المرة الثانية سألته عن رأيه فى الشعر الحر، ومع أنه لم يسر بالسؤال إلا أنه قال: شعر هؤلاء الذين يلبسون القمصان المشجرة وضحك فكان ذلك كافيا عن أية إجابة.

العقاد صحافيا

كان العمل بالصحافة أحب الأعمال إلى العقاد، كما كانت أول مهنة محببة إلى نفسه يعمل بها، وما كان عمله بالتدريس حين عمل به إلا من قبيل الاضطرار، لكى يجد ثمن القوت الضرورى مادة الحياة، فلما استغنى لم يعد إلى مهنة التدريس، واستمر يعمل فى الصحافة حتى آخر يوم فى عمره.

لقد اهتم العقاد بكثير من رجال الصحافة لولعه بهذه المهن فكأنه يؤرخ للصحافة بتاريخه لهؤلاء الذين خالطهم.

يقول المؤلف ص٩٠:

وكان العقاد فى نظرته إلى أقطاب الصحافة يحمل رؤى غير التى يحملها الناس، فهو ينظر من زاوية غير تلك الطريقة المتبعة فى تراجم الرجال، أو فى كتب التاريخ، فمعرفته بهم، واستشفافه لبواطنهم تخالف كل ما تعارف عليه الناس، فهو يلتقط من ملامح كل شخصية شيئا يهمه، ويترك ما لا يهمه، وإن كان يهم الناس جميعا، إنه كالسائح الذى يلتقط صور ما يروق له من صور الطبيعة فى الأرض التى يسيح فيها، ويترك لغيره صورا قد تكون أكثر أهمية، لكنها لم ترق له، إنه يسجل معالم خاصة بالشخصية تهمه، وتلم بكل ما يحيط بالشخصية بعينه هو لا بعين الآخرين.

وذكر العقاد - فى ميدان العمل الصحافى- شخصيات بعينها،- ولم يذكر شخصيات أخرى، ربما كانت أكثر أهمية من هؤلاء الذين ذكرهم، وليس هذا معناه أنه قصد أن يهملهم بأعيانهم، فهو فيمن ذكر، وفيمن لم يذكر لم يكن يحسب حسابا لتقديم أشخاص على أشخاص، أو يوازن بين رجال ورجال، إنما هو يذكر من عرفهم من

قريب، وكان لهم تأثير مباشر فيما يخصه، وفي الوقت نفسه، رام أن يلخص رحلته الشخصية في مجال الحياة الصحافية أو السياسية أو الأدبية، وصلة هؤلاء بها.

لم يكن العقاد صحافياً كمن حوله من الصحافيين بل كان مجدداً متفرداً يهتم بمبادئ العمل الصحافي التي أرساها بنفسه لنفسه، وجعل على قمة هذه المبادئ: استقلالية الرأي وحريته.

يقول المؤلف ص٩٥:

بدأت استقلالية الأستاذ العقاد- وكان دون العشرين من عمره، من أول يوم عمل فيه بصحيفة «الدستور» لمحمد فريد وجدي يرحمه الله، وهذا يعني أن الاستقلالية كانت خلة فيه ثم نمت ونضجت برعاية الأستاذ محمد فريد وجدي.

كانت صحيفة الدستور أول صحيفة يعمل بها العقاد، وكان قد عمد إلى العمل بها عمداً، لأنه كان بوسعه أن يعمل بقلم الترجمة بصحيفة «اللواء» بأجر أعلى من أجره بصحيفة الدستور، ولكن لأنه أراد أن يكون منشئاً لا مترجماً فقد قبل عمل الإنشاء بأجر أقل، وفضله على عمل الترجمة بأجر أعلى، مع أنه لم يكن يغفل شأن الترجمة وأهميتها لدرجة أنه أوصى الشيخ عبد الرحمن البرقوقي صاحب مجلة «البيان» أن يكلف أديب المقالة المشهور الأستاذ محمد السباعي بترجمة كتاب «الأبطال» «لتوماس كارليل» وينشره مسلسلاً في «البيان».

وماذلك إلا لحرص العقاد على الاستقلال بالرأي وحرية اختيار العمل.


محمد فريد وجدي

فن الأحاديث الصحافية

لقد ابتكر العقاد ذلك الفن «الأحاديث الصحافية» في الصحافة المصرية بدافع وطني وهو مناقشة قضايا الوطن ليشارك عامة الناس في القرى والمدن في معرفة قضايا بلادهم وفي مقدمتها الاستقلال والحكم الدستوري.

يقول المؤلف ص١٠٠:

وكان العقاد يفتخر بأنه منشئ هذا الفن في الصحافة المصرية والعربية، قال في ذلك: «أحمد الله لأن المتقدمين على في الصحافة لم يغلقوا على جميع الأبواب فبقي لي في الصحافة المصرية باب واحد استطيع أن أقول أني كنت أول السابقين إليه، ذلك هو باب الأحاديث مع الوزراء والساسة، فلا أعلم أن أحداً من الصحفيين المصريين سبقني إلى إجراء حديث عام مع وزير مصري، أو رئيس شرقي».

لقد آمن العقاد بالصحافة الحرة، واعتبرها المنبر النزيه الذي يجب ان يدافع عن كل رأي حر بغض النظر عن كون هذا الرأي حقاً أو جانبه الصواب.

يقول المؤلف مؤيداً موقف العقاد من كتاب «الإسلام وأصول الحكم» للشيخ علي عبد الرازق ص١١٠:

إذ إن القضية قضية حرية التفكير، ومن حق كل مفكر أن يقول رأيه، فإن خالف الإجماع كان من حق من يخالفه أن يرد عليه ويفند آراءه ولا يصادرها.

العقاد والمرأة

يستهل المؤلف هذا الفصل بأن المرأة لم تشغل من حياة العقاد إلا حيزاً قليلاً، ولم يتجاوز حديث المؤلف بضع سطور حتى قال أن العقاد كان يتكلم عن أمه أكثر مما كان يتكلم عن أبيه فهي امرأة من أصول كردية لا نظير لها في استقامة الدين والخلق والحرص على أداء العبادات لأوقاتها ولاسيما صلاة الفجر، وكانت تحرص بالدقة نفسها على تدبير أمور الأسرة، فكان أداء كل الأعمال عندها عبادة، ولا يشوب حياتها هزل، أو مزاح صادق، أو فرح في أوقات تستدعيه، حتى لقبتها جارتها بالمشدة، وهو نعت لا توصف به النساء، إذ إنه لقب ينعت به الرجل الذي يشرف على الرجال الذين يقومون بأعمال يدوية شاقة، وهو عمل يتأبى على النساء، ص١١٧.

وإذا كان هذا هو حال «أم العقاد» وقد ورث العقاد عنها: الصرامة والشدة، وتنظيم العمل مع الوقت فإن العقاد لجدير بأن يكون «ابنها» وأن ما أظهره من عبقرية إنما هو بعض ما كانت تحمله هذه «المرأة الفذة» غير أن العقاد كان ينظر للمرأة «غير أمه» نظرة أخرى حيث يقول المؤلف ص١١٨.

كان للعقاد مع المرأة حكم يضعها دائماً في مكانة لا ترقى لتلك التي يرقى إليها الرجل، وضح ذلك الحكم منذ بدأ يكتب ويؤلف، وإذا كان قد بدأ يؤلف الكتب في سنة ١٩١٢ التي أصدر فيها كتاب «خلاصة اليومية» وكتاب «الإنسان الثاني» في المرأة، ويبدو أنه كان متأثراً فيما كتب بالفلاسفة الألمان الذين يحتقرون المرأة ولاسيما «شوبنهور» و«نيتشه» كما بدا أيضاً من العنوان «الإنسان الثاني» تجاهل أهمية المرأة التي لا ترقى لأهمية الرجل الإنسان الأول، وفي كتاب «الإنسان الثاني» قال العقاد: «وقفت على آراء في المرأة للفيلسوف الألماني «آرثر شوبنهور» وكان بينه وبين أمه كراهية متبادلة معلنة، فأعجبني حذق الرجل وجرأته على المجاهرة بأقوال في المرأة يعد قائلها في أوروبا خلواً من التهذيب، وسلامة الذوق، وإن كنت أراه قد غلا في مذهبه إلى حد، ربما كان الدافع به إليه غلو المدنية العصرية في نظرتها إلى المرأة، ورعايتها إياها».

ويبقى التساؤل: من الذي أبعد العقاد عن المرأة؟

يسوق المؤلف رأي الدكتورة سهير القلماوي أن العقاد ابن ثورة ١٩١٩ الذي رأى ثورة أمة تجهض دون حرية ولا استقلال فتولد فيه عبقرية الشك التي أبعدته عن المرأة.

إلا أن المؤلف يلتقط من رواية «سارة» ص٧٢، ١٤٦، ١٤٨ قول العقاد: «وتعطيل الإرادة أصيل في الهوى كله، ولاسيما في الهوى الذي نسميه بالعشق، أو نسميه بالغرام، لأن المرء يرتبط فيه بإرادة شخص

آخر، فهو مقيد بهذا الارتباط، الذى لا تتفق فيه الإرادتان فى جميع الأحيان».

ولعل المؤلف قد حالفه التوفيق حين استشهد بهذه الكلمات للعقاد، لأن نفس العقاد تأبى الانقياد للآخرين وهو قد فعل نفس الشئ حين رفض أن يعمل بالترجمة وفضل العمل بالتأليف بأجر أقل، وبرغم أنه يعلم أن الترجمة إذا أحسن فعلها تكاد تدخل فى باب الإبداع إلا أنه رفض أن يدور فى فلك المؤلف وأفكاره.

ويعود المؤلف ليقول ص١٢٥ :

ولكن العقاد غير رأيه فى المرأة عندما كتب «المرأة فى القرآن» حيث يرى أن مسائل المرأة تدور حول مسائل ثلاث هى:

١- صفتها الطبيعية وتشمل الكلام على قدرتها، وكفايتها لخدمة نوعها.

٢- حقوقها وواجباتها فى الأسرة والمجتمع.

٣- المعاملات التى تفرضها لها الآداب والأخلاق فى شئون العرف والسلوك.

ولا يرى العقاد تفوقاً استثنائياً للمرأة، وينقض أقاويل المادين الداعين المرأة إلى القيام بعمل الرجال، ففضائل كل نوع منهما برأيه «لا تقاس بالنصف المشترك، بل تقاس بالغاية التى لا تدرك، ولا تؤخذ بالاستثناء الذى يأتى من حين إلى حين، بل بالقاعدة التى تعمم وتشيع بين جملة الآحاد، ومع هذا يمكن أن يقال إن الاستثناء يحمل فى أطوائه دلائل القاعدة التى يخالفها، ولا يخلو من ناحية تعزز القاعدة الغالبة ولا تنفيها بالمساواة التامة بين الجنسين».

العقاد يقف فى الأمام من الرجال

فى هذا الفصل يؤكد المؤلف على عبقرية هذا الرجل «العقاد» وأنه كان يعرف حقه تماماً، ولا يحب أن ينتقص أحد من هذا الحق، وكان يعرف للآخرين حقوقهم، غير أنه لم يكن يحب أن يمدح أحداً فى حياته وكان متحفزاً للهجوم والرد ولا يميل إلى التصنع أبداً.. وهل هذه إلا أخلاق الكبار؟!

ويبرهن المؤلف على هذه المعانى فيقول فى ص١٣٥ وما بعدها وفى أحد المؤتمرات السنوية لمجمع اللغة العربية اقترح الدكتور منصور فهمى أن يعد الدكتور طه حسين محاضرة عن أبى العلاء المعرى للمؤتمر، وقال فى مجلس المجمع وهو يقدم اقتراحه: إن الدكتور طه حسين أعرف الناس بأبى العلاء، فما كان الأستاذ العقاد يسمع هذا حتى اندفع قائلاً إنه يعرف عن أبى العلاء ما لا يعرفه طه حسين وغيره، وإنه هو نفسه أقدر الناس على الحديث فى هذا الموضوع.

ويقول الدكتور طه حسين: حاولت تهدئة الأستاذ العقاد، وأبديت له رغبتى فى عدم الحديث فى هذا الموضوع ولكن ثائرته لم تهدأ.

كان العقاد صادقاً دائماً فى حالى الرضا والغضب، والتعبير عنهما، كما كان صادقاً فى حالى الصواب والخطأ، وكل ما كان منه لطه حسين، هو صادق فيه، أما ما كان من طه حسين فى حياة العقاد فقد كان ضرباً من المصانعة، والخوف من لسان العقاد الحاد القاطع، ودليلنا على ذلك حادثة بينهما، فقد أهدى العقاد كتاب «عبقرية محمد» لطه حسين فكتب طه حسين فى مجلة الرسالة، فرغت الساعة من قراءة كتابك الممتع «عبقرية محمد» ولست أكتب إليك الآن لأصور لك رأيى فى هذا الكتاب أو إعجابى به فما أنت فى حاجة إلى هذا الرأى، وما أنت فى حاجة إلى هذا الإعجاب، وما ينبغى أن يصور لك هذا أو ذاك، إنما ينبغى أن يصور للناس الذين يقرأون.

كان ذلك فى حياة العقاد، فى سنة ١٩٤٢م ثم بايعه الدكتور طه حسين بإمارة الشعر بمسرح الأزبكية فى سنة ١٩٤٥م، ومع أنها كانت إمارة مصطنعة فقد قال طه حسين: ضعوا لواء الشعر فى يد العقاد، وقولوا للأدباء والشعراء أسرعوا واستظلوا بهذا اللواء فقد رفعه لكم صاحبه.

أما بعد موت العقاد فقد قال طه حسين فى كتاب «عبقرية محمد» إنه لم يفهم بعض العبقريات ومنها عبقرية محمد، ثم إنه عاد وسحب مبايعته للعقاد بإمارة الشعر قائلاً: «أحب أن أؤكد أننى لم أبايع العقاد إمارة الشعر، وما كان لى أن أبايعه لأنى لم أكن شاعراً».

وفى مجلة الثقافة الشهرية فى افتتاحية العدد للأستاذ يوسف السباعى قال: حدث فى بعض اجتماعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب أن غاب رئيس المجلس «ويبدو أنه كان شخصية حكومية مرموقة» فرأينا أن يرأس المجلس أكبر الأعضاء سناً، وكنا نظن أن طه حسين هو أكبر الأعضاء سناً فقدمناه، لكن العقاد قفز إلى مكان الرياسة وقال: أنا أكبر من طه حسين، وابتسم طه حسين وقال: فعلا إن الأستاذ العقاد أكبر منى سناً، ورأس العقاد الجلسة.



طه حسين

قال يوسف السباعى، وكان الأستاذ العقاد يضيق بوصفنا الدكتور طه حسين «فى أثناء الاجتماعات» بأنه عميد الأدب العربى فيقول: عميد عليكم، وليس على فكان طه حسين يبتسم ويقول: ليس هناك عميد على الأستاذ عباس العقاد.

كان العقاد أكبر سناً من طه حسين فقد ولد كلاهما فى عام ١٨٨٩م، ولد العقاد فى شهر يونيو، وولد طه حسين فى شهر نوفمبر فبينهما خمسة أشهر، والعقاد هنا لا يتمسك بحق شرقى فحسب، بل يتمسك بحق قانونى أيضاً.

ويذهب المؤلف إلى أن العقاد لم يمد يد العون لأقرب تلاميذه إذ يقول ص١٤٧ :

هكذا كان العقاد- مع الرجال، ولو كانوا من أقرب الناس إليه- ولو تشيعوا له وغالوا فى حبه، كما فعل سيد قطب وعبد الحى دياب، فهو لم يمد لهم يد العون اللهم إلا بعض المودة، أما ما عدا ذلك فعلى كل

واحد منهم أن يشق طريقه، ولو كان فى الصخر الصلد مهما كانت وعورة الطريق، كما فعل العقاد، فقد شق طريقه فى الصخور بأظافره، حتى صار العقاد ملء السمع والبصر، دون ما عون من أحد.

ألا يمكننا أن نقول: إن العقاد يتمسك - بعبقرية الشدة التى تصنع الرجال وتصنع من الرجال الأبطال!!

أليس هو الذى كان يكبت غيظه من متقلبات الزمان ويقول:

إيه يا دهر هات ما شئت وأنظر
عزمات الرجال كيف تكون
ما تعسفت فى بلائك إلا
هان بالصبر منك ما لا يهون

معارك العقاد مع أدباء عصره ومفكريه

يشير المؤلف فى هذا الفصل إلى جذور المعركة التى كانت بين الرافعى والعقاد حينما كتب الرافعى مقالا عن جهاز النطق عند الإنسان والحيوان، وهو بحث لا يمكن أن يجيده إنسان - مثل الرافعى - أصم مفتقد لحاسة السمع فرد عليه العقاد ورأى أن ما انتهى إليه الرافعى لا يزيد عن كونه أفكوهة.. ومرت هذه المعركة بسلام.

ثم امتد الخلاف بينهما فى مفهومى الشعر والنثر فتناول العقاد الرافعى بالنقد ووصفه بأنه رجل ضيق الفكر.

ولما أصدر الأستاذ الرافعى كتاب «إعجاز القرآن» نعته العقاد بأنه من البلاغة البدوية.

ويتابع المؤلف سرده أحداث هذه المعارك فيقول فى ص١٦١:

«وكانت أم المعارك الرافعية العقادية معركة كتاب «إعجاز القرآن» الذى انتقده العقاد فى صحيفة البلاغ الأسبوعى فى سنة ١٩٢٦ مهاجماً وجهة نظر الرافعى فى الإعجاز».

ويخلص المؤلف ص١٦٧ إلى أن: العقاد عند الكثيرين - ومنهم زكى مبارك - إنسان، وكاتب جدير بالاحترام، وأنه صاحب منزلة أدبية، وصل إليها بجهاده، وأنه مع المازنى كانت لهما زعامة النقد الأدبى فى أعوام الحرب، وأن الكتابة السياسية لم تستطع أن تصرف هذين الرجلين عن العناية بالأسلوب.

العقاد فى معترك السياسة

وفى الفصل الأخير من القسم الأول يوضح المؤلف أن ثورة ٩ من مارس ١٩١٩م كانت كالقارعة التى زلزلت مصر وأيقظتها، ووحدت الأمة على مفهوم سياسى، وكانت نتيجة هذا التوحد أن نالت الأمة الحكم النيابى الدستورى بدستور سنة ١٩٢٣م وأصبح سعد زغلول ممثل الأمة يستمد قوته من توحد الشعب كله تحت قيادته - وكان العقاد واحداً من الكل، ولكنه كان معبراً عنهم أو كان لسان سعد، وهو يعبر عن الكل.

وكان العقاد أهم صوت عبر عن لسان حزب الوفد (حزب الأغلبية) منذ أن تكون سنة ١٩١٨ حتى سنة ١٩٣٦.

● ويوم كتب العقاد «الفصول» نظر إليه اليسار المصرى بإعجاب، خاصة مبحث «سر تطور الأمم» فقد رآه اليسار المصرى أهم المباحث السياسية التى قدمها العقاد، لأنه بينما دافع فيه عن الاشتراكية وبرأها من كل عيب، ألصق كل عيب بالرأسمالية فقال: «ومنذ إن أخرج العلم للناس تلك الآلات الضخمة، أصبح كل صاحب معمل يستمتع بتعب الألوف من الصناع الذين يستخدمهم فى معمله، فكان التعب والحرمان من نصيب فريق العمال وهم الأكثرية، والراحة والربح من نصيب الفريق الأقل وهم أصحاب العمل».

ويذهب المؤلف إلى أن العقاد لم يكن يوماً ما اشتراكيا فيقول ص١٨٩: «إنه فقط كان يؤمن بحق كل عامل فى أن ينال أجره الذى يتناسب مع عمله لا يظلم فيه شيئاً، وهى كرامة إنسانية موجودة من قبل اختراع الاشتراكية، ففى الأثر النبوى الشريف: أعط الأجير أجره قبل أن يجف عرقه «فهى دعوة إسلامية إلى العدالة الاجتماعية يبرزها العقاد فى رده على كل من يستغلون عمل العامل، ويبخسونه حقه فى أى زمان».

كان العقاد يؤمن بالديمقراطية نظاماً للحكم ومنهاج حياة ليتحقق للأمة الأمن النفسى والاجتماعى ويقدم المؤلف رأى العقاد فى الديمقراطية فيقول ص١٩٥: كتب العقاد فى سنة ١٩٤٣م فى مجلة الرسالة: «أنا أدافع عن الديمقراطية لأنها تؤمن بحرية الفرد، وتصلح الناس إصلاح الأحرار المكلفين، لا إصلاح العبيد المسخرين.

وكان العقاد قد كتب كتاب: «الحكم المطلق فى القرن العشرين» فى سنة ١٩٢٨م فند فيه سوءات الأنظمة المعادية للديمقراطية، ولم يقف العقاد عند الحدود النظرية للديمقراطية، فقد مارس النظام الديمقراطى عملياً، منذ ثورة ١٩١٩م فقد شارك فى الثورة، ثم كان عضواً بالبرلمان، ثم كان عضواً بمجلس الشيوخ.

وقد اختتم المؤلف هذا المعترك السياسى الذى خاضه العقاد بالإشارة إلى العلاقة بين عبدالناصر والعقاد فيقول ص٢١٤:

كان كل من عبدالناصر والعقاد يكن احتراما للآخر، روى يوسف السباعى ابن محمد السباعى صديق العقاد بالمصور فى ١٣/ ١١/ ١٩٧٠ - قصة حدثت فى سنة ١٩٥٨ يوم انعقد مؤتمر الأدباء العرب - وكان قد دعا إليه عبدالناصر للقاء الأدباء العرب والتحدث إليهم بقصر القبة، وقبل انعقاد المؤتمر وقف عبدالناصر فى حجرة مكتبه وسأل يوسف السباعى - مقرر المؤتمر - هل العقاد موجود؟ ولما علم بوجوده سر عبدالناصر وأبدى إعجابه به باعتباره كاتبا يعبر عن رأيه، وليس تعبيرا عن رأى أحد. كما ذكر أنه منذ شبابه الأول يقرأ كل ما يكتب العقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم.

«يتبع»

الذين يتحسسون القلوب للنبوة

لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى

كـان النبى "ﷺ" قـبل أن يوحى إليه يرى الرؤيا مثل فلق الصبح أى: واضحة وضوح النهار. واستمر ذلك ستة أشهر كما جاء فى الحديث. فقد روى عنـه ﷺ أنـه قـــال: الرؤيا الصالحة جزء من ستة وعشرين جزءا من النبوة. وقبيل ذلك كان يترائى له ما ينشرح له صدره وما يطمئن له فؤاده الشريف.. وكذلك كان كثيرون من أهل مكة وما حولهما يسـمعـون هواتف تهتف بهم وتخبرهم بمبعث نبى حان وقتـه أو تنهاهم عن عبادة الأصنام. وكان كثير منهم وإن لم يتأكد أو يثق فى صدق ما سمع أو رأى، إلا أن ما سمعه أو رآه كان دافعا أو حاملاً له على الدخول فى الإسلام (١)

كمـا أن بعض الروايات تنسب للنبى ﷺ أنه رأى شيئا من ذلك أو سمعه قبل أن يوحى إليه وقبل أن ينزل عليه جبريل "عليه السلام" بالقرآن. ونحن ننقلها للاستئناس بها وتأكيد ظاهرة الهواتف المبشرات له بقرب البعثة خصوصا أنها وقعت معه ﷺ وتقول الرواية: إن آت أتاه ومعه صاحبان له فنظروا إليه كأنهم يفترسونه ويتعرفون عليه فقالوا: هو هو. ولم يأن له بعد- أى: أنه هو المراد بالوحى لكن لم يأت أوان بعثته- فهال ذلك الذى رأى وسمع النبى -ﷺ- وذكر ما رأى لعمه أبى طالب فقال له عمه: «يا ابن أخى ليس بشيء حلمت». -كأنه يقول له لا تلق بالا لما رأيت أنه مجرد حلم.

ثم بعد فترة من الزمن جاء النبى -ﷺ- إلى عمه فقال: يا عم سطا بى «أى: تعدى علىّ» الرجل الذى ذكرت لك. فأدخل يده فى جوفى. فخرج به عمه إلى رجل من أهل الكتاب. يتطبب بحمكه فحدثه بحديثه- يعنى ذكر ما حدث مع النبى- وقال: عالجه. فصوب به وصعد - يعنى تأمله من كل جوانبه - وكشف عن قدمه وقال: ابنك هذا للخير، فيه علامات لو ظفرت به اليهود لقتلته وليست الرؤيا من الشيطان- يعنى أن ما رآه ليس حلما من الشيطان- ولكن من الملائكة. الذين يتحسسون القلوب للنبوة-أى: ما رآه هو من قبيل الملأ الأعلى الذين يبحثون عن القلوب المعدة لتحمل أعباء النبوة فتصلح لتلقى الوحى-.

وثمة حادث آخر وكان ما بعد بدء الوحى، فيروى أن السيدة خديجة قالت لرسول الله -ﷺ-:

«يا ابن عم أتستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاء؟: قال: نعم. قالت: إذا جاءك فأخبرنى به. فجاءه جبريل فقال رسول الله -ﷺ-: يا خديجة هذا جبريل قد جاءنى فقالت: قم يا ابن عم فاجلس على فخذى اليسرى. فقام ﷺ- فجلس على فخذها اليسرى. فقالت: هل تراه؟ قال: نعم. فقالت: قم فاجلس على فخذى اليمنى. فجلس. فقالت: هل تراه؟ قال: نعم. فأزالت خمارها والرسول ﷺ جالس على حجرها، ثم قالت: هل تراه؟ قال: لا. قالت: يا بن عم أثبت وأبشر فوالله إنه لملك ما هذا شيطان».

هذا الخبر تذكره كتب السير وكتب الحديث كثيرا وذلك مألوف وغير مستغرب أما الغير المألوف والمستغرب فهو ما يعلق به البعض على الخبر، ويقولون إن السيدة خديجة -رضى الله عنها- لما رأت من تخوف الرسول -ﷺ- لما يراه وما يأتيه أرادت أن تطمئن النبى -ﷺ- بمحاولتين إحداهما لما ذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل فبشره وطمأنه ووعده بالنصر والاتباع إن أدرك يومه. وقال له: إنه الناموس الذى نزل على موسى.

والمحاولة الثانية ما ورد فيما أسلفنا من طلب خديجة من أن ينام على فخذها الأيسر ثم الأيمن وكشفها لرأسها وسؤالها: هل جبريل أم انصرف؟ إن القول بأن هذه المحاولات ليطمئن الرسول الله- ﷺ-هو قول فاشل بليد يليق بعبث المستشرقين أو المستغربين لسببين:

● الأول: أن أحدا لم يشك فيما أوحى إلى أم موسى:

﴿ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي ﴾

(القصص: ٧)

ولم يشكك أحد فيما كان من السيدة مريم العذراء يوم أن

(١) انظر حاشية العلامة الدردير على قصة المعراج لنجم الدين الغيطى- ط مصطفى الحلبى.

﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾

(مريم: ١٧)

ولم يشكك أحد فيما قالت له وما قال لها:

﴿ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾

(مريم: ١٩)

● السبب الثاني: أن كلا المرأتين أم موسى، ومريم لم تبلغ أى منهما مقام سيدنا رسول الله -ﷺ- حتى يصدق ما وقع لهما ويشكك فيما حدث مع رسول الله -ﷺ- لكل ما سبق فإننا نجزم باليقين كله بأن ما قامت به السيدة خديجة -رضي الله عنها- لتطمئن هي، ولعل فيما فعلته لكي تستوثق مما جاء، هل الشيطان أو ملك فكشفت رأسها، لعل في ذلك تنبيها للغافلين الذين يتبعون الدجالين والمشعوذين المرتزقة فقدمت لهم وسيلة سهلة مقبولة تكشف أباطيلهم وضلالهم، وكشف ما يزعمون من علم وهم يتجنون على شرع الله فيستحلون الحرمات ويستحلون أكل مال السذج والمغرورين فما عليهم إلا أن يوقنوا أن وسائل المشعوذين لو اتخذت طريق الله حقا لما ساغ أن تكشف فيها عورات ولا أن تنتهك حرمات، لأن شرع الله واحد وقانون الطهارة والعفة في شرع الله لا يتخلف، لكن ماذا تقول وسحب الضلالة كثيفة وحجب الظلمات بعضها فوق بعض؟!

اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون

وبعد فإن حديث بدء الوحي مثبت في كتب الصحاح وكتب السيرة، وفيه أن أمين الوحي جبريل جاء إلى النبي -ﷺ- وهو يتعبد في غار حراء في ليلة من ليالي شهر رمضان وقال له: أقرأ. فقال: ما أنا بقارئ. فغطه غطة شديدة ثم قال اقرأ. فقال: ما أنا بقارئ. فغطه الثانية. وقال: اقرأ. فقال ما أنا بقارئ. فغطه الثالثة. وقال:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

(العلق: ١: ٥)

وتود أن نسأل أسئلة نرى أن الإجابة عنها ضرورية.

● أولاً: هل كان جبريل يعرف النبي ﷺ؟ وإذا كان الجواب بنعم، فهل هناك احتمال أن يخطئ جبريل في شخص النبي؟

● ثانياً: ما معنى أن يقول جبريل للنبي -ﷺ- اقرأ ويرد عليه النبي -ﷺ-: ما أنا بقارئ؟ وما معنى تكرار الطلب ثلاثاً؟ هذه أسئلة نرى أن الإجابة عنها ضرورية، حيث لا نبغي من استعراض السيرة مجرد السرد، إنما نراها فرصة أن نتوصل من خلال ذلك إلى توضيح إشكاليات توهمها المستشرقون بصدور طافحة بالغل والحقد على الرسالة والرسول نقول:

إن الذى أرسل جبريل هو الله -سبحانه وتعالى- وأرسله برسالة يلقيها إلى محمد بن عبدالله وما كان لرسول أن يرسل مبعوثا لا يعلم مهمته وحتى على المستوى البشرى القاصر، فإنك إن أرسلت شخصا في مهمة ما، فلابد أن تعلمه بمهمته بشخص من هو ذاهب إليه، وإلا فيكون الأمر عبثا فما بالك إذا كان المرسل هو الله سبحانه وتعالى والمرسل هو أمين الوحي جبريل خصوصا أن هذه لم تكن المهمة الأولى التي يقوم بها جبريل حيث إنه سبق أن أرسل إلى جميع الأنبياء والرسل. وبالله عليك لماذا لم يثر هذا التساؤل الذميم في باقي الرسل لماذا لم يخطئ جبريل عندما أرسل بصحف إبراهيم وموسى وفي إنجيل عيسى؟ أليس في ذلك تحيز وضيع أن ينسب لجبريل جهل أو احتمال خطأ في شخصية الرسول -ﷺ-؟ ونحسب أن زعم البعض في أن جبريل أخطأ حين نزل بالوحي عندما نزل على رسول الله -ﷺ- وفي زعمهم أن المقصود بالرسالة كان علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- هذا سخف لا يليق وهراء غير مستساغ.

نقول: إن سيدنا رسول الله ﷺ يعرف جبريل عليه السلام، والملائكة كلهم يعلمون النبي ﷺ ويعلمون رسالته، وإليك الدليل: سئل النبي ﷺ: متى وجبت لك النبوة يا رسول الله؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد»(٢) وتريد أن نسأل ما معنى «وجبت»؟ هل معناها: فرضت؟ لا يصح لأن نبوة النبي -ﷺ- فرضت بعد بعثته، حيث إنه بعد بعثته وجب الإيمان به والتصديق برسالته.

وإذا كانت كلمة «وجبت» بمعنى ثبتت فإن ثبوتها قديما في علم الله وليس يوم أن كان آدم بين الروح والجسد إذن لا يصح إلا أن تكون «وجبت» بمعنى عرفت للملأ الأعلى أي أن نبوته -ﷺ- أذيعت وانتشرت في الملأ الأعلى وأنه خاتم الرسل، إذن فجبريل قد عرف الرسول -ﷺ- في الملأ الأعلى ولا يعقل أن يخطئ في شخصه، أما عن تكرار طلب جبريل من سيدنا رسول الله -ﷺ- «اقرأ» وتكرارها ثلاث مرات والرسول ﷺ يرد رافضا أو مستفهما بقوله: «ما أنا بقارئ» فنجيب عنها في اللقاء القادم بإذن الله تعالى.

***

(٢) سنن الترمذي.

طرائف.. ومواقف

للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

أفضل الأعمال

سأل رجل رسول الله ﷺ عن أفضل الأعمال، فقال: العلم بالله، والفقه في دينه، وكررهما عليه. فقال الرجل: يا رسول الله أسألك عن العمل فتخبرني عن العلم. فقال له: إن العلم ينفعك معه قليل العمل، وإن الجهل لا ينفعك معه كثير العمل.

وقال وهب: ابذل علمك لمن يطلبه، وادع إليه من لا يطلبه، وإلا فمثلك مثل من أهدى إليه فاكهة فلم يطعمها ولم يُطعمها حتى فسدت.

وقال حكيم: قوت الأجسام المطاعم والمشارب، وقوت العقل الحكمة والعلم.

وقال الزهري: تعلم سنة خير من عبادة سنتين، وثمرة الأدب العقل الراجح، وثمرة العلم العمل الصالح، وأفضل ما أعطى العبد في الدنيا الحكمة، وفي الآخرة الرحمة.

وقال أبو يوسف: مات لي ابن فأمرت رجلاً أن يتولى أمر دفنه، ولم أدع مجلس أبي حنيفة، خشية أن يفوتني منه يوم.

نقول: إن هذا هو أعجب مثال للحرص على العلم، ولكنه ليس بحسن.

من حكم الإمام علي رضي الله عنه

من حلم ساد، ومن ساد استفاد، ومن استحيا حرم، ومن هاب خاب، ومن طلب الرياسة صبر على السياسة، ومن أبصر عيب نفسه عمي عن عيب غيره، ومن احتفر لأخيه بئراً وقع فيها، ومن نسي زلته استعظم زلة غيره، ومن هتك حجاب غيره انتهكت عورات بيته، ومن كابر في الأمور عطب، ومن اقتحم اللجج غرق، ومن أعجب برأيه ضلَّ، ومن استغنى بعقله زل، ومن تجبَّر على الناس ذل، ومن تعمَّق في العمل ملَّ، ومن صاحب الأنذال حقر، ومن جالس العلماء وقر، ومن دخل مداخل السوء اتهم، ومن حسن خلقه سهلت له طرقه، ومن حسن كلامه كانت الهيبة أمامه، ومن خشي الله فاز، ومن استقاد الجهل ترك طريق العدل، ومن عرف

أجله قصر أمله ثم أنشد يقول:

ألبس أخاك على عيوبه
واستر وغط على ذنوبه
واصبر على بهت السفيـ
ـه وللزمان على خطوبه
ودع الجواب تفضلاً
وكل الظلوم إلى حسيبه

متى نصمت ومتى نتكلم

قال رجل لعمر بن عبدالعزيز: متى أتكلم؟ قال إذا اشتهيت أن تصمت، قال: فمتى أصمت؟ قال: إذا اشتهيت أن تتكلم.

الجود

الجود صفة من أعلى الصفات رتبة، وقد خصها الناس بالإجلال والإكبار في كل زمان ومكان، لأنها أدل شيء على سمو النفس. ألا ترى أن قيس بن عاصم المقري المشهور بالجود، لما وفد على النبي ﷺ بسط له رداءه وقال هذا سيد الوبر. ولما توفي قيس قال فيه الشاعر:

عليك سلام الله قيس بن عاصم
ورحمته ما شاء أن يترحما
تحية من ألبسته منك نعمة
إذا زار عن شحط بلادك سلما
وما كان قيس هلكه هلك واحد
ولكنه بنيان قوم تهدما

إخوان الصدق

قال الأحنف بن قيس:

خير الإخوان إن استغنيت عنه لم يزدك في المودة، وإن احتجت إليه لم ينقصك منها وإن كوثرت عضدك، وإن استرفدت رفدك، وأنشد:

أخوك الذي إن تدعه لملمة
يجبك وإن تغضب إلى السيف يغضب

جوهرتان

أنشد علي بن الجهم جعفر المتوكل شعره الذي أوله: هي النفس ما حملتها تتحمل، وكان في يد أمير المؤمنين جوهرتان، فأعطاه التي في يمينه جائزة له على ما أنشده من مدح: فأطرق ابن الجهم متفكراً في شيء يقوله ليأخذ التي في يساره، فقال له الخليفة مالك مفكراً، إنما تفكر فيما تأخذ به الأخرى. خذها لا بورك لك فيها. فأنشأ ابن الجهم يقول:

بسر من رأى إمام عدل
تغرف من بحره البحار
يرجى ويخشى لكل أمر
كأنه (جنة) ونار
الملك فيه وفي بنيه
ما اختلف الليل والنهار
يداه في الجود ضرتان

عليـه كلتـاهمـا تغـار
لم تأت منه اليمين شيئاً
إلا أتت مثله اليسار

□ ثلاث □

قال عمر بن الخطاب: ثلاث يثبتن لك الود فى صدر أخيك: أن تبدأه بالسلام، وتوسع له فى المجلس، وتدعوه بأحب الأسماء إليه.

وقال: كفى بالمرء غياً أن تكون فيه خلة من ثلاث: أن يعيب شيئاً ثم يأتى مثله، أو يبدو له من أخيه ما يخفى عليه من نفسه، أو يؤذى جليسه فيما لا يعنيه.

□ أحسن العزاء □

رثا «متمم بن نويرة» أخاه مالك بن نويرة الذى قتل بيد خالد. فلما استنشده عمر ذلك الشعر قال:

لقد لامنى عند القبور على البكا
رفيقى لتذراف الدموع السوافك

فتأثر به عمر، وقال: ليت مثله قيل لأخى زيد بن الخطاب -وكان قد استشهد فى القتال للإسلام- فقال «متمم»: ولكن أخى مالكاً لو قتل كما قتل أخوك لم أبك عليه (هدف مختلف).

فقال عمر: لم يعزنى أحد فى أخى زيد ابن الخطاب أحسن من هذا العزاء.

□ الصلاة للدرة!! □

صلى رجل صلاة مختصرة، فقام إليه سيدنا على بن أبى طالب -رضى الله عنه- بالدرة وقال: أعدها. فلما فرغ قال: أهذه خير أم الأولى، فقال الرجل: بل الأولى، فقال: لم؟ فقال: لأن الأولى لله، والثانية للدرة.

□ نفس كريمة □

إذا نالك الدهر بالحادثات
فكن رابط الجأش صعب الشكيمة
ولا تهن النفس عند الخطوب
إذا كان عندك للنفس قيمة
فوالله ما لقى الشامتون
بأحسن من صبر نفس كريمة

□ دعاء □

اللهم إنى أسألك نجاح الأمل عند انقطاع الأجل.

اللهم اجعل خير عملى ما ولى أجلى.

اللهم اجعلنى من الذين إذا أعطيتهم شكروا، وإذا ابتليتهم صبروا، وإذا ذكرتهم ذكروا.

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم
أحمد السيد تقى الدين

الفقراء.. عيال الله

أم تقتل إبنها بعد أن عجزت عن توفير متطلباته من ملبس ومأكل ومصاريف دروس خصوصية!!

أب يقتل أبناءه خوفاً عليهم من الفقر!!

شاب ينتحر بعد أن عجز عن توفير متطلبات الزواج!!

ابن يقتل أباه بسبب بخله فى الإنفاق عليه...!!

قائمة طويلة لعناوين صفحات الجريمة فى الصحف المصرية.. رجال القانون وخبراء الجريمة ورجال الدين تباروا فى إبداء آرائهم فى أسباب انتشار تلك الجرائم التى كادت تصبح سمة من سمات الحياة اليومية فى مجتمع الأحياء العشوائية أو المجتمعات شديدة الفقر فى مصر.

رجال القانون وخبراء الجريمة عكفوا على إعداد دراسات ومقالات تتحدث عن الظاهرة: أسبابها ووسائل علاجها.. ناقشوها فى الصحف والفضائيات، وكذلك رجال الدين كتبوا بدورهم فى الصحف، وتحدثوا فى الفضائيات، وفى المساجد متهمين المجتمع بالبعد عن الدين، وبالانحلال، وأن الغنى لم يعد يشعر بآلام الفقير ومعاناته!!

الكل تفرغ لكتابة المقالات تتوسطها صورة الكاتب واسمه، أو للحديث فى الفضائيات متباهياً بآرائه وكتاباته ومطالباً بضرورة تطبيقها.

لكن أحداً لم يذهب إلى مسرح الأحداث.. لم يذهب أى من الكتاب والباحثين والوعاظ من المتباهين بثقافاتهم وآرائهم إلى الأحياء العشوائية الرازحة تحت أعباء الجهل والفقر والمرض لدراسة أحوال هؤلاء الناس ومعايشتهم بهدف وضع حلول حقيقية لما يعانونه من مشكلات.. وقبع خطباء المساجد فى

مساجدهم يقيمون الشعائر ويلقون دروس الوعظ والإرشاد لا يكلفون أنفسهم مشقة الخروج من مساجدهم لمعايشة المشكلات المحيطة بهم والمشاركة فى اقتراح ووضع الحلول المناسبة لها.

لم نسمع عن رجال أعمال يتقدمون بمشروعات لتطوير العشوائيات والمجتمعات شديدة الفقر بعد أن أثروا أو آثر نفر منهم إنفاق الفائض من أموالهم على أمور يندى لها الجبين تنشرها الصحف على اختلاف انتماءاتها قومية وحزبية ومستقلة.

لم نسمع عن أطباء من ذوى السمعة والصيت العلمى يتبرعون بجزء من وقتهم لعلاج الفقراء، بل لم يقدم واحد منهم على كثرتهم على افتتاح مستشفى أو عيادة لتقديم خدمات طبية راقية.

لم تقم شركات الإسكان على كثرتها وتعددها بإنشاء مساكن آدمية لإيواء سكان العشوائيات وتفرغوا لإنشاء منتجعات وقرى سياحية ومدن سكنية فاخرة لا تجد من يسكنها تحوى حمامات سباحة، وبحيرات ذات أمواج صناعية، وبخلوا عن مد يد العون والمساعدة بإعطاء الفقراء الحقوق التى جعلها الله فى أموالهم وهى زكاة مالهم.. ربع العشر يقيمون به مساكن للفقراء وللعاجزين عن الوفاء بمتطلبات الزواج.

المجتمع كله متهم ومدان بالتسبب والتورط فى انتهاك كرامة الفقراء فلا يعقل على الإطلاق أن يعيش قوم فى ثراء فاحش وتعيش عشرات الآلاف من الأسر فى فقر مدقع ينهش مستقبلهم وأحلامهم.

صحيح أن المجتمع ليس فى أغلبه مجتمع أثرياء، ولكنه فى أغلبه سكت تماما عما يحيط بالفقراء من بؤس وشقاء دفعهم إلى قتل أولادهم.. أمل الأمة من أجل مستقبل أفضل، ودفعهم - أيضاً - إلى اليأس من الحياة نفسها والإقدام على قتل النفس والانتحار.

المدن العشوائية والأحياء الفقيرة كارثة بكل ما تحمله الكلمة من معنى.. كثير من البشر آلاف، وعشرات الآلاف لا يملكون شيئا على الإطلاق فبيوتهم عشوائية مقامة على أراض لا يمتلكونها، ومن الطبيعى أن تحوى هذه الأحياء بؤرا وأوكارا إجرامية بعد أن فقد سكانها كل معانى الإحساس بالآدمية ولا يوجد من يمد لهم يد المساعدة ولا حتى من باب الفخر والمباهاة.

لابد أن تتكاتف مؤسسات المجتمع المدنى بكافة أشكالها: حكومية وأهلية من أجل وضع الحلول وتنفيذها على أرض الواقع وبوجه خاص الجامعات بما تضمه من خبراء فى البحث العلمى، لابد من إنشاء مدارس ومعاهد تعليمية راقية فى المجتمعات العشوائية والأحياء الفقيرة، نقول مدارس ومعاهد تعليمية راقية لا نعنى الأبنية فقط وإنما نعنى خبرات وكفاءات وكوادر بشرية عالية المستوى، وأن يكون الهدف التكافل والرحمة والعطف، لا الرغبة فى جنى الأرباح الطائلة على أجساد الفقراء عيال الله.

أحمد تقى الدين

شعبان.. حبيب رسول الله!

تحت هذا العنوان جاءت مشاركة الشيخ مصطفى الأزهرى - إمام وخطيب مسجد سوق الحمام - السيدة عائشة - القاهرة:

لكل أمة أيامها التى تقدسها لحدث من الأحداث أو سبب من الأسباب، فالأيام تأخذ من جلال ما يقع فيها، وإن من فضل الله على أمة الإسلام أن الله تبارك وتعالى فضل بعض الأيام على بعض، كما فضل بعض الشهور على بعض، وكذلك فضل المرسلين بعضهم على بعض قال تعالى:

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾

وإذا كان الناس يقدسون أياماً معينة لأحداث معتبة فإن ديننا الحنيف جعل فضائل الأيام والشهور والأزمنة شريعة وتدينا؛ فنحن أمة اتباع ولسنا أمة ابتداع؛ ولنا رسول نقتفى أثره ونتبع سنته قال تعالى:

﴿ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

فالأيام فى الإسلام تعنى الوقت والعمر، والليل والنهار مطيتان ينقلان العبد إلى الله والدار الآخرة وعليهما يسعى الإنسان إلى اللقاء الأعظم قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾

فى حياتنا نجد أمراء الناس وحكامهم لا يتقدمون المواكب الحافلة إلا أن يكون بين أيديهم ما نسميه بـ«التشريفة» وهى المواكب - فإننا نرى شهر شعبان تشريفة قدسية وتوقيراً نبوياً جليلاً للشهر الفضيل القادم وهو شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ولعل تلك الإشارة التى أخذنا بها تؤكدها روايات عديدة وصحيحة وردت فى احتفاء النبى ﷺ بشهر شعبان وتنفله فيه بكثير الصيام، ومن ذلك حديث عائشة رضى الله عنها قالت (ما رأيت النبى ﷺ فى شهر أكثر صياماً منه فى شعبان كان يصومه إلا قليلاً بل كان يصومه كله) رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى وعنها رضى الله عنها قالت: (كان أحب الشهور إلى رسول الله ﷺ أن يصومه شعبان ثم يصله برمضان) رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد وصححه الألبانى.

ثم إن استبنت حكمة هذا الاحتفاء النبوى الجليل والجميل بصيام أكثر شهر شعبان فى أنه شهر الأعمال المرفوعة وهو - للأسف - شهر الغفلة عند من لم يعرف قدره فيقصر فيه بحجة أنه سيعوض ذلك فى شهر رمضان ثم يأتى رمضان وقد فوت الشيطان على العبد التدريب على الصيام والعبادة والتقرب إلى الله عز وجل؛ فعن أسامة بن زيد قال: قلت: يا رسول الله لم أرك تصوم شهراً من الشهور ما تصوم من شعبان؟ قال ﷺ: ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحب أن يرفع عملى وأنا صائم) رواه النسائى،

وأحمد، وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

ومن بركات الإسلام علي أهله أن يخصص لهم الأيام والليالي يكونون فيها إلى الله تعالى أقرب يزيد لهم من الحسنات ويرفع لهم الدرجات وتتنزل فيها عليهم الرحمات، ومن تلك الليالي المجيدة في حياة المسلمين، ليلة النصف من شهر شعبان وهو ما وردت به روايات صحيحة عن النبي ﷺ لكن يتعلق فضل تلك الليلة المباركة بتصفية القلوب من الغل والضغينة والشحناء والخصام؛ فهي ليلة القلوب الصافية والنفوس الطاهرة والبواطن المشحونة بنور الله عز وجل وحب الخير للناس أجمعين، فعن أبي موسى الأشعرى عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله ليطلع في ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن) رواه ابن ماجه وحسنه الألباني.

وعن أبي ثعلبة الخشني قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا كانت ليلة النصف من شعبان اطلع الله إلى خلقه فيغفر للمؤمنين ويملي للكافرين ويدع أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه) رواه البيهقي وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

فاللهم بارك لنا في رجب الذى مضى، وشعبان الذى حل، وبلغنا شهر رمضان ونحن في عفو منك وعافية يا أرحم الراحمين..

عشرة أسباب

ومن: أمل شعبان طه إبراهيم ـ طالبة بكلية دار العلوم ـ المنيا كانت هذه الكلمات التي حملت عنوان: «عشرة أسباب لعدم إجابة الدعاء».

حكى أن إبراهيم بن أدهم ـ رحمه الله ـ مر بسوق البصرة فاجتمع الناس إليه وقالوا له: يا أبا اسحاق، ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا قال: لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء:

(الأول): عرفتم الله ولم تؤدوا حقه.

(الثاني): زعمتم أنكم تحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركتم سنته.

(الثالث): قرأتم القرآن فلم تعملوا به.

(الرابع): أكلتم نعم الله ولم تؤدوا شكرها.

(الخامس): قلتم إن الشيطان عدو لكم ولم تخالفوه.

(السادس): قلتم إن الجنة حق ولم تعملوا لها.

(السابع) قلتم إن النار حق ولم تهربوا منها.

(الثامن): قلتم إن الموت حق ولم تستعدوا له.

(التاسع): انتبهتم من النوم فاشتغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم.

(العاشر): دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم.

القراءة بدون معلم!!

كلمات نقدية حوتها رسالة الأستاذ/ محمد السيد محمد نمير ـ العجمى ـ إدكو ـ محافظة البحيرة ـ يتحدث فيها عن ظاهرة نفر من القوم ادعوا العلم لمجرد إتقانهم مبادىء القراءة والكتابة، فانطلقوا يفسرون الدين على هواهم ويزعمون لأنفسهم القدرة على الفهم والتأويل والاجتهاد والاستنباط.

يتعجب بعض الكتاب ويتكرون أن يكون حق الفتوى فيما يتعلق بأمور الدين قاصرا على علماء الدين ذوى الاختصاص في هذا المجال لدرايتهم بدروبه وبما أعدوا أنفسهم لخوض غماره ودراستهم لعلم أصول الفقه على يد رجاله ومعايشتهم له في بطون مراجعه وما خلفه علماؤه من أمهات الكتب لتكون المعين لمن يتصدى للفتيا والحديث عن الحلال والحرام، هؤلاء المتكرون حصيلتهم في العلوم الشرعية هي أن يقرأ كتابا في هذا الباب فإذا به أصبح عالما. وهو القائل عن نفسه: «لم أدخل الكتاب ولم أحفظ القرآن وكانت كل قراءاتي مدنية حديثة مع التركيز على الجوانب الحضارية في الإنسانية، هذا نص حديثه عن نفسه، وفي إجابة عن سؤال وجه إليه: من أثر فيك على المستوى الفكرى من العلمين والشخصيات؟ كانت إجابته (لا أحد مطلقا) نعم إن للإسلام رجالا ذوى اختصاص في إصدار الأحكام الشرعية، وإليهم يرجع الرأى، ومنهم تؤخذ الفتوى، لا من هؤلاء ضحلى الحصيلة في العلوم الشرعية المتخبطون المتسرعون في إصدار الأحكام الذين ليست لديهم القدرة على استيعاب فقه المصالح والمفاسد والعلم بمراتبها.. ووقف علمهم عند القراءة من الكتب بدون معلم وأعرضوا عن العلماء وأسرفوا في ذم التقليد ولم يحسنوا التطبيق وأعماهم الغرور والعجب بأنفسهم، ولم يدركوا عاقبة أن يأخذ العامة بآرائهم، ويعود عليهم وزرهم ووزر من يأخذ عنهم.. فليتق الله كل من يتصدى للفتوى ويقول هذا حلال وهذا حرام والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ

ومن الأستاذ/ السيد حسين العزازى ـ وكيل وزارة بالكهرباء و الطاقة سابقا ـ جاءت هذه الرسالة:

آيات القدرة في القرآن الكريم كثيرة وعديدة وجميعها تشير إلى عظمة الله وجليل سلطانه الذى يشتمل الوجود ظاهره وباطنه، معلومه ومكنونه، وما نحيط به أو نجهل منه وصدق الله العظيم:

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾

(آية ٨٥ الأسراء)

وثمة ما يثير الإبهار ويستدعي التأمل ويتجاوز الأبصار إلى نور البصائر وعمق اليقين بكل تجليات

الإيمان والتسليم في مواضع عدة تحملها آيات الذكر الحكيم من ذلك قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾

(آية ٦ الرحمن)

وسجد بمعنى خضع، ويقال سجدت السفينة للريح أي أطاعتها ومالت ميلها، وسجود النجم والشجر بمعنى الخضوع والامتثال لقدرة الله ومشيئته وكلنا يعرف عملية التمثيل الضوئي (الكلوروفيل) للنباتات وامتصاص ثاني أكسيد الكربون، وإفراز الأكسجين لتوفير الهواء النقي اللازم لاستمرار دورة الحياة، كما نلحظ دور الأشجار في توفير الظل بتفاعل منضبط مع حركة الشمس في الفضاء وأن ثمة علاقة مباشرة بين الأشجار والنجوم وبخاصة الشمس التي تعد مصدرا لعملية التمثيل الضوئي، وأن العلاقة المنظمة والدقيقة بلا إخلال أو اختلال إنما تعكس خضوعا لناموس القدرة والمشيئة الربانية.

وقد أثبت العلم الحديث أن الأشجار تصدر أصواتا وذبذبات عند قطعها، ولا جديد إن سلمنا بأنها تسبح بحمد خالقها تنزيها وتقديسا وخشوعا:

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾

(آية ٤٤ الإسراء)

أما النجوم والكواكب فقد سجلت الأبحاث أنها تصدر صوتا كالنبض وكأنها قلب يدق فضلا عن علاقتها بالمجموعة التي تتبعها وتدور في فلكها والمحكومة بمسافات ومجالات تضمن استمرارها بلا اصطدام أو ارتطام. وتأمل دورة القمر وحركة الشمس لتستخلص دون عناء قدرة الله فيهما وخضوعهما لتقديره وتدبيره.

ـ وإذا كانت الملائكة مجبولة على الطاعة لله فإن ابن آدم أكثر ما يكون قربا من الله وهو ساجد وصدق الله العظيم:

﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴾

(آية ١٩ العلق)

وانسحاب السجود على مخلوقات غير البشر يعني أن الخالق العظيم قد فطر خلقه بشرا وشجرا وحجرا على السجود:

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾

(آية ١٥ الرعد)

والمقصود بالحجر الجبال والكواكب وكما في الأرض جبال راسية ففي الفضاء جبال سيارة وهي الكواكب مرفوعة بقدرة الله بلا أعمدة فتثبت ولا تسقط:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾

(آية ٤١ فاطر)

ويروى عن رسول الله ﷺ أنه سمع تسبيح الحصى بين يديه وأنه دعى الشجرة للمثول بين يديه فتحركت وانتقلت من مكانها لتقدم برهانا للمشركين على صدق نبوته وكمال رسالته، يضاف إلى ذلك حالات الانشقاق إذ انشق القمر إلى نصفين وظهر في اتجاهين متقابلين في وقت واحد:

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾

(١: ٢ سورة القمر).

وتلك دلالات على أن الموجودات مأمورة بإذن الله وهي تسجد وتسبح خضوعا لله وحمدا وعلى النسق الذي يتفق وطبيعتها وإمكانياتها التي أتاحها الله لها.

ومن كمال الإيمان أن نثق أن الله على كل شيء قدير وأنه وهاب بلا حدود فعال لما يريد وتبارك الله أحسن الخالقين.

أنباء مكتب الإمام الأكبر

للأستاذ / أحمد إبراهيم توفيق
مدير عام الإعلام بمكتب الإمام الأكبر

الإمام الأكبر:

الانقسام الفلسطيني قاد المنطقة إلى ضرر محقق

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر وفدا من الشخصيات الفلسطينية المستقلة وقد تم استعراض الأوضاع في الأراضي الفلسطينية المحتلة وما يتعرض له شعب فلسطين الشقيق من عدوان إسرائيلي دائم حيث المسجد الأقصى الأسير تنتهك حرماته وتغير معالمه ويهدد بنيانه، والقدس العربية تهود وتخضع لمخططات غير مشروعة لتغيير هويتها الثقافية وطابعها العمراني، ولطرد سكانها العرب من مسلمين ومسيحيين، وغزة محاصرة يمنع عن أهلها الغذاء والدواء والوقود وكل أسباب الحياة، وأهلها المجاهدون الصابرون يتحملون من شظف العيش وضيق الحصار وانهيار البنى الأساسية من صحة وتعليم وصناعة وزراعة ما لا يمكن لصاحب ضمير حي أن يسمح به أو يقبله.

أما الضفة الغربية فهي محصورة بين جدار عازل ومستوطنات تغتصب أرضها وتمزق وحدتها، ومازالت تخضع للاحتلال العسكري الإسرائيلي المباشر الذي يقتل ويعتقل ويصادر الأرض ويهدم البيوت ويقيم مئات الحواجز لمنع التواصل بين مدن الضفة وقراها.

وإزاء هذا الوضع الخطير، فإن الإمام الأكبر من موقع العلم ومن واقع المسؤولية الإسلامية



والقومية، يهيب بالإخوة الفلسطينيين مهما كانت انتماءاتهم أن يرتفعوا فوق خلافاتهم وأن يستشعروا فداحة المسؤولية ودقة الموقف وأن يدركوا أنه لايمكن مواجهة العدوان والصلف الإسرائيلي بالفرقة والخلاف، ومن هنا فإن المصالحة الفلسطينية تصبح فريضة شرعية، مصداقا لقول الله تعالى :

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

إن الانقسام الحالي بين الفلسطينيين قاد المنطقة إلى ضرر محقق، وإزالة الضرر تقتضي زوال السبب، ومن ثم فإن الإخوة الفلسطينيين مدعوون لبذل كل الجهد لإتمام المصالحة، تأسيسا على القواسم المشتركة والحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني، وعليهم نبذ التعصب الحزبي والفئوي والتسامي فوق الصغائر.

وجدير بالقادة الفلسطينيين أن يتقوا الله في شعبهم وفي أمتهم العربية والإسلامية وأن يعملوا على رأب الصدع وإزالة الفرقة.

وفي هذا السياق فإن الأزهر الشريف يستصرخ الشعب الفلسطيني والأمة العربية والإسلامية قادة وشعوبا لدعم كل جهد صادق للمصالحة الفلسطينية والتوقف فورا عن كل ما من شأنه تعويق هذه المصالحة أو تأخيرها.

ويدعو المسلمين إلى ضرورة الانتباه إلى أن وضع العراقيل في طريق هذا الواجب المقدس إنما هو إثم ومعصية حسابها عند الله يوم القيامة.

ويأمل الأزهر شيوخه وعلماؤه من الأمة العربية والاسلامية أن تتحمل مسئوليتها التاريخية في نصرة هذا الشعب الصابر على الظلم والعسف والعدوان ومساندته في كفاحه المشروع من أجل استرجاع حقوقه السليبة.

كما يؤكد على ضرورة تضافر الجهود العربية أولا والدولية ثانيا لرفع الحصار الظالم المفروض على قطاع غزة والذى يخالف كل المواثيق الدولية والشرائع السماوية، وينتهك المبادىء الأساسية لحقوق الإنسان، ويمثل عدوانا مستمرا وظلما صارخا تجب مواجهته، دينا وأخلاقا وقانونا. (ألا قد بلغت اللهم فاشهد)

البعوث الأزهرية لشهر رمضان المعظم

أصدر فضيلة الإمام الأكبر الاستاذ الدكتور أحمد الطيب القرار رقم ٣٧٥ لسنة ٢٠١٠

بالموافقة على سفر السادة الآتية أسماؤهم بعد إلى الجهات المبينة قرين اسم كل منهم للوعظ ونشر الثقافة الإسلامية لمدة لا تتجاوز شهر رمضان المعظم عام ١٤٣١هـ على أن يتحمل الأزهر قيمة تذاكر السفر وبدل السفر المقرر قانونا لكل منهم وهم:

بدر الدين حسن حسيني - المركز الإسلامي ببراجواي - عاطف أحمد محمد سليم - المركز الإسلامي الهلال ببوخارست - رومانيا - عبدالكريم محمد حسنين البيه - المركز الثقافي الإسلامي باوستيا - إيطاليا - محمود محمد عبدالجواد محمد - المركز الثقافي بروما.

محمد يوسف عبدالمجيد محمد - مؤسسة مسجد قباء بلاهاي.

محمود سليمان فرج الدهمة - المركز الإسلامي بكوبنهاجن.

حامد شاكر شديد على - مركز مروة الشربيني والتربية بمدينة دريسدن - ألمانيا.

مصطفى محمد على واصل - جمعية الرحمة للاندماج الحضاري ببرلين.

محمد أحمد محمد عبدالعال - الجمعية الإسلامية مسجد النور ببرلين.

أحمد عيد محمد شندى - رابطة الثقافة العربية بمدينة كيل بهامبورج.

حمدى عبدالحكم عبدالمجيد - صلاح أحمد مصطفى السقيم - سليمان عبدالرحيم عبدالله سليمان - عمر مطاوع عمر بعرور - عربي كمال حسب النبي رزق - أبوبكر موسى محمد شومان - عبدالعليم محمود محمود رشوان - عبدالعاطي معوض محمود خفاجة - شاذلي حسن حامد محمود - يونس أحمد محمد سليمان - المركز الثقافي الإسلامي - أيرلندا.

صابر سعيد أحمد محمد - مسجد الحسنين بمدينة توري مولينوس - اسبانيا.

رضا عبدالجليل أحمد معروف - مسجد الثناء بمدينة بن المدنة - اسبانيا.

محمد فوزى عبدالناصر عبدالحافظ – مسجد الخيرات بمدينة ماريا – اسبانيا.

محمود محمد محمود شرف – مسجد السلام بمدينة مالقا – اسبانيا.

سعد يوسف رمضان يوسف – مسجد التقوى بمدينة قس سان بدرو – اسبانيا.

محمد محمود إبراهيم نصار – الرابطة الإسلامية بمدينة بوتشراك باستكهولم – السويد.

عبدالله محمد سعيد نوح – الوقف الإسلامى الثقافى بمدينة بازل – سويسرا.

موسى أحمد سيد منصور – مسجد النور بمدينة فاونت فالى بكاليفورنيا – أمريكا.

وهدان أحمد المرشدى – الجمعية الإسلامية بسيدنى – استراليا.

السيد محمد سليمان البحراوى – المركز الإسلامى فى كلاجنفورت – النمسا.

أوائل الشهادة الابتدائية الأزهرية

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد الطيب – شيخ الأزهر الشريف – يوم الأحد الموافق ١٣ / ٦ / ٢٠١٠ نتيجة امتحان الدور الأول للشهادة الابتدائية الأزهرية للعام الدراسى ٢٠٠٩ – ٢٠١٠ على مستوى الجمهورية بنوعيها «مبصر – كفيف».

تقدم لاداء الامتحان «١٨١٣٥٣» تلميذا وتلميذة حضر منهم لأداء الامتحان «١٧٩٧٣٢» تلميذا وتلميذة تخلف «١٦٢١» تلميذا وتلميذة نجح منهم «١٢٥١٥٠» تلميذا وتلميذة وقد بلغت النسبة المئوية للنجاح «٦٩,٦٣٪».

والعشرة الأوائل من المبصرين على مستوى الجمهورية هم:

هبة عبدالله عبده – «كفر الشيخ» – سلوى فريد محمد «الوادى الجديد» – عمر حجاج حسن «القاهرة» – هدير عادل محمد «الشرقية» – آمال محمد إبراهيم «الشرقية» – يوسف عصام أحمد «الإسماعيلية» – أمانى على ماهر «القاهرة» – جهاد أحمد معوض «الدقهلية» – أنهار حسن على «الشرقية» – هاجر محمد عبدالحميد «المنيا» – أسماء المغربى عبدالتواب «السويس».

وأوائل المكفوفين على مستوى الجمهورية

عبدالرحمن إبراهيم عبدالرحمن «الغربية» – مريم عبادة محمد «حلوان» – أحمد صلاح أحمد «الشرقية» أحمد سيد أحمد «الدقهلية» – أيمن أحمد محمد «الدقهلية» – كريم محمد محمد «سوهاج» – محمد محمد موسى «الاسكندرية» – عبدالرحمن ناجح جاد «سوهاج» – كرم عيد عيد زلط «المنوفية» – الأمين فتحى نعيم «الاسكندرية».



الإمام الأكبر فى استقباله لوفد اتحاد الطلاب الوافدين: ٨٠٪ من منح الأزهر للكليات العملية

أكد فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر على الدور الذى يقوم به الأزهر وجامعته لرعاية الطلاب الوافدين الدارسين فى الأزهر من دول العالم.

وخلال استقباله لوفد اتحاد الطلاب الوافدين بمدينة البعوث الإسلامية قال فضيلته: إن الدارس فى الأزهر ملتزم بمنهج الأزهر الوسطى المعتدل البعيد عن الغلو والتطرف.

وأشار إلى وجود (٦) وزراء فى حكومة دولة تشاد من خريجى الأزهر وان وزير التربية والتعليم الحالى فى تشاد خريج جامعة الأزهر العام الماضى.

وخلال اللقاء استجاب فضيلة الإمام الأكبر للرغبات التى عرضها الطلاب وأصدر عددا من القرارات التى تعود بالخير على الطلاب الوافدين تدفعهم لمواصلة مسيرتهم التعليمية بنجاح وتفوق، وهى: إعفاء الطلاب المقيمين فى مدينة البعوث من مقابل الإقامة سواء كانوا بمنح أو بغير منح، وأن يتحمل الأزهر تذاكر السفر ذهابا وعودة للطلاب الدارسين على منح من الأزهر أيا

كانت بلدهم، وأن يتم تخصيص ٨٠٪ من المنح المقدمة من الأزهر للكليات العملية، والاتصال بسفراء مصر فى الخارج للتنسيق مع الدول المعتمدة لديها لحسن اختيار الطلاب الوافدين للدراسة بالأزهر.

الإمام الأكبر يستقبل سفير الهند

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور - أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر السيد السفير ارسوامتنايان سفير الهند بالقاهرة الذى اهدى فضيلته مصحفين مترجمين إلى اللغة الهندية واللغة البنغالية، وتناول اللقاء بحث أوجه التعاون بين جامعة الأزهر والمركز الثقافى الهندى، وتدعيم تدريس اللغات الهندية الأساسية، كما عرض فضيلة الإمام الأكبر الجهود التى يضطلع بها الأزهر لتدريب الأئمة والوعاظ من دول العالم على منهج الاعتدال والتوسط والسماحة الإسلامية.

ويستقبل سفيرة هولندة

واستقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه السيدة/ سوزان بلانكهارات - سفير المملكة الهولندية بالقاهرة.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيدة سفيرة هولندا فى الأزهر الشريف وتم التباحث حول كيفية توضيح المفاهيم الإسلامية لدى الحكومة الهولندية كما استفسرت السفيرة عن بعض الفتات المسلمة التى تعيش فى هولندا حيث إن نسبة المسلمين فى هولندا ٦٪ وأيضا التباحث حول الطلبة الهولنديين الذين يدرسون فى الأزهر وتم الاتفاق على استقبال فضيلة الإمام الأكبر لوفد من المفكرين المسلمين والمسيحيين الهولنديين من أجل دعم الحوار بين الأديان بين كل من هولندا والعالم الإسلامى وذلك نهاية الشهر الحالى.

ومن جانبها شكرت السيدة سفيرة هولندا فضيلة الإمام الأكبر على إتاحة الفرصة لها لهذا اللقاء وأنها تعتز بتواجدها فى الأزهر الشريف وبلقاء فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر.

الإمام الأكبر يستقبل مندوب الولايات المتحدة للمجتمعات الإسلامية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه السيدة/ بانديث المندوب الخاص للولايات المتحدة الأمريكية للمجتمعات الإسلامية والتى تم تعيينها من قبل السيدة/ هيلارى كلينتون عقب خطاب الرئيس أوباما فى جامعة القاهرة.

قدم فضيلة الإمام شرحا موجزا عن دور الأزهر الشريف فى توضيح المفاهيم الإسلامية التى تمتاز بالوسطية والاعتدال بعيدا عن التعصب والمذهبية.

وبين فضيلته أنه رغم اختلاف حضارة الشرق وحضارة الغرب لم يكن هناك مصدر للنزاع أو الصدام بينهما فى السابق بدليل تفاعل الحضارة الإسلامية والحضارة اليونانية والفارسية والهندية والأوروبية فى الأندلس ولم يكن هناك نوع من الصدام لكن التأثير والاستفادة من بعضها البعض بصورة إيجابية، أما فى العصر الحديث اختلف الأمر فمع تقدم الحضارات الغربية والشرقية كان من المتوقع أن تتم الاستفادة المشتركة لكن الحضارة الغربية جاءتنا بنظريات فلسفية وعلمية ونظريات استعمارية بدأت بصراع الحضارات أو بمعنى التسلط على الآخر وأن الحوار لا يجدى مع أصحاب القرارات فى الغرب وأمريكا لأن صبغة المصالح تحكمهم وأن كثيراً من الحقوق الإنسانية فى الغرب لا تطبق فى الشرق وهى أمور يجب أن تنتبه إليها فنحن نرحب بالتعاون مع الغرب، والأزهر يقدم كل الخدمات بشرط احترام الحضارات بعضها البعض، وأن لا تتزعم الحضارة الغربية حملة تغيير على المتدينين فى الشرق، فأى محاولات فى هذا الموضوع تنقلب الى صراع وصدام فى الحوار، لكن نستطيع إن نقول أن هناك آمالا مشتركة بين الحضارات الغربية والشرقية وفى مقدمتها السلام العالمى وإغاثة البلدان المحتاجة فى مجالات الصحة والفقر وهى طرق إيجابية لتحطيم الجدار، وفى هذا المجال نحن نتعاون ونلتزم أن يكون العمل من أجل التعارف والتقارب شريطة الاحترام المتبادل.

وأشار فضيلته إلى أن الأزهر فتح بابه للدارسين من أجل الانفتاح على الآخر من خلال اللقاءات التى تحدث بين المسلمين ومع الأئمة الذين يتم تدريبهم من المراكز الإسلامية من دول أوروبا وأمريكا وذلك للتصدى لاختراق بعض المدارس المتشددة فى الولايات المتحدة وأوروبا.

وفى نهاية اللقاء عبرت المندوب الخاص للولايات المتحدة الأمريكية للمجتمعات الإسلامية عن سعادتها بهذا اللقاء المثمر وعن تعاونها مع فضيلة الإمام الأكبر والأزهر الذى يمثل المرجعية الإسلامية والمصداقية الفضلى والتأثير الإيجابى لدى المسلمين وتمنت أن يقوم شيخ الأزهر بزيارات وعقد لقاءات مع الشباب فى أوروبا وأمريكا لما لهذه الزيارات من تأثير هام ووقع إيجابى فى نفوس هؤلاء الشباب.



الإمام الأكبر يستقبل سفير اليمن

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الاستاذ الدكتور / أحمد محمد الطيب - شيخ الأزهر بمكتبه السيد الدكتور / عبدالولى الشمرى سفير اليمن بالقاهرة والداعية الإسلامى الحبيب على الجفرى، حيث أعربا لفضيلته عن اعتزاز اليمن بالدور الرائد الذى قام به الأزهر وما يزال فى خدمة الدعوة الإسلامية وفى مجالات الحفاظ على العلوم الإسلامية وإعلاء منهج الاعتدال والتوسط.

وقد قدم الزائران عرضا من الحكومة اليمنية لإقامة مقر للرابطة العالمية لخريجى الأزهر الشريف بصنعاء وذلك تقديرا لدور خريجى الأزهر الذى يعتز به اليمن خاصة وأن هناك عددا كبيرا من علماء اليمن ومثقفيه قد تخرجوا فى الأزهر.

الإمام الأكبر:

التحديات التى يواجهها الإسلام اليوم لا تحتمل الافراط أو التفريط

شهد فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر رئيس اللجنة العليا للدعوة الإسلامية الاحتفال الذى نظمته اللجنة لتخريج الأئمة والوعاظ الوافدين من العالم الإسلامى المشاركين فى الدورة التدريبية العالمية السادسة والثمانين والتى بدأت فى الفترة من ١ / ٤ / ٢٠١٠ ولمدة ثلاثة أشهر وشارك فيها «٣٠» إماما وواعظا من دول «الجزائر والهند

والصين والمالديف والسودان والكاميرون ونيجريا».

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة هنأ فيها الخريجين وأكد خلالها أن التحديات التى يواجهها الإسلام اليوم لا تحتمل الإفراط أو التفريط بل تحتاج الى الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة فى حدود القواعد القرآنية.

وأكد أننا فى الأزهر نؤمن أن الله خلق جميع البشر مختلفين، وأن علاقتنا بالآخر علاقة تعارف وتواد وتكامل، وأننا يجب أن ندافع عن الإسلام وأن نعرضه كما أمر الله دون مذهبية.

وطالب الأئمة بأن ينتهجوا مذهب الأزهر بوسطيته واعتداله لأنه الجامعة العلمية الوحيدة التى ظلت طوال عشرة قرون تواصل رسالتها فى حماية المسلمين من المذهبية وتحميهم من التشدد والتعصب، فالأزهر حامل لواء الوسطية. ثم قام فضيلته بتوزيع شهادات التخرج على أعضاء الدورة كما أهدى لهم مكتبة إسلامية تحوى أمهات الكتب فى العلوم الإسلامية والشرعية وتفسير القرآن.

حضر الاحتفال فضيلة وكيل الأزهر وفضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية والسادة سفراء الدول المشاركة فى الدورة.

ويستقبل الممثل الإقليمى لمفوضية الأمم المتحدة لشئون اللاجئين.

كما استقبل فضيلته الممثل الإقليمى لمفوضية الأمم المتحدة لشئون اللاجئين السيد - محمد الدايرى الذى قدم احترامه وتقديره لفضيلة الإمام الأكبر، وقد أوضح فضيلة الإمام أن حماية اللاجئين من الأمور المندوب إليها فى الإسلام تدخل تحت باب الإجارة وأن الإسلام سبق إلى تقرير حقوق اللاجئين وضرورة حمايتهم.

وقد أعرب الممثل الإقليمى عن سعادته لتولى مصر رئاسة اللجنة التنفيذية للمفوضية السامية للاجئين اعتبارا من أكتوبر القادم وأن رئاسة مصر ستكون مناسبة طيبة لإظهار دور العالم العربى والإسلامى فى هذا المجال.

الأزهر ينعى سماحة السيد محمد حسين فضل الله

ينعى الأزهر الشريف شيوخه وعلماؤه وطلابه إلى الأمة العربية والإسلامية وإلى الشعب اللبنانى الشقيق سماحة السيد محمد حسين فضل الله الذى لقى ربه راضيا بعد حياة حافلة أمضاها فى نشر العلم النافع وعمل الخير والدفاع عن وحدة الأمة وثوابتها، وقد كان رحمه الله صاحب فكر مستنير يرتفع فوق الفوارق المذهبية ويسعى للتقريب بين أبناء الأمة، بل وبين المؤمنين جميعاً من سائر الأديان، رحم الله الفقيد الجليل وأسكنه فسيح جناته وألهم آله ومحبيه الصبر وحسن العزاء.



الإمام الأكبر يستقبل رئيس حزب الوفد

كما التقى فضيلة الإمام الأكبر بالسيد البدوى شحاتة رئيس حزب الوفد ومرافقيه، وأشاد فضيلته بحزب الوفد كأحد المعالم التاريخية فى ترسيخ معنى الديمقراطية، مؤكدا على أن تكون العلاقة التى تحكم الناس جميعا هى علاقة تعارف بأن يعرف كل منا الآخر.

كما أكد فضيلته على أننا نربى ونثقف فى الأزهر تلاميذنا وأبناءنا على السماحة والبعد عن التشدد، كما أن ثقافة الأزهر تقوم على الرأى والرأى الآخر، وهو ما تدرسه فى الفقه والعقائد، والدراسة بالأزهر تقوم على تأكيد معنى الوحدة الوطنية والسلام العالمى.

ومن جانبه أكد رئيس حزب الوفد على إيمانه العميق بدور الأزهر فى كل مناحى الحياة وأن الأزهر مازال منارة من منارات العالم يساهم فى توضيح الخطاب الدينى للإسلام وسماحته مثنيا على فضيلة الإمام الأكبر بما يحمله من رؤى وعلم يرد للأزهر كلمته فى دول أفريقيا وأمريكا وأوروبا.



التعريف بالحضارة الإسلامية بالتعاون مع اليونسكو

بدأت المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم «الإيسيسكو» فى تنفيذ مشروع التعريف بالحضارة العربية الإسلامية وذلك بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم «اليونسكو» والتى تتضمن ترجمة بعض المختارات العلمية والأدبية والفنية عن الحضارات العربية الإسلامية وذلك فى إطار برنامج التعاون المشترك بين المنظمتين.

وأوضح الدكتور عبدالعزيز التويجرى المدير العام للإيسيسكو أن البرنامج يتضمن فى مجال التربية تنظيم المؤتمر الإسلامى العربى رفيع المستوى حول التربية، والمؤتمر الدولى للشباب واجتماع إقليمى للخبراء حول آلية ضمان الجودة فى التعليم الأساسى، وعقد دورات تدريبية إقليمية حول تنمية الطفولة المبكرة ومحو الأمية، وكيفية استخدام المعلومات والاتصالات فى التعليم، وإدارات التعليم وفى مجال العلوم الطبيعية يشمل البرنامج عقد دورة تدريبية دولية حول مدن العلوم ودورة إقليمية حول تبسيط العلوم وتعميمها فى الدول العربية، وعقد مؤتمر حول تاريخ العلوم، ودورة تدريبية حول العلوم والتكنولوجيا وسياسات الابتكار وتعليم الاحتياجات الصناعية، واجتماع للخبراء فى تكنولوجيا الطاقة المتجددة، التشريعات فى دول المغرب العربى، وحلقات دراسية إقليمية حول تكنولوجيا المعلومات والتعلم عن بعد فى تعلم العلوم والتكنولوجيا والابتكار، ودورة تدريبية حول حماية المياه الجوفية، والمنتدى الثالث للطاقة فى آسيا، وعقد المؤتمر الدولى حول الديمقراطية وثقافة السلام.

وعقد المنتدى الدائم للحوار العربى «الديمقراطية وحقوق الإنسان»، وعقد دورات تدريبية حول تعزيز القدرات الوطنية لإدارة المجموعات المتخصصة والتعاون فى تنفيذ مفهوم جديد

للسياسات الثقافية مع دمج مبادئ التنوع الثقافي وحوار الثقافات ومتابعة التوصيات الصادرة عن المؤتمر الثقافي، وتعزيز تنوع أشكال الحوار الثقافي والصناعات الثقافية في المغرب العربي.

باكستان تغلق المواقع الإلكترونية المسيئة للإسلام

أمرت محكمة باكستانية بفرض قيود على شبكة يوتيوب لتبادل ملفات الفيديو وحظر مواقع إلكترونية لعرضها مواد مسيئة للإسلام.

صرح لطيف الرحمن المحامي الذي تقدم بالتماس يطلب فيه حظر المواقع التي احتوت على مواد تتضمن الإساءة في حق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والقرآن بأنه تقدم بتسجيلات تتضمن هذه المواد المسيئة مما جعل المحكمة تستجيب له.

وقد أمر القاضي مظهر إقبال سيد المسئولين في هيئة الاتصالات الباكستانية بالمثول أمامه ومعهم كل التسجيلات ذات الصلة وتم توجيه وزارة تكنولوجيا المعلومات من خلال أمينها العام بأن تصدر تعليمات بحظر المواقع المذكورة وأنه سيتم تنفيذ هذا الحكم فوراً.

الأمم المتحدة تكشف تدهور الأوضاع الأمنية بأفغانستان تحت الاحتلال

كشف تقرير أصدرته الأمم المتحدة عن تدهور الأوضاع الأمنية في أفغانستان تحت الاحتلال ولفت النظر إلى تردي الوضع الأمني وازدياد المخاطر الأمنية بشكل يهدد أي خطوات نحو استقرار الدولة التي مزقها الاحتلال.

وأوضح التقرير أن الهجمات ضد قوات الاحتلال الأجنبية مستمرة مما يؤكد عدم استقرار الأوضاع في أفغانستان وأن الاتجاه نحو استخدام العبوات الناسفة في تزايد مثير للقلق إلى جانب عمليات الهجمات المعقدة الأخرى.

وأشار التقرير إلى تزايد حاد في التفجيرات باستخدام العبوات الناسفة بواقع ٩٤ في المائة خلال الربع الأول من هذا العام مقارنة بذات الفترة من العام الماضي كما شهد اغتيال المسئولين الحكوميين قفزة كبيرة خلال الفترة نفسها بلغت ٤٥ في المائة، ويأتي التقرير الأممي مخالفا لتقديرات وزارة الدفاع الأمريكية «البنتاجون» الذي أشار إلى تقدم ثابت لكن بطيء في أفغانستان.

كما أبدى وزير الدفاع الأمريكي روبرت جيتس قلقه حيال نبرة التشاؤم والسخرية إزاء نتائج العمليات العسكرية التي يقودها جيش الاحتلال الأمريكي في أفغانستان كما يأتي هذا التقرير في وقت ارتفعت فيه عمليات المقاومة الأفغانية ومقاتلي طالبان ضد قوات الاحتلال الأمريكية وأعوانها واستعادتها السيطرة على عدد من قرى ومدن الجنوب.

مشروع إسلامي للعمل الإنساني في الصومال

رعت منظمة المؤتمر الإسلامي بمقرها بمدينة جدة السعودية اجتماعاً لمنظمات إنسانية من الدول الأعضاء بالمنظمة بهدف إيجاد أرضية لهذه المنظمات في الصومال وذلك في ظل انسحاب منظمات دولية بسبب تفاقم الحرب الأهلية في البلاد.

وقد مهد اجتماع المنظمات الإنسانية المعنية بالوضع في الصومال الذي عقد بمبادرة من منظمة المؤتمر الإسلامي إلى بلورة تعاون مع برنامج الغذاء العالمي وبناء شراكات مع المنظمات الإنسانية في العالم الإسلامي تعوض النقص الذي طرأ في الصومال في أعقاب انسحاب برنامج «الغذاء العالمي» من توزيع المساعدات في وسط وجنوب مقديشيو الأمر الذي سبب أزمة إنسانية غير مسبوقة وترك فراغاً كبيراً في توزيع المواد الإغاثية الإنسانية.

شارك في الاجتماع الذي ترأسه السفير «عطاء المنان» الأمين العام المساعد للشئون الإنسانية في المنظمة وممثلون عن برنامج الغذاء العالمي، حيث تم وضع خطة عمل لكيفية توزيع المساعدات المقدمة من الجهات الدولية.

وبعد التشاور مع برنامج الغذاء العالمي سوف تقوم المنظمة من خلال منظمات المجتمع المدني في العالم الإسلامي بتوزيع مساعدات أولية بقيمة ٢٧ مليون دولار مقدمة من البرازيل.

مؤتمر عالمي لرابطة العالم الإسلامي بمناسبة مرور ٥٠ سنة على إنشائها بمكة المكرمة

تعقد الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي يوم ٣١ يوليو الجاري وعلى مدى ٣ أيام مؤتمراً إسلامياً عالمياً في مكة المكرمة بمناسبة مرور خمسين سنة على إنشاء الرابطة تحت عنوان «رابطة العالم الإسلامي الواقع واستشراف المستقبل» وصرح الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي أن المؤتمر سيكون تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، وأن الرابطة ما كان لها أن تحتل مكانتها الإسلامية وأن تحوز موقعها العالمي المرموق لولا فضل الله تعالى ثم دعم ملوك السعودية وقادتها لتحقيق أهدافها وبرامجها، كما أن هذا الدعم مكن الرابطة من تنفيذ برامج إنسانية وعالمية.

وحول أهداف المؤتمر قال التركي: يهدف المؤتمر إلى إبراز رعاية قادة المملكة العربية السعودية لنشاطاتها ومساندتهم لها ودعم رسالتها الإسلامية العالمية والتعريف بإنجازات الرابطة خلال نصف قرن، وكذلك مراجعة مسيرة الرابطة وتقييم نشاطاتها وبرامجها، ووضع خطط جديدة لتطوير عمل الرابطة وتقوية صلات الرابطة مع المؤسسات والشخصيات الإسلامية بالإضافة إلى الإشادة بالرواد الذين أسهموا في إنشاء الرابطة وفي مسيرتها من خلال محاور المؤتمر التي ستناقش خلال جلساته.

ويتضمن المحور الأول: «رابطة العالم الإسلامي خمسون عاماً من العطاء» موضوعات:

نشأة الرابطة وأهميتها فى خدمة العمل الإسلامى وتشجيعه، ودعم ملوك السعودية للرابطة وأهدافها وإنجازاتها وهيئات الرابطة ومؤسساتها والواقع والمأمول منها.

ويتناول المحور الثانى: مكانة رابطة العالم الإسلامى العالمية ودور مراكز ومكاتب الرابطة فى التعريف بالحضارة الإسلامية ودور وفود الرابطة فى تقرير العلاقات مع الجمعيات والمؤسسات الإسلامية.

ويناقش المحور الثالث: قضية القدس وفلسطين وقضايا الشعوب الإسلامية والتعاون مع الإقليات المسلمة وحقوق الإنسان.

ويتناول المحور الرابع دور الرابطة فى تنمية المجتمعات الإسلامية وتحديات البيئة الحضارية.

ماليزيا تبدأ حملة ترويج لإصدار صكوك إسلامية أمام المستثمرين

بحث وفد ماليزى برئاسة داتو سرى وزير المالية مع د. عبدالعزيز الهنائى نائب رئيس البنك الإسلامى للتنمية بمقر البنك فى جدة الجهود التى تقوم بها الحكومة الماليزية للترويج لطرح صكوك حكومية إسلامية جديدة بالدولار الامريكى مدتها خمس سنوات للمستثمرين فى المرحلة المقبلة، وأكد الدكتور عبدالعزيز الهنائى التزام البنك كمساهم وشريك فى هذا الإصدار لماله من دور بارز فى إثراء صناعة الصيرفة الإسلامية مؤكدا أن هذا الإصدار سيكون رافداً للصيرفة الإسلامية وأحد أدوات السيولة، كما أشاد بالتجربة الماليزية وخاصة البناء المؤسسى من تشريع، ومؤسسات تدريب الكوادر المؤهلة، الأمر الذى سيؤدى إلى الارتقاء بصناعة الصيرفة الإسلامية ويساهم فى نموها.

من جانبه أكد الوزير الماليزى قوة العلاقة الاستراتيجية التى تربط ماليزيا بالبنك مدللا على ذلك بأن لإصدار الصكوك الماليزية.

كما أشاد بالتعاون المتميز القائم بين ماليزيا والبنك فى مختلف المجالات وحرص الجميع على تبادل الخبرات وتعميم التجارب الناجحة على مستوى الدول الأعضاء بالبنك.

اختتام أعمال مؤتمر التعريف بالإسلام فى أمريكا اللاتينية

اختتمت الهيئة العالمية للتعريف بالإسلام أعمال مؤتمرها الأول للتعريف بالإسلام فى أمريكا اللاتينية والذى احتضنته مدينة ساوباولو بالبرازيل حيث عرضت العديد من أوراق العمل من قبل الهيئات والمؤسسات والمهتمين بالتعريف بالإسلام، كما أقيمت خلاله عدد من الدورات التأهيلية للدعاة.

وأوضح مساعد الأمين العام للهيئة العالمية للتعريف بالإسلام الشيخ حبيب بن محمد الحارثى، أن هذا المؤتمر والفعاليات المصاحبة له جاءت ضمن أهداف الهيئة الاستراتيجية لغرس ثقافة التعريف بالإسلام لدى الأقليات المسلمة وتصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام.

وفى ختام المؤتمر تم تكريم الهيئة العالمية للتعريف بالإسلام ممثلة بالأمين العام المساعد للهيئة ومدير إدارة المشاريع بالهيئة وذلك على هامش الدورة السابعة عشر للجنة تنسيق العمل الإسلامى التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامى تقديراً لجهود الهيئة العالمية للتعريف بالإسلام فى تنسيق الجهود والعناية بالعاملين فى الحقل الدعوى فى أمريكا اللاتينية.

دعوة لإنشاء قنوات للحوار مع القيادات الفكرية لمواجهة «الإسلاموفوبيا»

أوصى المشاركون فى ندوة دولية حول «الإسلام والإعلام فى أوروبا وسبل مواجهة ظاهرة الاسلاموفوبيا» فى ختام اجتماعهم فى مدينة ليل الفرنسية بإنشاء قنوات للحوار مع القيادات الفكرية وقادة الرأى والقيادات الإعلامية فى الدول الغربية عن طريق مؤسسات المجتمع المدنى فى العالم الإسلامى الفاعلة فى مجال الإعلام وحقوق الانسان للحد من الآثار السلبية لظاهرة «الإسلاموفوبيا»، ودعا المشاركون فى الندوة التى عقدت بالتعاون بين المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «ايسيكو» وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية وبالتنسيق مع معهد ابن سينا للعلوم الاسلامية فى مدينة «ليل» إلى إنشاء كرسي الإيسيسكو للاتصال، لتصحيح الصور النمطية حول الإسلام.

وأوصوا بتفعيل دور المستشارين الإعلاميين والثقافيين فى سفارات دول العالم الإسلامية المعتمدة فى الدول الغربية بما يمكنهم من المساهمة فى تصحيح الصور النمطية حول الإسلام والمسلمين من خلال تعزيز التعاون مع الإعلاميين والصحفيين فى وسائل الإعلام.

ودعوا رجال الأعمال فى العالم الإسلامى إلى استثمار جزء من أموالهم فى الصناعة الإعلامية الغربية وذلك بقصد منافسة اللوبى الصهيونى والتحكم فى الحملات الإعلامية المشوهة للإسلام والمسلمين..

وطالب المشاركون البعثات الدبلوماسية الإسلامية فى الدول الغربية بإنشاء ملحقات دينية يناط بها التعريف بالإسلام وضرورة إنشاء جهاز إسلامى للإنتاج الإعلامى يتولى انتاج البرامج والأفلام وتقارير إخبارية وغيرها حول الصورة الحقيقية للإسلام والمسلمين.

Israel will suffer extremely in the coming period because of the negative effect caused by these events, as many countries condemned it. Certainly, the Turkish-Israeli relations will not date back to normal after shedding the blood of the Turkish people by the Israelis.

Turkey restored their ambassador from Tel Aviv, who was still new and threatened to raise the whole matter to the Security Council, the matter that will have serious consequences on the Turkish-Israeli relations. Israeli should bear the results of its actions, which are regarded as breaching of the International Law.

It expected that more Horreyya ships will try to break the Israeli blockade.

The Presidency in Egypt issued a statement condemning the Israeli's excessive and unjustified use of power, causing the death of many innocents. He assured that the Egyptians consolidate with Gaza.

The Ministry of Foreign affairs issued a statement in which the official spokesman condemned the actions of killing committed by the Israeli troops. They drew their attention to the seriousness of the continuation of the Israeli blockade to Gaza, which should be lifted also from all of the parts of Palestine.

The Ministry of Foreign affairs summoned the Israeli Ambassador in Egypt, Ishaq Livanon to inform him with Egypt's condemnation of the killing of many international activists. Also, it contacted with Israel to know the situation of two members of People's Assembly, participating in the convoy: Farouk and Muhammad Al-Beltagy, asking for releasing them immediately.

In the frame of the France-Africa summit, France issued tow statements delivered by President Sarcusy and Bernard Coushnir, the Foreign Minister, condemning excessive and unjustified use of power and asking for investigating these events.

A meeting for the Arab foreign Ministers was held to condemn this accident. Many demonstrations condemned this brutal action all over the world.

للمرة الأولى فى تاريخ الجمهورية الخامسة:

رئيس الوزراء الفرنسى فرانسوافيون يفتتح مسجدا بشمال باريس لإرضاء المسلمين

فى مبادرة تعد الأولى من نوعها منذ بداية الجمهورية الخامسة، افتتح رئيس الوزراء الفرنسى فرانسوا فيون مسجدا بمدينة أرجنتى فى إقليم «الفال دى واز» بشمال باريس بحضور نخبة عريضة من المسلمين وعمدة المدينة وبعض المسئولين، ويعد المسجد واحدا من أكبر المساجد فى أوروبا، ويأتى افتتاحه بهذه المدينة ليفى باحتياجات ٣٥٠٠ مسلم يقيمون صلاة الجمعة أسبوعيا فى هذا الحى.

وتأتى المبادرة لتخفيف وطأة الإحساس بالاضطهاد والعنصرية التى عانى منها المسلمون بفرنسا فى الفترة الماضية فضلا عما يدور من جدل واسع النطاق حول القضايا التى تخص شئون عقائدهم من الحجاب وأخيرا النقاب، ونقاش الهوية الوطنية.

وكان الجدل قد ثار أخيرا حول تصريحات لوزير الداخلية الفرنسى «بوريس أورت» فى إحدى المناسبات تجاه واحد من أعضاء الحزب الحاكم وهو شاب من ذوى «الأصول العربية» بعد أن صنفت تلك التصريحات بالعنصرية ضد المسلمين والعرب، ويذكر أن القضاء الفرنسى قد سبق له الحكم على وزير الداخلية بوريس أورت بغرامة مادية فى هذه القضية منذ أيام.

٣٤٠ طفلا أسيرا فى سجون الاحتلال الصهيونى

كشف المركز الفلسطينى للدفاع عن الأسرى أن سلطات الاحتلال الصهيونى لا تزال تعتقل نحو ٣٤٠ طفلا فلسطينيا فى سجونها، وأن هؤلاء الأطفال يفتقرون فى زنزاناتهم لأدنى مقومات حياة الطفولة ويتعرضون لانتهاك حقوقهم بشكل مدروس.

وأكد المركز فى بيانه أن ما يواجهه الأطفال الأسرى فى سجون الاحتلال يفوق التصورات من انتهاك للحقوق التى كفلتها القوانين والمواثيق والأعراف الدولية ليس أقلها ممارسة التعذيب والتنكيل والضرب بحق الأطفال الأسرى ولفت النظر إلى أن الاحتلال يحتجز أعدادا كبيرة من الأطفال الأسرى فى غرف صغيرة لا تمكنهم من أخذ حريتهم فى الحركة أو النوم أو ممارسة الحياة اليومية وأنهم يتعرضون للمحاكمات على الرغم من طفولتهم بالإضافة إلى حرمانهم من زيارة ذويهم لهم داخل السجن.

Benjamin Netanyahu in Canada, and commanded Ehud Barak to aggravate the measurements from controlling to aggression and bloodshed? Did the three of them consult in carrying out this bloody massacre?

The Israeli media mentioned details about the completion of the preparations in the Israeli Troops, especially the Navy, in their preparation for seizing the International marine convoy that resolved to reach the coast of Gaza to lift its blockade. The leader of the Navy, General Eliezer Marum would lead seizure operation called "The Sky Winds". This operation was implemented by the members of the marine Commandos, being supported by the members of Mitsada that follows the IPS.

The executors were veiled not to be identified, and were resort to the members of Aokis unit along with trained dogs to detect the explosives and the ships accurately. The dogs would smell the luggage of the passengers to make sure that there were no explosives, other fighting, combat methods or terrorists.

The Israeli reports stated that the forces of the seizure operation trained on dangling on ropes from the military helicopters on the ship boards. The weekend and the other day-offs were cancelled in the Navy. The leader of the Navy ordered the members of the forces, participating in "the Sky Wind" operation not to be provoked by the passengers of the convoy, but he ordered them to have self-control as much as they can. However, the events that occurred emphasize that the Israeli troops talked about peaceful prevention measures, while they carried out bloody measures.

Thus, reservists from the marine Commandos were summoned, supposing that the skilled fighters would deal with any emergent circumstances that would occur on the board of the convoy ships in equanimity. The attempt to cause broadcast interference by the electronic screening was to decrease the media casualties that would occur to Israel.

In a witness that reveals the lies of Israel, a journalist, who was on board of one of the convoy ships, said: "The Israeli navy attacked the ships before ascending to them." Also, he denied the existence of any attack by the civilians towards the Israeli troops, as they claim.

On board of the ships of Freedom Fleet, there were media; satellite channels reporters and European agencies reporters such as Reuters, Associated Press and CNN.

Grita Berlin, the spokeswoman of "Liberty for Gaza", one of the parties organizing the convoy said that attacking the civilians is really a disgusting action. Ordy Bemsih, a spokeswoman of the same movement, said that they did not plan any violent attack. However, the only available action was to prevent the Israelis from reaching the control rooms in the ships or engine rooms not to control the ships.

She definitely denied that the members of Marmara Ship used live bullets against the Israeli soldiers, or that they attacked the Israelis. The spokesman of the Israeli Foreign Minister assured that the civilians attacked many Israeli soldiers by knives and axes.

The events of the Israeli attack on the Turkish Marmara Blue Ship were the central subject discussed in the first day of France - Africa Conference in Nice, overlooking Cote de Zur beach that includes Cannes and Monaco.

A number of delegations expressed their condemnation of these events, as UN Secretary General Ban Ki-moon condemned the Israeli attack on this ship. He asked for detailed investigation to know the killers of the consolidated persons in Horya fleet. Robert Serry, the Envoy of the Secretary General of the United Nations for the Middle East, condemned the accident and asked Israel to stop the blockage of Gaza.

Moreover, the Arab delegations participating in the conference condemned the events that prove the brutality of Israel. Richard Falk, the Special Rapporteur for Human Rights in the Occupied Palestine, called for the necessity of prosecuting the Israelis responsible for this massacre.

This event will shed more light on the Israeli blockade in Gaza. This crisis may aggravate to the extent of being presented to the Security Council, especially there are killed and injured Turks. Thus, Benjamin Netanyahu terminated his trip to Canada and the USA and returned to Tel Aviv, as he declared his support for the Navy in its attack on the convoy.

Global Condemnation of the Israeli Attack against the Horreyya Fleet, but there will be on rush of freedom's loversì!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Israel attacked the ships of Horreyya fleet on Monday, 31th of May, 2010 by more than a thousand soldiers from the special units and marine Commandos. It caused a bloody massacre, killing 16 persons nine of them are Turkish by cold blood and injuring more than fifty persons in the international water, before the ships of the fleet could enter the territorial water. The inspectors unanimously agreed that matters did not deserve these brutal measurements. However, there are many questions concerning these violent measurements.

The live shots broadcasted by the media revealed that the forces of the Israeli aggression attacked the ships suddenly in an airdrop operation after hours of following and besiege by sea and air. The Turkish TV mentioned that at the beginning of the dawn, the Israeli soldiers attacked the ships with live bullets and tear gas.

The persons on ship sent an appeal of help to save the persons injured during the Israeli aggression. They raised the white banners to emphasize that they are unarmed civilians, which came in a humane mission. This did not intercede for them in front of the Israeli insistence on carrying out the attack that was revealed by the cameras.

The ships were subjected to radio interference from the Israeli Navy. The ships were disconnected gradually due to the Israeli interference, until they were completely disconnected two hours before the aggression. The live broadcasting was the means by which the consolidated persons from the ships board communicate with the outside world. It broadcasted the soldiers' aggression, attack and shooting them randomly, the matter that led to this large number of martyrs and injured.

Is the target side by these aggressions Turkey, taking into consideration that the acts of violence took place on the board of the Turkish Ship?

Undoubtedly, the Turkish situation started with summoning the Israeli Ambassador to Turkey Ministry of Foreign Affairs, and holding a meeting for the Government of Turkey to discuss responding to the Israeli crime. It is followed by the anger and resentment of the people, as the Turkish citizens tried to attack the Israeli Embassy in Istanbul, asking for ending the diplomatic relations between the two countries and responding violently to the Israeli situation.

Two days before the attack, the UN Secretary General Ban Ki-moon called the people to self-control, and urged all of the parties related to the fleet to be responsible enough and to refrain from confrontations and attacks. The UN Spokesman said that the United Nations follow up accurately the development of the situation related to the fleet. Also, it called previously to increase the amount of the commodities passing to the Strip throughout the passages. The inspectors regarded this saying as a type of slackness towards the military threat to a humanitarian convoy.

It was better on his part to threaten with violent measures towards Israel if it used power. However, his declaration made Israel make little of the situation of the United Nations. Likewise, the US situation was ambiguous and slack and did not warn Israeli against the military measures towards the fleet. It left Israel take its suitable measures without a formal comment from USA, the action that let some people think that it helped Israel in the implemented measures, especially that the fleet was preceded by great media noise and did not emerge suddenly.

At the night of the crime, the Israeli Foreign Minister, Avigdor Lieberman in his speech with the Israeli Radio that if the parties facilitating the convoys to Gaza are concerned with lifting the blockade, they should ask Hamas to release Shalit. In this way, he revealed that Israel is ready to allow the ships to reach Gaza Strip in case of ending the situation of the imprisoned soldier.

The question is: Did Lieberman exploit the absence of the Prime Minister

She told him: "O messenger of Allah, you think of something and I think of something else." He told her: "O Humayra', this is the Night of the Half of Sha`ban, in which Allah rescues from the Helfire many as many people as the hair of the sheep of Bani Kalb except six persons: alcohol addict, undutiful person to his parents, insistent on adultery, spying, bargainer and a describer."

`Aishah related that the Messenger of Allah went to her bed until his skin touched hers. Then, he left the bed and went out of the house in a hurry. She thought that he went to any of his wives, and she felt jealous. She started to search for him in the houses of the other wives of the Messenger. Then, she found him at Al-Baqi`, and she hurried towards the house till she was out of breath. He asked her about the reason for being out of breath.

Then, he went to the bottle and performed the ritual ablution. Subsequently, he prayed and elongated the recitation. Then, he prostrated for a long time until she thought that he died. When she held his finger, it moved.

Then, she heard him conversing secretly with his Lord: "My forehead prostrates for You, and my heart has strong belief in You. This is my hand, which I did not use to harm myself, O You are the Greatest. No one can forgive the major sin except the Great Lord. I seek refuge in Your good pleasure from Your wrath, and I seek refuge in Your pardon from Your punishment. I seek refuge in You from You. I cannot enumerate Your praise. You are as You have praised Yourself. You are Glorified and Exalted."

After completing the prayer, he told her: "O daughter of As-Seddiq, probably you thought that the Messenger of Allah would break his promise to you at this night." She told him: "O Messenger of Allah, I like to be near you and I like your worship of Allah, but I thought that you may have died". He told her: "`Aishah, you know which night is this?" She said: "Allah and His Messenger know the best." He said: "This is the Night of the Half of Sha`ban

in which Allah forgives the people who seek His forgiveness and has mercy upon the people who seek His mercy. He forgives the pious and straightforward male and female Muslims. Also, He has mercy upon the male and female believers who repent.

The Prophet devoted himself at this night to worship Allah and left his personal worldly affairs to converse secretly with Allah, the Creator of the heavens and earth. He did not go to sleep at this night, but he stayed awake to bow, prostrate and worship his Lord.

Thus, the Muslims in all parts of the earth should follow the example of their Prophet by worshipping and supplicating to Allah at this night to remove the affliction from the Muslims, refute the intrigue of the enemies occupying Palestine, bring down their banners and demolish their supports. This will make the Word of Allah higher than that of the disbelievers.

The Muslims should supplicate to Allah in every part of the earth to grant them victory over their enemies and to restore their strength, glory and power.

We hope that they restore their previous state and to be leaders that enlighten and lead the whole world. Allah is able to do that, as He says: ?Allah will definitely give victory to whomever vindicates Him".

[Hajj (Pilgrimage): 40].

He, Glory be to Him, is able to do everything.

*Allah honored Muhammad, the Messenger of Allah, (May the blessing and peace of Allah be upon him) with the two Qiblas (Directions of prayer)ì!

By: The Honorable Sheik. Abdur-Rahman An-Naggar

It is said that Muhammad, the Messenger of Allah, (may the blessings and peace of Allah be upon him) is the Messenger of the two Qiblahs. What are the two Qiblahs assigned to the master of the Messengers?

We know that prayer was imposed on the Prophet and his nation in the Night Journey before his Hegra from Mecca to Medina. It was imposed while the Messenger of Allah was absorbed in listening to Allah in the Night Journey. This is to glorify and to honor prayer, as it is the pillar of the religion and it deserves the saying of the Qur'an about it :{And keep up the prayer. Surely prayer forbids obscenity and maleficience}. [Al-`Ankabut (The Spider): 45].

Thus, purity in body, soul and place are stipulated for performing prayer as well as certain moral attributed that make the praying person prepared for talking to Allah and standing in front of Him saying: "You are the One we worship and the One from Whom we seek help." This is a Revelation from Allah in the Prophet's words in which He says: "I accept prayer from the one who submits to My Greatness, does not hurt my creatures, does not insist on committing sins, spent time in reciting Remembrance and sympathized with the needy, the widow and the afflicted people."

The Muslims were directed to Jerusalem in Palestine, as their Qiblah, after the imposition of Prayer. They continued to pray at the direction of this Qiblah during the whole period spent in Mecca after the imposition of the

* An article published (in Arabic) at Al Azhar magazine.

Prayer. Even when the Prophet immigrated to Medina, they were directed to the same Qiblah. This signifies the importance of Jerusalem in their life throughout ages. Thus, they should defend it and exert every possible effort to keep it sacred and pure. The second year started and Sha`ban came; the event of changing the Qiblah took place from Jerusalem to the Inviolable Mosque in Mecca.

Sha`ban in itself has a great value with respect to the Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him). He said, "Rajab is the month of Allah, Sha`ban is my month and Ramadan is the month of my nation." For this reason, he was accustomed to fast a lot in this month to be prepared for Ramadan.

As for the Night of the Half of Sha`ban, it is called the Night of rescue from Hellfire. Anas Ibn Malik related that the Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) sent him to the house of `Aishah. He told her to hurry up, as he left the Prophet speaking with the Companions about the graces and blessings of the Night of the Half of Sha`ba.

`Aishah said that the Prophet was spending the Night of the Half of Sha`ba with her. They went to bed, then she did not find him beside her. She thought that he might have gone to one of his wives. She found him in the mosque saying: "I prostrate to you, my heart has deep faith in You. I did not wrong myself by my hand. Great You are and we hope you give us every great thing. Forgive the major sin. My face prostrates to the One Who created it, formed its eyes and ears and lifted its head.

Then, he lifted his head saying: "I seek refuge in Your good pleasure from Your wrath, and I seek refuge in Your pardon from Your punishment. I seek refuge in You from You. I cannot enumerate Your praise; You are as You have praised Yourself. I say as my brother Dawod (David) said: I put my face in the dust for my Lord." The One He raised his head.

this night in prayer and fast on that day. Allah, Glory be to Him, searches for a person seeking forgives to grant it to him. Also, Allah searches at this night for a person asking for giving him subsistence to grant it to him. Allah searches for an afflicted person supplicating to Allah to grant him good health to grant it to him. This continues until the dawn.

As we mentioned before, the meaning of descending is the blessings and mercy. It is authentically reported from the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) that he devoted himself to worshipping and supplicating to Allah, Glory be to Him. This night is also called the night of forgiveness.

More than a person mentioned that the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) asked His Lord intercession at the night of the thirteenth of Sha`ban, Allah gave him a third. Then, he asked Him at the night of the fourteenth of Sha`ban, He gave him two thirds. Then, he asked Him at the night of the fifteenth, he gave him all of the intercession to all of the worshippers except the persons who do not approach Allah (Allah's path).

In every year, this precious remembrance comes to the Muslims. It is the day in which Allah gave the Prophet complete intercession for his nation.

One of the great events that occurred in this blessed night is the changing of the Qiblah from Jerusalem to the Inviolable Mosque.

The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) and the Muslims were very happy for this event.

The scholars have divergent opinions concerning the night in which the matters and rules are accounted for from one year to the next one: Is it the Night of Decree (Al-Qadr) or the Night of the Half of Sha`ban?

Some scholars said that the night in which the matters are determined is

the Night of Decree, as Allah, Glory be to Him, says:

{Surely We sent it down in the Night of Determination.}

[Al-Qadr (Determination):1], or it is the night which Allah meant in Surah Al-Dukhan:

{Ha, Mim. And (by) the evident Book. Surely We have sent it down in a blessed night; surely We have been warning. Therein every Wise Command is distinctly (decreed). (As) a Command from Our providence; surely We have (ever) been sending (Messengers). As a mercy from your Lord; surely He, Ever He, is the Ever-Hearing, the Ever-Knowing.}

[Al-Dukhan (Smoke): 1-6]

This opinion is chosen by Qutadah and many scholars and interpreters of the meanings of the Qur'an. Also, this meaning is proven by many Hadiths as well as Qur'anic verses.

The other group of scholars said that the night in which matters are determined in the Night of the Half of Sha`ban. We see that it is the night re

ferred to in Surah Al-Dukhan.

In this verse, there is glorification, care and honoring for the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), as Allah (Glory be to Him) showed that He and the angels invoke peace and blessings upon the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) and ordered his believing worshippers to invoke Allah's Peace and Blessings upon the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him). The Blessings from Allah means mercy, the blessing invoked by the angels means asking for forgiveness and the one invoked by the believers means supplication.

Invoking Allah's Peace and Blessings upon the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) is obligatory and is extremely rewarded. Al-Termidhy (may Allah be merciful to him) related that Anas (may Allah be pleased with him) reported about the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) that he said:"The one who invokes Allah's Peace and Blessings upon me once, he will receive ten blessings from Allah, ten sins will be removed from his credit and his rank will increase ten times."

Ramadan is regarded as the month of the nation because in which Allah (Glory be to Him) imposed on the Muslims fast, which is one of the attributed distinguishing the Islamic nation. Also, it is one of the best graces granted from Allah to His worshippers, because He doubles the rewards in this blessed month, and saves many people from the Hellfire. Moreover, in this month, Allah started the sending down of the Qur'an to our Prophet Muhammad, the Last of the prophets (May the blessings and peace of Allah be upon him). This is the eternal Book that never brings false matters and it is sent by the Ever-Wise.

This Book combines the good of the worldly life and the afterlife. Allah makes it as a sacred constitution that brings happiness to the whole humanity. In this month, there is the Night of Decree, which is better than a thousand of months, i.e., the reward of deeds in it is better than the reward of deeds in a thousand of months. This is a great grace from Allah, Glory be to

him, to His worshippers in this month.

The Muslims in the whole world were accustomed to celebrate the night of the half of Sha`ban, as Allah assigned to it many advantages and blessings. They seek forgiveness, blessing, mercy and benevolence from Allah in this month.

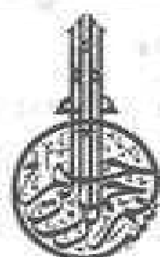
More than a narrator related the following saying of the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him): "Allah, Glory be to Him, descends at the Night of the Half of Sha`ban to the lowest heaven to forgive sins more than the number of the hair of Kalb's sheep." Kalb is a name of a tribe that was famous of the abundance of sheep.

The significance of the descending of Allah, Glory be to Him, to the lowest heaven is the descending of blessings, mercy and forgiveness, not the descending of the Self, because He is above all of such entities. Mu`adh ibn Jabal (may Allah be pleased with him) related that the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said: "Allah looks at all of his creatures at the Night of the Half of Sha`ban and forgives all of them except a disbeliever or a struggler.

This means the bad effect of struggling and fighting, as the Muslim is not permitted to fight with his brother Muslim. However, he should treat him on the basis of love, kindness and accord. The Night of the Half of Sha`ban is called "the Night of Presentation", as the deeds of the worshippers are presented to Allah, Glory be to Him, as the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said: "The deeds are presented to Allah, the Lord of the two Worlds, at the Night of the Half of Sha`ban. I like my deeds to be presented to Him, while I am fasting."

Thus the fasting of the Night of the Half of Sha`ban is regarded stressed Sunnah, following the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him), as he said: "When the Night of the half of Sha`ban comes, spend

AL-AZHAR MAGAZINE
Sh'aban, 1431 A. H.



ENGLISH SECTION
July & August, 2010

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾
الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."
(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

Sha`ban Month...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: "Rajab is Allah's moth, Sha`ban is my month, and Ramadan is the month of my nation." Rajab is the month of Allah, as He regarded as sacred and inviolable, and He glorified it and doubles the rewards of virtues to the obedient worshippers in it.

In the pre-Islamic era, the Arabs glorified and sanctified it by prohibiting fighting and taking revenge in it, as the person met the killer of his father, brother or son without hurting him. When Islam came, it increased its glorification and sanctification. The scholars have divergent opinions concerning the prohibition of fighting in the four sacred inviolable months: Rajab, Dhul-Qiu`dah, Dhul-Hijjah and Al-Muharram.

Some of the scholars said that this prohibition is against Allah's saying:

[And fight the associators as a whole as they fight you as a whole].

[At-Tawbah (Repentance): 36]

While others said this prohibition remains until today, unless we are attacked. In this case, we should defend ourselves.

Sha`ban is regarded as the month of the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him), as he was accustomed to increase fasting and worshipping Allah, because Allah (Glory be to Him) sent down the following verse in this month:

{Surely Allah and his angels shower serenity on the Prophet. O you who have believed, pray for (benediction on) him, and submit in full submission.} [Al-Ahzab (Allied Parties): 56]

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى
تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

رئيس التحرير
أ.د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير
عادل رفاعى خفاجة

سكرتير التحرير
أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى
داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا
أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا
عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر
ت: ٢٣٦٣٨٥٩٩

رمضان ١٤٣١هـ - أغسطس ٢٠١٠م - الجزء التاسع - السنة الثالثة والثمانون

افتتاحية العدد

شبهات حول التفكير الدينى

(١)

من المعقول أن نطلب الإنصاف للإسلام من قوم لا يدينون به، فندعوهم إلى النظر الصحيح بعيداً عن التعصب المغرض، أما أن نطلب الإنصاف للإسلام من قوم يدينون به، يتسمون بأسماء المسلمين، فهذا ما يقع موقع الدهشة والاستغراب.

نحن نعلم أن الثقافة الإنسانية العامة ليست وقفا على فريق من الناس دون فريق، فلكل أمة من الأمم حظها الكبير أو الهين من هذه الثقافة التى أخذت تنتقل من الشرق إلى الغرب، ومن الغرب إلى الشرق خاضعة لناموس التطور، حتى اكتملت فى علوم ثابتة تأخذ مكانها بين المعارف الإنسانية العامة! ولن تجد من يدعى أن فرعاً من هذه العلوم قد اختص به اختصاصاً لا تمتد جذوره إلى سواه إذ إن المعارف المستحدثة فى مسائل التربية وعلم النفس والاجتماع مهما ظهرت اليوم بطابعها الغربى فإن الباحث المنصف يلمس جذورها البعيدة فيما يطالع من كتب الأقدمين فى الشرق والغرب، وعلينا اليوم أن نتلقى هذه العلوم فى ضوء مفاهيمنا الصحيحة، فننفى الزائف، ونؤيد الصحيح، أما أن ننقل ما يكتبه القوم نقلاً جامداً بعيداً عن النقد التوجيهى، فذلك ما يسدل الأغطية السوداء على الحقائق الأصيلة فيبعد الضوء عن طريق التائهين.

كنت أتصفح كتاباً مدرسياً يتحدث عن بعض مسائل الفلسفة فاستوقفنى فى فصله الأول بحث خاطئ يتحدث عن أنواع التفكير الإنسانى، إذ راعنى أن أجد الأساتذة المؤلفين ينقلون ما كتبه الماديون فى أوروبا نقلاً جامداً يضلل آلاف الطلاب ممن يدرسون الكتاب، ووجدت الأمر من الخطورة بحيث يحتاج إلى أجراس مجلجلة تنبه هؤلاء المؤلفين إلى أن مصطلحات أوروبا العلمية ليست مما لا يقبل التعديل، وبخاصة إذا تعرضت إلى ما يمس الدين فى صميمه الصريح، فعلى كل ناقل أن يحكّم عقله فيما ينقل، دون أن يجازف مجازفة منكرة حين يسطر للنشء مصطلحات زائفة تعصف بإيمانهم الرشيد، ولعل مما يفيدنا الآن أن نخص هذه المسألة الحية ببعض التوضيح.

لقد بحث ماديو الغرب مذاهب التفكير الإنسانى فانتهى بهم البحث إلى أن مناهج هذا التفكير تنحصر فى اتجاهات ثلاثة هى التفكير العلمى والتفكير الفلسفى والتفكير الدينى، فإذا كان المفكر يلاحظ الظاهرة فيفتش عن أسبابها ومسبباتها مستعينا بالملاحظة المباشرة، والتجربة المرئية دون تأثر بشىء سابق فهو يفكر تفكيراً علمياً، أما إذا كان المفكر يتجاوز الجزئيات إلى الكليات ويتطرق إلى البحث فى أمور عامة لا ينالها الإدراك العادى كأن يتحدث عن الخير والشر والخلق والعدم والروح والمادة والمبدأ والنهاية مستعينا بالاستدلال المنطقى البرىء من الأهواء والميول فهو يفكر تفكيرا فلسفيا، فإذا كان المفكر خاضعا لأهوائه وميوله، فلا يرجع بالأشياء إلى عللها الحقيقية ولا ينسب المسببات إلى أسبابها المباشرة بل يتخذ من أوهامه الخرافية دليلا على رأيه فهو يفكر تفكيراً دينيا! هكذا يقول باحثو الغرب عن عمد يهدف إلى زعزعة الحقائق الدينية، ثم هكذا ينقل عنهم أساتذة المسلمين لتلاميذهم البرءاء ومعنى ذلك أن على الطالب الناشئ أن يعتقد أن التفكير الدينى يبنى على الخرافة، فلا يرد الأسباب إلى مسبباتها، ولا يتقيد بمنطق النظر والاستدلال بل يتخبط فى ظلمات الأوهام والأباطيل! ومن الواضح أن الذين كتبوا هذا التقسم مبدئيا من ماديى الغرب كانوا يضعون الكنيسة وتعاليم البابوية فى مخيلاتهم، وربما لم يكن يدور فى أخلادهم أن الإسلام مناقض تمام المناقضة لما يتصورون من أوهام القساوسة! فما بالنا نجد الذين يتسمون بأسماء المسلمين ينقلون إلى طلابهم هذا التقسيم الجائر وهم يعرفون أن الإسلام دين النظر الصائب والاستدلال البصير وكيف غاب عن أذهانهم أن الطالب المسلم حين يقرأ عبارة «التفكير الدينى» لا يتجه تفكيره إلى غير دينه فتثور به الشكوك وهو بعد مراهق ساذج لا يجد من يهديه.

ونحن فى مجال البحث المحايد لا نحاول أن نستثير العاطفة بضروب من التهويل الخادع، ولكننا نحاول أن نكشف النقاب عن أباطيل زائفة فى قضية خطيرة من قضايا التفكير المعاصر، فلنمض مع هؤلاء الذين يقسمون مناهج التفكير الإنسانى ثلاثة أقسام؛ لنرى خصائص كل منهج من هذه المناهج ولنعرف بعد إلى أى منهج ينتمى التفكير الدينى فى منطق الإسلام الصحيح.

إن المتحدثين عن التفكير الدينى من علماء الغرب يزعمون أنه مذهب الرجل البدائى، فهو عندهم من خصائص أبناء الشرق القديم يتمثل فى معتقدات السابقين من فراعنة وفرس وآشوريين وبابليين وهنود، ويقوم على السحر والتعاويذ والتمائم ويهتدى بمزيج من المخاوف والآمال مستوحيا خيالات السذاجة وتهاويل الأحلام، وقد بقيت أصوله حية فى أعماق الزمن حتى لتظهر آثارها فى عصرنا الراهن، فيما يعتقده العامة فى الحسد والغيرة وزيارة الأضرحة ووضع التمائم وتفسير الأحلام وبركة القديسين ورؤية الأشباح وما إلى ذلك من الأمور.

وقبل أن نناقش هذا القول نصرح أننا لا ننكر أن كثيراً من البدائيين قد ضلوا مذاهب الرأى فى تعليل ما يشهدون من مظاهر الطبيعة، وما تفجأ به عقولهم الحائرة من رعد وبرق وليل ونهار

وحر وبرد، فقد كانت العواصف تطوح بالأكواخ، والسيول تجتاح الصخور، والزلازل تقلب وجه الأرض وهم حائرون يلتمسون وجه الرأى فيما يشهدون فلا يهتدون فيعمدون إلى تأليه الشمس والقمر والنار وما يضر وما ينفع من الأشياء رغبة ورهبة ولكن ليس معنى ذلك أن عصور الفراعنة والبابليين والآشوريين كانت جميعها عصور خرافة تجهل سيطرة القوة الآلهية على الكون وتستن من الخرافات تعليلاً واهياً لما كان ويكون!

لأننا نعلم أن هذه العصور قد رزقت من أنبياء الله رسلاً مخلصين، يخرجون الناس من الظلمات إلى النور، ويهدونهم الصراط القويم، فإبراهيم عليه السلام كان رسول الله إلى البابليين بالعراق وقد حارب الخرافات الدينية محاربة باسلة :

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾
قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾
فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾
قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾

(الأنبياء: ٥٢، ٦٠)

إلى أن قال لهم فيما تحدث به القرآن:

﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾
أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

(الأنبياء: ٦٦، ٦٧)

ومعلوم أن النبي ـ أى نبي ـ حين يهدم الوثنية في ملته إنما يستأصل الخرافة من أساسها، ليضع مكانها حقائق أصيلة تفسر مغاليق الكون، وترشد إلى التفكير الصحيح فإذا تركنا العراق إلى مصر فإننا نجد يوسف عليه السلام يخف إلى بلاد النيل في عهد الأسرة السادسة عشر ليصبح على خزائن الأرض، وليؤتيه الله الكتاب والحكمة ويعلمه مما يشاء، وليحطم الخرافات البالية حين يتحدث بوحدانية الله فيقول لصاحبي السجن فيما حكاه القرآن الكريم:

﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ
﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ
أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(يوسف: ٣٩، ٤٠)

ثم يأتي بعده موسى في عهد الأسرة التاسعة عشرة ليقول لفرعون الأول:

﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾

(النازعات – ١٨، ١٩)

ثم يدعوه إلى التفكير العقلي في ملكوت السموات والأرض إذ يقول عن ربه:

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا
وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾

(طه – ٥٣، ٥٥)

فالقول بأن عصور الفراعنة والآشوريين عصور خرافة عقلية يتجاهل رسالات الأنبياء تجاهلاً تاماً ولئن وضح ذلك في منطق الماديين من أصحاب الدراسات الغربية فكيف ننقله بقضه وقضيضه دون أن ننظر إلى مفاهيمنا الإسلامية كما سجلها القرآن الكريم إذ القول بتأليه البرق والرعد والشمس والقمر في بعض العهود لا يمنع القول من أن السماء في غابر هذه العصور قد أرسلت من أنبياء الله من هدى الناس فأنقذهم من خيالات الأوهام وضلالات الأساطير؟

وإذا كان الدين هو الذى مزق حجب الضلالة على تناسل العصور فكيف يجوز لنا أن نجعل التفكير الديني مرادفاً للتفكير الخرافي؟ وإذا فعل ذلك أعداء الأديان جميعاً لهوى معبود فكيف نقتدي بهم في باطل صريح؟! ثم نقدم ما يكتبون إلى عقول غضة لا تملك النقض والترجيح.

وإذا كان بعض العامة يعتقدون الآن في الأضرحة وزيارة الأولياء والأحجبة والتمائم والسحر والحسد والغيرة، أفيكون هذا وليد التفكير الديني كما يدعي ملاحدة الغرب أم يكون في منطق الإسلام خرقاً لقواعد التفكير الديني الصحيح التى تحكم العقل فيما يأخذ الإنسان ويدع من الأمور التى تجعل من مسرح الكون واختلاف الليل والنهار آيات لقوم يتفكرون.

(يتبع)

د./ محمد رجب البيومي

تفسير سورة النساء

لفضيلة/ الأستاذ الدكتور
محمد سيد طنطاوى
رحمه الله

قال تعالى:

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾

[الآيات: ٣٦ ـ ٣٨]

قال القرطبي ما ملخصه: أجمع العلماء على أن هذه الآية ـ وهي قوله ـ تعالى:

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾

من المحكم المتفق عليه ـ ليس منها شيء منسوخ. وكذلك هي في جميع الكتب. ولو لم يكن كذلك لعرف ذلك من جهة العقل وإن لم ينزل به الكتاب. والعبودية هي التذلل والافتقار لمن له الحكم والاختيار. فالآية أصل في خلوص الأعمال لله وتصفيتها من شوائب الرياء وغيره. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله ـ تعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك. من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»[1].

والمعنى: عليكم أيها الناس أن تخلصوا لله ـ تعالى ـ العبادة والخضوع، وأن تتجهوا إليه وحده في كل شئونكم بدون أن تتخذوا معه أي شريك لا في عقيدتكم ولا في عبادتكم ولا في أقوالكم ولا في أعمالكم، كما قال ـ تعالى:

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾

«البينة: ٥»

وهذه العبادة الخالصة لله ـ تعالى ـ هي حقه ـ سبحانه ـ علينا، فهو الذي خلقنا وهو الذي رزقنا وهو المتفضل علينا في جميع الحالات.

روى البخاري عن معاذ بن جبل قال: كنت ردف النبي ـ ﷺ ـ على حمار يقال له عفيرة. فقال: «يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله؟ قلت الله ورسوله أعلم. قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا. وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا فقلت: يا رسول الله! أفلا أبشر به الناس؟ قال: لا تبشرهم فيتكلوا».

وقد صدر ـ سبحانه ـ تلك الوصايا الحكيمة التي اشتملت عليها الآية الكريمة بالأمر بعبادته والنهي عن أن نشرك به شيئا، لأن إخلاص العبادة له أساس الدين، ومداره الأعظم الذي بدونه لا يقبل الله من العبد عملا ما، ولأن في ذلك إيماء إلى ارتفاع شأن تلك الوصايا التي سيقت بعد ذلك، إذ قرنها بالعبادة والتوحيد يكسبها عظمة وجلالا.

وعطف النهي عن الشرك على الأمر بالعبادة لله ـ تعالى ـ من باب عطف الخاص على العام، لأن الإشراك ضد التوحيد فيفهم من النهي عن الإشراك الأمر بالتوحيد. ثم أوصى ـ سبحانه ـ بالإحسان إلى الوالدين فقال:

﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

أي: عليكم أن تخلصوا لله العبادة ولا تشركوا معه شيئا، وعليكم كذلك أن تحسنوا إلى الوالدين بأن تطيعوهما وتكرموهما وتستجيبوا لمطالبهما التي يرضاها الله، والتي في استطاعتكم أداؤها.

وقد جاء الأمر بالإحسان إلى الوالدين عقب الأمر بتوحيد الله، لأن أحق الناس بالاحترام والطاعة بعد الله ـ عز وجل ـ هما الوالدان، لأنهما هما السبب المباشر في وجود الإنسان.

ومن الآيات التي قرنت الأمر بالإحسان إلى الوالدين بالأمر بطاعة الله قوله ـ تعالى:

---

[1] ١ـ تفسير القرطبي جـ٥ ص ١٨٠.

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾

«الإسراء: ٢٣»

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾

«الأنعام: ١٥١»

وقوله ـ تعالى:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

«البقرة: ٨٣»

ومن الأحاديث التي أمرت بالإحسان إلى الوالدين ونهت عن الإساءة إليهما ما رواه الترمذي عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال: «رضا الله في رضا الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين».

وروى أبو داود والبيهقي عن رجل من بني سلمة أنه جاء إلى النبي ﷺ فقال: «يارسول الله هل بقي علي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: نعم. الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما»[٢].

وقد جاءت هذه الجملة وهي قوله تعالى:

﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾

في صورة الخبر إلا أن المراد بها الأمر بالإحسان إليهما، ففي الكلام محذوف والتقدير: وأحسنوا بالوالدين إحسانا. فقوله وبالوالدين متعلق بالفعل المقدر.

ثم أمر ـ سبحانه ـ بالإحسان إلى الأقارب واليتامى والمساكين فقال: وبذي القربى واليتامى والمساكين.

أي وأحسنوا كذلك إلى أقاربكم الذين جمعت بينكم وبينهم رابطة القرابة والنسب، وإلى اليتامى الذين فقدوا الأب الحاني بأن تعطفوا عليهم، وترحموا ضعفهم، وتحسنوا تربيتهم ورعايتهم. وإلى المساكين الذين هم في حاجة إلى العون والمساعدة لفقرهم وضعفهم وعدم وجود ما يقوم بكفايتهم.

وقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تدعو المسلمين إلى الإحسان إلى الأقارب واليتامى والمساكين، ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾

«البقرة: ٨٣»

وقوله ـ تعالى:

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾

«الإسراء: ٢٦»

٢. التاج الجامع للأصول جـ٥ ص٦ للشيخ منصور علي ناصف.

ومن الأحاديث التي وردت في هذا المعنى ما رواه الشيخان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من سره أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه»، وروى الشيخان أيضا عن سهل بن سعد عن النبي ﷺ أنه قال: «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهذا وقال بإصبعيه السبابة والوسطى ـ أي أشار وفرج بين أصبعيه السبابة والوسطى».

وروى البخاري وغيره عن صفوان بن سليم عن النبي ﷺ أنه قال: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل»[٣].

ثم أمر ـ سبحانه ـ بالإحسان إلى طائفة أخرى من الناس فقال ـ تعالى ـ:

﴿ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾

والجار ذو القربى: هو الجار الذي قرب جواره أو هو الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب أو دين، فإن له مع حق الجوار حق القرابة.

والجار الجنب: هو الجار الذي بعد جواره عن جوارك من الجنابة ضد القرابة. يقال: اجتنب فلان فلانا إذا بعد عنه. وقيل هو الجار الذي لا قرابة في النسب بينه وبين جاره، ويقابله الجار ذو القربى.

وقد ساق ابن كثير عند تفسيره لهذه الجملة أكثر من عشرة أحاديث تتعلق بالإحسان إلى الجار ومنها ما رواه الشيخان عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه».

وروى الترمذي عن عبدالله بن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه. وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره»[٤].

والصاحب بالجنب: هو الرفيق في كل أمر حسن: كتعليم أو تجارة أو سفر أو غير ذلك.

قال صاحب الكشاف: «والصاحب بالجنب: هو الذي صحبك بأن حصل بجنبك إما رفيقا في سفر، وإما جارا ملاصقا، وإما شريكا في تعلم علم أو حرفة، وإما قاعدا إلى جنبك في مجلس أو مسجد أو غير ذلك فعليك أن ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة إلى الإحسان.

وقيل: «الصاحب بالجنب المرأة»[٥]

وابن السبيل: هو المسافر الذي انقطع عن بلده، ونفد ما في يده من مال يوصله إلى مبتغاه.

والسبيل: الطريق فنسب المسافر إليه لمروره عليه وملابسته له.

ومن الإحسان إليه إيواؤه وإطعامه

٣. التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول جـ٥ ص٩ وما بعدها.

٤. تفسير ابن كثير جـ١ ص٤٩٤.

٥. تفسير الكشاف جـ١ ص٥٠٩.

ومساعدته بما يوصله إلى موطنه.

والمراد بقوله:

﴿ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾

العبيد الأرقاء الذين ملكت رقابهم، فصاروا ضعاف الحيلة لامتلاك غيرهم لهم.

وقد أوصى النبي ﷺ بالإحسان إليهم في كثير من الأحاديث ومن ذلك ماورواه أبو داود وابن ماجه عن علي بن أبي طالب أن رسول الله ﷺ: «جعل يوصي أمته في مرض موته فيقول: الصلاة الصلاة. اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم».

وروى الإمام أحمد والنسائي عن المقدام ابن معد يكرب قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة. وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة. وما أطعمت زوجك فهو لك صدقة، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة».

وروى الشيخان عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «هم إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم»[6].

وبذلك ترى أن الآية الكريمة قد أمرت الناس بإخلاص العبادة لله - تعالى -، كما أمرتهم بالإحسان إلى آبائهم وإلى أقاربهم وإلى البائسين والمحتاجين وغيرهم ممن هم في حاجة إلى مد يد العون والمساعدة.

وبتنفيذ هذه الوصايا السامية تسعد الإنسانية، وتنال ما تصبو إليه من رقي واستقرار.

ثم ختم - سبحانه - الآية الكريمة بقوله:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾

والمختال: هو المتكبر المعجب بنفسه: سمي بذلك لأنه يتخيل لنفسه من السجايا والصفات والأفعال ما ليس فيه فيستعلي على الناس ولا يلتفت إليهم.

والفخور: هو الشديد الفخر بما يقول أو يفعل، المكثر من ذكر مزاياه ومناقبه، والمحب لأن يحمد بما لم يفعل.

أي: إن الله لا يحب من كان متكبراً معجبا بنفسه، ومن كان كثير الفخر بما يقول أو يفعل لأن من هذه صفاته لا يقوم برعاية حقوق الناس بل إن غروره ليجعله يستنكف عن الاتصال بهم وإن فخره ليحمله على التطاول عليهم.

والجملة الكريمة علة لكلام محذوف والتقدير: لا تفتخروا ولا تختالوا فإن الله لا يحب من كان متصفا بهذه الصفات القبيحة.

وقوله:

﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴾

بدل من قوله: ﴿ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾

أي: إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا ولايحب الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل، ويجوز أن يكون مبتدأ محذوف الخبر

٦. تفسير ابن كثير جـ١ ص ٤٩٥.

والتقدير: الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله مبغضون من الله أو أحقاء لكل ماينزل بهم من عذاب. وحذف لتذهب نفس السامع فيه كل مذهب. ودل على هذا الخبر المحذوف قوله:

﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾

ويجوز أن يكون منصوبا أو مرفوعا على الذم. إلى غير ذلك مما ذكروه في وجوه إعراب هذه الآية الكريمة.

والمعنى: أن الله - تعالى - لا يحب هؤلاء المختالين والفخورين، ولا يحب كذلك الذين لا يكتفون بالبخل بأموالهم عن إنفاق شيء منها في وجوه الخير مع أن بخلهم هذا مفسدة عظيمة. بل يأمرون غيرهم بأن يكونوا بخلاء مثلهم، وأن يسلكوا مسلكهم الذميم. قال صاحب الكشاف: أي يبخلون بذات أيديهم وبما في أيدي غيرهم. فيأمرونهم بأن يبخلوا به مقتا للسخاء ممن وجد منه السخاء. وفي أمثال العرب أبخل من الضنين بنائل غيره. ثم قال: ولقد رأينا ممن بلي بداء البخل، من إذا طرق سمعه أن أحداً جاد على أحد، شخص به، أي قلق وضجر، وحل حبوته واضطرب ودارت عيناه في رأسه. كأنما نهب رحله، وكسرت خزائنه ضجراً من ذلك وحسرة على وجوده»[7].

وقوله:

﴿ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾

بيان لرذيلة أخرى من رذائلهم الكثيرة أي: أنهم يبخلون بما في أيديهم ويأمرون غيرهم بذلك، ويكتمون ويخفون نعم الله التي أعطاها لهم فلا يظهرونها سواء أكانت هذه النعم نعما مالية أم علمية أم غير ذلك من نعم الله عليهم.

وقوله - تعالى:

﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾

بيان للمصير السيئ الذي يصيرون إليه بسبب أفعالهم القبيحة.

أي: وهيأنا لهؤلاء الجاحدين لنعم الله الكافرين بوحيه عذابا يهينهم ويذلهم وينسيهم ما كانوا فيه من فخر وخيلاء وغرور.

قال الآلوسي ما ملخصه: ووضع - سبحانه - المظهر موضع المضمر؛ للإشعار بأن من هذا شأنه فهو كافر لنعم الله، ومن كان كافراً لنعمه فله عذاب يهينه كما أهان النعم بالبخل والإخفاء.

وسبب نزول هذه الآية أن جماعة من اليهود كانوا يأتون رجالا من الأنصار فيقولون لهم: لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر في ذهابها، ولا تسارعوا في النفقة فإنكم لا تدرون ما يكون. فأنزل الله قوله - تعالى:

٧. تفسير الكشاف جـ١ ص ٥١٠.

﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ ﴾ إلى قوله:

﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾

وقيل نزلت فى الذين كتموا صفة النبى ﷺ وبخلوا بحق الله عليهم وهم أعداء الله - تعالى - أهل الكتاب (8).

وقوله - تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾

معطوف على الذين يبخلون وإنما شاركوهم فى الذم وسوء العاقبة لأن البخل بإظهار نعم الله فى مواضع الخير وكتمانها، يستوى مع الإنفاق الذى لا يقصد به وجه الله فى القبح واستجلاب العقاب، إذ أن الذى ينفق ماله على سبيل الرياء والسمعة لا يتوخى به مواقع الحاجة، فقد يعطى الغنى ويمنع الفقير، وقد يبذل الكثير من المال ولكن فى المفاسد والشرور والمظاهر الكاذبة.

والمعنى: والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس أى قاصدين بإنفاقهم الرياء والسمعة لا وجه الله - تعالى - ولا يؤمنون بالله الذى له الخلق والأمر، ولا باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب... هؤلاء الذين يفعلون ذلك يبغضهم الله - تعالى -، ويجازيهم بما يستحقون من عذاب أليم.

روى مسلم عن أبى هريرة قال: سمعت النبى ﷺ يقول: قال الله - تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك. من عمل عملا أشرك معى فيه غيرى تركته وشركه.

وقوله:

﴿ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾

جملة معترضة لبيان أن صحبتهم للشيطان ومطاوعتهم له هى التى دفعتهم إلى البخل وإلى الرياء وإلى عدم الإيمان بالحق الذى آمن به العقلاء من الناس.

والمراد بالشيطان هنا: كل ما يغرى الإنسان بالشر ويدفعه إليه من الإنس أو الجن. والقرين: هو الصاحب الملازم للإنسان. فهو فعيل بمعنى مفاعل، كخليط بمعنى المخالط.

وساء هنا: بمعنى بئس. وقرينا تمييز مفسر للضمير المستكن فى ساء. والمخصوص بالذم محذوف وهو الشيطان الذى يدفع الإنسان إلى الشرور والآثام.

والمعنى ومن يكن الشيطان مقارنا ومصاحبا له فبئس المصاحب وبئس المقارن الشيطان لأنه يدعوه إلى المعاصى التى تفضى به إلى النار.

وفى الآية الكريمة إشارة إلى أن قرناء السوء يفسدون الأخلاق: لأن عدوى الأخلاق تسرى بالمجاورة، كما تسرى عدوى الأمراض البدنية.

والمقصود من الجملة الكريمة نهى الناس عن طاعة شياطين الإنس والجن الذين يحرضون على ارتكاب الفواحش والقبائح، ويزينون لأتباعهم الشرور والآثام.

8- تفسير الألوسى جـ5 ص30.

كنانة الله

لفضيلة الشيخ / ابراهيم عطا الفيومى

روى الإمام مسلم بسنده فى صحيحه عن أبى ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم ستفتحون مصر وهى أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحما. أو قال: ذمة وصهرا...».

التعريف بالراوى

أبو ذر الغفارى: كنية الصحابى الجليل جندب بن جنادة رضى الله عنه، وقد اختلف فى اسمه ونسبه اختلافا كثيرا وهذا أشهر وأصح ما قيل فيه. من كبار الصحابة وفضلائهم وسابقيهم إلى الإسلام، أسلم والنبى ﷺ بمكة أول الإسلام فكان رابع أربعة أو خامس خمسة، وهو أول من حيّا رسول الله ﷺ بتحية الإسلام، ولما أسلم رجع إلى بلاد قومه فأقام فيها حتى هاجر النبى ﷺ فأتاه بالمدينة بعدما ذهبت بدر وأحد والخندق، وصحبه إلى أن مات ﷺ، وكان يعبد الله تعالى قبل مبعث النبى ﷺ بثلاث سنين، وبايع النبى ﷺ على ألا تأخذه فى الله لومة لائم، وعلى أن يقول الحق وإن كان مرًّا. وكان آدم طويلا أبيض الرأس واللحية. وكان من أوعية العلم المبرزين فى الزهد والورع والقول الحق، روى عنه جماعة من الصحابة منهم: عمر بن الخطاب وابنه عبدالله بن عمر وابن عباس وغيرهم من الصحابة رضى الله عنهم. توفى أبو ذر سنة اثنتين وثلاثين بالربذة وصلى عليه عبدالله بن مسعود رضى الله عنه ثم مات بعده فى ذلك العام، وحملوا عياله إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه بالمدينة فضم ابنته إلى عياله وقال: يرحم الله أبا ذر.

اللغويات

«إنكم ستفتحون»: إخبار بأمر غيبي مؤكد، فهو من جملة الإعجاز، وقد وقع كما أخبر به النبي ﷺ.

«مصر»: سميت باسم أول من سكنها وهو مصر بن بنصر بن سام بن نوح عليه وعلى نبينا السلام.

«وهي أرض يسمى فيها القيراط»: القيراط - في لغة اليونان - نصف دانق، والدانق عندهم اثنتا عشرة حبة، والحساب يقسمون الأشياء أربعة وعشرين قيراطا؛ لأنه أول عدد له ربع وثمن ونصف وثلث صحيحات من غير كسر. وقد قال العلماء: القيراط جزء من الدينار والدرهم وغيرهما، وكان أهل مصر يكثرون من استعماله والتكلم به.

«فإن لهم ذمة ورحما»: أي ذماما، يعني: حقا وحرما. والرحم التي لهم كون هاجر أم إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - من مصر؛ لأنها أعطاها الجبار لسارة امرأة إبراهيم عليه السلام لما منعته يد القدرة عنها فأعطتها سارة إبراهيم فحملت منه إسماعيل. والصهر كون مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ منهم؛ لأن المقوقس صاحب مصر لما كاتبه النبي ﷺ يدعوه إلى الإسلام لم يسلم، وإنما أرسل بهدية إلى النبي منها مارية وسيرين فحملت مارية بإبراهيم، وأعطى سيرين حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه.

الشرح والبيان

من سمات الإسلام العظيمة وخلاله الحميدة وصفاته الكريمة - السماحة والجود والسخاء والكرم وإكرام الضيف وصلة الرحم والإحسان إلى الأهل والأقرباء، وقد كان رسول الله ﷺ القدوة الحسنة والأسوة الطيبة في ذلك قبل البعثة وبعدها، آية ذلك أنه لما رجع إلى أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ترجف بوادره من روعة الوحي حين نزل عليه أول مرة ويقول لها: «لقد خفت على نفسي»، قالت له: «كلا والله لا يخزيك الله أبدا؛ إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق» «رواه عبدالرزاق في مصنفه عن عائشة رضي الله عنها»، وكأني بها تقول له ﷺ: ومن كانت هذه صفاته فلن يضل ولن يذل ولن يخزى، ولم تكن أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها مبالغة في مدحها النبي ﷺ ولا مجاملة له، بل كان ما قالته هو الحق، يتجلى ذلك بوضوح فيما رواه مسلم عن أبي هريرة قال: «لما أنزلت هذه الآية:

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾

- دعا رسول الله ﷺ قريشا فاجتمعوا فعم وخص، فقال: يابني كعب ابن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة ابن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يابني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار، يابني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يابني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يابني عبدالمطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يافاطمة أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئا غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها»، والبلال: الماء، والمعنى: سأصلها؛ شبه قطيعتها بالحرارة تطفأ بالماء وهذه تبرد بالصلة.

وكأني برسول الله ﷺ - وقد كشف الله له الغيب، وأزال أمامه حجب الزمن، وأطلعه على أمور تحدث في المستقبل لها خطرها وشأنها - فبشر أصحابه بجانب منها ليسرهم ويفرحهم، فأكد لهم أن الله سيفتح لهم مصر وأوصاهم بأهلها خيرا حين يتم الله عز وجل لهم ذلك، يؤكد ذلك الرواية الثانية لمسلم: «فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحما - أو قال: ذمة وصهرا»، والرحم التي لهم كون هاجر أم إسماعيل بن ابراهيم - عليهما السلام - من مصر، والصهر كون مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ منهم.. وهذا شرف عظيم لمصر وأهلها؛ حيث شرفها رب العالمين بذكرها في القرآن الكريم، قال تعالى في شأن يوسف عليه السلام:

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾

وشرفها رسول الله ﷺ بذكرها في سنته المطهرة في هذا الحديث ونحوه.

بلد معافاة من الفتن

ومما يدل على هذه المكانة ما يروى عن كعب الأحبار: «مصر بلد معافاة من الفتن من أرادها بسوء كبه الله على وجهه»، ومن ذلك ما جاء في الأثر: «مصر كنانة الله في أرضه، من أرادها بسوء قصمه الله»، وصدق أمير الشعراء:

يا مصر، انت كنانة الله التي
لا تستباح، وللكنانة حام
استقبلي الآمال في غاياتها
وتاملي الدنيا بطرف سام

والكنانة: جعبة السهام، ونسبتها إلى الذات الإلهية يعني أن مصر دائما هي مصدر الحماية والدفاع عن الإسلام، ويشير إلى الحماية الإلهية لأبناء مصر الصادقين في اضطلاعهم بهذا الدور وتحملهم هذه المسئولية؛ ولذلك جاء في الأثر ما يفيد أن في مصر خير أجناد الأرض، وأنهم في رباط إلى يوم القيامة.

عظمة الإنسان المصرى

وحقا لقد أوقفت مصر التاريخ خاشعا مبهورا ليسجل أبناؤها البررة وجنودها البواسل - بحروف من نور، بل بحروف من دمائهم الذكية - عظمة الإنسان المصرى الذى شاء الله عز وجل أن يكون مدافعا عن دين الإسلام وعقيدة الإسلام ودعوة الإسلام إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، وخير شاهد على ذلك وجود الأزهر الشريف في مصر، حيث يقصده الطلاب المسلمون من كل أقطار الدنيا وأمصار الأرض لحفظ القرآن الكريم وتعلم اللغة العربية والدين، ثم يعودون إلى بلادهم دعاة للحق ناصحين، وهداة للدين ومرشدين، ومن الأزهر الشريف تنطلق الوفود والبعوث إلى كل

الدنيا لنشر الهدى والنور.

أما جندها البواسل فيكفيهم شرفا وعظمة وفخارا أنهم صدوا أعداء الإسلام وأحبطوا مؤامراتهم على مر العصور وتتابع الأعوام؛ من تتار وصليبيين ومستعمرين.

عزت بهم امة عزت بما ملكت

فى قوة الحق من عز وسلطان

العاشر من رمضان

وفى العصر الحديث فاجأت مصر العالم كله بأعظم انتصار على أحدث المقاييس العسكرية «انتصار العاشر من رمضان «السادس من أكتوبر»؛ حيث حطمت أسطورة الجيش الإسرائيلى الذى لا يقهر، فتحية عطرة لكم ـ يا جند مصر وجيشها العظيم ـ لقد سجلتم لها أروع صحائف الخلد، وأكسبتموها من المجد ما يبقى أبد الدهر:

بعثته مصر مجاهدا ورمت به

فرمت بجيش للفتوح عرمرم

خاض الغمار يهد كل كتيبة

ويهز رايات الكمى المعلم

متجردا لله يطلب حقه

ويقيم جانب شعبه المتهدم

ففازوا بسعادة الدارين، قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

(التوبة: ١١١)

وقال:

﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

(النساء: ٧٤)

ومصر ـ كانت ولاتزال بحمد الله ـ عند حسن الظن بها وبأهلها؛ فمع تدينهم الكبير لم تتطرف، بل كانت دائما أبدا على مر العصور وتتابع الأجيال مثلا أعلى فى الوسطية والاعتدال.

وقد حقق الله عز وجل ما بشر به النبى ﷺ من فتح مصر ليكون من جملة الإعجاز، فكان كما أخبر المصطفى ﷺ، وكيف لا وقد قال الله عز وجل:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾

(النجم: ٣ - ٤)

وفقنا الله لما يحب ويرضى، وأدام مصر واحة للأمن والأمان، وجعلها وبلاد المسلمين رخاء سخاء، إنه ولى ذلك والقادر عليه.

***

حق المساواة فى الإسلام

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم
عضو مجمع البحوث الإسلامية

يراد بالمساواة المماثلة، وعدم التفاوت بين الناس فى الأمور التى لا تتميز خصائص الناس وأعمالهم فيها بالمنافسة والاستزادة فى أعمال الخير، فمن رشحته خصائصه ومواهبه فتنافس فى الخير وزاد عمله وجده واجتهاده على غيره، فهذا من الأمور الخاصة التى يأخذ كل إنسان فيها حقه بقدر عمله واجتهاده.

أما إذا كان الناس سواسية فى العمل والاجتهاد ولا تمييز لأحد على الآخر، فلا يصح أن يكون هناك تفاوت بينهم فى حقوقهم.

فالناس – مثلا – فى أصل خلقتهم وفطرتهم خلقهم الله تعالى من نفس واحدة، فهم متساوون فى هذا الأصل قال الله جل شأنه:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾

(النساء: ١)

فجميع الخلق يرجع أصلهم إلى أب واحد، وأم واحدة، والكل يرجع إلى آدم أبى البشر عليه السلام كما قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

(الحجرات: ١٣)

وتتجلى المساواة بين الناس فى أن ربهم واحد وأن أباهم واحد فلا فضل لأحد على أحد إلا بتقوى الله تعالى.

قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربى على أعجمى، ولا لعجمى على عربى، ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى»[1]

ويتساوى الناس جميعا فى مسئوليتهم أمام الله سبحانه وتعالى كل

(١) رواه أحمد.

حسب موقعه، ومهمته التي هو قائم عليها، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»[٢]

وقال ﷺ في حجة الوداع: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا ألا هل بلغت اللهم فاشهد»[٣]

والناس جميعا سواسية في الجزاء والعقوبة لا فرق بين شريف وغيره، ولا غني وفقير، ولا رئيس ومرءوس.

عن السيدة عائشة رضي الله عنها أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ، فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام فاختطب فقال: «يا أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[٤]

وهكذا أرسى رسول الله ﷺ قاعدة ثابتة في المساواة بين الناس، على ضوئها تحل مشكلة العصبية والتمييز العنصري، بتطبيق عملي حازم، لا تعرف الدنيا له مثيلا، وبهذا نرى كيف كان للإسلام فضل السبق في إرساء قواعد الحق والعدل، وتطبيق المبادئ السامية التي لا تفرق بين إنسان وإنسان، فلا تمييز ولا محاباة، ولا فضل لأحد على أحد إلا بالعمل الصالح.

وقد وجه الرسول ﷺ المسلمين إلى تطبيق المساواة بحيث لا يكون هناك فرق ولا تمييز بين إنسان وآخر ولا بين جنس وجنس ولا بين لون وآخر فعندما قال أبوذر رضي الله عنه لأحد الناس يا ابن السوداء قال له النبي ﷺ: طف الصاع طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل.

وفي رواية أخرجها البخاري: «أعيّرته بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية إخوانكم خولكم» أي خدمكم «جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم وليلبسه مما يلبس» ولذا كان أبوذر يُلبس غلامه بعد ذلك مثل لبسه وفي رواية للحديث أن أبا ذر قال للرجل الذي قال له: يا ابن السوداء: قم فطأ على خدي ووضع خده على الأرض، تكفيرا لذنبه واسترضاء للرجل واعتذارا له.

● وقرر الإسلام المساواة بين الناس في تولي المناصب والأعمال عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من استعمل رجلا على عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين»[٥] «والعصابة» هي الجماعة من الناس.

وعن يزيد بن أبي سفيان قال: قال أبوبكر رضي الله عنه حين بعثني إلى الشام: يا يزيد إن لك قرابة عسيت أن تؤثرهم بالإمارة وذلك أكبر ما أخاف عليك، فإن رسول الله ﷺ قال: «من ولي من أمر المسلمين شيئا فأمر عليهم أحداً محاباة فعليه لعنة الله، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا حتى يدخله جهنم»[٦]

وإذا ما تحققت المساواة تحقق العدل والأمان والاستقرار في الأرض، وإذا ضاعت المساواة، وكانت المحاباة والتفرقة بين الناس كان الاضطراب وكانت الفتن التي تؤذن بالنهاية.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم جاء أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه قال: أين أراه السائل عن الساعة؟ قال: ها أنا يارسول الله قال: فإذا ضُيعت الأمانة فانتظر الساعة قال: كيف إضاعتها؟ قال: «إذا وُسّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»[٧]

هذا، وإن رسول الله ﷺ جعل من نفسه قدوة للمسلمين في استيفاء الحقوق ليؤكد على جميع المسئولين والحكام والولاة من بعده أن يطبقوا المساواة بينهم وبين الناس وألا يميزوا أنفسهم على غيرهم، فها هو ذا رسول الله ﷺ خرج أثناء مرضه الأخير بين الفضل بن عباس وعلي بن أبي طالب حتى جلس على المنبر ثم قال: «أيها الناس إنه قد دنا مني حقوق من بين أظهركم فمن كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهري فليستقد منه، ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضي فليستقد منه ومن كنت أخذت له مالا فهذا مالي فليستقد منه، ولا يقولن رجل: إني أخشى الشحناء من قبل رسول الله، ألا وإن الشحناء ليست من طبيعتي ولا من شأني ألا وإن أحبكم إليّ من أخذ حقا إن كان له، أو حللني فلقيت ربي وأنا طيبَ النفس ألا وإني لا أرى ذلك يغني عني حتى أقوم فيكم مرارا ثم نزل فصلى الظهر، ثم رجع إلى المنبر فعاد لمقالته الأولى»[٨]

وقد اقتدى أبوبكر الصديق رضي الله عنه برسول الله ﷺ في تطبيق المساواة بينه وبين الناس، وتطبيقها بين الناس بعضهم مع بعض فلا تمييز لأحد على أحد فقد قال أبوبكر الصديق رضي الله عنه إبان توليه الخلافة:

«أيها الناس فإني قد وليتُ عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أزيل علته إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ منه الحق إن شاء الله».. وشهدت الحياة العملية تطبيق المساواة من الخلفاء الراشدين ومن الصحابة أجمعين رضوان الله تعالى عليهم ولا فرق بين واحد من عامة الناس وبين واحد من المسئولين فالكل سواسية لا فرق بين إنسان وآخر، وكانوا يطبقون الحقوق والواجبات في عدالة ومساواة بين الجميع عن أنس رضي الله عنه أن رجلا من أهل مصر أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين: عائذ بك من الظلم، فقال: عذت بمعاذ قال: سابقتُ ابن عمرو بن العاص فسبقته، فجعل يضربني بالسوط ويقول: أنا ابن الأكرمين، فكتب عمر إلى عمرو رضي الله عنهما يأمره بالقدوم ويقدم بابنه معه، فقدم، فقال عمر: أين المصري؟ خذ السوط فاضرب ابن الأكرمين. فجعل يضربه بالسوط ويقول عمر: اضرب ابن الأكرمين، قال أنس فضرب والله لقد ضربه ونحن نحب ضربه فما أقلع عنه حتى تمنينا أنه يرفع عنه. ثم قال للمصري: ضع على صلعة عمرو، فقال يا أمير المؤمنين إنما ابنه الذي ضربني وقد استقدت منه، فقال عمر لعمرو: مذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟ قال: يا أمير المؤمنين لم أعلم ولم يأتني.

(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) رواه البخاري ومسلم.
(٤) رواه مسلم.
(٥) رواه الحاكم.
(٦) رواه أحمد.
(٧) رواه البخاري.
(٨) رواه الطبراني في المعجم الكبير.

الإسلام ومعوقات الحوار مع العالم الشرقى

للدكتور/ محمد الشحات الجندى
الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

مما ينبغى رصده فى العالم المعاصر أن العلاقات بين أتباع الأديان، ليست على الصورة التى أرادها الله أن تسود بين بنى الإنسان فإن الله أنزل الأديان للبشر لتكون منبعاً للسعادة والعلاقات الطيبة بين الناس، وسلاماً بين العالمين، ولم تكن الأديان بحسب رسالتها وغاياتها وسيلة للتباغض أو التحاسد أو الكراهية أو للصراع والحروب بين بنى البشر كما هو الحاصل بين أصحاب الأديان والثقافات والحضارات فى العصر الراهن، على الرغم من مخالفة ذلك لما جاء فى تعاليم الأديان والكتب المقدسة، التى جاءت لنشر السلام على الأرض، ومخالفة ذلك للمواثيق الدولية.

وهذا يجعل من تفعيل الخطاب الدينى مسئولية حتمية على قادة الأديان الاضطلاع بها تلك المسئولية النابعة من واجبهم الدينى، فى الارتقاء بالخطاب الدينى لمواجهة الآثار السيئة فى عالم منقسم على نفسه.

وفى هذا السياق، نقدم رؤية الإسلام تجاه الأديان الأخرى، وبصفة خاصة الأديان الشرقية فى ضوء العوائق التى تحول دون تفعيل الحوار الدينى بين العالم الإسلامى والعالم الشرقى.

معوقات الحوار

ينبغى الاعتراف بأن هناك كثيراً من المفاهيم المغلوطة وسوء الفهم بين قادة وأتباع الأديان فيما يتعلق بنظرتهم إلى الدين الآخر، وهذا من الأسباب التى تقف عقبة كؤوداً فى انطلاق الحوار.

بالنسبة للإسلام، فإنه رسالة الله إلى الإنسانية وقد شددت على الرحمة والتسامح والتعايش، وقد خص القرآن رسالة النبى محمد ﷺ بقوله:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾

(الأنبياء: ١٠٧)

والحقيقة أن النبى والصحابة أقاموا دولة إسلامية، بين عديد من الأجناس والأمم والمجتمعات المتعددة الأديان بين البشر جميعاً، على أساس من العدالة والمشاركة فى الوطن مع الاعتراف لهم بحرية العقيدة، والجنسية والعادات والتقاليد واللغة، وهو ما أدى إلى انتشار الإسلام واعتناقه بواسطة العديد من الناس.

والحق أن هذا التحول الكبير قد حدث منذ البداية من أمم مختلفة، مثل الرومان والفرس والهنود وأمم أخرى متحضرة.

ومن أجل فهم حقيقة الإسلام، فإنه ينطوى على معنى شامل يحتوى على جوانب متعددة تخاطب الفطرة البشرية، فهو اسم للدين الذى يحتوى الأديان الأخرى أو الدين الذى يؤلف بين مجتمع المؤمنين تحت مظلة الإيمان، أو هو ذلك الدين الذى يشير إلى هوية دينية ذات أبعاد سياسية وثقافية، وبالإضافة إلى ذلك فقد أنتج الإسلام ثقافة وحضارة متميزة.

وفوق ذلك فإن الإسلام يكفل التنوع والتعددية تحت لواء الوحدة.

هذه هى فلسفة الاجتماع فى الإسلام، ومن خلالها تمكن من أن يكسب القلوب ويقنع المخالفين.

ومن المعلوم أن الإسلام قد انتشر فى أرجاء المعمورة فى فترة قصيرة استطاع أن يفتح بلاداً كثيرة إذا قورنت بالإمبراطورية الرومانية، اعتماداً على فلسفته الجامعة التى تؤلف بين البشر فى الاجتماع الإنسانى، التى فتحت القلوب والعقول لاعتناق الدين الجديد، من ناحية أخرى، فإن العديد من غير العرب حملوا رسالة الإسلام فى الثقافة والعلوم، وأسهموا فى مجالات علمية مختلفة، منها على سبيل المثال: إضافة فهم متميز إلى العقيدة والفقه والفلسفة والحديث والتفسير، وكذا الفيزياء والكيمياء، والأحياء، والطب، والجغرافيا وعلم الاجتماع.

الإسلام دين عالمى لا يحصر نفسه فى مكان ولا زمان ولا جنس ولا قومية بعينها، لذلك فإنه ليس ديناً للعرب وحدهم، حتى لو كان نبيه ﷺ عربياً وكتابه القرآن الكريم باللغة العربية.

فليس غريباً أن يكون المجتمع الإسلامي مجتمعاً متعدد الجاليات يتكون من المسلمين واليهود والمسيحيين والمجوس والوثنيين، ومن قوميات شتى عربية، وفارسية وروماني وطورانية وبرابرة وفرعونية ومغول وهنود..إلخ، وهم مختلفون في أمور كثيرة.. وبالرغم من ذلك فقد عاشوا كأمة موحدة في وطن واحد في سلام وأمان.

ولا شك أن من بين الإشكاليات التي يعاني منها مواطني المجتمعات متعددة الأديان، استخدام العنف والإرهاب ومهاجمة كل فريق للآخر، على الرغم من أن الدين يأمرهم بالتسامح والعفو.

بالإضافة إلى ذلك هناك الخوف، والشك، والجهل بين أصحاب الأديان، الذي يؤدي إلى الانتقام والصدام وحتى الحرب على الرغم من أن هذه الأمور ممنوعة محظورة وغير مشروعة عند الله.. فضلاً عن أنها ضد قيم الأديان، بالإضافة إلى أنها ليست في مصلحة أي مجتمع أو أي دين أو أية دولة.

المنظور الإسلامي

يقدم الإسلام من منطلق عالميته منظومة شاملة للحياة والناس، تقوم على حقائق دينية ومدنية تستوعب قيم الأديان، وتستجيب لمقتضيات المدنيات الكبرى، فالعلاقة بين الإسلام وبين الأديان والثقافات تقوم على المشاركة والالتقاء بها، وتؤثر فيها وتتأثر بها، وتتفاعل معها.

لما فيه الصالح العام، من خلال التفاهم والتعارف كل بالآخر.. وهذا يمثل هدفاً أساسياً في الإسلام، على الرغم من الاختلاف في الجنس والدين والوطن واللون واللغة، وهو موجب قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾

(الحجرات: ١٣)

وللتعارف الذي أراده الإسلام للعلاقات بين البشر لم يخصه الله بدين دون آخر، فهو مطلوب بين المسلم وغير المسلم، مع المسيحي واليهودي، ومع البوذي والهندوسي، والكنفوشيوسي والزرادشتي، وأن مقصود الإسلام كذلك عدم التمييز بين أجناس البشر دون اختصاص بجنس بعينه وإقصاء الأجناس الأخرى، فلا تعصب لجنس ولا للون ضد لون، أو لأصحاب لغة واستبعاد المتحدثين بلغة أخرى، فإن الإسلام في رسالته الإنسانية للبشر طلب من المسلم وحثه على التعارف مع الجميع.

والتعارف المشار إليه أرحب أفقاً، وأوسع مدركاً وأقوى حجة في دعم ونشر العلاقات الطيبة بين البشر بكل الصور التي تعمق من هذا التعارف، الذي قد يشمل التفاهم والتعايش والتعاون والتحاور والتواصل والتساند فيما بين البشر.. وهو قد يكون حتمياً أو واجباً إذا كان السبيل الوحيد لتحقيق النفع

المشترك، ودرءاً للضرر والأخطار، ونشراً للسلام والأمان، والتمكين للإيمان بالله وعبادته الحقة في الكون الذي يعيش فيه الإنسان سيداً، هيأ الله له الكون بكل ما فيه لتحقيق السعادة في الدنيا والآخرة، في الشئون الروحية والمادية على سواء.

التعددية أصل إسلامي

فالمطلع على البناء العقدي في الإسلام، الذي جسده القرآن والسنة، يجد أنه شيد دعائمه على التعددية الدينية، وهي تعددية في المجتمع الإسلامي لم تقتصر على الإسلام والمسيحية واليهودية، بل تجاوزت ذلك إلى معتقدات أخرى، المجوسية والوثنية والصابئة وهو ما عبر عنها القرآن الكريم بقوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾

(الحج: ١٧)

وقد تناول القرآن هذه العقائد باعتبار تواجد رعاياها بين أفراد المجتمع الإسلامي، فلم يشأ أن يصادر وجودها أو يخل بحقوق أتباعها في الاختلاف والحقوق الأساسية في الاجتماع الإنساني، ولم يقم بينه وبينها خصومة أو قطيعة لمجرد الاختلاف العقدي وجعل الحكم في هذه التعددية الدينية مرجعها إلى الله تعالى يوم القيامة.

كما وُجدت هذه التعددية في المجتمع الإسلامي وشملت غير المسلمين من أتباع العقائد غير الكتابية مثل المجوس وغيرهم.

وسلك الرسول ﷺ مع بعضهم مسلك الاعتراف بهم ومعاملتهم كأصحاب معتقدات يعاملون معاملة أصحاب الأديان الكتابية، فيما عدا مصاهرتهم أو أكل ذبائحهم، وهي لا تؤثر على حقوقهم في حرية العقيدة، وحق المواطنة، ويظهر ذلك في حديث الرسول ﷺ عن المجوس: «سنوا بهم سنة أهل الكتاب»[1].

أيضاً فإنه بعد أن أقام الرسول ﷺ دولة المدينة، عقد معاهدات دفاعية مع غير المسلمين خارج المدينة ومعاهدات ثنائية مع عرب الجاهلية البعض منهم اعتنق الإسلام بعد ذلك بعشر سنوات، وطوال السنين المتطاولة، أقيمت العلاقات بينهم على أساس الثقة المتبادلة[2] أساسها التعايش السلمي.

ولا يجوز في النظر الإسلامي السليم أن تستبعد الأديان الأخرى غير الأديان الإبراهيمية الثلاثة الإسلام والمسيحية واليهودية فكما أن الإسلام يرتبط

---

(١) الموطأ للإمام مالك، جـ ١ ص ٢٧٨، مسند البزار جـ ٣، ص ٢٦٤، سنن البيهقي جـ ٨ ص ١٢٥.

(٢) محمد حميد الله، مدخل إلى الإسلام باللغة الإنجليزية، لاهور - باكستان ١٩٨٣م، ص١٦٨.

بالأديان الكتابية اليهودية والمسيحية، على أساس أنها تنبع من أصل واحد ولها كتب مقدسة معروفة التوراة والإنجيل، فإنه يوجد قواسم مشتركة بين الإسلام والعقائد الشرقية البوذية والهندوسية والزرداشتية والكونفوشيوسية.

خطاب المصلحة

والقيم معتبر فى الشرع

يبغى الإسلام تحقيق مصالح الناس، وهى محل الاعتبار فى المناشط المختلفة، يحققها الفرد لنفسه وكذلك الجماعة والدولة والأمة، لكنها فى المفهوم الإسلامى مصلحة مشروعة للدين والدنيا، وهو ما بينه حديث: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً»[٣].

والحق أن هدف الرسالات السماوية هو الإصلاح، وهو ما جاء على لسان نبى الله شعيب عليه السلام:

﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾

(هود: ٨٨)

وعلى هدى ذلك، فإن للعالم الإسلامى مصلحة لا يجوز إنكارها فى التحاور الجاد مع أتباع الديانات الشرقية، وفى إقامة علاقات طيبة مع شعوبها ودولها، وفى تقديم خطاب إسلامى صحيح يرتقى بالعلاقات مع تلك الشعوب والدول ولا يتحقق إلا بالخطاب المستنير القائم على العمل الجاد الهادف وليس بالآمال والتمنى.

ويتطلب ذلك إزالة العوائق التى تحول دون استمرار هذا الحوار أو تمنع قيامه وحصوله، لأن ذلك من المصالح المقصودة فى الشريعة، فإنها كما يقول ابن القيم:[٤] تتضمن غاية مصالح العباد فى المعاش والمعاد وذلك بالحفاظ على الدين وتنمية الدنيا.

وترتيباً على ذلك فإن رعاية المصالح الإسلامية تتحقق عن طريق قيام علاقة بين العالم الإسلامى مع غير المسلمين على أساس من التعاون والعدالة والنفع المشترك وهو من قبيل الواجبات، لأن فيه المحافظة على الحقوق وصيانة النفوس والتعايش بين بنى البشر فى سلام وأمان، بعيداً عن الحروب والصراعات، وهو مطلب إسلامى أساسى ولا شك أن وجود المسلمين فى منطقة جنوب شرق آسيا بأعداد كبيرة وفى مناطق واسعة يتطلب الاستجابة الفاعلة إلى احتياجاتهم إذ يحرص هؤلاء المسلمون على دينهم، وممارسة شعائر العبادة الإسلامية فى وطنهم وتمتعهم

(٣) غريب الحديث لابن قتيبة، جـ ١، ص ٢٨٦.

(٤) الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية، مطبعة المدنى، ص ٥.

بحقوق المواطنة، وأدائهم لواجباتهم، وفى ذات الوقت الانتماء للأمة الإسلامية والعالم الإسلامى، وهى مسألة على قدر كبير من الأهمية.

وأمر على هذا القدر من الأهمية يتطلب التوفيق بين اندماج المسلم والمشاركة فى الوطن، والارتباط بالانتماء للجامعة الإسلامية، كواجب دينى، ويقتضى فى نفس الوقت توفير الأجواء لعلاقات طيبة وتعايش يقوم على الود والسلام المجتمعى والدولى، على المستوى الداخلى والخارجى، والانفتاح على الأديان الشرقية وشعوبها ودولها.

وهذه إحدى الإشكاليات التى تحتاج إلى حوارات دينية وخطاب دينى سليم، وتعامل مجتمعى صحيح.

إن واجب قادة الأديان أن يحيوا القيم المشتركة فى نفوس أتباع العقائد والأديان كوسيلة للاتحاد والالتقاء، فإن الأديان تغرس الإيمان فى النفوس، وأن الله خالق الكون، كما تتفق جميعاً على قيم وجوانب سلوكية وأخلاقية مثل الصدق والأمانة والوفاء بالعهد والعدل والتواضع، وحب الخير، وفى المقابل فإنها تحظر القتل والسرقة والزنى والكذب والكبر والغرور والخيانة وغيرها من السلوكيات السيئة التى تعانى منها المجتمعات الإنسانية.

وتجدر الإشارة إلى أنه كانت هناك علاقات ودية مع شعوب منطقة جنوب شرق آسيا فقد جاء المسلمون الأوائل كأقلية نتيجة لنشاط التجار المسلمين الذين أقاموا فى الموانى لأغراض التجارة، هؤلاء شكلوا المجتمع الإسلامى الأول على سواحل الهند، سيريلانكا، الصين، إندونيسيا، وخليج الفلبين وجزر المحيط الهندى وبمرور الوقت تزوج هؤلاء التجار من نساء هذه الأمم، وأصبح الجيل الثانى والثالث جزءاً من سكان هذه الأرض[٥].

المصلحة والمشترك الإنسانى

أساس لفتح الحوار والتعاون

لقد طال العهد بالعالم الإسلامى وهو يخطب ود العالم الغربى، ويسعى إلى إقامة العلاقات معه، والتحاور معه، ولم تبلغ هذه المحاولات المتكررة إلى نتائج ملموسة تعود عليه بالنفع الذى يتناسب مع المكاسب التى يحصل عليها الغرب من عالم المسلمين، بل يمكن القول فى الجملة: إن هذه الاتصالات والعلاقات جلبت على العالم الإسلامى المزيد من الفقر والتخلف والتبعية والاستغلال، بسبب عدم التكافؤ فى هذه العلاقات، إلى جانب ذلك فإن هذه الحوارات

(5) M. Ali Kettani, Muslim Minorities in the World Today, service Book Club, 1990, P.4.

والاتصالات بين المسلمين والغرب انحازت دوماً إلى مصلحة الغرب على حساب المصلحة الإسلامية حيث تمت الحوارات وفق الأجندة الغربية، وبرؤى ومفاهيم تجسد أهداف الغزو الثقافي، واختراق الإسلام والتشكيك في قدرته على قيادة مجتمع التعددية الدينية، ومواكبة الحياة العصرية بما أفرزته من متغيرات ومستجدات قفزت بالعالم إلى آفاق غير مسبوقة، وساعد هذا الوضع المتردى في إيجاد سلبيات في المجتمعات الإسلامية مثل تخلى المسلمين عن أسباب القوة، وتغييب قيم التقدم والريادة وهي جزء لا يتجزأ من هذا الدين، والانصراف عن القيم المادية والمعنوية التي تكفل التفوق الحياتي والتوازن الروحي والاستقرار المجتمعي.

ونتيجة لهذا التراجع الحاد في الالتزام بالمقررات الإسلامية فقد أصيبت الأمة بالأمراض والآفات، وجلبت على نفسها ومجتمعها الجهالة والفقر والمرض، وتورطت في ممارسات خاطئة حذر منها القرآن ونبه إليها، وهي في ذروة نجاحها وتقدمها:

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ﴾

(النحل: ٩٢)

وهذه الصورة التي خاطب بها القرآن الأمة هي تعبير عن المشهد الراهن للأمة الإسلامية، فقد احتفظت الأمة بشكل الإسلام ورسمه، وغاب عنها جوهره ومضمونه.

ولاشك أن هذا الجوهر المفقود في واقع الأمة المعاصر أوجد هوة كبيرة بين الأمة الإسلامية الأولى، والعالم الإسلامي المعاصر، حيث فقد العقل المسلم مقومات نهضة أمة الإسلام الأولى التي حملت رسالة الإسلام إلى أنحاء العالم شرقاً وغرباً، وشغل التعامل مع أمم الشرق اهتماماً ملحوظاً شمل جنوب شرق آسيا وضم رعايا دول جنوب شرق آسيا من أصحاب الديانات الشرقية، وأقام معهم علاقة تعايش في ظل مجتمعات ذات تعددية دينية.

والواقع أن العلاقات التجارية والمدنية كانت هي العامل الأساسي في دخول الإسلام إلى ممالك جنوب شرق آسيا، في الهند والصين وتايلاند، وكان التجار المسلمون هم سفراء الإسلام الأول إلى هذا العالم الفسيح، صاحب التجربة الروحية الواسعة.

مسئولية العلماء وقادة الأديان

يجب على القادة الدينيين في العالمين الإسلامي والشرقي أن يكونوا مهتمين بإجراء حوار بين الإسلام والمعتقدات الشرقية، وفي هذا الصدد، فإن واجبهم

إزالة العوائق والتحديات التي تواجه إجراء حوار ناجح بين الإسلام والديانات الشرقية، صياغة خطاب جديد بغية تحقيق التعايش المشترك.

من أجل ذلك فإن على هؤلاء القادة أن يدركوا الحقائق الآتية:

١- احترام الاختلاف بين الديانتين، فالإسلام له خصوصيته العقدية، وشريعته وأخلاقه، المستمدة من القرآن والسنة، بينما العقائد الشرقية لها معتقدها وفلسفتها وأخلاقها، وعليه فإن واجب الطرفين أن يمتنعوا عن الإساءة من جانب أتباع دين، ضد الدين الآخر.

٢- التغاضي وتجاوز الخلافات والصراعات بين أتباع الديانتين، فهذه الاختلافات التي أدت إلى شغب ديني ومجتمعي في الماضي أو في الحاضر القريب قد تحدث بين أبناء دولة واحدة، بسبب تعصب أو سوء فهم أو الرغبة في السيطرة والهيمنة على الآخر.

٣- استدعاء المبادئ الدينية المشتركة التي تخدم أصحاب الديانتين، فالإسلام يحض على العمل النافع وكذلك في البوذية والهندوسية، والتعليم مهم في الديانتين، وتربية الصغار، وتهتم هذه الديانات بتطهير الروح والتجرد لله فهو مقصود في الديانات جميعاً.

كما تركز هذه الأديان على قيمة الاستقامة، والتسامح الخ. هذه المبادئ التي تشكل مشتركاً دينياً يوظف لصالح التعايش بين أتباع الديانتين، ويشيع الألفة والمحبة بين هذه المجتمعات.

٤- تعزيز كل الجهود التي تصب في نطاق حرية ممارسة الشعائر للأقلية المسلمة وتثمينها، فإن هناك عشرات الألوف من المساجد في المدن والقرى عبر أنحاء الهند، وهذا يشمل مناطق رائعة من الفن الإسلامي في المسجد الجامع في نيودلهي بني في القرن السادس عشر، ومسجد مكة في حيدر أباد الذي بني في القرن السابع عشر بالإضافة إلى كثير من المباني ذات الطابع الديني. كل هذه المساجد هي أماكن للتعليم يزود الأطفال بالتعليم الإسلامي بجانب الكبار، وهو ما يعزز التسامح بين أبناء المجتمع.

٥- أهمية التعرف على كل دين من خلال الرجوع إلى كتبه المقدسة، وإلى مصادر المعرفة فيه، وعدم التعرض لها بالتشكيك أو إثارة الشبهات حولها.

٦- مكافحة الإلحاد، والتأكيد على قيمة الإيمان بالله والتدين باعتبارهما صمام أمان للفرد والمجتمع، ووسيلة فعالة للحد من الصراعات والحروب.

﴿ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾

للأستاذ الدكتور/ حمدى فتوح والى

كلما طالعتنا الصحف ووسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية بأخبار الزلزال الاقتصادى المروع الذى ضرب الغرب الأوروبى والولايات المتحدة الأمريكية، شعرت بعظمة الإسلام وشموخه واستعلائه، وأدركت أنه منحة الله الباقية لمن أراد الخروج من ظلمة الجهالة إلى نور الإسلام، ومن تلبط الضلالة إلى هداية الإيمان.

وكلما تكشفت الحقائق عن أسباب هذا السقوط المدوى وهذا الانتكاس السريع ازددت كراهية وحنقاً وازدراء ومقتا، لهذه الحفنة المجرمة من لصوص القيم، وأعداء الإنسانية، وقتلة الشعوب، ممن اخترعوا للإنسانية جريمة الربا وأقنعوا السذج والبسطاء أن الرباء ضرورة عصر، وأن البشرية لا تستطيع أن تعيش عيشها الطبيعى إلا بهذا الداء الخبيث.

لقد كنت أقرأ قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾

(البقرة - ٢٧٥)

كنت أقرأ هذا النص العظيم، وأعجب لهذا التصوير البشع لصورة آكل الربا، وأراها صورة منفرة مفزعة تقدمه فى صورة الممسوس الذى تلبسته الشياطين فهو دائم القلق والاضطراب والخوف، كلما هم بالوقوف صرعته الشياطين فارتطم بالأرض، وهكذا يعيش فى هذه الحالة المفزعة المرعبة القاتلة فهو لا يسعد بما كسب من مال، ولا بقيت له حياة طبيعية كبقية الناس وما كنت أدرك خطورة التعامل بالربا على كثرة ما قرأت من أضراره وآثاره فى الجاهلية الأولى وبين أهل الإسلام الذين يقعون فى صورة من صوره نتيجة جهل أو غفلة أو طمع أو جشع فإذا ذكروا ذكروا وإذا خوفوا خافوا.. ما كنت أتصور خطورة هذا الداء اللعين حتى رأيت هذا السقوط المدوى، وهذا المصير الرهيب لبيوت الربا فى بلاد الغرب الذين ابتدعوا هذا النظام الرأسمالى البشع، وروجوا لهذا الغول المخيف لقد أدركت حقيقة قول ربى ـ سبحانه ـ:

﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾

(البقرة: ٢٧٦)

عندما رأيت أناساً كانوا يباهون بثرائهم وترفهم وما يملكون من أرض وأسهم، وسندات؛ فإذا هم يجلسون على الأرصفة فى الشوارع يتكففون الناس. رأيت ذلك بعينى ورآه الملايين من أهل الأرض فى شوارع أمريكا واليونان. بل ورأيت مئات الآلاف يعيشون فى العراء بلا مأوى، بعد أن طردوا من بيوتهم التى أخذوها بقروض لم يستطيعوا سدادها؛ لأنها تضاعفت عليهم نتيجة الربا فعجزوا عن السداد؛ ولأن غالبية الأموال التى يتعامل بها هؤلاء المرابون لم تعد تمثل أرصدة حقيقية موجودة على الأرض، وإنما هى فوائد مركبة وأرقام فلكية ليس لها رصيد من الواقع، فكان لابد لهذا الانتفاش الكاذب أن يطفأ ولهذا الزبد أن يذهب جفاء ويبقى ما ينفع الناس فى الأرض.

﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾

(الرعد - ١٧)

إن الشبه بين هذا الزبد الذى يوهم الارتفاع والكثرة، وبين الربا الذى يغرى أصحابه بالزيادة الشكلية فى الأرقام والأرصدة دون رصيد حقيقى من الواقع؛ هو كهذا الارتفاع العالى للرغوة الطافية فوق الماء، التى توهم الناظرين وأنها ماء ثم لا تلبث أن تنطفىء وتتطاير ويظهر الماء ساوياً فى الأعماق.

إن الإسلام يقيم نظامه الاقتصادى ونظام الحياة كلها ـ على تصور معين يمثل الحق الواقع فى هذا الوجود يقيمه على أساس أن الله ـ سبحانه ـ هو خالق هذا الكون فهو خالق الأرض، وهو خالق الإنسان، وهو الذى وهب كل موجود وجوده وأنه ـ سبحانه وهو مالك كل موجود، قد استخلف الجنس الإنسانى فى الأرض ومكنه مما ادخر له من أرزاق وأقوات، ومن قوى وطاقات، على عهد منه وشرط ولم يترك له هذا الملك العريض فوضى، يصنع فيه ما يشاء كيف شاء، وإنما استخلفه فيه فى إطار من الحدود الواضحة، استخلفه فيه على شرط أن يقوم فى الخلافة وفق منهج الله، وحسب شريعته، فما وقع منه من عقود ومعاملات، وأخلاق وعادات، وفق التعاقد فهو صحيح نافذ وما وقع منه مخالفا لشروط التعاقد فهو باطل موقوف، فإذا أخذه قوة وقسراً فهو إذن ظلم واعتداء لا يقره الله ولا يقره المؤمنون بالله. فالأمر فى الأرض كما هو فى الكون كله ـ لله وحده ـ

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾

(آل عمران: ١٥٤)

والناس جميعا ـ حاكمهم ومحكومهم ـ إنما يستمدون سلطاتهم من تنفيذهم لشريعة الله ومنهجه، وليس لهم ـ فى جملتهم ـ أن يخرجوا عنها، لأنهم إنما هم وكلاء مستخلفون فى الأرض بشرط وعهد وليسوا ملاكاً خالقين لما فى أيديهم من أرزاق»[1] ولهذا يذكرهم الله

سبحانه بهذه الحقيقة بقوله:

﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾

(الحديد: ٧)

وعندما يدعو أولياءه إلى البر بإخوانهم من المسلمين يذكرهم بحقيقة ما يملكون من مال وأنه مال الله يقوله سبحانه:

﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾

(النور: ٣٣)

تلك هي فلسفة المال في الإسلام، وهذه هي حدوده. إن الإنسان مستخلف في هذا المال على شرط صاحبه سبحانه وتعالى - يتصرف فيه طبقا لمنهج الله، وانطلاقا من شريعته؛ تلك الشريعة التي تلزمه القصد والاعتدال، وتجنبه السرف والشطط. وتدعوه إلى التراحم والتكافل والتعاون والبر وتمنعه من الأنانية والطمع والجشع والظلم، كما تشترط عليه أن يكون كسبه من حلال طيب، وإلا يبغي بماله الفساد في الأرض. كما تشترط على المسلمين الطهارة في النية والعمل. والنظافة في الوسيلة والغاية، والقصد في الغنى والفقر، وتفرض عليهم قيوداً يلتزمونها في تنمية أموالهم لا تجعلهم يسلكون إليها سبيلاً تؤذي ضمير الفرد وخلقه أو تؤذي حياة الجماعة وكيانها، وللك أن تقارن بين مجتمع هذا شأنه تكافل وتراحم وتعاون وإخاء. وبين مجتمع يقوم ابتداء على أساس أنه لا علاقة بين إراد الله وحياة البشر، ويرى أن الإنسان هو سيد هذه الأرض ابتداء وهو غير مقيد بعهد من الله، وغير ملزم باتباع أوامر الله.

إنه مجتمع يقوم على تناسي ملكية الله للكون، واليقين بأن الإنسان هو المالك الحقيقي لهذا الكون، فهو يتصرف فيه باعتباره الخالق لموجوداته والمالك لمحتوياته. والمتصرف في كنوزه وأرزاقه وأقواته - ولما كان المال هو الوسيلة لتحقيق جميع الملذات والشهوات، كان طلب المال وتكثيره وجمعه، من حله أو من غير حله، هو المطلب الأسمى، والهدف الأعلى، والأمل الكبير، وهو في سبيل حصوله على هذا المال يرى نفسه حراً كل الحرية غير ملتزم في كسبه وتحصيله بأي شيء من عهد الله أو شرطه، وغير مقيد بمصلحة الآخرين، فلا اعتبار عنده لأن يتأذى الملايين إذ هو أضاف إلى خزانته ورصيده ما يستطيع إضافته.

وهذا السعار المنفلت من كل قيد، هو الذي أوجد في الأرض هذه البؤر الفاسدة، التي نشأت في حياة الجماعة البشرية، بما بثه هذا السعار من روح الشره والطمع، والأثرة، والأنانية، والخداع والمقامرة، واستباحة كل ما هو مقدس في الأرض لكي يستكثر من المال؛ كي يستطيع أن يوفي لصاحب المال ما يريده من فائدة الربا، بعد أن يبقى لنفسه ما يكفيها، ومن هنا رأينا الدافع المباشر لاستثمار المال في الأفلام القذرة، والصحافة القذرة والمراقص والملاهي، وبيوت الدعارة، وترويج المخدرات بأنواعها، والتفنن في الغش والخداع وغسيل الأموال. وهذا هو المشاهد اليوم في أنحاء الأرض. وسببه الأول هو التعامل بالربا.

إننا نسمع كل يوم عن حرب تقوم هنا وهناك، ونسمع عما يقع فيها من دمار وخراب، وما يقع فيها من خسارة في الأموال والأرواح لكننا لم نسمع أن الخسارة بلغت ببلد من البلاد نتيجة الحرب، درجة تجعلها تغلق شركاتها وتسقط حكوماتها وتفلس بنوكها. وتفقر أهلها، حتى يخرجوا للشوارع يتكففون الناس، كما رأينا في تلك الضربة التي أصابتهم بسبب الربا، الذي استوجب أن تشن عليهم حرب ليست ككل الحروب البشرية، وإنما هي حرب، لا يرون أسلحتها ولا يسمعون صوتها. ولا يملكون ردها أو وقف خطرها؛ لأنها حرب يشنها جبار السموات والأرض، على هذه الوجوه الكالحة، والأفئدة الطالحة والفطر الملوثة المنكوسة بعد أن أذنهم بها في قوله يحذر أولياءه المؤمنين:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٧٨ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾

(البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩)

وها هي الحرب اليوم تدار بكل أسلحتها على رءوس تلك الشعوب المنكودة التي حرمت نعمة، التشريع الإلهي الحكيم، فسقطت فريسة في أيدي زمرة من أحط خلق الله وأشدهم شراً، إنها شرذمة ممن لا يرعون في البشرية إلاً ولا ذمة، ولا يرقبون منها عهداً ولا حرمة إنهم فئة من اليهود الذين روجوا لهذه الخطيئة الكبرى وهذه المصيدة العظمى، فأصبحوا يداينون أهل الأرض جميعاً أفراداً كما يداينون الحكومات والشعوب في داخل بلادهم وخارجها، لترجع الحصيلة الحقيقية لجهد البشرية كلها إليهم في صورة فوائد ربوية لم يبذلوا فيها جهداً فإذا آلت إليهم تلك الأموال وهم على هذه الأخلاق الحيوانية المسعورة، فإنهم بطبيعة الحال يستخدمون هذا المال، وهذا النفوذ في إنشاء الأوضاع والأفكار والمشروعات التي تمكنهم من زيادة الاستغلال وأقرب هذه الوسائل هي تحطيم أخلاق البشرية لتسقط في مستنقع الملذات والشهوات وإدمان المخدرات التي تدفع الكثيرين لإنفاق آخر فلس يملكونه؛ ليكتمل لهم التحكم في إجراء الاقتصاد العالمي وفق مصالحهم الشيطانية، مهما أدى هذا إلى هذه الأزمات التي تعصف بحياة الأمم، وتورثهم الضنك والفقر والقلق والاضطراب. وإذا قلنا إن هؤلاء سقطوا في أحابيل المرابين لأنهم لم يملكوا وحياً مقدساً كما نملك ولا شريعة إلهية منزهة كشريعتنا، فما الذي يمكن أن تقوله نحن لربنا - ونحن الذين نملك منهجاً إلهياً، وشريعة ربانية ووحياً مقدساً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

إن الإسلام لم يبلغ في تفظيع أمر ما بلغ من تفظيع الربا، ولا بلغ من التهديد باللفظ والمعنى ما بلغ التهديد في أمر الربا، وهذه الحملة المفزعة في الآيات التي تحدثت عن الربا تتكشف اليوم حكمتها على ضوء الواقع الفاجع في حياة الغرب وحياة الأمريكيين أشد مما كانت متكشفة في الجاهلية الأولى، ومن يريد أن يتدبر حكمة الله وعظمة هذا الدين وكمال المنهج ودقة هذا النظام، يستطيع أن يدرك من هذا كله ما لم يكن يدركه الذين واجهوا هذه النصوص أول مرة، وأمامه اليوم من واقع العالم الغربي الرأسمالي ما يصدق كل كلمة تصديقاً حياً ومباشراً، فليت العقلاء من أبناء أمتي يدركون فضل الله عليهم، وحاجة الأرض كلها إليهم، فيحررون أنفسهم أولاً، ثم يتقدمون إلى البشرية بالإنقاذ.

(١) في ظلال القرآن جـ١ ص ٣١٨.

عالمنا: حضارة واحدة؟.. أم حضارات؟

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

قد لا يختلف الكثيرون فى الإجابة عن هذا السؤال، إن هم انطلقوا إلى الإجابة عنه من «الواقع» المتجسد فى معالم التمايز الحضارى، تلك التى ترسم «حدودا» لـ«الأوطان الحضارية»، هى الأكثر رسوخا والأطول أعمارا -فى حياة الأمم والشعوب- من تلك التى تمثل «الحدود السياسية» للدول والامبراطوريات.

فتميز اليابان، كحضارة ذات هوية خاصة تميز أمتها، عبر تاريخها الطويل، هو حقيقة لا يختلف عليها السائحون، فضلا عن أهل الذكر والاختصاص!..

وتميز الهند، كحضارة مالكة لهوية حضارية خاصة، أمر لا مجال فيه للاختلاف..

وكذلك الحال بالنسبة للصين، كحضارة متميزة، إن فى تراثها وتاريخها القديم، أو فى نهضتها المعاصرة، التى طوعت «الماركسية- الغربية» لتراثها الحضارى الخاص!

أما تميز الغرب، كحضارة.. فهو حقيقة يجمع عليها الدارسون.. تستوى فى ذلك التميز حقب جاهليتها اليونانية القديمة، ونهضتها الأوروبية الحديثة والواقع المعاصر الذى تعيش فيه..

لكن جدلا كثيرا، وخلافا كبيرا تشهدها ساحات الفكر فى الإجابة على هذا السؤال، إذا كان الحديث عن علاقة حضارتنا الإسلامية بالحضارة الغربية على وجه التحديد؟!..

هنا، وفى هذا الميدان من ميادين الدراسات الحضارية، تبرز دعاوى «واحدية الحضارة» ونعتها بـ«العالمية» وبـ«الإنسانية».. الأمر الذى يعنى إنكار تميز الحضارة الإسلامية عن الحضارة الغربية بالسمات والقسمات التى تضمن لها هوية وخصوصية ترسم لأمتها وعالمها حدودا حضارية يجب الحفاظ عليها وحمايتها من الغزو والمسخ والنسخ والتشويه والاقتلاع؟!..

فلا أحد -من الغربيين أو المتغربين- يجادل فى تميزنا، حضاريا، عن اليابان والهند والصين.. ولا فى تميز تلك الحضارات الشرقية العريقة عن الحضارة الغربية.. وإنما

يثور الجدل ويحتدم الخلاف إذا كان طرفا المقارنة وقطبا العلاقة: حضارة الغرب وحضارة الإسلام؟!..

الأمر الذى يشى بدور المنافسة والصراع التاريخى بين الحضارتين فى «تزييف الوعى» لدى منكرى التمايز الحضارى فى هذه الحالة وحدها!.. وينبىء عن مقاصد الهيمنة التى تقف وراء دعوى هذه «الواحدية الحضارية» فى هذا المقام بالذات؟!..

فحضارات الشرق الأقصى -اليابانية، والصينية، والهندية- هى حضارات محلية، لم تمتلك أى منها -عبر تاريخها- إمكانات المنافسة العالمية، والعطاء والتأثير والقبول خارج الحدود.. ومن ثم فهى لا تمثل، حتى فى مراحل نهوض أممها، خصما حضاريا للحضارة الغربية، التى تهيمن على مقدرات عالمنا منذ عدة قرون!..

بينما الحال فى علاقة الحضارتين الإسلامية والغربية ليس كذلك.. فلكليهما إمكانات التأثير والعطاء والقبول خارج الحدود.. وبينهما تدافع بلغ حد الصراع عبر حقب طويلة من التاريخ؟!.. الأمر الذى سيجعل البحث -فى هذه الصفحات- عن إجابة علمية لهذا السؤال- عالمنا: حضارة واحدة؟ أم تعددية حضارية؟؟- وقفا على إجابة الغربيين- ومعهم المتغربون!- وعلى إجابة الإسلاميين، النابعة من رؤية الإسلام للعلاقة بين الحضارات.

الجواب الغربى

إذا شئنا «جوابا غربيا» على هذا السؤال -حضارة؟ أم حضارات؟؟- فإن فى الفكر السائد لدى مختلف ميادين الفكر الغربى ما يجسد لنا معالم هذا الجواب..

● فمن نماذج فكر «السياسة- الحربية» و«الحرب- السياسية» نختار كلمات «جيانى ديميكليس» -عندما كان رئيسا للمجلس الوزارى الأوروبى- .. فلقد سأله مراسل «النيوزويك» -الأمريكية- عن مبررات بقاء حلف الأطلنطى بعد زوال المواجهة بين الغرب الليبرالى والمعسكر الذى كان اشتراكيا؟.. فأجاب:

«-صحيح أن المواجهة مع الشيوعية لم تعد قائمة. إلا أن ثمة مواجهة أخرى يمكن أن تحل محلها بين العالم الغربى والعالم الإسلامى»..

فلما عاد مراسل «النيوزويك» ليسأله:

-وكيف يمكن تجنب تلك المواجهة المحتملة؟..

-قال: «ينبغى أن تحل أوروبا مشاكلها ليصبح النموذج الغربى أكثر جاذبية وقبولا من جانب الآخرين فى مختلف أنحاء العالم. وإذا فشلنا فى تعميم ذلك النموذج الغربى فإن العالم سيصبح مكانا فى منتهى الخطورة[1]»؟!

فهنا إجابة تهدد بمحاربة مختلف أنحاء العالم -وفى المقدمة «العالم الإسلامى»- إذا

(١) «النيوزويك» -يوليو سنة ١٩٩٠م -نقلا عن (الأهرام) ١٧ يوليو سنة ١٩٩٠م.

لم يتم «تعميم وقبول النموذج الغربى»؟!..

● ومن نماذج «فكر: السياسة– الاستراتيجية» و«الاستراتيجية– السياسية» نختار رؤية الرئيس الأمريكى الأسبق «ريتشارد نيكسون»، تلك التى حدد فيها الخيارات النهضوية القائمة أمام العالم الإسلامى المعاصر.. فلقد حذر من:

أ– خيار «الرجعية: صاحبة الأيديولوجية القومية المتعصبة» المتعلقة بـ «وهم الوحدة العربية»؟!..

ب– وخيار «الأصوليين الإسلاميين: المصممين على استرجاع الحضارة الإسلامية السابقة عن طريق بعث الماضى، وتطبيق الشريعة الإسلامية، والمناداة بأن الإسلام دين ودولة، واتخاذ الماضى هداية للمستقبل..»

ودعا السياسة الأمريكية والغربية إلى أن يلعبا «دورا رئيسيا فى تحديد الخيار الذى تختاره الشعوب المسلمة»؟!.. وهو خيار:

جـ– التقدم: ونموذجه «تركيا– العلمانية– فى انحيازها نحو الغرب.. وسعيها إلى ربط المسلمين بالعالم المتحضر –(الغرب)– من الناحية السياسية والاقتصادية».. وإلا فإن «ردود فعل خطيرة ستحدث فى العالم» إذا لم ينجح الغرب فى دفع المسلمين إلى هذا الخيار[٢]؟!..

فهى –مرة ثانية– إجابة غربية تهدد «بردود فعل عالمية خطيرة» إذا لم «يختر» المسلمون «الخيار الغربى» –العلمانى– الذى «يربطهم بالغرب سياسيا واقتصاديا»؟!..

● ومن نماذج تحليلات «خبراء الفكر والثقافة»، التى تفسر هذا الموقف «السياسى.. والحربى.. والاستراتيجى» للحضارة الغربية من هذه القضية –قضية «الواحدية الحضارية»؟.. أو «التعددية الحضارية»؟؟– .. نختار رؤية مجلة «شئون دولية» – التى تصدرها جامعة «كمبردج» – والتى جاءت بالملف الذى خصصته للإسلام والمسيحية والإسلام والماركسية– وفيها قال خبراء الفكر والثقافة عن الإسلام: إنه الهدف الأول للحرب الغربية، لا لشىء إلا لتحديه الخضوع للنموذج الغربى، ورفضه التنازل عن خصوصيته المستعصية على العلمنة الغربية؟!.. وبنص كلمات هؤلاء الخبراء:

ـ «يتساءل أوروبيون كثيرون عما إذا كان يمكن جعل الإسلام يقبل بقواعد المجتمع العلمانى؟.. أم أنه على قدر من الرسوخ فى المجال السياسى والاجتماعى يجعله رافضا لأى تمييز بين ما لله وما لقيصر»؟!..

ـ «إن النظرية التى يعتنقها علماء الاجتماع، والتى تقول: إن المجتمع الصناعى والعلمى الحديث يقوض الإيمان الدينى– مقولة العلمنة– صالحة على العموم.. لكن عالم الإسلام استثناء مدهش وتام جدا من هذا.. إنه لم تتم أى علمنة فى عالم الإسلام.. إن الإسلام مقاوم للعلمنة، فى ظل مختلف النظم السياسية.. وسيطرته الآن على المؤمنين به أقوى عما كانت من مائة سنة.. ولقد مكنت التقاليد المحلية الإسلامية العالم الإسلامى من الإفلات من محاكاة الغرب، تلك المحاكاة المذلة، التى تضفى الطابع المثالى على النموذج الغربى. فباسم الإيمان المحلى يتم الإصلاح، دون علمنة»!

ـ «إن الإسلام هو الثقافة الوحيدة القادرة على توجيه تحد فعلى وحقيقى لمجتمعات الغرب.. ولذلك، فإنه من بين الثقافات الموجودة فى الجنوب، هو الهدف المباشر للحملة الغربية الجديدة[٣]»؟!

فنحن –مرة ثالثة– أمام إجابة غربية، تفسر لماذا هذا الرفض الغربى لتميز الخيار الحضارى الإسلامى عن النموذج الغربى.. ولماذا يتخذ الغرب الإسلام وأمته وعالمه هدفا مباشرا للحملة الغربية الجديدة؟!..

تلك هى إجابات الفكر السائد بمختلف دوائر الفكر الغربى عن هذا السؤال: حضارة واحدة؟.. أم تعددية فى الحضارات؟؟..

وفى هذه الإجابات تفسير للممارسات الدامية، والتطبيقات المأساوية التى يصنعها الغرب بالإسلام والمسلمين وقضاياهم وحقوقهم على امتداد الأوطان والقارات؟!..

الجواب الإسلامى

أما إذا نحن التمسنا إجابة إسلامية على هذا السؤال: حضارة واحدة لهذا الكوكب الذى نعيش فيه؟ أم تعددية فى حضارات أممه وشعوبه؟؟.. فإننا نجد للإسلام موقفا حاسما وواضحا يؤكد على أن التعددية هى الأصل والقاعدة، بل إنه ليجعلها القانون الإلهى والسنة الإلهية –الأزلية والأبدية– فى ميادين الاجتماع الإنسانى وشئون العمران البشرى، التى لا تبديل لها ولا تحويل فيها.. فالوحدانية خصيصة للخالق الواحد، سبحانه وتعالى.. أما ما عدا الخالق الواحد، من عوالم الكون الطبيعى، وشئون الاجتماع البشرى، وميادين الحضارة والعمران، فقائمة على التعددية، كسنة جارية وحاكمة فى كل هذه الميادين..

ففى القوميات والأجناس، هناك تعددية يتحدث عنها القرآن الكريم باعتبارها «آية» من آيات الله فى الاجتماع الإنسانى:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾

(الروم: ٢٢)

وفى الشعوب والقبائل، هناك تعددية، تثمر التمايز، الذى يدعو القرآن إلى توظيفه فى إقامة علاقات التعارف بين المتمايزين:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

(الحجرات: ١٣)

وفى الشرائع والمناهج، ومن ثم فى

(٢) نيكسون (الفرصة السانحة) ص٣٨، ١٤٠، ١٤١. ترجمة أحمد صدقى مراد. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٢م.

(٣) «شئون دولية» مجلد ٦٧ – عدد ١– يناير سنة ١٩٩١م.

الحضارات، هناك تعددية يراها القرآن الكريم الأصل الدائم والقاعدة الأبدية، والسنة الإلهية التي هي الحافز للتنافس في الخيرات، والاستباق في الطيبات، والسبب في التدافع الذي يُقوِّم ويُرشِّد مسارات أمم الحضارات على دروب التقدم والارتقاء.. فهي المصدر والباعث على حيوية الإبداع الذي لا سبيل إليه إذا غاب التمايز وطمست الخصوصية بين الحضارات:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿118﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾

(هود: ١١٨، ١١٩)

.. حتى ليتحدث المفسرون عن هذا «الاختلاف» وتلك التعددية باعتبارها علة الخلق، فيقولون: إن المعنى «وللاختلاف خلقهم»[٤]:

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾

(المائدة: ٤٨)

.. فالتعددية هي الحافز على امتحانات وابتلاءات المنافسة والاستباق في ميادين الإبداع بين الفرقاء المتمايزين في الشرائع والمناهج والحضارات..

وعلى دروب مسارات استباق الخيرات، يكون التدافع -وليس الصراع- السبيل الإسلامي لترشيد المسارات وضبط الاستباق حتى يظل في إطار المثل التي صاغها الإسلام.. بل إن غياب التعددية، ومن ثم غياب هذا التدافع الحضاري والحراك الاجتماعي إنما يعني الموات المتمثل في غيبة إبداع الخصوصيات..

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾

(البقرة: ٢٥١)

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾

(الحج: ٤٠)

تلك هي إجابة الإسلام، التي انحازت إلى التعددية في الأجناس والأقوام والشعوب والقبائل والشرائع والمناهج والحضارات..

وهي الإجابة التي تجسدت في دولة تعددت رعيتها في الديانات والمذاهب، وشعوبها في اللغات والقوميات.. فلم تقف هذه الإجابة المتميزة عند حدود الفكر النظري، وإنما تجسدت واقعا حضاريا معيشا.. بينما كان الرفض الغربي للتعددية هو الآخر تاريخا حضاريا، رفض التعددية حتى في المذاهب داخل النصرانية الواحدة، وليس فقط التعددية في الديانات؟!.

---

(٤) القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) جـ٩ ص١١٤، ١١٥، طبعة دار الكتب المصرية.

القدس تستغيث بالمسلمين قبل أن تضيع منهم!!

للأستاذ/ عاطف مصطفى

تتزايد مكانة القدس عبر التاريخ كمركز سياسي وثقافي هام، بالإضافة إلى مكانتها الدينية باعتبارها مركزا للديانات السماوية الثلاثة. وبفعل هذه المكانة المتميزة شهدت القدس على مر العصور العديد من الصراعات للسيطرة عليها.

ومنذ بداية الاحتلال الاسرائيلي في عام ١٩٦٧م، سعت الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة جاهدة لتحقيق أهدافها السياسية بـ «تهويد» القدس الشرقية، أي تغيير الطابع والملامح العربية للمدينة، وخلق واقع «جيو سياسي» جديد من أجل السيطرة على الأراضي والتحكم في التطور السكاني ومرجعيتها الدينية في كامل أنحاء المدينة المقدسة.

إن القضية المحورية التي يدور الصراع حولها هي القدس ونرى في الأونة الأخيرة تلك الحمى التي تجعل اليهود يتمسكون بها ويتغلغلون في أرجائها، بل إن نصوصا كثيرة يذكرونها عن أهمية القدس بالنسبة لهم.. تشير إليها حتى لا تضيع القدس والمسلمون المقدر عددهم بـ المليار والثلاثمائة مليون مسلم يغطون في سبات عميق ويتصورون أن القوى الظالمة «في الغرب» سوف تدافع عن حقنا في القدس وعن مقدساتنا الإسلامية! ماذا يقول اليهود؟!

إن القدس لديهم في الذاكرة اليهودية أينما ارتحل اليهود: «على أنهار بابل هناك جلسنا فبكينا عندما تذكرنا صهيون، إن نسيتك يا أورشليم فلتشل يميني وليلتصق لساني بحلقي إن لم أذكرك» المزمور ١٣٧».

ومعلوم أن اليهود كانوا يقولون وهم على مائدة طعام عيد الفصح: «هذا العام هنا والعام القادم في القدس».

فالمسألة بالنسبة لهم ليست كلاما، أو كما نزعم نحن استفزازا، ولكنها عقيدة ترسخت لديهم، ولا بديل عن القدس، والتي تركناها لهم يعيثون فيها فسادا وإفسادا!! ونحن ننام مطمئنين قريري العين، ومتأكدون من أن العالم الحر سوف يساندنا ويساند الفلسطينيين في أن

القدس لنا ومن حقنا ونحن أصحاب الأرض!

إن الاسرائيليين لا يهدأون ولا يبيتون ليلهم إلا والحلم يراودهم فى المدينة المقدسة.. مدينتنا نحن المسلمين.. نحن العرب.

حجج واهية!

يدعون أنها لهم.. حيث يدعون أن القدس مركز عبادة يهوه، وكل الأمم ستلجأ إليها، وسيعمها يوما السلام الدائم، وهى مصدر الشريعة والوحى والعدل الإلهى: «الكلام الذى رآه أشعيا بن آموص على يهوذا وأورشليم ويكون فى آخر الأيام أن جبل الرب يوطد فى رأس الجبال ويرتفع فوق الجبال وتجرى إليه جميع الأمم وتنطلق إليه شعوب كثيرة تقول: هلموا نصعد إلى جبل الرب إلى بيت إله يعقوب وهو يعلمنا طرقه فنسير فى سبله لأنها من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم كلمة الرب، ويحكم بين الأمم ويقضى للشعوب الكثيرة، فيضربون سيوفهم سككا، ورماحهم مناجل فلا ترفع أمة على أمة سيفا ولا يتعلمون الحرب بعد ذلك» أشعيا ٢ / ١-٢.

ويستشهدون وهم يواصلون الاعتداءات على المقدسيين ويهدمون أحياء كاملة ويستولون على منازل أهل القدس!!

...

والمحظوظ هو الذى يسكن فى صهيون، وهى تلة من تلال القدس: «اللهم فى صهيون يجدر بك التسبيح وإليك يوفى بالنذور، فطوبى لمن تختاره وتقربه فيسكن فى ديارك فيشبع من خيرات بيتك وقدس هيكلك» المزمور ٦٥.

الرد على الادعاءات

لقد تناولت أقلام كثيرة فى الندوة العالمية لشئون القدس بعمان بالأردن مضمون مقاومة التهويد الثقافى لمدينة القدس منها ما ورد فى رد الباحث محمد قاسم السعدى فيقول: رغم الشكوك التى تحيط فى صحة هذه النصوص، والجدل حول تفسيراتها، ورغم كونها لا تثبت حقا سياسيا ولا جغرافيا لليهود فى القدس لأن قدسية مكان لا تعنى أن لمن يقدسه حقا فى امتلاكه وما حوله.

فإن اليهود يعتقدون أن تلك النصوص وسواها من الكتاب المقدس وغيره من كتبهم الدينية تثبت لهم حقا تاريخيا ودينيا فى القدس ومثل هذه النصوص تشكل وقودا لنار التهويد التى تنصب على القدس العربية، وعلى معالمها الإسلامية والمسيحية ودافعا دينيا إلى الحملة الدائمة والمنظمة والمتسارعة التى تستهدف القضاء على كل ما هو ليس بيهودى فيها.

وسواء وظف اليهود الصهاينة مثل هذه النصوص عن عقيدة، أو مصلحة فإنها تبين أهمية سلاح العقيدة فى معركة الصراع على الأراضى الفلسطينية.

لكى نتذكر جيدا مواقفهم تجاه القدس

هذه ثلاثة اعترافات ينبغى أن نتوقف عندها ونقرأها جيدا.. لكى نعرف ماذا يريدون.. ولكى نعد العدة!

١- بيجين قال فى رسالة للرئيس الأمريكى ريجان: «إن القدس هى عاصمة إسرائيل الأزلية، فمنذ عهد ملكنا داود، قرر أن ينقل عاصمته من الخليل إلى القدس وذلك منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة وآباؤنا أقسموا وهم فوق أرض بابل قسم الاخلاص للقدس، وأحفاد أحفادهم عادوا ليكرروا نفس القسم: إذا نسيتك يا قدس فلتشل يمينى وليلتصق لسانى بحلقى إذا لم أذكرك».

٢- وقال هرتزل مؤسس المنظمة الصهيونية العالمية: «إذا حصلنا على مدينة القدس وكنت لا أزال حيا وقادرا على القيام بأى عمل، فسوف أزيل كل شىء ليس مقدسا لدى اليهود فيها، وأحرق جميع الآثار التى مرت عليها قرون».

٣- ويقول ديفيد بن جوريون أول رئيس وزراء لإسرائيل: «لا معنى لإسرائيل دون القدس، ولا معنى للقدس دون الهيكل».

٤- أما نتنياهو فيقول: القدس ليست مستوطنة والبناء فيها سيستمر كالمعتاد.

القدس عاصمة للشعب اليهودى فى دولة إسرائيل اليهودية، وعلى الفلسطينيين الاعتراف بيهودية إسرائيل كشرط لتحقيق السلام.

يا سبحان الله.. كل هذا قالوه، ونحن وجميع المسلمين ننعم بالراحة والأمن ونحيا حياتنا الطبيعية وكأننا لم نسمع ولم نقرأ!! وإلى أن تحدث الكارثة.. تكون القدس قد ضاعت منا ويومها لا ينفع البكاء ولا تنفع نداءات الشجب والاستنكار واللجوء إلى دولة بعينها وهى أمريكا أكبر داعم للصهيونية والمدافع الأول عن إسرائيل وعن سياساتها فى القدس وفى أرض فلسطين والجولان.

تهويد القدس

ولكن ما هى أشكال التهويد الثقافى للقدس ومتى بدأ؟

بدأ التهويد الثقافى للقدس قبل قيام إسرائيل، وكان حجر الأساس فيه افتتاح الجامعة العبرية عام ١٩٢٥، وحضر حفل الافتتاح اللورد بلفور والجنرال اللنبى، وكان إنشاء هذه الجامعة تنفيذ القررات مؤتمر بال بسويسرا سنة ١٨٩٧ وكانت أحجار أساسها ثلاثة عشر حجرا إثنا عشر حجرا تمثل أسباط بنى إسرائيل، وواحد وضعه حاييم وايزمان ويمثل الصهيونية.

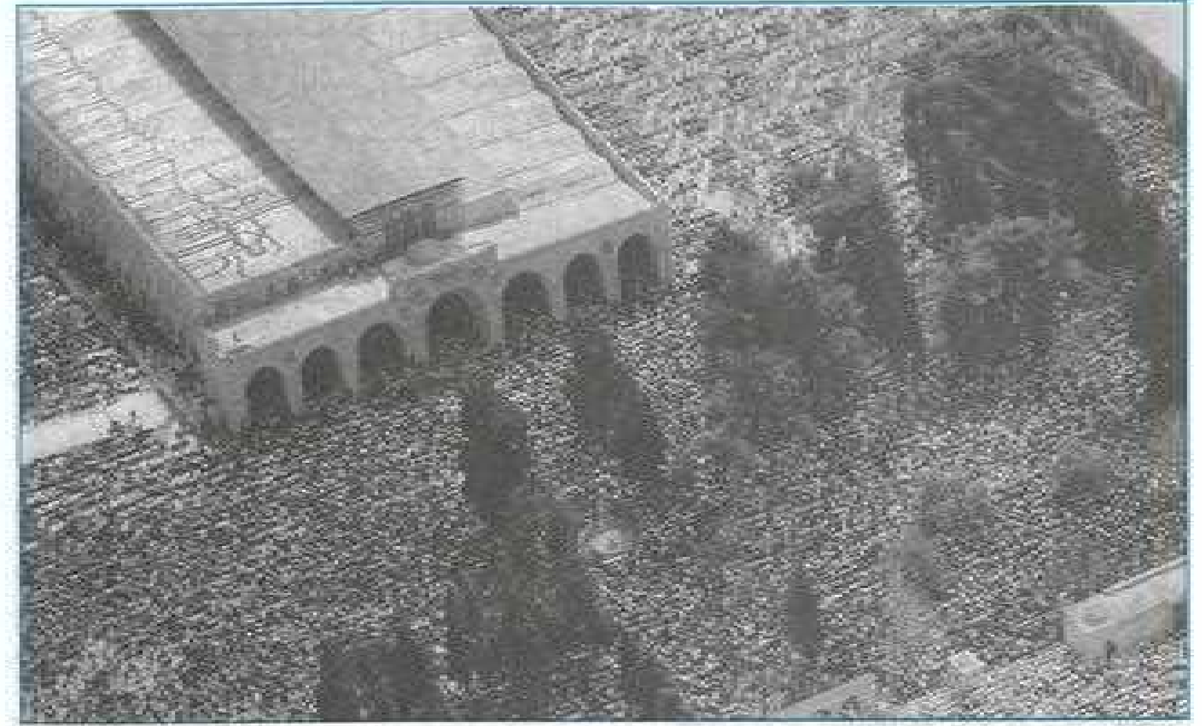
كذلك أدخل الصهاينة العبرية كلغة رسمية لفلسطين العربية فى جميع المعاملات الحكومية.

- هدم واحتلال المدارس العربية وتحويلها إلى مقرات عسكرية وإهمال المدارس العربية، وحرمان الفلسطينيين فى فرص التعليم.

- منع الصهاينة تدريس مادة التربية الاسلامية فى سائر المراحل التعليمية لمدة ١٦ سنة فى أراضى فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨م.

- حذف الصهاينة من الكتب المدرسية العربية فى أراضى ١٩٤٨ - ١٩٦٧م كل ما يتعلق بخيانة اليهود، ومعاداتهم للإسلام وما يتعلق بسيرة الرسول ﷺ مع اليهود وأسقطوا غزوة الأحزاب واستعاضوا عن الآيات التى تتحدث عن انتصار بدر بالآيات التى تتحدث عن خسارة أحد.

- هدم الأبنية والمواقع الأثرية والتاريخية



الإسلامية والمسيحية وإقامة أبنية حديثة عليها.

- استبدال المصطلحات التاريخية العربية بمصطلحات إسرائيلية كمصطلح المأساة بدل مصطلح النكبة.

- تحقيق وجود يهودي دائم في المسجد الأقصى ومحيطه، ربما يؤدي إلى تقسيم المسجد الأقصى كما فعل في المسجد الابراهيمي في الخليل.

- تفريغ الأحياء الفلسطينية المحيطة بالأقصى من سكانها للحد من قدرة الفلسطينيين على الوصول إلى الأقصى.

- الترويج للقدس كمدينة يهودية.

- الاستيلاء على حائط البراق وإقامة الصلوات عنده، ويعتبره اليهود جزءا من الاسوار الأصلية للهيكل.

- فرض المناهج الدراسية الاسرائيلية في المدارس العربية وتشويه التاريخ العربي والإسلامي.

مقاومة تهويد القدس

.. لكن كيف يتم مقاومة التهويد الثقافي للقدس؟!

كلنا يشهد في الأونة الأخيرة ما يحدث من خطة منهجية لتهويد القدس وهي أي القدس خط الدفاع الأول عن مدن فلسطين وعن العالم العربي والإسلامي، وإذا نجحت إسرائيل في تهويدها وطمس هويتها العربية أصبح الطريق أمامها مفتوحا لتهويد ماسواها، ولهذا ينبغي مواجهة التهويد الثقافي والديموجرافي للقدس بكل الوسائل ومن بينها:

١- حماية المقدسات الإسلامية والمسيحية وصيانتها بالدفاع عنها وإعمارها بالمصلين والتواجد المستمر بها.

٢- دعم السكان المقدسيين ماديا ومعنويا ليتمكنوا من البقاء في المدينة المقدسة.

٣- خلق مزيد من الوعي عند المسلمين بما تتعرض له القدس من تهويد.

٤- رفع الدعاوى القضائية ضد إسرائيل وكبار المسئولين الصهاينة على الممارسات العدوانية ضد القدس.

٥- دعم المؤسسات التعليمية في القدس لتنشئة جيل واعد قادر على التصدي للهجمة الصهيونية.

٦- دعم الاهتمام بالتعليم ومراكز البحث العلمي في فلسطين.

٧- تكثيف أهمية القدس في المناهج الدراسية في المدارس الإسلامية في العالم كله ودعم الصمود للقدس ماديا ومعنويا.

٨- ترسيخ العقيدة والقيم الإسلامية في نفوس الشباب والطلاب لمواجهة الايديولوجية الصهيونية، فسياسات إسرائيل العدوانية والتوسعية والعنصرية قائمة على رؤية دينية توراتية.

وقيام الكيان الاسرائيلي على أرض فلسطين مدين في وجوده واستمراره لتلك الرؤية التي يشير إليها بن جوريون بقوله: تستمد الصهيونية وجودها من مصدرين: «الوعد الإلهي، والأمل في العودة والإيمان بظهور المسيح المنتظر لإعادة المملكة اليهودية».

ويختم البحث محمد قاسم السعدي مشيرا إلى أن المشروع الصهيوني برمته يقوم على رؤية دينية توراتية مزيفة، ولا يمكن مواجهة هذا المشروع إلا برؤية قرآنية حقيقية.. إنها معركة عقيدة، ولا يمكن أن نستعيد حقوقنا دون عقيدة.. يقول البروفيسور اليهودي «رون تادلز» «إن المسلمين لا يمكن أن يقبلوا بسيطرة اليهود على المنطقة إلا إذا تعرضوا لعملية إعادة تعليم شاملة، تغير عقائدهم الراسخة وتمحو من تراثيهم وسلوكهم وكتبهم المدرسية وتفكيرهم كل الأفكار المعادية لليهود».

.. إن ما تشهده القدس الآن من تهويد ثقافي وديموجرافي سببه الاحتلال، والصلف الإسرائيلي، الذي لا يعترف بأنه يسطو الآن على واحدة من أشرف بقاع العالم، ويتحكم في مصيرها دون أن يوقفه أحد.. أيا كان هذا الأحد!.

والدور الآن علينا كمسلمين، وهو العمل بشتى السبل لكي نستعيد القدس، ونحرر المسجد الأقصى، والمقدسات التي تضمها القدس، وهذا ليس ببعيد أبدا.

يقول الله تعالى:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

«النور: ٥٥»

قصة العدد

كتاب الله

للدكتور/ أبى حسام

نحن الآن فى بلنسية الأندلس! وقد قامت بها أسواق الوراقة مزدحمة متراصة تمتلئ بالمخطوطات ويؤمها القارئون من مختلف الأصقاع هذا للشراء وهذا للقراءة وهذا للنسخ وأمام كل مكتبة قماطر وكراس وأقلام ومحابر وقوم من العلماء يتباحثون ويتناقشون فإذا طرق أسماعهم صوت عال لدلال محترف قطعوا أحاديثهم وأخذوا ينصتون إذ كان لكل مكتبة دلالها الذائع وهو داعية محنك ذو صوت جهير يصيح بين الفينة والفينة ليقول جاءنا اليوم كتاب مشرقى وضعه فلان وأهداه إلى فلان وهو فى عدد كذا من الصفحات يبحث فى علم كذا من العلوم وقد كتبه فلان بخطه فإذا أتم الدلال نداءه بعد أن يكرره مثنى وثلاث ورباع توافد الناس إرسالا إلى المكتبة يسألون عن الكتاب الجديد متلهفين فإذا وقع موقع القبول منهم تهافتوا على شرائه فيتقدم أحد الراغبين ويعين ثمنا محددا فيأتى الدلال ويصيح بأعلى صوته: كتاب كذا يشتريه فلان بعشرين فمن يزيد؟ وتدور المساومة فى يوم مجموع له الناس! حتى ليصبح ثمن الكتاب دينارا وقد يزيد!

أما الحادثة النادرة فى سوق الوراقة فهى شراء مصحف كريم كتبه محمد بن عبدالله بن غطوس الأنصارى بخطه! وله شأن عجيب.

لقد كان ابن غطوس أشهر بائع للمصاحف فى بلنسية وله شهرة جاوزتها إلى حواضر الأندلس إذ كان مما

يزين المكاتب فى دور العلماء بغرناطة وإشبيلية ومرسية وقرطبة أن يكون مصحف ابن غطوس فى حوزة عالم يفخر بمكتبته ويضعها موضع المباهاة بين النظراء؟ وابن غطوس - بعد - جهير المكانة فى بلده له شارع خاص بسوق الوراقين لا يحتاج إلى تعريف فإن كثرة زائريه من المشترين قد أغنوه عن كل إعلان لذلك كان لا يقيم الدلالين وما حاجته إليهم والسلعة رائجة والرجل رنان الصيت طائر الدوى!

دلف إليه زائر راغب من بلد بعيد، تحمل مشقة السفر أربعين يوما ليشترى أحد مصاحفه وآنس فيه ابن غطوس رقة ودماثة فجعل يعرض عليه ما بالحانوت من المصاحف وكان أطباقا فوق أطباق فأخذ الزائر الحصيف يقلب كل مصحف يعرض عليه تقليب الفنان الواعية ثم يدلى بملاحظات فنية فى اختيار اللون وحجم القلم ومساحة الورق ومراعاة الأبعاد وتخطيط الإطار ونوع الحبر متطلعا إلى مصحف يأتى كما يريد تذهيبا وتنميقا وهندسة فتأكد ابن غطوس أن الرجل نساخ محنك وأن مطلبه عزيز فأسر فى أذنيه ليس فى الحانوت طلبتك فانتظر حتى ينتهى اليوم وأصحبك إلى مكتبة المنزل.

ولم يكن المنزل منزلا، وإنما كان معرضا فنيا من معارض الجمال الباهر، به عدة باحات واسعة تحمل مرافع من خشب تختلف طولا وعرضا وقد فتح كل مصحف من وسطه فظهرت منه صفحتان متقابلتان تدلان على قدره الفنى كتابة وورقا وحبرا وتخطيطا وشكلا وقد وضع فى إطار زجاجى رقيق يشف عما تحته دون أن يمسه الناظر بكفه على نحو ما نرى اليوم فى معرض المصاحف الأثرية بدار الكتب المصرية وقد سطعت رائحة مسكية من الحروف جعلت المنزل روضة فواحة العبير وكانت مثار دهشة لدى المشترى فتساءل عنها فأخبره ابن غطوس أنه يخلط الحبر بالمسك والعنبر فى المحابر لينتقل أريجها إلى الحروف والكلمات ثم تلفت الزائر فوجد طائفة من الأقلام فى مختلف الأوضاع منها الضئيل الرشيق والمتوسط المعتدل وذو الضخامة النسبية فأخذ يسأل الناسخ عن سر هذا التنوع فى السمات والحجوم فعرف أن البسملة لها القلم المتوسط وكذلك اسم السورة وعدد آياتها ونوعها مكية أو مدنية وأن آيات القرآن لها القلم الرشيق تكتب به فتأتى رشيقة متسقة وأن القلم ذا الضخامة النسبية تكتب به الصفحة الأولى «قرآن كريم لا يمسه إلا المطهرون» كتب بخط فلان! أما المحابر فقد تعددت ألوانها من حمراء وخضراء وسوداء وصفراء وغيرها فلم يفت المشترى أن يسأل عن ذلك أيضا فأجابه ابن غطوس بأن للحروف المداد الأسود وأما الضمة فلها مداد أحمر والكسرة لها مداد أخضر والسكون لها مداد أصفر والفتحة لها مداد أزرق فيتعجب الزائر

لهذا الولع الغريب بالإتقان ثم تساءل كيف يتنقل الناسخ فى الكلمة الواحدة بين أربع محابر على الأقل ليأتى بألوان مختلفة للضمة والفتحة والكسرة والسكون؟!

فقال ابن غطوس: هذا ما عاهدت الله عليه مهما كلفنى من الصعاب وإن الأمر ليقتضينى فى بعض الأحوال أن أنسخ الصفحة الواحدة فى ليلة كاملة إذ أتبين خطأ يسيراً فى الشكل لبعض الحروف فلا أشوه الصفحة بالتغيير بل أتركها وأبدأ صفحة جديدة أحترز فيها عن خطأ أختها حتى تأتى على الوجه الأكمل! وذلك ما أخذت به نفسى منذ التزمت بنسخ كتاب الله وتقديمه للمكاتب والقارئين.

فاختار الزائر مصحفاً كبيراً راقه، وتساءل عن ثمنه، فقال ابن غطوس باعتداد: إن ثمنه مائتا دينار لا تنقص ولا تزيد فابتسم المشترى وقال فى سماحة: والله إنها لقليل إزاء ما تتحمل من العناء ثم دفع الثمن وحمل المصحف الكريم.

لم تتم الرواية فصولاً، إذ إن المشترى توجه إلى بلدته وكانت على مسيرة أربعين يوماً من بلنسية ولكن الناسخ شك فى وجود خطأ بالشكل توهمه فى بعض الآيات فى إحدى مصاحفه وخاف أن يكون مصحف الرجل ذا الخطأ المتوهم فأرق ليله الطويل وظل يفكر فى الأمر كمشكلة مدلهمة تسد عليه منافذ الأفق حتى إذا أسفر الصباح هيأ راحلته ويمم شطر المشترى فأم بلدته بعد أربعين يوماً ذات جهد وعناء! وسأل متعجلاً عن صاحبه فأرشد إليه، وباغته قبل السلام بقول:

أين المصحف؟ فدهش المشترى وقال: انطق بتحية الإسلام يا رجل؟ لقد اشتريت منك المصحف ولم أسرقه ولم أغتصبه؟ ففيم التعجل بالسؤال؟!

قال ابن غطوس بانفعال: توهمت خطأ فى شكل حرف منه فسرت إليك هذه الأيام الأربعين لأبرىء ذمتى بين يدى الله! تعجب السامعون وسارع المشترى بإحضار مصحفه فأقبل عليه ابن غطوس فى لهفة وعمد إلى آية من سورة الزخرف فقرأها ثم أخرج مطواة ذات حد رفيق من جيبه وعالج بعض الشكل حتى تحول من ضمة إلى سكون ثم قال: الحمد لله برئت ذمتى!! والتفت إلى الناس قائلاً: هى سكون لا ضمة وقد نسيت أن أصلح الأمر مع التفاتى إليه حين الكتابة، وها أنذا تحملت مسيرة أربعين يوماً لأكفر عن هذا النسيان وإن كان اللون الأصفر الخاص بالسكون ليس معى فعلى المشترى أن يبحث عنه ليتناسق الشكل بالمصحف الكريم ثم كر راجعاً فى دهشة الناظرين!

تلك حادثة تاريخية لم أخترعها فتلحق بالأسطورة ولكنى نقلتها بتعبيرى الخاص عن «الوافى بالوفيات للصفدى» وقد كان لها فى نفسى أكبر موقع، لما تدل عليه من كمال الحرص وشدة اليقظة وتمام الحذر فى صحة كتاب الله وذلك ما يجب على كل مسلم أن يلتزمه فيتخذ من هذه القصة وما ينحو نحوها موضع العبرة ومناط الاحتذاء وأذكر أنى كنت أرويها فى مجلس علمى حافل فقال أحد الحاضرين ما معناه: إن تغييراً بحركة فى كتاب الله يقلب المعنى رأساً على عقب كما لو قرأ قارئ مثلاً:

﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ﴾

(التوبة: ٣)

- بجر لفظ الرسول- بل إن القارئ ليكفر بذلك إن تعمد!

وقال قائل آخر: إن ما يقال فى تغيير الحركات يقال فى غيرها من لوازم المد والحذف والفك والإدغام، فإن لام الأمر مثلاً إذا مدت فى النطق انتقل الأسلوب من الأمر إلى النهى والأمثلة أوضح من أن تذكر ثم خاض الحاضرون فى ما ينحو هذا النحى الحديث وأطرف ما سمعته فى هذا المجال ما حكاه زميل متضلع عن بعض ما وقع عليه من نوادر الخطأ فى نقل كتاب الله.

قال الزميل: إن كتاب الله- كما كان يقول بعض السلف- غالب غير مغلوب بمعنى أن التحرز فى الحفظ والتشدد فى الاستظهار لا يمنعان الخطأ فقد كان الإمام أبوبكر العربى فقيه الأندلس ومحدثها ومفسرها أحفظ أهل عصره لكتاب الله ولكنه فى تفسيره قد خذله حفظه القوى فى آية من آيات سورة التوبة قرواها على غير وجهها ومضى يفسر الآية كما توهم لا كما دونت فى كتاب الله و إليكم ما جاء فى تفسيره المسمى بأحكام القرآن:

«وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعقلون».

قال ابن العربى «نفى الله عنهم العقل لنفى فائدته من الاعتبار والاستبصار وقد ينفى الشىء بانتفاء فائدته إذ الشىء إنما يراد لمقصوده فإذا عدم فكأنه لم يوجد».

قال ذلك المفسر الكبير، ونسى أن صحة الآية:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾

(التوبة: ٦)

ولو تأمل القارئ لعلم أن السياق يتطلب «يعلمون» وحدها إذ إن الذى يجهل كتاب الله ويطلب الاستجارة حيث يسمع كلام الله فيدرك مرماه رجل يوصف بعدم العلم لا بعدم العقل إذ لو فقد عقله ما استفاد شيئاً من سماع كلام الله وقد دل خطأ المفسر على مزية صريحة لكتاب الله تجعل تأليفه فوق مدارك العلماء من الأفذاذ.

قلت لصاحبى بعد أن استمتعت لطريفته النادرة: إن ابن العربى قد اعتمد على الذاكرة فى تفسيره، وهذا موضع زلته إذ ما كان له أن يعتمد فى مهمته الخطيرة على غير النص المكتوب وسبحان من تفرد بالكمال.

﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴾

للأستاذ/ صديق بكر عيطة

قال الله تعالى فى سورة الواقعة:

﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ
وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾

«الآيات ٨٣ - ٨٧»

وردت هذه الآيات فى سورة الواقعة إحدى سور العهد المكى التى عالجت قضايا العقيدة وفى مقدمتها قضية الإيمان بيوم القيامة والبعث والحساب والثواب والعقاب ثم عالجت قضية الموت وما يكتنفها من دلالات وإيحاءات تبرز جهل الإنسان بما هو قادم عليه بعد الموت وضعفه أمام قدرة الله تبارك وتعالى.

وقبل هذه الآيات التى معنا جاء قوله تعالى:

﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾
إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا
الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا الْحَدِيثِ
أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾

(الواقعة: ٧٦ : ٨٢)

ليوضح حقيقة جريمتهم الكبرى حيث كذبوا ما جاء فى هذا الكتاب وحث على الإيمان بقضايا الموت والحساب ثم ليقيم عليهم الحجة القاطعة حيث: «يواجههم فى النهاية بمشهد الاحتضار فى لمسة عميقة مؤثرة حين تبلغ الروح الحلقوم ويقف صاحبها على حافة العالم الآخر ويقف الجميع مكتوفى الأيدى عاجزين لا يملكون له شيئا ولا يدرون ما يجرى حوله ولا ما يجرى فى كيانه ويخلص أمره كله لله قبل أن يفارق هذه الحياة ويرى هو طريقه المقبل حين لا يملك أن يقول شيئا عما يرى ولا أن يشير»(١)

فها هى ذى الروح عند الاحتضار قد بلغت الحلقوم وها نحن أولاء نسمع - من خلال الحاء و القاف المضمومتين وما يستلزمانه من اتساع الحلق - حشرجتها وهى تتردد فى آخر موقع لها قبل مفارقة الجسد.

أما أهل المحتضر وأحباؤه فقد تحلقوا من حوله ينظرون ولا يملكون إلا أن ينظروا ولنا أن نكمل بخيالنا من خلال ما نشاهده فى مثل هذه اللحظات ما لم تصرح به الآيات وإن كان مما توحى به: من تقلصات الوجه واصفرار الجسد وما قد يحدث له من رعشة أو سكرة وما يحدث عادة من أهل المحتضر الذين ينظرون إليه فى هذه اللحظات القاسية من دموع الثكلى وبكاء المحزونين وحيرة اليائسين.

وهنا يبدو عجز الإنسان تاما فى مواجهة قدرة الله تعالى هذه القدرة التى لا يبصرونها وإن كانت أقرب إلى المحتضر من أهله وعشيرته الذين تحلقوا من حوله.

قدرة الله تملك كل الأسباب

وهنا المفارقة، التى يجب أن نتدبرها لأن قدرة الله التى لا يبصرونها تملك كل أسباب التصرف أما أهل المحتضر فلا يملكون من أمره شيئا، وهم حاضرون عنده جد قريبين منه.. «وفى ظل هذه المشاعر الراجفة الواجفة الآسية الآسفة يجيء التحدى الذى يقطع كل قول وينهى كل جدال:

﴿ فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾

فلو كان الأمر كما تقولون: إنه لا حساب ولاجزاء فأنتم إذا طلقاء غير مدينين ولا محاسبين فدونكم إذن فلترجعوها - وقد بلغت الحلقوم - لتردوها عما هى ذاهبة إليه فى حساب وجزاء وأنتم حولها تنظرون وهى ماضية إلى الديتونة الكبرى وأنتم ساكتون عاجزون.

هنا تسقط كل تعلة وتنقطع كل حجة ويبطل كل محال وينتهى كل جدال ويثقل ضغط هذه الحقيقة على الكيان البشرى فلا يصمد له إلا وهو يكابر بلا حجة ولا دليل»(٢).

---

(١) سيد قطب فى ظلال القرآن.

(٢) سيد قطب فى ظلال القرآن.

وبذلك تكون الصورة الفنية قد ألقت الضوء الكاشف على مكمن العبرة والدرس وهى تقف بهم أمام حقيقة عجزهم أمام قدرة الله رب العالمين من خلال شحذ هممهم إن كانت لديهم همة تفيدهم فى هذا الموقف.

والموقف -موقف الموت- كله معتاد لا جديد فيه.. فمشهد الاحتضار كثيرا ما يقع فى متناول الحس والبصر غير أن طريقة العرض الفنية جعلته مؤثرا فى النفس والشعور كما هو مؤثر فى الحس والخيال حيث كان التركيز الأول فى هذا المشهد على لحظات النزع الأخير، التى يكون فيها العبد فى مفترق الطريق بين الدنيا والآخرة.. الدنيا بكل ما قدم فيها من صالح أو سئ دون أن يحاسب فيها على شىء.. والآخرة بما ينتظره فيها من حساب لا تفلت منه شاردة أو واردة حيث:

﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾

(الكهف: ٤٩)

وفى ذات الوقت لا يستطيع أن يصلح فيها العبد شيئا مما فات.

الفزع من المصير المجهول

ثم كان التركيز الثانى على موقف الأحياء فى مواجهة قدرة الله تعالى ومشيئته.. الأحياء الذين يتحلقون من حول المحتضر وهم ينظرون وينظرون فقط دون أن تمتد أيديهم إلى ما هو أبعد من ذلك بكل ما فى هذه النظرة من حسرة لفقد الحبيب ووداعه الذى لا لقاء بعده ومن فزع لمصيره المجهول الذى يتأرجح بين مشاعر الخوف والرجاء وهذا كله فى مواجهة قدرة الله التى تملك كل شىء وهى محل الرجاء والضراعة.

الإنسان وضعفه الأزلى!!

أما التركيز الثالث فى هذه الصورة الفنية فقد كان على التحدى الذى يقطع اللجاجة وينهى المكابرة ويقضى على كل تعلة ومعذرة ويقف بالإنسان أمام حقيقة ضعفه الأزلى الأبدى- وقد كان صاحب القوة المدعاة فى الدنيا- فى مواجهة القوة الحقيقية قوة الله التى لا يقف فى طريقها شىء. هذه هى المرتكزات الثلاثة التى شكلت فكرة الصورة الفنية وقد استوعبت وبكل قوة جميع الدروس المستفادة من رحلة الموت الكبرى كلمات ليست بالكثيرة.. ولكنها جمعت فأوعت كل ما يمكن أن يقال فى هذه القضية إلى أن تنتهى قصة الحياة والموت.

آفاق الحياتين!!

ومن المؤثرات التى لها دور واضح وقوى فى التشكيل النفسى للصورة هذه الكلمات التى تصل بين أطرافها برباط الشعور بالرهبة والفزع أمام عظمة الموقف وجبروت الموت وغلظ يده.. خذ لذلك مثلا: كلمة «إذا» التى تضع الشاهد فى لمح البصر، وسط لحظات

النزع هذه اللحظات القليلة جدا و لكنها وسيعة وسيعة.. ممتدة ممتدة كأنها دهر داهر بكل ما تحمل من خوف ورهبة عند عبور هذا الجسر الذى يصل- أو قل يفصل- ما بين عالم الحياة وعالم الموت.. «كلمة تنظرون» وبالها نظرة لا تعدلها نظرات الحياة كلها: يستوى فى ذلك ما يسوء منها وما يسر.. نظرة تستشرف آفاق الحياتين معا: الدنيا والآخرة، وما يقرب بينهما من حقيقة الموت الكبرى ولذا جاءت منفردة ودون ذكر شىء من متعلقاتها هكذا «تنظرون» كما ينطلق المحتضر إلى العالم الآخر وقد تجرد من كل أوهاق المادة ومغريات الحياة وليترك للخيال فرصة الانطلاق علّه يستوعب شيئا مما توحى به هذه النظرة.

ثم مقابلة الضمير «وأنتم» بالضمير «ونحن» فى قوله تعالى:

﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ ﴾

ولكل منهما دلالته، ولكل منهما حدوده ولكل منهما موحياته وموجياته.

إقامة الحجة

وأخيرا. أداة الشرط «إن» ولها موحياتها العامة فى الاستعمال العربى التى تشتد هنا قوة فى أداة الفكرة. «فإن» للشك والتقليل من احتمال وقوع الشرط والشرط هنا غير متحقق بالمرة مما ينفى من الأساس أى احتمال لقدرتهم على إرجاع الروح ولكن الموقف هنا يتلخص فى شىء واحد إقامة الحجة وإفراغ العلة وبذل الجهد من الطرفين مما يدعو -جدلا- الجانب الأقوى أن يوجه الخصم إلى أسباب الدفاع إن كان هناك ما يدافع به:

﴿ فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۝ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾

ولكنهم- بلا ريب- مدينون كما أنهم غير صادقين فى دعواهم ولذا لم ولن يستطيعوا إرجاعها فلقد قطعت جهيزة قول كل خطيب.

كل هذه الكلمات المشعة الموحية تبعث فى أطراف الصورة الفنية وبين جنباتها مشاعر الخوف.. والشفقة.. والعجز أمام سطوة الموت القاهرة.. بل والإحساس بمرارة كأسه التى لا مفر من تجرعها.

***

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

اطلعنا على الطلب المقدم من/ مجلة الأزهر - المتضمن لبعض الأسئلة وهي:

المسلمون لا يتفقون على ضلالة

● السؤال من: ن.هـ.و:

شخص بدأ الصيام فى مصر طبقاً لتحديد أول شهر رمضان فيها، وسافر إلى بلد آخر اختلف العيد فيه مع مصر، فماذا يفعل فى نهاية شهر رمضان، هل يتبع مصر فى الإفطار للعيد أو يتبع البلد الذى هو فيه حتى لو أدى ذلك إلى أن يكون صيامه ثمانية وعشرين يوماً أو واحداً وثلاثين يوماً؟

●● الجواب: هذا السؤال تتعلق به قضيتان: إحداهما: علمية والأخرى: عملية.

فأما العلمية: فهى ما تقرر شرعاً من أن القطعى مقدم على الظنى، أى أن الحساب القطعى لا يمكن أن يعارض الرؤية الصحيحة، ولذلك صدر قرار مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٦٤م، واتفقت المؤتمرات الفقهية كمؤتمر جدة وغيره على الاستئناس بالحسابات الفلكية القطعية مع الاعتماد على الرؤية البصرية الصحيحة، وهذا يعنى أن الحساب ينفى ولا يثبت وأنه يعد تهمة للرائى الذى يدعى خلافه، قال الإمام التقى السبكى فى «فتاواه»: «لأن الحساب قطعى والشهادة والخبر ظنيان، والظن لا يعارض القطع فضلا عن أن يقدم عليه، والبينة شرطها أن يكون ما شهدت به ممكنا حساً وعقلاً وشرعاً، فإذا فرض دلالة الحساب قطعاً على عدم الإمكان استحال القبول شرعاً، لاستحالة المشهود به، والشرع لا يأتى بالمستحيلات، ولم يأت لنا نص من الشرع أن كل شاهدين تقبل شهادتهما سواء كان المشهود به صحيحا أو باطلا»، ثم قال بعد ذلك: «قد يحصل لبعض

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

على جمعة

مفتى جمهورية مصر العربية

الأغمار والجهال توقف فيما قلناه ويستنكر الرجوع إلى الحساب جملة وتفصيلاً ويجمد على أن كل ما شهد به شاهدان يثبت، ومن كان كذلك لا خطاب معه، ونحن إنما نتكلم مع من له أدنى تبصر، والجاهل لا كلام معه».

ونقل العلامة القليوبى فى «حاشيته على شرح المحلى على المنهاج» عن العبادى قوله: «إذا دل الحساب القطعى على عدم رؤية الهلال لم يقبل قول العدول برؤيته، وترد شهادتهم»، ثم قال القليوبى: «وهو ظاهر جلى، ولا يجوز الصوم حينئذ، ومخالفة ذلك معاندة ومكابرة».

فإذا نفى الحساب القطعى طلوع الهلال فلا عبرة بقول من يدعيه، وإذا لم ينف ذلك فالاعتماد حينئذ على الرؤية البصرية فى إثبات طلوعه من عدمه.

ومن القطعى أيضا أن شهر رمضان لا يكون أبداً ثمانية وعشرين يوماً ولا يكون كذلك واحداً وثلاثين يوماً، بل هو كبقية الشهور القمرية: إما ثلاثون يوما أو تسعة وعشرون يوما. فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال النبى ﷺ: «الشهر هكذا وهكذا وهكذا» يعنى ثلاثين، ثم قال: «وهكذا وهكذا وهكذا» يعنى تسعا وعشرين، يقول مرة ثلاثين، ومرة تسعا وعشرين متفق عليه، وفى رواية رواها ابن خزيمة فى «صحيحه» والحاكم فى «المستدرك» وصححها على شرط الشيخين: «إن الله قد جعل الأهلة مواقيت، فإذا رأيتموه فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا، فإن غم عليكم فاقدروا له، واعلموا أن الأشهر لا تزيد على ثلاثين» وقد نقل الإجماع على ذلك الإمام بن رشد فى «بداية المجتهد» وغيره.

وأما العملية: فعلى المكلف فى مثل هذه الحالات أن يضع فى اعتباره أمرين:

الأول: أن لا يزيد شهر صومه على ثلاثين يوماً ولا يقل عن تسعة وعشرين يوماً.

الثانى: أن لا يتعارض ذلك مع الحساب الفلكى القطعى.

وبناء على ذلك وفى واقعة السؤال: فإذا

بدأ المكلف الصيام في مصر طبقا لتحديد أول شهر رمضان فيها، وسافر إلى بلد آخر اختلف العيد فيه مع مصر، فالأصل أنه يتبع أهل تلك البلد في رؤية هلال شوال إلا في حالتين: أن تخالف هذه الرؤية الحساب الفلكي القطعي أو تجعل شهر رمضان يزيد عن ثلاثين أو يقل عن تسعة وعشرين يوما.

فإذا رؤى مثلا هلال شوال في مصر ولم ير في البلد الأخرى أو بالعكس مع كون الرؤيتين داخلتين في نطاق الإمكان الفلكي ومع صحة عدد أيام الشهر، فإن الصائم يتبع حينئذ هلال البلد الذى هو فيها، صياما أو إفطارا، إذ لا محظور حينئذ من زيادة على الشهر أو نقص فيه أو مخالفة للحساب القطعي.

أما إن كانت البلد التى سافر إليها لا تبالى بالحساب القطعي بل خالفته في إمكان الرؤية أو استحالتها أو كان الصائم بحيث لو تابعها لزاد على ثلاثين أو نقص عن تسعة وعشرين فلا يجوز له حينئذ متابعتها في الإفطار أو الصوم الزائد أو الناقص قطعا، لعلتين: الأولى: أنه اتبع التى يعلم صحتها فصار مقيدا بها وليس له أن ينقص ما قد بنى شهره عليه بمخالفة القطعي من عدد الشهر وحساب الفلك، والثانية: أنه قد تبين له خطأ رؤية البلد التى سافر إليها، فلا عبرة بها في حقه.

لا يقال: عليه أن يقلد البلد التى سافر إليها ولو خالفت القطعي عددا وحسابا، منعا للفتنة ورأبا للصدع.

لأنا نقول: إن ذلك معتبر حيث يلتبس الأمر، أما والأمر واضح بالنسبة لمن بدأ شهر رمضان برؤية أهل بلده الصحيحة ولا لبس فيه فالمتابعة على الخطأ في حقه مع المعرفة به حرام.

قال الإمام السبكي في «الفتاوى»: «وأما قوله ﷺ: «عرفة يوم تعرفون وفطركم يوم تفطرون، وأضحاكم يوم تضحون» فالمراد منه إذا اتفقوا على ذلك فالمسلمون لا يتفقون على ضلالة والإجماع حجة».

صام ولم يصل

● السؤال الثانى: ما الحكم فيمن صام رمضان ولكنه لا يصلي؛ هل ذلك يفسد صيامه ولا ينال عليه أجرا؟

● الجواب: لا يجوز لمسلم ترك الصلاة، وقد اشتد وعيد الله تعالى ورسوله ﷺ لمن تركها وفرط في شأنها، حتى قال النبى ﷺ: «العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر» أخرجه الإمام أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه وصححه الترمذى وابن حبان والحاكم، ومعنى «فقد كفر» في هذا الحديث الشريف وغيره من الأحاديث التى في معناه: أى أتى فعلا كبيرا وشابه الكفار في عدم صلاتهم، فإن الكبائر من شعب الكفر كما أن الطاعات من شعب الإيمان، لا أنه قد خرج بذلك عن ملة الإسلام - عياذا بالله تعالى - فإن تارك الصلاة لا يكفر حتى يجحدها ويكذب بها، ولكنه مع ذلك مرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب.

والمسلم مأمور بأداء كل عبادة شرعها الله تعالى من الصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها مما افترض الله عليه إن كان من أهل وجوبه، وعليه أن يلتزم بها جميعا كما قال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾

(البقرة: ٢٠٨)

وجاء في تفسيرها: أى التزموا بكل شرائع الإسلام وعباداته، ولا يجوز له أن يتخير بينها ويؤدى بعضا ويترك بعضا فيقع بذلك في قوله تعالى:

﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾

(البقرة: ٨٥)

وكل عبادة من هذه العبادات المفروضة لها أركانها وشروطها الخاصة بها، ولا تعلق لهذه الأركان والشروط بأداء العبادات الأخرى، فإن أداها المسلم على الوجه الصحيح مع تركه لغيرها من العبادات فقد أجزأه ذلك وبرئت ذمته من جهتها، ولكنه يأثم لتركه أداء العبادات الأخرى، فمن صام وهو لا يصلى فصومه صحيح غير فاسد؛ لأنه لا يشترط لصحة الصوم إقامة الصلاة، ولكنه آثم شرعا من جهة تركه للصلاة ومرتكب بذلك لكبيرة من كبائر الذنوب، ويجب عليه أن يبادر بالتوبة إلى الله تعالى.

أما مسألة الأجر فموكولة إلى الله تعالى، غير أن الصائم المصلى أرجى ثوابا وأجرا وقبولا ممن لا يصلى.

والله سبحانه وتعالى أعلم

الإفطار للمشقة الزائدة في السفر!!

● السؤال من: ع.ق.ق:

جئنا من مصر على الطائرة المصرية إلى كندا، وأفتى لنا أحد العلماء بالصوم مع أن الطائرة سوف تحلق لمدة إحدى عشرة ساعة تقريبا، وركبنا من الساعة الواحدة ظهرا، وأفطرنا على توقيت مصر، ولكن المشكلة أننا أفطرنا والشمس ما زالت ساطعة ولم تغرب إلا في آخر الرحلة، أى بعد إحدى عشرة ساعة وقد وعدت أحد أفراد طاقم الطائرة أن أرد عليه من خلال فتواكم. فما رأيكم؟

●● الجواب: الصائم يفطر في الجو عندما تغيب الشمس عنده وفي النقطة التى هو فيها ولا يفطر بتوقيت بلده أو البلد التى يمر عليها بل عند غروب الشمس بكامل قرصها في عينه هو، فإذا شق عليه ذلك فليفطر، للمشقة الزائدة المركبة في السفر وليس لانتهاء اليوم.

فلو أفطر حينئذ فإنه يكون عليه أن يقضى يوما مكان ما أفطر، وما يقوله قادة الطائرات من الإفطار على ميقات البلد الأصلى أو البلد الحالى دون مراعاة غياب الشمس أمامهم غير صحيح شرعا.

وهناك حالة تغيب فيها الشمس ثم تخرج مرة أخرى من جهة المغرب لسرعة الطائرة وهنا يفطر الصائم ولا يلتفت لردها وعودتها

والله سبحانه وتعالى أعلم

أحكام في الصيام

● السؤال من: د.ح.ى:

هل يبطل الصوم بتناول أو فعل الأشياء التالية:

- الحقن بجميع أنواعها «في الوريد أو العضل أو الشرجية».
- الفحص المهبلي.
- وضع النقط في الأنف أو الأذن.
- استنشاق بخاخة الربو.
- القيء.
- التبرد بالماء.
- نقل الدم أثناء الصوم.

●● الجواب:

● الحقن بجميع أنواعها:

الحقن التي في الوريد أو العضل لا تفطر الصائم إذا أخذها في أي موضع من مواضع ظاهر البدن، سواء أكانت للتداوي أو للتغذية أو للتخدير، لأن شرط نقض الصوم أن يصل الداخل إلى الجوف من منفذ طبيعي مفتوح ظاهراً حساً والمادة التي يحقن بها لا تصل إلى الجوف أصلاً ولا تدخل من منفذ طبيعي مفتوح ظاهراً حساً، فوصولها إلى الجسم من طريق المسام لا ينقض الصوم.

قال العلامة الشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية الأسبق بعد أن ساق نصوص أهل المذاهب الأربعة في ذلك: «ومن هذا يعلم أن الحقنة تحت الجلد لا تفسد الصوم باتفاق المذاهب الأربعة، سواء كانت للتداوي أو للتغذية أو للتخدير وفي أي موضع من ظاهر البدن لأن مثل هذه الحقنة لا يصل منها شيء إلى الجوف من المنافذ المعتادة أصلا وعلى فرض الوصول فإنما تصل من المسام فقط، وما تصل إليه ليس جوفا ولا في حكم الجوف وليست تلك المسام منفذا منفتحا لا عرفا ولا عادة ومثل الحقنة تحت الجلد فيما ذكر: الحقنة في العروق التي ليست في الشرايين والحقنة التي تكون في الشرايين وكلاهما أيضا لا يصل منه شيء إلى الجوف، لكن الفرق أن الحقنة التي في الشرايين تكون في الدورة الدموية ولذلك لا يعطيها إلا الطبيب. فالحق أن الحقنة بجميع أنواعها المتقدمة لا تفطر» اهـ من مجلة الإرشاد غرة رمضان سنة ١٣٥١هـ العدد الثاني من السنة الأولى ص«٤٢» وما بعدها.

وأما الحقن الشرجية «وهي التي تعرف بالحقنة والاحتقان عند الفقهاء» فمذهب جمهور العلماء أنها مفسدة للصوم إذا استعملت مع العمد والاختيار لأن فيها إيصالاً للمائع المحقون بها إلى الجوف من منفذ مفتوح وذهب اللخمي من المالكية إلى أنها مباحة لا تفطر وهو وجه عند الشافعية قاله القاضي حسين، وفي قول آخر عند المالكية أنها مكروهة قال ابن حبيب «وكان من مضى من السلف وأهل العلم يكرهون التعالج بالحقن إلا من ضرورة غالبة لا توجد عن التعالج بها مندوحة؛ فلهذا استحب قضاء الصوم باستعمالها» اهـ

وقال الحافظ ابن عبد البر المالكي في «الكافي في فقه أهل المدينة» وقد قيل «القضاء في الحقنة استحباب لا إيجاب وهو عندنا الصواب لأن الفطر مما دخل من الفم ووصل إلى الحلق والجوف».

وقال ابن جزي في «القوانين الفقهية» فأما الحقنة ففيها ثلاثة أقوال: الإفطار بها وفاقاً لأبي حنيفة وابن حنبل وعدمه وتخصيص الفطر بالحقنة بالمائعات».

وبناء على ذلك: فيمكن تقليد هذا القول عند المالكية لمن ابتلي بالحقنة الشرجية في الصوم ولم يكن له مجال في تأخير ذلك إلى ما بعد الإفطار ويكون صيامه حينئذ صحيحا ولا يجب القضاء عليه وإن كان يستحب القضاء خروجاً من خلاف جمهور العلماء.

● الفحص المهبلي:

وأما الفحص المهبلي الذي يتم فيه إدخال آلة الكشف الطبي في فرج المرأة فإنه يفسد الصوم عند الجمهور خلافا للمالكية حيث نصوا على أن الاحتقان بالجامد- في الدبر أو فرج المرأة- لا قضاء فيه.

قال سيدي الإمام أحمد الدردير المالكي في «الشرح الكبير» «بحقنة بمائع» أي: ترك إيصال ما ذكر لمعدة بسبب حقنة من مائع في دبر أو قبل امرأة، لا إحليل، واحترز بالمائع عن الحقنة بالجامد فلا قضاء ولا فتائل عليها دهن» «قال العلامة الدسوقي في «حاشيته» عليه: «أي ولا في فتائل عليها دهن».

وعلى ذلك فيمكن لمن احتاجت إلى ذلك من النساء حال صيامها أن تقلد المالكية ولا يفسد الصوم بذلك حينئذ وإن كان يستحب لها القضاء خروجاً من الخلاف.

● وضع النقط في الأنف أو الأذن:

الجوف عند الفقهاء عبارة عن: المعدة والأمعاء، والمثانة- على اختلاف بينهم فيها- وباطن الدماغ، فإذا دخل المفطر إلى أي واحدة منها من منفذ مفتوح ظاهراً حساً فإنه يكون مفسداً للصوم.

ولذلك يجعلون وضع النقط في الأنف «ويسمى عندهم الاستعاط أو الإسعاط أو السعوط» مفسدا للصوم إذا وصل الدواء إلى الدماغ، فإذا لم يجاوز الخيشوم فلا قضاء فيه.

وكذلك وضع النقط في الأذن: مذهب جمهور الفقهاء والأصح عند الشافعية أن الصوم يفسد بالتقطير في الأذن إذا كان يصل إلى الدماغ، بينما يرى بعض الشافعية كالإمام أبي علي السنجي والقاضي حسين والفوراني -وصححه حجة الإسلام الغزالي- أنه لا يفطر، ذهاباً منهم إلى أنه لا يوجد منفذ منفتح حسا من الأذن إلى الدماغ، وإنما يصله بالمسام كالكحل.

● استنشاق بخاخة الربو:

بخاخة الربو آلة يستخدمها مريض الربو بها دواء سائل مصحوب بهواء مضغوط بغاز خامل يدفع الدواء من خلال جرعات هوائية يجذبها المريض عن طريق الفم، فيعمل كموسع قصبي تعود معه عملية التنفس لحالها الطبيعي، واستعمال هذه البخاخة يفسد الصوم، لأن فيها إيصالاً لهذا السائل على هيئة رذاذ له جرم مؤثر إلى الجوف عن طريق منفذ منفتح وهو الفم، وليس صحيحاً ما يقال من أنه مجرد هواء وإلا لم يكن علاجا

فإن الهواء المجرد يتنفسه المريض وغيره.

وعلى ذلك فللمريض الذى لا يستغنى عن هذه البخاخة فى شفائه أن يفطر شرعاً، بل إذا كان يخشى على نفسه الهلاك إن لم يستخدمها طوال النهار فإن الفطر واجب عليه شرعاً حتى لو طال ذلك أو استدام معه، ويجب عليه مع ذلك إخراج فدية وهى أن يطعم عن كل يوم مسكينا. فإذا برىء من مرضه وقدر على الصيام وجب عليه القضاء ولا تكفيه الفدية التى أخرجها قبل ذلك لأن شرط الانتقال من وجوب القضاء إلى الفدية استمرار العجز أو عدم استطاعة الصيام.

● القىء:

إذا غلب القىء الصائم من غير تسبب منه لذلك فصيامه صحيح ولا قضاء عليه، ولكن عليه ألا يتعمد ابتلاع شىء مما خرج من جوفه وألا يقصر فى ذلك، فإذا سبق إلى جوفه شىء فلا يضره، أما من تعمد القىء وهو مختار ذاكر لصومه فإن صومه يفسد ولو لم يرجع شىء منه إلى جوفه، وعليه أن يقضى يوما مكانه، لقول النبى ﷺ: «من ذرعه القىء فليس عليه قضاء، ومن استقاء عمداً فليقض» أخرجه أصحاب السنن وصححه ابن حبان والحاكم.

● التبرد بالماء:

اغتسال الصائم للتبرد جائز شرعاً ولا شىء فيه ولا يفسد الصوم لما روى فى الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما أن النبى ﷺ كان يدركه الفجر جنباً فى رمضان من غير حلم، فيغتسل ويصوم، ولما أخرجه الإمام مالك وأبوداود من طريق أبى بكر بن عبدالرحمن عن بعض أصحاب النبى ﷺ قال: «لقد رأيت رسول الله ﷺ بالعرج يصب على رأسه الماء وهو صائم من العطش أو من الحر»، وقد عقد الإمام البخارى فى صحيحه بابا لذلك سماه «باب اغتسال الصائم»، وساق فيه بعض الآثار فى ذلك عن السلف، منها ما روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «إن لى أبزنا أتقحم فيه وأنا صائم»، والأبزن: هو حوض الاستحمام، وهذا الأثر قد وصله قاسم بن ثابت فى «غريب الحديث» له بلفظ: «إن لى أبزنا إذا وجدت الحر تقحمت فيه وأنا صائم».

وعلى الصائم أن يحرص على عدم دخول الماء إلى جوفه من الفم أو الأنف، فإذا حصل دخول جزء من الماء فى الجسم بواسطة المسام فإنه لا تأثير له، لأن الفطر إنما هو الداخل من المنافذ المفتوحة حساً للجوف كما سبق.

● نقل الدم أثناء الصوم:

جمهور الفقهاء على أن الحجامة لا تفسد الصوم، لأن الفطر مما دخل لا مما خرج، وهذا ضابط أغلبى، ومثل الحجامة فى الحكم نقل الدم، فإنه لا يؤثر على صحة الصوم، لكن بشرط أن يأمن الصائم على نفسه الضعف أو الضرر.

والله سبحانه وتعالى أعلم

قضاء الصوم عن الميت

● السؤال من: ش.س.أ:

هل يجوز قضاء الصوم عن الميت؟

●● الجواب: إذا أفطر الصائم بعذر واستمر العذر إلى الموت فقد اتفق الفقهاء على أنه لا يصام عنه ولا فدية عليه، لعدم تقصيره، ولا يلحقه إثم، لأنه فرض لم يتمكن من فعله إلى الموت فسقط حكمه، كالحج.

أما إذا زال العذر وتمكن من القضاء ولكنه لم يقض حتى مات فللفقهاء فيه قولان: فالجمهور من الحنفية والمالكية والجديد من مذهب الشافعية وهو المذهب عند الحنابلة يرون أنه لا يصام عنه بعد مماته بل يطعم عنه عن كل يوم مد، لأن الصوم لا تدخله النيابة فى الحياة فكذلك بعد الوفاة، كالصلاة.

وذهب أصحاب الحديث وجماعة من السلف كطاوس والحسن البصرى والزهرى وقتادة وأبوثور، والإمام الشافعى فى القديم ـ وهو معتمد المذهب الشافعى والمختار عند الإمام النووى، وقول أبى الخطاب من الحنابلة: إلى أنه يجوز لوليه أن يصوم عنه، زاد الشافعية: ويجزئه ذلك عن الإطعام، وتبرأ به ذمة الميت، ولا يلزم الولى الصوم بل هو إلى اختياره وإن كان أولى من الإطعام، لما رواه البخارى ومسلم من حديث عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ: «من مات وعليه صيام صام عنه وليه»، ورويا أيضاً من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أمى ماتت وعليها صوم شهر، أفأقضيه عنها؟ فقال: «لو كان على أمك دين أكنت قاضيه عنها؟»، قال: نعم، قال: «فدين الله أحق أن يقضى».

أما الإمام أحمد والليث وإسحاق وأبوعبيد فقالوا: لا يصام عن الميت إلا النذر فقط، حملاً للعموم فى حديث أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها على خصوص حديث ابن عباس رضى الله عنهما الذى بينت رواياته أنه صوم نذر.

والمراد بالولى الذى له أن يصوم عن الميت: القريب مطلقاً، ويجوز للأجنبى عن الميت أن يصوم عنه بإذن وليه.

قال الإمام النووى فى «شرح مسلم»: «وهذا القول ـ يعنى جواز قضاء الصوم الواجب عن الميت مطلقا ـ هو الصحيح المختار الذى نعتقده، وهو الذى صححه محققو أصحابنا الجامعون بين الفقه والحديث، لهذه الأحاديث الصحيحة الصريحة.

وأما الحديث الوارد «من مات وعليه صيام أطعم عنه» فليس بثابت، ولو ثبت أمكن الجمع بينه وبين هذه الأحاديث بأن يحمل على جواز الأمرين، فإن من يقول بالصيام يجوز عنده الإطعام، فثبت أن الصواب المتعين تجويز الصيام وتجويز الإطعام، والولى مخير بينهما، والمراد بالولى: القريب، سواء كان عصبة أو وارثاً أو غيرهما، وقيل: المراد الوارث، وقيل: العصبة، والصحيح الأول، ولو صام عنه أجنبى إن كان بإذن الولى صح وإلا فلا فى الأصح، ولا يجب على الولى الصوم عنه، لكن يستحب» اهـ.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

الخطأ فى ظن طلوع الفجر وغروب الشمس

● السؤال من: م.ن.ع:

ما حكم الخطأ فى ظن طلوع الفجر وغروب الشمس فى الصيام؟

●● الجواب: من أكل بعد الفجر ظانا عدم طلوعه أو أكل قبل غروب الشمس ظانا غروبها ثم تبين له خطؤه فعليه القضاء كما هو مذهب جمهور الفقهاء لأنه لا عبرة بالظن البين خطؤه.

وقد روى الإمام البيهقى فى السنن الكبرى عن شعيب بن عمرو بن سليم الأنصارى قال: أفطرنا مع صهيب الخير أنا وأبى فى شهر رمضان فى يوم غيم وطش، فبينا نحن نتعشى إذ طلعت الشمس، فقال صهيب: طعمة الله أتموا صيامكم إلى الليل واقضوا يوما مكانه».

والله سبحانه وتعالى أعلم

الخضوع لقدر الله أعظم أجرا

● السؤال من: ط.غ.ق:

هل يجوز للمرأة تناول العقاقير لمنع نزول الدورة الشهرية ليتسنى لها الصيام فى رمضان؟

●● الجواب: من الأحكام الثابتة فى الشرع أن المسلمة يجب عليها الفطر فى رمضان إذا جاءتها الدورة الشهرية، إذ الفطر هو الذى يناسبها فى حالات الإعياء والاضطرابات الجسدية التى تصاحب الحيض، فلذلك أوجب الشرع عليها الإفطار، وهذا تخفيف من الله تعالى ورحمة منه سبحانه، وما يفعله كثير من النساء من أكل شئ قليل جدا أو شرب بعض السوائل ثم الإمساك بقية اليوم هو أمر مخالف لحكمة الشرع الشريف فى التخفيف عليها والحفاظ على صحتها الجسدية والنفسية، والمطلوب منها أن تفطر بشكل طبيعى فى فترة حيضها ولا حرج ولا لوم عليها، لأنها ستقضى هذه الأيام، حسبما جاء فى حديث السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت «كان يصيبنا ذلك مع رسول الله -ﷺ- فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة» متفق عليه.

أما استعمال العقاقير والحبوب التى تؤخر الحيض إلى ما بعد رمضان والتى تتيح للنساء إتمام الشهر كله بغير انقطاع فلا مانع منه شرعا، ويصح منها الصوم، ويجوز لها اللجوء إلى هذه الوسيلة بشرط أن يقرر الأطباء أن استعمال هذه الحبوب لا يترتب عليه ما يضر بصحة المرأة عاجلا أو آجلا، فإن ترتب على استعمالها ضرر فهى حرام شرعا، لأن من المقرر شرعا أنه لا ضرر ولا ضرار، وحفظ الصحة مقصد ضرورى من مقاصد الشريعة الإسلامية، ومع أن استخدام هذه الوسيلة جائز شرعا إلا أن وقوف المرأة المسلمة مع مراد الله تعالى وخضوعها لما قدره الله عليها من الحيض ووجوب الإفطار أثناءه أثوب لها وأعظم أجرا.

والله سبحانه وتعالى أعلم

لا يجوز الإفطار من أجل المذاكرة

● السؤال من: ح.ج.ع:

هل يجوز للطالب أن يفطر فى رمضان ليتقوى على المذاكرة فى أيام الامتحان؟

●● الجواب: ينبغى أن يفرق هنا بين من

يستطيع المذاكرة مع نوع من المشقة وبين من لا يمكنه المذاكرة أصلا بسبب الصوم، وأن نفرق أيضا بين من يجد عائلا يعوله وينفق عليه وبين من ينفق هو على نفسه أو عياله بحيث إن رسوبه سيؤثر على حياته العملية التى لابد له منها لكسب قوته وقوت عياله، فإذا احتاج الطالب المكلف شرعا احتياجا أكيدا يؤثر على معيشته أو معيشة من يعوله إلى المذاكرة فى نهار رمضان، وغلب على ظنه بأمارة أو تجربة أن صومه يفضى إلى رسوبه المستلزم لضعفه أو عجزه عن إكمال مسيرته التعليمية التى لابد له منها لاكتساب معيشته ونفقته الأساسية أو نفقة عياله، فإنه فى هذه الحالة يباح له الفطر، أخذا مما استظهره ابن عابدين وغيره من إباحة الفطر للخباز ونحوه من أرباب الحرف الشاقة، والواجب على هؤلاء الطلاب قضاء ما أفطروه بسبب هذه الضرورة أو الحاجة التى تنزل منزلتها فور زوال هذا الظرف الطارئ عنهم.

ويجب التنبه إلى أن هذه الفتوى إنما هى فتوى ضرورة، والضرورة تقدر بقدرها، وأنها مشروطة بكون مذاكرة الطالب مضطرا إليها فى شهر رمضان ولا يمكن تأجيلها، ثم هى مشروطة أيضا بأنه يغلب على ظنه الرسوب إن لم يذاكر، وهى مشروطة ثالثا بأن هذا الرسوب سيضعفه أو يحرمه من استكمال دراسته التى لا عمل له إلا بها، أو من توفير الاحتياجات التى لا قوام له أو لعياله إلا بها، فإن عدم شرط من هذه الشروط فالصوم واجب عليه ولا يجوز له الإفطار.

والله سبحانه وتعالى أعلم

الصوم خير

● السؤال من: ش.ز.خ:

هل يرخص الفطر لمن يداوم على السفر نظرا لطبيعة عمله؟

●● الجواب: رخص الله سبحانه وتعالى للصائم المسافر أن يفطر متى كانت مسافة سفره لا تقل عن مرحلتين وتقدران بنحو ثلاثة وثمانين كيلو مترا ونصف الكيلو متر، بشرط أن لا يكون سفره هذا بغرض المعصية، وأناط الشرع رخصة الفطر بتحقق علة السفر فيه دون نظر إلى ما يصاحب السفر عادة من المشقة، فصلح السفر أن يكون علة لأنه وصف ظاهر منضبط يصلح لتعلق الحكم به، والحكم يدور مع علته وجودا وعدما، فإذا وجد السفر وجدت الرخصة، وإذا انتفى انتفت، أما المشقة فهى حكمة غير منضبطة، لأنها مختلفة باختلاف الناس، فلا يصلح إناطة الحكم بها، ولذلك لم يترتب هذا الحكم عليها ولم يرتبط بها وجودا وعدما، قال تعالى:

﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾

«البقرة: ١٨٥».

فمتى تحقق وصف السفر فى الصائم ولم يكن إنشاؤه بغرض المعصية جاز له الفطر، سواء اشتمل سفره على مشقة أم لا، وسواء تكرر سفره هذا أم لا، حتى لو كانت مهنته

تقتضي سفره المستمر فإن هذا لا يرفع عنه الرخصة الشرعية، وبين الله سبحانه مع ذلك أن الصوم خير له وأفضل مع وجود الرخص في الفطر بقوله تعالى:

﴿ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾

«البقرة: ١٨٤»

والصوم خير له من الفطر في هذه الحالة وأكثر ثوابا مادام لا يشق عليه، لأن الصوم في غير رمضان لا يساوي الصوم في رمضان ولا يدانيه وذلك لمن قدر عليه، فإذا ظن المسافر الضرر كره له الصوم، وإن خاف الهلاك وجب الفطر. والله سبحانه وتعالى أعلم.

السواك أثناء الصوم

● السؤال من: أ.د.م:

ما حكم استعمال السواك أو المعجون وفرشاة الأسنان أثناء الصوم؟

●● الجواب: يجوز للصائم استعمال السواك لتنظيف الفم والأسنان واللسان، بل هو مستحب خاصة في الصباح بعد اليقظة من النوم، وعند تغير الفم، وقد كره الإمام الشافعي استعمال السواك بعد الزوال للصائم، لما جاء في الحديث الشريف من أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وهذا معنى حسن إن كان الناس لا يجدون رائحته، فإن كان الصائم يتعامل مع الناس فإن الأفضل له أن يغير رائحة فمه ولو بعد الزوال، توقيا من تأذيهم برائحته، لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

وكذلك الحال في استعمال المعجون وفرشاة الأسنان في نهار رمضان، بشرط أن ينقي الفم بالماء جيداً من آثار المعجون حتى لا تتسرب مادته إلى الحلق، فإن بقيت رائحة المعجون أو طعمه فإن ذلك لا يؤثر مادامت مادة المعجون نفسها قد زالت.

هذا، ومن السنن المؤكدة في حق الصائم أن يخلل ما بين أسنانه جيداً بالسواك، ويفضل أن يستعمله كلما دعت الحاجة الى استعماله.

ومن الآداب الإسلامية التي ينبغي مراعاتها ألا يستخدم السواك أمام الناس وفي الأماكن العامة كالمواصلات ومكاتب العمل أو بعد إقامة الصلاة وقبل تكبيرة الإحرام، لأن استخدام السواك يحتاج إلى مضمضة الفم بالماء بعد استخدامه وغسل السواك بعد الاستعمال.

والله سبحانه وتعالى أعلم

نقاط الأنف

● السؤال من د.ق.ث:

ما حكم استعمالي لقطرة الأنف في نهار رمضان، حيث إنني من غيرها لا أستطيع التنفس من الأنف، وأنا استخدمها من سنوات طويلة مرتين يوميا، وأنا لا أستطيع إطعام ستين مسكينا؟

●● الجواب: الجوف عند الفقهاء عبارة عن: المعدة، والأمعاء، والمثانة- على اختلاف بينهم فيها-، وباطن الدماغ، فإذا دخل المفطر إلى أي واحدة منها من منفذ مفتوح ظاهرا حسا فإنه يكون مفسداً للصوم.

ولذلك فإن وضع النقط في الأنف «ويسمى عند الفقهاء الاستعاط أو الإسعاط أو السعوط» يعد مفسداً للصوم إذا وصل الدواء إلى ما وراء الخيشوم، فإذا لم يجاوز الخيشوم فلا قضاء فيه.

وليس عليك إطعام ستين مسكينا، وإنما عليك إعطاء مسكين واحد مدا من طعام عن كل يوم تضع نقط الأنف فيه أو قيمة ذلك، والمد ربع صاع، أي أنك يلزمك إخراج ما يساوي ربع زكاة الفطر عن كل يوم تفطر فيه، فإن لم تستطع فانتظر حتى يتوفر لك هذا المبلغ، والله تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها.

والله سبحانه وتعالى أعلم

الفدية والقضاء

● السؤال من: و.م.ح:

أبلغ من العمر ثمانية وثمانين عاما، وأنا مريض وأتناول أدوية وحقنا، فما هي الفدية عن صيام رمضان؟

●● الجواب: قال الله تعالى:

﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾

«البقرة: ١٨٤»

أي أنه للمريض مرضا يرجى برؤه وللمسافر الترخص بالإفطار ثم عليهما القضاء بعد رمضان، أما المريض مرضا لا يرجى برؤه وكذا الشيخ الفاني والمرأة العجوز الذين لا يقوون على الصيام في رمضان ولا في غيره فعليهم الفدية، وهي إطعام مسكين عن كل يوم، وذلك مقداره مد من طعام أي حوالي كيلو إلا ربعا من الأرز أو القمح أو ما شابه.

فالعبرة ليست بالسن مطلقاً ولا بالمرض مطلقاً، فرب كبير سن يقوى على الصيام بينما لا يقوى من هو أصغر منه، ورب مريض بداء عضال ولكنه لا يمنع من الصيام بينما هناك من المرضى من ابتلي بداء يرجى برؤه ولكنه يمنعه في أثناء مرضه من الصيام أو يجعله شاقاً عليه.

وعليه وفي واقعة السؤال فنسأل الله تعالى لك الشفاء والعافية ونقول: إن كنت لا تتوقع من نفسك القدرة على الصيام بعد رمضان وقضاء ما تفطره بسبب المرض فيه – وذلك يكون بالرجوع إلى الأطباء المتخصصين – فعليك الفدية عن كل يوم، ولك أن تجمع ذلك كله في نهاية الشهر أو تخرج فدية عدة أيام انصرمت وانقضت، ولا تخرج عن الأيام المستقبلة، فإن أخرجت الفدية في هذه الحالة ثم زال عنك المرض وقويت على الصيام فلا يلزمك الصيام، ويكفي ما أخرجته من الفدية، لأنك كنت مخاطبا بها وقد فعلت.

وأما إن قال الأطباء المتخصصون إنه من المأمول الصيام بعد زمن وأنت تعلم من نفسك القدرة على الصيام إذا زال عنك المرض أو خفت وطأته فلا تخرج الفدية، لأن الواجب في حقك هو القضاء حينئذ.

والله سبحانه وتعالى أعلم

فائـــدة الصـــوم

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي - رحمه الله

الحمد لله عزوجل، يؤدب ويهذب، ويهدى ويرشد:

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ «النحل: ٩».

أشهد أن لا إله إلا الله، يحيى بقدرته موات الحواس والنفوس، وهو على كل شىء قدير، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، أدبه ربه فأحسن تأديبه، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، وأتباعه وأحبابه:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ «الأنعام: ٨٢».

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام .. قد هلّ فى كبد السماء هلال رمضان الوليد، وكان هذا الهلال أشبه بشعاع إلهى يسطع على المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ليوحى إليهم بأن ربهم الذى أحل الحلال وحرم الحرام قد آذنهم بشهر له فى مجتمعهم تأثير، وفى نفوسهم تأديب .. ورمضان شهر ربيع للمسلمين فى حواسهم ونفوسهم، يأتيهم بعد أن ظلوا أحد عشر شهراً، أى نحو ثلاثمائة وثلاثين يوماً وهم سائرون فى مسالك الحياة، ينالون منها وتنال منهم، وتعلق بهم رواسب وأخلاط من أعراضها وشهواتها، فيصيبهم بسبب ذلك لون من الكسل، أو الفتور والخلل، فيأتى رمضان بصيامه وقيامه فينفض هذه الأجسام الفاترة والنفوس الوانية، ويظل يوقد عليها بنار تأديبه، ويضيؤها بأنوار تهذيبه، حتى يجعلها فى آخره وقد اكتمل وعيها الروحى وصلاحها الحسى وصفاؤها النفسى، فتتخذ لنفسها عدة تسير بها على الطريق حتى يلقاها رمضان مرة أخرى فى كل عام قابل وهكذا دواليك.

خشـــوع للـــه

وقد قرر الأطباء - وليس العلماء فقط - إن شهر رمضان تطهير للمعدة وتقوية للإرادة وتصفية للذهن، بذلك الفقر الإجبارى والجوع المفروض والتساوى فى الإحساس بالألم الواحد وهو ألم الحرمان المشروع الذى هو «تأديب بالجوع، وخشوع لله وخضوع»، والذى «يكسر الكبر، ويعلم الصبر، ويسن خلال البر» .. ونحن نشكو مر الشكوى من هذا التكالب على الحياة والإلحاح الجشع على مطالبها ورغائبها، مع عدم الرضا وعدم الشعور بالسعادة، وكأن الإنسان فى طلبه للحياة يملأ فى «قربة» مقطوعة، فهى لا تمتلئ ولا تكتفى، فيأتى شهر رمضان ليكون فترة تعلم الإنسان كيف يهدأ ويخفف من جموح رغباته وإسراف شهواته، وهذه هى المقطرات تكون من حوله، وليس عليه من رقيب أو حسيب سوى ربه، ومع ذلك يصد نفسه، ويسوسها لتتعلم كيف تصبر، كيف تراقب الله علام الغيوب.

النعم لا تدوم!!

وهذا هو العالم يشكو من طوفان ذلك السعار المادى الذى أصاب أكثر الناس، فجعلهم يطلبون ولا يعطون، ويشتهون ولا يصبرون، حتى حطم فيهم روح المغالبة والمقاومة، فيأتى شهر رمضان ليكون مدرسة تستمر ثلاثين يوما فى كل عام، فيأخذ فيها الصائم دروسا عملية تهديه إلى المغالبة وتقويتها، وإلى المقاومة وتعزيزها؛ والحياة غير مأمونة العواقب. فهى يوم لك ويوم عليك، وكوارث الدنيا تتربص بأهليها عن يمين وشمال، فإذا ألف الإنسان الترف والنعيم، وفاجأته الشدة أو المحنة ذل أمامها وخنع، لأنه لم يتعود خشونة أو تقشفاً أو تخففاً فى المتاع، ولهذا قال عمر: «اخشوشنوا فإن النعم لا تدوم».

والصوم تدريب على هذا الاخشيشان طوعاً واختياراً، قبل أن يكون جبرا وإرغاما؛ والنفس البشرية قد توضع لها القوانين الوضعية لتحكمها وتزجرها، وقد تبدو النفس راضية بهذه القوانين من الظاهر ثم تكرهها أو تثور عليها فى الداخل، ولكن الصوم هو القانون الداخلى الروحى الذى يسيطر على أعماق النفس وخفاياها، فيقودها طواعية واختياراً لا كرها وإجباراً، ومتى استطاع الإنسان أن يملك زمام نفسه من

الداخل فقد تحكم فى أسبابها واستطاع أن يقودها إلى حيث يريد؛ ولأن الصيام فيه هذه «الباطنية» المستورة وهذه «الداخلية» التى لا يطلع على أمرها إلا الله الذى يعلم السر والنجوى، جعل الله تبارك وتعالى هذا الصوم عملا خالصا لوجهه ونسبه إلى جلاله، فجاء فى الحديث القدسى: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به»(١)...

ولأن الصيام يحفظ النفس من الجشع والسعار والترف المهلك قال الرسول ﷺ: «الصيام جنة»(٢) أى وقاية وحفظ من المعاطب، لأنه يكسر الشهوة ويعلم العفة ويقوى الإرادة، والله تعالى يقول:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

«البقرة: ١٨٣»

الصوم الإسلامى

قد يقال إن بعض الناس لا يستفيدون من الصيام، وهؤلاء فى الواقع هم الذين لا يصومون الصوم الإسلامى الذى شرعه الإسلام وأراده الله لعباده، فهم فى رمضان يسرفون فى الطعام إسرافا يجعل هذا البطن مخزنا لطبقات من الطعام بعضها فوق بعض، فتتلبك المعدة، ويضطرب الهضم، وتتأذى الأمعاء، ويظل الواحد منهم طيلة النهار فى خلل أو اختلال، وهم يقضون ليلهم ساهرين فيما يتلف الصحة أو الخلق، ويتناولون ما حل أو حرم من المشروبات والمنبهات، ولا يقوون أرواحهم بكلم طيب أو قيام مهذب أو عبادة موقظة، ويحرمون أنفسهم حظها من النوم، فإذا غدوا إلى عملهم غدوا كسالى، وإذا خاطبوا الناس خاطبوهم على غير هدوء، وإذا طولبوا بالاستقامة فى القول والعمل ضجوا واحتجوا بالصيام، والصيام منهم برىء، وهكذا يحملون الإسلام تبعة إسرافهم وانحرافهم، وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون.

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام!...

إن لله فى أيامه نفحات. والعاقل اللبيب من تعرض لهذه النفحات لينال منها ويسعد بها. وهذا شهر رمضان، فلنستعن بالله جل جلاله فى أن يوفقنا خلاله لصالح العمل، وأن يجعله لنا موسما من مواسم الطاعة والتطهير والقبول، وسبحان من لو شاء لهدانا جميعا إلى سواء السبيل...

***

(١)، (٢) صحيح البخارى.

تأملات علمية من وحى الصيام

للأستاذ الدكتور/ محمد فتحى فرج
الأستاذ بكلية العلوم - جامعة المنوفية

لصيام رمضان مكانة بارزة بين العبادات الأخرى، ذلك أنه سر بين العبد وربه، وهو إلى جانب كونه فريضة فرضها الله تعالى على المكلفين من عباده، فهو تجربة روحية إيمانية عملية، يعيشها الصائم بكل جارحة من جوارحه، طيلة شهر قمرى، تلبية لنداء الحق تبارك وتعالى فى سورة البقرة، واتباعا للنبى ﷺ القائل: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته» (البخارى).

وصوم التطوع أيضا وسيلة للتقرب إلى الله، على الوجه الذى يرضيه، كما أنه وسيلة لتهذيب النفس وارتقائها. لعل صومه هذا يؤدى إلى ثمرة غالية هى التقوى، التى تتسق وتنسجم بها ومعها حياة الإنسان، بالإقبال على كل ما يرضى الله، والابتعاد عن كل ما نهى عنه سبحانه وتعالى، ولذلك فقد كتبه الله تعالى على الأمم السابقة، كما أخبرنا فى القرآن الكريم من قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

«البقرة: ١٨٣»

ومن ثم فهو معروف فى الديانات التى سبقت الإسلام.

الصوم ظاهرة فسيولوجية فطرية

وإذا عرفنا أن الصوم عملية تمر بها معظم الكائنات الحية بشكل اختيارى مهما توافر الغذاء فى الطبيعة من حولها وليس الإنسان فقط لأدركنا أنه يمكن اعتبار الصوم سنة كونية وظاهرة فسيولوجية فطرية، وليست مجرد عملية إرادية وتعبدية بالنسبة للإنسان وكفى، وعلى ذلك فهو ضرورى لجميع الكائنات شأنه فى ذلك شأن التنفس، والاغتذاء والنوم والحركة. وهو يجدد شباب الكائن الحى، بل ويطيل من عمره، فهناك بعض الكائنات المفطورة على الصوم، وقد تصل مدة صومها إلى سبعة أشهر، أو ما يزيد على ذلك، استجابة لعوامل بيئتها الطبيعية التى أوجدها الخالق تبارك وتعالى فيها، والصوم بهذا

ضرورى لحياتها إلى الدرجة التى يمكن أن تلقى حتفها إذا ما عاقها عائق عن أدائه واستمراره لحين تحسن ظروفها البيئية، وعندها يمكن أن تنشط وتتناول غذاءها.

الصوم يجدد الشباب ويطيل العمر

أما قولنا إنه يجدد شباب الكائن ويطيل عمره فبيانه على النحو التالى: تتم فى جسم الكائن الحى عمليتان كيموحيويتان متلازمتان، وذلك تحت الظروف الطبيعية من توافر الغذاء والتنفس، وإنتاج الطاقة وخلافه وهما: عملية البناء، وعملية الهدم، أما الأولى فتحدث بكثرة فى المراحل المبكرة من عمر الكائن الحى «مراحل التخلق والنمو»، إلا أنها تتم أيضاً طيلة حياة الكائن الحى، لتعويض الخلايا التالفة والمستهلكة، وكذا استبدال وتجديد الجزيئات الحيوية القديمة والمتهالكة، بل وتخزين بعض المكونات التى تعد بمثابة مخزون احتياطى للجسم، أو تكوين بعض المركبات النفاوية WASTES تمهيداً لتخليص الجسم منها دون آثار جانبية سيئة على الجسم، أما العملية الثانية وهى عملية الهدم، فعن طريقها يتمكن الجسم من التخلص من الخلايا الهرمة والمريضة والشاذة فى أنسجة الجسم المختلفة، وكذلك عن طريقها يتم نقض الجزئيات المتهالكة وهدم الجزيئات الغذائية المختلفة، حتى يتمكن الجسم من الحصول على الطاقة اللازمة لاستمرار وظائفه ومن ثمّ حياته، وعلى ذلك فالعمليتان مهمتان وضروريتان للكائن الحى، وتحدثان فى كل لحظة من حياة جميع المخلوقات الحية، ولكن معدل حدوثهما ليس ثابتاً وإنما يخضع لظروف الكائن الحى، فمثلاً فى أثناء فترات الجوع أو الصيام فى شهر رمضان أو غيره يزيد معدل عملية الهدم لتزويد الجسم بالطاقة، وهذا من شأنه تمكين الجسم من التخلص من عناصره الفاسدة أو المتهالكة بسرعة وكفاءة بشكل يفوق مثيله فى أثناء فترات الشبع، وبعد تناول الطعام عقب الصيام أو الجوع فإن عناصر البناء تتوافر فيُقبل الجسم على عملية البناء بمعدل مرتفع وكفاءة عالية.

والخلاصة أن الصوم يمنح الجسم فرصة ذهبية للتخلص من الأنسجة والخلايا والجزيئات الهرمة قليلة الكفاءة، ويعمل أيضاً على منح الجسم فرصة لتجديد جزيئاته الحيوية، وخلاياه وأنسجته التالفة، ليقوم بوظائفه بشكل أفضل، وكفاءة أكبر مما يساعد على تجديد الشباب وإطالة العمر الحيوى بقدرة الله تعالى.

هذا فضلاً عن أن بعض التجارب العلمية الخاصة بتجويع الحيوانات المختلفة، قد أسفرت عن حياة أطول لهذه الحيوانات، مقارنة بمثيلاتها من الحيوانات التى لم تتعرض للحرمان من الطعام، وجدير بالذكر أن الأمم السابقة تركت من خلال التدوين والتسجيل، ما يدل على قيام شعوبها بالصوم، فقد ذكر بعض المؤرخين المحدثين أن قدماء المصريين كانوا يتقون الأمراض بالمحافظة على صحة أجسامهم بالصوم، كما يستعينون على ذلك أيضاً بالقيئات واستخدام الملينات، وذلك لاعتقادهم أن الجزء الأكبر مما يدخل فى الجسم من الطعام يزيد عن حاجته، وأن الأمراض تنشأ عن هذا الجزء الزائد عن الحاجة ولهذا فقد دعا - حديثاً - كثير من أطباء الغرب، المتخصصين فى الشئون الغذائية إلى الصوم كعامل مهم من عوامل تجديد الشباب، ذلك أن العادة الشائعة من تناول ثلاث وجبات من الطعام هى عادة غير طبيعية، فى ظروف المدنية الحديثة، لأنها تؤدى إلى تحميل الجسم بمقدار زائد من المواد التى تضر به أبلغ الضرر، والجدير بالذكر أن وجود هذه المواد هو من أهم أسباب المرض، على الأخص مع الإفراط فى الطعام والأغذية غير الصحية، فى حين أن الصوم لفترة ما يؤدى إلى إزالة هذه الزيادات الضارة بالجسم، وكلما اشتد الجوع بالصائم زاد احتراقها، وحينما تتخلص أجهزة الإخراج وخاصة الكلى من عبء إفراز نفايات الطعام الجديد، فإنها تكتسب القدرة على التخلص من جميع السموم المتجمعة فى الجسم، وهذا يفسر تجديد الصيام لشباب جميع خلايا وأنسجة وأعضاء الجسم، بما فى ذلك الجهاز التناسلى، فمن الحق أن القوى الجنسية تجمد فى فترة الصوم، بيد أنها تنشط بعد ذلك نشاطاً غير معهود، فى عملية التجدد تلك، وإزالة السموم والنفايات، عن طريق الصيام.

لابد من مراجعة للنفس

أما من الناحية الكمية، فإن الإسراف فى الطعام له أضرار وخيمة، بل ينجم عنه أمراض خطيرة كالسمنة وارتفاع ضغط الدم وأمراض الشرايين والقلب والبول السكرى والنقرس والتهابات الجهاز الهضمى لاسيما المعدة، إلى غير ذلك من هذه السلسلة الطويلة من الأمراض التى ترتبط بالإفراط فى تناول الطعام بمقادير تفوق حاجة الإنسان، و من ثم فقد كنت توصيات حكماء الأطباء منذ القديم وحتى الآن هى الاعتدال فى تناول مقادير الطعام، والتوصية بالصيام لفترات طويلة من الوقت، بل إن المسلم ليلمس ذلك بنفسه عندما يصوم رمضان فيأتى فى آخر هذا الشهر الكريم وقد استراحت أعضاؤه وخف بدنه وصفت روحه، فكأنه بالصيام يداوى نفسه دون أن يتناول دواء، فهو يتناول الطعام مرتين فقط وليس ثلاثاً، وباعتدال دون إفراط، وهذه إحدى ثمرات اتباع منهج الله فى قوله تعالى:

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾

(الأعراف: ٣١)

وقد ورد فى الأثر: «نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع» فإذا كان الأمر على ذلك فى غير رمضان، فماذا ينبغى أن تكون عليه الحال فى رمضان؟

والواقع الذى لا يمكن إنكاره بحال أن الاستهلاك الغذائى يزيد بحلول شهر رمضان فى ديار أمة الإسلام، فهناك تكالب على الطعام والشراب والإسراف بوجه عام، على النقيض مما ينبغى أن تكون عليه الحال، وعلى عكس ما هو متوقع فى شهر يجب أن يجاهد المرء فيه نوازعه، ويكبح جماح شهواته، لتزكو نفسه وتصفو روحه.

فإذا كان الإنسان منا يستهدف من طعامه، بعد مرحلة البلوغ، إمداده بالمواد اللازمة لتعويض ما يتلف من خلايا جسمه، وتزويده بالطاقة لمختلف أنشطته، من بناء وترميم وحركة وإفراز إلى غير ذلك من وظائف حيوية، لا تختلف فى رمضان عنها فى غيره من شهور العام، فإنه من التزيد بل ومن الإسراف أيضاً أن نجعل من رمضان فرصة لالتهام كل ما لذ وطاب، وشرب كل حلو ومُذاب، فهذه مشويات وتلك مقليات، وأخرى محمرات من الغذاء الدسم، إضافة إلى الحلويات

من القطائر والشطائر والعصائر من مختلف ألوان الطعام والشراب، إلى غير ذلك مما تضيق بها موائد الفطور والسحور، ويجعلنا نتساءل بكل موضوعية: أهو شهر صيام أم شهر شراب وطعام؟

تدلنا البحوث العلمية الخاصة بعلم وظائف الأعضاء أن الإنسان الطبيعي، بعد تناول الطعام يمكنه اختزان ما يقرب من ٤٥٠ جراما من المواد النشوية على هيئة نشا حيواني (glycogen) يتم استيعابها بشكل أساسي في كل من الكبد والعضلات، وقليل منها في بعض الأعضاء الأخرى، وهذه الكمية يمكن عند احتراقها أن تمد الجسم بما يزيد عن ١٨٠٠ سعراً حرارياً تكفي الإنسان لمدة تزيد عن ١٥ ساعة. هذا بخلاف ما يتضمنه جسم الإنسان من دهون يمكن أن تنهض لتزويد الجسم بالطاقة عند اللزوم، وذلك بعد نفاد المواد النشوية، وعادة- خاصة مع الغذاء المعتدل المتوازن- لا يلجأ الجسم لذلك، نظراً لكفاية المواد النشوية، تحت هذه الظروف، للوفاء بمتطلبات الطاقية خلال تلك الفترة، التي لا تزيد عادة عن أربع عشرة ساعة، فيما بين وجبتي الفطور والسحور.

إن الإسراف الذي يتواكب مع رمضان ورمضان منه برئ، ليس من مقاصده مطلقاً، أما ما ينجم عن هذا الإسراف فيتمثل فيما يلي من مشاكل: مشاكل صحية «اعتلالات وأعراض وأمراض مختلفة ذكرنا بعضها» - مشاكل اجتماعية «أشارت بعض البحوث إلى حدوث مشاكل أسرية، ومشاجرات عائلية، بل وحالات طلاق من كثرة المطالب مع ضيق ذات اليد في هذا الشهر!» - مشاكل اقتصادية «من ديون وقروض وبيع للمقتنيات بأقل من قيمتها، وارتباك مالي» - مشاكل جمالية «نتيجة الإسراف في الطعام تحدث السمنة، التي تُشوه الجسم وتسبب الترهل، وفقدان الاتساق الحركي، والتوازن الجسماني».

ونحن في غنى عن كل هذه المشاكل باتباعنا تعاليم ديننا الحنيف، وفضلاً عن كل ذلك فهذه الطاعة عبادة. ولنا بها- إن شاء الله تعالى- أجر، ليتنا نفهم.. ليتنا نعي.. فهذا الشهر الكريم فرصة ذهبية ليراجع كل منا نفسه ويُعدِّل من سلوكه، فنظفر بحب الله تبارك وتعالى، ذلك لأنه يقول:

﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾

(الأعراف: من الآية ٣١)

وللصيام فوائد نفسية

فالصوم يؤصل في المسلم قوة التحمل، ويقوي الإرادة، ويورث الصبر، ومن ثم يجعله أكثر قدرة على ضبط انفعالاته وردود أفعاله، وإكسابه مناعة ضد المعصية بشتى أنواعها، فيقوى بذلك على مقاومة شياطين الإنس وشياطين الجن ونوازع النفس، ولعل تلك بعض ثمار.

﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

(البقرة: ١٨٣)

ولذلك فقد تواترت أحاديث النبي ﷺ لتؤكد هذا وتحفزه، وتحض عليه، حتى يخلص صيام المسلم من كل شائبة، يقول النبي- ﷺ- في هذا الصدد «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» رواه الشيخان، وقوله ﷺ: «الصوم جنة، فإذا كان صوم يوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو شاتمه أو قاتله فليقل: إني امرء صائم» رواه الشيخان، وإذا كان صوم المرء على هذه الصورة الزكية النقية فمن كرم الله وفضله أن يعده بالغفران والرضوان، يقول النبي ﷺ: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً فقد غفر له ما تقدم من ذنبه» رواه الشيخان. أما الحديث القدسي الذي يفيد بأن الصوم لله تبارك وتعالى، ومن ثم فإنه متروك لكرمه- سبحانه- ليجزي به، فهو حقاً (نيشان) على صدر المسلم الحق.

أما من الناحية الفسيولوجية: فإن الصبر والهدوء يكبحان جماح الغدد الصماء «لاسيما غدتا الكظر» فتعتدل في وظائفها ولا تطلق هرموناتها إلا بمقدار، خاصة هرمون الأدرينالين الذي يؤدي – عند الغضب- إلى ثورة عارمة في الجسم «جسم الإنسان وجسم الحيوان» تقلب الأمور رأساً على عقب، ومن بين هذه التأثيرات: ارتفاع ضغط الدم، وزيادة معدل ضربات القلب، واتساع حدقتي العينين، وارتفاع نسبة سكر الدم، وزيادة تركيز الأحماض الدهنية بالدم، وكل هذه التغييرات تطلق العنان لتفاعلات هائلة في الجسم، من شأنها اشتعال الانفعال، وتفاقم حالة الغضب والهياج، مما يؤدي في النهاية إلى افتقاد الهدوء والتروي، الأمر الذي يؤدي إلى عدم اتخاذ القرار الصائب في الوقت المناسب، بل على النقيض من ذلك تؤدي هذه الحالة إلى ردود أفعال غير محسوبة العواقب، قد تفضي في أغلب الأحيان إلى الندم الذي لا يجدي أو يفيد، وقد يصاب المرء تحت هذه الظروف بارتعاش اليدين والشفتين، وتلعثم في الكلام إضافة إلى ما سبق ذكره من أعراض، ولذلك يشير علم النفس الإكلينيكي الحديث، على الأشخاص الذين يعانون من هذه الأعراض، أن يواجهوا المواقف الصعبة والمخاوف المزعجة بمعاد «جمع مَعِدة» خاوية.

الصوم دواء لأدواء

أما الصوم، وما يطبع الإنسان عليه من صبر وهدوء ودعة، فيؤدي الى تنظيم عمل الغدد الصماء وإطلاق هرموناتها بانتظام، ومن بينها هرمون الأدرينالين سالف الذكر، ولذلك فقد أمرنا بالصبر تارة، وجاء ثمرة من ثمار صوم رمضان تارة أخرى، إذ إنه دواء لأدواء كثيرة، بل إنه الدواء الذي يكفل الوقاية من الوقوع فريسة لأدواء وأمراض اجتماعية ونفسية وخلقية، وهو أيضاً «فيتامين» الطاعات المختلفة، يعين عليها، ويكفل للمسلم النصر في مواجهة الشيطان ولذلك يقول النبي ﷺ: «الصوم نصف الصبر والصبر نصف الإيمان»، وبهذا فإن تعود المسلم عليه يضمن له مسافة هائلة إلى منتهى الإيمان، ورمضان بذلك فرصة عظيمة للتدريب والتمرين والتعود على هذه الخصلة النبيلة، والقيمة الإيمانية العالية، والمؤمن الكيس لابد له أن يُعمل فكره ليفطن إلى أمور لا يدركها غيره، فالمؤمن يرى بنور الله، ولديه من الشفافية وقوة الحدس والفراسة ما يجعله ذا نظرة ثاقبة، تخترق القشور لتصل إلى اللباب، وجواهر الأشياء، وعلى هذا النحو فهو إذا نظر إلى صبره واحتماله الجوع والعطش، وغيره مما أحل الله في غير رمضان، أفلا يكون الأولى له أن يصبر على ترك العادات الضارة، في رمضان وغيره من شهور العام؟ لعله يفعل.. فيفوز بخيري الدنيا والآخرة!

توظيف الحقائق النفسية.. فى التنشئة الإسلامية

للأستاذ / محمد مصطفى البسيونى

من المعروف أن كل إنسان هو نتاج الوراثة والبيئة، ومن المعروف أيضاً أن البيئة قد تكون بيئة طبيعية أو بيئة اجتماعية، ويهمنا هنا «البيئة الاجتماعية» التى وكل إليها تنشئة الفرد وإعداده للتكيف مع أمثاله من الأفراد وما يحيط بكل منهم من مؤثرات ولاسيما المؤثرات البشرية.

وإن البدايات الحقيقية لأى مجتمع لتتمثل فى طفولة أفراده الذين سيصبحون فيما بعد العناصر الفاعلة والقيادات الفعالة لهذا المجتمع، فإذا نجح المجتمع فى بناء الطفولة البناء السوى المنشود كان هذا إيذاناً ببناء عميق الأساس شامخ العلو قوى اللبنات، أما إذا نظر المجتمع إلى ناشئته الصغار على أنهم كميات مهملة يمكن العناية بهم «فيما بعد» فإن هذا هو الخطأ بعينه الذى يمثل جرماً وأى جرم فى حق الصغار والكبار جميعاً.

ونحن الآن أمام مفهومين أساسيين نريد أن نبنى عليهما هذا الموضوع، وأول هذين المفهومين هو «الحقائق النفسية» ويقصد بها، ما وصل إليه علماء النفس من حقائق ذات تأثير واضح فى البناء النفسى للإنسان، والمفهوم الثانى هو «التنشئة الإسلامية» ونعنى بها العملية التى يقوم بها المعنيون بتربية الناشئة منذ الصغر ولا سيما فى مجال التربية الإسلامية وذلك فى إطار الحقائق المعروفة والمتواترة التى تؤكد أن «التعليم فى الصغر كالنقش على الحجر» حيث يصعب - إن لم يتعذر - محو هذا النقش، وذلك فى مقابل العبارة التى تقول: «إن التعليم فى الكبر كالرقم على الماء» حيث يصبح الرقم على الماء أشبه شىء بالعبث الذى لا يجدى فيه وقت أو جهد.

وليس شك فى أن حكمة الإسلام التى تجسدت فى الحكمة المحمدية السديدة المعبرة عن الحكمة القرآنية الرشيدة والتوجيهات الإلهية المجيدة قد نبهت إلى هذه الحقيقة بالقول والفعل جميعاً.

وتتجلى هذه الأسوة المحمدية التربوية الحكيمة حين كان النبى ﷺ حريصاً كل الحرص على تعليم ناشئة المسلمين وطلائعهم الراشدة مثل معاذ بن جبل رضى الله عنه و«العبادلة» رضى الله عنهم: عبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر وعبدالله بن عمرو وغيرهم رضى الله عنهم أجمعين حتى يضع أمامنا المعلم الربانى ﷺ قاعدة رائدة فى التربية والتعليم وهى العناية بالناشئة الصاعدة والكيانات الواعدة، ذوى الأعواد الغضة، والاستعدادات البضة.

ولاشك فى أن هذا الأسلوب الرشيد فى تعهد هذا النبت القابل للتشكيل بالقوة قبل أن يتشكل بالفعل كان وحياً يوحى وهدياً لكل من يتأسى بالنبى ﷺ على مدى العصور ومدار الدهور ممن خصهم الحق سبحانه بشرف حمل الرسالة الدعوية البناءة بوجه عام وفى مجال التربية الإسلامية بوجه خاص.

ومن الحقائق النفسية التى تلتحم بعملية التربية ما يعرف بالإيحاء أو «الاستهواء» وكذلك «المشاركة الوجدانية» ثم «التقليد أو المحاكاة» وهذه الحقائق الثلاث مرتبطة بما يعرف فى علم النفس «بالشعور» فشعور الإنسان هو إحساسه بما يحيط به، ومن هنا كان لابد أن يعرف المرء أولا الشىء الذى «يشعر» به وهذا ما يسمى بجانب «الإدراك» ثم ينتقل الشعور إلى مدى الارتياح أو عدم الارتياح إلى هذا الشىء وهذا ما يعرف «بالوجدان» ويؤدى هذا بالتالى إلى السلوك الناشئ عن الإدراك والوجدان وهو ما يعرف «بالنزوع»، فلدينا هنا إذن الإدراك والوجدان والنزوع، والحقائق النفسية التى نحن بصددها الآن مرتبطة بهذه المظاهر الثلاثة للشعور.

ومعنى الاستهواء أو الإيحاء[1] انتقال الفكرة من شخص إلى آخر فإذا استطاع المرء أن يقنع غيره بفكرة ما قيل عندئذ: إنه استهواه أو أوحى إليه بهذه الفكرة.

ويمكن توظيف هذه الحقيقة فى إقناع المربى للناشئ على سبيل المثال بفكرة أهمية الصدق والأمانة وفعل الخير فى توثيق العلاقات بين الناس واستقامة الحياة فى المجتمع ودعم الروابط بين الأفراد وغير ذلك وهى كلها من القيم الإسلامية التى يمكن إقناع الناشئ بها منذ طفولته فإذا شب عن الطوق تحولت لديه الفكرة إلى سلوك معتاد بينه وبين غيره مصداقاً لمقولة: «من شب على شىء شاب عليه».

وينبغى أن تكون عملية الإيحاء معتدلة لأنها مثل غيرها وفق المثل القائل: «إذا زاد الشىء عن حده انقلب إلى ضده» فلا يسرف المربون من المعلمين والآباء فى النصح والإرشاد بمناسبة وغير مناسبة ومن هنا يسمى علماء النفس الإسراف فى الإيحاء بأنه «إيحاء عكسى» أى يأتى بعكس النتيجة المرجوة.

ومن هنا يرفض التربويون التعليم عن طريق مجرد التلقين لأن التلقين المجرد يخلق عند الناشئ نوعاً من الاستجابة العكسية التى تسبب

(١) الإيحاء هو محاولة التأثير فى تفكير الشخص واتجاهاته.

العناد.

وإذا كان لابد من التلقين فقط فإن هذا يتطلب من «الملقين» مهارات خاصة مثل التنويع، والتشويق والتشجيع كما نجد عند بعض المهرة من محفظي القرآن الكريم للناشئة مثل تنويع الصوت والتنغيم والمراجعة أولاً بأول.

كما أن هناك الحقيقة النفسية المعروفة بالمشاركة الوجدانية[٢] وهي تدريب وجدان الناشئ على «الميل إلى» الإيجابيات و«الميل عن» السلبيات وذلك عن طريق القصص التربوي المبسط والجذاب الذي يعمق لدى الناشئ التعاطف مع الفقراء والمساكين وذوي الحاجات فيشب مرهف الحس، رقيق الشعور، حبي المشاعر نحو غيره من أفراد أسرته وأصدقائه وجيرته وزملائه وغيرهم. ولعل هذا مما يحد من ظاهرة الأنانية والتمحور حول الذات وغير ذلك مما نلحظه عند الناشئة في بدايات احتكاكهم بالمجتمع وتعاملهم مع الآخرين.

ومن هذا القبيل ما يروى عن النبي ﷺ من أنه كان يحمل حفيديه الحسن والحسين رضي الله عنهما على ظهره أثناء الصلاة حيث ينبغي أن نستنبط ما وراء هذا السلوك التربوي المحمدي مثل إغراء الحسنين الناشئين المطهرين بالميل إلى الصلاة ومعايشة الإقامة بالمسجد، ولك أن تقارن بين هذا التصرف المحمدي الحميم وبين التصرف المضاد لو أن النبي ﷺ نهى الحسنين المكرمين وألقاهما عن ظهره بحجة التفرغ للصلاة، هل كان هذا السلوك المضاد سيحبب الطفلين في الصلاة؟ أم سيأتي بنتيجة عكسية نتيجة ما يعرف في علم النفس «بالارتباط الشرطي» فترتبط الصلاة عند الطفلين بالقسوة والزجر.. بل إن هذا السلوك المحمدي المعلم يعلمنا نحن كيف نربي أبناءنا منذ الصغر على عشق السلوك الديني بل إنه ﷺ يُشهد الحق سبحانه وهو بين يديه في الصلاة كيف يرعى الناشئة من أهل بيته بالمداعبة والملاينة حتى وهو بين يديه سبحانه في الصلاة.

كما يعلمنا عليه الصلاة والسلام أن تربية الناشئة لا يحتاج إلى وقت معلوم أو موقف مرسوم بل يمكن أن يتم هذا في أي وقت وفي أية ظروف فيقول رواة الحديث إنه عليه السلام كان يردف خلفه على ناقته الصبي الناشئ ابن عباس رضي الله عنه فكانت هذه فرصة مواتية لأن يعلمه النبي ﷺ بعض الملامح الكبرى في الإيمان والاعتقاد حيث يقول له ﷺ «يا غلام، إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»[٣].

وهؤلاء الناشئة الراشدون الذين زودهم النبي ﷺ بأسلوبه التربوي الرشيد في المسجد، وفوق الناقة، وعبر الطريق كانوا فيما بعدهم الأئمة والرواد الذين أرسلهم ﷺ ـ وهو مطمئن إلى ما أخذوه عنه فتمثلوه عندما سرى في كياناتهم الناشئة أرسلهم إلى الأقطار والأمصار يدعون

(٢) الوجدان: يطلق على الانفعالات والعواطف والأهواء.

(٣) سنن الترمذي.

بدعوته، ويبشرون برسالته حتى إن معاذاً رضي الله عنه عندما وجهه النبي ﷺ إلى اليمن كان مزوداً بما جاء في القرآن الكريم، وبما جاء في الحديث الشريف وكذلك الاجتهاد بالرأي.

والحقيقة النفسية الثالثة هي حقيقة التقليد «أو المحاكاة»[٤] وهي تتناول الجانب السلوكي الناشئ عن الإدراك، والوجدان أي أنها تحتوي عمليتي الإيحاء والمشاركة الوجدانية جميعاً ولعلها العملية الأهم التي تعبر عملياً وميدانياً عما سبقها من عمليتي الإيحاء والمشاركة الوجدانية.

ويمكن أن نفهم عملية التقليد أو المحاكاة على أنها تعبير ناطق عن التأثر بالقدوة أو الأسوة.. فمعظم سمات شخصية النامي إن هي إلا انعكاس لمدى تأثر هذا النامي بمن يحيطون به من الآباء والأمهات والمعلمين وغيرهم ممن بلغوا أشدهم (وشبوا عن الطوق) كما يقال ومن هنا سمعنا الشاعر العربي القديم وهو يقول:

وينشأ ناشئ الفتيان منا
على ما كان عوّده أبوه

وإذا تأملنا كلمة (عوّده) هنا نرى التأثير الواضح للعادات التي اكتسبها الناشئ من سلوكيات والديه وغيرهم من الكبار الذين كانوا يحيطون به في صغره.

ومن هنا كانت القدوة أو الأسوة هي العامل (النفسي) الأساسي في تكوين الشخصية وهنا تبرز أمامنا الآية القرآنية الكريمة:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾

(الأحزاب: ٢١)

فإذا كان الإيحاء هو انتقال (الفكر) من فرد إلى فرد، وإذا كانت المشاركة الوجدانية هي انتقال (الوجدان) أو (المشاعر) من فرد إلى آخر فإن التقليد (أو التأسي) هو انتقال (السلوك) من شخص إلى آخر، وهذا هو محك التعامل الميداني في المجتمع، إذ إنه لما كان السلوك هو المظهر المعبر عن الشخصية كان (التأسي) هو أبرز الحقائق النفسية التي تعبر عن مدى تأثير (الإيحاء) ومدى تأثير (المشاركة الوجدانية) في الفرد.

ولأهمية هذا التأسي في تكوين الشخصية عرفنا أن القرآن الكريم قد صرح بوجوب التأسي بالنبي ﷺ، ورأينا كذلك كيف أبرزت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها خلق النبي ﷺ بقولها: «كان خلقه القرآن»[٥].

ولا شك في أن هذا كله يلقي على عاتق الآباء والأمهات والمعلمين والدعاة والعاملين في مجالات «الإعلام» المسئولية الأساسية في تنشئة الأجيال الصاعدة ليس بمجرد الترديد «الببغاوي» للمعاني التربوية ولكن بتحري كل ما هو سوي في أقوالهم وأفعالهم في تعاملهم مع الناشئ في مختلف مجالات الحياة ولا سيما بعد أن تعقدت وسائل التواصل وتعددت أسباب الاتصال.

ولقد أعجبني ـ في هذا السياق ـ قول صديق

(٤) محاكاة: تقليد لحركات جديدة أو فعل جديد.

(٥) لأحمد في مسنده، وأبي داود ـ عن عائشة (الجامع الصغير)

لى ذات يوم: «لقد كنت أربى ولدى عندما كان رضيعا ولكنه بعد ذلك أصبح هو الذى يربينى»!!!

وكان صديقى يعنى بهذا أنه كلما ازداد نمو ولده ازداد هو حرصا على اختيار كلماته أمامه وفى انتقاء سلوكه وحركاته «فى حضرته» ذلك أننا عندما (نعظ) أبناءنا وبناتنا بشىء ثم نأتى نحن عكس ما نقول فإن هذا يظهر أولا ما يشوب شخصياتنا من تناقض واضطراب.. ثم هو بالتالى يربى الأبناء على أن يقولوا ما لا يفعلون كآبائهم وهى كبيرة عند الله عز وجل كما قال سبحانه:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾

(الصف: ٢، ٣)

ولعل هذا ما قصد إليه الشاعر العربى القديم[٦] عندما وفق فى قوله:

يا أيها الرجل المعلم غيره
هلا لنفسك كان ذا التعليم؟
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنى
كيما يصح به وأنت سقيم
ونراك تصلح بالرشاد عقولنا
أبدا، وأنت من الرشاد عديم
فابدأ بنفسك فانهها عن غيها
فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ما تقول ويهتدى
بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتى مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم

ولقد أردنا هنا أن نقرن بين تربية الأجيال وبين القيم الإسلامية حتى ندرك جميعا أن مسئوليتنا فى هذا مسئولية دينية تدخل ضمن موازين أعمالنا ونحاسب عليها ليس أمام أنفسنا فقط ولكن أمام الخالق سبحانه الذى علق فى أعناقنا مسئولية أبنائنا، ألا نذكر قول معلمنا ورائدنا ﷺ: «كلكم راع، وكلكم مسئول» عن رعيته فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته[٧].

ومن الملاحظ أننا عندما نتناول العلاقة بين الآباء والأبناء تبرز أمامنا «فقط» الآيات القرآنية الكريمة التى توصى الأبناء بآبائهم وأمهاتهم متناسين أن أهم الأسس التى تعين الأبناء على بر آبائهم هو أسلوب التربية التى ينتهجها هؤلاء الآباء مع أبنائهم، وفى هذا نذكر للنبى ﷺ حديثا تربويا شريفا حيث يقول: «أعينوا أولادكم على البر، من شاء استخرج العقوق من ولده»[٨].

(٦) هذا الشعر لأبى الأسود الدؤلى فى ديوانه ص٤٠٤ ـ وهو شاعر من قبيلة «دئل» مات عام ٦٨٨م، وإليه ينسب (أصول النحو العربى).

(٧) أحمد فى مسنده، والبخارى ومسلم، وأبى داود، والترمذى، عن ابن عمر ـ الجامع الصغير.

(٨) الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة (المرجع السابق).

المتكلمون وارتقاء البلاغة

للأستاذ الدكتور/ السيد أحمد فرج

تحدثنا فى المقال السابق عن أثر الحركة الكلامية العقلية، فى العصر العباسى الأول فى الشعر، وبينا أن شعر المتكلمين لم يرق إلى جودة شعر الشعراء المعاصرين لهم. مثل: بشار بن برد، والعباس بن الأحنف، وأبى نواس.

وفى هذا المقال نتحدث عن تطور النثر وارتقائه عند المتكلمين.

لقد حدث تطور مهم فى النثر ـ فى العصر العباسى الأول، عصر ازدهار الحركة العقلية خاصة عند المعتزلة، فقد اتسع النثر لكل التوجهات الثقافية، ومنها علم الكلام، وكان على رأس الكتاب شيخ من كبار شيوخ المعتزلة هو أبوعمرو عثمان بن بحر الجاحظ، الذى كان واحدا من الكتاب الذين اتخذوا لأنفسهم طرقا فى البيان حتى توصلوا بأسلوب الكتابة إلى ذروة رقى البلاغة العربية.

البيان والتبيين

ولقد ذكر الجاحظ ـ فيما ذكر ـ فى كتابه البيان والتبيين صورا من البلاغة المنثورة فى كتابه القيم، مثل صحيفة أديب المعتزلة بشر بن المعتمر الذى وضع فيها أسس البلاغة فى قوله:

«خذ من نفسك ساعة نشاطك، وفراغ بالك وإجابتها إياك، فإن قليل هذه الساعة أكرم جوهرا، وأشرف حسبا، وأحسن فى الأسماع وأحلى فى الصدور، وأسلم من فاحش الخطأ، وأجلب لكل عين من لفظ شريف ومعنى بديع، واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكد والمطاولة والمجاهدة.. وإياك والتوعر، فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذى يستهلك معانيك ويشين ألفاظك، ومن أراد معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف، ومن

حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما.[1]

يضع بشر ـ كما في رواية الجاحظ ـ القواعد التي يجب أن يتبعها البلغاء، فليست كل ساعة، أو كل حالة للنفس تصلح لنثر البيان، كما يبين لهم كيف يختارون من الألفاظ الشريفة، ليضعوها في المعاني البديعة، مع اتخاذ الطريق السهل بعيدا عن التوعر في اللفظ، والتوتر في النفس، ويطالب كل كاتب بليغ أن يدرب ذوقه قبل أن يلج إلى فكره.[2]

وكان الجاحظ مقتنعا بطريقة بشر، فقال: أما أنا فلم أر قط أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب، فإنهم قد التمسوا من الألفاظ، ما لم يكن متوعرا وحشيا، لكن الجاحظ لم يكن يخفي إعجابه بكتابة المتكلمين من المعتزلة، وكان يقول: إن عبرت عن شيء من صناعة الكلام واصفا أو مجيبا أو سائلا، كان أولى الألفاظ به ألفاظ المتكلمين، إذ كانوا لتلك العبارات أفهم، وإلى تلك الألفاظ أميل وإليها أحن وبها أشغف، ولأن كبار المتكلمين ورؤساء النظارين كانوا فوق أكثر الخطباء وهم يتخيرون الألفاظ لتلك المعاني.[3]

كان الجاحظ يرى أن المتكلمين هم أبلغ الناس لغة، وأن البلاغة عنده ليست مجرد علوم: بيان ومعان وبديع، وإنما فوق ذلك اختيار الألفاظ لما يناسبها من المعاني. وكان يرى أن المعاني من المباني «الألفاظ» بمنزلة الروح من الجسد، وكان يؤكد على أن متكلمي المعتزلة هم أول من خطوا طريق المباني والمعاني، وهم أول من وضعوا للبلاغة العربية قواعدها وقوانينها، وكان يرى أنهم ـ عندما قصدوا الدفاع عن الإسلام أمام الملل غير الإسلامية، ومن حذا حذوهم في التشبيه والتجسيم والجبر من حشوية المسلمين، إنما كانوا في حاجة إلى صياغة أفكارهم في أسلوب عربي مبين يضعون فيه أفكارهم الدقيقة ومعانيهم البديعة.

الألفاظ أجساد.. والمعاني أرواح!!

ولقد تنبه الجاحظ ـ وهو رائدهم في البلاغة، إلى ملاءمة البلاغة العربية لعلم الكلام، فكتب في ذلك كتابه القيم البيان والتبيين، وأول ما عرض فيه رسالة بشر العتابي في البلاغة والبليغ، وكان مما قاله العتابي: «الألفاظ أجساد والمعاني أرواح، وإنما تراها بعيون القلوب»، وفيها اهتم بوضع اللفظ موضعه اللائق به، وفي ذلك يقول: «فإذا قدمت فيها مؤخرا، أو أخرت منها مقدما أفسدت الصورة، وغيرت المعنى، كما لو حُول رأس إلى موضع يد، أو يد إلى موضع رجل، لتحولت الخلقة وتغيرت الحلية»[4]

لقد كانت صحيفة بشر قدوة البلاغيين، سواء كانوا من المعتزلة، أو من غيرهم. مثال ذلك ما كتبه أبو الحسن علي بن محمد الماوردي ـ الشافعي المذهب في كتاب أدب الدنيا والدين. قال: «وليس يصح اختيار الكلام إلا لمن أخذ نفسه بالبلاغة، وكلفها لزوم الفصاحة، حتى يصير متدربا بها معتادا لها، فلا يأتي بكلام مستكره اللفظ، ولا مختل المعنى، لأن البلاغة ليست على معاني مفردة، ولا لألفاظها غاية، ولكن البلاغة أن تكون المعاني الصحيحة مستودعة في ألفاظ فصيحة، فتكون الألفاظ مع صحة المعاني هي البلاغة»[5].

وهذا الكلام من كلام بشر في رسالته في البلاغة، يؤكده الماوردي نفسه بعد إيراده، فيقول: «وقال بشر بن المعتمر في وصيته في البلاغة: إذا لم تجد اللفظة واقعة موقعها، ولا صائرة إلى مستقرها، ولا حالة في مركزها، بل وجدتها قلقة في مكانها، نافرة عن موضعها، فلا تكرهها على القرار في غير موضعها.[6]

الإمام الشافعي في ذروة أهل البيان

وبعد: فإن أهم تعرف على البلاغيين من المتكلمين، يبدأ من الجاحظ الأديب المتكلم المعتزلي، وهذا لا يؤثر في وضع الإمام الشافعي في ذروة أهل البيان والفصاحة، فقد كان معاصرا للجاحظ، ولكن لم يمتد به العمر، كما كان الحال مع الجاحظ الذي كان شديد الإعجاب به والافتتان ببلاغته، وجمال أسلوبه مع جزالة عبارته، لدرجة أنه كان يوصي البلغاء بالإفادة منه، ولم يمنعه اختلاف المذهب في الأصول من أن يقول: «عليكم بهذا الفتى المطلبي فإن لسانه ينثر الدر».

كان الجاحظ يوظف صناعته في البلاغة في خدمة مذهب المعتزلة، وبيان أصولهم في القول في التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، وخلق القرآن، وحرية الإنسان في اختيار أفعاله بإرادته الكاملة التي تميزه عن الحيوان. وفي ذلك يقول الجاحظ: «الحيوان كله يهتدي إلى ما يعيشه، وذلك في طبعه، أما الإنسان فقد أعطي العقل والاستطاعة على الفعل. فقسم الله تعالى للحيوان الكفاية، وقسم للإنسان الابتلاء والاختيار».

١- الجاحظ: البيان والتبيين ١/١٣٥ تحقيق عبدالسلام هارون.

٢- الجاحظ: المرجع السابق ١/١٣٧.

٣- الجاحظ: المرجع السابق نفسه ١/١٣٩.

٤- راجع الجاحظ: البيان والتبيين ١/١٣٥-١٣٩.

٥- أبوالحسن الماوردي: أدب الدنيا والدين ص ٢٧٠، تحقيق: مصطفى السقا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٦- المرجع السابق نفسه ص٢٧٦.

الجاحظ.. وكتاب «الحيوان»!!

ويفصل الجاحظ في كتاب الحيوان - بحسب مذهب المعتزلة - ما ميز الله تعالى به الإنسان فيما يلي:

١- كينونة الإنسان المميز بالعقل الحر الإرادة والفعل المكلف به وجوبا من الله تعالى. يثاب ويعاقب على أفعاله التي فعلها بإرادة تامة.

٢- الحيوان ليس جديرا بتكليف، إذ لا عقل له ولا إرادة، وإنما أفعاله طبعت فيه بحد الإمكان بالإلزام.

٣- إن العقل وحرية الإرادة، يعرفان بالعقل، وأداتهما البيان. وتلك هي القضية التي شغلت الجاحظ، ونثرها في كتبه ورسائله.

٤- أن الإنسان ذا العقل والإرادة في حاجة للبيان فكرا وعملا، فهو الآلة التي تكون بها الرؤية، وأداة الوصول إلى كل الأمور، فالبيان مقترن بالعقل مؤد عنه، ومؤد إليه.

٥- إن البيان طريق الوصول إلى الله تعالى. قال الجاحظ: «سأوضح لك ببرهان قاطع، وبيان ساطع.. إني وجدت فضيلة الكلام باهرة، ومنقبة المنطق ظاهرة في خلال كثيرة، وخصال معروفة منها: إنك تؤدي شكر الله، ولا تقدر على إظهاره إلا بالكلام «البيان»، ولولاه لما عرف للآدميين فضل على غيرهم، ولا فرق بينهم، وبين شيء من أنواع الحيوان، وأصناف الخلق، في أصناف جواهرها، واختلاف طبائعها، وافتراق حالاتها، وأجناس أبدانها في أعيانها وألوانها، ولذلك صارت الأشياء مختلفة في المعاني مؤتلفة الأشكال، إذ كانت في أشكال خلقتها متفقة بتركيب أجوادها وتأليف أجزائها، وكمال أبدانها، وفي معنى الكلام متباينة عند مفهوم نعمائها، ومنظوم ألفاظها، وبيان معالها، وعدل شواهدها».[٧]

٦- لا يفرق الجاحظ ولا يفصل بين البيان اللغوي، والبيان عند المتكلمين، وسواء كان البيان حوارا مباشرا لدى الإنسان، فإنه حوار اعتباري بين الإنسان وغيره من سائر المخلوقات.

٧- والجاحظ يلزمك بهذا الحوار الاعتباري، ويربطه بأصل ثابت من أصول البيان عند المعتزلة، وهو التأويل الذي فرضه المعتزلة على مجادليهم وليس لتوظف العقل من أجل الفهم والنظر والتأمل فحسب، بل من أجل أن تنسجم كل الأشياء مع مبادئ العقل الاعتزالي، فإذا وجدوا ما يحيد عنها، لجأوا إلى التأويل، واستبطان الظاهر حتى يوافق العقل عندهم».[٨]

على أن البيان عند الجاحظ حجج كلامية عقلية وبلاغية، وذوق وأسلوب، واختيار اللفظ المناسب للمعنى.

٨- البيان عند الجاحظ لفظ ومعنى. أو ما يسمى طبيعة اللفظ، وطبيعة المعنى، والقصد الشريف إلى المعاني، بالقصد الشريف من الألفاظ، وهذا لا يتعارض أو يضاد ميله إلى الاهتمام باللفظ أكثر من الاهتمام بالمعنى. فقد رأى الجاحظ أبا عمرو الشيباني، وقد استجاد بيتين من الشعر هما:

لا تحسبن الموت موت البلى
فإنما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا
أفظع من ذاك لذل السؤال

قال الجاحظ: وذهب الشيخ إلى استحسان المعنى، والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العربي والعجمي والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتميز اللفظ، وسهولة المخرج، وفي صحة الطبع وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير.[٩]

وهذا لا يتأتى إلا لمن يضع اللفظ المناسب للمعنى المناسب. فأي معنى يمكن أن يكون له وجود مطلق؟! ولكن تتحدد جودة المعنى إذا حسن تخير ما يناسبه من الألفاظ والتراكيب اللغوية، وهذا لا يناقض قول الجاحظ في مقام آخر: «ومدار الأمر على فهم المعاني لا الألفاظ والحقائق لا العبارات».[١٠]

البيان والعقل والمعرفة

ولعل الجاحظ قصد بذلك: العبارات والمعاني بعد وجودها، لأن اللفظ وحده لا أهمية له، إن لم يوضع فيما يناسبه من المعنى، وإن تناسق المعنى والمبنى، وانسجامهما قضية أفرغ الجاحظ فيها أكثر جهده في مجال: البيان والعقل والمعرفة.

والجاحظ أحسن المتكلمين حجة، وأشدهم تلطفا، وأقدرهم على تعظيم الصغير حتى يكبر، وتصغير الكبير حتى يصغر، ويبلغ به الاقتدار إلى أن يعمل الشيء ونقيضه، وذلك من تمكنه من البيان، وإن قال ابن قتيبة في ذم مبالغات الجاحظ وتناقضه مقالا، وبديع الزمان الهمذاني في نقده كما سنرى لاحقا.



٧- راجع الجاحظ رسالة في تفضيل النطق عن الصمت، منشورة بمجلة المورد ص١٧٢، عدد خاص عن الجاحظ، المجلد السابع، العدد الرابع، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٨م.

٨- راجع د. وديعة طه نجم: الجاحظ والنقد الأدبي، ص٣٤.

٩- أبو عبدالله محمد بن مسلم بن قتيبة: تأويل مختلف الحديث ص٥٩-٦٠، القاهرة ١٩٦٦م.

١٠- أبو الفضل بديع الزمان الهمذاني: المقامات - المقامة الجاحظية، ص١٠٧، بتحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٢م.

فارس وفارس

للأستاذ محمود الخفيف

بني الشرق أيام أبطالكم   شدوت أحاديث أخبارها
أغني لكم لحن قيثارة   تهز البطولات أوتارها
وأسمعكم من حديث الخلود   أغاني الليالي وأسمارها
بنو السبق نحن، بناة العلا   ركبنا الرمال وخضنا البحارا
شرعنا على الدين منهاجنا   وسرنا إلى حيث شئنا اقتدارا
وأخلاقنا.. كم بأخلاقنا   ركزنا ضوى ورفعنا منارا
وكم أفق في سماء العقول   شأونا بني الأرض فيه ابتكارا
إلى فتية الشرق هذا النشيد   تقارع فيه القنا واشتجر
وقعقعت البيض بين الصفوف   وغال الكماة الردى واستعر
وحمحمت الخيل تحت الغبار   أضاءت جوانبه بالشرر
أدير النشيد إلى فارسين   حوت ركبني الأرض لقياهما
فمن أنجم الشرق هذا الكمي   ومن أفق الغرب ثانيهما
وكل يرى بين فرسانه   غداة الوغى الفارس المعلما
على هذه الأرض تغني القرون   وتوحي البطولة ذكراهما
سما يابن أيوب ملك بناه   فأعلى على السيف هذا البناء
أخو الخيل والسيف والبيد واللي   ـل يمضي فيزجي الردى كيف شاء
فتى كان في الشرق بعد الظلام الضيـ   ـاء وكان بمصر الرجاء
كريم الخصومة عف الحسام   يريك التقى ويريك المضاء

فتى الغرب إفرنده فيصل   به الملك في ظله يحتمي
له لقب فوق تاج الملوك   به بات يقرن بالضيغم
على الماء كرسيه قائم   وذروته في ذرى الأنجم
مشت النجيع إلى (أرشليم)   جياد من الغرب رعن الخبيب
خضبن بكل مدل الحسام   صريم الخصام دعي الحسب
لقد كان للدين ما هزه   فأصبح للملك حين اغترب
مضوا يزدهي الفوز أفراخهم   ويغرى بزاتهم المأرب
غلاظ، سرابيلهم من حديد   من الصخر أكبادهم أصلب
يحدث كلا هواه بما   يجندل في القدس أو يسلب
ويستهزؤون بدنيا الهلال   وحشدهمو بالمنى يصخب
فما إن نجا قط من بطشهم   صبي ولا طفلة لاعبة
ولا مقعد قوسته السنون   ولا جدة شمها غاربة
ولا سلمت من بنات الحجال   عروس ملففة هائبة
لدى مدرج السمح عيسى المسيح   أثار دعاة السلام القتالا!
مسوح الرهابين باتت حديدا   وألسنة الزاهدين نصالا
وعند هدى كل غي جسور   وأصبح كل حرام حلالا
وطالت على الشرق سود السنين   أذل الصليب بهن الهلالا
أقاموا على البغي بنيانهم   وعاشوا على البغي دهرا طويلا
وغم على الشرق تسعين عاما   فما يلمح النور إلا ضئيلا
يسيل على الأفق جرح الهلال   إذا ما أطل، سقيما هزيلا
وتسمع مصر ومن بالحجاز   ومن بالعراق الأذان عويلا
وما زال يبطش طغيانهم   إلى أن تألق فجر الأمل
وهل من الشرق مثل الصباح   زعيم تردى ثياب البطل
تجدد وثباته ابن الوليد   وسعدا وعمرا بنيه الأول

إذا سار فالنصر من يمنه ... فتى لا يرى العيش إلا كفاحا
فتى ذكره هز شم الحصون ... ويغزو اسمه إذ يهز السلاحا
صلاح ومن كابن أيوب سيفا ... إذا ذكر الدارعون صلاحا؟
ومن مثله حين يعطي العهود ... ويرعى الحدود ويأسو الجراحا
مشى نحو «حطين» في فيلق ... يرف له النصر حول العلم
يدين لأروع ثبت الجنان ... جميل الفعال كريم الشيم
ذلول السماحة حلو اللسان ... عصي الإباء بعيد الهمم
تقدم فانهار من حوله ... على البغي ركن أقيم اغتصابا
رأى يوم حطين تحت العجاج ... جنود صلاح أسودا غضابا
ألوف الرجال لديه أسارى ... ومن فر ليس يطيق اقترابا
ويذعن كل قوي عزيز ... وتهوى المعاقل بابا فبابا
ودان له القدس بعد الإباء ... وأعظم به للهلال انتصارا
وراح المظفر يولي الأمان ... ويطلق في «أرشليم» الأسارى
وأجمل ما كان عفو الرجال ... إذا ساقه ماتحوه اقتدارا
ترفع لا سيفه قاتل ... بريئا، ولا وعده خاتل
ولا غره النصر في أوجه ... ولا خاب في عدله آمل
وديع السمات جميل الأناة ... وفي درعه أسد باسل
يلوذ به الحق مستعصما ... ويفرق من وجهه الباطل
وأدهش أعداءه نبله ... وذاعت أحاديث أفعاله
وأروع ما هز سمع الفرنج ... من الفضل غرة أفضاله
يجود لفدية بعض الأسارى ... لفرسانه الشم من ماله!
تألق في الشرق نور الهلال ... وصاحبه اليمن في طلعته
وكان غريبا بأوطانه ... خيال المذلة في هالته
تبسم في الأفق بعد الشحوب ... فغاظ وأعجب في بسمته

وذوى فاطرب صوت الأذان ... جلال المصلين في نبرته
أفاق على نبأ جاءهم ... بنو الغرب، يكرهه السامعونا
تثيرهم النذر الشائعات ... ويقتنص الفرصة الطامعونا
وينفخ في الصور رهبانهم ... فيأتي على الصيحة الدارعونا
وهبت من الغرب العاصفه ... على الشرق تنذر بالراجفه
ففي البحر طائفة في السفين ... تسارع في إثرها طائفه
وفي البر فوق متون الجياد ... ألوف مدججة زاحفه
إذا هاجها الزحف غنى الحديد ... وغنت حناجرهم هاتفه
أطلت على الحشد أسوار عكا ... خضما يزيد لديها ارتطاما
حشود المرد والشيب والعلية الصـ ... ـيد والتابعيهم خليطا ترامى
تشاوى النضال، بأرماحهم ... جنون سقاها هناك احتداما
ومن دون عكا شبول العرين ... من الشرق تمنع أسوارها
يطوف على الجند سلطانهم ... مهيب الملامح قهارها
مطاعا له طلعة في الصفوف ... تعودت الجند إكبارها
ويفديه في الحرب أجناده ... إذا راح يركب أخطارها
وعزت على الطالبين القلاع ... وإذ مر عامان زدن امتناعا
وذاق حماة الصليب الهوان ... فما شهدوا مثل هذا صراعا
أهابوا وقد عج موج المنايا ... بأوطانهم فأجابت سراعا
ولبى الملوك النداء ففي البـ ... ـر جيش «فردريك» جم العدد
وجيش الفرنسيس حشد عظيم ... وفي البحر أسطول قلب الأسد
فتى الغرب «ريكرد» خير السيوف ... الجسور النجيد القوي السند
فتى ليس يترع عن قومه ... سواه ولا جل عنه أحد
وأرغم «ريكرد» تلك الحصون ... فما إن تطامن إلا له
وإن كان لاقى من ابن القفار ... من البطش والبأس ما هاله

وكان «صلاحٌ» رمى بالرِّجال　　　«فردريك» يدفعُ إقباله
وما كاد يزهى بإكليله　　　فتى الغرب حتى اعتراه الهزال
ألحَّ على جسمه القشعريرة　　　لدى ساحة الموت داءٌ عضال
ثوى الليثُ حينًا على رغمه　　　وعلّق ـ حتى يبلَّ ـ القتال
يعذّبه خوفُه أن يطول　　　ضناه، وأن يتراخى الرِّجال
وأعجبَ ذاك الهصور المريض　　　طبيبٌ سعى من لدن خصمه
يقول له قومُه: أقصه　　　وتجُّ دماءك من سُمِّه
فقال: جهلتم لعمري صلاحًا　　　تنزّه عن ذاك عالي اسمه!
سقاه وناوله رقعةً　　　تنزّى وغمغم لما تلاها!
تمنى له البرءَ في طيّها　　　صلاحٌ لتدري الوغى من فتاها:
«إذا رمتَ سلمًا منحتُ بها　　　وإن رمتَ حربًا أدرتُ رحاها
وأعززْ بنفسٍ كنفسك أن　　　يكون بغير الحسام رداها»
وأكبر «ريكردُ» هذا العدوّ　　　فأثنى وأطنب في حمده
وكم أخجلته لدى ذكرها　　　شمائلهُ الغرّ في جنده
أخو البيد أسمى فروسيةً　　　فأنى له ذاك في بيده؟
أتت بابه من بنات الفرنج　　　تولول أمٌّ، وتدعو ثبوره
قد اختطف ابنًا لها فارسٌ　　　ويا هول ما كان من غضبه
بكى رحمةً وهو ذاك الذي　　　إلى الليث ينسب في وثبه
وأجزل للجند من ماله　　　فدى للصبي، فجيء به
ومال إلى السلم قلبُ الأسدْ　　　ولبّى صلاحٌ فأمضى العهودا
ولكنه ريع أن جاءه　　　من الخصم خلفٌ أثار الجنودا
لقد فتك القومُ بالأبرياء　　　وما إن رعوا لعهودٍ وجودا
سقت أرضَ عكا دماءٌ حرامٌ　　　وطاف الفرنجُ بها باطشينا
فوارسهم يذبحون النساء　　　وزُغْبَ البنات بها والبنينا
وكم ذكروا الشرق سلطانه　　　وصفوةَ فرسانه هازئينا
أهاب صلاحٌ بفرسانه　　　فسلّوا سيوفهمو صائحينا
لدى غاب أرسوف سوى الرجال　　　صفوفًا تلاحق تحت العلمْ
من الغيل أصحر أجناده　　　وجرّ الحديد أسودَ الأجمْ
ونادى المنادون فيهم هلمّوا　　　تراءى العدوُّ لنا من أممْ
هنا الشرقُ جند الهلال، هنا　　　بنو الشمس والبيد شمُّ القنا
دماءهمو كم كوتها الصحارى　　　وأعظم بصحرائهم موطنا
خفاف الهياكل ضمر الجياد　　　إذا زحفوا قلت ومض السنى!
تنادوا على نقرات الطبول　　　قداعٍ هناك وشادٍ هنا
على فرسخين يرى الغربُ حشدًا　　　خليطًا هناك تلاقوا دراكا
فمن كل لسنٍ ومن كل شعبٍ　　　وملكٌ هنا وأميرٌ هناكا
حماة الصليب تنادوا في الصليب　　　خصامًا فشى بينهم واعتراكا
ودار القتال فطارت سهام　　　بني البيد يغرق فيها البصر
تصوب تحت مثار العجاج　　　وتنقض يقدح منها الشرر
فتصمي الجياد وتلقي الرجال　　　على الرمل ملتهبًا والصخر
كأن الجحيم رمت باللظى　　　على ملتقى بالغبار اعتكر
وذاق الفرنج صنوف العذاب　　　ففي كل يوم يرون الردى
وراح قبيلٌ يقولون: ماذا　　　نرى من سهام العدو غدا
يسرون سخطًا على من دعاهم　　　وأوردهم ذلك الموردا
وغيظ الفرنج فشدّوا الوثاق　　　وجدت لهم كرةٌ خاسره!
وهرول ريكرد بين الصفوف　　　يشد عزائمها الخائره
وزمجر كالليث يدعو الجنود　　　ويجمع آلافها النافره
وهاج، فجنّ جنون الرجال　　　وكرت على صوته زائره

***

قراءة إيمانية في كتاب الكون والحياة

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا
نائب رئيس جامعة القاهرة «سابقا»

إن التعرف على الظواهر الكونية المختلفة والمتنوعة، والوقوف على حكم اتفاقها واختلافها، يعد ضرورة من ضرورات وجود الإنسان ذاته، لأنه يرى في هذه الظواهر خير دليل على وحدانية الخالق وعظمته، ويشعر إزاءها بعجزه وضآلته وحاجته الماسة إلى رعاية ربه وعنايته، ويهتدي أولاً بإذن الله ومشيئته، ثم باستقراء قوانين هذه الظواهر، إلى فهم طبيعة سلوكها وتسخيرها للإفادة منها في إعمار الحياة على الأرض لخير الناس أجمعين.

﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴾ (الشمس: ٥)

جاء في تفسير هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى جعل كل كوكب من الكواكب في الكون بمنزلة لبنة (طوبة) من بناء سقف أو قبة أو جدار يحيط بك. وشد هذه الكواكب والأجرام إلى بعضها البعض برباط الجاذبية العامة مثلما تربط أجزاء البناء الواحد بما يوضع بينها من الملاط «الأسمنت» الذي تتماسك به وأوضح ما يميز بناء السماء من البنيان الأرضي هو تماسك أجزاء السماء على البعد بالجاذبية العامة من غير تماس.. وهذا أمر عجيب يدركه العلماء المحدثون ولا يدرون سره «إذا ليس هو بالتجاذب الكهربي أو المغناطيسي الذي يشاهدونه في حياتهم العملية ولكنه نوع من القوى الجمالية التي لا ترى، وإن كان الواقع يجعلنا نسلم بحقيقة وجودها، رغم طبيعتها غير المرئية التي خصها الله تعالى بها، وأشار إليها في قوله سبحانه:

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ (الرعد: ٢)

لتدل على كمال قدرته وبالغ حكمته في حفظ التوازن الكوني الذي يحكم انتظام مكونات الكون الهائل في نظام بديع ويمنع تصادمها رغم كثرتها، ويضمن استقرار حركتها في أفلاكها إلى ما شاء الله قال تعالى:

﴿ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (يس: ٤٠)

هكذا ينبغي أن نلاحظ أن جميع الأجرام السماوية لابد لها أن تتحرك بسرعات محددة لتسلك مساراتها المحددة التي قدرها الله -تعالى- لها في فضاء السموات، فهو وحده القادر على إكسابها هذه السرعات بالقدر المطلوب الذي يجعل من السموات بناء محكما، لبناته أجرام السموات والأرض، والقوة الرابطة بينها - وهي التي يسميها العلماء «قوى الجاذبية والطرد المركزي» وهي أشبه بالمواد اللاصقة والماسكة للبنات البناء الشيد الذي أشار الله إلى روعته وبالغ إعجازه في قوله جل وعلا:

﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴾ (النازعات: ٢٧، ٢٨)

والتشبيه بالمباني أحد الصور البيانية الرائعة التي استخدمت كثيراً في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، مثال ذلك قوله تعالى:

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (التوبة: ١٠٩)

وقول الرسول ﷺ في المقارنة بينه وبين الأنبياء الأولين في حديثه الشريف: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأجمله وأحسنه إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»[1].

فسبحان الذي رفع السموات بغير عمد مرئية وجعل بناءها بالغ الإحكام والكمال، ليس فيه اختلاف ولا تنافر، ولا نقص ولا عيب ولا خلل، ولا شقوق ولا خروق ولا صدوع، وتمجد الله الخالق الواحد الذي أوجد هذا الكون بإرادته المباشرة المطلقة، وأخبر عن عظيم سلطانه وآثار قدرته، وبين غاية الإحكام والإتقان في بديع خلقه وباهر صنعته، فقال عز من قائل:

(١) صحيح البخاري.

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾

(الملك: ١ - ٤)

وتعالى الحق الذى نبه إلى الحكمة السامية وراء التناسق والإبداع فى خلق هذا الكون فقال جل شأنه:

﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾

(ق: ٦)

وجاءت الإشارة إلى حدوث الانفطار أو الانشقاق فى بناء الكون عندما أخبر الله - سبحانه وتعالى - عن علامات الساعة وأهوال يوم القيامة، وذلك فى مثل قوله:

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴾

(الانفطار: ١)

وقوله:

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ۝ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾

(الانشقاق: ١، ٢)

وقوله:

﴿ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾

(الحاقة: ١٦)

وقوله:

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾

(القمر: ١)

﴿ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴾

(الذاريات: ٤٨)

يقرر القرآن الكريم فى هذه الآية الكريمة، بأسلوب علمي بلاغي معجز، أن الله -سبحانه وتعالى- قد بسط الأرض، فنعم المهيىء هو الذى هيأها وجعلها كالمهاد وهذه حقيقة قرآنية يحسها كل إنسان يعيش على الأرض، ويمشى فى مناكبها، ويأكل من خيراتها فى أمان واطمئنان. وما حدوث بعض الهزات الأرضية بين الحين والحين فى أماكن مختلفة من الأرض إلا تذكير بهذه النعمة التى ينعم بها الإنسان فى حضن أمه الأرض.

فضل الله على الإنسان

بل إن من فضل الله -تعالى- على الإنسان أن جعله لا يحس ولا يشعر بحركات أرضية أخرى أقوى من الحركات الناشئة عن الزلازل، وهى الحركات التى تقيم الجبال وترفعها، وتخفض القارات أو تخسف أجزاء منها، كما أنها تطوى الطبقات وتصدعها، وتقيم منها التراكيب البنائية الهائلة. وهذه الحركات وتأثيراتها الجبارة فى طبقات الصخور لا نشعر بها لأنها بطيئة للغاية، لكننا لحسن الحظ يمكن أن نقدر قوتها الهائلة وآليات نشاطها من دراسة ما خلفته من تراكيب بنائية نجمت عن حدوث طى لطبقات الرسوبيات التى تراكمت على قيعان البحار خلال الزمن الجيولوجى الطويل. وهذه الحركات تختلف فى طبيعتها تماما عن الحركات المرتبطة بالزلازل، وتسمى «الحركات البطيئة للقشرة الأرضية».

من ناحية أخرى اكتشف العلماء فى أواخر الستينيات من القرن الماضى أن الغلاف الصخرى للقشرة الأرضية ممزق بشبكة من الصدوع الطولية والعرضية الممتدة لآلاف الكيلومترات تقسمه إلى اثنى عشر لوحا كبيرا وعدد من الألواح الصغيرة واتضح للعلماء أن هذه الألواح تتحرك حركة «تكتونية» تقترب فيها من بعضها، وتتباعد عن بعضها، أو تتحرك حركة موازية بمعدلات بطيئة جدا، ولكنها ذات تأثير كبير فى كل العمليات الأساسية التى تشاهد على سطح الكرة الأرضية وتغير منه بصورة مستمرة عبر العصور وقد ثبت بالملاحظة المباشرة وغير المباشرة أن تلك الكتل الصخرية الضخمة، التى تعرف اليوم باسم «ألواح الغلاف الصخرى» تطفو فوق نطاق من الصخور شبه المنصهرة يسمى «نطاق الوهن (الضعف) الأرضى»، وتتميز مادته بكثافة أعلى من كثافة الألواح الطافية فوقها، وبحالة واضحة من المرونة واللدونة تجعل الألواح تنزلق فوقها بسهولة ويسر نتيجة لدوران الأرض حول محورها أمام الشمس.

مركز الكون.. وعلم الله

وبالإضافة إلى هذه الحركات الأرضية البسيطة والبطيئة هناك حركات أخرى للأرض برمتها، منها حركتها الانتقالية حول الشمس والدورانية حول محورها، وحركاتها الدورية التى تجعل مسارها يترنح أو يدور ببطء شديد، إلى جانب حركتها باعتبارها جزءا من الحركة الكونية العامة التى تدور فيها مجموعتنا الشمسية حول مركز مجرة الطريق اللبنى، وتدور هذه المجرة حول مركز مجموعات المجرات المحلية. وتدور كل مجموعة المجرات حول مركز الكون الذى يعلم الله وحده كل شىء عنه ولايدرى العلم البشرى عنه شيئا.

آيات الله المعجزة

ومع كل هذه الحركات الأرضية يظل سطح الأرض بالنسبة للإنسان أشبه بالفراش المريح والمهاد الممتد اللذين هيأهما الله - تعالى- لتسهيل الحياة، وامتن بهما على عباده فى قرآنه الكريم.

﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

(الذاريات: ٢١)

هذه دعوة قرآنية كريمة للتأمل فى آيات الله المعجزة فى خلق الإنسان والبحث فى طبيعة النفس البشرية عن آثاره الدالة على وحدانيته. ولعل أول ما يلفت النظر من هذه الآثار هى مسيرة الإنسان ذاته عندما يعبر طريق الحياة على الأرض، ويترك الزمن بصماته المميزة على كل مرحلة من مراحل حياته، وذلك فى تركيب جسده وأنسجته وخلاياه التى تمر كلها بمراحل الضعف، فالقوة، فالضعف، فى تتابع زمنى

يفضى إلى الانتكاس وبداية النهاية، مصداقا لقوله تعالى:

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾ (الروم: ٥٤)

وقوله:

﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ (يس: ٦٨)

ويتأرجح النشاط الحيوى للخلايا وأجهزة الجسم المختلفة، بين النشاط والهدوء، تبعا لدورات زمنية مختلفة مما دعا العلماء إلى تتبع تلك الظواهر ومحاولة تحديد تكرارها واطرادها الدورى، وهو ما يعرف فى لغة العلم باسم «الساعات البيولوجية».. حيث وجد أن هذا النشاط الدورى هو أحد الظواهر الحيوية فى الإنسان وغيره من الأحياء.. وكما يتعاقب الليل والنهار- ظلمة وضياء- فإن جسم الإنسان تتعاقب عليه حالات السكون واليقظة فى تتابع دورى يتواكب مع تعاقب الليل والنهار فى دورة يومية طولها أربع وعشرون ساعة، حيث تبدأ الأنسجة الحيوية فى الجسم فى الهدوء مع بداية الليل لتبلغ أقل مستوى لها أثناء النوم، ولكن قبيل الفجر تبدأ تلك الأنشطة فى التزايد تلقائيا وتدريجيا، وتستمر فى الزيادة بعد الاستيقاظ لتبلغ ذروتها أثناء النهار، ولا يعرف العلم تفسيراً لذلك حتى الآن.

الدورة الكونية لليل والنهار

ويستطيع كثير من الناس تحديد موعد استيقاظه فى الصباح الباكر، حتى ولو تأخر فى النوم إلى ما بعد منتصف الليل، فهناك شىء ما بداخله يحرك فيه النشاط، ويدفعه إلى الاستيقاظ فى موعده المحدد. وحين يتعرض الإنسان إلى ظروف صناعية من الإضاءة المستمرة دون الظلام، لفترة طويلة فى أماكن مغلقة دون وجود وسائل لتحديد الوقت، فإن ذلك الإيقاع الدورى من الهدوء والنشاط يستمر بشكل طبيعى، مما يشير إلى قوى داخلية وعوامل فطرية تحدد ذلك النشاط، وكأنها ساعات مستورة تعمل دون توقف وقد لوحظ أن هذا النظام الدورى يتبع دورة الظلام والضوء اليومية، وحين يتعرض الإنسان لظروف صناعية من ظلام وضوء يتتابعان كل أربع ساعات مثلا، فإن الإيقاع الدورى للجسم يبدأ فى التغيير تدريجيا ليواكب الإيقاع الجديد ويتكيف معه مؤقتا. ثم يعود بعد ذلك تدريجياً إلى طبيعته بعودة الظلام والضوء إلى دورتهما الطبيعية.

ولقد نبهنا الله -سبحانه وتعالى- إلى أهمية الدورة الكونية لليل والنهار وعلاقتها بالدورات الحيوية فى جسم الإنسان، فقال جل شأنه:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٧٢) وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (القصص: ٧٢-٧٣)

غربة فى وطن!

شعر السيد الصديق حافظ - مصر

أحبك يا قريتى أنت مهدى ... ومنطلقى بعد عهد الفطام
وإنى أجلك مهداً وعهداً ... وذكرى زمان مضى فى سلام
وخدا لشيخين عاشا مليا ... بدار المقام ومثوى العظام!
بلى كنت مسقط رأسى فحظى ... على مفرقى منك بعض الرغام!
وفى غير ذلك ارتفعت هامتى ... بعز المقام وبعد المرام
ولو عشت فيك انزوت همتى ... وغيبها اليأس تحت الرجام
وما كنت دار الغنى والقنى ... وأفق المنى لا ورب الأنام
هجرتك لا عن قلى غير أنى ... وجدت الخوان كثير الزحام
وأنضيت راحلتى فى البلاد ... وكنت أظنك مسك الختام
فكيف وجدتك بعد اغتراب ... وعمر بباغتنى بانصرام؟!
وجدت المبانى بغير المعانى ... وأمر الكرام بأيدى اللئام!
وبيتا معارجه من رخام ... وسكانه حفنة من ركام!
وأطباق «دش» وأطباق مش ... أعاجيب تحيا بغير انسجام
ويمشى الضلال بغير احتشام ... ويمشى الحرام بغير لثام
وهذا إمام وهذا خطيب ... يسوط الندى بغث الكلام
فليس الخطيب هنا كالخطيب ... وليس الإمام هنا كالإمام
وأعجب ما فيك مر الزمان ... فعام كألف وألف كعام
وبين النفوس أثار الرءوس ... وداس النفوس رخيص الحطام
ويشرى الضمير بشروى نقير ... وقد جاوز اللؤم قدر اللئام
أيا موطنى شئت أو لم تشأ ... على الرغم منى ومنك مقامى
إذا لم تشوبى إلى الله حتى ... تكونى الخليق بكل احترام!
فلا دام ما بيننا من وئام ... ولا دام ما بيننا من سلام!

(١) الغنى والقنى - القنى ما يقتنى «وأنه هو أغنى وأقنى»
(٢) قلى - بغض وكراهية. الخوان - موضع الطعام فإذا وضع الطعام فهو مائدة وإذا كان الزحام على الخوان فكيف تكون المائدة؟
(٣) أنضيت راحلتى - أهزلتها حتى صارت نضواً هزيلة من كثرة الترحال
(٤) انصرام - انقضاء وانتهاء.
(٥) أطباق المش - معروفة والمش سائل أصفر حار يتخذه الفقراء إداما وكان فى أصله لبنا ولكن طال عليه العهد حتى صار من السبب الثنية
(٦) معارج - سلالم «ومعارج عليها يظهرون»

﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾

(الحديد : ٦)

آيات الله فى نوم الإنسان وآثاره فى التنمية البشرية

للأستاذ الدكتور/ السيد محمد الديب
الأستاذ بكلية اللغة العربية بالزقازيق

لقد أحدث التطور العلمى فى العصر الحديث رغبة إيمانية ومعرفية فى بحث الأسرار الكامنة فى الإشارات العلمية بالقرآن والسنة، وتوصل العلماء منذ بداية منتصف القرن الميلادى السابق إلى كثير من الأسرار والدلالات، التى اشتملت عليها مئات الآيات من القرآن العظيم، والكثير من الأحاديث النبوية الشريفة، وحفزت هذه المعارف كثيراً من العلماء على مواصلة البحث فى هذا السبيل.

ومن ذلك نوم الإنسان وما يترتب عليه من آثار تعود فى المقام الأول إلى صحة البشر، تلك التى أعطاها الإسلام عناية متميزة، لما يترتب عليها من سعى وحركة ونشاط، يتمخض عنها سلامة فى الأبدان، وزيادة فى الإنتاج تعود بالكثير من الفوائد على جميع الناس، أينما كانوا.

كما يعطى آمالاً رحيبة فى اقتحام علماء المسلمين لمجالات البحث فى الإعجاز العلمى بالقرآن والسنة، وحتى تتقوى الحقائق الراسخة لرسالة الإسلام، قولاً وفعلاً، نظرية وتطبيقاً، مما ينعكس على العالم بأسره.

الميلاتونين!!

هذا وقد أثبت العلم الحديث كثيراً من الأمور التى ترصد آثار النوم على صحة الإنسان، وانعكاس ذلك على سائر وجوه التنمية «الصحية، الاقتصادية، النفسية، الاجتماعية، وغيرها وفق ما يلى:

١ - نشاط الغدة الصنوبرية فى إنتاج هرمون «الميلاتونين» بالليل وتوقفها عن ذلك أثناء النهار، وأن هذا الهرمون يؤدى دوراً مهماً فى الحفاظ على صحة الإنسان، لأنه من مضادات الأكسدة، وأن هذه الغدة الصنوبرية الصغيرة التى لا يزيد حجمها على حبة القمح مما يؤكد التناسق البديع فى هذا الكون الذى مازال يختزن فى باطنه كثيراً من الأسرار التى لا حدود لها.

وقد ذكر العلماء بعضاً من أسرار الخلق وما أكثرها، فكتبوا عن هذه الغدة التى تقع فى منتصف المخ تماماً وأن وظيفتها تنسيق حياة الإنسان بكاملها، على إيقاع هادئ عميق منتظم مترابط وضرورى لصحة الحياة واستمرارها، وسيلتها فى ذلك مادة تقوم بإفرازها ليلاً تطوف فى جسم الإنسان فتريح أثناء الليل خلاياه التى أرهقها النهار، وتكسب المناعة الطبيعية عن طريق أقوى الأجهزة الدفاعية، وتطرد عنه سموم الكيماويات والمبيدات بمفعولها المضاد للأكسدة، والذى يلغى تأثير الـ- Free Radicals أى الشوارد الجامحة وهى التى تتسبب فى تكسير الخلايا وشيخوختها ولا تكاد خلية واحدة من جسم الإنسان، أو جهاز كامل من أجهزته لا يتعامل مع هذه المادة، ويتأثر بها[1].

وأفاد العلماء أن إفراز هذه المادة وهى «الميلاتونين» من الغدة الصنوبرية يختلف باختلاف عمر الإنسان، حيث تبلغ أعلى مستوياتها فيما بين العاشرة والثامنة عشرة من العمر، ثم تبدأ فى الانخفاض بعد ذلك، وأن احتياج الجسم الإنسانى من هذه المادة لا يتجاوز جزءاً من الميلجرامات يومياً فيما قبل الأربعين، وبضعة ميللجرامات قليلة فيما بعد ذلك، فسبحان الذى رتب كل شئ وخلق كل شئ وهو على كل شئ قدير[2].

وأن الغدد الموجودة بالجسم تفرز كل واحدة منها مواداً كيميائية تعرف باسم «الهرمونات»، وكل هرمون يؤدى عدداً من الوظائف التى تزيد وتقل كالميلاتونين الذى له تأثيرات متعددة.

فالغدة الصنوبرية صغيرة الحجم جداً، وهى الوحيدة التى يكتمل شكلها بعد ثلاثة أسابيع من عمر الجنين، ومازال العلماء يبحثون عن وظائف جديدة لها، فضلاً عما اكتشفوه من وظائفها، تلك التى لم تكن معلومة قبل ما يقرب من أربعين عاماً، وأهم ما توصلوا إليه اكتشافهم أن هذه الغدة تفرز هرمون الميلاتونين، وقالوا عنه: إنه هرمون

(١) الميلاتونين - دكتور - سيفرت حليم وآخر صـ ٨.

(٢) انظر السابق صـ ١٠

متسع الوظائف، وله فاعلية كبيرة في الحفاظ على الحياة واستمرارها في أحسن حال ويقاوم التوتر والتعب، ويحارب البكتيريا والفيروسات.. ويحسن نوعية النوم.. ويقلل من احتمالات الإصابة بأمراض القلب، ويساعد في الوقاية من الأمراض السرطانية(٣).

وما يعنينا هنا هو علاقته بالنوم، فقد اكتشف العلماء أولاً أنه يحسن نوعية النوم، ثم توصلوا في مرحلة تالية إلى أنه يساعد على النوم، وأنه المنظم للساعة الحيوية بداخل جسم الإنسان، ومع التقدم في العمر يقل إفراز الجسم لهذا الهرمون، ويضعف مع ذلك جهاز المناعة في الجسم، ويتعطل النوم الهادئ ويزداد القلق.

النوم ليلا أفضل

ويبدأ مع الظلام «الليلي» نشاط الغدة الصنوبرية في إفراز هذه المادة التي تساعد الجسم على الراحة، وأن الضوء الشديد أثناء الليل يقلل من إفراز «الميلاتونين» وأن النوم لساعات كافية بالليل معناه أن الجسم قد حصل على الكمية المناسبة من هذا الهرمون، وبالتالي يتحقق للجسم الفوائد المترتبة على النوم الطبيعي، فسبحان الخالق الوهاب الذي منح عباده بلا حدود، ولذلك كان النوم ليلاً في غرفة مظلمة أفضل الحالات التي تناسب الجسم الإنساني، مصداقاً للآيات القرآنية التي جعلت الليل للنوم والسكون والراحة.

٢ - إن التعرض لضوء الشمس بالنهار يزيد من قدرة الغدة الصنوبرية على إفراز هرمون «السيراتونين» بالنهار مما يساعدها على إفراز «الميلاتونين» بالليل فيسهم في تواصل النوم بالقدر المطلوب في هدوء وراحة تامة.

وهكذا تتجلى عظمة الخالق في هذه العطاءات الإلهية للبشر، حيث يكتسب الإنسان الضوء نهاراً، مما يعينه على البقاء أثناء النهار مستيقظاً ونشيطاً، خاصة إذا بقي خارج منزله في الهواء الطلق، وتحت ضوء الشمس، ثم يأتي الليل، ويحل الظلام ويحين ميعاد النوم ويقتحم الظلام العين فتفرز الغدة الصنوبرية هرمون «الميلاتونين» بقدر كاف ويقل عدد ضربات القلب، وينخفض ضغط الدم، ويقل عدد مرات النبض، وينشط جهاز المناعة، وتعتدل أحوال الجسم التي تهيىء الإنسان لنوم هادئ مريح، يستيقظ بعده بكل همة وعزيمة ونشاط.

وتحدث العلماء عن أحوال الإنسان مع الأغذية والأدوية والعادات التي تزيد إفراز «الميلاتونين» أثناء الليل، كما تحدثوا عن أسباب نقص إفراز الميلاتونين في الجسم(٤) ويساعد «الميلاتونين» على التوافق مع المواعيد الجديدة للنوم، إذ أنه المنظم للساعة الحيوية الموجودة داخل جسم الإنسان، وهي التي تضبط وقت النوم، ووقت الاستيقاظ، فالساعة الحيوية جعلها الله في كل إنسان بحيث إذا استيقظ قبلها لم يكن نومه متكاملاً.

(٣) السابق ٢١

(٤) يراجع السابق صـ ١٥

وتتحكم في النوم من كافة أحواله حزمة من الأعصاب التي تغوص عميقاً في الدماغ إلى أن تنظم إفراز «الميلاتونين»، وهي الباعث على النوم ليلاً بأحواله الانتقالي، والخفيف والعميق، وهذا الذي يعد أفضل أوقات النوم لكثرة الأحوال والمتغيرات فيه.

٣ - يسهم المخ في الحفاظ على الخلايا العصبية، وخلايا الدماغ، وتقل نسبة التعرض لكثير من الأمراض أثناء النوم، كما يكسب النوم جسم الإنسان مناعة طبيعية عن طريق أقوى الأجهزة الدفاعية، مما يعينها على طرد سموم الكيماويات والمبيدات، ذلك أن المناعة الطبيعية تنهض بمفعول بالغ ومؤثر، ومضاد للأكسدة مما يسهم في وقاية خلايا الجسم من التلف، وينهض بالمعاونة على حيويتها وتجديدها.

الساعة البيولوجية!!

وقد كتب أحد العلماء(*) قائلاً: النوم هو جزء هام من وظائف المخ تنظمه الساعة البيولوجية التي تجعل الإنسان ينام من ٦ - ٨ ساعات، ويظل مستيقظاً في اليوم لمدة ١٦ - ١٨ ساعة يومياً، والنوم هام جداً لجسم الإنسان، خاصة المخ، حيث إن هناك بعض الهرمونات لا تفرز إلا أثناء النوم مثل هرمون النمو والميلاتونين وقال: وإذا حرم الإنسان من النوم لمدة أكثر من ٤٨ ساعة، فإنه يصاب بالهذيان وعدم التركيز، ثم الجنون، كما كان يحدث في التعذيب في بعض السجون، وقد يموت الإنسان إذا ظل مستيقظاً لمدة أسبوع، وذلك لفقدان هرمون النمو، والميلاتونين، والهرمونات الأخرى التي تعطي الجسم الحيوية والنشاط، أما إذا نام الشخص البالغ أكثر من ٨ ساعات خاصة في الصباح أي أنه بذلك يغير الساعة البيولوجية للمخ فإن المفاصل والأربطة والعضلات تنتفخ وتمتلأ بالسوائل فيشكو الشخص من تكسير وآلام في جميع أجزاء جسمه وكسل وخمول.

أي أن الساعة البيولوجية التي خلقها الله في مخ الإنسان تحافظ عليه، وتنظم أوقات النوم واليقظة مما يسهم في حماية الإنسان من الأمراض، وتلك أفضل الأحوال للتنمية البشرية، تلك التي تتحول إلى وسائل منتجة بدلاً من تحولها إلى أعباء على المجتمع، بسبب الأمراض التي تصيبها، وتعيقها عن السير في الأرض والسعي على الرزق والاكتفاء الذاتي، والتحول إلى خدمة الآخرين، وإمدادهم مما يعجزون عنه، ولا يصلون إليه.

(*) هو الدكتور/ أسامة القنام أستاذ جراحة المخ والأعصاب، والعميد الأسبق لكلية الطب جامعة الأزهر، والكلمة من بحث له بعنوان «النوم».

والنوم الطويل عند الأطفال بسبب احتياجهم إلى هرمون النمو، كما أن النوم القصير عند من يتجاوزون الستين، لعدم الاحتياج إلى النمو، وذلك في الظروف الطبيعية، أما خضوع الجسم لمرض أو لتناول عقاقير أو مخدرات أو غيرها فإن الجسم يخرج عن مساره الطبيعي وتضطرب ساعته المنظمة لنومه ويقظته، والنوم ظاهرة طبيعية لإعادة تنظيم نشاط الدماغ والعمليات الحيوية الأخرى في الكائنات الحية، وهو يختلف عن الإغماء المرضي، وعن النوم تحت تأثير مخدر طبي، أو مخدر إدماني وتجري فيه الأحلام، التي تفسر أحيانا باجتهاد ظني وليس بدلالات يقينية ترتبط بالواقع، وأن النوم بالليل له فوائد كثيرة لا يدانيها النوم نهارا، إذ أن الثابت علميا أن الأشخاص الذين يعملون وينامون نهاراً تقل عندهم المناعة لبعض الأمراض، مثل سرطان الثدي بتأثير تغيير الساعة البيولوجية.

ويتعرض الذين يعملون بالمناوبة ليلا لأخطار الإصابة بأمراض القلب، وأن بعض الوظائف الخاصة بالجسم تكون أنشط أثناء النوم، ويحدث خلال النوم العديد من الأنشطة المعقدة على المخ والجسم، ويترتب على قلة النوم ضعف القدرات المعرفية ووهنها والإنهاك والعصبية في التعامل مع الآخرين، والسهو والنسيان وضعف الذاكرة، وأن النوم الهادئ المريح يعطي الجسم قوة على الصبر والتحمل، وقد قيل: «الجسم السليم في النوم السليم».

ومن خلال التجارب العلمية ما حدث بشأن مجموعة من المتطوعين الذين تُركوا ليناموا ثماني ساعات عدة أيام، ثم أربع ساعات عدة أيام أخرى أدى هذا إلى قلة تحمل الجلوكوز في الدم، واضطراب في وظائف الغدد الصماء التي تؤدي إلى أعراض مشابهة لأمراض الشيخوخة وقلّ إفراز الأنسولين عندهم بنسبة ثلاثين في المائة، وأخذوا أربعين في المائة وقتا أطول، لتنظيم معدل السكر في الدم[6].

وتحدث العلماء عن فوائد النوم، وذكروا منها أنه يساعد على عمليات الهضم وحركات الحجاب الحاجز والتنفس وضربات القلب، وذلك من خلال النوم العميق، وهذا من فضل الخالق ورحمته على عباده[7].

وذكر العلماء أيضاً أن المتفوقين ينامون أكثر، حيث يقوم العقل أثناء النوم باستغلال فترة راحة الجسم في مراجعة وتخزين المعلومات، التي اكتسبها الإنسان أثناء النهار.

النوم ينظم ذاكرة الإنسان

لذلك فإن أي اختلال في دورة النوم، أو عدد ساعته يمنع قيام المخ من أداء واجباته بأكمل وجه[8] وأثبتت الدراسات المعملية أن الذين ينامون أقل من القدر المطلوب يتعرضون لمشكلات صحية متعددة كالأزمات القلبية، ونزلات البرد، والإجهاد الزائد، والهالات السوداء حول العينين[9].

وأن النوم يقلل من أخطاء الذاكرة، وذلك وفق النتائج المترتبة على التجارب التطبيقية الدقيقة[10] ذلك أنه بالنوم التام للإنسان يعطيه فرصة مؤكدة لتنظيم ذاكرته وتعزيز تجاربه[11] ومع النوم تهدأ المسائل الملحة المنوط بها المقاومة في اتخاذ القرار[12] وتضمنت دراسة أمريكية حديثة أن الأشخاص الذين يعتزمون اتخاذ قرارات هامة في حياتهم وأعمالهم عليهم الحصول على قسط كافٍ من النوم، وأن تفويت ليلة واحدة بدون نوم قد تكون كافية لتعريض دماغ الإنسان لعدم الاستقرار وسوء التركيز[13] ولم يصل العلماء إلى أحكام نهائية في فوائد النوم وأثره على الحالة الصحية والتنمية البشرية للإنسان، وأكدوا مساعدة النوم على فقدان الوزن عن طريق انخفاض الهرمون الخاص بالضغط العصبي، وأنه يساعد على ارتفاع هرمون النمو الذي تفرزه الغدة النخامية إلى أعلى مستوياته، حيث يعمل على تجديد وبناء الأنسجة والعضلات والعظام، وإن كان ذلك يقل كلما تقدم الإنسان في العمر.

وأنه في أثناء النوم، تحدث عجائب، وأوضاع متعددة ومختلفة، كالمشي أثناء النوم والأحلام الهادئة، والكوابيس المزعجة وغيرها.

ويعنينا أن نؤكد ما نهدف إليه، وهو أنه في ظل تمتع الجسم بالنوم، فإنه ينعكس على صحة أفراد المجتمع، ومن ثم التنمية البشرية وبالقدرة الفائقة للأصحاء على العمل والإنتاج.

الحرمان من النوم يؤثر على حياة الإنسان

إن تأثير النوم على صحة الإنسان يستشعره كل فرد بنفسه، فإن من حرم منه لسبب أو لآخر فإنه يؤثر في حياته الخاصة، وعلى ما يتصل برسالته في المجتمع، من حيث زيادة التنمية والإنتاج، وضبط مستوى علاقاته بسائر الشرائح الاجتماعية، وأن العمال مثلاً الذين يؤدون أعمالهم بالنهار بعد نومهم في الليل يختلفون من حيث كفاءة الإنتاج وجودته عن غيرهم، الذين يعملون معهم بعد سهر أو أرق وحرمان من نعمة النوم.

إن هذه المؤثرات في عملية النوم، والآثار المترتبة عليها، لم تكن معروفة تماما للعلماء العرب والمفسرين والمؤرخين لعلوم الإسلام قديماً، فلما حدثت الطفرة العلمية في الزمن المعاصر كان من فضل الله أن حاول العلماء المحدثون البحث في أسرار الإشارات العلمية في القرآن الكريم والبيان النبوي الشريف، ومنها الحديث عن النوم وما يترتب عليه من آثار.

---

(6) من موقع ويكيبيديا بشبكة الإنترنت. (7) اهرام الجمعه ٤/٩/٢٠٠٩م (8) اهرام يوم ١٢/١/٢٠١٠.

(9) اهرام يوم ٢/٢/٢٠١٠. (10) اهرام يوم ٦/١٢/٢٠٠٩ (11) موقع ويكيبيديا على الإنترنت.

(12) مجلة الأزهر عدد المحرم ١٤٢٤هـ (13) اهرام يوم ٢٤/١١/٢٠٠٩.

الخاتمـــة

١ - حتمية البحث المتواصل، والتأمل الخاشع لآيات الله فى الليل والنهار، وذلك من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وهذا من أهم الوسائل التى تقوى الجوانب العقائدية فى حياة المسلمين، حتى ينطلقوا منها لخدمة الوضع المجتمعى، وانعكاس ذلك كله على المجتمع الإنسانى العام، وحتى يكون المسلمون قوة نافعة قولاً وعملاً، نظرية وتطبيقاً، قوة منتجة وليست مستهلكة، لما يبدعه الآخرون.

٢ - النوم نعمة من الله تعالى ينبغى شكره عليها، حيث يتقوى بها الإنسان على الحركة الإيجابية النافعة، ويستثمر طاقته الجسمانية الإيمانية فيما يفيد من إنتاج وتنمية تعود آثارها على الفرد والمجتمع.

٣ - أثبت العلم الحديث مرجعية التحكم فى النوم إلى غدة صغيرة فى منتصف الدماغ تفرز هرموناً كيميائياً يتحقق به النوم حسب درجاته ووفق المراحل النسبية للإنسان وهذا هو السكون الليلى الذى ذكره القرآن الكريم، وأن التعرض لضوء الشمس نهاراً يساعد هذه الغدة على إفراز هرمون «السيراتونين»، مما يساعد على إفراز هرمون «الميلاتونين» ليلاً، وهكذا تتجلى عظمة الإله فى عطاءاته للبشر، فكان الليل للنوم والراحة، والنهار للحركة والنشاط بمعايير ربانية لا حدود لها.

٤ - النوم ظاهرة طبيعية «فسيولوجية» ضرورية للإنسان، إذ من خلاله تاخذ سائر أجهزة الجسم الحيوية راحتها، وتستعيد نشاطها مما يمكنها من الإسهام فى عمارة الأرض واستمرار الحياة.

وتتسع فوائد النوم للإنسان، ومنها تخلص الجسم من السموم، وبناء الأنسجة التالفة، وحرمان الإنسان من النوم أو عجزه عن الحصول عليه يصيبه بالجنون وقد يفضى به إلى الموت.

وفيما يتصل بتأثير النوم على صحة الإنسان فنقول إن هذا التأثير واضح فى تحديد صحة الإنسان، أما قضية أثر النوم فى زيادة الإنتاج، فإن الحكم فى ذلك يرجع إلى استنتاجات اجتهادية.

٥ - لقد كان الاعتماد فى هذا البحث فيما يخص الجوانب العلمية البحتة على الأساتذة الأطباء والعلميين فى العديد من التخصصات وغيرهم ممن قطعوا أشواطاً كثيرة وطويلة فى بحث الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة، خاصة فى مسألة النوم، الذى لا زال محملاً بالكثير من الأسرار والدلالات، التى لم يصل البحث العلمى إلى ختام القول وتحديد النتائج فيها.

٦ - تبقى الحقائق الكاملة عن النوم مغيبة فى علم الله الذى لا نهاية له، وعلى العلماء الراغبين فى الوصول إلى بعض هذه الحقائق أن يواصلوا سعيهم نحو كشف الأسرار، التى تزداد معها علاقة المؤمنين بالله، واستمرار التأمل فى حركة الليل والنهار، واختيار الليل ليكون سكناً ونوماً للعباد، وأن يكون النهار زمناً لابتغاء فضل الله، وهذا ما يؤكد صلاحية عطاءات القرآن الكريم لكل الأجيال المؤمنة، والباحثة عن الحقيقة.

تأملات فى السيرة النبوية

رسول الله ﷺ يتعبد فى غار حراء فى خلوة راشدة وصفاء موصل موصول بالحضرة العليا. والليل ساج، وصحوة القرب وقت السحر تدغدغ الكون كله. وجبريل أمين الوحى يخترق السماوات السبع هابطاً إلى الأرض حاملاً كلمات الله إلى سيدنا رسول الله ﷺ المتبتل فى خلوته كأنه يجذب بتضرعه خطوات جبريل إليه. يا لها من لحظات جمعت الرضا كله والخير كله والوصل كله والهناء كله.

هبط جبريل إلى غار «النور» حراء يلتقى بنور النور سيدنا رسول الله ﷺ، يا من شرف الكون بمعرفته والتعرف عليه، عرفه الملأ الأعلى، وعرفه أهل الأرض. أما الملأ الأعلى فعلمنا معرفته لما سُئل رسول الله ﷺ وقيل له: متى وجبت لك النبوة؟ قال ﷺ: «وآدم بين الروح والجسد»، وقلنا: إن كلمة «وجبت» لا تصلح أن تكون بمعنى ثبتت كما لا يصح أن تكون بمعنى «فرضت» وأنه لابد أن يكون معناها عرفت للملأ الأعلى، فيكون المعنى - والله ورسوله أعلم - أن خبر نبوته عرف وأذيع واشتهر فى الملأ الأعلى وآدم بين الروح والجسد، يعنى قبل نفخ الروح فى سيدنا آدم، ولا مانع من أن تكون نبوته عرفت وأذيعت فى الملأ العلوى والسفلى - أيضاً - ماعدا بنى الإنسان وإنما جاء القصر على الملأ الأعلى، لأن حال آدم - بين الروح والجسد - لم يكن فى الأرض إنما كان فى السماء، يعنى فى الملأ الأعلى. وإن كان هذا - أى كون آدم بين الروح والجسد - لم يقع فى الأرض لا يمنع أن تكون إذاعة خبر نبوته فى الأرض كما فى السماء.

ولما نزل أمين الوحى جبريل

لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى

بالقرآن قال لرسول الله ﷺ : «اقرأ» فقال النبي ﷺ : «ما أنا بقارئ» فغطه غطة شديدة، ثم قال: «اقرأ» فقال: «ما أنا بقارئ» ثم غطه الثالثة، ثم قال: «اقرأ» فقال: «ما أنا بقارئ» فما معنى قوله ﷺ «ما أنا بقارئ» ولماذا كان الغط ثلاثاً، قيل فيما ذكره صاحب سبل الهدى والرشاد: إن «ما أنا بقارئ» الأولى للامتناع، والثانية على الإخبار بالنفي المحض، وثالثاً على الاستفهام، ونقول على انها استفهامية بعيد، لأن الباء لا تزاد في الاستفهام، ومعنى النفي المحض هو الذي لا ينقض بـ «إلا» مثل قولك ما المؤمن إلا صادق هذا نفي غير محض، لأن النفي الواقع في جواب ما نُقض بإلا. أما قولك ما المؤمن بكاذب فهذا نفي محض، لأن النفي لم ينقض باستثناء وكذلك قالوا في الطلب المحض وعلى أي حال ان هذا التفسير غير مقنع وغير كاف، والذي أفهمه وأميل إليه أن قوله أولاً ما أنا بقارئ امتناع عن القراءة لعدم تمكن أو عدم الاستطاعة مطلقاً، أما الثانية فهي توكيد لهذا المعنى، أما الثالثة فهي لعدم تحصيل السبب ولذلك كان جواب جبريل نفي الأسباب وعدم التعلق بها فقال:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾

(العلق: ١)

يعني اقرأ مستعيناً بالله سبحانه وتعالى، وعلى أي حال فإن في هذا بيان في أول آية من القرآن لبيان أن العقبة الكأداء لبني الإنسان هي الأسباب، فمن باشر الأسباب على أنها هي الموجدة لنتائجها، فهذا شرك، أما من امتنع عن مباشرة السبب فهو عاص مخالف لأمر الله في قوله:

﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ﴾

«الملك: ١٥»

ولأنه نسب الإيجاد للأسباب. فالله هو الموجد على الحقيقة. أما من باشرها امتثالاً لأمر الله مع اعتقاده أنه لا تأثير لها إنما التأثير لله سبحانه وتعالى فذلك طائع، ولذلك قال الصوفية بحق: «إن الأسباب هي الباب وهي الحجاب» فمن باشرها امتثالاً لأمر الله تعالى ومعتقداً أنه لا تأثير لها إنما التأثير لله – سبحانه وتعالى – فهو طائع وهي باب الوصول لله سبحانه وتعالى، ومن باشرها على أن لها تأثيراً فهي حجاب يحجبه عن الله سبحانه وتعالى لأنه تعلق بالسبب ونسي المسبب الحقيقي، أما من تركها فهو متواكل عاص.

هذا وبعد نزول الوحي أخذت الدعوة تنتشر، فكان أول الناس إسلاماً هي أم المؤمنين –رضي الله عنها– السيدة خديجة بنت خويلد وكانت أول من آمن بالله ورسوله ﷺ وصدقت ما جاء به عن الله –تعالى– وكان لا يسمع شيئاً يكرهه من قومه إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها وأخبرها به وهي التي طمأنته عند نزول الوحي ولما رجع إليها وقال: «زملوني زملوني لقد خشيت على نفسي» قالت له: «كلا والله ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق».

ثم أسلم عليّ بن أبي طالب –رضي الله عنه– وكان لم يبلغ الحلم فهو أول من أسلم من الصبيان، ويروى أن أمه فاطمة بنت أسد قالت لما ولدته: سماه رسول الله علياً.

وكان ثالث الناس إسلاماً زيد بن حارثة وكان عبداً للسيدة خديجة رضي الله عنها فوهبته للنبي ﷺ بعد الزواج. وله قصة مشهورة أن عمه ووالده تعرفا عليه وجاءا يطلبانه من رسول الله ﷺ وقالا «جئناك في ولدنا عندك فامنن علينا وأحسن في فدائه فإنا سندفع لك. فقال: وما ذاك؟: قالا زيد ابن حارثة. فقال: أو غير ذلك؟ قالوا وما هو؟ قال: إدعوه وخيروه فإن اختاركم فهو لكم من غير فداء وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي اختار على الذي اختارني فداءا فقالوا زدت على النصف – يعني حكمت بالعدل والإنصاف وزدت فوق العدل الرحمة والإيثار – فقال النبي ﷺ : تعرفُ هؤلاء؟ قال: نعم أبي وعمي. فعند ذلك قال ﷺ : أنا من علمت وقد رأيت صحبتي لك فاخترني أو اخترهما. فقال زيد: ما أنا بالذي أختار عليك أحداً أنت مني مكان الأب والعم. فقالا: ويحك يا زيد تختار العبودية على الحرية، على أبيك وعمك وأهل بيتك!! قال: نعم ما أنا بالذي أختار عليه أحداً – أي على الرسول ﷺ – فلما رأى رسول الله ﷺ منه ما رأى أخرجه إلى الحجر فقال: إن زيداً ابني أرثه ويرثني فطابت نفسيهما وانصرفا – وكان ذلك قبل تحريم التبني.

ثم أسلم من الصحابة سيدنا أبوبكر الصديق وكان صديقاً لرسول الله ﷺ وكان يكثر غشيانه في منزله ومحادثته وكان سمع قول ورقة بن نوفل للنبي ﷺ فكان متوقعاً لذلك. وذات يوم كان مع حكيم بن حزام إذ جاءت مولاة لحكيم فقالت له: إن عمتك خديجة تزعم في هذا اليوم أن زوجها نبي مرسل مثل موسى فانسل أبوبكر حتى أتى رسول الله ﷺ فسأله عن خبره فقص عليه – أي قص رسول الله ﷺ – قصته المتضمنة مجيء الوحي إليه بالرسالة فقال: «صدقت بأبي أنت وأمي وأهل الصدق أنت أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله» ولذلك قال رسول الله ﷺ : «ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة إلا أبي بكر».

ثم أسلم سيدنا عثمان بدعوة سيدنا أبي بكر الذي قال فيه رسول الله ﷺ : «أشد الناس حياء عثمان» وأسلم بدعاء سيدنا أبي بكر أيضاً الزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله، ويقال في سبب إسلامه كما ذكر صاحب السيرة الحلبية وسبب إسلام طلحة بن عبيد الله أنه قال حضرت سوق بصرى فإذا راهب في صومعته يقول سلوا أهل هذا الموسم هل ثم من أهل الحرم أحد؟ فقلت: نعم أنا، قال: هل ظهر أحمد بعد؟ قلت: ومن أحمد؟ قال: بن عبدالله بن عبدالمطلب هذا شهره الذي يخرج فيه وهو آخر الأنبياء. مخرجه من الحرم ومهاجره إلى أرض ذات نخل وسباخ فإياك أن تسبق إليه. قال طلحة: فوقع في قلبي ما قال، فخرجت سريعاً حتى قدمت مكة فقلت هل كان من حدث؟ قالوا: نعم محمد بن عبدالله الأمين يدعو إلى الله وقد تبعه بن أبي قحافة. فخرجت حتى دخلت على أبو بكر رضي الله عنه فأخبرته بما قال الراهب فخرج أبوبكر حتى دخل على رسول الله ﷺ فأخبره بذلك فسر بذلك وأسلم طلحة، ثم دخل الناس في الإسلام أفواجاً من الرجال والنساء. وبدأت مرحلة حرجة في مسيرة الإسلام تتطلب لقاء آخر إن شاء الله تعالى.

والله تعالى أعلى وأعلم.

بين الصحف و المجلات

إعداد

أ/ محمد جمعة

أ/ علا عبدالرحمن

نسائم الرحمة والمغفرة

كتبت الأستاذة ـ أماني صادق في جريدة أخبار اليوم الصادرة في ٢٠١٠/٧/٢٤م تقول:

بدأت نسائم الرحمة والمغفرة والأمان والاطمئنان والراحة النفسية تهل علينا وتملؤنا مع اقتراب أجل وأعظم شهر يحياه المسلمون كل عام، هدية الله لعباده ليتقربوا فيه إليه ليصفي نفوسهم ويصلح أرواحهم ويصالحهم على دنياهم وآخرتهم ويمنحهم فرصة لشفاء قلوبهم بأقصر الطرق وأيسرها وهي مساعدة الآخرين والأخذ بأيديهم لأن قضاء حوائج الناس أكبر طبيب لعلل القلوب.

فبالرغم من أن رسولنا الكريم أوصانا منذ ١٤ قرناً بأن المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، إلا أن العلماء في جامعة لندن خرجوا علينا ليبشرونا وليعلنوا لنا اكتشافاً خطيراً وهو أن الإنسان الذي يشعر بالضجر والملل والضيق يكون عرضة للموت المحقق وذلك بعد أن قاموا بمراقبة سبعة آلاف حالة خلال ٢٥ سنة تأكد فيها للعلماء أن معظم الذين عانوا من الضيق والحزن كانت أعمارهم أقصر وقلوبهم ضعيفة جداً.

وأثبت العلماء أن أفضل طريقة لإبعاد السأم والكآبة والحزن هو التفكير في غيرهم ومساعدتهم حتى يشعروا بأن لحياتهم قيمة ولوجودهم معنى وليثبتوا أن البخل والشح وعدم الاهتمام بالآخرين هو الطريق الأسرع للموت والإحباط والضيق والضجر والملل.

ومع الأيام المباركة التي نعيشها وسنعيشها مع رحمات رمضان هناك دعوة أوجهها لنفسي ولكم أن نبدأ في تغيير منهج حياتنا الروتيني الممل الذي يتسبب لنا الكآبة وليقف كل حسب قدرته واستطاعته لمساعدة الناس وقضاء حوائجهم وستر عيوبهم ابتغاء وجه الله وطمعاً في حسناته وسينعكس

ذلك علينا إن شاء الله راحة نفسية وسعادة وشعوراً بالطمأنينة والسعادة والرضا.

ورحل الدكتور محمد شوقي الفنجري

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ حسن علام مقاله المنشور بجريدة اللواء الإسلامي الصادرة بتاريخ ٢٠١٠/٧/١٥ يقول فيه:

بعد حياة حافلة بالعطاء والمشروعات الخيرية، رحل الدكتور محمد شوقي الفنجري المستشار بمجلس الدولة سابقاً وأستاذ الاقتصاد الإسلامي، والذي سخر كل أمواله لخدمة الدعوة الإسلامية وإعلاء كلمة الله، ورفع المعاناة عن الفقراء، وتشجيع المسابقات الإسلامية والبحث العلمي.. ومن منا يستطيع أن ينسى موقف الفنجري الشهير ومسابقاته المعروفة؟

كان د. الفنجري ـ رحمه الله ـ يتحسر كعربي مسلم حين يشعر بوطأة المشكلة الاقتصادية حين يرى الكثيرين من عامة الناس سواء في مصر أو أندونيسيا أو باكستان أو بنجلاديش مطحونين بالفقر، ومسحوقين بالحرمان، في حين أن العالم العربي والإسلامي يمتلك موارد طبيعية غير محدودة وقوى بشرية هائلة، ورءوس أموال وفيرة من فوائض البترول وغير ذلك من معادن.

لقد توافر للعالم العربي والإسلامي كل أسباب التقدم والنمو، ولا ينقصنا سوى التضامن والتعاون والعزم وإرادة التنفيذ.

كان د. الفنجري ـ رحمه الله ـ دائماً يعلن الحرب على التخلف ويطالب بأن تصبح التنمية الشاملة هي شغلنا الشاغل، لنكون بحق خلفاء الله في أرضه، راضين عن أنفسنا ومجتمعاتنا وسعداء بحياتنا، نحمده تعالى ونسبح بحمده.

لقد عمل هذا العالم الجليل حتى آخر أيامه بالآية الكريمة التي تقول:

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ﴾

(الكهف: ١١٠)

فبعد أن وهب ماله لخدمة الإسلام كان يدعو دائماً لعلاج مشكلة الفقر في المجتمعات الإسلامية، وأنه لا سبيل لعلاج هذه المشكلة المستعصية إلا بإزالة معوقات التقدم، وخلق مناخ الرقي.

رحم الله الدكتور/ محمد شوقي الفنجري.. وأسكنه فسيح جناته.

الالتزام الأخلاقي

كتب الأستاذ/جهاد الخازن في عموده «عيون وآذان» في جريدة الحياة الصادرة في ٢٠١٠/٧/٢٠ يقول:

ربما كان «الالتزام الأخلاقي» الأمريكي بإسرائيل أكبر مسميات السياسة الدولية خطأ فلا أخلاق البتة في الالتزام بدولة فاشستية تقتل النساء والأطفال وتحتل وتدمر وتسرق البيوت من ساكنيها، وتهاجم دعاة السلام في المياه الدولية.

غير أن الالتزام الأمريكي مستمر كما رأينا في زيارة نتانياهو الأخيرة إلى واشنطن، فإدارة

أوباما تراجعت عن كل موقف سابق لها بما في ذلك الاستيطان في الضفة الغربية والاستيلاء على بيوت الفلسطينيين في القدس في حين لم يقدم رئيس وزراء إسرائيل شيئاً يساعد عملية السلام.

الاستيطان ليس جريمة إسرائيلية فقط، بل جريمة أمريكية أيضاً، وأترجم للقارىء باختصار فقرتين فقط من تحقيق في ١٣ صفحة نشرته «نيويورك تايمز» وجاء فيهما:

إن دراسة الوثائق الرسمية للولايات المتحدة وإسرائيل تظهر وجود ٤٠ جماعة أمريكية على الأقل جمعت أكثر من ٢٠٠ مليون دولار على شكل هدايا معفاة من الضرائب للمستوطنات الإسرائيلية في الضفة الغربية والقدس الشرقية في العقد الأخير، ويذهب المال غالباً إلى مدارس وكنس ومراكز ترفيه وغيرها من أمور يسمح بها قانون الضرائب، إلا أن المال أنفق أيضاً على مشاريع مشبوهة قانونياً مثل السكن وكلاب الحراسة والثياب الواقية من الرصاص ومناظير البنادق وسيارات حراسة.

قانون الضرائب الأمريكي أكثر مرونة أحياناً من القانون الإسرائيلي، وتمويل البؤر العشوائية بخلاف المستوطنات التي تمولها الحكومة الإسرائيلية، غير قانوني بموجب القوانين الإسرائيلية، وقد أوقفت إسرائيل الإعفاءات الضريبية لبناء المستوطنات في الضفة الغربية.

أتوقف هنا لأقول: إن «نيويورك تايمز» تؤيد إسرائيل إلا أنها تؤكد ما ذهبت إليه دائماً فالكونجرس الأمريكي أكثر إسرائيلية من الكنيست، وهو يقف ضد كل إدارة تحاول الدفاع عن المصالح الأمريكية في وجه إسرائيل، وقد قرأت في الأسابيع الأخيرة فقط رسالة من ٧٥ عضواً في مجلس الشيوخ إلى الرئيس أوباما تطلب منه مراعاة مصالح إسرائيل، ورسالة وقعها ٣٣٤ عضواً في مجلس النواب تطلب من وزيرة الخارجية هيلاري كلينتون إحاطة أية خلافات أمريكية - إسرائيلية بالكتمان.

ليس الأمر تحقيقاً واحداً في جريدة، فالتحقيق تزامن مع نشر مقال كتبه أنطوني كوردسمان من مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية في واشنطن.

كوردسمان يقول: إن الالتزام الأخلاقي الأمريكي بإسرائيل لا يبرر إجراءات للحكومة الإسرائيلية تجعلها عالة استراتيجية على الولايات المتحدة، وهو يقول: إنه لا مصلحة أبداً للولايات المتحدة في عدم سعي إسرائيل إلى السلام مع جيرانها أو التشدد في موضوع القدس لتصبح مدينة يهودية لا مختلطة.

وهو يضيف: إن على إسرائيل أن تدرك أن عليها التزامات للولايات المتحدة وأن للصبر الأمريكي حدوداً، فالمصلحة الاستراتيجية الأمريكية - الإسرائيلية تعني على المدى البعيد طلب السلام مع الفلسطينيين، ووقف بناء المستوطنات وعدم الاحتفاظ بها، وتجنب المغامرة بضربة عسكرية لإيران، وعدم تهديد مصالح أمريكا في العالمين العربي والإسلامي.

تطرف الحكومة الإسرائيلية بدأ ينفر اليهود الأمريكيين وهم ليبراليون أصلاً، وأتوقع أن يزيد خلافهم مع حكومة نتانياهو بسبب قرار تسليم الأمور الدينية إلى الحاخامات ليقرروا من اليهودي بمعزل عن القيادة المدنية، بما يعني مزيداً من التطرف الديني بعد السياسي.

وهكذا نقرأ عن دعاة سلام بولنديين وإسرائيليين دخلوا الغيتو اليهودي في وارسو وكتبوا على الجدران شعارات بالعبرية والانجليزية تنتصر لأهل غزة ورفعوا علماً فلسطينياً على أحد الجدران، وكان بين المشاركين يوناتان شابيرا، وهو ضابط سابق في الطيران الإسرائيلي قال: إن أسرته من أصل بولندي، قتل بعض أعضائها في الهولوكوست، وأضاف: إن الاضطهاد والاحتلال والجرائم ضد الإنسانية هي واحدة سواء ارتكبت في وارسو أو غزة.

أنتظر أن تتغير إسرائيل، أو تتبع أمريكا العالم وتتغير إزاءها لاستحالة الدفاع عنها، فلا أخلاق أبداً في التعامل مع دولة لا أخلاقية.

قانونا: المواطنة وأملاك الغائبين..
نكبة فلسطينية جديدة

تحت هذا العنوان كتبت الأستاذة/ هالة فؤاد في مجلة آخر ساعة الصادرة في ٢٠١٠/٧/٢٨م تقول:

يبدو أن حمى القوانين العنصرية اجتاحت الدولة العبرية، فبين مشروع قانون المواطنة الذي يعرض أكثر من ٢٥ ألف عائلة عربية للتشرد، وما بين قانون أملاك الغائبين الذي يقضي بمصادرة عقارات وممتلكات فلسطينية يقدر ثمنها بمئات الملايين من الدولارات تبدو خطى إسرائيل متسارعة لمواصلة جرائمها بتهويد الأرض وتغيير معالمها وطرد سكانها العرب.

خطورة قانون المواطنة أنه يشترط على الفلسطينيين لمنح الجنسية الإسرائيلية لهم التصريح بالولاء لإسرائيل كدولة يهودية وديموقراطية وهو ما يخلق بدوره عقبة كبيرة تزيد من صعوبة حصول آلاف الفلسطينيين على الإقامة الدائمة أو الجنسية الإسرائيلية وهو ما يعوق لم شمل العديد من الأسر الفلسطينية، حيث يحظر على الفلسطينيين المتزوجين من فلسطينيات يحملن الجنسية الإسرائيلية من الانضمام لعائلاتهم قبل الحصول على موافقة وزارة الداخلية وبعد أداء قسم الولاء والمواطنة.

عنصرية مشروع القانون دفعت المركز القانوني لحقوق الأقلية العربية في إسرائيل «عدالة» إلى الاحتجاج ووصف المشروع بأنه خطير جداً، لأنه طلب من غير اليهود جميعاً التعاطف مع الصهيونية ويفرض أيديولوجية سياسية وولاء لمبادئ الصهيونية.

أما مركز سواسية لحقوق الإنسان فقد وصف قانون المواطنة وكذلك قانون أملاك الغائبين بأنه نكبة فلسطينية جديدة على غرار نكبة ٤٨ التي شردت مئات الآلاف من الفلسطينيين وأقامت دولة لليهود على

أنقاض أرضهم.

مشروع القانون- باعتراف الجميع- يعد مخالفة صارخة لكل القوانين والمواثيق الدولية التي تنص على حق كل مواطن في المواطنة ولم شمل عائلته أياً كانت، وفي اختيار محل إقامته داخل الوطن الذي يعيش فيه- ومخالفاً أيضاً- كما كشفت جمعيات حقوق الإنسان الفلسطينية- لما جاء باتفاقية جنيف الرابعة وتحديداً المادة ٤٩ التي ألزمت سلطات الاحتلال بالمحافظة على أرض الإقليم المحتل واحتفاظه بسكانه الأصليين وعدم جواز ترحيلهم وتهجيرهم سواء بشكل فردي أو جماعي وأن تعمل على تسهيل لم شمل الأسر التي تعرضت للشتات بسبب الأعمال الحربية وتسهيل مهام الجهات القائمة على الخدمات الإنسانية.

وإلى جانب مشروع قانون المواطنة، هناك قانون أملاك الغائبين الذي وقعه المستشار القضائي للحكومة الإسرائيلية «يهودا فاينشتاين» وأعلن فيه تأييده لتطبيق القانون الذي يتيح لإسرائيل السيطرة على أملاك مئات الآلاف من الفلسطينيين الذين هجروا أراضيهم عام ٤٨ بما فيها القدس المحتلة.

وإقرار القانون يعني مصادرة عقارات وممتلكات للفلسطينيين تصل مساحتها إلى ١٠٥ ملايين دونم ويقدر ثمنها بمئات الملايين من الدولارات هذا بالإضافة إلى قيامها بهدم بيوت فلسطينية بحجة عدم الحصول على تراخيص وبالتالي تشريد آلاف آخرين لتصبح سياسة الدولة العبرية واضحة بارتكابها جريمة تطهير عرقي.

ويسعى القانون- من وجهة نظر المؤيدين- للحفاظ على يهودية الدولة.. فهناك هاجس وتخوف لدى هؤلاء من أن تشكل الأقلية العربية في إسرائيل مصدر خطر حيث يقدر عددها بمليون و٤٥٠ ألف فلسطيني أي بنسبة ٢٠,٢٪ من سكان الدولة العبرية، وهو ما يدفع العديد من المفكرين الإسرائيليين للتخوف من تحول إسرائيل إلى دولة ثنائية القومية ومن هنا أيضاً جاء طرح ليبرمان لمشروع قانون المواطنة للحفاظ على هوية الدولة اليهودية.

خطورة المشروع الذي يبدو أنه يستهدف أساساً الوجود العربي في إسرائيل أي ما يطلق عليهم عرب الداخل أو عرب ٤٨ من هنا تعالت الأصوات - داخل إسرائيل- سواء من قبل عرب ٤٨، إلى جانب أصوات اعتراض من اليسار الإسرائيلي احتجاجاً على المشروع الذي لو تم إقراره سيعد بمثابة ترانسفير جديد وعملية تهجير جماعي لآلاف الفلسطينيين وإلغاء مواطنتهم وحرمانهم من حقوقهم السياسية وإجبارهم على مغادرة أراضيهم التي تمسكوا بالوجود عليها منذ عام ٤٨ وحتى الآن.

ولأن مشروع القانون يضفي طابعاً عنصرياً على إسرائيل ويعرضها للمزيد من الضغوطات الدولية من هنا يتوقع إيلي عطاس «مدير مركز القدس للدراسات» عدم إقراره تجنباً لإثارة مشاكل إسرائيل في غنى عنها على الأقل في هذا التوقيت الذي تتزايد فيه

الاحتجاجات على سياستها.

إلا أن الأمر يتطلب بالطبع رد فعل عربي مناسب لخطورة هذا المشروع.

ويكفي أن نعرف أن هناك مشروع قانون إسرائيلي آخر يحظر إحياء ذكرى النكبة ويفرض عقوبة السجن على كل فلسطيني يقوم بذلك لمدة ثلاث سنوات.

الدبلوماسية الهادئة
هي الحل لأزمة مياه النيل

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ خميس بن عبيد القطيطي (كاتب عماني) مقاله المنشور بجريدة الوفد بعددها الصادر بتاريخ: ٢٠١٠/٧/٣١ يقول فيه:

أزمة سياسية واقتصادية خطيرة قد تواجه مصر أرض الكنانة في الوقت الراهن بعد ما لاح في الأفق ما يشير إلى ما يشبه التمرد من قبل دول حوض النيل الجنوبية أو ما تسمى دول المنبع إثر توقيع خمس دول منها على اتفاق إطاري لتقاسم مياه النيل تعارضه كل من مصر والسودان، ويمس هذا الاتفاق اتفاقيتي توزيع حصص مياه النيل الموقعتين عامي ١٩٢٩، ١٩٥٩ مما يعني رفض دول المنبع لهاتين الاتفاقيتين على اعتبار أن مصر تسيطر على حصة كبيرة من مياه النيل قدرها (٥٥) مليار متر مكعب سنويا وهي لا تساهم في روافد هذا النهر بأية مصادر مائية، كما أن السودان أيضا يحصل على ثاني أكبر حصة من المياه (١٨,٥) وهو كذلك لا يساهم في زيادة مصادر مياه النيل إذا ما استثنينا نهر عطبرة الذي ينبع أيضا من المرتفعات الإثيوبية وبذلك تكون جميع مصادر النيل تأتي من دول المنبع وبالذات من البحيرات العظمى وهضبة أثيوبيا في وقت ترى فيه هذه الدول أن مصر والسودان وحدهما تسيطران على أكثر من ثلثي مياه النيل وفق الاتفاقيتين سالفتي الذكر.

ومن هنا ترى دول المنبع أحقيتها في المطالبة بتعديل الاتفاقيتين لا سيما أنهما وقعتا في فترة الاحتلال الإنجليزي الألماني لدول المنبع إبان إبرام تلك الاتفاقيات.

ثم يقول الكاتب:

ونهر النيل له ارتباط تاريخي وثيق بمصر، كما أن الحديث عن مصر يرتبط بنهر النيل. ومن خلال هذه القيمة الكبرى التي يمثلها نهر النيل العظيم لجمهورية مصر جاءت المحاولات الإسرائيلية المغرضة للتأثير على هذا البلد الذي يمثل المواجهة العربية الأقوى في الصراع ضد الكيان الصهيوني وإن هدأت قليلا في الفترة الأخيرة. إلا أن مصر تظل هي رأس الحربة والقيادة العربية الأولى في التصدي للأطماع الصهيونية في المنطقة، ولم ولن تتحرك الأمة العربية إلا ومصر وشعبها الكبير وقواتها المسلحة في الطليعة، وحقائق التاريخ تؤكد ذلك، من هنا ظهر العداء الصهيوني للإضرار بمصالح مصر وإثارة البلبلة في ملف مياه النيل عبر زيارات وزير خارجية الكيان الصهيوني وهذا يتطلب من القيادة السياسية في مصر القيام بجولات أفريقية لجميع دول المنبع السبع وأولها أثيوبيا

لشرح أبعاد هذه الأزمة وأثرها على مصر والسودان والتذكير بالعلاقات التاريخية التي تجمع الشعوب الأفريقية تحت مظلة الاتحاد الأفريقي، والنأى بشعوب القارة عن أية صراعات يحاول الأعداء المغرضون استدراجهم نحوها والتي قد تسهم في مفاقمة أوضاع هذه الشعوب، ومن المستحسن أيضا فتح آفاق جديدة من التعاون الإقليمي بين هذه الدول وفي مقدمتها التعاون المائي من خلال القيام بتحركات مصرية وعربية نشطة لحث المانحين الدوليين للإيفاء بالتزاماتهم الإنسانية تجاه دول القارة التي ترزح تحت طائلة أزمات متعددة كالحروب والمجاعات والفقر والتردي المعيشي والبطالة والأمراض التي تداهم هذه الدول والتي سبق للأمم المتحدة منذ إنشائها محاولة التصدي لها ومواجهة المشكلات الأفريقية من خلال توجيه الجهود الدولية تجاه دول القارة، ويتطلب أيضا أن يكون هناك دور عربي فاعل وكبير تجاه هذه المسألة، بالاصطفاف خلف مصر والسودان لدعم تحركات دولية في هذا الاتجاه، والعمل على الاستثمار في هذه الدول وبالذات في وسط وشرق أفريقيا، لا سيما أثيوبيا التي تعرضت لأزمة مجاعة في تسعينيات القرن الماضي، هذا ما يجب أن تتبناه السياسة المصرية في المرحلة المقبلة لإبعاد شبح الأزمة المطل والمهدد للحياة المصرية وذلك من أجل الابتعاد عن كل ما يوتر الأجواء من تصعيد في هذا الملف، لأن الدبلوماسية الهادئة وحدها تكفل لمصر والسودان حل أزمة هذا الملف والانخراط في القارة بشكل أكثر إيجابية وقطع الطريق أمام العدو الصهيوني قبل تحقيق مآربه.

عالم أمريكا السري!

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ حسين عبدالواحد في جريدة أخبار اليوم الصادرة في ٢٠١٠/٧/٢٤م يقول:

نشرت صحيفة واشنطن بوست الأمريكية واحداً من أخطر التحقيقات الصحفية تحت عنوان «أمريكا في غاية السرية» استغرق إعداده عامين وشارك فيه عشرون صحفياً من نجوم هذه الصحيفة العريقة

القيمة الكبرى في هذا العمل الصحفي المبهر هي الحقائق والأرقام والمعلومات التي تضمنها والتي تؤكد كلها أن الولايات المتحدة التي يعتبرها الكثيرون رمزاً لليبرالية والديمقراطية في العالم أصبحت الآن مجتمعا يحيط به الغموض وتغلفه السرية وكأنها جمعية ماسونية !! يقول التحقيق: إن فوبيا الخوف من الهجمات الإرهابية قد اجتاحت أمريكا منذ هجمات سبتمبر ٢٠٠١م فاندفعت بشكل جنوني في هيستريا الحرب ضد الإرهاب.. وهناك الآن في أمريكا أكثر من ٣٣٠٠ منظمة حكومية وخاصة تعمل في مجال الأمن الداخلي والمخابرات ومكافحة الإرهاب، ويعمل في هذه المنظمات بالغة السرية ٨٥٤ ألف شخص. وفي واشنطن العاصمة وحدها هناك ٣٣ مبنى للمخابرات بالإضافة إلى ٥١ مؤسسة فيدرالية في ١٥ مدينة أمريكية تتابع الأنشطة الاقتصادية للجماعات الإرهابية وتعمل كلها تحت شعار «سري للغاية» وتقول واشنطن بوست: إن الأجهزة السرية الأمريكية تصدر ٥٠ ألف تقرير استخباري كل عام وتصل الميزانية السنوية لأجهزة المخابرات الأمريكية إلى ٧٥ مليار دولار بالإضافة إلى الميزانيات المخصصة لمكافحة الإرهاب الداخلي. ونتيجة للمبالغة الشديدة في تقدير حجم خطر الإرهاب على أمريكا لم يعد هناك من يجرؤ على وقف هذا الإهدار الجنوني للجهد والمال خاصة بعد فشل كل هذه الأجهزة في اكتشاف العديد من العمليات الإرهابية ربما كان أشهرها محاولة تفجير طائرة الركاب الأمريكية في نهاية العام الماضي والتي اتهم فيها شاب نيجيري.

والطريف أن أحد ركاب هذه الطائرة هو الذي اكتشف العملية الإرهابية وتمكن بمفرده من السيطرة على الإرهابي قبل أن يفجر الشحنة الناسفة التي كان يخفيها في ملابسه.

خطورة مايحدث في أمريكا الآن لا يقتصر على إهدار أموال دافعي الضرائب بحجة حماية الأمن القومي.. الخطر الأكبر يكمن في ملامح الدولة البوليسية التي بدأت تظهر بوضوح على وجه تمثال الحرية الأمريكي.. وإذا كانت المغامرات العسكرية الأمريكية في العراق وأفغانستان قد أثقلت كاهل المواطن الأمريكي وجعلته يخوض معركة يومية من أجل الحفاظ على وظيفته وبيته واحتياجاته المعيشية، فالذي لا شك فيه أن اعتبارات الغموض والسرية التي فرضتها سطوة الأجهزة الأمنية والاستخباراتية قد بدأت تدمر العديد من أروع جوانب الحياة الأمريكية في مقدمتها الشفافية والحرية والديمقراطية، وبمعنى آخر فإن الحلم الأمريكي يتحول الآن إلى كابوس ليس للأمريكيين وحدهم بل أيضاً للكثيرين في مختلف أنحاء العالم.

مصير لبنان

تحت هذا العنوان جاءت افتتاحية الأهرام العربي الصادرة بتاريخ:- ٢٠١٠/٧/٣١ م فتتضمن مايلي:

جابي اشكينازي رئيس أركان إسرائيل قال في تصريحات غامضة: إن لبنان سيواجه معركة داخلية ضارية، وكان زعيم حزب الله، حسن نصرالله قد واصل خطاباته في الآونة الأخيرة للتحذير من اتهام عناصر في حزب الله بأنها وقفت وراء إغتيال رفيق الحريري رئيس الوزراء اللبناني السابق حسبما أشار إليه سعد الحريري، رئيس وزراء لبنان، وكلما اقترب موعد الإعلان عن المتهمين في اغتيال الحريري، تتحرك السياسة ومعها السلاح استعداداً لمعركة قد تدمر لبنان وتطال المنطقة بالكامل.

ولا شك أن أشكينازي وإسرائيل يترقبان أن ينفجر لبنان، وعلى العقلاء في سوريا والسعودية والجامعة العربية، أن يمنعوا هذا الانفجار لأن كلفته عالية.

التحذير يجب أن يصل إلى الجميع حتى لا نكون شهودا على مجزرة إنسانية تدمر الثقافة والحضارة، أما الأطراف اللبنانية التي تملك السلاح فعليها التأمل في المصير الذي تقود إليه البلاد، لأن السلاح يجب أن يكون في مواجهة الأعداء وليس في مواجهة شركاء الوطن.

ماذا يريدون إخفاءه؟

تحت هذا العنوان كتبت الأستاذة/ سلوى حبيب فى جريدة الأهرام الصادرة فى ٢٠١٠/٧/١٨م تقول:

إلى هذه الدرجة بلغت حالة الحساسية والعصبية من تناول الإعلام لأخبار الحرب فى أفغانستان.. فقد فرضت واشنطن أخيراً قيوداً على المعلومات التى كانت متاحة للإعلام حول هذه الحرب.. كما قررت وزارة الدفاع الفرنسية معاقبة جنرال لأنه انتقد علنا الاستراتيجية العسكرية الأمريكية بأفغانستان، وهو نفس ما فعله الرئيس أوباما مع قائد الحرب المقال ماكريستال لم يكشف الجنرال الفرنسى أى جديد عماهو معروف ويتردد يوميا، وهو أن الاستراتيجية غير فاعلة بدليل أن الوضع الميدانى لم يكن أسوأ مما هو عليه الآن.. مع ذلك اعتبروا كلامه غير مسئول ويستحق العقاب.

ولكن ما هى المعلومات المطلوب حجبها؟ أهى أعداد القتلى والمصابين بين القوات الغربية ويخجل بترايوس (الجنرال الأمريكى الذى تولى خلفا لماكريستال) من كشفها؟ أم هى انتصارات طالبان وسيطرتهم على مناطق واسعة من البلاد؟! هل تريد الإدارة الأمريكية إخفاء حقيقة أن استراتيجية أوباما هى التى كانت تحتاج إلى تغيير وليس القيادات؟

على أى حال سواء أتيحت المعلومات عن سير المعارك أو أخفيت، فإن هناك حقيقة لم تعد خافية، وهى أن الفشل كان متوقعا لهذه الحرب منذ اللحظة التى أعلن فيها أوباما فى ديسمبر الماضى عن موعد الرحيل من أفغانستان وحدده بشهر يوليو ٢٠١١ وكان هذا الإعلان من أكبر الأخطاء التى ارتكبت فى هذه الحرب، لأنه أقرب إلى الاعتراف بالهزيمة والاستعداد للانسحاب.. لكن كل ما قصده أوباما هو وضع حد لتمرد أعضاء حزبه المعادين للحرب، وتحذير الرئيس الأفغانى كرازى وأعوانه من أنه قد يتخلى عنهم ويتركهم تحت رحمة طالبان.

على الجانب الآخر كان إعلانه هذا -إعلان أوباما عن بدء الانسحاب- دافعاً لمسلحى طالبان لمواصلة القتال بكل قوة وعزيمة إلى أن ترحل القوات الأجنبية. ويعنى الإعلان بالنسبة لهم أنهم هم المنتصرون وهم القادرون على إنهاء الحرب إذا ما وافقوا على التفاوض بشروطهم حول خطة سلام مع الحكومة الأفغانية.. وهناك احتمال أن يشجع بترايوس هذا الاتجاه دون الإعلان عن ذلك، فهو منهك من الحرب العراقية، ويعترف بقسوة الأوضاع فى أفغانستان ويتمنى الرحيل.

ثم إنه يواجه مقاومة حادة من الرئيس الأفغانى حول خطة جديدة يريد بها إقحام القرويين الأفغان فى المعارك ضد طالبان ربما لذلك ذهب إلى باكستان طلباً لمساعدتها، ولا يرى النجاح ممكنا بدونها فكيف يستطيع أن يحجب عن الإعلام المؤشرات التى توحى بأن هناك نهاية قريبة فى أفغانستان، وأنها قد لا تكون سارة لكل الأطراف هناك؟!

ثلاثون عاما على قانون تهويد القدس!!

تحت هذا العنوان كتب الدكتور/ أحمد يوسف القرعى مقاله المنشور بجريدة الأهرام بعددها الصادر بتاريخ:- ٢٠١٠/٧/٢٩م يقول فيه:

منذ ثلاثين عاما (وبالتحديد فى ٣٠ يوليو ١٩٨٠) أقر الكنيست الإسرائيلى قانون القدس بزعم أن المدينة المقدسة الكاملة والموحدة هى عاصمة إسرائيل ومقر رئيس الدولة والكنيست والحكومة والمحكمة العليا.

وكان هذا يعنى فى إطار المخطط الإسرائيلى دخول المدينة المقدسة مرحلة التهويد الشامل بعد اجتياز خمس مراحل سابقة ابتداء من مشروع تدويل القدس عام ١٩٤٧ إلى تقسيم الأمر الواقع عام ١٩٤٨، إلى اتخاذ القدس الغربية عاصمة لإسرائيل عام ١٩٤٩، إلى احتلال القدس الشرقية عام ١٩٦٧، إلى مرحلة الضم خطوة خطوة فيما بين ١٩٦٨ و١٩٨٠.

وجاءت المرحلة السادسة وهى مرحلة التهويد الشامل للقدس الكبرى بصدور قانون الكنيست بشأن القدس فى ٣٠ يوليو ١٩٨٠ ووفق هذا القانون عملت إسرائيل على ضم ٣٠٪ من مساحة الضفة الغربية إلى القدس لكى تتسع المدينة لمليون يهودى خلال ١٥ عاما وتطويقها بمدن يهودية أخرى صغيرة.

ثم يقول الكاتب:

ويبدو واضحا أن ممارسات إسرائيل العدوانية فى القدس منذ ٣٠ يوليو ١٩٨٠ وحتى الآن محسوبة على هذا القانون ويمكن الإشارة هنا إلى آخر مشروعات الاستيطان والتهويد، حيث بدأت سلطات الاحتلال منذ إبريل الماضى تنفيذ مشروع لتغيير ملامح أحياء مدينة القدس، بما فى ذلك إطلاق أسماء عبرية على شوارعها وأحيائها كما قامت قوات الاحتلال الإسرائيلى فى تطبيق قرار التهجير بإبعاد ٢٠٠٠ فلسطينى من الضفة الغربية إلى قطاع غزة، ومن ناحية أخرى تخطط سلطات الاحتلال الإسرائيلى لإقامة مترو أنفاق يربط بين شطرى مدينة القدس والنفق الرئيسى المخطط حفره بطول عدة كيلومترات يبدأ من شارع يافا غرب القدس وصولا إلى مفترق مقبرة مأمن الله الإسلامية التى تعرضت لانتهاكات غير إنسانية فى الفترة الأخيرة، صعوداً إلى منطقة باب الخليل، إحدى بوابات القدس الغربية، ويلتف حول الجدار الغربى والجنوبى لسور القدس، ثم يتجه شرقا إلى ساحة البراق قرب الحائط الغربى من المسجد الأقصى.

ولا يخفى على القارئ خطورة الحفريات التى تجرى للنفق الرئيسى على سلامة مبانى المسجد الأقصى وأسواره والمناطق الأثرية العربية والإسلامية، ومن الأهمية تشكيل لجنة دولية تابعة لليونسكو لمتابعة مثل تلك الحفريات وتحميل سلطات الاحتلال الإسرائيلى تبعات المساس بسلامة تلك الأماكن المقدسة التى تستهدف الهدم المنظم للآثار العربية والإسلامية وبناء كنس يهودية ومستوطنات على أنقاضها.

طرائف.. ومواقف

للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

ألعلى رضى الله عنه يقال: نعم الرجل؟

حكى «أبو القاسم بن برهان النحوى» أنه كان «لشريك بن عبدالله النخعى» جليس من بنى أمية فذكر «شريك» فى بعض الأيام فضائل «علىّ» رضوان الله عليه، فقال ذلك الأموى: نعم الرجل على، فأغضبه ذلك، وقال له: «ألعلىّ» يقال: نعم الرجل؟ فأمسك حتى سكن غضبه، ثم قال له: يا أبا عبدالله، ألم يقل الله ـ تعالى ـ فى الإخبار عن نفسه:

﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴾

(المرسلات: ٢٣)

وقال فى «أيوب» عليه السلام

﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾

(ص: ٤٤)

وقال فى سليمان – عليه السلام:

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾

(ص: ٣٠)

أفلا ترضى لعلى بما رضى به الله تعالى لنفسه ولأنبيائه؟! فتنبه «شريك» عند ذلك لوهمه وزادت مكانة الأموى فى قلبه.

رذيلة الجهل

روى عن سهل بن عبدالله التسترى الصوفى أنه قال: ما عصى الله أحد بمعصية أشد من الجهل.

فقيل: يا أبا محمد هل تعرف شيئا أشد من الجهل؟

فقال: نعم، الجهل بالجهل مطية؛ من ركبها زل، ومن صحبها ذل، وقيل: من الجهل صحبة الجهال، ومن المحال محاولة ذوى المحال. خير المواهب العقل، وشر المصائب الجهل. الجاهل يطلب المال، والعاقل يطلب الكمال. الجهل بالفضائل من أقبح الرذائل.

وكان سفيان الثورى يقول: تعلموا العلم وإن لم تنالوا به حظا، فلأن يذم الزمان لكم، أحسن من أن يذم بكم، أى لأن يُذم الزمان لإضاعة أهله لكم، وعدم

تقديرهم قدركم، خير من أن يذم بكم. فيقال هذا زمان فسد أهله، وضلوا عن سواء السبيل، ويضربون الأمثال بأعمالكم.

الشهرة ومبغضوها

الشهرة وبعد الصيت أحب الأشياء إلى قلوب الناس وقد يؤثرونهما على الثروة، وقد رأينا من أنفق ماله كله وأصبح معدما فى سبيلهما، ولكن من الناس من تغلب عليهم هم أعلى وأرفع من هم أنفسهم، فكانوا يهربون منهما هربهم من البوائق الجائحة خشية أن يصرفهم العرض الزائل عن الجوهر الخالد. وهذا من غريب أمر الأفذاذ، وهو يدل على عراقة النفس البشرية فى السمو، وإنما تحجبها عنهم الشهوات الجسدية، والأهواء الوقتية.

● قال خالد بن صفوان: كان الأحنف يفر من الشرف، والشرف يتبعه. والأحنف هو ابن قيس سيد بنى حنيفة ومن أخص أنصار على –رضى الله عنه– الذى قيل فيه: إذا غضب الأحنف غضب لغضبه مائة ألف سيف لا يسألونه فيم غضب.

● وقال الحسن البصرى: لقد صحبت أقواما إن الرجل لتعرض له الكلمة من الحكمة لو نطق بها لنفعته ونفعت أصحابه فما يمنعه إلا مخافة الشهرة.

● وقال ابن سيرين: لم يمنعنى من مجالستكم إلا مخافة الشهرة، فلم يزل بى البلاء حتى أخذ بلحيتى فأقمت على المصطبة، فقيل: هذا ابن سيرين.

● وقال الفضيل بن عياض: كان أحدهم إذا جلس إليه أربعة أو أكثر، قام مخافة الشهرة.

حقـــا..

إذا أعطشتك أكف اللئام
كفتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا جسمه فى الثرى
وهامة همته فى الثريا
فإن إراقة ماء الحياة
دون إراقة ماء المحيا

خير الأصدقاء

سئل على بن أبى طالب: كم صديق لك؟ قال: لا أدرى الآن، لأن الدنيا مقبلة علىّ والناس كلهم أصدقائى وإنما أعرف ذلك إذا أدبرت عنى فخير الأصدقاء من أقبل إذا أدبر الزمان عنك.

رثاء أمير الشعراء لأبيه

توفى والد أمير الشعراء أحمد شوقى، فلم يقل فى رثائه شيئا من الشعر، ولامه البعض على ذلك.. فرد عليهم بتلك الأبيات:

سألونى لم لم أرث أبى
ورثاء الأب دين أى دين
أيها اللوام ما أظلمكم
أين لى العقل الذى يسعف أين

يا أبي مـــا أنت في ذا أول
كل نفس للمنايا فــرض عين
هلكت قـبـلك نـاس وقــرى
ونعى الناعـون خـيـر الثقلين
أنا من مـات ومن مـات أنا
لقي الموت كـلانا مـرتين

عتـــاب

دخل أبو دُلف أحد قواد جيوش الدولة العباسية على أمير المؤمنين المأمون، وقد كان عتب عليه ثم أقاله، فقال له وقد خلا مجلسه: قل أبا دلف وما عسيت أن تقول وقد رضي عنك أمير المؤمنين وغفر لك ما فعلت؟

فقال أبو دلف: يا أمير المؤمنين:

ليالي تدني منك بالبشر مجلسي
ووجهك من ماء البشاشة يقطر
فمن لي بالعين التي كنت مرة
إلى بها في سالف الدهر تنظر

فقال المأمون: لك بها رجوعك إلى مناصحتك، وإقبالك على طاعتك، ثم عاد له إلى ما كان عليه.

الصـديق

● قال حكيم: الإخاء جوهرة رقيقة وهي ما لم ترقها وتحرسها معرضة للآفات، فمرض الأبي بالحداء له حتى تصل إلى قربه، وبالكظم حتى يعتذر إليك من ظلمك، وبالرضا حتى لا تستكثر من نفسك بالفضل، ولا من أخيك بالتقصير.

● قال عبدالصمد بن المعذل:

مـن لـم يـردك ولـم تـرده
لم يـسـتـفـدك ولم تفـده
قـرب صـديقك مـا نأى
وزد التـقـارب واستـزده
وإذا وهت أركــان ود
من أخي ثقـة فـشـده

● وقال أبي حازم:

إن ساءني صاحبي احتملت وإن
سر فـإني أخـوه شـاكـره
أصفح عن ذنبه وإن طلب العذر
فـإني عليـه عـاذره

دعاء

اللهم ارحم والدينا، واغفر لهم مغفرة جامعة تمحو بها سالف أوزارهم، وسيئ إصرارهم، وارحمهم رحمة تنير لهم بها المضجع في قبورهم، وتؤمنهم بها يوم الفزع عند نشورهم اللهم تحنن على ضعفهم كما كانوا على ضعفنا متحننين.. وتعطف عليهم كما كانوا علينا في حال صغرنا متعطفين.

***

قراءة في كتاب



٢

للأستاذ/ عادل خفاجة

● في سنة ١٩٥٣ كتب الأستاذ عباس محمود العقاد مقالاً بمجلة الهلال، استهله بالسؤال التالي:

كيف تكون مصر سنة ثلاث عشرة وألفين؟

كيف تكون مصر بعد ستين سنة؟

ثم يقول: إن جواب هذا السؤال يتراوح بين التفاؤل والتشاؤم، ومن الناس من ينتظرون كثيراً جداً فلا ينتظرون شيئاً ويحسبون أنفسهم من اليائسين، ولكن الماضي مقياس المستقبل، ونحن على رجائنا أن تسرع بنا خطوات التقدم بما يفوق قياس الماضي نرى أننا بالغون شيئاً مذكوراً، بل شيئاً مرضياً، إذا مرت ستون سنة فأنجزنا فيها من الآمال والأعمال مثل ما أنجزناه في السنين الستين التي مضت.

وفي نهاية المقال يتساءل: كيف يرانا السابقون الذين نظروا إلى المستقبل قبل ستين سنة؟

ويجيب: نرجو أن نعبر عن الحقيقة إذا قلنا أنهم يتفاءلون، وأن نعبر عن الحقيقة كذلك حين ننظر بلحظ الغيب إلى من سيراجعون هذه الفترة في سنة ٢٠١٣ فنقول: إنهم سيتفاءلون بما كان ويتفاءلون بما سيكون.

● وحين بلغ العقاد سن السبعين أوفدت مجلة الهلال إليه الأستاذ محمد حسن لإجراء حديث معه وقد تضمن هذا الحديث سؤالاً عن أحب الكتب إليه من مؤلفاته، فقال: ليس هناك كتاب واحد من كتبي أفضله على غيره، ولكن لا بأس أن أقول: إن كتاب ابن الرومي هو من أحب كتبي إلي؛ ذلك لأني ألفته في ظروف أتعبتني، والأب يفضل الابن الذي أتعبه. ولقد أتعبني ابن الرومي كثيراً، وأنا أعده مثالاً لأسلوبي الأدبي ومنهجي في نقد الشعر.. وإن

كنت لا أعتقد أنه أحسن كتبي»[1].

مع هذا العبقري نستكمل «رحلات الشمال والجنوب»

العقاد أديباً وناقداً

في هذا الفصل الأول من القسم الثاني من الكتاب يقدم المؤلف تحليلاً كاشفاً لرواية «سارة» وهي الرواية الوحيدة التي كتبها العقاد، فيقول ص٢٢٥:

«كتب العقاد سارة، وكان في مرحلة تحول قبل أن يكتب العبقريات والإسلاميات، وكان في مرحلة يسرف فيها في إظهار ثقافته الغربية، فهو يقرأ فلسفة شوبنهور، وشعر بيرون، ومعظم الرومانسيين الإنجليز، يظهر ذلك في تصويره إياها» راهبة تهم بالصلاة، أو ضحية من ضحايا الآلهة تساق إلى محراب القربان كأنه واحد من الرومانسيين الأوروبيين».

ويرى المؤلف في معرض تساؤله: هل كانت سارة محاولة لحوار حضاري؟

أن الغرب على مدى يزيد على قرنين ـ من قبل أن يكتب العقاد سارة يقيم مع الشرق علاقة تتسم بفرض السيطرة على الشرق، ولا نكاد نجد مفكراً أوروبيا يتفهم أن للشرقيين حضارة تخالف حضارته، أو يرى في حضارتنا نداً لحضارته، ومن هنا جاء رد فعل العقاد، موقفاً فكرياً، ولا سيما وهو يرى في نفسه، أنه ند لأي مفكر من كبار مفكريهم، ولكن لأنهم لا يعترفون بذلك، فقد آثر أن يقول ذلك في رواية سارة.


العقاد

وينتهي المؤلف بعد سرده لأهم الأفكار الواردة بالرواية إلى أن العقاد لم يستطع أن يضع اسمه برواية سارة بين أسماء الروائيين، لأنه بها لا يعد روائيا، والعقاد بعد كتابتها كان يقول: إن فن القصة لا يجيده الرجال، بل هو فن تجيده النساء ويعترض المؤلف على ذلك قائلاً: إن أعظم الروائيين في كل الثقافات واللغات من الرجال لا من النساء.

العقاد وقضايا الشعر والنقد

أما الفصل الثاني من هذا القسم فقد خصه المؤلف بالحديث عن شعر العقاد فيؤكد في ص٢٤٥ أن العقاد مجدداً بدأ يرهص بالتجديد في كتاب «حصاد اليومية» في سنة ١٩١٢ وفي مقدمات دواوينه الأولى، ثم في كتاب الديوان في سنة ١٩٢١ ثم في كتاب «شعراء مصر وبيئاتهم» كان العقاد قد كتب مقدمات في النقد في أول كتبه «خلاصة اليومية»، وفي مقدمات دواوينه الشعرية بدءاً من ديوان يقظة الصباح في سنة ١٩١٦، قال في «خلاصة اليومية»: «الشعر صناعة توليد العواطف بواسطة الكلام، ومهمة الشاعر هي في صنع الصورة الذهنية المتخيلة بأدواته الشعرية».

وفي ص٢٤٧ يقول: ونظرية النقد عند العقاد تعانق نظرية الأدب (الشعر) وتعتمد أولاً: على إرجاع الشعر إلى مصدره، الكامن في النفس، وهو أعمق من الحواس، وذلك هو شعر الطبع القوي، والحقيقة الجوهرية، وثانياً: فإن التحليل النفسي هو عماد النقد، وقد غلب الميل إلى التفسير النفسي للأديب المبدع في كتاب ابن الرومي الذي كتبه العقاد في سنة ١٩٣١ وظل هذا المنهج غالباً على العقاد، لأنه اقترن عنده بالحرية الفردية، وبأن الإنسان الفرد المتميز، هو الذي يحكم له بالتفوق والتميز في نفسه.

وقد ناقش المؤلف العديد من القضايا الأدبية في هذا الفصل فتناول: الذوق، والخيال، والفرق بين الخيال والوهم، والخيال والوحدة العضوية للقصيدة، وأثر البيئة في نتاج الشاعر.

ويظهر المؤلف عشق العقاد للشعر حيث يرتفع بالشعر إلى الغاية القصوى في الهداية حين سجّل في بدايات هذا الفصل قول العقاد:

«وأنت تهدي الطبقة المتأدبة من أمة إلى القياس الصحيح في تقدير الشعر، فقد هديتهم إلى القياس الصحيح في كل شيء، ومنحتهم مالا يزيد مانح عليه».

العقاد يطبق مقولاته النقدية على شعر شوقي

أما في الفصل الثالث فإن المؤلف يعرض بعض أقوال العقاد على شاكلة:

- إن كل القصائد العربية كانت مفككة الأعضاء.

وقوله: «ثم نشأت الصناعة في الشعر، فيمن بعد هؤلاء، ومن عادة الصانع أن يحتاج إلى النموذج، والأستاذ، فأقاموا المتقدمين أساتذة، واتخذوا طرائقهم نماذج لا يبدلون فيها، فاختلط المصنوع بالمطبوع، وفسدت السلائق، وجمدت القرائح، وقل الابتكار أو انعدم، وكثر المقلدون الجامدون، الذين يعكفون على القديم تقليداً غير مطبوع، وعلى رأسهم أحمد شوقي..».


احمد شوقي

- وقوله: وما شوقي إلا شاعر يعكف على القديم، وتشوب نفسه الصنعة المتكلفة، ويعتري شعره أربعة عيوب هي: التفكك والإحالة والتقليد، والولوع بالأعراض دون الجواهر، وهذه العيوب هي التي صيرت شعره أبعد عن الشعر الحقيقي الرفيع المترجم عن النفس الإنسانية في أصدق علاقاتها بالطبيعة، والحياة والخلود».

شوقي والعقاد شاعران في كفتي ميزان محايد

ينهي المؤلف هذا القسم الثاني من الكتاب بموازنة بين شوقي والعقاد يخصص لها الفصل الرابع والأخير من هذا القسم حيث يذهب فيه إلى أن العقاد كان يهدف إلى هدم شعر شوقي في المقام الأول ونقضه لا نقده، ويبرهن على فكره هنا ص٣٠٨ بقوله: الأستاذ العقاد لم يعنه أن ينظر في خصائص شعر شوقي، بقدر ما عناه نقض شعره، وهدمه فحكم عليه بأنه مجرد شاعر يجيد صنعة النظم دون أن يلتفت لدواخل نفسه، فلا يكاد القارئ يتعرف على وجوده النفسي من خلال شعره، ومن هنا عاب العقاد على شوقي أن يكون أغلب شعره من خارج نفسه، لأنه لم يكن له تجارب نفسية يعبر عنها، وكان العقاد يرى أن الشاعر

١ـ عباس العقاد في سن السبعين ـ مجلة الهلال ـ العدد التاسع ١٩٥٨م.

المستحق لأن يكون شاعراً حقيقياً، هو الذى يُرى القارىء ويُسمع السامع معاناته النفسية شعراً، ويريه تجربته الشعورية، فيحس من خلال شعره معاناته النفسية.. ويذهب المؤلف إلى أن الشاعر الحقيق بأن يكون شاعراً عظيماً هو الذى يقدر على الإبداع فى كل الحالات وليس فى الحالة النفسية فقط.

ويؤيد كلامه برأى للدكتور عز الدين إسماعيل الذى يقول:

«إن الشعراء ليسوا فى كل العصور على مسلك واحد فبعضهم يتحرك داخل نفسه، فيتكىء على معاناته الخاصة، فتكون موضوعاته الشعرية نابعة من نفسه منبثقة من تجربته الخاصة، ومن واقعه النفسى الخاص، ومنهم من يتجاوز إطار نفسه، ليكون ممثلاً لجماعته أو قومه، أو قبيلته أو عشيرته فى مرحلة ما يكون المؤثر الاجتماعى هو أقوى المؤثرات وقد يكون المؤثر، السياسى أو الحربى.

والشاعر على قدر موهبته الإبداعية يعبّر عن هذه الظواهر ويقدم تفسيره لها فى مجتمعه شعراً».

ولم يشأ المؤلف أن يترك هذا القسم حتى ذيَّله بعدد من القواعد المعينة فى نقد الشعر وكأنه يعطى القارىء القياس الذى يستكمل به الموازنة بين الشاعرين الكبيرين.

التراجم والسير

أما القسم الثالث (والأخير) فقد ضمَّ ثلاثة فصول، الأول «التراجم والسير»، والثانى «عبقرية محمد»، والثالث «العقاد مفكراً إسلامياً».

أشار المؤلف ص٣٦٣ من الفصل الأول إلى أن الأستاذ عباس محمود العقاد «كان مولعاً بالشخصيات الفذة مفتوناً بها، وكان العقاد يعد نفسه شخصية فذة، فأخذ يكتب عن العباقرة لافتتانه بهم من جهة، وليؤكد لنفسه أنه جدير بأن يكون واحداً منهم من جهة أخرى».



توماس كارليل

وقدم المؤلف مقارنة بين العقاد وكارليل صاحب كتاب «محمد فى كتاب الأبطال» وقد تناول المؤلف فى هذا الفصل معيار البطولة الذى طبقه كارليل فى كتابه.. ثم الفرق بين كارليل والعقاد.

حيث ذهب إلى أن العقاد لم يكتب «عبقرية محمد - ﷺ - من وجهة أنه نبى الإسلام، وخاتم الأنبياء والمرسلين، بل من وجهة عقلية تمجد العبقرية فى الفرد الذى لا يشاركه الآخرون فى ملكاته الفردية» ويدلل على هذا الرأى بما نقله عن الأستاذ أنيس منصور ص٣٧٤ حيث قال: إن الذين كتبوا عن محمد - ﷺ - مثل: محمد حسين هيكل وطه حسين، والعقاد، وتوفيق الحكيم، كتبوا من وجهة نظر عقلية لا إسلامية».

عبقرية محمد

يستهل المؤلف هذا الفصل الثانى «عبقرية محمد» بأسباب تأليف هذا الكتاب حين يورد رد الأستاذ العقاد على تساؤلات إخوانه:

ما بالك لا تضع لقراء العربية كتاباً عن محمد (صلى الله عليه وسلم) على النمط الحديث؟ فقال العقاد: أفعل وأرجو أن يتم ذلك فى وقت قريب.

وقد عرض المؤلف فصول الكتاب فأوضح أن العقاد أثبت فصولاً هى: عبقرية محمد الداعى، وعبقرية محمد العسكرية، وعبقريته السياسية، وعبقريته الإدارية، وعبقرية محمد البليغ، والصديق، والرئيس، والزوج، والأب، والسيد، والعابد، والرجل، وأخيراً محمد فى التاريخ.

فأما عبقرية محمد الداعى، فتتجلى فى فصاحته وهيئة النطق بالكلام، ولموضوع الكلام وفى الثقة بالنفس، وثقة الناس فيه، وقدرته على هداية السامعين.

أما عبقريته العسكرية فقد استبانت فى أنه لم يحارب بالسيف فكرة يمكن أن تحارب بالإقناع والبرهان.

وعن عبقريته السياسية، فيرى العقاد أن ما فعله (صلى الله عليه وسلم) يوم الحديبية هو غاية العبقرية السياسية، ويقول ص٣٨٢:

كما تظهر عبقرية محمد (صلى الله عليه وسلم) السياسية يوم بدأ بالدعوة إلى الحج، فلم يحصره فى السنة الأولى على المسلمين فقط، بل سمح لكل من أراد أن يقصد البيت الحرام من جميع القبائل العربية الذين يسعون إلى الكعبة تعظيماً، وهم فى الوقت نفسه يقصدون مكة للتجارة وطلب الرزق، فجعل له وللعرب قاطبة قضية واحدة فى وجه قريش، فأفسد على قريش ما تعمدوه من تأليب العرب على الرسالة والرسول.

وعن العبقرية الإدارية يقول المؤلف: إن العقاد لم يرد سرد أحكام فقه، ووصايا الدين، ولكنه كما قال: إنما نريد أن نعرض لأعماله ووصاياه، من حيث هى ملكات شخصية وسلائق نفسية، كما نعنى بالملكة الإدارية من حيث هى أساس فى التفكير يقام عليها بناء الإدارة كلها.

وبعد أن عرض لكل النقاط التى أوجزها بالشرح والنقد قال: «هكذا كتب العقاد عبقرية محمد فى جوانبها الإنسانية البحتة، على طريقة «توماس كارليل» ليؤكد أن عبقريته (عبقرية العقاد) فيه تفوق عبقرية «كارليل» فى كتاب الأبطال فى فصل البطل فى صورة نبى الإسلام، وفى الحقيقة فإن ما كتبه العقاد يفوق ما كتبه «كارليل» إذا كان لابد من الموازنة، وقد أعان العقاد معرفته بسيرة النبى (صلى الله عليه وسلم) فى كل أحواله، وهو ما لم يتيسر لكارليل بحكم افتقار ثقافته الإنجليزية إليها.

ويقول المؤلف ص٣٩١: «لقد جعل العقاد محمداً (صلى الله عليه وسلم) إنساناً يعمل بمواهب إنسانية وملكات شخصية فائقة كما يفعل «كارليل» فى كتاب «الأبطال وعبادة البطولة» الذى عده بطلاً فذاً، وأنكر عليه الوحى وهو لا يعلم أن تجريده من الوحى الذى ينزل عليه قرآناً، تجريداً من رسالة الإسلام نفسها.

والحمدلله أن العقاد لم يحذُ حذوه فى ذلك فلم يعزل النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) عن وحى السماء.

هكذا سار المؤلف مع آخرين رأوا أن العقاد جانبه الصواب حين عرض حياة النبى (صلى الله عليه وسلم) كإنسان عبقرى دون التركيز على جانب النبوة، غير أن الأستاذ العقاد لم يعدم من ينصفه من أساتذة كبار مثل الدكتور محمد رجب البيومى الذى قال: «ظهرت مؤلفات قيمة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين، بدأ بها المغفور له الأستاذ محمد أحمد جاد المولى، وتلاه الدكتور هيكل، والدكتور طه حسين، والأستاذ توفيق الحكيم، والأستاذ محمد فريد وجدى، وغيرهم من

كبار المفكرين والأدباء، ولكن هذه المؤلفات وما لحقها بعد ظهور (عبقرية محمد) لن تغني عما كتبه الأستاذ العقاد في شيء، لأن العقاد لم يكتب السيرة النبوية على نهجها المعهود، وإنما كتب سيرة رسول الله بالحق الذي يثبت له الحب في قلب كل إنسان وليس في قلب المسلم وكفى -كما قال في مقدمة الكتاب- وبالقياس الذي يفهمه المعاصرون، ويتساوى في إقراره المسلمون وغير المسلمين، ليقيم البرهان على أن محمدا عظيم في كل ميزان عظيم في ميزان الدين، وعظيم في ميزان العلم، وعظيم في ميزان الشعور وعظيم عند من يختلفون في العقائد، ولا يسعهم أن يختلفوا في الطبائع الآدمية.

وهذا المنحى الذي قصده العقاد واضح لا لبس فيه، ولكن نفرا ممن يسوءهم أن يظهر كتاب عن نبي الإسلام بهذه الجهارة الساطعة، عز عليهم أن يسبق العقاد في مجال ركض فيه الفحول فجاء سابقا غير لاحق.

وفي الكاتبين أنفسهم من عز عليهم أن يسبقه العقاد في مجال السيرة النبوية، وتاريخ الخلافة الراشدة، فقال أنه لم يفهم ما كتب العقاد! قال ذلك بعد أن لقي العقاد ربه، وأصبح حديثا يروى لا أسدا يزأر.(٢)

العقاد مفكراً إسلامياً

ونصل إلى الفصل الثالث والأخير في هذا القسم الثالث الذي ينهي المؤلف به كتابه عن هذا العملاق الكبير، وبعد أن تناول العديد من جوانب حياته، ورصد الكثير من الدقائق وصلت حتى مجلة الحائط التي أصدرها العقاد يوم أن كان بالمدرسة الابتدائية، ولكنه أمام العقاد «مفكرا إسلاميا» وجد نفسه أمام كم هائل من الكتب لم يفت عليه أن يثبته في نهاية كتابه فقال ص٤٠٢ :


رجب البيومي

وكما قلنا في فصل: التراجم والسير: إننا لن نقدر على الكتابة في كل ما كتبه العقاد في هذا الموضوع أو ذاك في التراجم والسير، فإننا ههنا نقول: إننا لن نقدر على الكتابة في كل ما كتبه الأستاذ عباس محمود العقاد في كتاباته الإسلامية، وسنكتفي بذكر أمثلة منها على الوجه التالي في كتب:

١- الإسلام في القرن العشرين، والديمقراطية في الإسلام.

٢- كتاب «الله» - وكتاب «إبليس».

٣- المرأة في القرآن، والإنسان في القرآن.

٤- حقائق الإسلام وأباطيل خصومه- وما يقال عن الإسلام.

٥- التفكير فريضة إسلامية (أو فريضة دينية)، والفلسفة القرآنية.

والأستاذ العقاد في هذه الكتب إما مظهر لعظمة الإسلام، أو مدافع عنه ضد خصومه من المستشرقين والمبشرين.

(٢) د. محمد رجب البيومي: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ص٢٠٦

على أن هذا التصنيف ليس تصنيفا نهائيا، أو حتميا تلزمه ضرورة، لأن من حق كل دارس أن ينظر برؤيته، لا بعيون الآخرين، ثم يعبر عن رؤيته بعد التحليل والتدقيق، وليس عن رؤية الآخرين، وبذلك يظل ميدان البحث مفتوحا لكل مجتهد، ولكل مجتهد باجتهاده نصيب من التوفيق، أو من الإخفاق إلى أن يصل الكل بكل اجتهاداتهم إلى الحقيقة.

وهذه بعض مقتطفات مما ساقه المؤلف عن هذه الكتب:

● كتب العقاد «الإسلام في القرن العشرين» مهتما بالتاريخ في عرض أطوار الكتاب، وبدأ بالكلام عن وضع المسلمين في القرن التاسع عشر، واصفا الانحلال الذي أصاب الأمة الإسلامية، أو العالم الإسلامي، وأرجع أسبابه إلى حروب التتار والصليبيين التي أنهكت قوته، وعطلت تقدمه، وهذه الأسباب ليست صحيحة دائما، فقد يكون الانتصار سببا في تقدم المنتصر، كما تكون الهزيمة سببا في تقدم المهزوم، ووقائع التاريخ التي تؤكد ذلك كثيرة.

● أما عن كتاب «الديمقراطية في الإسلام» فقال:

أراد الأستاذ العقاد أن يقول إن الحكم في الإسلام، هو أعظم أنواع الديمقراطية، والعقاد متابع لأقوال بعض المستشرقين الذين كان مالك بن نبي المفكر الجزائري المعروف يحذر منهم، ويرى كتاباتهم أدوات تخدير للمسلمين، ويرى أنهم أخطر على الإسلام والمسلمين من هؤلاء المستشرقين الذين يجاهرون ببغض الإسلام والمسلمين، لأن المسلمين يحذرون هؤلاء، أما الذين يضفون على الإسلام صفات التعظيم فخطرهم كامن في إعجاب المسلمين بهم، وبالاعتقاد بأنه ما دام الإسلام قد حقق أعظم حضارة، وأعظم منجزات العلوم والآداب والتقدم المدني في الماضي كما بين هؤلاء، فإن ذلك يكفي المسلمين المعاصرين فخرا بإسلامهم، ثم بعد ذلك يركنون إلى الدعة فلا يفكرون في نهضة إسلامية حاضرة أو في المستقبل، عرض مالك بن نبي رأيه هذا في كتاب «نتاج المستشرقين» وأثره على الفكر الإسلامي.


مالك بن نبي

● وعن كتاب الشيوعية والإسلام يقول ص٤١٠:

والعقاد في كتاب «الشيوعية والإنسانية» يفند طبيعة المذهب وبواعثه، وفشله في أن يحقق غاية حسنة في حقوق الأفراد الذين يطبق فيهم، فضلا عن أنه يضاد الدين والأخلاق والآداب والفنون وكل المعارف والعلوم. وفي فصل الإسلام والشيوعية وازن بين ما يحض عليه الإسلام ومقولة فاسدة قالها ماركس «الدين مخدر الشعوب» يروضها على الفقر والسكنة، وبين ما يحض عليه الإسلام المسلم من العمل للدنيا والآخرة جميعا، ويطالبه بألا تنسيه الآخرة طلب نعيم الدنيا وتركه لتستأثر به طبقة ما في المجتمع، كما بين أن الإسلام يساوي بين جميع الشعوب قال تعالى:

﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾

«الحجرات: ١٣»

إن هذه التبعية التى ألزم بها الإسلام المسلم لا يدين بها ضمير يتعاطى من الدين خدرا يذهله عما حوله وينسيه ما هو حق له، وما هو واجب عليه.

● وعن كتاب «الله» يقول ص ٤١١

عندما كتب العقاد هذا الكتاب كان متأثرا بقراءاته فى الفكر الغربى وظلت نظرية التطور «الداروين» ونظرية الأطوار الثلاثة «لأوجست كونت» تطاردانه. فقد رأى هذا الأخير أن تفكير الإنسان -عبر التاريخ- مر بمراحل هى: الأسطورية التى خضع فيها فكر الإنسان للأساطير الخرافية، ثم انتقل الإنسان إلى الطور الثانى وتمثله المرحلة الميتافيزيقية (فيما وراء الطبيعة) وفيها تمثل الدين، ثم جاء الطور الثالث والأخير الذى فيه يحيا الإنسان مرحلة العلم المادى.

وحاول العقاد أن يدلل فى كتبه الأخيرة على أن الإسلام هو جوهر هذه المرحلة الأخيرة المادية، وأن الإنسان المسلم هو إنسان القرن العشرين، وفى الكتاب يتنقل العقاد بين المذاهب التاريخية والاجتماعية والدينية، والمادية لعله يجد ضالته، ليؤكد صحة رؤيته فى أن المسلم هو إنسان القرن العشرين.

كتاب التفكير فريضة إسلامية

● يقول المؤلف ص٤٢٨:

والعقاد فى كتاب التفكير فريضة إسلامية لم يقدم دفاعًا عن الإسلام ضد هجوم عليه من قبل خصومه، ولكنه يقدم الصورة التى يجب أن يكون عليها المسلم من حب التعلم والتفكير والعمل، وهو كتاب قريب فى موضوعاته من كتاب العقاد مثل «الفلسفة القرآنية» وهى كتب تتضمن موضوعات وثيقة الصلة بالعقل، وبالتعويل عليه، سواء فى مسائل الاعتقاد، أو فى أمر العمل، ووثيقة الصلة بالتكاليف فى كل ما يتسع له المذهب الإنسانى، لأن العقل هو الذى يقوم الإدراك والفهم والوعى، ويوصل إلى تدبير الأمر كما يوصل إلى الإيمان والعمل بحرية تامة وإرادة قوية. فبالعقل يجد الإنسان المسلم الوسيلة الصحيحة إلى الإيمان الصحيح، وما يتبعه من تبعات لصلاح الدين والدنيا، وبكل ما يناط بالإنسان، وهو يتشىء علاقاته بالكون، وبكل مخلوقاته!

وبعـــد

فإن العقاد قمة من قمم الأدب، وإن ما كتبه العقاد سيظل زادًا للأجيال، وقد كتب العقاد الكثير من هذه المؤلفات يخاطب فيها العقل، بل يخاطب هذا العقل الذى تشبع بأباطيل الغرب، وأراد أن يقدم لصاحب هذا العقل اللجوج البراهين البعيدة عن النصوص الدينية التى يقتنع بها وتشفى غلته، ومن منطلق أن الإسلام رسالة عالمية كان لابد لكاتب كبير كالعقاد أن ينبرى للرد ويتحمل أعباء البحث عن دلائل قاطعة هادئة مقنعة لهذا العقل اللجوج.

ولقد أنصف المؤلفُ العقاد ونال منه فى آن واحد، أنصفه حين أفرد القسم الأول- الذى تقارب صفحاته نصف الكتاب- للكلام عن عبقريته المتعددة.

وأنصفه حين أثبت أن العقاد بلغ فى فن كتابة السير شأوًا عظيما، وأنه رائد الكتابات التى تبين فضل الإسلام على الإنسانية فى كل النظم السياسية والإدارية والحكمية.

وأنصفه حين قدم للقارىء هذه الصورة المبهرة لهذا الأديب العملاق، وحين أفرد لأعمال العقاد خمس صفحات كاملة أورد فيها ما كتبه شعرًا ونثرا، مشفوعًا بتاريخ الطبع، مرتبا ترتيبا زمنيا منذ ١٩١٦م حتى ١٩٦٤م.

ونال منه حين تناوله بالنقد اللاذع ص٧٨ حين قال: «وكان خصوم العقاد الذين فجر فى خصامهم كثر»، وفى «من خاصم فجر» دلالة دينية نربأ بالمؤلف أن يكون عمد إليها.

ولكن آخر كلماته فى هذا الكتاب تشير إلى أن طبائع العباقرة تختلف عن طبائع عامة البشر، إذ يقول ص٤٤٤: «رحم الله العقاد وغفر له، لقد كان عبقريا فذًا مبدعًا كما كان كثير التناقضات، مقلقًا لنفسه ولغيره شأنه شأن كل العباقرة الأفذاذ».

هذا وقد أوقع المؤلف القارىء فى منطقة الضباب مرتين.. الأولى ص٤٢ حين قال:

«..... وأحمد الأزهرى صاحب مجلة الأزهر» وفات المؤلف أن يشير إلى أن مجلة الأزهر هذه إنما كانت واحدة من المجلات الخاصة التى يمتلكها أفراد، وأن صدورها سابق لمجلة الأزهر التى أصدرها مجمع البحوث الإسلامية فى عام ١٩٣١م، حتى لا يلتبس على القارىء هذا الأمر، وبخاصة أن هناك من يظن أن الأزهر قد أسند رئاسة تحرير المجلة للسيد/ وليم كوكس الذى كان رئيسًا لتحرير مجلة تحمل نفس الاسم «الأزهر» قبل أن يصدر الأزهر مجلته، ونادى باستعمال العامية وهجر الفصحى.

والأخرى حين قال ص١٦٦:

«... فلما أرسل الرافعى رده إلى الصحيفة نفسها وكان العقاد يشرف عليها حجب الرد عن النشر أو حذف منه ما يسوءه».

وكان على المؤلف أن يثبت أحد الأمرين فقط، أو يشير إلى تكرار الحدث فيكون العقاد حجب الرد (مرة) وحذف منه ما يسوءه (فى الأخرى).

ثم أما بعد:

فالكتاب ممتع بحق، زاخر بالمعلومات ولعله يكون أحب الكتب إلى المؤلف على شاكلة ما قال العقاد عن كتاب «ابن الرومى».

ويبقى أن ننهى هذه القراءة فى رحلات الشمال والجنوب بنشيد موته وفاء لوصيته حين دفن بأسوان:

إذا شيعونى يوم تقضى منيتى
وقالوا أراح الله هذا المعذبا
فلا تحملونى صامتين إلى الثرى
فإنى أخاف اللحد أن يتهيبا
وغنوا فإن الموت كأس شهية
وما زال يحلو أن يغنى ويشربا
وما للنعش إلا المهد مهد بنى الردى
فلا تحزنوا فيه الوليد المغيبا
ولا تذكرونى بالبكاء وإنما
أعيدوا على سمعى القصيد فأطربا

رحم الله العقاد ذلك العبقرى الملهم وجزى الله مؤلف هذا الكتاب خيرًا على ما قدم من جهد.

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم
أحمد السيد تقي الدين

الخشــــوع لـلــــه

وأخيراً حل الشهر العظيم.. شهر الرحمة والمغفرة والعتق من النار، شهر نفرح جميعاً بمقدمه ويهنيء بعضنا بعضا بحلوله.. وينبرى خطباء المساجد يتحدثون عن فضله وعظمته وانتصارات المسلمين الكبرى فيه من ذكرى بدر إلى ذكرى العاشر من رمضان.

شهر تمتلىء فيه المساجد بالمصلين من الفجر إلى العشاء إلى التراويح، وتمتد موائد الرحمن تدعو الصائمين للفطر عقب أذان المغرب.. مسحة إيمانية تكسو عالمنا الإسلامى فى محاولة للتقرب إلى الله عزوجل عساه يغفر لنا ما اقترفناه من ذنوب وآثام.

وكم من رمضان مر علينا امتلأت فيه المساجد بالمصلين وامتدت موائد الرحمن تدعوا الصائمين وارتفعت أصوات القراء بآيات الذكر الحكيم.

إن عدة الشهور عند الله اثنى عشر شهراً، ولكل منها فضله، ولكل منها عظمته ولكن رمضان يفضلها جميعا بليلة القدر التى هى خير من ألف شهر.

ولكن هل نحن مسلمون حقا نتقى الله حق تقاته نأمر بالمعروف ونفعله وننهى عن المنكر ولا نقربه؟

صحافتنا وما حوته من أخبار حزينة ومسيئة فى السياسة، والفن، والجريمة تؤكد أننا لسنا كذلك.. وحياتنا اليومية تؤكد أننا لسنا كذلك.

إذا أردنا أن نكون مسلمين حقا فلنتدبر آى الذكر الحكيم ولا نكتفى فقط بقراءته.. القراءة سهلة ميسورة لكل ذى عينين ولكن تدبر الذكر الحكيم وتأمل معانيه الجليلة هى فقط التى تنير البصيرة، لأن من تدبر وتأمل سيخشع لله، كذلك الصلاة ليست مجرد حركات نؤديها وآيات نتمتم بها، ولكنها وقفة بين يدى الله العلى القدير.. المرء منا يقف أمام رئيسه يرتجف إذا شعر أنه ارتكب خطأ ما فما هو الحال عندما نقف أمام خالق الكون خمس مرات كل يوم.. هل حقا نجل الله حق جلاله ونخشاه ونخشع له؟ من يخشع لله لا يسرق ولا يكذب، ولا يكره ولا يحقد ولا يقاطع أخيه ولا ينبذ ابنه أو أبيه من أجل خلافات تافهة!! نتبارى فى أداء مظاهر العبادات من صوم وصلاة وزكاة وحج ولكن دائما ينقصنا الخشوع فى العبادة الذى هو جوهرها.

ولو خشعنا لله فى العبادة سنعيد سيرة الأولين الذين صنعوا بعبادتهم لله حق العبادة وخشعوا له وأمروا بالمعروف وفعلوه ونهوا عن المنكر واجتنبوه.. فهل نحن فاعلون.

أحمد تقى الدين

ليلة القدر الأولى فى غار حراء

تحت هذا العنوان جاءت كلمة الدكتور/ أحمد مصطفى شريف - استشارى طب الأطفال بالإسكندرية:

بفضل الله تعالى أجاب لنا الصحابة -رضى الله عنهم- عن هذا السؤال: متى بدأ نزول القرآن على رسولنا -ﷺ-؟.. فحديث واثلة بن الأسقع -رضى الله عنه- الذى يذكر فيه وقت نزول الكتب السماوية قال: قال رسول الله -ﷺ-: «وأنزل الفرقان لأربع وعشرين خلت من رمضان»، وهذا الحديث أخرجه أحمد والطبرانى والطبرى والبيهقى فى شعب الإيمان وهو فى صحيح الجامع للألبانى، وكان الصحابى أبو ذر الغفارى -رضى الله عنه- أكثر دقة حين قال: «وأنزل الفرقان على محمد -ﷺ- فى الرابعة والعشرين من شهر رمضان لست بقين بعدها»، وقد ذكر ذلك الإمام البغوى فى تفسيره معالم التنزيل (تفسير الآية ١٨٥ من سورة البقرة)، وهكذا حدد لنا الصحابة -رضى الله عنهم- بدقة متناهية موعد ليلة القدر الأولى فى غار حراء بجبل النور عندما بدأ نزول القرآن الكريم بسورة اقرأ.

وبتوفيق من الله تعالى عثرت على برامج لتحويل التاريخ الميلادى للهجرى وبالعكس، وفيها إمكانية معرفة الشهور القمرية ما قبل الهجرة (معرفة مولد الرسول وبعثته -ﷺ- بالميلادى) فعرفت منها أن شهر رمضان سنة ١٣ قبل الهجرة بدأ الإثنين الموافق ٢٧/٧/٦١٠م، ثم بدأ شهر شوال يوم الأربعاء ٢٦/٨/٦١٠ ميلادية أى أن رمضان كان بالفعل ٣٠ يوما، وكانت ليلة القدر الأولى ليلة الأربعاء ٢٤ من رمضان، فبدأت من بعد غروب شمس نهار الثلاثاء الموافق ١٨/٨/٦١٠ ميلادية، وهذا هو وقت بدء نزول القرآن الكريم بكل دقة.

وعندما بحثت خلال ٣٦ سنة ماضية عن البدايات الفعلية لشهور: المحرم، ورمضان، وشوال، وذى الحجة، فى الجرائد والصحف القديمة وجدت هذا الإعجاز الإلهى المتمثل فى وجود دورة منتظمة ومتكررة كل ٨ سنوات لبدايات الشهور القمرية، ومعنى البداية الفعلية للشهر أى بعد تأكد دار الإفتاء المصرية من رؤية الهلال.

فكما بدأ شهر نزول القرآن يوم الإثنين وكانت ليلة القدر فيه ليلة ٢٤، فإن ذلك يتكرر كل ٨ سنوات ومثال ذلك: بدأ شهر رمضان سنة ١٣٩٧هـ يوم الإثنين ١٥/٨/١٩٧٧م ثم بعد ٨ سنوات بدأ شهر رمضان سنة ١٤٠٥هـ يوم الإثنين ٢٠/٥/١٩٨٥م ثم بعد ٨ سنوات بدأ شهر رمضان سنة ١٤١٣هـ يوم الإثنين ٢٢/٢/١٩٩٣م ثم بعد ٨ سنوات بدأ شهر رمضان سنة ١٤٢٩هـ الإثنين ١/٩/٢٠٠٨م والإعجاز يتمثل فى أن شهر رمضان لم يبدأ أبدا فى يوم الإثنين خلال ٣٦ سنة ماضية إلا فى هذه السنوات التى

ذكرتها، وبالتالي سيبدأ بإذن الله شهر رمضان عام ١٤٣٧هـ يوم الإثنين أيضاً ٦/٦/٢٠١٦م.

والإعجاز الآخر عندما يبدأ شهر رمضان يوم الإثنين فإنه يكون ٣٠ يوماً كشهر نزول القرآن، كما في حديث أبي ذر الغفاري، وبالفعل كان شهر رمضان لسنة ١٤٢٩هـ ٣٠ يوماً.

وقد شجعني ذلك على عمل جداول لبدايات الأعوام الهجرية، وبدايات شهور رمضان، وبدايات أعياد الفطر والأضحى حتى عام ١٥٠٠هـ وما يقابلها بالتقويم الجريجورى (٢٠٧٦م)، وبعض هذه الجداول مع عدد أربع صور التقطها بعض المسلمين لعلامات ليلة القدر بموقعي على الانترنت www.Laylatalqadr24.com ويمكن معرفة وتنزيل برامج لتحويل التاريخ الميلادى للهجرى وبالعكس من موقعي السابق لمن يرغب.

والعجيب أن الشمس تتغير ويصبح شكلها كالقمر ليلة البدر بلا شعاع تبعاً للتقويم القمرى في الصباح التالي لليلة القدر ولا يحدث التغيير في شكل الشمس في شهور السنة الشمسية.

رمضان شهر التنافس

ومن الأستاذ/ محمد توفيق محمود عمر- الإسكندرية- كانت هذه الكلمات:

كلما اقترب شهر رمضان المبارك، ودخلت علينا أجواء الإيمان، لامست مشاعرنا نفحات ربيعه وطاف حولنا شذى عبيره، والمؤمنون على أتم استعداد لمنهجية قطع الأشواط الثلاثين.. متوجهين جميعاً إلى غاية واضحة سامية، وإذا بالأذان لصلاة الفجر في اليوم الأول يقرع القلوب قبل الأسماع وتبدأ ساعة الانطلاق فهنا يشتعل التنافس في الصلاة وتتقرب القلوب بالتراويح والتهجد والقرآن والأذكار والدعاء والصدقة والاعتكاف وصلة الأرحام وإصلاح ذات البين والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وتتهافت القلوب والأرواح بكل جدية وعزم وتصميم في عميق ضمائرهم وبلا تذبذب مرددين الفوز!! الفوز!!

أن رمضان مليء بخصال الخير وفيوضات الله بما لا يحصى، فمن كانت نيته فيه محكمة وقصده صحيحاً ثقل ميزانه بالحسنات وارتقى في سلم الدرجات وكان من المقبولين الحائزين على سلعة الله الغالية قال تعالى:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾

(الشمس ٧-١٠)

لقد دأب المؤمنون الفطنون على اكتشاف خطوط التنافس الشريف والاجتهاد في تحرير عقولهم وهممهم من الجمود والوقوف، والعمل على تحسين قدراتهم لحصد أكبر قدر ممكن من الصالحات الباقيات.. ويالها من سعادة وفرحة حيث ينتهي شهر رمضان الكريم ونجد أنفسنا قد تغيرنا وكسبنا وجددنا وحاسبنا أنفسنا وراقبنا ربنا وعقدنا صفقة رابحة مع الله معاهدينه على الاستمرار في الطاعة والعبادة

﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

(التوبة ١١١)

شهر المؤمن القوى

وتحت هذا العنوان جاءت مساهمة الشيخ/ مصطفى الأزهرى - إمام وخطيب مسجد سوق الحمام بالسيدة عائشة- القاهرة:

يحتاج المسلم في سعيه إلى الله - تعالى - والدار الآخرة إلى عون من الله واستعانة بمولاه الذى كلفه بتكاليف هى في وسعه وعلى قدر طاقته، ومع ذلك شرع له في بداية اللقاء به -عز وجل- أن يقول في الفاتحة:

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾

ثم يصف له وسائل الاستعانة بقوله -جل وعلا-:

﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ۝ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾

(البقرة: ٤٥، ٤٦)

ومن ثم لم يكن عجيباً أن يعلمنا رسولنا العظيم ﷺ أن نقول بعد كل صلاة: «اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك».

لماذا الصوم؟! سؤال ينبغى للمسلم المكلف بصيام شهر رمضان المعظم أن يسأله لنفسه كل يوم، وسوف يجد إجابته حاضرة تنطق بها الروح النقية والقلب النير والوجه المضيء والسلوك الطيب والخشوع في الصلاة، وسرعة البذل والعطاء، والإحساس الدافيء بالفقراء والمساكين وذوى الحاجة. ذلك لأن صوم رمضان بالذات يفجر في نفس المؤمن ينابيع الخير والرضا عن النفس والشعور القوى بحقيقة الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، والارتباط الشديد بهذا الدين الحنيف.

وإذا كانت الصلوات الخمس بأوقاتها المخصوصة تعلم المسلم قيمة الوقت من خلال توزيعها شرعاً على الليل والنهار وكما قال ربنا -عز وجل-:

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾

(النساء: ١٠٣)

وكذلك كانت المبادرة إلى أدائها في أول أوقاتها هى من أحب الأعمال إلى الله تعالى. كما أخبر بذلك رسولنا الكريم ﷺ يقول: «أحب الأعمال على الله الصلاة على وقتها...»، ومع ذلك يتفاوت أداء الناس في المبادرة إليها ما بين الأداء الأول إلى تأخيرها إلى آخر وقتها، ولا حول ولا قوة إلا بالله... لكن الشأن يختلف في صوم رمضان تماماً لأن أداء فريضة الصوم يبدأ بنية الإمساك عن المباحات من الفجر إلى المغرب. كما قال تعالى:

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾

(البقرة: ١٨٧)

فضبط المسلم لنفسه على مواقيت بداية الإمساك إلى وقت الإفطار يدربه أعظم تدريب على ممارسة «عبودية الوقت» في أجمل وأروع وأحكم صورها.

ويحرص الإسلام بتشريعاته وتوجيهاته، ومن خلال أوامره ونواهيه ومنظومته الأخلاقية والتربوية الفريدة، يحرص على تكوين الشخصية المؤمنة بحيث تتوازى فيها عوامل الثبات والربط

بين الدنيا والآخرة.. ومن ثم كانت فريضة الصيام من أهم الوسائل التي تتكون من خلالها الشخصية المسلمة (القوية)، فرمضان شهر الصبر، والصبر على تغير مواعيد الأكل والشرب وهما من العادات اليومية القوية، هذا الصبر وبهذه الصورة (الرمضانية) مع بقية الضوابط الأخلاقية التي يشترطها الشرع لكي يصبح الصوم صحيحا ومقبولاً يكون في نهاية المطاف، شخصية قوية كابحة لجماح الشهوات في المباح، ليكون المسلم بعد ذلك أشد إحكامًا فيما دون رمضان، ولذا فإن قوة الإيمان تجعل المسلم قويا في كل شيء، فينال بذلك أعظم الجزاء وهو محبة الله رب العالمين، قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف وفي كل خير».

وهكذا يفعل شهر رمضان بأهله الطيبين، فاللهم تقبله منا صياما وقياما واكتبنا فيه من عتقائك من النار.

ظواهر اجتماعية ممقوتة

تحت هذا العنوان جاءت مشاركة الأستاذ/ محمد عباس محمد عرابي:

دين الإسلام أساسه حسن معاملة الغير فالدين المعاملة، وهو دين يحث على التعاون وحسن الخلق، ويبين أن خير الناس أنفعهم للناس، دين المساواة فيه مبدأ، والتفاضل بما يستوجبه، دين يدعو إلى التآزر، والتكافل الاجتماعي وصلة الرحم وحسن معاملة الجار وصيانة أعراض الناس، وترك ما لا يعني المرء، وينهى عن الغيبة والنميمة والتكبر، والتعالي على الآخرين وبالرغم من ذلك فإن المتابع لأحوال وسلوكيات كثير من الناس ليعجب أشد العجب فمعظم سلوكياتهم بعيدة كل البعد عما حث إليه ديننا الحنيف فحدث ولا حرج عن العديد من الظواهر الاجتماعية الممقوتة التي تفشت في مجتمعاتنا فهذا جار يؤذي جاره بلسانه وأفعاله، وذاك يقطع الرحم، وثالث يخوض في أعراض الناس ويمشي بينهم بالغيبة والنميمة، ورابع لا تسمع منه إلا السب والشتم للناس، وخامس يغضب ويثور لأتفه الأسباب ويرتكب مالا تحمد عقباه، وسادس يتلذذ بعدم قضاء حوائج الناس وجعل المماطلة والتسويف شعاره وسابع يصنف الناس وفقا لمناصبهم وأموالهم وبالطبع الفقراء في ذيل القائمة، ويتعامل معهم وفقا لهذا التصنيف، وثامن يظهر نفسه في صورة ملاك لا يعترف بما يصدر منه من أخطاء وحماقات، وتاسع يتعالى على إماطة الأذى عن الطريق ويترك القمامات تلوث أمام بيته في منظر تنفر منه النفوس. فهل هؤلاء وغيرهم كثير لا يحلو لهم إلا السير في درب كل ما هو مخالف لما دعت إليه الفطرة السليمة؟ أم أنهم في غفلة لابد من الاستيقاظ منها؟ نعم إنهم في غفلة لابد من الاستيقاظ منها والسير في درب حسن المعاملة للجار والبعد عن ظلمه، والسير في درب صلة الرحم، والبعد عن الغيبة والنميمة، والخوض في أعراض الناس. السير في درب كل ما يؤزز التعاون على البر والتقوى وحسن معاملة الناس بعيدا عن الظواهر الاجتماعية الممقوتة!

أنباء مكتب الإمام الأكبر

للأستاذ/ أحمد ابراهيم توفيق
مدير عام الإعلام بمكتب الإمام الأكبر

الإمام الأكبر يهنئ السيد رئيس الجمهورية بذكرى ثورة ٢٣ يوليو



أرسل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ أحمد الطيب - شيخ الأزهر الشريف برقية تهنئة للسيد الرئيس/ محمد حسني مبارك - رئيس جمهورية مصر العربية بمناسبة ذكرى ثورة ٢٣ يوليو - هذا نصها:

فخامة الرئيس/ محمد حسني مبارك حفظه الله

رئيس الجمهورية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد

فبمناسبة ذكرى ٢٣ يوليو يطيب لي أن أتقدم لفخامتكم باسمي واسم الأزهر الشريف علمائه وطلابه والعاملين فيه بخالص التهنئة القلبية بهذه المناسبة العظيمة، سائلين المولى سبحانه أن ينعم على مصرنا الحبيبة بالمزيد من الرخاء والتقدم والأمن والأمان تحت ظل قيادتكم الحكيمة.

كما ادعوه سبحانه وتعالى أن يمتعكم بالصحة والعافية وطول العمر إنه سميع مجيب

وكل عام وأنتم بخير

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

شيخ الأزهر الشريف

أ.د/ أحمد الطيب

بيان من الأزهر الشريف

اشارة إلى ما نشرته بعض الصحف من أن الأزهر قد شكل لجنة تهدف إلى ما أسمته تلك الصحف «بتطهير هيئة التدريس فى الأزهر من المنتمين للفكر المتشدد من السلفيين والإخوان المسلمين» يؤكد الأزهر الشريف أن هذا الخبر عار عن الصحة جملة وتفصيلا، وأنه لم تنعقد فى رحاب الأزهر ـ جامعا وجامعة ـ أية لجنة لمثل هذا الغرض، وأن الأزهر لا يعرف سياسات الإقصاء والاستبعاد، ولا يحجر على فكر، بل إن منهج الأزهر قائم على قبول التعدد فى الرأى واحترام الاختلاف فى الاجتهاد وأن التطرف إنما هو نتاج للفكر الأحادى الذى يتعصب لوجهة نظر واحدة، ويدعى احتكار الحقيقة، ومواجهة التشدد والتطرف إنما تكون ببيان وسطية الإسلام وسماحته ورحابته فى قبول الاختلاف.

الإمام الأكبر يشهد تخرج أول دفعة من المركز البريطانى بجامعة الأزهر.

شهد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر الاحتفال الذى نظمته جامعة الأزهر بالتعاون مع السفارة البريطانية والمجلس الثقافى البريطانى لتخريج أول دفعة من طلاب الكليات الشرعية الدارسين فى المركز البريطانى بجامعة الأزهر والذى تم إنشاؤه منذ خمس سنوات وذلك يوم الثلاثاء ٢٧ / ٧ / ٢٠١٠ فى تماما الساعة الحادية عشر صباحا بقاعة الإمام محمد عبده بجامعة الأزهر بالدراسة.

حيث حصل الطلاب الخريجين على شهادة مزدوجة لحصولهم على درجة الليسانس فى مادة التخصص وكذلك إتقانهم للغة الإنجليزية من خلال تدريبهم بمركز الأزهر للتدريب وتعليم اللغة الانجليزية. تتكون الدفعة من ٦٩ طالبا من كليات الشريعة والقانون وأصول الدين واللغة العربية والدراسات الإسلامية والعربية.

المركز تم إنشاؤه مبادرة من جامعة الأزهر إدراكا منها لأهمية الدور الذى يقوم به الأزهر فى نشر منهج الوسطية والفهم الصحيح للإسلام عن طريق التواصل والانفتاح على العالم الخارجي ويهدف تمكين الدعاة من المشاركة الفعالة فى المؤتمرات والحوارات العالمية ودعمهم فى الحصول على منح دراسية إلى جانب التمثيل الفعال فى نشر منهج الوسطية والفهم الصحيح للإسلام فى جميع الدول التى يوفدون إليها.

وقد تم العمل فى المركز على مدى ثلاث سنوات على محورين أساسيين الأول تدريب الطلاب على مهارات اللغة الإنجليزية تمهيدا لإتقانهم لها لتمكنهم من نشر منهج الوسطية والفهم الصحيح للإسلام الذى تميز به الأزهر على مر التاريخ، أما الثانى تدريب خريجى كلية اللغات والترجمة من قسم اللغة الانجليزية المتفوقين، وكذلك كلية الدراسات الإنسانية للبنات الذين يرغبون فى إعداد أنفسهم كمدرسين للغة الإنجليزية حتى يتمكن الأزهر من بناء موارده البشرية الخاصة به تمهيدا لإدارة المركز بدءا من العام القادم.

اعتماد نتائج الشهادات الأزهرية

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر نتائج الشهادات الأزهرية للدور الأول حيث بلغت النسبة العامة للنجاح فى الشهادة الثانوية ٥٩,٣١٪ وبلغت نسبة النجاح للقسم العلمي ٧٨,٢٪ والقسم الأدبى «مبصر» ٥١,٣٪ وجاءت النسبة العامة للمكفوفين ٢، ٦٠٪ تقدم للامتحان هذا العام ٧٢٣١٠ ألف طالب وطالبة نجح منهم ٤٢٠١٠ وبقى للدور الثانى ٢٨٥٥٥ رسب ٢٧٤٥ وجاء الأوائل كالتالى:

القسم العلمي: أحمد محمد شعبان، معهد أبوحمص ٤، ٩٩٪ - أسماء محمد بسيونى، معهد فتيات أبوحمص ٢، ٩٩٪ -سهام بهجت إبراهيم معهد فتيات مطوبس ١، ٩٩٪ - أسماء مصطفى أحمد، معهد فتيات كفر سعد ١، ٩٩٪ - حاتم عبدالناصر عباس، معهد إسنا ١، ٩٩٪- عائشة ممدوح جادو، فتيات إيتاى البارود ١، ٩٩٪- عبدالرحمن صلاح الدين، معهد السادات ١، ٩٩٪- وكل من: دينا حسن إبراهيم، معهد فتيات الثلث- وريهام مصطفى على، معهد فتيات شبرا هور- وشيرين سمير عبدالسلام، معهد فتيات شرقية مباشر- وعبدالله حامد عبدالسميع، معهد بهنباى- وعبير أحمد عبدالحميد، فتيات الثلث- ومحمد أحمد محمد، معهد البيضاء- ومحمد حسين محمد، معهد سنجيد- ومصطفى صابر أحمد، معهد دبركى بنسبة ٩، ٩٨٪.

القسم الأدبى: منال عبدالله حامد، كفر صقر ٣، ٩٦٪- إيمان جلال الوهيدى، كفر الأعجر ٩٥,٧٪- أسماء السيد حسن بخيت، طهطا ٦، ٩٥٪ -سارة جلال زار حسين الرشيدى ومحمد السيد أبوهاشم الصوالح ٢، ٩٥٪ -سارة حمزة صابر محمد رجب بسجين ٩، ٩٤٪- ومنى طارق نور الدين، طنطا ٦، ٩٤٪ -الدسوقى أبوالمجد الشافعى، محلة أبوعلى ٤، ٩٤٪ -سلمى عادل محمد الدكرونى، عمر بن الخطاب ٣، ٩٤٪ -محمد ياسر أحمد، المنصورة النموذجى ٩٤,١٪.

القسم الأدبى كفيف: سهام عاطف محمد السيد، الجمالية دقهلية ٩٣٪- سمر سمير محمد الحسين بالعلو ٣، ٩١٪- أحمد على أحمد مرسى الشيخ شباس الملح ٤، ٨٨٪- محمود محمد عزازى، كفر النخلة ٣، ٨٨٪- محمد سليمان حسن الشيخ جبيل ٥، ٨٦٪.

وبلغت نسبة النجاح للشهادة الاعدادية ٢٥، ٥٨٪ تقدم للامتحان ١١٨٧٦٣ نجح ٦٨٩٠٣ وجاء الأوائل على النحو التالى:

مريم محمد عبدالرحيم، الغربية- آية السيد السيد المتولى، الدقهلية- آلاء سامى عبدالغفار شلضوم، الغربية- سمية محمد فتوح، الغربية- شيماء إبراهيم أبو السعود، الشرقية- أبرار محمود عبدالواحد، الدقهلية- محمد السيد عبدالله، شمال سيناء- إسراء أسامة محمد المسلمى، الشرقية- سارة عبدالباسط حامد، البحيرة- كريم محمد فؤاد، القاهرة.

أوائل الاعدادية كفيف: عبدالملك مصطفى ابراهيم، الدقهلية- أحمد بدير بدوى، الغربية- مريم

صلاح محمود، الإسكندرية- مى يوسف عبدالعزيز، الغربية- أحمد صلاح عبدالرءوف، الغربية- سارة محمود السيد، سوهاج- آية الله عاصم عبدالفتاح، أسوان- محمود عطا الطوخى، القليوبية- روضة موسى يوسف الدقهلية- أحمد محمد محمد على، الشرقية.

وبلغت نسبة النجاح فى الشهادة الإعدادية للبعوث ٤ . ٢٩٪ وجاء ترتيب الأوائل كالتالى: سربو غوطة محمود من أوغندا- ومراد شنجاروف من روسيا- ورملة اوبيس سيد محمود من الصومال- ليزاليكا يقا ازليا من روسيا- ومحمد منصور بان، غينيا كوناكرى- وصفرية يوسف محمد، روسيا- محمد قسم محمود من جنوب السودان- سيرين شعيب من السنغال- صوما هورى صالح من ساحل العاج- سعيد با يوف عزت.

وجاءت نسبة النجاح لشهادة الثانوية للبعوث ٦ . ٥١٪ وجاء ترتيب الأوائل كالتالى: عبده على، الهند- طاهر حاجى، باكستان- زونغرانا هود، بوركينا فاسو- مير رضوان على، أمريكا- محمد مصطفى لى، السنغال- محمد إبراهيم كل اقا، افغانستان- شيخ حماه الله صول، مالى- حياة الله عليكولوف من كازاخستان- اميرتشا بتش، البوسنة -عيسى موسى كاراوا، الكاميرون.

وجاءت نسبة النجاح فى شهادة التجويد ٣ . ٥٩٪ جاءت نسبة النجاح فى شهادة التخصص ٦ . ٦١٪ وجاءت نسبة النجاح فى عالية القراءات ١ . ٥١٪.

الإمام الأكبر يوزع الجوائز على حفظة القرآن الكريم

قام فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد الطيب- شيخ الأزهر بتوزيع جوائز حفظة القرآن الكريم على طلاب المكاتب والمعاهد الأزهرية وجامعة الأزهر والبعوث الإسلامية ومحفظى المكاتب للعام ٢٠٠٩ / ٢٠١٠م من ميزانية شئون القرآن.

أكد فضيلة الإمام الأكبر فى كلمته على أهمية حفظ القرآن الكريم وأن الأزهر يولى عناية خاصة بحفظ القرآن لطلابه سواء فى المعاهد الأزهرية أو جامعة الأزهر.

وقال إن المسابقة العام المقبل سيتم التقييم فيها على أحكام التلاوة بالإضافة إلى الحفظ.

ويذكر أنه قد تقدم للمسابقة على مستوى الجمهورية «٢١١٢٩٥» طالباً وطالبة، وتم تصعيد «٣٤٣٦٥» طالباً وطالبة، للتصفية على مستوى الجمهورية وبلغ عدد الحاصلين على جوائز مالية «٢٧٦٨٧» طالباً وطالبة، وبلغ عدد المحفظين المستحقين للجوائز «١٦٤٩» محفظا، ويبلغ إجمالى مبلغ الميزانية «٢٠٠٠٠٠٠٠» جنيه.

تم خلال الاحتفال تكريم أربعة طلاب من كلية أصول الدين من كل من المغرب- الهند- أندونيسيا- وطالب من كلية الشريعة من نيجيريا، وحصل كل طالب على «١٠٠٠٠ جنيه» بلغت مستحقات المحفظين (٤٠٥٢٩٠٠ جنيه) كما بلغت جملة مستحقات الطلاب (١٥٩٤٦٤٢٥ جنيها) كما أن المحفظ الذى قام بتحفيظ الطالب فى المستوى الأول والحافظ لعدد ٣٠ جزءاً وتسبته من ٩٥٪ الى ١٠٠٪ حصل على «١٠٠٠ جنيه» عن كل طالب، وعن الحافظ بنسبة من ٩٠٪ الى ٩٤٪ حصل على «٧٠٠ جنيه» عن كل



طالب، وعن الحافظ بنسبة ٨٩٪ الى ٨٥٪ حصل على «٣٢٥ جنيها» عن كل طالب، وفيما يخص المستوى الثانى لمن قام بتحفيظ عدد ٢٥ جزءاً وتسبته من ٩٥٪ إلى ١٠٠٪ حصل على (٤٠٠ جنيه) عن كل طالب، وعن الحافظ بنسبة ٩٠٪ الى ٩٤٪ حصل على (٣٠٠ جنيه) عن كل طالب. وعن الحافظ بنسبة ٨٩٪ إلى ٨٥٪ حصل على (٢٧٥ جنيها) عن كل طالب وفيما يخص المستوى الثالث لمن قام بتحفيظ عدد ١٨ جزءاً وتسبته من ٩٥٪ الى ١٠٠٪ حصل على «٢٥٠ جنيها» عن كل طالب، وعن الحافظ بنسبة ٩٠٪ الى ٩٤٪ حصل على «٢٠٠ جنيه» عن كل طالب، وعن الحافظ بنسبة ٨٩٪ الى ٨٥٪ حصل على «١٥٠ جنيها» عن كل طالب.

كما أن الطالب فى المستوى الأول الحافظ لعدد ٣٠ جزءاً وتسبته من ٩٥٪ الى ١٠٠٪ حصل على «١٠٠٠ جنيه» والذى نسبته من ٩٠٪ الى ٩٤٪ حصل على «٧٧٥ جنيها» والذى نسبته ٨٩٪ الى ٨٥٪ حصل على «٦٠٠ جنيه». وفى المستوى الثانى للحافظ لعدد ٢٥ جزءاً وكانت نسبته من ٩٥٪ الى ١٠٠٪ حصل على «٨٠٠ جنيه» ومن كانت نسبته ٩٠٪ الى ٩٤٪ حصل على «٥٧٥» ولمن كانت نسبته ٨٩٪ الى ٨٥٪ حصل على «٥٠٠ جنيه».

وفى المستوى الثالث للحافظ لعدد ١٨ جزءاً وكانت نسبته من ٩٥٪ الى ١٠٠٪ حصل على «٦٠٠ جنيه» ولمن كانت نسبته من ٩٠٪ الى ٩٤٪ حصل على «٥٠٠ جنيه» كما حصل على «٤٠٠ جنيه» من كانت نسبته من ٨٩٪ الى ٨٥٪.

شهد الحفل فضيلة الدكتور/ محمد عبد العزيز واصل - وكيل الأزهر وفضيلة رئيس قطاع المعاهد وقيادات الأزهر وسفراء الدول.

اجتماع المجلس الأعلى للآباء والمعلمين

فى اجتماع المجلس الأعلى للآباء والمعلمين برئاسة فضيلة الشيخ الدكتور محمد عبدالعزيز واصل وكيل الأزهر بمشيخة الأزهر، عقدت الجلسة حيث تم التصديق على محضر الاجتماع السابق واعتماده، كما تم عرض أعمال لجنة متابعة تنفيذ قرارات المجلس الأعلى للآباء والمعلمين، ففى مجال الخدمات التعاونية والطلابية تم تسديد مبلغ «٩٩٧٧٤٢» جنيها لعدد ٢٤٧٥٩ طالبا وطالبة لغير القادرين على سداد مصروفات وذلك من عائد منحة السلطان قابوس - تسديد المصروفات الدراسية عن طلاب مثلث حلايب وشلاتين وأبورماد بالكامل والبالغ عددهم ١٣١٤ طالبا بإجمالى ٥٤٦١٤ جنيها - تم صرف مساعدات اجتماعية للطلاب ذوى الظروف الاجتماعية الخاصة لعدد ٢٥٥٣٩ من طلاب وطالبات المعاهد الأزهرية بواقع ١٠٠ جنيه لكل طالب بإجمالى اعتمادات مالية قدرها «٢٥٥٣٩٠٠» جنيه - تم تسديد المصروفات الدراسية عن الطلاب الأيتام غير القادرين بموجب بحث اجتماعى لعدد ٧٠٠١٨ طالبا وطالبة بإجمالى «٣٢١٥٤٣٦» جنيه - تم صرف مساعدات اجتماعية عاجلة لمتضررى السيول بمناطق شمال وجنوب سيناء وأسوان الأزهرية لعدد «١١١١» وبلغت قيمة المساعدات المنصرفة للطلاب «٣٢٤٢٠٠» جنيه - تكريم عدد «١٠٠» طالب وطالبة من الطلاب الأيتام المتفوقين بالتعاون مع جمعية الأورمان لرعاية الأيتام ومنح كل طالب «١٠٠٠» جنيه - كما تمت الموافقة على شراء أجهزة الحاسب الآلى للكمبيوتر التعليمى بقطاع المعاهد وذلك لعدد «٤٨٥٤» جهازاً وثلاثين طباعة وتوزيعها على المناطق بإجمالى مبلغ ثلاثة عشر مليونا و«٣٤٢٢٠٠» ألف جنيه.

كما تم اعتماد خطة الأنشطة والبرامج خلال العام ٢٠١٠-٢٠١١م حيث خصص مبلغ «٤٦٩٦٥٠» جنيهاً للصرف على المسابقات والاحتفالات والمؤتمرات - وخصص مبلغ «٨٣٧٠٠» جنيه لمعسكرات المتميزين فى الأنشطة المختلفة «اجتماعى - رياضى - ثقافى - كشفى - اسكان» وخصص مبلغ «١٥٠٠٠٠» جنيه لمعسكرات الأنشطة النوعية والرحلات ومجال تدعيم الأنشطة المركزية والأنشطة والبرامج التى تنفذ لطلاب المناطق النائية والأوشحة للمكرمين والحفل وخصص لها مبلغ «٥٦٨٥٠» جنيها وبذلك يبلغ الإجمالى العام ٧٦٠٢٠٠ جنيه.

الإمام الأكبر يستقبل رئيس ديوان الوقف السنى فى العراق

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر الشيخ أحمد عبدالغفور السامرائى رئيس ديوان الوقف السنى العراقى والوفد المرافق لفضيلته. وقد عرض الوفد العراقى لما يشهده الشعب الشقيق فى هذه المرحلة من أوضاع بالغة الصعوبة، ودور الوقف السنى فى مواجهة التيارات المتطرفة من خلال نشر العلم وإتاحة الفرصة للدراسات الثقافية والعلمية التى توضح الوجه الإنسانى للإسلام. كما عرض رئيس الوفد مشروع اتفاقية ثقافية وعلمية بين الأزهر وديوان الوقف السنى بالعراق.



وقد أوضح فضيلة الإمام الأكبر استعداد الأزهر لتقديم كل ما يمكن من الدعم فى مجالات الدراسات العلمية والمنح الجامعية وتبادل الكتب والمطبوعات. وأكد فضيلته على ضرورة البعد عن الآراء المتطرفة والفتاوى الفاسدة التى يستند إليها المتطرفون مصداقا لحديث الرسول ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده».

شيخ الأزهر: سأزور العراق عندما أتلقى دعوة مشتركة من السنة والشيعة

كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ أحمد الطيب - شيخ الأزهر، وفدا يمثل الوقف الشيعى العراقى برئاسة السيد/ محمد الساعدى مستشار ديوان الوقف الشيعى.

وقد أشاد الوفد بدور الأزهر الشريف فى الحفاظ على العلوم الإسلامية وفى السعى لوحدة المسلمين والتقريب بين مذاهبهم، ونوه الوفد بدور علماء الازهر من أمثال الشيخ/ محمد عبده، والشيخ/ مصطفى المراغى، والشيخ/ محمود شلتوت. كما وجه الوفد دعوة لفضيلة الإمام الأكبر من السيد/ صالح الحيدرى - رئيس الوقف الشيعى العراقى لزيارة العراق، مؤكدين أن هذه الزيارة سيكون لها أبلغ الأثر لدى العراقيين جميعاً على اختلاف مذاهبهم.

وقد أوضح فضيلة الإمام الأكبر أن الاسلام يقوم على توحيد الله سبحانه، وعلى وحدة المسلمين جميعا، وأشار فضيلته إلى أنه يقدر الإنجاز الفكرى والعلمى لعلماء الشيعة، وأنه قرأ معظم أعمال الشهيد/ محمد باقر الصدر الذى يعتبره من أكبر المفكرين الإسلاميين، وفيما يتعلق بالدعوة الموجهة لفضيلته لزيارة العراق - أكد فضيلته على أنه يرحب بزيارة العراق بشرط أن تأتيه دعوة مشتركة من علماء الشيعة والسنة.

وقد شكر الوفد العراقى لفضيلته هذا الموقف الكريم، وأكدوا أنهم واثقون من أن علماء الشيعة والسنة معاً سيسعدهم توجيه هذه الدعوة المشتركة.

ويستقبل أمين عام مؤتمر نصرة القدس

واستقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر الدكتور سعيد خالد الحسن أمين عام المؤتمر العام لنصرة القدس، وتناول اللقاء جهود الأزهر الشريف لدعم الحملة الدولية لحماية المقدسات الإسلامية في القدس.

من الجدير بالذكر أن هذا المؤتمر أعلن تأسيسه في يناير ٢٠١٠ في كوالالمبور تحت رعاية الدكتور/ مهاتير محمد رئيس وزراء ماليزيا الأسبق والمشير/ عبدالرحمن سوار الذهب الرئيس السوداني الأسبق ونائب رئيس المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة، وقد عرض الدكتور سعيد خالد الحسن على فضيلة الإمام الأكبر اقتراحاً بإطلاق دعوة عالمية بإعلان يوم للتضامن مع القدس من القاهرة وخاصة من الجامع الأزهر الشريف.

وقد أوضح فضيلة الإمام الأكبر أنه وبحكم مسئولياته العلمية والدينية سيولي هذا الاقتراح كل الاهتمام وأن الأزهر الشريف سيكون دائماً في طليعة الأمة للحفاظ على تراثها وللذود عن مقدساتها.

ويذكر أن الدكتور سعيد خالد الحسن هو ابن المناضل الفلسطيني الكبير خالد الحسن.

الإمام الأكبر يؤكد: الإسلام هو الدين المحفوظ القادر على قيادة الإنسانية

كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر وفداً تركياً ضم عدداً من الأساتذة الجامعيين والمثقفين، وقد أكد الوفد أن الشعب التركي ينظر لمصر نظرة إكبار وإعزاز، لأن الله تعالى شرفها بأن كانت على مدى القرون وجهاً مشرقاً للإسلام، وأن الأزهر الشريف كان دائماً معقلاً للإسلام الحنيف وأن الكثيرين من علماء الإسلام في تركيا مدينون له وأن الأزهر يتحمل مسئولية أساسية في بيان فضائل الإسلام ورحمته وحكمته الإنسانية جمعاء خاصة بعد إفلاس الأيدلوجيات المادية.

وقد أوضح الإمام الأكبر أن الإسلام يأمر بالحكمة سواء بآيات القرآن أو بالتطبيق من خلال التعامل مع الحضارات الأخرى وأن الإسلام وهو الدين المحفوظ هو القادر على قيادة الإنسانية للعدل والخير، ولكن للأسف فإن كثيراً من المجتمعات الإسلامية ابتليت بمن يتدثرون بالدين ويرفعون صراخهم عالياً لتحقيق أهداف سياسية وغايات، خاصة وأن الأزهر يعمل على التصدي لهذه الأصوات من خلال إعلاء صوت الإسلام السمح الذي يخاطب المسلمين وغير المسلمين بالحكمة والرحمة. وأعرب فضيلته عن ترحيبه بالتعاون مع كل من يهتم بالعمل المخلص بغير هوى ولا غرض.



الإمام الأكبر يستقبل وفد قضاة أفغانستان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر وفداً من قضاة المحكمة العليا الأفغانية والذين أمضوا دورة تدريبية في المركز القومي للدراسات القضائية، وقد حرص القضاة الأفغان على لقاء فضيلة الإمام الأكبر لما للأزهر الشريف من قيمة إسلامية عظيمة لدى الشعب الأفغاني.

أوضح فضيلة الإمام الأكبر خلال اللقاء أن القضاء وتطبيق القواعد الشرعية تحكمه ثلاثة معايير أساسية:

› المعيار الأول: أن الحكم الشرعي هو حكم يقوم على الوسطية التي هي مرادفة للعدالة.

› المعيار الثاني: هو أن كل حكم شرعي في الإسلام يستند إلى قيمة أخلاقية مصداقاً لحديث الرسول ﷺ «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

› المعيار الثالث: هو معيار الرحمة لأن الخطأ في العفو خير من الخطأ في العقوبة بقول رسول الله ﷺ «ادرءوا الحدود بالشبهات».

ودعا فضيلة الإمام الأكبر القضاة الأفغان إلى الالتزام بمنهج الإسلام الذي يتسم بالعدالة والتسامح واحترام حقوق الإنسان بما يؤدي إلى إقامة العدل والمساهمة في تحقيق الأمن والسلام والاستقرار في ربوع أفغانستان الشقيقة. وقد حمّل الإمام الأكبر الوفد الزائر رسالة تحية وتقدير إلى قاضي قضاة أفغانستان، وأعرب فضيلته عن أمله في أن يكون هؤلاء القضاء بمثابة سفراء للأزهر في أفغانستان يطبقون الأحكام الشرعية باعتدال وتوسط.

أنباء مجمع البحوث الإسلامية

للأستاذين: عبدالموجود أمين - يحيى سليمان

تفعيل دور مركز الأزهر للسنة والسيرة النبوية

قرر مجمع البحوث الإسلامية فى جلسته المنعقدة فى ٢٦/٦/٢٠١٠ برئاسة فضيلة الإمام الاكبر الدكتور/ أحمد الطيب شيخ الأزهر تفعيل دور مركز الأزهر الشريف للسنة والسيرة النبوية، وهو المركز الذى صدر بإنشائه قرار جمهورى، إلا انه لم يفعل حتى الآن، وكان التوجه داخل المجلس أن المقصود ليس هو إنشاء كيان جديد وإنما تحقيق رسالة تتمثل فى دراسة معاصرة للسنة النبوية المطهرة على أساس موضوعى وبما يؤكد حجية السنة وييسر فهمها الفهم الصحيح، وقد أخذ المجمع فى اعتباره ما تتعرض له السنة النبوية الشريفة فى الوقت الحاضر من حملات مغرضة تطعن فى حجيتها باعتبارها المصدر الثانى للتشريع الإسلامى، كما أخذ المجمع فى اعتباره ضرورة إبراز المعانى السامية للسيرة النبوية المطهرة.

كما قرر المجمع اختيار مجموعة من الكتب والكتيبات التى تعرف بالإسلام وفضائله وما يتسم به من سماحة، والتى تعالج القضايا الفقهية المعاصرة لترجمتها إلى عدة لغات، وقد بحث المجلس طلبا خاصا من المسلمين فى موزمبيق بموافاتهم بكتب باللغة البرتغالية، وقد تم إحالة الموضوع لفضيلة الدكتور على جمعة مفتى الجمهورية حيث إن لفضيلته معرفة خاصة بالموضوع.


د. احمد الطيب

كما كلف المجمع السادة الأعضاء بأن يقوم كل منهم بترشيح عدد من عناوين بعض الكتب الهامة والتى تلبى حاجة ماسة لدى جمهور القراء من المسلمين غير الناطقين بالعربية ومن غير المسلمين حتى يتم ترجمتها وتيسيرها للراغبين فى القراءة على أن تكون خطوة أولى ضمن مشروع متكامل لنشر الكتب التى تعبر عن حقائق الإسلام ومنهجه الوسطى وفى متناول الراغبين.

صرح بذلك فضيلة الشيخ قاسم محمد قاسم، مدير عام شئون مجلس المجمع ولجانه.

وافق فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد الطيب شيخ الأزهر على الإعلان عن مسابقة عالمية عن (الإعجاز التربوى فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة) وفقاً للشروط والضوابط التى وضعتها لجنة الإعجاز العلمى للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بمجمع البحوث الإسلامية وهى:

أولاً: أن يكون البحث بإحدى اللغتين العربية أو الإنجليزية.

ثانياً: ألا يكون البحث المقدم للمسابقة مقدماً لدرجة علمية أو منح به جائزة أخرى.

ثالثاً: أن يكشف البحث عن حقيقة علمية سبق بها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

رابعاً: أن يكتب البحث على الحاسب الآلى بما لا يقل عن مائة صفحة ولا يتجاوز مائتى صفحة من القطع الكبير مصحوبا بملخص مستقل عن البحث بما لا يقل عن عشر صفحات ولا يتجاوز العشرين صفحة.

خامساً: أن يقدم البحث وملخصه مصحوباً بسيرة ذاتية للمتسابق من ثلاث نسخ إلى لجنة الإعجاز العلمى للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بمجمع البحوث الإسلامية بمدينة نصر فى موعد أقصاه آخر مايو ٢٠١١ ويعطى المتقدم إيصالاً معتمداً بذلك.

سادساً: تمنح جوائز مالية قيمتها خمسة وخمسون ألف جنيه (٥٥٠٠٠) لعدد (٢٣) ثلاثة وعشرين متسابقاً على الوجه الآتى:

١- ١٥٠٠٠ جنيه (خمسة عشر ألف جنيه) للفائز الأول.

٢- ١٠٠٠٠ جنيه (عشرة آلاف جنيه) للفائز الثانى.

٣- ٥٠٠٠ جنيه (خمسة آلاف جنيه) للفائز الثالث.

كما تمنح عدد (٥) خمس جوائز تشجيعية بواقع (٢٠٠٠) ألفى جنيه.

(١٥) خمس عشرة جائزة تشجيعية أخرى بواقع (١٠٠٠) ألف جنيه.

سابعاً: يخطر المتقدمون للمسابقة بموعد ومكان حفل توزيع الجوائز.

ثامناً: لا يجوز رد البحوث الفائزة لأصحابها، حيث سيتم حفظها لدى مكتبة اللجنة الخاصة بمبنى مكتبة الأزهر الشريف، أما البحوث غير الفائزة، فلأصحابها استردادها خلال شهرين من تاريخ حفل توزيع الجوائز.

تاسعاً: لناظر الوقف طبع ونشر ما يراه من البحوث الفائزة، وذلك على حساب الوقفية دون إذن أو حق للفائز قبله.

عاشراً: يعمم هذا الإعلان على جميع الجامعات والمراكز العلمية والصحافة وينشر - كخبر غير مدفوع الأجر - بمختلف الصحف والمجلات.

مشيخة الأزهر



عبدالحليم محمود — عبدالرحمن بيصار — جاد الحق على جاد الحق — محمد سيد طنطاوى

صدر عن سلسلة مجمع البحوث الإسلامية الجزء الثالث من كتاب (مشيخة الأزهر منذ إنشائها وحتى الآن) ويطوى الكتاب بأجزائه الثلاثة تعريفا بأصحاب الفضيلة أئمة المسلمين الذين تولوا مناصب مشيخة الأزهر الشريف التى حملت مشعل التنوير وراية العلم والمعرفة، فقادوا من خلال أقدم جامع وجامعة، العالم الإسلامى ملتزمين بصدق الكلمة، ووضوح الغاية -مقدرين تحمل المسئولية- وعلى ضوء الهدى القرآنى والسنة النبوية المطهرة وقواعد الشريعة الإسلامية السمحة، مدافعين عن الإسلام ونبيه بالكلمة الطيبة وأدب الحوار، مجددين للثقافة الإسلامية، وموائمة الواجب الدينى والواجب الوطنى.

والجزء الثالث تناول التعريف بأربعة من هؤلاء العلماء والأجلاء الذين شغلوا هذا المنصب النفيس وهم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ عبدالحليم محمود فى الفترة من مارس ١٩٧٣م وحتى وافته المنية فى ديسمبر ١٩٧٨م، وفضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمد عبدالرحمن بيصار فى الفترة من يناير ١٩٧٩م وحتى وفاته فى مارس ١٩٨٢م، وفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق فى الفترة من أبريل ١٩٨٢م وحتى وفاته فى مارس ١٩٩٦م، ثم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمد سيد طنطاوى فى الفترة من مارس ١٩٩٦ وحتى وافته المنية فى مارس ٢٠١٠م.

رحم الله شيوخ الأزهر رحمة واسعة وجزاهم الله خير الجزاء، وجعل ما قدموه من أعمال فى ميزان حسناتهم يوم القيامة، ومن يقرأ هذا الكتاب يتعرف على السيرة الذاتية لشيوخ الأزهر.

كما تناول الكتاب فى مقدمته البحث القيم الذى سبق أن نشره فضيلة الدكتور/ محمد عبدالله دراز -رحمه الله تعالى- فى جريدة لوموند الفرنسية عام ١٩٥١/ ١٩٥٢ تحت عنوان (الأزهر: الجامعة القديمة- الحديثة) وقد نشرته مجلة الأزهر عام ١٣٧١هـ.. وقد تضمن لمحة عن التاريخ المعمارى للأزهر، ولمحة عن تاريخ الأزهر الثقافى، ورسالة الأزهر خارج النطاق المدرسى.

صرح بذلك فضيلة الشيخ/ عبدالرحمن العسيلى -مديرعام الإدارة العامة للمطبوعات.

طبعة جديدة من فهرس مخطوطات مكتبة الأزهر

استقبل الأستاذ مهدى شلتوت -رئيس الإدارة المركزية لمكتبة الأزهر وفد مؤسسة سقيفة الصفا العلمية بجدة برئاسة الأمين العام للسقيفة فى إطار البروتوكول الموقع بين المكتبة والسقيفة وذلك لمتابعة إنتاج طبعة جديدة ومنقحة، ومزيدة من فهرس مخطوطات مكتبة الأزهر، تضم البيانات البيليوجرافية للمخطوطات التى كانت موجودة بفهرس المكتبة القديم وإضافة بيانات المخطوطات التى تم جمعها من المعاهد الأزهرية، حيث يتم طبعها على نفقة مؤسسة السقيفة العلمية طباعة فاخرة.

الوافدون للدراسة بالأزهر

بلغت أعداد الطلاب الدارسين بالأزهر الشريف من دولة جزر القمر ١٢٢٩ طالبا وطالبة يتوزعون على النحو التالى:

- الدراسات الخاصة: (٦٨) طالبا و (٤٠) طالبة.
- مرحلة التعليم الابتدائى: (٩) طلاب و (٣) طالبات.
- مرحلة التعليم الإعدادى: (٢٥٦) طالبا و (٧٦) طالبة.
- مرحلة التعليم الثانوى: (١٥٩) طالبا و (٥١) طالبة.
- مرحلة التعليم الجامعى: (٥٠٨) طلاب و (٥٨) طالبة.
- مرحلة الدراسات العليا: طالب واحد فقط.

صرح بذلك فضيلة الشيخ سامى عز الدين القائم بعمل مدير عام الإدارة العامة لشئون الطلاب الوافدين.





قاعدة بيانات لمستقبل التعليم الإسلامي في أوغندا

أقر المشاركون في المؤتمر الإقليمي الأول حول التعليم الإسلامي المنعقد بالعاصمة الأوغندية كمبالا.. مشروع إعداد قاعدة بيانات وإحصاءات ووثائق علمية من شأنها رسم خريطة الطريق ووضع خطة عمل مستقبلية للتعليم الإسلامي في أوغندا وإيجاد آليات دائمة لحشد الموارد اللازمة لدفع المنظومة التعليمية للمسلمين في شرق أفريقيا والارتقاء بها والوفاء بمتطلباتها.

شارك في المؤتمر نحو ٣٦٠ خبيرا وباحثا وأستاذا جامعيا يمثلون مؤسسات التعليم العالي والتعليم العام واتحادات الطلاب ونقابات المعلمين في أوغندا ودول شرقي أفريقيا وذلك بمشاركة منظمة الإيسيسكو واتحاد جامعات العالم الإسلامي بحضور د. مصطفى أحمد على رئيس الأمانة العامة للاتحاد.

الأوقاف الجزائرية تضع خطة لمواجهة حملات التنصير

في إشارة لرفض الجزائر سياسة التنصير التي تتبعها مؤسسات الإغاثة العالمية.. قال وزير الشئون الدينية والأوقاف الجزائري: إن الحكومة قررت توظيف أكثر من ١٤٠ إماماً جديدا في منطقة القبائل ذات الغالبية البربرية لمواجهة حملات التنصير التي تستهدف المنطقة الواقعة شرق العاصمة الجزائرية، وأوضح الوزير الجزائري أن عدد المساجد في ولايات بجاية وتيزي أوزو البويرة ومنطقة القبائل يفوق بكثير عدد الأئمة، ولكن هذا العجز لا يمكن تداركه إلا بتوفير أئمة من المنطقة لتسهيل عملية التواصل مع المواطنين وهو ما يجري التحضير له إذ سيتسلم قرابة ٢٤٥ إماما وأستاذا ومرشدة دينية من المنطقة مهامهم قريباً. واعترف الوزير بأن الهدف من ذلك هو مواجهة ظاهرة التنصير، وكان الوزير قد حذر

بنفسه من مساهمة الإنجيليين الجدد الناشطين في الخفاء في بعض المناطق الجزائرية، خاصة في منطقة الشرق.. قائلاً: إنهم عملاء يسعون لهدم وتمزيق المجتمع الجزائري.

رئيس الوزراء البريطاني يعارض حظر النقاب في بلاده

أعلن المتحدث باسم رئيس الوزراء البريطاني ديفيد كاميرون أنه يعارض تبني قانون يحظر ارتداء النقاب. وقال إن موقف رئيس الوزراء يؤكد على أن الأمر يتعلق بخيار شخصي وأنه ليس مفروضاً صدور قانون بهذا الشأن.

وقال وزير الهجرة داميان جرين: أنه من غير المحتمل ان يتم تبني مشروع لقانون لتنظيم ارتداء النقاب في الأماكن العامة.. وقال: إن بريطانيا وخلافاً لفرنسا ليست بلداً علمانياً متشدداً.

مؤتمر دولي حول الشباب في العالم الإسلامي

أقر الاجتماع المشترك بين المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم «الإيسيسكو» ومركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني بالسعودية عقد مؤتمر دولي حول الشباب في العالم الإسلامي تحت عنوان «بناء الذات والحوار مع الآخر» في شهر مارس العام القادم تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز في إطار السنة الدولية للشباب، ويناقش المؤتمر موضوع دور الشباب في تعزيز ارتباط الأمة بهويتها وذاتها الحضارية وسبل إسهامهم في تفعيل الحوار بين الأديان والثقافات والحضارات..

مغربي معاق يحفظ القرآن ومواضع الآيات وأرقامها

أدهش شاب مغربي من ذوي الاحتياجات الخاصة.. ويعاني من إعاقة ذهنية وحركية ملايين المشاهدين العرب والمغاربة الذين تأثروا من قوة ذاكرته وحفظه الدقيق للقرآن الكريم كاملاً بعد فوزه في المسابقات التي تجريها قناة الفجر الفضائية للجمهور من المرشحين من كافة الدول العربية، وحظي الشاب المغربي «الحبيب المومو» بتقدير هائل من أعضاء لجنة التحكيم الذين زاروه في بيته بمدينة الدار البيضاء وتمكن الحبيب المومو الذي يبلغ من العمر ٢٠ عاما، من الفوز في المنافسات الأولى الخاصة بذوي الاحتياجات الخاصة وتفوق الشاب المغربي على جميع المتسابقين ببراعة حفظه الدقيق، والذي يشمل كل الآيات المتشابهات وأرقامها ومواضعها المتفرقة في مختلف سور القرآن الكريم وقد كان محبا للقرآن الكريم وحافظا له منذ صغر سنه رغم إعاقته التي جعلته يتتعتع في النطق ويجد صعوبة في ضبط حركات رأسه ويديه حين يتحدث وأنه يحظى بشعبية جارفة في حيه ومدينته بفضل طيب أخلاقه ومساعدته لأصدقائه على حفظ القرآن الكريم. ولم تمنع الإعاقة الحبيب المومو من الانخراط في الحياة والاستمتاع بها حيث إنه استطاع الحصول على الحزام الأسود في الكاراتيه الذي منحه إياه خبير ياباني في هذه الرياضة عندما انبهر بحفظه للحركات الرياضية

بمجرد مشاهدته لها أول مرة ليتفوق بذلك على ممارسين آخرين شاهدوها مراراً قبله.

ولد الحبيب الومو في عام ١٩٨٠ بإعاقة، حيث ظل بعد ولادته في غرفة العناية المركزة أياماً عديدة ليتحول بعدها إلى العلاج الطبيعي طيلة ٣ سنوات حيث كان لا يستطيع الحركة ولا الوقوف، إلى أن تحسنت حالته قليلاً ليجد نفسه معاقاً لا يمشي إلا بصعوبة ولا يتحدث إلا بمشقة بالغة.

صحيفة إسرائيلية:

الإسلام يهدد الهوية الفرنسية ولابد من دعم كارهي الإسلام

من جديد يحاول الكيان الصهيوني إثارة أوروبا على مسلميها حيث نشرت صحيفة معاريف العبرية تقريراً قالت فيه إنها حصلت على المعلومات الواردة فيه من مصادرها الاستخباراتية.

وقالت معاريف في تقريرها الخطير: إن فرنسا يجب أن تقلق على مستقبلها في ظل وجود أكثر من ١٩٠٠ مسجد في أنحاء فرنسا بالإضافة إلى خمسة ملايين مسلم منهم أكثر من مليون مسلم يقصدون المساجد للصلاة خمس مرات كل يوم.. ناهيك عن تزايد عدد النساء المحجبات والمنتقبات اللاتي يسرن في شوارع باريس يوميا في مشهد لافت للنظر. أضافت الصحيفة الإسرائيلية زاعمة أن النقاب الذي ترتديه المرأة المسلمة في فرنسا هو الأداة التي يستخدمها الشيطان للقضاء على علمانية فرنسا، وقد فطنت فرنسا لخطورة النقاب وسارعت لحظر الملابس الإسلامية التقليدية مثل الشادور والملحفة والإسدال، وهي كلها رموز إسلامية تهدد الهوية الفرنسية التي يقدسها كل فرنسي غيور على بلاده، ولابد أن يدرك الفرنسيون الغيورون على بلادهم أن هوية فرنسا المقدسة مهددة عن طريق أزياء وطقوس المسلمين الدينية خاصة أن المسلمين يساعدهم في ذلك كثرة عدد المواليد المسلمين وتزايد عدد الفرنسيين المسلمين يوماً بعد الآخر.

وتقول الصحيفة: لابد أن يستيقظ المواطن الفرنسي ويسارع إلى تأييد المسيحي الفرنسي الذي نجح في منع النقاب وأعلن صراحة عن كراهيته للإسلام والمسلمين ورفضه مجرد التخيل أن تتغير الصورة الفرنسية العلمانية إلى صورة إسلامية. وهكذا يخوض اليمين الفرنسي حرباً ثقافية وديموجرافية ضد الإسلام والمسلمين في فرنسا خاصة في ظل التقديرات التي تقول إن المرأة المسلمة في فرنسا عالية الخصوبة مقارنة بالمرأة الفرنسية المشغولة بالهرولة وراء خطوط الموضة العالمية.

ومظاهرة إسرائيلية معادية للإسلام بلندن

كما نظمت جماعات يمينية متشددة في وسط لندن مظاهرة ضد ما أسمته قوانين الشريعة بالمملكة المتحدة، مطالبة بوقف بناء المساجد، ضمن سلسلة من المظاهرات التي تنظمها الهيئات المعادية للإسلام في بريطانيا وسار المتظاهرون في شوارع وسط لندن وهم يحملون الأعلام البريطانية

والإسرائيلية وشعارات مناهضة للإسلام وهتفوا تضامناً مع إسرائيل.. وسط إجراءات أمنية مشددة حتى وصلوا لمقر رئاسة الوزراء حيث سلمت طفلة رسالة إلى رئيس الوزراء ديفيد كاميرون.

وقالت الطفلة لورا (١٢ عاما) في رسالتها إلى رئيس الوزراء إنها ضد قوانين الشريعة في بريطانيا ولا يمكنها العيش مع هذه القوانين في بلدها.

واشتبكت الشرطة مع عناصر رابطة الدفاع الإنجليزي بعدما هاجموا عددا من المناهضين للعنصرية بالعصي والزجاجات الفارغة ممن تجمعوا أمام مقر رئاسة الوزراء للتنديد بعنصرية هذه الجماعات وأخفى الصحفيون بطاقاتهم المهنية لتفادي الاحتكاك بمتظاهري رابطة الدفاع الإنجليزية الذين كانوا قد أعلنوا حظرا على تغطية أعضاء الاتحاد الوطني للصحفيين لفعالياتهم وواجه عشرات الصحفيين مضايقات من قبل عناصر الجماعات اليمينية ولم يسلم من ذلك إلا صحفيون من شبكة سي. إن. إن التي كانت محل ترحاب وحفاوة لتغطية تلك الفعاليات.

وفي المقابل طالبت رابطة الدفاع الإسلامية وهي منظمة جديدة بوقف ما أسمته بعنصرية رابطة الدفاع الإنجليزية وعدائها للإسلام.. داعية إلى اتخاذ اجراءات لكبح جماح الجماعات اليمينية المتشددة المعادية للمساجد والمراكز الإسلامية.

وكانت الرابطة المناهضة للإسلام قد نظمت مظاهرة حاشدة الأسبوع الماضي ضد بناء مسجد في مدينة دادلي تحولت إلى اشتباكات مع الشرطة التي نشرت أربعة آلاف من عناصرها في المدينة واعتقل خلال تلك المظاهرة ٢٢١ من عناصر رابطة الدفاع الإنجليزية.

منظمة المؤتمر الإسلامي تطالب برفع الحصار عن قطاع غزة

أكدت الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي على ضرورة فك الحصار الإسرائيلي الجائر عن قطاع غزة، وأكدت أن استمرار الحصار يشكل انتهاكا للعدل والحقوق الإنسانية والقانون الدولي وعقوبة جماعية وكارثة إنسانية تهدد حياة مليون ونصف المليون تقريباً.

وأكد اتحاد مجالس دول منظمة المؤتمر الإسلامي في مؤتمر استثنائي عقد في العاصمة السورية دمشق أهمية تحقيق وحدة صف الشعب الفلسطيني الذي لا بديل عنه لتحقيق انتصاره وللحفاظ على حقوقه ومستقبل أجياله.

وقال رئيس مجلس النواب الأندونيسي نائب رئيس المؤتمر أن استمرار الحصار الإسرائيلي على قطاع غزة يشكل انتهاكا للقانون الدولي.

من جانبه أكد الأمين العام للاتحاد محمود أرول قريع أن الاتحاد مستمر في دعم غزة والشعب الفلسطيني، وأنه لن يدخر جهداً من أجل رفع الحصار الإسرائيلي الجائر عنها والإفراج عن أعضاء البرلمان الفلسطيني من السجون الإسرائيلية.

وسائل الإعلام العبرية تهاجم برنامجا تليفزيونيا ماليزيا

فى بادرة غريبة للغاية أعربت وسائل الإعلام الإسرائيلية عن قلقها الشديد من برنامج يذيعه التليفزيون الماليزى، ويدور حول مسابقة تتم بين عدد من الشباب بحيث يتم تصعيد أحدهم فى النهاية ليصبح داعية إسلامياً، وقالت صحيفة يديعوت احرونوت العبرية: إن ماليزيا بهذه المسابقة التى يتم بثها على التليفزيون الرسمى، يعنى أنها أصبحت تتجه اتجاها دينياً واضحاً، فهى بدلاً من أن تصنع مسابقة لاكتشاف النجوم كما فى كافة التليفزيونات الغربية والعربية فاجأت الجميع بتقديم مسابقة لاختيار أفضل داعية شاب. وترى وسائل الإعلام العبرية أن هذا البرنامج يفتح الطريق أمام أسلمة الإعلام فى الدول الإسلامية وهو أمر يجب أن يثير قلق الجميع وبشدة.

يذكر أن المتسابقين فى البرنامج الماليزى يتسابقون حول كيفية إعطاء النصيحة للشباب المسلم فى صورة سهلة ومبسطة وكيفية وعظ الشباب بأهمية طاعة الله فى الصغر.

مهاتير محمد: إسرائيل دولة مارقة تهدد العالم

وصف رئيس الوزراء الماليزى السابق د. مهاتير محمد.. إسرائيل بأنها «دولة مارقة» تهدد العالم، داعيا حكومات العالم للوقوف فى وجهها.

وقال د. مهاتير فى مؤتمر عن الحصار المفروض على غزة عقدته منظمة «بردانا» الماليزية العالمية للسلام -التى يرأسها مهاتير- إنه لايجب السماح لإسرائيل بمواصلة مسارها الحالى، والاستمرار فى سياستها العنصرية وقمعها للفلسطينيين.

أضاف: على شعوب العالم أن تبعث برسالة أمل وتضامن تجاه الفلسطينيين، بأننا لن نتخلى عنهم وأننا سنتكاتف معهم فى نضالهم للتحرر وإقامة دولة فلسطين.

وعن الحصار الذى تفرضه إسرائيل على غزة، قال د. مهاتير: علينا أن نناضل لتشكيل ائتلاف واسع للسلام وفضح ومقاومة مثيرى الحروب، وسنناضل مهما استغرق الوقت وسنكسر الحصار.

وقال: إن سفينتى «ريتشيل كورى» و«مافى مرمرة» من أسطول الحرية، والمنظمات غير الحكومية والمتطوعين بينوا السبيل، ويجب البناء على الزخم الذى ولده هؤلاء للسير قدما. ودعا العالم إلى بذل المزيد من الجهود لتجريم الحرب لأن الحرب هى مجازر جماعية، والمجزرة يجب أن تعتبر جريمة.

برلمانى هولندى عنصرى ينشىء تحالفا ضد الإسلام

قال البرلمانى الهولندى العنصرى جيرد فيلدرز: إنه بصدد شن تحالف دولى تحت اسم «تحالف الحرية» لنشر رسالته المعادية للإسلام فى أنحاء الغرب.

وذكر فيلدرز أنه سيطلق حركة دولية بنهاية هذا العام مبدئيا فى خمس دول وهى: الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا.

وفيلدرز الذى يصف الإسلام بالدين «الفاشى» ويريد أن يقضى على الهجرة من الدول الإسلامية إلى الغرب.. شهد تأييدا هائلا له بهولندا فى الأعوام الأخيرة وأحرز حزب الحرية التابع له أكبر مكاسب له فى الانتخابات التشريعية، حيث جاء ترتيبه الثالث بأربعة وعشرين مقعداً، مقارنة بتسع مقاعد حصل عليها حزبه فى البرلمان الماضى.

جدل فقهى فى اندونيسيا بسبب خطأ القبلة بالمساجد وتوجهها نحو كينيا

تفجرت موجة من الجدل الفقهى فى أندونيسيا بعد الكشف عن وجود خطأ فى اتجاه القبلة بالمساجد الأندونيسية، جعل المصلين يتجهون نحو كينيا بأفريقيا وليس باتجاه الكعبة بمكة المكرمة.

وكان مجلس العلماء الأندونيسى قد أصدر فتوى فى مارس ٢٠١٠، جاء فيه أن اتجاه القبلة هو الغرب، وقال تشوليل رضوان -رئيس مجلس العلماء: إنه تقرر أن المساجد تواجه الصومال أو كينيا، وبالتالى تنصح الناس بتحويل الاتجاه إلى الشمال الغربى قليلا، موضحا أنه لا داعى لهدم المساجد بل إن تغيير الاتجاه إلى الشمال الغربى يمكن أن يحدث أثناء الصلاة.

وصرح رضوان أنه لا داعى أن يخاف المسلمون من أن تكون صلاتهم باطلة، لأنهم كانوا يصلون فى اتجاه خاطىء للقبلة، مبينا أن ذلك لن يؤثر على صلاتهم.

وقال عقيل سراج رئيس منظمة نهضة العلماء، وهى أكبر منظمة للمسلمين فى اندونيسيا: إن هذا الخلط يظهر أن مجلس العلماء الأندونيسى يتسرع فى إصدار الفتاوى، وهذا درس لأعضائه.

مفكر يهودى: اليهود عاشوا حياة سعيدة فى كنف المسلمين

فى مفاجأة مدوية قال مفكر يهودى بارز: إن الكراهية الشديدة التى يكنها اليهود للمسلمين لا محل لها من الإعراب.. خاصة أن كل دول العالم الإسلامى ومنذ القدم لم تتعرض أبداً بسوء لليهود، بل كان اليهود يعيشون دوماً حياة كريمة كأقلية فى الدول الإسلامية.

أضاف المفكر اليهودى سيامك مورصادق.. أن اليهود عاشوا فى دول العالم الإسلامى منذ صدر الإسلام وظلوا يتمتعون بكل ما يتمتع به المواطن العادى، ويعانون من كل ما يعانى منه المواطن العادى، وللأسف فإن الدور عندما حان على إسرائيل كى ترد الجميل للمسلمين عندما أصبحوا أقلية يعيشون فى وسط مجتمع يهودى كبير لم يفعلوا ذلك، بل سارعوا إلى اضطهاد الأقلية المسلمة المتمثلة فى الفلسطينيين فى صورة لا علاقة لها بالدين اليهودى الذى بشر به موسى عليه السلام.

وأنهى المفكر اليهودى الشهير حديثه قائلاً: إن الصهيونية نجحت للأسف الشديد فى تشويه اليهود واليهودية تماما.. وبالطبع سارعت إسرائيل إلى مهاجمة المفكر اليهودى المعتدل، واصفة إياه بأنه تم خداعه علمياً.

Ibn Al-Qayyem (may Allah be merciful to him) said: "It controls the acts and the behavior of the pious people, the protection of the fighters, and the sport of the righteous people. It is devoted to Allah, the Lord of the two worlds, amongst all of the deeds. The faster abandons his desire, food and drinking for the sake of Allah. He abandons the things that the soul likes, preferring Allah's love and satisfaction. It is a secret between the servant and His Lord; and no one gets acquainted with it except Allah.

The worshippers may get acquainted with it by abandoning the apparent things that break one's fast, but abandoning food, drinking and desire for the sake of Allah is a matter that no one but Allah knows. This is the reality of fast. It has a great effect on protecting the apparent and hidden organs from spoiling matters. Fast keeps the heart and the organs healthy, and restores what the desires took from it. It is the greatest help in piety "O you who have believed, prescribed for you is the Fast, as it was prescribed for (the ones) who were before you, that possibly you would be pious". [Al-Baqarah (The Cow): 183]

Imam Al-Ghazaly said in "The Restoration of Religion knowledges" said: "I know that fast has a special aspect that does not exist in any other worship: being dedicated to Allah (Glory be to Him), as Allah says in His Revelation in the words of the Prophet: "Fasting is for Me, and I reward the faster for it." This is a great honor, as He honored the Ka`bah by saying: "purify My House". [Hajj (Pilgrimage): 26].

Allah distinguished fasting for two reasons: The first is that it is a secret that is known by no one except Allah. It implies no hypocrisy. Also, it is a means of overcoming the enemy of Allah, because the means used by the enemy is the desires, which are strengthened by eating and drinking. As long as the reasons for stirring desires exist, the devils exist. When we abandon these desires, you limit their access.

Abdullah Ibn Umar (may Allah be pleased with him) says: "The pillars of religion are prayer and Zakah without separation, Hajj and fasting in Ramadan. Voluntary charity and fast are from the greatest righteous acts.

Fast is one of the greatest acts presented by the servant to His Lord to approach Him, as Allah granted him life and health. Thus, Jabir Ibn Abdullah (may Allah be pleased with him) says: "When you fast, your listening, sight, tongue should abstain from lies and sins. Do not hurt your servant; and you should behave in piety, which your fast adds to you. Do not make the day you fast in like the day you break your fast in."

The faster should approach's Path of Allah(Glory be to Him), remembering His Greatness and Oversight. Thus, he could not disobey Him, and should do his best to satisfy Him by righteous acts. He should supplicate always to Allah and give charity to others.

Imam Al-Baghawy (may Allah be merciful to him) said about the saying of Allah (Al-Hamidun As-Sa'ihun) that As-Sa'ihun refers to the fasters, and he is called in this way because he is preoccupied with worship only and does not eat. Thus, we know that fast has many benefits, the first of which is fearing Allah and piety in secret, rescue from Hellfire and attaining paradise, gaining Allah's love and obedience, refining nature, controlling and purifying the soul, protection of the body, abstention from sins, and fearing Allah (Glory be to Him).

Moreover, the faster sympathizes with the need of the poor and the ill. Thus, he hurries to pay charity and fights Satan. It is reported in a Hadith that: "Satan flows through the human being like blood in the veins. Thus, block his routes by hunger."

Fast is one of the righteous acts and worships. Imam Muslim narrated on the authority of Abu Hurayra (may Allah be pleased with him) that the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) was asked: "What is equal lo strife in the Cause of Allah?" He

said: "You cannot bear it." He said: They repeated the question more than twice or thrice. Every time he said: "You cannot endure it." In the third time, he said: "The striver in the Cause of Allah is equal to faster who recited the verses of the Qur'an and does not get bored of fast or prayer until the striver in the Cause of Allah comes back.

Voluntary charity comes after the voluntary fast, especially the secretly paid voluntary charity. Aly Ibn Al-Hussain (may Allah be pleased with them) is reported to have said that he was bearing bread on his back at night seeking the needy saying: "The voluntary charity given at night extinguishes the Wrath of Allah (Glory be to Him). Allah (Glory be to Him) says: "In case you display (your donations), then how favored (you are) by them, and in case you conceal them and bring them to the poor, then it more charitable for you; and He will expiate for you (some) of you odious (deeds)". [Al-Baqarah (The Cow): 271)

This means that it expiates the sins with all of its forms. Also, performing prayer at the last part of night removes the sin. Imam Muslim related on the authority of Abu Hurayra (may Allah be pleased with him) that the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: "The best prayer is that which is offered at night." At-Termedhy narrated on the authority of Belal (may Allah be pleased with him) that the Prophet said: "You should observe Prayer at night like the preceding righteous people. It makes the people approach the path of Allah and get away from sins and desires."

As for his saying: "May I tell you the head of a matter, its pillar and its summit." The matter here refers to Islam, its pillar is the Prayer and it summit is the strife in the Cause of Allah. This means that it is the best deed after the obligatory acts. As for saying: "May I tell you the way of obtaining all of this?" The Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) explained it by pointing to his tongue and saying: "Stop speaking ill of anyone." The one who takes control over his tongue can control all matters in his life.

I think that the faster can take control over his tongue more than anyone else. The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: "Fast is not only abstention from food and drinking, but it is abstention from idle and obscene speech." Also, he said: "Whoever does not give up false speech and acting upon it, Allah has no need of his giving up his food and drink."

May Allah grant us success in fasting Ramadan and praying at its nights to attain its rewards. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said: "Whoever fasts Ramadan out of faith and in the hope of reward, his previous sins will be forgiven, and Whoever spends the nights of Ramadan in prayer out of faith and in the hope of reward, his previous sins will be forgiven."

Thus, we should not limit fasting on Ramadan only, but we should fast voluntarily, as it is one of the acts that Allah (Glory be to Him) likes. May Allah grant us success in what satisfies Him.

Fasting is a way to good[4]…!

By the Honorable Sheikh: Ibrahim Ata Al-Fayoumy

Member of the Islamic Research Academy

It is narrated on the authority of Mu`adh Ibn Jabal that he asked the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) to inform him with a deed that cause him to enter Paradise and avoid the Hellfire. He said: "You asked about a great matter, which Allah (Glory be to Him) made easy: You should worship Allah only without associating any other one with Him in His Divinity, establish the prayer, pay the Zakah, fast in Ramadan and perform Hajj". Then, he said: "May I tell you the ways to good? Fasting which is a protection, charity which extinguishes the sin, in the way water extinguishes fire, the prayer of a person late at night. Then he recited the verse: "Their sides often shun their recumbencies". [As-Sajdah (Prostration): 16]

Then, he said: "May I tell you the head of a matter, its pillar and its summit. I said: "Yes, Messenger of Allah. He said: "The head of a matter is Islam, its pillar is the Prayer, and its summit is strife in the Cause of Allah." He asked me: "May I tell you the way you attain all of these things" I said: Yes, Messenger of Allah. He pointed at his tongue saying: "Stop it from speaking ill." I said: We are excused, as we speak with it. He said: "May your mother miss you, Mu`adh. The people enter the Hellfire as a result for their ill speech."

[Related by Al-Termedhy, who said that it is an authentic Hadith]

Explanation and Clarification

The most important aim sought by the believer is to be rescued from Hellfire, and to get the satisfaction of Allah and to attain paradise. Thus, the Prophet used to supplicate to Allah saying: "O Allah, I ask You for Paradise and the deeds that bring me near it, and I seek refuge with You from the Fire and the deeds that bring me near it".

Mu`adh Ibn Jabal (may Allah be pleased with him), the Hadith narrator, was keen on asking the Prophet about the action that brings him to paradise and saves him from the Hellfire. He said: "O Messenger of Allah, tell me about a deed that brings me close to paradise, and saves me from Hellfire."

Imam Ahmed Ibn Handal (May Allah be merciful to him) narrated on the authority of Mu`adh: "O Messenger of Allah, I want to ask you about a word that makes me ill and upset." The Messenger of Allah said: "ask whatever you want." He said: "Tell me about a deed that lets me attain paradise, and I will not ask you any more question". This signifies Mu`adh's (May Allah be pleased with him) interest in and concern with the righteous acts to get paradise. There is a proof that the righteous acts let to paradise. Allah stresses this point in His (Glory be to Him) saying: "And that is the Garden which you are made to inherit for whatever you are doing". [Az-Zukhruf (Decoration): 72]

It was mentioned in narrations from the Companions: "Everyone has two homes: one in paradise and the other is in Hellfire. If he dies and gets paradise, the inhabitants of Hellfire will get this home. If he dies and get Hellfire, the inhabitants of paradise inherit it."

[4] An artice published [in Arabic] at Al-Azhar Magazine.

As for the saying of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be): "No one of you will get paradise in return for his deeds," which is mentioned in an agreed upon Hadith, the deed of everyone does not deserve paradise, unless Allah (Glory be to Him) caused him to get it, as a mercy and blessing from him to His servants. Paradise and the reasons leading to it are caused by Allah's blessings and mercy.

The Messenger of Allah replied to Mu`adh saying: "You asked about a great matter," because getting paradise and being rescued from Hellfire is a great matter, for which the Books and the Messengers were sent. The Messenger of Allah said: "It is easy for the person that Allah simplified it to him". This indicates that success is granted only by Allah (Glory be to Him). If Allah simplifies the matter of guidance to someone, he will be guided. If Allah does not simplify this matter to him, he will not be guided.

"So, as for him who gives, and is pious, And sincerely (believes) in the fairest (rewards), Then We will soon ease him to the Easiest. And as for him who is miserly, and thinks himself self-sufficient, And cries lies to the fairest (reward). Then We will soon ease him to the (great) Difficulty". [Al-Layl: (The Night): 5-10].

The Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: "Do righteous acts, everything is simplifies for the matter for which it is created." It will be easy for the happy people to do good deeds. It will be easy for the unhappy people to do the evil deeds."

The Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: "Guide me and make guidance easy for me." Ibn `Umar (may Allah be pleased with him) used to supplicate to Allah saying: "O Allah, simplify the way of righteous and easy deeds and rewards, and bring me away from the evil and difficult deeds."

Getting paradise is resulted from setting up the five pillars of Islam: Monotheism, Prayer, Zakah, fasting and Hajj. This is indicated by the Hadith of the Prophet: "worship Allah without associating any partner with Him in His Divinity, establish prayer, pay off Zakah, fast in Ramadan and perform Hajj."

When the Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) said that getting Paradise is caused by observing the Five Pillars of Islam, he said afterwards that observing the supererogatory acts is one of the ways leading to good. The best righteous people are those who attempt to approach the path of Allah throughout supererogatory acts of worship after performing the obligatory worships. It was mentioned in the Revelation from Allah in the Prophet's words: "The best way, by which My servant tries to approach after performing the obligatory worships is to observe the supererogatory acts of worship. Thus, I like him."

The Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) started the ways of attaining good by "Fasting is a protection". In another narration of Ahmed Ibn Hanbal (May Allah be merciful to him), it is mentioned that "Fasting a protection and shield from fire."

In another narration, it is mentioned that "Fasting is a protection like the shield that saves you in fighting." This means that fasting protects you from falling into sins that lead to Hellfire – we ask Allah refuge from it – as the shield protects the fighter from being hurt.

There are many types of fasting: the first one is obligatory and supported by the Qur'an, Sunnah and the consensus of the scholars, which is fasting in Ramadan. The second is the fasting of expiations and vows and the third is fasting voluntarily such as the fasting of the six days of Shawaal, nine days of Dhul-Hijjah, `Ashura', and three days in every month…etc.

and inclinations as well as reasons for anger and revenge and turning between graces and harms in life. Also, it includes leaving homeland, families and brothers, strife in the Cause of Allah and for the sake of protecting the dignity.

Moreover, there are many hardships and calamities in life that interrupt the life of the human being. Thus, he is in dire need of patience, seeking Allah's help and depending on Him. Thus, Allah imposes of the Muslims fasting in Ramadan to implant the attribute of patience and piety in the Muslims. This month is repeated every year to repeat the lesson.

The Muslim should continue at the nights of Ramadan, which he started in the daytime and should not be extravagant with regard to the matters from which he abstained during his fasting. He should remember Allah in all of his acts no to interrupt the spiritual sequence and light, which he felt in the daytime. Thus, the Wisdom of Allah behind fasting is to be achieved. Thus, fasting becomes strong support to the best soldiers on earth and a spring of good for the Muslim, brother citizens. He lives a happy life, based on love, compromise, cooperation, and peace.

Consequently, he approaches the path of Allah, receives the social duties with power that does not know weakness, steadfastness that does not know boredom, sincerity that does not know hypocrisy and belief that does not know doubt. Thus, the people become happy in their lives.

The aspects of easiness in fasting: Allah, Glory be to Him, is merciful towards His servants and knows best their circumstances and those who can endure fasting. When Allah imposes fasting, He considers the circumstances of the weak and the people in need, who are not able to offer this obligation. Some of them have excuses such as travelling and illness in Ramadan. It suffices that they fast them when they become with good health and at the place of residence. "So, whoever of you is sick or on a journey, then a (fixed) number of other days". [Al-Baqarah (The Cow): 184). Some scholars say that the saying of Allah: "or on a journey". [Al-Baqarah (The Cow): 184)

Gives the license of breaking the fast to those who are travelling. When they reach a place to reside, they should fast, even if he is in a country other than his own country. This license is not as some people believe it to be continuous in travelling, even if the person reaches the place to which he intends to travel. However, it is given only to the person who is travelling.

One of the aspects of easiness that Allah (Glory be to Him) permits those who have good health and resident in a place to break their fast, if they feel that it will endanger their lives. Also, the pregnant, breast-feeding mother and the old man are permitted to break their fast. As they may not be able to make up for the days in which they break their fast, it suffices that they feed one needy person for every day, in which they broke their fast. This meaning is implied by the holy verse: "or on a journey". [Al-Baqarah (The Cow): 184]

The interpreters say that this verse means the people who cannot bear its difficulty. It is said that a person endures carrying a rock, as it is well-known that the rock is difficult to hold. It is not said that a person endures carrying a paper, because it is well-known that there is no difficulty in carrying the paper. The wisdom behind the easiness comes at the end of the fasting verse, as it is a great Islamic rule: Allah imposes fasting on His servants not to exhaust them, but to reach piety and purification. Thus, this obligation is based on easiness, not difficulty along with maintaining the perfection and glorifying Allah for guiding us and praising Him for His grace: "Allah wills for you ease, and He does not will difficulty for you (He wills) and that you should complete (the fixed) number". [Al-Baqarah (The Cow): 185]

This obligation is the worship that makes sincerity in all of the worships is the means of communication between the servant and His Lord. Thus, it is mentioned in the Revelation from Allah in the Prophet's words that all of the worships benefit the servant himself, except fasting, which is a secret worship between the servant and His Lord.

No one could know whether a person is fasting or not except Allah, the Knower of the unseen. Thus, the reward for this worship is a secret between the servant and His Lord. The Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) said in the Revelation from Allah in His words: "Every deed of the son of Adam is for him except fasting; it is for Me and I shall reward for it." May Allah accept our fasting, prayer, bowing, prostration, and recitation, letting them be purely for His sake. He is Ever-Listener, Ever-Near and Respondent to the supplication.

The Wisdom of Fasting[1] ...!

By: The Honorable Sheikh Omar Ad-Deib
Member of the Islamic Research Academy

Fasting is an old worship, as it is as old as the humanity. A Qur'anic verse in Sura Al-Baqarah reveals this meaning. Allah says addressing His believing servants: "O you who have believed, prescribed for you is the Fast, as it was prescribed for (the ones) who were before you, that possibly you would be pious". [Al-Baqarah (The Cow): 183]

The holy verse reveals that fasting is an old worship, which Allah imposed on the previous nations. Fasting is known by the human being long time ago. The religious and righteous person recognizes it as a way of approaching the path of Allah. Also, it was known by the pagan, who does not worship Allah, as a way of refinement and practicing sport. Thus, it is not limited to a certain sect or Message. It is an innate matter, which the human being needs from one time to another of all different ages and nations.

Fasting in Islam is imposed on all of the persons who are able and meeting the conditions to be held legally accountable for their actions in Ramadan. Allah (Glory be to Him) says: "The month of Ramadan (is the month) in which the Qur'an was sent down: guidance to mankind, and supreme evidences of guidance and the all-distinctive Criterion". [Al-Baqarah (The Cow): 185]

It refers to the wisdom of selecting this honorable month for fasting. It is the time, in which the great grace: the Qur'an was sent down. Undoubtedly, the Qur'an purifies the soul. Thus, it is suitable that thankfulness is of the same kind of the grace, as it purifies the soul.

The wisdom of imposing fasting: It is circulated that fasting means abstention from food, drinking and sexual touches. Thus, many Muslims think that when they abstain from these matters during daytime starting from dawn until the sunset, they would perform the obligation of fasting. In fact, this is the apparent and negative aspect of fasting, both of which do not manifest the purpose behind fasting that Allah imposed on His servants. Allah starts the Qur'anic verse of fasting by: "O you who have believed". [Al-Baqarah (The Cow): 183]

He ends it by saying: "that possibly you would be pious". [Al-Baqarah (The Cow): 183]

[1] An article published (in Arabic) at Al-Azhar Magazine.

And, he says: "that possibly you would thank Him" [Al-Baqarah (The Cow): 185]

Between the beginning and end of the Qur'anic verse, Allah says: "prescribed for you is the Fast". [Al-Baqarah (The Cow): 183]

Undoubtedly, calling the people with the believers signify that belief is the basis of good and virtues. Mentioning piety at the end of the verse that it is the spirit and secret of success reveals clearly that fasting is not merely abstaining from eating and drinking, rather, it means abstaining from everything that contradicts with belief, piety and control of conscience.

Thus, the fasting of the person who is not directed to Allah to carry out his wishes is not accepted. Allah does not accept the fasting of the person who is preoccupied with the sins, hatching plots, fights against Allah and His Messenger. Also, Allah does not accept the fasting of the person whose heart is full with spite, hatred, and envy for the unification of the monotheists, attempting to disperse them and weaken their strength. The fasting of the person who takes the side of the oppressing rulers, flatters the foolish people and helps the spoilers is not accepted.

Allah does not accept the fasting of the person who exploits the public interests of the Muslims for his own interests, wishes and desires, and the one who hurts the servants of Allah by hand, tongue, or violates the sanctities of Allah. The faster is an angel in shape of a human being, as he does not lie, suspect, backbite, plot, participate in murder or evil, take the money of the Muslims unrightfully, as these are not the attributes of the believers on whom fasting is imposed.

This is the meaning of fasting, which is abstention from the matters that breaks and nullifies fasting. It strengthens the belief; and it purifies the soul of the faster from the sins. The Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) refers to this meaning in his saying: "Whoever does not give up false speech and acting upon it and ignorant conduct, Allah has no need of his giving up his food and drink."[2] Also, he said: "Fasting does not just mean abstaining from food and drink, rather fasting means abstaining from idle and obscene speech."[3] We should remember the saying of Allah, Glory be to Him: "Surely Allah graciously accepts only of the pious". [Al-Ma'idah (The Table): 27]

Thus, deprivation from food and drink is not the aim behind imposing fasting on the Muslims. But, this is a physical appearance for fasting, behind which its reality hides: planting self-control and patience in the souls of the Muslims. Thus, the resolution of the Muslims become strong, and they become steadfast before the hardships of time, the obstacles, desires and calamities. There are many evil desires

[2] Related by Al-Bukhai

[3] Musnad Ibn Khuzaymah

Ramadan is considered as a spot of light in the heart of each Muslim in the Islamic world, and a new beginning in his spiritual life, as he tries to renew his repentance to Allah, to reform his behavior, to attain perfect morals and attributes, and to do righteous acts. Thus, he becomes happy in his life and in the hereafter.

At the beginning of Ramadan, every faster should avoid the sins that contradict with Shari'ah. The Muslim should not quarrel with any of his Muslim brothers, relatives and friends. He should intend to reform his relationship with his relatives, friends and children. As Ramadan is the month of generosity, the Prophet was extremely generous like the wind coming with good in Ramadan.

Social solidarity and sympathy among the members of the family is an Islamic lawful obligation. The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: "Whoever has surplus of something should give it to the one who does not have it. Whoever has surplus of food should give it to the one who does not have it."

Ramadan is the month in which the last of Sacred Books, sent down by Allah to guide His servants. It is the month, which is described by the Noble Qur'an: "The month of Ramadan (is the month) in which the Qur'an was sent down: a guidance to mankind, and supreme evidences of the guidance and the all-distinctive Criterion; so, whoever of you is present at the month, then he should fast it; and whoever is sick or on a journey, then a (fixed) number of other days. Allah wills for you ease, and He does not will difficulty for you (He wills) and that you should complete (the fixed) number. And magnify Allah for having guided you; and that possibly you would thank (Him)". [Al-Baqarah (The Cow): 185]

Allah (Glory be to Him) links the sending down of the Noble Qura'n with fasting for the grace of the Noble Qur'an, which guide the humanity to good.

Jibril descends with the Qur'an to the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) in Ramadan, as it is mentioned in the Hadith. The recitation of the Qur'an in Ramadan has is rewarded extremely. The happy person is the one who exploits the chance of forgiveness and repentance to Allah in this month. It is mentioned in the narrations of the companions that fasting and the Qur'an intercede for the Muslim.

There is nothing but the Noble Qur'an that purifies the soul, dismisses worries and releases the soul from its cuffs, especially in Ramadan. It was sent by Allah (Glroy be to Him) as clear proofs for the guidance and the criterion (between right and wrong). It reformulates the human being and restores his pure nature, good morals, and operating creed.

It strengthens his belief; thus, he does not fear any aggression. Allah supports him in every situation. His slogan is: "O Allah, do not let our calamity be in our religion, and do not make the world become the greatest goal in our life." Those are the people about whom Allah says in the Noble Qur'an: "And those who have striven in (Our way), indeed We will definitely guide them to Our ways; and surely Allah is indeed with the fair-doers". [Al-'Ankabut (The Spider): 69]

There are ranks of fasting, as there is what is called the perfection of fasting. Fasting in the Shari'ah means abstention from food and drinking. However, it becomes perfect by avoiding lying and backbiting. The Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) says: "Whoever does not give up false speech and acting upon it and ignorant conduct, Allah has no need of his giving up his food and drink."

It is desirable that the faster says: "O Allah, You are All-Forgiving and You love forgiveness so forgive me". They should ask Allah for forgiveness of the sins and acceptance of fasting and Prayer, repent to Him, ask Allah for being granted Paradise to accompany the prophets, companions, martyrs and righteous people.

Second: The Muslim abstains from food, drinking and approaching women in the daytime of Ramadan. Thus, it is a rank of absoluteness, because it implies demanding no food or drink. This is the attribute, by which Allah describes Himself in Al-Ikhlas (Absoluteness) Surah: "Allah, the Eternal, Absolute". [Al-Ikhlas (Absoluteness): 2]

Also, Absoluteness is one of the Names of Allah. When the Muslim offers fasting, he achieves a rank of absoluteness in a way or another. In this way, fasting becomes for Allah, Who rewards for it.

When the Muslim observes fasting, he gets used to patience and perseverance because Ramadan is the month of patience, the attribute which is rewarded by Paradise. The faster observes patience towards the sins, desires, righteous acts and abiding by lawful matters to satisfy Allah (Glory be to Him) and to be granted His rewards and forgiveness. Thus, the Muslim gets used to patience in everything.

Fasting is regarded as self-strife in bringing up, guidance, striving against the desires and inclinations. Also, it encourages the soul to be steadfast in life and to overcome the hardships, urging it to sacrifice and to endure the difficulties in life. Moreover, the Muslim becomes confident of Allah's support without worry or concern.

Fasting involves moral education, as the faster becomes characterized by virtues and avoids sins, unlawful matters, corruption and evil. The faster is characterized by sound morals, correct behavior, treating others kindly by saying kind words, self control and anger control. Thus, the faster becomes extremely ideal, speaks well with others, controls his anger and emotions, responds with good deed to a bad one, forgives the one who wrongs him, gives charity to others, becomes a good pattern of generosity, gets rid of stinginess and selfishness, and avoid deviation.

He follows the Hadith of the Messenger of Allah in which he said: "Fasting does not just mean abstaining from food and drink, rather fasting means abstaining from idle and obscene speech. If someone curses you or treats you in an ignorant manner, then say, "I am fasting, I am fasting.""

The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) warns the Muslims against abstaining merely from eating and drinking in Ramadan, and behaving in a bad manner and claiming fasting." He (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: "Whoever does not give up false speech and acting upon it and ignorant conduct, Allah has no need of his giving up his food and drink."

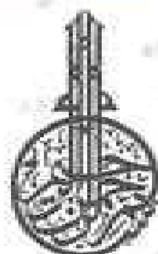
Fasting teaches the Muslim truthfulness with His Lord with regard to worship. Also, he becomes truthful with all of the people. Also, it teaches honesty, as fasting is a secret between the faster and his Lord; he becomes endowed with the best attributes and avoids diversion and frivolous play.

Fasting is regarded as physical Zakah, as it is mentioned in the Hadith: "Everything must pay Zakah, and fasting is the Zakah of the body." The Noble Qur'an guides the Muslims to it, as Allah says: "and eat and drink, and do not be extravagant". [Al-A'raf (The Battlement): 31]

Thus, the soul gets rid of the compelling bestial desires from which Satan comes. Thus, the faster makes Satan lose this chance, as these desires should be balanced with the mind and the soul. The faster becomes able to endure hunger and thirsty.

The social education between the members of the society becomes clear, as the rich feels the feelings of the poor, the adult sympathizes with the young, and the strong feels for the weak. They participate with each other in abstaining from food during daytime and break their fast at the same time at the sunset.

AL-AZHAR MAGAZINE
Ramadan, 1431 A. H.



ENGLISH SECTION
Aug. 2010

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

Ramadan is the Month of Fasting, Forgiveness and Blessings...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Offering prayer is the second pillar of the five pillars of Islam. It follows the two testimonies of faith. It does not become valid without announcing loyalty and worshipping of Allah (Glory be to Him). Prayer does not become valid without Al-Fatihah, in which the Muslim recites: "To Whom we worship and seek help". [Al-Fatihah (The Opening): 5]

In this way, the praying person admits his slavery and submissiveness to Allah (Glorified be He). If we move to Zakah (obligatory charity), we will find that its performance represents vivid embodiment and actual practice of obedience to Allah's Commands, mentioned in the Noble Qur'an. Allah (Glory be to Him) says: "O mankind eat of whatever is in the earth lawful and good; and do not closely follow the steps of Ash-Shaytan; surely he is an evident enemy to you". [Al-Baqarah (The Cow): 167]

Also, Allah says: "Keep up the Prayer and bring the Zakat". [Al-Muzzamel: 20]

Paying Zakah is a practical practice and actual expression of belief in the monotheism of Allah, because we should perform our duties towards the monotheism of Allah. A good lesson is derived from the attitude of As-Seddiq towards the apostates in this respect. Thus, belief in the monotheism of Allah necessitates paying Zakah whenever its known conditions are met. This emphasizes that Zakah is linked to the first pillar of Islam: the two testimonies of faith.

Also, we may consider Hajj in the same way to conclude that it is one of the requisites of believing in monotheism. Thus, the Muslim should perform it to express his sincere belief in monotheism.

Fasting has privacy more than the rest of the rituals, as it is mentioned in a revelation from Allah in the Prophet's words (Every deed of the son of Adam is for him except fasting; it is for Me and I shall reward for it). This Hadith Qudsi reflects the sublime rank of fasting among the different rules of Islam. There is a question: Why does Allah say "Fasting is for me" although the whole of the Muslim life is controlled by Allah (Glory be to Him)? It is mentioned in the Noble Qur'an: "Say, "Surely my prayer, and my rites, and my living, and my dying are for Allah, the Lord of the worlds." No associate has He; and this I am commanded, and I am the first of the Muslims." [Al-An'am (The Cattle): 162-163]

Allah knows best the answer of this question. This question may be raised again in the modern time. Thus, he is the answer for this question to reassure the hearts and persuade the minds.

First: All of the worships are related to the apparent organs, as the testimony of faith is announced in front of the people, prayer necessitates going to the mosque to attend the congregational prayer, Hajj cannot be performed except in its season, and the amount of money allotted for Zakah should be put in the treasury to be delivered to the poor. This reveals that these rituals are seen by the other people during their performance, rather some of them, such as Hajj cannot be performed secretly.

Fasting is remarked by being observed in secrecy and privacy, and the apparent senses' role is not significant in it. Thus, it is a secret between the Muslim and His Lord. It is for Allah, Who rewards the people for it.

الفهـــرس

بسم الله الرحمن الرحيم



احتفال مصر الإسلامية بليلة القدر



شهد الرئيس حسني مبارك الليلة الماضية احتفال مصر بليلة القدر الذى تنظمه وزارة الأوقاف، وكرم الفائزين في المسابقة العالمية للقرآن الكريم.

كان في استقبال الرئيس مبارك لدى وصوله إلى مقر الاحتفال بقاعة مؤتمرات الأزهر بمدينة نصر فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر الشريف، ووزير الأوقاف الدكتور محمود حمدى زقزوق، وعدد من رجال الدين الإسلامي.

وحضر الاحتفال كبار رجال الدولة وفى مقدمتهم رئيس مجلس الوزراء الدكتور أحمد نظيف ورئيسا مجلسى الشعب والشورى، وعدد من الوزراء والمحافظين وسفراء بعض الدول الإسلامية والعربية المعتمدين لدى مصر.

وبدأ الاحتفال بتلاوة آيات من الذكر الحكيم.

أكد الرئيس مبارك فى كلمته خلال الاحتفال أن السلام العادل والشامل ينهى الاحتلال ويقيم الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس. وقال الرئيس: إيماننا لايتزعزع في قدرتنا على مواجهة التحديات واثقين فى الله وتأييده ورعايته، وستظل مصر الأزهر حصناً حصيناً للإسلام.. ورمزاً لاعتداله ووسطيته.

أضاف الرئيس: حققنا إنجازات عديدة اتسعت معها البنية الأساسية.. ووضعت اقتصادنا على الطريق الصحيح.

قال الرئيس: لنا فى رسول الله الأسوة الحسنة.. نستلهم من سيرته العطرة ما يعيننا نحو المستقبل، وفيما يلى نص كلمة الرئيس:

كلمة السيد رئيس الجمهورية

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر..

العلماء الأجلاء..

ضيوف مصر الأعزاء..

الإخوة والأخوات..

نلتقى معا فى رحاب شهر كريم وليلة مباركة.. اصطفى الله من الشهور شهر رمضان.. فيه نصر المسلمين فى «بدر».. وفيه أيدنا بنصره على أرض سيناء.

واصطفى سبحانه من ليالى رمضان.. ليلة القدر.. فيها أنزل القرآن هدى للناس.. ليخرجهم من الظلمات إلى النور.. وفيها يفرق كل أمر حكيم.

يسعدنى فى هذه المناسبة العطرة.. أن أتوجه بالتهنئة إلى شعب مصر.. وشعوب أمتنا العربية والإسلامية.. وجالياتها فى مشارق الأرض ومغاربها.

كما يسعدنى أن أرحب بضيوف مصر من العالمين العربى والإسلامى.. وأن أتوجه بالتحية لرجال الأزهر الشريف.. الذين يحرصون دائما على أن يأتى احتفالنا بهذه الليلة المباركة. مستلهما لمسيرة ماض عريق.. وموصولا بحاضر الأمة الإسلامية ومستقبلها.

العلماء الأجلاء..

الإخوة والأخوات..

تمر بنا ليلة القدر.. فنتمعن فى قضايا الوطن.. وقضايا منطقتنا وأمتنا.. نتوقف أمام أحوال عالمنا الإسلامى.. فنواجه مقارنة لا مفر منها.. بين ماضى المسلمين وحاضرهم.. وما يطرحه المستقبل من آمال وتحديات.

تتوالى على عالمنا الإسلامى هجمات شرسة.. تستتر وراء حرية الرأى والتعبير والصحافة.. تشوه صورة الإسلام وتعاليمه.. تتجاسر على مقدساته.. وتغذى المشاعر المعادية للمسلمين وجالياتهم.. ومن المؤسف أن ينتقل هذا التطاول على الاسلام من الغرب إلى بلداننا.. بإساءات يرتكبها بعض من أبنائنا.. ما بين طالب شهرة وطالب مال.. يؤذون مشاعرنا.. ويتطاولون على الإسلام عن جهل أو افتراء.

يأتى احتفالنا اليوم.. وعالمنا العربى والإسلامى فى مواجهة أوقات صعبة.. يبدو فيه وكأنه بات مستهدفا.. فى هويته وأوطانه واستقلال إرادته ومقدرات شعوبه.. ما بين ما يحدث فى أفغانستان وباكستان والعراق ولبنان والسودان والصومال.. ومخاطر جديدة تتصاعد نذرها بمنطقة الخليج.. تهدد الاستقرار.. وتضع الشرق الأوسط برمته فى مهب الريح.

ستبقى القضية الفلسطينية مفتاح الأمن



الإقليمى بمنطقتنا.. والطريق لحل باقى أزماتها وقضاياها.. لم يعد من المقبول أو المعقول أن تراوح عملية السلام مكانها.. ما بين تقدم وانحسار.. وانفراج وانتكاس.. فى وقت تستمر فيه معاناة الشعب الفلسطينى.. ما بين قهر الاحتلال.. وانقسام قادته وفصائله.

لقد تواصلت جهود مصر لإحياء مفاوضات السلام.. ولإعادة توحيد الصف الفلسطينى.. وكما أكدت منذ أيام قليلة فى واشنطن.. فإننا عازمون على مواصلة جهودنا.. وصولاً لاتفاق سلام وعادل ومشرف.. يحقق الأمن للجميع.. ينهى الاحتلال.. يضع الشرق الأوسط على مسار جديد.. ويقيم الدولة الفلسطينية المستقلة.. وعاصمتها القدس الشرقية.. بمسجدها الأقصى وحرمه الشريف.

إننا فى مصر واعون تماما لواقع عالمنا العربى والإسلامى.. ولما يطرحه من تحديات ومخاطر.. إلا أن إيماننا لا يتزعزع فى قدرتنا على مواجهتها والتعامل معها.. دفاعا عن قضايا وطننا وأمتنا.. واثقين فى الله وتأييده ورعايته.. فلقد كان سبحانه معنا وإلى جانبنا.. فى أوقات الحرب والسلام.

الإخوة والأخوات..

ستظل مصر الأزهر حصناً حصيناً للإسلام.. ورمزاً لاعتداله ووسطيته وسماحته.. تمضى فى طريقها نحو المستقبل.. حافظة لوحدة أبنائها من المسلمين والأقباط.. مؤمنة بأن الدين لله والوطن للجميع.. واعية لمخاطر خلط الدين بالسياسة.. راعية لمبادئ المواطنة.. وما ترسيه لكافة أبنائها من حقوق وواجبات.

يمضى شعبنا فى صنع حاضره ومستقبله.. بثقة وعزم ويقين.. نعلم أن قوتنا فى وحدتنا وتماسك مجتمعنا.. ونعى أن تحقيق طموحاتنا رهن بالتفافنا حول ما يجمعنا.. لا ما يفرقنا.

نواصل الإصلاح على كافة محاوره.. من أجل دولة مدنية حديثة ومجتمع ناهض متطور، نتصدى لقوى الإرهاب والتطرف.. ونصون مصالح الوطن أينما كانت.

حققنا معا إنجازات عديدة.. اتسعت معها البنية الأساسية الجاذبة للاستثمار.. وضعت اقتصادنا على الطريق الصحيح.. أتاحت لنا مواجهة أزمات عالمية حادة بمواردنا الذاتية.. ومكنتنا من الوفاء باحتياجات شعب تضاعف عدد سكانه.. أو يكاد.. خلال السنوات الثلاثين الماضية.

صحيح أننا لا نزال فى مواجهة العديد من الصعاب والمشكلات والتحديات.. لكنها صعاب ومشكلات وتحديات مجتمع تتسع طموحات أبنائه وتطلعاتهم.. عاماً بعد عام.. مجتمع يتغير.. شهد ـ ولايزال ـ تحولات عديدة.. وتسابق زيادته السكانية آماله وطموحاته وموارده.

تلقى ضغوط هذه الزيادة السكانية بانعكاساتها على كافة نواحى الحياة.. فى المساكن والمواصلات وخدمات الصحة والتعليم والأسعار.. وغيرها.. كما تلتهم أولا بأول ثمار ما نحققه من معدلات النمو والتنمية.

إن ما نواجهه من حين لآخر.. من اختناقات فى بعض السلع الغذائية.. ما هو إلا بعض تداعيات هذا الاختلال بين السكان والموارد.. ونحن ـ كغيرنا من الشعوب النامية ـ نوجه نسبة كبيرة من دخولنا للإنفاق على الطعام.. وعلينا أن نتذكر معاناة مواطنينا فى طوابير الجمعيات الاستهلاكية خلال سنوات الثمانينيات.. حين كان تعدادنا لا يتجاوز (٤٣) مليون مصرى ومصرية.. كما أن علينا أن نتساءل عما سيكون عليه الحال.. عندما يتجاوز تعدادنا المائة مليون نسمة.. فى غضون بضع سنوات.

الإخوة المواطنون..

لقد دعا الإسلام للتفكر والتدبر وإعمال العقل.. ونحن مقبلون على المزيد من العمل الشاق.. نستعيد به معدلات النمو الاقتصادى المرتفعة.. ونستكمل خلاله توسيع قاعدة العدل الاجتماعى.. تظل أولوياتنا محاصرة البطالة وإتاحة المزيد من فرص العمل.. ونضع نصب أعيننا مساندة الفقراء والبسطاء والمهمشين.

لقد كان لنا فى رسول الله الأسوة الحسنة.. نستلهم من سيرته العطرة ما يعيننا فى حركتنا نحو المستقبل.. تعلى قيم الاجتهاد والإخلاص فى العمل.. ويقدم كل منا عطاءه من أجل الوطن.

الإخوة والأخوات

أدعو الله فى خشوع هذه الليلة المباركة.. أن يحفظ مصر بلداً آمنا.. وأن يوفقنا ويسدد خطانا.. إنه نعم المولى ونعم النصير.

كل عام وأنتم بخير،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة فضيلة الإمام الأكبر



بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه..

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية

الحفل الكريم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

فى ليلة القدر من هذا الشهر المبارك ومنذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان بدأ نزول القرآن الكريم على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ثم تتابعت تنزلاته على مدى ثلاثة وعشرين عاما هى عمر دعوته صلى الله عليه وسلم فى مكة والمدينة.

والاحتفال بليلة القدر هو فى المقام الأول احتفال بالقرآن الكريم ذلكم الكتاب الذى أنشأ حضارة إنسانية هائلة، سادت الدنيا من أقصاها إلى أقصاها فى ظرف ثمانين عاماً فقط، وحققت للناس أغلى الإنجازات الحضارية التى كانوا يحلمون بها ولا يجدونها، ويقول المنصفون من المؤرخين: إنه لم تعلن حقوق وحريات عامة للإنسان قبل نزول القرآن فى القرن السادس الميلادى، لأن الإنسان قبل الإسلام لم يكن على وعى بالحقوق أو الحريات العامة، بمعنى أن الإنسان المتساوى مع أخيه الإنسان فى الحقوق والواجبات على صعيد الواقع لم تعرفه الدنيا قبل ظهور الإسلام، وحسبنا أن نعلم أن حضارة اليونان فى ذلكم الوقت كرست نظام الرق ومبدأ الاستعباد فى نظمها الاجتماعية، تبنى ذلك الفيلسوف اليونانى الكبير أفلاطون ودافع عنه فى جمهوريته التى تعد الأنموذج الأمثل لسياسات المدن الفاضلة، ولما جاء أرسطو وهو أكبر عقل عرفته الدنيا فى ذلكم الوقت سار على درب أستاذه وما لبث أن أعلن أن الناس صنفان: صنف مخلوق للسيادة والرئاسة وصنف مخلوق للسخرة والطاعة، وأن الصنف الثانى ليس إلا آلات مثل آلات الحرث والسقى ولم تنج المرأة من ظلمه، فنادى بأن تكون خادمة للرجل تتبعه وتخدم أولاده فى البيت

والحقل والمتجر وليس لها أن تفكر في مساواته أو مشاركته في المسئوليات العامة.

ولم يكن الأمر بأحسن حالاً في حضارات العالم الأخرى القائمة آن ذاك، كالحضارة الرومانية والفارسية والهندية والعربية.

في هذا الوسط الموبوء نزل القرآن الكريم الذي نحتفل الليلة بنزوله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليحرر الإنسان من كل هذه القيود وهذه الأغلال والمظالم الأخلاقية والاجتماعية، وجهر النبي صلى الله عليه وسلم ولأول مرة بحقوق الإنسان وبالمساواة بين البشر، وقرع أسماع الناس قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

(الحجرات: ١٣)

ولأول مرة – أيضا – سمع العرب والعجم بيان النبوة الحاسم: الناس سواسية كأسنان المشط. الناس رجلان: رجل بار تقي كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله، والناس بنو آدم، وخلق الله آدم من تراب، ولم ينس صلى الله عليه وسلم وهو يودع أمته في حجة الوداع أن يذكرهم بمبدأ المساواة بين الناس جميعاً فقال في بداية خطبته الخالدة: «أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أبيض فضل إلا بالتقوى، ألا هل بلغت، اللهم فاشهد، ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب»..

ثم سمع المجتمع العربي ولأول مرة أيضاً صيحة نبي الإسلام: «النساء شقائق الرجال» وفي رواية خاطبهن قائلا: أنتن شقائق الرجال.. وقوله أيضاً: لو كنت مفضلا أحداً لفضلت النساء على الرجال وتلا عليهم قوله تعالى:

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾

(النساء: ١٩)

وكان المتوقع أن يقول: فإن كرهتموهن فطلقوهن أو تزوجوا عليهن، لكنه لم يقل ذلك، وإنما أغرى الزوج الكاره بالصبر الجميل ووعده بالخير الكثير إن هو صبر على مواصلة الحياة مع شريك ليس له في أمر الحب والكره حول ولا قوة. والقرآن هو الذي أوقف فوضى الزواج في الجاهلية وهو الذي جعل المرأة ترث مع الرجل بعد أن كانت تورث وكأنها متاع مما يتركه الأموات.

والقرآن وإن جعل ميراث البنت على النصف من ميراث أخيها في أربع حالات فإن هناك أكثر من ثلاثين حالة تأخذ فيها المرأة مثل الرجل أو أكثر أو ترث فيها المرأة ولا يرث فيها الرجل.

والقرآن هو الذي قرر حرية العقيدة ورفع الحجر عن العقل والإرادة وبلا حدود:

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

(البقرة: ٢٥٦)

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾

(يونس: ٩٩)

﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾

(الغاشية: ٢٢)

﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾

(الرعد: ٧)

﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾

(الشورى: ٤٨)

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾

(الأنعام: ٣٥)

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾

(هود: ١١٨)

إلى آيات أخرى يضيق المقام عن ذكرها وسردها.

والحضارة التي صنعها القرآن حضارة تعارف وتكامل بين بني البشر وقد سعد بها الإنسان المسلم وغير المسلم في الشرق والغرب على السواء ولم تكن كما يقال عنها زورا وبهتانا حضارة سيف، أو حضارة حرب، كيف، وكلمة السيف ليست من كلمات القرآن الكريم ولا من مفرداته؟! إنها لم ترد فيه لا مفردة ولا مثناة ولا مجموعة ولو أنصف المغرضون لقالوا إنها حضارة السلام بامتياز ويكفينا شاهدا على ذلك أن كلمة السلام ومشتقاتها وردت في القرآن الكريم إحدى وأربعين مرة بينما وردت كلمة حرب في القرآن ثلاث مرات فقط..

والقرآن ينكر تسلط حضارة على أخرى أشد الإنكار ونحن – المسلمين – نعتقد أن العلاقة بين الحضارات إنما هي علاقة تعارف وتعاون وتكامل وأنها إن سارت في طريق الصراع البائس المشئوم فإن النتيجة لن تكون أبدا سيطرة حضارة أخرى أو سيادة ثقافة أو دين على سائر الثقافات والأديان، وإنما المصير المحتوم حينئذ سيكون لا محالة إما انهيار الحضارات المتغطرسة، أو عودة البشرية كلها إلى حالة من الهمجية والفوضى ربما لا يعرف التاريخ لها مثيلا من قبل.

نسأل الله العلي القدير في هذه الليلة المباركة أن يأخذ بيد قادة الأمة العربية والإسلامية إلى ما فيه عزها وقوتها ومجدها كما نسأله سبحانه أن يمتعكم سيادة الرئيس بمزيد من الصحة والعافية والسعادة وأن يحفظكم لمصر ويحفظ مصر بكم وأن يسدد على طريق الحق والخير خطاكم.

وكل عام وأنتم بخير والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة وزير الأوقاف

ألقى الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف كلمة خلال الاحتفال أكد فيها أن الاحتفال بليلة القدر هو احتفال بكل المعانى العظيمة التى تحث المسلمين على النهوض وتدعو إلى التقدم وتحفز إلى التنافس فى السباق الحضارى والبعد عن التعصب المذموم والتشدد البغيض، مؤكدا أن الدين يسر لاعسر، كما جاء فى الحديث الشريف، وكما يقول القرآن الكريم:

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾

(البقرة: ١٨٥)

ودعا وزير الأوقاف إلى التمسك بالقيم الدافعة لتقدم المجتمع وهى قيم نسيها الكثيرون وعلى رأسها العلم والعمل والتسامح والتراحم والتعاون واحترام الإنسان من حيث هو إنسان بصرف النظر عن انتماءاته فى الدين أو الجنس أو اللغة.

وقال «أراد الله للبشر أن يتعارفوا ويتعايشوا ويتسامحوا ويتعاونوا من أجل إقامة مجتمع يسود فيه الأمن



والاستقرار وترفرف فى سمائه ألوية السلام».

وقال «إن كل هذه المعانى هى ما تحاول وزارة الأوقاف أن ترسخه فى أذهان الدعاة ليقوموا بدورهم فى توعية المواطنين من أجل مواجهة التيارات المشبوهة التى تدعى السلفية على الرغم من أنها لم تعرف من الإسلام إلا قشوره ونسيت جذوره، وتسببت فى إحداث البلبلة وإثارة الفتنة بين الناس».

وأشار إلى جهود وزارة الأوقاف من أجل العمل على التجديد المتواصل



للخطاب الدينى حتى يكون مواكبا للزمان والمكان ومقتضيات العصر، ومركزا على غرس الأمل والتفاؤل فى نفوس المواطنين.

أكد الدكتور زقزوق أن هيئة الأوقاف المصرية تقوم باستثمار أموال الأوقاف الخيرية فى مختلف المشروعات التى تخدم المجتمع، ومن الأمثلة على ذلك بناء مؤسسة نموذجية للأيتام على مساحة سبعة آلاف متر مربع بمدينة السادس من أكتوبر، مشيرا إلى أن الوزارة انتهت من بناء مركز للأورام بطاقة ثمانين سريرا بجوار مستشفى الدعاة بمصر الجديدة مجهزا بأحدث الأجهزة، كما انتهت من استصلاح عشرين ألف فدان فى شرق العوينات وهى المساحة التى تكفلت الهيئة باستصلاحها والمساحة كلها مزروعة بمختلف المحاصيل.

أشار إلى أن وزارة الأوقاف خططت لبناء مائة ألف وحدة سكنية للشباب من محدودى الدخل عن طريق الإيجار

الميسر ضمن المشروع الذى طرحه الرئيس مبارك للإسكان، منوها بأن هيئة الأوقاف انتهت بالفعل من بناء الآلاف من الوحدات السكنية التى تنتظر تشريف الرئيس مبارك لتسليم عقود الإيجار للمستحقين، وجارى العمل فى بناء عشرات الآلاف من الوحدات السكنية الأخرى، ومن المخطط أن ينتهى العمل فى المشروع كله خلال أقل من عامين.

وفى خارج مصر، أشار وزير الأوقاف إلى أن الوزارة قامت ببناء المرحلة الثانية من جامعة نور- مبارك للثقافة الإسلامية بكازاخستان بأموال الأوقاف وبعض التبرعات، مشيرا إلى أن المبنى الجديد للجامعة يعد صرحا شامخا يليق باسم مصر فى الخارج ويقدم الثقافة الإسلامية الصحيحة للطلاب من دول وسط آسيا.

أكد أن مصر بلد الأزهر الشريف كانت سابقة دائما إلى العناية بالقرآن الكريم، مشيرا إلى قيام الوزارة بتنظيم المسابقة العالمية الثامنة عشرة للقرآن الكريم التى شرفت برعاية الرئيس حسنى مبارك، حيث تقدم للمسابقة متسابقون من أكثر من ستين دولة.

أشار إلى أن الوزارة استخدمت فى هذه المسابقة تقنية جديدة تطبق لأول مرة فى العالم الإسلامى تحقق الشفافية التامة، وقد طلب عدد من الدول الإسلامية الاستفادة منها وتطبيقها فى بلادهم.

أكد وزير الأوقاف أن وزارته لم تنس الأطفال والشباب من ذوى الاحتياجات الخاصة من أصحاب الإعاقة الذهنية، وقامت بتنظيم مسابقة خاصة بهم رفعا لروحهم المعنوية ودليلا على اهتمام المجتمع بهم وخصصت لهم جوائز مالية قيمة.



بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى
تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

الاشتراك السنوى
داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا
أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا
عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر
ت: ٢٢٦٣٨٥٩٩

شوال ١٤٣١هـ - سبتمبر ٢٠١٠م - الجزء العاشر - السنة الثالثة والثمانون

افتتاحية العدد

شبهات حول التفكير الدينى

(٢)

على أنى أذهب إلى أبعد من ذلك فأرى أن بذرة التفكير الدينى الصحيح قد وجدت مع الإنسان منذ الخليقة فليس هناك عصر أسطورى خرافى يشمل حقبة محددة كما يزعم الزاعمون إذ أن أول جريمة وقعت على الأرض بين قابيل وهابيل كانت تجد من الضمير الدينى مدعاة إلى النكوص عن الشر لدى هابيل حين قال لأخيه:

﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

(المائدة: ٢٨، ٢٩)

ثم وجدت من القاتل نفسه ندماً مفرطاً نطق به لسانه حين قال فيما حكاه القرآن:

﴿ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِيۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾

(المائدة: ٣١)

أما ماجدّ بعد ذلك من خرافات التأليه لمظاهر الطبيعة فقد كان فى حقب متقطعة إذ انتشر ظلامها ردحاً من الزمان فإن بروق الرسالات تلمع فى هذه الدياجير مشيرة إلى الطريق.

ولنا أن نقول بعد ما تقدم إن الخلل ملموس فى آراء من يزعمون بدائية التفكير الدينى إذ يقررون خضوع بحوثهم العلمية إلى نظرية التطور ثم يجزمون بعد ذلك بخرافة التفكير الدينى! مع أن نظرية التطور هذه ـ إذا سلمنا بها جدلاً ـ تمد التفكير الدينى فيما يتعلق بالإسلام بالذات بأقوى البراهين الدالة على صحة آرائه وارتقاء تعاليمه! وبيان ذلك أنهم يقررون فى ضوء هذه النظرية أن التفكير البدائى حلقة أولى تكونت فى طفولة العقل البشرى، لأن الإنسان الأول وقد رزق غريزة التعليل قد اضطر إلى أن يعلل ظواهر الطبيعة المختلفة بما يتفق ومنطقه الساذج، فهو يعجب بجبروتها ويدهش لقوتها فيهم بالتودد إليها ويرى وراءها روحاً عظيماً يحرك العالم ويدبر الكائنات فلابد أن يعبدها وأن يتقدم إليها بالقرابين فى معابد الشمس والقمر والنار!

ثم تمر الأيام والعقل الإنسانى دائب ملح فى اكتشاف العلل وإزاحة الأغطية عن جبين الوجود، فيرى الزرع ينمو بالماء والماء يتبخر بالحرارة والنار تنضج الطعام فيحاول أن يربط بين الأسباب ومسبباتها، وينتقل بذلك من التفكير البدائى إلى مرحلة أولى من التفكير العلمى ومايزال مجدا فى تعليل الغوامض وتشريح الظواهر معتمداً على الملاحظة والتجربة ومرتكزاً على ما يشاهد من النتائج اللازمة للمقدمات حتى يصبح التفكير العلمى سبيله إلى التحليل والتعليل ثم إذا بلغ قمة هذا التفكير ترك المحسوسات جانباً ولجأ إلى المعنويات المجردة فأخذ يبحث عن المصير والمبدأ والخير والشر والمعروف والمنكر والحق والباطل ثم مضى يضع القواعد الكلية لهذه المعانى كى تندرج خلفها مئات الجزئيات، وحينئذ يكون التفكير الفلسفى قد سيطر على نفسه وفقا لهذا التطور المنهجى فى خطوات التفكير.

وإذا كانت الفلسفة الإغريقية منذ سقراط قد بدأت تصور الاتجاه الحقيقى للتفكير الفلسفى عند القائلين بهذا التقسيم فمعنى ذلك أن العقل البشرى قد اكتمل نضجه وآتى أكله منذ سقراط وأفلاطون وأرسطو ومن وليهم من الفلاسفة

التجريديين ! هذا الارتقاء الفكرى الذى يذهب إليه أصحاب التقسيم فى ضوء نظرية التطور مما يكون حجة للتفكير الإسلامى بالذات إذ أن الإسلام قد أعقب هذه الفتوح العلمية فى بلاد الإغريق واليونان، بل أعقب المسيحية بما قدمت من مفهومات جديدة للناس فهو الثمرة الأخيرة للتفكير الإنسانى المكتمل، وما جعله الله خاتم الأديان إلا لما تضمن من كمال لا يلحقه النقض، فإذا كان أصحاب هذا التقسيم المنهجى للتفكير الإنسانى يؤمنون بنظرية التطور ويضعون على ضوئها ما يذهبون إليه من الأحكام، فإن الإسلام بتأخره الزمنى يعلن إلى الناس جميعاً أنه آذن العقول فى ذروة تقدمها، وقمة ارتقائها بنوع سام من التفكير يواكب ما تمخضت عنه الفلسفات الأصيلة من ارتقاء، ولسنا بذلك نرى أن الفلسفة اليونانية قمة تحتذى، كما يذهب إلى ذلك أنصارها الكثيرون، ولكننا نقول لمن يحاولون تنقص التفكير الإسلامى بنوع خاص على ضوء نظرية التطور: إنكم تعكسون القضية عكساً يرجع على تقسيمكم المنهجى للتفكير الإنسانى بالنقض الهادم دون أن يطفىء لألاء الفكر الدينى فى وحيه الكريم.

وقد يقول قائل: إنك تستشهد بآيات القرآن على ارتقاء الفكر الدينى فى عصوره المتقدمة، وهذا ما يقنع المسلم وحده، ولكن كيف يقنع المادى الأوروبى بأن هذه الحقبة الضاربة فى أعماق التاريخ قد وجدت من الهداة من ميزوا الخير عن الشر ورفضوا تأليه الجمادات والحيوانات والأفلاك؟ ونحن نستدل بما وجد على الآثار الفرعونية والبابلية والأشورية من دلائل الوحدانية، وكتاب الموتى بين الآثار الفرعونية ينطق بسمو كبير فى الاتجاه إلى الجزاء الأخروى من ثواب وعقاب، وما وجد فى المعابد الفرعونية عن دعوة إخناتون إلى التوحيد فى النفوس الأثرية برهان ناطق لا يقبل المماراة، وهو فى عباراته الصريحة يرفض تأليه الجمادات والأفلاك، ويخضع الكون إلى مدبر عاقل حكيم قدر القمر منازل وجعل الشمس تجرى لمستقرلها، ودعا إلى الفضيلة مكافئا عليها وحذر من الرذيلة موعداً مهدداً، وقد كان ذلك كله فى فجر التاريخ..!

فإذا عرفنا الآن كيف التصقت الخرافة بالفكر الدينى عن غرض كريه فقد آن لنا أن نوضح موقف الدين الإسلامى من التفكير العلمى والتفكير الفلسفى لنضع الحقائق فى موضعها الصحيح.

يرى أصحاب هذا التقسيم الثلاثى أن مراحل التفكير قد بدأت منفصلة لم يتح لها أن تتداخل فى تطورها الزمنى بل نشأت مبتدئة من التفكير الدينى ومنتهية بالتفكير الفلسفى بعد أن مرت بالتفكير العلمى، ولكننا حين ننظر إلى التفكير الدينى كما يعتنيه الإسلام نجده ذا دائرة تتسع حتى تشمل التفكير العلمى والتفكير الفلسفى معا، دون أن تقوم الفواصل الزمنية بين كل نوع من أنواع التفكير، وإذا شئنا بسط هذه القضية فلن نتعسف فى التدليل، فالتفكير العلمى يقوم على الملاحظة المرئية، ويجعل التجربة المشاهدة طريق النظر والاستدلال، ولا يتأثر بالمخاوف والرغبات أو يستعين بالأخيلة والأوهام، هذه هى خصائصه الواضحة المحددة فهل لنا أن نستعرض أولاً من النصوص الدينية ما يؤيد هذا الاتجاه ثم نعقب ثانياً بالإشارة إلى بعض ما سجلته الفتوح العلمية لعلماء الإسلام من بحوث كاشفة تعتمد على المشاهدة البصيرة والملاحظة اليقظة، لنرى كيف نهض التفكير العلمى فى محيط التفكير الدينى دون تناحر واشتجار.

لقد دعا القرآن إلى التأمل الفكرى وجعل المشاهدة دليل التبصر فيما تصدر من أحكام، ونعتقد من آراء حيث قال فى محكم كتابه:

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ
وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾

(الأعراف: ١٨٥)

فجعل الإيمان مرتكزاً على النظر فى ملكوت السموات والأرض ليجد المسلم فى مشاهد الكون ما يقنعه بوجود إله واحد مدبر خالق، ثم فصل الأمر بعض التفصيل حين قال فى موضع آخر مرتكزا على المشاهدة المرئية:

﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ
أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا
رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ
وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي
ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

(النمل: ٦٠ : ٦٣)

وحين قال:

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ
وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ
وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴾

(ق: ٦ : ١١)

فهذه النصوص وعشرات أمثالها تفتح باب التفكير العلمي على مصراعيه وتجعل المشاهدة المرئية دليل النظر والبحث، وما اتجه المسلمون إلى البحث العلمي إلا متأثرين بهذه الدفعات القوية نحو التأمل المدرك والملاحظة البصيرة وإذا كان من دلائل التفكير العلمي الخلوص من الأوهام السابقة والبعد عن التقليد فإن القرآن قد دعا إلى استقلال النظر الفكري وحذر من أوهام السابقين تحذيراً متواصل الطرق بما لا يستطيع الإفاضة في التدليل عليه إذ هو من الذائعات المسلّمة المشتهرة لدى من يقرءون كتاب الله متأملين، ولكننا نتساءل عن أحدث الطرق الصحيحة للبحث العلمي فنجدها تنحصر في جميع المشاهدات الملاحظة ثم في تنسيقها تنسيقاً منطقياً متصل الأجزاء، وإقامة فرض معقول يؤول هذه المشاهدة تأويلاً يسلم المقدمات إلى النتائج ثم تجربة هذا الفرض تجربة عملية

ليتأكد الباحث من قوته فإذا ما اتضح له ذلك انتقل به من الفرض إلى اليقين بحيث يصبح قانوناً علمياً في ضوء التجربة المشاهدة!

هذه الخطوات العاقلة المتأنية كانت سبيل الباحثين من علماء الإسلام وبها ازدهر التقدم الزراعي والصناعي في حواضر الدول الإسلامية بالعراق ومصر والأندلس وسمرقند حتى نقلت أساليب التسميد والري وتربية الحيوانات عنهم إلى الغرب، ولن نفيض في تعداد ذلك بأكثر مما ذكره الأستاذ «درابر» في كتابه المنازعة بين الدين والعلم حيث قال: «لقد كان تفوق العرب في العلوم ناشئاً من الأسلوب الذي توخوه في مباحثهم وهو أسلوب اقتبسوه من فلاسفة اليونان فإنهم تحققوا أن الأسلوب العقلي المحض لا يؤدي إلى التقدم وأن الأمل في وجدان الحقيقة يجب أن يكون معقوداً بمشاهدة الحوادث ذاتها، من هنا كان شعارهم في بحوثهم الأسلوب التجريبي والدستور العملي وكانوا يعتبرون الهندسة والعلوم الرياضية أدوات ومعدات لعلم المنطق وقد يلاحظ المطالع لكتبهم العديدة في الميكانيكا وعلم توازن السوائل ونظريات الضوء أنهم اهتدوا إلى حلول مسائلهم عن طريق التجربة والنظر بواسطة الآلات وهذا هو الذي جعل العرب أول الواضعين لعلم الكيمياء والمستكشفين لعدة آلات للتقطير والتصعيد والإسالة وهذا بعينه الذي جعلهم يستعملون في بحوثهم الفلكية الآلات المدرجة والسطوح المعلمة، والأسطرلابات وهو الذي بعثهم لاستخدام الميزان في العلوم الكيماوية وقد كانوا على ثقة تامة من نظريته وهو الذي هداهم لعمل الجداول عن الأوزان النوعية للأجسام، والأزياج الفلكية مثل التي كانت في بغداد وقرطبة وسمرقند وهو الذي أوجد لهم هذا الترقي الباهر في الهندسة وحساب المثلثات وهو أيضا الذي هم بهم لاكتشاف علم الجبر ودعاهم لاستعمال الأرقام الهندسية وهذا هو سبب تفضيلهم لأسلوب أرسطو الاستدلالي على مقالات أفلاطون الاستنتاجية.

د./ محمد رجب البيومي

تفسير سورة النساء

لفضيلة/ الأستاذ الدكتور
محمد سيد طنطاوي
رحمه الله

قال تعالى:

﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا
مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ
وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ
اللَّهَ حَدِيثًا ﴾

الآيات (٣٩ : ٤٢)

وبخ -سبحانه- هؤلاء الذين يؤثرون رضا الناس على رضا الله، والذين كفروا بالحق بعد إذ جاءهم فقال-:

﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ﴾

والمعنى: وأى ضرر على هؤلاء الكافرين البخلاء المرائين لو أنهم آمنوا بالله-تعالى- حق الإيمان، وآمنوا باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب، وأنفقوا مما رزقهم الله من فضله ابتغاء وجهه؟

إنه لا ضرر مطلقا من إيمانهم وإنفاقهم واستجابتهم للحق، بل إن الخير كل الخير في اتباع ذلك، والشر كل الشر فيما هم عليه من كفر وبخل ورياء.

فالجملة الكريمة توبيخ لهم على سلوكهم الطريق المعوج وتركهم للطريق المستقيم.

وإلى هذا المعنى أشار صاحب الكشاف بقوله: «قوله ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ ﴾ وأى تبعة عليهم في الإيمان والإنفاق في سبيل الله. والمراد الذم والتوبيخ. وإلا فكل منفعة ومفلحة في ذلك: وهذا كما يقال للمنتقم: ما ضرك لو عفوت؟! وللعاق: ما كان يرزؤك لو كنت بارا؟!. وقد علم أنه لا مضرة ولا مرزأة في العفو والبر. ولكنه ذم وتجهيل وتوبيخ بمكان المنفعة»[1].

وقوله:

﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾

تذييل قصد به تهديدهم على إيثارهم طريق الغى على طريق الرشد.

أى: وكان الله بهم عليما علماً يشمل بواطنهم وظواهرهم، وسيجازيهم على ما أسروه وما أعلنوه بالعقاب الذى يستحقونه.

ثم بين- سبحانه- أنه منزه عن الظلم بعد أن أقام الحجة على الظالمين، ودعاهم إلى سلوك طريق الخير، فقال:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

والمثقال: مفعال من الثقل. ويطلق على الشيء القليل الذى يحتمل الوزن.

والذرة: تطلق على النملة، وعلى الغبار الذى يتطاير من التراب عند النفخ.

وهذا أحقر ما يقدر به الشيء، فعلم انتفاء ما هو أكثر منه بالأولى.

والمراد: أن الله -تعالى- لا ينقص أحدا من ثواب عمله شيئا مهما ضؤل هذا الشيء وحقر، فخرج الكلام على أصغر شيء يعرفه الناس. كما قال -تعالى-:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾

(الزلزلة: ٧-٨)

وكما في قوله تعالى:

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾

(الأنبياء: ٤٧)

ومفعول يظلم محذوف والتقدير: لا يظلم أحدا مثقال ذرة.

وقوله ﴿ مِثْقَالَ ﴾ منصوب على أنه نعت لمصدر محذوف أى لا يظلم أحدا ظلما وزن

---

(١) تفسير الكشاف جـ١ ص٥١١.

ذرة. كما تقول: لا أظلم قليلا ولا كثيرا.

وقوله:

﴿ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

بيان لسعة جوده - سبحانه - وعظيم رحمته وعفوه.

وقد قرأ نافع وابن كثير وأبوجعفر «حسنةٌ» -بالضم- على أن ﴿ تَكُ ﴾ مضارع كان التامة أى وإن توجد أو تحصل حسنة يضاعفها.

وقرأ الباقون ﴿ حَسَنَةً ﴾ -بالنصب- على أنها خبر لقوله ﴿ تَكُ ﴾ المشتقة من كان الناقصة.

وأصل ﴿ تَكُ ﴾ تكن فحذفت النون من آخر الفعل من غير قياس تشبيها لها بحروف العلة، وتخفيفا لكثرة الاستعمال.

والضمير المستتر فى الفعل «تك» يعود إلى المثقال. وجىء به مؤنثا مراعاة للفظ ذرة الذى أضيف إليه لفظ مثقال، لأن لفظ مثقال مبهم لا يميزه إلا لفظ ذرة فكان كالمستغنى عنه.

وقيل: إنما جىء به مؤنثا حملا على المعنى، لأنه بمعنى: وإن تك زنة ذرة حسنة يضاعفها.

وقيل: إنما جىء به كذلك، لأن المضاف قد يكتسب التأنيث من المضاف إليه إذا كان جزأه كما فى نحو قولهم:

كما شرقت صدر القناة من الدم.

والمعنى: إن الله -تعالى- بفضله وجوده لا يظلم الناس شيئا، ولا ينقصهم أى نقص من ثواب أعمالهم بل يجازيهم بها ويثيبهم عليها.

﴿ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا ﴾

أى وإن تك الفعلة الحسنة بالغة فى القلة مثقال ذرة يضاعف ثوابها بكرمه وجوده أضعافا كثيرة. وفوق ذلك فإنه - سبحانه- يعطى من يشاء إعطاءه عطاء عظيما من عنده ولا يعلم مقدار هذا العطاء إلا هو - سبحانه.

وفى إضافة هذا العطاء إلى ذاته- تعالى- فى قوله ﴿ مِن لَّدُنْهُ ﴾ تشريف له، وتهويل من شأنه.

وسماه أجرا لكونه جزاء على العمل الصالح الذى عمله عباده المؤمنون الصادقون.

هذا، وقد أورد الإمام ابن كثير جملة من الأحاديث فى معنى هذه الآية ومن ذلك ما رواه الشيخان عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ فى حديث الشفاعة الطويل وفيه: فيقول الله -تعالى- لملائكته:

«ارجعوا. فمن وجدتم فى قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجوه من النار»، فيخرجون خلقا كثيرا. ثم يقول أبوسعيد. اقرؤا إن شئتم قوله- تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾

وروى أبو داود الطيالسى فى مسنده عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله لا

يظلم المؤمن حسنة، يثاب عليها الرزق فى الدنيا، ويجزى بها فى الآخرة، وأما الكافر فيطعم بها فى الدنيا فإذا كان يوم القيامة لم يكن له حسنة»(٢).

ثم نبه - سبحانه- هؤلاء الكافرين إلى ما يكونون عليه من حال سيئة يوم القيامة إذا استمروا فى كفرهم فقال:

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا (٤١) يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾

قال الفخر الرازى: وجه النظم هو أنه- تعالى- بين أن فى الآخرة لا يجرى على أحد ظلم، وأنه- تعالى- يجازى المحسن على إحسانه ويزيده على قدر حقه. فبين تعالى فى هذه الآية-وهو قوله -تعالى-:

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾

أن ذلك يجرى بشهادة الرسل الذين جعلهم الله الحجة على الخلق لتكون الحجة على المسىء أبلغ، والتبكيت له أعظم، وحسرته أشد ويكون سرور من قبل ذلك من الرسول وأظهر الطاعة أعظم، ويكون هذا وعيدا للكفار الذين قال الله فيهم:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾

ووعدا للمطيعين الذين قال فيهم:

﴿ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا ﴾(٣).

والفاء فى قوله ﴿ فَكَيْفَ ﴾ للإفصاح عن شرط مقدر نشأ من الكلام السابق وكيف فى محل رفع خبر لمبتدأ محذوف.

والتقدير: إذا أيقنت بما أخبرناك به أيها الرسول الكريم أو أيها السامع من أن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فكيف يكون حال هؤلاء الكفرة إذا ما جئنا من كل أمة من الأمم السابقة بشهيد يشهد عليهم بما ارتكبوه من سوء الصنيع وقبح الأعمال، وهذا الشهيد هو نبيهم الذى أرسله الله لهدايتهم، وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء الذين بعثك الله لإخراجهم من الظلمات إلى النور فكذبوك واستحبوا العمى على الهدى.

لا شك أن حالهم سيكون أسوأ حال، ومصيرهم سيكون أقبح مصير، بسبب كفرهم وبخلهم وريائهم واتباعهم للهوى والشيطان.

ومن العلماء من يرى أن المراد بقوله - تعالى:

﴿ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾

أى جئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء الأنبياء بأنهم قد بلغوا رسالة الله ولم يقصروا فى نصيحة أقوامهم.

(٢) تفسير ابن كثير جـ١ ص٤٩٧.

(٣) تفسير الفخر الرازى جـ١٠ ص١٠٥.

والذى نراه أولى هو أن شهادة النبى ﷺ تشمل كل ذلك، أى تشمل شهادته على قومه بأنه قد بلغهم رسالة الله، وشهادته للأنبياء السابقين بأنهم نصحوا لأقوامهم وبلغوا رسالة ربهم، لأن النبى ﷺ قد أعطاه الله تعالى - من المنزلة العالية ما لم يعط أحد سواه.

روى الشيخان وغيرهما عن عبد الله بن مسعود قال: قال لى رسول الله ﷺ: «اقرأ علىَّ شيئا من القرآن. فقلت يا رسول الله أأقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: نعم: إنى أحب أن أسمعه من غيرى. فقرأت عليه سورة النساء، حتى أتيت إلى هذه الآية:

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾

..الآية.

فقال: حسبك الآن. فإذا عيناه تذرفان».

وقوله تعالى:

﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ ﴾

استئناف مبين لحالهم التى أشير إلى شدتها وفظاعتها بقوله:

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾

والتنوين فى قوله ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ عوض عن الجملتين السابقتين، أى مجىء الشهيد على كل أمة، ومجىء الرسول شهيدا على قومه.

أى: يوم أن يشهد الرسل على أقوامهم بأنهم قد بلغوهم رسالة الله، ويوم أن تشهد أنت يا محمد على من كذبك من قومك بأنك قد أمرتهم بعبادة الله وحده يومئذ وهو يوم القيامة، يتمنى ويحب الذين كفروا وعصوا الرسول الذى جاء لهدايتهم:

﴿ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ ﴾

أى يودون لو انشقت الأرض فبلعتهم لما يرون من هول الموقف ولما يحل بهم من الخزى والفضيحة والعذاب. أو يودون لو يدفنون فيها فتسوى عليهم كما تسوى على الموتى ويبقون على هذه الحال فى باطنها بدون بعث أو نشور، حتى لا يصيبهم ما أعد لهم من عقاب بسبب سوء أعمالهم.

والمقصود أنهم لشدة خوفهم وفزعهم يتمنون أن لو أخفتهم الأرض فى باطنها بحيث لا يظهر شىء منهم عليها فى أى وقت من الأوقات.

وجملة:

﴿ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ ﴾

مفعول ﴿ يَوَدُّ ﴾ على أن لو مصدرية، أى: يودون ان يدفنوا وتسوى الأرض متلبسة بهم حتى لكأنهم جزء منها.

وقوله:

﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾

معطوف على ﴿ يَوَدُّ ﴾ أى أنهم يومئذ يودون لو تسوى بهم الأرض، ويعترفون لله تعالى بجميع ما فعلوه، لأنهم لو كتموا شيئا بألسنتهم لشهدت عليهم بقية جوارحهم.

ويصح أن تكون الواو فى قوله:

﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ ﴾ للحال. أى: أنهم يومئذ يودون لو تسوى بهم الأرض، والحال أنهم مع ذلك لا يكتمون عن الله - تعالى - حديثا من أحوالهم فى الدنيا لأنهم لا يستطيعون هذا الكتمان.

والمقصود أنهم مع شدة هلعهم وجزعهم لن يستطيعوا أن يفلتوا من عقاب الله، ولن يستطيعوا أن يكتموا شيئا مما ارتكبوه من جرائم.

أخرج ابن جرير عن الضحاك أن نافع ابن الأزرق - وكان ممن يسألون عن متشابه القرآن - أتى إلى ابن عباس فقال: يا ابن عباس: قال الله - تعالى -:

﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾

وقوله:

﴿ وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾

كيف الجمع بينهما -؟ فقال له ابن عباس. إنى أحسبك قمت من عند أصحابك فقلت: ألقى على ابن عباس متشابه القرآن. فإذا رجعت إليهم فأخبرهم أن الله - تعالى - يجمع الناس يوم القيامة فى بقيع واحد. فيقول المشركون: إن الله لا يقبل من أحد شيئا إلا ممن وحده. فيقولون: تعالوا نجحد فيسألهم فيقولون: والله ربنا ما كنا مشركين.

قال: فيختم على أفواههم ويستنطق جوارحهم فتشهد عليهم جوارحهم أنهم كانوا مشركين. فعند ذلك تمنوا لو أن الأرض سويت بهم ولا يكتمون الله حديثا»[1].

وبذلك ترى أن هذه الآيات الكريمة قد أمرت بإخلاص العبادة لله - تعالى - وحده كما أمرت بالإحسان إلى الوالدين والأقربين، واليتامى والمساكين، وإلى الجار القريب والبعيد، وإلى الصاحب والمسافر والمملوك، ونهت عن البخل والرياء وجحود الحق واتباع الشيطان. وبينت أن الله - تعالى - لا يظلم أحدا مثقال ذرة وأنه - سبحانه - يضاعف ثواب الحسنات، ويعطى المحسن من ألوان الخير مالا يعلمه إلا هو - سبحانه - ونبهت الكافرين إلى سوء مصيرهم حتى يثوبوا إلى رشدهم ويسيروا فى الطريق القويم من قبل أن يأتى يوم تنكشف فيه الحقائق وينالون فيه ما يستحقون من عقاب دون أن ينفعهم الندم أو التمنى.

(١) تفسير ابن جرير جـ٥ ص٩٤.

السنة

أفضل النفقة

لفضيلة الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومى

روى الإمامان البخارى ومسلم -واللفظ له- عن زينب امرأة عبدالله رضى الله عنهما قالت: قال رسول الله ﷺ: «تصدقن يا معشر النساء ولو من حليكن». قالت: فرجعت إلى عبدالله فقلت: «إنك رجل خفيف ذات اليد وإن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة فأته فاسأله فإن كان ذلك يجزئ عنى وإلا صرفتها إلى غيركم». قالت: فقال لى عبدالله: «بل ائتيه أنت». قالت: (فانطلقت فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله ﷺ حاجتى حاجتها). قالت: «وكان رسول ﷺ قد ألقيت عليه المهابة». قالت: (فخرج علينا بلال فقلنا له: ائت رسول الله ﷺ فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك: أتجزئ الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام فى حجورهما؟ ولا تخبره من نحن). قالت: (فدخل بلال على رسول الله ﷺ فسأله) فقال له رسول الله ﷺ: من هما؟ فقال: (امرأة من الأنصار وزينب). فقال رسول الله ﷺ: «أى الزيانب؟». قال: (امرأة عبدالله). فقال له رسول الله ﷺ: «لهما أجران: أجر القرابة وأجر الصدقة».

التعريف بالراوى

زينب امرأة عبدالله: الصحابية المتصدقة المصلية، زينب الثقفية المتخلية من حليها المتقربة به إلى وليها، امرأة عبدالله بن مسعود رضى الله عنه. سكنت الكوفة مع زوجها، وكانت صناعا تبيع من صناعتها، وقيل: اسمها ليطة أو رائطة، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: هى بنت عبدالله بن معاوية الثقفى، لها صحبة، ويقال: اسمها زينب، ورائطة لقب، ويقوى ذلك أن الحديث واحد، أخرجه أحمد من رواية عبدالله بن عبدالله الثقفى، عن رائطة فى الصدقة فى الحلى، وأخرجة الشيخان وغيرهما من رواية زينب امرأة عبدالله بن مسعود رضى الله عنهما.

اللغويات

- (يامعشر النساء): المعشر كل جماعة أمرهم واحد، والمراد هنا: جماعة النساء.

- (حليكن): يحتمل أن يكون مفرداً فيكون بفتح الحاء وسكون اللام، وأن يكون جمعاً فيكون بضمها وكسر اللام وتشديد الياء، وهو تتحلى به المرأة وتتزين به.

- (خفيف ذات اليد) أى: قليل المال، ولم تقله تعبيراً له ولا استخفافاً بحقه، بل توطئه لقولها: (وإن رسول الله ﷺ قد أمر بالصدقة).

- (أمر بالصدقة) أى: أمر ندب، والامتثال مطلوب فى الندب والوجوب.

- (فإن كان ذلك يجزئ) أى: يسقط الفرض عنى «إن كان الأمر على سبيل الوجوب، أو يجزئ فى الوقاية من النار حصول الصدقة المأمور بها «إن كان الأمر على سبيل الندبة».

- (المهابة): الهيبة وهى الإجلال، أى: إنه مهاب موقر.

- (أيجزئ؟) من الإجزاء بمعنى الإسقاط.

- (أجر القرابة) فى الأولاد: أى أجر صلة الرحم التى تكفل الله سبحانه وتعالى لمن وصلها أن يصله بما لا يقدر غيره.

- (وأجر الصدقة) يعنى: فى الأولاد وفى الزوج.

الشرح والبيان

لقد حض الإسلام على إنفاق المال فى وجوه الخير ثقة بالله عزوجل عن كرم أصل وسخاء نفس وطيب خاطر؛ ابتغاء مرضاة الله - عزوجل - والدار الآخرة، قال تعالى:

﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾

(سبأ: ٣٩)

أى: يخلفه عوضاً، إما عاجلاً فى الدنيا بالقناعة وإما آجلاً بالثواب فى الآخرة. وهكذا وعد الله المنفقين فى وجوه الخير. من صدقة وصلة رحم وقرى ضيف ووقف على جهة خير ونحو ذلك - أن يجزيهم أعظم الجزاء فى دار القرار - قال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

(النساء: ٤٠)

ويؤكد ذلك قوله تعالى:

﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾

(الأنعام: ١٦٠)

وقوله:

﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴾

(النمل: ٨٩)

ذهاب المال في حمد وأجر
ذهاب لا يقال له ذهاب

فإذا ما امتثل المسلم وأنفق في رضا الله كان ذلك علامة على تصديقه وعد الله القائل:

﴿ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾

(سبأ: ٣٩)

أي يعوضه في الدارين أو في أحدهما. فأي إنفاق منكم لمرضاة الله تعالى فلأنفسكم ثوابه.

قال تعالى:

﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾

(البقرة: ٢٧٢)

واجعل المال إلى الله زادا
واجعل الدنيا طريقا وجسرا
إنما التاجر حقا يقينا
تاجر يربح حمدا وأجرا

والله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، قال تعالى:

﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾

(البقرة: ٢٧٣)

وإذا كان الله تعالى قد وعد الأسخياء الكرماء خلفاً مضاعفاً في الدنيا، وعيشة راضية والجزاء الأوفى في الآخرة كما أخبر سبحانه:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾

(الليل: ٥-٧)

فقد توعد الممسكين البخلاء بالمحق وضيق العيش في الدنيا وبالعذاب والنكال في الآخرة، قال تعالى:

﴿ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴾

(الليل: ٨-١١)

يا جامع المال في الدنيا لوارثه
هل أنت بالمال بعد الموت تنتفع؟!
لا تمسك المال واسترض الإله به
فإن حسبك منه الري والشبع

فالمال في نظر الإسلام ليس غاية، وإنما هو وسيلة لتبادل المنافع وقضاء الحوائج، وهو طريق التواصل والتراحم بين الناس.. وكما كان رسول الله ﷺ يحث

الرجال على الصدقة كان كذلك يحث النساء، فلما سمعت زينب الثقفية امرأة عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «تصدقن يا معشر النساء ولو من حليكن» رجعت إلى زوجها فقالت: (إنك رجل خفيف ذات اليد (أي: فقير) وإن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة فأته فاسأله فإن كان ذلك (أي: التصدق عليك وعلى أولادي) يجزئ عني (أي يسقط الفرض عني إن صرفتها لكم» إن كان الأمر على سبيل الوجوب)، أو يجزئ في الوقاية من النار لحصول الصدقة المأمور بها «إن كان الأمر على سبيل الندبة، وعلى كل فالامتثال مطلوب، (فإن أجاز ذلك صرفتها لكم وإلا صرفتها إلى غيركم)؛ فجواب الشرط محذوف هنا يدل المقام عليه.

فقال لها عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه: (بل ائتيه أنت) إما لأنه أخذه الحياء وإما لأنها الأولى بالسؤال؛ لأن الأمر يتعلق بها. فانطلقت فإذا امرأة من الأنصار واقفة بباب رسول الله ﷺ اتفقت حاجتهما؛ جاءت تسأل السؤال نفسه، قالت: (وكان رسول الله ﷺ قد ألقيت عليه المهابة) فقد كان ـ بأبي هو وأمي رغم تواضعه الشديد ـ مهابا جليلاً، حتى كان أصحابه يعتريهم من ذلك في مجلسه ما يصيرون به خاشعين خافضين رءوسهم كأن على رءوسهم الطير.

ووافق ذهابهما وجود الصحابي الجليل بلال ـ رضي الله عنه ـ بالباب، فسألهما عن حاجتهما فأخبرتاه بها، فأخبر بلال ـ رضي الله عنه ـ النبي ﷺ أن امرأتين واقفتين بالباب تسألانك: أتكفي الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام في حجورهما؟ (أي: في ولايتهما وتربيتهما)، وطلبتا إلى بلال ـ رضي الله عنه ـ ألا يخبره من هما إذا لم يسأله عنهما؛ لأنهما تستحييان من ذلك.. فدخل بلال على رسول الله ﷺ فأخبره، فقال له رسول الله ﷺ: «من هما؟»، فقال (امرأة من الأنصار وزينب)، فقال رسول الله ﷺ: «أي الزيانب؟» فقال: (امرأة عبدالله)، فقال له رسول الله ﷺ: «لهما أجران؛ أجر القرابة وأجر الصدقة»؛ أجر القرابة في الأولاد، وأجر الصدقة فيهم وفي الزوج؛ لأن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ كان زوجاً فقط.

فأعظم النفقة إذاً ما ابتغي بها وجه الله ـ عز وجل ـ حتى إن كانت واجبة على المنفق، فقد قال رسول الله ﷺ لسعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه: «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعل في فم امرأتك» (رواه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني).

وقد قال الله ـ تعالى ـ في النفقة على الأولاد:

﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

(البقرة: ٢٣٣)

وقد راعى الإسلام حالة الزوج يساراً وإعساراً، قال تعالى:

﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾

(الطلاق: ٧)

وقد بلغ من حرص الصحابة - رضوان الله عليهم - على سماع الوحي واستماع السنة من رسول الله ﷺ أنهم كانوا يتناوبون السماع منه حتى لا يفوتهم شيء من الخير، وبذلك جمعوا بين خيرى الدين والدنيا فما شغلهم دينهم عن دنياهم، وما شغلتهم دنياهم عن دينهم.

روى مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذى أنفقته على أهلك»؛ فهذا الحديث الشريف يوضح أن ما ينفقه المسلم في الجهاد وفى طاعة الله - عز وجل - وفى الإسهام في عتق الرقاب لتحصيل الحرية، أو ينفقه على الفقراء والمساكين لرفعهم عن ذل الحاجة وهوان المسألة، أو ينفقه على من يعولهم من أهله، فإن أعظمها وأكثرها أجراً الذى ينفقه على من تلزمه نفقتهم؛ لأن النفقة عليهم واجبة، والنفقة الواجبة أفضل من المندوبة أضعافاً مضاعفة، ومن تلزمك نفقتهم من الأقارب يكون الإنفاق صلة رحم، وثواب الصلة أعظم بكثير مما ذكر. عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله، ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله» أخرجه مسلم، والبخارى فى «الأدب المفرد».

ولهذا لما أمر رسول الله ﷺ معشر النساء بالتصدق، والنساء يعلمن أن النفقة واجبة على الأزواج للزوجة والأولاد، وكان بعض الأزواج فقراء كابن مسعود - رضي الله عنه - فلم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في أمور دينهن، فأتت امرأة ابن مسعود وامرأة أخرى إلى النبى ﷺ يسألنه: هل تجزئ الصدقة عنهما على أزواجهما وأولادهما، فقال رسول الله ﷺ: «لهما أجران: أجر القرابة وأجر الصدقة».

هذا وإذا كان الله - عزوجل - يعظم الأجر والثواب لمن ينفق على من يعول ولا يحرمهم فقد توعد بالعقاب من يحرمهم ويعطى غيرهم ولو صدقة؛ ففى مسند الإمام أحمد أن مولى لعبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال له: إني أريد أن أقيم هذا الشهر ها هنا ببيت المقدس، فقال له: تركت لأهلك ما يقوتهم هذا الشهر؟ قال: لا، قال: «فارجع إلى أهلك فاترك لهم ما يقوتهم؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت».

جعلنى الله وإياكم ممن يبرون الأهل ويصلون الرحم ويتسابقون إلى الخيرات ويتنافسون فى الطاعات، والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل.

الدعـوة.. والدعـاة

بقلم: أ.د أحمد عمر هاشم
عضو مجمع البحوث الإسلامية

إن الدعوة الإسلامية، هى شرف هذه الأمة، وإن الدعاة الذين يقومون بها هم ورثة الأنبياء، لذا كان من الواجب على الأمة حماية الدعوة، ودعم الدعاة الذين يحملونها.

وحماية الدعوة إنما تكون بالتمكين لها ونشرها والقيام بالدفاع عنها، ورد سهام أعدائها فى نحورهم كما ورد: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين».

وواضح أن الدعوة الإسلامية، دعوة عالمية لا تقتصر على زمان دون زمان، ولا على مكان دون مكان، وإنما هى عامة فى الزمان وفى المكان دستورها السماوى، وهو القرآن الكريم ذكر للعالمين، ورسوله الحبيب رحمة للعالمين، وعالمية هذه الدعوة تستوجب على أبناء هذه الأمة من الدعاة وغيرهم، أن يحملوها إلى الناس قاطبة، فى مشارق الأرض ومغاربها وكان على مؤسسات الدعوة أن تنهض بتحديث الخطاب الدينى، وتجديده ليتناسب مع مستجدات العصر، ويتفق مع لغة أهله، لأنه صالح لكل زمان ومكان ولكنه يحتاج إلى التحديث باللغة المناسبة، وفى الموضوعات المطلوبة فالبلاغة هى مطابقة الكلام لمقتضى الحال وتجديد الخطاب الدينى هو إحياء لما اندرس وإقامة الحق بالحجة والبرهان، والتحديث باللغات المناسبة، وليس التجديد تغييرا للثوابت بل هو تأكيد عليها ونشر لها بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن وقد بين لنا رسول الله - ﷺ - حقيقة هذا التجديد حين قال: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها» رواه أبو داوود.

ومادامت الدعوة عالمية فلابد من تبليغها لجميع العالمين، وعلينا أن نوصلها إلى كل من لم تصل إليه، لأن هذه الأمة ما كانت خير أمة أخرجت للناس، إلا لأنها تقوم

بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الإيمان بالله، وكان العلماء ورثة الأنبياء لأنهم يقومون بنشر الدعوة، ولما كانت دعوة الإسلام عامة وعالمية، وخالدة إلى أن يقوم الناس لرب العالمين، لم تنته بوفاة رسولها - ﷺ - بل تظل باقية خالدة إلى يوم القيامة، لأنه لا رسول بعد سيدنا محمد - ﷺ - ولا كتاب بعد القرآن الكريم، ولذا كان على العلماء والدعاة أن يقوموا برسالة الإسلام وبالدعوة إلى يوم القيامة إنه إرث النبوة العظيم، والذى من أجله كانت خير أمة أخرجت للناس.

دعوة للعالم بأسره!!

فقد اشتملت الدعوة الإسلامية على ما فيه صلاح العالم ديناً وأخرى، واشتملت على ما فيه صلاح الإنسانية جمعاء وليس أمة بعينها وليس مجتمعاً بعينه، بل هي صالحة لكل زمان ومكان، واشتملت على ما فيه الخير والأمان للناس ديناً وأخرى.

وليست الدعوة موجهة للعرب وحدهم ولا لجنس دون آخر بل هي للعالم بأسره يجب أن يؤمن بها وأن يسير على منهاجها الذى أنزله الله تعالى ومعلوم أن الله سبحانه وتعالى هو خالق الخلق فالخلق صنعته، وكل صانع أدرى بصنعته وأعلم بما يصلحها، ومن المثل الأعلى، فإن الله تعالى أعلم بما يصلح العباد والبلاد فشرع لهم هذا الدين فيه صلاح العالمين دنيا وأخرى.

وبناء على هذا فإن صلاح الإنسانية جمعاء لن يكون إلا بهذا الدين الذى أنزله الله تعالى للعالمين، وجعل رسوله رحمة للعالمين، فاتباع الإسلام والسير على ما جاء به من كتاب وسنة فيه صلاح العالم وسعادته، وفيه الأمان والاطمئنان، ولن يكون فى العالم أمان وسلام إلا باتباع المنهج الإلهى، لأنه منهج معصوم، ولأن دستوره السماوى وهو القرآن الكريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ولأن فى سنة رسول الله - ﷺ - البيان والتفصيل لما جاء فى القرآن الكريم، وفى الكتاب والسنة الأمان من الفتن ما ظهر منها وما بطن، كما قال رسول الله - ﷺ -: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً كتاب الله وسنتى».

التحديات

وإن حماية الدعوة ونشرها يستوجب أن علينا مواجهة التحديات التى لا تقع تحت حصر، ومناهضة الهجمات الشرسة التى شنها أعداء الإسلام على الدعوة وعلى أطهر من مشى على الأرض وهو سيدنا محمد رسول الله - ﷺ -.

فقد شهدت الآونة الأخيرة تطاولاً بذيئاً وازدراء سيئاً من أعداء الإسلام على الدين وعلى الرسول وعلى القرآن، وهذه بادرة شر لا يصح السكوت عنها ولا تركها حتى لا يستفحل خطرها وشرها على العالم كله وعلى الأديان كلها وعلى الرسل أجمعين، لأن العدوان على رسول الله - ﷺ - يعتبر عدواناً على الرسل أجمعين لأنه إمامهم ورمزهم.

وأخذ الله تعالى العهد والميثاق على الرسل منذ الأزل أن يؤمنوا بسيدنا محمد - ﷺ - وأن ينصروه وأقروا بهذا وشهدوا، وشهد معهم رب العزة سبحانه وتعالى، كما قال الله تعالى:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾

مكانة الدعاة فى المجتمع!!

ومن أجل حماية الدعوة، لابد من دعم الدعاة علمياً ومادياً، واجتماعياً، ولابد من أن يأخذوا وضعهم فى المجتمع، وإجلالهم واحترامهم، بحيث لا يتعرض الدعاة إلى تصرف يسئ إلى منزلتهم ومكانتهم باعتبارهم النماذج الأولى فى القدوة، لأنهم ورثة الأنبياء، ولأنهم الذين يقفون على المنبر وهو موقف الرسول - ﷺ -.

وإذا كنا نطالب الدعاة، بمضاعفة الجهود فى الدعوة، وبذل أقصى ما فى الوسع الإنسانى لخدمة الإسلام وتوعية المسلمين، ورد الشبهات التى تثار ضد الدعوة.

فإننا نطالب المسئولين أن يؤدوا لهم ما يحتاجون إليه لتحسين الأوضاع المادية والاجتماعية ليستطيعوا أن يشتروا من الكتب والمراجع وجميع الأجهزة الحديثة التى تمكنهم من التعرف على العالم وما يجرى فيه، وحتى يتفرغ الدعاة تفرغاً كاملاً للدعوة.

ونحن إذ نطالب بكادر خاص للدعاة لتحسين رواتبهم ودخلهم، أسوة بغيرهم من فئات المجتمع، فإن رجال الدعوة هم أولى الفئات برعايتهم ودعمهم، لأنهم يؤدون أشرف رسالة فى الوجود.

***

من مشاهد الاحتضار فى القرآن

﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴾

للأستاذ/ صديق بكر عيطة

قال تعالى فى سورة «القيامة»:

﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴾

وردت هذه الآيات البينات فى سورة «القيامة» وهى إحدى السور المكية. وجميع قضاياها تدور حول الموت، والإيمان بالجزاء، والبعث والحشر.. وغير ذلك من القضايا التى طال فيها الجدال، وكانت المرتكز الأساسى للدعوة الإسلامية. فجاءت هذه السورة لتهز القلب هزا وتروعه ترويعاً، بهذه الحقائق الكبرى.

إن مشهد الاحتضار من المشاهد التى تتكرر كل يوم.. بل كل ساعة.. بل كل دقيقة وكان حريا أن توقظ فى النفس كل عوامل الإيمان بالله تعالى، والخشية منه والالتجاء إليه..!! غير أن الإنسان مع هذا يرى وكأنه لا يعى شيئاً من ذلك، أو يعيه ولكنه غير معنى به لأنه فى نجوة منه.

جاء النص القرآنى، ليصور من خلال شريط متتابع الأحداث - هذا المشهد..

مشهد الموت. الموت الذى يفرق الأحبة، ويمضى فى طريق لا يتوقف، ولا يتلفت، ولا يستجيب لصرخة ملهوف ولا لحسرة مفارق، ولا لرغبة راغب، ولا لخوف خائف. الموت الذى يصرع الجبابرة بنفس السهولة التى يصرع بها الأقزام، ويقهر بها المتسلطين كما يقهر المستضعفين سواء، الموت الذى لا حيلة للبشر فيه وهم مع هذا لا يتدبرون القوة القاهرة التى تجريه... «إنه مشهد الاحتضار، يواجههم به النص القرآنى كأنه يخرج من بين ثنايا الألفاظ ويتحرك كما تخرج ملامح الصورة من خلال لمسات الريشة»[1].

فبعد أن تنعى الآيات على الإنسان حبه للدنيا العاجلة الفانية وتركه للآخرة الباقية:

وبعد أن تلفت نظره إلى مصيره الذى يختلف باختلاف عمله، وموقفه من الدار الآخرة

﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ ﴾

(القيامة: ٢٠- ٢٥)

بعد هذا وذاك، تعرض الآيات أمام ناظريه شريط الحقيقة المأسوية الكبرى.

فها هى ذى الروح، قد بلغت أعلى الصدر، وأوشكت أن تفارق الجسد، وقد اجتمع الأهل والأحبة، كل يطلب العلاج[2] فما زال هناك أمل بعد، وإن كانوا يعرفون أنه أمل كاذب. فها هو ذا قد فارق الحياة فعلا، وشدت إحدى ساقيه للأخرى استعداداً لتجهيزه وتكفينه ولكن.. هل هذه هى نهاية المطاف؟! كلا.. ليت الأمر كذلك.. وإنها لأمنية غالية عزيزة المنال؛ حيث إن هناك من يتمنى أن يؤول أمره إلى التراب، ليفرغ وتنتهى المسألة يوم

﴿ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴾

(النبأ: ٤٠)

ولكن. أنى ذلك؟! إنما «إلى ربك يومئذ المساق. ولكن مساق ماذا؟ إنه مساق الروح التى فارقت الجسد، وهى ما يعنيه المساق، لأنها محل الحساب، وما يتبع، من نعيم أو عذاب.

وإنى لأ تصور الآن ما صدق فيه قول الضحاك: «... اجتمع عليه «أى على الميت» أمران، الناس يجهزون جسده،

1- سيد قطب فى ظلال القرآن.

2- هذا على أن المراد من قوله تعالى: «وقيل من راق هل من طبيب يشفيه أو هل من راق يرقيه ويطب له العلاج» وهناك تفسير آخر لها «عن ابن عباس أيضا وأبى الجوزاء أنه من رقى يرقى إذا صعد والمعنى إذن من يرقى بروحه إلى السماء. أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب».

«تفسير القرطبى - الجامع لأحكام القرآن».

والملائكة يجهزون روحه».

إن المشهد ليكاد يتحرك وينطق، وكل آية ترسم حركة. وكل فقرة تخرج لمحة، وحالة الاحتضار ترتسم ويرتسم معها الجزع والحيرة واللهفة ومواجهة الحقيقة القاسية المريرة، التى لا دافع لها ولا راد.. ثم تظهر النهاية التى لا مفر منها..

﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾

«ويُسدل الستار على المشهد الفاجع، وفى العين منه صورة، وفى الحسّ منه أثر، وعلى الجو كله وجوم صامت مرهوب»(٣)

ولقد اجتمعت لهذا المشهد كل عوامل التأثير والقوة، التى تجعله حاضراً أمام الناظرين تراه العين، ويتأمله الفؤاد، وتتفاعل معه وبه النفس اليقظى.

أولا: افتتاح المشهد بـ«كلا» حيث كانت بمثابة التنبيه الذى يهز الضمير الإنسانى الغافى عن حقيقة الموت الكبرى، حتى إنه لا يحس التمييز بين العاجلة والآجلة، وما سوف يحدث يوم القيامة من استبشار بعض الوجوه بالنظر إلى وجه ربها، وعبوس بعضها لأنها ستحرم من هذه اللذة الكبرى.

ثانياً: إضمار «الروح» التى هى موضوع الصورة، ومرتكز العبرة والدرس، مع أنها لم يسبق لها ذكر فى آيات المشهد... حتى المرة الوحيدة التى ذكرت فيها «النفس» فى أول السورة، كانت خارج إطار الصورة الفنية،

﴿ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾

(القيامة: ٢)

وإضمار الروح فى تصوير مشهد الاحتضار طريقة متبعة فى القرآن الكريم غالباً، ولكنه الإضمار، الذى يتحقق من خلاله الوضوح والبيان؛ وذلك لأنه يتيح للقارئ أعنى المشاهد - أن يتأمل المشهد كله، ويعيش أحداثه واحدة بعد الأخرى، ليرى ذلك الشئ المجهول - فنياً - فقط - الذى بلغ من صاحبه تراقيه، ويطلب له العلاج العاجل فى لهفة وحيرة، ثم يعلن أنه لا فائدة لأنه الفراق، الذى يساق بعده العبد إلى لقاء ربه تعالى. ما هذا الشئ الذى تتعلق به كل هذه الأحداث إن لم يكن هو الروح؟!

هذا فيما لو قصرنا تأملنا على مساحة المشهد فقط، أما لو وسعنا النظرة، ومددنا بصرنا إلى آفاق السورة كلها، فإننا سنرى الروح ترقرق فى ثناياها، وبين أنسجة خلاياها كما يترقرق الماء بين خلايا النبتة الحية.

أقول: إن الروح ترقرق فى ثنايا السورة كلها.. وإلا فما القاسم المشترك فى كل قضايا السورة «سورة القيامة»:

٣- سيد قطب فى ظلال القرآن.

قضية الموت - قضية النشأة الأولى قضية البعث - قضية الحساب....؟ إنها الروح، التى تحوم وترفرف بأجنحتها فى سماء السورة كلها ثم يزداد رفيفها ويشتد لمعانها فى مشهد الاحتضار.

ثالثاً: ما تتمتع به الآيات من إيقاع، يوقظ فى النفس الشعور بالرهبة وفى القلب الإحساس بالخوف من المجهول، الذى تقدم عليه النفس وهى تساق إلى ربها... وهذا الإيقاع له بعدان: الأول ألف المد، التى قبل القاف لتذهب معها النفس: كل مذهب، وهى تتأمل ذلك المجهول الذى لم تطأه قدمها - بعد -. «راق - الفراق - الساق - المساق».

الثانى: القاف، ذلك الحرف ذى الرنين القوى، الذى يكاد ينخلع له القلب وهو على امتداد المشهد، يمثل وحدة الإيقاع فى رءوس الآيات، وكأنه بمثابة الموسيقى الجنائزية، التى تلتزم دقة واحدة منذ الخطوة الأولى فى تشييع الجنازة... إلى أن يقف به مشيعوه أمام مثواه الأخير، وينتهى الموكب الحزين، ثم يقف المشيعون ليتذاكروا بعض خصاله.

﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ (٣١) وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾

(القيامة: ٣١، ٣٢)

أما القاف المكسورة الممدودة فى بداية المشهد: «.. التراقى» فإنها تحمل مع المد الذى يرتد إلى داخل النفس إشارة لطيفة خفيفة إلى موضوع الدرس، وهو الروح، التى تتردد أعلى الصدر وبين التراقى، حيث لم تكن فارقت الجسد بعد.

رابعاً: ذلك التلاحم بين أجزاء الصورة، الناشئ من ترتيب الأحداث وتتابعها، وهو ترتيب طبيعى، يضع المشاهد وسط أحداث الموت الحقيقى منذ لحظات الفزع، وحشرجة الروح وحتى الانتهاء من دفن الميت، مرورا بطلب العلاج له ثم التأكد من الموت وتجهيز المتوفى بتغسيله ولف ساقيه داخل أكفانه.

خامسا: ما تحمله الآية الأخيرة من شحنة الخوف، الذى تشتد وكأنه أكثر وأكثر فى كلمة «المساق». فالمساق هنا أصبح شخصية فكرية متميزة يسأل عنها فى لهفة، قبل أن يسأل عن أى شئ آخر، مما يتعلق بالميت، فهو مساق فى طريق لا رجعة منه، ولا مجال لتعديل مساره، وليس هناك من رفيق أو واسطة، وهو «مساق» لا اختيار فيه؛ حيث يدفع فيه الإنسان ويساق من الخلف كما تساق الدابة؛ ولذا كان التعريف هنا «بأل» التى للعهد، لأنه المساق، الذى يبر فيه الفاجر، ويصدق الكاذب وينخلع له القلب الشجاع.

ولا يفوتنا أن نتأمل تقديم الخبر فى الجملة الإسمية

﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾

لأنه يفيد الحصر هنا، فليس هناك إلا مصير واحد، وهو ساحة الحساب أمام الله تبارك وتعالى.

عبد القاهر الجرجانى ونظرية المعنى

بقلم الأستاذ الدكتور/ السيد أحمد فرج
الأستاذ بكلية التربية - جامعة المنصورة

عندما رأى القاضى عبد الجبار أن الكلمة المفردة لا تكون فصيحة فى ذاتها وهى مفردة، إذ لابد أن توضع فى تركيب لغوى- فإنه وضع الأساس الذى بنى عليه عبد القاهر الجرجانى نظرية المعنى فى كتابه القيم، دلائل الإعجاز.

القاعدة التى بنى عليها عبد القاهر نظرية المعنى تقوم على أن اللفظ فى حد ذاته مفردا لا يؤدى معنى، ولا تصورا فى الفصاحة، وإنما تكون جودة الكلام وبيانه كامنة بخصائص فى النظم. بتوخى معانى النظم فى توخى معانى النحو، فإن ذلك مستمد من نظرية القاضى عبد الجبار فى النظم، أى بنظم الكلم على طريقة مخصوصة (خصائص النظم)، وقد تكون بالإعراب الذى له مدخل فيه، أى الأسلوب وخصائصه، وحسن صياغته، وما ينتج عن ذلك من صور، ذلك أن العلاقات الأسلوبية بين الألفاظ فى النظم على مقتضى معانى النحو وأحكامه هى أساس البلاغة المبنية على العلاقة بين الألفاظ.

يقول عبد القاهر فى دلائل الإعجاز: «إن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذى يفتحها.. واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذى يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التى نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التى رسمت لك فلا تخل بشئ منها.. وأمر النظم ليس شيئا غير توخى معانى النحو فيما بين الكلم، وأنت ترتب المعانى أولا فى نفسك، ثم تحذوا على ترتيبها الألفاظ فى نطقك، وإنا لو فرضنا أن تخلو الألفاظ من المعانى لم يتصور أن يجب فيها نظم وترتيب فى غاية القوة والظهور»[1].

وفى مواضع أخرى كثيرة يبين عبد القاهر الجرجانى أن جودة النظم إنما هو توخى معانى النحو وأحكامه وفروعه ووجوهه، والعمل بقوانينه وأصوله [2].

وهذا الكلام قد ذكر مثله ابن جنى وإن لم يتوسع فيه كما فعل عبد القاهر. قال ابن جنى فى «باب فى الرد على من ادعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعانى»: «وذلك أن العرب كما تعنى بألفاظها فتصلحها وتهذبها وتراعيها، وتلاحظ أحكامها بالشعر تارة، وبالخطب أخرى، والأسجاع التى تلتزمها، وتتكلف استمرارها، فإن المعانى أقوى عندها وأكرم عليها، وأفخم قدرا فى نفوسها»[3] ويستدل ابن جنى على صحة كلامه ببيت سحيم عبد بنى الحسحاس وقد وصفه ابن جنى بأنه كان راعيا جلفا وعبدا عسيفا تنبو صورته، ولكن مع ذلك فإن قوله قد صار حكما يرجع إليه حين قال:

إن كنت عبدا فنفسى حرة
أو أسود اللون إنى أبيض الخلق

ويعقب ابن جنى على هذا البيت قائلا: فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظها وحسنوها، فإن العناية إذ ذاك إنما هى بالألفاظ، بل هى عندنا خدمة منهم للمعانى.

قال ابن جنى: وذكر قول كثير عزة- أو قول يزيد بن الطثرية:

لما قضينا من منى كل حاجة
ومسح بالأركان من هو ماسح
وشدت على دهم المهارى رحالنا
ولم ينظر الغادى الذى هو رائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا
وسالت بأعناق المطى الأباطح

قال فيها القدماء: فرأوا فيها ألفاظا حسنة السبك بدون دلالة معنى، فإنا نجد من ألفاظهم ما قد حسنوه ووشوه، ولسنا نجد مع ذلك تحته نصا شريفا. وهذا يعنى كما قال ابن جنى: كان رأيهم فيها أنها شريفة الألفاظ رفيعتها، مشروفة المعانى خفيضتها. ويعلق ابن جنى على كلامهم بقوله: الأبيات الثلاثة قيدت بقوله (أطراف الأحاديث) وذلك أن فى قوله «أطراف الأحاديث» وحيا خفيا، ورمزا حلوا، ألا ترى أنه يريد بأطرافها ما يتعاطاه المحبون، ويتفاوضه أهل الصبابة المتيمون من التعريض والتلويح والإيماء دون التصريح، وذلك أحلى وأدمث، وأغزل وأنسب من أن يكون مشافهة وكشفا ومصارحة وجهرا، وإذا كان كذلك فمعنى الأبيات أعلى

1- راجع د. شوقى ضيف ومطابقاته بين عبارات كل من القاضى عبد الجبار، وعبد القاهر الجرجانى فى كتاب البلاغة، تطور وتاريخ، ص ١١٧-١٢٠م.

2- راجع الى دلائل الإعجاز صفحات: ٤٦، ٦٦-٦٧، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٨٥، ٢٨٧، ٣٤٣، صحح أصله: الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد محمود التركزى الشنقيطى، وعلق حواشيه: رشيد رضا، الطبعة السادسة، محمد على صبيح، القاهرة، ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م.

3- راجع ابن جنى: الخصائص، تحقيق العلامة محمد على النجار، تقديم: عبد الحكيم راضى، سلسلة الذخائر، رقم ١٤٦، الجزء الأول، ص ٢١٥-٢١٧.

وأشد تقدما فى نفوسهم من لفظهما، وإن عذب موقعه، وأنق له مستمعه».

فلا المعنى الشريف يستغنى عن اللفظ الشريف- ومن هنا علق الدكتور عبد الحكيم راضى على نصوص ابن جنى بقوله: «إننا بصدد طرفين يعضد كل منهما الآخر، فأهمية المعنى تقتضى أن يعتنى باللفظ، والعناية باللفظ هى مقتضى أهمية المعنى».

لقد أجمعوا على ذلك فى الكلام عامة، وفى النظم القرآنى خاصة، فلابد أن يعادل شرف اللفظ، شرف المعنى. ولهذا فإن إعجاز القرآن مرجعه النظم وكيفية الصياغة. ذلك لأن اللفظة المفردة لاوزن لها بمفردها فى بلاغة أو فى بيان. يقول عبد القاهر فى الدلائل: «إن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هى ألفاظ مجردة، ولا من حيث هى كلم مفردة، وأن الألفاظ ثبتت لها الفضيلة وخلافها فى ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التى تليها مما لا تعلق له بصريح اللفظ، ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك فى موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك فى موضع آخر». وهل تجد أحدا يقول: هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملاءمة معناها لمعانى جاراتها».

وهكذا صاغ عبد القاهر الجرجانى نظرية النظم والمعانى، أو اللفظ والمعنى التى صارت ركيزة النقد فى التركيب اللغوى ليس فى العربية فحسب، أو فى عصره فقط، فقد أفاد منها النقد الحديث فى الغرب، فقد قبس منها فرديناند دى سوسير (ت ١٩١٣م) Ferdinand de Soussure وجعلها ركيزة مذهبه الذى قام على أساس أن اللغة نظام من العلاقات، وهو النظام الذى وضع أساسه وأركانه عبد القاهر الجرجانى فى كتابه «دلائل الإعجاز».

إن نظرية مبتكرة فى الأسلوبية أو بعبارة أخرى نظرية فى النظم والخواص التركيبية للغة يأتى بها عبد القاهر الجرجانى. فلكى يكون للفظة المفردة قيمة بلاغية، يجب أن تنضم إلى ألفاظ غيرها، وترتبط فى عموم الكلام بخصائص فى النظم فى التركيب اللغوى العام، إن موطن البلاغة فى العلاقات الأسلوبية بين الألفاظ إذا اجتمعت، بما يتكون منها من صور دالة على المعانى التى تعمل عملها فى النفس بما ينتج عن هذه العلاقات بين الألفاظ معان أصلية، ومعان ثانوية تمنح الأسلوب قيمة جمالية تؤثر فى نفوس المتلقين.

الكلمة رمز لمعناها، بما توحيه من معنى وصورة عند ضمها لكلمات أخرى، وبقدر ماتعطى من صور ذهنية فى المعنى على الوجه الذى اقتضاه العقل. كما يقول أبو حيان التوحيدى فى كتاب: الإبداع والمؤانسة: المعانى المدركة لا يتوصل إليها إلا باللغة، أى بالكلمات.

البلاغة ليست فى الألفاظ بصفاتها التى توصف بها من جزالة ودقة، أو بما تحويه من رنين وعذوبة، ولكن فى صورتها التى تجليها الجملة الواردة فيها.

عبد القاهر يقصد أن صفات الألفاظ ليست صفات فى أنفسها، وإنما هى صفات تجلوها الصياغة البلاغية فى سياقها، ولم تكن موجودة فى حال الإفراد.

لقد بلغت البلاغة فى النظم القرآنى الغاية التى ليست بعدها غاية، قال عبد القاهر: «إن هذا الوصف «إعجاز القرآن فى نظمه» ينبغى أن يكون وصفا قد تجدد بالقرآن، وأمرا لم يوجد فى غيره، ولم يعرف قبل نزوله، لأن تقدير كونه فيها يؤدى الى المحال، وهى أن تكون الألفاظ المفردة- التى هى أوضاع اللغة- قد حدث فى حذاقة حروفها وأصواتها وأوصاف لم تكن لتكون تلك الأوصاف فيها قبل نزول القرآن، وتكون قد اختصت فى أنفسها بهيئات وصفات يسمعها السامعون عليه إذا كانت متلوة فى القرآن، لا يجدون لها تلك الهيئات والصفات خارج القرآن»[٤].

يقول تعالى:

﴿ وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين ﴾

(هود: ٤٤)

فتجلى لك منها الإعجاز، ويبهرك الذى ترى وتسمع، إنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة، والفضيلة القاهرة، إلا لأمر يرجع الى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض، وأن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت اللفظة الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة، وهكذا إلى أن تستقربها الى آخرها، وأن الفضل تناتج مابينها، وحصل من مجموعها»[٥].

والدليل على أن نظم القرآن- هو ما لم يعرفه العرب البلغاء- قبل نزول القرآن، أنهم عندما سمعوا القرآن استسلموا له ولبيانه، لعلمهم بأنه خارج عن طوق البشر.

ويرد عبد القاهر على الذين يرون فى اللفظ صفة محسوسة تدرك بالسمع، لأنها لو كانت كذلك لاستوى اللفظ الواحد عن كل واحد من سامعيه، وإذا بطل ذلك وجب أن تكون فى اللفظ صفة معقولة تدرك بالقلب، فإن كانت كذلك- كما قال عبد القاهر: «فإنا لانعرف للفظ صفة يكون طريق معرفتها العقل دون الحس، إلا دلالته على معناه، وإذا كان كذلك لزم منه العلم بأن وصفنا للفظ بالفصاحة، وصف له من جهة معناه، لا من جهة نفسه»[٦].

فالعبارات يدرك معناها بالعقل، ويستنبط بالفكر».

لكن عبد القاهر يحذر الذين يرون النظم ضم لفظ للفظ كيف جاء واتفق- فهو نظم يراعى فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، فليس الغرض بنظم الكلم أن تتوالى ألفاظها فى النطق، بل أن تتناسق دلالتها، وتتلاقى معانيها على الوجه الذى يقتضيه العقل.

عبد القاهر يبين أهمية وضع صورة ذهنية للمعانى، قبل أن تنتظم فى تركيبات لغوية حية.

٤- ارجع إلى عبد القاهر الجرجانى: دلائل الإعجاز، ص ٤٥، ٤٦.

٥- عبد القاهر الجرجانى: السابق ص ٤٥.

٦- السابق نفسه ص ٣٦٦، ٣٦٧.

القرآن ينظم قوافل الأحياء (*)

لفضيلة الشيخ/ محمد الغزالى

الحمد لله حمداً مضاعف الشكر والثناء والتمجيد.
الحمد لله الذى خلق فسوى، والذى قدّر فهدى.
الحمد لله الذى أضحك وأبكى، وأمات وأحيا، ومنع وأعطى.
الحمد لله ، له الملكوت الذى لا يبلى، وله الخزائن التى لا تفنى:

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾

(الإسراء: ١١١)

الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر.
الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر .
الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر .

الله أكبر ما قامت بربها الأشياء ، وما سبحت بحمده الأرض والسماء.

الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير.

خير الخالقين ، وخير الرازقين ، وخير الراحمين ، وخير الغافرين:

﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

(القصص: ٨٨)

* ألقيت هذه الخطبة فى عيد الفطر المبارك سنة ١٤٠٨هـ.

وأشهد أن محمداً رسول الله ، خير من عبد وسجد ، خير من وعى ودعا ، خير من بلغ رسالة وأدى أمانة ، خير من جاهد فما أبطره نصر عندما انتصر ، ولا أيأسه غلب عندما انهزم .

صلوات الله عليه ، أدى رسالة جمعت بين العقل والعاطفة ، وبين المادة والروح ، وبين الدنيا والآخرة ، أساسها هذا القرآن الذى طالما تلوناه فى رمضان ، ولن نزال نتلوه ما بقى فى صدورنا نفَس يتردد ، ننقل للناس وحى الله الخاتم وهداياته الأخيرة إلى سكان المشارق والمغارب .

أما بعد :

أيها الإخوة : قرآننا هذا يجب أن نعرف قدره ، إن الله سبحانه وتعالى عندما أحب أن يذكر بركته النامية ، ونعماءه الهامية على الناس أجمعين اختار لذلك طريقين :

قال تعالى :

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(الملك: ١)

وقال :

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾

(الفرقان: ١)

فكان الملكوت الرحب – وهو بيد الله– مضارعاً أو مساوياً للكتاب الخاتم المعجز الذى أنزله الله ، كلاهما فى الدلالة على بركات الله ونعمائه !!.

ومثل ذلك فى الحمد ، وربنا المحمود آناء الليل وأطراف النهار ، وبعد فناء الزمان والمكان .

عندما حمد نفسه قال :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾

(الأنعام: ١)

ثم قال مرة أخرى :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴾

(الكهف: ١)

إن هذا القرآن عالم آخر من المعانى والمشاعر والهدايات والتوجيهات ، يضارع أو يساوى العالم الكبير الذى تدور أفلاكه ولا نعرف آماده ولانهاياته .

هذا هو القرآن الذى اعتمد عليه نبينا ﷺ وهو يهدى الإنسانية .

إن الله رباه ليربى به العرب ، وربى العرب لكى يربى بهم الناس جميعا !!

فهل عرفتم رسالتكم ؟ وهل وعيتم مكانتكم ؟ وهل أدركتم خطورة تفريطكم فى الكتاب الذى أنزل عليكم وكلفتم بتلاوته وتبليغ رسالته ؟

﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (٩) وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾

(الإسراء: ٩ ، ١٠)

وصناعة القرآن للإنسان المسلم هى صناعته

للمجتمع المسلم، وقد كنت – أنا شخصياً – متجاوباً مع القرآن الكريم التجاوب كله.

عندما جئت من «الجزائر» إلى أن انتهيت هنا، كنت في طائرة تحملني فوق السحاب بمسافة، ونظرت إلى السحب المتراكمة، ولفت نظرى تتوء في جبل أشم من هذه السحب المتراكمة، ثم أخذت – كما علمنى القرآن – أفكر في السحاب المسخر بين السماء والأرض، فكرت وأخذت أسأل: هذا النتوء من السحب من أين جاء؟ أمن البحر المتوسط الذى أطير فوقه؟ أم من المحيط الأطلسى الذى أقترب منه؟ قلت: الله أعلم.. ثم مضى بى التفكير، وأنا أقول: وهذا السحاب عندما يهمى ويتحول إلى مطر غزير ترى هل سنشربه من آبار، أو من ينابيع، أو من أنهار جارية، أو من صنابير مفتوحة؟ قلت: الله يدرى؟ قلت مرة أخرى: أم يتحول هذا الماء في كيان الحبوب والفواكه والرياحين والأزهار التى ينطلق الماء خلالها مكوناً أجسامها أو الجزء الأكبر منها؟ قلت: الله يدرى، ثم قلت: هل هذه أول مرة يتحول فيها الماء إلى ما ذكرت من نهايات أم أنه ذهب إلى البحار والأنهار والحدائق والنخيل وحبوب الحصيد، ثم عاد مرة أخرى من بطون الآكلين ومن أفواه الشاربين ليتحول إلى البحر ثم إلى سحب ثم إلى مطر وهكذا؟!.

إن الله سبحانه وتعالى يعلم، وهو بعلمه وقدرته وإبداعه وصنيعه العجيب يتابع هذا كله ذرة ذرة ومرحلة مرحلة!

هكذا علمنا الإسلام أن نعرف ربنا معرفة صحيحة، نحن لسنا كذبة على الله نقول: إن لله أولاداً، أو إن له أسرة، أو إن له شركاء، أو إنه غير موجود، أو أنه موجود مفقود!!

لا نحن نؤمن بالله الواحد، هكذا تعلمنا من نبينا ﷺ كما تعلمنا منه أن نتبع هذا الإله الواحد في كل ما أمر به ونهى عنه، وأقام بيننا وبين ظهرانينا هذا النبى الخاتم ﷺ يقول:

﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾

(الأنعام: ١٦١ – ١٦٤)

أيها الإخوة: إن الدين الذى تبعناه وفر علينا تجارب كثيرة، مثلاً: ضمن حق الملكية، وأثقله بواجبات دينية كثيرة، لم؟ لأن ضمان حق الملكية هو أساس الإنتاج الغزير والعطاء الواسع.

ولم يعرف «الروس» هذا إلا بعد سبعين سنة من تقهقرهم الاقتصادى وتخلفهم في الإنتاج العام!!

لكن ديننا أباح التملك، وأثقله بالحقوق التى لا يضيع معها فقير ولا بائس ولا محروم.

هل يكون الفرد ضائعاً في كيان دولة مستبدة يتفرعن فيها من تفرعن؟

أو يكون إنساناً حراً تمتد حريته حتى تُشبع غرائزه كلها وأهواءه كلها؟

لا هذا ولا ذاك، إن الإنسان في الإسلام حر ولكنه محكوم بدين الله، إنه سلبى مع الله الذى أوجده، وإيجابى مع الكون الذى يعيش فيه.. هكذا علمنا الإسلام، إن ديننا عظيم، ولكن يبقى التساؤل: إن الدين العظيم كون أمة عظيمة، كانت العالم الأول نحو: ألف سنة!! أما الآن فهى العالم الثالث أو العالم الرابع إن كان هناك رابع!!

ما السبب؟ السبب لا يتجاوزنا نحن، نحن المسئولون عما لحق بنا وعما أصابنا.

أذكر أن النبى ﷺ قال: «إن الله زوى لى الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض[1] وإنى سألت ربى لأمتى أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربى قال: يا محمد إنى إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإنى أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبى بعضهم بعضاً»[2].

وصدقت الأيام الحديث، ما خذلنا إلا من داخلنا، وما ضعنا إلا من تفريطنا، ولو أن المسلمين وفوا لرسالتهم ما استطاع أحد في الشرق أو في الغرب أن ينال منا قليلاً ولا كثيراً، ولكننا فرطنا، حتى إننى أسأل نفسى كثيراً: هل نحن تخصصنا في أن نُخرب بيوتنا بأيدينا وأيدى أعدائنا معاً؟.

إن اليهود يقتلوننا، ولكنهم لم يقتلوا منا مثل ما قتل بعضنا من بعض!!.

ما هذا الذى يقع في الأمة الإسلامية؟ دماؤنا تسيل، ونحن الذين نسيلها، حقوقنا تُهدر، ونحن الذين نُهدرها!!.

والغريب أن التاريخ يعاود نفسه، يقول التاريخ: إن بيت المقدس سقط أواخر القرن الرابع الهجرى، لم؟ لم يكن هناك مسلمون يكوِّنون وحدة إسلامية متماسكة!!.

لم تتحرك بغداد ولا دمشق ولا القاهرة ولا مكة، ما تحرك أحد، تركوا بيت المقدس يلقى مصيره، كما قال أحد المؤرخين الأجانب «غوستاف لوبون» يقول: كان قومنا كاللَّبُؤة التى قُتل ولدها فهى تتحرك في كل مكان تبطش وتقتل..

سبعون ألف مسلم بين عشية وضحاها هلكوا!!! والسبب فرقة الأمة العربية.

نفس السبب قائم الآن، الأمة متفرقة، ما الذى فرقها؟ يجب أن نعرف.

أيها الإخوة: طبيعة الأمة العربية التمزق والتفرق مالم يجمعها دين، أمتنا العربية لم يُعرف لها حكم مركزى أبداً في جزيرة العرب، كانت قبائل قبائل وستبقى إلى قيام الساعة قبائل قبائل مالم يجمعها الإسلام، وما لم يوحدها الدين، ومالم يغسل أدرانها معتقد حق، ومالم تجتمع كلمة التوحيد في ربوعها لتتوحد

(١) قال العلماء: المراد بالكنزين الذهب والفضة والمراد كنزا كسرى وقيصر.

(٢) رواه مسلم في الفتن – باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ٨/١٧١

الكلمة على أساسها.

هذه حقيقة يجب أن نعرفها، وكلما ابتعدنا عن الإسلام لم نزدد إلا ذلاً، ولم نزدد إلا ضياعاً، ولم يزدد أعداؤنا علينا إلا جراءة، وهذا ما يعرفه أعداء الإسلام، ولذلك نراهم يحاربون الانتماء الإسلامي في كل ميدان، الانتماء الإسلامي جريمة عند المستعمرين من شرق وغرب، وقد رأينا جهود الجبابرة تبذل حتى تجعل الانتفاضة الفلسطينية الأخيرة انتفاضة عادية قومية، مع أن الشباب كان يسميها انتفاضة المساجد، ومع أن الذين صنعوها ـ ما يعرفون إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهم إلى الآن يقدمون الشهداء..

هؤلاء سميت ثورتهم ثورة الحجارة، لأن كلمة المساجد بغيضة إلى نفوس وسائل الإعلام في كل بلد، كانت ثورة المساجد، فسميت ثورة الحجارة، ثم ماذا تجتهد أقلام شتى وعقليات شتى كي تلقى طابعاً قومياً على الانتفاضة، وهي انتفاضة إسلامية لحما ودماً.

قلت: يا عجباً، اليهودية وهي تهجم تعلن عن توراتها، وعن تاريخها، وعن شعائرها، أما نحن فمحرم على الإسلام أن يكون دفاعاً وأن يكون سلاحا للدفاع!!.

أيها الإخوة: بقي أن تعرفوا شيئاً من سنن الله في الكون وفي الحضارة، هذا شئ لا ينبغي أن يفوتنا؟ لماذا؟ لأنها حقيقة ينبغي أن تعرف، هذه الحقيقة التي ينبغي أن تعرف هي أن فلسفة الألم في الإسلام يراد منها تذكير الناس بالله، إن الله إذا أوجع الأمم، أو أوجع الشعوب إنما يريد بذلك أن يقول الناس: يارب اصرف عنا الأذى، يارب اصرف عنا البلاء..

هكذا علمنا الله، يقول لنا:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (42) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾

«الأنعام: ٤٢، ٤٣»

هلا تضرع الناس عندما تألموا، هلا علموا أن لهم رباً يعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويجيع ويشبع، هل علموا هذا؟ لا:

﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

«الأنعام: ٤٣»

إن الآلام تنزل بالأمة الإسلامية الآن سيلاً منهمراً، جئت من «المغرب» والمغرب مهدد بأقطاره كلها بـ«الجراد» و«الجفاف»، ومع ذلك أتساءل: أين أصوات الضارعين؟ أين أصوات المستغيثين برب العالمين؟ لا تجد!! وادي النيل مهدد بأن النيل لا يجئ، ومع ذلك تجد هذا يضحك، وهذا ينطلق في طريقه يمرح، وهذا لا يبالي، أهذه آلام تنزل ببشر أم تنزل بجماد؟!! ألا تعرف ربنا حتى نضرع له، ونستغيث به، ونقول له:

﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾

«الدخان: ١٢»

هلا فهمنا قوله تعالى:

﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (11) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾

«نوح: ١٠ ـ ١٢»

ما الذي قطع علاقات الناس بالله؟ أنا أعلم أنني أعيش وغيري يعيش في ظل حضارة كافرة مجنونة تعبد المادة وحدها، شرق أوربا وغيرها سواء في الجري وراء اللذات، والانطلاق وراء الشهوات، إنهم لا يفكرون لا في إله ولا في يوم آخر!!.

فإذا كانت هذه الحضارة النجسة تريد أن تفرض نفسها على المسلمين فما تعلقنا بديننا إذا كنا سيطوينا الغمار ونمشي وراء القوم دون وعي؟

يومئذ نتساءل: ما الذي ينزل بنا؟ وما الآلام التي تحيط بنا؟

والجواب:

﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (75) وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾

«المؤمنون: ٧٥: ٧٦»

وليس الاستغفار لحظة ضعف كالتي تعتريني أو تعتري غيري، ولكن الاستغفار الحق أن نعرف أخطاءنا ونتوب منها، هذا كتابنا ينطق علينا بالحق.

القرآن الذي صنع أمة شرقت حضارتها وغربت ما الذي صرفنا عنه؟

إنه ليس كتاب الموتى، إنه كتاب الأحياء، إن آياته لا تتلى التماس غفران لذنب عند ميت ذهب إلى ربه، ويعلم الله ما يثقل ظهره من أوزار، أو ما يبيض وجهه من استغفار، إن القرآن جاء لينظم قوافل الأحياء، وكما تنظم الإشارات الحمراء والخضراء قوافل المرور عبر الشوارع والميادين فإن هذا القرآن ينظم للإنسانية طريقها، ويضبط غرائزها، وكما قلنا: إنه يجمع الدنيا والآخرة، الجسم والروح، والعقل والعاطفة، إنه كما قال منزله:

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾

«النحل: ٨٩»

ما أحوجنا إلى هذا الهدى، وما أحوجنا إلى تلك الرحمة.

أيها الإخوة: إنكم تقتربون من الإسلام، ولست يائساً، ولست ممن يوهنون الأمل الكبير، والجهد الكبير الذي يبذل، ولا أقول هذا من باب فتح الآفاق أمام من يعمل وليس لي سناد إلا الأوهام، لا..

منذ أكثر من سبعين سنة دخل الروس تركستان، وكانت قد تحررت، واستماتت أهل تركستان كما تحدث بذلك طاغية الشيوعية «لينين» كان «لينين» يقول للجيش الأحمر: تعلم من التركستانيين الحماس والتضحية والفداء!!.

ولكن تركستان ـ وهي جزء من أرض الإسلام ـ سقطت، وضاعت بلاد «البخاري» في

أيدى الاتحاد السوفيتى، وحاول الروس مرة أخرى أن يكرروا الدور نفسه فى «أفغانستان».

إن الذى حدث أن الوحدة الإسلامية استيقظت، وأن الجماعة الإسلامية امتدت، وأن مشاعرها أحييت ما كان هامداً، ورأيت البطاطين والثياب والأموال والأسلحة تذهب إلى المجاهدين فى أفغانستان فشدت أزرهم، وقوت جانبهم، واستطاعوا وهم جند قليل من العمال والفلاحين أن يهزموا جبابرة الأرض، وأن يرغموهم على الخروج من أفغانستان، وبقى بعض الخونة لا يزال يتعلق بهم ويتمسك بآثارهم.

أنا لا أستطيع أن أنكر أن صيحات رجال عظام مثل: جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده، وصيحات كثيرة لناس من أهل الخير والتقوى والمجاهدة والمجالدة التفت حولها الشعوب التى استيقظت من نومها، ورددت الصدى المنبعث من قادتها الكبار!!.

فالأمة الإسلامية الآن تواجه مستقبلاً أنضر، ولكن العوائق أمامها أكبر، لأن أعداءها لا ينامون!! ولذلك فأنا أوجه النظر إلى مالنا وما علينا، أوجه النظر إلى أن الجبهة الإسلامية - وهى جبهة تضم جماعات لا حصر لها - يجب أن يسودها الإدراك السديد، يجب أن يسودها الوعى الراشد..

إنه لأمر يبكى أن تتحول معركة الإسلام التى يشتغل لها دهاقين الغرب والشرق فى غرف خفية، ووراء أسوار من الدراسة الواعية، والصمت الماكر يبذلون جهودهم كى يميتوا عقيدة التوحيد، كما قال الله تعالى:

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾

(التوبة: ٣٢)

فإذا الجادون من أصحاب اليقظة الراشدة، والوعى السليم يجدون من حولهم من يقاتل فى معركة غناء، فى معركة حانات، معارك «الحوارى» لايصلح بها دين!!.

ما كان هذا هو الفقه، إن صاحب الرسالة ﷺ هاجم الأصنام يوم بدأ يدعو إلى الله، وسبها وذمها وأهانها وحقرها، لكنه اكتفى بهذا، ما فكر أن يكسر صنماً، ما فكر أن يجعل جهاد الفم جهاد يد، حتى بعد عشرين سنة من بدء الدعوة الإسلامية، ففى «عمرة القضاء» بعد «غزوة الحديبية» بسنة، وقبل «فتح مكة» بسنة صلى النبى ﷺ بالمسلمين وطافوا حول الكعبة، وحول الكعبة أكثر من ثلاثمائة وستين صنماً، ما فكروا فى كسر صنم واحد!!

إن الذين يفهمون «الصبيانية» تقود أمة، وأن «قلة الفقه» تنصر رسالة هؤلاء بُلْه!!.

الإسلام يحتاج إلى العقل، وإلى الإدراك السديد، أما أن يدخل مريض مصاب بحمى شوكية «أومصاب بسرطان» فيكون كل مايشد انتباه الطبيب أن المريض يلبس «جورباً» مثقوباً!! قبحك الله من طبيب، أهكذا كل ما يعنيك من معالجة المريض؟!!

إننى بفكر المذنب، وأمل التائب أدعو الله لى ولكم بالمغفرة، وأن يجعلنا وإياكم جنداً للإسلام.

﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾

للأستاذ الدكتور/ حمدى فتوح والى

إن أخطر ما تصاب به الأمم من الأمراض والآفات هو أن تصاب فى ثقتها بذاتها ويقينها فى ربها، وإيمانها بعظمة حضارتها وصحة مناهجها وتصل الإصابة إلى ذروتها عندما تثمر هزيمة نفسية، واستعدادا لتقبل الهوان.

والهزيمة التى نعنيها ليست فيما تعارف عليه الناس فى ميادين القتال، وإنما الهزيمة الحقيقية هى غياب حس المانعة وعدم القدرة على الاستعصاء وهذا ما عناه شاعرنا العربى بقوله:

من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميت إيلام

وأرى أن أمتنا تدار عليها حرب نفسية منذ ما يزيد عن قرن من الزمان القصد منها أن تصل إلى حالة من التسليم الكامل، وإلقاء الخطام فى يد من يتقدم ليسحب أو يتهيأ ليركب دون خوف أو ملام.

وبرغم كل ما وقع للأمة على مدى القرنين الماضيين من إدارة المعركة على محورى التفريغ والتغريب - التفريغ من كل قيم الممانعة والتحدى على مدى القرن التاسع عشر والتغريب وتكريس التبعية لكل مبادئ الغرب وثقافاته فى القرن العشرين فإننى أرى أن الأمة قد ملّت هوانها، وكرهت تخلفها، وأدركت فداحة مأساتها وهول واقعها، واستشعرت خطورة ما يدار عليها من مؤامرات، وما يدبر لها من سوء المصير.

إن الأمة قد استيقظت اليوم بكل فئاتها لتبحث عن هويتها، وتتلمس طريقها إلى تغير واقعها حتى تعود من جديد

﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

(آل عمران: ١١٠)

وبين أيدينا اليوم - وأمام أعيننا شواهد من الواقع، وأدلة من الممارسات اليومية، وبراهين من التاريخ تؤكد لكل ذى عينين أن الأمة قد بدأت مسيرتها المباركة نحو إعادة وجودها

واستعادة مجدها وتلمس طريقها إلى السيادة من جديد.

فشهادة الواقع تتمثل فيما يرى من مظاهر الإسلام وانتشاره فى جميع عواصم الكرة الأرضية شرقها وغربها وشمالها وجنوبها وتحول الإسلام فيها إلى قضايا قومية، تنعقد لها برلمانات تلك الدول، وتؤخذ عليها آراء، وتقام من أجلها استفتاءات كقضية إقامة المساجد، وبناء المآذن، وانتشار الحجاب، وقضايا النقاب، مما لم يكن يعرف أو يسمع به إلا فى عواصم العالم العربى، منذ عقد أو عقدين من السنين هذا فضلا عن الزيادة المطردة فى أعداد الداخلين فى الإسلام من أهل تلك البلاد الأصليين ونوعية هؤلاء الداخلين الذين يتمثلون فى الغالب فى الأدباء والعلماء وأصحاب الفكر والرأى من المثقفين والسياسيين والفنانين.

ولقد استمعت اليوم [1] إلى د. محمد بشارى - رئيس الفيدرالية العامة لمسلمى فرنسا - على قناة المجد الفضائية يصرح بأن عدد المسلمين فى فرنسا يبلغ ثمانية ملايين نسمة وهم يمثلون الدين الثانى من حيث العدد بعد النصرانية لكنهم يمثلون الدين الأول من حيث الواقع الفعلى، إذ علمنا أن الداخلين فى الإسلام يمتلكون قناعة فكرية فاعلة ومؤثرة، وأنهم يمارسون الإسلام عقيدة وعبادة وأحكاماً ومعاملات، بينما النصرانية لدى النصارى لا تمثل فى حياتهم شيئاً فاعلاً وإنما هى مجرد انتماء شكلى، لا أثر لها فى حياة الناس، وهذا يعنى أن الإسلام هو الدين الوحيد الذى يتسع وينتشر ويمارس عقيدة وعبادة فى واقع الحياة، ولعل هذا يفسر لنا تحول كثير من الكنائس إلى مساجد فى أكبر ميادين العواصم الأوروبية، بعد أن تغلق بسبب عدم الحاجة إليها، وإذا أضفنا إلى ذلك طبيعة القوانين الحاكمة لمنظومة الدول الأوروبية والتزامها الواضح بضمان حرية الرأى والعقيدة والمحافظة على حقوق الإنسان أدركنا أن هذه البيئة هى الصورة المثالية لممارسة الدعوة إلى الإسلام، وأنها تمثل أمام دعاة الإسلام فرصة حضارية لا تدرى إلى متى تدوم فى زمان تتقلب فيه الأوضاع من ساعة لساعة، وسيسأل المسلمون عنها أمام الله.

وقد نجد من يعترض على هذا التفاؤل، بما نرى ونسمع فى الغرب من ممارسات عنصرية، للحد من انتشار الإسلام، كما رأينا فى قانون حظر بناء المآذن فى سويسرا، وصدور فيلم يسئ للإسلام والمسلمين فى هولندا، والرسوم المسيئة لشخصية الرسول ﷺ فى الدنمارك، والدعوة إلى حظر النقاب فى فرنسا، وينسى هذا المعترض أن هذه المظاهر تمثل شهادة أخرى على حيوية الإسلام وقوة انتشاره، فما كان لهذه الدعاوى أن ترفع، ولا لهذه الممارسات أن تظهر إلا عند الشعور بالأثر الفعلى والقوى للإسلام، وهذا يعنى أن الإسلام أصبح يمثل الفعل، بينما هذه الممارسات تمثل رد الفعل لهذا الانتشار العظيم، ويدلك على ذلك ما يصدر من عقلاء الغرب وحكمائه من استهجان لهذه الممارسات العنصرية، واستنكار لمواقف أصحابها، بصورة تجعل أفعال هؤلاء العنصريين لوناً ممقوتاً ومرفوضاً من مؤسسات تلك الدول الرسمية.

فهذا عمدة مدينة «أرتهيم» الواقعة شرقى «هولندا» يسمح إذنا لنحو مائتى شخص للتظاهر ضد البرلمانى الهولندى المتطرف «جريت فيلدرز» الذى أعد فيلم «فتنة» المسىء للقرآن الكريم، وقد سار المتظاهرون فى جميع أرجاء المدينة حيث يقع حزب الحرية الذى يتزعمه «فيلدرز» بينما كان يعقد اجتماعاً فى أحد فنادق المدينة.[2]

أما رد الفعل الأكبر والأخطر على هذا المتطرف فهو فى هذا الخبر الذى نشرته «مجلة الأزهر» فى باب «أنباء العالم الإسلامى» والذى جاء تحت عنوان: «ستة خبراء هولنديون يدافعون عن القرآن الكريم من تهمة الإرهاب والعنف» ونص الخبر: «بعث عدد من خبراء هولندا فى مجالات الترجمة والشريعة والقانون وعلوم الأديان برسالة مشتركة إلى محكمة «أمستردام» التى تحاكم زعيم اليمين المتطرف «فيلدرز» بتهمة إهانة القرآن والإساءة للمسلمين قال الخبراء فى رسالتهم: «إن فيلدرز فسر مقاطع آيات القرآن الكريم على نحو خاطئ سواء فى تصريحاته أو فى فيلم «الفتنة» الذى أنتجه، وساق آيات منقوصة دون استكمالها ليثبت اتهامه للقرآن بالعنف والإرهاب، فى حين أن القرآن يدعو للسلام ولا يدعو للقتل إلا فى حالة الحرب، وأن المسلمين أنفسهم هم الذين وقعوا ضحية للعنف أكثر من غيرهم على مر العصور. وقالت الرسالة التى تعد بمثابة شهادة رسمية أمام المحكمة: من خلال التحليل المنطقى للقرآن الكريم كاملاً وتبين المعلومات الواردة من مصادر أخرى، تأكد أن الحكم الذى أصدره فيلدرز على عنف الإسلام يتناقض مع الحقائق الحالية و الأساليب العلمية، فالمسلمون لم ينشروا الدين الإسلامى بحد السيف وأغلبية المسلمين ضد الإرهاب، بل هم أنفسهم كانوا أكثر عرضة للعنف والإرهاب من الضحايا الغربيين. والخبراء هم: الدكتور «فريد ليمهاوس» المستشرق المعروف ومترجم للقرآن و«جان ميشيل أوتو» أستاذ فى القانون والشريعة. و«جيرار فيجرز» خبير الدراسات الدينية، و«رود بيتر شوردفان كونينفلد» خبير فى الدراسات الإسلامية، و«بيترشورد فان كونينفلد» خبير فى الدراسات الإسلامية وديترز خبير اللغة العربية والثقافة، ومارليس بروغ خبير فى القرآن والكتاب المقدس، وبهذه الشهادة المكتوبة من هؤلاء الخبراء، انقلب السحر على الساحر حيث طلب فيلدرز من المحكمة الاستدلال بشهادة هؤلاء الخبراء لتأكيد تفسيره واتهاماته للقرآن إلا أن شهادتهم جاءت مخالفة تماماً لتوقعاته، وعلى النقيض لادعاءاته، مما يمثل ضربة قاصمة لأكاذيبه، ويهز من موقفه القانونى أمام المحكمة».[3]

(١) الأحد ٣/٥/٢٠١٠م

(٢) مجلة الأزهر - العدد ذو الحجة سنة ١٤٣٠ - ديسمبر ٢٠٠٩ ص٢٠٢٢

(٣) مجلة الأزهر، عدد أبريل سنة ٢٠١٠، ص٦٢٧

وفي مجال قضايا الحجاب والنقاب وما نسمعه من معارضة في بعض الأحيان مما يقع مثله وأكثر، في كثير من بلاد الإسلام نلاحظ ارتفاع أصوات المعتدلين

والمنصفين حتى من المسئولين وأصحاب القرار السياسي من الوزراء وغيرهم.

ومن هذا القبيل تأتي دعوة وزير خارجية النرويج إلى احترام الحجاب في بلاده.. فتحت هذا العنوان نقرأ في مجلة الأزهر الغراء هذا الخبر:

«دعا وزير خارجية النرويج «يوناس جارستور» إلى احترام الإسلام والحجاب في بلاده وقال في لقاء مع التليفزيون النرويجي إنه يرغب في أن تكون النرويج متعددة الثقافات، وأكد أن الأقليات المسلمة جزء من المجتمع، ولا يجب التخلي عنه أو إبعاده عن بناء المجتمع النرويجي، مضيفاً أن من يربط العنف والإرهاب والمشاكل بالإسلام مخطئ.. فيجب ألا يكون المسلمون لقمة سائغة للمحرضين.. وأكد الوزير أنه لا يرى مانعاً من رؤية الحجاب الإسلامي منتشراً في النرويج كمظهر من مظاهر تعدد الثقافات وحرية العقيدة في العمل والمدارس..»[4].

وإذا أضفنا إلى هذه الأخبار المشجعة ما طرأ على حياة دول الغرب الأوروبي والشعب الأمريكي في مجال الاقتصاد من هزة عنيفة أفقدت العالم توازنه وجعلت الشعوب الأوروبية والأمريكية تتساءل في دهشة عما حدث ـ فلم تجد أمامها إلا التجربة الإسلامية في مجال المال والاقتصاد، يلتمسون فيها مخرجاً من أزمتهم لتأتي هذه الأحداث كدليل جديد على حاجة البشرية إلى منظومة القواعد الإسلامية، التي تنظم سياسة المعاملات المالية.. تلك السياسة التي تحرم الربا واستغلال حوائج الناس، كما تحرم كل مصدر يأتي بالمال من وجه غير أخلاقي، أو يضر بحياة الناس، كأموال الخمر والقمار والاستغلال والاحتكار ووسائل النصب والسرقة والاحتيال والتزوير والغش وما يعطى على سبيل الرشوة أو يؤخذ سلباً أو نهباً، أو بغير رضا صاحبه.. وكذلك ما يؤخذ بسيف الحياء.. كل هذه الممارسات التي تمثل البعد الأخلاقي في حياة المسلم، رصدها الإسلام، وحرمها وجعل التعامل ببعضها كبيرة من أكبر الكبائر، وهذا البعد الأخلاقي الإيماني هو الذي افتقده الغرب فنشأ عن غياب تلك القيم الروحية الشقيقة، الأمن النفسي ـ والاطمئنان الروحي، والتوازن الداخلي. وهذا ما دعا بعض علماء الغرب إلى ضرورة اللجوء إلى الشريعة الإسلامية كمخرج مأمون ومضمون من هذه الأزمة الطاحنة.. وضرورة أن تكون الفائدة صفراً.

إن الإسلام بتوازنه وثباته ومرونته وشموله، قد أثبت للبشرية كلها مدى حاجتها إليه، في مقابل الاجتهادات البشرية التي تتسم بالنقص الذي هو طبيعة النفس البشرية من القصور ومحدودية الرؤية والتأثر بحظوظ النفس والميل الفطري إلى تغليب الذات على حساب الآخر

(٤) مجلة الأزهر عدد نوفمبر سنة ٢٠٠٩م

مما يؤكد استحالة الاعتماد على البشر في التشريع، ويؤكد مدى حاجة البشرية إلى المنهج الإلهي الذي لا يحابي ولا يجامل ولا ينتقم ولا يميل، وإنما ينتصب في حياة الناس حكماً عادلاً وميزاناً قويماً وهو ما دعانا الخالق الحكيم إليه في قوله:

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾

(المائدة: ٤٩، ٥٠)

إن شهادة عقلاء الغرب وحكمائه لا تزيدنا يقيناً في ديننا، وإنما تشعرنا بأن الفطرة الإنسانية السليمة مازالت بخير لدى كثير من أهل الأرض، وهذا يعني أنها في طريقها إلى اختيار الإسلام إذا وجد من يحسن تقديمه وعرضه على هؤلاء المحرومين وتقتي كبيرة في حكمة مسلمي الغرب، وقدرتهم على تسويق الإسلام بصورة تتناسب وحياة أهل الغرب وأن الفتح الذي بشر به رسولنا ﷺ لا يعني بالضرورة أن يكون بالمعارك والسلاح، وإنما الموقع كما يبدو الآن من شواهد الأحداث أنه سيكون بالدعوة والفكر.. وهذه بشارات رسول الله ﷺ من ذلك من رواه مسلم في صحيحه عن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «إن الله زوى[5] لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها»[6] وما رواه ابن حبان في صحيحه: «ليبلغن هذا الأمر ـ يعني الإسلام ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل به الكفر»[7].

وهذا الحديث والذي قبله يبشران باتساع دولة الإسلام، بحيث تضم المشارق والمغارب وهذا ما لم يتحقق من قبل بهذه الصورة وها نحن بانتظاره كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ وأوضح دلالة على فتح عواصم أوروبا هذا الحديث الذي رواه أحمد والدارمي وابن أبي شيبة والحاكم وصححه، عن أبي قبيل قال: كنا عند عبدالله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) وسئل: أي المدينتين تفتح أولاً: القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبدالله بصندوق له حلق قال: فأخرج منه كتاباً قال: فقال عبدالله: بينما نحن حول رسول الله ﷺ ـ نكتب إذ سئل ـ ﷺ ـ أي المدينتين تفتح أولاً: قسطنطينية أو رومية؟ فقال ﷺ: مدينة هرقل تفتح أولاً»[8] ومدينة هرقل هي القسطنطينية التي فتحها محمد الفاتح، وبقي فتح «روما» وهو ما نرجوه ونؤمن به ونرجو الله أن يجعلنا من المشاركين في هذا الفتح إنه سميع قريب.

(٥) زوى لي الأرض: أي ضمها وجمعها.
(٦) رواه مسلم برقم ٢٨٨٩
(٧) ذكره الهيثمي في موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ـ ١٦٣١ ـ ١٦٣٢
(٨) رواه أحمد برقم ٦٦٤٥ ورجاله رجال الصحيح

علاقات الاشتراك والتمايز بين الحضارات

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

كل الحضارات التاريخية والمعاصرة «إنسانية».. بمعنى أنها صناعة إنسانية وإبداع بشرى، وإنجازات مدنية..

فهى «إنسانية» بمعنى أنها صناعة الإنسان وإبداعه عندما يرتقى فى سلم التمدن والاستقرار.. وفى هذه الحقيقة تشترك كل الحضارات..

لكن التصور الفلسفى لمكانة الإنسان فى الكون يختلف من حضارة إلى أخرى، إلى الحد الذى يصبح فيه التميز فى هذا التصور من الخصوصيات التى تتميز بها حضارة عن أخرى، رغم أن جميعها تشترك فى كونها من صنع هذا الإنسان.

أ ـ ففى فلسفة الحضارة الهندية ـ النرفانا Nirvana ـ ومعها بعض مذاهب التصوف الفلسفى ـ الغنوصية ـ الباطنية ـ العرفانية ، تهميش للإنسان يجعله الحقير ـ المجبر ـ الذى لا سبيل لخلاصه إلا بالفناء فى المطلق أو فى ذات «الحق ـ الله»..

ب ـ وفى الفكر المادى ـ الذى طبع الحضارة الغربية منذ جاهليتها اليونانية وحتى نهضتها الأوروبية الحديثة ـ تأليه للإنسان، يجعل منه سيد الكون، الذى يستطيع ـ بالحرية والاختيار ـ أن يحل الحرام الدينى ويحرم الحلال الدينى، فى شئون العمران الدنيوى، كحق من حقوقه الطبيعية، التى لا تلتزم بشريعة من شرائع السماء فى بناء هذا العمران..

جـ ـ أما فى الرؤية الإسلامية لمكانة الإنسان فى هذا الكون، فإن مكانته هى مكانة الخليفة لله، سبحانه وتعالى، فى عمارة هذه الأرض.. والخليفة حر وقادر ومريد وفاعل، لكن فى حدود بنود عقد وعهد الاستخلاف، الذى هو الشريعة الإلهية.. فالإنسان سيد فى الكون، وليس سيد الكون، لأنه خليفة لسيد الكون.. وبعبارة الإمام محمد عبده «١٢٦٥ - ١٣٢٣هـ/ ١٨٤٩ - ١٩٠٥م» فإنه - الإنسان - «عبد الله وحده، وسيد لكل شيء بعده!»..

وهذه الرؤية الإسلامية لمكانة الإنسان فى الكون، والتى تمثل خصوصية حضارية للحضارة الإسلامية تتميز بها عن الحضارات الإنسانية الأخرى.. كما أنها ثمرة للوسطية الإسلامية، التى تقف بمكان الخليفة بين «التأليه» و«التهميش»، فإنها ثمرة من ثمرات التصور الإسلامى لنطاق عمل وتدبير الذات الإلهية.. فلما كان الله المدبر للخلق ـ وليس فقط الخالق للوجود ـ كان لتدبيره مدخل فى الرعاية والترشيد للإنسان، وهذا المدخل هو عقد وعهد الاستخلاف، الذى جعل الإنسان حاملاً للأمانة ـ فهو ليس المهمل المجبر المهمش ـ كما أنه ليس المنفلت من إطار التدبير الإلهى.. إنه الخليفة لخالق ومدبر هذا الوجود..

وهذا التصور الإسلامى للإنسان كخليفة عن الله.. مع تصور الذات الإلهية، كمدبر للوجود الذى خلقه، هما وجها عملة واحدة لعلها أخص ما يميز الحضارة الإسلامية عن غيرها من الحضارات، فعنهما تتفرع خصوصيات أخرى كثيرة تشهد للحضارة الإسلامية بتميز الهوية وخصوصية الفلسفة، عند المقارنة بالحضارات الأخرى..

ولفكرة الخلافة والاستخلاف هذه امتدادات وتجليات كثيرة فى ميدان التميز الحضارى لحضارتنا الإسلامية نجدها فى الفلسفة الإسلامية المتميزة لعلاقة الإنسان بالثروات والأموال.. فهو المالك المجازى، مالك المنفعة، المحكومة حريته فى الحيازة والتصرف ببنود عقد وعهد استخلاف المالك الحقيقى، مالك الرقبة فى الأموال، سبحانه وتعالى:

﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾

(الحديد: ٧)

وهو حاكم.. لكنه مكلف ـ فى عهد الاستخلاف ـ أن يحكم وفق بنود هذا العهد:

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾

(المائدة: ٤٩)

﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾

(ص: ٢٦)

وله حقوق.. لكنها محكومة بحقوق الله - سبحانه وتعالى - وله مصالح، لكنها يجب أن تكون شرعية معتبرة، وله حرية، بإطار عقد وعهد الاستخلاف.. والدولة التى يقيمها هى دولة الخلافة عن الأمة، محكومة بسلطة الأمة، التى هى ـ أى الأمة ـ مستخلفة لله، محكومة سلطاتها بإطار الشريعة الإلهية..

فهذا الموقع ـ موقع الخليفة ـ الذى أراده الله للإنسان فى عمارة هذه الأرض، هو الذى يعبر عن خصوصية الرؤية الإسلامية، والتزامه فى بناء الحضارة الإسلامية هو الذى يجعل هذا الإنسان: إنساناً.. وربانياً فى ذات الوقت.. وهو الذى يحقق المعنى الذى لم تدركه الملائكة من ذاتها عندما خلق الله هذا الإنسان:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

(البقرة: ٣٠)

وكما أن تحقيق فلسفة الاستخلاف، وضوابط الخلافة، يجعل الإنسان الخليفة: إنساناً وربانياً فى ذات الوقت.. فإن ذلك التحقيق يجعل من صناعته للحضارة: حضارة إنسانية، وإسلامية أيضا.. وبهذا تتميز حضارة الاستخلاف، الإسلامية، عن غيرها من الحضارات التى «تهمشه» أو «تؤلهه»..

٣- الاشتراك فى «الدين».. والخصوصية فى «مصدره» وفى «آفاقه»:

وكل الحضارات الإنسانية تشترك فى التدين بالديانات.. بل إن الشريحة التى ألحدت، وأحلت «المادة» محل «الله» قد جعلت من الفلسفة المادية عقيدة ودينا؟!..

لكن الحضارات تتمايز فى رؤيتها لمصدر الدين.. فهناك حضارات الديانات الوضعية، غير السماوية - مثل ديانات الشرق الأقصى - ومعها فى هذه الفلسفة تقف «الوضعية الغربية»، بمذاهبها المتعددة، فلقد زعمت أن الدين، ككل ألوان الفكر وأنساقه، إنما هو إفراز بشرى، وثمرة من ثمرات العقل الإنسانى، بل وقالت إنه الممثل للفكر الإنسانى فى طور طفولة العقل البشرى، الذى ارتقى بعد الطفولة إلى مرحلة الميتافيزيقا، والإيمان بما وراء الطبيعة، ثم لما نضج أصبح وضعياً، لا يرى علماً حقيقياً ولا معرفة حقيقية إلا إذا كانا من ثمرات التجارب الحسية والعقل المجرد انطلاقاً من حقائق الكون المادى المحسوس..

فهذه الحضارات عرفت الدين، لكنها جعلته «وضعاً إنسانياً».. وليس «وضعاً إلهياً» ووحيا سماويا!..

وحتى الحضارات أو التصورات الدينية التى اشتركت فى الإيمان بالوضع الإلهى للدين، نراها قد تمايزت فى تحديد آفاق عمل هذا الدين.. فالذين جعلوا الدين عقيدة خاصة بين الفرد وخالقه، وشعائر عبادته محبوسة فى الهياكل والصوامع، مع عزله عن أن يضبط ويدبر ويرشد كل ميادين العمران، الفكرى منها والتطبيقى، قد تميزت رؤية حضارتهم لآفاق عمل الدين، ولنطاق التدين عن الرؤية الإسلامية لهذه الآفاق..

الدين روح الحياة

فالدين فى الرؤية الإسلامية - فضلا عن أنه وضع إلهى ووحى سماوى - هو الروح السارية فى كل مجالات العمل الإنسانى وسائر مناحى الحياة، يضبط علاقة الفرد بربه.. وبمحيطه.. وبأهله، وشعبه، وأمته، وبالإنسانية جمعاء، كما يضبط علاقة الدنيا بالآخرة.. والعمران بالقيم.. والوسائل بالحكم والغايات.. والسياسة والاجتماع والاقتصاد ومناهج البحث ونظريات المعرفة بالفلسفات والأخلاقيات..

وهكذا تتميز الحضارة الإسلامية - عندما تكون حقا إسلامية - عن الحضارات الأخرى، المشاركة لها فى التدين - بهذه الرؤية الخاصة لمصدر الدين، ولنطاق وآفاق التدين فى الحياة.

٤- الاشتراك فى «العقل».. والخصوصية فى «ماهية العقلانية»:

بدون «العقل» يستحيل أن يكون هناك إنجاز رشيد.. وكل الحضارات الإنسانية هى ثمرات للإبداع الإنسان العاقل..

لكن.. رغم هذا الاشتراك فى العقلانية بين كل الحضارات الإنسانية، فإن هناك تمايزاً وخصوصية لحضارة عن أخرى فى مقام العقل، وفى مكانته من سبل المعرفة الأخرى، ومن ثم فى ماهية العقلانية.. فالحضارات المشتركة فى الاحتكام إلى العقل، تتفاوت فى درجات هذا الاحتكام، وفى مدى الاقتصار عليه..

أ- ففى المذاهب «الباطنية - الغنوصية - العرفانية» يهمش العقل وتضمر العقلانية.. بل ويهمش النقل وكل سبل المعرفة الأخرى.. ويكاد الوجدان والحدس والعرفان الباطنى والفيض والإلهام والوهب أن تستأثر بالمعارف جميعا.. ولذلك، استحال بناء حضارة على «العرفان» وإن أمكن أن يكون سبيلاً لخلاص آحاد الناس، لأن الحضارة بناء جمعى، بينما العرفان تجربة شديدة التفرد والاختصاص!..

ب- وفى المذاهب المادية والوضعية هناك إعلاء لمقام العقل إلى درجة «الغرور العقلانى»؟!.. فالاحتكام إلى براهينه مع ثمرات التجارب الحسية هما سبيلا المعرفة المعترف بهما، وما لا تعقله العقول وتدركه الحواس لا يرقى لمرتبة حقائق المعارف والعلوم..

جـ- أما فى الرؤية الإسلامية، التى أصبغت بفلسفتها الحضارة الإسلامية، فإن للعقلانية ماهية متميزة تميزاً كبيراً..

العقلانية الإسلامية

لقد تبلورت العقلانية الغربية، فى طورها اليونانى، عندما لم يكن هناك نقل ولا وحى يجاورها، فجاءت عقلانية متحررة من النقل ومن وحى السماء، متفردة بتحصيل المعارف وحقائق الأشياء.. بينما تبلورت العقلانية الإسلامية انطلاقا من الوحى القرآنى، وفى خضم الدفاع عن الدين، فجاءت عقلانية مؤمنة، لإنسان مؤمن، يدرك أن ملكاته - ومنها العقل - هى نسبية إذا ما قورنت بالعلم الإلهى الكلى والمحيط - ومن هنا جاءت العقلانية الإسلامية: تقرأ النقل بالعقل، وتحكم العقل بالنقل، لأنها قد جعلت النقل مع العقل، والحواس، والوجدان، سبلاً أربعة للمعرفة، تتكامل فى تحقيق الهداية للإنسان.. وجعلت مصادر المعرفة: كتابى الوحى المقروء، والكون المنظور.. وليس فقط كتاب الكون المنظور، كما هو الحال فى الوضعية الغربية.. فللمعرفة مصدران.. ولسبلها أربع هدايات..

الأمر الذى عصم العقلانية الإسلامية من الصراع الذى اكتوت الحضارة الغربية بناره.. بين العقلانية وبين اللاهوت.. وهو الصراع الذى جعل العقلانية الغربية الحديثة نقضا للدين، بعد أن كانت فى حقبتها اليونانية خلوا من الدين!..

بينما ظلت العقلانية الإسلامية، على مر تاريخنا الحضارى الأخت الرضيعة للشريعة الدينية، لأنها واحدة من الهدايات وليست بديلاً ولا نقيضا لهدايات الدين..

بهذه العقلانية الإسلامية تميزت الحضارة الإسلامية، رغم اشتراك سائر الحضارات فى الاحتكام إلى العقل المبدع لهذه الحضارات!.

القيم فى واقع الفكر الإسلامى المعاصر

للأستاذ الدكتور / محمد الشحات الجندى
الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

حديث الإسلام عن القيم حديث عن مقوم وأساس من أسس النهضة والحضارة وتقدم الفكر والمجتمع والدولة والأمة الإسلامية.

فالقيم هى: موازين حاكمة لضبط الفكر وسلوك المسلم يتمسك بها لإقامة فكر سديد وتصرفات رشيدة تهديه للطريق القويم.

وعلى قدر الالتزام بهذه القيم، تستقيم مسيرة المسلم، فقد كانت كالكوابح تحميه وتنقذه من الانزلاق إلى هاوية الهلاك والتدمير، والمستقرئ لمنظومة الفكر الإسلامى الجامعة فى جوانبها العقدية والتشريعية والأخلاقية والحضارية يجد أنها شيدت على هدى قيم السماء التى تلبى الفطرة البشرية التى فطر الله الناس عليها.

ظلت هذه القيم متلاحمة مع مسيرة علماء الإسلام، وسلوكيات المسلمين طوال عصور الازدهار والنهضة والريادة فى الدين والحياة، وكانت عنوانا على ترق وتمدن إنسانى فى تاريخ البشرية الحافل بالانتصارات والانكسارات.

وكان أساس الاستمساك بهذه القيم انطلاقاً من هدى الدين، فيما جاء به، وعلمهم إياه، تلمس ذلك فى التسامح تجاه الآخر، والتعددية فى الرأى، وقبول المخالف، والانفتاح على الفكر الإنسانى فى كل مناحى الحياة لتصبح معلماً من معالم التعامل الإسلامى مع غير المسلمين ناهيك عن المسلمين.

أصول العلاقة بين العلماء

لذلك أقام علماء الإسلام، صلاتهم وعلاقاتهم فى الفكر والاجتهاد على أن العلم رحم بين أهله، فهو رباط قوى متين يجمع بين العلماء الذين هم ورثة الأنبياء.

وهم فى تحصيل العلم، والتفكر والنظر

ينشدون الحق من كل طريق، إذ بالحق يعرف الرجال، وليس بالرجال يعرف الحق.

التمسوا العلم والحكمة من كل طريق يوصل إليهما، فاجتهدوا لدينهم ودنياهم واطلعوا على ثقافات غير المسلمين، وعلى هدى ذلك كانوا يسلكون الطرق الموصلة للعلم والحكمة، حرصا على الاستجابة لتوجيهات الإسلام يقصدون إليها فى كل مكان، وممن أوتى الحكمة والعلم.

مهما كان حال هذا الشخص إذ: «الحكمة ضالة المؤمن، أنى وجدها فهو أحق الناس بها»[1].

انفتاح الإسلام على الأديان والثقافات

نجد ذلك فى انفتاحهم على ثقافات الحضارات اليونانية والفارسية والرومانية، والتأثر بها والتأثير فيها وعلى أن الإسلام هو الدين الذى استوعب أديان السماء، واطلاعهم على ثقافات الأمم الأخرى، فى إطار من التفاعل الخلاق الذى حملته رسالة الإسلام إلى البشرية فى عصر نضجها وترقيها. وقد نتج عن ذلك إسهام كثير من العلماء المسلمين، من غير العرب من أبناء الأمم الفارسية والرومانية فى صرح الفكر والحضارة الإسلامية، حيث وجدوا أن الإسلام بعثهم فى خلق جديد، وأعطى قيمة لوجودهم بمبادئه وتعاليمه وقيمه الإنسانية، وعبروا بحق عن إنسانية وعالمية هذا الدين، الذى لا يتعصب لجنس، ولا يحابى عنصراً على حساب الحق والعدالة، إذ هما مطلبان للإسلام لكل البشر.

فقد أقاموا النظام والحياة على ذلك اقتناعاً بأن الفكر الحاط بسياج من القيم الإيمانية والحضارية ينطلق بالأمة الوطن إلى التقدم والترقى فى شتى المجالات: الدينية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية. فالفكر الحق النابع من الإسلام هو القوة الدافعة للمسيرة، والقاطرة التى تجر المجتمع إلى الأمام وتضمن لهم السبق والريادة.

التحول عن القيم، والتراجع عنها

لكن أتى حين من الدهر، تغير الزمان، وتعثر العقل الإسلامى، وتوقف عطاؤه، وتجدده فتبدل الحال، من التقدم إلى التخلف، ومن الأصالة إلى التبعية، ومن القيادة فى المقدمة إلى المؤخرة.

وأحد الأسباب الرئيسة لذلك يرجع إلى جمود العقل المسلم فى عصور الانحطاط فى استخراج كنوز النصوص فى القرآن والسنة، وعدم اتباع المناهج السديدة التى قال بها السلف من العلماء، والتقوقع فى شرنقة التقليد، والجمود على المتون، وعدم التحلى بأدب الاختلاف، ومنهج الحوار بالتى هى أحسن.

ونتج عن ذلك أن توارى العلم الحق، وظهر الأدعياء، وشاعت الفوضى، وتخبط

(1) سنن الترمذى، كتاب العلم - باب ما جاء فى فضل الفقه على العبادة.

الناس فى العمل بمنهج الإسلام، أى منهج يتبعون، وعلى أى رأى يسيرون وسط هذه الغابة الكثيفة من المناهج والآراء، فضاع التميز الإسلامى والعطاء الإسلامى للمسلمين وللبشرية فى عصور الانحطاط والتخلف. وأبرز معالم ذلك غياب فكر الإسلام الحق عن دنيا المسلمين.

وفى مثل هذه الأجواء، غاب الفكر الإسلامى بمناهجه وعطائه للبشرية، أو غيب فى غمرة التراجع عن قيمه الإنسانية والحضارية.

ولم يحدث هذا التغيب إلا بسبب الغفلة عن عوامل القمة والخيرية فى هذا الدين، والالتفات عن مصادر الخصوبة والتقدم وقيادة الحياة فى عنصريها الدينى والدنيوى على سواء.

آفة القدح والتلاسن بين العلماء

وأخطر ما نزل بهذه الأمة، وعطل مسيرتها وأفقدها ريادتها: أن يكون بأس مفكريها وعلمائها المعاصرين بينهم شديداً، وما انزلقوا إليه من القدح والتلاسن فى منتديات علمية، وهو النذير والعقاب الذى توعد الله به الأمة، بسبب انحرافها عن المنهج وحيدتها عن الصراط المستقيم:

﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون﴾

(الأنعام: ٦٥)

وأورث هذا الخلل أثره فى تراجع كلمة العلماء وتأثيرهم على حياة الناس، وضعف مهابتهم ومنزلتهم، وفى المقابل لم يلتزم العلماء بتحكيم أصول الاختلاف فيما بينهم، وهم القدوة التى يقتدى بها، وأحد الصنفين اللذين تصلح بصلاحهما الأمة، كما جاء فى الحديث: «صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس، وإذا فسدا فسد الناس: العلماء والأمراء»[٢].

المردود السيئ عند الأمة، وتصدى الجهال

طبع ذلك الاختلال، أثره السيئ على الأمة فاختلطت المفاهيم، وتطاول الجهال فى البنيان، وأساءوا الأدب مع العلماء، ولم يرعوا للدين حرمة، أو يلتزموا بمرجعية الإسلام، فكان أن تصدروا الركب، وكانوا فى الطليعة، وقادوا الأمة إلى الهاوية وتمددوا فى الفراغ الكبير الذى تركه العلماء، حدث ذلك والعلماء منشغلون بمعاركهم الكلامية، وجدالهم فى مماحكات لفظية.

تفشى التوهان الفكرى والغشاوة العقلية

أسفر عن هذا الخلل، حالة من التوهان الفكرى، والتغييب العقلى، ينبغى تخليص العقل المسلم منها، وتخليص الناس من حالة الحيرة والتخبط، وإقامتهم على الطريق

(٢) ذكره السيوطى فى الجامع الصغير، وقال المناوى: قال الحافظ العراقى: سنده ضعيف.

لترشيد المسيرة الإسلامية فى تجديد الدين فى العقيدة والتشريع والأخلاق.

وهى مهمة تحتاج إلى التقارب بين العلماء، والتآلف فيما بينهم، لإقامة وحدة الوطن والأمة، وتكريس الفهم المتبادل، لتحقيق المصلحة العامة.

انظر على حالة الفكر فى العالم الإسلامى تجد أنه قد برز على الساحة صراعات فكرية، وتيارات مذهبية: السنة، والشيعة، والسلفية، والصوفية، والأشعرية،... اعتصم كل منها بطريقته، وانحاز لرأيه متناسياً أن الجميع دينهم واحد، وربهم واحد، وقرآنهم واحد، ورسولهم واحد، وقبلتهم واحدة، فلم هذا الانقسام والطائفية التى أطلت برأسها.

تخلى العلماء عن الميثاق الشرعى فى أدب الاختلاف

وقد أفرز هذا الخلل فى ميثاق أدب الاختلاف بين العلماء: الخروج عن الأصول المرعية، والقواعد الشرعية، تسببت فى الوقوع فى مأزق، أصاب عقل الأمة فى الصميم، وأورث حالة من الحيرة وخلط الأوراق، والتخبط فى معرفة الأحكام، بسبب ما طرأ على القيم من عدم التزام بها، ونرصد طرفا من ذلك فيما هو آت:

١- فقدان التسامح بين علماء العصر ومفكرى الأمة ذلك التسامح الذى أوجبه الإسلام بين المختلفين فى الأجناس والأديان والقوميات، فما بالك بين أتباع الدين الحق، الصفوة والنخبة، كل يدعى أنه على الحق، وأن أخاه على الباطل، يحقره ويسفه رأيه فى مسائل فرعية وقضايا اجتهادية!!

واستفحل الخلاف بين الكل، وتعصب كل لرأيه، وعاب على الآخر وهو يعلم قول الله:

﴿وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه إلى الله﴾

(الشورى: ١٠)

فصار الجلاد شديداً بين الإخوة فى الدين.

وفى الحديث: «... وليتوا فى أيدى إخوانكم»[٣].

«وكونوا عباد الله إخواناً»[٤].

وقد تسامح السلف الصالح إزاء بعضهم البعض:

أبوحنيفة: «علمنا هذا رأى فمن جاءنا بأحسن منه قبلناه».

مالك: «كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذه الروضة: مشيراً إلى قبر الرسول ﷺ».

الشافعى: «رأيى صواب يحتمل الخطأ، ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب».

وهو ما يبرهن على قيمة الدفاع عن رأى المخالف، والتسليم بحقه فى التعبير عنه.

٢- إنكار التعددية فى الرأى والفكر،

(٣) مسند الإمام أحمد، رقم ٥٥٧٢ (مسند عبدالله بن عمر بن الخطاب).

(٤) صحيح البخارى، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر.

والحرص على وأد الرأى الآخر وحرمان الفكر الدينى من أسمى ما جاء به من عوامل الاجتهاد والإبداع.

لم يحجر الإسلام على فكر بناء أو رأى خلاق، وإنما سلم بالرأى ومقابله، ورسخ التعبير عن الرأى مع طلب الحُجة ومقارعة الدليل بالدليل:

﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾

(البقرة: ١١١)

وكان من ثمرة ذلك تعددية الفكر والرأى فى علوم الشرع نشأت مدارس فى علم الكلام، كان لكل منها أطروحاتها واتجاهاتها: الأشاعرة، والماتريدية، والمعتزلة، والمرجئة، والدهرية، وساق كل حجته، وأقام دليله، وأبان عن منهجه المعبر عن سعة ورحابة فكر الإسلام فى أقدس منطقة، تدور فى نطاق الحقيقة المطلقة الألوهية والنبوة.

بل إن القرآن كتاب الإسلام المقدس حمّال أوجه، كما قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه.

وقامت المذاهب الفقهية على ترسيخ التعددية: الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، والظاهرية، والشيعة الإمامية، والشيعة الزيدية، والأباضية، واتخذت من الاجتهاد فى القرآن والسُنة مرجعية لها، فما سفه بعض الأئمة رأي البعض الآخر، وإنما اعتبر الرأى الذى قال به من تمام حقه فى ممارسة الاجتهاد.

لم يقل هؤلاء العلماء الثقات: ما ترك الأول للآخر شيئاً.. وليس فى الإمكان أبدع مما كان. وإنما وقر فى النفوس الالتزام بتوجيه القرآن:

﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾

(التوبة: ١٢٢)

وأثنى الحديث على الجد والاجتهاد: «من يرد الله به خيراً يفقه فى الدين»(٥).

ومن الطبيعى أن تسفر تجربة التعددية الفكرية خصوبة وحيوية. فقد جسدت التعددية فى المجتمع الإسلامى للتعددية الدينية، والتعددية القومية، والتعددية التشريعية، والتعددية الحضارية، ولا عجب فنظام الخليقة يتأسس على أن الناس مختلفون فى الأجناس والأديان والألوان، فقد جعلها القرآن من التنوع لتحقيق التكامل أساساً لنظام الكون، وأنه فى ظل وحدة الخالق والأصل الإنسانى تتنوع الخلائق وتتناضل الآراء توخياً لما هو أفضل وأكثر تحقيقاً للمصلحة العامة.

ويقرر الإسلام أن الله واحد، وأن الناس من أصل واحد تذكيراً لهم بقبول بعضهم

(٥) رواه البخارى فى صحيحه عن معاذ بن أبى سفيان.

البعض، برغم اختلاف الفكر والرؤى، فهذا نداء الرسول الكريم للناس فى صعيد عرفة فى حجة الوداع: «يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى»(٦).

٣- انصراف العلماء عن قضايا الأمة والوطن، وعدم الالتفات إلى الهموم والشأن العام، والانحصار فى النطاق الضيق للمكان، والفكرة، والرؤية الذهبية، والإلحاح على الجزئيات والمسائل الخلافية. فترى العديد من العلماء صرفوا همهم إلى أمور هامشية، انغلقوا عليها، وصاروا أسرى لها يقتلونها بحثاً وما هى بمستحقة كل هذا العناء فمازال النقاب، والسواك، وما على شاكلته يروج له على أنه من جوهر الدين، وما هو كذلك، ويدافع العديد من العلماء عن ذلك، بينما قضايا وحدة بدء الصيام فى رمضان، والاعتماد على الحساب الفلكى، وتحقيق الاكتفاء الذاتي والوسائل العلمية، لا تلقى الاهتمام المستحق لها كعنوان على وحدة الأمة.

وما تزال هذه الأمور الخلافية تطفو على السطح بين أبناء الجاليات الإسلامية فى بلدان الغرب، وتنتقل نفس العدوى، مع ما يسببه من إشاعة الخلافات وكثرة الشقاقات، وهو ما يؤدى إلى تشويه لصورة الإسلام، وتقليل من شأن المسلمين فى عيون الغرب، وأيضاً بين شعوب العالم قاطبة.

ومثل ذلك التشكيك فى شرعية شعيرة السعى فى التوسعة الجديدة فى مشعر الصفا والمروة، وصد الحجيج عن السعى فيها بحجة أنها خارجة عن مسعى رسول الله ﷺ أو بغير ذلك من الحجج الواهية.

ومن ذلك التقاعس عن تقنين وضع غير المسلمين فى داخل بعض دول العالم الإسلامى، وتقرير حقوقهم فى المواطنة أو الرعوية وفق صحيح الإسلام، وغلق السُبل أمام التدخل الأجنبى فى شئون الدول الإسلامية تحت ذريعة حماية حقوق الأقليات.

كذلك يدور الخلاف ويعم الجدل حول مسائل فرعية مثل إطالة اللحية، وتقصير الثياب، وتجد من يشهر سلاحه ضد من يعتبرها من الفروع، ويقيم خصومة حتى تقوم الدنيا ولا تقعد من أجلها.

مع أن الفقه السديد يقوم على ترتيب الأولويات وتحديد الأسبقيات، ففرض الكفاية لا يزال يدور فى فلك صلاة الجنازة، وغاب عن ساحته الاشتغال بالتنمية، ومحو الأمية، وزراعة الصحراء، والتنقيب عن الثروات فى البر والبحر، وتحصيل السبق فى الصناعة، والسعى إلى الاكتشافات العلمية والتكنولوجية.

(٦) رواه مسلم فى صحيحه عن جابر بن عبدالله من قول النبى ﷺ فى حجة الوداع.

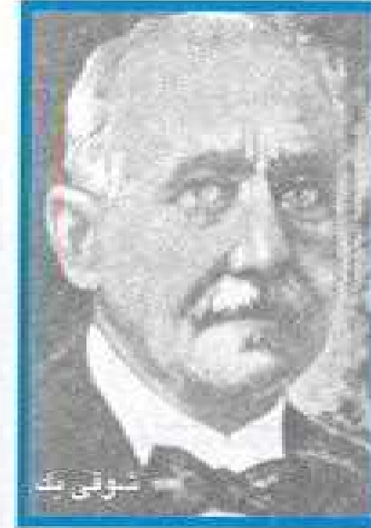
قصيدة العدد

مِنْ أحْسَن مَا يُرْوَى لشوقى بك

سقوط الخلافة

مع مقدمة شارحة

دراسة واختيار للأستاذ/ أحمد الزين


شوقي بك

أحمد شوقى

شاعر مصرىّ المولد والمنشأ، شرقىّ الهوى والنزعة، إسلامىّ الشعر والعاطفة، لم يدع مملكةً من ممالك الإسلام والعروبة إلا بعث من شعره ضماداً لجراحها، ودعوة حارّة إلى كفاحها، وثقافاً لرماحها، وبشيراً بنجاحها، واختصّ مصر والتُرك بأوفى حظ من ذلك الشعر الباكى الذى تُقطّعه وخزات الآلام والأحزان، قبل أن تُقطّعه تفاعيل الأوزان، فتحسّ فى كل بيت عيناً جارية بالدموع الحارّة على ما يرى فى هاتين المملكتين من شئون مختلّة، وبلاد محتلّة، وعزائم مُنحلّة.

وعاطفته نحو مصر إنما جاءته من شعوره القوىّ بحق مولده ومنشئه، والوفاء لوطن أمرائه الذين وُلد ببابهم، ولبس نعمة بينهم، وربى بين أيديهم وعلى أعينهم. أضف إلى ذلك طول عشرته لزعماء الوطنية الأُوَل أمثال مصطفى وفريد، ولا ننس شدة اتصاله بالخديو السابق، وهو معروف بتشجيعه لهؤلاء الزعماء، وسعيه المتواصل فى استقلال البلاد، وتطهيرها ممن ينازعه السُلطة فيها من المحتلين.

أما ميله إلى الترك، فقد جاءه من ناحية أن فيهم أُرومته الأولى وأُرومة أمرائه الذين لا يتمّ وفاؤه لهم إلا بالوفاء لأُرومة بيتهم ووطن آبائهم، وأن الترك هم حُماة الخلافة التى كان شوقى يتشبث بأستارها، ويرى أن صلاح المسلمين واتحاد كلمتهم فى الإبقاء عليها وعلى جميع التقاليد القديمة فى شأنها.

أما نزعته الإسلامية التى تراها قوية فى شعره، فقد جاءته من عدة نواح: إحداها نشأته فى بيت المُلك وشدة قربه من وُلاة

مصر، وقد رووا لنا من أخبار عباس وأبيه فى محافظتهما على التقاليد الدينية ما هو جدير بالتصديق لتواتره وشبهه بالإجماع.

والناحية الثانية هى أن شوقى كان يحمل بين جنبيه قلباً عامراً بالعواطف القوية، وحيث تجد العواطف قوية فى قلب تجد الإيمان فيه قوياً راسخاً، إذ الإيمان والشعر كلاهما نتيجة لإحساسات النفس وعواطف القلب، فكما كان شوقى شاعراً بطبعه كان مؤمناً بطبعه أيضاً.

وناحية ثالثة هى أن تلك النزعة الإسلامية فى شعره جاءته من ميله القوىّ إلى التُرك، فإن صلة المسلمين فى جميع ممالكهم بالأتراك، إنما هى صلة دينية بحتة، لمكان الخلافة فيهم.

وجملة القول، فإن هذا الشاعر قد وفّى فى شعره لوطنه وأمته وعقيدته وفاء لم يفه شاعر، ولا كاتب تقدّمه أو عاصره، فكم تغنى فى شعره بتاريخ مصر والعرب والتُرك، وسير قادتهم وعظمائهم فى عصور القوة والعزة تغنياً يثير الحميّة ممزوجة بالألم، ويبعث الفخر مشوباً بالحزن.

ومن أهم ما تراه ظاهراً فى شعر شوقى السياسى أنه ليس له رأى مُبتكر من عنده فى الحوادث السياسية قد صوره فى شعره، ودافع عنه بقوة بيانه، بل كان فى جميع آرائه السياسية مُسجلاً للإحساسات والآراء التى يحسّها ويراها جمهور الشرقيين عامة والمصريين خاصة، مُجارياً سُخطهم ورضاهم ونُفورهم ومَيلهم فى جميع الحوادث المهمة، وذلك لأنه كان شديد الكلف بحسن رأى الناس فيه وإجماعهم على تفضيله، فهو يشايعهم فى شعورهم اكتساباً لرضاهم. فكان شوقى لسان الجمهور الناطق ولم يكن عقله المفكر المبتكر.

ولهذا كان التناقض فى بعض آرائه السياسية الجزئية دون المبادئ العامة ظاهراً فى شعره.

وتلك قصيدة من أروع شعره السياسى رثى بها الخلافة حين ألغاها الكماليون بعد انتصارهم فى الحرب الأناضولية، واستبدلوا بها النظام الجمهورى، وقد بكى فيها الخلافة بكاءً لو أنها بكت نفسها لما بلغت من فنون الحزن واللوعة أكثر منه، وقلدها من صفات السُؤدد والفخر، ونُعوت العزة والقوة ما كاد يردُّ حياتها المفقودة إليها، ويثأر لها ممّن جنوا عليها، وسقى الكماليين من مرارة اللوم ما لا يدع فى أفواههم طعماً لحلاوة نصرهم.

كما أودع فى هذه القصيدة من صُور الجمال والروعة ما أرى أن الحديث عنه يحُدّ من قيمته، ولا يفى بحقه، فلأدع ذلك إلى ما تراه فى أبياتها من سحر وفتنة، فإن للجمال لساناً أبلغ، وبياناً أقوى، قال:

عادت أغاني العرس رجع نواح … ونعيت بين معالم الأفراح
كفنت في ليل الزفاف بثوبه … ودفنت عند تبلج الإصباح
شيعت من هلع بعبرة ضاحك … في كل ناحية وسكرة صاحي
ضجت عليك مآذن ومنابر … وبكت عليك ممالك ونواحي
الهند والهة ومصر حزينة … تبكي عليك بمدمع سحاح
والشام تسأل والعراق وفارس … أمحا من الأرض الخلافة ماحي؟
يا للرجال لحرة موءودة … قتلت بغير جريرة وجناح
إن الذين أست جراحك حربهم … قتلتك سلمهم بغير جراح
نزعوا عن الأعناق خير قلادة … ونضوا عن الأعطاف خير وشاح
حسب أتى طول الليالي دونه … قد طاح بين عشية وصباح
وعلاقة فصمت عرى أسبابها … كانت أبر علائق الأرواح
جمعت على البر الحضور وربما … جمعت عليه سرائر النزاح
نظمت صفوف المسلمين وخطوهم … في كل غدوة جمعة ورواح
بكت الصلاة، وتلك فتنة عابث … بالشرع عربيد القضاء وقاح
أفتى خزعبلة وقال ضلالة … وأتى بكفر في البلاد بواح[1]
إن الذين جرى عليهم فقهه … خلقوا لفقه كتيبة وسلاح
أستغفر الأخلاق لست بجاحد … من كنت أدفع دونه وألاحي[2]
مالي أطوقه الملام وطالما … قلدته المأثور من أمداحي
أأقول: من أحيا الجماعة ملحد … وأقول: من رد الحقوق إباحي؟

(١) بواح: ظاهر مكشوف.

(٢) الاحي: أخاصم وأجادل.

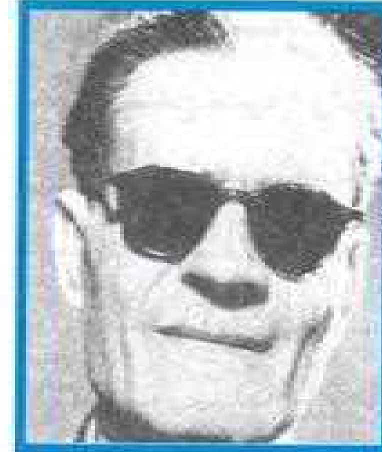
الحق أولى من وليك حرمة … وأحق منك بنصرة وكفاح
فامدح على الحق الرجال ولمهم … أو خل عنك مواقف النصاح
ومن الرجال إذا انبريت لهدمهم … هرم غليظ مناكب الصفاح[3]
فإذا قذفت الحق في أجلاده … ترك الصراع مضعضع الألواح
أدوا إلى الغازي النصيحة ينتصح … إن الجواد يثوب بعد جماح
إن الغرور سقى الرئيس براحه … كيف احتيالك في صريع الراح؟
نقل الشرائع والعقائد والقرى … والناس نقل كتائب في الساح
تركته كالشبح المؤله أمة … لم تسل بعد عبادة الأشباح
هم أطلقوا يده كقيصر فيهم … حتى تناول كل غير مباح
غرته طاعات الجموع ودولة … وجد السواد لها هوى المرتاح
وإذا أخذت المجد من أمية … لم تعط غير سرابه اللماح
من قائل للمسلمين مقالة … لم يوحها غير النصيحة واحي!
عهد الخلافة في أول ذائد … عن حوضها ببراعه نضاح
حب لذات الله كان ولم يزل … وهوى لذات الحق والإصلاح
إني أنا المصباح لست بضائع … حتى أكون فراشة المصباح
لا تبذلوا برد النبي لعاجز … عزل يدافع دونه بالراح[4]
بالأمس أوهى المسلمين جراحة … واليوم مد لهم يد الجراح
فلتسمعن بكل أرض داعيا … يدعو إلى (الكذاب) أو (لسجاح)[5]

(٣) الصفاح: الحجارة.

(٤) يشير إلى من طمعوا في الخلافة بعد طرد الخليفة العثماني وكنى بقوله: يدافع دونه بالراح عن الضعف والذلة، يريد أنه لا سلاح معه، فهو يدافع عن الخلافة بكفه التي لا سلاح فيها.

(٥) يريد بالكذاب: مسيلمة، وسجاح: زوجته.

إعجاز القرآن عند الدكتور طه حسين



للأستاذ الدكتور / محمد فتحي فرج
الأستاذ بجامعة المنوفية

في الثامن والعشرين من أكتوبر لهذا العام تمر الذكرى السابعة والثلاثين على رحيل عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين «١٨٨٩ - ١٩٧٣».

وخير ما نقدمه له في ذكراه - بخلاف الدعاء له بأن يتغمده الله برحمته - أن نعرض لقضية إعجاز القرآن الكريم في منظوره، وهي من خير ما كتب الرجل. ومن ناحية أخرى فقد ظلم الرجل كثيرا، فلا أقل من أن يرد عنه أحفاده بعض هذا الظلم والإجحاف في ذكراه.

وعلى هذا، فحينما نتعرض لقضية «إعجاز القرآن» في فكر الدكتور طه حسين، لنستبين رأى علم من أعلام النهضة الأدبية والفكرية في مصر والعالم العربي في القرن العشرين، في قضية متعددة الجوانب، إنما نفعل ذلك أولا: لأن الرجل كان عنده دائما ما يقوله لصالح القضية التي يتبناها، ومن ناحية أخرى فإن آراءه في هذه القضية ستكون بمثابة قشة نضعها في عين من يحكمون على ضمائر الناس ونياتهم بغير دليل، سوى ما يعتمل في نفوسهم المريضة، وما يصوره لهم خيالهم الكسيح!

إن ما كتبه طه حسين عن «إعجاز القرآن»، في كتاب من أواخر ما ألف الرجل «مرآة الإسلام» لهو شهادة حق له بالإيمان. الإيمان المؤيد ببرهان من اليقين العلمي العقلي، والاقتناع المبنى على التذوق القلبي والجمالي، لكلمات لا يمكن أن تخطئها الأذن في مبناها أو في معناها، ومن ثمّ لا يمكن أن تختلط «حاشا لله» بغيرها من كلمات البشر؛ إذ هي كلمات الله المعجزة بكل المقاييس، ومن كل الوجوه. وكما عرفنا وأيقنا وآمنا أنه:

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾

فإن كلماته أيضا ليس كمثلها كلمات.

وكما يمكن أن نستشف مدى عمق إيمان الرجل، من خلال ما استشعره واقتنع به وعبر عنه في كتابه المشار إليه آنفا حول القرآن وإعجازه، فإننا أيضا يمكننا أن نستشعر ذلك ونحسه من خلال مقالة قالها في مقدمته لكتاب آخر له، حول السيرة النبوية الشريفة، في معرض حديثة عن ملابسات تأليفه لكتاب «على هامش السيرة»، حينما قال: ولست أريد أن أخدع القراء عن نفسي ولا عن هذا الكتاب، فإني لم أفكر فيه تفكيرا، ولا قدرته تقديرا، ولا تعمدت تأليفه وتصنيفه كما يتعمد المؤلفون، إنما دفعت إلى ذلك دفعا، وأكرهت عليه إكراها، ورأيتني أقرأ السيرة فتمتلئ بها نفسي، ويفيض بها قلبي، وينطلق بها لساني.

وهذه كلمات - وأيم الله - ما كانت تنطلق إلا من قلب مفعم بالإيمان، مترع بكئوس محبة رسول الإسلام، عليه الصلاة والسلام، ومن ثم يريد الكاتب أن يشرك معه القراء في هذا الحب والإعجاب، ويشهم هذه المعاني النبيلة، التي فاضت بها نفسه فجرى بها قلمه، ليدبج تلك الصفحات المضيئة حول السيرة العطرة.

وحينما نرجع إلى الثقات من مؤرخينا الأعلام، الذين رصدوا لنا - عن قرب - حركة الأدب والأدباء، والحركة الفكرية بشكل عام، أولئك يعرفون أقدار الناس ويزنون إنتاجهم بموازين النقد النزيه، ومن هؤلاء أستاذنا الدكتور محمد رجب البيومي - أمد الله في عمره ونفعنا بعلمه وفضله - نرى أننا على حق فيما ذهبنا إليه، حيث يقسم حياة الدكتور طه حسين إلى فترتين مختلفتين، يهمنا منهما الفترة الأخيرة، التي رجعت به إلى السنن القويم حين كتب «الوعد الحق»، وحين كتب «مرآة الإسلام» في وضوح مشرق ساطع الدليل، كما وقف الدكتور أمام الشيوعيين وقفات رائعة تنتصر للغة العربية المهضومة والأدب العربي المهيض والتراث الإسلامي المنتقص، فكان صوته الأعلى لدى من يستمعون القول فيتبعون أحسنه«١».



د. محمد رجب البيومي

من هذا وغيره، نستطيع - بكل اطمئنان - أن نقطع الطريق على من يشككون في سلامة عقيدة الرجل وحسن إيمانه، من خلال بعض الكتابات المبكرة، التي يمكن تأويلها تأويلات شتى، وربما كان مبعثها حمية الشباب، واندفاعه للتعبير عن أفكاره، لا سيما حينما يكون قريب العهد بما تشرّبه من الغرب، من حيث إيمانه المطلق بحرية الفكر والبحث العلمي، حتى ولو كان على حساب ما تعارف عليه الناس، ظنا منهم بأنه الطريق الأمثل للوصول في النهاية إلى اليقين. ولكن العبرة دائما بالخواتيم، وإن من يقرأ كتبه الإسلامية كالكتابين اللذين ذكرناهما آنفا أو غيرهما ليشهد للرجل بحسن الإيمان.

---

(١) د. محمد رجب البيومي «١٩٨٨»، قضايا إسلامية: مناقشات وردود، دار الوفاء للطباعة والنشر بالمنصورة ص ٨٩.

مرآة الإسلام!!

وفيما يلي سنفصل القول في «قضية الإعجاز» عند الدكتور طه حسين بشيء من الإسهاب والتفصيل، كما فهمناها من كتاب له، تعرض لكثير من التجاهل بل والإهمال، وهو كتاب: «مرآة الإسلام»، الذى صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٥٩.

معجزة القرآن

في نهاية الكتاب الأول من مؤلفه «مرآة الإسلام»، يشير الدكتور طه حسين إلى معجزة القرآن التى كان النبى ﷺ لا يدعى لنفسه معجزة سواها، وقد صدق النبى وبر فى ذلك حيث كان القرآن معجزة وأى معجزة، ثم يبين عميد الأدب العربى أنه كان معجزا بألفاظه ومعانيه ونظمه. لم يستطع أحد من العرب أن يحاكيه أيسر المحاكاة، وكان معجزا بآثاره التى ظهرت فى حياة النبى، والتى ظهرت بعد وفاته، والتى لا يزال كثير منها باقيا إلى الأبد، وإلى آخر الدهر «ص ١٢٢».

الفرق بين القرآن والسنة

يفرق الدكتور طه بين القرآن وحديث رسول الإسلام بقوله: والنبى حين ينذر ويبشر، يعلم أوسع العلم وأعمقه وأدقه ما ينذر به وما يبشر، يعلمه من ربه من طريق الوحى حين ينزل عليه القرآن ليتلوه على الناس، وحين يلهمه من العلم والحكمة ما يتحدث به إلى الناس حديث الواعظ المخوف وحديث المؤدب المعلم، فهو بشير ونذير ومعلم أيضا. وتعليمه نوعان:

أحدهما: كلام أوحاه الله إليه وأمره أن يبلغ نصه للناس وأن يتلوه عليهم ليسمعوه أولا ويفقهوه بعد ذلك، وعليه أن يفسر لهم بالقول أو بالعمل، أو بهما جميعا، ما قد يقصرون عن فهمه من هذا النص.

والثانى: علم ألهمه الله إياه ألقاه فى قلبه لينتفع به هو أولا، وليعلم الناس منه ما ينفعهم فى أمور دينهم ودنياهم جميعا.. والله ينزل عليه من القرآن ما هو مجمل ويترك له تفصيله بما يلهمه من العلم. فهو يأمر بالصلاة والزكاة مثلا، ولكنه لا يبين كيف تكون الصلاة ولا كيف تكون الزكاة، لا يفعل ذلك فى القرآن وإنما يلهم نبيه من العلم ما يبين للناس كيف يصلون وكيف يؤدون الزكاة فى أموالهم.

وقل مثل ذلك فى مجملات القرآن كلها وهى كثيرة. فكان النبى إذن مفسراً للقرآن بقوله وعمله، وكان منبئا للناس بما يلقى الله فى قلبه من العلم بما ينبغى لهم وما يجب عليهم وما يجب أن ينتهوا عنه. ومن هنا تتبين أن السنة التى تثبت عن النبى ثبوتا قاطعا أو راجحا هى الأصل الثانى من أصول الدين بعد القرآن الكريم

المعجزة الكبرى

أما القرآن فهو المعجزة الكبرى التى آتاها الله رسوله الكريم، آية على صدقه فيما يبلغ عن ربه. والقول فى إعجاز القرآن يكثر ويطول، وتختلف فنونه أيضا. فالقرآن كلام لم تسمع العرب مثله قبل أن يتلوه النبى. فهو فى صورته الظاهرة ليس شعرا، لأنه لم يجر فى الأوزان والقوافى والخيال على ما جرى عليه الشعر. ثم هو لم يشارك الشعر الذى ألفه العرب فى قليل أو كثير، موضوعاته ومعانيه. فهو لا يصف الأطلال والربوع، ولا يصف الحنين إلى الأحبة ولا يصف الإبل فى أسفارها الطوال والقصار ولا يغرق فيما كان الشعراء يغرقون فيه من تشبيهات للإبل والصحراء والرياض والأشجار والحيوان والصيد وأدواته، لا يعرض لشئ من هذا كله. وليس فيه غزل ولا فخر ولا مدح ولا هجاء ولا رثاء، وهو لا يصف الحرب وما يكون فيها من الكر والفر، وهو لا يبالغ ولا يغلو ولا يعدو الحق، ولا يعرض من هذا كله لشئ؛ وإنما يتحدث إلى الناس عن أشياء لم يتحدث إليهم بها أحد من قبله، يتحدث عن التوحيد فيحمده ويدعو إليه، ويتحدث عن الشرك فيذمه وينهى عنه، ويتحدث عن الله فيعظمه ويصف قدرته التى لا حد لها، وعلمه الذى لا غاية له، وإرادته التى لا ترد، وخلقه للسموات والأرض وما فيهن من يسير الأشياء وخطيرها ومن صغير الأشياء وكبيرها.. كل هذا وأكثر جدا من هذا يتحدث به القرآن إلى الناس على لسان رجل من قريش لم يتعلم قط كتابة ولا قراءة ولا حسابا، ولم يجلس قط إلى أحبار اليهود ولا رهبان النصارى ولا أصحاب الفلسفة، وإنما هو رجل عربى أمى كمعظم العرب لا يعلم من أمر الدنيا إلا مثل ما كان أوساط العرب يعلمون. وهو مع ذلك يجادل اليهود فى التوراة ويجادل النصارى فى الإنجيل، ويصفهم بأنهم يكذبون على موسى ويقولون على المسيح غير الحق. كل هذا وهو لا يقرأ التوراة ولا الإنجيل، وإنما ينبئه الله نبأ الحق بما فى كليهما. وهو يحاج المشركين فى آلهتهم تلك التى كانوا يعبدونها، ويجعلونها لله أندادا ويتخذونها عنده شفعاء، والتى لا تجيبهم إن دعوها ولا تسمع لهم إن تحدثوا إليها ولا تنفعهم ولا تضرهم ولا تغنى عنهم من الله شيئا إن أراد بهم سوءا ولا تمسك عنهم رحمة الله إن أراد بهم رحمة، وإنما هى أشياء صنعوها بأيديهم أو صنعت لهم ثم خلع عليها ما ليس لها من القوة والبأس والسلطان.. ثم هو يشرع لهم من الدين والشرائع ما ينفعهم فى الدنيا ويعصمهم من عذاب الآخرة.. ثم ينبئ الناس فى الدنيا بما تقول ألسنتهم وما تعمل جوارحهم وما تضمر نفوسهم.

نجد هذا كله فى القرآن الذى يتلوه رجل أمى أخذ فى تلاوته فجاءة ذات يوم بعد أن بلغ الأربعين وأنفق ثلثى عمره فى الدنيا.. فبهر قريشا وسائر العرب بعد أن أعجزهم فهم هذا كله.. فهم فى حيرة من أمر هذا الرجل وما يتلو عليهم من الآيات.

ثم يحاولون أن يجدوا لذلك مسوغا فيدعون أنه شاعر، ثم يستبين لهم أنه لا ينشدهم شعرا. ويزعمون أنه كاهن، ثم يتبين لهم أنه لا يسجع لهم سجع الكهان. ويرددون أنه ساحر، ثم يستبين لهم أنه ليس من السحر فى شىء. وحينما لا يصلون إلى شىء ويريدون أن يريحوا أنفسهم يقولون: إنه مجنون. ولكن هذا لا يريحهم فهم يقولون له ويسمعون منه ويرقبونه مصبحين وممسين فلا ينكرون منه شيئا إلا هذا الكلام الذى يتلوه عليهم، فتخشع له قلوب فريق منهم ويعرض عنه أكثرهم. فلا يجدون لهم مخرجا إلا أن يجاهروه بالعداء وينصبوا له حربا منكرة. ولكن القرآن ينزل عليه وهو مأمور أن يتلوه عليهم.

من وجوه الإعجاز

﴿ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾

لقد أعياهم أمر هذا الرجل كل الإعياء، وأرادوا أن يأخذوه باللين فلم يفلحوا، وأرادوا أن يأخذوه بالشدة فلم يفلحوا، وأكثر من هذا أنه يتلو عليهم من القرآن ما يتحداهم ويسألهم أن يأتوا بمثله، وهم يحاولون فلا يستطيعون ولكنهم مصرون على العناد! فهذا وجه من وجوه الإعجاز لا سبيل إلى الجدال فيه. فقد جادل العرب فيه من قبل فلم يفلحوا ولم يبلغوا شيئا وإذا عجز العرب الذين عاصروه عن أن يأتوا بقليل من مثل ما جاء به فالذين جاءوا بعدهم أعجز، وغيرهم من الأمم أشد عجزا.

نظم القرآن

وهناك أيضا وجه آخر من وجوه الإعجاز لم يستطع العرب أن يحاكوه أيام النبى ولا بعده، ذلك هو نظم القرآن، أى أسلوبه فى أداء المعانى التى أراد الله أن تؤدى إلى الناس. لم يؤد إليهم هذه المعانى شعرا، ولم يؤدها إليهم نثرا أيضا، وإنما أداها على مذهب مقصور عليه، وفى أسلوب خاص به لم يسبق إليه ولم يُلحق فيه.

ليس شعرا لأنه لا يتقيد بأوزان الشعر وقوافيه، وليس نثرا لأنه لا يطلق إطلاق النثر ولا يقيد بهذه القيود التى عرفها الكتاب فى الإسلام، وإنما هو آيات مفصلة لها مزاجها الخاص فى الاتصال والانفصال وفى الطول والقصر، وفيما يظهر من الائتلاف والاختلاف، تتلو بعض سوره فإذا أنت مضطر فى تلاوتها إلى الأناة والتمهل لأنها فصلت فى ريث ومهل لأداء معان تحتاج إلى البسط والريث، كالتشريع مثلا ووصف ما كان يثار بين المسلمين والمشركين من الحروب والوقائع. وتتلو بعض سوره الأخرى فإذا أنت مضطر إلى شيء من السرع لأنها تؤدى معانى يحتاج أداؤها إلى القوة والعنف، قد فصلت آياتها قصارا ملتئمة الفواصل تقرؤها فكأنك تنحدر من عل؛ وذلك حين يخوف الله عباده ويشتد فى تخويفهم فيأخذهم من جميع أقطارهم ويقطع عليهم طريق الجدال والحجاج.

ويعطينا الدكتور أمثلة واضحة الدلالة، فيقول: وربما يقص من أنباء الرسل فيمضى القصص فى هدوء ومهل؛ لأنه يتجه إلى إثارة التفكير والاعتبار والتروية فيما جرى على الأمم من قبل، والحذر من أن يجرى عليهم مثله.

ثم يقص فى سورة أخرى الأنباء نفسها، فتقصر الآيات وتسرع، وتتسق الفواصل وتنسجم، وتتكرر عبارات بعينها فى آخر كل قصة، لأنه يتجه إلى التخويف والإثارة والإحاطة بالسامعين والقارئين وإعجامهم عن التفكر والتدبر كأنما أخذتهم من كل مكان ريح عاصفة لا يجدون منها مهربا ولا يرون لأنفسهم عنها مصرفا.. ولا يجدون من الوقت ولا من القوة ما يتيح لهم رجع الجواب أو الجدال فى بعض ما يصب عليهم. وإنما هى الآيات تتابع قصارا أشد القصر، متسقة أروع الاتساق، والعبر القاصمة تستنبط منها فى سرع سريع أيضا. وهم لا يكادون يفرغون من قصة حتى تتبعها قصة أخرى، تأتى فى إثرها فى سرعة خاطفة وقوة مذهلة. ويضرب لذلك مثلا سورتين: فسورة الشعراء تقرؤها فتجد فيها السرعة والقوة، أما سورة القصص فاقرأها تجد الأناة والمهل، ولكنك

ستجد أيضا الروعة فى السورتين جميعا، تروع الأولى بما اختصت به من السرعة، وتروع الثانية بما امتازت به من الأناة، وذلك فى القرآن كثير.

أثره الباقى فى النفوس

ومن أخص مزايا القرآن أن الذين يقرءونه أو يسمعونه دون أن يؤمنوا به يكذبون على أنفسهم، فقلوبهم خاشعة وأذواقهم راضية وعقولهم هى المعارضة المكذبة، فهم يناقضون أنفسهم حين يظهرون الإباء ويضمرون الاستجابة. لقد اختلفت قلوبهم وألسنتهم ووجوههم، فقلوبهم تذعن وألسنتهم تنكر ووجوههم تعرض إلا أن يطبع الله على قلوبهم ويطمس على عقولهم ويجعل فى آذانهم وقرا.

وثمة وجه آخر من وجوه الإعجاز القرآنى، يتمثل فى الأثر الباقى الذى يتركه فى قلوب الناس وعقولهم وأذواقهم -بعد قراءته- على تتابع القرون واختلاف الأجيال. فالعربى القديم من أهل الفصاحة واللسن والبراعة فى تصريف القول، قد سمع القرآن فراعه منه ما راعه واستجاب له هذه الاستجابة التى يعرفها التاريخ، ولكن أجيالا أخرى لا تحكم ولا تصرف القول ولا تذوق روعة البيان قد جاءت بعد أولئك القدماء من العرب فسمعت القرآن وقرأته، فإذا هو يستأثر بعقولها وبقلوبها، وإذا هى لا تقرؤه أو تسمعه إلا خشعت له واستيقنت أنه كلام لا كالكلام بل له شأن آخر، يختلف أشد الاختلاف عما يكتبه الناثرون وينظمه الشعراء ويقوله الخطباء.

وأغرب من ذلك أن أمما أخرى ليس بينها وبين العرب سبب، قد قرأت القرآن وسمعته فى القرون المتطاولة والأجيال المتعاقبة فدانت له وآمنت به واستحبت قراءته على كل شيء آخر غيره يقرأ ويسمع أو يمتع الأسماع والقلوب والعقول معا.. فهو إذن يحتفظ بروعته على اختلاف الأزمنة والأمكنة وأجيال الناس.

التأثير الحضارى للقرآن

ثم يقول الدكتور طه: ولست أذكر هنا تأثير القرآن فى تغيير التاريخ وتحويله أمة جاهلة غافلة أمية شديدة التنافر والتدابر، يضرب بعضها رقاب بعض، وينهب بعضها أموال بعض، فإذا هى أمة قد خلقت خلقا جديدا، فألفت النظام والأمن والعدل وطمحت إلى الرقى وظفرت منه بحظ موفور، ونشرت هذه الخصال كلها فى أمم كثيرة فى الأرض، ثم مزجتها وجعلت منها أمة واحدة تتعاون على البر والخير وترقية الحضارة، والقرآن وحده هو مصدر هذا كله. وجملة القول أن القرآن هو قوام حياة المسلمين.

أثر القرآن فى تقويم اللسان

وليس فى التراث الإنسانى كله شيء يشبه القرآن فى تقويم الألسنة العربية حين تلتوى باللهجات العامية المختلفة، والأجنبية حين تلتوى بلغاتها المتباينة، فالذين يحفظون القرآن فى الصبا، ويكثرون قراءته ويجودونها أصح الناس نطقا بالعربية وأقلهم تخليطا فيها.

ويكثر كلام عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين، حول «إعجاز القرآن»، فى كتابه الرائع «مرآة الإسلام»، ولكن حسبنا ما عرضنا له، إذ هو نفسه يقول: «وقد ألفت كتب قديمة وحديثة فى إعجاز القرآن ولكنها على كثرتها لم تقل فى إعجازه كل ما يمكن أن يقال؛ لأنه أروع روعة وأبهر جمالا من أن يستنفد فيه القول، أو تقال فيه الكلمة الأخيرة.

﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

علـى جمعـة

مفتى جمهورية مصر العربية

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

اطلعنا على الطلب المقدم من/ مجلة الأزهر - المتضمن لبعض الأسئلة وهى:

الكحـول وصنـاعة العطـور!!

● السؤال من: ش.ع.د: ما حكم الكحول المستخدم فى صناعة العطور، حيث إننى تاجر عطور، وحكم الكحول إذا ثبت أنه من نفس نوع الكحول المستخدم فى صناعة الخمور فماذا يكون حكمه إذا استخدم فى صناعة وتركيب العطور واستخدامها؟

●● الجواب: ليست كل نسبة من الخمر تُوضَع فى شىء وتُخلَط به تجعلُ تناولَه حراماً، بل النسبة التى تؤثر الحرمة هى التى تكون بحيث إذا شرب الشخص من هذا المختلط بالخمر- ولو كان كثيرا جدا- سكر، أما إذا كانت نسبة ضئيلة جداً بحيث لا تؤثر فى شاربها سكرا ولو شرب من الخليط كمًّا كبيرا جداً فلا يكون هذا من الخمر الذى يحرم شربه تحت مثل قوله ﷺ: «ما أسكر كثيره فقليله حرام»، المروى عند أبى دواد والنسائى وصححه ابن حبان من حديث جابر رضى الله تعالى عنه، والمروى عند ابن ماجه وأحمد والبيهقى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما، أو تحت مثل ما جاء فى سنن أبى داود والترمذى -وحسنه- من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها مرفوعا: «كلُّ مُسكر حرامٌ، وما أسكرَ منه الفرقُ فملءُ الكفِ منه حرامٌ»، أو تحت مثل ما رواه ابن حبان والطحاوى من حديث عامر بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ قال: «أنهاكم عن قليل ما أسكرَ كثيرُه»، فإن معنى هذه الأحاديث وأمثالها أن الشىء الذى إذا أكثرت منه حصل السكر وإذا خففت منه لم يحصل السكر؛ يكون حراما قليله وكثيره؛ لأنك ربما تشرب القليل الذى لا يُسكر ثم تدعوك نفسُك إلى أن تكثر منه فتسكر، وأما ما اختلط به مسكر ونسبة الأخير فيه قليلة جدا بحيث لا تنتج سكراً عند شربه خليطه ولو كثيرا فهو حلال لا يشمله مثل هذه الأحاديث الشريفة.

هذا فيما يخصّ حرمته من حيث كونه خمرا، أما حرمته من حيث نجاسته باختلاط الكحول النجس -عند جماهير الفقهاء باعتباره خمرا- بغيره فإنه إن كان هذا الكحول من الضآلة بحيث يستهلك بعد أن يستعمل كمذيب أو كمادة وسيطة، أو يتطاير بالحرارة، أو تتحول ماهيته إلى ماهية أخرى فإن المنتج النهائى تنتفى عنه النجاسة بالاستحالة التى طرأت على الخليط النهائى، وهذا هو المختار للفتوى، وهو مذهب بعض المحققين من العلماء من أن الاستحالة من أسباب التطهير.

وفى واقعة السؤال فإن النسبة الضئيلة من الكحول بالمنتج المذكور لا تجعله ممنوعا تناوله: «لا من جهة كونه خمرا، ولا من جهة نجاسته، وعليه فيجوز تناوله شرعا.

والله سبحانه وتعالى أعلم

رحلات الحج والعمرة بالتقسيط!!

● السؤال من: م.ح.ف: تنوى شركتنا القيام بعمل رحلات للحج والعمرة تتضمن الآتى:

١- أن يكون التمويل من شركتنا ويتم الإعلان عن أسعار البرامج بالتقسيط فقط.

٢- يمكن طرح الأمر لدخول بنوك إسلامية للتمويل بنظام المرابحة الإسلامية.

٣-مدة التقسيط تحدد بعد الدراسة مع بنك التمويل وشركة التأمين (وإن كانت المدة المقترحة لا تتجاوز الثلاث سنوات وبحد أدنى سنة).

٤- يخضع التنفيذ لإشراف وزارة السياحة حيث إن التنفيذ سيتم بالتعاون مع شركات سياحة مضمونة ومعتمدة من قبل الوزارة.

٥- وجود ضوابط خاصة بالمشتركين منها:

أ- خضوع المشترك لدراسة تضمن توافر

إمكانية السداد.

ب- اشتراط أن تكون هذه الحجة للمشترك هي حجة الإسلام، أو يكون محرما لمن يحج حجة الإسلام.

فما الحكم الشرعي في ذلك؟

●● الجواب:

من المقرر شرعاً أنه يصح بيع الأعيان بثمن حال وبثمن مؤجل إلى أجل معلوم، والزيادة في الثمن نظير الأجل المعلوم جائزة شرعا على ما ذهب إليه جمهور الفقهاء؛ لأنها من قبيل المرابحة، وهي نوع من أنواع البيوع الجائزة شرعاً التي يجوز فيها اشتراط الزيادة في الثمن في مقابلة الأجل؛ لأن الأجل وإن لم يكن مالاً حقيقة إلا أنه في باب المرابحة يزاد في الثمن لأجله إذا ذكر الأجل المعلوم في مقابلة زيادة الثمن، قصداً لحصول التراضي بين الطرفين على ذلك، ولعدم وجود موجب للمنع، ولحاجة الناس الماسة إليه بائعين كانوا أو مشترين. ولا يعد ذلك من قبيل الربا؛ لأن القاعدة الشرعية أنه إذا توسطت السلعة فلا ربا، والخدمات التي يتعاقد عليها هي في حكم السلعة.

ولا فرق بين المنافع والأعيان في جواز التعاقد عليها وبيعها؛ قال الإمام ابن قدامة الحنبلي في المغني (٥ / ٢٥١، ط. دار إحياء التراث العربي): والمنافع بمنزلة الأعيان؛ لأنه يصح تمليكها في حال الحياة وبعد الموت، وتضمن باليد والإتلاف، ويكون عوضها عينا ودينا، وإنما اختصت باسم كما اختص بعض البيوع باسم، كالصرف والسلم) اهـ.

وقال الفقيه ابن حجر الهيتمي الشافعي في فتاويه (٣ / ٩٣، ط. المكتبة الإسلامية): (المنافع كالأعيان، فالقيمة فيها ذاتية، وجد راغب بالفعل أم لا) اهـ.

ورحلات الحج والعمرة المنظمة بالشكل القائم حالياً والذي تكون فيه تكاليفها: من انتقالات وإقامة ورسوم موانيء وأشباه ذلك محددة سلفا ويتم الاتفاق فيها بوضوح بين الطرفين: الجهة المتعهدة بالرحلة من جهة والحاج أو المعتمر من جهة أخرى لا تعدو أن تكون نوعاً من الخدمات التي يكون التعاقد عليها من قبيل التعاقد على المنافع أو المنافع والأعيان معاً، وهذا جائز شرعاً.

وتأخذ هذه الخدمات حكم السلعة في إمكان التعاقد عليها بثمن حال أو مقسط، بمقدم أو بغير مقدم، وبزيادة في السعر مع التقسيط أو بغير زيادة، ويجوز عندئذ دخول جهة ثالثة أو أكثر للتمويل أو الوكالة أو السمسرة ودفع الجهة الممولة للمال حالا وتحصيله من المستفيد من الرحلة (الحاج أو المعتمر) بزيادة في الثمن مقابل الأجل لا مانع منه شرعا؛ لتوسط الخدمات المعلومة القدر والوقت القائمة مقام السلعة حينئذ.

والله سبحانه وتعالى أعلم

يمكن عمل أدوار داخل القبر الواحد

● السؤال من: م.أ.د: ماحكم الشرع في بناء دور ثان فوق المقبرة حيث إن المقبرة قد امتلأت بالموتى وليس هناك مقدرة على شراء أرض أخرى للبناءعليها؟

●● الجواب:

في حال امتلاء القبور يجب الدفن في قبور أخرى؛ لأنه لا يجوز الجمع بين أكثر من ميت في القبر الواحد إلا للضرورة، ويجب الفصل بين الأموات بحاجز حتى ولو كانوا من جنس واحد.

وإذا حصلت الضرورة فيمكن عمل أدوار داخل القبر الواحد إن أمكن، أو تغطية الميت القديم بقبو من طوب أوحجارة لا تمس جسمه ثم يوضع علي القبو التراب ويدفن فوقه الميت الجديد.

والله سبحانه وتعالى أعلم

الحقوق المالية للزوجين

● السؤال من: ق.م.خ: ماهو أثر الزواج علي الحقوق المالية للزوجين وشرعية استقلال الذمة المالية للزوج عن الذمة المالية للزوجة طبقا للشريعة الإسلامية؟

●● الجواب:

من المقرر شرعاً أن للزوج ذمة مالية مستقلة عن زوجته، وأن للزوجة كذلك ذمة مالية مستقلة عن زوجها.

وقد روى الدارقطني عن حبان بن أبي جبلة أن النبي ﷺ قال: «كل أحد أحق بماله من والده وولده والناس أجمعين». فهذا الحديث يقرر أصل إطلاق تصرف الإنسان في ماله.

وعليه فلا يترتب علي الزواج في الشريعة الإسلامية اندماج مالية أحد الزوجين مع الآخر، سواء الأموال السائلة أو العقارات أو الأسهم أو غير ذلك من صور المال المختلفة. ولا يحق للزوج أو للزوجة بموجب عقد الزواج في الإسلام أن يتحكم في تصرفات زوجته أو زوجها المالية. ولا يعطي الشرع حقا لأحدهما على الآخر في التصرفات المالية فوق ما يجب على الزوج لزوجته من مهر؛ لقوله تعالى:

﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾

(النساء: ٤)

أي: فريضة واجبة. وكذلك ما يجب عليه من النفقة لها ولأولاده منها، وفوق ما يجب عليه لها في حال الطلاق من نفقة العدة، ونفقة الحضانة إن كانت حاضنة، وكذلك المتعة في بعض أحوال الطلاق. وفوق ما يجب عليها له في حال الخلع إن طلبت هي الطلاق من غير أن يكون قد أضر بها في شيء.

فذمة الزوج المالية منفصلة عن ذمة الزوجة تماماً، ولا تأثير لعقد الزواج علي ذمتي الزوجين المالية بالاندماج الكلي أو الجزئي.

والله سبحانه وتعالى أعلم

صلاة الحاجة

● السؤال من: ص.م.د: هل يجوز صلاة الحاجة جماعة؟

●● الجواب:

كل ما لم تشرع فيه الجماعة يجوز فيه الجماعة وعلي ذلك فصلاة الحاجة وهي وإن لم تشرع لها جماعة ولم يرد بشأنها ذلك في السنة المشرفة إلا إنه وبناء علي القاعدة عالية يجوز فيها الجماعة.

والله سبحانه وتعالى أعلم

في مكة المكرمة وبرعاية خادم الحرمين الشريفين

علماء المسلمين يحتفلون بمرور خمسين عاماً على إنشاء رابطة العالم الإسلامي

للأستاذ/ عاطف مصطفى

احتفلت رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة بمرور خمسين عاماً على إنشائها وذلك بعقد مؤتمر بعنوان «رابطة العالم الإسلامي.. الواقع واستشراف المستقبل» وذلك في الفترة من ١٩ - ٢١ شعبان ١٤٣١هـ التي توافقها الفترة من ٣١/٧ - ٢/٨/٢٠١٠م وبرعاية كريمة من خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود.

حضر حفل الافتتاح النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء السعودي وزير الداخلية الأمير نايف بن عبدالعزيز وعدد كبير من العلماء والدعاة ومسئولي المنظمات والمراكز الإسلامية في العالم للمشاركة في المؤتمر الذي أقيم على هامش الاحتفال حيث أعد لذلك برنامجا حافلا للمشاركين، ومحاور لمناقشة موضوع المؤتمر:

المحور الأول : رابطة العالم الإسلامي.. خمسون عاما من العطاء:

نشأة الرابطة وأهميتها في خدمة العمل الإسلامي وتشجيعه- ملوك المملكة العربية السعودية الكرام ودعم الرابطة- مجالس الرابطة - أهدافها وإنجازاتها «دراسة تحليلية»

المحور الثاني: رابطة العالم الإسلامي ومكانتها العالمية: مراكز ومكاتب الرابطة ودورها في التعريف بالحضارة الإسلامية.

المحور الثالث: رابطة العالم الإسلامي والقضايا الإسلامية قضية القدس وفلسطين، قضايا الشعوب الإسلامية، التعاون مع الأقليات المسلمة- حقوق الإنسان.

المحور الرابع : معالم الاستشراف لمستقبل أفضل : الرابطة وتنمية المجتمعات- دور الرابطة في تنمية المجتمعات الإسلامية- تحديات البيئة الحضارية ورؤية الرابطة لمواجهتها.

الرابطة والإعلام الدولي

شهادة رسول السلام

وفي الجلسة الافتتاحية قال معالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي: إن الرابطة كيان إسلامي شامخ، ينطلق من مكة المكرمة، محضن بيت الله الحرام، ومنطلق رسالة الإسلام للعالمين، وما كان للرابطة أن تحتل مكانتها الإسلامية، وأن تحوز على موقعها العالمي المرموق، لولا فضل الله سبحانه وتعالى ثم دعم ملوك المملكة العربية السعودية وقادتها لتحقيق أهدافها وبرامجها.

وبيّن الدكتور عبدالله التركي أن هذا الدعم مكّن الرابطة من تنفيذ برامج إنسانية وعالمية، جعلت هيئة الأمم المتحدة تمنحها شهادة رسول السلام.

وأوضح أن نشاط الرابطة قد تميز بشكل كبير في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز بالانفتاح على العالم، والتواصل مع شعوبه، ومع قادة الفكر والثقافة، ومع ممثلي الأديان والحضارات المختلفة، حيث شرفت بخدمة مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار، عندما نظمت مؤتمرات الحوار في مكة المكرمة ومدريد وجنيف. وأشار معالي الدكتور التركي إلى أن المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار الذي عقد في مكة المكرمة قرر تأسيس هيئة عالمية للحوار تابعة للرابطة، وعند إنشاء هذه الهيئة سوف تواصل مسيرتها في هذا المجال.



د. عبدالله التركي

وحدة الأمة الإسلامية

وبيّن صاحب السمو الملكي الأمير نايف ابن عبدالعزيز والذي افتتح المؤتمر نيابة عن خادم الحرمين الشريفين لضيوف الرابطة حرص المملكة العربية السعودية على وحدة الأمة الإسلامية وتضامن شعوبها والدفاع عن دينها وقيمها، ودعم القضايا الإسلامية، كما أثنى على جهود رابطة العالم الإسلامي، وأكد على دعمها، لتستمر في خدمة الإسلام ومتابعة شئون المسلمين، وأهمية تعاون المسلمين في استعادة الأمة الإسلامية مكانتها وعزتها.

عالمية بقدر عالمية الإسلام

وقال د. علي برداق أوغلو رئيس الشئون الدينية بتركيا في حفل الافتتاح: إن مناشط الرابطة وسعيها في تحقيق غاياتها النبيلة لم تكن قاصرة على إقليم من الأقاليم في العالم، بل كانت عالمية بقدر عالمية الإسلام، وحققت بتنوعها رصيدا عالميا منحها العديد من الشهادات والأوسمة، نذكر منها نيلها شهادة «رسول السلام» التي منحتها الأمم المتحدة عام ١٩٨٥، ثم جللها العاهل السعودي بوسام تنفيذ مبادرته التاريخية للحوار بين أتباع الأديان والحضارات، فقامت بأعبائها خير قيام.

وقال: إن هذه النجاحات تلاحقت في خمسين سنة، مثلت فيها الرابطة المنهج الوسطي المتعالي عن الإفراط والتفريط، ولم تأل جهدا في مشاريعها التي عبرت عن خبرة طويلة في العمل الإسلامي الذي تبوأت فيه مكان الريادة، وعن معرفة وثيقة بالواقع ومستجداته الذي تعيشه، مما مكنها من رسم مستقبل واعد.

واعتبر أوغلو أن رابطة العالم الإسلامي مظهر من مظاهر تطلع الأمة المسلمة إلى وحدتها، وتشوقها إلى سابق حالها، وهي أنموذج في تكامل العمل الشعبي مع العمل الرسمي في تحقيق المجتمع الإنساني الرشيد في عالم هو اليوم أحوج ما يكون إلى استعادة التجربة الإسلامية الفريدة التي مكنت المسلمين من قيادة ركب الحضارة الإسلامية زهاء ثمانية قرون.

وأشار إلى أن الرابطة بحاجة إلى المزيد من الدعم والتأييد من دول العالم الإسلامي ومنظماته ومؤسساته الإعلامية والثقافية والاجتماعية لكي تستمر في أداء الدور المهم الذي يتطلع إليه المسلمون في جنبات الأرض، وهي أيضا مدعوة إلى تطوير جهدها، وبذل المزيد من التنسيق مع الجهات الفاعلة والمؤثرة حول العالم، لترسم صورا جديدة من النجاح.

حقوق الإنسان في الإسلام

وقد أشار الدكتور جعفر عبدالسلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية في بحثه المقدم للمؤتمر بعنوان «رابطة العالم الإسلامي ٥٠ عاما من العطاء الفكري العالمي- حقوق الإنسان» إلى أنه من أهم المحطات في تاريخ الرابطة فيما يتعلق بحقوق الإنسان تلك اللقاءات التي أجراها الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي الأمين العام للرابطة في العواصم الأوروبية الكبرى وفي الولايات المتحدة الأمريكية بعد أحداث ١١ سبتمبر، وظهور الحرب الشعواء ضد الإسلام والمسلمين وطرحت في ذلك الوقت قضية حقوق الإنسان في الإسلام على أنه القضية المحورية في علاقة الإسلام بالغرب، حيث قاد د. التركي حركة واسعة لإظهار موقف الإسلام من هذه القضية، ولما كنت طرفا مشاركا في هذه الحملة فإنه يهمني أن أوضح بعضا مما جرى منها وهو رصيد للرابطة ولأمينها العام لا ينبغي أن نتجاهله في هذه المناسبة وقد أصدرت رابطة الجامعات الإسلامية التي يرأسها الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي عدة مؤلفات موثقة لهذه اللقاءات تشرح موقف الإسلام من القضايا التي أثيرت تحت عنوان «سلسلة فكر المواجهة» التي فتحت كافة الملفات الشائكة في العلاقة مع الغرب، ومنها ملف حقوق الإنسان، حيث أصدرت أكثر من مؤلف منها «الإسلام وحقوق الإنسان» و«الإسلام في مواجهة الإرهاب» فضلا عن حقوق المرأة وحقوق الطفل وأحداث ١١ سبتمبر وآثارها على العالم الإسلامي..

وقد عرض الدكتور جعفر ما جاء في هذه اللقاءات متصلا بحقوق الإنسان، وما يتصل بها من مشكلات أهمها الإرهاب، باعتبار أن الإرهاب محله حق الإنسان في الحياة، وحقه في الملكية، ودراسته الأساسية تأتي في باب العدوان على حقوق الإنسان.

والبحث وثيقة هامة تبين الدور الكبير الذي قامت به رابطة العالم الإسلامي ورابطة الجامعات الإسلامية في مجال حقوق الإنسان.

فيلم وثائقي

وقد جرى خلال الاحتفال عرض فيلم وثائقي عن تطور رابطة العالم الإسلامي وأعمالها يتضمن مراحل الرابطة ابتداء من تاريخ تأسيسها في ١٣٨١هـ، حيث تم فيه استعراض المنجزات التي حققتها الرابطة خدمة للإسلام وقضايا المسلمين.

وأبرز الفيلم جهود الهيئات المستقلة التابعة للرابطة، مبرزا أعمالها في مجالات الإغاثة وتحفيظ القرآن الكريم والتعليم الإسلامي والتعريف بالإسلام والدفاع عنه.

كما أصدرت الرابطة كتابا بعنوان «رابطة العالم الإسلامي- خمسون عاما في خدمة الإسلام والمسلمين» يضم خمسة أبواب تتناول الهيكل التنظيمي والأنشطة والإنجازات وأبرز القضايا التي تهتم بها الرابطة.

التعريف برسالة الإسلام

وعلى مدى ثلاثة أيام ومن خلال الجلسات التي شارك فيها علماء المسلمين من كل بلاد العالم تدارسوا في المؤتمر منجزات الرابطة وجهودها في خدمة الإسلام والمسلمين خلال خمسين عاما. وعبروا عن تقديرهم الكبير للمملكة وقيادتها الرشيدة لرعاية العمل الإسلامي الرشيد، ودعم مؤسساته وفي مقدمتها رابطة العالم الإسلامي التي تقوم بالدفاع عن قضايا المسلمين، منذ تأسيسها ولتصبح منظمة إسلامية شعبية عالمية تتمتع بوضوح الفكرة والأهداف والوسائل، حيث حققت مكانة عالمية جعلتها كبرى المنظمات الإسلامية، ومكنتها من استكمال مؤسساتها ومنها:

المجلس الأعلى العالمي للمساجد.

المجمع الفقهي الإسلامي.

المراكز الثقافية الإسلامية، والمكاتب التي زاد مجموعها على خمسين مركزا ومكتبا في أنحاء العالم.

معهد إعداد الأئمة والدعاة، الذي تخرج فيه الآلاف من أبناء المسلمين الذين أسهموا في غرس الإسلام الصحيح في مجتمعاتهم، وقدموا الصورة المشرقة للداعية المسلم.

الهيئات والمؤسسات التابعة للرابطة وفق تخصصاتها المتعددة ومن بينها: هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية- الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة- الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم،

الهيئة العالمية للمسلمين الجدد، الهيئة العالمية للتعريف بالإسلام- الهيئة العالمية للمرأة والأسرة المسلمة- الهيئة الإسلامية العالمية للإعلام- الملتقى العالمى للعلماء والمفكرين المسلمين.

تحقيق مصالح المسلمين

كما بيّن المشاركون فى جلسات المؤتمر أن من أبرز منجزات الرابطة فى العالم الإسلامى وخارجه:

عرض الإسلام بصورته الصحيحة والدفاع عن الإسهام فى حماية مجتمعات المسلمين من المبادىء والتيارات الدخيلة العادية للإسلام.

تنمية وعى المسلمين بضرورة تطبيق الإسلام فى حياتهم لما له من كبير الأثر فى استعادة مكانتهم الحضارية، وكذلك التنسيق بين المواقف الإسلامية فى تحقيق مصالح المسلمين، وتنسيق الجهود لمواجهة التحديات العالمية، وتحقيق العمل المشترك فى مجالات العمل الإسلامى المختلفة.

التصدى للإرهاب والتطرف والغلو، ونشر ثقافة الحوار والوسطية بين الناس، وتوجيه الرأى الإسلامى إلى اتباع الكتاب والسنّة، وفهمهما وفق فهم السلف الصالح بعيداً عن الإفراط والتفريط.

تحقيق التفاهم والتعاون الإنسانى بواسطة الحوار مع ممثلى أتباع الأديان والحضارات والثقافات الإنسانية، والتصدى للتحديات التى تواجه شعوب العالم وأممه.

التوصيات

هذا وقد درس المؤتمر خلال جلساته الواقع الذى يعيشه المسلمون، وما يواجهونه من تحديات داخلية وخارجية تعيق نهضة الأمة وتحول دون استعادة عزتها، كما أكد المؤتمر على حاجة المجتمعات الإسلامية إلى جهود الرابطة وهيئاتها، والهيئات والمنظمات الإسلامية المتعاونة معها، للإسهام فى حل المشكلات التى تواجه المسلمين وإصلاح حالهم وأوصى بما يلى:

(١) الدعوة إلى التعليم

حيث أكد المؤتمر على أن الدعوة والتعليم وسيلتان من أهم وسائل تعريف البشرية برسالة الرحمة التى بعث بها محمد ﷺ للناس جميعا:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾

(سبأ: ٢٨)

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

(الأنبياء: ١٠٧)

وفى تحقيق عالمية الإسلام تحتاج إلى تكامل الجهد الرسمى والشعبى داخل العالم الإسلامى وخارجه ودعا إلى:

ـ دعم حكومات الدول الإسلامية برامج الدعوة والتعليم.

ـ تأسيس معهد عالمى فى رابطة العالم الإسلامى يتولى تأهيل الدعاة والأئمة والمفتين فى بلاد الأقليات.

ـ تحويل المركز العالمى للتعريف بالرسول ﷺ ونصرته إلى هيئة عالمية.

ـ التعاون بين المنظمات الإسلامية فى تعليم اللغة العربية لأبناء المسلمين فى الدول غير العربية لمساعدتهم على فهم دينهم.

(٢) وحدة الأمة الإسلامية

يذكّر المؤتمر بأن أخوّة الإسلام آصرة تجمع المسلمين وتربط بينهم على اختلاف ألوانهم وأجناسهم، ويؤكد أن المشترك بين المسلمين وأن التحديات التى تواجههم تحتم عليهم أن يتعاونوا فيما يحميهم ويرعى مصالحهم، ويسهم فى الوصول بالحضارة الإنسانية نحو الأفضل.

(٣) قضايا الشعوب الإسلامية

كما ناقش المؤتمر القضايا الإسلامية الكبيرة التى تثقل كاهل الأمة الإسلامية وما يتعرض له بعض المسلمين من ظلم واضطهاد وتشريد فى بعض مناطق النزاع فى العالم، واطلع على جهود الرابطة وعملها فى خدمة القضايا الإسلامية وأكد على:

ـ أن قضية فلسطين تهم المسلمين كافة، ويطالب المؤتمر قادتهم ومنظماتهم بالاستمرار فى الدفاع عن شعب فلسطين، وعن حقه فى إقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس.

ـ مطالبة هيئة الأمم المتحدة واليونسكو والهيئات والدول المحبة للسلام بمنع السلطات الإسرائيلية من تنفيذ مخططاتها التى تهدف إلى هدم المسجد الأقصى ومصادرة أوقافه، وتهويد محيطه ليتسنى لهم بناء الهيكل المزعوم على أنقاضه.

ـ مطالبة الحكومات والمنظمات الإسلامية ووسائل الإعلام بتكثيف حملاتها لتعريف شعوب العالم بأن المسجد الأقصى للمسلمين، وأنه قبلتهم الأولى، وأسبقية اليبوسيين العرب بالسكنى فى أرجائه المباركة.

(٤) الأقليات المسلمة

ـ توصل المؤتمر إلى أهمية إنشاء الرابطة هيئة إسلامية عالمية تعنى بالأقليات المسلمة خارج العالم الإسلامى، تهتم بدراسة مشكلاتها، وتقديم العون لها فى مواجهة التحديات.

ـ يستنكر المؤتمر استهداف بعض الأحزاب والمنظمات المتطرفة فى أوروبا المرأة المسلمة وحجابها، ويدعو الرابطة ومنظمة المؤتمر الإسلامى إلى التواصل مع الحكومات الأوروبية، ومطالبتها بعدم التضييق عليها فى لباسها الذى شرعه الله سبحانه وتعالى.

وتضمنت التوصيات: الحوار الحضارى، ومواجهة الإرهاب، والإعلام والثقافة، والاقتصاد والتنمية، والعوائق والمشكلات التى تواجه الرابطة، وأخيراً: الرابطة واستشراف المستقبل: ودورها فى مواجهة التحديات التى يحدثها سوء الفهم للإسلام.

والتعاون مع المؤسسات المختصة فى العالم الإسلامى فى وضع خطة لمواجهة التحديات التى تعانى منها الأمة وأبرزها المشكلات الداخلية وأهمها: الفقر والجهل وانتشار الأمراض وتفرق الكلمة، ومواجهة التحديات الخارجية ووضع استراتيجية للنهوض ببرامج الرابطة بما يلبى تطلعات المسلمين، ويطوّر أداء الرابطة ويعزز جهودها بين المسلمين ومهماتها الإنسانية فى العالم أجمع.

طرائف.. ومواقف

لفضيلة الشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

مكانة القرآن الكريم

روى عن على أمير المؤمنين قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: كتاب الله فيه خبر ما قبلكم، ونبأ ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، هو الذى لا تزيغ به الأهواء، ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه. هو الذى من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله. هو حبل الله المتين، والذكر العظيم، والصراط المستقيم.

وقال عبدالله بن مسعود: إذا رتعت (أى فى تلاوة القرآن) رتعت فى رياض دمثة أتأنق فيهن.

ذكــاء

قال الشيبانى خرج أبوالعباس أمير المؤمنين بالأنبار فأمعن فى نزهته وانتبذ من أصحابه، فوافى خباء لأعرابى فقال له الأعرابى: ممن الرجل؟

قال: من كنانة.

قال: من أى كنانة؟

قال: من أبغض كنانته إلى كنانته.

قال: فأنت إذن من قريش.

قال: نعم.

قال: فمن أى قريش؟

قال: من أبغض قريش إلى قريش.

قال: فأنت إذن من ولد عبدالمطلب

قال: نعم.

قال: فمن أى ولد عبدالمطلب أنت؟

قال: من أبغض ولد عبدالمطلب إلى ولد عبدالمطلب

قال: فأنت إذن أمير المؤمنين، السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فاستحسن ما رأى منه وأمر له بجائزة.

البلاغة فى تهنئة الملوك

دخل خالد بن عبدالله القسرى على عمر بن عبدالعزيز لما ولى الأمر فقال: يا أمير المؤمنين من تكون الخلافة قد زانته فأنت قد زنتها، ومن تكون شرفته فأنت قد شرفتها، كما قال الشاعر:

وإذا الدر زان حسن وجوه
كان للدر حسن وجهك زينا

وروى ابن أبى طاهر قال: دخل المأمون بغداد فتلقاه وجوه أهلها، فقال رجل منهم فى تحيته: يا أمير المؤمنين بارك الله فى مقدمك، وزاد فى نعمتك، وشكرك عن رعيتك، تقدمت من قبلك، وأتعبت من بعدك، وآيست أن يعاين مثلك. أما فيما مضى فلا نعرفه، وأما فيما بقى فلا نرجوه، فنحن جميعا ندعو لك، ونثنى عليك، خصب لنا جنابك، وعذب ثوابك، وحسنت نظرتك، وكرمت مقدرتك، جبرت الفقير، وفككت الأسير، فإنك يا أمير المؤمنين كما قال الأول:

ما زلت فى البذل والنوال وإط
لاق العانى بجرمه غلق
حتى تمنى البراء أنهم
عندك أسرى فى القيد والحلق

ولما تولى أزدشير الملك واجتمع إليه الناس يهنئونه قال متكلمهم: لازلت أيها الملك محبوا من الله بعز النصر، ودرك الأمل، ودوام العافية، وتمام النعمة، وحسن المزيد، ولازلت تتابع لديك المكرمات، وتشفع إليك التعامات، حتى تبلغ الغاية التى يؤمن زوالها، ولا تنقطع زهرتها، ولازال ملكك وسلطانك باقيين بقاء الشمس والقمر، زائدين زيادة البحور والأنهار، حتى تستوى أقطار الأرض كلها فى علوك عليها، ونفاذ أمرك فيها، فقد أشرق علينا من ضياء نورك ما عمنا عموم ضياء الصبح، ووصل إلينا من عظيم رأفتك ما اتصل بأنفسنا اتصال النسيم، فأصبحت قد جمع الله بك الأيادى بعد افتراقها، وألف بين القلوب بعد تباغضها، وأذهب عنا الإحن والحسائك بعد توقد نيرانها، بفضلك الذى لا يدرك بوصف، ولا يحد بنعت.

الرجل بعلمه وأدبه

دخل كثير بن عبدالرحمن على عبدالملك بن مروان فاقتحمته عينه لقصره، فأدرك ذلك كثير، فأنشده للعباس بن مرداس:

ترى الرجل النحيف فتزدريه
وفى أثوابه أسد هصور
ويعجبك الطرير فتبتليه
فيخلف ظنك الرجل الطرير
بغاث الطير أطولها رقابا
ولم تطل البزاة ولا الصقور
وقد عظم البعير بغير لب
فلم يستغن بالعظم البعير
يصرفه الصبى بكل أرض
ويحبسه على الخسف الجرير
يخوخ ثم يضرب بالهراوى
ولا عرف لديه ولا نكير
فما عظم الرجال لهم بزين
ولكن زينهم كرم وخير

فقال عبدالملك: قاتله الله ما أطول لسانه! وأمر له بصلة حسنة.

تغير الخلق بعد الثراء

عاتب محمد بن الحسن بن سهل صديقا له تغير خلقه بعد الثراء فقال:

لئن كانت الدنيا أنالتك ثروة
وأصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر
لقد كشف الإثراء منك خلائقا
من اللؤم كانت تحت ثوب الفقر

مكافأة المعصية: طاعة الله

شتم رجل أبا ذر الغفارى -رضى الله عنه- فقال لشاتمه:

يا هذا .. لا تغرق في شتمنا، ودع للصلح موضعا. فإنا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه.

العفـــو

لما دخل المأمون بغداد أحضر (دعبلا) الشاعر بعد أن أعطاه الأمان، وكان قد هجاه وهجا أباه، فقال له: يا دعبل (من الخضيض الأوهد) يشير المأمون إلى ما قاله فيه من قصيدة هجاه بها.

فقال دعبل: يا أمير المؤمنين قد عفوت عمن هو أشد جرما مني. وقد أراد المأمون من اللفظين اللذين واجه الشاعر بهما أن يذكره بالقصيدة التي هجاه بها ومنها قوله يخاطب المأمون:

إني من القوم الذين سيوفهم
قتلت أخاك وشرفتك بمقعد
شادوا بذكرك بعد طول خموله
واستنقذوك من الخضيض الأوهد

نوه له في هذا البيت بما قام به طاهر بن الحسين من قتل أخيه محمد بن الرشيد وتوليته المأمون مكانه واستنشده هذه القصيدة. فاستعفاه، فقال: لا بأس عليك وقد رويتها، وإنما أحببت أن أسمعها منك. فلما أنشده إياها وانتهى إلى قوله منها:

بنات زياد في القصور مصونة
وبنت رسول الله في الفلوات

بكى المأمون وجدد له الأمان، وأحسن له الصلة.

إني لست آتي الموت من حبه

قال المهلب يوماً لجلسائه: أراكم تعنفونني في الإقدام، قالوا: إي والله إنك لتسقط بنفسك في المهالك، فقال: إليكم عني! فوالله لولا أن آتي الموت مسترسلا، لأتاني مستعجلا، إني لست آتي الموت من حبه، إنما آتيه من بغضه، ثم تمثل بقول الحصين بن الحمام المري:

أرى كلنا يهوى الحياة لنفسه
حريصا عليها مستهاما بها صبًا
فحب الجبان النفس أورده التقى
وحب الشجاع النفس أورده الحربا

القول والعمل

عن بعض السلف أنه قيل له حدثنا، فسكت، ثم قيل له: حدثنا. فقال: أتأمرونني أن أقول ما لا أفعل فأستعجل مقت الله!..

وفي التنزيل المجيد:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾

(الصف: ٢، ٣)

وفيه:

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾

(البقرة: ٤٤)

وفيه:

﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾

(هود: ٨٨)

دعـــاء

اللهم بارك لنا في ذكرك، ولا تشغلنا بغيرك، ووفقنا لحمدك وشكرك، وأدم علينا عفوك وسترك.

الترغيب في العلم .. ثقافة مجتمع

للدكتور/ أحمد فؤاد باشا
نائب رئيس جامعة القاهرة، سابقا،

يعتبر التعليم بكافة مستوياته عملية إنتاجية مسئولة عن تنمية الطاقات البشرية التي تكفل نمو المواهب والقدرات الوطنية. ولا شك أن إصلاح التعليم يعدّ من التحديات التي تحتاج إلى مواجهة مباشرة تأخذ في الاعتبار طبيعة المجتمع وقيمه ورصيده الحضاري. إلى جانب الاسترشاد بالنماذج الناجحة في الدول المتقدمة، أو الدول التي سعت، ولا تزال، بوعي وإصرار نحو التقدم.

كذلك تحتاج التنمية الأسية للتعليم متابعة مستمرة لبرامج الإصلاح والتطوير، ومراجعة متأنية للعلاقات التي تجمع بين مختلف عناصر العملية التعليمية: المنظومية، والإدارية، والبرامجية، وغيرها.

وهذا كله يحتاج إلى درايات معرفية وفكرية وميدانية خاصة، يعرف أصولها أهل الاختصاص والخبراء من العلماء والمعلمين والتربويين.

ومن الظواهر المؤسفة واللافتة للنظر في التعليم العام بمصر تحوّل ثلثيّ طلاب الثانوية العامة من شعبة العلمي إلى الأدبي، وقد أجمع الخبراء والمحللون على وصفه بأنه تحول غريب ونادر المثال في العالم كله، ينبغي دراسته للوقوف على حقيقة أسبابه وتفادي آثاره الضارة بمسيرة البحث العلمي .. ذلك أن هذه الظاهرة تأتي انعكاساً لحقيقة مهمة مؤداها أننا - رغم الجهود المبذولة - لم نتوصل بعد إلى الأسلوب الأمثل في التعامل مع تعليم النشء في هذه

المرحلة، وخاصة فيما يتعلق «بفنّ» تدريس العلوم وإعداد الباحث العلمى كأساس لبناء قاعدة علمية عريضة تزود المجتمع بأكفأ المهارات المؤهّلة للبحث والتطوير (R&D) فى مختلف المجالات.

■ وأهمية هذه القضية تنبع من أهمية التعليم والبحث العلمى، من حيث إنهما يمثلان ضرورة أمنية مُلحّة لتلبية احتياجات المجتمع، وضمان أمنه القومى الشامل المعتمد بصورة رئيسية على التفوق والتميز فى علوم وتقنيات توصف الآن بأنها «حاكمة» للعلاقات بين القوى الدولية، وموجّهة لحركة الحياة على كوكب الأرض فى الحاضر والمستقبل.

ولقد أخذت الدول المتقدمة بمبدأ الربط المباشر بين قضايا التعليم والبحث العلمى من جهة، وبين متطلبات الأمن القومى الشامل من جهة أخرى، وعرفت فى الوقت نفسه كيف تصنع علماء حقيقيين من خلال مراكز تميز لرعاية الموهوبين والمبدعين فى مراحل التعليم المختلفة، يتم انتقاؤهم وإعدادهم بعناية فائقة ليكوّنوا منظومة بحثية وتعليمية متفوقة.

أما أغلب الدول النامية فإنها لا تزال حتى اليوم فى بداية الطريق نحو إدراك مكانة العلم والتقنية فى حياتها، وأولوية الاهتمام بها على جميع المستويات، وإلى أبعد مدى ممكن، باعتبارهما المقياس الحقيقى الذى يميز بين الشمال والجنوب، أو بين المتقدمين والمتخلفين، فعلى العلوم وتقنياتها تعتمد مستويات المعيشة فى أى مجتمع من المجتمعات، والفجوة الآخذة فى الاتساع بين أمم الشمال وأمم الجنوب - بدرجات متفاوتة - هى فى حقيقتها فجوة علمية وتقنية فى المقام الأول، وكل صور الصراع الدائر الآن فى مواقع مختلفة من الأرض لا يحسمها بالدرجة الأولى سوى التفوق التقنى النابع من البحوث المتقدمة فى منظومة العلوم الحاكمة، والمنتهى بمخترعات وابتكارات قادرة على الردع الوقائى عند اللزوم.

فن تعليم العلوم الأساسية

كذلك أكدت محافل دولية مختلفة، ودراسات مستقبلية عديدة، على أن العلم والتقنية هما اللذان سوف يشكلان القدرة التنافسية للدول والمجموعات الإقليمية فى القرن الواحد والعشرين.

ومن المسلمات الضرورية التى تغيب عن أذهان الكثيرين من المعنيين بالعملية التعليمية والبحثية، ولا تمثل فى الوقت نفسه معلماً واضحاً فى ثقافة المجتمع، أن الطريق الموصلة لأى نهضة تقنية فائقة يبدأ بتوجيه الاهتمام إلى «فنّ» تعليم العلوم الأساسية «الرياضيات- الفيزياء- الكيمياء- البيولوجيا...»، على أن يكون هذا التوجيه مدفوعاً بتحفيز الفضول العلمى وحب الاطلاع، وتنمية مهارة الفهم وإتقان العمل، وغرس القيم الهادية لمواصلة التعليم مدى الحياة، ذلك أن التعليم الجيد هو الذى يدلُّ الطالب على مفاتيح هذا الطريق، بأن يعلمه منهج البحث والتفكير العلمى السليم، وينمى لديه حرية النقد وإبداء الرأى، ويقدم له المعرفة ذات القيمة المستدامة، ويزوده بكل ما ينير «بصيرته» العلمية، ويفتح «شهيته» المعرفية لطلب المزيد والمفيد.

قرن العلوم الأساسية!!

وقد قيل عن القرن العشرين إنه أعظم قرن للعلوم الأساسية، حيث شهد النصف الأول منه ثورات علمية بالغة الأهمية والأثر فى استحداث مختلف التقنيات المعاصرة.

ويعزى الفضل فى هذا كله إلى الاهتمام البالغ بتدريس العلوم الأساسية فى مدارس وجامعات الدول المتقدمة، لكن هذه العلوم فى أغلب الأقطار النامية لا تزال بعيدة عن بؤرة الاهتمام، ظنّاً أنه بالإمكان العيش على ما ينتجه الآخرون، وأدى هذا الإهمال تدريجياً إلى تخريج أجيال غير مؤهلة تأهيلاً كافياً للتعامل مع التقنيات المتقدمة التى تحتاج إلى معرفة عميقة بالنظريات التى قامت عليها، وأسفر هذا بدوره - مع الزيادة الهائلة فى كم المعلومات «التراكم المعرفى» - عن وجود أعباء ومتطلبات زائدة على طالب العلم، ربما كانت من بين أسباب عزوف أعداد متزايدة من الطلاب عن دراسة العلوم فى بعض الدول. ومن الخطورة بمكان أن يكون التعامل مع التقنية بدون سند من علم ومعرفة.

ونحن هنا فى مصر نحتاج إلى أن نولى اهتماماً خاصاً بقضية تدريس العلوم الأساسية ورعاية الموهوبين فيها فى المدارس والجامعات، وفق خطة متكاملة ومدروسة تهدف إلى ترغيب التلاميذ منذ سن مبكرة، على غرار ما فعلت اليابان عام ١٩٩٩م فى تنفيذ برنامج مدته ثلاث سنوات يهدف إلى زيادة الوعى - قامت به «الوكالة اليابانية للعلم والتكنولوجيا» - لتبصير العامة بأهمية التقدم العلمى والتقنى، ويتضمن البرنامج أنشطة عديدة ومتنوعة تشمل مهرجانات علمية للشباب، وأولمبياد الأجهزة «الروبوت»، وإنشاء مكتبات فيديو علمية وتقنية، وبناء متحف علمى جديد «دنيا العلوم»، وغير ذلك.

بيان ريجان!!

وربما يكون مفيداً فى هذا السياق الذى نؤكد من خلاله على دور الثقافة المجتمعية فى مواجهة معوقات التقدم العلمى، أن نذكر ما حدث فى الولايات المتحدة من تراجع ملحوظ فى تعليم مادة الرياضيات، أدى إلى أن أصدر الرئيس الأسبق للولايات المتحدة «رونالد ريجان» البيان رقم ٥٤٦١ فى أبريل سنة

١٩٨٦ ، جاء فيه :

«منذ بدايات الرياضيات فى مصر وبلاد ما بين النهرين، قبل حوالى ٥٠٠٠ سنة، كان التقدم فى فهم الرياضيات العنصر الرئيسى للتقدم والعلم والتجارة والفنون. وقد خطونا خطوات جبارة منذ نظريات فيثاغورث حتى نظرية جورج كانتور عن (المجموعة)، وأصبحت معرفة الرياضيات هى والتفكير العلمى، فى عصر الكومبيوتر، ضروريين أكثر من أى وقت مضى لعالمنا ذى الطبيعة التقنية المتزايدة... وعلى الرغم من أهمية الرياضيات المتزايدة لتقدم اقتصادنا ومجتمعنا، أخذ انتساب الطلبة إلى برامج الرياضيات يتناقص على جميع المستويات فى النظام التعليمى (التربوى) الأمريكى، لكن لا غنى عن تطبيق الرياضيات فى الميادين المختلفة مثل الطب وعلوم الحاسب واستكشاف الفضاء، وفى المهن التى تتطلب مهارات، والأعمال، والدفاع، والحكومة. ولكى نساعد فى تشجيع دراسة الرياضيات وتطبيقها، من المناسب تذكير جموع الأمريكيين بأهمية هذا الفرع الرئيسى من فروع العلم لحياتنا اليومية.

.. وقد سمى الكونجرس ـ بالقرار رقم ٢٦١ الذى صدر عنه وعن مجلس الشيوخ ـ الأسبوع من ١٤ إلى ٢٠ أبريل ١٩٨٦م (الأسبوع القومى للتوعية الرياضية)، وفوض الرئيس وطلب منه إصدار بيان بهذا الشأن... بناء على ذلك أعلن أنا رونالد ريجان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، الأسبوع من ١٤ أبريل إلى ٢٠ أبريل ١٩٨٦م أسبوعا قوميا لمادة الرياضيات، وأحث جميع الأمريكيين على المشاركة فى طقوس ونشاطات ملائمة تبرهن على أهمية الرياضيات وتعليمها للولايات المتحدة الأمريكية.. ويشهد على هذا توقيعى على هذا البيان هذا اليوم السابع عشر من أبريل سنة ١٩٨٦، وسنة استقلال الولايات المتحدة العاشرة والمائتين».

الخطاب العلمى

■ لهذا فإننا ندعو فى هذا المقال ـ مثلما دعونا من قبل فى مناسبات عديدة ـ إلى ضرورة مراجعة الخطاب العلمى على المستوى الوطنى، وإحكام صياغته انطلاقا من الإيمان الراسخ بأهمية العلم والتقنية كمقوم رئيسى من مقومات البقاء، قبل أن يكونا الأساس الذى يقام عليه أى مشروع تنموى، وأن يوجه إلى إشاعة الروح العلمية بين كل فئات المجتمع ليصبح التفكير العلمى منهاج عمل وأسلوب حياة، وأن يدعو إلى تكوين القاعدة العلمية حتى تبلغ الحجم الحرج بمواردها البشرية وبنيتها التحتية، مع مراعاة ما يتطلبه هذا التكوين من تخطيط حكيم على المدى البعيد، وإدارة ذاتية خبيرة، ورعاية سخية من كل القادرين، وتقويم مستمر للأداء فى جميع الحالات.

كذلك ينبغى أن يتصدى الخطاب العلمى لكل تفاصيل الحالة العلمية والتقنية تعليماً وبحثاً وثقافةً وتطبيقاً، كأن ينبه إلى ما يشوب الخطاب الإعلامى عموماً من أخطاء فى نطق المصطلحات العلمية أو كتابتها، أو يحذر من خطورة ظاهرة ما مثل عزوف الطلاب عن شعبة «العلمى» فى مرحلة الثانوية، أو غير ذلك. وبهذا فقط يمكن أن تصبح «الثقافة العلمية الجادة» عنصراً فاعلاً فى إطار الثقافة الشاملة للمجتمع.

المنهج الإسلامى القويم

ومن فضل الله علينا ـ نحن أبناء الأمة العربية والإسلامية ـ أن أمدنا بمنهج إسلامى قويم، وأمرنا بالسعى فى ظله إلى تحصيل العلم وفهمه ونقده وتمحيصه دون أى قيد، ثم علينا أن نعرضه على قيمنا وحاجاتنا، فيكون لنا من بعد ذلك فيه رأى واختيار، على ضوء ما جاء فى شريعتنا الإسلامية الغراء، وفى الإسلام ـ إسلام القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ـ طلب العلم فريضة واجبة الأداء، والحكمة ضالة المؤمن، فهو أحق بها أنى وجدها. وهنا يمكن للدين، إلى جانب الثقافة واستحضار الرصيد الحضارى، أن يؤدى دوراً بالغ الأهمية فى الحض على طلب العلم وإتقان العمل من المهد إلى اللحد. ولقد شدد الإسلام والحضارة المنبثقة عنه على ضرورة الاهتمام بفهم العالم عن طريق دراسته واستنباط القوانين العاملة فيه والمسخَّرة لإفادة الإنسان فى تحقيق أمانة الاستخلاف بترقية الحياة على الأرض فى جميع المجالات.

وإذا كان معنى «الثقافة» يتمثل فى رصيد الفاعليات الإنسانية متجلية فى السلوك العملى والروحى، فإنه يمكن لثقافتنا الإسلامية أن تقدم ما هو أكثر من عناصرها المادية والفكرية لبناء المجتمع المتوازن الذى يتجه أبناؤه بحمية وحماس إلى الابتكار والإنتاج بعزيمة وإيمان لثقتهم فى قدرة هذا المجتمع على احتضان الأفكار الصائبة ورعايتها واستثمارها حضارياً.

■ ترى... هل نعتبر من دروس التاريخ.. تاريخ العلم والحضارة.. فى تحقيق الربط الحقيقى بين العلم ومنهجه من جهة، وتنمية الثقافة العلمية فى المجتمعات العربية والإسلامية من جهة أخرى، ويكون هذا المنحى أساساً للترغيب فى طلب العلم، تمهيداً لتوطينه والتفوق فيه؟!!...

يا ليت قومى يعلمون...

***

من حديث الطلقاء

للدكتـــور/ أبـى حســـام

نزل معن بن أوس ضيفاً على عبد الله بن جعفر بمكة، فاحتفل بمقدمه احتفالاً كبيرا، إذ كان عبد الله يروى شعر معن ويراه نمطاً من أنماط المروءة النبيلة، حين يدعو إلى كظم الغيظ، والترفع عن مجازاة السيئة بالسيئة، بل حين يدعو إلى الإيثار، متحملاً مرارة العيش، وقسوة الجدب، ليكون فى مظهر الرجل الكافل الوهاب، الذى يعطى ولا يأخذ، ويتقدم حين يتأخر سواه، وقد جلس معن فى ندوة صاحبه ذات عشية فى ملأ من أصدقائه، منهم عبيد الله ابن عباس، وخباب بن الأرت، فأراد ابن جعفر أن يسعد جلساءه بحديث عن الشاعر الضيف فابتدره قائلا:

يا أخا مزينة: م تعلمت هذا الحلم؟ وأنت شاعر قومك فى الإسلام، يهزك الانفعال السريع، وتجيش بك العاطفة الحادة، فلا تسكت على ضيم، ولا تركن إلى نقيصة.

قال معن: أما أنا شاعر مزينة فى الإسلام، فلست وحدى، ولكن معى كعب بن زهير وبجير أخوه، وأما ما تنسبه إلى من الحلم، فإننى أميل إلى التريث منذ نشأت، ولكن يوم الفتح الأعظم بمكة منذ عشرين عاماً كان لى درساً لا أنساه! عنه أخذت الحلم، بل عن بطله السيد الحليم محمد بن عبدالله!

قال ابن جعفر: شهد يوم الفتح آلاف الناس، وحديثه لا يزال يتردد دون انقطاع، فكيف أوحى إليك بما اتسمت به من التسامح والغفران؟

فأطرق معن كالمتردد، ولكن عبدالله بن جعفر صاح به: قل يا معن، فإن صحبى هؤلاء قد اجتمعوا إلىّ الليلة ليسمعوك، وليسمعوك وحدك، فقل!

فتفرس معن فى وجوه القوم، وقال: سأطيل الحديث فلا يضجر أحد!! فصاحوا جميعا: وكيف نضجر، وأنت الذى تتحدث؟

قال معن: كنت بمر الظهران أسوق إبلاً لى، حين قدم جيش رسول الله ﷺ من المدينة متأهباً لدخول مكة، ونظرت بعيداً، فرأيت الأرض قد امتلأت بالناس، فناديت ولدى حيياً وقلت له: هلمّ بالإبل إلى أعطانها بالسفح، قبل أن تدهمنا الخيل، ووقفت على بعير لى أنظر هذا المد الزاخر إلى أين ينتهى، وأنا دهش حائر مما أرى، ثم التفت فإذا ابن عمى ضامر المزنى يصيح بى: هلمّ يا معن، فاتجهت إليه، فقال: إننى مع أصحابى من مزينة نسهم فى جيش رسول الله، فالحق بنا، ليكون لك شرف الجهاد، ونزلت كلمة ضامر على قلبى منزل الماء البارد من ذى الغلة، فاتجهت ببعيرى إلى حيث يمضى القوم، ودخلنا مكة، وبدأت مناوشات انتهت سريعاً، وتفرّق الناس إلى حيث يطمئنون، ومضيت مع ابن عمى ضامر إلى خيام بنى الأوقص فى أسفل أبى قبيس، إذ حل المساء.

كان كل ما يملأ ذهنى من الخواطر أن أجيب عن سؤال يراودنى، هو: ماذا عسى أن يفعل رسول الله ﷺ مع أشد أعدائه الذين عذبوا المسلمين وقتلوهم وأخرجوهم من ديارهم، ثم ما برحوا يشنون الغارات عليه بالمدينة، ويتواطئون مع القبائل المختلفة على حربه، وهاهم أولاء اليوم تحت قبضة يده؟ ورآنى ضامر قلقاً لا أكاد أهدأ! فسألنى عن أمرى، فأجبت فى صدق، ولكنه هز رأسه مستخفاً، وقال: ستبدى لك الأيام حقيقة الجواب، ثم تابع رده بقوله: ألم يقل الرسول للملأ من قريش: اذهبوا فأنتم الطلقاء! قلت: نعم، ولكنى أستثنى بضعة أسماء تبلغ العشرة أو تزيد!

قال ضامر: وإذن فقد عرفت الجواب! لقد عفا الرسول ﷺ عن أهل مكة غير نفر قليل، كانت مثالبهم الفادحة أوسع من أن تندرج تحت عفو.

قلت مستعجلاً: أنا أحس أن محمداً ﷺ أقدر من صبر على غيظ، وفى ظنى أن أكثر الذين قد استثناهم من العفو سيجدون ملاذاً فى عطفه الرحيم.

فقال ضامر: نم حتى الصباح يا معن، فما ظننا سنرحل إلى ديار مزينة إلا بعد أيام قد تمتد إلى أسابيع، وستعرف مصير من تتحدث عنهم الليلة، فإلى فجر جديد.

ثم طلعت الشمس، ولا تزال أنباء الفتح تملأ المسامع، ومن يزوروننا فى خيام بنى الأوقص يتحدثون عن رسول الله ﷺ ماذا فعل؟ وأنى سار؟ وفيهم شاب مزنى صادق اللهجة، دءوب الغدوّ والرواح، فرأت عبرته فى وجهه، فأدنيته منى لأقول له: إنى لأعلم من سماحة رسول الله ﷺ وسعة حلمه وكرم عفوه ما لا حد وراءه لصفح وغفران، فهل لك أن تتبع مواقفه ممن استثناهم من العفو، ثم تخبرنى بما سيكون؟

قال الشاب المزني: ولِمَ لا تكون بمقربة من الأحداث؟ فتشهد مجلس رسول الله ﷺ؟

قال في أسى: أنا معتزل، ولم أسلف من تبعات الجهاد ما يشرفني لدى النبي، وأستحيي أن أكون أمامه ذنباً لا رأساً، ولكني طلعة فاحص، تأتيني الأمور فأقلبها على شتى وجوهها حتى أصل إلى غورها الصميم، وبي ظمأ إلى معرفة ما سيكون من أمره مع أعدائه الألداء، وسأنتظرك بين الفينة والفينة، لأعرف الجديد.

قال الشاب المزني: ولك ما تريد.

وهنا قال عبدالله بن جعفر: إيه يا معن! عهدناك شاعراً تحسن الصوغ، وما عرفناك قصاصاً مسترسلاً تنتقل بالقول من شمال إلى يمين! لقد سألناك عمن تعلمت الحلم، فقلت: من أحداث يوم الفتح؟ فكان المنتظر أن تخلص إلى الرد من أقرب طريق، ولكنك تياسرت في القول وتيامنت وتحدثت عن بني الأوقص وضامر والشاب المزني، وغاب عنا جواب سؤالنا عن حلمك النبيل!

قال معن بن أوس: عفواً أخي، فالهدف قريب! لقد ظللت منذ اليوم الأول من مقدمي أتأمل صنيع رسول الله ﷺ في أعدائه، فشاهدت عجباً أي عجب! شاهدت رسول الله ﷺ يعفو عن عكرمة بن أبي جهل، وعن صفوان بن أمية، وعن وحشي بن حرب، وعن الهبار بن الأسود، وعن هند بنت عتبة، وعن كعب بن زهير! ولكل قصة ذات أبعاد!

فتألق وجه عبدالله بن جعفر، وقال: أنت الآن مع قوم شهدوا هذه الأحداث وقد يعرفونها أكثر مما تعرف! ونريد موضع العبرة من وجهة نظرك، فما زلنا نسأل عمن تعلمت الحلم.

فأطرق معن مفكراً.. حتى إذا تطلعت له الوجوه قال: معاذ الله أن أحسبكم ممن يجهلون تاريخ اليوم الخالد، ولكني أدل على موضع اهتدائي بما جد من أحداثه، فحسب، وسأخص كل من أشرت إليهم بلمحة دالة، لا بتفصيل كبير.

وكان عبدالله بن عباس ممن يستمعون، فتوجه إلى عبدالله بن جعفر يقول له: لقد قطعت على الشاعر سبحه المنتظر، فألجأته إلى الإيجاز، وكنا نريد أن يستطرد، فقد نعلم من الوقائع ما نسيناه!

قال معن: لقد جاءني الشاب المزني بكل ما علم من مآثر رسول الله ﷺ أيام الفتح، وكلها تدل على عفو القادر، وحلم القوى، فأعلمني أن العفو لن يكون عفواً حقيقياً إلا من صاحب مقدرة، يملك فيعتق، وكل من عفا عنهم رسول الله ﷺ كانوا في قبضة يده وعلى طرف الثمام منه، فكان الصفح عنهم تكرماً وتفضلاً من رءوف رحيم.

لقد هزني موقفه من هبار بن الأسود، هذا الذي ترصد لابنته زينب رضي الله عنها، وهي في طريقها من مكة إلى المدينة، وكانت مريضة ذات حمل، فضرب بعيرها بسهم جعله يشرد بها نافراً، وقذف بها على صخرة موجعة فسقطت مرهقة يسيل دمها، وارتدت إلى مكة ريثما تبرأ من بعض ما أصابها، فلم يمض الداء، وظلت تكابد برحاء السقام، حتى ماتت بعلتها تلك، وكانت كبرى بناته وأشدهن شبهاً بأمها خديجة بنت خويلد، فجزع الرسول ﷺ لمصابها، وأهدر دم هبار.

وحين تم الفتح أيقن هبار أن ساعة الانتقام قد حانت، وما كان لمثله أن ينجو من حساب جرمه، وقد توقع المسلمون جميعاً أن القصاص محتوم، ولكن النبي، فوجيء به يدخل تائباً مرتجفاً، يعلن إسلامه!

ويتذكر الأب الرحيم ما كان من الغادر العاق، ويتراءى لعينه شبح ابنته، وهي في أيامها الأخيرة تقاسي عقابيل سقطتها الدامية على الصخرة العاتية! فيتغلب على بواعث الحفيظة، ويستجيب إلى نداء العفو، فيصيح به: قبلت توبتك فابعد عني!

قال ابن عباس: والله لقد علمت قصة هبار، ولكني أسمعها الآن فتدركني العبرة، كأني لم أسمع بها من قبل! هذه بعض دروس الحلم فأكمل يا ابن أوس!

قال معن: وجاءني الشاب المزني فحدثني بحديث وحشي بن حرب، قاتل حمزة! وأيكم لا يعلم مدى فجيعة رسول الله ﷺ في عمه أسد الله حمزة بن عبدالمطلب لقد تعجب المسلمون حين رأوا وحشياً يقدم على رسول الله ﷺ تائباً! وأية توبة لهذا الذي فجع المسلمين في مستقبل جهادهم بأكبر بطل يعدونه للوقائع المعلمة، والمآزق الشديدة!

فقال خباب: لا زلت أذكر دموع رسول الله ﷺ تملأ وجهه الكريم، حين مر بحمزة سيد الشهداء صريعاً، وقد مثلت هند بنت عتبة بجثته، وأخذت كبده ولاكتها لتأكلها، فما وجدت لها من مساغ فلفظتها، ولا زلت أذكر أنه مر بنسوة من بني عبد الأشهل يبكين قتلاهن فخنقته العبرة، ثم قال: أما حمزة فلا بواكي عليه، فجعلت كل باكية تريد أن تبكي صريعها، تبدأ بالبكاء على حمزة!

قال معن: ويأتي بعد ذلك وحشي ليلتمس العفو، فيرى الصفح الرحيم، ولكنه يسمع الرسول يقول في تأثر: غيِّب وجهك عني كيلا أراك! فأي كظم للغضب تدل عليه هذه الجملة النارية! إنها وحدها تدل على أن الرسول قد عانى أشد العواطف التهاباً حين وجد قاتل حمزة أمامه! ولكنه نبي القدوة، ولا بد أن يرتفع عن الناس جميعاً بمنه وكرمه، وهذا ما كان!

قال ابن عباس: سمعت مشيخة قريش تقول: لو عاش حمزة بن عبدالمطلب بعد رسول الله ﷺ ما نازعه الخلافة أحد، لسبقه في الجهاد، وغيرته الشديدة على الإسلام، وزيادة عن ابن أخيه، وهو بعد أسن من أبي بكر وعمر!

قال ابن جعفر: هذا صحيح لا شك فيه، ولكني في مجال الاستشهاد بحلم رسول الله ﷺ يوم الفتح عن وحشي لابد أن أذكر هند بنت عتبة، حين نتحدث عن حمزة، فهي التي مزقت جسمه رضي الله عنه، ومثلت به تمثيلا كان أكبر دليل على قسوة النساء! وجاء يوم الفتح، فعلمت أن أبا سفيان زوجها قد أسلم، فصاحت صيحات الاستنكار، وأخذت برأسه تجره إليها وتقول: اقتلوه، اقتلوه، قبح من طليعة قوم، وحين غلبت على أمرها، ورأت ألا

مقر من الاستسلام، لم يشأ أحد من ذويها أن يصحبها إلى رسول الله ﷺ استعظاماً لما فعلت يوم أحد، ثم استعملت الحيلة، فانتظرت حتى خرج النبى إلى الأبطح، فصاحت به وهو لا يعرفها: الحمد لله الذى أظهر الدين الذى اختاره لتمسنى رحمتك يامحمد، فإنى امرأة مؤمنة بالله مصدقة به، ثم كشفت عن نقابها، وقالت: أنا هند بنت عتبة، فلقال لها ﷺ: مرحباً بك، ثم عفا عنها!

قال معن: لقد قال رسول الله ﷺ لوحشى: غيّب وجهك عنى، وقال لهند: مرحباً بك، لأنه يعرف أن المرأة أضعف احتمالاً لدى المواجهة، وما كان لخلقه الكريم أن يهوى بها فى موقف قدمت عليه ترتجف هولاً، وأى إنسان غير رسول الله ﷺ يرى آكلة كبد عمه، تتشخص أمامه، وقد مثلت بأعز الناس على قلبه، لهاج وثار! ولكن مثل هذا الموقف جدير بأن يرسم فى قلوبنا لنحتذيه، فالرجل رجل بخلقه وسلوكه، وأى رجل أفضل من رسول الله ﷺ!

قال ابن جعفر: ثم ماذا يا معن؟ فضحك الشاعر، وقال: وهل أبقيتم لى شيئاً؟ إنى أسبق إلى الحادث فلا أكاد أنطق بحرف عنه، حتى تأتى آراؤكم التامة المكملة، فأولى بى أن أسمع لا أن أتكلم!

قال خباب: الحديث متاقلة، وذكرى يوم الفتح من أجمل الذكريات التى يتفتح لها قلب المسلم الصادق، فهلمّ يا أخى تحدث عن صفوان بن أمية ومن يليه؟

فابتسم معن وتهيأ يقول: أما صفوان فكان ذا حمية وغضب، وله مواقف منكرة تبعده عن قلب رسول الله ﷺ قبل الهجرة وبعدها، وقد أيقن من الانتقام ساعة الفتح، فاختفى، وطار إلى جدة يحاول أن يلقى بنفسه فى البحر، ولكن عمير ابن وهب ابن عم صفوان أدرك حرج صاحبه، إذ ضاقت عليه فجاج الأرض، فأتى شفيعاً إلى رسول الله ﷺ يقول له: يا نبى الله، إن صفوان سيد قومه، وقد هرب من مكة معتزماً أن يلقى بنفسه فى البحر، وقد وسع حلمك الأحمر والأسود ونطمع أن تتفضل عليه بالأمان، فابتسم رسول الله، وقال: أدرك ابن عمك فهو آمن، فانطلق عمير بن وهب يعدو حتى جاء إلى الرجل فى مكمنه، فقال له: هنيئاً، قد أمنك رسول الله ﷺ، ومعى رداؤه الشريف أماناً لك، فلم يكد يصدق ما يسمع، ثم قدم مترددا يلمس موضع الأرض من قدمه، حتى وقف أمام رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، هذا عمير بن وهب جاءنى بردائك، وزعم أنك دعوتنى للقدوم عليك، فإن رضيت أمراً قبلته، وإلا سيرتنى شهرين (يريد أن ينتظر شهرين لينظر فى أمره)، فقال رسول الله ﷺ: انزل أبا وهب، فقال: لا والله حتى أتبين أمرى معك. قال ﷺ: بل تسير عليك أربعة أشهر لا شهرين، ثم تأهب الرسول لغزوة هوازن، فأرسل إلى صفوان يطلب منه ما لديه من أسلحة الحرب، فقال صفوان: طوعاً أم كرهاً، فقال الرسول ﷺ: طوعاً عارية، وشهد صفوان

غزوة حنين وهو كافر، وقد أوسعه الرسول عطاء وبراً، حتى قال: والله ما تطيب ببذل ذلك نفس إنسان! إنه لنبى لنبى!

ثم سكت معن قليلاً، وأدار عينيه فى وجوه القوم متسائلا: لقد جاء صفوان الذى دبر المكايد لقتل محمد كى يطمئن على العفو عنه، ثم لم يشأ أن يعلن إسلامه، وكان فى موقف الضعيف العاجز، وكلمة واحدة تقضى عليه! وفى وسع الرسول أن يدعوه إلى الإسلام أو الانتقام، ولكن صاحب الخلق العظيم رأى أن يسمو بسلوكه ليضرب لنا المثل، فابتسم وأمهل، ولم يسلم صفوان حتى ملأ الإسلام شغاف قلبه، فأعلن الشهادة طائعا غير مجبر! أيجوز لنا أن نترك هذه العبر الساطعة فلا نتلمسها فى موضع العظة؟ وممن نتعلم؟ إذا لم نتعلم من رسول الله ﷺ!

قال خباب: بقى حديث عكرمة، وكعب بن زهير!

فأجاب معن: وهل لدىّ ما أقوله عن كعب، وأنتم جميعاً تروون قصيدة (بانت سعاد)، وتعرفون موقعها من نفس رسول الله، لقد تحدث كعب عن نفسه بقصيدته الذائعة، ونال البردة الشريفة تكريماً وتقديراً من نبى الله، فإلى حديث عكرمة:

لقد كان عكرمة ممن تعرضوا لجيش الفتح مع صفوان، وقد صمما على القتال وجمعا الجموع عند الخندمة، فما رجعا بشىء، بل أدركهما الرعب، وفرا هاربين، صفوان إلى البحر، وعكرمة إلى اليمن، وفيهما يقول حماس بن قيس:

إنك لو رأيت يوم الخندمة

إذ فر صفوان وفر عكرمة

قد خفتهم السيوف المسلمة

يقطعن كل ساعد وجمجمة

لم تنطقى فى اللوم أدنى كلمة

فلما تم الأمر لرسول الله ﷺ استأذنت أم حكيم بنت الحارث بن هشام، وهى يومئذ مسلمة، على النبى ﷺ، شافعة فى زوجها عكرمة، فأذن لها صافحاً غفوراً، فخرجت فى طلب زوجها راحلة متعبة حتى أدركته ببعض جبال تهامة، فعرضت عليه أمان الرسول، ففرح كثيراً بمقدمها، وانطلق معها إلى الرسول ﷺ، فبايعه مسروراً بزوال محنته.

قال عبدالله بن جعفر: لم أفرح بليلة من ليلات السمر فى منزلى كما فرحت بهذه الليلة، لقد أعددت نفسى لأسمع أشعار معن، ونبذاً من حياته فى مزينة، ومنافساته للشعراء فى الجاهلية والإسلام، وقد مهدت بذلك للسؤال عمن تأثر به من الحلماء، وما ظننت أننى سأسعد بسماع أجمل قصة من قصص التاريخ الإسلامى دارت أحداثها عند الفتح الأعظم بمكة، فليتنا كل ليلة نبحث عمن يحدثنا عن موقعة إسلامية ذات تاريخ عبق كتاريخ الفتح الشريف.

ثم نهض صاحب المنزل، لينهض خلفه ضيفه الشاعر متجهاً إلى مضجعه، ومستسلماً لأحلام ذات مجد عزيز..

تأملات في السيرة النبوية

لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى

بدء انتشار الدعوة

إن المطالع لتاريخ انتشار الإسلام لا تخطئ عينه مدى العنف والقهر الذى لقيه المسلمون المسالمون وكم عانى النبى ﷺ والمسلمون فى أول الدعوة ولابد لك أن تسأل عدة أسئلة فى اتجاهات متعددة. بعض هذه الأسئلة يتجه إلى المجتمع الرافض للدعوة. لماذا يرفض؟ لماذا كل هذا العنت؟ ولماذا كل هذه القسوة فى معاملة الضعفاء من المسلمين؟ هل هى قلوب انتزعت منها الرحمة؟ أم هى قلوب قدت من صخور لم تعرف اللين؟ هذا إلى جانب أسئلة تتجه اتجاه آخر تسأل وتبحث عن الحكمة. ولماذا ترك الله سبحانه وتعالى المؤمنين به التبعين لرسوله لماذا يتركهم الله يعانون ويقاسون هذا العنت وهذا الظلم والجبروت المميت المعنى الذى تجاوز كل بغى وطغيان؟ ولابد أن تسأل نفسك وأن يدور فى خلدك سؤال أليس هؤلاء الضعفاء المسلمون هم من استجاب لدعوة الداعى لما دعا؟ فلماذا لا يحمى ربنا من استجاب لداعيه وآمن به؟ ولماذا يمد الله الطغاة بأسباب القوة ويمكنهم من رقاب المؤمنين الضعفاء؟ وأقول لك أيها السائل الكريم لقد سألت عن أسباب القوة التى يمد بها الله الطغاة ولماذا سألت عن الأسباب ولم تسأل عن المسبب؟ فقد بقيت مع الأسباب تعالجها وتستعجلها كيما تحقق أهدافك التى تسعى إليها وبكل تأكيد سوف تكون يوماً لك ويوماً عليك فاجعلها لك فأنت الذى تجعلها لانها أسباب لها قواعد مطردة وقواعد وأصول مرئية متبعة ويوم أن ترك المسلمون الأسباب وتواكلوا وأهملوا شروطها وأهملوا قواعدها خابت أهدافهم ولم تتحقق أمانيهم. ذلك أن الله سبحانه وتعالى وضع الأسباب ووضع لها قواعدها وأصولها وقوانينها ولم تتخلف إلا بإذنه وبمعجزاته لكن المعجزات مهما كانت سوف تبقى فى خانة

الاستثناءات. أما القاعدة المضطردة فهى التى لا تتخلف فيها الأسباب والناس مأمورون بأن يأخذوا بها والكون كله يجرى وفق قوانينها لا يتخلف. فعلى المؤمنين بالله والمصدقين برسله ورسالته أن يمارسوا الأسباب ويعالجوا المسببات وغالبا ما يلجأ المؤمنون ويهرعون إلى ما يرجون ويحبون ويتمنون دون ان يعالجوا الأسباب. فكان ولابد -والحالة هذه- أن يكون التوجيه الإلهى نحو الأخذ بالأسباب على قدر ما يترتب من خطر على إهمال الأسباب بالقدر الذى ينبغى أن ينتزع المسلمون من وهدة التكاسل والتواكل ونحسب أن الأمر ليس باليسير الهين فإن الطبع الإنسانى يميل دائماً إلى الدعة ويؤثر الحصول على النتائج فالأمر يتطلب قسراً فى تصوير الحياة والناس خصوصا إذا كان الأمر فى بداية الدعوة وأنه سيكون منهجاً عاماً ورسالة خالدة إلى يوم الدين تشمل جميع الناس والأزمان والأماكن والبيئات فلا بد من أخذ الأمر بالجد اللازم المطلوب والحيطة الواجبة ووضوح الرؤية التى لا يكون معها لبس أو اضطراب أو تشويش. وفى ضوء هذا أفهم ضرورة قوله تعالى:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾

(محمد: ٣١)

وعلى نفس النسق الآمر الموجه يأتى قوله تعالى:

﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾

(آل عمران: ١٨٦)

وكأنى بقسوة المشركين قد اشتدت على المسلمين الأوائل وضاقت عليهم السبل فهرعوا إلى رسول الله ﷺ يجأرون بالشكوى ويضجون من العنت الذى يلاقونه. يرجون دعوة نبوية تنهى ذلك الطغيان فهم يريدون تعطيل الأسباب كأنهم يبغون نهاية صراع الخير والشر يطلبون من رسول ﷺ أن يدعو على أعداء الدعوة غلاظ القلوب وعتاة قريش وينتهى الصراع وتنتصر الدعوة. ولكن النبى ﷺ المعلم لايرد بالرفض المجرد لكنه يضع الأسس ويرسم معالم الطريق للرسالة الخالدة وفى ذات الوقت يطمئن الأفئدة الواجفة على النهاية الحتمية للدعوة الرشيدة ولكل دعوة مستقيمة خلفها رجال عظماء مؤمنون بعدالتها مدافعون عن مبادئها مستمسكون بها لا يتهاونون ولا يفرطون ولا يتجاوزون يقول النبى الهادى المعلم.. «والله لينصرن الله هذا الدين حتى يخرج الرجل من صنعاء إلى حضر موت لا يخاف إلا الله والذئبة على غنمه ولكنكم تستعجلون» ثم يضرب الرسول ﷺ مثلا لتمسك الأمم السابقة بدينها ومبادئها فيقول: «كان الرجل من الأمم قبلكم يؤتى به فيشق بمنشار من مفرقة فما يصرفه ذلك عن دينه ولكنكم تستعجلون» تخلص من كل ما سبق ان كل هذه المحن التى عانى منها المسلمون ما هى إلا عمليات لتحفيز عوامل

المقاومة والقوة لدى المؤمنين كما انها وسائل اختبار لاكتشاف طاقات العمل المنتج الخلاق اتساقا مع قوله تعالى:

﴿ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾

وكما يقولون وأخيراً وليس آخراً اجتثاث بذور أمراض يعلم الله سبحانه وتعالى ان المسلمين سوف يعانون منها وتكون سبباً في تخلف ركبهم وهي طرحهم للأسباب واتخاذهم الاتكالية المدمرة منهجا ممقوتاً أسلمه إلى تخلف بليد فكان لابد لهذا البطش المدمر المضني أن يقوى مسيرة المسلمين ليصححوا مسيرة البشر ويقوموا اعوجاج الدنيا حتى تفئ إلى نعيم الإسلام ومنهج السببية الواعي الرشيد، ولكنا نقول بكل أسف وحزن: إن العالم كله قد استفاد من معاناة المسلمين وأخذ بالأسباب ونهض وتقدم ومازال المسلمون يمارسون ترك الأسباب والركون إلى اتكالية مدمرة نسأل الله تعالى الخلاص منها.

وبرغم كل هذه الصعاب بدا الإسلام ينتشر وتكثر جماعة المسلمين وكلما كثرت جماعة المسلمين كلما اشتد بطش المشركين ولكن إسلام عمر بن الخطاب كان فتحاً ونصراً وفي هذه الفترة وقع حادث نود أن نستعرضه لنبين مافيه من معان نحن في حاجة إليها.

إن أبا لهب هم بإيذاء النبي ﷺ وتكاد كتب السيرة والتفسير تجمع على أنه لما نزلت سورة:

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾

(المسد: ١)

قالت امرأة أبو لهب إن النبي ﷺ قال فيها شعرا يهجوها فأضمر زوجها أن يحمل حجراً ويترصد به سجود رسول الله ﷺ ويلقيه على رأسه وما أن هم بما أراد وحمل الحجر حتى رأى أن يداه لا تستطيعان الفكاك من الحجر كما أن الروايات تكاد تجمع أن سبب نزول قولة تعالى:

﴿ أَرَءَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴾

(العلق: ٩، ١٠)

إلى قوله تعالى:

﴿ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴾ (العلق: ١٥)

وأن أباجهل لما هم بتنفيذ ما أضمره رجع على عقبه وانقلب على ظهرة وقال رأيت بيني وبين محمد خندق من نار وان جمل ضخما يكاد يفتك بي هذا ماترويه كتب السيرة وكتب التفسير وتكاد تجمع عليه ويروى ابن كثير عند تفسير سورة العلق أن أبا جهل قال واللات والعزى لأن رأيته يصلي -يقصد رسول الله ﷺ لأطأن على رقبته ولأعفرن وجه في التراب فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ليطأ على رقبته فما فجأهم إلاهو ينقص على عقبيه ويتقي بيديه. فقيل له: مالك؟ قال: إن بيني وبينه خندقا من نار وهولا وأجنحة «فقال رسول الله ﷺ لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا» وليس لنا أن نناقش ماورد، لكن نحسب أن لدينا سؤالا يطرح نفسه ويطلب الإجابة، وهو: لماذا لما اشتد الأذى بالمسلمين وهرعوا إلى رسول الله ﷺ يطلبون معجزة من الله استنكر عليهم وقال لهم: «والله لينصرن الله هذا الدين حتى يخرج الرجل من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمة ولكنكم تستعجلون» لماذا أنكر رسول الله ﷺ أن يطلبوا معجزة يخلصهم الله بها من هول ما يعانون مع أنه ﷺ يخبر عن نفسه بان أبا جهل لو تجرأ ودنا منه لاختطفته الملائكة عضواً عضواً. ورغم ما في هذا التساؤل من سوء الأدب لما فيه من الجرأة على مقام النبوة إلا اننا لا نمنع هواجس النفس الخبيثة وما توسوس به الشياطين فنقول: إن الإجابة واضحة فيما قاله سيدنا أبوبكر للنبي ﷺ عند الهجرة وهما خارجان من مكة يسيران وحدهما وقريش تترصدهما. وأبو بكر مرة يسير خلف النبي ﷺ ومرة أمامه ومرة عن يمينة ومرة عن شماله فيسأله النبي ﷺ عن سبب ذلك فيعرب عن خوفه عليه ﷺ ويقول: إن قتلت أنا فأنا واحد وإن قتلت أنت يا رسول الله فداك أبي وأمي قتلت بك أمة، وأيضا ما أخبر به ﷺ أن أبا جهل لن يصل إليه لو حاول أن يصل إليه ولابد أن يتحقق ما أخبر به ﷺ وأبو جهل يعرف صدق الرسول ﷺ واستجابة دعوته وان الله منجز له وعده ووعيده وقد توعد النبي ﷺ أحد أبناء أبا جهل وقال: اللهم سلط عليه كلبا من كلابك. أيقن أبوجهل ان ولده مقتول وأيقن ولده أنه مقتول ورغم كل ما أخذاه من حيطة وحذر فقد جاء الأسد وتحسس من حول ولد أبي جهل حتى وصل إليه ونفذ وعد رسول الله فيه وليس ذلك بغريب أو عجيب فإن أول من أيقن بتحقق وعد النبي ﷺ هو أبو جهل وقال: إن كان محمد قد دعا فلا بد ان تتحقق دعوته وصدق الله حيث يقول:

﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾

(الأنعام: ٣٣)

وبعد كل ما سبق فيمكننا أن نؤكد إن الشدة التي تعرض لها المسلمين ما هي إلا تهيئه للمجتمع المسلم حتى يكون مجتمعاً قوياً متماسكاً وليس مجتمعاً رخواً ليناً ينهار أمام أي عاصفه تهب عليه ولذلك وجد منه من يقول: والله يا رسول الله لو استعرضت بنا هذا البحر لنخوضه لخضناه معك، أما حفظ الله سبحانه لنبيه رغم ما عاناه وما قاساه مع المسلمين في سبيل الدعوه فكان لابد أن يكون حتى تصل الدعوة إلى نهايتها ويتحقق قوله تعالى:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

(المائدة: ٣)

ومع كل هذا فإن رسول الله ﷺ كان أول من يباشر الأسباب ويعمل وفق منهج الله فيها، ولذلك كان يتخذ حراساً يحرسونه حتى نزل قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾

(المائدة: ٦٧)

فلما نزلت هذه الآية صرف النبي ﷺ حراسه وقال لهم: «انصرفوا فقد تولى الله حراستي» منتهى الأدب مع أسباب الله والعمل بظاهر الشريعة عكس ما يروج له المدعون. مع أنه ﷺ يوقن بحفظ الله له إلا أنه لا يفعل حتى نزل الوعد صريحاً:

﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾

بين الصحف و المجلات

إعداد

أ/ علاء عبدالرحمن

مركز إسلامى ومسجد .. معركة فى أمريكا

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ محمد أبوالحديد مقاله المنشور فى جريدة الجمهورية الصادرة بتاريخ ١٩/ ٨/ ٢٠١٠م يقول فيه:

شغلتنى متابعة هذه المعركة عن كل ما عداها، رغم أنها تدور فى أمريكا وليس فى مصر.

لكن المعركة تدور حول مشروع بناء مركز إسلامى ومسجد فى نيويورك، على مقربة من مكان برجى مركز التجارة العالمى اللذين ضربتهما أحداث الحادى عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١، وصاحبا المشروع أمريكيان من أصل مصرى.

والمشروع يثير جدلاً شديدا فى أمريكا، على المستوى السياسى، وعلى مستوى الرأى العام ويستغله اللوبى الصهيونى من جانب.. والحزب الجمهورى المعارض من جانب آخر، مع اقتراب ذكرى أحداث الحادى عشر من سبتمبر.

ومع دخول الحزبين الديمقراطى والجمهورى فى أجواء انتخابات التجديد النصفى للكونجرس المقررة فى نوفمبر القادم.

تعالوا نتابع معا تفاصيل هذه المعركة.. لقد أصبح اسم كل من «فيصل عبدالرءوف» و«شريف جمال» من أكثر الأسماء انتشارا فى وسائل الإعلام الأمريكية. فيصل هو إمام مسجد صغير فى نيويورك، درس العلوم الدينية فى الأزهر، والعلوم الطبيعية فى جامعة كولومبيا.

وهو معروف فى نيويورك كلها من عشرين سنة بأنه من القيادات الإسلامية المعتدلة، ويعمل بتعاون كامل مع نظرائه المسيحيين واليهود فى المدينة، أما شريف جمال، فهو رجل أعمال شاب -٣٨ سنة- مولود فى بروكلين من أب مصرى الأصل وأم بولندية ويمتلك شركة عقارية.

كان شريف يتردد على المسجد لصلاة الجمعة من كل أسبوع، وتعرف على فيصل، ونشأت بين الاثنين صداقة شخصية، نبتت من خلالها فكرة المشروع.

والفكرة عبارة عن إقامة مركز إسلامى كبير من ١٣ طابقا، يضم مسجدا ومكتبة ومسرحا وقاعة كبرى للمحاضرات ومطعما، وملاعب رياضية وحضانة للأطفال. وأن يقام بالقرب من موقع أحداث الحادى عشر من سبتمبر، التى نسبت إلى الإسلام والمسلمين ليكون ردا على هذه الأحداث، وإبرازا للوجه الحقيقى للإسلام الذى يرفض العنف والإرهاب، وتأكيدا على اندماج المسلمين فى أمريكا فى المجتمع الأمريكى..

وشرع الاثنان فى إجراءات تنفيذ الفكرة وحصلا فى مايو الماضى على موافقة المجلس البلدى فى نيويورك بعد أن قدما ما يفيد ملكيتهما للأرض التى سيقام عليها، وقدرتهما على توفير التمويل اللازم.

والثالث من أغسطس حصلا على موافقة نهائية وبالإجماع من اللجنة المختصة فى بلدية نيويورك.

وبدأت المعارضة تنفجر فى وجه المشروع وصاحبيه.. وانتهز اللوبى الصهيونى الفرصة ليشعلها نارا.

أصدرت «المنظمة اليهودية لحقوق الإنسان» بيانا يعد نموذجا لما نسميه «دس السم فى العسل» البيان يقول فى مقدمته:

«يحق لمؤيدى فكرة المركز الإسلامى بناء المركز فى الموقع الذى اختاروه وليس من العدل الهجوم المتعصب الذى تعرضوا له من البعض، فربما كان الهدف وراء اختيار هذا الموقع بالذات لبناء المسجد ومركز الدراسات إرسال رسالة إيجابية عن الإسلام».

لكن البيان ينتهى إلى الآتى:

«غير أن الأمر الفصلى فى هذه المسألة كونها ليست مسألة حقوق، بقدر ما هى مسألة ما هو الصحيح فى الأصل»

«وفى اعتقادنا أن بناء مسجد ومركز إسلاميين فى ظل برجى مركز التجارة العالمية سوف يسبب أذى لبعض ضحايا الهجمات على المركز، وهذا ما لا نرى ضرورة له»

«وعليه، فليس صحيحا ولا مقبولا بناء منشآت إسلامية هناك»

انتهى البيان

والذى تابع تطورات المعركة حول المشروع لابد سيكتشف أن كل الجدل الدائر بين مؤيدى المشروع ومعارضيه من الأمريكيين، لم يخرج عن مضمون هذا البيان، وإن كان البعض -لاعتبارات سياسية انتخابية- قد أخذ القضية إلى مجال أبعد من مجرد أن إقامة المشروع يمكن أن يؤذى مشاعر بعض ضحايا الهجمات.

- نيوت جنجريتش رئيس مجلس النواب السابق وأحد أقطاب الحزب الجمهورى المحتمل أن ينافسوا أوباما فى انتخابات الرئاسة عام ٢٠١٢.. وصف مشروع المسجد بأنه «موطىء قدم» وأنه انتصار يمهد لانتصارات أكبر للإسلام فى أمريكا وأن أمريكا تشهد هجوما إسلاميا ثقافيا وسياسيا يهدف إلى تقويض حضارتها وتدميرها، وأن الإسلاميين يريدون فرض حكم الشريعة على العالم برمته بما فى ذلك الولايات المتحدة.

- سارة بالين التى كانت مرشحة نائبا

للرئيس على لائحة المرشح الجمهورى جون ماكين منافس أوباما فى الانتخابات السابقة ٢٠٠٨ وصفت المشروع بأنه «طعنة فى القلب» وطالبت بعدم السماح بتنفيذه.

> ودخل الرئيس أوباما على الخط فى الإفطار الرمضانى السنوى الذى أقامه فى البيت الأبيض لقيادات المسلمين فى أمريكا تلقى سؤالا حول المشروع.. قال: بصفتى مواطنا، بصفتى رئيسا أعتقد أن المسلمين يملكون الحق فى ممارسة شعائرهم الدينية، شأنهم شأن أى شخص آخر فى هذا البلد، وهذا يتضمن الحق فى بناء مكان للعبادة ومركز لهم على أرض ملكية خاصة.

أضاف: نحن موجودون فى الولايات المتحدة والتزامنا بحرية المعتقد يجب أن يكون ثابتا..

وأشعلت تصريحات أوباما نيران المعركة بصورة أكبر وتعرض لحملة قوية من الجمهوريين واتهموه بالانحياز، وأنه كرئيس ما كان له أن يعلن موقفا لصالح فريق ضد فريق آخر.

واضطر أوباما قبل مرور ٢٤ ساعة على تصريحاته لتوضيح موقفه فيما وصفه الكثيرون «بالتراجع» فقد قال: إنه انحاز للدستور وليس للمشروع.. لكن الحملة ضده لم تتوقف.. مما دفع البيت الأبيض إلى إصدار ثلاث بيانات متوالية حول هذه التصريحات.

والمتابعة كشفت عن جوانب إيجابية ومضيئة تستحق التسجيل.. فمثلاً..

أحد الكتاب هو «دويل ماكمانوس» الذى كتب مقالاً بعنوان «مسجد مانهاتن قرار صائب» قال فيه: «إنه إذا سمح للمسلمين الأمريكيين ببناء مساجد فى الأماكن التى يتكرم المسيحيون واليهود بالموافقة عليها فقط، فإننا سنكون قد أثبتنا فى هذه الحالة صحة ما يزعمه الإسلاميون المتطرفون من أن الغرب هو عدو لكل المسلمين»

وأخيرا فإن اللوبى الصهيونى مصمم على استغلال هذه المعركة إلى أقصى مدى كورقة ضغط على الرئيس أوباما وإدارته، خاصة بعد تصريحات محمود الزهار أحد قادة حركة حماس أن الحركة تؤيد المشروع.. وهو تأييد يعرقل المشروع -فى هذا الجو- أكثر مما يدعمه.

وأن الجمهوريين أيضا مصممون على وضع هذا المشروع على أجندة معركتهم الانتخابية ضد الديمقراطيين فى نوفمبر القادم، من أجل الفوز بالأغلبية فى الكونجرس.

ورغم أن فيصل عبدالرءوف وشريف جمال يواجهان العاصفة بهدوء كامل ويؤكدان أن العمل فى إنجاز المشروع يمضى فى الطريق المرسوم له، إلا أننى شخصيا أتوقع عقبات كثيرة سوف توضع فى طريقه خلال الفترة القادمة ولذلك يأتى واجب المساندة من الهيئات الإسلامية والعربية التى لا يشك أحد فى أنها تمثل وجه الإسلام الصحيح والمعتدل بعيدا عن تسييس القضية.

وهى فرصة لنرى أى الأمريكتين ستنتصر على الأخرى.. أمريكا الدستور أم أمريكا الثقافة.

فإذا انتصرت أمريكا الدستور فسوف يظهر المركز والمسجد إلى النور فى الموقع المحدد لهما.

وإذا انتصرت أمريكا الثقافة، فقد لا يجد فيصل وشريف مفرا من تحويل الفكرة من مركز إسلامى ومسجد فقط إلى مجمع للأديان الثلاثة، ويكون لهما وللإسلام والمسلمين فيه شرف المبادرة والدعوة.

إعلان حرب على الإسلام

تحت هذا العنوان جاء التحقيق الذى أعده الأستاذ/ إبراهيم قاعود المنشور فى مجلة آخر ساعة الصادرة بتاريخ ٤/٨/٢٠١٠م يقول فيه: فى ولاية فلوريدا الأمريكية أعلنت إحدى الكنائس عن تخصيص يوم الحادى عشر من سبتمبر كيوم عالمى لحرق المصاحف فى واحدة من أسوأ الإساءات للقرآن الكريم والإسلام والمسلمين، وملصقات دعائية على حافلات النقل فى كبرى المدن الأمريكية تدعو المسلمين للارتداد عن دينهم ووقف ما يسمى بأسلمة أمريكا، واستجواب سبعة مسلمين أمريكيين لمجرد أدائهم للصلاة فى إحدى محطات البنزين بولاية نيفادا، ومقتل مسلم بريطانى مسن بصورة وحشية على يد صبيين أمام أحد المساجد، واعتداء على مسلمة فى سكوتلندا ونزع حجابها بالقوة، وأسبانيا تغلق بالشمع الأحمر مسجدا وتعتقل إمامه، وبرلمانات أوروبا وحدت جهودها لحظر الحجاب والنقاب، وتقييد بناء المساجد والهجرة إليها.. كل تلك الممارسات تأتى فى إطار وقف المد الإسلامى فى الوقت الذى تهتز فيه أركان الكنيسة الكاثوليكية جراء الفضائح الجنسية والمالية حول العالم، وانتشار الإلحاد والمحاولات لاسترجاع ذاكرة وميراث العداء بين الغرب و الإسلام ليتحول الغرب لساحة للتطرف والعداء للإسلام تحديدا أو العدو الأخضر الذى يهدد -كما يدعون- الهوية والحضارة الغربية.

هناك تخوف حقيقى لدى الغرب من الزحف الإسلامى السلمى الهادىء والذى لا يستخدم سوى سلاح الكلمة والحوار وفى أسباب إقبال الغربيين على الإسلام تأتى أغلب الإجابات من المسلمين الجدد أنهم وجدوا إجابات منطقية عن أشياء حاروا فيها طويلاً عن الوجود والكون فى الإسلام، كما أنهم عاشوا طويلا مع أفكار مغلوطة عن المسلمين استمدوها من مناهج التعليم ووسائل الإعلام مثل ربطهم بصور نمطية سلبية ومشوهة كالإرهاب والدموية وحرمان المرأة من حقوقها، كما أن الحملات العنيفة ضد الإسلام تأتى بنتائج عكسية لأنها تلقى بالمزيد من الأضواء على الدين الجديد بالنسبة للكثيرين من أبناء الغرب الذين يسارعون لمحاولة معرفته وهو ما حدث بصفة خاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر وتشير الإحصاءات إلى أن نحو ٢٠ ألف أمريكى يتحولون للإسلام سنويا معظمهم من طبقات تتمتع بثقافة ومستوى معيشة مرتفع.. كما شهد العالم الإسلامى تكثيفا للنشاط التبشيرى فى أفريقيا وآسيا من الكنائس الكاثوليكية والإنجيلية اعتمادا على فراغ الساحة من الجمعيات الإسلامية والكوارث التى حلت ببعض مناطق العالم (الزلازل والفيضانات فى آسيا والفقر فى أفريقيا) ويكفى القول أن النشاط التبشيرى فى منطقة حوض النيل هو أحد أسباب توتر العلاقات بين دول المنبع والمصب، وفى آسيا تشهد أندونيسيا التى تعد أكبر دولة إسلامية من حيث السكان حملات

تنصير شاملة استغلالا للفقر والنتائج المأسوية للفيضان يشارك فيها الآلاف من الجمعيات والمؤسسات المسيحية العالمية.

وفي النهاية يقول الكاتب:

وإذا كان الغرب جادا في الحوار مع الشرق الإسلامي، فإن البداية تكون باستبعاد لغة التعالي والعنصرية والغرور التي طالما حكمت العلاقة بين الطرفين طويلا. فتحت مظلة الإنسانية تتساوى الحقوق والأمان الوحيد لإنسان هذا العصر هو أن يعيش في سلام وأن يدع الآخرين يعيشون تحت نفس المظلة.

أدبيات أمريكية تشيع الهلع من «أورابيا» «أوربا العربية والمسلمة» الوشيكة

تحت هذا العنوان كتب جوستان فايس - باحث في «بروكينز انستيتيوشن» عن «اسبرى» في جريدة الحياة الصادرة في ٢٥/٨/٢٠١٠م يقول:

تروج في الولايات المتحدة أدبيات تزعم أن الإسلام على وشك السيطرة على أوربا، أو أن أوربا تخسر يوما بعد يوم هويتها الغربية جراء غزو المهاجرين المسلمين، وتسائل هذه الأدبيات: هل تبقى أوربا من غير أوربيين؟ وتجيب على شاكلة جواب كريستوفر كالدويل، صحفي «الفاينشيل تايمز» و«الويكلي ستاندرد» في ملخص كتابه «آراء في الثورة في أوربا» (٢٠٠٩) بـ«لا»، وتشيع الأدبيات مقدمات خاطئة تتناول السكان، واجتماعية الجيل المولود من المهاجرين، والهوية الإسلامية، وكالت الصحافة الأمريكية كلها المديح لكتاب كالدويل.

ويزعم كالدويل أن حوادث التخريب التي طالت مرافق يهودية مثل الجبانات والهياكل، وبعض اليهود غداة أيلول (سبتمبر ٢٠٠٠) هي في معظمها من فعل فرنسيين وأصول مغاربية - وقدرت الشرطة، على الضد من هذا الزعم، أن حصة المسئولين عن أعمال التخريب والتهديد من ذوي ومن أصول المغاربية أو «العربية - الإسلامية» عموما استقرت على ٢٠ إلى ٤٠ في المائة من هذه الأعمال غداة العام ٢٠٠٠.

ويقرر كالدويل أن غالبية نسبية من المقترعين في استفتاء ٢٠٠٥ على المعاهدة الدستورية الأوربية تذرعت برفضها ضم تركيا إلى الاتحاد الأوربي واقترعت بـ«لا» على المعاهدة، والحق أن «أوربارومتر» وهيئة استطلاع آراء الأوربيين، أحصت ٦ في المائة من المستفتين عللوا اقتراعهم برأيهم في ضم تركيا ولم يخصصوا الإسلام سببا في الرأي هذا. وإلى هذا يغفل صاحب «آراء في الثورة في أوربا» العناصر الإيجابية التي تبرز اللوحة في حلة أقل قتامة؛ فهو يسكت عن نجاح حقيقي في دمج المهاجرين إلى أوربا في بعض مجتمعاتها، وعن بعض القبول الأوربي بالإسلام جزءا من الحياة الأوربية العامة، وفي عدد من البلدان الأوربية يتبوأ أولاد مهاجرين مكانة عالية، وتقاوم هذه المجتمعات التمييز «القومي» من طريق منظمات مدنية كثيرة.

ولم يزعم أحد أن ولادة إسلام أوربي مسألة يسيرة، وأن طريقها خالية من المعوقات، ولكن كُتّابا مثل كالدويل ينكرون «تاريخية» الوقائع التي يتناولونها، وملابساتها أوقاتا وأقوالا بعينها.. فهم ينسبون وقائع اندماج المهاجرين وأولادهم في المجتمعات الأوربية ومعوقاتها ومشكلاتها إلى استحالة أبدية لا علاج لها ولا تقارن بسابقة ولا بأشباه. والحق أن تاريخ البلدان الأوربية هو نسيج سوابق «فريدة» من الضرب نفسه، ولم تكن معالجتها يسيرة فعلى زعم كالدويل وأمثاله فجأة صارت الحال لا تطاق والسماء توشك أن تطبق على الأرض.

ويسكت كالدويل ومن يرون رأيه عن فداحة التمييز والعنصرية، وعن آثارهما على المهاجرين ومجتمعاتهم؛ فهم لا يلمحون ولو من طرف خفي إلى مشكلات التمييز والعنصرية.

ويقدر بعض زملاء كالدويل أن أوربا على وشك التحول إلى أوربا عربية (أورابيا) في غضون جيل واحد، ويتحفظ كالدويل على توقيت التحول بجيل واحد، ولكنه شأنه شأن زملائه، يزعم أن عدد المسلمين في أوربا يضارع عدد الأيرلنديين الذين حلوا بواشنطن في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وصبغوا المدينة بهويتهم.

والأدبيات الأمريكية التي تتناول «أورابيا» تتكاثر وإلى الأعوام الأخيرة من القرن العشرين (١٩٩٠ - ٢٠٠٠) دارت المناقشات والخلافات السياسية الخارجية والأنظمة الاجتماعية العقيمة.

وتنشر الأدبيات هذه صورة منحرفة ومشوهة عن تحديات حقيقية ناشئة عن الهجرة، ولكن الأدبيات تبث القلق والخوف، وتدعو إلى خلاف التعقل والمعالجة المدروسة. وهي تنكر الإجراءات البطيئة والعسيرة التي تتولاها السياسات الأوربية الساعية في دمج جاليات المهاجرين في مجتمعاتها من غير تعسف ولا افتعال.

أصل الحكاية بـ«شينجيانج»

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ كمال جاب الله في جريدة الأهرام الصادرة في ١٩/٨/٢٠١٠م يقول:

أكتب من شينجيانغ بشمال غرب الصين، وقد أمضيت فيها عدة ليال تزامنت مع بدء شهر الصوم. هذه المنطقة يعتنق غالبية سكانها الدين الإسلامي، ولشهر الصوم فيها مظاهر إيمانية خاصة، غير أن الصورة القائمة لما يدبر للمنطقة من فتن وقلاقل لا تزال ماثلة أمام الأذهان خصوصا تلك الأفكار المطروحة من جانب بعض القوى الانفصالية الساعية إلى إقامة ما يسمى بدولة تركستان الشرقية، بعد الأحداث الدامية التي شهدتها شينجيانغ الويغورية في شهر يوليو من العام الماضي تنبهت الحكومة الصينية إلى الاختلالات في سياستها لتنمية المنطقة. في يوم ١٧ مايو الماضي استضافت العاصمة الصينية لأول مرة في التاريخ اجتماعا استغرق ٣ أيام لتنمية شينجيانغ. خلال الاجتماع جرى وضع الأهداف التنموية لشينجيانغ وتتضمن ١١ بندا من أبرزها تركيز الجهود على حل المشكلات المعيشية للسكان. أيضا تم الاتفاق على إشراك ١٩ مقاطعة صينية متقدمة في مساعدة منطقة الحكم الذاتي في شينجيانغ ويتوقع أن يبلغ إجمالي الاستثمارات في المنطقة خلال السنوات الخمس المقبلة نحو ١٥ مليار دولار، وذلك من أجل رفع متوسط الناتج المحلي الإجمالي للفرد إلى المستوى الوطني بحلول

عام ٢٠١٥. إذن.. وحسب ما شاهدت بعيني فإن شينجياغ تشهد في الوقت الحالي ما يمكن وصفه بمرحلة جديدة من الانفتاح والبناء والتطوير. هذه المرحلة تعكس إرادة رسمية صينية عليا يراد من ورائها تقريب الفجوة بين شينجياغ وبين رغد العيش، وطي صفحة الاضطرابات بالمنطقة إلى غير رجعة.

مسلمو ألمانيا بين إيجابيات قانون الاندماج وسلبيات «الإسلاموفوبيا»

تحت هذا العنوان جاءت كلمة الأستاذ/ مازن حسان المنشورة بجريدة الأهرام الصادرة بتاريخ ١٢/ ٨/ ٢٠١٠م، يقول:

احتلت قضايا الإسلام والمسلمين مساحات واسعة من اهتمامات السياسيين ووسائل الإعلام الألمانية خلال الآونة الأخيرة، هذا الاهتمام الرسمي والإعلامي بشئون الجاليات المسلمة حمل العديد من الأخبار السارة لمسلمي ألمانيا، ولكنه انطوى أيضاً على جوانب سلبية قد تؤثر على مستقبل الجاليات المسلمة على المدى البعيد.

في مقدمة التطورات الإيجابية التي لمسها المسلمون في ولاية برلين تحديدا، والتي يعيش بها أكثر من نصف مليون مسلم، قانون المشاركة والاندماج الذي أقرته الولاية، والذي يهدف لمساواة المهاجرين، خاصة المسلمين منهم بالمواطنين الألمان من حيث فرص العمل في مؤسسات الدولة، وإلغاء التمييز الذي يتعرضون له عند التقدم لفرص العمل المختلفة أو تأجير المساكن، كما يقصر القانون وصف «المواطن من أصل أجنبي» على أبناء الجيلين الأول والثاني فقط من المهاجرين.

كما يسمح هذا القانون لأول مرة للمسلمين بدفن موتاهم وفقا للشريعة الإسلامية، وهو ما يزيد ارتباط المسلمين بألمانيا بعد أن كان معظمهم يرسلون موتاهم للدفن في تركيا أو الدول العربية التي ينحدرون منها.

من الأخبار السارة كذلك، دفاع وزيرة التعليم والبحث العلمي «أنيتا شافان» عن تدريس الدين الإسلامي في مدارس ألمانيا، ورغم تصريحات بأنها تتفهم مخاوف الألمان من الإسلام، فإن حوار الأديان والدستور الألماني يتطلب إخراج تدريس الدين الإسلامي من القناعات الخلفية للمساجد، ليصبح من الممكن تدريسه باللغة الألمانية في المدارس على أيدي مدرسين يتم تأهيلهم في الجامعات الألمانية، الأمر الذي بدأ العديد من ولايات ألمانيا في تنفيذه.

كذلك أثلج خبر تعيين «إيجول أوتسكان» أول وزيرة مسلمة في تاريخ ألمانيا لتصبح وزيرة لشئون الاندماج في ولاية ساكسونيا السفلي صدور الكثيرين.. وفي مقابل ذلك، حملت الأيام الأخيرة أخبارا غير سارة لمسلمي ألمانيا، فقد حذرت دراسة حديثة لمعهد بحوث المناهج الدراسية في «براونشفايج» من الصورة السلبية للإسلام في المناهج الدراسية في مدارس ألمانيا، واتهمت أستاذة علم الأديان «جيردين بوتكر» دور النشر التي تطبع كتب التاريخ والثقافة العامة بأنها تسهم في تشويه صورة هذا الدين وأتباعه عن قصد أو دون قصد.

فكل الكتب المتوافرة تروى قصة واحدة عن الإسلام تدور أحداثها في العصور الوسطى وخلاصتها أن المسلمين احتلوا أوروبا، وأن الأوروبيين اضطروا للدفاع عن أنفسهم.

وهناك مؤشرات على أن الأحزاب اليمينية المتطرفة تسعى لتأسيس حزب معاد للإسلام في ألمانيا على غرار حزب الحرية الذي يرأسه جيرت فيلدرز في هولندا، والذي تمكن الآن من المشاركة في الائتلاف الحاكم في البلاد.

أمن إسرائيل المزعوم

تحت هذا العنوان نشرت جريدة المساء مقالا بعددها الصادر بتاريخ: ٩/ ٨/ ٢٠١٠م يتضمن ما يلي:

اشترطت إسرائيل مرارا وتكرارا أن أي تفاوض مع الفلسطينيين لابد أن يحقق لها الأمن، لكن المشكلة أن الدولة العبرية ترفض الحقيقة المنطقية بأن أي دولة تريد الحفاظ على أمنها، عليها العيش في «سلام» مع جيرانها أولاً.

لقد اتخذت إسرائيل مما تسميه «مخاوف أمنية» ذريعة لاحتلال الأراضي العربية في فلسطين ولبنان وسوريا وارتكاب العديد من الجرائم في حق الفلسطينيين العزل من سفك لدم الأبرياء وهدم المنازل والاستيلاء على أراضيهم لصالح المستوطنين الذين جلبتهم من مناطق مختلفة من العالم.

ولا تزال الدولة العبرية تتخذ من مخاوفها الأمنية المزعومة الذريعة لعدم رد حقوق الفلسطينيين المسلوبة المتمثلة في إقامة دولتهم المستقلة على حدود ١٩٦٧ وعاصمتها القدس. فالحكومة الإسرائيلية بزعامة بنيامين نتانياهو تشترط إقامة دولة فلسطينية منزوعة السلاح أي بلا جيش وتصر على أن القدس هي العاصمة الأبدية لإسرائيل وأن الاستيطان لم ولن يتوقف.

كارثة الفيضان في باكستان

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ جمال عبدالرحيم في جريدة الجمهورية في ١٠/ ٨/ ٢٠١٠م يقول:

الفيضانات والسيول المدمرة التي تعرضت لها باكستان تعد الأسوأ في تاريخها حيث أدت إلى مقتل أكثر من ١٦٠٠ شخص وإصابة الآلاف ناهيك عن تشريد حوالي ١٥ مليون مواطن بعد تدمير منازلهم، بالإضافة إلى تفشي الأمراض الخطيرة بين المواطنين وظهور أعراض مرض الكوليرا.

رغم تلك الكارثة إلا أن الرئيس الباكستاني «آصف علي زرداري» سافر في جولة أوروبية زاعماً أن زيارته لبعض الدول الأوروبية الهدف منها حث تلك الدول على تقديم المساعدات الإنسانية لضحايا الفيضانات إلا أن الواقع يؤكد أن تلك الدول لم تتحرك لتقديم أي مساعدات والسبب واضح بالطبع وهو أن هؤلاء الضحايا والمشردين من المسلمين في الوقت الذي سارعت فيه العديد من الدول الأوروبية بتقديم مساعدات مادية ومعنوية لضحايا حرائق الغابات التي تتعرض لها روسيا.

ونهاية.. أتمنى أن تستجيب الدول العربية والإسلامية لنداء الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، وكذا منظمة المؤتمر الإسلامي، بسرعة تقديم المساعدات الإنسانية للمشردين الباكستانيين والبالغ عددهم ما يقرب من ١٥ مليون شخص جراء الفيضانات التي دمرت منازلهم.



١

للأستاذ/ عادل خفاجة

قبل أن نبدأ قراءتنا فى هذا الكتاب لابد أن نلقى نظرة سريعة على العقلية الإسلامية المعاصرة والعقلية الغربية المعاصرة.

فهذه الأخيرة ألفت الابتكار وتصدير ما تنتجه إلينا وقد ألفت أيضاً أن تنتج الجيد والردىء وتضخه إلى هذه الأمة الإسلامية التى ركنت إلى الخمول والكسل مادام يرد إليها كل ما تحتاجه فتحولنا إلى أسواق تلتهم كل ما يلقى إليها.

وتفرغت العقلية الإسلامية - كلما ورد إليها ما يبهر من إبداعات غربية - للبحث عن صدى لهذا الإبهار فى نصوص العقيدة الإسلامية: فاكتفينا حين علمنا بوجود صنابير للمياه تفتح وتغلق آليا - باستخراج النصوص الدالة على سبق الشريعة الإسلامية إلى الحث على الاقتصاد وعدم الإسراف.

وحين شاهدنا «التلفاز» ينقل خطاباً على الهواء مباشرة من أقصى الغرب ليبثه فى أقصى الشرق، جاء حديثنا ليؤكد صدق الرسالة الإسلامية وصدق رسول الله - ﷺ - فى كل ما رأى من مشاهد ليلة الإسراء وقلنا: إذا كان التلفاز وهو من صنع الإنسان ينقل لنا هذه المشاهد، فكيف بقدرة الله الخالق؟!

وكأننا فى شك من أمر ديننا نبحث عما يؤكده .. أو كأننا نبحث عن السعادة فى هذه الأخبار التى تؤكد أننا على الدين الحق.

ناهيك عن أجهزة أكثر حداثة كثلاجات تتعقب تاريخ انتهاء صلاحية الطعام.

وأجهزة إنذار الحريق التى تطلق صافرة الإنذار عند الاستشعار بوجود الدخان بالإضافة إلى برمجتها لاستدعاء رجال الإطفاء والشرطة.

والسؤال الذى يفرض نفسه: ما الذى جعل العقلية الإسلامية تنتقل من الدور الفاعل إلى الدور الخامل؟!

وأين هذه العقلية من الأمر الإلهى «اقرأ»؟

من أجل هذا جاء الكتاب الذى بين أيدينا يضم مجموعة من الدراسات التى تمثل مدخلا لتبادل الرأى والحوار البناء حول أسس تكوين العقلية الإسلامية المعاصرة وترشيدها عن طريق بلورة نظرية عامة للعلم والتقنية، فى إطار من التصور الإسلامى المستمد من القرآن الكريم والسنة المشرفة.

ذلك أن المنهج الإسلامى - بربانيته وعالميته - هو الأقدر على تقديم الحلول الشافية لكل المشكلات التى تؤرق العقل عن الكون ومصير الإنسان، فضلا عن أنه يتسع لكل القيم النبيلة التى تجعل من المعرفة عموماً غاية سامية لخدمة المجتمع الإنسانى بأسره، نظراً لما لها من علاقة وثيقة بالبحث عن الحقيقة فى أعماق النفس، وفى آفاق الوجود.

مؤلف الكتاب:

هو الأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا

أستاذ الفيزياء - والعميد الأسبق لكلية العلوم جامعة القاهرة وعضو مجمع اللغة العربية وعضو المجمع العلمى المصرى ونائب رئيس جامعة القاهرة السابق.

وهو الآن أستاذ متفرغ بالكلية - ومستشار رئيس الجامعة لشئون خدمة المجتمع.

وهو عضو فى هيئات ولجان علمية وثقافية عديدة وللدكتور أحمد فؤاد باشا إنتاج علمى غزير فى مجال الفيزياء يزيد على أربعين بحثا منشورا فى المجلات المتخصصة باللغة الإنجليزية، وقد أثرى الدكتور أحمد فؤاد باشا المكتبة العربية بما يزيد عن ستين كتاباً ومرجعاً (ما بين مؤلف ومترجم ومحقق) نذكر منها:


أحمد فؤاد باشا

- فى فقة العلم والحضارة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة ١٩٧٧.
- التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة، القاهرة ١٩٨٣.
- فلسفة العلوم بنظرة إسلامية، القاهرة ١٩٨٤.
- أساسيات العلوم المعاصرة فى التراث الإسلامى-دار الهداية القاهرة ١٩٩٧.
- الضوء والحياة دار سفير للنشر - القاهرة ١٩٩٧.

وله العديد من المقالات بمجلة الأزهر منها:

- العلوم الكونية فى التراث الإسلامى.
- قراءة فى كتاب الكون.
- الاتجاهات المعاصرة فى دراسة العلم الإسلامى.

الكتاب:

يقع الكتاب فى مائة وسبع وتسعين صفحة من مقاس ١٧سم×٢٣سم عن دار الهداية

للطباعة والنشر والتوزيع.

ويتكون الكتاب من مقدمة وسبعة فصول وهى:

١- فلسفة العلوم بين المثالية والواقعية.

٢- إشكالية التحيز فى تاريخ العلم والتقنية.

٣- نشأة العلم القديم وفلسفته.

٤- نحو صياغة إسلامية لنظرية العلم والتقنية.

٥- نسق إسلامى لمناهج البحث العلمى: تحديد الثوابت والمتغيرات.

٦- الموضوعية العلمية وذاتية العلماء.

٧- أبستمولوجيا العلم ومنهجيته فى التراث الإسلامى فلسفة العلوم بين المثالية والواقعية.

فلسفة العلوم

وقد تناول المؤلف فى هذا الفصل معنى فلسفة العلوم وأوضح أنها تعتبر بمثابة اللغة الشارحة للغة العلم الموضوعية فى إطار القيم والمذاهب المادية أو الروحية السائدة.

وأشار إلى أن المشتغلين بموضوعات فلسفة العلم فى عالمنا الإسلامى ليسوا بطبيعة الحال مخيرين إلا بين أمرين لا ثالث لهما:

١- أن ينزلقوا إلى ضياع المذاهب الفلسفية المتصارعة، ويغرقوا فى مستنقعها مع الغارقين.

٢- أن يحاولوا صياغة فلسفة تخصهم على أساس القيم والعقيدة وألمح إلى أنه فى كلا الأمرين ينشغل الكثيرون بالجرى لاهثين وراء الفلسفات الوضعية للمفاضلة بينها واختيار أنسبها فى رأيهم للتقليد أو للتطبيق بصورة عمياء بالرغم من أنهم أكثر الناس علماً بتاريخ هذه الفلسفات الذى يشهد بأنها متعادية فيما بينها ومتداعية مع مرور الوقت، وغالباً ما تنتهى بانتهاء أصحابها.

ويرى المؤلف أن أغلب هؤلاء الحيارى من المفكرين الذين مازالوا يتحسسون الخطى على الطريق الجديد لم يستطيعوا التخلص تماماً من أثر النظريات التى انبهروا بها طلاباً، وقاموا بتدريسها بالترويج لها بعد أن أصبحوا أساتذة وكتاباً ونقاداً، فراحوا يبشرون بفلسفات إقليمية أو قومية تقوم على العلم وتتنكر للدين.

وفى إطار بحثه عن نظرية للعلم الإسلامى يتوقع المؤلف أنه بمجرد البدء فى الحديث عن هذه النظرية فى العلم والتقنية - أن يقفز المتعصبون من أصحاب المذاهب العدائية ومحترفو المناقشات النظرية من أصحاب النزعة اللفظية ليحاصروا كل اجتهادات التنظير الإسلامى بأشواك الثرثرة وصيحات التشكيك مستخدمين فى ذلك كل أساليب التعجيز والاحتواء وقد يتساءل بعضهم مستنكراً: هل هناك وجود بالفعل لما يسمى بنظرية العلم الإسلامية؟!

ومنهم من يقول: إذا كانت موضوعية العلم تقضى بأن تكون له نظرية واحدة، وهى موجودة فى الكتب.. فلماذا تتعبون أنفسكم فى البحث عن نظرية خاصة بكم لماذا لا تتعظون من تجربة الغرب المريرة التى انتهت به إلى ضرورة تشييد حضارته على أساس

الفصل التام بين العلم والدين؟!

ولم يشأ المؤلف أن يترك هذا التدليس دون أن يكشف خبث طوية قائليه فأوضح أنه تظهر إسقاطات أيديولوجية على العلم نفسه الذى قالوا عنه أنه بلا وطن ولا جنس ولا عقيدة وأنه كالماء والهواء ملك لكل الناس فيقول:

فعندما تقرأ الكتب العلمية لمؤلفين فرنسيين تجدهم يميلون إلى تمجيد علماء فرنسا والإشادة بدورهم على حساب غيرهم من علماء الدول الأخرى.

وفى إنجلترا يتحدث الإنجليز عن تاريخ العلم بما يجعله يبدو للقارئ فى كثير من الأحيان كما لو كان يدين للعلماء الإنجليز دون غيرهم.

أما فى أمريكا فإنهم يحرصون فى كل مناسبة على تأكيد تفوقهم العلمى والتقنى ويمكن أن يصل الاهتمام بكشف علمى إلى أعلى المستويات إذا ما توقع له العلماء أهمية استراتيجية أو أثرا مباشرا على حياة الإنسان ومستقبله، مثال ذلك ما حدث فى فبراير ١٩٨٧ عندما اقترح الرئيس الأمريكى رونالد ريجان [١] مرسوما للمنافسة فى مجال تقنية الموصلات الفائقة وطالب باستثناء المعلومات التى تنتجها معامل الأبحاث الحكومية ويتوقع أن تضر بالمركز التنافسى الاقتصادى والأمن القومى للولايات المتحدة.

لقد أصبح العلم صناعة رئيسية ثقيلة بل هو سلاح حضارى رهيب ذلك لأن التقدم العلمى والتقنى لا يقتصر أثره على ما يحدثه من تغيرات كاسحة فى أنماط الحياة، ولكنه أصبح يحل محل الجيوش فى تغيير مراكز القوى الصناعية والسياسية فى العالم.

وينهى المؤلف هذا الفصل بالتأكيد على أنه: إذا ما افتقد العلم موضوعية التأريخ له، باعتباره عملية ممتدة خلال الزمان يتعاقب على أدائها أجيال العلماء من مختلف الأمم، فإنه لا محالة مخفق فى مهمته.

وينهى المؤلف هذا الفصل بقوله:

«إذا كانت الصياغة النهائية لنظرية إسلامية فى العلم والتقنية والشهود الحضارى لم تتوفر بعد، فإن هذا لا يمنع من مناقشة قضايا الفكر العلمى فى ضوء ملامحها الرئيسية التى أرشدتنا إليها النصوص القرآنية والسُّنَّة النبوية المشرفة، وفى إطار خطوطها البعيدة المبثة فى تراث الأجداد من علماء الحضارة الإسلامية على مر العصور.

لكن يبقى أن خيوطها الرقيقة لا تزال بحاجة إلى نساجين مهرة فى كل علم وفن، وإلى أن يأذن الله بمجيئهم، يجب علينا أن نهيىء لهم المنوال الصالح، وأن نعد لهم خيوط الغزل من القطن والصوف والحرير.

إشكالية التحيز فى تاريخ العلم والتقنية

أما الفصل الثانى فقد ناقش فيه المؤلف عدداً من القضايا التى تتعلق بوظيفة العلم والتقنية فى الماضى والحاضر والمستقبل.

(١) لمزيد من التفاصيل يمكن للقارئ أن يطالع ما كتبه المؤلف فى هذا العدد تحت عنوان «الترغيب فى العلم.. ثقافة مجتمع».

عرض من خلالها مظاهر الاهتمام بتاريخ العلم والتفاسير النظرية لتاريخ العلم والتقنية.

واستعرض الأفكار الرئيسية التى تضمنتها النظريات التفسيرية لتاريخ العلم فتناول: نظرية التراكم المعرفى، وأن هذا التراكم يؤدى إلى حدوث تغيير كيفى.

وكذلك نظرية الرؤية المعرفية التى يؤكد صاحبها أن أهمية الرؤية العلمية للباحث فى تاريخ العلم يجب أن تفوق كل ما عداها، لأنها هى التى تصنع العلم.

وهو ما يراه أيضاً الفيزيائى «ماكس بلانك» من أن نظرة الباحث للعالم هى التى تحدد اتجاه بحثه، ومن ثم فإن هذه الرؤية لا تجيز تناول تاريخ العلوم بمعزل عن المناخ الفكرى السائد فى عصر صانعيه.

كما تناول أيضاً نظرية المنهج العلمى ونظرية النموذج القياسى، ونظرية الاسترجاع المعرفى، ونظرية الأبستمولوجيا الارتقائية.

ثم يتبع ذلك برؤية توفيقية محايدة مفادها أن كلاً من هذه النظريات تدور حول طبيعة ومنطلق التكوينات المفاهيمية لهذه النظرية أو تلك إلا أن كلاً منها تقدم بلا شك إضافة تفسيرية جزئية لحركة التاريخ العلمى والتقنى، بحيث يمكن الإفادة منها جميعاً فى نفس الوقت فى تأليف منهج توفيقى أكثر موضوعية، يسترشد به فى معالجة قضايا التراث العلمى بأدنى قدر ممكن من التحيز.

ثم يعرض المؤلف لعدد من صور التحيز فى تاريخ العلم والتقنية، فتكلم عن:

■ التحيز فى الموقف تجاه العلم والتقنية.

■ والتحيز فى التأريخ للعلم والتقنية.

■ والتحيز فى فلسفة العلم والتقنية.

■ وتحيز العلماء.

فبيّن من خلال هذا العرض المؤيد بالأمثلة أن ساحة الفكر العلمى المعاصر تزخر بالعديد من أشكال التفكير التى لم تعد معارضتها للعلم يُنظر إليها على أنها نوع من الجهل.

وأصبح هناك من يتحدث عن «النظرية المضادة» للعلم والمنهج العلمى. كما أوضحت النماذج التى قدمها كيف أن ما يطلق على العلم من صفات الموضوعية والمنهجية والحياد كان يستعمل من جانب أغلب المستشرقين كوسيلة لإخفاء الذاتية والتحيز، وأن أكبر دليل على ضعف سمة الحياد فى مجال العلم والتقنية ليتمثل فى الضغوط التى تحيط بهما فى هذا العصر أكثر من أى وقت مضى.

إن أهمية الموضوع ـ فى رأى المؤلف ـ تتعدى بكثير الاهتمامات التاريخية، فهو يمثل دعوة إلى فهم أعمق لطبيعة علاقاتنا مع حضارة العصر وهذا جزء من الإجابة عن سؤال أعم وأخطر هو:

كيف نريد لمستقبلنا أن يكون؟!

نشأة العلم القديم وفلسفته

يستهل المؤلف هذا الفصل بالتساؤل الدائر بين الباحثين حول الإجابة عن أسئلة

أين ومتى وكيف نشأ العلم، وتكونت بذرة المنهج العلمى فى فكر الإنسان؟!

ثم يقول: هناك من يرى أن العلم لا يمكن إلا أن يكون غربياً، وأن الجنس الآرى هو وحده من بين أجناس البشر المؤهل لحمل رسالة العلم والتقدم العلمى.

وهناك من يرى أن فجر العلم ومنهجيته قد بزغت فى بلاد الشرق القديم، وأن التقدم العلمى ليس احتكاراً لجنس دون جنس، أو موطن دون موطن، فكل أمة من الأمم لها دورها فى صنع تاريخ العلوم على مر العصور.

ويحاول المؤلف أن ينتصر لهذا الرأى الموضوعى وأن يقدم الأدلة على صوابه من واقع الوثائق التراثية المحققة، وفق منهج تحليلى مقارن يهدف إلى وضع الحقائق فى نصابها المقبول عقلياً، والممكن تاريخياً ومنطقياً.

وقد اختار المؤلف نظريات وأنساق معرفية تحتاج فى صياغتها أو بنائها إلى ممارسة منهجية استنباطية أو استقرائية، ثم تتبع نشأة هذه النظريات والأنساق ونموها فى ثقافات قديمة متباينة.

فعلى سبيل المثال حين تناول أهم ملامح الفكر الرياضى القديم تناول بعض الأمثلة التى تضمنتها نصوص تراثية محققة فى فروع الحساب والهندسة والجبر وفق منهج تحليلى مقارن من خلال ثقافات متباينة، فعرض نظرية العدد والعمليات الحسابية والمثلث قائم الزاوية، والهندسة المستوية فى كل من:

(١) عصر الحضارة المصرية القديمة.

(٢) عصر حضارة ما بين النهرين.

(٣) عصر الحضارة الصينية القديمة.

وسار على نفس خطوات بحثه عندما تناول موضوع «أولية مناهج العلوم الكونية».. وقد خلص إلى عدة ملاحظات نذكر منها:

■ أن منهجية التفكير موجودة عند الإنسان منذ القدم.

■ وأنه لم يعد مقبولاً فى عصرنا أكثر من أى وقت مضى أن يصر بعض الذين يؤرخون للعلم من منطلقات تعصبية على طمس حقائق التاريخ العلمى لاحتكار شرف الإنسانية فى نشأة العلم ومناهجه لجنس دون بقية الأجناس.

نحو صياغة إسلامية
لنظرية العلم والتقنية

يستهل المؤلف هذا الفصل بتعريف كل من كلمتى «العلم» و«التقنية».

ويتوقع المؤلف مع كثير من المحللين لنتائج الأبحاث الجارية خلال العقدين الأخيرين وبخاصة فى مجال: الفيزياء والفلك والرياضيات، أننا على موعد مع ثورة علمية هائلة يتهاوى تحت معاولها أساس الكثير من النظريات والمذاهب الوضعية السائدة حالياً، ويطرأ بسببها تحول كبير على وعى الإنسان وتصوره لنفسه وللعالم.

من أجل ذلك يرى المؤلف ضرورة الدعوة إلى صياغة نظرية عامة للعلم والتقنية فى إطار من التصور الإسلامى السليم لكى تواكب حركة الصحوة الإسلامية المعاصرة وتكون إحدى مقوماتها الأساسية انطلاقاً من حقيقة أن المنهج العلمى الإسلامى سيكون هو الأقدر على تهيئة الإنسان لكل ما يمكن أن تسفر عنه الثورة العلمية والتقنية المرتقبة فى المستقبل القريب أو البعيد.

ويعرض المؤلف لما يراه مدخلاً علمياً أساسياً لهذه القضية بشىء من التفصيل، وذلك على النحو التالى:

(أ) تحليل طبيعة العلاقة بين ثلاثية العلم والفلسفة والدين.

(ب) إيضاح أهمية أن تكون هناك نظرية للعلم من خلال تصحيح المفهوم الشائع لدى كثير من فلاسفة العلم حول هذه النظرية والتحليل التاريخى لنشأتها ومراحل تطورها.

(جـ) توصيف الواقع العلمى والتقنى المعاصر بإلقاء بعض الضوء على أهم مجالات البحث العلمى التى تنبئ بميلاد نظريات علمية جديدة على أنقاض النظريات والمفاهيم السائدة.

(د) محاولة تحديد ملامح الثورة العلمية والتقنية المرتقبة وأثرها المباشر على الإنسان.

(هـ) تقديم تصور عام عن أهم الخصائص المميزة لنظرية إسلامية فى المعرفة العلمية والتقنية تسهم فى بناء نموذج عصرى أو نماذج معاصرة للحياة وللتنمية والتقدم فى إطار الفكر الإسلامى، طبقاً لمبادئ الإسلام.

وينهى المؤلف هذا الفصل بقوله:

إن الصياغة الإسلامية لنظرية فى العلم والتقنية لا تقتصر خصائصها على ضمان مواصلة التقدم القائم على المنهج العلمى السليم، لكنها تمنح للباحث من الأسباب والمقومات ما يساعده على تنمية طاقاته الإبداعية فى الكشف والابتكار. وفى مقدمة هذه الأسباب والمقومات التى يقضى بها المنهج الإسلامى فى البحث والتفكير يأتى الإيمان الخالص الذى يجعل العقل أقدر على كشف الحقيقة العلمية، وأكثر تهيؤاً لاستقبالها وقبولها، ويمد أمامه آفاقاً جديدة لم تكن فى الحسبان، فيميط اللثام بإذن الله تعالى عن الأساليب الخفية والأسرار الكامنة من العلم الإلهى الشامل وراء مظاهر الكون والحياة، وذلك مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

(البقرة: ٢٨٢)

وقوله عز من قائل:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾

(الحديد: ٢٨-٢٩)

وفى ضوء هذه الحقائق الإيمانية يرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن التعليم لا يحصل كله بالاستعداد والجد، وأن هناك جزءاً طبيعياً يتلقى بالفتح من الله (٢). وكان ابن سينا يقول: «... كنت كلما تحيرت فى مسألة ترددت على الجامع وصليت وابتهلت إلى مبدع الكل حتى فتح الله لى المنغلق وتيسر المتعسر...».

وحتى في العصر الحاضر، نرى المفكر الفرنسى روجيه جارودى يرى أن الإنسان إذا عرف الإيمان عن طريق العقل والقلب أثمرت له هذه المعرفة ثمارا يانعة، كما أنه يرى في المنهج الإسلامى الذى سبق أن أنقذ امبراطوريات كبرى متهافتة من الفناء في القرن السابع الميلادى أن بمقدوره اليوم توفير حلول لهذا القلق الذى تعانى منه حضارة غربية لم تنجح إلا في أن تحفر قبرا للعالم كله(٣).

في ضوء ما سبق، يمكن أن نخلص إلى أن الصياغة الإسلامية لنظرية فى المعرفة العلمية والتقنية يجب أن تخضع لدراسات متأنية فى عدة موضوعات متعلقة بطبيعة التطور التاريخى لمفهوم العلم والتقنية، مثل:-

١- تصنيف العلوم وتأصيل منهجية الفكر الإسلامى.

٢- تنقية التاريخ العلمى للحضارة الإسلامية من مزاعم المستشرقين والمؤرخين، وتنقية العلوم جميعها من المفاهيم المعارضة لروح الدين الإسلامى الحنيف.



جارودى

٣- المعالجة الإسلامية لمختلف جوانب علم العلم.

٤- الانطلاق فى جميع عمليات التفكير العلمى من مسلمتى التوحيد الإسلامى والنظام الكونى، وربطهما باطراد الظواهر الطبيعية واحتمالية صدق الكشوف العلمية.

٥- صياغة أدوات وعناصر كل من المنهج الاستقرائى والمنهج الاستنباطى والمنهج الفرضى -الاستنباطى المعاصر فى إطار إسلامى، مع بيان شمولية هذا المنهج الإسلامى وعدم مقدرة المحدثين على استيعاب كل جوانبه وأبعاده.

٦- تأكيد إسلامية المعرفة العلمية، وبيان ضرورة ذلك لتقدم المجتمع الإسلامى وتمكين العقلية الإسلامية من المشاركة فى الإبداع الحضارى بنصيب يتناسب مع مجد أمتنا ومكانتها فى تاريخ العلم والحضارة.

«يتبع»

(٢) ابن تيمية: نقض المنطق

(٣) روجيه جارودى: ما يعد به الإسلام

بين المجلة و القارئ

يا أمة ضحكت من جهلها الأمم

إعداد وتقديم
أحمد السيد تقي الدين

ألفا قتيل وعشرات الآلاف من المصابين وتشريد ١٥ مليون شخص تعرضت منازلهم للتدمير فضلا عن ظهور الأمراض والأوبئة الفتاكة.

هذه محصلة تقديرية لحجم المأساة المروعة التي يواجهها شعب باكستان الشقيق بعد أن تعرض لموجة عاتية من الفيضانات والسيول.

وحتى يومنا هذا لم تقم دولة إسلامية واحدة من أصحاب المليارات البترولية المكدسة في بنوك أوروبا بخطوات جادة لنجدة شعب باكستان الشقيق.. فقط مجرد شحنات من الأغذية والأغطية والأدوية، ومبالغ لا تكاد تذكر في مواجهة كارثة تجاوز حجم خسائرها المادية وحدها ١٥ مليار دولار وهي قيمة تستطيع تحملها دولة بترولية واحدة دون أن تتأثر أرصدتها المكدسة في خزائن البنوك الأوروبية والأمريكية بل يستطيع أن يتحملها ملياردير مسلم واحد فقط وما أكثر أثرياء العرب!!

وحتى الإعلام العربي لم يظهر للأسف أي تعاطف مع حجم المأساة التي يعيشها الشعب الباكستاني.. اكتفى فقط بسرد آخر الأخبار المتعلقة بالحدث ولم يقم بتغطية دقيقة للكارثة ولم يقم بتنظيم حملة تبرع لدعم الشعب الباكستاني الشقيق في مواجهة المأساة التي يعيشها، المذهل أن الإعلام العربي أنفق خلال شهر رمضان نحو ١٥ مليار دولار لإنتاج برامج ومسلسلات أذاعتها الفضائيات العربية خلال شهر رمضان المبارك.

وبغض النظر عن المحتوى الثقافي المسف في مجمله الذي تضمنته البرامج والمسلسلات وسائر المواد التليفزيونية التي بثتها الفضائيات العربية في الشهر الفضيل فإن حجم الانفاق المشار إليه (١٥ مليار دولار) التي أنفقتها المحطات الفضائية العربية خلال شهر رمضان وحده هي نفسها جملة الخسائر التقديرية التي سببها الفيضان المدمر الذي تعرضت له باكستان بما يعني أن الإعلام العربي الفضائي وحده يستطيع أن ينتشل باكستان من المأساة التي تعيشها أو على الأقل يقدم دعما فعالا للغاية لانقاذ ١٥ مليون شخص مشرد تحطمت منازلهم وأصبحوا بلا مأوى.

المؤسسات الدولية تتسابق ماليا لمد يد العون لباكستان، وفي مقدمتها المؤسسات التبشيرية، ولن يكون في وسع حكومة باكستان منع مثل هذه المؤسسات من العمل على أراضيها لإغاثة شعبها، لأن حكومة باكستان تواجه مأساة مروعة تفوق إمكاناتها الاقتصادية بشكل رهيب.

وبعد ذلك نتباكى على الإسلام ونحذر من مخططات التبشير والمؤسسات التنصيرية ونبكي على آلاف المسلمين الذين اضطرهم الفقر والحاجة والمرض إلى الارتداد عن الإسلام حلا لما يواجههم من كوارث ومصائب تخلى فيها أشقاؤهم من بني دينهم عن نصرتهم ومد يد العون لهم.

وبعد ذلك نعقد المؤتمرات والندوات لبحث سبل وحدة الصف العربي والإسلامي، وتصدر التوصيات الرنانة التي تثير الإعجاب وتنشرها الصحف بشكل مثير كدليل على وحدة الأمة.. أمة التوحيد.

حقا ما أصدق قول شاعرنا العربي أبو تمام

أغاية الدين أن تحفوا شواربكم
يا أمة ضحكت من جهلها الأمم

أحمد تقي الدين

مفردات من قاموس رمضان

تحت هذا العنوان جاءت كلمة الشيخ: مصطفى الأزهري - إمام وخطيب مسجد سوق الحمام - السيدة عائشة - القاهرة

في مواسم الخير يتم التركيز على شعائر بعينها، يتعهد الإسلام أتباعه بها ليكونوا عليها أحرص ولتتعمق معانيها ومقاصدها في قلوبهم فيثبتون عليها التزاما وتقربا إلى الله عز وجل.

وفي شهر رمضان تعامل المسلمون مع مفردات في قاموس العبادة سلوكا والتزاما وإقبالا غير معهود - بطبيعة الأحوال - في غير أيام السنة إلا لمن رزقه الله همة عالية وكان من أهل التوفيق والسداد، فمن المفردات الإيمانية التي تعمقت في نفس المسلم في شهر رمضان: الصوم، والمسجد، والمصحف، والعطاء، وصلة الأرحام، والدعاء..

فالصوم ذاقه المسلمون واستمتعوا بمعان جديدة للجوع والعطش، وتدربوا على فقه الامتناع عن المباحات، فكيف بعد ذلك بالمحرمات، وتعلم المسلم كذلك الحرص على عبادة كلفته ثمنا ليس قليلا من جهده وعرقه وصحته، خصوصا أنه صام رمضان هذا العام وهو يتقلب على جمرات لاهبة من حرارة الصيف وقيظه إيمانا واحتسابا، فلما ذاق عرف وأحب وأقبل فكان تمام النعمة أن يصوم

تنفلا- كأول تدريب على صيام النفل بعد صوم الفريضة- بقول النبي ﷺ: «من صام رمضان واتبعه بست من شوال كان كصيام الدهر».

وكما كان المسلم في شهر رمضان أكثر ارتباطاً بالمساجد وأشد إقبالاً عليها واعتكافاً فيها ما وسعه الوقت، وأحس بمتعة الإفطار في «ساعة الفرحة» وهي فرحة يفرحها إذا أفطر، ثم توج لياليه العامرة بصلاة التراويح فكان المسجد رياض الجنة التي يروح فيها المسلم قلبه ليشعر بالأنس والمؤانسة وهو يختلط بوجوه تقطر منها حبات الوضوء كاللؤلؤ في مشهد نوراني لا تراه إلا في المساجد، ويتجلى أكثر ما يتجلى في شهر رمضان، فتعمق حب المسلم لبيوت الله التي:

﴿ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾

(النور: ٣٦)

وكذلك تعلق قلب المسلم في شهر رمضان بتلاوة القرآن وصار المصحف صاحباً ورفيقاً كريماً للمسلم معه في عمله، في المواصلات، في بيته، في مكتبه، في مسجده ينهل من آياته البينات عسى أن يصيب منه أكثر من ختمة فيسعد قلبه ويزداد عند الله أجره، فتجددت علاقة المسلم بكتاب الله تعالى.

ومن المظاهر الطيبة التي ارتبطت بشهر رمضان تفجر ينابيع الخير في النفوس وحب الخير الذي فاضت به قلوب أهل الخير، فمن موائد الرحمن المبذولة في الشوارع والطرقات والملحقة بالمساجد، إلى الصدقات العينية، والمالية إلى البحث عن أهل الحاجة وأولي الضرر والمساكين، كل ذلك يفعله المسلمون بشعار غير زائف:

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾

(الإنسان: ٨-٩)

وفي ظل مشاغل الحياة وبعد الشقة والاكتفاء بالتواصل بالهواتف أرضية ومحمولة عن الأقارب والأرحام، كان شهر رمضان فرصة لدعوة الأهل والأرحام للاجتماع على أطيب الموائد وهي مائدة الإفطار الرمضانية حيث الحب والرحمة والتواصل والكلمات الجميلة والدعوات بالبركة في المعيشة والأولاد، فخرجنا من القطيعة- وإن كانت غير متعمدة- وجمعنا رمضان على كريم موائده أرحاماً متحابين متقاربين.

وإذا كان الدعاء في أي وقت «هو العبادة»، فإنه يتجلى أكثر ويحسه المؤمن أكثر في شهر رمضان فيدعو من قلبه ويؤمن بقوة خلف إمامه ويجأر صوته بالدعاء والتأمين حين يسمع الداعي يردد «اللهم اعتق رقابنا من النار» فيصرخ بها فهي بحق أغلى أمنية عند كل مسلم، قال تعالى:

﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾

(آل عمران: ١٨٥)

وهكذا مر شهر رمضان كالنسمة العابرة وجاء العيد بفرحته وجائزته للمقبولين وبقي لنا أن نجتهد أكثر ونطبق في حياتنا حقيقة المعاني التي تعنيها بحق «مفردات قاموس رمضان» عسى أن تطيب لنا الدنيا والآخرة و الله الموفق والمستعان.

المصحف الشريف

ومن الأستاذ/ عاصم سيد -مستشار التحكيم الدولي وعضو اتحاد المحامين العرب- كانت هذه الكلمات:

تأثرت ممن يهجرون القرآن ويتركونه خلف ظهورهم في السيارات لكي يحفظهم من السوء، ألم يعلموا أن القرآن يجب أن يكون في صدورهم كي يحفظهم؟! بينما سعدت حينما رأيت أناساً يحفظونه في صدورهم ويعلمونه أبناءهم تطبيقاً لما سمعوا من حديث: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».

تأثرت حينما رأيت كثيراً من المساجد مكتظة بمصاحف قد استهلكت وفقدت بعض صفحاتها، بينما فرحت عندما رأيت من اختصه الله بشرف تجديد هذه المصاحف وتجديد ما تهالك منها وتوجهه بالموعظة الحسنة للقائمين على المسجد بأن على عاتقهم أمانة يجب أن يبلغوها من يجهلون المعرفة وتوعيتهم بكيفية التعامل مع كتاب الله الكريم من عدم تركه للأطفال يحملونه ويعبثون بصفحاته بالتخطيط فيه، ترى إذا كان لأحدهم مستند ما أيتركه بين يدي ابنه يعبث به كيفما يشاء؟ أم سيضعه في غلاف لصيانته أو في ظرف ثم في حقيبة والحقيبة في صندوق ثم.. أليس كذلك؟

تأثرت كثيراً ممن يلقون بأوراق تحتوي على آيات قرآنية في الطرق ولا يعبأون بما فيها وهم يعلمون، وسألت نفسي: على عاتق من يقع عبء التعامل مع هذه الأوراق؟ على من كتب فيها آيات القرآن أم على من أهملها ورمى بها عن جهل؟ فأجبت نفسي على الفور أنه لابد من كتابة آيات تذكر بالله للذكرى والإرشاد:

﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

بالرغم من ذلك فرحت ممن يهتم بحرق صفحات المصحف التالفة في مكان آمن.

هذا ما دفعني إلى أن أقترح إنشاء آلية يكون هدفها الأساسي هو الحفاظ على صفحات المصحف الشريف وإجلال آيات القرآن الكريم، والطرق المقترحة كالتالي:

(١) جمع المصاحف التالفة من المساجد وغيرها وإرسالها إلى محرقة مخصصة لهذا الغرض أو فرمها وإعادة تصنيعها ورقاً يخصص لطباعة المصاحف فقط.

(٢) حملة توعية للناس بكيفية التعامل مع المصحف بطريقة سليمة في المنازل، المساجد، السيارات وعدم تركه في أيدي الأطفال.

(٣) اللجوء إلى وضع أجزاء قرآن منفصلة بالمساجد حتى تساعد الأطفال على القراءة والحفظ بدلاً من حمل المصحف بأكمله بما قد يعرضه للتمزق والتلف.

(٤) عدم إلقاء الصفحات الدينية فى الجرائد أو المجلات فى صناديق القمامة، وعدم استخدامها أثناء عمليات النظافة والدهانات أو فى دواسات السيارات أو استخدامها فى لف أشياء لا تليق بها.

(٥) حملة توعية إعلامية بعدم كتابة آيات قرآنية أو لفظ الجلالة على جدران الأسوار فى الشوارع حتى لا تكون عرضة لأى إساءة، وعدم كتابة لفظ الجلالة واسم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام على السيارات، والامتناع عن كتابة الآيات القرآنية فى غير محلها للترويج التجارى مثل كتابة قوله تعالى:

﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾

فى محلات العصير والتى لا يراعى عدد كبير منها الاشتراطات الصحية البسيطة.

كذلك ينبغى البعد عن الاستشهاد بآيات قرآنية دون التأكد من صحتها مثال:

﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾

فهناك من يزيد كلمة: شر القتال!

ويجب أن يمتنع الخطاطون عن كتابة آيات القرآن الكريم على السيارات والتى تتعرض للسير وسط القاذورات والمياه غير النظيفة أو صعود الحيوانات عليها عند توقفها وما يتبع ذلك من إساءة.

٦- عدم استخدام الآيات القرآنية على الهواتف المحمولة (رنات) لانقطاع الآيات عند الرد على التليفون وعدم اكتمالها أو تشغيلها عند اتصال الغير عن دون قصد فى دورات المياه، وما جعل القرآن الكريم أبداً لاستخدامه كمنبه برنات أو التبرك به دون حفظه فى الصدور وقراءته آناء الليل وأطراف النهار مع العمل به، إذن يجب أن يتنزه عن ذلك كله.

٧- إرشاد باعة الكتب الدينية والمصاحف بعدم جواز وضع المصاحف على الأرض مباشرة والافتراش بها أمام المساجد بل يجب تنزيه المصاحف ورفعها عن الأرض فضلاً عن إبعادها عن مستوى أقدام المارة لتلافى أى خطأ غير مقصود منهم.

إن القرآن الكريم هو كلام الله -عز وجل- ودستورنا الإلهى، وهو معجزة سيدنا محمد الذى تحدى به العرب والعجم فيجب علينا الحفاظ عليه وتنزيهه عن أى شىء لا يليق به، وبحفاظنا عليه والعمل بآياته يرفع الله عز وجل شأننا وينصرنا على أعدائنا!

هذه رسالة لكل مؤمن أن يسعى جاهداً فى ترتيب مكتبات المساجد التى حوله وفصل المصاحف المستهلكة مع إعادة تجليد المصاحف المكتملة الصفحات وذلك بشكل دائم، وتقديم النصيحة لأى غافل عما يجب اتباعه فى التعامل مع المصحف الشريف.

جزاكم الله خيراً.

الإنترنت بين الخطورة والضرورة

وعن الإنترنت واستخداماته جاءت مشاركة الأستاذ/ باسم محمود الجنوبى:

مع التقدم التكنولوجى والتقنى الحثيث انتشر جهاز الحاسوب (Computers) وما تبعه من الاشتراك فى الشبكة العنكبوتية (Internet) إن لم يكن فى كل بيت ففى كل شارع تقريبا تجد مراكز ومحلات توفر هذه الخدمة بأجر رمزى جداً.

وسارع الناس وخاصة الشباب فى تصفح المواقع الإلكترونية والاشتراك فى بعضها بل وإنشاء مواقع ومنتديات جديدة فضلا على حجز حساب على بعض المواقع مثل الفيس بوك (face book) حتى بلغ عدد رواد الشبكة العنكبوتية ما يقارب المليار على مستوى العالم عام ٢٠٠٤، منهم ٣٦٠ مليون مشترك على الموقع سابق الذكر وحده حسب إحصائيات هذا العام ٢٠٠٨.

ولاشك أن الانترنت يقدم الكثير من الخدمات والتسهيلات لمستخدمه أيا كان هذا المستخدم وأيا كان اهتمامه.. والانترنت يساعد الطالب بصفة خاصة على تطوير إمكانياته وملكاته العلمية، ويتيح له مساحة للإبداع الفنى والفكرى.

وبحق فإن الإنترنت جعل العالم الفسيح قرية صغيرة.. يمكن التواصل مع أرجائها من خلال ضغطة على لوحة المفاتيح ونقرة على فر الماوس..!!!

ومع كل هذه الفوائد المتميزة والمتعددة للانترنت والتى أصبحت بالفعل ضرورة من الصعب إن لم يكن من المستحيل الاستغناء عنها، إلا أن استخدامه قد تحول إلى إدمان.. له آثاره السلبية والتى تمثل خطورة على حياتنا، وإذا اعتبرنا أن هذا الإدمان ضرورة للاستفادة والإفادة من العالم الافتراضى إلا أن هذه الضرورة لها آثارها الجانبية على حياتنا الصحية والنفسية والاجتماعية.

-ومن الآثار الجانبية الجسمية والصحية لإدمان الإنترنت أنه يسبب الأرق واضطرابات النوم وخلل دورة النوم الطبيعية، لأنه عادة ما يكون الدخول للانترنت ليلا، وقد تمتد الجلسة إلى صباح اليوم التالى..!!

وبالطبع هذا يقلل أو يعدم عدد ساعات النوم بالليل مما يؤثر سلبا على النشاط الجسمى والنفسى وبالتالى على الأداء الوظيفى والمهنى أو الدراسى والتحصيل.

وإدمان الانترنت كذلك يهدد الجهاز المناعى، ويسبب الجلوس الطويل أمام الشاشة آلام الظهر والتهاب العين نتيجة الأشعاعات الضوئية والصوتية.

-ومن الآثار الجانبية الأسرية والاجتماعية لإدمان الانترنت ما تفرزه المواقع الإباحية من مشكلات على كافة مجالات الحياة وخاصة الاجتماعية منها، وكذلك المشكلات التى تحدثها بعض غرف الدردشة (Chatting Rooms) التى غالبا ما يكون روادها من المراهقين «مراهقة طبيعية أو متأخرة!»، والتى تستخدم فى الثرثرة وما يضر ولا ينفع، وخاصة التحدث فى الأمور

الجنسية بصورة مبتذلة ومبالغ فيها، هذا فضلا على عقد اللقاءات الغرامية التى تصل إلى حد الزواج الفاشل!

ومن أبرز المشكلات التى تسببها هذه الغرف الانطواء والانعزال، والتفكك الأسرى وتسهيل الخيانة الزوجية وزيادة معدلات الطلاق، فضلا عن تضييع الأوقات التى كان من الممكن قضاؤها فيما يفيد وينفع الفرد والمجتمع ولو عن طريق الاستخدام الإيجابى للانترنت.

وتشير الدراسات إلى أن ٩٠٪ من مستخدمى الانترنت فى الوطن العربى يستخدمونه فى التسلية والترفيه.! وقد حظيت المواقع الإباحية بنسبة مشاهدة عالية لدى المتصفح العربى - مع شديد الأسف - لذلك لابد من مراجعة أنفسنا فى استخدامنا لهذه التقنية حتى نتنفع بها ولا تضرنا ولا تنقلب النعمة إلى نقمة، بل يجب أن نجعلها مصدر خير لنا ولبلادنا والله المستعان على ذلك.

رد سهام المشككين

تحت هذا العنوان جاءت مشاركة الشيخ/ عبدالرحمن العصيلى - مدير عام المطبوعات بالأزهر:

منذ أن أشرقت شمس النبوة المحمدية تدور رحى الحرب الفكرية فيظهر من يسعى بكل الوسائل والأساليب لإثارة الباطل وتزييف الحقيقة والتشكيك فى السنة النبوية، وينادى بفقه جديد وتفسير جديد وأصول جديدة فى العقيدة والشريعة، ففهم القرآن والسنة عندهم يختلف اختلافاً كبيراً عن مفهوم القرآن والسُّنَّة عند جمهور الأمة، وقد وجدت مثل هذا ينتشر بين الباحثين وكثير من المثقفين غير المتخصصين فى الشريعة الإسلامية وعلومها، والخطر يكمن حين يصدر من داخل الأمة لا من خارجها.

وعلى مدار الأزمنة المختلفة يرسل الله عليهم رياح الحق فتكشف عوارهم، وتطفىء نارهم التى أوقدوها بزيفهم وبهتانهم، ويهيىء الله من هذه الأمة رجالاً يظهرون الحق، ويدافعون عن الحقيقة، ويبينون الزيف، ويوضحون للناس الفرق بين الزبد الذى يذهب جفاء والذى يمكث فى الأرض ينتفع الناس به، رجالاً لا يعرفون الزيف أو التزييف ولا الخداع أو المخادعة، كلماتهم سيوف قاطعة فى وجوه أعداء الإسلام، وحججهم رماح يجابهون بها أعداء الأمة فترد سهام شبهاتهم التى يثيرونها أو يطلقونها بين الحين والحين، وقد قيل: خير ما فى الإنسان عقل يعيش به، ومال لا يبخل به، وإخوان يرشدونه إلى الصواب.

هدانا الله وإياهم إلى نور الحق ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل ويرزقنا اجتنابه فهو نعم المولى ونعم النصير.

أنباء مكتب الإمام الأكبر

للأستاذ/ أحمد إبراهيم توفيق
مدير عام الإعلام بمكتب الإمام الأكبر


د. أحمد الطيب

بيان من المجلس الأعلى للأزهر

الأزهر لا يعرف سياسات الإقصاء والاستبعاد

أصدر المجلس الأعلى للأزهر بيانا حول ماتناقلته وكالات الأنباء حول دعوة قس أمريكى لجعل يوم الحادى عشر من سبتمبر يوماً عالمياً لإحراق المصحف الشريف، وهى دعوة تصدر عن تعصب مقيت وعن جهل بالإسلام وقيمه، بل إنها دعوة للحض على الكراهية وعلى ازدراء الأديان وعلى رفض الآخر، وهى محاولة مشبوهة للإساءة للمسلمين فى أعز مقدساتهم، ولإثارة الكراهية والتفرقة والتمييز بين الأمريكيين من مسلمين وغير مسلمين، وهى بذلك تخالف القوانين المعمول بها فى العالم المتحضر كما تخالف قرارات الأمم المتحدة التى تحرم التمييز وتدين ازدراء الأديان والمقدسات.

إن المجلس الأعلى للأزهر يؤكد أن مثل هذه الدعاوى المشبوهة لن تضر الإسلام شيئاً، وأن القرآن الكريم الذى بقى محفوظاً على مدى القرون سيبقى محفوظاً إلى يوم الدين مصداقاً لقول الله عز وجل:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

(الحجر: ٩)

ولكنه يحذر من أن المسلمين لا يمكن أن يقبلوا الإساءة إلى القرآن الكريم، ويهيب بأصحاب الضمائر الحية والعقول المستنيرة فى العالم الغربى أن يبادروا بالتصدى لمثل هذه الدعوات الخرقاء.

وبنوه المجلس الأعلى للأزهر في هذا الخصوص بالبيان الصادر من الكنائس الإنجيلية بمصر ويدعو سائر الكنائس المسيحية إلى أن تعلن استنكارها وإدانتها لهذه الدعوات البغيضة .

وختاماً فإن المجلس الأعلى للأزهر يؤكد أن الإسلام يحترم كافة الكتب السماوية وأن الحضارة الإسلامية لم تعرف حرق الكتب وإنما كان دأبها الاحتفاء بالنتاج العلمي والفلسفي للحضارات السابقة، بل إن أوروبا الحديثة لم تتعرف على تراثها القديم إلا عبر ترجمات المسلمين وكتبهم .

صرح بذلك السفير محمد رفاعة الطهطاوي المتحدث الرسمي للأزهر الشريف وقال: إن فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر قد تلقى بيانا من الدكتور القس اندريه زكي اسطفانوس نائب رئيس الطائفة الإنجيليه بمصر حول نفس الموضوع هذا نصه:

تلقت الكنائس الإنجيلية بمصر بانزعاج شديد أخبار دعوة قس أمريكي بولاية فلوريدا الأمريكية لحرق المصاحف في ذكرى هجمات الحادي عشر من سبتمبر والكنيسة إذ تأسف بشدة لهذا الفكر الهدام تعلن رفضها الكامل لأي تطاول على أديان ومعتقدات الآخرين، الأمر الذي يتنافى تماما مع تعاليم السيد المسيح والتي تحض على محبة واحترام الآخر أيا كان انتماءه ودينه واعتبار كل إنسان أخ في البشرية .وستبذل الكنائس الإنجيلية بمصر .بالتعاون مع نظرائها في أمريكا والعالم كل جهد لتقويض مثل هذه الأفكار المتطرفة التي لا تنتج إلا التوتر والمزيد من العنف بين البشر من خليقة الإله الواحد الذي نعبده جميعا .وتؤكد الطائفة الإنجيلية حبها واحترامها لكل إخوتنا المسلمين في بلادنا والعالم .

الإمام الأكبر يستقبل وزير معارف أفغانستان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر الدكتور فاروق وردك وزير المعارف الأفغاني

وقد أوضح الإمام الأكبر أنه حريص على أن يتعلم الدعاة الأزهريون اللغات الإسلامية خاصة الفارسية والتركية حيث لا يصح أن يتواصل المسلمون فيما بينهم بلغة أجنبية، و اتفق الإمام الأكبر مع الوزير الأفغاني على إعداد برنامج لتعليم اللغة الفارسية لمبعوثي الأزهر، ووافق فضيلته استجابة للرغبة العامة التي نقلها إليه الوزير الأفغاني على افتتاح معهدين أزهريين جديدين في مدينتي جلال أباد وهيرات.كما وافق على تقديم (٢٠٠) منحة دراسية في معاهد الأزهر



وجامعته للطلاب الأفغان، كما استعرض الإمام الأكبر نشاط المعهد الأزهري في كابول

ومن جانبه أعرب وزير المعارف الأفغاني عن سعادته وتشرفه بهذه الزيارة، وأكد أن أفغانستان تتطلع لدور مصر الرائد ولدور الأزهر الشريف الذي يرونه العقل والملاذ للمسلمين والنارة التي تنير بنور الإسلام الصحيح، وأكد الوزير أن البعثة الأزهرية لها دور بالغ الأهمية في نشر قيم الإسلام السمح وتعليم اللغة العربية ومواجهة تيارات الغلو والتطرف.

وفي ختام اللقاء قال الوزير الأفغاني إنه يعاهد الله ويعاهد الإمام الأكبر على أن يعمل جاهدا لنشر اللغة العربية في أفغانستان وعلى أن يكون جنديا من جنود الأزهر الشريف .

تكريم أوائل الشهادات الأزهرية

شهد فضيلة الدكتور محمد واصل وكيل الأزهر نائبا عن فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر الشريف يوم الثلاثاء ١٠/ ٨/ ٢٠١٠ حفل تكريم أوائل الشهادات الأزهرية بقاعة مؤتمرات الأزهر بمدينة نصر .

حيث قام فضيلة وكيل الأزهر بتوزيع شهادات التقدير والجوائز المالية على (١٧٥) طالبا وطالبة من المتفوقين في الشهادات الأزهرية الابتدائية والإعدادية والثانوية وشهادات القراءات و التجويد والعالية والتخصص وشهادتي معاهد البعوث الإسلامية الإعدادية والثانوية .



وقدم فضيلة وكيل الأزهر التهنئة لأولياء الأمور بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك وتفوق أبنائهم كما قدم التهنئة للطلاب على تفوقهم وحثهم على مواصلة التفوق والاجتهاد وعدم الغرور بحصولهم على المراكز الأولى لأن الحفاظ على التفوق يحتاج إلى أسس وضوابط أهمها طاعة الله واحترام الأساتذة والمدرسين والاجتهاد.

بلغت الجوائز المالية (١٤٦٣٠٠) ألف جنيه من حساب مجلس الآباء والمعلمين و(٩٠) ألف جنيه من ميزانية الامتحانات بقطاع المعاهد حيث حصل كل طالب من المرحلة الثانوية على مبلغ (١١٠٠) جنيه من حساب رعاية الطلاب و(٨٠٠) جنيه من الامتحانات وحصل كل طالب من المرحلة الإعدادية على مبلغ (١٠٠٠) جنيه من حساب رعاية الطلاب و(٥٠٠) جنيه من الامتحانات وحصل كل طالب من المرحلة الابتدائية على مبلغ (٩٠٠ جنيه) من حساب رعاية الطلاب و(٣٣٤) جنيه من الامتحانات وحصل كل طالب فى مرحلة التجويد على مبلغ (٨٠٠) جنية من حساب رعاية الطلاب و(٣٣٤) جنيه من الامتحانات وحصل كل طالب فى مرحلة العالية على مبلغ (٩٠٠ جنيه) من حساب رعاية الطلاب و(٥٠٠) جنيه من الامتحانات وحصل كل طالب فى مرحلة التخصص على مبلغ (٩٠٠) جنيه من حساب رعاية الطلاب و(٨٠٠) جنيه من الامتحانات وحصل كل طالب فى شهادة الثانوية للبعوث على مبلغ (٩٠٠ جنية) من حساب رعاية الطلاب و(٨٠٠) جنيه من الامتحانات وحصل كل طالب فى شهادة الإعدادية للبعوث على مبلغ (٨٠٠ جنيه) من حساب رعاية الطلاب و(٥٠٠) جنيه من الامتحانات.

كما قام فضيلته بتوزيع أجهزة كاسيت على الطلاب المكفوفين بجميع المراحل التعليمية كى تساعدهم على تحصيل دروسهم بكل يسر وسهولة.

بيان من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف
رئيس المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة

تتابع الأمة الإسلامية بألم بالغ المأساة الإنسانية التى يعانيها الشعب الباكستانى الشقيق نتيجة للفيضانات المدمرة، والتى بلغت حدا تعجز الحكومة الباكستانية بكل إمكانياتها عن مواجهته حيث بلغ عدد الضحايا والمتضررين ما يقرب من (١٥مليون شخص)، ويهيب الإمام الأكبر شيخ الأزهر من موقع العلم والمسئولية الشرعية بالمسلمين جميعا أن يبادروا بإغاثة إخوانهم فى باكستان بكل ما يمكن تقديمه من معونة مادية وطبية وغذائية، ويقرر فضيلته أن إغاثة الأخوة الباكستانيين واجب شرعى، وأن إنفاق الأموال فى هذا السبيل من أطيب أوجه الإنفاق المندوب إليها شرعا، وأنه مصرف من مصارف الزكاه، وما أجدر الأمة الإسلامية وهى فى شهر رمضان المعظم أن تقتدى برسول الله (صلى الله علية وسلم) الذى كان أجود ما يكون فى شهر رمضان وكان (صلى الله عليه وسلم) أجود من الريح المرسلة. كما يهيب الإمام الأكبر بصفته رئيسا للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة بكافة المنظمات الأعضاء فى هذا المجلس أن تضرب المثل فى المسارعة إلى إغاثة الشعب الباكستانى الشقيق.

افتتاح المسابقة العالمية للقرآن الكريم

أكد فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر حرص مصر على رعاية كتاب الله تعالى بما تقدمه من دعم لحملة القرآن الكريم بالعالم الإسلامى، والتقليد الذى تقوم وزارة الأوقاف بتنظيم أكثر من مسابقة على مدار العام، وحرص الرئيس مبارك على رعاية ودعم مسابقات القرآن الكريم تشجيعا لحفظة كتاب الله تعالى و تكريمهم تعبيرا عن الاهتمام بالقرآن ودوره فى تجديد شباب الأمة وبيان الحق للإنسانية ونهضتها بعيدا عن الضلال والظلام.

وأضاف فى افتتاح المسابقة العالمية الثامنة عشرة للقرآن الكريم التى تنظمها وزارة الأوقاف أن القرآن الكريم منهج للحياة البشرية كاملة فهو شريعة الله الخالدة والنور الذى يهدى إلى الطريق المستقيم ويعمل على إسعاد البشرية بنشر مفهوم الرحمة والرخاء والتعاون على البر والتقوى. مشيرا إلى حرص الأزهر على رعاية الطلاب

الدارسين به لحثهم على إتقان كتاب الله تعالى من خلال مسابقات يتم إجراؤها بين المناطق التعليمية الأزهرية يحصل الفائزون فيها على جوائز مالية وشهادات للمساهمة فى دعمهم لمواصلة دورهم فى الحفظ والتلاوة وأن المطلوب من القرآن ليس مجرد الترديد بالحفظ فقط وإنما الفهم والتدبر للآيات لتحقيق النظر التجريبى لما يحيط بالإنسان للإسهام فى اكتشاف نظريات ومبادىء علمية تحقق للإنسانية المزيد من التنمية والتقدم.

وطالب الإمام الأكبر المسلمين بضرورة تدبر آيات القرآن الكريم وتنزيلها على الواقع بما تحتويه من دستور نهضة المجتمع وحل مشاكله باعتبار القرآن آخر الكتب السماوية والقادر على الجمع بين علوم الدنيا والآخرة، ومواجهة المتناقضات فى المجتمع والموائمة بين الدين والعلم وبين مطالب الروح والجسد.

كما أكد أن القرآن لم ينزل من السماء للحفظ والتلاوة والترتيل فقط، بل لتدبر آياته والعمل بمحكماته وتعلم ما يحتويه، والتفكير فى آياته باعتباره خطابا لأولى الألباب وكنزا من كنوز الحكمة ساهم فى حفظ الحضارة الإسلامية التى سبقت مختلف الحضارات.

أوضح الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف سعى الوزارة لاكتشاف الحافظين لكتاب الله تعالى من أبناء مصر ودول العالم الإسلامى بتنظيم ثلاث مسابقات على مدار العام واحدة محلية يكرم فيها الرئيس مبارك حفظة القرآن فى احتفال مصر بميلاد النبى صلى الله عليه وسلم، والثانية عالمية والتى يشارك فيها أبناء العالم الإسلامى ويتم تكريم الفائزين فيها فى احتفال ليلة القدر، والثالثة التى نظمتها الوزارة لأول مرة هذا العام لتكريم ذوى الاحتياجات الخاصة من حفظة كتاب الله.

مائدة إفطار الوحدة الوطنية

شهد فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر، والبابا شنودة الثالث بطريرك الكرازة المرقسية، والأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف الحفل السنوى الذى أقامته وزارة الأوقاف لمائدة إفطار الوحدة الوطنية.

وأكد الدكتور محمود حمدى زقزوق أن شهر رمضان أصبح مناسبة مشتركة للمسلمين والمسيحيين لتجديد روابط الأخوة والمحبة..وأشار الى أن القرب بين المسلمين والمسيحيين لا يحتاج لمظاهر أو إشارات..فقد أكدت الآيات الكريمة ذلك..كما أن الإيمان بكل الأديان والرسل من أهم ركائز تكوين كل مسلم..ومما يدل



على مكانة الدين المسيحى نزول سورة كاملة باسم السيدة مريم ووصفها بأنها سيدة نساء العالمين.. وأوضح أن قيمة التسامح والحوار مع الآخرين جاءت فى مواضع كثيرة بالقرآن مما يدعونا لترك الحكم على الناس للخالق عز وجل يوم القيامة..فقد خلق الله الناس مختلفين ليكون ذلك منطلقا للتآلف والتعاون لا للشقاق والنزاع..وإذا كان هذا المعنى مقصودا به البشر فى العالم كله فالأولى أن يطبق داخل بلدنا ونطاقنا..

وأشار إلى أن هذه الموائد المشتركة ماهى إلا تعبير صادق وحقيقى..عما يربط عنصرى الأمة..وأضاف أن كل أفراد الشعب المصرى لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات فلا صحة لما يردده بعض المتعصبين عن وجود قادمين من الخارج فجذورنا ضاربة فى عمق التاريخ..وما قام به الإسلام من تعريب اللغة عمق هذه الروابط..إضافة الى تمتع الجميع بحرية العقيدة كما بينت آيات القرآن الكريم..وقال أيضا.. لقد درجنا جميعا على سماع صوت المؤذن وجرس الكنيسة يصنعان معا سيمفونية وطنية رائعة ليس فيها أى نشاز..

ودعا شقى الأمة للمحافظة على تماسك الوحدة الوطنية وتربية الأجيال الصاعدة على ذلك لصد أى هجوم يستهدف زعزعة هذا الأمن حتى تظل مصر آمنة مطمئنة..كما وصفها الله فى كتابه العزيز..

ومن جانبه..وصف البابا شنودة موائد الوحدة الوطنية بأنها مناسبات تحل بها

البركة على الجانبين لما لها من تأثير بالغ.. وتطرق لمعنى الصوم.. مشيرا الى أن الله لا يأمرنا إلا بما فيه الخير.. حيث تعد فترة الصوم أياما مقدسة ترتفع فيها القلوب الى الله..

وأضاف أن الصيام لا يعنى الامتناع عن الطعام والشراب فقط.. فالإنسان يكون فى اتصال مع خالقه.. وشرع الطعام ليأخذ منه الطاقة التى تساعده على أداء العبادات وحسن معاملة الآخرين.. كما أن الجسد يكون تحت سيطرة صاحبه أثناء فترة الصوم ولذا فيه التوبة..

وطالب بأن يتخلى كل إنسان عن الخطايا والعادات السيئة التى قد يخضع لها.. مما يمنحه فترة تخزين روحى لباقى العام تساعده على أداء الواجبات.. بالإضافة الى أن فترة الصوم تخلص الإنسان من بعض الأمراض التى تصيب البعض أحيانا..

وأثنى على من يقومون بفرض أيام للصيام تختلف عن باقى أيام الصوم لإدراك أن فوائد الصيام ليست موسمية بل تستمر مع الإنسان طالما استمر على ذلك..

وفى نهاية كلمته طالب كل إنسان بأن يسأل نفسه عما استفاده من الصيام.. هل زادت طاقته الروحية.. وهل حدث تغيير فى حياته أم استمرت خطاياه.

شارك فى الإفطار كل من: الدكتور حسن يونس وزير الكهرباء والمهندس ماجد جورج وزير البيئة، والدكتور محمود محيى الدين وزير الاستثمار.. والمستشار عدلى حسين محافظ القليوبية، وقدرى أبوحسين محافظ حلوان وعدد من المشايخ والقساوسة

ترقيــــــــــات

أصدر فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر قرارا بندب السيد/ أحمد إبراهيم توفيق مدير عام الإعلام للقيام بعمل رئيس الإدارة المركزية للعلاقات العامة والإعلام ونقل الشيخ/ أحمد مصطفى عمران رئيس الإدارة المركزية للتعليم الإعدادى للقيام بعمل رئيس الإدارة المركزية لشئون الطلاب والامتحانات والخريجين وتعيين الشيخ/ محمد عطية حسان مديرا عاما للدعوة والإعلام الدينى بكفر الشيخ.

أنباء مجمع البحوث الإسلامية

إعداد الأستاذ/ محمد جمعة

محمد دراز «سيرة ومسيرة»



تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب - شيخ الأزهر - أقامت مكتبة الأزهر يوم الثلاثاء الموافق ٢١ من رمضان ١٤٣١هـ - ٣١ من أغسطس ٢٠١٠م، أمسية ثقافية تحت عنوان: الدكتور/ محمد دراز «سيرة ومسيرة».

بدأت الأمسية بكلمة ترحيب بالسادة الحضور ألقاها الأستاذ/ مهدى هادى شلتوت رئيس الإدارة المركزية لمكتبة الأزهر، أعقبتها تلاوة مباركة لآيات الذكر الحكيم، ثم عرض الأستاذ/ مهدى عرضاً موجزاً عن مكتبة الأزهر وتاريخها والمهام المنوطة بها، ثم جاء حديث فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد الطيب شيخ الأزهر عن الدكتور/ محمد دراز وكان مما قاله فضيلته: أنه تتلمذ مباشرة على كتب الشيخ دراز، وقال فضيلة الإمام: «أنا لا أمل قراءة مؤلفات ودراسات الشيخ دراز لأنه فى كل سطر وكل عبارة تجد الشيخ دراز وكأنه فارس.. يمسك بسيفه ويطيح بمن أمامه ممن يعترضون على القرآن..»

ويقول فضيلته: «بعد قراءة الشيخ دراز وبعد قراءة العقاد لم أعد أهاب أحداً من الغرب



أو من الشرق يتحدث عن الإسلام حديثاً سلبياً، وتستطيع المنازلة، لأن الشيخ دراز أعطانا السلاح ودربنا على المنازلة ووضع أيدينا على نقاط الضعف الموجودة فى كتب المستشرقين لأنه فى الحقيقة كان يعرف آراء المستشرقين المنصفين وغير المنصفين».

وشهدت الأمسية الثقافية مشاركة لفيف من أساتذة وعلماء الأزهر الشريف منهم: الأستاذ الدكتور/ محمد عمارة عضو مجمع البحوث الإسلامية وقد شارك فضيلته بكلمة نذكر منها: أن الشيخ دراز عندما كتب بحثه عن الربا فى مؤتمر الفقه الإسلامى سنة ١٩٥١ فى باريس قال: «إن الذى فرض علينا النظام الربوى هو الاستعمار وأن البلاد الإسلامية ظلت لسنوات طويلة تتحفظ على إنشاء البنوك الربوية كموقف ضد هذا النظام الربوى»، وعن جانب العدالة الاجتماعية قال: «إن النظام الربوى يجعل المال دولة بين الأغنياء..».

واستطرد قائلاً: «إن البحث الذى قدمه فى سنة ٥١ عن الربا.. لو نظرنا إليه الآن فى ظل الوضع المالى العالمى سنجد أن الحل الإسلامى الذى تحدث عنه الشيخ دراز فى بحثه عن الربا هو الحل...».

كما شارك فى الأمسية الدكتور/ محمود عزب وتحدث فضيلة الدكتور فى كلمته عن أن



المجتمع المسلم فى فرنسا فى حاجة إلى ترجمة كتب الشيخ دراز، وتعرض فضيلته لكتاب «الدين» وهو من مؤلفات فضيلة الشيخ دراز وكيف أنشأ به أول بذرة لعلم الأديان المقارن.. كما ذكر أن عمالقة السربون يعرفون الشيخ دراز جيداً.

وعن الجوانب الشخصية فى حياة الدكتور/ دراز وكيف كانت معاملته مع أسرته وكيف كان جريئاً شجاعاً لا يخشى فى الحق لومة لائم كل هذه الأشياء تحدث عنها السفير/ فتحى دراز نجل الدكتور محمد عبدالله دراز.

أما الشيخ أحمد فضلية فقد عرض مؤلفات الدكتور/ دراز التى أسهمت فى تصحيح الكثير من المفاهيم المغلوطة عن الإسلام، فقد عاش حياته مدافعاً عن الإسلام فى كل الميادين بما آتاه الله من قلب صاف وعلم واسع.

وقال الدكتور أبوبكر سعد: إن الشيخ دراز اكتشف الإعجاز الأخلاقى فى القرآن وأسس علم أصول الأخلاق وساهم فى وضع نظام متكامل للحوار بين الأديان والحضارات.

رحم الله عالمنا الجليل وأسكنه فسيح جناته.



عودة الأزهر لتدريس مواد التراث الإسلامى

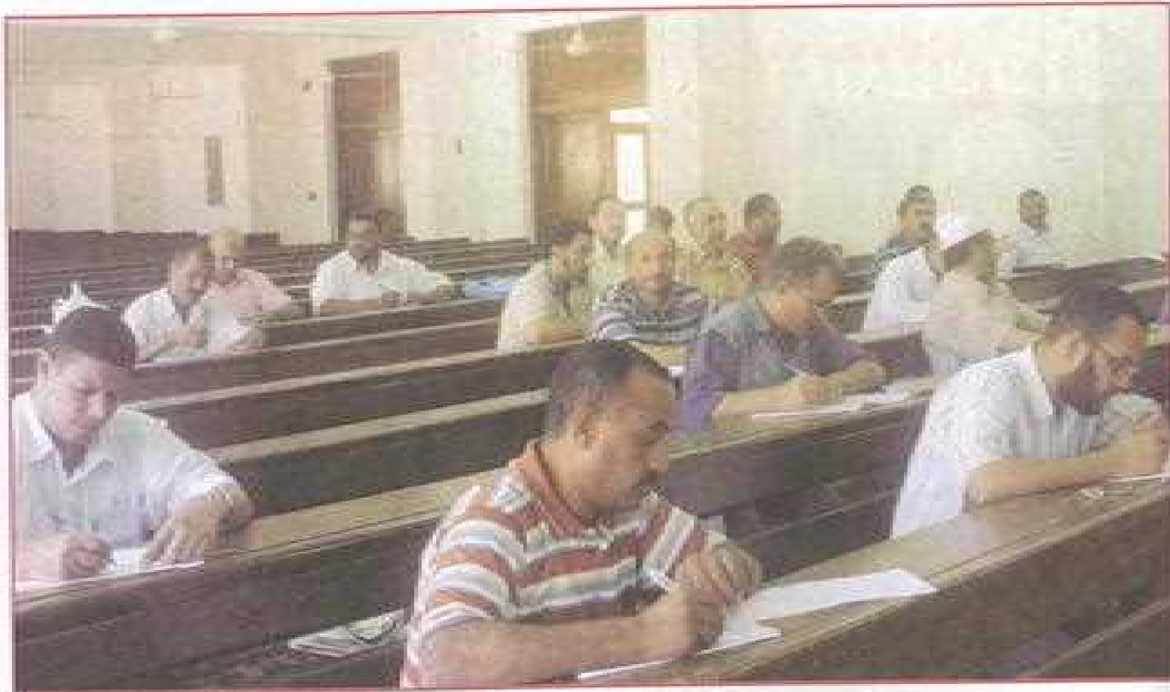
بناء على توجيهات فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / أحمد الطيب شيخ الأزهر وتوصيات المجلس الأعلى للأزهر الشريف..

تقرر عودة الأزهر لتدريس مواد التراث فى المعاهد الأزهرية، فتشكلتْ لجنة للإشراف على أعمال الدورة التدريبية لمدرسى شُعبة العلوم الإسلامية للقسم الأدبى بالمعاهد الأزهرية برئاسة:

الأستاذ الدكتور/ نائب رئيس جامعة الأزهر لشئون التعليم والطلاب، وتضم فى عضويتها فضيلة الشيخ/ الطاهر محمد الطاهر، مقرر لجنة التعليم لشعبة العلوم الإسلامية وفضيلة الشيخ/ عبدالتواب عبدالحكيم قطب، وكيل قطاع المعاهد الأزهرية.

والأستاذ الدكتور / محمد عبدالستار قطب، أستاذ بكلية الشريعة والقانون.. والسيد/ السيد فتوح سليمان خلف، مدير الخطة والمناهج بقطاع المعاهد.

وفور إعداد الخطة المقترحة.. بدأت اللجنة بإعداد دورة تدريبية للمدرسين الذين سوف يُرشحون لتدريس مواد التراث فى المعاهد الأزهرية لمواد: التفسير، والحديث، والتوحيد، والبلاغة، والفقه بمذاهبه المختلفة (المالكى، الحنفى، الشافعى، الحنبلى).



على أن يكون فى كل منطقة من المناطق المرشحة معهد يكون به فصل فى حدود من (٢٠ إلى ٢٥) طالباً يختارون من بين الطلبة المتميزين الحاصلين على ٩٠٪ فأكثر فى الشهادة الإعدادية للعام الدراسى ٢٠٠٩ / ٢٠١٠م على أن يعقد لهم اختبار فى القرآن شفوياً وتحريرياً، والعلوم الشرعية واللغوية، وكشف هيئة، مع تمتع الطالب المتقدم بسيرة حسنة وسلوك سوىّ بحيث يكون الطالب قدوة ونموذجاً يمثل الأزهر الشريف سلوكياً وعلمياً.

وسوف تكون الدراسة فى شعبة العلوم الإسلامية داخلية «إعاشة كاملة على نفقة الأزهر» وتُصرف لهم مكافآت تشجيعية على أن يكون خريج هذه الشعبة قاصراً على كليات: الشريعة، وأصول الدين، واللغة العربية، والدراسات الإسلامية والعربية، والدعوة فى تلك الكليات.

وقد قام بمحاضرة المدرسين المرشحين مجموعة من كبار أساتذة جامعة الأزهر من كليات الشريعة واللغة العربية، وأصول الدين وقد بلغ عدد الدارسين فى تلك الدورة ١١٥ دارساً من عشر مناطق أزهرية، بدأت فى ١ / ٨ وانتهت فى ٣١ / ٨ / ٢٠١٠م وقد تم اختبارهم فى يومى ١، ٢ / ٩ / ٢٠١٠م.

٢٩٤ مبعوثاً من الأزهر إلى ٤٩ دولة فى جميع أنحاء العالم


على عبدالباقى

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر نتيجة الابتعاث هذا العام حيث وافق فضيلته على ابتعاث ٢٩٤ مدرساً وواعظاً من الأزهر الشريف إلى ٤٩ دولة.

وأعلن فضيلة الشيخ على عبدالباقى الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية أن القرار شمل ابتعاث مدرسى ووعاظ الأزهر إلى الدول فى أوروبا وأمريكا وأفريقيا وآسيا وكذلك الدول العربية.

بالنسبة لدول أوروبا تمت الموافقة على الابتعاث إلى دول: إيطاليا وإسبانيا والنمسا وسويسرا.

وبالنسبة لدول الأمريكتين: البرازيل ونيكاراجوا والأكوادور.

وبالنسبة لدول آسيا: الكومنولث الروسى والصين وكازاخستان وأوزبكستان وباكستان وأندونيسيا والمالديف وتايلاند وسريلانكا.

وبالنسبة لدول حوض النيل والدول الإفريقية: أوغندا وكينيا وبوروندى والكونغو الديمقراطية والسنغال والكاميرون ونيجيريا وغانا وتشاد وسيراليون وزنزبار وغينيا كوناكرى ومالى وبوركينا فاسو والنيجر وتوجو وبنين والكونغو برازافيل وإفريقيا الوسطى ومالاوى وزامبيا والجابون وموزمبيق وجامبيا.



أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذ/ أحمد رضوان

مفتى هونج كونج يطالب بعطلة رسمية فى عيد الفطر المبارك

طالب مفتى المسلمين فى هونج كونج بأن تكون أيام عيد الفطر عطلة رسمية فى المدينة يتمتع بها المسلمون، كما يتمتع أتباع الديانات الأخرى بعطلات فى أعيادهم.

قال المفتى محمد أرشاد: إنه من غير العدل أن يضطر المسلمون فى جميع أنحاء هونج كونج إلى التوجه للعمل فى هذه الأيام بينما لا يضطر الآخرون للتوجه للعمل خلال الاحتفال بأعيادهم.

يذكر أن عدد المسلمين فى هونج كونج يبلغ نحو مائتى ألف شخص.

المسلمون يصلون قرب موقع الهجوم على البنتاجون

فى الوقت الذى أشعلت فيه خطط بناء مركز ثقافى إسلامى ومسجد بالقرب من موقع هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ فى نيويورك جدلاً سياسياً ساخناً، يؤدى المسلمون فى الولايات المتحدة صلواتهم بانتظام فى دار بالقرب من المكان الذى اصطدمت فيه طائرة مخطوفة بمبنى وزارة الدفاع الأمريكية «البنتاجون» منذ تسعة أعوام.

يقيم المسلمون واليهود والمسيحيون صلواتهم فى الدار متعددة الأديان التى خصصت للصلاة فى نوفمبر ٢٠٠٢م بعد إعادة بناء القسم الذى دمره هجوم بطائرات مدنية مخطوفة فى ١١ سبتمبر.

أثارت خطط بناء مسجد ومركز ثقافى إسلامى بالقرب من موقع مركز التجارة العالمى فى نيويورك غضباً شعبياً وانقسامات سياسية فى الأوساط السياسية والدينية، خاصة بعد تصريحات الرئيس الأمريكى باراك أوباما الذى أعلن فيها تأييده لبناء مسجد نيويورك تأكيداً على قيم التسامح الدينى الأمريكية.

وهولندا تشارك فى تمويل المركز الإسلامى بنيويورك

أعلنت الحكومة الهولندية مشاركتها فى تمويل بناء المركز الإسلامى الجديد فى مدينة نيويورك الأمريكية الذى سيقام بالقرب من موقع مركز التجارة العالمى الذى تم تدميره فى ١١ سبتمبر ٢٠٠١م.

وستقدم الحكومة الهولندية مليون يورو للإسهام فى إنشاء قسم خاص بالمرأة فى المركز، وذلك بالتعاون مع مؤسسة تنمية المسلمين بأمريكا، وتهدف الحكومة الهولندية بهذا الإجراء إلى إثبات حسن نواياها لتقريب الفجوة مع المسلمين، وذلك بعد التداعيات الخطيرة التى خلقتها أحداث سبتمبر بين المسلمين والغرب.

ويتسبب المركز الإسلامى فى نيويورك فى إثارة الجدل والاعتراضات من المعادين للإسلام فى أمريكا والدول الأوروبية، والذين يرون أن إقامة هذا المركز وكذلك بناء مسجد بالقرب من موقع الأحداث الدامية، إنما يعد تعمد لفتح الجرح الأمريكى تجاه المسلمين ونوعاً من التحدى لذكرى الضحايا!!

مسلمو أسبانيا يهددون باللجوء للقضاء فى حالة حظر النقاب

هددت جمعية «الوطنى» الإسلامية فى أسبانيا مجلس مدينة «لييدا» بأنها ستلجأ إلى القضاء فى حالة حظر النقاب فى المؤسسات العامة حيث يعتبر الحظر انتهاكا للدستور والحقوق الإنسانية والدينية.

قال رئيس الجمعية مراديودوهى: إنه لابد من احترام حق المرأة المسلمة فى اختيار ملابسها واحترامها لمعتقداتها الدينية فى ارتداء النقاب، وانتقد مجلس المدينة الذى ليس لديه سلطة تشريعية، وكما أنه لم يهتم بأخذ رأى مسلمى المدينة.

يذكر أن مجلس مدينة «لييدا» قرر حظر النقاب فى ٢٨ مايو الماضى، وسيتم العمل به من الخريف القادم، وبالإضافة إلى ذلك أصدر مرسوماً بشأن الحصول على حق النقض للأشخاص الذين يرتدون النقاب ودفع غرامة تصل إلى ٦٠٠ يورو.

أوضاع عرب إسرائيل قابلة للانفجار

حذر يتسحاق أهرونوفيش وزير الأمن الداخلى الإسرائيلى من أن الأوضاع فى الوسط العربى داخل إسرائيل أصبحت قابلة للانفجار أكثر من أى وقت وأن الهدوء النسبى السائد حاليا مضلل. وقال أهرونوفيتش- خلال جلسة عقدها مع ممثلى الدوائر الأمنية والجهاز القضائى- أن المشاعر السلبية لدى فلسطينى ١٩٤٨ (عرب إسرائيل) تجاه مؤسسات الدولة تفاقمت فى الآونة الأخيرة.

وأوضح -طبقاً لصحيفة «ها آرتس»- أن هناك حالة من الغليان فى أعقاب عدة أحداث منها هدم منازل العرب فى القرى واعتقال رئيس الحركة الإسلامية فى الداخل الشيخ رائد صلاح.

اتحاد المحامين العرب يدين الاعتداءات الإسرائيلية ضد لبنان

أدان اتحاد المحامين العرب الاعتداءات العسكرية الإسرائيلية الأخيرة بحق لبنان داعيا المجتمعين العربى والدولى إلى التضامن مع لبنان وتأكيد حقه فى الدفاع عن سيادته ضد أى اعتداء أو عدوان وإدانة ما تعرض له من اعتداءات من جانب الجيش الإسرائيلى.

وأكد الاتحاد فى بيان له- أن ما أقدمت عليه سلطات الاحتلال من عدوان على السيادة اللبنانية يعد انتهاكاً فادحاً للقانون والشرعية الدوليين، مشيرا إلى أن استمرار هذه الاعتداءات هى نتيجة لا تقبل الشك للدعم والغطاء السياسى من قبل الولايات المتحدة والحكومات الغربية لحماية إسرائيل من أى عقاب أو محاسبتها طبقا للقانون والشرعية والمواثيق والمعاهدات ذات الصلة.

ودعا الاتحاد القوى السياسية اللبنانية إلى الحفاظ على الوحدة الوطنية وإحباط ما سماه بالمخططات الرامية إلى زرع الفتنة والفرقة بين أبناء الوطن الواحد بغية السيطرة على لبنان والمنطقة العربية.

لأنها من أصل عربى.. إهانة وزيرة أمريكية فى مطار بن جوريون

قالت الوزيرة الأمريكية السابقة دونا شلالا إنها أوقفت فى مطار بن جوريون الإسرائيلى لمدة ساعتين ونصف الساعة، وتعرضت لمعاملة مهينة من رجال الأمن لأن اسم عائلتها عربى، وذلك رغم إبلاغ السلطات فى المطار بأنها شخصية مهمة.

وذكرت صحيفة يديعوت أحرونوت على موقعها الالكترونى أن شلالا وهى من أصل لبنانى وشغلت منصب وزيرة الصحة فى إدارة بيل كلينتون وترأس حاليا جامعة ميامى، وصلت إلى إسرائيل مؤخراً ضمن وفد رسمى لرؤساء جامعات أمريكية يشاركون فى حملة ضد المقاطعة الأكاديمية لإسرائيل.

وقال الموقع إنه رغم هدف زيارة شلالا إلى إسرائيل ورغم أن مستضيفيها أبلغوا سلطات مطار بن جوريون مسبقا بأنها شخصية مهمة، فإنها خضعت لاستجواب أمنى وصفته بالمهين فى المطار بسبب اسم عائلتها العربى.

وقالت شلالا: إن رجال الأمن الإسرائيليين طرحوا عليها أسئلة شخصية عدائية ومهينة، واستغرق الاستجواب مدة ساعتين ونصف الساعة، إلى أن استطاعت فى النهاية أن تستقل الطائرة إلى الولايات المتحدة.

وأشار مسئولون تحدثوا إليها إلى أنها شعرت بالأذى الشديد بسبب المعاملة التى تلقتها.

وولدت شلالا (٦٩ عاما) فى الولايات المتحدة من أبوين لبنانيين، وكانت أول امرأة من أصل عربى تتبوأ منصباً وزارياً فى الحكومة الأمريكية.

قافلة إغاثية عاجلة من نقابة الأطباء لأبناء باكستان

أعلن د. عبد القادر حجازى الأمين العام للجنة الإغاثة الإنسانية بنقابة الأطباء أن اللجنة أرسلت قافلة إغاثة عاجلة لأبناء الشعب الباكستانى الذين أضيروا جراء كارثة الفيضانات التى ضربت البلاد منذ يوليو الماضى.. وقال د. حجازى: إن القافلة التى تم تجهيزها من تبرعات أهل الخير من شعب مصر، وتم إرسالها بالتنسيق مع الهلال الأحمر المصرى والمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة- بلغت تكلفتها نحو ٢٠٠ ألف جنيه، وقد ضمت كميات كبيرة من الأدوية والمضادات الحيوية ومستلزمات الإسعافات الأولية وكذا كميات من الأغطية للمساهمة فى سد حاجة المنكوبين جراء كارثة الفيضانات. وأوضح د. حجازى أنه يجرى الإعداد حالياً لتجهيز عدة قوافل أخرى، كما تدرس اللجنة إمكانية إرسال فريق طبى إلى باكستان، مشيراً إلى أن المعلومات التى وردت للجنة عن الأوضاع الطبية فى أوساط المنكوبين خطيرة للغاية وهناك مخاوف من انتشار الأوبئة.

أول مركز عالمى لتأهيل العاملين بحقل التعريف بالإسلام

احتضنت مكة المكرمة خلال شهر رمضان المبارك أول مركز عالمى لتأهيل العاملين بحقل التعريف بالإسلام، تحت مسمى «مركز مكة لتأهيل المعرفين بالإسلام»، والذى تشرف عليه الهيئة العالمية للتعريف بالإسلام التابعة لرابطة العالم الإسلامى، بهدف تأهيل المعرفين بالإسلام ورعايتهم علمياً ونفسياً ومهارياً، فى ضوء الكتاب والسنة.

وأوضح الشيخ أحمد حمدان الشمرانى مدير فرع الهيئة العالمية بمنطقة مكة المكرمة، أن هذا المركز يعمل على تأهيل المعرفين بالإسلام من طلاب العلم من المقيمين والوافدين وغيرهم، فضلاً عن رعايتهم علمياً ونفسياً ومهارياً على ضوء الكتاب والسنة.. مشيراً إلى أن الحاجة ظهرت لهذا المركز فى ظل عدم وجود مراكز متخصصة لتأهيل المعرفين بالإسلام.. فضلاً عن الحاجة الملحة لتأهيلهم، والاستفادة من كثرة الوافدين لمكة المكرمة من طلاب العلم والحجاج والمعتمرين وغيرهم للاستفادة من هذا المركز.

وأوضح الشمرانى أن المركز يهدف لتأصيل التعريف بالإسلام من خلال تشكيل لجنة

علمية شرعية لإعداد المناهج والبرامج العملية وكيفية طرحها، الى جانب تأهيل المعرفين بالإسلام ورعايتهم من خلال إقامة برامج متنوعة لتأهيلهم ورعايتهم وتحقيق الكفايات وتوطين التعريف بالإسلام فى مختلف الدول من خلال زيادة المعرفين بالإسلام، وتأسيس ملتقى لهم فى كل بلد، والتعاون مع المهتمين بهذا المجال.. كما يسعى المركز لأن يكون جهة ذات اختصاص فى هذا المجال، من خلال إعداد قاعدة بيانات للمعرفين بالإسلام ومعرفة احتياجات المهتمين بهذا المجال.

أوغلو يطالب الهند بوقف انتهاكات حقوق المسلمين

أعرب الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلو الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى عن بالغ قلقه إزاء التطورات الأخيرة فى كشمير.. وندد بأعمال العنف التى اقترفتها قوات الأمن الهندية فى حق الأبرياء من أبناء الشعب الكشميرى، والتى أسفرت عن سقوط العديد من الأرواح الغالية داعيا فى الوقت ذاته الهند إلى وضع حد لانتهاكاتها لحقوق الإنسان فى المنطقة والسعى الى إيجاد تسوية سلمية تفاوضية للنزاع فى كشمير.

وأكد الأمين العام مجدداً تضامن منظمة المؤتمر الإسلامى مع أبناء الشعب الكشميرى.. ومشدداً على حقهم فى تقرير المصير.

نشاطات رمضانية بالمركز الإسلامى الثقافى فى مدريد

قام المركز الإسلامى بالعاصمة الإسبانية مدريد بدور كبير فى خدمة الجاليات العربية والإسلامية، وتصحيح المفاهيم المغلوطة عن رسالة الإسلام، يزداد هذا النشاط طوال شهر رمضان وذلك إضافة لجهوده الفريدة فى الدعوة إلى الله بالتى هى أحسن، واستقطاب العلماء والمفكرين لإكمال المسيرة الدعوية التى بدأها المركز منذ افتتاحه فى تسعينيات القرن الماضى على يد الأمير سلمان بن عبد العزيز.

وأكد مدير المركز الإسلامى سعود بن عبد الله الغديان، أن المركز قدم خلال الشهر الفضيل ٥٠٠ وجبة إفطار يوميا، إضافة الى الأنشطة الثقافية وتحفيظ القرآن والمسابقات باللغتين العربية والإسبانية، كما أقام المركز معرضاً لبيان جهود مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بجميع لغات العالم، إضافة الى قيام المركز الإسلامى بجمع المواد العربية المترجمة للغة الإسبانية والتى بلغت ١٩١ مادة متنوعة، كما يتولى المركز إقامة الدروس المتنوعة فى علوم الشريعة وتصحيح التلاوة وربط الجالية المسلمة بكتاب ربها وتعاليم دينها.

Those who relieves the distress of the people and help them, Allah grants them this blessing, as long as they keep on helping the people. Those who get bored of helping the people, Allah takes away this blessing to other people.
The Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: "There are some people whom Allah grants blessings to help the people as long as they sympathize with the people and relive their distress. If they get bored of that, Allah takes these blessings away from them." (Related by Al-Tabarany).
Islam guides the rich people who have a surplus of anything to give it to the needy. This giving is one of the signs of belief. It was narrated on the authority of Abu Said Al-Khodry (may Allah be pleased with him) that he said: While we were traveling with the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) a person riding on a camel passed and looked to the right and to the left. Then, the Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him) said: The person who has a surplus of anything, he should give it to the one who is in need. Then, he mentioned many types of properties until we thought that we have no right to any surplus. (Related by Muslim)

He spoke about the cooperation of the angels with the righteous people. The people who observe Prayer in the mosque and their hearts cling to it, the Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him) likened them to the pegs of the mosque.

It was narrated on the authority of Abu Hurayrah (may Allah be pleased with him) that the Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: The mosques have pegs, those are the Muslims whom hearts are cling to mosques and they are the pegs of these mosques. When they do not come, the angels ask about them; when they were sick, they visit them; when they were in need, they help them. (Related by Ahmed)

Undoubtedly, a person should keep on going to the mosques at the spare time. One of the forms of cooperation and intercession is asking the influential people to help a person who lost his right without transgressing the rights of the people. This is far from the evil intercession, by which a person takes prohibited right.

It was related on the authority of Abu Mosa (may Allah be pleased with him) that the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) said when a person in needs come to him: "Intercede, and you will be rewarded, and Allah will decree what He wills through the lips of His Messenger." (Related by Al-Bukhari and Muslim).

The Messenger of Allah likens the solidarity of a person with another one to the coherent building. It was narrated on the authority of Abu Mosa Al-Ash`ary (may Allah be pleased with him) that the Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him): "The believers are brothers and are an integrated nation, like a building parts of which support other parts." Then, he interlaced his fingers." (Related by Al-Bukhari and Muslim).

Islam made the most preferable deed to Allah (Glorified be He) is making the people happy, and the most preferable people to Allah is the people who are most beneficial to the other people. It was narrated on the authority of Ibn Omar (may Allah be pleased with them) that a man came to the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said: tell me about the most beloved man by Allah and what is the best deed ؛ the prophet said :"The most beloved of people to Allah is the one who brings most benefit to people, and the most beloved of deeds to Allah is making a Muslim happy or relieving him of hardship, or paying off his debt, or warding off hunger from him. For me to go with my Muslim brother to meet his need is dearer to me than observing i'tikaaf in this mosque – meaning the mosque of Medina – for a month... whoever goes with his Muslim brother to meet his need, Allah will make him stand firm on the Day when all feet will slip." (Related by Al-Tabarany in Al-Kabir) .

Undoubtedly, people differ, some of whom bring good, and others bring evil. Woe unto them. It was narrated on the authority of Anas Ibn Malik (may Allah be pleased with him) that the Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: "Some people are doers of good and resisters of evil, and others are doers of evil and resisters of good. Blessed is whoever is the doer of good and resister of evil, and woe unto whoever is the doer of evil and resister of good." (Related by Ibn Magah) .
The Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him) clarified that whoever pardons the people in the world, Allah pardons him in the hereafter, and become merciful to him, as he was merciful and generous towards the people in the world.

It was narrated on the authority of Hudhaiyfah Ibn Al-Yaman (may Allah be pleased with him) that the Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: Allah brings one of His Slaves whom He gave money, and asks him: What did you do with your money in the world? He said: O Lord, I was a business-man and used to give time to the rich to repay his debts and used to deduct part of the debt of the poor. I have more right than you to do this to connive at My Servant.

Within the framework of the solidarity and cooperation among the Muslims, Islam likens them to the body; if one part of it complains, the rest of the body joins it in staying awake and suffering fever. The Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him said: "The likeness of the believers in their mutual love, mercy and compassion is that of the body; if one part of it complains, the rest of the body joins it in staying awake and suffering fever." (Related by Al-Bukhari).
Islam emphasizes the necessity of the protection of the Muslims' rights, and that they should assist, cooperate, and strengthen the human relations maintaining the human rights and the need of the needy. It renders the most preferable act of good is fulfilling the requirements of others and helping others.
It was narrated on the authority of Ibn `Abbas (may Allah be pleased with them) that he was secluded at the mosque of the Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him). Then, a person came, saluted him and sat. Ibn Abbas told him: you seem sad, don't you? The person said: Yes, cousin of the Messenger of Allah, I am indebted, and I can not pay this debt. Ibn Abbas said: May I talk to him about your matter? He said: If you want to do that. Then, Ibn Abbas wore his shoes and got out of the mosque, and the man told him: Did you forget what you were doing? He said: No, but I heard the Messenger of Allah saying - not since a long time and he shed tears - that helping a Muslim is better than observing `Itekaf for ten years. Whoever observes I'tikaf for one day, seeking the pleasure of Allah, Allah will place three ditches between him and the Fire, each ditch as wide as the distance between the east and the west.

Islam is the religion of solidarity[1] …!

(Al- Islamu Dinut–Tadamun)

By: Dr. Ahmad Omer Hashim

Member of the Islamic Research Academy

Islam is the religion of solidarity and cooperation, as it calls its followers to solve their problems peacefully, to cooperate and to be harmonious with each other. Also, Allah Commands the people to cooperate in benevolence and piety.

Islam calls the people to resist unemployment, and urges the people to work, so as if a person does not a craft to so, others should guide and teach him. It was narrated on the authority of Abu Dharr (may Allah be pleased with him) said: O Messenger of Allah, which is the best of deeds? He said: Belief in Allah and fighting in the Cause of Allah. I said: Who is the slave whose emancipation is the best? He said: The one who is valuable for his master and whose price is high. What if I can not afford to do it? He said: Help an artisan or make anything for the unskilled laborer. I said: You see that I am helpless in doing some of these deeds. He said: Desist from doing mischief to the people. This is your own charity for yourself. (Related by Al-Bukhari and Muslim)

In this way, Islam commands the society to pave the way for the people to cooperate with each other, seek the way of living, and work. Also, it orders the competent person to give opportunity to the person who could not earn his living, as the Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him) did that when he found a person who searches for work to earn his living. He guided him to collect and sell the firewood. This is better than begging, as guidance for work is the best form of solidarity and cooperation.

Islam clarified that the reward is to fit the deeds, as Allah rewards the Muslim who helps his Muslim brother in this world and the hereafter. It is related on the authority of Abu Hurayrah (may Alalh be pleased with him) said that the Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: Whoever relieves a Muslim of some distress in this world, Allah will relieve him of some distress on the Day of Resurrection. Whoever is easy-going with a debtor who is facing hardship, Allah will make it easy for him in this world and in the Hereafter. And whoever conceals a Muslim's faults, Allah will conceal his faults in this world and the Hereafter. And Allah will help His slave so long as His slave helps his brother. Whoever seeks knowledge, Allah facilitates his way to Paradise. No people gather in one of the houses of Allah, reciting the Book of Allah and studying it together, but tranquility descends upon them and the angels surround them and mercy covers them, and Allah remembers them to those who are with Him.

In case of rise in price and need, the Muslims living in the Islamic society should cooperate with each other to fulfill the requirements of the needy. The Messenger of Allah praised Al-Ash'aris, who cooperated and united in solidarity to fulfill the requirements of the needy. The Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him) said: When the food of the Ash'aris ran short during military campaigns or if their food supplies ran low in Medina, they would gather what they had in a single cloth, then share it out equally amongst themselves by measuring it with a bowl; they are of me and I am of them.

[1] An article published (in Arabic) at the Azhar Magazine.

This holy verse associated giving thanks to the parents with giving thanks to Allah after mentioning what the mother endures during pregnancy and breastfeeding, and what the father endures such as the efforts he exerts in spending money over his children and bringing them up.

The feast is for the people who avoid mistreating or harming the parents, obeying the Command of Allah (Glory be to Him) in His saying: "And your Lord has decreed that you should not worship any except Him (only) and (to show) fairest companionship to parents; in case one or both of them reaches old age in your presence, do not say to them, "Fie" nor scold them; and speak to them respectful words. And lower to them the wing of humbleness out of mercy and say, "Lord! Have mercy on them, as they reared me (when I was) small". [Al-Isra (The Night Journey): 23-24]

It was narrated that Mu'aawiyah ibn Jaahimatuh al-Sulami (may Allah be pleased with him) said: I came to the Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him) and said: O Messenger of Allah, I want to go for jihad with you, seeking thereby the Face of Allah and the Hereafter. He said, "Woe to you! Is your mother still alive?" I said, Yes. He said, "Go back and honor her." Then I approached him from the other side and said: O Messenger of Allah, I want to go for jihad with you, seeking thereby the Face of Allah and the Hereafter. He said, "Woe to you! Is your mother still alive?" I said, Yes. He said, "Go back and honor her." Then I approached him from in front and said, O Messenger of Allah, I want to go for jihad with you, seeking thereby the Face of Allah and the Hereafter. He said, "Woe to you! Is your mother still alive?" I said, Yes. He said, "Go back and honor her (lit. stay by her feet), for there is Paradise."

The feast is for the people who celebrate the night of the feast in obeying Allah (Glory be to Him), remembering and supplicating to Him, reciting the Qur'an to obey the Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him): "Whoever stays up on the night of the feast, his heart will not die on the day when hearts die."

The feast is for the people who pay the charity of breaking fast to the poor and the needy, obeying the orders of the Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him): "Suffice them for asking the people for charity."

The feast is for the people who cheered up their wives, children, family members, and the orphans to feel happy and not to feel deprived.

My Muslim brother:

Reconsider your deeds and check your deeds, sayings, behavior and your relationship with Allah and the other people in the next Ramadan. If you are one of those people we mentioned before, praise Allah that granted you success in fasting Ramadan, worshipping him, gained the virtue and blessings of Ramadan. Thus, you shall be happy for the feast and for meeting Allah in the hereafter.

If you do not belong to those people, we ask refuge with Allah from that, do not blame anyone but you. You had a chance to gain goodness and to obey Allah, but you did not gain it. The doors of paradise were opened, but you did not seize the opportunity. We ask Allah to be granted the blessing of Ramadan and to be granted success in obeying Allah, deserving the intercession of fast to be gained the two joys.

The feast is for the people who attained the blessing of Ramadan, to which Allah assigned good and blessings. If the people know the good, virtue and blessing of this month, they will hope that all of the days of the year become Ramadan. It is mentioned in the holy Hadith: "There are days on your world in which Allah gives gifts to His Slaves, know them, for if you get one of these gifts, you will never be miserable after them."[4]
The feast is for the people who are affected by Fast, and their souls and hearts become pure. They fear Allah in words and deeds.
The feast is for the people in whom fast instills strong will, truthful resolution, ability to control habits, to overcome the desires, to endure deprivation and pains patiently.

Feast is for the people who fear Allah and keep their duty to Him. Thus, their tongues stop backbiting, and they are preoccupied with Glorifying Allah, remembering Him, and invoking Allah's peace and blessings upon His Messenger. Also, they abstain from useless dispute.
The feast is for the people who repent to Allah, worship Him, keep on seeking forgiveness from Allah, are preoccupied with useful knowledge, and are keen on saying the Name of Allah frequently.
The feast is for the people who keep the rights of the neighbors, consider their feelings and those of their families and children, help them if they are needy, visit them if they are sick, compensate them if they are afflicted with a calamity, and put the teachings of the Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him) in effect. He said: "Jibreel kept on enjoining the good treatment of neighbors to the extent that I thought that he would include neighbors as heirs."
The feast is for the people who attain the virtue of the Night of Decree about which Allah (Glory be to Him) says: "The Night of Decree is more charitable than a thousand months". [Al-Qadr (Decree): 3]

This night is honored with the sending down of the Noble Qur'an. Allah assigned to it more worship because the reward of worship at this night is greater and more charitable than a thousand of months. Jibril descends with the angels to the earth in this blessed night with a permission of Allah (Glory be to Him) to spread good, virtue, and blessings among the believers who worship Allah at this night till the break of dawn. It is mentioned in the two Sahihs that the Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: "Whoever spends the night of Laylat al-Qadr in prayer out of faith and in the hope of reward, will be forgiven his previous sins."

The feast is for the people who obey their parents, treat them kindly, and abide by Allah's Commands in His (Glory be to Him) saying: "And worship Allah and do not associate anything with Him. And (show) fairest (companionship) to parents". [Al-Nisa' (Women): 36]

Also, they put the Command of Allah in effect
"And We have enjoined upon man concerning his parent-his mother conceived him in feebleness upon feebleness, and weaning was is two seasons. Give thanks to Me and to your parents; to Me is the Destiny". [Luqman: 14]

[4] Al-Mu`gam Al-Awsat in other wording that signifies the same meaning, no. 2856.

For whom is this feast? Who are the people that rejoice for the feast of breaking the fast? Who are the people that will be rewarded by Allah? Who are the people that will enter Paradise from Al-Rayan door? It was narrated on the authority of Sahl (may Allah be pleased with him) that the Prophet (peace be upon him) said: "There is a door in paradise called Al-Rayan, through which the fasters only enter. When the last one of them enters, it is closed and no one else will enter from it."

The feast is for the people who fast in Ramadan out of belief, seeking their reward from Allah, abstained from all of the things prohibited by Allah, and fear Allah.
The feast is for the people who obey Allah in Ramadan in submissiveness without hypocrisy. They hope for His forgiveness, fear His punishment, and seek His Paradise.
The feast is for the people who feel the hunger of the poor and the needy. Thus, they hasten to help and feed them secretly and in public without hypocrisy or propaganda.
The feast is for the people who offer Prayer at its due time, offer supererogatory prayers, and the night prayer, while the people are asleep.
The feast is for the people who maintained the trusteeship in Ramadan such as carrying out the work and task for which they are paid. They do not become lazy due to fast.

The feast is for the people who performed their work and tasks in Ramadan, helped the people, observed Allah in their work without losing time in courtesy and talks with the relatives and friends.
The feast is for the people who maintained the ties of kinship by visiting the sick, helping the needy, saluting the attending people, asking about the absent people, relieving the distress of the people.
It was related on the authority of Abu Hurayrah (may Allah be pleased with him) that the Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him)said Allah created the universe, and when He had finished, kinship (stood up and said, "This is the standing up of one who seeks Your protection from being cut off." Allah said, "Yes, would it please you if I were to take care of those who take care of you and cut off those who cut you off?" It said, "Of course." Allah said, "Then your prayer is granted."'" The Prophet (peace and blessings of Allah be upon him) said, "Recite, if you wish (interpretation of the meaning): "Would you then, if you were given the authority, do mischief in the land, and sever your ties of kinship? Such are they whom Allah has cursed, so that He has made them deaf and blinded their sight". [Muhammad (22-23)]

The feast is for the people who abstained from desires, appetites, backbiting and speaking ill about the people along with abstaining from eating and drinking.
The feast is for the people who recited the Qur'an, seeking Allah's reward. It was narrated on the authority of Abdullah Ibn Mas`ud (may Allah be pleased with him) that the Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: "Whoever reads one letter from the Book of Allah will earn one good (hasanah) thereby. One good deed is equal to ten good deeds the like of it. I do not say that Alif-Lam-Mim is a letter, but Alif is a letter, Laam is a letter and Meem is a letter."[5]

[5] Sunan Al-Termudhy, The Virtues of the Qur'an on the Authority of the Prophet, no. 2835.

except from little (time). Say, "Who is he that will safeguard you from Allah in case He wills you ill, or He wills mercy for you?" And they will find for themselves, apart from Allah, neither patron nor ready vindicator". [Al-Ahzab (The Allied Parties): 16-17]

Allah willed to guide Na`im Ibn Mas`ud Al-Ashga`y to Islam, and the Messenger of Allah told him to hide this matter. He told him: "You are one of us, and hide this matter because war is a trick."

Na`im went to ever tribe and made every one of them doubt the other. Thus, he succeeded in disuniting them. Thus, they went back. At one night of winter, Allah sent them wind that destroyed their tents, extinguished their fire, and terrified them. Allah sent soldiers as angels to terrify the. "O you have believed, remember the favor of Allah upon you as hosts came against you; then we sent against them a wind and hosts you did not see; and Allah has been Ever Beholding whatever you do". [Al-Ahzab (The Allied Parties): 9]

The Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: "All praise be to Allah, Who supported His Slaves, Glorified His soldiers, and defeated the allied parties on His Own."
Also, Allah eliminated the common pessimism that spread in the pre-Islamic era concerning the women who get married in Shawwal; she does not obey her husband in bed. The Messenger of Allah married `Aishah (may Allah be pleased with her) in Shawwal to nullify this pessimism. `Aishah (may Allah be pleased with her) said: "The Messenger of Allah married me in Shawah and had conjugal relation with me in Shawwal. Which one of his wives is luckier than me?

Sheikh Ali Mahfouz, the Sheikh of the preachers in his Book "Al-Ibda`":
Satan – May Allah cure Him- turned the people away from the right path, prevent them from Allah's mercy, push them in the torment, decorated the times of desires, let their hearts cling to desires, keep them away from guidance, and decorated every innovation in religion to them to stir Allah's Wrath, instead of His mercy and Forgiveness.

"So, in case they do not respond to you, then know that they are only closely following their prejudices. And who is further into error than he who closely follows his prejudice, without guidance from Allah? Surely Allah does not guide the unjust people". [Al-Qasas (Narrative): 50]

May Allah reward the people who maintain the Islamic rituals in this day, enjoy themselves reasonable and follow the best sayings.

For Whom Does the Feast Come?[1]

(Liman Jaa'al Eid?)

By: The Honorable Sheikh. Fawzy Az-Zefzaf
Member of the Islamic Research Academy

The blessed Ramadan, the month of good, blessing, repentance, forgiveness, spirituality, maintaining the ties of kinship, benevolence, piety, controlling the desires and appetites, and victory of the instincts. This month is distinguished by Allah to the other months by the sending down of the Qur'an. Allah makes its beginning mercy, its middle forgiveness, and its end rescue from Hellfire.

Allah, Glory be to Him, distinguishes this month by the Night of Decree. Allah blessed the nation of His Messenger Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) with this night to grant them graces, blessings, and rewards.

The Messenger of Allah said: Allah gave my nation in Ramadan five blessings that were not given to any prophet before me. First: At the first night of Ramadan, Allah looks at His Slaves. The one to whom Allah looks will never be punished. Second: The smell of the mouths of the people who observe Fast at the end of the day is better than the smell of musk. Third: The angels seek forgiveness from Allah to them at every day and night. Fourth: Allah orders Paradise to be prepared to open to His Slaves who are about to rest from the hardships of the world. Fifth: At the last night, Allah forgives them all. One of the people said: Is it the Night of Decree? He said: No, do not you see the workers who take their wages after performing their tasks?[2]

Now, Shawwal begins, and the faster gains the reward of his Fast and of his sincere obedience to Allah. The faster becomes happy for the first time in the reward at the time of the sunset of every day in Ramadan. The Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: "The faster feels two joys: The joy or breaking fast and the joy of meeting Allah."[3]

The faster becomes happy after the end of Ramadan for the beginning of the feast of breaking the fast, which is one of the two feasts that Allah prescribed for the Muslims to give rest to the bodies of the Muslims, and to praise Allah for His Graces and Blessings. Also, it enhances the ties of brotherhood, love, harmony, paying visits, and cooperation among the Muslims.

It was related on the authority of Anas (may Allah be pleased with him) that the Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) went to Medina and they had two feasts. He said: What are these two days? They said: We played and rejoiced in these days in the pre-Islamic era. The Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him) said: Allah substituted these two days with better feasts, which are the feast of sacrifice, and the feast of breaking the fast.[4]

---

[1] An article published (in Arabic) at Al-Azhar Magazine.
[2] Al-Targhib and Al-Tarhib
[3] Sahih Muslim, the chapter of Fast, No. 19645
[4] Sunnan Abu Dawud, chapter of Prayer, no. 959.

be pleased with him) that the Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him) said: "There are no two Muslims who meet and shake hands with one another, but they will be forgiven before they depart."

To spread brotherhood among the Muslims, they should help the poor and the needy, and rejoice the unhappy persons to spread goodness and safety among the human beings. Al-Darqatny and Al-Baihaqy narrated that the Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: "Meet their needs, i.e., the poor in the feast."

Thus, the obligatory charity of breaking fast is prescribed to compensate for the matter that may not be solved during Ramadan, in the manner in which the prostration of forgetfulness compensates for the missing part of the Prayer. The Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: "The month of Ramadan is suspended between heaven and earth and is not taken up to Allah except by obligatory charity of breaking fast." (Related by Abu Hafs Ibn Shahin, who said good chain of narrators).

The Muslims should in this day maintain the teachings of Islam, and behave in the Islamic way, to praise Allah (Glory be to Him). The Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: "I have only been sent to perfect good characteristics." (Related by Al-Hakim).

Thus, it isn't proper to meet the day in which Allah accepts the fast of His Slaves with acts of disobedience and seeking the mean desires. Allah glorified this feast by prohibiting fast in it and inviting the people to banquets. He allowed them to the matters that were prohibited during fast rewarding them for their obedience, patience, avoiding the acts of disobedience, and self-strife. Thus, all praise be to Allah, Who grants us success and helps us.

Thus, the people should spend its night in worshipping Allah and saying Allah is Great. The Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: Whoever spends the nights of the two feats in praying and qiyaam al-layl, seeking reward from Allah, his heart will not die on the Day when hearts will die."

In this great day, Allah calls the angels saying: "What is the reward of the person who works hard? They say: O Lord, he should be rewarded. Allah (Glory be to Him) says, looking at all of the praying persons of the feast prayer in sympathy: "Ask me, My Slaves, I will give you whatever you

ask for in the world and the Hereafter. You fulfilled my Great Pleasure, I am pleased with you, I will forgive you."

"Surely whoever is pious and (endures) patiently, then surely Allah does not waste the reward of the fair-doers". [Yusuf (Josef): 90]

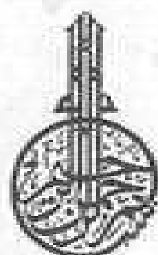
In the feast, happiness spread in the Islamic nation and Arab countries. The Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: "The faster has two joys: The joy of breaking fast every day, and the joy of meeting Allah." (Related by Al-0Bukhari and Muslim in their Sahih on the authority of Abu Hurayrah [may Allah be pleased with him]

One of the events that occurred in Shawwal is Uhud Battle, which occurred in the third year A.H. The defeat of the Muslims left great effect in their souls and in the soul of the Messenger in particular. It was a lesson for the Islamic society. They were ideal lesson in unity, obedience to the commands of their leader, belief and steadfastness in the most critical situations. Thus, they were victorious in many battles. Allah (Glory be to Him) says: "Enactments have already passed away before you; so travel in the earth, then look into how was the end of the beliers. This is an evidence for mankind and guidance and an admonition fopr the pious. And do not feel feeble nor grieve; and you are the most exalted in case you are believers. In case a blow touches you, then a like blow has already touched the disbelieving people. And such days We interchange among and that Allah may know (the ones) who have believed and take to Him martyr-witness from among you; and Allah does not love the unjust. And that Allah may prove (the ones) who have believed and expunge the disbelievers". [Al-Imran (The House of Imran): 137-141]

Also, Al-Khandaq Battle occurred I Shawwal in the fifth year A.H. The tribes of the disbelievers such as Quraysh, Bany Salim, Bany Sa`d, Fazarah, Ashga` and Ghatfan gathered to invade Medina. Salman Al-Farisy gave the Messenger of Allah his opinion to dig a deep trench to separate them from their enemy. The Messenger of Allah helped the Muslims in carrying the stone and dust.
The matter was great for all of the Muslims. Allah (Glory be to Him) says: "As they came against you from above you and from below you, and as beholding swerved and hearts reached to the larynxes; and you surmised vain surmises about Allah. Therefore were the believers tried, and were made to quake with a severe earthquake". [Al-Ahzab (The Allied Parties): 10-11]

They fled due to weak belief. "Say, "Flight will never profit you, in case you fleee from death or killing; and lo, you will not be given enjoyment

AL-AZHAR MAGAZINE
Shawwal, 1431 A. H.



ENGLISH SECTION
September. 2010

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

The Feast of Breaking Fast is the Feast of the Reward...!

(Eidul- Fitri Huwa Eidul- Ja'izah)

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Shawwal is the end of a season of Islamic worship, which is Ramadan, in which the Qur'an was sent down. It is light and guidance for the people to the way of peace. Thus, the feast of breaking fast is a great Islamic feast, in which Allah (Glory be to Him) rewards His fasting Slaves.

At the beginning of this day, the Muslims hasten to the courtyards and mosques "Allah is Great" and to Glorify Him. Also, they listen to the sermons that remind them of the Graces of Allah. They say "Allah is Great, there is no god but Allah, Allah is Great, All praise be to Allah." The angels join them in their happiness, and this day is called the feast of reward, for the righteous acts they presented, by which they gained Allah's Great Pleasure and forgiveness. This is the day of praise. Al-Tabarany narrated in the "Great Lewxicon" on the authority of "Sa`d Ibn Aws" on the authority of his father (may Allah be pleased with them) that the Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him) said:

When the day of the feast of breaking fast comes, the angels stand on the roads saying: "O Muslims, come the Great Lord rewards you with the best. You are ordered with worshipping Allah at night; then you did. You are ordered with fasting at the daytime of Ramadan, and you fasted and obeyed Allah. Thus, gain your rewards. When they pray, a caller says: 'Allah forgives you, go back home, this is the day of reward.' And whosoever does charity equal to the weight of an atom (or a small ant) shall see it."

There are no days in the Islamic world better than the feast of fitr and the feast of sacrifice. Allah prescribed the feasts to unite the Muslims and to strengthen the ties of brotherhood. They purify their souls from grudge and spite. They reform themselves and love each other.

The Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: "The Muslims are like a whole person, if his head aches, his whole body aches." (Related by Imam Ahmed in his Musnad, and Muslim in his Sahih on the authority of Al-Nu`man Ibn Bashir [may Allah be pleased with him]) Imam Ahmed, Al-Taramadhy, Abu Dawud, Ibn Magah narrated on the authority of Al-Bara' Bin Aazeb (may Allah

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾



بسم الله الرحمن الرحيم

بيان من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف إلى الأمة

اجتمع مجمع البحوث الإسلامية فى جلسة طارئة السبت ١٦ من شوال ١٤٣١هـ الموافق ٢٥ من سبتمبر ٢٠١٠م وأصدر البيان التالى:

لقد صُدم مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف بما نُشر أخيراً منسوباً إلى أحد كبار الكنيسة الأرثوذكسية بمصر من طعن على القرآن الكريم وتزييف على علماء المسلمين، الأمر الذى أثار غضب جماهير المسلمين فى مصر، وخارجها واستنكار عقلاء المسيحيين فى مصر - على وجه الخصوص - والمجمع إذ يؤكد على أن هذه التصرفات غير المسئولة إنما تهدد فى المقام الأول الوحدة الوطنية فى وقت نحن فى أشد الحاجة فيه لصيانتها ودعمها، فإنه ينبه إلى أن هذه التجاوزات إنما تخدم الأهداف العدائية المعلنة عالميا على الإسلام والمسلمين وثقافتهم وحضارتهم، مما يوجب على أصحاب هذه التجاوزات أن يرتقوا إلى مستوى المسئولية الوطنية، وأن يراجعوا أنفسهم، وأن يثوبوا إلى رشدهم.

هذا وإن رفض مجمع البحوث الإسلامية هذه التصرفات غير المسئولة إنما ينبع أولاً من حرصه على أمن الوطن بمسلميه ومسيحييه، وحماية الوحدة الوطنية، ومواجهة الفتن التى يمكن أن تثيرها هذه التصرفات التى تهدد أمن الوطن واستقراره.

ويؤكد المجمع على حقيقة أن مصر دولة إسلامية بنص دستورها الذى يمثل العقد الاجتماعى بين أهلها، ومن هنا فإن حقوق المواطنة التى علمنا إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عهده لنصارى نجران ـ والذى قرر فيه أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ـ هذه الحقوق مشروطة باحترام الهوية الإسلامية وحقوق المواطنة التى نص عليها الدستور.

وإذا كان عقلاء العالم قد استنكروا فى استهجان شديد إساءة بعض الغربيين للقرآن الكريم، فإن عقلاء مصر بمفكريها ومثقفيها من المسلمين والمسيحيين مطالبون بالتصدى لأية محاولة تسىء إلى الأديان السماوية الثلاثة ورموزها ومقدساتها، كما أنهم مطالبون باليقظة وبتفويت الفرصة على المتربصين بأمن مصر واستقرارها وسلامتها، وبأن يعتبروا العقائد الدينية للمصريين جميعاً خطاً لا يجوز المساس به من قريب أو بعيد.

والله ولى التوفيق



هذا وقد تلقى فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب – شيخ الأزهر بارتياح وتقدير المعانى التى تضمنها حديث قداسة الأنبا شنودة للتليفزيون المصرى كما أعرب فضيلته عن ارتياحه للبيان الذى أصدره الأنبا بيشوى.

ويهيب الإمام الأكبر بالمصريين جميعاً أن يرتفعوا فوق كل ما يثير سوء الفهم وأن يؤكدوا على الأخوة الوطنية التى تجمع الشعب الواحد فى الوطن الواحد وأن تتضافر جهودهم جميعاً من أجل أن يكون وطنهم محلا للسعادة المشتركة وللمساواة الكاملة بين جميع أبنائه وأن يعملوا على تقدم الوطن ورفعته وازدهاره لتكون مصر كما كانت دائماً وكما ستظل أبداً أرض الحضارة والتقدم والإخاء.

بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

رئيس التحرير

أ. د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

سكرتير التحرير

أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا

أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

☎ ت: ٢٢٦٣٨٥٩٩

ذو القعدة ١٤٣١هـ - أكتوبر ٢٠١٠م - الجزء الحادى عشر - السنة الثالثة والثمانون

شبهات حول التفكير الدينى

(٣)

ذكرنا بعض ما جاء فى كتاب المنازعة بين الدين والعلم، للأستاذ «درابر» وهو حديث تزداد خطورته العلمية قيمة بالغة إذا عرف أن هذا السبق العلمى الكاشف للمسلمين قد كان فى عصور سيطرت فيها الكنيسة على البحث العلمى فى أوروبا سيطرة خانقة؛ إذ أحكمت مواضع البحث العلمى فى دائرة ضيقة لا تتعدى شئون المعيشة الساذجة أما ما وراء ذلك البحث فى مسائل الكون وعلوم النفس وسبر أغوار الطبيعة وشرح مذاهب الفلسفة فقد كان من الخطورة بحيث تقام له المحاكمات وتتوالى الاتهامات، وكم ذهبت نفوس بريئة هناك ضحية قول جديد أو اكتشاف سديد فى هذا الظلام الحالك قد استطاع المسلمون فى نطاق التفكير العلمى البصير أن يجعلوا الأسلوب التجريبى دستور الاكتشاف العلمى، وأن يعتبروا الهندسة والرياضيات أدوات مساعدة لعلم المنطق بمعنى أن التفكير العقلى قد انتقل من أبراجه الشاهقة إلى الميدان العلمى فى تجارب الحياة من عمارة وزراعة وبناء، كما اخترعت آلات التقطير والضوء والإبصار والتصعيد والإسالة فى فروع الكيمياء والميكانيكا والطبيعة، بل سمت الهمم إلى دراسة الآفاق العليا فى الأجرام والكواكب والأفلاك النائية فاستحدثت الأزياج الفلكية على نحو غير معهود وبها عرفت حركات الكواكب وقدرت أبعادها المترامية، أما اكتشاف علم الجبر فقد كان معجزة هذه النوادر الرائعة، وقد انبعث المسلمون وراء ذلك كله فى نطاق تفكيرهم الدينى الحافز على البحث والنظر، الهاتف بالتأمل فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء، ولم تكن هذه النهضة العلمية المباركة فى بلد واحد من بلاد الإسلام حتى يقال: إنها شذوذ عن القاعدة، واستثناء عارض لا يلتفت إليه بل امتدت أشعة هذا التفكير المثمر إلى جهات مترامية فى الشرق والغرب الإسلاميين بحيث كان مرصد سمرقند الفلكى يماثل مرصد جيرالد الأندلسى، وكانت مكتبة الحكم بالأندلس لا تقل حشداً عن مكتبة المأمون

ببغداد والمعز بالقاهرة؛ فإجماع المسلمين فى كل مكان وزمان على النهوض العلمى يقدم أسطع الأدلة على أن هذه النهضة المباركة وليدة دين حى متوثب يدعو العقول إلى النظر البعيد ويندد بمن يغفلون نعم الله عليهم فيهملون طرق النظر والتدليل:

﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾
وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾

(عبس: ٢٤ - ٣٢)

﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

(الرعد: ٤)

ولنعرج على التفكير الفلسفى وهو الذى يتجاوز البحث فى الجزئيات إلى الأمور العامة التى لا ينالها الإدراك العادى كالخير والشر والخلق والعدم والروح والمادة والبداية والنهاية مما يعطى تفسيراً شاملاً لجوانب الكون بما فيه ومن فيه مستعينا بالاستنباط العقلى البعيد عن المؤثرات، فنرى أن هذه الأشياء جميعها مما أوجب الإسلام مناقشتها ودعا إلى التفكير فيها دون تهيب أو حذار، وإذا كانت الفلسفة فى صميمها ليست أكثر من النظر العقلى فى الموجودات فإن آفاق هذا النظر تتسع فى رحاب الإسلام وتمتد حيث تفيض بالضياء والنور، وفى القرآن الكريم والحديث النبوى أصول الفلسفة الإسلامية الحقيقية إذ إن قضايا الخير والشر والعدل والظلم والبدء والمصير قد وجدت روافدها الدافقة فى أصول الإسلام ونصوصه، حتى ليستطيع الباحث أن يجد لهذا الدين فلسفة مستقلة يمدها النظر الصائب ويقيمها البرهان الصحيح! وما شاه وجه الفلسفة الإسلامية فى عيون كثير من الناس إلا حين أخطئوا مدلولها الصحيح فتوهموه فيما نقله التراجمة عن اليونان ثم فيما توسع فى تفسيره وتحليله أمثال الكندى والفارابى وابن سينا وابن رشد! وهؤلاء مفكرون مسلمون، ولكن تفكيرهم لا يستقى من روافد الإسلام شراباً صافياً مستقلاً بل تغشى جداولهم كدرة آسنة مما ترك الأقدمون؟ وقد ترتب على صنيع هؤلاء المولعين بأرسطو وشيعته أن جاء فريق فحكم بأن الفلسفة الإسلامية مفقودة ضائعة وأن ما كتبه الفارابى وابن سينا وابن رشد لا يتجاوز التفسير لأفكار اليونان، وإذن فلا فلسفة إسلامية على الإطلاق! وقد تمخض الجدل عن بحث متزن للفلسفة الإسلامية فى ضوء القرآن والحديث وما تبعهما من علمى الأصول والكلام، فكان ذلك تحديداً أوليا لمجرى التفكير الإسلامى الأصيل، وإذا كانت ذروة

الفلسفة الإغريقية القديمة قد انتهت إلى سقراط وأفلاطون وأرسطو، وإذا كان الأول يرى الغاية من فلسفته تحديد الأخلاق والفضيلة ويراها الثاني في البحث النظري عن مبدأ العالم وحقائقه الكلية وعن الفضيلة كنظام اجتماعي بينما يجدها أرسطو في البحث عن السلوك الإنساني، أقول: إذا كانت الفلسفة اليونانية قد انتهت إلى هذه الأشياء فإن للإسلام رأيه الساطع من كل ناحية من نواحيها، ومعنى ذلك أنه أولاً لم يعتمد على فلاسفة اليونان فيما شرّع ونهج وثانياً قد أخضع معضلات الكون للتأمل النظري فبسط من الآراء ما يؤلف منهجاً خاصاً في البحث المستند إلى البرهان، وإذا شغل فلاسفة العصور الوسطى وفلاسفة هذا العصر أنفسهم بإضافات جديدة إلى مناحي الفلسفة فإن تلك الإضافات لم تخرج عن دائرة البحث اليوناني، ويمكن أن تعرف الفلسفة بما عرفها «كانت» من أنها المعرفة العقلية الناشئة من المعاني المدركة بالعقل أو بما عرفه «نتشه» من أنها فن المعرفة، وكل ذلك قد عالجه التفكير الإسلامي دون تقييد.

وإذا كانت الفلسفة لا تخرج في مترادفها العربي عن الحكمة فإن القرآن الكريم قد نوه بها في أكثر من موضع حيث قال تعالى في محكم كتابه:

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

(آل عمران: ١٦٤)

وحيث قال جل ذكره:

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

(البقرة: ٢٦٩)

وحيث قال عن آل إبراهيم:

﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً﴾

(النساء: ٥٤)

وقال عن داود:

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾

(ص: ٢٠)

وقال عن عيسى عليه السلام:

﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾

(المائدة: ١١٠)

وقال عن لقمان:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾

(لقمان: ١٢)

هذا بعض ما ذكره القرآن عن الحكمة وإذا كان نفر من المفسرين قد شرحوا المراد بها شرحاً مختلفاً فمنهم من جعل معناها «السنة» ومنهم من جعل معناها المعرفة بالدين والفقه فيه ومنهم من جعل معناها الفصل بين الحق والباطل فإن هذه الشروح جميعاً جزئيات تندرج في معنى عام وهو معرفة الحقائق للأشياء عن بصر سديد وهو اللباب المقصود من الفلسفة في الحديث والقديم وهناك فرق واضح بين فلسفة الإسلام وما تقدمه وخقه من الفلسفات المختلفة؛ لأن الفلسفة الإسلامية الأصيلة تستند إلى وحي صادق لا يقبل الخطأ فهي بمنجاة من أخطاء الفلسفة الوضعية وإذا وجد اختلاف بين رجال الفلسفة الإسلامية الأصيلة فهو اختلاف الشرح والتفسير لا اختلاف المنهج والقاعدة.

لذلك يمكننا أن نعدد لكل فيلسوف أخطاءه البارزة لأنه ليس عقلاً مجرداً من العاطفة بل تتحكم أهواؤه في آرائه الخلقية والسياسية والإنسانية، وما ظنك بفيلسوف جهير كأفلاطون يؤلف مدينته الفاضلة ليجعل الناس طبقات ثلاثاً أعلاها المشرعون وهم المخلوقون للسيطرة والسيادة والاستعلاء ثم طبقة الجنود وهم الحراس المدافعون عن المملكة ثم طبقة الصناع وهم أرباب المهن أما ما عداهم من العبيد والأرقاء فهم والماشية سواء! وقد استعان بخياله في تجميل فكرته فسمى الطبقة الأولى بالطبقة الذهبية وسمى الطبقة الثانية بالطبقة الفضية وسمى الطبقة الثالثة بالطبقة الحديدية أما العبيد فلا شيء على الإطلاق، فإذا كانت هذه التفرقة الصارخة وليدة عقل فلسفي بارع كعقل أفلاطون فأيّ من سواه من الزلل و الانحدار..

نحن لا ننكر أثر الترجمات الأجنبية في العقل الإسلامي فقد وضح هذا الأثر البارز في طرق النقد وآداب المناظرة والبحث وقضايا علم الكلام، ولكنه مع ذلك كله لا يطمس لألاء الحقائق الإسلامية المنبعثة من أشعة السماء، وهو إذا تمثل في طريقة الجدل، وصياغة القضايا وتمهيد المقدمات للنتائج فإنه لا يعمد إلى الحقائق القرآنية بعض التبديل، وإذا كان التفكير الفلسفي في هذا النطاق مما دعا إليه التفكير الديني فهما ممتزجان متلاصقان بحيث أصبحت أسطورة التفكير الديني التي تبعد عن التفكير العلمي والتفكير الفلسفي باطلاً مموهاً إن وجد بعض مبرراته في أديان أخرى فإنه بمنأى شاسع عن الإسلام. وإذا كان الإسلام دين العقل وداعيه فقد أصبح ترديد هذه المصطلحات الأوروبية خطلاً شديد الخطر وباطلاً واضح التمويه.

د. / محمد رجب البيومي

تفسير سورة النساء

لفضيلة/ الأستاذ الدكتور
محمد سيد طنطاوى
رحمه الله

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ الآية (٤٣)

روى المفسرون فى سبب نزول هذه الآية الكريمة روايات منها ما رواه أبو داود والنسائى عن على بن أبى طالب أنه كان هو وعبدالرحمن بن عوف ورجل آخر، قد شربوا الخمر. فصلى بهم عبدالرحمن فقرأ: قل يا أيها الكافرون. فخلط فيها فنزلت:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ ﴾

وروى الترمذى وابن أبى حاتم عن على ابن أبى طالب قال: صنع لنا عبدالرحمن بن عوف طعاما فدعانا وسقانا من الخمر فأخذت الخمر منا وحضرت الصلاة فقدموا فلانا. قال: فقرأ:

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾

.. ونحن نعبد ما تعبدون. فأنزل الله الآية.

قال ابن كثير: وقد كان هذا النهى قبل تحريم الخمر. كما دل عليه الحديث الذى ذكرناه فى سورة ـ البقرة عند قوله ـ تعالى:

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾ (البقرة: ٢١٩)

فإن رسول الله ﷺ تلاها على عمر فقال: «اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا. فلما نزلت هذه الآية تلاها عليه فقال: اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا. فكانوا لا يشربون الخمر فى أوقات الصلاة» وفى رواية لأبى داود: «فكان منادى رسول الله ﷺ إذا قامت الصلاة ينادى: لا يقربن الصلاة سكران ـ حتى نزل قوله ـ تعالى ـ فى سورة المائدة:

﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾

فقال عمر: انتهينا انتهينا»[1].

والمراد بالصلاة عند كثير من العلماء: الهيئة المخصوصة من قراءة وقيام وركوع وسجود والمراد بقربها: القيام إليها والتلبس بها، إلا أنه ـ سبحانه ـ نهى عن القرب منها مبالغة فى النهى عن غشيانها وهم بحالة تتنافى مع جلالها والخشوع فيها.

وقوله: ﴿ سُكَارَىٰ ﴾ جمع سكران.

وأصل السكر فى اللغة السد. ومنه قولهم سكرت الطريق أى سددته ومنه قوله ـ تعالى ـ حكاية عن الكافرين:

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا ﴾ (الحجرات: ١٤-١٥)

أى: انسدت فصارت لا ينفذ إليها النور، ولا تدرك الأشياء على حقيقتها. والمراد بالسكر هنا الحالة التى تحصل لشارب الخمر والتى يفقد معها وعيه، ويسد ما بين المرء وعقله.

والجنب: من أصابته الجنابة بسبب جماع أو احتلام أو غيرهما. وهذا اللفظ يستوى فيه ـ على الصحيح ـ الواحد، والمثنى، والجمع، والمذكر والمؤنث لجريانه مجرى المصدر، واشتقاقه من الجانبة بمعنى المباعدة.

وعابر السبيل: مجتاز الطريق وهو المسافر أو من يعبر الطريق من جانب إلى جانب.

يقال: عبرت هذا الطريق فأنا أعبره عبرا وعبورا ومنه قيل: عبر فلان النهر إذا قطعه وجازه.

والمعنى: يأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن تؤدوا الصلاة وأنتم فى حالة السكر حتى تكونوا بحيث تعلمون ما تقولونه قبل أدائها، ولا فى حال الجنابة حتى تغتسلوا، إلا أن تكونوا مسافرين ولم تجدوا ماء فتيمموا لكى تؤدوها.

ومن العلماء من يرى أن المراد بالصلاة هنا: مواضعها وهى المساجد. فالكلام مجاز

١ـ تفسير ابن كثير ج٢ ص٥٠٠

مرسل بتقدير مضاف فهو من باب ذكر الحال وإرادة المحل.

والمعنى عليه: لا تقربوا مواضع الصلاة وهي المساجد وأنتم سكارى، ولا تقربوها وأنتم جنب حتى تغتسلوا إلا أن تكونوا تريدون اجتيازها من باب إلى آخر من غير مكث فيها فإنه يجوز لكم ذلك.

روى ابن جرير عن الليث قال: حدثنا يزيد بن أبي حبيب عن قول الله - تعالى -:

﴿ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ ﴾

أن رجالا من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد تصيبهم جنابة ولا ماء عندهم فيريدون الماء ولا يجدون ممرا إلا في المسجد فأنزل الله - تعالى -:

﴿ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ ﴾[2].

وقال بعض العلماء: وبالجملة فالحال الأولى أعني قوله:

﴿ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ ﴾

تقوي بقاء الصلاة على معناها الحقيقي، من دون تقدير مضاف: وقوله:

«إلا عابري سبيل» يقوي تقدير المضاف أي: لا تقربوا موضع الصلاة.

ويمكن أن يقال: إن بعض قيود النهي - وهو قوله:

﴿ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ ﴾

يدل على أن المراد بالصلاة معناها الحقيقي.

وبعض قيود النهي - وهو قوله:

إلا عابري سبيل - يدل على أن المراد مواضع الصلاة ولا مانع من اعتبار كل واحد منهما مع قيده الدال عليه ويكون ذلك بمنزلة نهيين مقيد كل واحد منهما بقيد. وهما: لا تقربوا الصلاة التي هي ذات الأذكار والأركان وأنتم سكارى و لا تقربوا مواضع الصلاة حال كونكم جنبا إلا حال عبوركم المسجد من جانب إلى جانب وغاية ما يقال في هذا إنه من باب الجمع بين الحقيقة والمجاز[3].

وفي ندائهم بصفة الإيمان، تحريك لحرارة العقيدة في قلوبهم، وتوجيه لنفوسهم إلى ما يستدعيه الإيمان من طاعة واستجابة لله رب العالمين.

وقوله:

﴿ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ ﴾

جملة حالية أي لا تقربوها في حال السكر، لأن ذلك يتنافى مع الإيمان السليم، ومع ما تستحقه الصلاة من خشوع واستحضار للقلب وإنما الذي يقتضيه إيمانكم وحياؤكم من الله أن تدخلوا في الصلاة وأنتم بكامل وعيكم واستحضاركم لما يستلزمها من خشوع وأدب.

ولا شك أن هذا كان قبل أن ينزل

2- تفسير ابن جرير جـ٥ ص٩٩.

3- تفسير القاسمي جـ ٥ ص ١٢٤٧ نقلا عن فتح البيان.

التحريم القاطع لشرب الخمر في جميع الأوقات كما سبق أن أشرنا.

وقوله:

﴿ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾

غاية للنهي وإيماء إلى علته.

وحتى هنا حرف جر بمعنى إلى، والفعل بعدها منصوب بأن مضمرة وما في قوله:

﴿ مَا تَقُولُونَ ﴾

موصولة بمعنى الذي أو نكرة موصوفة والعائد محذوف أي تقولونه.

أي: حتى تعلموا ما تقولونه علما يقينيا لا غلط معه ولا تخليط، أن تعقلوا ما اشتملت عليه الصلاة من تكبير وقراءة وتسبيح ودعاء وغير ذلك مما تقتضيه الصلاة.

قال الآلوسي: وقد روي أنهم كانوا بعدما أنزلت الآية لا يشربون الخمر في أوقات الصلاة، فإذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون إلا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون»[4].

وقوله:

﴿ وَلَا جُنُبًا ﴾

معطوف على قوله:

﴿ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ ﴾

إذ الجملة في موضع النصب على الحال والاستثناء في قوله:

﴿ إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ ﴾

مفرغ من أعم الأحوال.

وقوله:

﴿ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ﴾

بيان لغاية المنع بالنسبة للجنب.

والاغتسال: تعميم الجسد كله بالماء وهو بعد الجنابة طهارة حسية وتنشيط للبدن بعد أن أصابه بعض التعب بسبب الأفعال التي أدت إلى الجنابة وهو كذلك طهارة نفسية لأنه يبعث في الإنسان حسن الاستعداد لذكر الله ولأداء الصلاة بعد أن استحكمت الشهوة وسيطرت على صاحبها لفترة من الوقت فبالاغتسال بعد قضاء الشهوة يتجدد للبدن نشاطه. وللروح صفاؤها وحسن استعدادها لطاعة الله.

ثم شرع - سبحانه - في بيان الأعذار التي تبيح التيمم عند العجز عن الماء فقال:

﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾

والمراد بالمرض في قوله - تعالى -:

﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ ﴾

4- تفسير الألوسي جـ ٥ ص ٣٩.

المرض الذى يمنع من استعمال الماء مطلقا كأن يكون استعمال الماء يزيد المرض شدة أو يبطىء البرء فإن الله - تعالى - قد أباح للمريض فى هذه الأحوال وأمثالها أن يتيمم بدل الوضوء أو الغسل كما أباح له - أيضا - أن يتيمم عند فقد الماء أو ما فى حكم ذلك.

وقوله:

﴿ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ ﴾

فى محل نصب عطفا على خبر كان وهو قوله: «مرضى» أى: وكذلك أباح الله لكم التيمم عند السفر إذا لم تجدوا ماء، أو كان معكم من الماء ما أنتم فى حاجة شديدة إليه، أو كان هناك ما يمنع من استعمال الماء.

وقوله:

﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ ﴾

«معطوف على قوله:

﴿ كُنْتُمْ ﴾

والغائط من الغيط وهو المكان المنخفض من الأرض وهو هنا كناية عن الحدث لأن العادة جرت على أن من يريد الحدث يذهب إلى ذلك المكان المنخفض ليتوارى عن أعين الناس.

وفى إسناد المجيء إلى واحد مبهم من المخاطبين، سمو فى الخطاب، حيث تحاشى - سبحانه- التصريح بنسبتهم إلى ما يستحيا من ذكره أو ما يستهجن التصريح به.

أى وكذلك أباح الله لكم التيمم إن كنتم محدثين ولم تجدوا ماء تتطهرون به من الحدث. أو تجدونه ولكن هناك من يمنعكم من استعماله.

والمراد بالملامسة فى قوله:

﴿ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾

الجماع عند بعض الفقهاء قال الآلوسى ما ملخصه: قوله -تعالى-:

﴿ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾

يريد -سبحانه-: أو جامعتم النساء.

إلا أنه كنى بالملامسة عن الجماع، لأنه مما يستهجن التصريح به أو يستحيى منه، وإليه ذهب ابن عباس والحسن وغيرهما.

وعن ابن مسعود أن المراد بالملامسة ما دون الجماع، أى ما لامستم بشرتهن بشرتكم، وبه استدل الشافعى على أن اللمس ينقض الوضوء.

وقال مالك: إن كان اللمس بشهوة نقض وإلا فلا...

وذهب أبوحنيفة إلى أنه لا ينقض الوضوء باللمس ولو بشهوة..» (٤) والفاء فى قوله:

﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً ﴾

عطفت ما بعدها على الشرط السابق وهو قوله:

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ ﴾

(٤) تفسير الآلوسى جـ٥ ص٤٢.

والضمير فى قوله «تجدوا» يعود لكل من تقدم من مريض ومسافر ومتغوط وملامس، وفيه تغليب للخطاب على الغيبة، وذلك أنه تقدم ضمير الغيبة فى قوله:

﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ ﴾

بينما تقدم ضمير المخاطب فى قوله:

﴿ كُنْتُمْ ﴾

﴿ أَوْ لَامَسْتُمُ ﴾

والمراد بعدم الوجدان هنا ما هو أعم من الوجود الحسى، أى أن قوله «فلم تجدوا ماء» كناية عن عدم التمكن من استعماله وإن وجد حساً، إذ أن الشئ المتعذر استعماله كالمعدوم.

وقوله:

﴿ فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾

جواب الشرط وهو قوله:

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ ﴾

والمعنى: وإن كنتم أيها المؤمنون فى حالة مرض أو على سفر أو كنتم محدثين أو لامستم النساء فلم تجدوا فى تلك الأحوال ما تستعملونه لطهارتكم، أو وجدتم ماء ولكن منعكم مانع من استعماله، فعليكم أن تتيمموا صعيدا طيباً، بدلا من الماء، قال الله - تعالى:

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾

ومنهم من يرى أن الضمير فى قوله:

﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً ﴾

يعود إلى الجمع ما عدا المرضى؛ لأن المرضى يباح لهم التيمم مع وجود الماء إذا تضرروا من استعماله.

وعلى هذا الرأى يكون المراد بعدم الوجدان، عدم الوجدان الحسى.

والتيمم لغة: القصد، يقال تيممت الشيء أى قصدته.

ويطلق فى الشرع على القصد إلى التراب لمسح الوجه واليدين به.

وأما الصعيد- بوزن فعيل- فيطلق على وجه الأرض البارز، تراباً أو غيره، وقيل يطلق على التراب خاصة.

والطيب: الطاهر الذى لم تلوثه نجاسة ولا قذر.

أى: إذا لم تجدوا ماء للتطهر به أو وجدتموه ولكنكم عجزتم عن استعماله فاقصدوا تراباً طاهراً بارزا على وجه الأرض لكى تستعملوه فى طهارتكم عوضاً عن الماء.

وقوله

﴿ فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ﴾

بيان لكيفية التيمم.

أى: اقصدوا تراباً على ظاهر الأرض طاهراً فامسحوا منه بوجوهكم وأيديكم.

وقوله:

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾

تذييل قصد به بيان أنه -سبحانه- متصف بالعفو فلا يختار لعباده إلا السهل اليسير الذى يسهل عليهم أداؤه من غير مشقة مرهقة، وأنه هو الغفار الذى يغفر للمقصرين والخطئين ذنوبهم متى تابوا إليه واستغفروه مما صدر عنهم من ذنوب.

هذا ومن الأحكام والآداب التى أخذها العلماء من هذه الآية ما يأتى:

١- أن من الواجب على المسلم عندما يتهيأ للصلاة أن يتجنب كل ما يتعارض مع الخشوع فيها، لأن الصلاة مناجاة ووقوف بين يدى الله- تعالى-، ومن شأن المناجى الله- تعالى- أن يتفرغ لذلك، وأن يكون على درجة من العلم والفهم تمكنه من الوقوف الخاشع بين يدى الله رب العالمين.

٢- أن الصلاة محرمة على السكران حال سكره حتى يصحو، فإذا أداها حال سكره تكون باطلة، وكذلك الحكم بالنسبة للمحدث أو الجنب حتى يتطهر.

٣- استدل بهذه الآية- من قال بأن المراد بالصلاة مواضعها- على أنه يحرم على السكران دخول المسجد، لما يتوقع منه من التلويث وفحش القول، ويقاس عليه كل ذى نجاسة يخشى معها التلويث والسباب ونحوه.

٤- استدلوا بقوله- تعالى- :

﴿ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾.

على أن المسلم منهى عن الصلاة حال النعاس أو ما يشبهه، لأنه فى هذه الحالة لا يعلم ما يقول ويؤيد ذلك ما رواه البخارى عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا نعس أحدكم وهو يصلى فليرقد حتى يذهب عنه النوم، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدرى لعله يستغفر فيسب نفسه».

وروى البخارى عن أنس عن النبى ﷺ قال: «إذا نعس أحدكم فى الصلاة فلينم حتى يعلم ما يقرأ».

قال الفخر الرازى ما ملخصه: ويرى الضحاك أنه ليس المراد من لفظ:

﴿ سُكَٰرَىٰ ﴾ السكر من الخمر، وإنما المراد منه سكر النوم، لأن لفظ السكر يستعمل فى النوم فكان هذا اللفظ محتملا له.

ثم قال الرازى: واعلم أن القول الصحيح هو قول الجمهور من الصحابة والتابعين وهو أن المراد من لفظ «سكارى» السكر من الخمر، لأن لفظ السكر حقيقة فى السكر من شرب الخمر، والأصل فى الكلام الحقيقة، ولأن جميع المفسرين قد اتفقوا على أن هذه الآية إنما نزلت فى شرب الخمر»[٦].

٥- استدلوا بقوله- تعالى- :

﴿ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ﴾

على أنه يحرم على الجنب المكث فى المسجد، إلا أنه يجوز له المرور فيه.

قال ابن كثير ما ملخصه: قال ابن عباس فى قوله:

﴿ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ ﴾

٦- تفسير الفخر الرازى جـ١٠ ص١٠٩- بتصرف وتلخيص.

لا تدخلوا المسجد وأنتم جنب إلا عابرى سبيل أى: تمر به مرا ولا تجلس.

وروى ابن جرير عن يزيد بن أبى حبيب فى قوله- تعالى- :

﴿ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ ﴾

أن رجالا من الأنصار كانت أبوابهم فى المسجد فكانت تصيبهم الجنابة ولا ماء عندهم فيريدون الماء ولا يجدون ممرا إلا فى المسجد، فأنزل الله- تعالى- :

﴿ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ ﴾

ويشهد لصحة ذلك ما ثبت فى صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ قال: «سدوا كل خوخة فى المسجد إلا خوخة أبى بكر».

وبهذه الآية احتج كثير من الأئمة على أنه يحرم على الجنب المكث فى المسجد، ويجوز له المرور، وكذا الحائض والنفساء أيضا متى أمنت كل واحدة منهما التلويث فى حال المرور.

ثم قال ابن كثير: وقوله: «حتى تغتسلوا» دليل لما ذهب إليه الأئمة الثلاثة: أبو حنيفة ومالك والشافعى من أنه يحرم على الجنب المكث فى المسجد حتى يغتسل أو يتيمم إن عدم الماء أو لم يقدر على استعماله، وذهب الإمام أحمد إلى أنه متى توضأ الجنب جاز له المكث فى المسجد، لما روى من أن صحابة كانوا يفعلون ذلك، وعن عطاء بن يسار قال: رأيت رجالا من أصحاب رسول الله ﷺ يجلسون فى المسجد وهم مجنبون إذا توضأوا وضوء الصلاة، وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم»[٧].

٦- ظاهر قوله- تعالى- :

﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا ﴾

يفيد أن التيمم لا يصح مع وجود الماء، لأن الآية الكريمة قد رتبت الأمر بالتيمم على نفى وجود الماء.

ولكن هذا الظاهر غير مراد، لأنه يقتضى أنه حتى لو وجدنا ماء، وكنا فى حاجة شديدة إليه، أو لا نقدر على استعماله فإنه لا يجوز لنا أن نتيمم، وهذا يتعارض مع سماحة الشريعة الإسلامية ويسرها، قال- تعالى- :

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾

وقال تعالى:

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾

ويتعارض كذلك مع ما شرع من أجله التيمم وهو التيسير على الناس، والتيسير على الناس لا يتأتى بإلزامهم أن يفقدوا ما معهم من الماء فى الطهارة ليقعوا فى العنت بسبب العطش أو الجوع. أو بإلزامهم استعمال الماء فى طهارتهم مع أن فى استعماله مضرة بهم.

لذا قال العلماء: إن التيمم مشروع للمسلم عند فقده للماء، أو عند وجود الماء ولكن هناك عارض يمنعه من استعماله كمرض أو نحوه.

٧- تفسير ابن كثير جـ١ ص٥٠٣.

ولقد ورد في السنة النبوية الشريفة ما يشهد بأنه يجوز للمسلم أن يتيمم مع وجود الماء متى كان هناك ما يمنع من استعماله.

ومن ذلك ما أخرجه أبو داود والدارقطني عن جابر قال: خرجنا في سفر. فأصاب رجلا منا حجر فشجه في رأسه. ثم احتلم فسأل أصحابه فقال هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء. فاغتسل فمات. فلما قدمنا على النبي ﷺ أخبر بذلك فقال: قتلوه، قتلهم الله، هلا سألوا إذا لم يعلموا؟ فإنما شفاء العي السؤال. وإنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصب على جرحه ثم يمسح عليه ويغسل سائر جسده.

وروى أبو داود والدارقطني عن عمرو بن العاص قال: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك. فتيممت. ثم صليت بأصحابي الصبح. فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «ياعمرو صليت بأصحابي وأنت جنب»؟ فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت: إني سمعت الله يقول:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء: ٢٩)

فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئا.

قال القرطبي ـ بعد أن ساق هذا الحديث والذي قبله ـ: فدل هذا الحديث على إباحة التيمم مع الخوف من المرض ـ عند استعمال الماء ـ وفيه إطلاق اسم الجنب على المتيمم، وجواز صلاة المتيمم بالمتوضئين. وهذا أحد القولين عندنا. وهو الصحيح الذي أقره مالك في موطئه وقرئ عليه إلى أن مات[8].

وقال ابن كثير: وقد استنبط كثير من الفقهاء من الآية أنه لا يجوز التيمم لعدم الماء إلا بعد طلب الماء. فمتى طلبه فلم يجده جاز له حينئذ التيمم. وقد ذكروا كيفية الطلب في كتب الفروع[9].

٧ـ أخذ الشافعية والحنابلة من قوله ـ تعالى ـ:

﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾

أن التيمم لا يجوز إلا بالتراب الطاهر لأنه هو المقصود بالصعيد الطيب ولأنه ثبت في صحيح مسلم عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة. وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً وجعلت تربتها لنا طهوراً إذا لم نجد الماء قالوا: فخصص الطهور بالتراب في مقام الامتنان. فلو كان غيره يقوم مقامه لذكره معه.

ويرى الإمام أبوحنيفة أن التيمم يجوز بالتراب وبالحجر وبما ماثله من كل ما كان من جنس الأرض متى كان طاهراً. قالوا: لأن الظاهر من لفظ الصعيد وجه الأرض وهذه الصفة لا تختص بالتراب.

وتوسع الإمام مالك فذهب إلى أن التيمم يجوز بكل ما سبق وبغيره كالشجر والحجر والنبات لأن الصعيد عنده كل ما صعد على وجه الأرض.

قال القرطبي عند حديثه عن اختلاف

(8) تفسير القرطبي ج5 ص217.

(9) تفسير ابن كثير ج1 ص504.

الفقهاء في ذلك: وإذا تقرر هذا فاعلم أن مكان الإجماع فيما ذكرناه أن يتيمم الرجل على تراب منبت طاهر غير منقول ولا مغصوب ومكان الإجماع في المنع أن يتيمم الرجل على الذهب الصرف والفضة والياقوت والأطعمة كالخبز و اللحم وغيرهما، أو على النجاسات. واختلف في غير هذا كالمعادن، فأجيز وهو مذهب مالك وغيره. ومنع وهو مذهب الشافعي وغيره[10].

٨ـ أفاد قوله ـ تعالى ـ:

﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾

أن الواجب في التيمم هو مسح الوجه واليدين فقط سواء أكان التيمم بدلا عن الوضوء أم عن الغسل.

قال القرطبي: وروى التيمم إلى المرفقين عن النبي ﷺ جابر بن عبدالله، وابن عمر وبه كان يقول: قال الدارقطني: سئل قتادة عن التيمم في السفر فقال: كان ابن عمر يقول: إلى المرفقين. وكان الحسن وإبراهيم النخعي يقولان: إلى المرفقين.

ثم قال: وقالت طائفة يبلغ به إلى الكوعين وهما الرسغان. روى ذلك عن علي بن أبي طالب والأوزاعي وعطاء والشعبي في رواية. وبه قال أحمد بن حنبل، والطبري.

وقال مكحول: اجتمعت أنا والزهري فتذاكرنا التيمم فقال الزهري: المسح إلى الآباط وقال ابن أبي الجهم: التيمم بضربة واحدة، وبه قال أحمد بن حنبل وإسحاق وداود والطبري[11].

٩ـ ذكر المفسرون في سبب مشروعية التيمم روايات منها ما أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها ـ قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره. حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي. فأقام رسول الله ﷺ على التماسه وأقام الناس معه. وليسوا على ماء. وليس معهم ماء. فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله ﷺ وبالناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء. فجاء أبوبكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام. فقال: حبست رسول الله ﷺ والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء. قالت عائشة: فعاتبني أبوبكر وقال ما شاء الله أن يقول. فجعل يطعنني بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي. فقام رسول الله ﷺ حتى أصبح على غير ماء. فأنزل الله آية التيمم. فتيمموا فقال أسيد بن الحضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر.

قالت: فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته.

قال الحافظ ابن كثير عند ذكره هنا لسبب مشروعية التيمم، وإنما ذكرنا ذلك ههنا، لأن هذه الآية التي في النساء متقدمة في النزول على آية سورة المائدة وبيانه: أن هذه نزلت قبل تحريم الخمر. والخمر إنما حرم بعد أحد بيسير، في محاصرة النبي ﷺ لبني النضير.

(10) تفسير القرطبي ج5 ص237.

(11) تفسير القرطبي ج5 ص240.

وأما المائدة فإنها من آخر ما نزل ولا سَيما صدرها. فناسب أن يذكر السبب هنا [١٢].

١٠- تكلم بعض العلماء عن حكمة مشروعية التيمم عوضا عن الطهارة بالماء فقال: والتيمم من خصائص شريعة الإسلام كما في حديث جابر أن النبي ﷺ قال: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي -فذكر منها- وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا».

والتيمم بدل جعله الشرع عن الطهارة ولم أر لأحد من العلماء بيانا في حكمة جعل التيمم عوضا عن الطاهرة بالماء، وكان ذلك من همي زمنا طويلا وقت الطلب. ثم انفتح لي حكمة ذلك.

وأحسب أن حكمة تشريعه تقرير لزوم الطهارة في نفوس المؤمنين. وتقرير حرمة الصلاة وترفيع شأنها في نفوسهم. فلم تترك لهم حالة يعدون فيها أنفسهم مصلين بدون طهارة تعظيما لمناجاة الله- تعالى- فلذلك شرع لهم عملا يشبه الإيماء إلى الطهارة ليستشعروا أنفسهم متطهرين، وجعل ذلك بمباشرة اليدين صعيد الأرض التي هي منبع الماء. ولأن التراب مستعمل في تطهير الآنية ونحوها، ينظفون به ما علق لهم من الأقذار في ثيابهم وأبدانهم وماعونهم. وما الاستجمار إلا من ضرب ذلك، مع ما في ذلك من تجديد طلب الماء لفاقده وتذكيره بأنه مطالب به عند زوال مانعه. وإذ قد كان التيمم طهارة رمزية اكتفت الشريعة فيه بالوجه والكفين في الطهارتين الصغرى والكبرى كما دل عليه حديث عمار بن ياسر فقد ثبت في الصحيح عن عمار بن ياسر قال: كنت في سفر فأجنبت فتمعكت في التراب «أي تمرغت» وصليت فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له فقال: «يكفيك الوجه والكفان» ويؤيد هذا المقصد أن المسلمين لما عدموا الماء في غزوة المريسيع صلوا بدون وضوء فنزلت آية التيمم.

هذا منتهى ما عرض لي من حكمة مشروعية التيمم بعد طول البحث والتأمل في حكمة مقنعة في النظر. [١٣]

وبعد، فهذه بعض الأحكام والآداب التي اشتملت عليها تلك الآية، ومنها ترى كيف وجهت المؤمنين إلى ما يقوي إيمانهم، ويصفي نفوسهم ويبعدهم عن الأسباب التي تحول بينهم وبين إخلاص المناجاة لله رب العالمين، وإلى ما يجعلهم يتحرزون عن كل ما يدنسهم أو يلهيهم عن طاعة الله.

كما ترى كيف استعملت في خطابها للمؤمنين ألطف الكنايات، وأسمى التعبيرات، وأبلغ الإشارات وفي ذلك ما فيه من تربية سليمة للمؤمنين تجعلهم يسعدون في دنياهم وآخرتهم.

هذا وأنت إذا تدبرت السورة الكريمة من مطلعها إلى هنا، تراها قد نظمت العلاقات بين أفراد المجتمع الإسلامي تنظيما حكيما، وساقت لهم من التوجيهات السامية، والآداب العالية، والتشريعات الجليلة.. ما يجعلهم يعيشون في أمان واطمئنان.

---

(١٢) تفسير ابن كثير جـ١ ص٥٠٦.

(١٣) تفسير التحرير والتنوير جـص ٦٨. طبع الدار التونسية للنشر. تأليف الأستاذ الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور.

السنة

ردوا المظالم إلى أهلها

لفضيلة الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومي

روى البخاري، رحمه الله، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كانت له مظلمة لأحد من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه».

اللغويات

(مظلمة): بفتح اللام وكسرها والكسر أشهر، وقد روي بالضم أيضا اسم ما أخذ منك بغير حق كالظُّلامة، يقال: عند فلان مظلمتي وظلامتي، أي: حقي الذي أخذ مني ظلماً، ومظالم الناس: ما تظالموا بها بينهم، جمع واحدته: مظلمة وظلامة.

(من عرضه): عرض الرجل / موضع المدح والذم منه، سواء كان في نفسه أو في سلفه أو من يلزمه أمره، وقيل: هو جانبه الذي يصونه من نفسه وحسبه ويحامي عنه أن ينتقص أو يثلب.

(أو شيء)، أي: من الأشياء، فيدخل فيه المال بأصنافه والجراحات حتى اللطمة ونحوها، وفي رواية الترمذي: «من عرض أو مال».

(فليتحلله): يقال تحلل فلان منهم وتنحي، أي طلب إليهم أن يمحوا عنه ما جناه عليهم.. وقيل: المعنى / يستوهبهم ويقطع دعواهم عنه؛ لأن ما حرم الله من الغيبة لا يمكن تحليله.. جاء رجل إلى ابن سيرين، فقال: اجعلني في حلّ فقد اغتبتك، فقال: إني لا أحل ما حرم الله تعالى، ولكن ما كان من قبلنا فأنت في حل..

(اليوم): أراد به في الدنيا.

(قبل ألا يكون دينار ولا درهم)، يعني: يوم القيامة.

(إن كان له عمل صالح..): معنى أخذ الحسنات والسيئات ـ أن يجعل ثوابها لصاحب المظلمة، ويجعل على الظالم عقوبة سيئاته.

الشرح والبيان

في معترك الحياة كثيراً ما يظلم الإنسان أخاه، يحدث هذا في البيت وفي العمل وفي الشارع وفي كل مكان وفي كل زمان:

﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾

(إبراهيم : ٣٤)

بل أول ما يظلم الإنسان يظلم نفسه؛ لذلك علمنا المصطفى ﷺ أن نبادر بالتوبة حين يظلم الواحد منا نفسه التي بين جوانحه، روى البخاري عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قلت لرسول الله ﷺ: «علمني دعاء أدعو به في صلاتي». قال: «قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»، وصدق الله جل جلاله:

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾

(آل عمران : ١٣٥-١٣٦)

ولأن المرء لا يكاد يسلم من الظلم تخوف الرعيل الأول من ذلك القيد القرآني في سورة الأنعام؛ روى البخاري عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت:

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ ﴾

(الأنعام: ٨٢)

شق ذلك على المسلمين فقالوا: يا رسول الله ﷺ: أينا لا يظلم نفسه؟ قال ﷺ: «ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه:

﴿ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾

(لقمان: ١٣)

مع أن الظلم محرم مجرم، حرمه رب العزة عز وجل على نفسه، روى الإمام مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال:

«يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا»

يعني: لا يظلم بعضكم بعضاً.

فالظلم أنواع، الأول: ظلم بين الإنسان وخالقه، وأعظمه الكفر والشرك والنفاق، ولذلك قال تعالى:

﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾

وإياه قصد بقوله:

﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾

والثاني: ظلم بينه وبين الناس، وإياه قصد بقوله:

﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾

(الشورى: ٤٠-٤٣)

والأخير: ظلم بينه وبين نفسه، وإياه قصد بقوله: ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ﴾.

وقوله: ﴿ ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾.. وكل هذه الثلاثة في الحقيقة ظلم للنفس، فإن الإنسان في أول ما يهمّ بالظلم فقد ظلم نفسه.

يقول ابن القيم: «والظلم عند الله عزوجل يوم القيامة له دواوين ثلاثة: ديوان لا يغفر الله منه شيئاً، وهو الشرك به فإن الله لا يغفر أن يشرك به.

وديوان لا يترك الله منه شيئاً، وهو ظلم العباد بعضهم بعضاً، فإن الله تعالى يستوفيه كله. وديوان لا يعبأ الله به، وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه عزوجل فإن هذا الديوان أخف الدواوين وأسرعها محواً، فإنه يمحى بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية والمصائب المكفرة ونحو ذلك بخلاف ديوان الشرك، فإنه لا يمحى إلا بالتوحيد، وديوان المظالم لا يمحى إلا بالخروج منها إلى أربابها واستحلالهم منها. ولما كان الشرك أعظم الدواوين الثلاثة عند الله عزوجل حرم الجنة على أهله، فلا تدخل الجنة نفس مشركة».

ويهمنا في هذا المقام أن نسلط الضوء على ظلم الإنسان غيره، وله أشكال وصور عدة، منه ما ذكره العلامة الذهبي رحمه الله قال: الظلم يكون بأكل أموال الناس وأخذها ظلما، وظلم الناس بالضرب والشتم والتعدي والاستطالة على الضعفاء. وقد عده الكبيرة السادسة والعشرين، وبعد أن ذكر الآيات والأحاديث التي تتوعد الظالمين ـ نقل عن بعض السلف قوله «لا تظلم الضعفاء فتكون من شرار الأقوياء»، ثم عدد صوراً من الظلم منها: أخذ مال اليتيم، والمماطلة بحق على الإنسان مع القدرة على الوفاء، وظلم المرأة حقها من صداق ونفقة وكسوة، وظلم الأجير بعدم إعطاء الأجرة. كذلك من الظلم البين الجور في القسمة أو تقويم الأشياء.

قال ابن الجوزي رحمه الله: «الظلم يشتمل على معصيتين: أخذ ما للغير بغير حق، ومبارزة الرب بالمخالفة، والمعصية فيه أشد من غيرها؛ لأنه لا يقع غالبا إلا بالضعيف الذي لا يقدر على الانتصار. وإنما ينشأ الظلم عن ظلمة القلب ولو استنار بنور الهدى لاعتبر، فإذا سعى المتقون بنورهم الذي حصل لهم بسبب التقوى اكتنفت ظلمات الظلم الظالم، حيث لا يغني عنه ظلمه شيئاً» وفي الحديث الشريف الذي بين أيدينا أمر صريح من النبي ﷺ الشفيق بأمته الحريص عليها لكل مسلم أن يبادر بالتخلي عن ظلمه، وأن يسارع بالأوبة الصادقة والتوبة النصوح، وأمارة ذلك أن يرد المظالم إلى أهلها، وأن يتحللهم منها قبل أن يأتي يوم يكون الإنسان فيه أحوج ما يكون إلى حسنة تثقل ميزانه وتعلي درجته، لا إلى ما يأكل حسناته وينقص درجاته.

وقد حذرنا المصطفى ﷺ في أحاديث كثيرة من مغبة الظلم، ودعانا إلى تجنب دعوة المظلوم؛ روى مسلم عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ «اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم؛ حملهم على أن سفكوا دماءهم

واستحلوا محارمهم»، وروى الحاكم في مستدركه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا دعوات المظلوم؛ فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرار» وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ثلاث دعوات مستجابات: دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده»

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً
فالظلم آخره يأتيك بالندم
نامت عيونك والمظلوم منتبه
يدعو عليك وعين الله لم تنم

ذلك أن مظالم العباد معصية وجناية على حق الله؛ فإن الله تعالى نهى عن ظلم العباد، فيجب على المسلم أن يبادر بالإقلاع عن الظلم، وأن يندم ويتحسر على ما جنته يداه، وألا يعود إلى مثله في المستقبل، وأن يكثر من الحسنات التي هي أضداد مظالمه؛ فيقابل إيذاء الناس بالإحسان إليهم، ويكفر غصب أموالهم بالتصدق بملكه الحلال، ويكفر تناول أعراضهم بالغيبة والقدح فيهم بالثناء على أهل الدين وإظهار ما يعرف من خصال الخير من أقرانه وأمثاله، ونحو ذلك.

ثم إذا فعل ذلك كله لم يكفه ما لم يخرج عن مظالم العباد، سواء أكانت في النفوس أم الأموال أم الأعراض أم القلوب كمن ظلم غيره فتناول ماله بغصب أو خيانة أو غبن في معاملة بنوع تلبيس «كترويج زائف أو ستر عيب أو نقص أجرة أجير أو منع أجرته».

فليحاسب كل منا نفسه على كل قرش وجنيه اكتسبه من أول يوم في حياته إلى يوم توبته قبل أن يحاسب في القيامة، وليناقش قبل أن يناقش، فمن لم يحاسب نفسه في الدنيا طال في الآخرة حسابه، وليستحل المظلومين أو ليؤد حقوقهم.. على كل واحد منا أن يفعل ما يقدر عليه من ذلك، فإن عجز فلا يبقى له طريق إلا أن يكثر من الحسنات حتى تفيض عنه يوم القيامة فتؤخذ حسناته وتوضع في موازين أرباب المظالم، ولتكن كثرة حسناته بقدر كثرة مظالمه، فإنه إن لم تف بها حسناته حمل من سيئات أرباب المظالم فيهلك بسيئات غيره.

وليستحل -قدر المستطاع- كل من تعرض له بلسان أو تشهير أو آذاه بفعل من أفعاله، وليتلطف به ويظهر من حبه والشفقة عليه ما يستميل به قلبه؛ فإن الإنسان عبد الإحسان وكل من نفر بسيئة مال بحسنة. فإذا طاب قلبه بكثرة تودده وتلطفه سمحت نفسه بالإحلال فإن أبى ألا الإصرار فيكون تلطفه به واعتذاره إليه من جملة حسناته التي يمكن أن تجبر بها في يوم القيامة جنايته.. ومن مات أو غاب فقد فات أمره ولا يتدارك إلا بتكثير الحسنات لتؤخذ منه عوضاً في القيامة.

ولنعلم جميعاً أنه لا ينجو من خطر الميزان إلا من حاسب في الدنيا نفسه ووزن فيها بميزان الشرع أعماله وأقواله وخطراته ولحظاته، ومن ذلك أن يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحاً ويتدارك ما فرط من تقصيره في فرائض الله تعالى، ويرد المظالم ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه ويطيب قلوبهم، حتى يموت ولم يبق عليه مظلمة ولا فريضة.

أما إن مات أحدنا قبل رد المظالم -عياذاً بالله- أحاط به خصماؤه فهذا يأخذ بيده وهذا يقبض على ناصيته وهذا يتعلق بتلابيبه، هذا يقول: ظلمتني، وهذا يقول: شتمتني، وهذا يقول: استهزأت بي، وهذا يقول: ذكرتني في الغيبة بما يسوءني، وهذا يقول: جاورتني فأسأت جواري، وهذا يقول: عاملتني فغششتني، وهذا يقول: بايعتني فغبنتني وأخفيت عني عيب سلعتك، وهذا يقول: رأيتني محتاجاً وكنت غنياً فما أطعمتني، وهذا يقول: وجدتني مظلوماً وكنت قادراً على دفع الظلم عني فداهنت الظالم

﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾

(غافر: ١٧)

روى البخاري رحمه الله عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا نقوا وهذبوا أذن لهم بدخول الجنة فوالذي نفس محمد ﷺ بيده لأحدهم بمسكنه في الجنة أدل بمنزله كان في الدنيا».. وروى مسلم رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء».

فما أشد حسرات ذلك المفلس الفقير العاجز المهين!! لا يقدر على أن يرد حقا أو يظهر عذرا.. وعند ذلك تؤخذ حسناته التي تعب فيها طيلة عمره، وتنقل إلى خصمائه عوضاً عن حقوقهم، روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون من المفلس؟» قالوا: «المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع»، فقال: «إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار».

أما والله إن الظلم لؤم
وما زال المسيء هو الظلوم
إلى ديان يوم الدين نمضي
وعند الله تجتمع الخصوم

فليبادر كل منا إلى الإقلاع عن الظلم -أيا كان نوعه- وليسارع برد المظالم إلى أهلها وليتحللهم.. وليتخلق المظلوم -قدر المستطاع- بخلق العفو والصفح، فما عفا إلا كريم، وليهنأ بقسم الصادق المصدوق الذي رواه أحمد رحمه الله عن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ثلاث -والذي نفس محمد بيده إن كنت لحالفا عليهن- لا ينقص مال من صدقة فتصدقوا، ولا يعفو عبد عن مظلمة يبتغي بها وجه الله إلا رفعه بها عزا يوم القيامة، ولا يفتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر».

جعلنا الله ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

مشاركة المرأة فى التنمية من المنظور الإسلامى

للأستاذ الدكتور/ محمد الشحات الجندى

الأمين العام

للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

تموج الساحة العربية بالعديد من الأفكار والأطروحات حول إسهام المرأة فى صنع مصيرها، وتفعيل وجودها وأهمية دورها فى عملية التنمية المجتمعية فى مختلف المجالات الأسرية والاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية.

ومهما كان اختلاف الرأى والتناضل بين المؤيدين والمعارضين للمشاركة النسوية فى الشأن العام، فإن المشهد الراهن حول القضية يكشف عن حراك اجتماعى غير مسبوق ليس من صناعة المرأة وحدها، وإنما يظاهره ويعزز مسيرته أطراف أخرى، من بينها رجال يدعمون تواجد المرأة مجتمعياً فى أحداث الوطن والقضايا العامة، وكذا المساهمة فى تقديم المبادرات وصنع القرارات القومية.

وعلى الجانب الآخر، فإن هناك فكراً واتجاهاً آخر يعتصم بالرفض أو التحفظ ولا ينبغى التهوين من أفكار ومناشط الجبهة المعارضة لاستقلالية المرأة فضلاً عن تحملها لأعباء العمل العام، فهذا الاتجاه يمثل قوة لا يستهان بها بالنظر إلى الأيديولوجية التى يستند إليها، والخطاب الدينى والانتقائى الذى توجهه إلى الرأى العام وتعتبره حائط الصد تجاه خصومها الذين لا يفتأون عن الإلحاح المستمر نحو إشراك المرأة فى المناشط الحياتية المختلفة، وانتزاع حقوق جديدة يؤكد على جدارتها فى حصولها عليها واكتسابها لها.

ولا شك فى ضراوة المواجهة بين أنصار الجبهتين المؤيدة والمعارضة لمشاركة المرأة فى عملية التنمية، والعمل العام، فإن النظر الفاحص والمتابع لحصيلة المواجهة يتبين له حصول الجبهة المؤيدة على مكاسب وإنجازات تمهد للطرح الذى تعرضه وللقضية التى تنحاز لها على أرض الواقع، مما يجعلها فى موقع المبادأة أو الهجوم، وخصومها فى موقع الصيد أو الدفاع.

ومع ذلك فمن الصعب فى أجواء المبارزة بين الجبهتين التقرير الحاسم بأن هذا الطرف أو ذاك بات هو المنتصر الذى حسم المعركة لصالحه، ذلك أن لكل طرف أسانيده وأنصاره، المشايعين لفكره ولكل وجهة هو موليها، وطريق يسلكه للوصول إلى هدفه.

ونظراً لأن قضية مساهمة المرأة، هى قضية لا تخص المرأة وحدها، فهى قضية مجتمعية، فإن حسم الرأى حولها يتطلب مؤيدات تشريعية واجتماعية تكون هى حجر الأساس، والمعلم الفارق فى الإبقاء على الفكر السائد، المدافع بقوة عن الإبقاء على وضع المرأة داخل المنزل وحصرها فقط فى مهمة تربية النشء والخدمة المنزلية. فهو الدور الطبيعى لها. وفى ذات الوقت يحشد الطرف الثانى فكره ومرئياته حول تطوير دور المرأة ومده إلى خارج المنزل باعتبارها عضواً أساسياً فى الجماعة، ولها دور لا يجوز إغفاله أو تجاهل وجوده باعتبارها نصف المجتمع وتحوز إمكانيات وقدرات يتعين الاستفادة منها.

وينبغى التنويه فى سياق المشاركة التنموية للمرأة العربية إلى أن مفهوم التنمية هو ذلك المفهوم الشامل الذى يعم مناحى الحياة المتسعة فهى فى عمومها تتراوح بين التنمية البشرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ولا تنحصر فى منحى أو مجال بعينه دون آخر، بحسبان أن التنمية بأبعادها المختلفة إنما تتكامل وتتعاضد من أجل رفعة الفرد والمجتمع، وهو ما يتطلب قيام كل إنسان بدوره فيها الرجل والمرأة على حد سواء، فى نطاق ما يتحمل به، وما يتفق مع طبيعته وقدراته وملكاته التى حباه الله بها.

وبخصوص القضية المطروحة، فإن المطلع على أبعادها، يتبين له الإطار الذى تدور فيه، وهو إطار تشريعى واجتماعى، وحيث إن التشريعات الحاكمة لأوضاع المرأة فى العالم العربى والإسلامى مستمدة من الشريعة الإسلامية فى الغالب الأعم فضلاً عن أن الهوية الإسلامية هى التى تشكل تصنيف الدول العربية، ووضعيتها فى العالم المعاصر، لذلك فإنه من المهم أن تنحو الدراسة هذا المنحى، بقصد أن تتوصل إلى حقيقة كل اتجاه ومدى تعبيره عن الإسلام الإنسانى والعالمى، ومصلحة الوطن والأمة، على أسس رصينة وموضوعية.

القضية قديمة حديثة

ونقطة البدء فى الجدل المثار حول القضية تفرض حقيقة فى هذا الصدد تبرز فى أنه لا يجوز الإدعاء بأن قضية مشاركة المرأة فى شئون المجتمع الإسلامى من بنية الفكر المعاصر، حتى لو سلمنا بصحة ما حققه هذا الفكر من خطوات ملموسة، ومشاركات فعالة للمرأة على طريق التنمية والمشاركة فى العمل العام، إذ تظل القضية من المسائل التى أثارت ولا تزال تثير الجدل منذ ظهور الإسلام، ونشأة المجتمع الإسلامى فى دولة المدينة، والذى تأسس على بيعة العقبة الأولى والثانية، شارك فيها رجال ونساء، وأرست أساس النظام الاجتماعى فى دولة الإسلام، ونهوضها بمسئولياتها الدينية والمدنية، وانطلاقها بقوة على تحقيق الأهداف التى جاء

بها الإسلام فى إصلاح الدين والدنيا، وتكامل الحياة الروحية والمادية للفرد والجماعة بلا تمييز، بين رجل وامرأة بحسب طبيعته وإمكانياته، أو بين مسلم وغير مسلم.

فالكل فى الحقوق سواء فى إطار الفلسفة والنظام الإسلامى.

أولاً: الاتجاه المعارض لخروج المرأة للمساهمة فى العمل العام والتنمية

يبلور هذا الاتجاه رؤيته على أن الله تعالى خلق المرأة للبيت، وخدمة الأسرة، فهى سيدة البيت وملكته المتوجة ومن أكبر الحجج التى يشهدها أنصار المعارضين لحقوق المرأة فى التنمية، أن القرآن حدد وظيفة المرأة فى حدود البيت لا تفارقه إلا بإذن من الرجل، فهى حبيسة المنزل لا تبرحه إلا بالطلاق أو الموت:

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾

(الأحزاب: ٣٣)

فيعممون هذا الخطاب على نساء المسلمين، ويعتبرون أن خروجها من المنزل يجعلها متبرجة تعرض نفسها للمارة وتمتهن شرفها وكرامتها، وينافى الحياء والفضيلة الذى يأمرها به الإسلام.

أضف إلى ذلك أن فيه إخلالاً بحق الرجل فى القوامة عليها، بمقتضى أنه صاحب البيت، والمتصرف فى شئونه، فهو يتمتع بالتفضيل عليها، والقائم على الإنفاق والولاية، وهى الدرجة التى رفعته عليها:

﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾

(البقرة: ٢٢٨)

ويخلصون من ذلك إلى أن مهمة المرأة ورسالتها فى المنزل والأسرة، ومهمة الرجل العمل والسعى لاكتساب الرزق.

وعلى أساس هذا التصنيف للعلاقة بين الرجل والمرأة تظل المرأة فى مركز أدنى من الرجل، آية ذلك أنها تحت ولاية الرجل فى أطوار حياتها، حيث تخضع للأب وتكون فى كنفه منذ فترة الطفولة وحتى الزواج. ثم تنتقل لتكون تحت إمرة الزوج طوال حياتها الأسرية وهى حياة ممتدة تستمر كل عمرها فى غالب الأحوال.

وعلى وفق الأحكام الشرعية المؤكدة لدور المرأة فى الأسرة جاءت نصوص قوانين الأحوال الشخصية فى البلدان العربية، فهى تجعل من مهام الزوجة القيام على الشئون المنزلية والعائلية، تربى الأولاد وترعاهم وتطيع أوامر الزوج، وتتولى إرضاع الصغار، وحضانتهم، فى ظل القوامة التى تقررها القوانين للرجل على المرأة؛ ذلك أن رعاية الزوجة للأسرة توجب على المرأة أن تتفرغ لها ولا تنشغل بشىء عنها [1].

وهى فضلاً عن ذلك، فإن وزن الشهادة المثبتة للحقوق، فيها مغايرة بين الرجل

(١) د/ مصطفى السباعى، المرأة بين الفقه والقانون، دار السلام، ص١٠٧.

والمرأة، إذ الحقوق تثبت بشهادة رجلين عدلين أو رجل وامرأتين. فكأن شهادتها على النصف من شهادة الرجل.

وفى ذات الاتجاه، فإن المرأة تأخذ نصف نصيب الرجل، وهذا هو الأعم الأغلب، بل هو القاعدة العامة التى ترد عليها بعض الاستثناءات التى تؤكد القاعدة ولا تهدمها.

وهذا ما تتبناه التشريعات العربية التى تأخذ بأحكام الشريعة الإسلامية فى الأسرة «الزواج والطلاق» والميراث والوصية، وبعضها فى الشهادة والإثبات القضائى، وهى فى مجملها تجعل نصيب الرجل ضعف نصيب المرأة.

ومما يؤكد على وضعية المرأة على هذا النحو، الذى يجعل للرجل الدور الأساسى فى البناء والتنمية، وأنه صاحب الدور الفعال فى وضع القوانين، وإصدار الأحكام، وأن الدساتير العربية فى معظمها تنص على أن الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى، أو أحد مصادر التشريع وهو ما يعطى الهيمنة لفلسفة الشريعة فى تمييز الرجل على المرأة والكسب، والصدارة فى داخل الأسرة وفى الحياة العامة.

وتدور القوانين والتشريعات العربية فى فلك هذا النص، ولا يأخذ أنصار هذا الاتجاه بإعمال النصوص الأخرى، ولا يحتكمون إلى المقاصد العامة للشرع والفلسفة الحاكمة للقوانين، وإنما يتعصبون لحرفية النصوص، والتفسير المضيق دون الاحتكام إلى رحابة نصوص الشرع، ومبادئه العامة فى أن الحياة الأسرية تقوم على الثنائية والتكامل بين الذكر والأنثى، لا الفردية التى تصادر حق المرأة، وتقصيها كطرف أصيل، وعنصر أساسى فى الكيان الأسرى، والعلاقة الزوجية، وهذا هو مقتضى الخلق والتكوين الاجتماعى والواقع الحياتى؛ فالرجل والمرأة عماد الأسرة والنظام الاجتماعى والحياة كلها، لا قيام له بدونهما مجتمعين. وهو ملاحظ فى قوله تعالى:

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

(الذاريات: ٤٩)

ويمضى أصحاب هذا الاتجاه فى تعميق فكرهم القائم على التمييز بين الرجل والمرأة إلى حد اعتبار ذلك تنظيماً عاماً، وحكماً قطعياً يستند إلى اجتزاء النصوص المتعلقة بالولاية والقوامة والشهادة والميراث، واعتبارها مبادئ دينية ثابتة قاطعة لا تقبل نقاشاً ولا تحتمل تفسيراً آخر فى معزل عن دستور وتشريعات الإسلام الحاكمة للزواج وتشييد نظام الأسرة على أساس التعادل والتوازن بين الحقوق والواجبات، ورعاية صالح الأسرة والمجتمع. فدستور الزواج فى القرآن:

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾

(البقرة: ٢٢٨)

وهى درجة الرعاية والتوجيه والتقويم بما فيه مصلحة الأسرة وليس الأثرة والتحكم أو التسلط أو الاستبداد الذى قد يفهم من بعض

التفسيرات المغلوطة حول تلك المكنة الشرعية، ويسيئ بسببه بعض الرجال في علاقتهم مع النساء.

ولو أنهم تعمقوا في الاحتكام إلى مجموع النصوص المنظمة للأسرة في الإسلام، ولطبيعة العلاقات بين النوعين الرجل والمرأة لأدركوا أن هذه النصوص القطعية في ثبوتها، إنما قد تكون الدلالة فيها ظنية، تحتمل الرأى والرأى الآخر، فضلاً عن أنها خاصة فى تلك المسائل والواقعات التى تنظمها ولا تنسحب إلى سائر أنواع العلاقة بين الرجل والمرأة، ولا يجوز تعميمها على كافة الأحكام فى مسائل الزواج والطلاق الأخرى، وكذا الشهادة كوسيلة إثبات للحقوق أمام القضاء.

وبناء على هذا فهم هذا الاتجاه المضيق للنصوص، الذى يقصى الحقوق الشرعية الأخرى المقررة للمرأة، ولا يتعمق فى فقه النص ولا دلالات الشرع والحكمة المقصودة منه، كما سنبينه فى حينه، نجد أن هناك خلطاً تجاوز أحكام القوامة والشهادة والميراث والدية والقصاص، مما يرتكن إليه هذا الاتجاه إلى مصادرة دور المرأة فى العمل العام، وتنحيتها عن مسئوليتها المجتمعية، وعدم أهليتها فى القيام بواجبها الاجتماعى، كعضو فى مجتمعها، يحتاج المجتمع إلى جهودها جنباً إلى جنب الرجل، فى نطاق الضوابط الإسلامية.

ثانياً: الاتجاه المؤيد لحقوق المرأة فى المساهمة فى التنمية والعمل العام

ينطلق الاتجاه المؤيد لحقوق المرأة من مسلمات تشريعية واجتماعية، أساسها أن الإسلام فى خطابه التشريعى إنما جاء على سبيل العموم لمجتمع المؤمنين، الذى يتكون من الرجال والنساء، بلا تمييز بينهم فى شئون الحياة والمعاملات الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية؛ إذ الحقوق الثابتة بموجب الإسلام فى شأنها إنما تخاطب المسلمين جميعاً، أعضاء المجتمع الإسلامى الرجل والمرأة، وتثبت بهذه الصفة كون الفرد مسلماً دون اعتبار لنوعه ذكراً كان أم أنثى، مصدقاً للنص الذى يقضى بالمساواة وعدم التمييز بينهما:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾

(النحل: ٩٧)

وقد جرى التنافس من أجل الخير والصالح العام بين الرجال والنساء فى العصر الإسلامى الأول، وكان من زوجات الرسول ﷺ المتفقهات فى الدين، المشتغلات بالأعمال الكثيرة فى المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

فالثابت أن السيدة خديجة بنت خويلد كانت تعمل بالتجارة، وقد تزوجها الرسول وهى تعمل فيها، ثم تفرغت لشئون البيت ومعاونة زوجها فى رسالته الخالدة إلى الناس، وكانت السيدة عائشة بنت أبى بكر من المتفقهات فى الدين،

ودورها فى رواية السنة المطهرة المصدر الثانى للتشريع الإسلامى، وتعليم النساء أمور الدين معروف ومشهور، حتى روى البعض قول الرسول ﷺ: «خذوا شطر دينكم عن الحميراء»[٢]. والحميراء يرمز إلى لون بشرتها.

كما كانت السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب الأمينة على القرآن، فقد كان لديها المصحف المسطر فيه السور والآيات المكتوبة منه، احتفظت به عندها إلى أن طلبه منها الخليفة أبوبكر الصديق ليقوم على جمع القرآن الكريم فى المرة الأولى، ثم أعاده إليها حتى طلبه عثمان بن عفان الخليفة الثالث ليقوم على جمعه للمرة الثانية على النحو الموجود فى نسخ المصحف الشريف التى بين أيدينا الآن.

وكذلك كانت السيدة أم سلمة ناصحة ومشيرة فى الشأن العام، فقد أشارت على الرسول ﷺ بالرأى فى صلح الحديبية، فكان سبباً فى اقتداء المسلمين به، وحسم مادة الفتنة التى نشأت عن تصورهم بأن الصلح ينطوى على الإجحاف فى بنود الصلح بين المسلمين وأهل قريش.

وقد سبقت الإشارة إلى دور المرأة فى بيعة العقبة الثانية، فقد وجدت امرأتان شاركن فى بيعة الرسول على النصرة وتأسيس المجتمع. وقد سجل القرآن[٣] مبايعة الرسول للنساء على الالتزام بالعقيدة والشريعة والمصالح العامة اللازمة لاستقامة الاجتماع الإنسانى وانتظام شئون الحياة الدينية والدنيوية تلك المتعلقة بالعبادات والمعاملات والأخلاق، وهى من مرتكزات الهوية الإسلامية، وهو المسلك الذى عرف وتطور فيما بعد، وقد أرسى به الرسول ﷺ ما اصطلح على تسميته بالعقد الاجتماعى بين الحاكم والمحكوم، فى كتابات جان جاك روسو[٤].


العقاد

وما قامت به نساء العصر النبوى فى المشاركة فى شئون الحياة، هو سابقة وحق لا مراء فيه، كونه دل عليه القرآن، وطبقه الرسول ﷺ فى المجتمع الإسلامى، وأقره فى مسيرة العمل الإسلامى. فهذه هى المساواة - كما يقول العقاد[٥] - التى شرعها القرآن الكريم بين الرجل والمرأة أو بين الزوج والزوجة أو بين الذكر والأنثى، ولا صلاح لمجتمع يفوته العدل فى هذه المساواة، ولا سيما المجتمع الذى يدين بتكافؤ الفرص ويجعل المساواة فى الفرصة مناطاً للإنصاف.

«فإن للمرأة مثل ما للرجل وعليها مثل ما عليه»

(٢) كشف الخفاء: ١٦٩٨.

(٣) بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الممتحنة: ١٢).

(٤) انظر: محمد الشحات الجندى، معالم النظام السياسى فى الإسلام، ص٧٥.

(٥) عباس محمود العقاد، المرأة فى القرآن، ص٦٤.

كل منهما قوة عاملة فى دنياه يطلب منه عمله ويحق له جزاؤه:

﴿ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾

(آل عمران: ١٩٥)

ولكل منهما سعيه وكسبه:

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا
وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾

(النساء: ٣٢)

ولم يقف أمر مشاركة المرأة فى شئون المجتمع الإسلامى على نموذج محدد لا يتعداه إلى غيره كما يزعم المتكرون على المرأة حقوقها الاجتماعية بمفهومها الموسع، وإنما تخطى بكل المقاييس حدود الأسرة وتربية الأطفال، رغم أهمية ذلك وضرورته، إلى القيام بأعباء جسيمة.. فى أمور حاسمة فى مسيرة الإسلام والوجود الإسلامى برمته.

فقد تعاظم هذا الدور فى المهام الخطيرة، كما فى صنيع السيدة أسماء بنت أبى بكر التى كانت تنقل المؤن والزاد والأخبار إلى الرسول وصاحبه أبى بكر فى الغار وكانت تخاطر بحياتها فى سبيل إنجاز مهمتها، وصنعت ماصنعت بثيابها، سميت بذات النطاقين.

وقد شاركت العديد من النسوة فى الجهاد مع الجيش ضد العدو، فمنهن من حملن السلاح، ومنهن من كن يداوين الجرحى والمرضى، ويقفن خلف الصفوف تأييداً ومؤازرة لجند المسلمين:

وفى الشئون الاقتصادية والعامة تولت بعض النساء أمر الحسبة ومراقبة الأسواق، فقد عهد عمر بن الخطاب الخليفة الثانى إلى امرأة تدعى الشفاء بهذه المهمة، التى تحتاج إلى عزيمة وعدالة وتصحيح للاختلال فى المعاملات وضبطها وفق الشريعة الإسلامية.

وعلى هدى ذلك فإن إسهام المرأة فى التنمية المجتمعية لا يقتصر على مجال الأسرة وحدها، وإنما يعم كل الأدوار الاجتماعية متى كانت المرأة مستعدة لأداء هذه الأدوار ومؤهلة لها، قادرة على الاطلاع بمتطلباتها مدركة لواجباتها الإسلامية، جارية تصرفاتها على منهج الشريعة.

وليس فى القيام بالأعمال التى من شأنها تحقيق المجتمع، والقيام على شئونه ومصالحه الدينية والاجتماعية والاقتصادية حكر على نوع دون نوع، وإنما هو واجب عام على كل مؤهل له، يؤديه بالدقة والإتقان والجودة المطلوبة، فهذا مما يتساوى فيه الرجل والمرأة، ويقدم فيه الأصلح منهما لأدائه، بحسب فضل الله على المسلم رجلاً أو امرأة، وإمكانيات كل شخص وملكاته التى ترشحه لهذا العمل، وتجعل له الأسبقية على غيره.

سند ذلك أن الخطاب الإسلامى فى شأن العمل، وهو مقتضى خلافة الإنسان عن الله هو خطاب عام لا ينظر فيه إلى خصوصية النوع الإنسانى الرجل أو المرأة، والمسلم وغير المسلم بواجب الشراكة الاجتماعية بلا تمييز شريطة القدرة والاستطاعة على القيام به، ذلك أن الإسلام لايقيم - فى سباق الفضائل - وزنا لصفات الذكورة والأنوثة، فالكل سواء

فى العقائد والعبادات والأخلاق، والكل سواء فى مجال العلم والعمل والجد والاجتهاد (٦).

هذا هو موطن الحق فى قضية اشتغال المرأة فى أعمال التنمية، فإن مستند الحق فيها تشريع الإسلام ومصلحة المجتمع وقد صدق القول والعمل فيما أشرنا على بعضه ولسنا بحاجة إلى تفسير جديد للنصوص فى القرآن والسنة، إذ إن النصوص واضحة فى عبادتها بإيجاب العمل والسعى على كل مسلم، وكل مسلم يحاسب وفق عمله الصالح أو الطالح، وهو مطالب ديناً وشرعاً ومصلحة بأن يرتقى بنفسه وأهله ومجتمعه، لا يجوز له أن يتقاعس عن ذلك، فالوسيلة مطلوبة لتحقيق الهدف بحسبان أن الوسيلة كما يقول علماء الأصول: «إلى الواجب واجبة وإلى المندوب مندوبة، وإلى المباح مباحة»، وعمل المرأة ومساهمتها فى تنمية المجتمع وشئونه العامة يدور بين هذه الأحكام التكليفية، بحسب حالة المرأة واستعدادها للعمل، وتبعا لحاجة المجتمع إلى هذا العمل الذى تقوم به، الأمر الذى يتوجب معه أن تتاح الفرصة وأن تتمكن المرأة من العمل فى قضايا التنمية والشأن العام.. يبرهن على ذلك أن حاجة الوطن والمجتمع والأمة إلى مشاركة كل الجهود الداعمة للتنمية المجتمعية، بعد أن وصل حال التنمية فى البلدان العربية إلى وضع التخلف والاعتماد على الآخرين، ويقينا فإن للمرأة دوراً فى ذلك بناء على قاعدة: ما لا يقوم الواجب إلا به فهو واجب.

عموم المشاركة فى عملية التنمية

إذا كان المتبادر على الذهن أن التنمية تنصرف إلى التنمية الاقتصادية لأهميتها وشدة الحاجة إليها، حيث لا بقاء للإنسان بدونها، بل ولا غنى لأى كائن عنها، ممثلة فى الطعام والشراب والملبس والمسكن فإن من الضرورى كذلك شمول التنمية لصحة الإنسان وسلامة بنيانه، وتعليمه وتثقيف عقله، وكذا ضمان حريته واستقلال رأيه والعدل فى التعاون معه، والحفاظ على شرفه وكرامته.

وهذا المنظور للتنمية يجعلها شاملة غير قاصرة على التنمية الاقتصادية ولا التنمية الاجتماعية، فالإنسان كذلك بحاجة إلى التنمية الذاتية أو الشخصية، وهى المقومات التى تجعل منه إنساناً قوياً وفاعلاً فى مجتمعه، يكون نافعاً لنفسه وينهض به مجتمعه كما جاء فى الحديث الشريف: «خير الناس أنفعهم للناس»(٧) وقد جاء لفظ الناس على سبيل العموم، والمرأة من الناس.

وفى الحديث: «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شئ فلا تقل لو أنى فعلت كذا كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان»(٨).

---

(٦) محمد الغزالى قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة ص ٩٩.

(٧) المعجم الأوسط كنز العمال ٦٧٩.

(٨) صحيح مسلم، كتاب القدر.

وترتيباً على هذا الفهم الشامل المستوعب لإيجابية المسلم فى كل شئون الحياة أولى الإسلام التربية والتهذيب عناية خاصة، فجعل الأسرة محور اهتمامه وركيزة مجتمعه، ولا قيام لأسرة بدون المرأة، كذلك كان دورها إيجابيا وخلاقا فى رعاية النشء وتوجيههم إلى السلوك القويم، ووقايتهم من مزالق الانحراف، وهو دور يفوق الأدوار الأخرى، على سند أن للمرأة من استعداد الأمومة والعاطفة الجياشة ما لا يبلغه الرجل، وهو الدعامة الراسخة فى صلاح الأجيال وبناء صرح المجتمعات.

لذلك فإن على المرأة أن تؤدى دورها كأم وزوجة، ولا يكون طلبها للعمل والمساهمة فى الشئون العامة على حساب هذا الدور أو خصما من رصيدها فى رسالتها فى تنمية أطفالها ورعاية أسرتها، وعلى قدر مسئوليتها عن أداء هذا الدور كان فضلها وعلو منزلتها فى الإسلام، لذلك فإن: «الجنة تحت أقدام الأمهات»[9].

كذلك فإن الأم أحق بحسن العشرة والصحبة والرعاية من جانب الأبناء، وهى حصلت على ثلاث نقاط فى هذا الحق، بينما حصل الأب على نقطة واحدة، على نحو ما أخبر به الحديث: فيمن سأل الرسول ﷺ: «من أحق الناس بحسن صحابتى؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك»[10].

هذا الواجب على المرأة، هو حق لها فى ذات الوقت، تأسيساً على أن كل حق يقابله واجب، مما يقر للمرأة الحق فى المقابل فى ممارسة حقوقها المدنية والقانونية، ولايجوز حرمانها من ذلك مطلقاً أو الافتئات على حقوقها فيها، كما لايجوز حجبها عن تلك الحقوق بمقولة محورية الحقوق الأسرية؛ لأن القول بهذا يعتبر انتقاصاً وإخلالا بحقوقها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وإهدارا للمساواة والعدالة بينها وبين الرجل فى هذا المضمار.

على هذا النسق فى ترتيب الحقوق، تتحقق العدالة، والتكامل فى الوفاء بسائر مجالات الحياة، ومتطلبات التنمية البشرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ويجعل دور المرأة مجتمعياً بحق ليس مطلباً شخصيا ولا انتقائياً، ذلك أن المرأة كما قيل: تمثل نصف المجتمع، وهى مسئولة عن تربية النصف الآخر.

وتجدر الإشارة إلى أن الإسلام لا يمنع من مساعدة الزوج زوجته فى الشئون المنزلية ورعاية الصغار، فقد كان الرسول ﷺ فى خدمة أهل بيته، وقال فى ذلك: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى»[11] فإن القيام على شئون البيت والأسرة ليس دونية على الإطلاق، ولا ينبغى للمرأة أن تعتبر مسئوليتها عن ذلك، إنما هو من موروث عصر الحريم.

(٩) حديث شريف، كنز العمال: ٤٥٤٣٩.

(١٠) صحيح البخاري، كتاب الأدب.

(١١) سنن الترمذي، كتاب المناقب عن رسول الله.

وفى السياق نفسه لا يجوز المساواة التامة فى الجندر Gender Equlity بإلغاء الفوارق بين الرجل والمرأة تماماً بغض النظر عن أى اختلافات أو فروقات بيولوجية بينهما، بما نتج عنه المساواة الحرفية فى كل الحقوق والواجبات على مستوى الفرد والأسرة، والمجتمع، وفى المجالين الخاص والعام.

فليس أداء المرأة لواجب الأمومة وظيفة اجتماعية صرفة، ودوراً نمطياً للمرأة، كما تقول وثيقة بكين، وليس مقبولاً وصف المرأة بأنها مظلومة حين تؤدى هذه الوظيفة لأنها غير مدفوعة الأجر[12].

فليس صحيحاً أن المرأة تؤدى هذا الدور كنمط اجتماعى مفروض عليها، وإنما هى مدفوعة بكيانها وغريزتها وارتباطها العضوى والسرى بطفلها بأداء هذه الرسالة الغالية والحبيبة إلى نفسها، وهى على استعداد للتضحية بكل ما تملك للحرص على الاحتفاظ بحقها فيها وعدم حرمانها منها، فلم نصادم طبيعة المرأة وفطرتها؟

ومن ناحية أخرى فهى مستحقة للنفقة والرعاية من جانب الرجل وهو مسئول عن ذلك:

﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾

(البقرة: ٢٣٣)

فبهذا يكون التعادل فى الحقوق والمسئوليات بلا إفراط ولاتفريط، وفى الحفاظ على أداء كل نوع للواجبات الملقاة على عاتقه حفظاً للنوع، وتقسيماً للعمل والمسئوليات بما يحقق المصلحة لكل الأطراف، وهو ما تذهب إليه التشريعات العربية الخاصلة بالأسرة والأحوال الشخصية.

ويؤكد ذلك تقرير منظمة الصحة العالمية، فقد ورد بالتقرير أنه: لا يليق بالمرأة أن تعمل فى المجالات التى لا تلائم طبيعتها وثمة حقيقة ينبغى التنويه بها، أنه ليس من مصلحة المرأة ولا الرجل ولا المجتمع أن تقوم الحياة بينهما على أساس الصراع والشقاق، وإنما الأفضل للجميع أن تجرى على نسق التعاون والتساند والتكامل والتناسق فيما بينهما، فهذا أدعى إلى تحقيق الحياة الكريمة لهما وللمجتمع فى ظل المرجعية الإسلامية.

وفيما يتعلق بحق الرجل فى القوامة، فإنه من المهم الفهم الصحيح لهذا المصطلح، فالقوامة ليست لكل الرجال على كل النساء، وإنما هى فى نطاق الأسرة بالنسبة للزوج على زوجته وأولاده، كما أن الطلاق ليس حقا مطلقا للرجل، وإنما هو رخصة، والصلح مطلوب وواجب، ولايجوز أن تؤدى القوامة إلى ظلم الرجل للمرأة بدعوى أحقيته فيها أو الاستخدام الخاطئ والمتعسف لحق الطلاق، بسبب ما ينتج عن ذلك من ضرر جسيم، فإنه يعود بمردود سيئ ومدمر على حياة الأسرة

(١٢) انظر وثيقة بكين، البند ٢٧ألف، بكين +٥ وتقرير دور الرجال والصبية فى تحقيق مساواة النوع.

والمجتمع، كما يقول محمد عبده: «واعلموا أن الرجال الذين يحاولون بظلم النساء أن يكونوا سادة في بيتهم، إنما يلدون عبيداً لغيرهم»[13].

واستحقاق المرأة النصف في الميراث بالنسبة للرجل، ليس تفضيلاً للرجل ولا تمييزاً ضدها؛ لأن الرجل استحق ذلك بسبب الأعباء التي يتحملها، سواء الأعباء التي يلتزم بها تجاه زوجته وأسرته المتمثلة في دفع المهر وتجهيز المنزل، والإنفاق، والوفاء بأجر الرضاع والحضانة وتعليم الأطفال ورعايتهم صحياً واقتصادياً، بالإضافة إلى تحمله الأعباء العامة.

ولا شك أن فلسفة المنظومة التشريعية في الإسلام والدول العربية تغاير فلسفة النظم القانونية الغربية التي تتأسس على مساهمة المرأة بالمال مع الرجال بدفع الدوطة، وبالإنفاق على المنزل، واقتسام الثروة، مما لا وجود له في النظام الإسلامي، الأمر الذي لا يجوز للنظام الغربي الاحتجاج به على الإسلام، إذ إن لكل نظام فلسفته ومبادئه، ومن ثم فليس مقبولاً فرض النظام القانوني الغربي على المسلمين وتنحية الإسلام بدعوى التطور وملاحقة العصر.

وبخصوص مسألة الشهادة، فإن الآية التي ينتقص بها البعض حق المرأة في إثبات الحقوق، هي خاصة بالمداينة وإثبات المديونية بين الدائن والمدين، وكما يقول الشيخ شلتوت[14]. فإن قوله تعالى:

﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ ﴾

(البقرة: ٢٨٢)

ليس وارداً في مقام الشهادة التي يقضي بها القاضي ويحكم، وإنما هو وارد في مقام الإرشاد إلى طريق الاستيثاق والاطمئنان على الحقوق بين المتعاملين وقت التعامل.

ثم يقول: والآية ترشد إلى أفضل أنواع الاستيثاق الذي به تطمئن نفوس المتعاملين على حقوقها وليس معنى هذا أن شهادة النساء اللاتي ليس معهن رجل لايثبت بها الحق ولا يحكم بها القاضي؛ فإن أقصى ما يطلبه القضاء هو البينة.

وهي تتأتى من كل ثقة عدل رجلاً كان أم امرأة، لأن العدل الثقة ليس مختصاً بصنف الرجال فقط، وإنما يعم النساء، فهي موجودة فيهما لاتنحصر في نوع بعينه.

متى كان ذلك، فلا يصلح حرمان المرأة من المشاركة في التنمية ولا يستقيم التذرع بمثل هذه الأدلة للقول بعدم المساهمة في العمل العام، وعلى المجتمع والدولة أن توفر الفرص المتاحة لاشتغال المرأة، والقيام بمسئولياتها في العمل على نحو يحقق المصلحة للجميع.

---

(١٣) إقبال بركة، المرأة المسلمة في صراع الطربوش والقبعة، ص ١٠٥.

(١٤) الإسلام عقيدة وشريعة، دار الشروق، ص ٢٣٩، ٢٤٠.

شهادة التاريخ على تمايز الحضارات

الأستاذ الدكتور/ محمد عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

ليس هناك عاقل -من أي دين.. وفي أية حضارة- ينكر علاقة الأسباب بالمسببات.. وإذا كانت كل الحضارات الإنسانية قد اشتركت في الإيمان «بالأسباب».. وبالعلاقة بين «الأسباب» و«المسبَّبات».. فإن مناهجها ومذاهبها وفلسفاتها قد تمايزت في مرجعية هذه الأسباب وفي طبيعة العلاقة بينها وبين المسبَّبات..

أ - فهناك أهل العرفان، الذين يجعلون «الله - الحق»، سبحانه وتعالى سبباً أوحد لا سبب سواه في وجود كل المسبَّبات وفيما يتولد عنها.. بل لقد ذهبوا على هذا الدرب إلى حيث أنكروا الوجود الحقيقي عن ما عدا الله، سبحانه وتعالى..

ب - وهناك الحضارات المادية والمذاهب الوضعية التي ترجع «المسبَّبات» إلى الأسباب المادية، المركبة في المادة وقواها وظواهرها، وفي الإنسان والاجتماع البشري، وهم يرون فيها «أسباباً ذاتية»، وليست مخلوقة لخالق وراءها ومفارق لمادتها، إما لأنهم يجحدون وجود هذا الخالق، أو يتصورونه على الصورة التي تصوره عليها أرسطو (٣٨٤- ٣٢٢ق.م) محركاً أول، حرك العالم ثم تركه لقواه وأسبابه الذاتية الفاعلة وحدها فيه، دون علاقة تدبير بين الخالق وبين هذه الأسباب..

جـ- أما الموقف الإسلامي من مرجعية السببية، فهو الذي يؤمن بوجود الأسباب، وبقيام العلاقة بينها وبين المسبَّبات، مع الإيمان بأن جميع هذه الأسباب، المركبة في المادة وقواها وظواهرها وفي الإنسان والاجتماع البشري، هي جميعاً مخلوقة أيضاً لخالق هذه الأشياء، وأن عملها في مسبَّباتها لا يعني انتفاء قدرة الموجد الأول والأوحد لها على إيقاف عملها، إذا هو -سبحانه- شاء إخراج الأمر من «العادة» إلى «خارق العادة» لحكمة يريدها الله.

رأى للغزالى

لقد اتفق على هذا التصور للسببية مفكرو الإسلام، الذين أصيغت بفكرهم حضارتنا الإسلامية.. فالغزالى (٤٥٠- ٥٠٥هـ/ ١٠٥٨- ١١١١م)- الذى يتهمه البعض بإنكار السببية، والعلاقة الضرورية بين الأسباب والمسبَّبات، هو القائل: «إننا نسلم أن النار خُلقت خلقة إذا لاقاها قطنتان متماثلتان أحرقتهما، ولم تفرق بينهما إذا تماثلتا من كل وجه. ولكنا، مع هذا، نُجوِّز أن يُلقى شخص فى النار فلا يحترق، إما بتغير صفة النار أو بتغير صفة الشخص، فيحدث من الله تعالى أو من الملائكة صفة فى النار تقصر سخونتها على جسمها بحيث لا تتعداها، وتبقى معها سخونتها وتكون على صورة النار حقيقتها، ولكن لا تتعدى سخونتها وأثرها. أو يحدث فى بدن الشخص صفة ولا يخرجه عن كونه لحما وعظما فيدفع أثر النار، فإنا نرى من يطلى نفسه بالطَّلْق -(مادة نباتية)- ثم يقعد فى تنور موقد فإنه لا يتأثر بالنار. والذى لم يشاهد ذلك ينكره، وإنكار الخصم اشتمال القدرة على إثبات صفة من الصفات فى النار أو البدن تمنع الاحتراق كإنكار من لم يشاهد الطَّلْق وأثره، وفى مقدورات الله تعالى غرائب وعجائب، ونحن لم نشاهد جميعها، فلا ينبغى أن ينكر إمكانها ويحكم باستحالتها..»[1]

فإنكاره لم يكن للسببية، ولا لعلاقة الضرورة بين الأسباب والمسببات، وإنما كان للسببية المادية، التى تنكر -بزعم الحتمية- قدرة مسبب الأسباب على خرق «العادة» بخلق أسباب أخرى غير المعتادة!..

ورأى لابن رشد

وابن رشد (٥٢٠- ٥٩٥هـ/ ١١٢٦- ١١٩٨م)- الذى اتهمه البعض بالانحياز للسببية المادية، هو الذى يقول: «.. ولا ينبغى أن يُشَكّ فى أن هذه الموجودات قد يفعل بعضها بعضا ومن بعض، وأنها ليست مكتفية بأنفسها فى هذا الفاعل، بل بفاعل من خارج، فعله شرط فى فعلها، بل فى وجودها، فضلا عن فعلها»[2].

فكلاهما -الغزالى وابن رشد- على عكس ما توهم الذين ظنوا اختلافهما فى هذه القضية -يقولان بالسببية، وبعلاقة الضرورة بين الأسباب والمسبَّبات، مع رفض السببية المادية، التى تنكر قدرة وفعل مسبِّب الأسباب فى إيقاف وتبديل فعل الأسباب فى المسبَّبات..

وهذا المذهب الإسلامى، الجامع بين فعل السبب، المودَع فى الأشياء -الطبائع- وبين قدرة خالق الأسباب والمسبَّبات على خرق العادة، وتبديل الأسباب- أى إيجاد عناصر سببية جديدة- هذا المذهب الإسلامى، المتميز عن مذهب الذين

(١) (تهافت الفلاسفة) ص٦٧، ٦٨ طبعة القاهرة سنة ١٩٠٣م.

(٢) (تهافت التهافت) ص١٢٤ طبعة القاهرة سنة ١٩٠٣م.

أنكروا السببية وعن مذهب الذين قالوا بالسببية المادية، هو الذى عبر عنه الجاحظ (١٦٣- ٢٥٥هـ/ ٧٨٠- ٨٦٩م) عندما قال: إن «التوحيد» فى الألوهية، وهو الذى يعنى الإيمان بخلق هذا الكون، لا ينفى وجود الأسباب الفاعلة فى الأشياء (الطبائع) وقد يكون تصور الأمر صعبا على غير أهله- لكنه حق ممكن التصور! «..والمصيب هو الذى يجمع تحقيق التوحيد وإعطاء الطبائع حقها من الأعمال. ومن زعم أن التوحيد لا يصلح إلا بإبطال حقائق الطبائع فقد حمل عجزه على الكلام فى التوحيد، وكذلك إذا زعم أن الطبائع لا تصلح إذا قرنها بالتوحيد، ومن قال هذا فقد حمل عجزه على الكلام فى الطبائع. وإنما ييأس منك الملحد إذا لم يدعك التوفر على التوحيد إلى بخس حقوق الطبائع، لأن من رفع أعمالها رفع أعيانها، وإذا كانت الأعيان هى الدالة على الله، فرفعت الدليل، فقد أبطلت المدلول عليه»[3]!

فمع اشتراك كل الحضارات فى الإيمان بالسببية، تراها قد توزعتها مذاهب متمايزة فى مرجعية الأسباب، وفى طبيعة العلاقة بين الأسباب والمسبّبات، فكانت السببية مشتركا إنسانيا عاما، وكانت مذاهبها من الخصوصيات الحضارية التى تتمايز فيها وبها الحضارات.

شهادة التاريخ

وإذا كانت هذه النماذج والأمثال كافية لتشهد على حقيقة «التمايز والخصوصية الحضارية»، التى تؤكد على تعدد الحضارات فى عالمنا.. وعلى أن هذه التعددية هى تعددية تمايز، لا تضاد، لأن بين الحضارات المتميزة «مشتركا إنسانيا عاما»، تمثله حقائق وقوانين العلوم الطبيعية والمحايدة والموضوعية، لثبات موضوعات هذه العلوم.. كما أن بينها هذا التمايز فى معارف العلوم الإنسانية، ذات الموضوعات المتغايرة بتغاير مواريث وفلسفات وعقائد أمم هذه الحضارات..

إذا شهدت هذه النماذج بصدق هذا المعنى.. فإن التاريخ شاهد على أن هذا المعنى قد غدا قانونا عاملا فى كل مراحل النقاء وتفاعل سائر الحضارات.

فالمسلمون انفتحوا على الحضارة الهندية القديمة.. لكنهم أخذوا فلكها وحسابها، ولم يأخذوا فلسفتها.. وهم انفتحوا على الحضارة الفارسية القديمة.. ومع ذلك وجدناهم يأخذون منها «التراتيب الإدارية»، فى الوقت الذى وجدوا فيه النقد والنقض لمذاهب الفرس وفلسفاتهم ودياناتهم..

وهم صنعوا ذلك مع التراث اليونانى، عندما احتفوا بعلومه الطبيعية، مع رفضهم لإلهياته وآدابه التى ارتبطت بتلك الإلهيات..

(٣) (كتاب الحيوان) جـ٣ ص١٣٤، ١٣٥. تحقيق الأستاذ عبدالسلام هارون. طبعة القاهرة.

لقد كان قانونا حكم النقاء وتفاعل الحضارات، طبقه المسلمون منذ عهد الفاروق عمر بن الخطاب، الذى أخذ عن الرومان «تدوين الدواوين» -كتجربة إنسانية محايدة، ووعاء من أوعية التنظيم الإدارى- فى الوقت الذى رفض فيه «القانون الرومانى» لاختلاف فلسفته فى التشريع عن فلسفة الشريعة الإسلامية فى فقه المعاملات!..

● والغربيون، عندما انفتحوا على الحضارة الإسلامية، إبان نهضتهم الحديثة، أخذوا علومها الطبيعية، ومنهجها التجريبى، وتراثهم اليونانى الذى حفظه وطوره المسلمون.. وفى ذات الوقت رفضوا توحيد حضارة التوحيد، ووسطيتها، وقيمها، ومثلها.. بل لقد قسموا ابن رشد قسمين، فأخذوا منه: الشارح الأكبر لأرسطو -لأن فيه تراثهم- ورفضوا فيه: الفقيه المالكى، والمتكلم الإسلامى، وصاحب العقلانية الإسلامية التى آخت ما بين الحكمة والشريعة!..

● وعندما أخذت حضارتنا الحديثة تلتمس سبل النهضة -قبل مرحلة الاستعمار- أرسلت البعثات إلى أوربا، لتدرس علوم التمدن المدنى البشرية، أى العلوم الحكمية، المقيدة فى تمدن الواقع.. ولم يذهب مبعوث واحد ليدرس العقائد والفلسفات والإنسانيات- على عكس ما انقلب إليه الحال فى ظل الاستعمار، الذى أمطرنا بإنسانيات الغرب وحجب عنا مصادر القوة المتمثلة فى العلوم الطبيعية والدقيقة؟!-..

الطهطاوى

ولقد عبر رفاعة الطهطاوى (١٢١٦-١٢٩٠هـ/ ١٨٠١-١٨٧٣م) عن الوعى بهذه الحقيقة، وعن الالتزام بهذا القانون: قانون التمايز بين الحضارات المتعددة فى الإنسانيات، والتى تشترك جميعا فى حقائق وقوانين العلوم الموضوعية والمحايدة.. عبر عن ذلك عندما رفض علمانية الغرب ولادينيته ووضعيته التى اعتمدت «العقل المجرد» و«النواميس الطبيعية» وحدهما سبلا للمعرفة والتحسين والتقبيح، وأكد على التزامه بالمنهاج الإسلامى الذى يجعل «الشرع» مع «العقل» و«النواميس الطبيعية» طرقا للتحسين والتقبيح.. «فبلاد الإفرنج -(عنده)- مشحونة بكثير من الفواحش والبدع والضلالات، وإن كانت من أحكم بلاد الدنيا وديار العلوم البرانية! وليس لأهلها من دين النصرانية سوى الاسم فقط.. وهم من الفرق المحسنة والمقبحة بالعقل.. أو من الإباحيين الذين يقولون: إن كل عمل يأذن فيه العقل صواب، ولذلك فهم لا يصدقون بشىء مما فى كتب أهل الكتاب، لخروجه عن الأمور الطبيعية»!..

وبعد أن حدد الطهطاوى ملامح الوضعية الغربية، أدانها، وزكى النموذج الإسلامى الذى ميز حضارتنا عندما أقام بنيانها على «الشرع» و«العقل» جميعا.. فقال: «إن تحسين النواميس الطبيعية لا يعتد به إلا إذا قرره الشارع. والتكاليف الشرعية والسياسية، التى عليها مدار نظام العالم، مؤسسة على التكاليف العقلية الصحيحة الخالية عن الموانع والشبهات، لأن الشريعة والسياسة مبنيتان على الحكمة المعقولة لنا أو التعبدية التى يعلم حكمتها المولى سبحانه. وليس لنا أن نعتمد على ما يحسنه العقل أو يقبحه إلا إذا ورد الشرع بتحسينه أو تقبيحه.. ولا عبرة بالنفوس القاصرة، الذين حكّموا عقولهم بما اكتسبوه من الخواطر التى ركنوا إليها تحسينا وتقبيحا، وظنوا أنهم فازوا بالمقصود بتعدى الحدود!

فينبغى تعليم النفوس السياسية بطرق الشرع، لا بطرق العقول المجردة..»!..[٤]

منتدى حضارات

هكذا شهدت الحقائق على وجود «المشترك الإنسانى العام» الجامع لكل الحضارات الإنسانية.. وعلى وجود «الخصوصيات الحضارية» المثلة لتمايز الحضارات، وتعدديتها..

وهكذا شهد تاريخ النقاء وتفاعل الحضارات، على ارتقاء هذه الحقيقة.. حقيقة تعدد الحضارات- تعدد تمايز، لا تعدد تناقض وتناقر- ارتقائها إلى مرتبة «القانون» الذى حكم التفاعل الصحى بين الحضارات.

وسقطت دعاوى «واحدية الحضارة» فى عالمنا، تلك التى تخفى -أو تحاول أن تخفى- مقاصد الهيمنة وأغلال التبعية ومخاطر الاحتواء.. كما سقطت دعاوى الانغلاق والتناقض التام بين الحضارات فى كل الميادين.

إن عالمنا يجب أن يكون «منتدى حضارات».. تتفاعل جميعا، من موقف وموقع الراشد المستقل، الذى يصافح الدنيا، دون أن يتنازل عن «بصمته» التى تميزه، وهويته التى تمثل الجوهر والروح الحضارية الحافظة لتميزه عن الآخرين عبر الزمان والمكان.

تلك هى الرؤية الإسلامية للإجابة على هذا السؤال:

عالمنا: حضارة واحدة؟.. أم تعددية فى الحضارات؟؟..

والله من وراء القصد.. منه نستمد العون والتوفيق.



(٤) «الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوى» جـ٢ ص١٠٩، ١٦٠، ٧٩، ٣٢، ٤٧٧، ٣٨٦، ٣٨٧. دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م.

الإيجابية سبيل الارتقاء بالمجتمع

المستشار/ حسن منصور
نائب رئيس محكمة النقض

عندما سئل بيل جيتس - وهو من هو في عالم الحاسب الآلى - عن ثروته، فرد على السائل قائلاً: متى تقصد: قبل السؤال أم بعده؟!، وهو صادق مع نفسه، ففى كل لحظة يزداد رصيده من الثروة المادية، ولذلك يعتبره الاقتصاديون أغنى رجل في العالم الآن، ومع مطلع العام الحالى زار مصرنا الحبيبة، ولدى سؤاله عن ثروته قال: إن ثروتى بسبب المجتمع، وسوف تعود للمجتمع من خلال تمويل مؤسسات بحث علمى طبى لعلاج الأوبئة والأمراض المستعصية، وتمويل تطوير التعليم، ولا أعتقد أننى سوف أترك ورائى أموالاً لورثتى.

وإذا كان الإنسان كما يعرفه علماء الاجتماع: هو كائن اجتماعى بطبعه، فقد خلقه الله ليعيش مع غيره فى جماعة، وجعل النفس الواحدة منه، تعدل كل الأنفس البشرية، مصداقا لقوله - تعالى -:

﴿ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾

(المائدة: ٣٢)

وقد كفل الله - تعالى - له الأمن الكامل فى هذه الحياة، بما وضع له من منهج قويم ينظم حركته فيها، ومن أسس هذا المنهج أن يكون للفرد الدور الخلاق فى المجتمع الذى يعيش فيه، ومن مظاهر ذلك، ما نشير إليه من خلال النقاط الآتية:

أولا: الإيجابية سلوك

هو رجل يحافظ على الصلاة فى جماعة، ويقرأ القرآن الكريم، ولكن على أثر مشاجرة بين جيرانه، طلب منه أهل الخير المشاركة فى الصلح بين المتخاصمين، فرفض الحضور معهم بحجة البعد عن المنازعات التى تقع بين الجيران، وهو يردد قول الحق - تعالى -:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾

(المائدة: ١٠٥)

لقد ابتلى الإسلام فى عصور الضعف بأتباع أصابهم القصور فى الفهم، وحصروا هذا الدين العظيم فى ركعات، قد تؤدى فى رتابة بلا روح، والحقيقة أنهم لو قرءوا كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ بوعى، لتغيرت أحوالهم الراهنة إلى أحسن الأحوال. فقد روى أبو داود والترمذى بسندهما عن أبى ثعلبة الخشنى - رضى الله عنه - قال: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾

فقال: «بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذى رأى برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع عنك أمر العوام، وإن من ورائكم أيام لصبر الصابر فيهن مثل قابض على الجمر، العامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثله عمله، قالوا: يا رسول الله أجر خمسين منهم؟ قال: لا، بل أجر خمسين منكم».

فالرسول الكريم ﷺ طلب من المؤمن أن يكون إيجابيا فى مجتمعه، فهو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويشارك الناس كل مظاهر حياتهم، ويجب عليه أن يظل كذلك مادام هناك من يستجيب له، ومما يؤكد هذه الإيجابية أن الرسول ﷺ قد أشار إلى مقام الصبر، الذى يتعين التحلى به عند مباشرة هذا الأمر، والصبر لا يكون فى مواطن الاحتكاك بالآخرين، ومعايشة ظروفهم وأحوالهم، فضلاً عن الأجر العظيم الذى يقابل هذه الإيجابية والصبر عليها، ولا سيما إذا كنا نعلم قدر الصحابة الأجلاء - رضوان الله عليهم -.

وما أخبر عنه ﷺ من أمور توحى بأن من الخير للمؤمن أن يلتزم نفسه، فهذا من إعلامات النبوة، عما يحدث فى آخر الزمان، من أشياء تقتضى ذلك، وهى لم تقع بعد بصورة ملموسة، ولكنها مجرد تأويلات تقوم فى أذهان من تقصر همتهم عن التفاعل مع المجتمع الذى يعيشون فيه.

والفهم الصحيح لموجبات هذه الآية، يقضى على السلبية والتواكل فى حياة المسلم، ويجعله نافعا لنفسه ومجتمعه، فيكون أداة بناء لا معول هدم، بما تتحقق معه خلافته لله - تعالى - فى الأرض، التى من أجل عمارتها خلق، ولا يترك ذلك لمن يخالفونه فى عقيدة التوحيد الخالص..

ثانيا: دوائر الإيجابية الاجتماعية:

إن هذا القول الجميل، الذى جاء على لسان أحد مشاهير عالم اليوم، وهو لا يدين برسالة الإسلام الخاتمة، يقيم الحجة الدامغة على الأغنياء من المسلمين، لأن دينهم الحنيف جاء بما يزرع هذه النظرة الكريمة للمجتمع فى النفوس، فالرسول العظيم ﷺ يقول فى حديثه المشهور: «خيركم، خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى»[1]

(١) سنن الترمذى، كتاب المناقب عن رسول الله.

ومن ضيق الأفق أن تقتصر دائرة الأهل على أصول الإنسان وفروعه وزوجه، بل إن حقيقة الواقع تفرض أن تمتد هذه الدائرة لتشمل المجتمع كله، باعتبار أن الأسرة هى اللبنة الأولى فيه، وباجتماعها مع غيرها يقوم هذا المجتمع، ومن هنا قيل: العلم رحم بين أهله، أى أنه رحم بين مجتمع العلماء.

ومن مقتضى الخيرية للأهل، أن صاحب الثروة لا يضن بها على أبناء مجتمعه، أياً كان نوع هذه الثروة - مادية أو معنوية - طالما فى استعمالها ما يعود بالنفع على الجميع، فكما أن صاحب المال ينفقه لتيسير أمور الحياة المادية، فإن صاحب العلم يبذله لمن يطلبه بقصد الانتفاع به فيما يصلح شأنه فى الدين والدنيا.

إننا فى أيامنا المعاصرة فى حاجة ماسة، لتعميق النظرة الاجتماعية، التى تضمنتها كلمات أحد أغنياء العالم، فقد ضاقت سبل العيش على كثير من عباد الله، لتغير الزمن والحال، وأصبح من الواجب على الأغنياء تفعيل الوظيفة الاجتماعية للمال، واستخدامه فى الأغراض العامة التى تعود بالخير على أبناء المجتمع، وكنا نتمنى أن نسمع مثل هذه الكلمات من أثرياء العرب والمسلمين المعاصرين، الذين لا تخفى عليهم أحوال معيشة كثير من إخوتهم فى الدين على أية بقعة من أرض الله، ومن فضل الله عليهم أن شريعة الإسلام السمحاء قد جاءت بالعديد من الوسائل التى تعين على تحقيق هذه الوظيفة، وعلى رأسها الزكاة بأنواعها وصدقة التطوع والكفارات والوصايا والأوقاف، وصلة الأرحام والإحسان إلى الجيران، ومساعدة الضعيف وإغاثة اللهفان، وغير ذلك من القربات والطاعات الدينية، وما على المسلم إلا أن يقبل على فعلها، وله الجزاء العاجل فى الدنيا من الناس والجزاء الأوفى من الله - تعالى - فى الآخرة.

ثالثاً: من نماذج الإيجابية:

إذا كانت الإيجابية التى نقصدها، تمثل كل عمل مفيد مثمر، يقوم به الإنسان فى هذه الحياة، فإن صور وأشكال هذه الإيجابية، تكون متعددة بما لا يقع تحت حصر، نظراً لتعدد أوجه النشاط المفيد فى المجتمع، ويمكن الإشارة إلى نموذجين لهذه الإيجابية، كالآتى:

أ - التكافل الاجتماعى:

وهو قيام الأفراد بتقديم العون المادى أو المعنوى بعضهم لبعض، فى أى مكان أو زمان، أو لأى سبب، والأساس فى ذلك قول الحق - تعالى -:

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾

(المائدة: ٢)

إن هذا التكافل الاجتماعى يعد مقياساً حقيقياً لمعرفة درجة نقاء معدن الإنسان، فما أسهل أن يأخذ المسلم حفنة من ماء، فيتوضأ بها، ثم يصلى ما شاء من أنواع الصلوات، فرائض أو سنن أو نوافل، ولكن المحك الحقيقى له، عندما يطلب منه أن يضع يده فى جيبه ليخرج ولو القدر اليسير من المال، ليقدمه لمن يستحق من خلق الله، ولذلك قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه: لا تنظروا الرجل (لمعرفة

معدنه) عند صلاته، ولكن انظروه عند درهمه وديناره.

إن بذل المال لمن يستحقه، هو من شعب الإيمان المتعددة، ومن تقاعس عن ذلك كان على شعبة من النفاق، بل هو يعد مكذباً برسالة الإسلام، لقول الحق تعالى:

﴿ أَرَءَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَٰلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣) فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾

(سورة الماعون)

وقد أشار الرسول الكريم ﷺ إلى إحدى الصور التى لا يكتمل فيها إيمان الإنسان، بقوله الشريف الذى رواه البيهقى والطبرانى: «ليس بمؤمن، من بات شبعان، وجاره جائع إلى جنبه، وهو يعلم»، ومن رحمة الله ورسوله بنا أن جعلا عدم اكتمال الإيمان فى هذه الحالة، مرتبطاً بعلم الجار بجوعة جاره، أو عدم علمه، وإلا كانت العاقبة سيئة على الجميع.

وهناك نموذج رائع لقوم تخلقوا بالتكافل الاجتماعى فى أفضل صوره، فكانوا أهلاً للدرجات العليا من الإيمان، إنهم الأشعريين قبيلة الصحابى الجليل أبى موسى الأشعرى - رضى الله عنه -، الذين قال فيهم أشرف المرسلين ﷺ، فيما رواه البيهقى عن أبى موسى: «إن الأشعريين إذا أرملوا (نفد زادهم) فى الغزو، أو قل طعام عيالهم بالمدينة، جعلوا ما كان عندهم فى ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم فى إناء واحد بالسوية، فهم منى وأنا منهم». فهؤلاء القوم الكرام كانوا يتكافلون فى أوقات الحرب والسلم، وكان كل واحد منهم يتفقد أحوال غيره من بنى قومه، فإذا تبين أن هناك من هو فى حالة عوز مادى، أخبر عنه الآخرون، فيقدم الجميع كل ما لديهم، ويتقاسمونه بالتساوى فيما بينهم، حتى لا يتميز أى واحد منهم على الآخر، وبذلك يتحقق لكل منهم الأمن الاجتماعى فى حياته.

وما أروع أن يحتذى أبناء أمة الإسلام هذا النموذج الرائع، الذى يعد تجسيداً حياً للمثل الذى ضربه الرسول الكريم ﷺ لهذه الأمة بقوله الشريف: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[٢] وبذلك يستحقون ما وصف به الرسول ﷺ الأشعريين: «فهم منى وأنا منهم».

ب - إقالة عثرات الكرام:

بينما كان رسول الله ﷺ جالساً مع أصحابه - رضوان الله عليهم - إذ دخل الصحابى الجليل جرير بن عبدالله البجلى - رضى الله عنه - وكان سيداً فى قومه، فجلس حيث انتهى به المجلس، امتثالاً للهدى النبوى فى هذا المقام، فما كان من الرسول الكريم ﷺ إلا أن قدم إليه الوسادة التى كان يجلس عليها، تكريماً له، لمنزلته الرفيعة، فهو كريم بين قومه.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب.

والكريم فى الناس، لابد أن يعامل بينهم بما يحفظ له هذه المنزلة، حتى ولو وقعت منه بعض صغائر الأمور، فقد روى النسائي والإمام أحمد عن السيدة عائشة - رضى الله عنها - والمرزبان عن جعفر بن محمد، أن رسول الله ﷺ قال: «ادرءوا (ادفعوا) الحدود بالشبهات وأقيلوا (أى اتركوا) الكرام عثراتهم (أى زلاتهم) إلا فى حد من حدود الله - تعالى -» وفى رواية أخرى: «أقيلوا ذوى الهيئات (أهل المروءة والخصال الحميدة) عثراتهم إلا الحدود».. وفى رواية ثالثة: «تجاوزوا لذوى المروءة عن عثراتهم، فوالذى نفسى بيده إن أحدهم ليعثر وإن يده لفى يد الله تعالى».

ولكن يشترط للتجاوز عن هذه العثرات، ألا تصل إلى درجة الجريمة المعاقب عليها بواحد من حدود الله، تلك الحدود التى لا تقبل فيها الشفاعة، وقد استنكرها الرسول ﷺ من حبه أسامة بن زيد رضى الله عنهما، عندما ألح عليه القوم فى الشفاعة لديه ﷺ فى المرأة المخزومية التى سرقت، فقال له: «أتشفع فى حد من حدود الله، ثم قال فخطب، قال: يا أيها الناس: إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت، لقطع محمد يدها»[٣] وقد قال العلماء: هذه العثرات هى الصغائر التى لا يجوز لولى الأمر التعزير عليها إذا رفعت إليه، ولكن يندب لمن جاءه نادما أقر بموجب حد أن يأمره بستر نفسه ويشير إليه بالكتم كما أمر المصطفى ﷺ ماعزاً والغامدية، وكما لم يستفصل من قال: أصبت حداً فأقمه على، ويشترط أيضاً أن يكون الشخص المتجاوز عن عثراته، من غير من عرف بالأذى والعناد بين العباد فلا يقال له عثار بل تضرم عليه النار، وما أجمل أن يحمل الوصف الذى أسبغه عليه سيد الخلق ﷺ فى هذه الأحاديث الشريفة.

وهذا الوضع معروف فى القانون بنظام وقف تنفيذ العقوبة، فقد أعطت المادة ٥٥ من قانون العقوبات المصرى للقاضى سلطة تقديرية، فى أن يشمل حكمه الصادر بالحبس فى بعض الجرائم البسيطة، التى لا تزيد المدة المحكوم بها على واحدة، بإيقاف تنفيذ هذه العقوبة، ولو كان شاملاً لكافة الآثار الجنائية، إذا رأى من أخلاق الجانى وظروف الواقعة، أنه لن يعود إلى ارتكابها مرة أخرى، وهذا من باب إقالة عثرته التى وقعت منه رغم هذه الظروف.

رابعاً: ومن ثمار الإيجابية:

باستقراء آيات الذكر الحكيم، يمكن استخلاص دروس مستفادة، من إيجابية المسلم فى مجتمعه، ومن ذلك على سبيل المثال، فى قول الحق - تعالى -:

(٣) صحيح البخارى، كتاب الحدود.

﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

(الأعراف: ٥٥/ ٥٦)

فمن الملاحظ فى أيامنا المعاصرة، كثرة من يتوجهون إلى الله تعالى بالدعاء، وخاصة فى المناسبات الدينية المختلفة، ومع ذلك فالأحوال التى ندعوا الله أن يغيرها إلى الأحسن كما هى، بل قد تتغير إلى العكس.

ولكن فى هذه الآية، فقد طلب رب العزة تعالى من عباده، أن يتوجهوا إليه بالدعاء، وهم على حالتى: التضرع والخفية، وأيضاً وهم فى حالتى: الخوف والطمع، وهذه الأحوال خاصة ومتصلة بشخص الداعى ذاته، وقد يقصر الدعاء على نفسه، فلا يستفيد منه الغير، ولكن العظيم الذى يشير إليه القول المحكم هو أن الله تعالى اشترط لقبول هذا الدعاء، أن تتحقق مصلحة لغير الداعى، وهى المحافظة على صلاح الأرض، كما أوجدها الله - تعالى - نافعة لجميع المخلوقات:

﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾

(الأعراف: ٥٦)

ومفهوم المخالفة من هذه الآية، يقتضى القول: بأن من عمد إلى إفساد ما هو صالح فى الأرض، سواء كان صالحاً بطبيعة خلق الله له، أو صالح بتدخل يد الإنسان فيه، ثم توجه بالدعاء إلى الله، ومنه الصلاة التى هى عماد الدين، فلا ينتظر له قبولاً، مهما كانت حاله، من التضرع أو الخفية، ومن الخوف أو الطمع، لأنه تعالى كما أخبر فى كتابه الكريم:

﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾

(المائدة: ٢٧)

والإفساد فى الأرض متعدد الصور والأشكال، بما لا يمكن حصره فى أحدها، فهو كما يكون فى أعلى شعب الإيمان، وذلك بالشرك بالخالق تعالى، يكون فى أدناها بعدم إماطة الأذى عن الطريق، ومن عجائب هذا الزمان: أن تجد الرجل يؤدى العبادات المطلوبة منه، ويترك بيته وما يجاوره غير نظيف، والرسول الكريم ﷺ يقول فيما يرويه الترمذى بسنده عن سعد: «إن الله تعالى طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، فنظفوا أفنيتكم، ولا تشبهوا باليهود»، فلو تحقق مثل هذا الرجل بالإيمان، لما ترك بيته على هذه الحال، التى تعد إحدى صور الإفساد فى الأرض، التى تمنع من قبول الدعاء.

وليس الدعاء وحده هو الذى لا يقبله الله من المفسد فى الأرض، بل يمتد عدم القبول إلى سائر العبادات، لأنه إذا كان الدعاء وهو كما أخبر المعصوم ﷺ: «مخ العبادة»[٤]، لا يقبل من هذا المفسد، فلا يتصور أن يقبل منه ما دون ذلك من سائر الطاعات.

والله تعالى ولى التوفيق...

(٤) سنن الترمذى، كتاب الدعوات عن رسول الله.

الإسلام وبشائر التمكين

للأستاذ الدكتور/ حمدى فتوح والى

نحن لا نشك لحظة واحدة فى أن قيادة البشرية صائرة إلى الإسلام لأنه لو لم يكن موجودا، لبحثت البشرية عنه ولابتدعت نظاما يشبهه، بعد انحسار الموجتين السابقتين اللتين كانتا على طرفى نقيض: فالموجة الغربية المادية التى ورثتها أوروبا وأمريكا عن الدولة الرومانية القديمة هى النهاية الطبيعية لحضارة خالية من الروح، خاوية من المثل، مجردة من الأحلام كالذى نراه فى الحضارة الرأسمالية.

ولأن الإنسان هو الإنسان منذ خلقه الله فى حاجة إلى عقيدة تعمر قلبه، وتفسر له الحياة وتربطه بقيم أبعد من شخصه، وأكبر من ذاته على نحو من الأنحاء فقد تلفت الرجل الأبيض حوله يبحث عن تلك العقيدة المنشودة فأوقعه سوء حظه فى الشيوعية التى كانت أعلى صوتا، وأقوى أثرا فى ذلك الوقت وهى الفكرة التى تمثل الامتداد الطبيعى للفكرة المادية عن الحياة التى اعتنقها الرجل الغربى منذ قيام حضارته على أساس الحضارة الرومانية المادية.

والاختلاف بين فكرة الشيوعية والأفكار السائدة فى الغرب، ليس اختلافا فى طبيعة التفكير، وإنما هو اختلاف فى مدى التفكير وطريقة التنظيم. أما النظرة المادية للحياة فهى واحدة فى الفكرتين الشيوعية والرأسمالية، ولكن الفرق هو بين حرية الاستثمار المطلقة فى أمريكا، والمقيدة فى إنجلترا، وبين ملكية الدولة لكل شيء، وانعدام حرية الاستثمار كما فى روسيا. وهكذا منى الرجل الأبيض الباحث عن العقيدة بخيبة أمل أشد عندما وجد الشيوعية التى هرب إليها لا تحمل هدفا أبعد من سحق الطبقة البرجوازية لتسود طبقة العمال، وذلك فى الوقت الذى تطمس فى الروح البشرية كل أحلامها الأخرى، وتقطع كل علاقاتها بالكون والحياة، وتغلق كل منافذها إلى السماء، وتحارب الروح الدينية كما تحارب المخدرات.

وأصبح حال الرجل الأبيض الذى هرب من الرأسمالية إلى الشيوعية يطلب لديها سعادته: كالمستغيث بعمرو، الذى قال فيه الشاعر العربى:

والمستغيث بعمرو عند شدته .. كالمستغيث من الرمضاء بالنار

«إن جوعة الجسد تلح على صاحبها ليسدها

أولاً -هذا مُسَلّم به- ولكنها بعد أن تهدأ تتحرك فى الكائن الإنسانى جوعة أخرى لا يسدها الطعام ولا الشراب، ولا يكفيها الكساء، ولا تسكنها كل لذائذ الجسم وشهواته.. إنها جوعة من نوع آخر، لابد لها من هدف إنسانى أكبر من الملذات، ومن صلة بالكون أشمل من البيئة، ومن عقيدة فى قوة أكبر من البشرية، ومن مستقبل دائم النمو لا يقف عند حد محدود». وهذا ما لم يجده الهاربون إلى الشيوعية- الذين هربوا من جوعة الروح فأصابتهم جوعة الجسد والروح جميعا، ورأت البشرية كلها كيف انهارت الشيوعية فى سرعة لم تعرف البشرية لها مثيلاً فى انهيار الأمم وسقوط الحضارات.

وأمام سقوط الشيوعية التى هرب إليها الرجل الغربى من جحيم الرأسمالية أصبحت الأمة الإسلامية أمام الواجب الضخم الذى ينتظرها، إنه واجبنا نحو البشرية كلها لنتقدم إليها بالإنقاذ، وهى فى أشد حالات اللهفة لمن ينقذها من الخوار، ويقدم لروحها الزاد، لاسيما وقد تهيأت البشرية، وأصبحت أقدر على إدراك فكرة الإسلام اليوم مما كانت يوم أوصدت دونه الأبواب، وبعد أن صار العالم -بوسائل الاتصال الحديثة- أشبه بقرية واحدة، تشد بعضه إلى بعض شبكة المعلومات العالمية «الإنترنت».

وهذا الواجب الضخم الملقى على عاتق أمتنا الإسلامية لإنقاذ البشرية فى أحرج أوقاتها وأصعب حالاتها. لن يكون بتقديم النظريات المثالية تمرر على مسامع الدنيا ماضى آبائنا وأجدادنا يوم أن تقدمنا للعالم منقذين.. يوم كنا خير أمة. وإنما لابد أن يبرز هذا الواجب فى صورة مجتمع إنسانى يكون ترجمة عملية، وتأويلا حيا لعقائدنا وأفكارنا. وأن يكون نظامنا الاجتماعى ترجمة عملية لهذه العقائد والأفكار. بحيث يقع نظر البشرية الحائرة عليها فى اللحظة التى تتلفت لتنشد نبعها الصافى، وظلها الظليل.

إن البشرية -اليوم- مهيأة أعظم ما يكون التهيؤ لاستقبال الإسلام عقيدة وشريعة ونظام حياة.. ولكن يحول بينهم وبين ما يريدون غياب الإسلام بهذه الصورة الكاملة والحقيقية فى بلاده وبين ذويه.. بل إن الحيلولة تشتد وتعظم عندما ترى بلاد المسلمين موطنا دائما للفقر والجهل والتخلف والمرض؛ مما يعطى للرجل الأوروبى -أو الراغب فى الإسلام عموما- رسالة واضحة المعنى لا تحوج إلى تفسير -مؤداها- إن كان الإسلام بهذه العظمة والتكامل والسمو، فلماذا لم ينتفع به أهله وذووه؟

وهكذا يُجرم المسلمون فى حق دينهم مرتين: مرة حين تركوه عقيدة وشريعة ونظام حياة فصاروا بتركه فريسة للاستبداد السياسى. والتخلف الحضارى- والسقوط الاقتصادى والتفكك الاجتماعى- والانحلال الأخلاقى- ومرة أخرى حين صاروا بهذا الترك والتخلف عقبة تحول دون إقبال الناس عليه رغم شوقهم الشديد له وحاجتهم الملحة إليه.

كذلك تبدو ضخامة الجريمة الإنسانية التى يرتكبها أناس من الشرق والغرب حينما يحاولون صرفنا عن منابعنا الأصيلة، لتمرغ فى وحل المادية اليائسة فى أيامها الأخيرة.

إن جريمة هؤلاء تظهر خطورتها عندما يعلمون وتعلم الدنيا كلها أنهم بفعلهم هذا لا يؤذوننا نحن -المسلمين- فقط، وإنما يحرمون البشرية أن ترتوى من هذا النبع الوحيد الباقى الذى يمكن أن تئوب إليه عندما يبلغ بها الظمأ غايته، ويبلغ بها الجوع الروحى إلى منتهاه. وكل حجتهم فى ذلك خوفهم على الحضارة الصناعية التى أنشأتها ماديتهم- أن تئول إلى أناس يحطمون المصانع والمعامل ويهجرون المدن والدور، وترتد إلى الكهوف، أو تركب الأفيال والجمال! وهى سذاجة مضحكة -كان من الممكن أن نكتفى بالضحك منها- لولا ما نعلم من ورائها من سوء النية وفساد الضمير.

وإذا كان هاتان العقبتان، تمثلان فى القرون الماضية حاجزاً حقيقيا، تمثل فى غياب النظام الإسلامى وسيطرة طائفة المنهزمين فكريا على مقاليد الحياة الثقافية والتعليمية، فإن هاتين العقبتين لم تعودا ذات تأثير كبير -بعد أن أدرك أهل الأرض جميعاً- مدى الفارق الكبير بين الإسلام عقيدة وشريعة ومنهاج حياة، وبين واقع أبناء المسلمين بعد أن تركوه عقيدة وشريعة ونظام حياة، وأصبحنا اليوم أمام واقع جديد يتلقى الإسلام من مصادره ويتعرف عليه من خلال سلوك بعض الملتزمين به. الصادقين فى انتمائهم إليه. ممن يملأون جنبات العواصم الأوروبية. ويغشون محافلها، ويرفعون صوت الإسلام عاليا من فوق مآذنهم، ويتقدمون الصفوف علماء وأدباء ورياضيين وفلكيين، بل لقد بلغت بى الدهشة حدها عندما رأيت من بين أعضاء مجلس العموم البريطانى سبعة أسماء إسلامية منهم خمسة رجال وامرأتان.

ولك أن تقدر مدى ما لقيه هؤلاء الأعضاء من الدعم الشعبى والحزبى فى بريطانيا حتى وصلوا إلى هذا المقام الرفيع؛ ليشاركوا فى صناعة القرار وإدارة الحكم فى أعرق مملكة فى أوروبا، مملكة بريطانيا العظمى.

وقد ألغت بريطانيا مصطلح الإرهاب الإسلامى والإشارة إليه كإرهاب عنيف، واستجابة لتعاليم الإسلام، تم تعديل قوانين الإرث بناءً على اعترافها بتعدد الزوجات، ويبدو أن الشريعة الإسلامية قد جذبت إليها الكثيرين من البريطانيين، ويبدو هذا واضحا فى دعوة «روان ويليامز» كبير أساقفة «كانتربرى» إلى تطبيق بعض جوانب الشريعة الإسلامية فى بريطانيا معتبراً أنه أمر لا يمكن تجنبه قائلاً فى حديث له مع إذاعة الـ «بى. بى. سى» فى فبراير سنة ٢٠٠٨: «إن تطبيق الشريعة الإسلامية أمر لا مفر منه لتماسك المجتمع البريطانى»، ومما يجدر ذكره فى هذا المقام: رفض مجلس العموم البريطانى إصدار قانون يحظر النقاب على المسلمات مجاراة لفرنسا.

ومن البشائر التى يسر الإنسان بها كثرة عدد الداخلين فى الإسلام إذ تقول الإحصائيات الألمانية الرسمية: إنه خلال الأعوام ٢٠٠٦، ٢٠٠٧، ٢٠٠٨، يدخل مسلم جديد إلى الإسلام كل ساعتين بمعنى أنه خلال السنة الكاملة يدخل فى الإسلام أكثر من ٤٠٠٠ (أربعة آلاف شخص) ويقول المصدر الذى ساق الخبر، وهذه إحصائيات الحكومة الألمانية.. والمراكز الإسلامية، ولعل العدد الفعلى يكون أكبر من ذلك بكثير؛ لأن عدداً كبيراً من الداخلين فى الإسلام لا يذهبون ليسجلوا فى الجهات الرسمية أنهم أصبحوا مسلمين.

ويقول الخبر الذى بثه موقع «ويكيبيديا» أنه يوجد فى ألمانيا اليوم حسب الإحصائيات الرسمية أكثر من (٢٥٠٠ مسجد) فى ألمانيا وحدها.

ويقول نفس الموقع نقلا عن دراسة أعدتها وزارة الداخلية الفرنسية إن (٣٦٠٠) ثلاثة آلاف وستمائة فرنسى يعتنقون الإسلام سنويا وأكدت الدراسة أن المسلمين الفرنسيين أكثر التزاما، وتقل الجريمة فى أوساطهم، وتشير الإحصائيات أن بفرنسا (٢٣٠٠) مسجدا وسبعة ملايين مسلم ليصبح الإسلام هو الدين الثانى بعد المسيحية، وهناك توقعات بأن يمثل المسلمون ربع سكان فرنسا بحلول عام ٢٠٢٥.

وتؤكد دراسة لصحيفة «لا ليبربلجيك» البلجيكية أن ما يقرب من ثلث سكان بروكسل الآن مسلمون، وأن اسم «محمد» تصدر أسماء المولودين الجدد منذ عام ٢٠٠١، وتشير الدراسات التى تعدها الجهات الرسمية فى «بلجيكا» أنه فى عام ٢٠٢٥ سوف يكون الإسلام هو الدين الأول فى «بلجيكا».

أما فى الدانمارك التى أعادت صحفها فى ١٣ فبراير سنة ٢٠٠٨ نشر الرسوم المسيئة للرسول ﷺ فقد أكدت صحيفة «البوليتيكن» الدانماركية أن عدد الدانماركيين الذين يعتنقون الدين الإسلامى يتزايد يوما بعد يوم، وأن مواطنا دانماركيا واحداً على الأقل يدخل فى الإسلام يوميا، كما أن عدد الدانماركيين الذين اعتنقوا الإسلام منذ نشر الصور المسيئة للرسول ﷺ قد تجاوز الخمسة آلاف دانمركى فى نفس العام.

وأما فى هولندا فقد شهدت مكتبات «أمستردام» إقبالاً كبيراً من الهولنديين على شراء المصاحف الاليكترونية المترجمة مما أدى إلى نفاذها من الأسواق عقب نشر الصور المسيئة للرسول ﷺ، وعلى جانب آخر خابت آمال النائب العنصرى «جيرت فيلدرز» فبعد عرض فيلم «فتنة» المسيء للإسلام أشهر ثلاثة هولنديين إسلامهم خلال أسبوع من عرض الفيلم، وفى حدث لم يسبق له مثيل أعلن وفد شباب السويد المسلم اعتناق (١٥٠٠٠) خمسة عشر ألف مواطن سويدى تتراوح أعمارهم بين ٢٠ عاما و٤٠ عاما إسلامهم فى العاصمة السويدية «استوكهولم» بعد أزمة الصور المسيئة للرسول ﷺ، كما أعلن التقرير أن الإسلام فى السويد أصبح يحتل المرتبة الثانية بعد الدين المسيحى، وهو ما حدا بالحكومة السويدية إلى الاعتراف به رسميا وتدريسه فى المدارس الحكومية، وهذا الإقبال المتزايد على الإسلام يتم رغم غياب الدعاية الكافية، بل ورغم اشتداد الدعاية المضادة، مما يجعلنا واثقين مستبشرين بقول ربنا سبحانه:

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾

[الصافات: ١٧١-١٧٣]

﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾

(الصف: ٨).

لغة الطغاة لا تتغير!!

للأستاذ الدكتور/ مصطفى رجب

الذى يتابع أحاديث البشر فى كل زمان ومكان من المسئولين الرسميين، وإعلاميى السلطة، والملاحدة، ومدعى العلمانية، يلحظ تقارب مفردات خطابهم، وأنماط تفكيرهم، وأسلوب عدواتهم، وطرائقهم فى الجدل والنقاش. وقد روى القرآن الكريم قصص الظلمة والطغاة والجبارين بدءاً من ابن آدم قاتل أخيه ومروراً بأقوام نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم من الأنبياء عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه.

وإذا نظرنا فى لغة قصص أولئك الجبارين سنجد تشابهاً كبيراً يجمع بينهم على صعيد الكفر والجبروت والإرهاب والقسوة يدفعهم إلى ذلك عوامل كثيرة منها:

- الاغترار بالمال.
- الاغترار بالسلطة والمنصب.
- التكبر عن الاعتراف بالحق.
- الجهل الفاضح.

وإذا كانوا قد تشابهوا فى دوافع معاداة الحق الأبلج، فإن من المتوقع أن يكون تعبيرهم عن هذه المعاداة متشابهاً أيضاً، ومن ثم فسننظر خلال السطور القادمة فى البنية الأسلوبية لخطابهم سواء أكان ذلك الخطاب موجهاً إلى من يدعونهم إلى الحق، أم موجهاً إلى أنصارهم وأتباعهم المغلوبين على أمرهم.

أولا: الأسلوب الخبرى

يستخدم الجبارون فى خطابهم الأسلوب الخبرى، وهو كما يقول البلاغيون «ما يحتمل الصدق والكذب لذاته»، فى محاولة منهم لإيهام من يخاطبونه بأنهم صادقون، كما نلحظ فى قول النمرود:

﴿ ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ ﴾

حين قال له إبراهيم عليه السلام:

﴿ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾

«البقرة/ ٢٥٨»

فأداء المعنى بهذا الأسلوب الخبرى المباشر دون استعمال أى أداة من أدوات التوكيد، يدل على ما امتلأت به نفسه من غرور وانتفاخ وإعجاب ولكن الدافع الحقيقى لهذا التعبير هنا هو الجهل المطبق؛ لأن مفهوم الإماتة والإحياء عند هذا الطاغية مرتبط بما يملك من أسباب مادية.

وقد ورد استخدام الأسلوب الخبرى كثيراً على ألسنة الجبارين فقد جاء فى خطاب قوم إبراهيم كما فى قوله تعالى على لسانهم حين سألهم إبراهيم عليه السلام عن التماثيل التى يعكفون على عبادتها:

﴿ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴾

«الأنبياء/ ٥٣»

وفى قولهم:

﴿ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾

«الأنبياء/ ٦٠»

وفى قوله تعالى عنهم:

﴿ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾

«الأنبياء/ ٦٤-٦٥»

وورد الأسلوب الخبرى أيضا على لسان قوم لوط عليه السلام حين رأى منهم رغبة فى إيذاء ضيوفه فعرض عليهم أن يتزوجوا من بناته ويكفوا أذاهم عن ضيوفه قال تعالى على لسانهم:

﴿ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾

«هود/ ٧٩»

وقد يكون الدافع إلى استعمال هذا الأسلوب هنا هو الاستكبار والعناد والإصرار على الأذى وعدم الرغبة فى الاستجابة للهدى والرشاد.

وورد الأسلوب الخبرى كذلك على لسان قوم ثمود فى ردهم على نبى الله صالح عليه السلام حين تعجب من استعجالهم بالسيئة فكان جوابهم عجيباً

﴿ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾

«النمل/ ٤٧»

ثانيا: أسلوب التوكيد

ومما يتصل بالأسلوب الخبرى اللجوء إلى توكيد الكلام رغبة من أولئك الجبارين فى إلباس الباطل ثوب الحق عن طريق تأكيد الكلام ليبدو وكأنه حقيقة، وقد ورد استخدام التوكيد كثيراً على لسان فرعون فى القرآن الكريم لأنه بالغ من بين الجبارين فى ادعاء الألوهية حتى صدقه أكثر قومه وعبدوه وحين تبين للسحرة الذين جاء بهم من أقاصى البلاد أنه على الباطل أعلنوا رفضهم لألوهيته وآمنوا بنبوة موسى عليه السلام، وأعلنوا ذلك فى قوة وتصميم وإيمان لا يتزعزع، فماذا يملك هذا الطاغية الجبار غير التهديد والتشكيك؟

﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ ﴾

«طه/ ٧١»

فهو يستخدم التوكيد بالحروف «إن – اللام» في قوله «إنه لكبيركم» والتوكيد باللام والنون «فلأقطعن.. ولأصلبنكم..» وورد التوكيد في خطاب فرعون للسحرة قبل أن يؤمنوا، حين سألوه:

﴿ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾

«الشعراء/ ٤١-٤٢»

وحين أوشك الخسران أن يحيق بفرعون وأنصاره، ثارت ثائرته. وتوالت تعبيراته ساخنة طافحة بالمرارة والخذلان، وتوالت أساليب التوكيد في محاولة يائسة لجمع شمل أنصاره وتبصيرهم بالخطر:

﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴾

«الشعراء/ ٥٣-٥٦»

ثالثاً: أسلوب الشرط

يحمل أسلوب الشرط بطبيعة تركيبه ما يحمله كل من الإغراء والتحذير من تأثير نفسي في المخاطب، فحين يسمع المخاطب فعل الشرط ينتظر جوابه قلقاً مترقباً متحسباً.

وفقاً لطبيعة فعل الشرط التأثيرية، فإذا كان صدر جملة الشرط يحمل إغراء، انتظر السامع أن يجد في جملة جواب الشرط وجزائه ما يدفعه إلى هذا السلوك أو ذاك، وإذا حملت جملة صدر الشرط تخويفاً فزع السامع وتلهفت نفسه لمعرفة الجزاء الذي يكشفه عجز جملة الشرط.

وإذا كان الإغراء والتحذير هما وجهي العملة الشرطية من حيث الدلالة، فإن الغالب على أسلوب خطاب الجبارين إزاء خصومهم هو التحذير والتهديد والوعيد كما يظهر أكثر ما يكون في سورة الشعراء على ألسنة معظم الجبارين الذين سردت تلك السورة قصصهم، وسجلت حواراتهم على مدى تاريخ البشرية، فقوم نوح لا يستجيبون لدعوته، ولا يكتفون بكفرهم وعنادهم، بل يهددونه قائلين:

﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴾

«الشعراء/ ١١٦»

ومن خطاب هؤلاء الكفرة الفجرة تظهر نبرة التهديد القاسية في قولهم:

﴿ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴾

فلم يقولوا مثلاً «لنرجمنك» ليكون التهديد له وحده، بل استعملوا «من» التبعيضية وجعلوه مجرد «واحد» من المرجومين أي أنهم سيرجمونه هو ومن آمن به، وذلك حتى يقطعوا من نفسه أدنى أمل

في المقاومة، أو تفكير في الاستنصار بأتباعه المؤمنين، ويمثل هذا الخطاب نفسه، خاطب قوم لوط نبيهم، غير أن تهديدهم كان بطرده من بلده وليس برجمه كما قال قوم نوح، وذلك لأن لوطاً كان أشد تقريعاً لقومه وازدراء بأفعالهم القبيحة

﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾

«الشعراء/ ١٦٥ - ١٦٦»

فجواب أسلوب الشرط هنا هو إبعاده ومن آمنوا معه من بلدهم حتى يستريحوا تماماً من عار تعبيرهم بأفعالهم الشنعاء.

فالرجم هنا، وإن كان سيلحق الأذى بالمرجوم مؤقتاً، لن يوقف سيل اللوم والمعايرة، أما نوح فقد كان خطابه لقومه رقيقاً لا عنف فيه ولا لوم ولا تحقير

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾

«الشعراء/ ١٠٦»

فكان جزاء الشرط في مقابل هذا الوعظ الهين اللين التهديد بالرجم، والرجم لن يؤدي بالضرورة إلى الموت، بل قد يكون لمجرد الردع والإيذاء البدني، أما الإبعاد والنفي فهو قتل محقق وإن كان قتلاً معنوياً، فضلاً عما فيه من تخلص من أسبابه.

فهذان نموذجان من أسلوب الشرط حين ورد على لسان أمتين من الأمم الظالمة، وفي النموذجين كان جواب الشرط وجزاؤه التهديد مرة بالرجم ومرة بالنفي.

وقد يلجأ الجبارون الظلمة في استعمالهم لأسلوب الشرط إلى التعجيز، كما ورد على لسان قوم عاد وثمود كما قال تعالى في سورة فصلت

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا ﴾

«فصلت/ ١٣»

فجملة الشرط هاهنا تتكون من «لو + الفعل» في قولهم: «لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به كافرون» والمعروف أن «لو» تفيد امتناع حدوث الجواب لامتناع حدوث الفعل، والجواب هنا محذوف وقد جاء في الآية ما يدل عليه ودخلت «الفاء» التي تلحق بجواب الشرط، على ما جاء بديلاً عن الجواب ومترتباً عليه، والتقدير: لو شاء ربنا لأنزل ملائكة ولو أنزل ملائكة – بدلاً منكم أيها الرسل البشر – لآمنا، ولأنه لم ينزل ملائكة فإننا كافرون بما تدعوننا إليه، وهنا ملحظ مهم وهو أن القوم استعملوا في خطابهم لفظ «ربنا» فكأنهم موقنون بوجود الله ولكن غرور القوة وجبروت الجاه والمال والسلطة هو الذي دفعهم إلى طريق الشر.

يدل على ذلك قوله تعالى بعد ذلك

﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾

«فصلت/ ١٥»

﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾
(فصلت/ ١٧)

رابعاً: استخدام الأمر

من السمات الأسلوبية في خطاب الجبارين، تفضيلهم لصيغتي الأمر والنهي لما في هاتين الصيغتين من جبروت واستعلاء، فالأمر في أصل دلالته يقصد به طلب فعل الشيء على جهة الاستعلاء، والنهي يقصد به الكف عن فعل الشيء على جهة الاستعلاء، ولذلك نرى الجبارين يكثرون من استعمالهما وبخاصة حين يضيق الخناق عليهم، ففي سورة يونس نجد فرعون حائراً حاسماً أمام آيات الله المعجزات التي أيد الله تعالى بها نبيه موسى عليه السلام فيلجأ لفعل الأمر موجزاً حاسماً مستعصماً بسلطته وقوته

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴾
(يونس/ ٧٩)

والأمر هنا على أصل دلالته فهو يعني الإتيان بالسحرة بالفعل، وكذلك جاء استعمال الأمر على حقيقته على لسان قوم إبراهيم عليه السلام حين سفه أحلامهم وسخر من آلهتهم، وانهال عليها تحطيما وإهانة، فلما رأوا ما حل بآلهتهم وعرفوا أن الذي فعل ذلك هو إبراهيم

﴿ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾
(الأنبياء/ ٦١)

فلما حاوروه فأفحمهم في الحوار وأوقفهم على حقيقة آلهتهم التي لا تنطق ولا تنفع ولا تضر، تصاغروا وشعروا بالضعف العقلي وأبى عليهم غرورهم أن يلينوا للحق، وينصاعوا للدليل، فلم يجدوا إلا ما يملكون من سطوة القوة، وغرور السلطة فماذا فعلوا؟

﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾
(الأنبياء/ ٦٨)

والأمر هنا على حقيقة دلالته أيضا، فقد نفذوه وألقوا به في النار ولكن الله تعالى نجاه بمعجزة خالدة.

ولكن الجبارين قد يستعملون «الأمر» ولا يريدون به حقيقة دلالته، فقوم شعيب حين نهاهم نبيهم عن تطفيف الكيل وأمرهم بالعدل في الميزان

﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٥٣) مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾
(الشعراء/ ١٥٣-١٥٤)

فاستعمال الأمر هنا:

﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ ﴾

لا يقصد به الإتيان بفعل يعلمون سلفاً أنه لا يقدر عليه، وهذا يدل على مدى غلظ قلوبهم وتمكن الجحود والعمى منها.

وكذلك يظهر الأمر الدال على الغرور في

سلوك قوم سبأ الذين كفروا بنعمة الله ولم يشكروا له ما أفاء عليهم من نعم الزروع المثمرة والطرق الآمنة

﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾
«سبأ/ ١٩»

فاستعمال الأمر هنا «باعد بين أسفارنا» صادر من الأدنى للأعلى فيراد به الدعاء، فلما دعوا على أنفسهم جاءت الاستجابة سريعة معبراً عنها بحرف «الفاء»، «فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق» لتبشيع ظلم الإنسان لنفسه والتنفير منه.

خامساً: استخدام النهي

والنهي هو الصورة المقابلة للأمر في خطاب الجبارين، ومعناه الأصلي طلب الكف عن فعل الشيء على وجه الاستعلاء والإلزام، وقد يتلازمان في لغة الجبارين فكفار مكة حين رأوا تزايد أتباع محمد ﷺ شعروا بالخوف على سلطانهم ومراكزهم فطلبوا من أتباعهم بصيغة الأمر والنهي ألا يستمعوا للقرآن وأن يعبثوا بالمسلمين حين يقرأ بعضهم القرآن:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾
«فصلت/ ٢٦»

وكذلك فعل أصحاب الجنة الظالمون حين غدوا على جنتهم عازمين أن يحرموا الفقراء ما كان عودهم أبوهم عليه من الصدقة

﴿ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ ﴾
«القلم/ ٢٣-٢٤»

فالنهي هنا على حقيقته وقد ورد مصحوبا بتوكيد الفعل المنفي بالنون زيادة في تأكيد النهي عن الفعل، وقد ورد الخطاب نفسه على لسان قوم نوح عليه السلام حين نهى بعضهم بعضا عن اتباع نوح وترك آلهتهم كما يظهر في سياق قصتهم في سورة نوح:

﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (٢٢) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾
«نوح/ ٢٢-٢٣»

***

قصة العدد

الجاسوس المتسول

للدكتـــور/ أبي حســـام

مرض وزير المعتضد عبيد الله بن سليمان بن وهب، مرضه الأخير، فسعى الأمراء وكبار رجال الدولة إلى عيادته، وسارع الأطباء لملازمته، ولكن الأيام تمضي دون برء، بل يزيد مضيها ألمه، فيشتد المرض، ويضعف الرجاء، وقد غمضت عيناه ذات عشاء غمضة يسيرة، فظن طبيباه أنه نام، ووسوس أحدهما إلى صاحبه بأن الوزير ميئوس منه، ولن يعيش أكثر من يوم أو يومين، ففتح عبيد الله عينه، وقال: هذا ما أعتقده، وكان عليكما أن تصارحاني لا أن تكتما علي.

دهش الطبيبان، وذهب الدم من وجهيهما خجلاً وأسفاً، ولم يستطيعا أن يجيبا على المريض إلا بعد وقت طويل، إذ تجرأ أحدهما فقال: لا يأس من رحمة الله أيها الوزير، وكم لاحت نذر الموت أمامنا، وتأكدنا نزول الخطب، ثم كانت رحمة الله أسرع وأعجل، فذهب الداء وصح المريض.

قال عبيد الله: لا حرج عليكما فيما قلتما، ولكن ادعوا لي ولدي القاسم، واتركاني معه لأوصيه!

خرج الطبيبان حائرين، وأبلغا الولد برغبة أبيه، فسارع إلى لقائه، فأمره أن يبعد الحراس والخدم، وأن يخلو به وحدهما، فتيقن القاسم أن الأمر خطير، وقال: جعلت فداءك يا أبي.

قال الوالد: كأس يشربها كل إنسان، ولابد أن تدور علي، وقد دعوتك لأقول لك إن الخليفة المعتضد سيجعلك الوزير من بعدي، لأنه يعرف أنك كنت تشركني في أكثر أمور الوزارة، وسأروي لك قصة موجزة، لتستفيد من مضمونها، فأعرني سمعك!

قال القاسم: أنا طوع أمرك يا أبي، فقل ما تشاء

فهم الوزير بالجلوس، ولكن المرض غلبه، فظل يتحدث نائما بعد أن تأوه تأويهة نمت عما يكابد من تبريح الداء.

قال الوزير: كنت أعرف أن المعتضد محاط برجال السوء ممن يكرهونني، ويودون أن تخلص لهم الوزارة بإبعادي، والخليفة يسمر معهم كل ليلة، ولن أستطيع الحضور إذا لم يأمر باستدعائي في مجلس لهوه، وقد اشتقت أن أصطنع جاسوسا ينقل إلي ما يدور بمجلس الخليفة لأكون على حذر مما يدبر، وظللت أحتال لذلك فما استطعت، حتى هيأ الحظ ما أريد، إذ عثر بعض عمالي علي رجل يخرج خفية من قصر المعتضد ليلاً، وهو خائف يترقب، فجعل يسير خلفه حتى رآه يهم بمبارحة المدينة متجها نحو مصر، فأعد له من حاصره في الطريق، ودعا به إليه، وحين فتش، وجد بين طيات ثيابه رسالة كتبتها زوجة الخليفة «قطر الندى» إلى والدها «خمارويه» تشكو غربتها ولا تحمد زوجها، بل تتألم لما تلمسه من خشونته، والرسالة بما تحمل من سر ذات ضرر بالغ يمس الخليفة في سمعته، ولو وقف عليها المعتضد لأشعلت ناراً هيهات أن تطفأ، فقلت في نفسي: لا سبيل إلى مكاشفة المعتضد بها، فإنه سيضيق كل الضيق حين يعلم أني وقفت على سر من أسرار بيته، فوق ضيقه المتأزم بكاتب الرسالة وحاملها، وهما من المخلصين لزوجته دون نزاع.

فقلت: لابد أن أخفي الأمر عن الخليفة، ولكن مع الاستفادة التامة بالفرصة السانحة، فسألت حامل الرسالة: من الذي كلفك بالذهاب إلى مصر، فدهشت حين علمت أنه «ميمون» حارس الخليفة في مخدعه ورئيس خدم القصر، فقلت في هدوء: سأستر عليك، على أن تقيم في قصري مع الخدم فلا تبرحه، فبرقت عيناه حين علم أنه نجا، وجعل يقبل الأرض أمامي شاكراً متملقا.

وفي الصباح ذهبت إلى ديوان الوزارة، في الجانب الأيمن من القصر، ودعوت ميمونا إلى لقائي، وأعلمته بأن الرسالة قد وقعت في يدي، فارتجف ارتجافا شديداً حتى كاد يسقط على الأرض.

فابتسمت ملاطفا، وقلت: سأجبر عثرتك بشرط واحد.. فقال ميمون عجلا: أنا رهن إشارتك يا سيدي.

فقلت: ستظل الرسالة معي طي الكتمان، على أن تخبرني كل يوم بمن يجالسون المعتضد، وما يقال عني في مجلس الندماء؟

فقال ميمون دهشاً: كل يوم، كل يوم! ذلك أدعى إلى الافتضاح يا سيدي، ولكن أعدك أن أخبرك بكل ما يقال عنك حين يجري الحديث بشأنك!

قلت: وهذا ما أبتغيه!

وهكذا ظل ميمون يطلعني على ما يدبره جلساء المعتضد حولي، فأعمل على إبطال كيدهم دون أن يشعر المعتضد بأني أعلم شيئاً عما يحاك تحوي من الشر فيظن المكر بجلسائه ويصم أذنه عما يفترون.

ثم حاول المريض أن يعتدل في نومته فأعياه الوجع المبرح، ولكنه تحامل على نفسه، وتعمد الجلوس ليشير بيده إلى صوان

بالحجرة، به رسالة «قطر الندى» إلى والدها، مشيراً على القاسم أن يسر إلى ميمون بأن الرسالة تحت يده، وأن الأمر سيجرى معه على نحو ما كان يجرى مع أبيه.

قال القاسم: وهل يتوقف على ذلك أمر ذو بال؟

فصاح عبيد الله: لابد أن تكون لك عين في القصر، لتستعد للخطر قبل حلوله، وميمون لن يعصيك، وأمره في يدك! مادمت تقبض على رسالة قطر الندى، ولك بعد أن تجامله بالهدايا والألطاف.

تحقق قول الطبيبين، وفارق عبيد الله الحياة في غده المقبل، وصدر الأمر بتولية القاسم مكان أبيه، وقد رأى الوزير الجديد أن يحوز رضا المعتضد بظهوره بمظهر المتقشف الزاهد، فكان لا يشارك في الشراب بمجلس الخليفة، ويتعلل بشتى المعاذير كيلا يساء به الظن، ثم كان يعتذر من سهرات الطرب في القصر إذا دعى إليها، محتجاً بأن أمور الدولة تشغل يومه الطويل، فإذا حان الليل غلبه النوم بعد العشاء فما يستيقظ إلا ليؤدى صلاة الصبح، وقد أشاع أنه لا يحفل بالطرب ومجالس الغناء وفقاً لعادة نشأ عليها في عهد أبيه، والمعتضد بالله يسمع ذلك منه، فيتظاهر بالتصديق، ويعلن له أنه معصوم من الموبقات بفضل الله، وأنه يتمنى أن يكون مثله، فيقول القاسم للخليفة: ومن أنا يا أمير المؤمنين؟ وأنت من بيت النبوة، وابن عم رسول الله، ليتنا نبلغ حذاءك فنبشر برضوان الله!

حسب القاسم أنه أمن جانب المعتضد بما تظاهر به من التنسك، كما أنه وضع ميموناً في جيبه، إذ يوقفه على كل ما يدور حوله! لقد أصبح مجلس الخليفة مذاعاً مشتهراً بالنسبة إليه، وتلك هدية ورثها عن أبيه، وله بعد ذلك أن يأخذ حظه من اللهو في منزله دون أن يعلم به أحد! وماذا عليه إذا ابتسم في الظلام وعبس في النهار!

سارت الأيام على ما يحب القاسم، فهو قائم بتكاليف منصبه خير قيام، وهو محافظ كل المحافظة، لا يدنو من شراب، ولا يسمح بلهو، فإن دعاه الخليفة أطرق برأسه إلى الأرض قائلاً في توسل: إذا أمرت فنعم، وإذا خيرت، فأنا وما يلائم طبعي.

على أن القاسم كان صاحب لهو وطرب في حياته الخاصة، فله في منزله مجلسه الليلي الذي يحفل بما يحفل به مجلس الخليفة، ولكنه يبالغ في التخفي، ويقيم على الأبواب من خاصة خاصته من ارتبط مصيرهم بمصيره، فهو على منزلته في الدولة أشد حرصاً، وأعظم التزاماً، وقد اختاروا له من المطربات والندماء أهل السر المصون، وتواصوا بالكتمان، ولكن كيف تملأ القنان، وتعد الكئوس وتهيأ الأطايب من لذائذ المآكل والمشرب وتفد الجوارى ذوات الدل والنعم ثم لا يعلم خدم القصر شيئاً مما كان، إذا لابد للعطر أن يفوح!

وفي ليلة من ليالي القاسم أعد نوعاً من الثياب الحريرية المصبغة بأزهى الألوان والمطرزة بخيوط الذهب، لتلبسها الجوارى فيزددن فتنة على فتنة، كما افتن في أدوات اللهو ومائدة الطعام والشراب بما أعجز الوصف، حتى إذا سطع نور الفجر، أطفئت الأنوار وانفض السامر، وكان القاسم ثقيل الرأس، فلم يستطع النهوض إلى مجلسه بالقصر، وأرسل يعتذر معتلا بمرض خفيف.

وجاء اليوم الثاني فنهض من الصباح على عمله، وأرسل المعتضد يسأل عن وعكته بالأمس، فنهض الوزير إلى لقائه شاكراً مبتهجاً، ودار الحديث الملاطف فأعلن الوزير إنه سهر الليلة قبل الماضية في قراءة ما بقى من الرسائل، ومراجعة ما لم يستطع مراجعته من أمور الخراج والحسبة، حتى الفجر، ونام، فثقل رأسه عليه وما استطاع النهوض، ولكن المعتضد ابتسم في دهاء وقال: لقد تعبت كثيراً يا قاسم، وكنت أوثر ألا تجمع إلى رسائل الديوان وأمور الخراج بلايا الشراب، وغناء الجوارى في الحرير المذهب، لأن الأمرين لا يتفقان في مجلس واحد، وكم كنت أتمنى أن أشاهد جواريك في أجمل الثياب، فلم بخلت علي؟

فوجئ القاسم بصاعقة تنزل على رأسه، ولكنه تماسك متجلداً، وقال في حيرة: إن مجلسي لا يرتفع حتى يكون مجلس أمير المؤمنين، وإذا طلب ذلك فهذا تكرم منه على عبد يعرف مكانته الضئيلة من مقامه الأرفع، ثم نهض فقبل يد الخليفة، وبان الأسى في وجهه، واستأذن ليعود إلى منزله في أسوأ منقلب.

خلا القاسم إلى صاحب سره، والقائم على أمور قصره، وهو في حالة من الهياج بدت في علو صوته وحدة انفعاله، ثم قال: والله الذى لا إله إلا هو لئن لم أعلم من نقل مجلس البارحة إلى أمير المؤمنين لأنكلن بكل من حضر من كبير وصغير.

فأطرق صاحب أمره حائراً مضطرباً، وقال في مسكنة وذلة: الناقل مجرم واحد، والباقون أبرياء، فكيف نؤاخذهم جميعاً؟

فصاح القاسم: لابد أن أعرف هذا المجرم، وأمامك يوم واحد، ولن يهدأ لي بال حتى أطمئن.

ذهب صاحب السر إلى مقره حزيناً كئيباً، وجعل يفكر فيمن عسى أن يكون قد نقل السر إلى قصر أمير المؤمنين، وهو يعلم أن الحاضرين من رجال ونساء لهم صلة بالقصر، قريبة أو بعيدة، وهم كلهم من الطاعة والإخلاص والولاء بحيث يفدون الوزير إن حاق مكروه، وهجم الليل، فما نعم الرجل بمرقد، إذا لم يرد النوم على جفنه حتى مطلع الفجر، فقام ليصلي، ثم توجه إلى قصر الوزير مبكراً على غير عادته قبل أن تشرق الشمس، فوجد الأبواب ما تزال مغلقة، وأمامها رجل في ثياب التسول المهلهلة ومعه غرارة صغيرة يجمع فيها الفتات، فألقى في روعه أن للمتسول أمراً، وأخذ نفسه بمراقبة دقيقة فرآه قد دخل القصر عقب دخوله دون ريث، فأولع به البوابون وجعلوا يمازحونه ويسبونه، وهو يضحك ويتحمل، ثم جلس في الدهليز وتكلم ببعض المعابثات، وسأل: هل الوزير

سيركب اليوم، قالوا: نعم الساعة يركب، قال: وأى وقت نام البارحة؟ قالوا: وقت كذا وكذا.

رأى قيم القصر سؤال المتسول عما لا يعنيه، فعرف أنه جاسوس القصر، ورأى من الحزم أن يوكل به من يتابعه على بعد ليرصد جميع أعماله، دون أن يظهر له أنه مراقب محاصر، ولم يشأ القيم أن يقوم بهذه المتابعة كيلا يفطن المتسول له، فيدرك أنه تحت المراقبة، وقام المراقب بما عهد إليه في حذر، فرأى المتسول يمر على الأبواب بابا بابا ليضاحك حراسها بادئا بما لا علاقة له بالوزير، كي يخلص إلى السؤال عن ليله، ثم تجاوز البوابين إلى أصحاب الستور، فأخذ معهم في السؤال والجواب، فلم يطق المراقب أن سأل أصحاب الستور: من هذا؟ فقالوا: رجل فقير مسكين يدخل الدار متسولاً، فنعطف عليه بما يملأ المخلاة على كتفه، فتابعه المراقب حتى دخل المطبخ، فجعل يعابث الطباخين بالتندر والأفاكيه، ثم سأل عن مأكل الوزير، ومن كان معه من الندماء، ومن قامت بالرقص والغناء من الجوارى.

ثم ترك الطباخين إلى حجرة الشراب، مكرراً السؤال، بادئاً بالتافه ليصل إلى الجليل. فلم يزل هذا شأنه مع مجلس الكتاب في الديوان، والخدم والكناسين، وهو يخلط الجد بالهزل، ويأخذ قطع اللحم والخبز والفواكه يدسها جميعها في المخلاة، حتى هم بالرجوع واتجه إلى الباب الخارجي، فتابعه مراقبه بعد خروجه فوجده يدخل منزلاً حقيراً، فانتظره ليرى ما شأنه فوجده يخرج بعد أمد قصير وقد لبس أفخر الثياب، متوجهاً إلى دار ابن طاهر، فدق الباب، فخرج الخادم ليناوله المتسول ورقة مطوية، وهنا تأكد متتبعه أنه عين للخليفة، لأن ابن طاهر قيم القصر الخليفى، وصاحب سر المعتضد، فرجع بما رأى إلى قيم القصر الوزيرى.

جعل القيم ينتظر الصباح على أحر من الجمر، فلما أشرقت الشمس، تقدم إلى الباب الخارجى ليرى المتسول قد جاء في ثيابه المهلهلة، فسحبه في غلظة إلى الوزير القاسم، فتلقاه عابس الوجه مكفهراً، وقال له: لن ترى الدنيا إذا لم تصدقنى الحديث، فبكى المتسول ثم قال: أنا فلان بن فلان الهاشمى، وأنا عين المعتضد على أبيك من قبلك، وعليك من بعده، ويجرى على خمسين ديناراً كل شهر، فأخرج من دارى بزى جميل لا ينكره جيرانى، ثم أذهب إلى حجرة حقيرة استأجرتها، فأخلع ثيابى، وألبس هلاهيل التسول وأحمل المخلاة لأوهم من يرانى أنى أجمع الطعام، وألبس لحية فوق لحيتى مخالفة للونى: كيلا يعرفنى من يرانى فى الطريق، وأمشى زحفاً أدعى العرج إلى دارك، فأقتفى أخبارك من جميع غلمانك، وهم لا يعرفون مرماى، فيتكلمون ببراءة عن كل ما كان، ثم أرجع إلى الحجرة الحقيرة، فأبدل ثيابى، وألبس ما يعرفنى الناس به من كامل الزى، وأسير إلى بيت ابن طاهر، فأقدم له صحيفة بما كان! وأجرى الشهرى متصل مضمون!

قال القاسم: لن تخرج من محبسى فى أسفل القصر حتى أنظر فى أمرك، وساقه إلى مطبق من الأرض أعد لمن يقترف ذنباً خطيراً، وعليه سجان غليظ.

قال القيم للوزير: لم لم تنتقم منه بما يستحق فنرتاح من شره؟

فعض القاسم على شفتيه وقال: أترى المعتضد سيسكت عن أمره، إن ابن طاهر سيبلغه بانقطاعه فجأة، فيدرك أنه أخبرنى عن ليلة الثياب الحريرية المذهبة، فاستيقظت لنفسى، وتتبعت الجاسوس حتى أهلكته، وتلك كبرى الكبائر لديه، لأنه من رجاله، وهاشمى مثله!

قال القيم: وماذا سنصنع به؟ فرد الوزير: لننتظر!!

بعد يومين اثنين بعث المعتضد إلى وزيره، فتبادلا الحديث العام برهة من الزمن، ثم قال له: بحياتى إلا أطلقت الهاشمى فهو يصدر عن أمرى.

فتماسك الوزير ليخفى شجونه، ثم قال: أمرك مطاع يا سيدى، وكنت أنزله فى قصرى أحسن منزل.

فتبسم المعتضد وقال: فى الدرك الأعلى أم الأسفل؟

فسكت الوزير ليفاجئه المعتضد بقوله: ولى رجاء آخر فرفع الوزير رأسه ليقول: رجاؤك أمر يا مولاى.

فقال المعتضد: مزق الرسالة التى تحتفظ بها حين كتبتها قطر الندى إلى أبيها فقد عرفت أمرها حين أرسلت، ومن حق قطر الندى أن تكتب لوالدها بما تشاء ولكن ليس من حقك أن تخفى شيئاً عنى!

فحار القاسم فيما يرد به، وأطرق برأسه إلى الأرض ذاهلاً، فقال المعتضد: لم تكن أنت صاحب هذا التدبير، إنما هو والدك عبيد الله، وقد أطلعنى ميمون على ما كان من أمره معه، فضحكت وأمرته أن يكتب له ببعض ملفقات ساخرة كالتى يكتبها إليك، وأنا أقرأها قبل أن ترسل، ولكن لا داعى لهذا العبث بعد الآن! إن والدك هو الذى فتح الطريق لأرسل الهاشمى متسولاً إلى قصرك، وقلت: جاسوس مع جاسوس!

قال الوزير: لن ترانى بعد الآن فى غير ما يرضيك يا أمير المؤمنين، فصفحاً وعذراً.

ثم نهض إلى منزله ليرقد فى مضجعه أسبوعا لا يستطيع الحراك.

***

من مقدمات يوم القيامة فى القرآن الكريم

صديق بكر عيطة

من علماء الأزهر الشريف

يوم الناقور

قال تعالى فى سورة المدثر:

﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾

(الآيات ٨ - ١٠)

جاءت هذه الآيات الثلاث، فى سورة المدثر، أوائل ما نزل من القرآن الكريم، وفيها إثارة للحس، وإعمال للخيال، فى تصور مقدم يوم القيامة، بهوله الفازع، ورهبته القوية التى تذهل الإنسان عن نفسه.

جاءت هذه الآيات، وقبلها قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧ ﴾

(المدثر: ١-٧)

وبعدها جاء قوله تعالى:

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ۝١٢ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ۝١٤ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝١٥ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ۝١٦ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ۝١٧ ﴾

(المدثر: ١١-١٧)

جاءت هذه الآيات بعد النداء العُلوى، الصادر من الله تعالى لرسوله ﷺ، بإلقاء الدِّثار، الذى تدثر به، وإلقاء الخوف، والحزن عن كاهله الشريف، والتهيؤ لما سوف يكلفه به الوحى من الدعوة إلى الله العلى القادر؛ مما يلزم لإتمامه والنجاح فى تحصيله، التطهر التام، وإنكار الذات، والصبر على المشاق.

ولما كانت هذه الدعوة المباركة -شأن الدعوات السماوية الكبرى- سوف تُقابل عاجلا وآجلا بالإنكار الشديد، والحرب التى لا هوادة فيها، من جانب فئة باغية كافرة، لا ترى للحساب على ما قدمت دليلا فى مرآة نفسها المظلمة، ولا ليوم القيامة علامة واضحة فى ضميرها القاحل.. لما كانت هذه الدعوة كذلك - حسبما سبق فى علم الله تعالى- كان لابد من هزّ هذه الضمائر الخربة، والمشاعر الصلدة، بتصوير مقدم هذا اليوم العظيم، تصويرا يحمل من الظلال والألوان ما يغمر القلب.. ويوقظ الحس.. ويضعهما فى المواجهة الحية أمام الحدث الهائل، وهما ما يزالان -بعد- يتنسمان عبير الحياة، علّهما يفيقان من غفوتهما، ويثوبان إلى الطريق.

فلما كان لابد من تصوير مقدم هذا اليوم.. وذلك قبل أن يدخل النصُّ الكريم فى مواجهة مباشرة مع واحد من رموز الشرك والضلال[1] يصل به إلى قرار سحيق إلى «سقر» التى

﴿ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۝٢٨ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴾

المدثر: ٢٨-٢٩

فكيف تم تصوير مقدم هذا اليوم؟ وبأى الألوان كان هذا التصوير؟ وما الظلال التى ألقتها هذه الصورة فى النفس؟ وما العوامل المؤثرة فى بنائها؟ ذلك موضوع محاولتنا مع هذه الآيات.

* * *

اهتمت الصورة بإلقاء الضوء على اللحظات المبكرة فى وقوع هذا الهول الرهيب الرغيب، وهى لحظة النفخ الأول فى الصُّور؛ حيث ركزت على إطلاق النقرة الأولى، التى تؤذن بانقلاب الأرض لتصير غير الأرض التى نعرفها، وانقلاب حال السماء لتصير غير السماء التى نعهدها. فها هو ذا الملكُ الموكَّلُ بالناقور[2]، قد التقم الناقور فى فمه، وها هو ذا قد حنى جبهته، استعدادا للأمر الأعلى[3] الذى يوشك أن يصدر من لدن الحق تبارك وتعالى.

فالموقف قد تخطى مرحلة الإعداد والاستعداد، وحُددت ساعة الصفر، وليس هناك إلا أن يصدر الأمر بالنقرة الأولى.. والحق أن النقر قد لوحظ فيه معنى الدقّ. فالنقر له دوىّ فى الآذان. يقول صاحب «ظلال القرآن»: «والنقر فى الناقور، هو ما يُعَبَّر عنه فى مواضع أخرى بالنفخ فى الصور. ولكن التعبير هنا أشد إيحاء بشدة الصوت ورنينه، كأنه نقْر يصوّت ويدوّى. والصوت الذى ينقر الآذان أشدُّ وقعا من الصوت الذى تسمعه الآذان..».

فمنا أن يُنقر فى الناقور، إلا ويكون اليومُ الشديدُ العصيبُ.. الذى لا يعرف لحظة من لحظات اليسر والاستقرار، فالأرضُ أصبحت غير الأرض، والسموات أصبحت غير السموات.. ولم يعد هناك

---

(١) هو الوليد بن المغيرة المخزومى.

(٢) الناقور: هو القرن الذى ينفخ فيه إيذانا بفناء العالم. جاء فى «الجامع لأحكام القرآن»: «الناقور فاعول من النقر، كأنه الذى من شأنه أن ينقر فيه للتصويت، النقر فى كلام العرب الصوت.. وهم يقولون نقر باسم الرجل إذا دعاه، مختصا له بدعائه. وقال مجاهد وغيره هو كهيئة البوق».

(٣) عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كيف أنعم، وصاحب القرن قد التقم القرن، وحنى جبهته، ينتظر متى يؤمر فينفخ؟».

إلا الفزع والرعب، الذى يحيط بالمرء من كل جانب، وأنى توجه.

ولكن ما حقيقة مفهوم اليوم الذى ذكرته الآية المباركة؟!! إنه يوم لا كأيام الدنيا!! وهو غاية ما يقال فيه؛ فلقد نقر فى الناقور، وانقلبت الحال، واختلف مفهوم الزمان، كما اختلف معنى المكان.. فلم يعد اليوم هو تلك الفترة التى تدور فيها الكرة الأرضية دورتها فى مواجهة قرص الشمس؛ فهو يوم لا يشترك مع يوم الناس الذى تعارفوا عليه إلا فى الاسم فقط.. أما حقيقته.. أما مقداره.. فقد خضعت لمقياس آخر، ليس لنا أن نتعرف عليه؛ لأنه ليس فى مقدورنا أن نتعرف عليه، ويكفى أن نعرف أن معيار الزمن الذى عرفناه، لم يعد له وجود، بمجرد أن نقر فى الناقور..!! لكن كل ما يمكن أن يعرف عن هذا اليوم أنه

﴿ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾

فلا يتخلله يسر، «ولا يفصل أمر هذا العسر، بل يدعه مجملا مجهلا يوحى بالاختناق والكرب والضيق..»(٤) لتذهب فيه النفس كل مذهب، وينطلق فيه التصور أنى شاء.. وكيفما شاء. وهى طريقة مشهورة فى القرآن الكريم عند التعبير عن مثل هذه المعانى الكبيرة، التى لا يحتويها فكر بشر ولا تصوره..

وإن من يتصور هذه الصورة الفنية.. يرى أنه لا يستطيع أن يحدد فيها لونا بعينه، فلونها أنها لا لون لها؛ فالصورة تبدأ بصوت رهيب رعيب، بعدها تختلط كل ألوان الموجودات؛ إذ لا أرض.. ولا سماء.. ولا نجوم.. ولا نبات.. ولا ماء.. ولا شيء مما تعرف لونه.. كل ما فى الصورة «يوم عسير» لا يسر فيه، واليوم لا لون له. ولكن هل معنى هذا أنها لا تلقى ظلا على النفس البشرية؟!! كلا.. إنها تلقى عليها ظلا من الخوف والفزع، الذى يقع فى الروع عندما يسمع المرء لفظة «إذا» التى تحمل فى طيها بطانة من الوعيد الشديد، والذى يستولى على الإنسان حينما يسمع فجأة، وبلا مقدمات هذا الصوت الذى تصطك منه الآذان، وتنقلب له كل موازين الوجود، وهو لا يدرى مصدره، ولا يدرى من الذى أطلقه. فمصدر هذا الظل المخيف، إنما هو توالى المجهولات بعد الوعيد الشديد الذى تضمنته «إذا» فمصدر النقر مجهول.. ويومه مجهول.. ولون الأرض بعدها مجهول.. ولون السماء مجهول.. ومن هذه المجهولات التى تنطلق فى الآفاق؛ لتحيط بالإنسان وتكتنفه فى كل أقطار نفسه ومشاعره وتصوراته.. يتكون فى النفس ظل هذه الصورة الفنية، ولكل من النفس المؤمنة والنفس الكافرة أن تشعر بما شاء الله لها أن تشعر..!!

وإن من يتأمل هذه الصورة الفنية، يرى أنها بلغت الغاية فى القوة والتأثير وذلك للعوامل الآتية:

أولا: أنها جاءت وسط جو كله شدة، وكله كرب، وكله تبعات جسام، وكله يؤذن بأن هناك شيئا عظيما يوشك أن يحدث؛ سواء

(٤) سيد قطب «فى ظلال القرآن».

على مستوى الوجود كله، أو على مستوى الأفراد. فها هو ذا رسول الله ﷺ فى أول السورة يؤمر فى حسم وحزم بالنهوض من رقدته، والاستعداد لمقابلة هذا الأمر الجلل

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾

وهو سوف يقابل بالغلظة والإنكار من فئة كافرة باغية طاغية.. وها هو ذا أحد نماذج البغى والطغيان: الوليد بن المغيرة، وما يتهدده به الله تعالى:

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ۝١٢ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴾

، وها هى ذى «سقر» التى سيصلاها هذا الكفور وأضرابه، وقد جاء فى ذكر أوصافها ما جاء.. فحينما تأتى صورة النقر فى الناقور، وما يتلوها من أحداث جسام وسط هذه الأهوال تكون أشد تأثيرا فى النفس وأوقع فى الضمير.

ثانيا: اختيار «إذا» كأداة شرط تفيد التحقق من وقوع الشرط، كما تفيد سرعة ما سيقع بعده: فالنقر فى الناقور لا محالة واقع، وسيتبعه فورا وبلا إبطاء وقوع هذا اليوم العسير؛ مما يوحى بهول الموقف وشدته، فضلا عما فيه من إطلاق معنى العسر.. ونفى اليسر. يضاف إلى كل ذلك هذا الربط القوى بين ما قبلها وما بعدها فى سلسلة متصلة الحلقات متتابعة الأحداث عن طريق الفاء.

ثالثا: بناء الفعل للمجهول

﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴾

مما يوحى بالرهبة والفزع؛ لأنه نقر قوى يصك الآذان، فجأة ودون أن يعرف مصدره، ودون أن يعرف فاعله. فما هو إلا طلقة قوية، أو صوت رعيب.. وبعده يكون اليوم العسير.. يضاف إلى ذلك تعريف «الناقور» بأل التى للعهد، وهى تلقى فى النفس ظلا من الرهبة والرعب، فهو ناقور معروف فى الضمير البشرى، وإن لم يسبق له ذكر صريح. فهو مسلط على رأس الحياة وقد التقمه صاحبه الموكل به، وحنى عنقه فى انتظار لحظة الأمر الإلهى الأعلى. وكل الخلائق يعرفونه، وكأنهم يرونه رأى العين.

ولا يظن ظان أن هذه القضايا -ومعظمها يقوم على التحليل اللغوى فى مفاد الألفاظ والعبارات، والتحليل البلاغى الفنى للأساليب وجوها الشعورى العام- لا يحس معطياتها، أو ينفعل لها إلا من درب على تحليل العبارة تحليلا يعتمد على الدراسة الفنية المتعمقة.. لأن هذه الدراسة لم تكن إلا نتيجة لما كان يحس العربى عند الاستعمال، فالدراسة والتحليل نتائج، وليست مقدمات. ولعل فى هذا ما يفسر انطباعاتنا الأولية التى ترسبت فى عقولنا ومشاعرنا وتصوراتنا، فى بواكير حياتنا أيام أن كنا نقرأ هذه الآيات ونحن أطفال فى الكتاتيب.

فالفهم الأول المؤثر للصورة الفنية فى القرآن، لا يترتب على الدراسة المتعمقة أو المتخصصة، ولا يتوقف عليها، وإنما يسبقه، ولكن تأتى هذه الدراسة لتحلل وتعلل ما استقر فى النفس وترسخت صورته فى الشعور.

انتقاد الجاحظ
مع نشأة نظرية اللفظ والمعنى

للأستاذ الدكتور/ **السيد أحمد فرج**
الأستاذ بكلية التربية - جامعة المنصورة

مع ريادة الجاحظ في علم البلاغة، فإنه لم ينج من انتقاد نقاده من الذين رأوا في البلاغة: المحسنات والتشبيهات والاستعارة، فقال بديع الزمان: إن الجاحظ في أحد شقى البلاغة يقطف، وفى الآخر يقف، والبليغ من لم يقصر نظمه عن نثره، ولم يزر كلامه بشعره، فهل ترون للجاحظ شعرا رائعا؟ قلنا: لا. قال: فهلموا إلى كلامه فهو بعيد الإشارات، قليل الاستعارات، قريب العبارات، منقاد لعريان الكلام يستعمله نفور من معتاصه يهمله[1].

وهذه النظرة التي نظر بها بديع الزمان إلى البلاغة تختلف عنها عند الجاحظ، ذلك أن الأخير عالم متكلم متفنن في كثير من العلوم ومنها البلاغة، التي سخرها خدمة علومه وفنونه الموسوعية التي نثرها في كتب ورسائل كثيرة تعددت ألوانها ومضامينها، ولو أنه كان كما أحب بديع الزمان، لما تمكن من إنجاز هذه العلوم، ولا تفنن فيها.

بيان كلام بديع الزمان في الجاحظ، أنه في أحد شقى البلاغة يقطف، وفى الآخر يقف، يريد أنه في شق البلاغة الأول وهو النثر يقطف، أى يسير سيرا سريعا بدون ترو، وفي الشق الثانى وهو الشعر لا يملك ناصيته. فالجاحظ بمنظور بديع الزمان ليس بتمام البلاغة، لأن البليغ برأيه من برز في شقى البلاغة نثرا وشعرا، كما رآه في نثره قليل الاستعارات، قليل التشبيهات التي تحتاج لدقة فهم وإعمال فكر، فلا يجرى إلى الاستعارات والتشبيهات إلا نادرا، كما أنه بنظر بديع الزمان قريب العبارات، منقاد لعريان الكلام،

1- راجع: بديع الزمان، المقامة الجاحظية ص ١٠٧ وما بعدها، بشرح محيي الدين عبدالحميد، مكتبة الأسرة.

فلا يكسو كلامه بمسحة من سبك أو محسنات وغير ذلك[2].

وهذه نظرة من بديع الزمان- إن بلغت غايتها في فن المقامات، وعدها مثال الأسلوب البديع، لا تصلح لصياغة موضوعات العلوم البلاغية والكلامية والعلمية التي أبدع فيها الجاحظ في كتبه مثل كتابي: الحيوان، والبيان والتبيين، ورسائله في شتى الفنون السياسية والكلامية، إذ يحتاج أن يبلغ المعاني فيها بأدق عبارة، وشتان ما بين نظرة بديع الزمان إلى أسلوب الجاحظ البلاغي وبين نظرة أبي حيان التوحيدى فقد رأى أبو حيان في بيان الجاحظ لمادته العلمية التي أفصح عنها بأفصح بيان، حتى لقد قال في «البصائر والذخائر» واصفا بيان الجاحظ: لا تجد مثله وإن رأيت ما رأيت رجلا أسبق في ميدان البيان منه، ولا أبعد شوطا، ولا أمد نفسا، ولا أقوى منه إذا جاء بيان خجل وجه البليغ»[3].

لقد كانت البلاغة حتى عصر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) تدور في علم البيان، وأن قسمة البلاغة على ثلاثة أقسام هي: المعاني والبيان والبديع لم تكن قد استقرت حتى عصر عبدالقاهر الجرجاني (ت٤٧١ هـ) أى حتى القرن الخامس الهجرى، وكانت كلمة البيان قبل عبدالقاهر تقترن كلمتا الفصاحة والبلاغة»[4].

ولم يقلل نقد منتقدى الجاحظ من قدره، فقد كان الجاحظ - بجانب ما قدم في مجال علم البلاغة- مقدمة ممتازة لغيره من كبار المتكلمين البلاغيين في مقدمتهم: القاضي عبدالجبار بن أحمد، وعبد القاهر الجرجاني وكانا شافعيين في الفروع، مختلفين في الأصول، فقد كان الأول معتزليا، والثانى أشعريا، ولقد جمعا بين الدقة في التعبير، والبلاغة والفصاحة التي أفادا فيها من بلاغة الإمام الشافعي الذى وصفه الجاحظ بأن لسانه ينثر الدر.

لم يكن ابن قتيبة، وبديع الزمان وحدهما اللذين انتقدا الجاحظ فقد انتقده آخرون من أدباء وبلغاء ومتكلمين من أمثال:

١- أبي الحسين إسحاق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب، في كتاب: البرهان في وجوه البيان.

٢- أبي الهلال العسكرى في كتاب: الصناعتين.

٣- الباقلاني في إعجاز القرآن.

وكان نقد هؤلاء للجاحظ في المنهج، وليس في القول، يظهر ذلك إذا جردنا أقوالهم فيه، وليس في كلامه أو نتاجه، وهذا أمر اعتيادى من اللاحقين حول كلام السابقين ففيه في كل الأحوال إثراء للثقافة العامة.

قال صاحب البرهان: إن طريقة الجاحظ تصعب معها الإحاطة بمسائل البيان، ولم يأت فيه بوصف البيان، ولا أتى على أقسامه في هذا اللسان.

2- راجع شرح الشيخ محيي الدين عبدالحميد، هوامش ص ١١٠-١١١.

3- أبوحيان التوحيدي، والذخائر ٦/٢٣١

4- راجع د. شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ ص ١٦٠-١٦١، دار المعارف، ١٩٨٩م.

أما أبو هلال العسكرى فقد رآه أهم مؤلف فى البلاغة ومعرفة الفصاحة) إلا أن الإبانة عن حدود البلاغة، وأقسام البيان والفصاحة، مبثوثة فى تضاعيفه، ومنتشرة فى أثنائه، فهى ضالة بين الأمثلة لا توجد إلا بالتأمل الطويل، والتصفح الكثير. ومن أجل ذلك بحسب قوله ألف كتاب الصناعتين ليسد نقص كتاب الجاحظ، وليكشف عن الحدود والأقسام لوجوه البيان، كما صرح بأن كتابه لم يؤلف على طريقة المتكلمين، وإنما على طريقة صناع الكلام من الشعراء والكتاب.

أما الباقلانى الأشعري فقد رأى فى الجاحظ عجزا عن أن يخلى كلامه من الاختيار من كلام غيره [٥] فكانت كتاباته استطرادات متباينة الموضوعات متعددتها.

ويبدو أن هؤلاء القدامى، والذين حذوا حذوهم فى عصور متأخرة أهملوا جانبا مهما فى عقل الجاحظ، وهو النزعة الكلامية الجدلية التى هى أس المذهب الاعتزالى فى التفكير والجدل. كذلك فإن نزوع الجاحظ إلى تلبس ثوب الأديب، وأكثر منه ثوب المتكلم فى كثير مما كتب، كان له دور مؤثر فى طريقته فحكموا على الجاحظ المتكلم، بحكمهم على الجاحظ الأديب نفسه.

ولكن الجاحظ نبه المشتغلين بعلوم البيان والمعانى - خاصة من مفسرى القرآن الكريم إلى أهمية هذين العلمين، وهو ما جعل كل من القاضى عبدالجبار المعتزلى، وعبدالقاهر الجرجانى الأشعرى يرجعان إلى موطآت الجاحظ فى علم البلاغة، ويضعانها فى تقنيات صارمة ملزمة لكل بلاغى، ولكل مفسر بيانى.

قال الجاحظ فى كتاب نظم القرآن: والفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم، وإن برز على أهل الدنيا فى صناعة الكلام، والنحوى وإن كان أنحى من سيبوية واللغوى وإن ملك اللغات بقوة لحييه، لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع فى علمين مختصين بالقرآن هما: علم المعانى، وعلم البيان، وتمهل فى ارتيادهما آونة، وتعب فى التنقير عنها أزمنة. [٦]

ولعل الجاحظ قصد بالعبارة الأخيرة: الطريقة التى انتهجها فيما بعد القاضى عبدالجبار، التى بلغت غايتها عند عبد القاهر الجرجانى - وأفاد منها الزمخشرى فى تفسير الكشاف.

ولكن بلغاء المعتزلة أنفسهم لم يتوقفوا عندما وصل إليه الجاحظ، فقد عرض القاضى عبدالجبار بن أحمد، رأى شيخ من كبار شيوخ المعتزلة وهو أبوهاشم الجبائى ووافقه، ويتلخص هذا الرأى فى أن الكلام لا يكون فصيحا إلا إذا اجتمع فيه جزالة اللفظ، وحسن المعنى، ولابد من اعتبار الأمرين معا، لأنه لو كان جزل اللفظ ركيك المعنى، لم يعد فصيحا.

وينقل القاضى عبدالجبار فى كتاب المغنى فى أبواب التوحيد والعدل - باب إعجاز القرآن عن

٥- راجع دراسة د. عبدالحكيم راضى لكتاب البيان والتبين، وطريقة تأليفه ص٢٣ - ٢٤ سلسلة المختار رقم ٨٧، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٣م.

٦- راجع د. شوقى ضيف: البلاغة تطور وتاريخ ص ٤٥.

أبى هاشم الجبائى قوله: وليس فصاحة الكلام بأن يكون له نظم مخصوص.. فإن النظم وحده، لا يصلح للحكم على فصاحة الكلام، فقد يكون النظم واحدا عند أديبين ولكن يفضل أحدهما الآخر حين يضع الكلمة موضعها الدقيق من الجملة. [٧]

ولقد تابع عبدالقاهر، أبا هاشم والقاضى عبدالجبار، فيما أطلق عليه: التفاضل فى الصنعة والعمل، فقال: قد ينظم شاعران فى معنى واحد، ثم يكون بينهما التفاضل فى الصنعة والعمل، ودلل على صحة قوله بذكر أمثلة كثيرة لشعراء قالوا فى المعنى الواحد، ثم كان بينهم التفاضل فى الصنعة والعمل [٨].

فكأن أبا هاشم والقاضى عبدالجبار المعتزليان ينقضان طريقة الجاحظ المعتزلى ومن وافقه فى أن إعجاز القرآن يرجع إلى النظم وحده، ووافقهما عبدالقاهر فرأوا أن الإعجاز إنما يرجع إلى اجتماع جزالة النظم، وكمال المعنى العام ودقته.

وبذلك تحددت نظرية اللفظ والمعنى، وأن الفصاحة والبلاغة وإعجاز البيان يقتضى أن يكون اللفظ جزلا، والمعنى دقيقا أنيقا حسنا. يقول القاضى عبدالجبار: «الطرق التى عليها يقع نظم الكلام الفصيح معتادة، كما أن قدر الفصاحة (البلاغة) معتاد، فلابد من مزية فيهما، ولذلك لا يصح عندنا أن يكون اختصاص القرآن بطريقة فى النظم دون الفصاحة التى هى جزالة اللفظ وحسن المعنى.

فكأنه أراد ملاحظة صورة التركيب اللغوى العام للكلام، وهى أساسية فى بلاغة العبارة. ويؤكد القاضى عبدالجبار على العلة التى بها يتفاضل الكلام فى فصاحته فى التركيب اللغوى فى النص التالى: اعلم أن الفصاحة لا تظهر فى أفراد الكلام، وإنما تظهر فى الكلام بالضم على طريقة مخصوصة، ولابد من الضم من أن يكون لكل كلمة صفة، وقد يجوز فى هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التى تتناول الضم، وقد تكون بالإعراب الذى له مدخل فيه، وقد تكون بالموقع، وليس لهذه الأقسام الثلاثة رابع، لأنه إما أن تعتبر فيه الكلمة أو حركاتها أو موقعها، ولابد من هذا الاعتبار فى كل كلمة، ثم لابد من اعتبار مثله فى الكلمات إذ انضم بعضها إلى بعض، لأنه قد يكون لها عند الانضمام صفة، وكذلك لكيفية إعرابها وحركاتها وموقعها، فعلى هذا الوجه الذى ذكرناه إنما تظهر مزية الفصاحة بهذه الوجوه دون ما عداها.

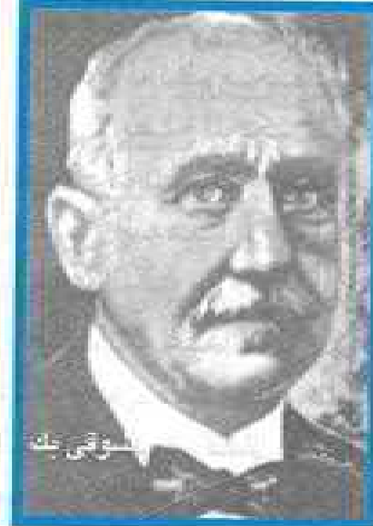
أراد القاضى عبدالجبار بن أحمد أن يقول: إن الكلمة لا تكون فصيحة فى ذاتها، وهى مفردة، لأن الكلمة إذا وضعت فى تركيب لغوى تعدد صفاتها، وحركاتها فى الإعراب وموقعها فى التقديم والتأخير، وحركات النحو. وتلك هى القواعد التى بنى عليها عبدالقاهر الجرجانى واستخدمها فى تقسيمه للنظم فى كتابه القيم: «دلائل الإعجاز» الذى صور فيه نظرية المعانى وفسرها.

٧- القاضى عبدالجبار بن أحمد: المغنى فى أبواب التوحيد والعدل، الجزء ١٦ ص ١٩٧، ١٩٩ وهو الجزء الخاص بإعجاز القرآن. وراجع د. شوقى ضيف: البلاغة تطور وتاريخ ص ١١٦.

٨- راجع عبدالقاهر الجرجانى: دلائل الإعجاز بتحقيق محمود شاكر، ص٢٥٤ - ٢٥٧ ص ٤٠٦.

مصاير الأيام

أحمد شوقي



ألا حبذا صحبة المكتب ... وأحبب بأيامه أحبب!

ويا حبذا صبية يمرحو ... ن، عنان الحياة عليهم صبي

كأنهم بسمات الحيا ... ة وأنفاس ريحانها الطيب

يراح ويغدى بهم كالقطيـ ... ـع على مشرق الشمس والمغرب

إلى مرتع ألفوا غيره ... وراع غريب العصا أجنبي

ومستقبل من قيود الحيا ... ة شديد على النفس مستصعب

فراخ بأيك فمن ناهض ... يروض الجناح ومن أزغب

مقاعدهم من جناح الزما ... ن وما علموا خطر المركب

عصافير عند تهجي الدرو ... س[1] مهار عرابيد في الملعب

خليون من تبعات الحيا ... ة على الأم يلقونها والأب

جنون الحداثة من حولهم ... تضيق به سعة المذهب

عدا فاستبد بعقل الصبي ... وأعدى المؤدب حتى صبي!

لهم جرس مطرب في السرا ... ح، وليس إذا جد بالمطرب

(١) المهار: جمع مهر، والعرابيد جمع عربيد بالكسر؛ والعربيد: الكثير العربدة.

تواترت به ساعة للزما ... ن على الناس دائرة العقرب

تشول[2] بإبرتها للشبا ... ب وتقذف بالسم في الشيب

يدق بمطرقتيها القضا ... ء وتجري المقادير في اللولب

وتلك الأواعي بأيمانهم[3] ... حقائب فيها الغد المختبي

ففيها الذي إن يقم لا يعد ... من الناس، أو يمض لا يحسب

وفيها اللواء وفيها المنا ... ر وفيها التبيع وفيها النبي

وفيها المؤخر خلف الزحا ... م وفيها المقدم في الموكب

***

جميل عليهم قشيب[4] الثيا ... ب وما لم يجمل ولم يقشب

كساهم بنان الصبا حلة ... أعز من المخمل المذهب

وأبهى من الورد تحت الندى ... إذا رف في فرعه الأهدب

وأطهر من ذيلها لم يلم ... من الناس ماش ولم يسحب

***

قطيع يزجيه راع من الدهـ ... ـر، ليس بلين ولا صلب

أهابت هراوته بالرفا ... ق ونادت على الحيد الهرب

وصرف قطعانه فاستبد ... ولم يخش شيئا ولم يرهب

أراد لمن شاء رعي الجديـ ... ـب وأنزل من شاء بالمخصب

وروى على ريها الناهلا ... ت ورد الظماء فلم تشرب

وألقى رقابا إلى الضاريا ... ت وضن بأخرى فلم تضرب

(٢) تشول: ترفع، أخذا من قولهم شالت الناقة ذنبها إذا رفعته.

(٣) الأيمان: جمع يمين وهي اليد اليمنى.

(٤) القشيب: الجديد.

وليس يبالي رضا المشتري ... ح ولا ضجر الناقم المتعب
وليس بمبقٍ على الحاضري ... ن وليس بباك على الغيَّب

***

فيا ويحهم! هل أحسُّوا الحيا ... ة؟ لقد لعبوا وهي لم تلعب
تُجرِّبُ فيهم وما يعلمو ... ن كتجربة الطب في الأرنب
سقتهم بسمٍّ جرى في الأصو ... ل وروَّى الفروع ولم ينضب
ودار الزمان فدال الصبا ... وشبَّ الصغار عن المكتب
وجدَّ الطلاب وكدُّ الشبا ... ب وأوغل في الصعب فالأصعب
وعادت نواعم أيامه ... سنين من الدأب المتعب
وعُذِّب بالعلم طلابه ... وغصوا بمنهله الأعذب
رمتهم به شهوات الحيا ... ة وحبُّ النباهة والمكسب
وزهو الأبوة من منجب ... يفاخر من ليس بالمنجب
وعقلٌ بعيد مرامي الطما ... ح كبير اللبانة والمأرب
ولوعُ الرجاء بما لم تنل ... عقول الأوالي ولم تطلب
تنقَّل كالنجم من غيهب ... يجوب العصور إلى غيهب
قديم الشعاع كشمس النها ... ر جديدٌ كمصباحها المُلهب
أبوقراط مثل ابن سينا الرئيـ ... ـس وهو صغير مثل أبي الطيب
وكلُّهمو حجرٌ في البنا ... ء وغرسٌ من المثمر المعقب

***

تولَّفهم في ظلال الرخا ... ء وفي كنف الشَّب الأقرب
وتكبر فيهم غرور الثرا ... ء وزهو الولادة والمنصب

بيوت منزهة كالعتيـ ... ـق وإن لم تستر ولم تحجب
يدانى ثراها ثرى مكة ... ويقرب في الطهر من يثرب
إذا ما رأيتهمو عندها ... يموجون كالنحل عند الربى
رأيت الحضارة في حصنها ... هناك وفي جندها الأغلب
وتعرضهم موكبًا موكبًا ... وتسأل عن علم الموكب
دع الحظ يطلع به في غد ... فإنك لم تدر من يجتبي
لقد زين الأرض بالعبقري ... محلي السماوات بالكوكب

***

وخدش ظفر الزمان الوجو ... ه وغيض من بشرها المعجب
وغال الحداثة شرخ الشبا ... ب ولوثت المرد في الشيب
سرى الشيب متئدًا في الرءو ... س سرى النار في الموضع المعشب
حريق أحاط بخيط الحيا ... ة تعجبت كيف عليهم غبي
ومن تظهر النار في داره ... وفي زرعه منهمو يرعب
قد انصرفوا بعد علم الكتا ... ب لباب من العلم لم يكتب
حياة يغامر فيها امرؤ ... تسلح بالناب والمخلب
وصار إلى الفاقة ابن الغنى ... ولاقى الغنى ولد المترب
وقد ذهب الممتلي صحة ... وصح السقيم فلم يذهب
وكم منجب في تلقي الدرو ... س تلقى الحياة فلم ينجب
وغاب الرفاق كأن لم يكن ... بهم لك عهد ولم تصحب
إلى أن فنوا ثلة ثلة ... فناء السراب على السبسب

***

دور القيم فى إصلاح التعليم وتنميته حضاريًا

للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا
أستاذ الفيزياء بكلية العلوم - جامعة القاهرة

يعتبر التعليم بكافة مستوياته عملية إنتاجية مسئولة عن تنمية الطاقات البشرية التى تكفل نمو المواهب والقدرات الوطنية، ولا شك أن إصلاح التعليم يعتبر من التحديات إلى مواجهة تأخذ فى الاعتبار طبيعة المجتمع وقيمه، إلى جانب الاسترشاد بالنماذج الناجحة فى الدول المتقدمة، أو الدول التى تسعى بوعى وإصرار نحو التقدم. كذلك تحتاج التنمية الأسِّية exponential للتعليم متابعة مستمرة لبرامج الإصلاح والتطوير، ومراجعة متأنية للعلاقات التى تجمع بين مختلف عناصر العملية التعليمية.. وهذا كله يحتاج إلى درايات فكرية ونظرية وميدانية خاصة يعرف أصولها أهل الاختصاص والخبراء من العلماء والمعلمين والتربويين.

ويكتسب تعليم العلم وتعلمه أهميته العظمى من أهمية العلم ذاته فى حياتنا، خاصة فى هذا العصر الذى تحول فيه العالم إلى غرفة كونية صغيرة نتيجة للإنجازات الهائلة التى حققتها ثورة المعلومات والاتصالات فى العقود القليلة الماضية، وأصبحت الفجوة بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون تزداد عمقًا واتساعًا يومًا بعد يوم، مما يهدد بزيادة الفصام النكد، ليس فقط بين دول متقدمة وأخرى متخلفة، ولكن أيضًا فى داخل البلد الواحد، متقدمًا كان أو ناميًا.

لهذا فإن أمتنا العربية والإسلامية بحاجة ماسة إلى استراتيجية رشيدة لتنمية تعليم العلم وتعلمه، انطلاقًا من أسس قيمية ومعرفية وتربوية حضارية، تهدف ـ على المدى القريب والبعيد ـ إلى تشرب الروح العلمية لتصبح أسلوب عمل ومنهج حياة. وإلى الإسهام فى تقوية إرادة التحدى لاجتياز فجوة التخلف، ولتنمية الشعور بالالتزام نحو مشكلات المجتمع وقضاياه.. وهذا يتطلب بطبيعة الحال آليات محددة وواضحة، تدعمها كل الجهود الرسمية وغير الرسمية من خلال برامج ذكية ورعاية مادية ومعنوية سخية.

التنمية والقيم:

تختلف الآراء حول مفهوم التنمية وتحديد محورها وأهدافها وأساليبها ومقاييس تحقيقها والمشاكل المرتبطة بها. لكن إن شئنا تعريفًا مبسطًا ـ وليس جامعًا مانعًا كما يقول المناطقة ـ للتنمية، نقول: «هى حصيلة كل ما يخطط له ويتم تنفيذه بأسلوب علمى على نطاق الأتباع والمجتمع والبيئة، مما يعتبر مجالاً للنماء والكثرة واستبدال الحال بما هو أفضل، وتحسين ظروف الحياة، والترقى فى سلم التقدم والرخاء».

التنمية والإنسان

ويرتبط مفهوم التنمية بمفاهيم أخرى مشابهة، وأحيانًا مرادفة له، وهى مفاهيم التقدم والتطور والتحديث... إلخ. وفى هذا الإطار ذهب المفكرون وفلاسفة التنمية يلتمسون محورًا تدور حوله عملية التنمية، فقال بعضهم: إن محور التنمية هو الإنسان، وقال آخرون: إنه المجتمع، وقال فريق ثالث: إنه البيئة والطبيعة، واعترض الحكماء منهم على التفريق بين الإنسان وهذه الأشياء، فالإنسان هو مبتدأ عملية التنمية بمفهومها الشامل، وهو منتهاها أيضًا، وهو المحور والوسيلة والغاية معًا فى أى مشروع تنموى، إذ أن مسألة التنمية ليست ـ كما يتوهم البعض ـ مسألة تقدم مادى فحسب فى مجالات العلم والتقنية والصناعة.

ولأن الإنسان هو موضوع التنمية، فإنه يصعب الحديث عن قضاياه بمعزل عن تكوينه وطبيعته وإمكاناته وحركة حياته، وهذا ما يمكن استقراؤه من تجربته التاريخية، وما ينبغى تأمله وقراءته فى حياة بعض المجتمعات المعاصرة التى استطاعت أن تحقق خطوات أكثر تقدمًا على طريق التنمية. وقد أثبتت تجارب الإنسان ـ قديمًا وحديثًا ـ أن نجاحه كان، ولا يزال، معتمدًا على مدى التكامل والتنسيق بين الخطط التى يضعها وينفذها من أجل ازدهار ما سمّاه عالم الاجتماع العربى (ابن خلدون) بـ«العمران البشرى»، ورآه متمثلاً فى «الروح» التى تسرى فى كل جوانب الحياة فى المجتمع، سواء فى ذلك المنشآت والمصانع والمزارع والنظم والقوانين والتنظيمات والتشريعات والأعراف والعادات والتقاليد، أو ما يعبر عن ذلك كله من فنون وآداب وعلوم وتقنيات، وإذا كان المدخل إلى العمران البشرى ـ أو التنمية الحضارية ـ يتم عمليًا من خلال تنمية أحد الجوانب، فإنه ينبغى عدم إغفال سائر الجوانب، وإلا تعطلت مسيرة التنمية، أو على الأقل تضاءلت جدواها، وليس هناك من شك فى أن إنسان القرن الحادى والعشرين قد بدأ مرحلة جديدة فى التفكير المرتبط بحياة الأفراد والمجتمعات، والمؤثر بصورة مباشرة فى رسم تصوراته لنفسه وللعالم الذى يعيش فيه.

هنا يجب أن نستدعى على الفور جانب القيم وجانب الأفكار السائدة التى لها قوة التوجيه والدفع إلى الأمام، والتى تحدد العلاقة الوثيقة بين تنمية الإنسان حضاريًا وبين انتمائه فكريًا وعقائديًا، إذ النماء والانتماء صنوان لا يفترقان، فهما بمثابة السبب ونتيجته. ولطالما أكد علماء التربية على أهمية هذه العلاقة فى ترقى المجتمعات، وتدلنا حقائق الواقع المعيش، وتجارب الخبرة الإنسانية، على أن المجتمع القادر على تحقيق التوافق والانسجام بين حركة الحياة الواقعية وبين النسق الفكرى الموجه لهذه الحركة، هو أيضًا المجتمع القادر فى الوقت نفسه على احتضان الأفكار الصائبة واستثمارها حضاريًا بما يحقق

الخير والتقدم، سواء كانت هذه الفكرة في مجال العلم أو التقنية أو الاجتماع أو الاقتصاد، أو غير ذلك من مجالات النشاط الإنساني.

وهكذا أصبح في حكم المؤكد والثابت أن هناك أعمدة رئيسية يقوم عليها بنيان الإنسان وحضارته.. ويضاء بها قنديل التقدم فيشتد نوره وتزداد قدرته على تبديد الظلام، ألا وهي منظومة القيم التي تؤثر في حياة البشر وسلوكياتهم. وتحدد شكل العلاقات الاجتماعية وأنماط التفاعل الإنساني، وهي صمام الأمان داخل التجمعات البشرية، وتمثل هذه القيم أدوات الضبط الاجتماعي ومحركات السلوك السويّ، وتفرز آليات الاستقرار والتوازن في المجتمعات البشرية. وإذا تعرضت هذه المنظومة القيمية إلى هزات أو تحولات، أو انتابها نوع من الخلل، تدهورت أحوال البشر، وعمّ الفساد في الأرض، وشعر الناس بفقدان التوازن وعدم الثقة وضياع الرؤى، وانتابت المجتمعات البشرية حالات من الإحباط والعجز والقلق والتوتر وعدم الرضى، وشاعت بين الناس حالات من التردّي والوهن، وسادت الفوضى الأخلاقية والسلوكية، وفقد النظام الاجتماعي قدرته على الاستمرار، وظهرت حالة من «اللامعيارية» يضيع معها الشعور بالانتماء، ومن ثم تتعطل معها حركة التنمية والنماء، وتظهر أنماط معاكسة من القيم السلبية المتمثلة في صور التقليد الأعمى والتعاون السلبي والحوار التصادمي «ثقافة العنف»، وغلبة نزعات التملك والأنانية، وافتقاد مقومات الدقة والإتقان والأمانة، وغيرها.

وإذا كانت القيم السائدة في مجتمع ما، ما هي إلا جزء لا يتجزأ من ثقافة هذا المجتمع، وهي التي تحدد للإنسان ما يجوز له فعله بالمعلومات التي يجمعها والقوانين العلمية التي يتوصل إليها، مثلما تحدد معايير السلوك في تفاعل الناس مع بعضهم البعض، فإن هذا يعني أن صياغة معنى «الثقافة» ومعاييرها لا تكتمل إلا بوجود قيم الحق والخير والجمال، وفي هذه الحصيلة تكمن القوة الدافعة للفكر الإنساني بأن يفعل شيئًا معينًا ويحجم عن فعل شيء آخر.

ولو لم يدرك الإنسان - منذ خرج إلى نور التاريخ - أن فكرة التقدم وثيقة الارتباط بمدى فهمه لحقائق الكون والحياة بالقدر الذي يتناسب مع ما يكتسبه من خبرات وما يحصله من معارف وعلوم وبالصور التي تلائم قدرته على التكيف مع ما يحيط به من ظروف خلال المرحلة التي يمر بها من تاريخه المحدود في هذا الوجود، ولو لم يكن مدركًا قبل هذا دور القيم الإيجابية الفاعلة في تحقيق أقصى فائدة ممكنة من علومه التي جاءت ثمرة لنشاطات العقل في مختلف مجالات المعرفة. ولو لم يفطن كذلك بفطرته النقية إلى العلاقة المتبادلة بين العلم والقيم التي لها أيضًا قوة الدفع نحو الأفضل والأنفع، وأنها - شأنها شأن النماء والانتماء - بمثابة السبب ونتيجته، لولا هذا كله لتعثرت مسيرة الحضارة، ولضل الإنسان طريقه نحو الارتقاء والتطوير واستبصار آفاق النجاح على مراحل تاريخية متعاقبة.

قيم التقدم

ومن العناصر الأساسية في منظومة قيم التقدم، جانب المنهجية العلمية السليمة في النظر والتفكير، ولا يمكن لهذا الجانب القيمي الأساسي والمحوري أن يؤتي ثماره المرجوة إلا في وجود هدف أسمى لمعرفة الحق والحقيقة في أعماق النفس الإنسانية، وفي نواميس الظواهر الكونية والسنن المجتمعية، وللوقوف على طبيعة العلاقة العضوية بين الذات والموضوع، أو بين عالم الأفكار وعالم الأشياء، ففي غياب هدف أسمى يتجمد عالم الأفكار وعالم الأشياء، ويفقد كل منهما فاعليته الحضارية في الإفادة من الملكات التي منحها الله - تعالى - للإنسان والثروات التي سخرها - جل وعلا - خدمة الإنسان ومنفعته في هذا الكون. ومرة أخرى، عندما تختل العلاقة السلمية بين الأفكار والأشياء، أو بين الذات والموضوع، أو بين الإنسان والكون، كما أرادها الله - سبحانه وتعالى - فإن هذا لا يثمر مردودًا حضاريًا فاعلًا يحقق ارتقاء الإنسان فكريًا وعمليًا، وهذه هي السمة الغالبة للأمم في عصور التخلف والانحطاط، حيث يكون للناس آذان لا يسمعون بها، وعيون لا يبصرون بها، وقلوب لا يفقهون بها، فيعرضون عن تأمل مشاهد الكون وآياته، ويصبح الاتصال بين الإنسان والأشياء اتصالًا سطحيًا، فهو لا يرى من السماء إلا زرقتها، ومن الأرض إلا غبرتها.. وهي حالة لا تؤدي مطلقًا إلى إثارة الأسئلة عن الأسباب والعلل، ولا تسفر أبدًا عن قضايا ومشكلات تتطلب أحكامًا وحلولًا.. والتقدم العلمي والتقني لا يتحقق إلا بمثل هذه الأسئلة والمشكلات.

وتكتسب «قضية القيم» عمومًا أهمية خاصة في عصرنا بعد ثورة المعلومات والاتصالات، وأصبح الجميع مطالبين على وجه السرعة بتدارس إمكانية التعامل مع الواقع العالمي الجديد من أجل الحفاظ على ماهية الإنسان وإنجازاته الحضارية، فالمعايير التي تحدد صواب الأمور أو خطأها إنما تنبع من مصادر متباينة بشأن المبدأ الأخلاقي والموقف القيمي.

الدين في حياة الإنسان

عند هذه النقطة تبرز «واضحة جلية»، أهمية الدين في حياة الإنسان، وتتفق الأديان جميعًا على استنادها إلى موقف معين من القيم، ولعلها هي نفسها - أي الأديان - موقف قيمي صريح، لأنها تحدد ما ينبغي للإنسان أن يقوم بعمله إزاء بني جنسه، وإزاء الكون الذي يعيش فيه، حيث يكبر الحكم على قيم الأشياء والأعمال بشعور ما يترتب عليها من ثواب، فثمة ما هو أسمى وما هو أدنى، ومتى عرف ذلك التدرج في المنزلة، كان التزام المؤمن إزاءها بمواقف محددة، ومن شأن هذا التدرج القيمي أن يسلم إلى قيمة أعلى تكون منبع القيم جميعًا، ومصدر السلطة والإلزام، وعلى هذا يكون الخلاص أو الفوز في الدنيا والآخرة مصحوبًا بمدى الالتزام بالقيم الدينية والامتثال لها، والأخذ بما تأمر به، واجتناب ما تنهى عنه.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: أليست «قضية القيم» على هذا النحو الذي قدمناه جديرة بأن تؤخذ بقوة في الاعتبار عند بحثنا عن آليات فاعلة لتحقيق قفزة نوعية على طريق التقدم العلمي والحضاري في إطار «استراتيجية ناضجة» لتنمية تعليم العلم وتعلمه.؟

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾

للأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى
رحمه الله

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، نشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، ونشهد أن سيدنا وشفيعنا محمداً عبده ورسوله، سيد الأوفياء وإمام الأتقياء، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه الذين اتبعوا شريعته، وأحيوا سنته..

يا أتباع النبى - عليه الصلاة والسلام -..

إن الذى يقرأ القرآن بتدبر وخشوع، يراه قد فصل الحديث عن مناسك الحج وشعائره وأركانه وسننه وآدابه، تفصيلاً حكيماً.

ففى سورة «البقرة» نرى حديثاً واضحاً عن فضائل المسجد الحرام، وعن قصة بنائه، وعن الدعوات الخاشعات التى تضرع بها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وهما يرفعان قواعد البيت الحرام.

ومن هذه الدعوات قوله تعالى:

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

(البقرة: ١٢٧ - ١٢٩)

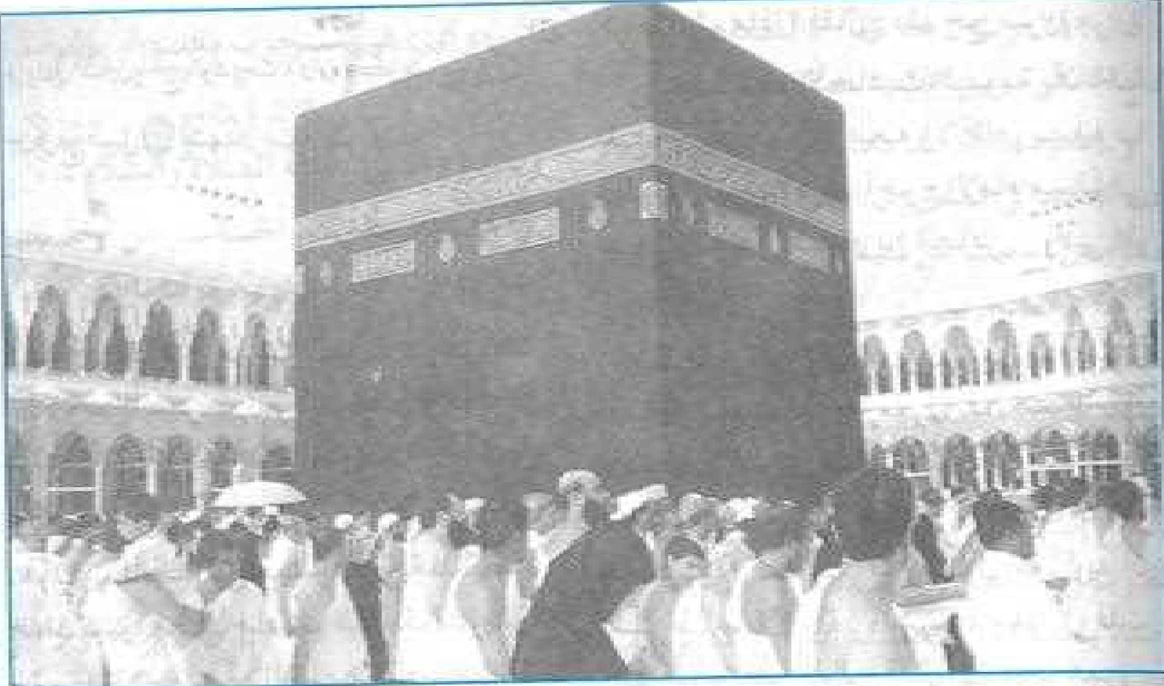
وقد حقق الله تعالى دعوة هذين النبيين الكريمين، فأرسل من ذريتهما أفضل الخلق على الإطلاق، وهو سيدنا محمد ﷺ الذى قال عن نفسه:

«أنا دعوة أبى إبراهيم، وبشرى عيسى ورأت أمى حين وضعتنى خرج منها نور أضاء له قصور الشام.»[١]

وفى السورة ذاتها بضع آيات تحدثت بالتفصيل عن مناسك الحج، وعن أوقاته، وعن آدابه، وعن أفضل الدعوات التى يجب أن يكثر من الدعاء بها المسلم والمسلمة، ألا وهى قوله تعالى:

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

(البقرة: ٢٠١)



وفى سورة «آل عمران» نجد آيتين كريمتين تحدثنا عن فريضة الحج، وأن على كل مسلم ومسلمة أداء هذه الفريضة متى كان قادرا على أدائها، امتثالاً لقوله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾

(آل عمران: ٩٧)

وفى سورة «الحج» نجد أكثر من عشر آيات، تحدثت عن مكانة المسجد الحرام، وعن تكليف الله تعالى لنبيه إبراهيم عليه السلام بأن ينادى فى الناس، بأن يسارعوا إلى مكة المكرمة، لكى يطوفوا بالبيت العتيق، قال تعالى:

---

(١) كنز العمال.

﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾

(الحج: ٢٧، ٢٨)

* * * *

هذا جانب من حديث القرآن عن فريضة الحج، وعن الثواب العظيم الذى وعد الله تعالى به من يؤدى هذه الفريضة بإخلاص وخشوع.

فإذا ما اتجهنا إلى السنة النبوية المطهرة، وجدنا كثيراً من الأحاديث النبوية الشريفة، تبشر المؤدين لهذه الفريضة ببشارات متعددة.

أ ـ بشرتهم بأن الحج المبرور يغفر الذنوب ويمحق الخطايا، ففى الصحيحين عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال:

«من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه».

أى: من أدى فريضة الحج دون أن يرتكب ما نهى الله عنه، رجع من حجه وكأنه قد ولد من جديد، لا ذنوب عليه ولا خطايا.

ب ـ بشرتهم الأحاديث النبوية بأن الحج على رأس الأعمال الصالحة التى يحبها الله عزوجل، ففى الصحيحين أن رجلاً سأل النبى ﷺ فقال: يارسول الله، أى الأعمال أفضل؟ قال:

«إيمان بالله ورسوله». فقال الرجل: ثم ماذا؟ قال: «ثم جهاد فى سبيل الله». فقال الرجل: ثم ماذا؟ فقال: «ثم حج مبرور».

ج ـ بشرتهم الأحاديث النبوية بأن الحج المبرور الذى لا رياء معه ولا آثام، يهدم ما قبله من ذنوب، فقد أخرج الإمام مسلم فى صحيحه عن عمرو بن العاص - رضى الله عنه - قال:

«لما جعل الله الإسلام فى قلبى أتيت رسول الله ﷺ فقلت له: يا رسول الله، ابسط يدك لأبايعك، قال: فبسط النبى ﷺ يده، فقبضت يدى!! فقال ﷺ «ما لك يا عمرو»؟ فقلت: يا رسول الله، أريد أن أشترط، فقال ﷺ: «تشترط ماذا ؟» قلت أشترط أن يغفر الله لى فقال ﷺ: «يا عمرو، أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله، وأن الهجرة تهدم ما قبلها، وأن الحج المبرور يهدم ما قبله»؟

د ـ بشرتهم الأحاديث النبوية بأن الحج المبرور يعد لونا من الجهاد فى سبيل الله، فقد أخرج الإمام البخارى فى صحيحه عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: قلت: يا رسول الله، نرى الجهاد أفضل الأعمال أفلا نجاهد ؟ فقال ﷺ: «لكن أفضل الجهاد: حج مبرور».

هـ ـ بشرتهم الأحاديث النبوية الشريفة أن الحج المبرور ثوابه الجنة، ففى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

و ـ بشرهم ﷺ بأن الحج المبرور النفقة فيه كالنفقة فى سبيل الله، فقد أخرج الإمام أحمد فى مسنده عن بريدة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «النفقة فى الحج كالنفقة فى سبيل الله بسبعمائة ضعف».

ز ـ بشرهم ﷺ بأن دعاءهم مرجو القبول عند الله تعالى فقد روى الإمام البيهقى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «الحجاج والعُمار وفد الله، إن سألوا أعطوا، وإن دعوا أجيبوا، وإن أنفقوا أخلف لهم».

ح ـ بشرهم ﷺ بأن الحج المبرور، لا يسارع إليه إلا أهل الإيمان العميق، والعقل القويم، والقلب السليم، فقد روى الإمام أحمد رحمه الله فى مسنده عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «من أراد الحج فليعجل، فإنه قد يمرض المريض، وتضل الراحلة، وتكون الحاجة».

ط ـ بشرهم ﷺ بأن الحج إذا كان من مال حلال، دعت الملائكة لصاحبه بالرحمة والمغفرة.

فقد أخرج الإمام الطبرانى عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خرج الحاج حاجا بنفقة طيبة، أى: بنفقة من حلال ووضع رجله فى الغرز، ـ أى: فى الشىء الذى يعتمد عليه فى ركوب راحلته ـ ثم نادى: لبيك اللهم لبيك. ناداه مناد من السماء: لبيك وسعديك، زادك حلال، وراحلتك حلال، وحجك مبرور غير مأزور». أى: غير مصحوب بذنب أو بإثم».

* * * *

يا أتباع النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ...

إن الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام، وإن العبادات يجب أن تؤدى كما جاءت عن سيدنا رسول الله ﷺ فهو القائل فى شأن الصلاة: «صلوا كما رأيتمونى أصلى»[٢٠] وهو القائل فى شأن الحج: «خذوا عنى مناسككم»[٣٠].

وإن فريضة الحج من آدابها: الإكثار من ذكر الله تعالى، والتضرع إليه بخالص الدعاء، والاستزادة من قراءة القرآن الكريم، والتذكر التام للقاء الله عزوجل بين لحظة وأخرى، واجتناب كل ما لا يليق بالمسلم أو المسلمة، فإن الأيام التى تؤدى فيها المناسك هى من أفضل الأيام وأجلها.

والعاقل من الناس هو الذى يحرص على ألا يراه الله تعالى حيث نهاه، وألا يفتقده حيث أمره:

﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾

(الطلاق: ٥)

نسأل الله ـ تعالى ـ أن يهدينا جميعاً إلى صراطه المستقيم أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم.

* * *

(٢٠) صحيح البخارى
(٣٠) سنن البيهقى

خيرية الأمة الإسلامية

للأستاذ الدكتور/ **أحمد عمر هاشم**
عضو مجمع البحوث الإسلامية

لقد بوأ الله تعالى هذه الأمة الإسلامية مكانة عظيمة علية، حيث جعلها خير الأمم، وأرسل إليها خير الرسل، وأنزل عليها أحسن الحديث وأكرم الكتب السماوية. وجعلها خاتمة الأمم، وبعث رسولها سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم خاتماً للأنبياء والمرسلين، وجعل دستورها السماوي، وهو القرآن الكريم خاتم الكتب، وكلمة السماء الأخيرة إلى أهل الأرض، وجاء تبياناً لكل شيء.

ولم تكن خيرية الأمة الإسلامية لتأتي من فراغ ولا بطريق المصادفة، ولا محاباة من القدر بل كانت خيريتها منوطة بواجبها ورسالتها وذلك أن الأمم السابقة، كانت تكلف بشيء واحد وهو الإيمان بالله ورسوله والطاعة فيما أنزل على رسولها، أما هذه الأمة فقد كلفت بأمرين:

الأول: ما كلفت به الأمم السابقة من الإيمان والطاعة.

والثاني: هو أن تقوم برسالة رسولها فتدعو إلى الخير، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتصل بذلك إلى درجة الفلاح:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

(آل عمران: ١٠٤)

ووضح القرآن الكريم ركائز هذه الخيرية وواجب هذه الأمة الذى يتمثل فى الأمرين السابقين: الإيمان والدعوة إلى الخير أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر حيث قال سبحانه:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ﴾

(آل عمران: ١١٠)

وهكذا نرى أن الله تعالى كلف هذه الأمة إلى جانب الإيمان والطاعة أن تقوم برسالة الرسل ونشر الدعوة إلى كل الأرض؛ لأن الإسلام دين عالمي لا يختص بزمان دون زمان ولا بمكان دون مكان، فدستوره السماوى ذكر للعالمين ورسوله صلوات الله وسلامه عليه رحمة للعالمين، وختم الله بالإسلام دعوات السماء وبالقرآن الكتب السابقة وبالرسول جميع الأنبياء والمرسلين.

كما وضح هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأجمله وأحسنه إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»[1].

فلما كانت الدعوة الإسلامية عامة وخالدة إلى أن يقوم الناس لرب العالمين، لزم أن تستمر رسالتها والدعوة إليها، وحتى بعد أن يلحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى فإن أمته من بعده تقوم برسالته وإن علماء هذه الأمة يتحملون ميراث النبوة «العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر»[2].

ومن هنا كانت مهمة علماء الأمة عظيمة، وكان عبء الدعوة من الأهمية بمكان بحيث وجب على العلماء أن يحرصوا عليه وأن يصونوه، فقيض الله لوحيه السماوى وللهدى النبوى رجالاً أمناء حفظوه وصانوه ودعوا الناس إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين»[3]

وبرزت منزلة علماء الأمة وأئمتها منذ العهد النبوى وعهد الصحابة والتابعين إلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وحذر النبى ﷺ من النيل من صحابته أو سبهم أو الخوض فى أعراضهم فقال صلوات الله وسلامه عليه: «لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه».[4]

وحذر الأمة عبر عصورها من تجريح رموز هذه الأمة والذين انتقل الوحى عبر صدورهم الأمينة من لدن الصحابة ومن بعدهم فقال ﷺ: الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه».[5]

وعرف سلف هذه الأمة وخلفها للعلماء قدرهم ومنزلتهم لأنهم ورثة الأنبياء، فوجب توقيرهم وإجلالهم وخدمتهم والقيام بحقهم فهم نماذج القدوة ودعاء الحق وورثة الأنبياء.

وبلغ من توقير سلف أمتنا وأحد آل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم وهو عبدالله بن عباس أن أمسك بزمام الدابة لزيد بن ثابت فلما قال له زيد بن ثابت رضى الله عنه: تنح عن هذا يا ابن عم رسول الله ﷺ وقال ابن عباس رضى الله عنهما له: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا فأخذ زيد بن ثابت يدا بن عباس

(١) صحيح البخاري.
(٢) سنن أبي داوود.
(٣) كنز العمال ٢٨٩١٨
(٤) سنن أبي داوود
(٥) مسند أحمد

وقبلها قائلاً له: وهكذا أمرنا أن نفعل بآل بيت نبينا.

وتتضح ركائز خيرية هذه الأمة فى الدعوة إلى الخير التى يقوم بها علماؤها والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتحقيق الإيمان وتحقيق الإيمان بالله.

وتكاد نرى حصر ركائز خيرية هذه الأمة فى الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مع الإيمان لأنه لا صلاح للأمة ولا توحيد لصفها ولا انتصار على عدوها فى مناخ الجهل بل فى مناخ العلم والدعوة والإصلاح، ولذلك لم يكن أولى قطرات الوحى الإلهى التى صافحت قلب رسولنا صلى الله عليه وسلم تقول له «صل» أو «صم» أو «جاهد» بل كانت:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾

(العلق: ١)

فبالعلم والدعوة لا يكون هناك مجال للجهل ولا للانحراف ولا للغلو ولا للتطرف ولا للإرهاب فكل هذه الظواهر السلبية إنما برزت فى جو الجهل وترك الدعوة والإرشاد فالإسلام دعانا أن نكون أمة واحدة:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾

(آل عمران: ١٠٣)

وحذرنا من الفرقة والتناحر والقتال: «لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»(٦) وقال: «من حمل علينا السلاح فليس منا»(٧).

وكما فضل الله بعض الرسل على بعض:

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾

(البقرة: ٢٥٣)

فضل بعض الأزمنة على بعض كما فى شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن، وفضل بعض الأمكنة على بعض كما هو الحال فى المسجد الحرام والمسجد النبوى والمسجد الأقصى، وكما فى مكة والمدينة والقدس، فإنه أيضاً كما جعل الكعبة قبلة الصلاة فى أم القرى مكة المكرمة وجعل قبلة العلم فى أرض الكنانة الأزهر الشريف الذى يمثل إرادة إلهية تهض بعد منتصف القرن الثالث الهجرى يضطلع بحماية أشرف تراث فى الوجود فعلم الأمة وبعث بعلمائه إلى كل الأرض واستقبل على أرضه طلاب العلم الذى يعيشون فى أروقته وينذرون قومهم إذا رجعوا إليهم.. وكان قدر مصر أن تضطلع إلى جانب رسالة التعليم برسالة الدفاع وحماية الأمة فهى كنانة الله فى أرضه بما وهبها من إمكانات بشرية وجغرافية وطبيعية ومعنوية فكان جندها خير أجناد أهل الأرض كما قال ﷺ: «إذا فتح الله عليكم مصر بعدى فاتخذوا فيها جنداً كثيفاً فذلك الجند خير أجناد الأرض قيل: ولم ذاك يا رسول الله؟ قال: أن فى رباط إلى يوم القيامة»(٨).

(٦) صحيح البخارى.
(٧) صحيح البخارى
(٨) كشف الخفاء ٢٣٠٩

قضايا الإرهاب بين تطرف الفكر وفكر التطرف

للأستاذ / عاطف مصطفى

الإسلام يحرم تحريماً قاطعاً كل ما يهدد أمن الإنسان أو أمن الجماعة أو أمن المجتمع، بغض النظر عن الدين والعرق واللون واللغة.
والإرهاب الذى يروع الآمنين باستخدام القوة أو التهديد للحصول على مكاسب غير مشروعة، أو لإثارة الفتن والقلاقل داخل الجماعات والمجتمعات الإنسانية، صناعة غير إسلامية.
ولهذا فالإسلام يدين ترويع الآمنين من المسلمين أو غير المسلمين على حد سواء.
ومن المعروف أن كل الندوات والمؤتمرات، وفى كل الكتابات والتحليلات العلمية أن الإرهاب لا دين له ولا وطن، ولا نستطيع أن نقول: إن هذا إرهاب بوذى أو أن هذا إرهاب مسيحى.. وكلمة إرهاب إسلامى فيها تناقض لفظى وعلى مستوى المعنى، فالإسلام دين السلام ودين الأمان ودين الرحمة، ودين المودة، ولا يسمح على الإطلاق بالقتل أو الترويع أو تهديد الأمن لأى إنسان أو جماعة دون تمييز.

كان من بين المؤتمرات التى تتناول هذا الموضوع الخطير مؤتمر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بعنوان «مؤتمر الإرهاب بين تطرف الفكر وفكر التطرف» والذى عقد مؤخراً فى رحاب هذه الجامعة العتيدة والتى يرأسها الدكتور محمد بن على العقلا، وشارك فى المؤتمر خمسة وثمانون باحثاً وباحثة، ينتمون لأكثر من خمس عشرة

دولة.. وضم أيضاً ثلاثة وثمانين ملخصاً لأبحاث تناولت محاور المؤتمر الأربعة:

■ المحور الأول: ظاهرة التطرف «الأسباب المنشئة والمغذية له».

■ المحور الثانى: منابع فكر التطرف.

■ المحور الثالث: مخاطر الإرهاب وآثاره.

■ المحور الرابع: المعالجة الفكرية لظاهرة التطرف والإرهاب.

وعلى مدى أربعة أيام نوقشت أبحاث المؤتمر بهدف أن تقدم معالجة فكرية لمشكلة الإرهاب والتطرف ونذكر بعض عناوين هذه البحوث: فمنها بحث للدكتورة آمال السيد أبويوسف بجامعة قناة السويس بعنوان: «موقف الإسلام من الإرهاب ـ دراسة فى دلالة النص القرآنى» ويشتمل على ثلاثة مباحث هى: مفهوم الإرهاب فى اللغة والاصطلاح، والدلالات اللفظية فى الآيات القرآنية التى ورد فيها ذكر كلمة «إرهاب»، والتوجيه الإسلامى فى مكافحة الإرهاب ومعالجة أسبابه.

الوسطية والبحث عن الحقيقة

ومن البحوث المقدمة فى المؤتمر أيضاً بحث بعنوان: «من الحصار إلى الحوار فى معالجة التطرف» للدكتور إدريس مقبول بجامعة المولى إسماعيل بمكناس بالمغرب.. وبحث بعنوان «دور المؤسسات التعليمية فى تحقيق الأمن الفكرى والوقاية من التطرف والإرهاب» للباحث السعودى الدكتور عبدالحفيظ بن عبدالله المالكى، وقد ناقش الباحث فى المبحث الخاص بوسطية الإسلام موقف الإسلام من الغلو والتطرف، وحكمته فى النهى عن الغلو فى الدين، حيث ذكر الباحث أن أكثر ما حدث ويحدث من أعمال العنف والإرهاب كان مدفوعاً فى الغالب بالغلو والتطرف، وأن الغلو فى التفكير يعد من أخطر مظاهر الغلو، وأن مقاومة التطرف أمر مطلوب على مستوى العالم أجمع، وأن الإسلام يرفض، بل ينهى عن الغلو والتطرف.

واستشهد الدكتور عبدالحفيظ على ذلك بأدلة متعددة من القرآن والسُنَّة، وانتهى إلى أن الوسطية فى الإسلام تهدف إلى البحث عن الحقيقة المجردة بعيداً عن الأهواء والأمزجة والآراء.

كما أبرز الباحث فى بحثه هذا أسباباً كثيرة للغلو من أهمها:

■ قلة المعرفة بالدين الصحيح والابتعاد عن رأى العلماء المتخصصين.

■ حداثة السن وقلة التجارب.

■ شيوع المنكرات والفساد والظلم فى المجتمعات.

الإرهاب جريمة العصر

كان هذا هو عنوان بحث معالى الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ وزير الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، والذى أوضح فى الفرع السادس من بحثه المتميز حكم العمليات الإرهابية منتهياً إلى أن الأعمال الإرهابية أعمال غير

مشروعة ولا ممدوحة، وليست من القربات، وإنما هى من أشنع الظلم وأبشع الجرائم وأعظم الذنوب بعد الشرك بالله.

وتحت عنوان: مواجهة الإرهاب، أوضح أن ذلك ينبغى أن يتم على ثلاثة محاور:

■ المحور الأول: ويكون بتحصين فكر الناشئة ضد الفيروسات الفكرية.

■ المحور الثانى: محور العلاج العلمى والمعرفى لمن أضلهم الفكر المنحرف ولم يحملوا السلاح، ويتم من خلال فتح قنوات الحوار معهم واحتوائهم وانتشالهم من هذه الأفكار الضالة.

■ أما المحور الثالث: محور القضاء والحكم، ويتم باتخاذ الحزم والقوة فى مواجهة كل من حمل السلاح، الحزم الأمنى والقضائى، بإيقاع الضربات الموجعة بهم، والحزم العلمى ببيان الحكم الشرعى لجرائمهم بكل وضوح.

مخاطر الإرهاب وآثاره

ونتوقف طويلاً عند هذا البحث المهم، حيث شارك فضيلة الإمام الراحل الدكتور محمد سيد طنطاوى فى آخر مؤتمر فى حياته بالمدينة المنورة، وكان بحثه المهم هذا «مخاطر الإرهاب وآثاره» من أبرز بحوث مؤتمر «الإرهاب بين تطرف الفكر وفكر التطرف»، وكعادته فى كل كتاباته وبحوثه اعتمد على آيات القرآن الكريم ومعانيه والتى تصل إلى القلب مباشرة، كما اتسم بسهولة العبارة وعمق المعنى..

يقول فضيلة الدكتور سيد طنطاوى فى مستهل بحثه: كلمة الإرهاب بصفة خاصة أصبحت من الكلمات التى تشعر بالخوف والفزع والتهديد والكتب التى بمعانى الألفاظ تؤيد ذلك.

فقد قال صاحب المفردات: الرهبة والرهب: مخافة مع تحرز واضطراب.

وجاء فى المعجم الوسيط: رهبة رهباً ورهبة ورهبا: خافه.

ويقال: استرهبه: رهبه.

وفى التنزيل العزيز:

﴿ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾

(الأعراف: ١١٦)

والإرهابيون: وصف يطلق على الذين يسلكون سُبل العنف والإرهاب لتحقيق أهدافهم السياسية.

وقد وردت كلمة الإرهاب ومشتقاتها فى مواضع متعددة من القرآن الكريم.. منها: قوله ـ تعالى ـ:

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾

(البقرة: ٤٠)

أى: اجعلوا ـ يا بنى إسرائيل ـ خوفكم من الله ـ تعالى ـ وحده وليس من أحد سواه.

ومنها قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾

(الأنفال: ٦٠)

ومنها قوله ـ تعالى ـ:

﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾

(الحشر: ١٣)

ومن هذه الآيات الكريمة نرى أن الخوف من الله ـ تعالى ـ أمر لازم لأنه سبحانه هو الخالق للإنسان، وهو رازقه، وهو وحده المحاسب له على أقواله وأفعاله، وأن التخويف لأعداء الله وأعدائنا أمر لازم أيضاً إذا ما لجوا فى طُغيانهم واعتدوا على حق من حقوقنا.

قتل الآمنين .. وإفساد الأرض

ويقول فضيلة الدكتور سيد طنطاوى: لقد أصبح من المتعارف عليه بين العقلاء أن كلمة الإرهاب تطلق على الذين يقتلون الآمنين، ويتعمدون الإفساد فى الأرض ويرتكبون كل أنواع التخريب، ويتعاونون فيما بينهم على الإثم والعدوان لا على البر والتقوى، ولا شك أن سلوكهم هذا القائم على قتل الآمنين وعلى الإنسان فى الأرض جريمة دينية؛ لأنه فعل منكر، وتشويه قبيح لأحكام شريعة الإنسان التى تعطى كل إنسان حقه وتصون حياته من أى عدوان أو إساءة إليها، وتقرر أن قتل نفس واحدة دون سبب مشروع لقتلها، كأنه قتل الناس جميعاً.

ويضيف فضيلته فى بحثه القيم: وإذا كانت شريعة الإسلام قد حذرت تحذيراً شديداً من قتل النفس إلا بالحق، وتوعدت الباغين والمعتدين بسوء المصير، فإنها فى الوقت نفسه قد نهت نهياً قاطعاً عن التخريب للمساكن وللمنشآت العامة والخاصة، وعن تدمير المنشآت الصناعية والاقتصادية، التى هى مصدر خير للأمة، وعن الإفساد فى الأرض بأى لون من ألوانه التى فيها ما فيها من الظلم والبغى واغتصاب أموال الناس بالباطل، وانتهاك أمنهم وكرامتهم.

وقد حكم الله ـ تعالى ـ فى كتابه الكريم على من يفعل ذلك بحكمه العادل فقال:

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٣٣ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

(المائدة: ٣٣ - ٣٤)

وبعد أن بين فضيلته ذلك العقاب الذى لا هوادة فيه، عقاب هؤلاء المفسدين أشار إلى أنه من هذه النصوص المتعددة من القرآن الكريم، ومن السُّنَّة النبوية المطهرة، يتبين لنا بوضوح أن الإرهاب جريمة دينية؛ لأنه مخالفة صريحة لأحكام شريعة الإسلام التى تنهى نهياً قاطعاً عن قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق، وعن الإفساد فى الأرض بأى لون من ألوان الإفساد.

وهذه المخالفة الصريحة أدت إلى اللعن والطرد من رحمة الله ـ تعالى ـ وإلى الخلود فى جهنم مدة لا يعلم مقدارها إلا الله ـ تعالى ـ وإلى غضب الله ـ عز وجل ـ ومقته.

كما أنها أدت إلى تقتيل هؤلاء المفسدين فى الأرض وإلى تصليبهم، وإلى تقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وإلى نفيهم من الأرض التى يعيشون فيها، إلى مكان آخر من سجن أو غيره، حتى يتقى الناس شرورهم، وهذا حكم ربك، ولا يظلم ربك أحداً.

هدم لمقومات الأمة

ويشير فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى فى بحثه إلى أن الإرهاب يُعد أيضاً جريمة اقتصادية؛ لأنه هدم لمقومات الأمة فى ركن من أركان حياتها المادية، وإهدار لما تملكه من أموال عن طريق العدوان عليها بالتخريب والتدمير، والذى يقرأ القرآن الكريم بتفكر وتدبّر، يراه فى كثير من آياته يأمر بحفظ الأموال وتنميتها واستخدامها فيما يعود بالخير على الجميع.

جريمة خلقية

كما يبين أن الإرهاب جريمة خلقية؛ لأنه يتنافى مع مكارم الأخلاق ومع محاسن الصفات، ومع السلوك القويم.

فقد بيّن لنا رسول الله ﷺ أن الإنسان الذى لا يرحم الناس لا يرحمه الله.

وشريعة الإسلام قد أمرت أتباعها بالتراحم وجعلته من علامات الإيمان الكامل، ففى الحديث الشريف قال ﷺ: «لن تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أدلكم على ما تحابوا عليه؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: أفشوا السلام بينكم تحابوا، والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تراحموا، قالوا يا رسول الله: كلنا رحيم. قال: إنه ليس برحمة أحدكم، ولكن رحمة العامة، رحمة العامة».(1)

هذا جانب من حديث شريعة الإسلام عن الرحمة والتراحم، فهل هؤلاء الإرهابيون انتفعوا بشىء من هذا الهدى الإسلامى الحكيم؟!

ويبين فضيلته مساوئ هذه الفئة الضالة بقوله: إن ما نشاهده من أفعالهم أنهم لم ينتفعوا بشىء من هذا الهدى الحكيم، وإنما قست قلوبهم، وتبلدت مشاعرهم، وفقدوا العواطف الشريفة، فقتلوا الغنى والفقير، والصغير والكبير والقريب والبعيد والأرملة واليتيم، ولم يكتفوا بذلك، بل عاثوا فى الأرض فساداً، ولم يتركوا مكاناً يستطيعون تخريبه إلا خربوه، حتى لو كان هذا المكان مصدر رزق لعائل أو يتيم، أو محتاج، فحق

(1) المستدرك على الصحيحين للحاكم.

عليهم قوله ﷺ: «إن أبعد الناس من الله ـ تعالى ـ القلب القاسي».[٢]

ويضيف فضيلة الإمام: الإرهاب كذلك مصيبة اجتماعية؛ لأنه تمزيق للجماعة وتقطيع للعلاقات الإنسانية التي أمر الله أن توصل، وإحياء للعداوات والعصبيات والعنصريات التي ما فشت في أمة من الأمم إلا وأصابها الضعف والخسران.

إن الإرهابيين الذين يعتدون على نفوس الناس وعلى أموالهم وعلى أعراضهم يرتكبون أقبح الجرائم وأفحشها.

لأن هذا العدوان يترتب عليه فقدان الأسرة لمن يعولها ويقوم برعايتها ويسعى لتحقيق مطالبها، ويترتب عليه افتقاد الأم لأولادها الذين وهبت حياتها لراحتهم ولسعادتهم، ويترتب عليه هلاك الأب الذي ترك من خلفه ذرية ضعافاً هي أحوج ما تكون إليه.

ويترتب على هذا القتل والإفساد في الأرض، فراق دائم بين زوجين أقاما حياتهما على المودة والرحمة، وعلى أن كليهما ستر للآخر كما قال ـ تعالى ـ:

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾

(البقرة: ١٨٧)

أهمية الأمن والأمان

وقد استعرض فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوي في بحثه القيّم أهمية الأمن والأمان بعد أن استعرض خطر الإرهاب والذي تعاني منه دول إسلامية كثيرة من بينها أفغانستان وباكستان والعراق وفلسطين والصومال والسودان وما خلّفه هذا الإرهاب من نكسة على شعوب تلك البلاد، فضلاً عن أنه يفتّ في عضد الأمة الإسلامية وتقدمها وازدهارها، بل إن آثاره شديدة ومؤلمة لكل مسلم غيور على دينه الإسلامي.

يقول فضيلة الإمام: ويكفي نعمة الأمان والسلام شرفاً أن جعلهما الله ـ تعالى ـ صفة من صفات بيته الحرام فقال:

﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾

(آل عمران: ٩٧)

ويكفي الذين آمنوا إيماناً صادقاً أن تكون نعمة الأمن والاطمئنان هدية لهم من خالقهم ـ عز وجل ـ فقد قال ـ سبحانه ـ:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾

(الأنعام: ٨٢)

وهكذا نرى أن القرآن الكريم قد بين في كثير من آياته أهمية الأمن للإنسان وكشف عن الأثر العميق الذي يحدثه الخوف في نفسه، لأن الإنسان إذا كان قلقاً خائفاً لم يستطع أن يثمر أو يعمر أو يقاوم، أو يؤدي وظيفته على أكمل وجه.

(٢) سنن الترمذي.

أما إذا كان في حياته آمناً مطمئناً استطاع أن ينفع وينتفع، وأن يعطي ويأخذ وأن يتحرك ذات اليمين وذات الشمال بكل حرية ونشاط.

وفي هذا إيحاء بأن على كل أمة أن يعمل جميع أفرادها وجماعاتها بكل طاقتهم وقدراتهم على نشر الأمان والاطمئنان لهم، ولكل فرد من أبناء أمتهم.

نكبة دينية ودنيوية

ولا يمكننا أبداً أن نستعرض هذا البحث القيّم لشيخنا الجليل العالم فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوي بعنوان «مخاطر الإرهاب وآثاره» في هذه الصفحات القليلة، ولكننا أردنا فقط أن نلقي الضوء على ملامح مما ضمنه في هذا البحث.

ونختتم بما قاله فضيلته رحمه الله: إن الإرهاب بمعنى إرهاب الناس وقتلهم وتخريب ديارهم وممتلكاتهم.. الإرهاب بهذا المعنى نكبة دينية ونكبة دنيوية.

ويقول فضيلته: هو نكبة دينية لأنه مخالفة صريحة عن تعمد وإصرار لأحكام شريعة الإسلام التي صانت حياة الإنسان، وصانت أمواله، وصانت كرامته، وصانت عرضه، واعتبرت قتل إنسان واحد ظلماً وعدواناً كأنه قتل الناس جميعاً.

وهؤلاء الإرهابيون قد استباحوا لأنفسهم قتل الآمنين من الرجال والنساء والولدان الذين:

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾

(النساء: ٩٨)

كما استباحوا لأنفسهم السلب للأموال، والإفساد في الأرض بكل صور الفساد والإفساد.

ولا شك أن من يفعل ذلك يكون مخالفاً لأحكام شريعة الإسلام وبعيداً عن آدابها وعن أوامرها ونواهيها.



د. محمد سيد طنطاوي

والإرهاب نكبة لأن جنده يقطعون ما أمر الله به أن يوصل، ويفسدون في الأرض بغير الحق، عن طريق تمزيق وحدة الأمة، وتفريق جمعها، وإشاعة النزاع والبغضاء فيها، وإهدار لأموالها ولمقومات حياتها، وإصرار متعمد على إضعافها أمام أعدائها، وفتح لباب استيلاء هؤلاء الأعداء عليها، وإشعال نار الفتنة والصراعات الطائفية والعنصرية فيها.

ولا شك أن من يفعل ذلك يكون فعله هذا جريمة في حق أمته يستحق عليها أشد العقوبات.

كانت آخر نصيحة قالها شيخنا العالم الجليل: واجبنا جميعاً أن نواصل تقديم النصائح لهم بأسلوب منطقي حكيم، وأن نحذر الجميع من فكرهم الفاسد عن طريق وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة، وأن نقف جميعاً في وجوههم إذا ما استمروا في طغيانهم حماية لديننا ودنيانا من بغيهم:

﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾

(الحج: ٤٠)

وهو سبحانه حسبنا ونعم الوكيل.

بين الصحف والمجلات

إعداد

أ/ محمد جمعة

أ/ علاء عبدالرحمن

الدكتور عبدالصبور شاهين فى ذمة الله

تحت عنوان «ورحل أبو حنيفة عصره.. د. عبدالصبور شاهين» كتب الدكتور/ محمد داود مقاله المنشور بجريدة اللواء الإسلامى الصادرة بتاريخ: ٢٠١٠/٩/٣٠م يقول فيه:

أهل العلم هم ميزان العقول فى الأرض، وعماد الحضارة للأمم، وسبيل رفعة الإنسان، قال تعالى:

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾

(المجادلة: ١١)

ولما أراد الله أن يرفع الإنسان منزلة كريمة فى بدء الخلق، لم يكن ذلك بمال أو بجاه، وإنما كان ذلك بالعلم، فعلم آدم الأسماء، ثم أمره أن يعلم الملائكة هذه الأسماء كى يعترفوا بمنزلته، ويظهر ذلك من قوله تعالى:

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

(البقرة: ٣١ - ٣٢)

وما أمر الله رسوله النبى الكريم (ﷺ) بسؤال الزيادة من شىء من دنيا الناس إلا العلم، قال تعالى:

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

(طه: ١١٤)

إن بناء العقول وهدايتها رسالة الأنبياء، لذلك استحق العلماء العاملون الصادقون أن يكونوا ورثة الأنبياء.. وهذه الخواطر غلبت مشاعرى، لما وصل إلىّ نبأ وفاة عالم كريم ومفكر فذ وإنسان عظيم، أستاذنا الدكتور عبدالصبور شاهين رحل فى صمت كما كان يعمل فى صمت، وكفاه حفاوة الملأ الأعلى بعد أن همش مجتمعنا المعاصر - الذى غرق فى ماديته إلى أذنيه - العلماء، لكن ذكرهم مرفوع عند رب العالمين، وقيمتهم عند الله غالية، وقدرهم عند الله عظيم، بما أسدوا إلى الحياة من قيم عظيمة وعلم نافع وتهذيب للنفوس.

والدكتور عبدالصبور شاهين شخصية فذة ومفكر من الطراز الفريد، أثرى الحياة العلمية بالإشراف على أكثر من ٤٠٠ رسالة ماجستير ودكتوراه، وتفاعل مع الواقع فاختير عضوا بمجلس الشورى، وظل خطيبا بسنوات عديدة بمسجد عمرو بن العاص وكانت خطبه تأخذ منهجا فريدا فى تفسير القرآن الكريم فوق المنبر، وتفاعل مع قضايا الأمة وكان مهموما بها، فعن القضية الفلسطينية كان كتابه الذى يمثل عنوانه صرخة مدوية للأمة تحت عنوان «علموا أولادكم القضية» - يقصد القضية الفلسطينية - حتى لا تنسى بمرور الزمن وتوالى الأجيال، وكان حائط صد وفارسا لا يشق له غبار فى الدفاع عن الإسلام فى وجه العلمانية، وخاض فى سبيل ذلك معارك فكرية ساخنة. والدكتور عبدالصبور شاهين كان يميل إلى مدرسة الرأى والفكر، فهو أبو حنيفة عصره؛ وقد أثرى الحياة الفكرية بكثير من الآراء التى اشتجر حولها الخلاف أحيانا، وكان مهموما بالأمة، وما عليه حالها من اختلافات، فكان يدعو إلى أمة موحدة الصف، مرجعيتها القرآن الكريم والثابت الصحيح من السنة المطهرة.. أما عن مصر العامرة، فقد خصها من علمه بعمل عنوانه «مصر فى الإسلام» بالاشتراك مع زوجته الأستاذة إصلاح الرفاعى. وكان متعاطفا فى موقفه مع المرأة فاشترك مع زوجته فى جملة من الإنتاج الفكرى، منها: «موسوعات أمهات المؤمنين» و«الصحابيات حول النبى» و«أميرة الجامعة فاطمة بنت إسماعيل» وغيرها من المؤلفات. وقد زادت مؤلفاته عن ستين مؤلفا.



د. عبدالصبور شاهين

وكان أستاذنا عبدالصبور شاهين - رحمه الله - من سدنة العربية بحق، فكم تصدى لافتراءات المستشرقين والمتطاولين على العربية، وكم قدم للمجتمع من باحثين مخلصين، وفوق ذلك كان يفتح بيته وقلبه لمحبى العربية وبحوثها، وكانت سعادته بالإنفاق على الباحثين تفوق سعادة تحصيل المال عند من يسعون لجمعه.. ومن بين كلماته ومواقفه أنى سألته يوما: هل تحس بشىء من العتب نحو تلاميذك الذين لم تجد منهم وفاء فى زمن قل فيه الوفاء، فقال رحمه الله: لا، فقلت له: لماذا؟ - فقال رحمه الله: لكى يكون جهدى معهم خالصا لوجه الله تعالى.. ثم أردف قائلا: وأنا أعذرهم فظروف حياتنا صعبة.

وقد أسس مدرسة علمية رائدة من أنبغ أعلامها: الراحلة بنت الشاطئ د. عائشة عبدالرحمن.. كما أن صاحب هذه الكلمات يعتز بأنه واحد من تلاميذ مدرسته الأوفياء..

رحم الله عالمنا الذى كان يعمل لما صار إليه الآن، و«الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد

الموت، كما أخبر سيدنا النبى «ﷺ»... ولعل فى رحيله فى صمت ما يلفت انتباهنا إلى أن نولى علماءنا حقهم من التقدير والإجلال، فهم الأسوة وهم القدوة وهم عماد الحضارة للأمة، وميزان العقول فى الأرض. تغمد الله فقيدنا الجليل بالرحمة، وأدخله فسيح جناته، وأبقى ذكره عطرا فى العالمين، ونفعنا بعلمه إن شاء الله تعالى.

سياسة الاستيطان..

حجر عثرة فى طريق السلام

وكتب الأستاذ/ سمير رجب فى عموده «خطوط فاصلة» بجريدة الجمهورية الصادرة فى ٢٠/٩/٢٠١٠م يقول:

اتشاح إسرائيل باللون الأسود بشوارعها، ومبانيها، ودور الحكومة بها، ومدارسها، وجامعاتها تعبيراً عن الحزن والأسى لهزيمة جيش دفاعهم الذى تصوروا يوماً أنه لا يقهر على أيدى المصريين الشجعان فى يوم «كيبور» أو يوم الغفران منذ «٣٧ عاماً»... ألا يعد أبلغ دافع لنتنياهو ورفاقه للمضى قدماً على طريق السلام دون خوف أو وجل.. وبعد أن يلقوا جانباً سياسة اللف والدوران والطمع والجشع التى تعودوا عليها منذ قديم الزمان!

يكفيهم الإعلان من جديد عن ضباطهم وجنودهم الذين سقطوا فى هذه الحرب والذين ما إن يذكر رقم «٢٧٥١» حتى تجدهم يخرون ساجدين وقد ذرفوا الدموع، ولطموا الخدود! ويكفيهم إيمانهم البات والقاطع بأن أى حرب لم تعد تجدى نفعاً سواء بالنسبة لهم أو لغيرهم..!

من هنا.. لعلها فرصة جديدة لكى يستمع نيتنياهو لآخر النصائح التى قدمها له ولقومه الرئيس مبارك عبر شاشات تليفزيونهم مطالباً إياهم بعدم تعقيد الأمور ومحذراً من «التردد» فى اتخاذ القرارات الصعبة والشجاعة فى آن واحد!

الرئيس مبارك يرى - ومعه العالم كله وأولهم أمريكا - أن سياسة الاستيطان التى يصرون عليها ستظل حجر عثرة فى طريق السلام؛ إذ ليس مستساغاً أبداً أن تجرى مفاوضات حول «استرداد الأرض» فى نفس الوقت الذى يستقطعون من نفس هذه الأرض مساحات شاسعة!

بكل المقاييس لا منطق يقر بذلك ولا أى تفكير سليم يرضى بهذا التناقض وإلا سوف يظل الجميع يدورون فى نفس الحلقة المفرغة وتلك قمة الخطر!

ولقد أشار الرئيس من بين ما أشار فى حديثه إلى أنه طلب من نتنياهو عدم السير خلف المتشككين الذين لا يريدون أبداً أن تخفق أعلام السلام.

كما أن التساؤل الذى طرحه الرئيس والذى لقى ترحيباً شعبياً بين الإسرائيليين أنفسهم يجب أن يضعه نتنياهو نصب عينيه دائما:

أيهما أهم: الحياة المستقرة وأمن المواطن أم استئناف البناء؟!

والآن ليس أمام الإسرائيليين سوى أن يفكروا بعقلانية وأن يبتعدوا عن السلوكيات الهرجائية التى طالما تسببت فى إطفاء الأنوار كلما أخذ بصيص منها يبدو فى الأفق!

حتى الآن ها هم الفلسطينيون حريصون على إثبات حسن نواياهم، ويتمنون ألا تلقى عليهم فيما بعد مسئولية تعطيل المفاوضات، لكنهم - على الجانب المقابل - ليسوا مطالبين بتقديم المزيد من التنازلات، فقد كفاهم عذاب سبعين عاماً من الزمان بما حملته من تقتيل وتشريد وهدم وتجريف أراض.. و.. و...!!

فى النهاية تبقى كلمة:

مشكلة الإسرائيليين أنهم يريدون كل شىء «مجاناً» أى بلا مقابل! يتوسعون فى احتلال الأرض ثم يجىء من يقول لهم شكراً..! يقتنصون ثروات وممتلكات لآخرين ثم يزعمون أنهم أكثر قدرة على استثمارها وتحقيق أعلى عائد منها!

لكنهم نسوا ويتناسون أن الدنيا لم تعد نفس الدنيا..!!

الأمم المتحدة

وتجريم الإساءة إلى الأديان

تحت هذا العنوان كتب/ عبدالعزيز بن عثمان التويجرى المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) فى جريدة الحياة الصادرة بتاريخ ٢٨/٩/٢٠١٠م يقول:

كانت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) قد دعت الأمم المتحدة إلى إصدار قانون دولى يجرم الإساءة إلى الأديان فى أى شكل من الأشكال، وتحت أى ظرف من الظروف. وقد جاء فى البيان الذى وزعته: «إن دعوة كنيسة دوف وورلد أوتريش سنتر فى ولاية فلوريدا الأمريكية، لإحراق نسخ من القرآن الكريم فى ذكرى هجمات ١١ أيلول (سبتمبر) التى أدانها الكثير، هذه الدعوة حافز جديد يدعو إلى اتخاذ إجراءات عملية لتجريم كل عمل يسىء إلى الأديان والمقدسات الدينية».

لقد اتضح لكل منصف فى العالم، أن تكرار الهجوم على الإسلام ومقدساته، دليل على غياب الروادع القانونية الدولية والمحلية التى تمنع أصحاب الدعاوى العنصرية والمواقف العدائية، من القيام بهذه الأعمال المنافية لكل خلق حميد والناهضة لكل مبدأ إنسانى قويم، ومن أقوى الروادع القانونية، صدور قرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة، بتجريم ازدراء الأديان والإساءة إلى الكتب المقدسة لدى الملايين من المؤمنين فى العالم، لما فيه من ترويج للكراهية والحقد، وتأجيج للعدوان والنزاعات والأزمات التى تهدد الأمن والسلم الدوليين.. يبتنى عليه إصدار قوانين محلية فى دول العالم بتجريم ازدراء الأديان والإساءة إلى الكتب المقدسة لدى الشعوب.

ويمكن البناء فى هذا التحرك الذى لابد من أن تأتى مبادرته من العالم الإسلامى، على القرار الذى أصدره مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة فى جنيف، يوم ٢٧ آذار (مارس) ٢٠٠٨، تحت رقم ٧ / ١٩، فى شأن «مناهضة تشويه صورة الأديان». وهو القرار الذى لم يأخذ حظه من الذيوع والانتشار.

لقد أعرب هذا القرار في فقراته الـ ١٦، عن «عميق قلق مجلس حقوق الإنسان إزاء محاولات ربط الإسلام بالإرهاب وانتهاكات حقوق الإنسان، وشدد على أن المعادلة بين أي دين من الأديان وبين الإرهاب، ينبغي أن تقابل بالرفض وأن تكافح من الجميع وعلى المستويات كافة».

وأعاد القرار التشديد على «أن التعليق العام الصادر عن لجنة القضاء على التمييز العنصري، الذي جاء فيه أن حظر جميع الأفكار القائمة على أساس التفوق العنصري أو الكراهية العنصرية، يتماشى مع حرية الرأي والتعبير، وهو حظر ينطبق بالمثل على مسألة التحريض على الكراهية الدينية، ويعرب عن استيائه من استخدام وسائل الإعلام المطبوعة والسمعية - البصرية والإلكترونية، بما فيها الإنترنت، وأي وسيلة أخرى، للتحريض على أعمال العنف وكره الأجانب، ولاسيما ما يخص الآثار الخطيرة المترتبة على كره الإسلام بالنسبة إلى التمتع بجميع الحقوق.

وفي نهاية المقال يقول الكاتب:

إن مسئولية العالم الإسلامي على تحريك الأسرة الدولية في اتجاه إضفاء طابع القانون الدولي على قرار مجلس حقوق الإنسان، بحيث يتم صدور قرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة في هذا الشأن، مسئولية حان الوقت للوفاء بها. فمطلوب بإلحاح من العالم الإسلامي أن يتحرك، وعلى جميع الصعد الدولية، لتمهيد السبل أمام مشروع قرار يعرض على الجمعية العمومية للأمم المتحدة، لتجريم الإساءة إلى الأديان كافة، وليس إلى الإسلام فحسب، إنقاذاً لهذا العالم من صراعات دينية، الإنسانية اليوم وغداً في غنى عنها. وهذه هي رسالة الإسلام. قال تعالى:

﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾

(الأنعام: ١٠٨)

احتفالات تركيا بمرور ١٤ قرناً على نزول القرآن الكريم

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ حسن علام بمجلة آخر ساعة الصادرة في ٢٠١٠/٩/١٥م يقول:

بحضور رئيس الوزراء رجب طيب أردوغان احتفت تركيا (لأول مرة في تاريخها) بذكرى مرور ١٤٠٠ عام على نزول القرآن الكريم في ليلة القدر، وشهد هذا الاحتفال الكبير مائة شخصية تمثل أكثر من أربعين دولة إسلامية من مختلف العالم تلبية لدعوة مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باسطنبول التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي..

وعلى مدى ثلاثة أيام متتالية بحثوا أفضل السبل لخدمة كتاب الله الكريم، واتخذوا التوصيات اللازمة لإحياء هذه الذكرى الخالدة.

ومن أهم العروض والمناقشات والتوصيات التي تمت بين المشاركين في الجلسات قبل الليلة الأخيرة للاحتفال الكبير الذي حضره رئيس وزراء تركيا رجب طيب أردوغان.:

* إقامة سلسلة من الندوات والحلقات الدراسية وغيرها من الاجتماعات العلمية في العالم الإسلامي وخارجه على هذه المناسبة المقدسة، وخصوصاً في العواصم الأوروبية والولايات المتحدة وروسيا، وتقام بالتعاون مع المؤسسات الإعلامية ومحطات التلفزة، وبالتعاون أيضاً مع الجامعات «أقسام العلوم الدينية والآداب والتاريخ وأقسام الدراسات الإسلامية والأديان المقارنة والدراسات الشرق أوسطية والآسيوية والإفريقية».

* فيما يتعلق بترتيل وتجويد القرآن الكريم، فقد نظم العديد من الدورات في الدول الأعضاء، ولكن يمكن تعزيزها بمحاضرات خاصة حول عام الاحتفال بمرور ١٤٠٠ عام على نزول الوحي.

* إقامة المسابقات المحلية والدولية بما يتلاءم مع الحدث وأهميته، والاهتمام بتنظيم بعثات من الحفاظ والقراء وتنقلهم بين مختلف المدن داخل العالم الإسلامي.

* إعداد مؤتمرات بغرض تقييم ترجمات القرآن الكريم.

* إقامة المسابقات وتقرير جوائز في مجال موضوع الاحتفال وتصحيح المعرفة والفهم للمبادئ والمفاهيم القرآنية وتعزيز الحوار بين أصحاب الديانات السماوية.

* تنمية المهارات في مجال الفنون التي تطورت من خلال استنساخ المصاحف مثل (الخط المذهب والتذهيب والتجليد وتنفيذ الآيات على مختلف المواد)، والفعاليات الأخرى التي من شأنها خدمة معاني القرآن الكريم.



أردوغان

ويمكن اختيار موضوعات محددة في هذا المجال حول صلاحية المفاهيم والقيم في القرآن الكريم كالتسامح، وحقوق الإنسان، والعلم والتعلم، وأهمية القرآن الكريم كمصدر لحل المشاكل المعاصرة، وكذلك مناقشة سوء فهم وتأويل معاني القرآن العظيم.

وقد استبشر المشاركون في هذا المؤتمر الدولي لتدشين برنامج الاحتفال بمرور أربعة عشر قرناً على نزول القرآن الكريم بالأمل، فمن المنتظر أن يسهم عام القرآن الكريم ١٤٠٠ في إنعاش الحياة الدينية والروحية، وكذلك الارتقاء بالتعليم العام، وتعزيز التكافل الاجتماعي، وتشجيع التعاون بين الشعوب في الدول الإسلامية، بالإضافة إلى تطوير الحوار العقائدي والثقافي..

وقد عبر المشاركون في هذا المؤتمر عن ترحيبهم وشكرهم لمصر لموافقتها على طبع أقدم وأهم المصاحف الموجودة في العالم: مصحف سيدنا عثمان الموجود بالمشهد الحسيني بالقاهرة، وهي طبعة طبق الأصل للمصحف التاريخي مصحوبة بدراسة علمية أنجزت باستخدام تقنيات الطباعة الحديثة، ولكن تتناسب مع نفس لون المداد المكتوب به من حوالي ١٤ قرناً.

القس الأمريكي.. ليس وحده!!

تحت هذا العنوان وردت افتتاحية الأهرام العربي الصادرة في ١٨/٩/٢٠١٠م جاء فيها:

القس الأمريكي تيري جونز الذي أعلن عن حرق نسخ من القرآن الكريم في إحدى الكنائس الصغيرة بالولايات المتحدة الأمريكية ليس الوحيد الذي يريد الاعتداء على الإسلام والمسلمين في أعز مقدساتهم.

ورغم رفض غالبية قادة دول العالم في أمريكا وأوروبا وآسيا فإن الرسالة وصلت إلى الرأي العام العالمي لتؤكد أن جورج بوش، الرئيس الأمريكي اليميني السابق، لا يزال يحكم عقلية الغرب، هذا الغرب إلى تقدم في كل شيء إلا الخيال الإنساني، ولا يزال يحكم بعقلية البابا أوربان، الذي كان أول من أطلق شرارة الحروب الصليبية على الشرق.

ورغم الهزيمة لهذه الحملات على مدى قرون، فإنهم يواصلون الطريق الكارثي معتقدين أنهم يحبون الإله، وهم في الحقيقة يعتدون على روح الاختلاف الطبيعية بين البشر، ولو أنهم قرءوا التاريخ كما يجب لعرفوا أنهم يأخذون البشرية إلى مرحلة الكهوف الحجرية.

لقد صدعوا رءوسنا بحقوق الإنسان، وحرية الاعتقاد والتعبير، وظهر أن حقوق الإنسان هذه هي حقوق الاعتداء على الآخر كما يبدو في خطاباتهم الإعلامية الجاهلة.

إطلاق القس عملية حرق نسخ من القرآن ليست مبادرة فردية، بل هي اعتقاد راسخ في أذهان الغرب، ومع الأسف فإن هذا الاعتقاد لا يعني أنهم يبحثون عن الكمال، وتطهير البشرية من لعنة رفض أفكارهم، بل هي عملية مافياوية من أجل نهب الاقتصاد العالمي والسيطرة المتوحشة على مقدرات الشعوب.

الآن هم غزاة في العراق وأفغانستان وفلسطين، ويجهزون الجيوش لتكرار الغزو في أماكن أخرى، ولعل القس الأمريكي جونز مجرد إشارة لحملة قد تبدأ الآن على الشرق، وإلا ما معنى أن يقول الرأي العام الأمريكي: إن المسلمين إرهابيون؟ وكيف يصبح مليار ونصف المليار إرهابيين؟ وبالتالي وضعهم في أقفاص جوانتانامو!

علينا أن ننتبه إلى أن اللعبة أخطر من قس وأعظم من إدانة أمريكية وغربية خوفا على الجنود في المنطقة العربية وأفغانستان.

التهديدات الأمريكية للسودان مرة أخرى

تحت هذا العنوان كتب عربي أصيل بجريدة المساء الصادرة في ٢٢/٩/٢٠١٠م يقول:

مضت الولايات المتحدة إلى حدود لا يمكن قبولها في التعامل مع السودان، وفي كل يوم تخرج علينا بمثال أو بأمثلة صارخة على ذلك.. فهي تلتزم الصمت تماماً على انتهاكات الحركة الشعبية لاستحقاقات اتفاق «نيفاشا» رغم أنه اتفاق يحفل بالظلم والجور، فرضته الولايات المتحدة نفسها على حكومة الخرطوم عام ٢٠٠٥ وضمنته بنوداً عديدة تجعله في حقيقة الأمر تمهيداً أو أساساً لتقسيم السودان، وبدلا من ذلك فإنها لا تتوقف عن توجيه التهديدات السافرة والمهينة إلى

حكومة الخرطوم الملتزمة ببنود الاتفاق.

وكانت أحدث التهديدات ما ورد على لسان مسئول أمريكي من أن الولايات المتحدة سوف تعتبر الحكومة السودانية مسئولة عن أي أعمال عنف تندلع في الجنوب بعد «استقلاله عن الشمال».. وهذا التهديد يتناسى ان الجنوب سوف تمزقه الحروب والمعارك بعد الانفصال، وأن المقدمات لذلك تحدث حاليا بالفعل في شكل معارك قتل فيها الألوف.. لكن السبب هنا لن يكون حكومة السودان بل الحركة الشعبية نفسها المكروهة بين الغالبية العظمى من القبائل والعرقيات في الجنوب بسبب عنصريتها التي تحابي عرقية الدنكا التي ينتمي إليها قادة الحركة على حساب العرقيات الأخرى.. بل إن هذه الصراعات الدامية حدثت وسوف تحدث داخل الأجنحة المختلفة من عرقية الدنكا نفسها.

يهودية الدولة والاستيطان.. إشكاليات كبرى

● **تحت هذا العنوان كتب الأستاذ عبدالحميد شريف بجريدة أخبار اليوم الصادر في ٢٥/٩/٢٠١٠م يقول:**

طلع بنيامين نتنياهو الزعيم الليكودي اليميني المتطرف على العالم بالدعوة إلى ضرورة أن يعترف العرب جميعا بأن إسرائيل دولة يهودية صرفة.. ولعل القطب الإسرائيلي يدرك جيدا أن هذا الذي يضعه على مائدة المفاوضات إنما هو عقبة كأداء تعوق مسيرة هذا التفاوض المباشر الذي بدأ بعد جهود كبيرة بذلها حكماء المنطقة والعالم وفي مقدمتهم الرئيس حسني مبارك، فقد أكد أن الاستيطان ويهودية الدولة من غير المنطق التمسك بهما ذلك أن استمرار بناء الوحدات الاستيطانية يهدد المفاوضات بالتوقف كذلك فإن الإصرار على وضع صفة اليهودية ملازمة لدولة إسرائيل يجعل منهامعقلا من معاقل العنصرية الصريحة التي تعود إلى العصور السحيقة.

إنها تعود إذن بادعاء المتطرفين من بني إسرائيل وفي مقدمتهم ليبرمان وحوارييه من أحزاب أقصى اليمين لتعيد زمنا غابرا تجاوزته الإنسانية في الولايات المتحدة وفي جنوب أفريقيا في القرن الماضي حين وضعت البشرية عن كاهلها هذا الثقل البغيض والعار الذي كان يجلل ناصيتها، فإلى أي عنصرية يدعون اذن بعد أن دخل بنو الإنسان إلى عالم يدعو فيه الحكماء والعقلاء إلى التعايش السلمي ونبذ الحرب والعنف. ألا يعلم الداعون إلى العزلة والعنصرية الفردية أن هذا يضر بهم ويجعلهم محط الكراهية والتربص؟! كذلك الاستيطان أو البناء على أرض الغير هو أمر نصت على تحريمه شرائع اليهودية والمسيحية والإسلام وحرمته التشريعات الوضعية التي أقرتها الأمم المتحدة في مجلس الأمن والجمعية العامة.

فلماذا الإصرار على مخالفة الشرائع العامة والخاصة وعلى أي شيء يتم التفاوض إذا كان البناء لا ينقطع على أرض تحكمها قرارات مجلس الأمن وهو الملاذ الذي تلجأ

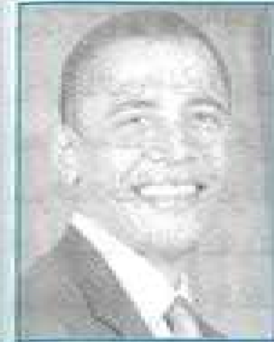
إليه الشعوب لنيل حقوقها، ذلك أن العدل قيمة عليا أنزلتها شرائع السماء ولا مفر أمام الناس من تأييد الحق والعدل وسوف يترتب على مبدأ يهودية الدولة أن يكون باقي السكان في درجة مغايرة للدرجة اليهودية وهو ما يحقق أعلى مراحل الفرز العنصري «الأبرتايد»، ولعل في مقولة موسى بن ميمون أعظم اللاهوتيين اليهود التقليديين ما يدحض هذا الاتجاه حين قال في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي: «إن الأمور المتعلقة بالمسيحية والإسلام إنما تمهد الطريق لتهيئة العالم لعبادة الله وليكون الناس جميعاً عباد الله».

رسائل شعبية!

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ مسعود الحناوي بجريدة الأهرام الصادرة في ٢٠١٠/٩/٢٢م يقول:

أعجبتني الحملة الشعبية التي قام بها الفلسطينيون وتمكنوا خلالها من جمع توقيع أكثر من ٨٥٠ ألف فلسطيني على رسالة بعثوا بها للرئيس الأمريكي باراك أوباما طالبوه فيها بإنهاء الاحتلال وتحقيق العدالة ونصرة الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره واستقلاله.

الفلسطينيون استخدموا كل الوسائل الإعلامية والإلكترونية من مدونات وشبكات اجتماعية وإعلانات إذاعية وتليفزيونية وصحفية للوصول إلى أكبر عدد من الفلسطينيين في الداخل والخارج وتمكنوا بالفعل من تجاوز عدد غير مسبوق من التوقيعات زاد على ١٠٪ من الشعب الفلسطيني في الوطن والشتات!



أوباما

ولذلك لم يكن غريباً أن يرد الرئيس الأمريكي بنفسه رسمياً على هذه الرسالة بخطاب خطي سلمته القنصلية الأمريكية إلى الدكتور صبري صيدم منسق الحملة وعضو المجلس الثوري لحركة فتح.

صحيح أن الرئيس أوباما لم يأت بجديد في خطابه، وكرر موقف بلاده بالالتزام بحل الدولتين وتحقيق مستقبل أفضل للشعب الفلسطيني.. والتزامه الشخصي بتحقيق الأمن والرخاء في المنطقة، ومساعدة السلطة الوطنية وبناء المؤسسات تحقيقاً لتطلعات الشعب الفلسطيني ولكن الصحيح أيضا أن رسالة الفلسطينيين كانت قوية ومؤثرة.. وأن رد أوباما جاء مباشراً وسريعاً.. وأن كلامه كان صريحاً وواضحاً وآمنا.

ولا شك أننا في حاجة ملحة إلى مثل هذه التحركات الشعبية والرسائل الجماعية لتوصيلها إلى قادة الدول الديمقراطية في أوروبا وأمريكا.. خاصة بالنسبة للجاليات العربية التي تعيش في دول المهجر ولها أصوات انتخابية.. ومواقع مؤثرة في مجتمعاتها وتعلم جيداً تأثير مثل هذه الأعمال على صناع القرار في تلك البلدان.

ونحن لا ننتظر استجابة فورية لمثل هذه التحركات، ولا نتوقع تغيراً سريعاً في استراتيجيات وسياسات تلك الدول.. ولكنها على الأقل تحقق قدراً مهماً من التراكمات، وربما تنجح على المدى البعيد ـ أو تساعد ـ في الوصول إلى الهدف؛ لأنهم يحترمون تحركات الشعوب والدليل رد أوباما السريع على التحركات الشعبية الفلسطينية!!

نصيحة أخيرة لـ «نتنياهو»

وتحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ سامح عبدالله بجريدة الأهرام الصادرة في ٢٠١٠/٩/١٦م يقول فيها:

يهو شفاط هيركابي ـ رئيس المخابرات العسكرية الإسرائيلية السابق ـ أصدر كتاباً شهيراً في ثمانينيات القرن الماضي بعنوان «ساعة إسرائيل المصيرية» يطالب فيه دولته بتحقيق السلام مع العرب لأنه البديل الأنسب للحفاظ على دولة إسرائيل.

ويعترف هيركابي في كتابه بوجود مخاطر للسلام على إسرائيل قائلا: إن السلام بديل سيىء لبلاده، ولكن الحرب بديل أسوأ وبالتالي فهو مع الخيار الذي يراه أقل خطورة وهو السلام، مثل تلك الكلمات لها دلالات مهمة خاصة أنها صادرة عن شخص كان برأس المخابرات العسكرية الإسرائيلية لسنوات طويلة وهو ما أعطاه الفرصة لفهم حقائق الصراع العربي ـ الإسرائيلي، وموازين القوى في المنطقة على حقيقتها.

هذه الرؤية أهديها لكل من يظن أن إسرائيل ليست في حاجة للسلام، وأن على الفلسطينيين قبول ما يعرض عليهم مهما يكن ضئيلاً.

أكبر المستفيدين من تحقيق السلام في الشرق الأوسط هو إسرائيل التي ستحظى لأول مرة منذ نشأتها بقبول عربي وإسلامي شامل واعتراف رسمي بحقها في الوجود بعد ٦ عقود على إعلان الدولة وخوضها عدداً من الحروب.

وهذا الاعتراف سيكون المسمار الأهم لتثبيت أركان الدولة (الجديدة على المنطقة) والتي تهتز رعباً برغم مرور ٦٠ عاماً على إنشائها كلما ذكر مسئول أن وجودها في المنطقة غير شرعي وتجب إزالتها من على الخريطة.

هناك خمسة ملايين عربي يعيشون داخل فلسطين التاريخية لا يمكن التخلص منهم بالتهجير أو القتل ولابد لهم من دولة مستقلة، وإلا فإن البديل الأخير هو ضمهم لإسرائيل بكل ما يعنيه ذلك من مخاطر ديمجرافية.

أرجو أن يدرك نيتانياهو تلك الحقائق وهو يخوض تجربة السلام الحالية التي قد تكون الأخيرة ليست فقط في فترة حكمه وإنما في تاريخ الصراع العربي ـ الإسرائيلي، والبدائل الأخرى المتاحة ليست في مصلحة كثيرين وأولهم إسرائيل.

وإذا لم يصدق نيتانياهو ما أقول عليه بقراءة كتاب هيركابي.

طرائف.. ومواقف

لفضيلة الشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

البيان ووصف القرآن

قال عبدالله بن المعتز من خلفاء العباسيين:

البيان ترجمان القلوب، وصيقل العقول، ومجلي الشبهة، وموجب الحجة، والحاكم عند اختصام الظنون، والمفرق بين الشك واليقين، وهو من سلطان الرسل الذي انقاد به المستصعب، واستقام الأصيد، وبهت الكافر، وسلم الممتنع، حتى أشب الحق بأنصاره، وخلا ربع الباطل من عماره.

وخير البيان ما كان مصرحًا عن المعنى، ليسرع إلى الفهم تلقيه، وموجزًا، ليخف على اللفظ تعاطيه، وفضل القرآن على سائر الكلام معروف غير مجهول، وظاهر غير خفي، يشهد بذلك عجز المتعاطين، ووهن المتكلفين، وتحير الكذابين، وهو المبلغ الذي لا يمل، والجديد الذي لا يخلق، والحق الصادع، والنور الساطع، والماحي لظلم الضلال، ولسان الصدق النافي للكذب، ونذير قدمته الرحمة قبل الهلاك، وناعي الدنيا المنقولة، وبشير الآخرة المخلدة، ومفتاح الخير، ودليل الجنة، إن أوجز كان كافيًا، وأن أكثر كان مذكرًا، وإن أومأ كان مقنعًا، وإن أطال كان مفهمًا، وإن أمر فناصحًا، وإن حكم فعادلاً، وإن أخبر فصادقًا، وإن بيّن فشافيًا، سهل على الفهم، صعب على المتعاطي، قريب المأخذ، بعيد المرام، سراج تستضيء به القلوب، حلو إذا تذوقته العقول، بحر العلوم وديوان الحكم، وجوهر الكلم، ونزهة المتوسمين، وروح قلوب المؤمنين، نزل به الروح الأمين، على محمد خاتم النبيين، ﷺ وعلى آله الطيبين، فخصم الباطل، وصدع بالحق، وتألف من النفرة، وأنقذ من الهلكة، فوصل الله له النصر، وأضرع به خد الكفر.

حقـــا

لا ترضى قول امرئ حتى ترضى فعله، ولا ترضى فعله، حتى ترضى عقله، ولا ترضى عقله حتى ترضى حياءه، فإن ابن آدم مجبول على أشياء من كرم ولؤم، فإذا قوى الحياء قوى الكرم، وإذا ضعف الحياء قوى اللؤم.

هكذا الجود

كان عبيد الله بن العباس من أندى المسلمين الأولين كفًا، وأطيبهم بالبذل نفسًا. من أخباره في هذا الباب أن معاوية كان قد حبس عن الحسين بن علي ـ رضي الله عنهما ـ عطاءه من بيت المال حتى ضاقت به الحال، فقيل له لو وجهت إلى ابن عمك عبيد الله بن العباس فإنه قدم بنحو ألف ألف درهم! ففعل.

فلما قرأ عبيدالله كتابه قال: ويلك يا معاوية ما اجترحت يداك من الإثم حين أصبحت لين المهاد، رفيع العماد، والحسين يشكو ضيق الحال وكثرة العيال.

ثم قال لقهرمانه: احمل إلى الحسين نصف ما أملكه من فضة وذهب وثوب ودابة.

فقال له القيم: فهذه الديون التي عليك من أين تقوم بها؟. قال: إذا بلغت ذلك دللتك على أمر يقيم حالك.

فلما أتى الرسول برسالته إلى الحسين قال: إنا لله حملت والله على ابن عمي وما حسبته يتسع لنا بهذا كله.

فأخذ الشطر من ماله وهو أول من فعل ذلك في الإسلام.

وصرت أنسى أنني أنسى

أفرط نسياني إلى غاية
لم يدع النسيان لي حسا
فصرت مهما عرضت حاجة
مهمة ضمنتها الطرسا
وصرت أنسى الطرس في راحتي
وصرت أنسى أنني أنسى

الحياء رأس مكارم الأخلاق

أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن النبي ﷺ أنه قال: «مكارم الأخلاق عشرة، تكون في الرجل ولا تكون في ابنه، وتكون في الابن ولا تكون في أبيه، وتكون في العبد ولا تكون في سيده، يقسمها الله لمن شاء من عباده: صدق الحديث، وصدق البأس، وأن لا يشبع وجاره وصاحبه جائعان، وإعطاء السائل، والمواساة بالنائل، والمكافأة بالصنائع، وحفظ الأمانة، وصلة الرحم، والتذمم للجار، وقرى الضيف، ورأسهن الحياء».

وقال ﷺ: «لكل دين خُلق، وخُلق الإسلام الحياء».[1]

(1) موطأ مالك.

نقول: ليس المراد من الحياء ما هو معروف من الانزواء وتهيب الكلام بين الرجال فى المناسبات، ولكن المراد منه أن يتهيب الإنسان إتيان كل عمل لا يصح صدوره من رجل يعرف قدر نفسه. ولذلك قال يزيد بن على: «إنى لأستحيى من الله ـ تعالى ـ أن أقضى إليه بشىء أخفيه من غيره»، وعقب عليه شارحا بقوله: «الحياء من الناس يكون بكف الأذى، وترك المجاهرة بالقبيح».

وقال الشاعر:

وربَّ قبيحة ما حال بينى
وبين ركوبها إلا الحياء
فكان هو الدواء لها ولكن
إذا ذهب الحياء فلا دواء

لبس البياض عند الحزن

قيل إن أول من لبس البياض عند الحزن على الميت ملوك العرب من بنى أمية، قصدوا المخالفة لبنى العباس فى لباسهم السواد وفى ذلك قيل:

إذا كان البياض لباس حزن
بأندلس فذاك من الصواب
ألم ترنى لبست بياض شيبى
لأنى قد حزنت على شبابى

من ارتج عليه الكلام فأبدع

أراد خالد بن عبدالله القسرى أن يخطب يوما فارتج عليه، فقال للناس: «إن هذا الكلام يجىء أحيانا، وربما كوبر فأبى، وعولج فنبا، والتأنى لمجيئه خير من التعاطى لأبيه، وتركه عند تنكره، أفضل من طلبه عند تعذره، وقد يختلط من الجرىء جنانه، وينقطع من الذرب لسانه، وسأعود فأقول».

نقول: لعل هذه العبارة على وجازتها خير من الخطبة التى كان يريد أن يدلى بها. ولو كان كل من ارتج عليه أتى فى اعتذاره بمثل هذا الإبداع الخطابى لتمنينا أن يرتج على كل من يتصدى للقول رجاء سماع مثل هذا الاعتذار.

نصيحة

يا عبدالله لا تجعل سلاحك على من ظلمك الدعاء عليه، ولكن الثقة بالله فلا محنة فوق محنة سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ لما جعلوه فى كفة المنجنيق ليقذف به فى النار، قال: اللهم إنك تعلم إيمانى بك، وعداوة قومى فيك، فانصرنى عليهم واكفنى كيدهم.

دعاء

اللهم أنت العليم فلا يجهل، وأنت الحليم فلا يعجل، وأنت الكريم فلا يبخل، وأنت العزيز فلا يذل، وأنت المنيع فلا يرام، وأنت المجير فلا يضام، اغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شىء قدير، وبالإجابة جدير.

قراءة فى كتاب





للأستاذ / عادل خفاجة

علم مناهج البحث

يتناول المؤلف فى هذا الفصل من الكتاب «علم مناهج البحث» ويناقش بعضا من المصطلحات للوصول إلى التعريف الأدق لتلك المصطلحات، فيسوق عددا من التساؤلات التى يثيرها فى الذهن استخدام ألفاظ مثل «المنهج» و«المنهجية» والأسلوب العلمى.

ثم يطرح السؤال الكبير: هل صحيح ما يوهمنا به علماء المناهج من أن قضية المنهج العلمى قد بُتّ فيها ولم تعد تحتاج إلى نظر جديد؟!.. وأنه ما علينا ـ إذا أردنا أن نجنى ثمار البحث العلمى، كما يجنيها غيرنا ـ إلا أن نعرف ذلك المنهج الذى ألفوا ترديده منسوبا إلى بيكون وميل وديكارت؟!

ثم يصل المؤلف ـ بنظرته الفاحصة ـ إلى أن كتابات المتخصصين فى العلوم وفلسفتها على حد سواء يمكن أن تدلنا على حقيقة هامة مؤداها أن مناهج البحث العلمى ليست أبدا قواعد ثابتة، بل هى تتغير تبعا لمقتضيات العلم وأدواته، وتكون قابلة للتعديل المستمر حتى تستطيع أن تفى بمطالب العلم المتجددة، وإلا فإنها تكون عبئا على حركة العلم وتقدمه.

ويعلل المؤلف ما ذهب إليه أن إسلامية المنهج العلمى ضرورة حضارية؛ بأن إسلامية المنهج أو أسلمته من شأنها أن تخلع عليه من خصائص الإسلام ما يجعله عالميا وصالحا للتطبيق فى كل زمان. فالتصور الإسلامى يوحى بأن الحركة الذاتية والتحول المستمر هو الناموس الثابت المطرد لهذا الوجود الحادث الفانى، وهو بصفة خاصة قانون الحياة وقاعدتها.. ومن ثم يوجه

النظر إلى هذه الحركة الدائبة، وهذا التحول المستمر فى الكون والحياة، وما يطرأ عليهما دائما من تقلبات وأطوار، ولكنه ينسب كل شىء إلى مشيئة الله وقدره، فيخرج بذلك من كل المتناقضات التى تعانيها الفلسفات الوضعية والتى لم تجد لها حلا شاملا.

ويشفع المؤلف هذا التعليل بما يراه ويعتقده أن إدراك المسلمين الأوائل لهذه الحقيقة بكل أبعادها الإيمانية، كان السبب الأول لتقدمهم ورقيهم، بعد أن وجدوا فى مبادئ الإسلام كل مقومات الازدهار العلمى والحضارى، وهدتهم تعاليم الدين الحنيف إلى أصول المنهج العلمى السليم.

ويرى المؤلف أنه إذا كان ما حدث فى الغرب من انزواء لعلوم الدين فى أركان الكنيسة يتعلق بالصراع بين الكنيسة والعلماء، فإنه من الخطأ أن يسود الاعتقاد بأن الانفصال بين العلم والدين شرط من شروط قيام الحضارة، أو أن العلم بفروعه المختلفة لا يمكن إلا أن يكون «علمانيا».

ولقد أدى هذا الاعتقاد الخاطئ فى بلاد المسلمين إلى حالة من الركود العلمى شُلّت فى ظلها كل مقومات الإبداع والابتكار فى مختلف مجالات النشاط الإنسانى.

ثم يخلص المؤلف إلى أنه لم يعد أمامنا الآن سوى الأخذ بالمنهج العلمى الإسلامى الذى سبق لأسلافنا أن صنعوا به حضارة تزهو على كل الحضارات.

وإن هذا المنهج الإسلامى هو الأقدر على إذكاء روح الصحوة الإسلامية الحضارية، وعندئذ سيكون له الأثر الأكبر فى تصحيح وجهة العلوم

أ.د. أحمد فؤاد باشا

لدى عقلاء الغرب ومفكريه إذا ما درسوا الإسلام فى حقائقه، واستفادوا من منهجه فى إصلاح شئون حضارتهم.

ويقدم المؤلف فى هذا الفصل تصوره العام للمنهج العلمى الإسلامى فيرى أن هناك ثوابت ومتغيرات تشكل هذا المنهج، فأما الثوابت فهى: التوحيد الإسلامى، والنظام الكونى، وكون البحث العلمى فريضة، ونسبية المعرفة العلمية.

وأما المتغيرات فهى: وسائل البحث العلمى، وخطوات البحث العلمى، والعلوم المستحدثة والمتولدة، وتصنيف مناهج البحث الفرعية.

فأما التوحيد فهو أول الثوابت الإسلامية ومصدر باقى المسلمات الفكرية والإيمانية، وعقيدة التوحيد الإسلامى هى التى تحفظ كرامة الإنسان بإخضاعه للخالق الواحد وتحرره من سلطان العقائد الوثنية، فالله ـ سبحانه وتعالى ـ هو الحق المطلق وهو مصدر كل الحقائق المعرفية الجزئية التى أمرنا بالبحث عنها واستقرائها فى وحدة النظام بين الظواهر الطبيعية والإنسانية باعتبارها مصدرا للثقة وليست ظلالا وأشباحا،

أو مصدرا للمعرفة الظنية كما نظرت إليها الثقافة اليونانية.

ويرى المؤلف أنه فى ظل عقيدة التوحيد الإسلامى تتحقق أسلمة العلوم ومناهجها وتقنياتها بمعناها الصحيح، ويصبح المفهوم الإسلامى للعلم أوسع وأشمل من المفهوم الشائع لدى فلاسفة العلم على اختلاف مذاهبهم، فهناك العلم الظاهر فى عالم الشهادة، والعلم الغيبى الذى أخبرنا الله به فى القرآن الكريم، وعلى لسان نبيه الأمين ﷺ ويكون العلم الظاهر دنيويا بعلاقاته مع الأشياء، وتعبديا فى الوقت نفسه لصلته بالله -الواحد-.

ومن كانت عقيدته الدينية هى التوحيد يجد فى نفسه دافعا أقوى مما يجده سواه نحو البحث عن الوحدة التى تؤلف بين الكثرة أيا كان الموضوع، فيبحث عن محور الوحدانية فى الشخصية الإنسانية، برغم اختلاف الجوانب الكثيرة فى حياة الفرد والواحد، واختلاف العلوم الباحثة فى تلك الجوانب، وكذلك يبحث عن محور الوحدانية فى الكون بأجمعه مجتمعا فى وجود واحد.

والباحث المؤمن هو الذى يفهم شهادة التوحيد فى إطاره الشامل الذى يجمع بين وحدة النظام فى بناء الذرة وبناء المجموعة الشمسية، وبين وحدة الطاقة بردها إلى أصل واحد وإن تعددت صورها، وبين وحدة الحركة فى طواف الإلكترونات حول النواة، وطواف الكواكب حول الشمس، وطواف المسلمين حول الكعبة المشرفة.

فإذا ما انتقل إلى النقطة الثانية من هذه الثوابت نراه يقول: إن الإيمان بوحدانية الله ـ سبحانه وتعالى ـ يستلزم بالضرورة العقلية أن يرد الإنسان كل شىء فى هذا الكون إلى الخالق الحكيم الذى أوجد هذا العالم بإرادته المباشرة المطلقة وخلقه على أعلى درجة من الترتيب والنظام والجمال، وأخضعه لقوانين ثابتة لا يحيد عنها، وحفظ تناسقه وتوازنه فى ترابط محكم بين عوالم الكائنات، وتنسيق مبدع ومعجز بين آحادها ومجموعاتها، وجعل بنائه آية فى الروعة والكمال، ليس فيه اختلاف ولا تنافر ولا نقص ولا عيب ولا خلل.

ولنتأمل قوله ـ تعالى ـ:

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢) الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾

(الملك: ١ ـ ٤)

وقد أكد القرآن هذا المعنى فى مواضع مختلفة ونبه العباد إلى الحكمة السامية وراء التناسق والإبداع فى خلق هذا الكون وذلك فى مثل قوله ـ تعالى ـ:

﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾

(السجدة: ٧)

ومن هنا فإن الباحث المسلم يتمتع بالثقة والاطمئنان اللازمين لمواصلة البحث العلمى، إيمانا منه فى ضمان بلوغ تعميمات أو قوانين علمية من مجموعة محددة من الوقائع، وهذا لا يتوفر مثلا لباحث آخر ينطلق فى تفكيره من

مبدأ «الحتمية» الذى يفترض أن صدق أحداث الكون مستقل عن الزمان والمكان.

وعندما ينتقل العلم إلى مرحلة جديدة تتميز باللاحتمية أو عدم اليقين، يتعين على هذا الباحث أن يتخلى عن إيمانه بمبدأ الحتمية المطلقة ويبحث عن مبدأ جديد.

لكن التصور الإسلامى للنظام الكونى ينقذ العلماء من التخبط فى التيه بلا دليل.

فإذا ما انتهى المؤلف من عرض تصوره لخصائص المنهج العلمى الإسلامى..

يوضح للقارئ أنّ ما قدمه لا يمثل كل خصائص المنهج العلمى الإسلامى، ذلك لأن الموضوع واسع وعميق، وأنه اجتهد فى وضع نقاط لتبادل الرأى والحوار البنّاء حول صياغة إسلامية لمنهج علمى شامل يسهم فى الإعداد السليم للباحث المسلم وينقذه من متاهة الخوض فى إشكاليات المناهج الفلسفية والعلمية المطروحة.

الموضوعية العلمية وذاتية العلماء

فى هذا الفصل يؤكد المؤلف على حقيقة أنه لا يستطيع أحد أن يتجاهل حقيقة كون جميع العلماء فى النهاية بشراً بكل ما تحمله الكلمة من صفات إنسانية، ومن العبث نكران ذاتية العلماء، وتأثيرها على العلم لغة وفلسفة وتقنية. ومن هنا يعتقد المؤلف بضرورة تناول قضية الموضوعية العلمية من «منظور إسلامى».

من أجل ذلك فقد تناول إشكالية الموضوعية العلمية بالتحليل والمناقشة من خلال أمثلة توضيحية تمثل أرقى حالات العلم فى مراحل تاريخه القديم والوسيط والحديث والمعاصر، ثم خلص بعد ذلك إلى تصور عام لمعيار الحقيقة العلمية الأمثل ومدى ارتباطها بموضوعية القانون العلمى فى التعبير عن سنن الله الكونية.

ومن العلم القديم أخذ المؤلف «ظاهرة السقوط الحر للأجسام» وتفسيرات الباحثين بشأنها، وأن أرسطو اعتقد أن سبب سقوط الجسم إلى الأرض يعود إلى «الوحشة الطبيعية» الكامنة فى الجسم نفسه، تماما مثلما يميل الطفل إلى حضن أمه كلما بعد عنها باعتبارها المكان الطبيعى لإزاحة وحشته، واتجاه حنينه هو الذى يدفع به إلى مقاومة الوحشة وطردها.

ويلاحظ أن أرسطو قد أمعن فى «أنسنة الطبيعة» عندما طبق الأحاسيس الإنسانية على الظواهر الطبيعية، هذه واحدة مما ناقشه المؤلف، ولا يخفى على أحد أن ما قاله أرسطو لا يمثل حقيقة ما من حقائق الوجود وأنها نتيجة لاستنتاج مضلل من «موضوعية زائفة».

كذلك ما اعتقده أرسطو بأنه اكتشف أحد قوانين الطبيعة عندما قال بأن الأجسام الثقيلة تسقط إلى الأرض أسرع من الأجسام الخفيفة.

وكذلك ما جاء على لسان أفلاطون فى وصف الكون حين قال: «والآن، وبعد أن بلغت كل النجوم وضعاً حركياً مناسبا لها، وبعدما أصبحت أجسامها المكبلة بالسلاسل كائنات حية تعرف مهمتها المرسومة، بدأت تدور، بعضها فى مدارات واسعة والبعض الآخر فى مدارات ضيقة، وكانت النجوم ذات المدارات الأضيق تدور بشكل أسرع، وكانت النجوم ذات

المدارات الأوسع أبطأ دوراناً.

بعد هذه الأمثلة التى تؤكد البعد التام عن حقائق الوجود ينتقل المؤلف إلى «موضوعية العلم الوسيط»، حيث المنهج الجديد الذى يقوم على أساس الملاحظة والتجربة والاستقراء وفرض الفروض واستنباط النظريات والقوانين العلمية الجديدة. وقد جاء هذا المنهج على أيدى علماء الحضارة الإسلامية.

ثم ينقلنا المؤلف إلى «موضوعية العلم الحديث»، عندما انتقلت علوم المسلمين إلى أوروبا ومهدت لقيام العلم الحديث على أساس تجريبى مادى، وتركت النهضة الأوروبية جانب الإيمان الذى يوجهها نحو الله تعالى فتخلى العلم عن المعنى والسمو الروحى وأصبح دنيويا فقط.

كما أصبح الباحث ينطلق فى تفكيره من مبدأ «الحتمية» الذى يفترض أن صدق أحداث الكون مستقل عن الزمان والمكان والخبرة الذاتية.

وفى نهاية هذا الفصل يخلص المؤلف إلى أن كل حقيقة يصل إليها العلم الطبيعى هى حقيقة نسبية لا مطلقة وجزئية لا كاملة، فالحقائق العلمية، حتى وإن بدت لنا شبه مؤكدة، هى مجرد احتمالات راجحة وليست قطعية الدلالة ولا مطلقة الصدق واليقين وإن الحقائق القطعية المطلقة فى هذا الكون هى سنن الله التى لا يملكها إلا هو سبحانه بحكم ألوهيته المهيمنة على الكون كله.

ابستمولوجيا العلم ومنهجيته فى التراث الإسلامى

هذا المبحث الأخير من الكتاب خصصه المؤلف للبحث فى النظرية العامة للعلم من حيث إمكان المعرفة العلمية ومصادرها ووسائلها وطبيعتها، وهو يتضمن النظر فى إمكان العلم بالوجود أو العجز عن معرفته وفيما إذا كان بوسع الإنسان عن طريق العلوم المختلفة أن يدرك الحقائق اليقينية وأن يطمئن إلى صدق إدراكه وصحة معلوماته، أم أن قدرته على معرفة الأشياء مثار للشك وعدم اليقين.

ولقد حاول المؤلف فى هذا الفصل أن يطرح إطاراً نظرياً لتفسير التطور المعرفى والمنهجى للعمل عموماً، وللعلم الإسلامى بوجه خاص.

وبعد..

فالكتاب يمثل مدخلاً لتبادل الرأى والحوار البناء حول أسس تكوين العقلية الإسلامية المعاصرة وترشيدها عن طريق بلورة نظرية عامة للعلم والتقنية فى إطار من التصور الإسلامى المستمد من القرآن الكريم والسنة المشرفة وهو - فى الوقت ذاته - رد على من يطلقون على أنفسهم «التنويريين» الذين قطعوا بأن أى أفكار عن «أسلمة العلوم» ما هى إلا حرث فى النهر ورفع للشعارات التى تسلب العقل وتضر بالعلم وهو - أيضاً - مواجهة هادئة لعمليات التغريب المستمرة التى يتعرض لها المسلمون، وما يميزه أنه جاء بقلم أستاذ فيزياء وعالم كبير له من العلم نصيب وفير.

﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

علــى جمعــة

مفتى جمهورية مصر العربية

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

اطلعنا على الطلب المقدم من/ مجلة الأزهر - المتضمن لبعض الأسئلة وهى:

توسعات الحرم المكى

● ما حكم السَّعى فى المَسْعَى الجديد الذى أنشأته الحكومة السعودية بغرض توسعة مكان السعى بين الصفا والمروة، وما حكم الإقدام على هذه التوسعة ابتداءً؛ حيث يذكر بعض الناس أن عرض المسعى مُحدَّدٌ معروف لا تجوز الزيادة عليه، وأن الزيادة عليه افتئات على الدين واستدراك على الشرع؟

الجواب

أصل السعى لغةً هو التَّصرُّف فى كل عمل، ومنه قوله ـ تعالى:

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾

(النجم: ٣٩)

أى: إلا ما عمل، وقد يُطلق أيضًا ويُراد منه أحد أمور؛ منها القصد. كما فى قول القائل: سعى الرجل، إذا قصد، وبه فُسِّر قوله ـ تعالى:

﴿ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾

(الجمعة: ٩)

أى: فاقصدوا، ويقال: سعى لهم وعليهم، أى: عمل لهم فكسب، ويقال: سعى، إذا مشى.

أما فى اصطلاح الشرع فالمراد به: هو قطع المسافة بين الصفا والمروة سبع مرات ذهابًا وإيابًا بعد أن يكون الناسك قد طاف بالبيت المُعظَّم فى الحج أو العمرة.

وقد اختلف العلماء فى حكم السعى؛ فذهب الجمهور من المالكية والشافعية والحنابلة إلى أنه ركنٌ من أركان الحج والعمرة لا يتم أحدهما إلا به، وذهب الحنفية إلى أنه واجبٌ لا رُكن، فمن تركه ـ عندهم ـ فعليه دمٌ وحجُّه تام، وذهب أحمد فى رواية عنه إلى أنه سُنَّة ولا يجب بتركه دمٌ، وهو مروىٌ أيضًا عن بعض السلف. لكنْ القَدْر المتفق عليه بين الجميع هو أن السعى من جُملة المطلوبات الشرعية.

والصفا والمروة اللذان أناط الشرع الشريف الحكم بهما ـ فى مثل قوله ـ تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾

(البقرة: ١٥٨)

وقوله ﷺ للحجيج الذين أهلُّوا بالحج مفردًا: «أحلوا من إحرامكم فطوفوا بالبيت وبين الصفا والمروة» الحديث (متفق عليه) ـ هما الجبلان المتقابلان المعروفان بمكَّة المكرمة؛ الأول بسفح جبل أبى قُبيس، والثانى بسفح جبل قُعيقعان.

[يُنظر: تاج العروس للزبيدى (باب الهاء فصل الصاد، وفصل الميم)، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للتقى الفاسى (٢/ ٢١٨، ٢٥٨) ط. دار الكتب العلمية].

وهذا المسعى الواقع بين جبلى الصفا والمروة كان فى الناس فى السابق قد بنوا على جانبيه الشرقى والغربى وطرفيه الجنوبى والشمالى دورا ومنازل وحوانيت مما أدى إلى ضيقه [وصف ذلك بشىء من التفصيل الدكتور عويد المطرفى ـ وهو ممن نشأ فى هذه البقاع من صباه إلى شبابه وتابع التغيرات الطارئة على الجبلين والمسعى، وهو أيضا أحد

مؤلفي الأطلس التاريخي لمكة والمشاعر - في كتابه: رفع الأعلام بأدلة توسيع عرض المسعى المشعر الحرام]، فقامت الحكومة السعودية عام ١٣٧٥هـ بإزالة هذه المباني بعد تعويض أصحابها، ليتمحض المسعى بعد ذلك للسعي والتعبد ويتسع للمسلمين الراغبين في أداء عباداتهم ونسكهم، ثم حدث أن زاد عدد الحجاج والمعتمرين بعد ذلك ازديادًا عظيمًا، فارتأت الحكومة السعودية القيام بتوسعة أخرى جديدة في عرض المسعى لأجل أن تيسر للمسلمين أداء سعيهم مشفوعًا بتحقق سلامتهم.

والذى نراه هو أن السعي في المسعى الجديد سعيٌ صحيح تبرأ به الذمة وتسقط به المطالبة والتكليف؛ فقد قال - تعالى -:

﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾

(البقرة: ١٥٨)

ففى هذه الآية الكريمة قد أمر الله - تعالى - بالسعي بين الصفا والمروة، فدلَّ هذا بالمنطوق على أن كل ما كان بين الجبلين فهو مكان للسعي؛ لأن الآية أطلقت ولم تخص محلاً دون محل مما هو بين الجبلين، والمسعى الجديد واقع بين الجبلين.

وينبغي هنا أن تلفت النظر إلى أمور مهمة، بتقريرها وفهمها يتم الاستدلال على مشروعية المسعى الجديد وصحة السعي فيه:

أولها: أنّ المعتبر في هذا المقام هو ما يصدق عليه اسم الصفا والمروة لغة؛ لأن الشرع قد خاطبنا باللسان العربي، فالأصل أن يُحمَل الكلام على موضوعه اللغوى إلا أن ينقله الشرع إلى معنى خاص، فيقدم حينئذ المعني الشرعي على المعنى اللغوى - كما هو مقرر في أصول الفقه -، وليس هذا حاصلاً هنا.

والنبي ﷺ قد قام على موضع مخصوص من الصفا لا تُعرف عينه الآن، ثم سعى إلى المروة فقام على موضع مخصوص منها كذلك، ثم عاد في الشوط الثاني إلى الصفا ثم المروة، وهكذا سبعًا. ويحتمل أنه قد قام وسعى في المرات التالية للمرة الأولى في نفس الطريق الأول والمواضع الأولى، ويحتمل أن يكون قد وقع ذلك فيما يقرب منه، ومع هذا فإنه لم يجيء عنه ﷺ ولا عن أحد من أصحابه شيء يُخصص محلا معينًا مما بين الصفا والمروة بأنه هو الذى يسعى فيه دون غيره مما يقع بينهما، وذلك مؤذن بأنّ هذا التحديد والتقييد غير مقصود شرعًا.

يقول الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني - رحمه الله تعالى - ١٣٨٦هـ - في رسالته - المخطوطة - في توسعة المسعى بين الصفا والمروة: «وعدم مجيء النبي ﷺ وأصحابه في تحديد عرض المسعى يُشعر بأن تحديده غير مقصود شرعا، وإلا لكان - لتعرضه لمزاحمة الأبنية - أولى بالتحديد من عرفات ومزدلفة ومنى، وقد ورد في تحديدها ما ورد» اهـ.

ولذلك أيضًا لم تتعرض كتب الفقه لتحديد المسافة العرضية للمسعى بل تعرضت لتقرير أن من واجبات السعي استيفاء المسافة بين جبلي الصفا والمروة، وبعضها قد ذكر تحديد المسافة الطولية وأنها مقدرة بسبعمائة وسبعة وسبعين ذراعا دون تعرض للمسافة العرضية، وهذا مُشعر بأنّ مدار الحكم ومتعلَّقه في استيفاء المسافة الطولية هو أداء شعيرة السعي بين الجبلين بصرف النظر عن السعة العرضية ما دام أنه يصدق على الساعي أنه قد أدى شعيرة السعي بينهما وفي حدودهما. فمدلول الحكم في تحديد العرض هو مدلول كلمة جبل الصفا وجبل المروة بكامل المدلول اللغوى لهذين الاسمين؛ لأنه لم يرد تحديد شرعي لهما يُنافي هذا المدلول اللغوى.

وقد سُئل الإمام شمس الدين الرملي في فتاويه [(٢ / ٨٦)ط. المكتبة الإسلامية] هل ضبط عرض المسعى؟ فأجاب بقوله: «لم أر من ضبطه، وسكوتهم عنه لعدم الاحتياج إليه؛ فإن الواجب استيعاب المسافة التي بين الصفا والمروة كل مرة بأن يلصق عقبه بما يذهب عنه ورؤوس أصابع رجليه بما يذهب إليه، والراكب يلصق حافر دابته» اهـ.

وقال أيضًا في نهاية المحتاج [(٣ / ٢٩١)ط. دار الفكر]: «ولم أر في كلامهم ضبط عرض المسعى، وسكوتهم عنه لعدم الاحتياج إليه؛ فإن الواجب استيعاب المسافة التي بين الصفا والمروة كل مرة، ولو التوى في سعيه عن محل السعي يسيرا لم يضر، كما نص عليه الشافعي - رضي الله عنه -» اهـ.

وأما ما ذكره بعض المؤرخين من أن عرض المسعى خمسة وثلاثون ذراعا فليس ذلك تحديداً شرعيًا منهم لعرض المسعى بحيث يكون ملزمًا لا يحل الزيادة عليه، بل هو وصف للواقع الذى شاهدوه؛ حيث لم يحدد النبي ﷺ عرض المسعى ولا حدده المسلمون بحدود معلومة، فكان الواجب في السعي هو أن يكون بين الصفا والمروة على ما كانا عليه قبل أن تنالهما التغييرات بالتكسير أو النسف أو البناء عليها أو بينها.

قال العلامة الشيخ عبدالحميد الشّرواني في حواشيه المفيدة على تحفة المحتاج [(٤ / ٩٨)ط. المكتبة التجارية الكبرى بمصر - مع التحفة وحاشية ابن قاسم العبادى] ما نصه: «هذا ولك أن تقول: الظاهر أن التقدير لعرضه - أي: المسعى - بخمسة وثلاثين أو نحوها على التقريب؛ إذ لا نص فيه يُحفظ عن السنّة، فلا يضر الالتواء اليسير لذلك

بخلاف الكثير ؛ فإنه يخرج عن تقدير العرض ولو على التقريب، فليتأمل] اهـ.

الثاني: أن المسعى الذى هدمته الحكومة السعودية مؤخرا ليس هو المسعى الذى كان فى العهد النبوى ولا فى عهد الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ، بل أصل المسعى قد أخذ من عرضه بزحف المبانى عليه شرقا وغربا عبر العصور اللاحقة.

ويؤكد ذلك ما ورد عن يحيى بن عمران بن عثمان بن الأرقم عن جده عثمان بن الأرقم أنه كان يقول: «أسلم أبى سابع سبعة، وكانت داره على الصفا، وهى الدار التى كان النبى ﷺ يكون فيها فى الإسلام، وفيها دعا الناس إلى الإسلام، فأسلم فيها قوم كثير، وقال رسول الله ﷺ ليلة الاثنين فيها: «اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك: عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام»، فجاء عمر بن الخطاب من الغد بكرة فأسلم فى دار الأرقم، وخرجوا منها وكبروا وطافوا بالبيت ظاهرين، ودعيت دار الأرقم دار الإسلام، وتصدق بها الأرقم على ولده، فقرأت نسخة صدقة الأرقم بداره: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما قضى الأرقم فى ربعه ما حاز الصفا إنها صدقة بمكانها من الحرم لا تباع ولا تورث. شهد هشام بن العاص وفلان مولى هشام بن العاص. قال ـ أى يحيى بن عمران ـ: فلم تزل هذه الدار صدقة قائمة، فيها ولده يسكنون ولا يؤاجرون ويأخذون عليها حتى كان زمن أبى جعفر».

قال محمد بن عمر ـ أحد رواة الحديث ـ: «فأخبرنى أبى عن يحيى بن عمران بن عثمان بن الأرقم قال: إنى لأعلم اليوم الذى وقع فى نفس أبى جعفر أنه يسعى بين الصفا والمروة فى حجة حجها ونحن على ظهر الدار، فيمر تحتنا لو أشاء أن آخذ قلنسوته لأخذتها، وإنه لينظر إلينا من حين يهبط الوادى حتى يصعد إلى الصفا...»، الحديث. رواه الإمام الحاكم فى مستدركه، وسكت عنه الذهبى فى التلخيص.

والشاهد من هذا الحديث أن دار الأرقم كانت على الصفا قديما، ودار الأرقم موضعها معروف فى القديم والحديث لم يتغير، والخريطة التى أعدتها هيئة المساحة المصرية عام ١٩٤٧م توضح أن دار الأرقم تبعد أكثر من ثلاثين مترا عن حدود منتهى عرض المسعى فى التوسعة السعودية الأولى، ومشروع المسعى الجديد يمتد إلى شرق المسعى عشرين مترا، فيكون هذا الامتداد داخلا فى حيز المسعى الحقيقى.

الثالث: أن جبلى الصفا والمروة قد تعرضا عبر الأزمان لتغيرات من تكسير وتشذيب وتسوية مع سطح الأرض، من هذه التغيرات ما هو بفعل عوامل الطبيعة، ومنها ما هو بتدخل الإنسان؛ ففى عام ١٣٧٥هـ تم تقطيع أكتاف جبل الصفا وفتح عليها شارع لمرور السيارات، ثم فى عام ١٤٠١هـ تمت إزالة هذا الشارع وقطع الجبل من أصله وفصل موضع الصفا عن الجبل، وفتح بينه وبين الجبل الأصلى طريق متسع للمشاة بين ما بقى من أصل الجبل وبين جذر الصفا.

وهذه التغيرات قد أدت إلى أن يتغير حجم الجبل عما كان فى عهد النبى ﷺ وما قبله، ومعلوم أن إزالة جزء من صخور الجبلين لا يغير الحكم الشرعى فى السعى بين مكانى هذه الصخور ولو سويا بالأرض.

ونظير هذا ما ذكره الفقهاء ـ ومنهم سيدى أحمد الدردير فى شرحه الكبير على مختصر خليل من كتب المالكية [(١ / ٢٢٤، ٢٢٥) ط. دار إحياء الكتب العربية ـ مع حاشية الدسوقى] ـ من أنه لو هدمت الكعبة المشرفة ونقل حجرها ونسى محلها ـ حماها الله تعالى ـ بفضله من ذلك ـ فالواجب إذ ذاك الاجتهاد فى استقبال جهتها اتفاقا؛ فزوال جرمها لا يوجب زوال وجوب استقبال مكانها، فكأن لها وجودا حكميا، فكذلك ما نحن فيه؛ فإن ما تمت إزالته من جرم الصفا والمروة حتى وإن لم يكن له وجود حقيقى فإن له وجودا حكميا فيصح السعى فى حدوده.

ولما همت الحكومة السعودية بالتوسعة الأخيرة استكتبت غير واحد من العلماء، ومنهم من عاش فى مكة من طفولته إلى شيخوخته ورآها على طبيعتها لم تتغير معالمها قبل حدوث توسعة الحرم المكى الشريف، كما استدعت مجموعة من كبار السن من أفاضل شيوخ مكة المكرمة ممن كانوا يقطنون منطقة الصفا والمروة ـ أصغرهم قد تجاوز السبعين عاما ـ وأدلوا بشهاداتهم أمام قاضى مكة وسجلت شهاداتهم، وكان حاصل كلام هؤلاء وأولئك هو أن جبلى الصفا والمروة كانا ممتدين فيما مضى بأكثر مما هو واقع اليوم بمسافة تشمل وتستوعب الزيادة الحادثة.

ومن المقرر أن أمثال هذه الشهادات والنقول كافية فى باب الإثبات؛ يقول ابن القيم فى إعلام الموقعين [(٢ / ٢٨٢) ط. دار الكتب العلمية]: «وأما نقل الأعيان وتعيين الأماكن؛ فكنقلهم الصاع والمد، وتعيين موضع المنبر وموقفه للصلاة والقبر والحجرة ومسجد قباء، وتعيين الروضة والبقيع والمصلى ونحو ذلك، ونقل هذا جار مجرى نقل مواضع المناسك؛ كالصفا والمروة ومنى، ومواضع الجمرات، ومزدلفة، وعرفة، ومواضع الإحرام؛ كذى الحليفة والجحفة وغيرهما» اهـ.

وقد قامت هيئة المساحة الجيولوجية السعودية أيضا باختبار عينات جبل الصفا والمنطقة التى ستشملها توسعة المسعى فى الجهة الشرقية، فأثبتت فى تقريرها أن جبل الصفا لسان من أبى قبيس لديه امتداد سطحى بالناحية

الشرقية مُسامت للمشعر بما يُقارب ثلاثين متراً، وأن جبل المروة يمتد امتداداً سطحيا مُسامتا للمشعر الحالى بما يُقارب واحداً وثلاثين متراً، وهذا يُعضِّد أيضًا ما نقله الشهود.

والاعتراض بأننا متعبدون بالظاهر وأن استعمال المعارف الجيولوجية بالتنقيب فى باطن الأرض تكلُّفٌ لم يأمرنا الله ـ تعالى ـ به حتى تمتثل ما شرعه غير سديد؛ لأننا لا نتكلَّف مجرد استخراج مستور، بل إننا نبحث عما يدل على ما كان ظاهراً ومُشاهَداً ومعلوماً من امتداد جبلى الصفا والمروة وتمت إزالته، فأخذ عينة من باطن الأرض فى مثل هذه الحال ضرورة لإثبات ما كان ظاهراً وأزيل؛ لأن مكونات الجبل واحدة فى أعلاه وفى أسفله.

الرابع: من المقرر فى قواعد الشريعة أن الزيادة المتصلة تتبع أصلها، وأن الزيادة لها حُكم المَزيد فيه، وأن ما جاور الشيء أخذ حُكمهُ، وهذه القواعد كلها تنطبق على المسعى الجديد من حيث اتصاله بمكان المسعى القديم والاعتراض على تخريج هذه النازله على هذه القواعد بأن المشعر توقيفى لا تجوز الزيادة عليه، وأن القول بإلحاق الزيادة بالمزيد يجعل الأمر غير منضبط بحدٍّ مُعيَّن اعتراضٌ مدفوعٌ بأن المسعى الجديد لا يخرج عن حيِّز التوقيف؛ حيث إنه فى حدود ما بين الصفا والمروة غير خارج عنها كما سبق بيانه، فهو من الزيادة المعتبرة شرْعًا، والقواعد المذكورة ليست مُرسَلة بل هي مضبوطة بكون الزيادة لا تُخالف تحديداً شرعياً، وهذا هو ما ندعيه هنا وقد دلَّلنا عليه وذكرنا النقول التى تُعضِّده.

الخامس: هذا التعديل الذى أجرته الحكومة السعودية مؤخراً لم يكن هو التعديل الوحيد الذى حدث لعرض المسعى؛ فقد نقل الأثبات من المؤرخين كأبى الوليد الأزرقى فى تاريخه والفاكهى والقطب الحنفى فى كتابه «الإعلام بأعلام بيت الله الحرام» وغيرهم خبر الزيادة التى أجراها المهدى العباسى فى عرض مَشْعَر المسعى، وقد استشكل القطب الحنفى ذلك، ثم أجاب عن هذا الإشكال، فقال [ص ١٠٥، ١٠٦، ط. مكتبة الثقافة الدينية]: «وأما المكان الذى يسعى فيه الآن فلا يُتحقَّق أنه بعض من المسعى الذى سَعَى فيه رسول الله ﷺ أو غيره، فكيف يصح السعى فيه وقد حُوِّل عن محله كما ذكر هؤلاء الثقات؟».

ولعل الجواب عن ذلك: أن المسعى فى عهد رسول الله ﷺ كان عريضًا، وبنيت تلك الدور بعد ذلك فى عرض المسعى القديم، فهدمها المَهْدى وأدخل بعضها فى المسجد الحرام وترك بعضها للسعى فيه، ولم يُحوِّل تحويلا كليًا، وإلا لأنكره علماء الدين من الأئمة المجتهدين رضوان الله عليهم أجمعين مع توفرهم إذ ذاك؛ فكان الإمامان أبو يوسف ومحمد بن

الحسن ـ رضى الله عنهما ـ والإمام مالك بن أنس ـ رضى الله عنه ـ موجودين يومئذ؛ وقد أقروا ذلك وسكتوا، وكذلك من صار بعد ذلك الوقت فى مرتبة الاجتهاد؛ كالإمام الشافعى وأحمد بن حنبل وبقية المجتهدين رضوان الله عليهم أجمعين، فكان إجماعا منهم رضى الله عنهم على صحة السعى من غير نكير نُقِل عنهم»اهـ.

والمتأمل فى هذه الأمور السابقة كلِّها يقطع بمشروعية السعى فى المسعى الجديد، ويقطع أيضًا بأن ما قام به ولاة الأمور فى المملكة العربية السعودية من تعديل في عرض المسعى هو أمر حسن محمود متَّسق مع مطلوبات الشرع ومقاصده؛ فهو من التعاون على البر والتقوى، وقد قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾

(المائدة: ٢)

وهو من تعظيم شعائر الله التى قال فيها ـ عز من قائل ـ:

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾

(الحج: ٣٢)

قال البيضاوى فى تفسيره [(٢٩٥، ٢٩٦) ط. دار صادر، مع حاشية الشهاب]:

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾ دين الله أو فرائض الحج ومواضع نسكه....

﴿ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾

فإن تعظيمها منه من أفعال ذوى تقوى القلوب» اهـ بتصرف. ومن تعظيم شعائر الله إجلالها والقيام بها والتزامها ومراعاة أحكامها وشرائطها وتكميلها على أكمل ما يقدر عليه العبد، وكذلك إعانة الغير على ذلك كله، ولا يخفى تحقُّق كل هذه المعانى فى عملية التوسعة.

وكذلك فإن فيه من التيسير ورفع العنت عن المسلمين فى أداء شعائرهم ومناسكهم ما هو واضح لكل ذى عينين، وقد قال ﷺ ـ فيما رواه البخارى ومسلم عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ واللفظ للبخارى ـ: «يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا وبَشِّرُوا ولا تُنَفِّرُوا».

كما أن فيه التَّحرِّى لما يجب على ولى الأمر من رعاية لمن يليهم؛ حيث تتزايد أعداد الحجيج والمعتمرين كل عام بما يوجب على ولى الأمر أن يأخذ فى اعتباره هذا التزايد ويبحث عن طرق شرعية لمواجهته.

وفيه رعاية لمقصد حفظ النفس التى هى أحد الضروريات الخمس التى يجب حفظها فى كل الملل، وغير خاف ما يحدث من تهارج وتزاحم بين الحجيج قد يؤدى مع ضيق المسعى إلى تلف النفوس المعصومة. ومعلوم أن التزاحم فى المناسك

ليس مقصودًا شرعيًا، والشرع قد نظر إلى التوسعة على الناسكين ووقايتهم من التدافع والتزاحم وراعاها، والنبى ﷺ ما سئل عن شىء قُدِّم ولا أُخِّر فى حجة الوداع إلا قال: «افعل ولا حرج». [رواه البخارى]، وليس هذا إلا لمنع التدافع والتزاحم.

والله سبحانه وتعالى أعلم

***

حج ذوى الاحتياجات الخاصة!!

● ما حكم الشرع بالنسبة لفريضة الحج لذوى الاحتياجات الخاصة والإعاقات الذهنية والجسدية؟

الجواب

ينفرد الحج «ومثله العمرة» عن سائر العبادات بأحكام وطبيعة مختلفة، منها أنه يجمع بين العبادة المالية والبدنية، على حين أن الزكاة عبادة مالية، وأما الصلاة والصوم فعبادتان بدنيتان، ومنها أن للحج مكانًا محددًا لإقامة شعائره، على حين أن العبادات الأخرى ليس لها مكان محدد. ومنها أن الحج إذا فسد وجب المُضىّ فيه وإتمامه، ثم قضاء حج آخر مكانه، بينما بقية العبادات إذا فسدت فقد خرج المكلف منها قهرًا، ولا يمضى فيها ويجب قضاؤها أو إعادتها.

ومنها أن هناك فرقًا فى الحج بين الركن والواجب، بينما فى بقية العبادات لا فرق عند جمهور العلماء فيها بين الركن والواجب.

ومنها أنه يمكن الحج والعمرة عن الحى غير القادر على المناسك، بمعنى غير المستطيع للوصول إلى الأراضى المقدسة والثبات على الدابة أو الراحلة، وهو المسمى فى الفقه بـ«المعضوب»، بينما سائر العبادات لا يقوم فيها الغير عن المكلف فى حياته وغير ذلك من الفروق بين الحج «والعمرة» من جهة وبين سائر العبادات من جهة أخرى.

ولهذا كان الحج ذا طبيعة خاصة؛ حيث إنه لا يجب إلا مرة واحدة فى العمر، خلافًا لبقية العبادات، ومنها ـ وهذا الذى يعنينا الآن فى الجواب على السؤال المطروح ـ أن الحج يقبل من المكلف ومن غير المكلف ولو غير مميز، بمعنى أنه يثاب عليه إذا أداه عنه غيره صحيحًا مستوفيًا الأركان والشروط. أما الصلاة والصوم فغاية أمرهما أنهما يصحان من غير المكلف إذا أداهما بأركانهما وشروطهما بشرط أن يكون مميزًا، وإن كان لا يطالب المميز بهما، وإنما المخاطب فى ذلك هو الولى الشرعى له: من والد أو والدة أو ولى أو وصى؛ بدليل قوله ﷺ عن الصلاة: «واضربوهم عليها لعشر» رواه أبو داود وأحمد والبيهقى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ـ رضى الله تعالى عنه ـ، وفى رواية «مروهم بالصلاة لسبع سنين، واضربوهم عليها لثلاث عشرة» رواها الدارقطنى والطبرانى فى الأوسط. وقيس

على الصلاة الصيامُ وغيره بجامع العبادة البدنية فى كلٍّ.

أما الحج فلخصوصيته التى سبق الكلام عليها وعلى مظاهرها كان الثواب لاحقًا لمن صدر منه بنفسه أو بمساعدة الغير ولو كان طفلاً غير مميز، ولو رضيعًا، أو كان بالغًا ولكن اختل تكليفه الشرعى بنقص فى عقله أو بإعاقة فى ذهنه. والدليل على ذلك ما رواه مسلم عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ﷺ أنه لقى ركبًا بالرَّوحاء فقال: «من القوم؟»، قالوا: المسلمون. فقالوا: من أنت؟ قال: «رسول الله». فرفعت إليه امرأة صبيًا فقالت: ألهذا حج؟ قال: «نعم ولك أجر»، وفى رواية الطبرانى فى الكبير والأوسط: رفعت صبيًا لها فى خرقة. مما يدل على أنه كان رضيعًا. ويقاس على الطفل غير المميز المجنونُ والمعاق ذهنيًا إعاقة تخرجه عن التكليف بجامع ارتفاع التكليف عن كلٍّ.

وعليه فإن المسلمين من ذوى الإعاقات الجسدية فقط لهم حكم الأصحاء شرعًا، من وجوب الحج على المستطيع منهم إما بنفسه أو بغيره؛ لقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾

(آل عمران: ٩٧)

وكذلك الحال مع ذوى الإعاقات الذهنية التى لم تخرجهم إعاقتهم عن حد التكليف الشرعى؛ بأن كانت سنه العقلى «لا العمرى» هو سن البالغين المدركين لما حولهم؛ بأن يكون خمسة عشر عامًا فما فوق، أو أقل من خمسة عشر عامًا ولكنه يكون «برأى المختصين» مدركًا للأمور الحسِّيَّة المتعلقة بالجنس الآخر كما يشعر بها من احتلم من الذكور أو احتلمت أو حاضت من الإناث. سواء أجمعوا بين الإعاقة الجسدية وهذا النوع من الإعاقة الذهنية أم اقتصر الأمر على إعاقتهم الذهنية فقط والحج يقع صحيحًا منهم مُسقطًا للفريضة سواء أحجوا بمالهم أو بمال غيرهم.

وأما من كانت من المسلمين إعاقته الذهنية تخرجه عن حد التكليف السابق تحديده، فإن الحج «ومثله العمرة» تصح منهم إذا تم نقلهم إلى الأماكن المقدسة وقاموا بأداء الحج أو العمرة بأركانهما وشروطهما عن طريق مساعدة الغير لهم سواء أكان ذلك بأموالهم أو بأموال غيرهم. ومعنى ذلك أنه يوضع ذلك فى ميزان حسناتهم، وترفع بها درجاتهم، وإن كان ذلك لا يغنى عن حج الفريضة أو عمرة الفريضة «عند من يقول بوجوب العمرة ـ كالشافعية»، بمعنى أن المعاق ذهنيًا إعاقة تخرجه عن التكليف إذا عوفى من مرضه وإعاقته وصار مكلفًا وجبت عليه حجة الفريضة وعمرة الفريضة «عند من يقول بفرضيتها».

تيرى جونز.. رجل فقد عقله

لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى

قد يكون مثيراً للتساؤل أن تقرأ تحت عنوان «تأملات فى السيرة» ـ «تيرى جونز.. رجل فقد عقله» ولك كل الحق أن تتساءل: ما علاقة هذا «التيرى» بتأملات السيرة النبوية المطهرة. وكما أن لك الحق أن تتساءل عن «العلاقة بين تأملات فى السيرة وبين هذا الذى فقد عقله، فقومى وبنى جلدتى يرون لى الحق ألا أعيش منعزلاً عما يجرى فى دنيا الناس، وعلى ذلك فيبقى لى الحق أن أتألم كما يتألمون، وأشعر بما يشعرون، وذلك لأنى لا أكتب عن السيرة النبوية من منطلق السرد المطلق، لكنى أكتب تحت عنوان «تأملات فى السيرة»، وأحسب أن هذا يعنى تفسيراً لوقائع وتعليلاً لمواقف، وتوضيحاً لبعض غموض، ثم يصب كل ذلك فى نتائج وعبر، نفيد منها فى توجيه الخطى واستقامة المنهج.

ولك الحق أيضاً أن تسأل عن: تيرى جونز هذا الذى فقد عقله؟!.. وقبل أن أفيدك بالجواب اسمح لى أن أستعمل حقى فى أن أتألم وأتوجع لأن سؤالك يكشف عن أنك نسيت.. أبهذه السرعة نسيت تيرى جونز؟! إنه ذلك القس المغمور الذى أذاع وأعلن أنه سيحرق المصحف.

هل نسيت؟ وكيف نسيت؟ ولماذا نسيت؟

أبعد هذه الصفعة العنيفة يمكن أن تنسى؟ ألم تتألم أم أنك نسيت الألم؟ أم أنك فقدت الإحساس بالألم؟

وصدق الشاعر حيث يقول:

ما لجرح بميت إيلام؟

ومهما يكن من أمر ومهما يكن حالك، فأرجوك أن تتأكد أننى لست الذى وصفه بأنه «رجل فقد عقله» فأنا لا أعرف البذاءة ولا الشتم.

فرسولنا العظيم ﷺ لم يبعث شتاماً ولا لعاناً، وأمرت أن أقتدى به.

فقد قال القرآن:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾

(الأحزاب: ٢١)

وأقول لك: إن الذى وصفه بهذا هى ابنته وهى أعرف منا به.

وقد يخدعك أن بعض الهيئات الرسمية والأهلية بأمريكا قد استهجنت تصرف القس المغمور، إلا أنها لم تفعل ذلك ـ يقيناً ـ من أجل ما تشيعه من مبادئ حقوق الإنسان وحرية العقيدة واحترام الأديان، إنما فعلت ذلك من أجل مصالحها الخاصة وما ترمى إليه ـ فى خبث ودهاء ومكر ودأب ـ إلى السيطرة والهيمنة على العالم.

فهل وعينا ذلك؟ وهل نتعامل مع الغرب من هذا المنطلق؟

والآن وبعد أن تحطم العراق وأصبح كلأ مستباحاً لكل أوجه التدمير والتخريب، فهل وجدنا أسلحة دمار شامل؟!!.. أو دمار محدود؟!.. كما زعمت أمريكا.. ودمرت وقتلت وخربت بهذه الحجة الواهية.

وأين داعية الفوضى الخلاقة؟!.. ليس فينا من يفهم ويأبى أن يصدق أو يقبل هذا الزعم فيقول: كيف يمكن أن تكون الفوضى خلاقة؟!

وإذا كانت الفوضى خلاقة، فماذا عساه يكون النظام؟!!!

وأستطيع أن أقول بيقين إن العامل البسيط والفلاح الكادح فى مصر والعراق، وفى كل بلد عربى لم تنطل عليه، أو تخدعه هذه الشعارات ولا هذه «الكليشيهات» لكن المنتفعين هنا وهناك روجوا لهذا الزعم الممقوت.

أستطيع أن أقول: إن قاعدة «وخز الإبر» أو «العصاة الغليظة» هى التى يفهمها ويدركها الطامعون فى كل عصر ولا يفهمون غيرها.

إن أزمة الغذاء فى العالم لا تخفى على أحد فى العالم، فلو أنك طرحت سؤالاً:

ما سبب أزمة الغذاء العالمى؟ وكيف يكون حلها؟

وقبل أن تجيب دعنى أقول لك: ما هو أبعد الأسباب عن الواقع، وما أكثر الحلول جنوناً فلن يصل بك الجموح والجنون إلى ما تفتق عنه ذهن تلك المرأة التى تبدو كدب ألوف فى بلاهة وتفاهة وما كنت تظن أنها تخفى خلف هذا المظهر الأبله كل هذا الحقد والكراهية للشعوب الشرقية، أو تدرى ما هو سبب أزمة الغذاء العالمى فى نظر هذه الدبة؟!

إن أبناء الهند كانوا فقراء لا يجدون طعاماً يأكلونه لكنهم تقدموا وبدأوا يتسللون إلى نادى الأغنياء فأصبحوا يتناولون ثلاث وجبات فى اليوم وذلك سبب الأزمة.

والحل العبقرى الذى تقدمه الدبة الألوف هو أن يعود الهنود ويأكلوا وجبتين فقط وأحسب صاحبة نظرية الفوضى الخلاقة تقول إن وجبة واحدة تكفى الهنود حتى يلقى الأمريكان الحبوب فى البحر محافظة على سعره حتى لا يتعرض للانهيار.

أرأيت كيف يفكر هؤلاء القوم؟!

وعلى مر التاريخ ترى الظلم والطغيان، هكذا يتصرف، وهكذا قادته وزعماؤه يفكرون ولا يكادون يعترفون بالأخلاق والمثل إلا ريثما يخدعوننا بها.

وأذكر كلمة لرئيس وزراء الهند الأسبق جواهر لال نهرو في رسائله لابنته أنديرا غاندي وهو في السجن قال لها: فيما أذكر «أعتقد أن كلمات قادة الغرب عن العدل والمساواة يتغير معناها عندما تعبر قناة السويس».

وقال لها أيضاً: يبدو أن الساسة في الغرب يؤمنون بأن الديمقراطية فراء ثقيل لا يناسب أبناء المناطق الحارة.

وأستطيع أن أقول: إن الاستبداد وطبائعه ثابتة في الظلم والقهر لا تتغير، فهي هي في كل زمان ومكان لا يحسون بأنين المرضى ولا يدركون آهات المحتاجين، إنهم لا يحسون إلا «بوخز الإبر» أو «العصاة الغليظة».

أرأيت إلى كفار قريش وهم يعذبون ضعفاء المسلمين ويسومونهم سوء العذاب وهم يتلذذون بآلامهم ويطربون بأناتهم، لا يكادون يسمعون أو يستجيبون لنداءات وقف هذا القهر وكف الظلم.

وعندما ضاق الأمر بالمسلمين في مكة، وهاجروا إلى المدينة، وتركوا دورهم وأموالهم وآثروا الإيمان على متاع الدنيا، لم يحس ظلمة قريش أبوجهل ومن على شاكلته بأدنى تأنيب وهم يغتصبون الدور والأموال، لكن عندما حاول المسلمون اعتراض قافلتهم في طريق عودتها من بلاد الشام فزعوا وثارت ثائرتهم وأقاموا الدنيا ولم يقعدوها، فكانت موقعة بدر التي أوضحت وأظهرت معدن الإيمان الصادق النقي، كم عذّب كفار قريش ضعفاء المسلمين؟.. وكم تلذّذوا بأناتهم؟

فها هو خباب بن الأرت كانت مولاته تعذبه وتتلذذ بآلامه وهي تكويه بالنار في رأسه، فشكى إلى رسول الله ﷺ فدعا له وقال: اللهم انصر خبابا.

فما هي إلا أياماً قلائل حتى شكت مولاته صداعاً في رأسها، فكانت تعوى كالكلاب، فقيل لها: اكتوى، فكانت تأمر خباباً أن يكويها في رأسها!

يا سبحان الله، كانت تكوى خباباً وهي ظالمة، فكواها خباب معالجًا لها برضاها.

وأين أنت من بلال بن رباح الذي اشتكت منه الرمضاء ولم تثنه عن قوله: أحدٌ أحد، وها هو أبوفكيهة عبداً لصفوان بن أمية، كم عذبه وأخرى اسمها زنيرة عذبها أبوجهل حتى عميت فقال لها: إن اللات والعزى فعلا بك ما ترين، فقالت: كلا والله ما تملك اللات والعزى نفعاً ولا ضراً، هذا أمر من السماء، وربى قادر على أن يرد عليّ بصرى، فما طلع عليها الفجر إلا وهي مبصرة، فقالت قريش: هذا من سحر محمد.

وصدق الله حيث يقول:

﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ﴾

(البقرة: ١٤٥)

... والله أعلـــم.

أنباء مكتب الإمام الأكبر

للأستاذ / أحمد إبراهيم توفيق
مدير عام الإعلام بمكتب الإمام الأكبر

الإمام الأكبر: إطلاق المنح الدراسية لدول حوض النيل


د. أحمد الطيب

أعلن فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر عن رغبته في زيارة كل دول حوض النيل بدءا من أثيوبيا باعتبارها أول دولة في العالم استقبلت المهاجرين المسلمين الأول واحتضنتهم، وبحث فضيلته خلال استقباله وفد منظمة الصداقة والتواصل بين مصر ودول حوض النيل ورابطة الجامعات الإسلامية الممثل في المستشار / عبدالعاطي الشافعي أمين عام المنظمة، ورئيس جمعية حراس النيل، والدكتور جعفر عبدالسلام أمين عام رابطة الجامعات الإسلامية وعضو مجلس حكماء المنظمة زيادة المنح الدراسية التي يقدمها الأزهر الشريف إلى أبناء المسلمين في دول حوض النيل التسع وإمكانية مضاعفتها بالنسبة لهذه الدول عامة وأثيوبيا بصفة خاصة حيث يزمع الوفد زيارتها خلال أيام قليلة.. وقد أمر فضيلته بإطلاق المنح الدراسية لمسلمي أثيوبيا ودول حوض النيل دون تحديد بحيث تقبل جامعة الأزهر كل من يرغب في الدراسة بها وتتوافر فيه الشروط دون تحديد للعدد.

الإمام الأكبر يستقبل مفتي بولندا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر مفتي جمهورية بولندا يرافقه المستشار الثقافي لسفارة بولندا بالقاهرة.

قدم مفتي بولندا عرضاً لأحوال المسلمين في بولندا والبالغ عددهم ٣٥ ألفاً من بين ٤٠ مليونا هم مجموع السكان، وقال: إن الحكومة البولندية تولي كامل الرعاية للمسلمين، وإن الجالية الإسلامية جميعها تابعة للمذهب السني وتطبق المذهب الحنفي في إقامة شعائرها، وطالب باسم الجالية أن يقدم الأزهر المساعدة والعون لمسلمي بولندا.ومن جانبه أكد فضيلة الإمام الأكبر أن الأزهر مستعد تمام الاستعداد لتزويد مسلمي بولندا بالكتب الدينية وإرسال معلمين ووعاظ من الأزهر واقترح فضيلته ضرورة إنشاء مركز لتعليم اللغة العربية لكل من يرغب فيها من مسلمين وغير مسلمين.



١٥٠ ألف جنيه دعم من تايلاند للأزهر الشريف

بحث فضيلة الإمام الأكبر الاستاذ الدكتور/ أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر والسيد/ شاليت مانتياكول سفير مملكة تايلاند بالقاهرة زيادة التعاون فى مجال الأنشطة التعليمية بين جامعة الأزهر والمؤسسات التعليمية بمملكة تايلاند خاصة فى مجال زيادة عدد المنح الدراسية لطلاب تايلاند للدراسة بجامعة الأزهر فى المجالات الدينية والعلمية وكذلك التعاون مع كلية الزراعة بجامعة الأزهر لتقديم الخبرة التايلاندية فى مجال زراعة الأرز حيث أعرب فضيلة الإمام الأكبر عن ترحيبه بالتعاون ووعد بدراسة الموضوعات وتنفيذها.

وفى ختام اللقاء قدم سفير مملكة تايلاند شيكاً بمبلغ (١٥٠ ألف جنيه مصرى) مقدمة من الحكومة التايلاندية لدعم أنشطة الأزهر المختلفة.

قدم فضيلة الإمام الأكبر الشكر للحكومة التايلاندية على دعمها للأزهر الشريف.

الإمام الأكبر يرحب بزيارة العراق

رحب فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر بزيارة العراق عندما تتاح الظروف وذلك بعد توجيه الدعوة لفضيلته من قبل الشيخ/ صالح الحيدرى وزير الوقف الشيعى بالعراق والشيخ/ أحمد عبدالغفور السامرائى وزير الوقف السنى بالعراق.

وصرح السفير / محمد رفاعة الطهطاوى، المتحدث الرسمى للأزهر الشريف أن الزيارة ستأتى بدعم مصر والأزهر الشريف وسيذهب شيخ الأزهر ليس بصفته شيخاً للسنة بل شيخاً للمسلمين جميعاً. وذلك دعماً للوحدة الوطنية بالعراق خاصة بعد استقرار العراق وإزالة معظم أسباب التوتر.

وأكد خلال المؤتمر الصحفى الذى عقد بمشيخة الأزهر بحضور أحمد عبدالغفور السامرائى وزير الوقف السنى، وصالح الحيدرى، وزير الوقف الشيعى العراقى، مدى سعادة شيخ الأزهر بذلك اللقاء الذى اتضحت من خلاله أمور كثيرة.

وأضاف السفير أن العراق بلد العلم، وأهل العراق أهل علم، والعراق بلد العلماء والأئمة والشعراء، وهو ركن من أركان العالم الإسلامى الذى لا ينهض سوى بالعراق، مشيراً إلى أن المسلمين جميعا شيعة لأهل البيت مضيفا أن الإمام الأكبر أكد أن الأزهر بدأ شيعيا وهو الآن لكل المسلمين.

ومن جانبه قال الشيخ / أحمد عبدالغفور السامرائى، وزير الوقف السنى: إن اللقاء مع شيخ الأزهر كان لقاء استثنائياً بعد عدة زيارات لوزير الأوقاف الدكتور محمود حمدى زقزوق والدكتور على جمعة مفتى الجمهورية وأن اللقاء أثمر عن وضع الكثير من النقاط ووجدنا حماسا كبيرا من الإمام الأكبر ورغبة فى توضيح الوضع العراقى الآن وهو مندمج مع العراق ويبحث عن الساعة التى يفرح فيها العراق.

وأشار إلى أن الوفد تقدم بمذكرة لشيخ الأزهر بها العديد من وسائل التعاون وتبادل الخبرات ونشر الكتب الوسطية والاعتدال التى تحارب التطرف والتشدد، والزمالات الدراسية، مضيفاً أنهم لمسوا تفهم الإمام الأكبر لمشاكل العراقيين تفهماً كبيراً.

ومن جانبه قال صالح الحيدرى وزير الوقف الشيعى: إنه شرح للإمام الأكبر الوضع العراقى خاصة من الجانبين السنى والشيعى وتوحيد الصفوف وأننا نجحنا فى ذلك نجاحا كبيرا والجميع اتفق على أن التضامن والأخوة أمران أساسيان وأن الإمام الأكبر دعم تلك الجهود قائلا: نحن معكم، وأضاف وزير الوقف الشيعى أن دعم الإمام الأكبر هو عملية مهمة جداً تحقق الراحة الكاملة والاطمئنان الكبير للشعب العراقى بمختلف طوائفه، مشيراً أن العراق ينعم الآن بوحدة وطنية صادقة وأن ما يحدث من أعمال تخريبية هى لميليشيات من خارج العراق.

انتهاء اختبارات القدرات والذكاء لطلاب الشعبة الإسلامية

تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر تم الانتهاء من اختبارات القدرات والذكاء لاختيار الطلاب الدارسين فى الشعبة الإسلامية للعام الدراسى الحالى بالتعاون بين الأزهر الشريف ومركز بحوث الموهبة والإبداع بجامعة القاهرة.



حيث تم اختيار ٤٩٢ طالباً من ١٠ مناطق أزهرية وهي أسوان ٣٢ طالباً والأقصر ٤٢ طالباً وقنا ٣٩ طالباً وأسيوط ٣٧ طالباً وبني سويف ٥٢ طالباً والقاهرة ٤٦ طالباً والشرقية ٧٤ طالباً والدقهلية ٥٩ طالباً وبورسعيد ٤٦ طالباً والإسكندرية ٦٥ طالباً.

وصرح الدكتور عبدالدايم نصير مستشار فضيلة الإمام الأكبر أنه تم إعداد منهج متوازن يتضمن التراث الأصيل للأزهر بجانب العلوم العصرية بهدف التحصيل المتعمق لعلوم الدين واللغة العربية بجانب الإلمام الشامل بمعارف العصر وقضاياه مع إتاحة أفضل مصادر التعلم من الكتب والوسائط التعليمية.

وقال فضيلة الشيخ الطاهر محمد الطاهر مستشار فضيلة الإمام الأكبر إنه تم اختيار أفضل الطلاب من المتفوقين دراسياً وتم عقد امتحان اختبار للقدرات لاختيار الأفضل من الطلاب كما تم عقد دورات تدريبية للمدرسين خلال شهر رمضان الماضي لإعداد المدرس الموسوعي القادر على التدريس في هذه الشعبة.

وصرح الدكتور زين العابدين درويش المستشار بمركز بحوث الموهبة والإبداع والمشرف على الامتحانات بأنه تم اختيار الطلاب في مجالات الدعوة والفكر الديني من خلال اختبارات في قدرات الذكاء العام والإبداع والتفكير المنطقي وقدرات الاستدلال الرياضي وكفاءة المهارات اللغوية كما تم الاختبار في خصال الشخصية ومؤشرات اللياقة النفسية وكفاءة التعامل مع الواقع ومواجهة الضغوط والتوجه للمستقبل والثقة بالنفس.

أنباء مجمع البحوث الإسلامية

للأستاذين: عبدالموجود أمين - يحيى سليمان

لقاء فضيلة الإمام الأكبر بمبعوثي الأزهر

لقاء تاريخي شهدته قاعة المؤتمرات الكبرى بمركز مؤتمرات الأزهر بمدينة نصر يوم ٢٠١٠/٩/٢٢، شهد وضع أسس جديدة لعمل البعثات الأزهرية في العالم، حيث أكد فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر: أن مهمة المبعوث الأزهري مهمة تستوجب التشجيع، فهي مهمة ورسالة، وتمثل صورة الأزهر في الخارج بالإيجاب أو بالسلب، وأن الأزهر تحمل منذ نشأته مسئولية إرسال البعثات إلى مختلف دول العالم.

وقال فضيلته: إن مهمة رجل الأزهر تختلف عن أي مبعوث آخر، إنها مهمة رسالية، مهمة علمية ذات رسالة سامية..

وعلى هذا فالمطلوب من المبعوث الأزهري أن يكون رجلاً واثقاً من نفسه علمياً وخلقياً وأن يكون ذا سمعة طيبة، ونموذجاً يحتذى لرجل الدين، فمهمة مبعوث الأزهر مهمة سامية فهو يحمل علماً هو خير علوم الأرض.

وحث فضيلة الإمام الأكبر المبعوثين على تحمل المسئولية وأن يكونوا على استعداد كامل نفسياً وعقلياً لهذه المهمة السامية وأن يقدموا للعالم صورة الأزهري الملتزم، وأن يتذكروا دائماً أن الأزهر يعتمد المذاهب الفقهية الأربعة أساساً لعلومه.

وقال فضيلته: «عليكم أن تداوموا التفكير في العلم والأثر الطيب الذي ستتركونه خلفكم، والاهتمام بمداومة القراءة وطلب العلم والالتزام بأخلاق الإسلام وأن تتحدثوا باللغة العربية الفُصحى، وأن تكونوا جادين في عملكم وتستغلوا الوقت، وأن تُحسنوا إعداد الدروس التي ستلقونها على طلابكم، وأن تكونوا مستعدين للإجابة عن أي سؤال، والأهم من هذا كله أن تكونوا نموذجاً في العفاف وطهارة اليد وعدم الانطواء، فعليكم أن تذهبوا للناس، وتتحدثوا إليهم، وتتعرفوا على مشاكلهم وتقدموا لهم العون والمساعدة.



وأكد فضيلة الإمام الأكبر على تطبيق مبدأ الثواب والعقاب وأن النظام الجديد لاختيار المبعوثين مفتوح لكل من يرغب شريطة اجتياز الاختبارات التى توضع لذلك الغرض، وكل إنسان يستطيع أن يجتاز الاختبار العلمى والشخصى له الحق فى الإعارة.

وأعلن فضيلة الإمام الأكبر أنه تحدث مع رئيس مجلس الوزراء، ومع وزير المالية، بشأن زيادة مرتبات المبعوثين الأزهريين، وهناك قرار سوف يصدر قريبا فى هذا الصدد.

وحذر فضيلة الإمام الأكبر المبعوثين من أنه لن يتوانى فى مواجهة كل من يخطئ فى حق الأزهر والخروج على المستوى الأخلاقى والسمات الشخصية، وأن فضيلته لن يتردد لحظة فى إنهاء البعثة لمن تثبت عدم صلاحيته، وسيتم إعداد تقارير شهرية عن المبعوثين، ومن تُلغى إعارته لن يذهب مرة أخرى إلا بعد مرور عشر سنوات يتم بعدها تقييمه.

● **ثم تحدث الأستاذ الدكتور/ عبدالدايم نصير مستشار الإمام الأكبر لشئون التعليم قال:**

أتحدث إليكم على عجالة بشأن الرابطة العالمية لخريجى الأزهر، هذه الرابطة التى كانت فكرة فى عقل فضيلة الإمام الأكبر منذ أن كان مفتياً للديار المصرية، لقد كان لفقدان الترابط بين الأزهر وخريجيه على مستوى العالم وخصوصاً الذين يفدون إلينا من دول العالم، لتلقى العلم ثم يذهبون ولا يربطهم بالأزهر ولا جامعته أى رابط أو اتصال، فكان شغل الإمام الشاغل كيف يكون الاتصال بين الأزهر وأبنائه الذين تلقوا العلم فيه.

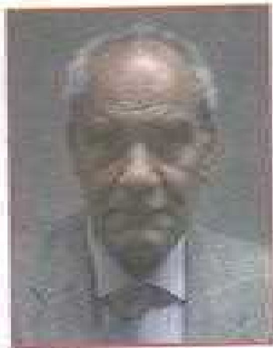
وبالبحث وجدنا أن هناك بعض الثغرات التى ربما نكون مقصرين فيها لكن دون قصد:

أولاً: الرعاية التى يتلقاها الوافد فى خلال سنوات تعليمه بالأزهر.

ثانياً: الترابط المفقود بين الأزهر وأبنائه خصوصاً بعد انتهاء فترة الدراسة.

ولا يكفى أن نفتح الأبواب أمام هؤلاء الطلاب لتلقى العلم، فلابد أن يكون هناك نظام للرعاية خارج الفصل الدراسى وقاعات الدرس.

والحمد لله بدأنا فى حل هذا الموضوع ونعمل على حل أى مشكلة تقابل الطالب الوافد بقدر الإمكان.



د. عبدالدايم نصير

وعن تحقيق التواصل والترابط مع خريجى الأزهر، قال الدكتور عبدالدايم نصير: بدأت الفكرة تخرج إلى النور عندما تولى شيخنا رئاسة الجامعة ثم كان أول ظهور لها فور توليه المشيخة وكان اللقاء بين الأزهر وأبنائه من مختلف بقاع الأرض، فقد جاءوا إلينا بشغف كى يستزيدوا من النهر الذى لا ينضب، من الأزهر الشريف، منارة العلوم الإسلامية والوسطية، جاءوا ليقفوا على مزيد من مستحدثات الأمور ونقلها إلى إخوانهم فى بلدانهم المختلفة.

الرابطة قناة اتصال بين الأزهر وأبنائه من مختلف دول العالم

وأذكر أن أحد خريجى الأزهر وهو يابانى تخرج فى الأزهر فى فترة الخمسينيات ويعمل أستاذاً للشريعة الإسلامية فى اليابان فى إحدى الجامعات هناك.. قال لى: إن الإنسان المسلم فى اليابان يعتقد أننى المرجعية الإسلامية الأولى فى اليابان لأننى خريج الأزهر، لذلك يأتى إلىّ بكثير من الموضوعات وتعرض علىّ وأقف عندها ولا أستطيع أن أفتى فيها بسبب مستحدثات العصر.

كنت أتمنى أن تكون هناك طريقة أو قناة اتصال بين الأزهر وخريجيه، وأخيراً حدث ذلك مع ظهور تلك الرابطة.

الرابطة وشبكة الإنترنت

مع الظهور الأول للرابطة قمنا بوضعها على شبكة الإنترنت ليسهل الاتصال السريع بين الرابطة وجميع خريجى الأزهر، وقد كان واتصلنا بأبناء الأزهر وحضروا المؤتمر الأول ونال استحسان الجميع.

رسالة الأزهر ودور الرابطة الداعم لها

إن رسالة الأزهر تقوم على الوسطية وتعدد المذاهب، قد يكون الجالس بجانبك الآن يتبع المذهب الشافعى، وأنت مالكى أو حنبلى أو حنفى، فلا ضرر من ذلك، هذه هى سمة من سمات الأزهر فلا عيب أو ضرر من ذلك طالما لا يخرج عن الثوابت، كما قال علماؤنا من قبل: نقبل بالآخر والتعدد فى الآراء؛ لأنه يثرى الفكر ويطور العقل ويجدد الدين باستمرار.



الرابطة ليست مؤتمراً، ولكن لها أنشطة عديدة وكبيرة بعضها مقدم للطالب الوافد وبعضها مقدم للمسلم على مستوى أنحاء العالم وبعض منها للخريج بعد انتهاء تعليمه.

لقد قامت الرابطة بعقد دورة تدريبية للأئمة السُّنَّة من أكراد العراق الذين أعربوا عن سعادتهم وطالبوا بالمزيد من تلك الدورات، وكذلك لبعض الأئمة الذين يحملون الجنسية البريطانية وأثنوا عليها ثناءً كبيراً، وفور انتهاء الدورة قدَّم إليهم فضيلة الإمام الزى الأزهرى كهدية.

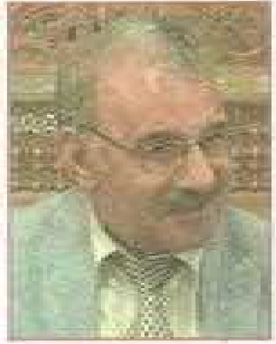
لقد كانت السعادة على وجوههم تفوق الوصف بالزى الأزهرى وإحساسهم بأنهم أصبحوا ينتمون لهذا الصرح الكبير.

أيضاً تقوم الرابطة بنشر البحوث والمقالات التى تُقدم لها والرد على ما ينشر ضد الإسلام والمسلمين.

وقال الدكتور نصير مخاطباً المبعوثين: إننى هنا لكى أذكركم بأن لكم دوراً مهماً فى دعم الرابطة، وهو دور ليس بالهين، وهو التواصل بين الرابطة وخريجى الأزهر فى تلك البلاد التى تذهبون إليها، عليك التعرف على خريج الأزهر فى تلك البلاد وتقديم يد العون إن احتاج لك. فأنت بمثابة مرجعية له يحتاجك وقت الحاجة فى التعبير أو الفتوى، وعند وقوفك على شىء قد التبس عليك أو شكَكَ فى فتوى ربما تكون غير واثق منها، عليك بالاتصال بالرابطة التى تدعمك بالرأى السديد وتوصيله إلى صاحب السؤال أو الفتوى.

إن الرابطة تدعمك فى عملك وتشد من أزرك وتساعدك على التواصل مع أهل البلاد، إنه دور جديد يسند إليك ويساعدك فى نفس الوقت فى دورك على أكمل وجه، وأدعو الله لكم بالتوفيق فى مهمتكم.

.. وشكراً..............


د. محمود عزب

● **وتحدث الأستاذ الدكتور/ محمود عزب مستشار شيخ الأزهر للحوار قائلاً:**

أنصحكم بالتواصل مع أهل البلاد التى سوف تذهبون إليها.. تعلَّموا لغتهم، واجعلوا حواركم معهم بالحسنى، ولا تتدخلوا فيما لا يعنيكم، فلا داعى لمجادلات لا طائل منها، لن تعود عليكم ولا على رسالتكم بشىء، فلديكم الكثير لكى تقدموه لهم، فلا تهدروا طاقاتكم فى أمور قد تفقدكم التركيز، وتبعدكم عن مهمتكم الأساسية.. إن التواصل مع الآخر مهم جداً، وأقصد هنا الأجانب الذين يقومون بنفس دوركم هناك مهما كانت جنسياتهم.

ليجعل كل منكم تواصله بحوار راق، وليس صداماً، فأنت لست ذاهباً لكى تحارب، أو تكسب أرضاً، لست جندياً يحمل سلاحاً، بل داعية وعالم.

أذكر أننى عندما ذهبت إلى تشاد وجدت أستاذاً جامعياً فرنسياً هناك، وهو مستشرق يدرس العربية والإسلام فى جامعة نجامينا عاصمة تشاد، ذهبت إليه وتحدثت معه كأزهرى عربى مسلم يجيد العربية والفرنسية، قلت له: أنا شريك لك فى العلم، ولست خصماً أو عدواً، افعل ما شئت من أجل رسالتك ورسالة بلدك، وأنا أفعل ما أريد من أجل رسالة الأزهر ورسالة بلدى.

واستمر الحال بيننا على هذا النحو مدة ثلاث سنوات دون أى صدام، بل وصرنا أصدقاء صداقة استحسنها الجميع، إنها لغة الحوار مع الآخر.

وأخيراً وليس آخراً عليك ألا تتصادم مع أهل البلاد التى ستذهب إليها فى العقيدة أو المذهب، حتى لا تخسر كثيراً، فلا تُدخل الأزهر أو نفسك فى صدام لا طائل منه، أخرج العقيدة من حوارك، فهناك ثوابت لا تُناقش ولا تُجادل مثل القرآن والسُّنَّة والنبوة والأنبياء، فهى من الثوابت، أما ما دون ذلك فهو للحوار والنقاش الراقى بدون تعصب أو حدَّة، وأدعو لكم بالتوفيق والنجاح فى مهمتكم وشكراً.

● **ثم تحدث فضيلة الشيخ على عبدالباقى - الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية - فقال:**

إن دور الأزهر الشريف كبير جداً فى نشر الإسلام، فالأزهر قلعة شامخة لن ينال منها أى إنسان.

والأزهر هو المؤسسة الإسلامية التعليمية الأولي في العالم كله ولا توجد أي مؤسسة أخرى مؤهلة للقيام بالدور الذي يقوم به الأزهر المعتدل البعيد عن العصبية والتشدد، بعض الناس تخيلوا يوماً أنهم سوف ينافسون الأزهر ويحلون مكانه ويأخذون دوره بما يملكون من إمكانات، فأنشأوا مؤسسات إسلامية ودعموها بالنفيس والغالى ووفروا كل الإمكانات المتاحة لديهم.

تناسى أصحاب هذه المؤسسات ما للأزهر من تاريخ، وأن له الرفعة والعُلُو مهما علوا، لأن من



الشيخ على عبدالباقى

أسسوا هذه المؤسسات إما تعلموا فى الأزهر مباشرة أو تعلموا على يد من تعلموا فى الأزهر.

هذه المناقشة العلمية التى ظهرت على السطح ظن من قاموا بها أنها فى صالحهم وتناسوا حقيقة واضحة وضوح الشمس، وهى أن الأزهر قلعة شامخة تضرب جذورها فى عمق التاريخ برغم ما ينفقه هؤلاء وما يشيدونه من منشآت عديدة فى الخارج، لكن يظل كل هذا صغيرا جداً فى نفوس المسلمين فى الخارج.

إن مكانة الأزهر فى نفوس المسلمين كبيرة جداً لن يصل إليها غيره مهما فعلوا والدليل على ذلك عندما سافرت إلى تنزانيا كان هناك مركز إسلامى يحاول أن ينافس مشايخ الأزهر هناك، وعندما اشتدت المناقشة من المركز لمشايخ الأزهر وقف رجل من زنجبار من ذوى الأصول العربية كان يدعى الشيخ مسعود وقال بملء فيه: أين كانت دولة كذا صاحبة المركز وقت أن كان يعلمنا الشيخ أحمد التركى ؟!.. هذا هو الأزهر منذ الأزل، هذه عظمة الأزهر، وجذوره التى تمتد عبر التاريخ.

إنهم يغالطون أنفسهم

عندما تذهب إلى الدولة التى أُغرت إليها لتعليم أبنائها سوف تجد الفرق وتحسه، سوف تذهب إلى معهدك تدرس فيه علوم الأزهر للبسطاء من أهل تلك البلاد، وسوف تلاحظ المراكز الأخرى.. مبان فخمة وعلى أحدث طراز، كل هذه المغريات المقدمة من تلك المراكز لم تستطع أن تجذب أهل البلاد.

لذا عندما يقام حفل فى إحدى المناسبات يكون حريصاً جداً على مشاركة أهل البلاد فيدعو إليها بشتى الطرق ويحرص على دعوة المبعوث الأزهرى صاحب تلك العمامة لأنه يعلم ما لهذا الزى من تأثير فى نفوس الناس هناك، إنه زى أزهرى، ورجال الأزهر، هذا ما سوف تحسونه وتشعرون به.

إن الإسلام انتشر فى أفريقيا وآسيا عن طريق التاجر الصالح والمسلم الصادق الأمين ذو السيرة الحسنة الطيبة.

هذا هو دورك الذى أُرسلت له، فكن على مستوى المسئولية والرسالة التى أُرسلت لها، دور الإسلام هو الإصلاح لا زيادة الصراعات.

وأخيراً وليس آخراً، سوف تُدعى إلى احتفال ما وسوف يقوم أحدهم بالتطاول والهجوم على مصر، وأنت موجود، وهو ما يحلو للبعض من المتطاولين، هنا يجب أن تقف ولا تسمح له مهما علا شأنه أو قدره، ولا تسمح بذلك أبداً، عليك أن تضع الأمور فى نصابها متحليا بالحكمة ولا تترك لأحد أى مجال ليقدح أو يذكر ما يشين بلدك، فأنت تمثل مصر، ولتعلم أن الحق فوق الجميع.

.. وأخيراً أتمنى لكم التوفيق فى عملكم..........



وزير الأوقاف يلقى كلمة المسلمين فى الملتقى الدولى للتعايش ببرشلونة



د. محمود حمدى زقزوق

(الكل يعيشون معاً فى الأزمات) كان هذا عنوان المؤتمر السنوى الدولى للتعايش والذى عقد بمدينة برشلونة بأسبانيا والذى حضره وزير الأوقاف المصرى الأستاذ الدكتور/ محمود حمدى زقزوق والذى ألقى كلمة مصر وشارك فى مناقشات الملتقى حول قضايا الحوار والأمن، وشرح تجربة مصر فى التعايش بين ثقافات متنوعة.

وركز د. زقزوق فى كلمته على المنهج الإسلامى فى الحوار مع الآخر بالحسنى والمجادلة بالتى هى أحسن ودعوته السابقة للتعايش بين جميع الأديان والثقافات والحضارات وشروط الحوار الجاد الذى يحتاجه العالم المعاصر لتحقيق أمنه واستقراره.. واستعرض وزير الأوقاف التجربة المصرية الرائدة فى احتواء جميع المذاهب والتيارات الدينية والثقافية والسياسية دون انحياز أو تعصب وكيف استطاعت مصر على مدى تاريخها الحفاظ على تماسكها ووحدتها الوطنية.

المدير العام للإيسيسكو فى افتتاح اجتماع لجنة التراث الإسلامى:

التحديات التى تهدد التراث الإسلامى تتفاقم

أعلن الدكتور عبدالعزيز بن عثمان التويجرى المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «إيسيسكو» أن الاجتماع الأول للجنة التراث الإسلامى ينعقد فى وقت تتعاظم فيه التحديات التى تهدد التراث الإسلامى من كافة النواحى من جراء عوامل كثيرة أخطرها الاحتلال



والحروب المدمرة التي يتعرض لها عدد من البلدان الإسلامية وفي مقدمتها الحرب العدوانية الإجرامية التي تواصل سلطات الاحتلال الإسرائيلي شنها على الشعب الفلسطيني الصامد والتي توجهها خلفيات دينية عنصرية ومزاعم تاريخية باطلة وسياسات قمعية توسعية تنتهك القانون الدولي وتضرب القيم الإنسانية النبيلة وتنتهك مبادئ القانون الدولي التي منها حماية التراث الثقافي والحضاري الإنساني مشيرا إلى أن العولمة تشكل بوسائلها التعبيرية وأهدافها التوسعية أحد هذه التحديات التي ينبغي مواجهتها وخاصة إنها لم تكتف بالسعي إلى الهيمنة الاقتصادية وانما تسعى إلى زعزعة الثوابت الثقافية والخصوصيات الحضارية للمجتمعات الإنسانية بصورة عامة مع ما يستصحبه ذلك من محاولات لإلغاء التاريخ وتزييف تراث الشعوب والأمم.. وقال في كلمته: لابد للأمة الإسلامية من مبادرة هادفة تحفظ تراثها وتحافظ على هويتها وتعيد لشخصيتها الحضارية اعتبارها فبادرت «الإيسيسكو» إدراكا منها للمسئولية الملقاة على عاتقها في إطار اختصاصاتها إلى تعزيز جهودها في هذا المجال.

معرض دائم للمصحف الشريف والمخطوطات الإسلامية بكازاخستان

يستضيف المتحف الرئاسي بمدينة أسطنة عاصمة جمهورية كازاخستان معرضا دائما خاصا للمصحف الشريف والمخطوطات الإسلامية من مختلف العصور لتعريف رواد المتحف بالمخطوطات الإسلامية.

يتضمن المعرض عدة مصاحف تعود لأكثر من ٤ قرون من الزمان كما يضم نسخة من المصحف

الشريف كان برفقة رائد فضاء كازاخستاني هبط على سطح القمر.

اقيم المعرض الذي شهد إقبالا كبيرا من زوار المتحف داخل إحدى قاعات الطابق الثاني بالقصر الرئاسي القديم بمدينة «أسطنة» والذي حوله الرئيس نور سلطان نزار بايف إلى متحف لكل مقتنيات رئاسة الجمهورية كشاهد على مرحلة إعادة بناء الدولة الحديثة ما بعد الاستقلال عن الاتحاد السوفيتي السابق في عام ١٩٩١.

بعد زيارته.. الرابطة العالمية لخريجي الأزهر:

مفتي مسلمي بولندا يشيد بوسطية الأزهر واعتداله

أشاد الشيخ طوماش ميشكيفيش مفتي مسلمي بولندا بوسطية الأزهر واعتداله ودوره العالمي في خدمة المسلمين، جاء ذلك أثناء زيارته للرابطة العالمية لخريجي الأزهر ولقائه بالدكتور محمد عبدالفضيل القوصي والسيد أسامة ياسين رئيس مجلس الادارة.

وأكد سعادته الغامرة لزيارة هذا الصرح الذي يعتبر صوت الأزهر المسموع عالميا، مشيدا بجهود الرابطة في إرساء منهج الوسطية والاعتدال.

وحث مفتي بولندا مسئولي الرابطة العمل على تأهيل أئمة ودعاة بولندا سواء بالقاهرة أو التفضل بإرسال علماء لهم في بولندا.

وتناول الحوار دور الرابطة في نقل فكر الأزهر إلى العالم بلغته وتصحيح الأفكار المغلوطة والتواصل مع الدوائر العلمية العالمية.

أكد الدكتور محمد عبدالفضيل القوصي أن الرابطة تستهدف نشر المنهج الإسلامي المعتدل وتعمل على ترسيخ قيم ومبادئ الدين الحنيف في كل بلدان العالم، وذلك من خلال التواصل مع خريجي الأزهر والذين يعتبرون سفراء للأزهر والإسلام في بلدانهم.

وأوضح أن الرابطة تستهدف احتضان الأئمة والدعاة على مستوى العالم، حيث تنظم لهم دورات تدريبية، يدرس فيها صحيح الدين، مؤكداً أنه يتم خلال هذه الدورات إعادة صياغة عقول الأئمة وترتيب أولوياتهم بعيداً عن التركيز على الشكليات وقال: سبق للرابطة تنظيم دورات لأئمة كردستان العراق وبريطانيا وأفغانستان.

كما ألقى السيد أسامة ياسين الضوء على عمل الرابطة وجهدها موضحا أن الرابطة تضع الطلاب الوافدين نصب عينها وأن الرابطة تعمل على التواصل معهم حيث شيدت الرابطة مركزا خاصا بداخلها للتواصل مع خريجي الأزهر من الطلاب الوافدين وربطهم بالأزهر.

وفي نهاية الزيارة أهدى مفتي بولندا الرابطة كتاباً تذكاريا عن حياة المسلمين في بولندا مؤكداً التسامح الذي يسود الحياة في بولندا بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى..

دعوة إسلامية للأمم المتحدة لتجريم الإساءة إلى الأديان

دعت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «إيسيسكو» الأمم المتحدة إلى إصدار قانون دولي يجرم الإساءة إلى الأديان بأى شكل من الأشكال وتحت أى ظرف من الظروف.

وقالت الإيسيسكو فى بيان لها: إن دعوة كنيسة دوف وورلد اوتريش سنتر فى ولاية فلوريدا الامريكية لإحراق نسخ من القرآن الكريم فى ذكرى هجمات ١١ سبتمبر التى أدانها العديد من رؤساء الكنائس المسيحية ورجال الدين المسيحى واليهودى كما أدانتها المفوضية الأوروبية والحكومة الامريكية والمجلس البابوى للحوار بين الأديان، ووقف العالم الإسلامى كله منددا بها، هى حافز جديد يدعو إلى اتخاذ اجراءات عملية لتجريم كل عمل يسىء إلى الأديان والمقدسات الدينية التى تؤمن بها شعوب العالم وتعتز بها، إلى اعتبار ذلك خارجا عن القانون الدولى.

وقالت الإيسيسكو أيضا: لقد اتضح لكل منصف فى العالم أن تكرار الهجوم على الإسلام ومقدساته دليل على غياب الروادع القانونية الدولية والمحلية التى تمنع أصحاب الدعاوى العنصرية والمواقف العدائية من القيام بهذه الأعمال المنافية لكل خلق حميد والمناهضة لكل مبدأ إنسانى قويم.

للعام الـ ١٤ على التوالى:

مساجد ألمانيا تفتح أبوابها لغير المسلمين

قررت الجالية المسلمة فى ألمانيا فتح مساجدها أمام الزوار من الديانات الأخرى للتعرف على أوضاعها عبر مناقشات وجولات داخل تلك المساجد.

صرح على كيزيلكايا عضو مجلس تنسيق الروابط الإسلامية بأن المساجد التى تفتح أبوابها يبلغ عددها ٤٢٧ مسجدا ستشارك فيما يعرف بـ «يوم المساجد المفتوحة»، وأوضح أنه من المحاور الرئيسية للحوار هذا العام تسليط الضوء على القرآن وحلوله لمشكلات العصر ونظرته المتسامحة لغير المسلمين.

جدير بالذكر أنه يتم تنظيم «يوم المساجد المفتوحة» منذ عام ١٩٩٧م فى يوم الوحدة الألمانية الذى يحتفل به الألمان كل عام فى الثالث من أكتوبر، وتم اختيار هذا اليوم لإبراز أهمية التفاهم بين الأديان المختلفة فى ألمانيا.

مصرى.. أول مسابقة الفاتح العالمية لحفظ القرآن الكريم

فاز عزت السيد محمد على.. مصرى بالمركز الأول فى مسابقة الفاتح العالمية حفظ القرآن الكريم وتجويده من بين ١٤٠ متسابقا يمثلون ٧٣ دولة.. وحصل على تقدير ممتاز وبلغت قيمة

الجائزة ٢٥ ألف دينار ليبى.

كانت المسابقة التى تنظمها الجماهيرية الليبية قد اختتمت دورتها السابقة بحفل كبير حضره وزير الشئون الاجتماعية الليبى.

وزراء خارجية الدول الإسلامية يبحثون قضايا فلسطين والصومال

ناقشت الاجتماعات التنسيقية السنوية لوزراء خارجية الدول الإسلامية المنعقدة فى نيويورك بمقر الأمم المتحدة قضايا المنطقة العربية، وفى مقدمتها الأوضاع فى الأراضى المحتلة والصومال وكانت اللجنة السداسية الخاصة بفلسطين والتابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامى بمشاركة مصر وباكستان والسنغال وغينيا وماليزيا قد رفعت مجموعة من التوصيات للاجتماع التنسيقى لوزراء خارجية الدول الأعضاء بالمنظمة مؤكدة فيها مركزية قضية القدس الشريف وضرورة المحافظة على طابعها العربى والإسلامى، وعدم شرعية الإجراءات الإسرائيلية الهادفة إلى تهويد القدس وتأكيد الممارسات الاستيطانية غير القانونية داخل الأراضى الفلسطينية.

كما دعت اللجنة المجتمع الدولى لتحمل مسئولياته فى معاقبة إسرائيل لاعتدائها على قافلة الحرية والضغط على إسرائيل لرفع الحصار المفروض على قطاع غزة.

ودعا البيان الدول الأعضاء بالمنظمة إلى منع أى منتج من منتجات المستوطنات الإسرائيلية من دخول أسواقها وفرض عقوبات على الشركات والهيئات التى تسهم فى بناء الجدار.

جامع السلطان قابوس الأكبر فى مسقط يتصدر معرض «ملامح.. من عمان بالقاهرة»

يعد جامع السلطان قابوس الأكبر فى سلطنة عمان معلماً إسلامياً متميزاً على صعيد الأمة الإسلامية جمعاء وليس فى السلطنة فحسب ولذلك تصدرت صور الجامع المعرض الذى نظمته فى القاهرة جمعية الصحفيين العمانية تحت عنوان «ملامح من عمان»، وأقيمت احتفالية افتتاحية بصالة الفنون التشكيلية بدار الأوبرا المصرية تحت رعاية رئيس مجلس الشعب وبحضور السفير الشيخ خليفة بن على بن عيسى الحارثى سفير سلطنة عمان لدى مصر والمندوب الدائم لدى جامعة الدول العربية.

جاءت إقامة المعرض فى إطار التمهيد لاحتفالات السلطنة بالعيد الوطنى الأربعين فى الثامن من نوفمبر المقبل.

«هيومان رايتس» تدعو إسرائيل إلى تجميد البناء الاستيطانى

دعت منظمة «هيومان رايتس ووتش» المعنية بحقوق الإنسان حول العالم ومقرها الولايات المتحدة إسرائيل إلى تجميد «كامل ودائم» لأعمال البناء فى المستوطنات بالضفة الغربية.

وقالت المنظمة فى بيان لها أورده راديو هيئة الإذاعة البريطانية «بى. بى. سى»: إن على

إسرائيل أن تجعل التجميد الجزئي لأعمال البناء في المستوطنات اليهودية في الضفة الغربية دائما وكاملا، ويشير بيان المنظمة إلى أن إسرائيل «تنتهك التزاماتها كقوة محتلة وتنتهك حقوق الفلسطينيين في الضفة الغربية، لاسيما عبر تقييد قدرتهم على بناء منازل والوصول إلى أراضيهم.

وأضاف البيان: إن القادة الإسرائيليين يتحدثون عن تجميد محدود للاستيطان باعتباره تنازلا سياسيا في حين أن أعمال البناء غير شرعية في الواقع.

ولاية أمريكية تطارد الإسلام في كتبها الدراسية

تبنت السلطات التنفيذية المكلفة بمسائل التعليم في ولاية تكساس جنوب الولايات المتحدة قرارا يهدف إلى ملاحقة ما اعتبرته كتبا مؤيدة للإسلام في مناهج التعليم.

ورأت هيئة التعليم التي تقوم بمهام وزارة التربية في الولاية أن الكتب المدرسية الحالية في الولاية تتضمن إشادة مبررة سياسيا بالثقافة الإسلامية وتنديدا بالحضارة المسيحية، وحذرت من أن معاملة تمييزية للديانات يمكن أن تتفاقم لأن جزءا من كتب التعليم العامة تم شراؤه من قبل أشخاص من الشرق الأوسط.

وقال معارضو القرار الذي اعتمد بسبعة أصوات مقابل ستة: إنها محاولة جديدة لتسييس التعليم من قبل هذه الهيئة.

وكانت هيئة التعليم في تكساس أمرت قبل شهر من الدراسة بأن تركز برامج التعليم على الرأسمالية وقيم الحزب الجمهوري وشككت في مبدأ الفصل بين الكنيسة والدولة كأساس للولايات المتحدة.

مجندة صهيونية

استمتع بقتل العرب وذبحهم.. وهذه قناعة راسخة

نقل موقع صحيفة «ها أرتس» الصهيونية عن المجندة الصهيونية التي نشرت صورها مع معتقلين فلسطينيين قولها استمتع بقتل العرب، وحتى ذبحهم ولا قوانين في الحرب.

وتابعت المجندة: الموضوع لا يتعلق هنا بالمزاج إنما يتعلق بقناعة راسخة لدى وهكذا يفكر معظم جنود الجيش الإسرائيلي.

كانت المجندة الصهيونية سببت حرجا للجيش الصهيوني عندما نشرت صورها في صفحتها على فيس بوك وتظهر فيها مبتسمة إلى جانب معتقلين فلسطينيين معصوبي الأعين ومقيدي الأيدي وكتبت تحت الصور أجمل فترة في حياتي.

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم

أحمد السيد تقي الدين

فصاحته (ﷺ)

من الأستاذ: شعبان عبدالعال إبراهيم ـ المنيا ـ بني حسن ـ الشروق:

كان رسول الله (ﷺ) أفصح العرب، كان يتكلم بجوامع الكلم وبدائع الحكم ويدعو إلى الحق وينطق بالحكمة وعنه (ﷺ) أنه قال: «إن الله عز وجل أدبني فأحسن أدبي» ونشأت في بني سعد أي إن أدب الرسول (ﷺ) لم يكن مثل بقية أدب الناس، فإن كل إنسان إما أن يؤدبه أبواه أو يؤدبه معلم.. ولكن كان مؤدب الرسول (ﷺ) هو رب العزة فلنتصور كيف يكون أدب من كان مؤدبه خالق الكون، ثم نشأته (ﷺ) في بني سعد وهم المتصفون بالفصاحة في الكلام.. هذا بالإضافة إلى مولده (ﷺ) في قريش وهم البلغاء، وأقوى من نطق بالضاد ولذلك نزل فيهم القرآن الذي جمع بين دفتيه أقوى ألوان البيان والفصاحة والبلاغة ليتحدى به قريش أبلغ العرب وأفصحهم بيانا ونطقا بالعربية، ومن هنا كانت فصاحة رسول الله (ﷺ).. وقال (ﷺ): «بعثت بجوامع الكلم» (البخاري ـ أحمد ـ مسلم).. أي بعثني ربي بكل فصيح وبليغ ـ وأتحدث إلى جميع قبائل العرب كل قبيلة بلهجتها وكأني نشأت في وسطهم وتعلمت منهم وقد روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال له (ﷺ) يا رسول الله ما بالك أفصحنا، قال: «لأن كلام إسماعيل عليه السلام كان درس فأتى به جبريل عليه السلام فعلمنيه» والمعنى أنه عندما سأل عمر بن الخطاب عن سر فصاحته (ﷺ) أخبره (ﷺ) أن كلام إسماعيل عليه السلام وهو أول من نطق بالعربية كان قد انتهى ونساه الناس، ولكن أتى به جبريل عليه السلام فعلمه للرسول (ﷺ) وبهذا نعلم أن أدبه وفصاحته (ﷺ) لم تكن من تعليم بشر ـ وإنما هي من تعليم الله سبحانه وتعالى.. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما سمعت كلمة عربية من العرب إلا وقد سمعتها من رسول الله (ﷺ) وسمعته يقول: «مات حتف أنفه» وما سمعتها من عربي قبله.. اللهم صل وسلم على سيدنا محمد الذي قلت له:

﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾

الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم

تحت هذا العنوان جاءت كلمة الأستاذ/ محمد عباس محمد عرابى:

إننا نعيش عصر العلم والتقنية الرفيعة، التى استطاع الإنسان من خلالها ارتياد الفضاء، ودخول عصر الهندسة الوراثية، والليزر والحاسب الآلى، وثورة الاتصالات والمعلومات، ومع ذلك تبقى الحقيقة الثابتة «أنه كلما تقدم العلم خطوة للأمام كلما زاد اليقين بما جاء به القرآن».

ففى الكون أسرار كثيرة لم يكن العلماء قديما يعلمون عنها شيئاً، ولا يعرف العلماء عنها فى عصر العلم الحديث إلا القليل، وسيكشف العلماء كل يوم ما هو جديد، وكل ما كشفه العلماء طابق ما جاء به القرآن الكريم منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام.

ونحن نعيش فى عصر العلم يتحتم على المسلمين خاصة العلماء منهم الاستفادة بمعطيات العلم فى توسيع مدلول الآيات التى تتحدث عن علوم الكون.. ويستحيل أن تتعارض حقيقة علمية ثابتة وأصيلة مع نص قرآنى، ولأن القرآن كتاب الله المسطور، والكون كتاب الله المنظور، والإسلام دين الفطرة، ونحن لا نثبت القرآن بالعلم، بل على العلم أن يلتمس صحته من القرآن، ومن ثم لا يجب أن نجر الآية جراً لكى تتفق مع المكتشفات، أو نفسر القرآن على وجه خطأ حتى يتفق مع مدلول ما نعتقد أنه حقيقة علمية، بل نقبل ما كان حقيقة من العلم، ومتفقا مع ظاهر الآيات القرآنية، وقد يخطئ النص العلمى أما النص الدينى فهو الصحيح.

وعند تناول الحقائق العلمية فى ضوء القرآن الكريم يلزم التنبيه على أن القرآن يأتى بالكليات ويترك للناس البحث عن جزئياتها، ويتناول القرآن الحقائق العلمية من أعلى، أما العلم فيتناول الأشياء من أسفل حتى يصل إلى الحقيقة.

ومن العجيب أن جميع القضايا العلمية التى تناولها القرآن جاء الناس وتناولوها أيضاً، فقد أخبر القرآن أن الذين كفروا سيتناولون قضية خلق السماوات والأرض، مع أنهم لم يكونوا مشاهدين لها.. وحدث بعد ذلك أن تناولوها.. وغيرها من القضايا.

ويجب أن يطمئن قلب المسلم حينما يعلم أن أساسيات العلم قد أشار إليها القرآن إشارات صريحة أو تلميحا، فلقد أشار القرآن إلى خلق السماوات والأرض من فتق الرتق، وإلى اتساع الكون، ونهايته، وأشار إلى كروية الأرض ودورانها، وإنقاصها من أطرافها، وأشار إلى ثقل جوفها، وأقطارها، ودور جبالها فى إرسائها واتزانها.

ويتيه المسلم عجباً وسروراً بآيات القرآن الكونية التى تتحدث عن الجبال والبحار والزلازل والكون بصفة عامة فيشير إلى أعمدة السماء التى لا تُرى، وظلمة الكون وانسلاخ النهار منها، وتعدد الشموس والأقمار، ودورة حياة النجوم، بل إن القرآن قد أشار إلى النسبية العامة والخاصة، وأشار إلى النجم الطارق الثاقب، والخُنّس الجوار الكُنّس، وعن صناعة الفلك المشحون، وارتياد الفضاء، وركوب طبق عن طبق.

وإشارات القرآن فى الخلق لا تخفى على عاقل، فلقد تحدث القرآن عن مراحل خلق الإنسان من التراب والطين والنطفة والعلقة والعظام واللحم، والقرآن يتحدث من قاعدة عموم الزوجية، وعن عالم الأحياء غير الإنسان حيث البعوضة يُضرب المثل بها، ليس لتفاهتها، ولكن لموقعها فى تقسيم الحيوانات التى لا يعلمها إلا العالمون، وفى النملة الناصحة لقومها ومساكنها رائعة البناء، وفى النحلة المذللة سُبلها، والشفاء الذى يخرج من بطونها، وفى وهن بيت العنكبوت، وفى الذبابة التى تثبت عجز البشر عن خلقها أو حتى الحصول على ما تسلبه الذبابة منهم، وتتجلى آيات الإعجاز فى خلق الدواب وبثها، وأزواج النبات وتنوعاتها وشقوق الحجارة وخشوعها، ورجع السماء، وصدع الأرض.

ما أروع رحلة الإيمان مع القرآن فى أعماق الكون مع الأرض والكواكب والنجوم والخلق، رحلة يرى الناس فيها آيات الله فى الأنفس والآفاق.

الجديد فى تفسير القرآن الكريم

وتحت هذا العنوان جاءت كلمة الأستاذ الدكتور/ سميح أحمد محمود إبراهيم أستاذ الإحصاء الإسلامى ـ كلية التجارة ـ جامعة الزقازيق:

يقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (41) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (42) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾

«سورة الأحزاب ـ الآيات ٤١ ـ ٤٣»

ومن أسمى المعانى العظيمة التى تتضمنها هذه الآيات القرآنية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى وملائكته يصلون على المؤمنين.. وبعبارة أخرى تدل هذه الآيات القرآنية الكريمة على العلاقة القوية بين المؤمنين وصلوات الله تعالى وملائكته عليهم.. وبعبارة ثالثة فإنه يمكن القول إن الإيمان يرتبط ارتباطاً وثيقاً بصلوات الله تعالى والملائكة على المؤمنين وبالتالى فإذا أراد الإنسان أن يحظى بصلوات الله والملائكة عليه فليبادر بالدخول إلى رحاب الإيمان.. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يقول الحق جل وعلا فى محكم التنزيل:

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

«سورة الأحزاب ـ الآية ٥٦»

وتبين هذه الآية القرآنية الكريمة الأمر الإلهي للمؤمنين بالصلاة والسلام على النبي (ﷺ).. وبعبارة أخرى توضح هذه الآية القرآنية الكريمة العلاقة القوية بين الإيمان والصلاة والسلام على النبي ﷺ.. وبعبارة ثالثة فإنه يمكن القول إن الصلاة والسلام على النبي ﷺ عبارة عن مقياس الإيمان. فإذا أراد الإنسان أن يعرف مقدار إيمانه عليه أن يعرف عدد مرات الصلوات والتسليمات على خير البرية وسيد البشرية سيدنا محمد (ﷺ).. فعندما يزيد عدد هذه المرات تزيد درجة الإيمان وعندما يقل عدد هذه المرات تقل درجة الإيمان.. ونخلص مما سبق إلى أن الإيمان من ناحية يرتبط ارتباطاً تاماً بصلوات الله تعالى وملائكته على المؤمنين وصلوات وسلامات المؤمنين على النبي المجتبى والرسول المصطفى (ﷺ) من ناحية أخرى.. وفي هذا المجال فإنني أدعو الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها إلى كثرة الصلاة والسلام على النبي (ﷺ) لتتحقق لهم صفة الإيمان التي تجعلهم من الفائزين بصلوات الله تعالى وملائكته عليهم والله أعلم.. والله ولي التوفيق.

القاضي عياض[1]

وجاءت هذه الكلمة من الأستاذ / صالح البيطار تعريفا بالإمام القاضي عياض رحمه الله يقول:

هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي، الإمام العلامة، يكنى أبا الفضل، أندلسي الأصل.

قال ولده محمد: كان أجدادنا في القديم بالأندلس، ثم انتقلوا إلى مدينة فاس وكان لهم استقرار بالقيروان لا أدري قبل حلولهم بالأندلس أو بعد ذلك.

وانتقل عمرون إلى سبتة بعد سكنى فاس.

وكان القاضي أبو الفضل إمام وقته في الحديث وعلومه، عالما بالتفسير وجميع علومه، فقيها أصوليا عالما بالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم، بصيرا بالأحكام، عاقدا للشروط، بصيرا حافظا لمذهب مالك رحمه الله تعالى، شاعرا مجيدا، خطيبا بليغا صبورا حليما جميل العشرة، جوادا سمحا كثير الصدقة، دؤوبا على العمل، صلبا في الحق.

رحل إلى الأندلس سنة تسع وخمسمائة

(١) نقلا عن كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب للعلامة برهان الدين بن فرحون المالكي.

طالبا العلم. فأخذ بقرطبة عن القاضي أبي عبد الله محمد بن علي بن حمدين، وأبي الحسين بن سراج، وعن أبي محمد بن عتاب وغيرهم وأجاز له أبو علي الغساني، وأخذ بالمشرق عن القاضي أبي علي حسين بن محمد الصدفي وغيره، وعني بلقاء الشيوخ والأخذ عنهم، وأخذ عن أبي عبد الله المازني: كتب إليه يستجيزه، وأجاز له الشيخ أبو بكر الطرطوشي.

ومن شيوخه:

القاضي أبو الوليد بن رشد.

قال صاحب الصلة البشكوالية: وأظنه سمع عن أبي زيد، وقد اجتمع له من الشيوخ بين من سمع منه وبين من أجاز له مائة شيخ وذكر ولده محمد منهم: أحمد بن بقي، وأحمد بن محمد بن محمد بن مكحول، وأبو الطاهر أحمد بن محمد السلفي، والحسن بن محمد بن سكرة، والقاضي أبو بكر بن العربي، والحسن بن علي بن طريف، وخلف بن إبراهيم بن النحاس، ومحمد بن أحمد بن الحاج القرطبي، و عبد الله بن محمد الخشني وغيرهم ممن يطول ذكرهم.

إبراهيم اللقاني.. تلميذ جمال الدين الأفغاني

وتحت هذا العنوان جاءت كلمة الأستاذ / فرج مجاهد عبدالوهاب عضو اتحاد الكتاب ـ شربين ـ دقهلية:

كثير من أبناء هذا الجيل، وربما الجيل السابق، لا يعرف من هو إبراهيم اللقاني إلا أنه اسم شارع في حي مصر الجديدة بالقاهرة، لكن الشخص فالتراجم عنه قليلة ولم يعرف له من كتابات باستثناء كتاباته في جريدة مرآة الشرق اليومية ١٨٧٨ و١٨٧٩ التي تركها بعد رحيل أستاذه جمال الدين الأفغاني، وكان محامياً بارعاً أيد الثورة العرابية فحكم عليه بالنفي إلى سوريا مع الشيخ محمد عبده حيث أمضى هناك ثلاثة سنوات ثم أعيد قيده أمام المحاكم الأهلية في يناير ١٨٨٩.

ويعطي أسلوب اللقاني وكتاباته صورة للمنهج الفكري الذي أثاره في مصر والعالم الإسلامي كله السيد جمال الدين الأفغاني، وتميز إبراهيم اللقاني بعمق الإيمان وصدق الحماسة والثبات على العقيدة.

وكان الوضوح والصراحة عنده من الأسباب التي ساهمت في القضاء على اندفاع الخديوي توفيق وراء مشورة القنصل البريطاني.

وواجه اللقاني أيام الاحتلال السوداء، وعكف على عمله في المحاماة سنوات حتى حجبه المرض عن ميدان الجهاد وعن الدفاع عن مجاهدي دنشواي.. ومن العجيب أنه مات في نهاية عام ١٩٠٧ في الأيام نفسها التي أفرج فيها عن مسجوني دنشواي.

وكان اللقانى يحرر يومياً المقال الرئيسى لجريدة مرآة الشرق بأسلوب قوى ومعانٍ حية نابضة بالإيمان.. ويبدو فى أسلوبه التحليل العميق والوضوح وسلامة العبارة وقول الدليل المدعم بالحجة وربط الأسباب بالمسببات وهو أسلوب الفكرة والعاطفة.. وينتسب إبراهيم اللقانى إلى قرية لقانة بمحافظة البحيرة، جده عالم دين له منظومة فى علم العقائد باسم «جوهرة التوحيد فى التربية والتصرف» ولا شك أن رجلاً مثل هذا اصطفاه جمال الدين الأفغانى وأحبه لابد وأنه كان قوى الشخصية صادق النفس، ويؤكد هذا أنه ظل وفياً لأهداف زعيمه وآرائه فلم ينحرف كما انحرف غيره ولعل هذا كان عاملاً من عوامل تجاهله وغمط حقه.

المحتكر ملعـــون

تحت هذا العنوان جاءت كلمة الأستاذ/ المنشاوى الوردانى ـ مترجم بالتليفزيون المصرى:

ينكر الإسلام أشد الإنكار أن تدفع بعض التجار أنانيتهم الفردية وطمعهم الشخصى إلى الثراء العريض ولو على حساب الفقير المعدم فى قوته الضرورى.. من هنا نهى الإسلام عن الاحتكار بمعنى حبس السلعة بقصد ارتفاع ثمنها حتى تقل فى السوق فيرتفع سعرها، فيبيعها التاجر بثمنها أضعافا مضاعفة.

موقف الشريعة الإسلامية من الاحتكار أو «الحكرة» والمحتكرين واضح جلى فى أحاديث عديدة للنبى الأكرم ﷺ فقال ﷺ فى رواية مسلم: «من احتكر طعاماً فهو خاطئ» وكلمة خاطئ ليست هينة لأن الله وصف بها المجرمين لقوله ـ تعالى:

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾

(القصص: ٨)

وقال ﷺ: «الجالب مرزوق والمحتكر ملعون».. رواه ابن ماجه.. وقال ﷺ: «من دخل فى شىء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقاً على الله ـ تبارك وتعالى ـ أن يقعده بعظم من النار يوم القيامة».. رواه أحمد.

فانظر عقوبة المحتكر الذى يفرح بارتفاع الأسعار التى تؤذى جمهور المسلمين مراعاة لمصالحه الشخصية.

بل إن عقوبة المحتكر ليست فى الآخرة فحسب حتى لا يركن إلى ذلك من ضعفت إيمانياتهم بالدار الآخرة.. فالعقوبة تلحقه فى الدنيا كذلك، فعن عمر ـ رضى الله عنه ـ قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والإفلاس».. رواه ابن ماجه.. وانظر (السراج الوهاب: ٦ / ٢٢).

وهذه الأحاديث تنتهى بمجموعها للاستدلال على عدم جواز الاحتكار.. وأما ما ورد فى رواية أن معمراً، وسعيد بن المسيب كانا يحتكران حينما قيل لسعيد: إنك تحتكر. قال سعيد ـ إن معمرا ـ الذى كان يحدث هذا الحديث ـ «كان يحتكر» (وهو حديث: من احتكر فهو خاطئ).. (صحيح مسلم: ١١ / ٤٣).. فقد أجاب ابن عبدالبر وآخرون بأنهما كانا يحتكران الزيت «كاستعمال شخصى وليس عن العامة».. ولذلك حمل العلماء جواز الاحتكار عند الحاجة إلى القوت.. انظر (صحيح مسلم بشرح النواوى: ١١ / ٤٣).. وانظر (كتاب المال فى الإسلام) د. رأفت سعيد، الأستاذ بجامعة الأزهر: ص ٦٢ ـ دار الوفاء.

ومن هنا فإن الاحتكار المحرم يجب أن تتوفر فيه شروط ثلاثة ذكرها الفقهاء:

١ - أن يكون الشىء المحتكر فاضلاً عن حاجته وحاجة من يعولهم سنة كاملة لأنه يجوز أن يدخر الإنسان نفقته ونفقة أهله هذه المدة، كما كان يفعل الرسول ﷺ.

٢ - أن يكون قد انتظر الوقت الذى تغلو فيه السلع ليبيع بالثمن الفاحش لشدة الحاجة إليه.

٣ - أن يكون الاحتكار فى الوقت الذى يحتاج الناس فيه إلى المواد المحتكرة من الطعام والثياب ونحوها.. فلو كانت هذه المواد لدى عدد من التجار ولكن لا يحتاج الناس إليها.. فإن ذلك لا يعد احتكاراً، حيث لا ضرر يقع بالناس.. انظر (فقه السنة للسيد سابق: ج٣ / ١٦٣.. والحلال والحرام فى الإسلام للدكتور يوسف القرضاوى: ص٢٠٩، ٢١٠ مكتبة وهبة).

ومن عجب أن النبى الأكرم ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى.. قد عرفنا هذا المحتكر الملعون الذى يعتبر احتكاره حراماً حراماً بالكشف عن شخصيته ودواخل نفسيته الشريرة فقال ﷺ: «بئس العبد المحتكر، إن سمع برخص ساءه، وإن سمع بغلاء فرح».

قصّ علينا القاضى أبوبكر العربى أن الخليفة ببغداد كان إذا رفع التجار أسعار الطعام، فتح المخازن، وأذن فى بيع ما فيها بأقل مما يبيع التجار، ولا يزال على هذا الحال حتى تعود الأسعار إلى أصلها أو إلى القدر المناسب، قال: وبهذه الطريقة يغلب المحتكرين والجالبين ويدفع عن الناس ضررا عظيما.

وكان العلماء بحق يدركون خطر العبث بالأسعار، والغش فى المبايعات، فلا يدخرون وسعا فى وعظ التجار، وتذكيرهم بتقوى علام الغيوب، وتربيتهم على القناعة بما تيسر من الأرباح، كان ابن عمر ـ رضى الله عنه ـ يمر على البائع فيقول: «اتق الله وأوف الكيل»، وكان علىّ بن أبى طالب ـ كرّم الله وجهه ـ يطوف سوق

الكوفة، ويعظ التجار، ومما يقول فى وعظه: «معاشر التجار لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره».

إن المسألة بجلها فى تحقيق منابع الاحتكار والجشع هى تأصيل قانون العدل والأمانة السماوية فى البيع والشراء، والتاجر من هؤلاء إن ارتكب طريقة الجشع والغش فقد انتبذ النذالة مكانا بعيداً، وأقام بينه وبين الإنسانية حجاباً غليظاً.

فالشره والغش قذارة فى النفوس يجب على دعاة الإصلاح أن يغسلوها بالحكمة والموعظة، والعوج فى المجتمع يجب على ولاة الأمر أن يقوموه بالعقوبات العادلة النافذة.. انظر (الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ـ للإمام الأكبر المرحوم محمد الخضر حسين: ج٣ / ٣٩).

وفى ظل ما تشهده السوق المصرية وكذلك العربية والعالمية من ضعف الرقابة الحكومية على أسعار السلع فقد تعالت الأصوات مؤخراً بتدخل الرقابة الشعبية على الأسواق، وهذه مطالب شبه خيالية لعدم تمتع الرقابة الشعبية بالضبطية القضائية والقوانين الملزمة لمنع الاحتكار والجشع.. ونعود لنؤكد مسئولية أجهزة حكومية مثل جهاز منع الاحتكار ووزارة التجارة والصناعة خاصة فى حالة مغالاة المنتجين والتجار فى هامش الربح، أو على الأقل القيام بمهمة تحديد تكلفة إنتاج السلع إذا لم يبادر المنتجون بهذه الخطوة ثم إعلانها للمستهلكين من خلال وسائل الإعلام أو إلزام التجار بوضع أسعار التكلفة فى مكان ظاهر للناس.

ومن الغريب أن القانون لا يمنع الاحتكار وإنما يمنع فقط الممارسات الاحتكارية الضارة بالمنافسة!!.. وهل بعد تفشى الغلاء والبلاء بالبلاد ضرر.. المسألة برمتها تحتاج إلى تدخل قومى من ولاة الأمر للإنقاذ.

***

نعتذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة، وذلك حرصا من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء. ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق فى اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها. كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعا بمشيئة الله تعالى.

As the US prepared to mark the ninth anniversary of 9/11 terrorist attacks, a small fringe church in Gainesville, Florida, planned to remember the day by burning copies of the Koran. The proposed action brought hundreds of protesters to the streets of many countries; Afghanistan is one of them and prompted a stern repimard from the top US commander in Afghanistan, General David Petrauus, who warned that the stunt would endanger the troops.

Also, Newsweek published in its issue published on 20/9/2010 on page 14:

Through a US preacher backed down from burning Quran last week, the incident had tempers flaring.

The National Egyptian and opposing Newspapers whether in Arabic, English or French published a condemnation of the attempt of the priest, whose daughter described him as a mad person. This is published in the Egyptian Gazette on page 4 of the issue of 17th September, 2010 entitled "Penalizing religious contempt".

It is true that the American constitution and legislation do not include a law penalizing contempt of religion as a crime. However, there are many legislative procedures that could have been used by Obama's administration against the Evangelical Pastor who threatened to burn the Qur'an.

Le Progres Egyptien published a piece of news entitled "Projet de bruler le Coran aux USA: Vive condemnation d' Al-Azhar

Under this title, there is a photo for raging demonstration, in which one of participants hold a copy of the Qur'an and the raging protesters are beside him.

The Egyptian Wafd Newspaper published on its first page of the issue of Friday 10th of September, 2010 a declaration by the US President Obama condemning the crime of burning the copy of the Qur'an, and another declaration by the previous British Prime Minister Tony Blair in which he calls for reading the Noble Qur'an and understanding its meanings.

national newspaper that publishes advertisements against the extremist act of the priest Jones.

The US Secretary of State, Hillary Clinton, described the plots of the Evangelical Pastor in Florida concerning burning the Qur'an as awful and does not deserve any respect. She attended a celebration of breaking fast held by the US State Department to the Muslims in the USA, which was attended by 230 guests including ambassadors, leaders from non-governmental organizations, and 7o of the leaders of the American Muslims.

The priest declared from Dove Center on Saturday that it will be a universal day for burning the Qur'an, the matter that was extremely criticized by the While House and religious leaders belonging to many religions in the USA. At the same time, there were many demonstrations in many Islamic countries and other countries such as Indonesia and Afghanistan denying this act.

Ban Ki-Moon the Secretary General of the United Nations declared the danger of attempting the step of burning the Qur'an. He clarified his extreme anxiety for the reactions of this act. He said that the freedom of expression should not involve abusing religions and the creeds of others.

Vatican condemned the attempt of Florida church to burn the Qur'an and the Pontifical Council of the interfaith Dialogue as a disgracing act. President Hosni Mubarak warned against the attempt of the priest Terry to burn the Qur'an, describing it as an extremist act. Al-Azhar with its various bodies condemned the call of the extremist priest.

While the Supreme Council of Al-Azhar issued a statement about what news agency reports about the calling of the U.S priest to make a day of 11 of September the International Day to burn the Quran, as it was puplished at (Sawt Al Azhar Al-Ospoeyyah) Voice of Al-Azhar weekly describing the calling as an intolerance, distasteful and ignorance of Islam and its values, it's a calling to hatred, contempt for the religions, and to reject the other.

This is a suspicious attempt to abuse the Muslims and their sanctities and inciting the discrimination and to desperate between American Muslims and non-Muslims and thus violates the laws of the civilized world and contrary the UN resolutions that prohibit discrimination and condemns the contempt of religions and sanctities.

The Supreme Council of Al-azhar affirms that such suspected actions would not abuse Islam, and the Qur'an, which was preserved over the centuries, would be preserved until the Day of Judgment as Allah said " Verily, We, it is We Who have sent down The Dhikr "Quran" and surely, We will guard it."

But he warns that Muslims can not accept insulting the Quran, and calls upon the owners of conscience and enlightened minds in the Arab world should

take the initiative in dealing with such invitation and hindered it. The Supreme Council notes in this regard by the statement issued by the evangelical churches in Egypt and calls all Christian churches to declare disapproval and condemnation of these obnoxious invitation.

In conclusion, the Supreme Council of Al-Azhar confirms that Islam respects all divine books and the Islamic civilization did not know burning books, but it has done to celebrate the scientific and philosophical of the past civilizations, but modern Europe did not recognize the ancient heritage only through translations of Muslim books.

The Ambassador Mohammad Al-Tahtawi spokesman of Al-Azhar Al-Sharif said that the Grand Imam Dr. Ahmed Mohammed Al-Tayeb received a statement from Dr. Priest Stephen Andre Zaki the Deputy of Anglican community in Egypt on the same subject.

The evangelical churches in Egypt received the disturbed news of U.S. priest in state of Florida to burn the Quran in memory of attacks 11th of September and the church deeply regrets about this. the church declare total rejection of any attack against the religions and beliefs of others, which is totally incompatible with the teachings of Jesus Christ and belonging to the love and respect for others regardless of affiliation and religion, and that all human brother in humanity, and the Evangelical Church will make in Egypt, in cooperation with their counterparts in America and the world every effort to undermine such extremist ideas which do not produce except tension and more violence among humans the successor of the one God whom we worship all of us. The evangelical community confirms on its love and respect for all our Muslim brothers in our country and the world.

His Holiness Pope Shendouda, the Pope of Alexandria and the Patriarch of Saint Mark Episcopate that the priest Terry Jones, the priest of Charismatic Church in Florida who warns against burning copies of the Noble Qur'an on the occasion on 11th of September has nothing to do with Christ and Christianity, and that he acts rashly. He does not consider the reaction of this rash procedure, because Christianity does not agree with hurting the feelings of others espicially when it concerned with their religion. Also, it does not accept enmity, hostility and racism.

The Pope said in a conversation with Al-Ahram in this regard: I think that this priest is surrounded by reasonable people who will prevent him from doing that. This attempt will be merely an evil idea. If there are no reasonable persons to prevent him, he will be prevented by force. Times Magazine published in page 15 in the issue of 20 September an essay by Kayla Webley stating:

An Unknown Reckless Priest Intending Fame out of his Threat of Burning Copies of the Noble Qur'an...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

An unknown American priest called Terry Jones threatens to burn copies of the Noble Qur'an on the ninth memory of the attacks of September that was on Saturday 11th of September, 2010. He is a priest in a small church in Gainesville in Florida, USA, which is not attended except by fifty persons.

His call faced refusal and reproving inside the USA and all over the world especially from the Islamic countries, in which there were many clamorous demonstrations. Also, these countries include Iraq and Afghanistan in which there are American forces among the NATO forces. News agencies reported that a state of emergency announced and anxiety in the USA on Thursday, 9th of September due to the extremist call of burning the Qur'an.

Amidst a state of public and official refusal in the USA for the call of the extremist priest, Terry Jones, for burning the Qur'an in public on Saturday 11th of September, 2010 commemorating the attacks of 11th of September, 2001, the US authorities stressed security measures in Gainesville in Florida, which is the city that witness the disputable plan of the unknown priest to burn copies of the Noble Qur'an.

Bob Woods, the manager of communications in the city said that Gainesville watches the state closely to guarantee public safety, and there are plans that include emergency measures. He did not mention the security measures and indicated the aggravation of the security fears.

At the same time, a delegation of the Alliance of the Interfaith Dialogue including rabbis, priests and Muslims clerics went to the US Attorney General, Eric Holder, the day before yesterday to protest against the failure of the legal system to face such a dangerous matter and put and end to this annoying event. Holder described the situation that took place in Florida by being an ignorant and dangerous act.

In spite of the warnings of the US military officials concerning the danger of this disgracing behavior for the US forces, the priest Jones insists on burning copies of the Noble Qur'an. However, the US media stated that it seems that the priest will retreat for fear that the US forces may face real threats from abroad.

Many national Islamic organizations proceeded to stop this dangerous act against the Noble Qur'an by informing Fire Department in Florida that it is not legal to burn the Qur'an in the open air. Al-Ahram newspaper informed that the Department stated that the maximum punishment that may occur is forcing the priest and the church to pay 500 Dollars due to violating the public safety rules and the environmental rule in addition to ordering him not to repeat this matter again.

The US Secretary of State, Hillary Clinton, described the plots of the Evangelical Pastor in Florida concerning burning the Qur'an as awful. She spoke in a banquet of breaking fast in Ramadan held by the US State Department to the Muslim community. She said: Tonight, as we celebrate together, we should think with each other about making deep and strong ties of mutual understanding and respect as well as cooperation between the various peoples. This will be the beliefs in the next years externally and internally.

After the frequent threats from General David Petraeous, the Commander of the US Forces in Afghanistan, against the danger of the attempt of the American priest, Terry Jones, to burn the Qur'an in Florida in public on the ninth memory of the attacks of 11th of September, 2001, the US Administration and the American Muslims watch the next forty eight hours, at the time when the priest is beseeched to retreat from his attempt that threatens the relation between the United States and the Islamic world. The spokesmen of the White House and the US State Department condemned extremely the attempt of Jones to burn the Qur'an.

The coalition of Interfaith Dialogue in the USA held a press conference in the National Press Building in Washington in response to a call from the Islamic Society of North America to urge the Americans having different attitudes to discard fanaticism and enmity towards the Muslims and to stop the fear from the Muslims. Theodore Macrik, the previous Bishop of Washington, said that the hostile feelings towards Islam are an unusual phenomenon that needs a strong deterring reaction. The Protestant priest, Ritchard Cizik, said to those who want to burn a Holy Book: "Shame on you".

Sa`ud Anwar, the member of the Islamic American Peace Initiative to the news agencies, said that the action sought by the extremist priest that aims that the American Muslims respond rashly. This is completely realized by the Muslims. Anwar clarified that those who consider the matters of the agitating church are fifty members only.

We have sources revealing that this church is about to bankrupt. This priest tries to collect charities and donations to the church. As a reaction to the declarations of the reckless priest, an advertising campaign was announced in a

The third: The latitude in the obligation, which is mentioned in the Qur'anic verse: "Our Lord, and do not overburden us with whatever is beyond our capacity". [Al-Baqarah (The Cow): 286]

This means that Allah ordains that matters that the human self can do. It was narrated that when Allah heard the Messenger and the believers saying:

He said: I did. Allah knows that there is latitude in matters and he decreases the ruling of the obligation and gives licenses at the time of the lack of the ability. This is out of Allah's Mercy.

The aim behind all of the acts of worship enjoined by Allah is implanting piety in the heart of the believer. It is mentioned by Sayyduna Ali (May Allah honor his face) "In fear of Allah the greatest, following the ordained obligations and getting prepared for leaving the world." These meanings are emphasized in Hajj, which is considered as the most sublime way of showing that Allah (Glory be to Him) is watching His Servants. The pilgrim remembers that it is his last Hajj to his Lord, when he gets in the car or the plane saying the invocation:

"All Extolment be to Him Who has subjected this to us, and in no way could we be ascribing comrades to Him. And surely to our Lord We are indeed turning over". [Al-Zukhruf (Decoration): 13-14]

His emotions rage when he reaches the sacred land and walks in the roads in which the best of the creation, Muhammad Ibn Abdullah and his honorable Companions walked. At this moment, he remembers the great sacrifices exerted by the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) and his heroic Companions in the Cause of Allah, conveying the Message, which is in its core a mercy to the people. He may follow their examples in doing good and benevolent acts.

These places witnessed the descending of the Revelation and the connection between heaven and earth throughout the Qur'an. Thus, every Muslims regards it as his best place. If he could not reach the level of their strife in the Cause of Allah, he can perform Hajj, which is the strife of the weak, the Sheikh and the woman. It is a pure strife, as our honorable Messenger said.

It was narrated on the authority of Al-Hasan Ibn Ali (may Allah be pleased with them) that a man came to the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) and said: I am coward and weak. The Prophet told him: You may offer pure strife: Hajj.[2]

Also, it was narrated on the authority of `Aisha (may Allah be pleased with her) that she said: O Messenger of Allah, we see that strife is the best of acts, can we not engage in strife? He said: The best of strife is an accepted Hajj.[3]

---

[2] The Big Mu`gam by Al-Tabarany
[3] Al-Bukhari

The obligated Hajj is the first Hajj, and any more Hajj is considered as volunteering. It was narrated on the authority of Abu Hurayrah that he said: "The Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) addressed us and said: "O people, Allah has enjoined Hajj on you, so perform Hajj." A man said: "Is it every year, O Messenger of Allah?" He remained silent until (the man) said it three times. Then the Messenger of Allah (peace and blessings of Allah be upon him) said: "If I said yes it would be obligatory and you would not be able to do it." Then he said: "Be content by what I inform you, for those who came before you were destroyed because they asked too many questions and argued with their Prophets. If I tell you to do something then do as much of it as you can, and if I tell you not to do something then abstain from it."[4]

It was narrated from Ibn 'Abbaas that al-Aqra'a Ibn Haabis asked the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him): "O Messenger of Allaah, is Hajj every year or just once?" He said: "It is only once, and whoever does more than that, it is a voluntary (act of worship)."[5]

Ability is not achieved by money only, as we mentioned before. I remember now a colleague who was able from the financial and healthy side, and other people and I used to urge him to perform it. However, he used to delay it claiming that he has many burdens that may bring many benefits.

Then, time has passed and he lost his health as a result. Now, his money multiplied, but he lost his health. He regrets extremely for his inability to perform this precious obligation, for leaving which he had no accepted excuse. Thus, the one who wants to perform Hajj should hasten to perform it before it becomes too late.

And it was narrated on the authority of Ibn Abbas (may Allah be pleased with him) that the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: "Whoever wants to do Hajj, let him hasten to do it, for he may fall sick or be faced with some need."[6]

Some people say that a person may borrow money to offer Hajj obligation, but in this case, he burdens himself and others with hardships to perform an obligation, for which he is excused due to his inability.

The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) was asked to teach us what we should do in these cases. It was narrated on the authority of Abdullah Ibn Aby Awfa that he said: I asked the Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) whether the person who have not performed Hajj should borrow money to perform it or not. He (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: No.

This is out of Allah's Mercy and that of His Messenger, who was sent as a mercy to mankind.

---

[4] Musnad Ahmed
[5] Al-Targhib wal Tarhib
[6] Sunan Al-Baihaqy 4/340

Those Arabs, who were tough and worshipped the idols, were changed by Islam. They became powerful and honorable. They became one nation that has a wonderful human civilization. This is because Islam is a religion of unity that does not know differentiation and wrangle.

"Surely this nation of yours is one nation, and I am your Lord, so worship Me". [Al-Anbiaa (The Prophets): 92]

"And surely this nation of yours is one nation, and I am your Lord; so have piety towards Me". [Al-Mu'minun (The Believers): 52]

Hajj is an obligation that is enjoined on the person who is able to perform it. This eternal fact guides the Muslims to the thing that they should keep to perform their mission, for which they are preferred to the other nations.

"You have been the most charitable nation brought out to mankind; you command beneficence, and forbid maleficence, and believe in Allah. And if the population of the Book believed, it would indeed have been charitable for them; (some) of them are the believers, and the majority of them are immoral". [Al-Imran (The House of Imran): 110]

They come to the Ancient Home from ever deep ravine, and believe in Allah only, Who created them from one soul. Also, He made piety the only criterion by which they are compared to each other.

"O mankind, surely We created you of a male and a female, and We have made you races and tribes that you may get mutually acquainted. Surely the most honorable among you in the Providence of Allah are the most pious; surely Allah is Ever-Knowing, Ever-Cognizant".

[Al-Hujurat (The Apartments): 13]

Hajj with its rituals and teachings raises the rank of the believer towards Allah. Also it was narrated that the person who performs Hajj comes back as a newborn. Allah forgives his sins. Hajj trip is a trip of harmony, support and cooperation on good, benevolence and piety.

Hajj is an obligation of strife (Jihad) and purification. It purified the souls from the Satan, and strengthens the meanings of spirituality. Thus, pilgrims do not become enslaved to materialism not to be misguided in the world and the Hereafter. Performing Hajj does not aim to gaining a title or profit. But, it aims at getting rid of sins and evil and promising Allah to be straightforward in life.

Hajj is the Obligation that is linked to Ability[1]...!

By: Dr. Muhammad Fathy Farag

Allah (Glory be to Him) concludes Surah Al-Baqarah with a Qur'anic verse that reveals clearly mercy towards the weak, the poor and the other Muslims in general who are not able. It gives hope to the person who has no ability-now- to perform the ordained obligations when he becomes able to perform them, because the One who ordains it is able to grant him the ability to perform it at any time. Otherwise, the obligation is waived, as Allah (Glory be to Him) says at the beginning of this verse: "Allah does not charge a self (anything) except its capacity".

[Al-Baqarah (The Cow): 286]

Saheb Al-Zhilal says in this regard: "In this way, the Muslim imagines the Mercy and Justice of his Lord concerning the obligation He ordains in his caliphate of Farth , the ordeals he faced during the caliphate, and the reward for his work at the end. He is satisfied with the Mercy and Justice of Allah, and he is not upset with these obligations. He knew that Allah, Who ordains them, knows his ability. If he is not able to do it, He would not ordain them. This concept, in addition to the tranquility it grants to the heart, encourages the believer to do his obligations, as he feels that he is able to do it. If it was not possible for him to do these obligations, Allah would not ordain them.

If the believer feels tired, he feels that this is because of his tiredness, and not because of the impossibility of doing this obligation. This feeling may encourage him and rid him of his weakness, as this ability rests in his inner soul. This inspires him to do the obligation if his energy decreases along the way.

As long as Hajj is one of the obligations that necessitates sparing money, effort and time, and not all of the people are able to do that at one time, some people have surplus of money but do not have good health and vice versa. There are many real excuses. Thus, Allah (Glory be to Him) says: "And it is (a duty) upon mankind towards Allah (to come) to the Home on Pilgrimage, for whomever is able to make a way to it".

[Al-Imran (The House of Imran): 97]

The Imam of the heralds, Sheikh Al-Sha'rawy says: The obligations of the human self are divided into three sections:

The first section: Something that we can not do. This is far from being an obligation.

The second section: Something that we can do, but it is difficult to do it.

[1] An article published (in Arabic) at Al-Azhar Magazine.

The question is: Why did Allah make Hajj to be performed in Shawwal, Zhul Qi`dah and Zhul Hijjah? Because Allah kept the blood of Ismail from being shed, and made the beginning of these months the Feast of Fast, and its end is the Feast of Sacrifice.

When the Muslim remembers the historical and spiritual trip to Mecca and standing on Arafaht, his heart beats and his spirit clings to glorifying Allah. His feeling clings to Allah, and his body losses the feeling of materialism, and he lives in this Divine atmosphere that is full with love, greatness and purity. The human being lives in this honoring state when he remembers the memories of this trip, which combined physical movements such as traveling, Ihram, circumambulation, and going to Minah with spiritual worship. These are organized trips and harmonized acts that have no equal in our world.

In this spirituality beside the master of humanity and on this pure and blessed land, the voices repeat: Here I am, O Allah, here I am. Here I am, You have no partner; here I am. Verily, all praise and blessings are Yours, and all sovereignty, You have no partner. They say words to the Lord of the worlds. The human being can not express his feelings when he clings to the covers of the Ka`bah. O Lord, we ask you to fill our hearts with belief, and to grant the Islamic nation the intercession of Your Prophet and Beloved Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon him).

We ask You to grant the Islamic nation great victory with Your Honor and Power to restore the stolen land, to purify Jerusalem, and to liberate the holy land from extorters and profaners. While the pilgrims submit to Allah and get rid of everything except their belief in their Lord, they remember circumambulation in Mecca around the Ancient Home. Standing on `Arafaht reminds us with the Farewell Hajj because it is the last Hajj performed by the Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him).

The hearts were enlightened, and some Arab tribes came from the middle of the Arabian Peninsula to accompany the beloved Messenger, who was riding his she-camel from every part of the Peninsula. They raised the banner of the Truth, being directed to the Ancient Home. Before this incident, Al-Hudibeyyah conciliation occurred. The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) wanted to enter Mecca with the believers, but Quraysh prevented him and the believers accompanying him, and did not allow them to go to the Inviolable Home. They refused to let

them enter Mecca except by fighting, while the Prophet and the believers did not come to fight. But, they wanted to visit the Inviolable Home.

They announced that visiting the Ancient Home is one of the obligations for which the Messenger was sent. The voices of every pilgrim said out loud after Mecca Conquest saying: Here I am, O Allah, here I am. Here I am, You have no partner; here I am. At the night of the fourth of Zhul-Hijja, the Prophet's convoy reached the boundaries of Mecca, and they entered it in the morning. When he reached the Inviolable Home, he said: "O Allah, increase the glorification, honor and awe of this Home, and increase the glorification of the person who visited it performing `Umrah or Hajj.

He circumambulated the Home seven times, kissed the Black Stone, and recited the saying of Allah: "O Lord, bring us in the (present) life a fair (reward), and in the Hereafter a fair (reward), and protect us from the torment of the Fire". [Al-Baqrah (The Cow): 201]

He entered the Home, and prayed two Rak`ahs. Then, said loudly in Mecca: Here I am, O Allah, here I am. Then, he walked between Safa and Marwa seven times. This indicates that Allah commanded His servants to circumambulate.

The Prophet came out on the eighth of Dhul Hijjah, being accompanied by Sayyduna Belal Al-Habashi who tried to protect him from the sun heat by a coarse garment raised on a stick. Then, the Prophet stayed at night in Mina worshipping Allah. Then, he went to Arafaht invocating to Allah on that day until sunset. Then, a Qur'anic verse was send down to him:

"Today the ones who have disbelieved have despaired of your religion, so do not be apprehensive of them and be apprehensive of Me. Today I have completed your religion for you, and I have perfected My favor on you and I am satisfied with Islam as a religion for you".

[Al-Ma'idah (The Table): 3]

He said this verse until her reached Al-Muzdalifah, where he prayed Al-Maghrib and Al-`Isha' and prayed at night until the break of dawn. He said: "Here I am, O Allah, here I am" until he threw the Stone of Al-`Aqabah. After he performed all of the rituals of Hajj, he slaughtered the animal and called a person to cut his hair.

One of the wisdoms of Hajj is that it is a conference for all of the Muslims from all of the parts of the world, which leads to their recognition. When they get introduced, they may consult each other. Islam emerged in the Arabian Peninsula, by satisfaction the persons who believed in the faith of the Prophet, and for those whom Allah guided to Islam. No doubt that the Arabian Peninsula included consultancy, as Mecca was a place for seminars before Hajj was enjoined in Islam.

The members of Quraysh discussed matters with each other in Mecca. There was a social difference between Hajj and Meccan seminar, as the first is for the Muslims and the second was for Quraysh. Also, Hajj leads the pilgrim to sincere repentance, as he gets rid of all of the kinds of decoration in his Ihram, and becomes in a state that shows humiliation and submissiveness to his Lord. He aims for mercy and pleasure from his Lord.

Also, when he stands on Arafat Mountain, he becomes in the state of a slave who disobeyed his Lord, stands between His Hands in humbleness and submissiveness praising Him and seeking His forgiveness for his sins. When he circumambulates the Ka'bah, he becomes in a state of a slave who resorts to his Lord, seeking His protection and great Pleasure.

No doubt that all of these Hajj rituals are forms of sincere repentance that the pilgrim hopes from his Hajj. Certainly, he heard the Hadith of the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) saying: Whoever performs Hajj and does not commit any obscenity or commit any evil will go back (free of) sin as on the day his mother gave his birth.

To sum up, sincere repentance is the aim of every pilgrim starting from the moment he intended to perform it. When Allah grants him success in performing it, he comes back home in a state of repentance. The person who intends to perform Hajj should intend to repent to Allah, and not merely to perform Hajj. Sometimes, there are persons who perform it for showing-off and imitation for people in everything they say and do without reasons.

One of the aspects of Hajj is the wisdom of its relation to the history of this mountainous desert land, from which Islam emerged. It was the place from which the Messenger of Islam came out with his new religion, and that of his Companions, Caliphs and predecessors such as Ibrahim and his son Ismail (May the peace of Allah be upon them)

One of the historical examples in Hajj is praying on the stone in which Ibrahim prayed when he visited his wife Hajar and his son Ismail. Their

story is mentioned in the Qur'an, as Allah (Glory be to Him) says: "O Lord, surely I have made (some) of my offspring to dwell in a valley that is not under cultivation at Your Inviolable Home, our Lord, that they may keep up the prayer. So make heart-sights of mankind yearn towards them and provide them with products, that possibly they would thank (You)". [Ibrahim (Abraham): 37]

Standing on Arafat is one of the pillars of Hajj, as its day is the day on which Allah perfected His Grace to the Muslims, and send down to His Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him): "Today I have completed you religion for you, and I have perfected My favor on you, and I am satisfied with Islam as a religion for you".

[Al-Ma'idah (The Table): 3]

For the memory of this great grace, this day was made as a general meeting. Also, it was authentically reported from the scholars and historians that Adam and Eve get introduced to each other on that day. Thus, it was prescribed to stand on Arafat on that day, and to render it as a pillar of Hajj.

One of the examples of Hajj is walking in a hurry in the first times of circumambulation to show the disbelievers the power of the Muslims and their vigor in worshipping. One of the historical examples that is related to Hajj is going between Safa and Marwa during Hajj. The reason for it is that when Hajar, the mother of Ismail, was perplxed for the thirsty of her child, she walked between Safa and Marwa to find water. Then, Jibril came and dug Zamzam well, about which the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) said that its water is the best water on earth.

One of the rituals of Hajj is standing in Muzdalifa in the morning of slaughtering day. Allah (Glory be to Him) says:

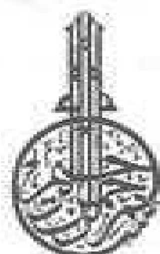
"Then remember Allah at the Inviolable Emblem".

[Al-Baqarah (The Cow): 198]

One of the rituals of Hajj is throwing the stones and this act back to the action of Ibrahim, when he threw stones at Satan, who tried to seduce him. He did that to humiliate him and to reduce his plots. One of the rituals of Hajj is kissing the Black Stone, about which 'Umar ibn Al-Khattab said: "I swear that you are a stone which does not harm or benefit. Unless I saw the Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him) kissing you, I would not do so."

AL-AZHAR MAGAZINE

Dhul-qaedah, 1431 A. H.



ENGLISH SECTION

October, 2010

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

Hajj Duty Unifies the Muslims...!

-1-

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Allah (Glory be to Him) says:

"And announce to mankind the Pilgrimage; they shall come up (hurriedly) to you on foot and upon every slender (conveyance); they shall definitely come up from every deep ravine. That they may witness (things) profitable to them and mention the Name of Allah on days well-known over such brute cattle as He provided them. So eat thereof, and feed the miserable poor. Thereafter let them make an end of their unkemptness, and let them fulfill their vows, and let them circumambulate the Ancient House". [Hajj (Pilgrimage): 27-29]

These Qur'anic verses included many Hajj rituals. Imam Al-Zamakhshary narrated in their interpretation something related to Imam Abu Hanifah when he performed Hajj. He said: Before Abu Hanifah (may Allah be merciful to him) performed Hajj, he made a comparison between the different acts of worship. When he performed Hajj, he preferred it to the other acts of worship for many aspects.

The aspects of Hajj are many to the extent that the first scholar of the Muslims' Imams, Abu Hanifah An-Nu'man, preferred it to all the other kinds of worship. In fact, Hajj has m any aspects that adhere to it, starting from its beginning, i.e., Ihram (ritual state for Hajj) to its end which is removal of the ritual state for Hajj.

One of these aspects is that the worships are either physical or spiritual such as prayer and fast, or financial such as Zakah (obligatory charity), or spiritual only such as the testimony of faith. However, Hajj is physical, spiritual and financial. The person who performs it should have a surplus of money and good health to be able to perform its rituals.

"And it is (a duty) upon mankind towards Allah (to come) to the Home on Pilgrimage, for whomever is able to make a way to it".

[Al-Imran (The House of Imran): 97]

Thus, it means that it needs money and heath because it needs physical movement from its beginning to its end.

الفهـــــرس

بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى
تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا

أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر
☎ ت: ٢٢٦٣٨٥٩٩

ذو الحجة ١٤٣١هـ - نوفمبر ٢٠١٠م - الجزء الثانى عشر - السنة الثالثة والثمانون

افتتاحية العدد

نقل الإداريين إلى مدرسين من أخطاء السياسة التعليمية

مازلت أذكر فى أوائل الستينات أن إحدى مدرسات اللغة الإنجليزية بدار المعلمات قد قامت بإجازة للوضع فرأت عميدة الدار أن تنتدب مدرسا للمواد الاجتماعية اشتهر بإجادة اللغة الإنجليزية كى يقوم بتدريس المادة حتى تهيئ المنطقة مدرسا متخصصا، وجاء المفتش بعد أسبوعين فرأى مدرس المواد الاجتماعية يقوم بتدريس اللغة الإنجليزية فهاج هائجه ومضى إلى مكتب العميدة متورطا فى عبارات قاسية، وانتهى الأمر إلى مدير المنطقة فاستدعى المتخاصمين، وكان واسع الصدر فضمد الجراح، على أن يسرع مكتب اللغة الإنجليزية بانتداب مدرس متخصص على وجه سريع! لأن التخصص أمر ضرورى مهما كانت كفاءة غير المتخصص مشهودا بها.

فهذا مدرس يحمل دبلوم معهد التربية العالى بعد ليسانس كلية الآداب، وقد مارس التدريس ملما بطرق التربية الحديثة ولكن الحرص على إتقان التدريس بشرطه التعليمى قد جعل المسألة موضع نظر ومساءلة، وانتهى الأمر إلى تصحيح ما يشم منه رائحة التجاوز، ليسير التدريس على أحسن وجوهه، وبهذه الدقة الواعية، كانت المدرسة مدرسة وكان المفتشون أيقاظا صرحاء!

وفى العام الماضى قرأنا فى الصحف أن بعض السادة المحافظين، زار مدرسة ثانوية فقيل له: إن بالمدرسة عجزا ملموسا فى هيئة التدريس وشاهد من الإداريين من يملئون المكاتب دون عمل جدى، فأمر بتحويلهم إلى مدرسين كى يملئوا الفراغ، وتم ذلك على وجه سريع، وكان نشر الخبر على هذه الصورة مدعاة تساؤل جاد، وقيل حينئذ: إنه إجراء وقتى يمثل الاستثناء الضرورى فقط وسيعود كل إلى موضعه بعد انتهاء العام الدراسى!

ولكن هذا الإجراء السريع، لم يكن فى هذا العام استثناء ضروريا، بل صار قاعدة توالى وزارة التربية والتعليم تطبيقها، فقد نشرت جريدة الوفد الصادرة فى ٣ يوليو ٢٠٠٥م تحت عنوان «تحويل الموظفين إلى مدرسين» ما نصه:

«جاء إعلان وزارة التربية والتعليم بتحويل الموظفين الإداريين إلى مدرسين صدمة كبيرة لخريجى كليات التربية، ففى الوقت الذى يزداد فيه عدد العاطلين من هؤلاء المتخرجين، تأتى الوزارة لتستعين بالموظفين غير المؤهلين تربويا، لكى تسد العجز فى أعداد المدرسين بالمدارس، وتستبعد خريجى الكليات التربوية الذين تم إعدادهم ليصبحوا مؤهلين للعمل فى التدريس».

وأنا أقول: إن الصدمة لم تكن خاصة بخريجى كليات التربية وحدهم بل كانت عامة للناس جميعا إذ لا يعقل أن يتحول موظف لم يؤهل للتدريس بحكم درجته الجامعية البعيدة عن هذا الحقل إلى مدرس يقوم بعمل لا يدرى شيئا عن مضمونه، ولو جرينا على هذا النهج، لجاز للسيد وزير الصحة إذا زار مستشفى ولحظ كثرة الإداريين مع عجز فى الأطباء أن يحول الموظفين إلى أطباء! وإذا كان هذا لا يعقل بداهة فى وزارة الصحة فكيف يعقل فى وزارة التربية والتعليم!

لاشك أن المسئولين فى وزارة التربية قد واجهوا ثلاثة مواقف عسيرة تتطلب الحل دون قدرة على الاتجاه المصيب: فالموقف الأول هو الفراغ الأليم فى هيئة التدريس، والموقف الثانى هو التضخم الهائل فى الإداريين والموقف الثالث هو العجز المالى الذى لا يتيح تعيين مدرسين من خريجى الكليات التربوية فأقدموا على أن يتخلصوا من الإداريين بتعيينهم مدرسين وهم يعلمون تماما أنهم لن يملئوا الفراغ حقيقيا، بل يملئونه صوريا، تعلم ذلك جيدا، ولكنها نظرت نظرة واقعية تعترف بها فى طيات مكنونها، ولكنها لا تجرؤ على الإفصاح عنها، هذه النظرة تقرر أن المدرسة لم تعد فى الواقع الملموس موضع نفع للتلاميذ فأولياء الأمور قد يئسوا من جدوى التدريس بها كما يئس الكفار من أصحاب القبور، وتأكدوا أن المدرس المتخصص كالمدرس غير المتخصص لا يعطى شيئا ما قليلا أو كثيرا وأن الدروس الخصوصية هى سيدة الموقف تماما، وإذن فلن يحدث جديد ما فى عملية التعليم لو أسند الأمر إلى غير أصحابه، وهؤلاء الذين يحتلون الأماكن الجديدة سيملئون الفراغ الرسمى دون أن يقدموا شيئا ما، قليلا أو كثيرا وهم بعد ذلك لن يكلفوا الدولة مليما واحدا لأن مرتباتهم ثابتة فى ميزانية التربية والتعليم، وإظهارا للجدية المظهرية ستقوم الوزارة بحلقات تدريبية لهؤلاء وهى خديعة مضحكة لأن المدرس المتخرج من كليات التربية لم تُجده دروس التربية شيئا الآن مع الدراسة المظهرية لعلوم التربية فكيف تجدى حلقات للتدريس

تستمر شهرا أو شهرين ويدعى إليها المفتشون وأشباههم ليلقوا محاضرات لا تعتمد على منهج مدروس ثم يقبضون المكافآت واهمين أنهم أفادوا الإداريين وهم لم يفيدوا غير جيوبهم فحسب، بدليل أنهم يعطون شهادات التقدير فى نهاية الحلقة للجميع دون أن يرسب أحد، وإذن فقد انفرجت الأزمة صوريا فى نظر وزارة التربية، فالفراغ قد ملىء دون ميزانية جديدة والمدارس لن تشكوا نقصا فى المدرسين، والتدريب قد منع كل اعتراض، أما التلاميذ فلم يدخلوا فى حساب أحد إذ لا شأن لهم بالمدرسة والمدرسين، وأولياء الأمور يعرفون ذلك فلم يعترضوا فى الصحف على هذه الملهاة؛ لأن الثقة فى المدرسة مفقودة تماما لديهم، وإذن فعلام يعترضون؟!

وقد رأت بعض الإدارات التعليمية أن يستعان بالمدرسين المحالين إلى المعاش لسد النقص الفادح فى هيئة التدريس وهو اقتراح غير مثمر لأن المحال إلى المعاش بعد الستين لم يحل وهو مدرس بل أُحيل بعد أن تولى منصبا قياديا مكث فيه أعواما طويلة لم يمارس فيها مهنة التدريس، ولن يكون سعيدا فى عمله وهو يعمل مع زملاء كان رئيسا عليهم أو فى مستوى رئيسهم من قبل، وضعفه الصحى لا يؤهله أن يؤدى واجبه كما كان شابا من قبل وقد يجد من تصرفات الزملاء نحوه ما يجعله ضائقا منهم، فهم يعاملونه كزميل ولا يشعرون نحوه بعاطفة ترضيه، لذلك وجدنا كثيرا ممن التحقوا بالمدارس الخاصة بعد خروجهم إلى المعاش يضيقون ذرعا بالتدريس ويقدمون استقالاتهم إذ شعروا عن يقين أنهم نزلوا عن مستوى كان لهم من قبل، وأريد أن أتساءل بصدد ذلك، إذا كنا سننفق كثيرا فى الدورات التدريبية لهؤلاء الإداريين. وإذا كنا سنعطى المكافآت المادية لمن يمارسون التدريس من المحالين إلى المعاش، فلماذا لا تدخر هذه الأموال لتكون رواتب ثابتة لمن نعينهم من حملة البكالوريوس من كليات التربية الذين أوصدت فى وجوههم أبواب الرزق من عدة أعوام؟، وقد بلغوا فى الإحصاء الأخير تسعين ألفا يملئون الشوارع كغيرهم من خريجى الكليات الأخرى، لنسهم بذلك فى تيسير أمور العيش لشباب لا يجدون ما ينفقون، وكل ذلك من ألفه إلى يائه علاج مظهرى، أو دواء مسكن، لا يستأصل الداء، لأن الواقع المرير يؤكد أن المدرس الآن قديما أو حديث التخرج لا يعطى شيئا، ومواجهة الحقيقة على ألمها الممض أول خطوات العلاج!

وقد قال أحد المسئولين فى وزارة التربية والتعليم تبريرا لهذا المشروع المعترض عليه: إن التعليم لا يحتاج إلى معجزة تربوية، لأن فقيه الكُتّاب فى القرية، يعلم التلاميذ ويقدمهم للمدارس، وهو لا يفقه شيئا من أمور التربية وقد نسى هذا الفاضل أن فقيه الكتاب ملقن فقط يقوم بالحفظ والتسميع دون أى جهد فى إدراك المعانى، وفى هذه الدائرة المحدودة يتم عمله دون سؤال عن مستوى التلميذ فهل يكون المدرس الآن

مجرد ملقن كفقيه الكُتّاب؟! وقد تحولت الكتاتيب بالقرى فى العهد الأخير إلى معاهد ابتدائية لا تكتفى بمجرد الحفظ بل تقدم المبادئ الأولى للقراءة والكتابة والحساب وما يتيسر من المعارف الأولية الخاصة بالدين وسيرة الرسول وأصبحت تعطى شهادة رسمية بعد امتحان فى المواد المقررة فأين فقيه الكتّاب اليوم ودوره الماضى كان فى حدود ملكيته المتواضعة، ولم يطلق على نفسه صفة المدرس؟ وما أظن أحدا من عارفيه نظر إليه بهذا الاعتبار!

لقد كانت إدارة القوى العاملة من قبل ترمى بالخريجين إلى وظائف بعيدة عن تخصصها إذ المراد عندها هو التعيين فقط، وبذلك تكدست الإدارات المختلفة بموظفين لا يعملون شيئا! ومن هؤلاء موظفو التربية والتعليم وتحتم الضرورة الملحة فى هذا اليوم أن تقوم وزارة التخطيط بمراجعة بصيرة لكل موظف يشغل مكانا لا يتكافأ مع مؤهله الدراسى فتنقله إلى مكان يجد فيه ما يشغله على أن يكون النقل فى حدود المحافظة التى يعمل بها، كيلا يضار ماليا ونفسيا بما يكبده من الأثقال دون موجب، ونحن نعرف أن بعض الإدارات الحكومية تشكو العجز، وتطلب من يسد الفراغ وجوارها إدارات أخرى تشكو التخمة وتسأل حائرة عن وجود أناس لا يكادون يعملون! فهل يستمر هذا التناقض السافر وفى يدنا أن نعمل على تلافيه، وعلى الذين ألفوا الفراغ فى وظيفتهم الصورية ألا يركنوا إلى هذا الكسل، لأن كرامة الموظف بينه وبين نفسه أن يكون عاملا منتجا، وأن تتوجه إليه الأنظار فى حل المشكلات، وتهيئة وسائل الراحة للمواطنين أما أن يظل وجوده كعدمه فى الإدارة التى ينتمى إليها فهذا مما يسيئ إلى كرامته قبل أن يسيئ إلى المجتمع بعامة، وأنا أعلم أن اقتراحات مخلصة قدمت بهذا الشأن من أناس لهم اعتبارهم الوظيفى ولكن كثيرا من الرؤساء يخضعون لاعتبارات ذاتية، أو يريدون ألا يتعبوا أنفسهم فى تغيير أوضاع مستقرة، هؤلاء لا يستجيبون سريعا لما يرجى منه النفع ولابد من حزم دقيق يمحو الخطأ ويثبت الصواب.

وأغرب ما قرأته لمن يشجعون انتقال الإداريين للتدريس أن التعليم الحر فى الماضى قبل أن يلحق بوزارة التربية كان يعتمد فى كثير من أحواله على أناس لا يحملون الشهادات المتخصصة، بل يقبل ناظر المدرسة من يجيد التدريس مادام قد نال «الصلاحية»، والصلاحية إذ ذاك تعنى امتحانا يقوم به الناظر يبين مقدار الكفاءة فإذا اطمأن إلى النتيجة اختار الممتحن لأنه ذو صلاحية وقد نسى هؤلاء أن الناظر فى عهد المدارس الحرة كان صاحب المدرسة ومدبر أحوالها، فهو فى تسيير أمورها كالتاجر فى متجره، والفلاح فى حقله، ممن يحرصون على الجزاء المناسب، ولن يقبل مدرسا يضعف مستواه، لأنه سيغضب التلاميذ وأولياء الأمور وفى ذلك كساد للمدرسة وسمعة سيئة لا يرتضيها، بل كان الناظر يغشى الفصول بين الفينة والفينة، ويجلس على كرسى

جوار السبورة ليستمع إلى الدرس، وذلك ما يدعو المدرس إلى الاهتمام بعمله كي يستمر في وظيفته وأذكر أن الأستاذ عبدالمنعم المديولي قد مثل دور الناظر في مسرحية فكاهية فأعطى مثلا لما كان رغم الروح الفكاهي الذى أضحك الجمهور، كما أذكر أن السيد اللواء سعد الشربيني رحمه الله حين عين محافظا للدقهلية اتجه في الأسبوع الأول إلى مدرسة الأستاذ على الفلال ليقول لجمهور السامعين: إنه كان طالبا بهذه المدرسة الأهلية وإنها كانت تتفوق على المدرسة الثانوية لاهتمام ناظرها بالعمل المدرسى وقد رأى من واجبه وقد صار محافظا للدقهلية أن يشيد بمعهد كان له أكبر الأثر في تكوينه ثم عانق الأستاذ على الفلال صاحب المدرسة مثنيا على جهوده، فليت شعرى أن يكون التعليم الحر موضع استشهاد في هذا المجال، وإذا كنا لا نرى اليوم في المدارس الأميرية أدنى اهتمام بالتدريس ومدرسوها متخصصون فهل سنجد هذا الاهتمام عند من نقلوا من الإدارة إلى التدريس وهم مكرهون!

إننا نقولها صريحة واضحة حين تعلن أن المدارس الحكومية الآن لا تقوم بأدنى ما يرجى منها من التعليم وأن الدرس الخصوصي قد أصبح سيد الموقف تماما، وهذا ما يعلمه أولو الأمر عن يقين فإذا أردنا العلاج الحاسم فلننظر أولا إلى أرض الواقع ولنعلم أن محدودى الدخل من المواطنين قد انقطع رجاؤهم في المدارس الحكومية إطلاقا، لأنها لا تؤدى رسالتها وما هى إلا مجرد مقاعد وطلاب لا يجدون ما يرغبهم في السماع! ومعنى ذلك أن الذين ينالون الدرجات العالية هم من يتحمل آباؤهم على ضيق متأزم نفقات الدرس الخصوصي، أما الباقون فتتقاذفهم الطرقات!

ليترك أولو الأمر المسكنات الهشة من أمثال نقل الإداريين إلى التدريس وليجابهوا الواقع الصريح الذى يعلن جهرا أن المدارس لم تعد تعطى شيئا ما، وأن الحسرات تأكل قلب الفقير حين تجده لا يستطيع أن يقدم لأبنائه في المدارس أى عون! ومن وراء ذلك مأساة التعليم الجامعى وقد ألممت بها من قبل ولها ذيول طويلة تتطلب الإيضاح على وجه صريح، وسأكرر هذا القول دون سأم، لأني أستريح به من بخار يتراكم في صدرى ويتطلب التنفيس!

د. / محمد رجب البيومي

تفسير سورة النساء

لفضيلة/ الأستاذ الدكتور
محمد سيد طنطاوى
رحمه الله

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ (٤٤) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا (٤٥) مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾

الآيات (٤٤: ٤٦)

قال الألوسى: قوله -تعالى- ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ هذه الكلمة قد تذكر لمن تقدم علمه فتكون للتعجب والتقدير والتذكير لمن علم بما يأتى كالأحبار وأهل التواريخ، وقد تذكر لمن لا يكون كذلك فتكون لتعريفه وتعجيبه. وقد اشتهرت في ذلك حتى أجريت مجرى المثل في هذا الباب، بأن شبه حال من لم ير الشيء بحال من رآه في أنه لاينبغى أن يخفى عليه وأنه ينبغى أن يتعجب منه ثم أجرى الكلام معه كما يجرى مع من رأى قصدا إلى المبالغة في شهرته وعراقته في التعجب -والرؤية إما بمعنى الإبصار-أى ألم تنظر إليهم، وإما بمعنى الإدراك القلبى متضمنا معنى الوصول والانتهاء-أى ألم ينته علمك إليهم[1] والمراد بـ(الذين) أحبار اليهود. والمراد

---

١. تفسير الألوسى جـ ٥ ص ٤٥. بتصرف يسير.

بالذى أوتوه ما بين لهم فى الكتاب من العلوم والأحكام التى من جملتها ما علموه من نعوت النبى ﷺ ومن حقية دين الإسلام بالاتباع.

والمراد بالكتاب: التوراة التى أنزلها الله- تعالى - على موسى عليه السلام-ليكون هداية لبنى إسرائيل، فحرفوها وتركوا العمل بها.

والمراد بالسبيل: الطريق المستقيم وهو طريق الإسلام فأل فيه للعهد.

والمعنى: ألم ينته علمك إلى حال هؤلاء الأحبار من اليهود الذين أعطوا حظا ومقدارا من علم التوراة؟ إن كنت لم تعلم أحوالهم أو لم تنظر إليهم فهاك خبرهم وتلك هى حقيقتهم، إنهم يشترون الضلالة وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم الدالة على صحة دين الإسلام، وهم لايكتفون بتلبسهم بالضلال الذى أشربته نفوسهم، بل يريدن لكم يامعشر المسلمين أن تتركوا دين الإسلام الذى هو السبيل الحق، وأن تتبعوهم فى ضلالهم وكفرهم.

فالمقصود من الآية الكريمة تعجيب المؤمنين من سوء أحوال أولئك الأحبار وتحذير لهم من موالاتهم أو من الاستماع إلى أكاذيبهم وشبهاتهم.

والخطاب لكل من يصلح له من المؤمنين، وتوجيهه إلى النبى ﷺ هنا مع توجيهه بعد ذلك إلى الكل - فى قوله ﴿أَن تَضِلُّوا﴾ - للإيذان بكمال شهرة شناعة حال أولئك اليهود، وأنها بلغت من الظهور إلى حيث يتعجب منها كل من يراها أو يعلمها.

وقد وصفهم -سبحانه- بأنهم أوتوا نصيبا من الكتاب، ولم يؤتوا الكتاب كله، لأنهم نسوا حظا كبيرا مما ذكروا به، ولم يبق عندهم من علم الكتاب إلا القليل، وهذا القليل لم يعملوا به بل حرفوه وبدلوه وأخضعوا تفسيره لأهوائهم وشهواتهم.

﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾

هو موطن التعجب من شأنهم لأنهم لايطلبون الضلالة بفتور أو تريث وإنما يطلبونها بشراهة ونهم ويدفعون فيها أغلى الأثمان وهو الهدى، ولا يكتفون بذلك بل يبتغون من المؤمنين أن يكونوا مثلهم فى الضلال.

وقريب من معنى هذه الآية قوله تعالى:

﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾

وذكر سبحانه الشىء الذى اشتروه وهو الضلالة، وطوى ذكر المتروك وهو الهدى، للإيذان بغاية ظهوره.

وللإشعار بأنهم قوم يطلبون الضلالة فى ذاتها، وأن البعد عن الحق والهدى مطلب من مطالبهم يدفعون فيه الثمن عن رغبة، وذلك لأنهم قوم مردوا على الضلالة فغدوا لايستمرئون سواها، ولا يركنون إلا إليها، وإن قوما هذا شأنهم لجديرون بالابتعاد عنهم، والتحقير من أمرهم لأنك -كما يقول الفخر الرازى- لاترى حالة أسوأ ولا أقبح ممن جمع بين هذين الأمرين: أعنى الضلال والإضلال.

قال الألوسى:

وقوله: ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾ .. إلخ استئناف مبين لمناط التشنيع ومدار التعجب المفهومين من صدر الكلام، مبنى على سؤال نشأ منه كأنه قيل: ماذا يصنعون حتى ينظر إليهم؟ فقيل يختارون الضلالة على الهدى أو يستبدلونها بعد تمكنهم منه... وذهب أبو البقاء إلى أن جملة ﴿يَشْتَرُونَ﴾ حالة مقدرة من ضمير ﴿أُوتُوا﴾ أو حال من ﴿الَّذِينَ﴾[2]

وقوله:

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾

جملة معترضة للتأكيد والتحذير.

أى: والله- تعالى- أعلم بأعدائكم منكم- أيها المؤمنون- وقد أخبركم بأحوالهم وبما يبيتون لكم من شرور، فاحذروهم ولا تلتفتوا إلى أقوالهم وأعدوا العدة لتأديبهم دفاعا عن دينكم وعقيدتكم

وقوله:

﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾

تذييل قصد به غرس الطمأنينة فى نفوس المؤمنين بأنه العاقبة لهم.

أى:

﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾

يتولى أموركم، ويصلح بالكم

﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾

يدفع عنكم مكرهم وشرورهم، ومادام الأمر كذلك فاكتفوا بولايته ونصرته، واعتصموا بحبله، وأطيعوا أمره، ولاتكونوا فى ضيق من مكر أعدائكم فإن الله ناصركم عليهم بفضله وإحسانه.

وقوله ﴿وَكَفَىٰ﴾ فعل ماض، ولفظ الجلالة فاعل والباء مزيدة فيه لتأكيد الكفاية، ووليا ونصيرا منصوبان على التمييز، وقيل على الحال.

وكرر- سبحانه - الفعل كفى لإلقاء الطمأنينة فى قلوب المؤمنين، لأن التكرار فى مثل هذا المقام يكون أكثر تأثيرا فى القلب وأشد مبالغة فيما سيق الكلام من أجله.

فكأنه - سبحانه- يقول لهم: اكتفوا بولاية الله ونصرته، وكفاكم الله الولاية والنصرة والمعونة، ومن كان الله كافيه نصره على عدوه فاطمئنوا ولا تخافوا.

ثم ذكر- سبحانه -ألوانا من الأقوال والأعمال القبيحة التى كان اليهود يقولونها ويفعلونها للإساءة إلى النبى ﷺ وإلى المسلمين فقال:

﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾

وتحريف الشىء إمالته وتغييره، ومنه قولهم: طاعون يحرف القلوب، أى يميلها ويجعلها على حرف، أى جانب وطرف. وأصله من الحرف يقال: حرف الشىء عن وجهه، صرفه عنه والجملة الكريمة بيان

2. تفسير الألوسى جـ ٥ ص ٤٥.

للموصول وهو قوله – تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾

ويجوز أن يكون قوله:

﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾

خبر لمبتدأ محذوف. وقوله:

﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾

صفة له.

أى: من الذين هادوا قوم أو فريق من صفاتهم أنهم يحرفون الكلم عن مواضعه أى يميلونه عن مواضعه، ويجعلون مكانه غيره، ويفسرونه تفسيرا سقيما بعيدا عن الحق والصواب.

قال الفخر الرازى: فى كيفية التحريف وجوه:

أحدها: أنهم كانوا يبدلون اللفظ بلفظ آخر، مثل تحريفهم اسم "ربعة" عن موضعه فى التوراة بوضعهم "آدم طويل" وكتحريفهم الرجم بوضعهم الجلد بدله.

الثانى: أن المراد بالتحريف إلقاء الشبه الباطلة، والتأويلات الفاسدة، وصرف اللفظ من معناه الحق إلى معنى باطل بوجوه من الحيل اللفظية، كما يفعله أهل البدعة فى زماننا هذا بالآيات المخالفة لمذاهبهم، وهذا هو الأصح.

الثالث: أنهم كانوا يدخلون على النبى ﷺ ويسألونه عن أمر فيخبرهم ليأخذوا به فإذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه.[3]

والذى نراه أولى أن تحريف هؤلاء اليهود للكلم عن مواضعه يتناول كل ذلك، لأنهم لم يتركوا وسيلة من وسائل التحريف الباطل إلا فعلوها، أملا منهم فى صرف الناس عن الدعوة الإسلامية، ولكن الله – تعالى – خيب آمالهم.

قال الزمخشرى: فإن قلت: كيف قيل ههنا

﴿ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ وفى المائدة

﴿ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾؟ قلت: "أما عن مواضعه" فعلى ما فسرنا من إزالته عن مواضعه التى أوجبت حكمة وضعه فيها، بما اقتضت شهواتهم من إبدال غيره مكانه.

وأما ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾ فالمعنى أنه كانت له مواضع قمن بأن يكون فيها. فحين حرفوه تركوه كالغريب الذى لا موضع له بعد مواضعه ومقاره. والمعنيان متقاربان[4]

ثم حكى – سبحانه – لونا ثانيا من ضلالتهم فقال:

﴿ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾

أى: ويقولون للنبى ﷺ إذا ما أمرهم بشىء: سمعنا قولك وعصينا أمرك فنحن مع فهمنا لما تقول لانطيعك لأننا متمسكون باليهودية.

ثم حكى – سبحانه – لونا ثالثا من مكرهم فقال:

﴿ وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ ﴾

وهذه الجملة معطوفة على ماقبلها وداخلة تحت القول السابق.

أى: ويقولون ذلك فى أثناء مخاطبتهم

3. تفسير الفخر الرازى جـ ١٠ ص ١١٨ طبعة عبدالرحمن محمد.

4. تفسير الكشاف جـ ١ ص ٥١٧.

للنبى ﷺ وهو كلام ذو وجهين وجه محتمل للشر، بأن يحمل على معنى "اسمع" حال كونك غير مسمع كلاما ترضاه ووجه محتمل للخير بأن يحمل على معنى اسمع منا غير مسمع كلاما تكرهه.

فأنت تراهم – لعنهم الله – أنهم كانوا يخاطبون النبى ﷺ بهذا الكلام المحتمل للشر والخير موهمين غيرهم أنهم يريدون الخير، مع أنهم لايريدون إلا الشر، بسبب ماطفحت به نفوسهم من حسد للنبى ﷺ وللمسلمين.

ثم حكى – سبحانه – لونا رابعا من خبثهم فقال:

﴿ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ﴾

وهو كلام معطوف على ماقبله وداخل تحت القول السابق.

وكلمة «راعنا» كلمة ذات وجهين – أيضاً – فهى محتملة للخير بحملها على معنى ارقبنا وأمهلنا أو انتظرنا نكلمك، ومحتملة للشر بحملها على شبه كلمة عبرانية كانوا يتسابون بها أو على السب بالرعونة أى الحمق.

قال الراغب: قوله – تعالى –

﴿ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ﴾

كان ذلك قولا يقولونه للنبى ﷺ على سبيل التهكم يقصدون به رميه بالرعونة، ويوهمون أنهم يقولون: راعنا أى احفظنا من قولهم: رعن الرجل يرعن رعنا فهو رعن)[5]

أى أحمق.

وأصل كلمة ﴿ لَيًّۢا ﴾ لويا لأنه من لويت، فأدغمت الواو فى الياء لسبقها بالسكون، واللى: الانحراف والالتفات والانعطاف.

والمراد أنهم كانوا يلوون ألسنتهم بالكلمة أو بالكلام ليكون اللفظ فى السمع مشبها لفظا آخر هم يريدونه لأنه يدل على معنى ذميم.

أى أنهم كانوا يقولون للنبى ﷺ على سبيل التهكم والاستهزاء (راعنا) ويقصدون بهذا القول الإساءة إليه ﷺ وينطقون بهذه الكلمة ومايشبهها نطقاً ملتويا منحرفاً ليصرفوها عن جانب احتمالها للخير إلى جانب احتمالها للشر. ولذا فقد نهى الله – تعالى – المؤمنين عن مخاطبة الرسول ﷺ بمثل هذه الألفاظ.

قال ابن كثير: عند تفسيره لقوله – تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا ﴾

نهى الله عباده المؤمنين عن أن يتشبهوا بالكافرين فى مقالهم وفعالهم. وذلك أن اليهود كانوا يلعنون من الكلام مافيه تورية لما يقصدونه من التنقيص – عليهم لعائن الله –: فإذا أرادوا أن يقولوا اسمع لنا: يقولون راعنا، ويورون بالرعونة: وكذلك جاءت الأحاديث بالإخبار عنهم بأنهم كانوا إذا سلموا إنما يقولون: السام عليكم والسام: هو الموت.

5. المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ص١٩٨.

ولهذا أمرنا أن نرد عليهم بـ «وعليكم» وإنما يستجاب لنا فيهم ولا يستجاب لهم فينا والغرض أن الله - تعالى - نهى المؤمنين عن مشابهة الكافرين قولا وفعلا[٦]

وقوله:

﴿ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ﴾

أي: يقولون ذلك من أجل القدح في الدين، والاستهزاء بتعاليمه، وبنبيه ﷺ.

ثم بين - سبحانه - ماكان يجب عليهم أن يقولوه لو كانوا يعقلون فقال تعالى:

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ ﴾

أي: ولو أنهم قالوا عند سماعهم لما يدعوهم إليه الرسول ﷺ من حق وخير، ﴿ سَمِعْنَا ﴾ قولك سماع قبول واستجابة، وأطعنا أمرك بدل قولهم سمعنا وعصينا.

ولو أنهم قالوا عند مخاطبتهم له ﷺ ﴿ وَاسْمَعْ ﴾ إجابتنا لدعوة الحق ﴿ وَانظُرْنَا ﴾ حتى نفهم عنك ماتريده منا بدل قولهم:

﴿ وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ ﴾

لو أنهم فعلوا ذلك لكان قولهم هذا خيراً لهم وأعدل من أقوالهم السابقة الباطلة التي حكاها القرآن عنهم.

ولكنهم لسوء طباعهم لم يفعلوا ذلك فحقت عليهم اللعنة في الدنيا والآخرة وقد صرح القرآن بذلك فقال:

﴿ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

أي: ولكنهم لم يقولوا ما هو خير لهم وأقوم بل قالوا ماهو شر وباطل، فاستحقوا اللعنة من الله بسبب كفرهم وسوء أفعالهم. ولفظ ﴿ قَلِيلًا ﴾ في قوله:

﴿ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

منصوب على الاستثناء من قوله ﴿ لَّعَنَهُمُ ﴾ أي: ولكن لعنهم الله إلا فريقا منهم آمنوا فلم يلعنوا: أو منصوب على الوصفية لمصدر محذوف أي: ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا إيمانا قليلا أي ضعيفا ركيكا لايعبأ به، ولايغني عنهم من عذاب الله شيئا، لأنه إيمان غير صحيح بسبب تفريقهم بين رسل الله في التصديق والطاعة. قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾

(النساء: ١٥٠: ١٥١)

***

٦. تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣١٨.

السنة

الوفاء بالعهد

لفضيلة الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومي

روى الإمام البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة -رضي الله- عنه عن رسول الله ﷺ أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال: ائتني بالشهداء أشهدهم، فقال كفى بالله شهيداً، قال فائتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلاً، قال: صدقت، فدفعها إليه على أجل مسمى، فخرج في البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركباً يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجله فلم يجد مركباً، فأخذ خشبة فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها، ثم أتى بها إلى البحر، فقال: اللهم إنك تعلم أني كنت تسلفت فلانا ألف دينار فسألني كفيلاً فقلت: كفى بالله كفيلا، فرضي بك، وسألني شهيداً فقلت: كفى بالله شهيدا، فرضي بذلك، وأني جهدت أن أجد مركبا أبعث إليه الذي له فلم أقدر، وإني أستودعكها. فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركبا يخرج إلى بلده.. فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركبا قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطبا، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسلفه فأتى بالألف دينار فقال: والله مازلت جاهداً في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبا قبل الذي أتيت فيه. قال: هل كنت بعثت إلي بشيء؟ قال: أخبرك أني لم أجد مركبا قبل الذي جئت فيه. قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة، فانصرف بالألف الدينار راشداً.

اللغويات

* فأخذ خشبة فنقرها: أي: حفرها.
* ثمّ زجج موضعها: أي سوى موضع النقر وأصلحه.
* تسلفت فلانا: أي: اقترضت منه.
* حتى ولجت فيه: أي: دخلت في البحر.
* نشرها: قطعها بالمنشار.

الشرح والبيان

إن الوفاء بالعهد قيمة إنسانية وأخلاقية عظمى لأنه؛ يرسى دعائم الثقة فى الأفراد، ويؤكد أواصر التعاون فى المجتمع.. والوفاء صدق اللسان والفعل معا، وهو من أهم الفرائض الدينية وألزم الواجبات الشرعية التى أمر الله بها رسوله ﷺ والمؤمنين، حفظاً للدين بإقامة شعائره ونشر أحكامه، وحفظا لنظام المعيشة وبقاء العمران؛ لأن الوفاء بالوعد والالتزام بشروط العقد ينشر الثقة بين الناس، وإذا وجدت الثقة راجت التجارة وتطورت الزراعة وتقدمت الصناعة وانتشر الحب وعمّ الرخاء وعاش الناس سعداء ورضى عنهم رب العباد، لاتفرقهم الدنيا ولا ينزغ بينهم الشيطان.

لكن إذا فُقد الوفاء انسلخت الإنسانية من إنسانيتها؛ لأن الناس مضطرون إلى التعاون، ولايتم التعاون إلا بمراعاة العهد والوفاء به، ولولا ذلك لتنافرت القلوب، وارتفع التعايش، ولذلك عظّم الله تعالى أمره فقال:

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾

البقرة (٤٠)

لهذا أمرنا الله عز وجلّ بالوفاء وحثنا عليه فقال:

﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾

الإسراء (٣٤)

وقال:

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ﴾

النحل (٩١)

وجعل الوفاء بالعهد من صفة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.. فقال تعالى:

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾

مريم (٥٤)

وقال تعالى:

﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾

النجم (٣٧)

وجعله كذلك من سمات الصادقين وصفات البررة المتقين، قال تعالى:

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾

البقرة (١٧٧)

وهو كذلك الطريق الموصّل إلى الثواب الكبير والأجر العظيم من الله عزّوجلّ قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

الفتح (١٠)

وقبل هذا وذاك فإن الوفاء من صفة الله عزّ وجلّ قال تعالى:

﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

البقرة (٨٠)

وقال:

﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾

التوبة (١١١)

وقد امتدح الله عزّ وجلّ من وفى بعهده، فقال:

﴿ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾

آل عمران (٧٦)

وذمّ بعض أهل الكتاب بعدم الوفاء قال تعالى:

﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

آل عمران (٧٥)

وحيث امتدح الله إسماعيل عليه السلام -قدّم صدق الوعد على الرسالة والنبوة

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾

مريم (٥٤)

إذ لاينال النبوة من لم يتحلّ بصدق الوعد.. ورسول الله محمد ﷺ كان المثل الأعلى فى الوفاء، روى أنه وعد- أبا الهيثم بن التيهان خادما، فأعطى اثنين وبقى واحد، فأتت فاطمة- رضى الله عنها تطلب إليه خادما. وتقول: ألاترى أثر الرحى بيدى! فذكر الرسول ﷺ وعده لأبى الهيثم، فجعل يقول: كيف بوعدى لأبى الهيثم؟ فآثره الخادم على ابنته فاطمة؛ وفاء للوعد، مع شدة حاجتها إليه؛ إذكانت تدير الرحى بيدها الكريمة.

وإذا كان هذا شأن الوفاء فى رسالة السماء- فإن العرب فى الجاهلية كانوا يقدّرون الوفاء ويعظمون أصحابه، وينقادون للأوفياء انقياد العبيد للسادة، ويلهجون بالثناء عليهم ويضربون بهم الأمثال، روى الأمام أحمد عن عبد الله ابن عمرو- رضى الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال فى خطبته: أوفوا بحلف الجاهلية فإنّ الإسلام لم يزده إلا شدة، ولاتحدثوا حلفا فى الإسلام وممن اشتهر بالوفاء من العرب السموأل بن عاديا؛ كان من وفائه أن امرىء القيس لما اراد الخروج إلى قيصر الروم -استودع السموأل دروعا له، فلما مات امرؤ القيس طلبها إليه أحد ملوك الشام هو الحارث بن المنذر، فأبى، فغزاه الحارث من أجلها، فتحرز منه السموأل، فأخذ ذلك الملك ابنا للسموأل خارج الحصن، وصاح يهدده بقوله: ياسموأل، هذا ابنك فى يدى، وقد علمت أن امرىء القيس ابن عمى، وأنا أحق بميراثه، فإن

دفعت إليَّ الدروع، وإلاّ ذبحت ابنك، فقال السموأل: أجلني، فأجله، فجمع أهل بيته وشاورهم في الأمر، فكلّهم أشار بدفع الدروع إليه واستنقاذ ابنه، فلما أصبح أشرف عليه وقال: ليس إلى دفع الدروع سبيل فاصنع ما أنت صانع، فذبح ابنه وهو ينظر إليه، وانصرف الملك، ووافى السموأل الموسم بالدروع، فدفعها إلى ورثة مرىء القيس. «وشاهد العربُ كيف فرط في والده ولم يفرّط في أمانته وعهده، فلا غرابة إذ طار صيته في الآفاق، ولاعجب أن كانوا يضربون به المثل، فيقول: «أوفى من السموأل بن عادياء».

هذا، وإذاكان الله عزّ وجلّ قد أمرنا بالوفاء بالوعد والعهد فقد نهانا عن الإخلاف والغدر؛ لأنهما من الذنوب العظيمة والآثام الكبيرة، فإذا تفشّت هذه الصفات الكريهة في مجتمع قوّضت أركانه، وهدمت بنيانه، وإن عاش أبناؤه عاشوا متحاقدين متفرقين في ضعف وهوان وعار وخزى. إذا أراد أحدهم أن يتعامل مع الآخر احترس منه بكل ما أمكن، واستوثق منه بكل مايقدر.. ومن ثمّ جاء التنفير من خُلف الوعد ونقض العهد في كتاب الله الكريم وسنة رسوله العظيم ﷺ، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾

«الصف: ٢-٣»

والمقت: أشد الغضب، ويتناول نقض العهد وكذب القول، وكلاهما من علامات النفاق، فعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، واذا وعد أخلف، واذا اؤتمن خان». فجعل خلف الوعد من أمارات النفاق، إذا وعد وفي نيته عدم الوفاء، أما إذا كان حال الوعد عازما على الوفاء ولكن عرض له مانع أو بدا له رأى، فلايزمّ؛ فقد روى الطبرانيّ أنّ رسول الله ﷺ قال: "إذا وعد وهو يحدث نفسه أنه يخلف" لأنه حينئذٍ يظهر خلاف مايبطن، وهذا كذب وغش وخيانة، ومن يفعل ذلك فهوميت وإن كان يعيش في الدنيا؛ لأنّ الحياة الحقيقية حياة النفس والضمير لاحياة البدن والجسم، وناقض العهد ومخلف الوعد لاضمير له، وماأكثرهم في أيامنا هذه! وبالتالي لاحياة لهم، وقد روى أنه لما قتل عبد الملك بن مروان عمرو بن سعيد بعد أن صالحه وأعطاه الأمان وكتب له بذلك كتاباً وأشهد عليه- قال لرجل كان يستشيره ويصدر عنه إذا ضاق به الأمر: مارأيك في الذى كان منى؟- قال: أمرقد فات دركه، قال: لتقولنّ. قال: حزم لوقتلته وحييت، قال: أولست بحيّ؟! قال: ليس بحيّ من وقف نفسه موقفا لايوثق له فيه بعهد ولا بعقد، قال عبد الملك: كلام لو سبق سماعه فعلى لأمسكت.. وهكذا خضع الخليفة لسلطان الحقّ حين ظهرله، وندم على ماكان منه؛ من إخلاف الوعد ونقض العهد، وعرف أنّ الحياة الصحيحة حياة النفس والضمير، لاحياة الجسم.. وحياة الضمير هي التي تضمن للإنسان عزّة الدنيا ونعيم الآخرة، وقد قيل: (إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ودوام عهده فانظر إلى حنينه إلى أوطانه وتشوقه إلى إخوانه وكثرة بكائه على مامضى من زمانه).

وقد أنشد الشاعر:

تعجيل وعد المرء أكرومة ..
تنشر عنه أطيب الذكر
والخر لا يمطل معروفه ..
ولا يليق المطل بالحرّ

وأنشد الآخر:

اشدد يديك بمن بلوت وفاء ..
إنّ الوفاء من الرجال عزيز

هذا والوفاء أنواع، فهو إمّاأن يكون وفاء بالعهد، وإما أن يكون وفاء بالعقد أو الميثاق، والوفاء بالعهد إتمامه وعدم نقض حفظه، وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما: (العهود ما أحلّ الله وماحرّم ومافرض وماحدّ في القرآن كلّه) أما الوفاء بالعقد فقد يراد به العهد، وقد يراد به العقد، والعقود أوكد العهود، وقيل: هى عهود الإيمان والقرآن، وقيل: هى مايتعاقده الناس فيما بينهم.

والمراد بالوفاء بالوعد: أن يصبر الإنسان على أداء مايعد به الغير، ويبذله من تلقاء نفسه، ويرهنه به لسانه، حتى إن أضرّ به ذلك.

ولا يستطيع ذلك إلا قليلون، ولقلّة وجود ذلك في الناس قال ربنا سبحانه:

﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ ﴾

«الأعراف: ١٠٢»

وقد ضرب به المثل في العزّة، فقالت العرب: (هو أعز من الوفاء)

روى أحمد وابن حبان والبيهقى عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: اضمنوا لى ستا أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا اؤتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم).

اللهم طهر قلوبنا من النفاق، وأعمالنا من الرياء، وبطوننا من الحرام، وألسنتنا من الكذب، ونفوسنا من الزيغ والضلال.

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل

* * *

الاتساق النفسى وأبعاده التربوية فى ضوء القرآن الكريم

للأستاذ الدكتور/ مصطفى رجب

نقصد بالاتساق النفسى فى هذه السطور ما يجب أن تتحلى به الشخصية المسلمة من توازن بين المرغوب والمرهوب، وبين المأمول والمتاح، والتصالح الداخلى بين التطلع والممكن بما يحقق لها السلام النفسى، والاتزان العاطفى، والصدق مع النفس. وهذا من شأنه أن يخمد نيران التوتر الداخلى، ويفل أسلحة الصراع الهائج داخل أغوار النفس الإنسانية المؤارة المتأججة.

والتربية الإسلامية فى حقيقتها هى النور الذى يوجه الإنسان إلى ما فيه خيره وصلاح أمره فى الدنيا والآخرة، وهى بذلك تسعى إلى حماية النفس البشرية من الانحراف أو الزلل، بل ووقايتها منه ابتداء، فهى بعيدة كل البعد عن المطامع الشخصية أو الشهوات الآنية، والسبب فى ذلك أنها تربية ربانية من عند الله تعالى.

والذى يمعن النظر فى هذه التربية يجد أنها لا تنتظر حدوث مشكلة حتى توجد لها حلا، ولا تصطنع العلاج بعد حدوث المرض، بل تضع الحلول قبل حدوث المشكلة وتهيئ الدواء قبل استشراء الداء، فهى تنهى من أصيب بمرض معد أن يختلط بالآخرين، حرصا منها على سلامة الأبدان من الإيذاء، وهى تحظر على المؤمنين الاختلاط بأصحاب المعاصى خوفاً على القلوب من الفساد.

ويعد القرآن الكريم المصدر الأول فى ترسيخ معانى ومبادئ التربية النفسية الوقائية، فقد جاءت فيه آيات كثيرة تشير إلى أهمية الوقاية من الإحباط، عن طريق الوثوق بالوعد الإلهى فى التمكين والنصر.

قال تعالى:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

(النور: ٥٥)

قال الإمام البغوى: مكث النبى ﷺ بمكة بعد الوحى عشر سنين مع أصحابه وأمروا بالصبر على أذى الكفار وكانوا يصبحون ويمسون خائفين ثم أمروا بالهجرة إلى المدينة وأمروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق أحد منهم سلاحه فقال رجل منهم: أما يأتى علينا يوم نؤمن فيه ونضع السلاح فأنزل الله هذه الآية:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ﴾

ومعناه والله ليستخلفنهم أى ليورثنهم أرض الكفار من العرب والعجم فيجعلهم ملوكها وساستها وسكانها كما استخلف الذين من قبلهم (البغوى، معالم التنزيل، ج/ ٣، ص/ ٣٥٣).

أمراض القلوب

وفى إطار تحقيق الاتساق النفسى، اهتمت التربية الإسلامية بسلامة القلب من الأمراض الباطنية حفاظاً منها على سلامة السلوك البشرى من الانحراف، فالقلب هو المضغة الأهم فى جسم الإنسان فإذا صلح صلح سائر الجسد وإذا فسد فسد سائر الجسد.

١ - الوقاية من سوء الظن المؤدى إلى إشاعة الأباطيل والافتراءات. قال تعالى منددا بحادث الإفك وما صاحبه من ترداد للشائعات، ورجم بالغيب للمحصنات الغافلات المطهرات:

﴿ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾

(النور: ١٢)

٢ - وقاية الأفراد وتحذيرهم من مرض التكبر:

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾

(لقمان: ١٩)

الشيطان وأساليبه

وفى إطار تحقيق الاتساق النفسى، أرشدنا القرآن الكريم ووجهنا الوجهة الصحيحة فى وجوب توقى كيد الشيطان وأساليبه التى يتبعها فى غواية المؤمنين، وقد جاء هذا التوجيه والإرشاد عن طريق إرشادنا إلى الأخذ بجملة من الأمور منها:

١ - توقى نزغات الشيطان بالقول الحسن:

﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾

(الإسراء: ٥٣)

ومعنى هذه الآية أن الشيطان، يفسد ويهيج الشر والمراء بين المؤمنين ويغرى بعضهم بعداوة بعض، فتقع بينهم المشاق والمضارة، مما يؤدى إلى تأكد العناد وتمادى الفساد فيما بينهم.

٢ - توقى الشيطان بالاستعاذة منه:

﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾

(المؤمنون: ٩٧ / ٩٨)

٣ - توقى الشيطان بمخالفته:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

(النور: ٢١)

٤ - توقى اختلال نسق الأولويات وذلك بتقديم الأولى فالأولى:

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

(العنكبوت: ٨)

﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

(لقمان: ١٥)

٥ - توقى الهلاك بالتحذير من مواطن الخطر والتوجيه إلى مواطن السلامة:

﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾

(النمل: ١٨)

٦ - ترك مجالس اللغو:

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾

(القصص: ٥٥)

٧ - تجنب كتمان الحق وذلك بإظهاره:

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾

(الأحزاب: ٣٧)

٨ - توقى الوقوع فى إيذاء النبى ﷺ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ﴾

(الأحزاب: ٥٣)

٩ - توقى سوء التأدب مع مقام النبى ﷺ:

﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

(النور: ٦٣)

١٠ - اجتناب الوقوع فى إيذاء الأنبياء:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾

(الأحزاب: ٦٩)

١١ - توقى الاغترار بالأموال والأولاد:

﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾

(سبأ: ٣٧)

١٢ - توقى الافتتان بالحياة الدنيا:

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾

(طه: ١٣١)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾

(فاطر: ٥)

***

من مقدمات القيامة فى القرآن الكريم

إن زلزلة الساعة شىء عظيم

للأستاذ صديق بكر عيطة
من علماء الأزهر الشريف

قال تعالى فى سورة «الحج»:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾

(الحج ١: ٢)

آيتان من أول سورة «الحج» إحدى السور التى جمعت فى التنزيل بين المكى والمدنى، والآيتان - كما هو واضح لأول وهلة - تشتملان على قسط كبير من الزجر والتخويف. حيث دعتا الناس جميعاً، ودون استثناء لتقوى الله تعالى. وتلك قضية الدعوة من أولها إلى آخرها، بل قضية الرسالات كلها، من لدن آدم عليه السلام.. إلى محمد خاتم النبيين والمرسلين عليه وعلى إخوانه فى الدعوة إلى الله أعظم الصلوات، وأجل التسليمات.

والتقوى، كلمة جامعة لكل معانى الخير.. مانعة عن كل ما فيه إغضاب لله تبارك وتعالى: بدءاً بعقيدة التوحيد.. وانتهاء بتنفيذ شرع الله، وتطبيق ما جاء بكتابه من عبادات، ومعاملات وأخلاق وآداب، ولذا كانت هذه المقولة الخالدة: «التقوى ألا يراك الله حيث نهاك، ولا يفتقدك حيث أمرك»، وقول على بن أبى طالب عن التقوى: «هى الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والاستعداد ليوم الرحيل».

ولقد شاعت كلمة «التقوى» فى القرآن الكريم، وفى حديث رسول الله ﷺ وفى الجو الإسلامى العام بمشتقاتها المختلفة؛ لأنها باب كل خير.. وجماع كل فضيلة.. ومنطلق الإيمان الراسخ.. ومفتاح التصور لمعنى الجلال، تحت عرش ذى الجلال، والكمال المطلق، فى عالم الكمال.. والشعور بالرجفة، التى تهز الكيان البشرى قلباً وقالباً، عند تذكر الجبروت الأعلى، الذى لا يترك للمرء فضلة من الهدوء والراحة فى ساعة من ليل أو نهار.

ومن هنا ندرك هذا التناسق الفنى العجيب، الذى تنحنى أمامه كل آيات الفن والإبداع، بشتى آفاقه وتصوراته.. بين هذا الاستهلال المعجز:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾

وبين هذا التعليل المذهل.. المرعب..

﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾

وهذا التفصيل الذى يمسك بتلابيب الكيان البشرى كله، وبجميع ملكاته وقدراته، ويهزه هزاً عنيفاً يسقط من حوله ما علق به من حب الدنيا.

﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾

القرآن الكريم، يقف ماثلاً، شامخاً، منتصباً على ربوة التاريخ يرفع صوته مناديا:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾

ليوقظ فى المرء أنشط عناصر تكوينه وهو «الإنسانية» وهو يتحسس فيه برفق هذا العنصر، الذى خاطبه ربه تبارك وتعالى، وهو ما يزال - بعد - فى عالم الذر، حينما أخذ

﴿ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾

(الأعراف: ١٧٢)

.. وبعد أن يظفر منه بيقظة هذا العنصر يكون الأمر الأعلى «اتقوا ربكم وحاذروه، واجعلوا بينكم وبين غضبه وقاية تدفع عنكم عذابه ونقمته».

وهنا يبدأ عرض الأحداث، التى تجسد غضب الرب تبارك وتعالى، هذا الغضب الذى أمرنا فى التوّ واللحظة أن نتقيه ونحذره: فالأرض ترجّ رجا عنيفاً قوياً مزلزلاً، ترى فيه القيامة رأى العين: فى الأرض التى تشققت، والبراكين التى تفجرت، والجبال التى دُكّت.. والأجساد التى لفظت دفعة واحدة بعد أن استكنّت فى الأرض أزماناً متطاولة - كما جاء فى مواضع أخرى من القرآن الكريم - فتهتز النفوس، وتذهل العقول، وتطير الأفئدة شعاعاً، وتطيش الأحلام رعباً وفزعاً.

فها هى ذى الأم، التى تحمل رضيعها ليلقم ثديها، فى أحب لحظات حياتها التى تعبر عن حقيقة أمومتها، التى تعيش بها ولها.. تتخلى عن هذه الأمومة وتلقى بوليدها، الذى يرتضع ماء الحياة منها، ذاهلة عنه، فارة بنفسها.. فى حالة رعب وفزع..!!

وها هى ذى المرأة الحامل، تفزع وترتعد حتى تُلقى بحملها فى غير أوانه..!!

والناس هائمون فى حركة هستيرية، غير منتظمة.. يترنحون على هيئة السكارى، وما هم بسكارى على وجه الحقيقة.. «مشهد مزدحم بذلك الحشد المتماوج، تكاد العين تبصره لحظة التلاوة، بينما الخيال يتملاه، والهول الشاخص يذهله، فلا يكاد يبلغ أقصاه.. وهو هول حىّ لا يقاس بالحجم والضخامة (مع ما فيه من هول وضخامة)، ولكن

يقاس بوقعه في النفوس الآدمية: في المرضعات الذاهلات عما أرضعن - وما تذهل المرضعة عن طفلها وفي فمه ثديها إلا للهول الذي لا يدع بقية من وعي - والحوامل الملقيات حملهن.. وبالناس سكارى وما هم بسكارى[1].

﴿ولكن عذاب الله شديد﴾.

وفي الصورة من عوامل القوة والتأثير ما يكفل للقلب البشري - إذا هو أحسن الإصغاء لعطياتها - انزجارا عن كل منكر، واستقامة وصلاحاً على طريق الحق والخير العام:

أولاً: ركزت الصورة على تحريك الجانب الشعوري الغريزي في الإنسان ليكون مدخلاً واسعا: لتصوير الهول المرعب، الذي يحدث عند اختلال نظام الكون، وفساد أجزائه: فهو هول وفزع، خرج بمعطياته عن كل مألوف في حياة الناس عند احتدام الشدائد. فالمرأة في لحظات الشدة والفزع تحتضن وليدها، وتضمه بقوة إلى صدرها، وإن كان بمنأى عن كل خطر، غير أنها في هذه المرة ومن شدة الفزع، ورجفة الفؤاد. تنفض عن صدرها وليدها الذي يلقم ثديها، محاولة النجاة بنفسها ذاهلة عن فلذة كبدها ومحط آمالها.. وإذا كان هذا الوليد ما يزال أملاً مرتقباً وجنيناً بين أحشائها لفظته في غير أوانه.

ثانياً: أنها وضعت الإنسان حقيقة في مواجهة هذه الأحداث الجسام، هذه المواجهة التي لا يحتاج معها لسرد تفصيلي تسمعه أذناه.. ومن هنا كان الإجمال في الذكر:

﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾

الذي يكتفى معه بأن يفتح المشاهد عينيه لدى:

﴿يوم ترونها﴾

أما التفاصيل فلا يهم أن تسمعها الأذن، وإنما تستبطن من خلال آثارها الوجدانية، حيث تنفض الأم وليدها عن صدرها، ويسقط الجنين من رحمها. فالصورة هنا شعورية قبل أي شيء آخر.

ثالثا: أنها ربطت ربطاً قوياً محكماً بين تقوى الله تعالى، التي يجب أن تكون إطارا شاملا يحكم حركة الإنسان في حياته العامة والخاصة.. وبين أحداث الساعة، لتكون التقوى التي تقيم الإنسان على طريقه الصحيح، منجاة له من هول الساعة وزلزالها الرهيب.

***

(1) سيد قطب في ظلال القرآن

نظرات تربوية

التربية بالقدوة

للدكتور/ حمدي فتوح والي

كلما امتد بي العمر، وتفتحت أمامي مجالات الحياة المختلفة، ظهر لي واضحا عظمة الخالق سبحانه وتعالى وبدت لي حكمته، ومازلت أذكر يوم كنا في مرحلة الصبا، كيف وقفت مندهشاً. عندما كنا ندرس في الفقه، أحكام النجاسات، أمام كلمة «الجلالة»، وهي وصف للشاة أو الدابة التي تتغذى على النجاسات، وعرفت يومها أن الشارع الحكيم يحظر ذبح مثل تلك الأنعام أو الطيور، ويحرم التغذي بلحمها حتى تعزل عن النجاسة وتعلف علفاً طاهراً مدة يغلب على الظن فيها أن لحمها قد تغير وتخلص تماما من أثر النجاسات. وأدركت أن ذلك يأتي من منطلق قول ربي سبحانه وتعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون﴾ **(البقرة: ١٧٢)**

ومن هنا أدركت أيضاً علة تحريم لحم الخنزير، الذي يقوم غذاؤه أساساً على تناول الفضلات والنجاسات، ورأيت التشديد على طيب الطعام وخلوه من كل شائبة حرام أمرا يتكرر كثيرا في كتاب ربنا، مرة يخاطب به المؤمنين وأخرى يخاطب به المرسلين في مثل قوله تعالى:

﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم﴾

(المؤمنون: ٥١)

ورأينا كيف وصى الرسول «ﷺ» سعداً بن أبى وقاص بطيب الطعام وجعله سبباً فى إجابة الدعاء عندما طلب منه سعد أن يدعو الله له بأن يكون مستجاب الدعوة فقال له: «أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة».[1]

ومن يتأمل العلة وراء هذا التشديد يدرك العلاقة الشديدة بين طيب الطعام وتحرى الحلال فيه، وبين البركة فى الأولاد والأرزاق.. وهذا ما نفهمه من قول ربنا سبحانه:

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾

(الأعراف: ٥٨)

فالبلد الطيب والبيت الطيب والرحم الطيب والصلب الطيب والنطفة الطيبة لا يخرج منها إلا الولد الطيب وهذا ما يلفتنا إليه رسولنا «ﷺ» بقوله: «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس»..[2] وينبهنا إلى اختيار ذات الدين حتى لا يوجد لدى الجنين مانع يبغض إليه الهداية ويكره إليه الالتزام بأحكام الدين.. فلقد أثبتت الدراسات أن الجنين يتأثر بما يتعاطاه الآباء من أنواع المخدرات والمسكرات، وتجرى فى دمه ما يجرى فى دم أمه من آثارها المدمرة.. بل إنه يتأثر بما يسمع من الأصوات الصادرة ممن حوله، ويظل يأنس لهذا الصوت بعد ميلاده، بل إن بعض مراكز البحوث أجرت تجربة على مجموعة من الأجنة فوجدت أنهم يقبلون على الرضاع بصورة إيجابية مضاعفة عند سماع الأصوات المحببة التى كانوا يسمعونها وهم فى بطون أمهاتهم وأنهم ينقبضون ويضطربون وتقل شهيتهم إلى الرضاع عند سماع الأصوات التى كانت تنقبض منها الأمهات.. وهذا ما يجعلنا نشعر بالإعجاز فى فعل نبينا محمد «ﷺ» عندما علمنا أن نؤذن فى أذن المولود فور ولادته، وأن نقيم الصلاة فى أذنه الأخرى حتى يظل هذا الصوت مألوفا إلى نفسه محببا إلى قلبه، فيمثل لدى الطفل نوعاً من الحصانة القلبية والنفسية ضد وساوس الشيطان.

غذاء الروح

وإذا كان القرآن قد أولى قضية الغذاء الطيب هذا القدر من العناية والاهتمام.. والجسم كما تعلم لا يعدو أن يكون ظرفاً أو وعاء للروح، تلك النفخة الإلهية المباركة التى صار بها الإنسان إنساناً، واستحق أن يسجد الله له ملائكته

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾

(ص: ٧٢)

فإن عنايته بغذاء الروح لابد أن تكون أشد وأعظم، وهذا ما عناه الشاعر الحكيم بقوله:

يا بانى الجسم كم تحفل لبنيته
أتطلب الربح فيما فيه خسران

(١) رواه ابن ماجه.

(٢) أحاديث الإحياء.

أقبل على النفس واستكمل فضائلها
فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

وكما يمرض الجسم بالغذاء المسموم ـ وربما أداه ذلك إلى التلف ـ فكذلك الروح تمرض بما تتلقاه من مفاهيم خاطئة، وأفكار منحرفة.. وقناعات مضللة، وهذا ما يؤدى بصاحبه إلى ما هو أكثر من الموت وهو غضب الله سبحانه، بل إن هذه التربية الخاطئة والأفكار المضللة قد تودى به إلى اعتناق اليهودية أو النصرانية أو المجوسية.. وهذا ما عناه رسولنا «ﷺ» بقوله: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة جمعاء هل ترون فيها من جدعاء»[3].. ومن هنا ندرك المعنى المقصود من قول ربنا سبحانه

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾

(التحريم: ٦)

والوقاية لا تكلفنا شيئاً غير حفظ الكيان كما خلقه الله تعالى، فلا ينتكس أو يشوه أو ينفذ إليه الشيطان بأدواته التى أعلمنا الله بها حتى لا نقع فى شراكها، وهى ما نراه فى قوله تعالى:

﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾

(الإسراء: ٦٤)

ومن رحمة الله تبارك وتعالى أن حدد لنا ما نتقيه من أنواع الشرور والأذى فالنفس والشيطان والهوى وجليس السوء كلها أمور حذرنا منها القرآن حتى لا يتغذى كيان المولود ويتشكل من هذه الروافد الخبيثة فيتحول بها إلى شيطان مريد.. لاسيما إذا صادفت تلك القوى الخبيثة فراغاً من عوامل التحصين والتأمين التى تمنع وصول تلك الملهيات إلى التأثير فى نفس الصغير، وتشكيل سلوكه. وقديما قالوا:

والنفس كالطفل إن تهمله شب على
حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

السمع والبصر والفؤاد

وحتى يفطن الآباء والمربون إلى خطورة المراحل الأولى فى حياة الطفل فإننا نذكرهم قول الخالق الحكيم سبحانه:

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

(النحل: ٧٨)

ومن يتأمل الآية الكريمة يدرك خطورة الروافد الثلاثة التى تتمثل فى السمع والأبصار والأفئدة، ويدرك أيضا حكمة هذا الترتيب الحكيم تبعاً لخطورة كل حاسة وأسبقيتها فى العمل، وقد ألمحنا فيما سبق إلى أن السمع يسبق الحواس جميعاً. إذ يبدأ فى

(٣) رواه الشيخان

مرحلة الجنين. وأنه يؤثر بقوة على عواطف المولود وميوله واهتماماته وحبه وبغضه.. كما أن حاسة السمع أكثر انفتاحاً وأشد تأثراً بكل ما يقع، سواء قصد الإنسان أم لم يقصد، فينبغي أن نحتاط لما يسمع.. وأما حاسة البصر فتمثل الرافد الثاني من روافد تغذية العقل وتشكيل الفكر، وبوقوع النظر على الأشكال والألوان والأحجام تتكون لديه الرؤى والمعلومات.

البيئة الصالحة

ثم يأتي دور الفؤاد ليتلقى ما تقدمه إليه حاستى السمع والبصر ولينتقى ما يستريح إليه منها وينفي ما عداه. فيكون الفؤاد أو العقل بمثابة المصفاة التي تأخذ ما يرضاه الله تبارك وتعالى وترفض ما سواه؛ ولأن العقل لا يكون في مراحله الأولى قد ملك القدرة الكاملة على إحسان الاختيار، نظراً لغياب الوعي والخبرة والتجربة وطول المران، فهنا يأتي دور البيئة الصالحة والله سبحانه وتعالى يحذرنا من أخذ كل ما يسمع وما يرى دون نظر أو تأمل أو اعتبار، ويتوعد من يفعل ذلك بأنه سيسأل عن هذه الحواس الثلاثة وذلك في قوله تعالى:

﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾

(الإسراء: ٣٦)

وواضح من خلال تلك الآيات ما تفعله البيئة المحيطة بالإنسان في مراحله الأولى من تأثير، يكون به إما صالحاً تقياً، أو فاسداً غوياً..

الأم ذات الدين!!

وحتى يضمن الإسلام تكوين جيل صالح، فقد عنى بعناصر البيئة المحيطة بالإنسان، التى يتلقى منها معارفه الأولى، وتنطبع من خلالها شخصيته بادئاً بالجذور الأولى، بل بما يسبق هذه الجذور، عندما يدعونا رسولنا «ﷺ» إلى انتقاء الأم، التى تمثل مكان الغرس ومنبت الزرع ويشدد على اختيارها ذات دين حتى تورث ذلك لمن تحمله في أحشائها «فاظفر بذات الدين تربت يداك»، ويشدد على ذلك عند اختيار الزوج أيضاً فيقول «ﷺ»: «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه»[4]

ويترتب على مخالفة ذلك فساد الدنيا والآخرة، وذلك في قوله:

﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾

(الأنفال: ٧٣)

وتأتي أهمية عنصر الدين لدى الأبوين من كونه يصبغ حياتهما بالعبادة والخشوع والإخبات والطاعة، فيرى ذلك في أقوالهم وأفعالهم، وفي سرهم وجهرهم، ويتحرون ذلك في بيعهم وشرائهم وحلالهم وحرامهم. فإذا انفتحت عين الصغير على أب يطيل السجود، ويحرص على الجماعة ويصحو مبكراً لصلاة الفجر، ورأى أباه وسمعه وهو يتلو ورده اليومي من كتاب الله في صوت خاشع، وقلب وجل، وعين تبكي من خشية الله. فلابد أن ينطبع هذا المشهد في قلبه ويرسخ في أعماقه ليمثل حصانة قوية تجاه كل ما يعرض عليه من شهوات أو شبهات.

نصبر على الجوع ولا نصبر على نار جهنم!!

وقل مثل ذلك فيما يراه من أمه، ويسمعه من تحذيرها الدائم لوالده كلما خرج لطلب رزقه وهي تقول له: «يا أبا فلان اتق الله فينا ولا تدخل علينا شيئاً من الحرام فإننا نصبر على الجوع ولا نصبر على نار جهنم».

إن هذه البيئة التي يحرص الإسلام على اختيار عناصرها الأساسية قادرة وحدها دون كثير وعظ أو تعليم مباشر - أن تصنع في بوتقتها نفساً تقية نقية تخاف الله وتخشاه، وتملك من عوامل المناعة والحصانة ما يجعلها في أمان من كيد الشيطان وهمزه ونفثه..

التلوث الأخلاقي!!

ولأن البيئة الصالحة التي تذكر بالخير وتعين عليه كانت بهذا القدر من الأهمية والخطورة رأينا رسولنا «ﷺ» ينصح التائب الذي قتل تسعة وتسعين نفساً، أن يهجر هذا المكان الذي ارتبط معه بالمعصية وأن يذهب إلى بلدة صالحة ليعبد الله معهم.. بل إن الهجرة من مكة إلى المدينة كانت ضرورة دينية وأخلاقية وإنسانية حتى لا يقيم المسلم على ضيم وهو قادر على التخلص منه. وقد رأينا دعاء الأنبياء والمرسلين يتجه بإلحاح على الله أن يخرجهم من ديار الظالمين في قوله تعالى:

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾

(النساء: ٧٥)

وقديما نعى الشاعر على من يرضى بالذل ولا يثور عليه أو يفارقه إن عجز عن تغييره فقال:

ولا يقيم على خسف يراد به

إلا الأذلان عير الحي والوتد

ولم يقبل الله تبارك وتعالى أعذار قوم ادعوا أنهم كانوا مستضعفين في الأرض فقال سبحانه:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾

(النساء: ٩٧، ٩٨)

إن نظافة البيئة من التلوث الأخلاقي والسمعي والبصري، وامتلائها بعناصر الخير أخلاقا وسلوكا ومعاملات، وممارسة الإسلام عقيدة وعبادة ومنهاج حياة كاف وحده لصناعة جيل يعرف المعروف وينكر المنكر؛ لأنه يرجو ربه ويخشى عذابه. وإن رؤية الإسلام يمارس سلوكا يوميا أمام أعين الأبناء أقوى وأجدى من آلاف الخطب والمواعظ المجردة التي لا يصاحبها العمل.. وقديماً قالوا: «عمل رجل في ألف خير من قول ألف في رجل».

(٤) سنن ابن ماجه.

قصيدة العدد

إسلام عمر

للأستاذ/ فريد عين شوكة

أسلم سعيد بن زيد بن نفيل «ابن عم عمر» وزوجته فاطمة «أخت عمر» وكان خباب بن الأرت يختلف إلى فاطمة يقرئها القرآن.

خباب - (يستحث فاطمة):

رتلى ما شئت فيه رتلى
واقرئيه كل صبح ومساء
إنه خير كتاب مُنزل
فيه للمؤمن أمن وشفاء

فاطمة:

يا بياناً جلَّ عن كل شبيه
وتعالى عن أساليب العربْ
وكتاباً كلما رتلتُ فيه
خشع القلب لديه واقتربْ
هو إن رقَّ نسيم نافحٌ
بشذا الخلد وأنفاس النعيمْ
وإذا ثار فجمر لافحٌ
يستمد الوقد من نار الجحيمْ
أعرضوا عنه ولو أصغوا إليه
لهداهم وضح الحق المبين
وخرُّوا سجَّداً بين يديه
وغدوا لله خير المخلصين

يعود عمر غاضباً إلى أخته وقد علم بإسلامها مع زوجها

خباب - إن بالباب طارقاً.

فاطمة: من لدى بابنا؟

عمر - عمر

فاطمة إلى خباب:

اختبئ منه إنه
ملك الموت قد حضر

خباب وهو مسرع:

نجنى رب واكفنى
شر ما يخبئ القدر

تفتح فاطمة فيدخل عمر ويظهر سعيد

عمر إلى فاطمة: لم أبطأت فى لقائى؟

فاطمة: عذراً

عمر - (هائجا):

أى عذر يصدكم عن لقائى؟
وعلام اتبعت رأى سعيد
وهو غر مُسَفَّه الآراء
فعصيتم مناة واللات والعز
ى ودين الأبوة القدماء
اتبعتم محمداً فى هواهُ
وغدوتم من صحبه الأوفياء

سعيد - (فى رفق) يا بن عمى

عمر - (ثائراً):

لستَ ابن عمك حتى
تتعرَّى من لبس هذا الرداء

سعيد - (مستنكراً):

أو أعصى محمداً سيد الخلـ
ـق جميعاً وصفوة الأنبياء
والرسول الذى هدانا إلى الحق
بتلك الشريعة الغراء

عمر - (يهم بضربه):

فيم هذا العنادُ يا أيها النو
ءُ وذاك العقوق للآباء؟

فاطمة فى وجه عمر -

أنت أسرفت فى إساءة زوجى
وهو ثبت الجنان جم الحياء
فامض لا ترتفع يداك عليه
وكفى ما أتيت من إيذاء

فيشج رأسها قائلا:

اتركينى لاجاد ربعك غيث
ودعينى أجزيه شر الجزاء

تشعر فاطمة بدمها يسيل فتبكى:

أماه قد شجَّ رأسى
أخى وأجرى دمائى
ولم يلن لأنينى
ولم يُرع لبكائى
كم كنتُ أرجوه غوثى
فى النكبة الهوجاء
فكان مبعث همى
وكان كل شقائى
يا ويح ما أنا فيه
من محنة وبلاء
أكلُّ من أصطفيه
يخيب فيه رجائى؟

فيثوب عمر إلى رشده وهو يضمد جرح أخته:

ثورةٌ ثبت بعدها لرشادى
فاصفحا عن قساوتى واضطهادى
وتناسى يا أخت ما كان منى
من أذى صبَّه عليك عنادى

لا تظني بي الظنون فإني

لك عند الخطوب أكرم فاد

أنا مهما قسوت عونك في الكر

ب وحصن يحميك من كل عاد

فاطمئني إلى سريرة نفسي

واستريحي إلى حنان فؤادي

فيهدأ الجميع ثم يسألها:

وأريني صحائف الدين أقرأ

بعض ما هاج سائر الحساد

فاطمة بل لتمحو سطورها

عمر: لا وربي

ولو أني لها من الأضداد

فيقول بعد ما ملكت عليه قلبه

صحف كلها جلال رهيب

وبيان يسمو عن الأنداد

وكتاب يعنو لروعة ما فيه

قساة القلوب والأكباد

وضياء يشع في حالك الشك

فيجلوه بالشعاع الهادي

فيقبل خباب متهللا:

هيه يا بن الخطاب

عمر - «مشدوها»: من ذاك؟

ثم يراه فيقول خباب؟

ومن أي موضع أنت غادي

خباب:-

كنت في صحبة ابن عمك أتلو

صحف الوحي والهدى والرشاد

ثم أقبلت فاختفيت مروعاً

من حسام لديك غرثان صادي

وها قد أتيتك لما هدأ

ت وثبت إلى نفسك الراضيه

عساك تصبح إلى ما أقو

لُ وتمنحني أذنك الصاغيه

تحدث عنك النبي الكر

يم وأعينه ثرة هاميه

ونادى إله الورى أن يعز

بك الدين في مكة العاصيه

فهلا تمزق ثوب الضلا

ل وهلا تفيق من الغاشيه

فتتبع دين الرسول القو

يم وتنبو عن الفئة الباغيه

عمر إلى من حوله:

بلى سوف أهجر هذا الضلا

ل وأنزع أسماله الباليه

وألبس يا قوم ثوب الهدى

وحلة دينكم الزاهيه

فيتهلل الجميع ويقول سعيد:

أجاب الإله دعاء الرسو

ل وحقق دعوته الغاليه

فقم فاعتنق دينه المرتضى

لنكبت أعداءه ثانيه

«في نفسه»:

لسوف يذوقون منك العذا

ب ويلقون في نارك الحاميه

يخرج عمر ميمما مجلس الرسول مع صحبه فيطرق الباب:

صحابيّ - طارقٌ جاء

آخر - «وهو يسعى إلى الباب» من يدق علينا؟

عمر - عمر

فيعود مذعورا -

ما على لقائك أقدم

ثم يهيب بصحبه:

إيذعروا فقد أتى مارد القو

م وفي سبقه المنيّةُ تجثم

فيهربون ويخاطبهم حمزة غاضبا:

أدخلوه فإن أراد اهتداء

بعد ما لج في الضلالة أكرم

وإذا جاء بيننا يشهر السيف

ويسعى إلى النكاية حُطِّم

فيسمعهم النبي

بل دعوني ألاقه أنا وحدي

فهو أحنى مما ترون وأرحم

يفتح له وينتحي به-

قيم يا بن الخطاب جئت إلينا

عمر - «خاشعا»

جئت أسعى إلى الرسول لأسلم

فيكبر النبي ويهتف أحد الصحابة-

الله أكبر عزَّ الدين وانتصرت

جماعةٌ صمدوا للذل واصطبروا

فيعلم الصحابة بإسلام عمر ويقبلون فرحين مهنئين

أحدهم-

يا مرحبا بحسام الله يمنعنا

من بعد ما قت فينا الخسف والصغر

آخر-

يرجو بك الدين أن تسعى لنصرته

فحقق اليوم ما يرجوه يا عمرُ

وانصر رجالا أباح الأهل حرمتهم

فلم يصبهمو في دينهم خورُ

عمر-

سيروا بمكة أنى شاء رائدكم

واستكثروا في بقاع الأرض وانتشروا

وأطلعوا راية الإسلام خافقة

فدون من رامها الصمصامة الذكر

من صدكم بالأذى مزقت أضلعه

ولو يكون له في أهله خطرُ

فليزدجر بخطابي كل ذي رشد

وليمتثل للردى من ليس يزدجرُ

الخطاب الدينى
وأهمية التعليم السكانى فى تدريب الدعاة

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم
عضو مجمع البحوث الإسلامية

إن الدعوة الإسلامية هى رسالة الأنبياء والرسل، وهى أيضاً رسالة العلماء؛ لأن العلماء ورثة الأنبياء، ومن هنا نقف على أهمية الدعوة، ومكانة الدعاة.

وللدعوة الإسلامية مكانتها فى نفوس المسلمين جميعاً؛ فإن سعادتهم دنيا وأخرى ترتبط بها ارتباطاً وثيقاً.

ومن هنا كانت مسئولية الدعاة وأهميتهم، وكان تفاوتهم فى نقل الدعوة بمنهجها الربانى البليغ، وبأسلوبها السمح الكريم، وبما تحتوى عليه من علوم دينية وأخرى دنيوية لابد للدعاة من معرفتها، حتى تكون الدعوة فى إطارها الصحيح، ويكون الدعاة قادرين على نقلها إلى كل البلاد والعباد على نحو دقيق وعميق، لا تشوبه شائبة قصور أو خلل.

وواضح أن لكل مقام مقالاً، وإذا كانت البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فإن أولى الناس بالبلاغة هم العلماء الدعاة؛ لأنهم ورثة الأنبياء، ولأنهم يقومون على نقل أشرف تراث فى الوجود.

ومن أهم ما ينبغى على الدعاة أن يقفوا عليه بين ما يتعلمونه وما يتدربون عليه من علوم: «التعليم السكانى» والتعرف على أحوال سكان البلد الذى يدعونه وعلى عاداتهم وتقاليدهم وسلوكهم وتعدادهم، والمعلومات التى يمكن جمعها عنهم وعن معتقداتهم؛ لأن الدعاة مثلهم مثل الأطباء، قبل أن يصفوا الدواء للمريض، لابد أن يحددوا نوع المرض وما يلزمه من دواء، وبعد تشخيص المرض، ومعرفة نوع الداء يحدد الدواء، وكذلك الحال بالنسبة للدعاة مع الذين يدعونهم، لابد من التعرف على السكان وأحوالهم وسياساتهم وعاداتهم، وما ينتشر فيهم من رذيلة أو تقصير فى بعض أمور العبادات أو المعاملات.

فكما أن الطبيب لابد له من التعرف على أحوال مريضه وتشخيص الداء؛ لأن ما يصلح من دواء لمريض قد لا يصلح للآخر، وما يصلح من كمية لإنسان قد لا تصلح لغيره، فكذلك أيضاً الداعية لابد أن يلم بمعلومات وافية عن سكان الموقع أو البلاد الذين يدعوهم؛ حتى يستطيع أن يقدم لهم الزاد الروحى الذى يليق بكل واحد منهم.

وهكذا نرى أنه لابد من التعرف على المعلومات السكانية حتى تكون الدعوة ملائمة ومتسقة مع الذين ندعوهم، وحتى يتعرف الدعاة على مواطن الداء، وعلى ما يحتاجه أهل كل منطقة أو بلد من التوجيهات اللائقة بهم.

ولقد كان قدوة الدعاة سيدنا رسول الله ﷺ يسأله أناس كثيرون، وكان السؤال واحداً فى كل مرة، ولكن إجابته كانت تختلف من إنسان لآخر، ومن وقت لآخر، ومن مكان لمكان، والسبب فى هذا هو أن الرسول ﷺ كان يجيب كل سائل بما يليق بحاله، ويجيب أهل كل مكان بما يليق بحالهم وهكذا....

فقد سأل رجل رسول الله ﷺ: «أى الإسلام خير؟.. قال: تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف» (رواه مسلم).

وفى حديث آخر: عن أبى موسى ـ رضى الله عنه ـ قال: قالوا: يا رسول الله أى الإسلام أفضل؟.. قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده» (رواه البخارى)، وهكذا كان يجيب كل سائل بما يكون أفضل فى حق السامع أو السائل أو أهل المكان الذين يحدثهم، فربما يكون ظهر من أحدهم قلة مراعاة ليده ولسانه وإيذاء المسلمين، وربما يكون ظهر من الآخر إمساك عن الطعام والبعد عن السلام أو ما فيه استعلاء، فأجابه على حسب حاله، أو قد يكون السائل يريد من وراء سؤاله أن يعرف أهم المنهيات والأمور التى يجب عليه تركها فأجابه بقوله: «من سلم المسلمون من لسانه ويده» ويكون الآخر سأل ليعرف خير الأعمال وأفضلها، فأجابه بإطعام الطعام وإقراء السلام، ومن المعلوم أن الإطعام مستلزم لسلامة اليد، والسلام مستلزم لسلامة اللسان.

وفى حديث آخر يسأله أبو ذرّ ـ رضى الله عنه ـ: «أى العمل أفضل؟.. فقال ﷺ: إيمان بالله وجهاد فى سبيله. قلت: فأى الرقاب أفضل؟.. قال: أغلاها ثمناً وأنفسها عند أهلها، قلت: فإن لم أفعل؟.. قال: تعين صانعاً أو تصنع لأخرق، قلت: فإن لم أفعل؟.. قال: تدع الناس من الشر فإنها صدقة تصدق بها على نفسك» (رواه البخارى).

وهكذا نرى اختلاف الإجابة باختلاف الأشخاص وأحوالهم؛ مما يدلنا على أن دراسة أحوال السكان وأهل البلاد أو المواقع الذين تتجه إليهم بالدعوة أمر ضرورى؛ ولذا فإن الدعاة فى حاجة ضرورية إلى معرفة تاريخ العالم وجغرافيته وأحوال السكان فيه، فإن لكل مقام مقالا.

المنهج القرآنى للدعوة
ومعرفة أحوال من ندعوهم

يتلخص منهج القرآن الكريم فى الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ فى قوله الله ـ سبحانه وتعالى ـ:

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

(النحل: ١٢٥)

وواضح من الآية الكريمة أن أسلوب الدعوة يتشكل على حسب أحوال الناس الذين ندعوهم:

- فالخاصة: لهم الأسلوب المحكم والبرهان القاطع والدليل الساطع «بالحكمة».
- والعامة: لهم العظة التى يمكن أن تصل إلى مداركهم، وتستوعبها عقولهم.
- والمعارضون: لهم المناظرة الهادئة الهادفة والمجادلة بالتى هى أحسن.

فلابد للدعاة من معرفة أحوال من يدعونهم وأنواعهم وما يحتاجون إليه من أسلوب ومن هداية وتوجيه، لابد أن يكون الدعاة على بصيرة من الأمر فى كل شأن من الشئون حتى تكون دعوتهم ناجحة، وقد أمر الله ـ تعالى ـ رسوله ﷺ أن يخبر الناس بأن الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له هى سبيله يدعو إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ بها على بصيرة وبرهان ويقين وإيمان، ويدعو كل من اتبعه إلى ما دعا إليه الرسول ﷺ، قال ـ تعالى ـ:

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

(يوسف: ١٠٨)

كما دعا المنهج القرآنى إلى تتبع أحوال «السكان» وتدبر آيات الله ـ تعالى ـ فى جميع الأقطار والبلدان، ومعرفة أحوال الأمم، ودعا القرآن إلى السير والنظر فى الأرض لمعرفة تلك الأحوال قال ـ تعالى ـ:

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾

(الحج: ٤٦)

ودعا الإسلام إلى الرحلات والتقلب فى البلاد ليزداد الإنسان علما ومعرفة، وبحثا وفائدة؛ وليعلم سنن الله ـ تعالى ـ فى الأمم السالفة والبلاد المختلفة وما حدث لأهلها وسكانها، قال الله ـ تعالى ـ:

﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾

(آل عمران: ١٣٧، ١٣٨)

كما دعا القرآن إلى معرفة أحوال سكان العالم القديم والحديث، وما جرى للأمم السابقة والحضارات الماضية، وماذا كانت عاقبة هؤلاء الناس، يقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾

(غافر: ٢١)

ووجه رسول الله ﷺ أمته إلى الرحلة فى طلب العلم والمعرفة ولقاء العلماء فى أى مكان أو وطن فى دنيا الله الواسعة، فقال ﷺ: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة» (رواه مسلم).

وزيادة فى دقة المنهج الإسلامى فى تسلح الدعاة بزاد المعرفة، وليتمكنوا من مخاطبة السكان فى أى مكان من الأرض ـ دعا إلى تعلم اللغات الأخرى فأمر رسول الله ﷺ كاتبه زيد بن ثابت أن يتعلم السريانية فقال زيد ـ رضى الله عنه ـ: أمرنى رسول الله ﷺ فتعلمت له كتاب يهودى بالسريانية، وقال: «إنى والله ما آمن يهود على كتابى» قال زيد ـ رضى الله عنه ـ: «فو الله ما مر بى نصف شهر حتى تعلمته وجدتُ فيه، فكنت أكتب إليهم وأقرأ له كتبهم» (رواه البخارى).

وهكذا نرى أن معرفة أحوال السكان ولغاتهم أمر ضرورى للدعاة يجب أن يضطلعوا به وأن يتسلحوا بأسلحته حتى يؤدوا واجبهم الإسلامى.

عالمية الإسلام تستوجب
دعوة جميع سكان الدنيا

لكى يقوم الدعاة برسالتهم على أكمل وجه، لابد أن يلموا بأنواع الثقافات والعلوم من حولهم، ليتمكنوا من معرفة أحوال العالم، والأقطار التى تحيط بهم؛ فإن الإسلام دين عالمى لا تقتصر دعوته على زمان دون زمان، ولا على مكان دون مكان، وإنما هو دين عالمى، للناس كافة، وللعرب والعجم والإنس والجن.

وقد استهدف الإسلام تعارف الناس بعضهم لبعض وجعل هذا التعارف هو الغاية من خلقهم شعوبا وقبائل، قال الله

ـ تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

(الحجرات: ١٣)

ولقد كانت الرسالات السابقة لرسالة سيدنا محمد ﷺ خاصة، يختص كل رسول بدعوة قومه، فإذا جاء غيره إلى هؤلاء القوم نسخ اللاحق دعوة السابق، اللهم إلا القدر المشترك بين الرسالات وهو عبادة الله وحده واجتناب ما دونه من الباطل، قال الله ـ تعالى:

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾

(النحل: ٣٦)

ولما كانت الأمم السابقة تختلف أحوالهم وأوضاعهم فقد تغايرت الرسالات بتغاير الأحوال، وكان لكل أمة منهاج، كما قال الله ـ تعالى:

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾

(المائدة: ٤٨)

ووضح القرآن الكريم أن الرسل السابقين كان كل رسول منهم مرسلاً إلى قومه خاصة فقال ـ تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾

(هود: ٢٥)

وقال ـ سبحانه ـ فى شأن هود:

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾

(هود: ٥٠)

وقال ـ تعالى ـ فى شأن صالح:

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾

(هود: ٦١)

وقال ـ تعالى ـ فى شأن شعيب:

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾

(هود: ٨٤)

وقال ـ سبحانه فى شأن عيسى ـ عليهم جميعًا صلوات الله وسلامه:

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾

(الصف: ٦)

وهكذا نرى أن القرآن الكريم قد وضح أن كل رسول من الرسل السابقين كان يرسل إلى قومه خاصة، حتى بلغت الإنسانية نضجها فجاءت الرسالة العامة الخالدة والرسول الخاتم الذى لا رسول بعده ولا نبى، فرسالته عامة لكل الأجناس والألوان، خالدة إلى قيام الساعة.

وكان لتلك الشريعة العامة الخالدة ما يكفل لها العموم والخلود، حيث أكملها الله ـ تعالى ـ وأتمها، كما قال ـ جل شأنه:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

(المائدة: ٣)

وأكد القرآن الكريم عموم الرسالة وخلودها وأن رسول الله ﷺ مرسل إلى الناس كافة، فقال ـ جل شأنه:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾

(سبأ: ٢٨)

وقال ـ تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

(الأنبياء: ١٠٧)

كما أشار ـ سبحانه ـ إلى أن الكتاب الذى جاء به هذا الرسول الخاتم ﷺ له صفة العموم والخلود -أيضا- فقال:

﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾

(القلم: ٥٢)

وإذا كان الإسلام دينًا عالميًا، وكانت هذه الأمة حاملة لهذا الدين، وقد نزل القرآن الكريم بلغتها العربية فما الواجب على الأمة الإسلامية إذن؟!

لا يمارى أحد ولا يختلف اثنان فى أن واجب هذه الأمة أن تحمل دعوة الإسلام إلى جميع من على ظهر الأرض وأن تبلغه إلى الناس كافة.. أن تبلغه إلى العالم بجميع أقطاره وأجناسه ولغاته.. وإذا تقاعست عن دورها ورسالتها فى تبليغ الإسلام إلى كل القاطنين فى قارات العالم، فقد خانت الأمانة التى ائتمنها الله ـ سبحانه وتعالى ـ عليها.

إن الاستعمار نجح فى نشر أباطيله، حين مكّن لها بإقصاء لغة القرآن والسنّة وهى اللغة العربية، وأهملها، فأصبحت بلاد مسلمة كثيرة، ومسلمون فى بلاد غير عربية، لا يتكلمون إلا اللغتين: «الإنجليزية.. والفرنسية» ولم يستطع المسلمون فى تلك البلاد أن يقفوا على تعاليم الإسلام إلا عن طريق ما يكتبه لهم المستشرقون من إفك وباطل، وواجبنا -نحن العرب- الذين حملنا كتاب الله ودعوة الإسلام ونزل القرآن بلغتنا، واجبنا أن نحمل الإسلام بتعاليمه الصحيحة إلى كل قارات العالم وجميع بلاد الله على ظهر الأرض؛ حتى تتحقق خيريتنا التى وصفنا الله ـ تعالى ـ بها فى قوله ـ جل شأنه:

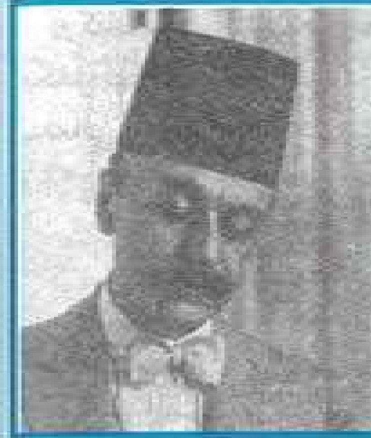
﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

(آل عمران: ١١٠)

***

من أعلام القرن العشرين

محمد فريد وجدى



الأستاذ محمد فريد وجدى

رجل مثل عليا

للأستاذ الدكتور: السيد أحمد فرج
الأستاذ بكلية التربية - جامعة المنصورة

قرأت كتاب الأستاذ عباس محمود العقاد «رجال عرفتهم» في سنة ١٩٦٢م أى منذ نحو من نصف قرن، ولقد كتب الأستاذ العقاد هذا الكتاب عن أعلام العصر الذين عرفهم، وكانوا مختلفي المشارب والمآرب، فقد كان منهم صاحب التوجه الإسلامي مثل: الشيخ محمد رشيد رضا والأستاذ محمد فريد وجدى، وكان منهم المناضل في مجالات السياسة الوطنية مثل مصطفى كامل ومحمد فريد والعالم الطبيعي والمفكر المادى مثل: يعقوب صروف وفرح أنطون والصحافي الفذ مثل الشيخ على يوسف وغيرهم من أعلام العصر، وقد جمعهم كتاب العقاد لأنه كان لكل منهم عند صاحب الكتاب جهد مؤثر في مجال عمله وتفكيره على السواء، ولأن كلا منهم قد عرفه العقاد وتعامل معه، أو كان له معه دور فكرى أو سياسى مؤثر أو أخلاقى أو إنسانى يقبله الأستاذ العقاد، أو يرفضه ولكنه لا يخلو فى الحالين من تقدير العقاد لصاحبه، ولقد لاحظت أن أحدا لم ينج من قلم العقاد، غير الأستاذ محمد فريد وجدى، الذى نال من مؤلف الكتاب أحسن تقدير فكان ذلك لافتا إلى الانتباه والنظر، لأن الأستاذ العقاد - كما عرف عنه واشتهر - قلما ينجو أحد من سنان قلمه الحاد، وكان قد درب على ذلك بسبب كثرة ولوجه المعارك الأدبية والفكرية، وكذا المعارك السياسية بحكم مزاجه الحاد، وبحكم عمله الحزبى، وعمله بالصحافة الحزبية، وما كان يجره العمل بهما من خصومات دائمة مع خصومه الحزبيين.

وتساءلت: هل كان لذلك التقدير الزائد الذى ناله الأستاذ محمد فريد وجدى من الأستاذ العقاد ما يبرره، ويبرىء ساحة صاحبه عند الأستاذ العقاد فلا يذكره إلا بخير وكان الجواب فيما لم يفت الأستاذ العقاد ذكره في مناقب الرجل، منذ أن تعارفا فى سنة ١٩٠٧م وكان عباس العقاد ابن الثامنة عشرة قد حضر من مسقط رأسه أسوان من أقصى صعيد مصر إلى القاهرة ليجرب حظه فى مجال الشهرة، فى محاولات صعود إلى عالم الصحافة، وكان الأستاذ فريد وجدى فى ذلك الوقت قد أعلن عن حاجة صحيفته «الدستور» إلى محرر يعمل بها فتقدم العقاد ونال الوظيفة، وكانت صحيفة الدستور تدعو إلى تأييد سياسة مصطفى كامل وسياسة الخلافة العثمانية، وكان العقاد وهو فى هذه السن الصغيرة قد حدد لنفسه مواقف فى السياسة تخالف سياسة الدولة العثمانية وسياسة مصطفى كامل فصارح صاحب الصحيفة بأنه يقبل الوظيفة على شرط: ألا يكتب حرفا واحدا فى تزكية مصطفى كامل، أو فى تزكية الخلافة العثمانية، فقبل الأستاذ محمد فريد وجدى أن يعمل معه العقاد الشاب الباحث عن عمل على هذا الشرط، فكان قبول الأستاذ فريد وجدى هذا الشرط أول درس يناله العقاد فى الوفاء بحرية الإنسان وإرادته الكاملة دون استخدام ضغوط الحاجة، وصعوبة الواقع ومنذ حدوث هذا الموقف التمس العقاد الشاب المتطلع لأن يكون شيئاً من الأستاذ محمد فريد وجدى فى سموه الأخلاقى وتجرده من الهوى واحترام إنسانية الإنسان - ولو كان ضعيفا - وهذه الصفات التى تحلى بها هذا الرجل أخذ الأستاذ عباس العقاد



العقاد

يكررها فى كتابيه: «رجال عرفتهم» و«حياة قلم» وكأنه يعلن بذلك عرفانه بالجميل، واعترافه بفضل الرجل النبيل.

كانت شهرة الأستاذ عباس محمود العقاد يوم كتب مقالته فى الأستاذ محمد فريد وجدى قد طبقت الآفاق فقد كتب ذلك فى سنة ١٩٦٣م قبل وفاته بعام وكانت شهرته قد شرقت وغربت. أما الأستاذ محمد فريد وجدى، فكان حتى ذلك الحين - كما وصفه العقاد - لا يذكر حق ذكراه، لأنه آثر أن يعيش فى عزلة من التاريخ، كما عاش أيامه فى عزلة من دنيا الحياة حتى قبضه الله تعالى.

قال الأستاذ العقاد ما قال فى الأستاذ الجليل قبل أن يقوم الدكتور محمد رجب البيومى بجمع أشتات كتاباته المنثورة فى الصحف والمجلات، ولاسيما مجلة الأزهر الشريف الغراء، ومجلة الرسالة، وصحف: الدستور واللواء وغيرهما من مصادر كتاباته التى لم تكن قد جمعت من قبل فى كتب وهذا فضل ومنقبة يحسبان للدكتور محمد رجب البيومى، فى جمع منثورات محمد فريد وجدى، كما يحسب له فضل ومنقبة

في جمع شعر الشاعر الفذ عبدالرحمن شكرى وكان منثورا في مجلات وصحف وتعريف الناس بها وكان كلاهما: فريد وعبدالرحمن شكرى في عزلة عن دنيا التاريخ والناس فأظهرهما الدكتور محمد رجب البيومي وأعادهما إلى حياة الناس ودنياهم.

أظهر الدكتور محمد رجب البيومي مآثر الأستاذ وعرف به وبأعماله ونبّه إلى أن الأستاذ لم ينل حظا مذكورا من الحديث عنه وعن أعماله - كما حدث مع كثيرين ممن دونه من الكتاب الذين دونه علما وأدبا وخلقا.

وأخذت أداوم القراءة في أعماله ورجوت أن أكتب عنه ولو مقالا إن قدرت، ومع هذا فقد قلت لنفسي ماذا عساك أن تكتب، وقد كتب عنه وأفاض وأفاد كل من الأستاذ العقاد والدكتور محمد رجب البيومي وقد فرغ له هذا الأخير الكثير من وقته وجهده ثم قلت لنفسي: إن في الكلام عنه ما يذكر الناس به وبفضل علمه وفضله على الدوام وأن في ذلك خير على كل حال.

ولد محمد فريد وهذا اسمه المركب، ابن مصطفى وجدى في سنة ١٢٩٥هـ - ١٨٧٧م بالإسكندرية، ونشأ بها ونال تعليمه الابتدائي بها، ثم انتقل والده إلى مدينة دمياط إذ عين محافظا لها، ثم التحق بمدرسة ثانوية بمدينة القاهرة ولكنه كان في ذلك الوقت صاحب روح قلقة، فلم ترح الدراسة نفسه، فترك الدراسة وداوم القراءة الحرة في شتى المعارف، وقد ساعده على ذلك وجود الكتب في شتى المعارف بمكتبة والده، وإجادته للغة الفرنسية قراءة وكتابة لدرجة أنه ألف بها - في وقت مبكر من حياته كتابا يشرح فيه «مبادئ الإسلام» وكان في ذلك الوقت دون العشرين من عمره.

ولكن هذا القدر الهائل من القراءات - بدون معلم - عرضه لهواجس من الشك، حاول أن يلتمس النجاة منها فلم يجدها إلا في الإسلام، وفي ذلك يقول الدكتور محمد رجب البيومي: «اندفع يواصل قراءاته الشاملة يستوعب ويتعمق، وينتقل بين المعارف الكونية والاجتماعية والنفسية والتاريخية والدينية حتى انكشفت له حقيقة ناصعة تبين عظمة الإسلام ورفعته والتمس ببصيرته أن الإصلاح لهذا العالم الذى يسكنه البشر لن يحدث، إلا باتباع قواعد الإسلام ومبادئه وكان بداية إظهار ذلك في كتاب «المدنية والإسلام» بالفرنسية، لأنه أراد إعلام الغرب الأوروبى والأمريكى بعظمة الإسلام، قبل الشرق الإسلامى، فأعجب به كثير من منصفى الغرب، بل عده بعضهم: قرينا لكتاب «رسالة التوحيد» لمحمد عبده، إن لم يزد عليه في الشمول والاستقصاء»[1].

(١) الدكتور محمد رجب البيومى: مقدمة كتاب مهمة الإسلام في العالم لمحمد فريد وجدى.

وغالبا ما يكون هناك - في مسيرة المفكرين العظام محطات تحول في التفكير، وقد حدث هذا لمحمد فريد وجدى حينما كان والده محافظا لدمياط، وكان بها معهدا أزهريا يضم جمهرة من العلماء المشهود لهم بالعلم والفضل، وكانوا ممن يؤخذ عنهم، فكان والده يعقد بمنزله ندوة أسبوعية يتحدث فيها هؤلاء العلماء، ويحضرها من يهتمون بالعلم بمدينة دمياط وفي هذه الندوة كانت تناقش قضايا إسلامية ولاسيما تلك التي تقوم على دراسة القرآن والسنة والفقه وأصوله والتشريع الإسلامى، بالإضافة إلى مناقشة قضايا العلوم الكونية والاجتماعية ووصلها بما جاء في القرآن من حديث عن النفس والكون ولما كان الشاب محمد فريد يشارك فيها، فقد تأثر بها وكان لها مردود إيجابي في عقل الشاب محمد فريد وطريقة تفكيره، فبدأ يكتب المقالات ويرسلها إلى الصحف والمجلات بالقاهرة.

ثم كان التحول الأهم في مسيرة محمد فريد وجدى الفكرية، إذ قر بالقاهرة، وكانت القاهرة منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين يسيطر عليها المناخ «الليبرالى» في الفكر والتفكير، وقد أتاح هذا المناخ الفكرى تصارع بين نوعين من الفكر: الفكر الإسلامى في مواجهة الفكر المادى من قبل علماء كانوا يقولون بأن الطبيعة هي التى تتحكم في نفسها وتحرك العالم الطبيعى دون مؤثر فيها من خارج نطاقها .وكان الشيخ محمد عبده قد تصدى لهؤلاء في مناظرات دارت بينه وبين فرح أنطوان صاحب مجلة الجامعة وبينه وبين رينان هانوتو الفرنسيين. ومات الشيخ محمد عبده في سنة ١٩٠٥م ولما ينته الجدل مع الماديين الذين ازداد نفوذهم في البيئة المصرية وتمثل في توجهات شتى منها:

١- جهود مسيحى الشام، وفي مقدمتهم أسرة مجلة المقتطف لآل صروف، وأسرة مجلة الجامعة التى كان يصدرها فرح أنطوان وكانتا تنشران الأبحاث المادية وكان منها الأبحاث الغالية في ماديتها وكان لهؤلاء سيطرة عقلية على فئات شتى من المثقفين العلمانيين المصريين.

٢- انتشار نظرية أصل الأنواع والنشوء والارتقاء لداروين وانبهار البعض بفرضياتها المادية البحتة.

٣- جهر بعض المثقفين بالإلحاد - كما فعل الدكتور إسماعيل أحمد أدهم - وكان حاصلا على دراسة الدكتوراة في الرياضيات من الاتحاد السوفيتى - بكتاب نشره على الملأ بعنوان: لماذا أنا ملحد؟

ولقد ندب الأستاذ محمد فريد وجدى نفسه للدفاع عن الإسلام ضد هذه التيارات المادية، فكتب مباحث ومقالات ورسائل تبين عظمة الخالق وعظمة الدين الإسلامى وفضله على العالم، بأسلوب يتميز بالوضوح والسلاسة وعفة اللسان، فلا يشين الذين يرد عليهم أو يشنع على شخوصهم ومن هذه الرسائل:

١- الحديقة الفكرية في إثبات وجود الله

بالبراهين الطبيعية.

٢ - تطبيق الديانة الإسلامية على النواميس المدنية.

٣ - الفلسفة الحقة فى بدائع الكون.

٤ - الإسلام في عصر العلم.

وكان في كل ردوده على الماديين يهيب بالمفكرين من أصحاب الأقلام من المسلمين أن ينوهوا في كتاباتهم بعظمة الإسلام وبأنه دين العلم والمدنية التى آخت بين القلب والعقل، وحققت العدل والمثل الاجتماعية والأخلاقية العليا.

كانت الشبهات تفد من الغرب، فتجد سوقا لها بين مثقفى الشرق وكانت تسرى فى المجتمع المصرى المسلم سريان النار فى الهشيم فتوشك أن تأتى على الأخضر واليابس فجرد محمد فريد وجدى قلمه ليرد على هؤلاء، وهؤلاء دون أن يكون له مآرب فى نيل سمعة أو جاه، بل كان كل ما يرجوه أن يشارك - عن عقيدة وإيمان - فى تنقية جو الثقافة مما شابه من شبه تكاد تعصف به فكان يتصدى لكل قلم يحارب الإسلام، وكان ديدنه أن يجادل بالتى هى أحسن وأن ينقد ما يكتبه خصوم الإسلام بنقد صائب، فيفند آراءهم بأدب جم ورفق زائد ورأى سديد، هادفا القضاء على فكرة خصوم الإسلام، دون المساس بشخوصهم؛ لأن مقصوده كان القضاء على الفكرة الهدامة وليس القضاء على صاحبها وكان دائماً عف اللسان يقوده إلى النصر على خصومه، إحاطته بموضوعه وإمساكه بكل طرقه وجزئياته وأطرافه.

وفى هذه المرحلة من حياته التى قاوم فيها المادية - حدثت ردة فعل روحية فى نفسه تضاد مادية الماديين فانخرط فى كتابة أبحاث روحية قد لا تكون مقبولة من أصحاب التفكير الوسطى الذين يضعون مادة الكون فى موضعها الصحيح ولا يلغون قيم الروح فى الإنسان ويؤاخون بين القلب والعقل.

لقد بالغ محمد فريد وجدى فى نزعته الروحية فألف فيها الكتب والمقالات وأنشأ لها «مجلة الحياة» وكان فيها من بحوث خاصة باستحضار الأرواح والتنويم المغناطيسى وهى بحوث مردودة وإن قصد مؤلفها مواجهة من ينكرون الغيبيات من المفكرين الماديين.

ثم كان من استغراقه فى نزعته الروحية والمبالغة فيها، أن عاهد نفسه أن يكون نباتيا فلا يأكل اللحوم. فقد افترض أن أكل اللحوم يقوى الجانب المادى فى الإنسان، ويضعف جانبه الروحى وظل على ذلك طيلة حياته، وهكذا قاده رفضه للمادة ونزوعه الروحى إلى أن يحرم على نفسه طيبات ما خلق الله تعالى التى أحلها طعاما طيبا للإنسان لقوله تعالى:

﴿كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾

«البقرة: ٥٧»

فكان ذلك من هناته وإن مدحه بها الأستاذ عباس العقاد فقال فى ترجمته فى كتاب «رجال عرفتهم ص ١٥٩»: «قصر طعامه على النبات وأخذ نفسه بسمت الأولين من عباد الله الصالحين».

التوجيه الفكرى فى حياة الأسرة

للمستشار حسن حسن منصور
نائب رئيس محكمة النقض

من المعلوم أن الأسرة تقوم بدور فعال فى حياة أبنائها، ومن ذلك دورها فى توجيههم فكريا، وليس المقصود بهذا التوجيه، أن تضم كل أسرة نخبة من المفكرين فى شتى مجالات الإبداع الإنسانى، ولكن يكفى أن يوجد فى محيط الأسرة الحد الأدنى، من معرفة القيم والمبادئ الأساسية، التى تحقق الحياة الكريمة، والتى يناط بالأسرة غرسها ببساطة فى كل أفرادها، بحيث تسهم هذه القيم وتلك المبادئ فى التربية السوية لهؤلاء الأبناء بعيداً عن شبح العنف واستعمال القوة مع النفس أو مع الآخرين، ويمكن تجلية هذا الدور للأسرة، من خلال تناول الأمور الآتية:

أولا: غرس بذور المحبة فى النفس

المحبة فى أبسط معانيها، هى: الميل إلى ما يوافق المحب، وقد يكون ذلك، بحواسه كحسن الصورة، أو لذاته كالفضل والكمال، أو لإحسانه كجلب نفع أو ضرر، وهو ينصرف إلى الميل الاختيارى دون القهرى، فقد روى النسائى والترمذى والإمام أحمد، عن أنس - رضى الله عنه - أن الرسول ﷺ قال: «والذى نفسى بيده، لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير». وهذا الحديث عام المعنى، لأن كلمة الخير جامعة، تعُم الطاعات والمباحات الدينية والدنيوية، وأيضاً أن يبغض الأخ لأخيه ما يبغضه لنفسه من السوء، وذلك ليكون المؤمنون كنفس واحدة، بل إن الكافر قد يصيبه هذا الخير، لأن المسلم ينبغى له أن يحب للكافر الإسلام،

وما يترتب عليه من الخير والأجر، ومقصود الحديث انتظام أحوال المعاش والمعاد، وتحقيق السلامة من الأدواء القلبية كالحسد وغيره.

ثانيا: التحلى باليسر والبعد عن التشدد

وهذا الأمر يمثل إحدى خصائص الإسلام الجوهرية، وهى قاعدة اليسر فى كل الأمور، والتى وضعها الرسول ﷺ أساسا للتعامل بهذا الدين، فقد روى البخارى والنسائى عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أنه ﷺ قال: «إن الدين يسر، ولا يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا»، وقد قال العلماء: إن الإسلام ذو يسر، أى مبنى على التسهيل والتخفيف، وسمى الدين يسرا، مبالغة بالنسبة للأديان قبله، لأن الله - تعالى - رفع عن أهله الإصر، الذى كان على من قبلهم، ومنها قطع الأعضاء الخاطئة، وقرض النجاسة عن الثوب بالمقراض، وتحريم أخذ الدية، وترك العمل فى السبت، وأن صلاتهم لا تجوز إلا فى كنائسهم وغير ذلك من التشديدات، والتى شبهت بالأغلال، التى تجمع اليد إلى العنق، كما جاء فى قوله - تعالى -:

﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾

(الأعراف: ١٥٧)

وما رواه الإمام أحمد عن محمد بن الأذرع، أن الرسول ﷺ قال: «إنكم لن تنالوا هذا الأمر بالمبالغة وخير دينكم أيسره».

وهذا ما جاء به الأمر القاطع من الرسول ﷺ، بقوله الذى رواه النسائى والإمام أحمد، عن أنس - رضى الله عنه -: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا».

ومن اليسر فى الدين الامتثال لما استقر فى وجدان كل مسلم منذ أمد طويل، من مدلول عبارة: «اختلافهم رحمة»، فإذا تعلق الأمر بمسألة دينية، اختلفت حولها آراء العلماء، وأصبح الإنسان فى حاجة للاختيار بينها، فيكون من الرحمة به اختيار أحد هذه الآراء دون التعصب له دون غيره، طالما استنبطه أحد العلماء من مصادر الشريعة الغراء، ذلك بأن العلماء لهم مكانة خاصة فى الإسلام، فقد روى ابن عدى وأبو نعيم، عن الإمام على - كرم الله وجهه - أن الرسول ﷺ قال: «العلماء مصابيح الأرض، وخلفاء الأنبياء، وورثتى، وورثة الأنبياء»، وفى رواية عند البزار عن أنس - رضى الله عنه -: «اتبعوا العلماء فإنهم سرج الدنيا، ومصابيح الآخرة».

ومن الواجب علينا السعى إلى العلماء، والأخذ من فيض علمهم، فقد روى ابن عساكر عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن الرسول ﷺ قال: «أكرموا العلماء، فإنهم ورثة الأنبياء»، وقد قال العلماء هذا الإكرام لعلمهم، ويكون ذلك بالإجلال والإعظام وإعطائهم حقهم من التوقير والاحترام، والعلة فى هذا الاستحقاق هى أنهم ورثة

الأنبياء، الذين لم يورثوا دينارا ولا درهما، إنما ورثوا العلم، حتى قيل عنهم:

﴿ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ﴾

(المجادلة: ٢٢)

بل إن حكم التخصيص يفرض على غيرهم الالتزام بآرائهم.

وإذا كان الاختلاف والتنوع من سنن الله - تعالى - فى كونه، بل جعله - سبحانه - من طبيعة إيجاد البشر، كما أشار إلى ذلك قوله - تعالى -:

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾

(هود: ١١٨، ١١٩)

فإن العلماء ليسوا بمنأى عن هذه الطبيعة، ولا حرج عليهم فى ذلك لأن كلا منهم لا يبنى رأيه على الهوى، ولكن يلتزم فيه، بما يقتنع به من الأسانيد الشرعية، بل إن هذا الاختلاف من مظاهر رحمة الله بعباده.

ومن نماذج هذه الرحمة فى اختلاف العلماء، ما ذكره فقهاء الشريعة الغراء، من أحكام متعلقة بصدقة الفطر، فالشافعية يرون جواز إخراجها طوال أيام شهر رمضان، فمن أراد المسارعة بذلك، فليأخذ بهذا الرأى، ويرى المالكية إخراجها قبل صلاة عيد الفطر، فمن لم يتمكن من إخراجها فى أى وقت قبله فليأخذ بهذا الرأى، ويرى الحنابلة إخراجها عينا من غالب قوت البلد، ومن لم يتمكن من ذلك فليأخذ برأى الحنفية، من جواز إخراجها بالقيمة المالية للقدر المحدد من هذا القوت، بمراعاة الأنفع للفقير المستحق لهذه الصدقة، ولكل من هؤلاء الفقهاء سنده القوى من مصادر شريعة الإسلام.

ثالثا: اتباع منهج الوسطية والاعتدال

ومن عظمة هذا المنهج، أن جاء بيانه فى خير الكلام، فى قول الحق - تعالى -:

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾

(الفرقان: ٦٧)

وقد وصف - تعالى - أمة الإسلام بالوسطية فى قوله:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾

(البقرة: ١٤٣)

وهذا المنهج واجب الاتباع فى التعامل مع النفس ومع الغير، لما له من عظيم الثمار فى حياة الفرد والمجتمع.

ومن خلال هذا المنهج يمكن الوقوف على التربية السوية للإنسان، ففى سؤال لصديق قادم لتوه من دولة أجنبية، عن أحوال المسلمين بها؟.. أجاب قائلا: إن أحوالنا فى هذه الدولة بخير، ولكن للأسف تعانى، من بعض الدعاة القادمين من بعض الدول الإسلامية، الذين يركزون كل جهدهم فى الدعوة، على أمور

شكلية فى الدين ترفضها عقول المسلمين من أهل هذه البلاد، واستطرد فى حديثه، مشيرا إلى واقعة حدثت فى حضوره بأحد مساجد هذه الدولة غير الإسلامية، فيقول:

فى أحد الأيام جاءتنا دعوة لحضور لقاء دينى مع أحد الدعاة قادمًا من إحدى الدول العربية، وكان محور حديثه هو: بيان المهمة التى جاء من أجلها، وهى: تنبيه المسلمين بحلول أوقات الصلاة، وكيفية الوضوء واستعمال السواك، وشروط اللباس الشرعى، وغير ذلك، وبعد انتهاء اللقاء، توجه أحد الحاضرين - وهو من أبناء هذه الدولة الأصليين - إلى مكان هذا الداعية، وسأله قائلاً: منذ متى خرجت من بلدك؟.. قال له: منذ أكثر من ستة شهور، ثم سأله: هل أنت متزوج ولك أبناء؟.. فقال: نعم، ولد وبنت بالمرحلة الابتدائية، فقال له: ومن ينفق عليهما وأمهما؟.. فقال: تركت لهم ما يكفى هذه النفقة، فنظر هذا الداعية إليه بدهشة الحيرة قائلاً: ولماذا كل هذه الأسئلة؟.. فرد عليه بجدية الواثق من جوهر دينه: لا تغضب أيها الشيخ، فكل ما جئت من أجله لا يستحق كل هذه التضحية التى تقدمها، فهذه الأمور التى ذكرتها من المستحبات، ومن اليسير الحصول عليها، من أحد أئمة المساجد لدينا، أو من وسائل الإعلام المختلفة، التى أصبحت أقرب إلينا من حبل الوريد، وبصراحة أنت أضعت فروضاً على أصحابها، ويكفى أن أقول لك: مَن يرعى زوجتك وأولادك فى غيبتك الطويلة؟!

ويكفى أن يقرأ هذا الداعية وأمثاله ما رواه الحاكم وأبو داود والإمام أحمد والبيهقى عن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - أنه كان ببيت المقدس، فأتاه مولى له، فقال: أقيم هنا رمضان؟. قال عبدالله: هل تركت لأهلك ما يقوتهم؟. قال: لا، قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت (أى من يلزم قوته)»، وفى رواية: من يعول. وقد قال العلماء: إن هذا الحديث صريح فى وجوب نفقة المعول، لتعلق الإثم على تركه، وهذا الأمر من قبيل فرض العين على العائل.

رابعاً: ممارسة التسامح ونبذ التعصب

صدق رسول الله ﷺ عندما قال، فيما رواه الترمذى والحاكم عن أبى هريرة - رضى الله عنه: «إن الله - تعالى - يحب سمح البيع، سمح الشراء، سمح القضاء»، وفى رواية أخرى عند البخارى، عن جابر - رضى الله عنه - أن الرسول ﷺ قال: «رحم الله عبداً سمحاً إذا باع، سمحًا إذا اشترى، سمحًا إذا قضى، سمحًا إذا اقتضى»، ومقصود الحديث الحث على تجنب المضايقة فى المعاملات، واستعمال الرفق، وتجنب العسر، وترك المشاحنة، والتضييق فى الطلب، والتخلق بمكارم الأخلاق، وقيل: إنه رتب الدعاء على ذلك، ليدل على أن السهولة والتسامح، سبب لاستحقاق الدعاء، ويكون أهلاً للرحمة.

وفى المقابل، فإن من يتحلى بهذه السماحة، لابد أن يبتعد عن التعصب والعنف، سواء مع النفس أو الغير، ولذلك روى أبوداود عن جبير بن مطعم - رضى الله عنه - أن الرسول ﷺ قال: «ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية». وفى ذلك عموم لكل تعصب يقع من الإنسان لأى طائفة مطلقًا، وإلا كان فعله هذا من أفعال أهل الجاهلية، وهى مذمومة فى كل الأحوال.

خامساً: تنمية مدارك الفكر

رغم انحسار أمية القراءة والكتابة فى المجتمع بنسبة كبيرة، إلا أنه من المؤسف أن زادت نسبة الأمية الثقافية، فإذا كان هناك العديد من الأولاد، البنين والبنات، قد حصلوا على الإجازات العليا، فى تخصصات العلم المختلفة، وانشغلوا فى ممارسة أعمالهم، إلا أنهم لم تعد لهم طاقة على قراءة ولو كتاب ثقافى واحد، الأمر الذى يثير العجب العجاب، عما أصاب شباب أمة اقرأ، من الانصراف التام عن القراءة، وكأن الطلب بها، الذى حملته أول كلمة، فى إرسال السماء إلى الأرض، موجه إلى غيرهم، وصار من المألوف فى حياة الناس المعاصرة، ألا يوجد بينهم، من يمسك بالكتاب، للتعرف على مبادئ العلم، ليفيد نفسه أو غيره، واستغنى عن ذلك ببدائل واهية، كالجلوس أمام شاشات الإذاعة المرئية، أو شبكة المعلومات الدولية «الإنترنت»، وغير ذلك، وهى لا تحمل من أصول العلم، إلا مجرد الإشارات، التى لا تقيم للعلم أو العلماء وزنا.

ومن الغريب أن يصبح الانصراف عن القراءة ظاهرة عامة، تسيطر على الغالبية العظمى من أفراد هذه الأمة، فقد كشف أحدث تقرير للأمم المتحدة، حول عادات المطالعة والقراءة، لدى مختلف دول وشعوب العالم، أن معدل ما يقرؤه الإنسان العربى سنويًا لا يزيد على ربع صفحة فقط، بينما يصل ما يقرؤه الأمريكى أحد عشر كتابًا، والبريطانى ثمانية كتب سنويًا.

إن المقارنة البسيطة بين هذه الشعوب، طبقًا لهذه النسبة فى القراءة، تكشف بجلاء عن درجة التخلف العلمى التى وصلت إليها الشعوب المسلمة، التى لم تعبأ بأمر الله - تعالى - لها، فى كتابه العزيز بالقراءة، ومن ثم أصبح الطريق ممهدًا لضياع العلم من حياة الناس.

والعلم الذى يخشى عليه من الضياع، ليس قاصراً على علوم الدين، بل يشمل كل علم نافع، سواء تعلق بالدين أو الدنيا، فإذا كان العلم هو مفتاح الحضارة والتقدم والرقى، وقد ضاع هذا المفتاح، من أمة يقوم كيانها عليه، فلا مكان لها فى عالم اتخذت دوله العلم ميدانًا فسيحًا للمسابقة، للوصول إلى القمة فى كل مجالات الحياة.

والله - تعالى - ولىّ التوفيق.

الإخاء من معاني الحج

للأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوي
رحمه الله

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين، ونشهد أن سيدنا وشفيعنا محمداً عبده ورسوله، هو الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، والسراج المنير، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم، أولئك لهم الأمن وهم مهتدون.

يا أتباع النبي ﷺ:

من المقاصد السامية التي من أجلها أوجدنا الله تعالى في هذه الحياة: التعارف والتآلف والتآخي، والتلاقي من أجل تجديد المحبة والمودة وتبادل المنافع في حدود ما أحله الله تعالى.

ومن الأدلة على ذلك: أن شريعة الإسلام تجمع أتباعها في اليوم الواحد خمس مرات في الصلاة المفروضة، وتبشرهم بأن صلاة الجماعة تزيد على صلاة المنفرد بسبع وعشرين درجة كما جاء في الحديث الصحيح وتجمعهم بصورة أوسع في صلاة الجمعة، ثم بصورة أكثر اتساعا في صلاة العيدين، ثم بصورة أعظم وأشمل في موسم الحج، إذ يجتمعون من مشارق الأرض ومغاربها في الأراضي المقدسة، لأداء ركن من أركان الإسلام الخمسة ألا وهو فريضة الحج.

وهذا الاجتماع من أجل طاعة الله تعالى يقوى رابطة الإخاء بينهم، ويجعلهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، وهذه الأخوة في العقيدة لها حقوق من أهمها:

محبة الخير ودفع الشر، إذ من أسس شريعة الإسلام تحقيق هذا الأصل ونشره بين الناس، ففي الحديث الشريف: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[1].

وفي حديث آخر: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة»[2]. «ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»[3].

ومن حقوق الأخوة: التعاون في السراء والضراء، فالله تعالى يقول:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾

(المائدة: ٢)

ولقد فهم أصحاب النبي ﷺ هذا التوجيه فهما سليما، وطبقوه فيما بينهم تطبيقا حكيما، فهذا على سبيل المثال سيدنا عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - كان معتكفا في المسجد النبوي الشريف، في العشر الأواخر من رمضان، فوجد رجلا في المسجد جالسا يبدو عليه الهم والحزن، فقال له ابن عباس: يا فلان مالي أراك مكتئبا؟ فقال الرجل: يا بن عم رسول الله ﷺ لفلان عليّ دَين حل أوان سداده وليس عندي مقدرة على السداد!

فترك ابن عباس - رضي الله عنهما - اعتكافه، واتجه نحو باب المسجد، فقال له: يا بن عم رسول الله ﷺ إلى أين تريد، أنسيت أنك معتكف في المسجد النبوي الشريف؟

فقال ابن عباس: لم أنس ذلك، ولكني سمعت صاحب هذا القبر ﷺ والعهد به قريب، سمعته يقول: «من مشى في حاجة أخيه ليقضيها له، كان أفضل من اعتكافه في مسجدي هذا لمدة عام».

وهكذا كان أصحاب رسول الله ﷺ يطبقون على أنفسهم توجيهات رسولهم ﷺ بعلم صحيح، وبعقل سليم، وبنفوس نقية طاهرة وبقلوب تعرف معنى التعاون على البر والتقوى.

كذلك من حقوق الأخوة: التناصر بالحق لا بالباطل، والتناصح بالخير لا

١- صحيح مسلم رقم ٤٦٨٥، كتاب البر والصلة والآداب.
٢- صحيح البخاري رقم ٢٢٦٢.
٣- سنن الترمذي كتاب الحدود.

بالشر وأن ترشد أخاك إذا ضل، وأن تحجزه عن التطاول والعدوان، وأن تدافع عنه إذا وقع عليه ظلم أو بغى وأن تقدم له كل ما يساعده فى الحصول على حقه، ففى الحديث الصحيح: «انصر أخاك ظالما أو مظلوما، قيل: يا رسول الله هذا أنصره مظلوما فكيف أنصره إذا كان ظالما؟ قال تحجزه تمنعه فإن ذلك نصره»(٤).

ففى هذا الحديث الشريف بين لنا ﷺ أن منع الظالم من التمادى فى ظلمه وعدوانه، خير طريق لنشر الأمان والاطمئنان بين الناس.

وفى حديث آخر يقول ﷺ: «لا يقفن أحدكم موقفا يضرب فيه رجل ظلما، فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه».

وفى حديث ثالث يقول ﷺ: «من مشى مع مظلوم حتى يثبت له حقه، ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزل الأقدام».

إن المواقف السلبية التى تجعل القادر على نصرة المظلوم لا يلبى هذه النصرة، سوف تؤدى إلى نشر الفساد فى الأرض، وإلى خفوت صوت الحق، وإلى استعلاء صوت الباطل، لأن الظالم لو عرف أن من وراء المظلوم من يناصره ويقويه لما أقدم على الظلم والعدوان.

كذلك من حقوق الأخوة: حسن الظن بالناس، فإن سوء الظن بالناس دون قرينة تدعو إلى ذلك دليل على نقص فى العقول وفى المروءة.

ولقد أمر الله تعالى المؤمنين أن يحسن بعضهم الظن ببعض فقال:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ ﴾

(الحجرات: ١٢)

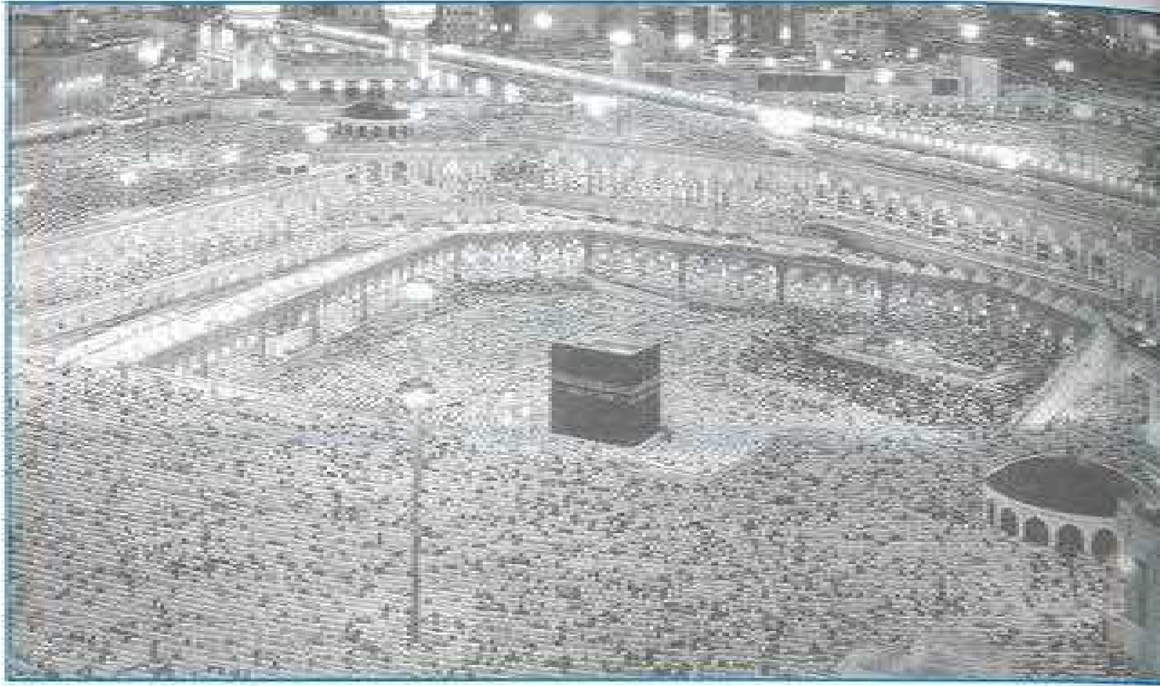
أى: يا من آمنتم بالله تعالى حق الإيمان، ابتعدوا عن الظنون السيئة بأهل الخير، لأن هذه الظنون السيئة التى لا تستند إلى دليل أو إلى أمارة صحيحة، إنما هى مجرد تهم، تؤدى إلى تولد الشكوك والمفاسد فيما بينكم.

وفى الحديث الشريف: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا»(٥).

وأخرج الإمام البيهقى عن سعيد بن المسيب قال: «كتب إلىَّ بعض إخوانى من أصحاب رسول الله ﷺ أن ضع أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك، ولا تظن بكلمة خرجت من امرئ مسلم شرا وأنت تجد لها فى الخير محملا، ومن عرض نفسه للتهم فلا يلومن إلا نفسه».

٤- مسند أحمد رقم ١١٥٤١.

٥- صحيح البخارى كتاب الأدب.



يا أتباع النبى ﷺ:

إن أداء فريضة الحج على رأس المقاصد التى تؤدى إلى تجديد روح الإخاء والصفاء والتعاون بين المسلمين.

إنها تجمعهم على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، إنها تجعلهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا.

إنها تجعلهم يحققون قول الله تعالى لنبيه وخليله إبراهيم عليه السلام:

﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ۝٢٧ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ ﴾

(الحج: ٢٧ - ٢٨)

هذه المنافع التى يشهدونها منها: ما هو مادى كتبادل المعاملات فيما بينهم من بيع وشراء وأخذ وعطاء.

ومنها ما هو معنوى كتبادل العلم النافع فيما بينهم، هذا العلم الذى يعين على طاعة الله تعالى وعلى الإكثار من ذكره وشكره، وتسبيحه وتحميده وتكبيره.

وكل ذلك يعين المسلم على أن يكون كما قال ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»(٦).

نسأل الله تعالى أن يهدينا جميعا إلى صراطه المستقيم

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم.

٦- صحيح البخارى رقم ٢٣٦٦.

عيد الأضحى وفقه الأضحية

للأستاذ الدكتور/ محمد فتحى فرج

العيد منا على مسافة زمنية قدرها تسعة أيام، فكل عام وأنتم من الإيمان فى كمال وتمام، ومن ثمّ فى خير وسعادة وحسن مقام.. وعيدنا هذا هو عيد الأضحى، الذى اكتسب اسمه من الأضحية، وهى سنة عن نبينا الكريم محمد بن عبدالله عليه الصلاة وأزكى السلام.

وللأعياد فى شريعة الإسلام مكانة خاصة، لا يُقدرها حق قدرها إلا من التزم منهج الله تعالى، وآثر الجد، وبذل الجهد فى طاعته سبحانه، وقت الشدة وحال الرخاء. ولذلك فإنها بمثابة وقفات مباركات من الله تعالى، للاسترواح فى الطريق الشاقة الطويلة للتقاط الأنفاس، وتعبئة النفوس، واستجماع القوى لمواصلة المسير فى دروب الحياة الصعبة ومسالكها الوعرة؛ إذ إن لكل يوم من أيام الإنسان أعباؤه وتبعاته، وصدق الله تعالى القائل فى كتابه العزيز:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾

البلد: ٤

وأعيادنا مرتبطة بعقيدتنا، فطبيعة الفرح والسرور بالعيد هنا تنشأ من إحساس المسلم بالسعادة، نتيجة طاعته لله تعالى، فعيد الفطر مثلا يأتى بعد تأدية فريضة الصوم، وعيد الأضحى يأتى عقب تأدية المسلم للركن الأعظم من أركان الحج وهو الوقوف بعرفة.. وفى كلتا المناسبتين من الفرائض والسنن، ما يهيئ جو الفرح، ويفشى عبق السرور فى ديار المسلمين.

كما أن عيد الأضحى هو فى جوهره عيد انتصار الإنسان على ذاته وعلى الشيطان.. إنه عيد الطاعة المطلقة لله تعالى، ثقة فى أن كل ما يأمرنا به إن هو ـ فى واقع الأمر ـ إلا الخير.. كل الخير.. فقد أوحى الله تعالى إلى نبيه إبراهيم أن يذبح بكره (أى ولده الأول) المحبوب، الذى رزقه فى شيخوخته، بعدما أخذ اليأس فى النسل منه مأخذه، وكاد أن ينقطع أمله فى الإنجاب، ولما كان إبراهيم خليل الرحمن، والخلة مكانة تقتضى توحيد المحبوب بالمحبة، وأن لا يشارك غيره فيها، فلما أخذ الابن شعبة من قلب الوالد بمحبته، جاءت غيرة الخلة تنتزعها من قلب الخليل بأمر الله له بذبح محبوبه.. فلما أقدم على ذبحه وكانت محبة الله أعظم عنده من محبة الولد خلصت الخلة حينئذ من شوائب المشاركة، فلم يبق من الذبح مصلحة، فقد ظهرت نتيجة الامتحان والابتلاء العظيم، فنسخ الأمر بالذبح، وكان فداء الذبيح عليه السلام، حينما صدق خليل الرحمن الرؤيا.. وقد جاء فى كتاب ربنا جل وعلا:

﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾

الصافات ١٠٣ ـ ١٠٧

وقد ارتبطت سنة الذبح بهذا الموقف العظيم، لتعيد إلى الأذهان قصة هذه الطاعة لله تعالى وتفضيل محبته على كل ما عداها، حتى لو تمثلت فى محبة الولد البكر الذى جاء بعد ذهاب الأمل وانقطاع الرجاء.

وعلى هذا، فعيد الأضحى مرتبط بسنة لو أحسن أداؤها، فإنها ستكون سببا فى إسعاد كثير من الفقراء، من غير القادرين على تناول سيد الطعام وهو اللحم، الذى بات فى غير متناول كثير من الناس؛ لارتفاع سعره ارتفاعا جنونيا فى هذه الأيام.

ولأهمية ذلك فى ديار المسلمين فقد أعلن مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الثالث، ضمن قراراته وتوصياته للفترة الثانية، أن الذبائح من هدى وغيره فى موسم الحج، شعيرة من الشعائر الإسلامية، وعبادة دينية لها أهدافها الاجتماعية، ولا يجوز لمن يكون قادرا عليها أن يستبدل بها غيرها من القربات.. كما أهاب المؤتمر بجماعة المسلمين فى كل الأقطار ـ شعوبا وحكومات ـ أن يتعاونوا على دفع المضار، التى قد تكون فى موسم الحج بسبب هذه الذبائح، وعلى أن تأتى بثمراتها ومنافعها التى أرادها الشارع، وأن يتخذوا السبل المؤدية إلى ذلك.

من فقه الأضحية

والأضحية هى كل ما يُذبح من الإبل والبقر والغنم تقربا لله تعالى خلال أيام عيد الأضحى.. أما حكمها فهى سنة عند الأئمة الثلاثة مالك والشافعى وابن حنبل، أما الإمام أبو حنيفة فقد اعتبرها

واجبة على المسلم الذى يمتلك نصاب الزكاة، ولهذا فمن لم يفعلها من القادرين فهو آثم طبقا لهذا المذهب. وقد شرعت فى السنة الثانية للهجرة.

وتتلخص حكمة مشروعية الأضحية فى تذكير المسلمين بالذبح العظيم الذى افتدى به ربنا ـ جل وعلا ـ أباهم إسماعيل عليه السلام، وفيها أيضا إظهار لشكر الله تعالى على جزيل نعمه وسابغ فضله على الغنى القادر عليها، كما يراد منها أيضا التوسعة على الفقراء والمساكين فى هذا اليوم العظيم.. وقد ورد فى فضلها ما جاء عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وأرضاها قالت: قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: «ما عمل آدمى من عمل يوم النحر أحب إلى الله تعالى من إهراق الدم، وإنها «الأضحية» لتأتى يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها، وأن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع على الأرض، فطيبوا بها نفسا»[1].. وقد ورد عن الحسين بن على رضى الله عنهما أن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» قال: «من ضحى طيبة بها نفسه، محتسبا لأضحيته كانت له حجابا من النار»[2].

أما دليل مشروعيتها من الكتاب والسنة، فقد ورد قول الله تعالى من سورة الكوثر:

﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾

الكوثر: ٢

أى صلِّ صلاة عيد الأضحى ثم انحر الأضحية.. أما بالنسبة للسُّنة المشرفة، فقد ورد فيها: أن النبى «صلى الله عليه وسلم» جاء بكبشين أملحين أقرنين، ذبحهما بيده الشريفة فسمّى وكبّر ووضع رجله على صفاحهما (أى جانب عنقيهما).. رواه مسلم.

ومن شروطها بعد القدرة ـ كما قدمنا ـ الحرية فتسقط عن العبد، كما اشترط بعض الأئمة الإقامة، فتسقط عن المسافر، وألا يكون من بين الحجيج وقت قيامه بنحر أو ذبح الأضحية.

أما أنواع الحيوان التى تصح التضحية بها فترتيبها بحسب أفضليتها على هذا النحو: الإبل، ثم البقر ثم الغنم، ويجوز منها الذكر والأنثى على حد سواء باتفاق المذاهب.. ويصح أن يراعى فى هذا مصلحة الفقراء والمتاح بالنسبة للمضحى.. ويفضل فى أضحية الغنم أن تتم الحول، وقد يجزئ من الغنم ما تم ثمانية أشهر، وقيل ستة أشهر أيضاً.. أما المعز فيجزئ منها ما أتم نحو عام ودخل فى الثانى، ومن الإبل ما دخل فى السادسة ومن البقر ما دخل فى الثالثة.

١ ـ سنن الترمذى ك/ الأضاحى عن رسول الله

٢ ـ كنز العمال ١٢١٦٤

ولا تجزئ فى الأضحية العوراء ولا العرجاء البين عرجها ولا العجفاء التى لا شحم لها، ولا المريضة.. والقاعدة: ألا تكون معيبة فالله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا، ويقول تعالى:

﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾

البقرة: ٢٦٧

وتجزئ الشاة عن واحد (أى عن رب الأسرة وعمن تلزمه نفقتهم من زوجته وعياله) لحديث أبى أيوب رضى الله عنه: «كان الرجل فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحى بالشاة عنه وعن أهل بيته فيأكلون ويطعمون»[3].. أما الواحد من الإبل والبقر فيجزئ عن سبعة، والشاة للواحد أفضل من سبع بقرة أو بدنة (وهى واحدة الإبل).

أما وقت نحر الأضحية فيكون بعد الفراغ من صلاة العيد، أو قدرها لمن فاتته صلاة العيد، لقول الله تعالى:

﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾

الكوثر ـ ٢

ولقول النبى «صلى الله عليه وسلم»: «أول ما نبدأ به فى يومنا هذا ـ يوم عيد الأضحى ـ أن نصلى ثم نرجع فننحر. من فعله فقد أصاب سنتنا، ومن ذبح قبل ذلك فإنما هو لحم قدمه لأهله، ليس من النسك فى شىء»[4].. ويمتد وقت الذبح إلى غروب اليوم الثالث من أيام التشريق أى الرابع من أيام النحر طبقا للشافعية، وعند غيرهم بانتهاء اليوم الثانى من أيام التشريق أى ثالث يوم العيد، وهذا هو الذى عليه الجمهور.. ولم يرد نص قاطع فى كيفية توزيعها مقدارا، فالله تعالى يقول:

﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ﴾

(الحج: ٣٦)

وما ينطبق على الهدى ينطبق على الأضحية.

فعلى القادر أن يضحى امتثالا لسنة رسول الله «صلى الله عليه وسلم»، ليوسع على نفسه وأهله وعلى الفقراء والمساكين فى هذه الأيام المباركات، وكل عام وأنتم من الله فى نعمة وتوفيق وحسن إيمان.

***

٣ ـ سنن ابن ماجة ك/ الأضاحى

٤ ـ صحيح البخارى ك/ الأضاحى

عمر في بيت المقدس

للدكتور / أبي حسام

-١-

أخذ راهب مدينة (إيلياء) يتطلع في وجوه أصحاب القافلة التجارية القادمة من مكة، وجعل ينظر في ملامح التجار متفرساً كأنه يبحث عن غريم أخذ ماله، ويود أن يقبض عليه، ومضى غير بعيد، ثم لم يلبث أن قدم مرة أخرى يتطلع في الوجوه.

قال حنظلة بن لؤي: مالك هكذا أيها الرجل، تروح وتغدو دون أن تتكلم، قل، فإذا كانت لك حاجة عملنا على إنجازها لك!

قال الراهب، أنتم من مكة؟ فقالوا: نعم.

قال: وأنا منذ عشرة أعوام أعترض القوافل، لأنظر في وجوه الملأ من قريش، لأني أعلم أن نبياً عربياً أظل زمانه، وسيعلن دعوته في مكة، وأنا أعرف وصفه ووصف أصحابه ممن سيعاونونه على نشر الدين الجديد، لذلك أتطلع في وجوه القرشيين دون ملال، وما رأيت وصفاً مطابقاً فيكم لما أعلم من صفات الرسول وصحابته.

ضحك حنظلة وقال: كنا نود أن يكون بيننا النبي الجديد، فإذا لم يكن فبعض صحابته الذين تعرف ملامحهم. دون أن تراهم من قبل.

وقال عربي آخر ـ وكأنه يتهكم: انتظر ثلاثة أيام، فستأتي قافلة ثانية تعبر إيلياء إلى الرملة، وقد يكون بها من تود!

انتلق وجه الراهب (نسطورس) بالبشر، وصاح: قد يأتي الله بالفرج، وأنا من عشر سنوات أنتظر دون يأس!

رحل الراهب إلى كنيسته، وهو يترقب مجيء القافلة في قلق، وقد ألهم أنه سيجد فيها من يطلب؟ وتجسد هذا الوهم في خياله حتى كأنه حقيقة! وفي صبيحة اليوم الثالث خرج إلى قارعة الطريق ينتظر، ولم يطل به الوقت، فقد لمح شخوص القافلة يقدمون فوثب صدره في قلبه، ووقف يتأمل الوجوه كعادته، ثم وقعت عينه على شاب جلد طوال الجسم، أصلع، أشقر، شديد الحمرة، في عارضيه خفة إذ لا يملؤهما الشعر، فتقدم إليه راجياً أن يأذن له ببعض الحديث، وكانت القافلة قد أجهدها السير فألقت بأحمالها على مشارف (إيلياء) لتستريح، فاستراح الشاب مع رفاقه، ولكنه رأى الراهب مصراً على أن يحادثه على انفراد، وكان في الشاب جرأة واعتداد، فهو لا يخاف أن يهزأ به أحد، أو أن يناله بسوء، فانتحى غير بعيد مع الراهب، ليسأله كما يشاء.

قال الراهب، ما اسمك يا أخا العرب؟

قال الشاب: أنا عمر بن الخطاب من قبيلة عدي القرشية! فرد الراهب: ما خاب ظني، أنت الأصلع الأشقر الشديد الحمرة ذو العارضين الخفيفين! واسمك عمر؟!.

قال ابن الخطاب: وماذا في هذا؟ فحدق إليه الراهب قائلاً: ستسمع مني كلاماً عجيباً لا تستطيع أن تصدقه، ولكنه حق، ستفتح هذه البلاد على يدك، وستندحر جيوش الرومان أمام جنودك، ويدخل الناس أفواجاً في دينك!

قال عمر: أي بلاد؟ وأي جيوش؟ وأي دين؟ هل سيحارب العرب جيوش الرومان؟

فأجاب الراهب: هو ما أقول، ولي عندك رجاء!

فحدق عمر في وجه الراهب وقال: أي رجاء، أملك أن أحققه، وأنا كما ترى الآن؟!.

فقال الراهب، (تكتب لي كتاباً، تعلن فيه أني جار لك، ولا عدوان علي في مالي وأهلي، ولي كنيستي وديني، لا يكرهني عليها أحد).

فقلب عمر كفيه وقال: أجاد أنت فيما تزعم؟

فعاجل الراهب: نعم أنا جاد، فماذا تقول؟

فابتسم عمر، وقال: هات الورق، واكتب ما سمعته، ولن أخسر شيئاً!

فقال الراهب: معي الورق والقلم، منذ حين بعيد وأنا أنتظر هذا اليوم.

-٢-

مرت السنون تجري وراء السنين، وانتبهت بلاد الشام على صيحات متفرقة، تعلن زحف جيوش المسلمين تارة عند مؤتة، وتارة عند تبوك، حتى وقعت الواقعة الكبرى، واقعة الزحف الأعظم يوم اليرموك بقيادة خالد بن الوليد، ثم تتابعت الوقائع، فسقطت المدن مدينة مدينة حين فر الرومان عن ذعر، ولاحت الخاتمة الفاجعة للأعداء حين جمع هرقل فلول جنوده، وهو يقول متفجعاً.. سلام عليك يا سوريا، سلام لا لقاء بعده.

وواصل أبو عبيدة وعبدالرحمن بن

عوف، ويزيد بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص زحفهم إلى الأمام، حتى بلغ أبو عبيدة بيت المقدس، وتوقّع أمين الأمة أن يجد مُقاومة كبيرة في بلد يقدسه النصارى ويحجّون إليه كل عام، ولكنهُ وجد نفراً من أعيان بيت المقدس، يحملون الرّايات البيض، ويتقدّمون إليه مسالمين، وهم يقولون: لقينا الظلم الفادح من الرومان، إذْ غُصبت الأموال وأزهقت الأرواح، وتجبر المفسدون في الأرض، وقد سمعنا عن عدالة المسلمين، وأنهم يدعون إلى المساواة والإخاء، حتى مع غير العرب، إذ قالوا في بلاد كسرى، لا فضل لعربيّ على أعجمي إلا بالتقوى، فإذا رضينا حكم المسلمين، قلنا بشرط واحد،، أنّ تحضر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ليوقّع عقد الصلح، ونحن لهُ مذعنون! ابتسم أبو عبيدة إذا كفى الله المؤمنين القتال، وقال لأصحابه ما ترون؟.

قال يزيد بن أبي سفيان: ما أرى القوم إلا مخلصين، وعمرُ لم يُفارق المدينة من قبل، نزولاً على حكم الصحابة، إذ قال لَهُ علي بن أبي طالب، كيف تتوجهُ مع الجيش الزاحف، ومنْ المحتمل أن يُصيبك مكروه، فيتفرق أمر المسلمين، عليكَ أن تَبقى هنا، لتجبر الصدْع، وتعين الخلَف بعد السلف! أمّا الآن فأمير المؤمنين لا يحضر للقتال، ولكنْ ليُوقع الصلْح، ونحن جنده من حوله يأمرنا بما يشاء فيجدُ الإذعان والطوْع، اكتبْ لهُ أبا عبيدة، ليجيء.

٣٠

خرج عمر من المدينة وليس معه غير مولاه أسلم، واستعدّ الناس جميعاً في ربوع الشام للقائه، وهم يذكُرون دُخول هرقل دمشق منذُ عشرة أعوام في موكب حربي سدّ وجه الفضاء، وملأ فراغ الأرض، كما يذكرون رحيله إلى بيت المقدس بعد أن هزم الفرس وطردهم عنه. وقد تدفّقت المواكب من كل صوب، ورُفعت الأعلام في كل مكان، ودوّت الزغاريدُ من كلّ نافذة، وهرقل في مقدمة الركب، على فرسه المليهم،، وتحت تاجه الذهبي يرفعُ رأسه مبتسماً، ويُشير كفّاه بالتحية عن شمال ويمين! ذكر الناسُ ذلك كلّه، وتوقّعوا أن يكون موكبُ أمير المؤمنين أعظم وأفخم، وحين علمُوا أنه قدم إلى (أيْلة) هرعوا إليها، فلم يجدوا غير جملين يركبهما عربيّان، فصاحُوا بهما أين أميرُ المؤمنين؟ فقال عمر: هُو أمامكم فظنوا أنّ الموكب لم يحضُر بعد،، وذهبوا إلى الأمام فلم يجدوا شيئاً، فرجعوا يسألون: أين أميرُ المؤمنين؟ فقال عُمر عجباً! هو أنا، ألسْتُ أمامكم!!

ثم نزل إلى الجابية، ونظر القومُ إلى بعيره، فإذا هُو جملُ أورق، بلا ركاب، وعليه شملة محشوّة بالليف، وحين نزل عنه عمر حمل الشملة ووضعها على الأرض ليجلس عليها، وقد أثر العرق في ثوبه، فدفع به إلى من يغسله، وتطوّع بعض الحاضرين فأحضر ثوباً من الصوف لعمر، فقال له: يا أخا الشام! نحن في الحر،

والصوفُ ثقيل، ولا أرتضي بغير ثوبي! اغسلوه وهاتوه!

نظر عمر في الوجوه، وسأل: أين أبو عُبيدة ويزيدُ بن أبي سُفيان وعبدُالرحمن بن عوف وعمرو بن العاص؟ فنادى المنادي، وتقدّم القادة لتحية أمير المؤمنين، فوجدهم يلبسون على صدورهم دُروعاً لامعة تبرق كأنها الفضة، فقال لأبي عبيدة! ويلك يا أمين هذه الأمة، تلبس مع أصحابك الدّروع مُحلاة بالفضة!! وهي من مال المسلمين؟ فقال أبو عبيدة، ليست مُحلاة بالفضة يا عمر، ولكنّ الشمس تجعلها كذلك في مرأى العين! وما لبسناها إلا لنتقي السهام وتدرأ وقع السيوف!

وقال عمرو: هُو ذاك يا أمير المؤمنين، فردّ عمر يقول: أمَا والله لو كانت محلاة بالفضة لعزلتكُم جميعاً!

وبينما كان القوم يجيبون عن أسئلة عمر، إذ سُمعت ضجة صاخبة، وارتفعت عجاجةٌ في الجو فخاف المسلمون أن يؤخذوا على غرة، وهُرعوا إلى سُيوفهم متأهّبين، ولكنّ عمرَ نظر فلمح الرايات البيضاء تخفقُ في الفضاء، فقال على رسلكم: القومُ مسالمون، وجاءوا ليأخذُوا العهد والميثاق وسترون!

وبعد لحظات، أقبلَ القومُ من بيت المقدس، يتقدّمهم القساوسة والرهبان، فسألوا عن أمير المؤمنين، وتعاظمهم أن يكون في لباسه الخشن، ومظهره المتواضع، فسأل سائلٌ منهم: أهذا خليفة هرقل؟

فصاح أبو عبيدة: هذا عُمر صاحبُ رسول الله ﷺ، وخليفتُه بعد أبي بكر؟ فأين هو من هرقل؟!

قال السائلُ: أريدُ أن أقول: أهذا الذي أخذ مكانه في – حكم البلاد؟

فقال عُمر: إنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين ثم توجه إلى القوم سائلاً: ماذا تريدون وقد طلبتم عمر؟ فجاء إليكم من المدينة؟

قال رئيسُ القوم: (نريد عهداً على الأمان،، أمان على الأنفس، وأمان على الأموال، وأمان على الكنائس، وأمان على الصلبان، وألا يُكرهَ أحد منا على ترك دينه، وألا يُضار أحد منا لمعتقده، وأن يكون لنا ما لكم، وعلينا ما عليكم).

فقال عمر: لم تطلبُوا غير الحق، وعلينا عهد الله أن نفي به! اكتبُوا عقد الصلح، وليوقعه رؤساؤكم وسيوقّعه معي أبو عبيدة وابن عوف وابن العاص وابن أبي سفيان، والعهدُ مسؤولٌ عند الله!

فابتهج القوم بما سمعوا، ونهض من كتب الصلح، وقُرئ على الناس، فوقع عليه من الجانبين ذوو الشأن ونهض أمير المؤمنين إلى الصلاة. فخفّ الملأ من حوله راكعين ساجدين.

وقد شاء أمير المؤمنين أن يذهب إلى بيت المقدس، مَسْرى رسول الله، وموضع القبلة الأولى للمسلمين، فهيّأ له يزيد بن أبي سفيان فرساً قوياً أخذ زينته في السرج والرّحل واللجام، ونهض عمر فركبه، فراعه

أنْ وَجَد الفرسَ يختالُ عن يمين وشمال، كأنه يستشعر نشوة بمن يركبه، فنزل عمر مسرعاً، ولطم الفرس على وجهه، وقال: لا يا قوم: كادَ والله أن يُورثني الخيلاء! وأنا عبدُ الله وخادمُ المسلمين! نحوه يا قوم! وهيئوا لي بعيري، فهو أحرى بي وأرفق!

ماذا ركبت بباب الشام حين رأوا
أن يلبسوك من الأثواب زاهيها
ويركبوك على البرذون تقدمه
خيل مطهمة تحلو مراثيها
مشى فهملج مختالاً براكبه
وفي البراذين ما تزهى بعاليها
فصحت يا قوم كاد الزهو يقتلني
وداخلني حال لستُ أدريها
وكاد يصبو إلى دنياكم عمر
ويرتضي بيع باقيه بفانيها
ردوا ركابي فلا أبغي به بدلا
ردوا ثيابي فحسبي اليوم باليها

نظرَ الناس إلى صنيع عمر، أما العربُ من أهل مكة والمدينة فلم يدهشوا في شيء، وأما أهلُ الشام ومن حولهم من القساوسة وأسرى الرومان فنظروا مبهورين! وانتهت الرحلة إلى بيت المقدس فاتجه عمر إلى محراب داود فصلى ركعتين خفيفتين، ودوى أذان الفجر فأمّ الناس، وظل في محرابه حتى الصباح، وحين خرج يستشرفُ نور الشمس، وجد ركاماً عالياً من الزبالة المكدسة تكادُ تسدد باب المسجد، فحملَ بعضهُ بيده، ونادى في الناس أن ساعدوني على تنظيف بيت الله فجعلوا يتسابقون في اهتمام! ومضت ساعةٌ لم تدع كومة واحدة تبقى، وجاء فرشٌ بالموضع مطهراً منظفاً، وما متع الضحى حتى ظهرت الساحة، وأشرق المكان!

-٤-

جلس عمر في أصيل اليوم بساحة المسجد الأقصى يتحدث مع صحابته في مختلف الشؤون فوجد راهباً قد خط الشيبُ رأسه ولحيته يتقدم إليه، وهو يقول: السلام عليك يا أمير المؤمنين!

فنظر عمر مليًا إليه، وقال: كأنَّ لي بك عهداً أيها الرجل؟

فابتسم الراهب وقال: العهدُ معي يا أمير المؤمنين فاقرأ؛ وقدمَ إليه ورقة كان يطويها في يده، فأخذ الورقة عمر، ودفعها لمن يقرؤها، فتلا القارئ:

(هذا عهد عمرُ بن الخطاب أعلنُ فيه أني جارٌ لك، ولا عدوان عليك في مالك وأهلك، وأن كنيستك ودينك لا يكرهك عليهم أحد).

فصاح عمر، لا إله إلا الله! لقد صدقت نبوءتك يا شيخ، وعهدك محفوظ مصون، وقد كتبنا لزملائك ما طلبوه، وأنت من بينهم، مع اختصاصك بعهد فريد، لا يعد على الله شيء.

وتساءل المجتمعون عن القصة، فرواها الراهب، وانتظر الفاروق حتى فرغ من روايته فقال لأصحابه: ألا يجب أن نصلي صلاة الشكر؟ هيا يا قوم!

تأملات في السيرة النبوية

لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى

لا يخفى على أحد ما لقيه المسلمون من أذى في بدء الدعوة، ولما اشتد الأذى أذن رسول الله ﷺ للمسلمين بالهجرة إلى بلد يأمنون فيه على دينهم ولا يؤذون فيه، ويروى أنه ﷺ قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه.

فخرج أصحاب النبي ﷺ إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله تعالى بدينهم، وأول من هاجر عثمان بن عفان رضي الله عنه وامرأته رقية بنت رسول الله ﷺ، يروى أن رسول الله ﷺ قال: (إن عثمان أول من خرج بأهله بعد لوط)، ونظراً لما عليه المشركون من قسوة وغلظة خرج المسلمون متسللين وخرجت قريش في آثارهم حتى أتوا البحر فوجدوهم، قد ركبوا ولم يدركوا منهم أحداً ويروى الطبراني بسند صحيح[1] (عن ليلى بنت حنتمة قالت: كان عمر من أشد الناس علينا في إسلامنا فلما تهيأنا للخروج إلى الحبشة أتانا عمر بن الخطاب وأنا على بعيري وأنا أريد أن أتوجه إلى الحبشة فقال: إلى أين يا أم عبد الله؟! فقلت: آذيتمونا في ديننا فنذهب في أرض الله حيث لا نؤذى. فقال: «صحبكم الله».

ثم ذهب، فجاء زوجي عامر بن ربيعة فأخبرته بما رأيته من رقة عمر فقال: ترجين أن يسلم؟ والله لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب، ما الذى جعل عامر بن ربيعة ينكر رقة عمر وما حول شدة عمر أو قسوة عمر وغلظته على المسلمين تتحول في لحظة إلى رقة تلحظها ليلى زوجة عامر بن ربيعة، حيث قال: «صحبكم الله»؟

الذى حول وبدل قلب عمر هو الله سبحانه وتعالى وصدق رسول الله ﷺ، حيث قال: «قلوب العباد بين أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء»، وكثيراً ما

(1) راجع السيرة الشامية ج ٢ ص ٤٨٦، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

كان النبي ﷺ يدعو ويقول - فيما روى عنه -: «اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»، اللهم آمين آمين، قال المهاجرون الأول: وقدمنا أرض الحبشة فجاورنا بها خير جار، وأمنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه.

ويروى أن مهاجرى الحبشة رجعوا إلى مكة ولم يدخل أحد منهم إلى جوار أو مستخفيا ودخل عثمان بن مظعون في جوار الوليد بن المغيرة وكان يغدو ويروح في أمان، قال: والله إن غدوى ورواحى آمناً بجوار رجل من أهل الشرك، وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني لنقص كبير، فمشى إلى الوليد فقال: يا أبا عبد شمس، وفت ذمتك وقد رددت إليك جوارك، قال: لم يا ابن أخي؟ لعله آذاك أحد من قومي؟ قال: لا ولكني أرضى بجوار الله عز وجل ولا أريد أن أستجير بغيره، قال: فانطلق إلى المسجد فاردُدْ عليّ جوارى علانية كما أجرتك علانية، فانطلقا، حتى أتيا المسجد، فقال الوليد: هذا عثمان جاء ليرد عليّ جوارى، قال عثمان: صدق الوليد قد وجدته وفيًا كريم الجوار لكني قد أحببت ألا أستجير بغير الله عز وجل، فقد رددت عليه جواره، وحدث أمر بين عثمان وبين رجل من المشركين، فقام الرجل فلطم عين عثمان والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ عثمان، فقال: أما والله يا ابن أخي، كانت عينك عما أصابها غنية، ولقد كنت في ذمة منيعة، فقال عثمان: بلى والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله عز وجل وإني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر.

هذه بعض أمثلة لما بلغ من تحمل المسلمين الأذى وشدة صبرهم عليه في الله وما زال الأمر على ذلك حتى جاء إسلام عمر.

وتروى في إسلامه رضي الله عنه أكثر من قصة مشهورة معروفة وأرى أن أطرف ما فيها ما روى عن عمر قال: لما أسلمت تذكرت، أى أهل مكة أشد لرسول الله ﷺ حتى آتيه وأخبره بأني قد أسلمت، قال: فقلت «أبو جهل» وأقبلت حين أصبحت حتى ضربت عليه بابه فخرج أبو جهل، وقال: مرحبا وأهلاً يا ابن أختي، ما جاء بك؟ قلت: جئت لأخبرك أني قد آمنت بالله ورسوله وصدقت بما جاء به فضرب الباب في وجهي، وقال عبدالله بن عمر: لما أسلم عمر قال: أى قريش أنقل للحديث - يعني من أكثر الناس ثرثرة ونقلاً للأحاديث - قيل له جميل بن معمر الجمحي فقال: فغدا عليه، يقول عبدالله وغدوت معه أتبع أثره وأنظر ماذا يفعل حتى جاءه، وقال له: أعلمت يا جميل أني أسلمت ودخلت في دين محمد، قال - يعني عبد الله بن عمر -: فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه وتبعه عمر واتبعت أبي حتى إذا قام - يعني جميل - على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش ألا إن ابن الخطاب صبأ، وعمر خلفه يقول: «كذب ولكني أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله»، وقد أعز الله المسلمين بعد إسلام عمر.

روى البخاري[2] قال ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر

وروى أيضا[3] أنه قال والله ما استطعنا أن نصلي عند الكعبة ظاهرين حتى أسلم عمر. وروى ابن ماجة قال: لما أسلم عمر نزل جبريل وقال: يا محمد لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر.

وما ذاك فيما نعلم إلا استجابة لدعوة النبي ﷺ: اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين - أو بأحب الرجلين إليك - أبي جهل وعمر بن الخطاب، وهكذا روى الإمام أحمد والترمذي[4]، ثم تلا ذلك أيام شداد على المسلمين حين دخلوا شعب أبي طالب لما كتبت قريش الصحيفة المشؤمة حتى أكلوا ورق الشجر وأذن الله أن تنقض الصحيفة ثم تلا بعد ذلك الهجرة الثانية للحبشة وما فعلته قريش من عناد وكبرياء لما علمت أن المسلمين أمنوا عند النجاشي وأرسلت خلفهم عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد وردهم الله خائبين.

وفاة أبي طالب والسيدة خديجة

وبعد نقض الصحيفة وخروج المسلمين من الشعب ما كاد المسلمون يهنئون بالخروج من الشعب حتى توفى أبوطالب وبعده السيدة خديجة فاشتد المشركون على المسلمين ولقى النبي ﷺ منهم أذى كثيرا ونالت قريش من رسول الله ﷺ ما لم تكن تناله في حياة أبي طالب، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف وكان ما كان من قسوة وكبرياء.. وصلف وغرور من أهل الطائف على رسول الله ﷺ ما جعل النبي ﷺ يعود إلى مكة بكثير من الحسرة والألم ودعا بدعائه المشهور ويسميه بعض أهل الله (دعاء الكرب) وأنا أسميه (دعاء الفرج) فما من مسلم يدعو الله به مضطراً مخلصاً إلا أجابه الله سبحانه وتعالى وصدق الله حيث يقول:

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾

(النمل: ٦٢)

فقد انصرف النبي ﷺ عن أهل الطائف وأتى ظل شجرة فصلى ركعتين ثم قال: اللهم إني أشكو إليك ضعف

٢- صحيح البخاري، فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
٣- صحيح البخاري، فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
٤- كتاب الثاني

قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو تحل عليّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك.

ولما أراد ﷺ الرجوع إلى مكة وكان معه زيد بن حارثة قال له: كيف تدخل عليهم يا رسول الله وقد أخرجوك؟ فقال ﷺ: يا زيد.. إن الله جاعل لما ترى فرجًا ومخرجًا، وإن الله مظهر دينه وناصر نبيه.

أنقل لك نص حوار طويل جرى لما دخل رسول الله ﷺ ثم انتهى إلى حراء بعث عبد الله بن أريقط إلى الأخنس بن شريق - وأسلم بعد ذلك فيما يقال - ليجيره فقال: أنا حليف والحليف لا يجير على الصريح، فبعث إلى سهيل بن عمرو - وأسلم بعد ذلك - فقال: إن بني عامر بن لؤي لا تجير على بني كعب فبعث إلى المطعم بن عدي - ومات كافرًا - فأجابه إلى ذلك وقال: نعم.. قل له فليأت، فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فدخل رسول الله ﷺ فبات عنده تلك الليلة، فلما أصبح خرج المطعم بن عدي وقد لبس سلاحه هو وبنوه ستة أو سبعة، فقالوا لرسول الله ﷺ طُف.. واحتجبوا بحمائل سيوفهم بالمطاف، فأقبل أبو سفيان إلى المطعم بن عدي، فقال: أمجير أم تابع؟ قال: مجير قال: إذن.. لا تُخْفَر، قد أجرنا من أجرْت، فجلس معه حتى قضى رسول الله ﷺ طوافه، فلما انصرف إلى بيته انصرفوا معه، فذهب أبو سفيان إلى مجلسه، فمكث رسول الله ﷺ أيامًا ثم أذن له الله عز وجل في الهجرة.

فلما هاجر رسول الله ﷺ توفي المطعم بن عدي بعده، ثم كانت واقعة بدر وأسر المسلمون سبعين من المشركين، ولأجل هذه السابقة التي سبقت للمطعم قال رسول الله ﷺ: «لو كان المطعم بن عدي حيًا ثم كلمني في هؤلاء النَّتْنى - يعني أسارى بدر - لأطلقتهم له». (*)

هذا موقف أرجو أن تذكره، حتى نلتقي في العدد القادم إن شاء الله.

❊❊❊

*- السيرة الشامية، ج٢ ص٤٨٠، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، نقلاً عن سيرة ابن كثير في مغازيه.

بين النانو والفمتو

للأستاذ الدكتور: أحمد فؤاد باشا
أستاذ الفيزياء - جامعة القاهرة

تداعب «تكنولوجيا التصغير» أحلام الكثيرين في عصرنا، فقد ازدهر الولع بها في كل مكان، باعتبارها تكنولوجيا المستقبل الحاكمة. ورغم ان الحديث عنها لايزال غير واضح تماما في كثير من التفاصيل العلمية والفنية الدقيقة. وسوف نحاول في هذه المقالة المرجعية ان نلقي الضوء على بعض جوانب هذه التقنية المتقدمة، ونتعرف على مقومات تأسيسها، ومجالات استخدامها، وننبه إلى ضرورة الأخذ بها مع بدايات تطويرها وانتشارها، حتى لا تتأخر أمتنا العربية والإسلامية الناهضة عن ركب الحضارة المعاصرة الذي يتحرك قدما بسرعة تفوق الخيال، مثلما تأخرت من قبل في مجالات أخرى أصبحت اليوم حاكمة ومستحكمة، مثل تقنيات الفضاء والطاقة النووية وثورة المعلوماتية والاتصالات، وغيرها.

مستويات التصغير في عالم التكنولوجيا

يطلق مصطلح «تكنولوجيا التصغير» على ذلك الاتجاه المحموم نحو التعامل مع عالم، المتناهيات في الصغر على مستوى الذرة ونواتها، في مقابل عالم المتناهيات في الحجم الذي يبدأ من كل ما تبصره أعيننا وأجهزتنا البصرية في عالم المشاهدات الكبيرة على أرضنا، أو في الفضاء الكوني الفسيح. وقد شاع استخدام مصطلح تكنولوجيا النانو أو الفمتو في السنوات الأخيرة كتعبير عن الاتجاه العالمي نحو التحكم في تركيب المادة وتركيبها على مستوى الذرات والجزيئات، والإفادة من الظواهر الجديدة التي تتبدى في هذا النطاق.

وكلمة «نانو» تعني في اللغة اليونانية القديمة «القزم» و«الصغير» واستخدمت في الاصطلاح كسابقة أو بادئة تلصق بأول المصطلحات الدالة على وحدات القياس المعروفة، بالمتر والجرام والثانية، وغيرها لتعني جزءاً واحداً من ألف مليون جزء من هذه الوحدات. فيكون النانو متراً مساوياً

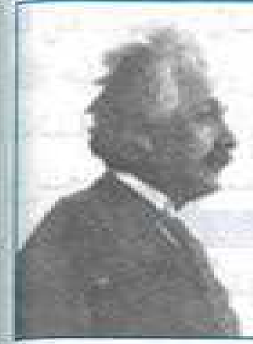
جزء من ألف مليون جزء من المتر، ويكون النانو جرام مساوياً لجزء من ألف مليون جزء من الجرام، وتكون النانو ثانية مساوية لجزء من ألف مليون جزء من الثانية.

أما «الفمتو» في اللغة اليونانية القديمة فتشير إلى مستوى أقل من التصغير يصل إلى جزء من ألف مليون مليون جزء من المتر، أو الجرام، أو الثانية.

مثال ذلك، على سبيل المقارنة، يبلغ قياس قطر شعرة رأس الإنسان حوالي ثمانين ألف نانو متر أو ثمانين ألف مليون فمتومتر. ولهذا فإن الجسيمات التي تكون أبعادها في نطاق مقياس النانو، أو الفمتو، لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة.

التأصيل للمصطلح ودلالته

من الجدير بالذكر أن بعض المجالات المعنية بدراسة علوم المواد على مستوى النانو والفمتو موجودة منذ القدم، فعندما صاغ «ديموقريطس» نظريته الذرية في عصر الحضارة الإغريقية قبل الميلاد بأربعة قرون تقريباً، وعندما تحدث علماء الحضارة العربية الإسلامية عن «الجزء الذي لا يتجزأ» أو «الجوهر الفرد»، كانوا يتحدثون عن كيانات لا ترى بالعين المجردة بحجم قياس النانو والفمتو. وعندما نشر أينشتين في عام ١٩٠٥م بحثاً علمياً قام فيه بحساب حجم جزئ واحد من السكر باستخدام معلومات تجريبية عن انتشار السكر في الماء أظهرت أعماله أن قطر جزئ واحد من السكر يعادل نانو متراً واحداً تقريباً، أي ما يعادل عشر ذرات من الهيدروجين موضوعة جنباً إلى جنب، أو جزءاً من مليون جزء من حجم رأس دبوس صغير.


اينشتين

وعلى المستوى التقني، عندما ازدهرت صناعة السيف في الشرق الأوسط ما بين عامي ٩٠٠ و١٧٠٠ للميلاد، كانت سيوف الصلب الدمشقية تمتاز عن السيوف الأوروبية بحدتها وقوتها، وبما تحمله نصولها من نقش تمطي محدد. وقد أثبتت دراسات حديثة باستخدام الأشعة السينية والمجهر الالكتروني أن الحديد القوي يحتوي على تراكيب كربونية «نانوية» هي التي أعطت السيف الدمشقي ميزاته من الصلابة والحدة الفائقتين وتبقى طريقة تصنيع هذه السيوف الخارقة غير معروفة بدقة حتى الآن. وإن كان ما بها من تراكيب نانوية يعزى إلى الخبرة التي اكتسبها صناعها من خلال خلط الخامات ومعالجتها الحرارية أثناء عمليات السبك والتصنيع ويقول «بيتر بوفلر» «Peter Poufler» أحد أعضاء فريق البحث العلمي المعنى بإعادة تصنيع السيف الدمشقي في جامعة درسدن للتقنيات بألمانيا: «إن هذه التراكيب النانوية هي التي أكسبت السيف الدمشقي خصائصه الفريدة».

أيضا، هناك بعض تقنيات النانو التي كانت موجودة بالفعل منذ أوائل القرن العشرين، حتى كانت جزيئات أسود الكربون Carbon black، التي هي بحجم النانو، تضاف إلى إطارات السيارات كعنصر تسليح وكذلك الأمر بالنسبة إلى اللقاحات Vaccines التي تتكون غالبا من بروتين واحد أو أكثر بأبعاد النانو.

ويوجد في الطبيعة منذ ملايين السنين ما يعرف باسم «الجسيمات النانوية» Nanoparticles وذلك بسبب النشاط البركاني، أو الكائنات الحية، كما أن ميناء (طلاء) الأسنان يتكون جزئياً عن طريق تقنية نانوية طبيعية وبعض الصبغات الملونة المستخدمة في صناعة الخزف (السيراميك) والزجاج الملون منذ القرن العاشر الميلادي تعزى إلى جسيمات الذهب والفضة النانوية. فالذهب، مثلا يبدو بلون أحمر أو أزرق أو ذهبي بحسب حجم جسيماته الدقيقة.

حتى عندما ورد أول استخدام لمفهوم تكنولوجيا النانو، وليس للمصطلح ذاته على لسان عالم الفيزياء الأمريكي «ريتشارد فينمان» R. Feynman الحائز على جائزة نوبل عام ١٩٦٥م في محاضرته الشهيرة بتاريخ ٢٩ ديسمبر ١٩٥٩م حول آفاق تكنولوجيا التصغير، وطرح فكرة التحكم في الأشياء عند مستوى متناهي الصغر للحصول على مخرجات جديدة غير متوقعة وهي الفكرة التي قامت عليها فيما بعد تكنولوجيا النانو، مشيراً بذلك إلى الإمكانات الهائلة في عالم الذرات والجزيئات.. فإن الفكرة في حد ذاتها تعود بجذورها إلى الفلاسفة والعلماء الأوائل عندما حاولوا تغيير الخصائص الكيميائية للمواد على أمل الحصول على ما أسموه «إكسير الحياة» أو «حجر الفلاسفة» بحثاً عن الشباب الدائم، ورغبة في الثراء بتحويل الرصاص والنحاس إلى فضة وذهب، فهم كانوا يعلمون بذلك أن تجاربهم لتفاعل المواد قد تحقق ما يحلمون به للحصول على المركبات التي يريدونها، أي أنهم - بلغة عصرنا الحاضر - يحاولون استخدام تكنولوجيا النانو عن طريق الدمج بين ذرات أو جزيئات المواد المتفاعلة.

لكن الأهم في فكرة «فينمان» أنه توقع في محاضرته على ضوء ما رآه موجوداً في عصره من تقنيات متقدمة، قرب بزوغ فجر علم وتقنية جديدين يمثلان ثورة حقيقية غير مسبوقة في تاريخ الحضارة الإنسانية، تتيح استحداث مواد غير تقليدية ذات خصائص فريدة لم تكن متاصلة بها من قبل، وذلك عن طريق تصغيرها إلى مستوى النانو، والتحكم في ترتيب ذراتها أو جزيئاتها كي تكون على النسق الذي يحقق الصفات الجديدة للمادة حسب الطلب. ومن ثم فإن مثل هذه المواد النانوية ذات السمات المتميزة قد استقطبت أعداداً كبيرة من الباحثين العاملين حاليا في مختلف التخصصات العلمية والتطبيقية حتى وصلت نسبتهم إلى حوالي ١٠٪ من العدد الإجمالي للباحثين من كل التخصصات على مستوى العالم. وأدى هذا الحماس المتزايد لدى الباحثين إلى إحداث طفرة هائلة في علوم وتكنولوجيا النانو (والفمتو) التي أصبحت تعتبر من أهم سمات القرن الواحد والعشرين.

أما مصطلح «تكنولوجيا النانو» نفسه: أو «التقنية النانوية» - كما عربه مجمع اللغة العربية بالقاهرة في مقابل Nanotechnology فقد صاغه لأول مرة العالم الياباني «نوريو تانيجوشي» «Norio Taniguchi» بجامعة طوكيو للعلوم في بحث نشره عام ١٩٧٤م وعرفه بأنه ينطوي بصورة رئيسية على معالجة المواد ذرة بذرة، وتوالت بعد ذلك بحوث واكتشافات. كما نشأت مبادرات ومعاهد ومؤسسات عديدة ذات صلة بهذا المجال الحيوي في الحاضر والمستقبل.

مؤتمر علمى دولى بتشاد يناقش قضايا السلام

الدور التنويرى للأزهر فى أفريقيا يفتح الآفاق للاهتمام بالعربية لغة القرآن

فى الاحتفالات التى أقامتها جمهورية تشاد بمناسبة مرور عشرين عاما على تولى الرئيس إدريس ديبى إتنو مقاليد الحكم، شهدت العاصمة التشادية انجامينا مؤتمرا علميا موسعا أقامته جامعة الملك فيصل تحت عنوان ،الديمقراطية والسلام والتنمية فى تشاد فى عهد الرئيس إدريس، وذلك فى الفترة من ٢٢ شوال وحتى يوم ١٤٢١/٢٥ هـ الموافق ٢-٤ أكتوبر ٢٠١٠م وحضر المؤتمر وفود يصل عددها إلى مائة من العلماء والمفكرين من ٤٧ دولة أفريقية وعربية وإسلامية وفى مقدمتها مصر.

وشارك فى حفل الافتتاح الذى حضره رئيس الجمهورية السادة: رئيس الوزراء التشادى ورئيس الجمعية الوطنية وأعضاء الحكومة ورؤساء المؤسسات الكبرى فى الدولة، وأعضاء السلك الدبلوماسى المعتمدين فى تشاد، ولفيف من العلماء والمفكرين من مختلف الجامعات الأفريقية ومن كوسوفا وتركيا.

رسالة إنجامينا من:
عاطف مصطفى

كما شارك فى المؤتمر كل من الدكتور جعفر عبدالسلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية والدكتور محمد المدنى الأزهرى الأمين العام لتجمع دول الساحل والصحراء، ووفود رفيعة المستوى من رابطة العالم الإسلامى ورابطة الجامعات الإسلامية، ومنظمة المؤتمر الإسلامى ورابطة الجامعات الإسلامية ومنظمة المؤتمر الإسلامى والندوة العالمية للشباب الإسلامى.

بحث قضايا مهمة ورئيسية

وقد تناول المؤتمر العلمى الدولى الخامس قضايا رئيسية ومهمة تتصل بالنهضة والتقدم فى هذا البلد الأفريقى تشاد وشملت ستة محاور تتناول بناء الدولة التشادية الحديثة فى عهد الرئيس إدريس والحياة السياسية الديمقراطية والحريات العامة وحقوق الإنسان والتنمية الاقتصادية والتعليم والمجالات الاجتماعية والعلاقات الخارجية.

ومن أبرز المحاور فى هذا المؤتمر المحور السادس والذى يتناول المؤسسات الإسلامية ودور الأزهر الشريف فى التنمية فى تشاد..

إعلاء شأن اللغة العربية فى تشاد

وفى الجلسة الافتتاحية ألقى الدكتور جعفر عبدالسلام ممثلاً لمائة وعشرين جامعة عربية وأفريقية وإسلامية أعضاء الرابطة كلمة بمناسبة تقليد رئيس تشاد درجة الدكتوراه الفخرية، حيث عبر فيها عن تقديره العميق واعتزازه البالغ بالخطى التى اتخذها الرئيس إدريس ديبى على طريق بناء الدولة التشادية الحديثة وتحقيق السلام والأمن والاستقرار، محييا مبادرته الكريمة بإنشاء كلية الحقوق بجامعة الملك فيصل على نفقته الخاصة لإعداد الكوادر الشبابية من أبناء الوطن فى هذه الكلية، وإرساء منظومة حقوق الإنسان.

كما أشاد بالقرار التاريخى الذى اتخذه بشأن المساواة وتفعيل تطبيق الثنائية اللغوية بتشاد.. اللغة العربية إلى جانب الفرنسية وهى خطوة مهمة.

وقد ألقى الرئيس التشادى كلمته باللغة العربية فى الافتتاح وفى ختام المؤتمر، مما جعل حضور المؤتمر يصفقون طويلا لهذا الحدث التاريخى المهم، الاهتمام باللغة العربية، حيث قامت من قبل مسيرة المليون تشادى إلى قصر الرئاسة للمطالبة بجعل اللغة العربية لغة رسمية إلى جانب اللغة الفرنسية، وهى اللغة السائدة فى معظم بلدان أفريقيا.

دعوة مفتوحة من شيخ الأزهر
لكل الدول الأفريقية

وأعلن الدكتور جعفر عبدالسلام أمام المؤتمر أنه يحمل رسالة من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر لأبناء تشاد ولكل الدول الأفريقية الذين يودون الابتعاث إلى الأزهر الشريف ومعاهده، بأن الأزهر يرحب بأبناء أفريقيا ويختص أبناء تشاد بالمنح التى تطلبها وبشرط استيفاء الشروط المقررة.

وكان لوفد رابطة الجامعات الإسلامية من مصر والذين شاركوا فى المؤتمر العلمى ويتقدمهم الدكتور نبيل السمالوطى أستاذ علم الاجتماع بجامعة الأزهر والدكتور رأفت الشيخ والدكتور عبدالمنعم البسيونى والدكتور محمد الدسوقى والدكتور ماهر شعبان، فضلاً عن ممثلى الصحف المصرية ووكالة أنباء الشرق الأوسط وإذاعة القرآن الكريم كل هؤلاء كان لهم الدور البارز فى الندوات العلمية، خاصة وفى فعاليات المؤتمر بشكل عام.

جهود علمية حثيثة برغم الصعوبات

وقد حيا الدكتور عبدالرحمن عمر الماحى رئيس جامعة الملك فيصل بتشاد والداعية للمؤتمر - فى مستهل كلمته التى ألقاها - الرئيس إدريس على جهوده من أجل تقدم ورقى تشاد وعلى ما يقدمه من دعم للجامعة.

وأشار الماحى إلى أن الجامعة خلال عمرها القصير شهدت تطورات عديدة من حيث التوسع فى عدد الكليات، وفى عدد الطلبة

المنتسبين إليها، رغم صعوبة الظروف التى تعمل فى إطارها، وقد قامت بتخريج مئات الخريجين والخريجات فى مختلف فروع العلم والمعرفة وهم يساهمون الآن فى تنمية بلدهم.

التعليم الرافد الحقيقى لنهضة الأمم وتقدمها

وأكد رئيس جامعة الملك فيصل على أن تقدم الشعوب يقاس بمستوى التعليم وانتشاره فى البلاد، لأن التعليم هو الرافد الحقيقى والمهم فى نهضة الأمم وتقدمها، وهو القوة الفعالة لتغيير النفوس إلى الأفضل ولبناء الأوطان وتقدمها وازدهارها.

كما أكد على أنه بالرغم من الظروف الصعبة التى تحيط بالجامعة والتحديات التى تواجهها، فإنها ستسير نحو الأفضل فى مسيرة النهضة الشاملة لتشاد، فى تحقيق المزيد من الإنجازات العلمية لمصلحة الوطن والمواطنين.

الجامعة تمنح الرئيس التشادى درجة الدكتوراه الفخرية

وكانت جامعة الملك فيصل قد شكلت لجنة تحكيم ضمت خمسة علماء من دول عربية وأفريقية وإسلامية، لمنح الرئيس التشادى درجة الدكتوراه الفخرية وهم: الدكتور أحمد ثوباى وزير التعليم العالى والبحث العلمى بجمهورية تشاد والدكتور عبدالرحمن عمر الماحى رئيس جامعة الملك فيصل بتشاد والدكتور جعفر عبدالسلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية والدكتور يوسف حسين نائب رئيس جامعة الجزائر والدكتور حبيب وداعة الحسناوى من جامعة الفاتح بليبيا.

وقد قام الدكتور عبدالرحمن الماحى بإعلان قرار اللجنة بمنح درجة الدكتوراه الفخرية للرئيس إدريس ديبى وتمثلت أسباب المنح فى جهوده فى مختلف جوانب الحياة السياسية وتطوير ورعاية المؤسسات التعليمية وتعزيز الحرية والديمقراطية والمساواة.

وفى كلمته التى ألقاها باللغة العربية، أشار الرئيس التشادى إلى أن تشاد تعتز بشرف استضافة المؤتمر العلمى والذى يضم علماء ومفكرين ضحوا بمسئولياتهم المهنية، من أجل المشاركة فيه، والذى يفتح الفرصة للبعض لاستكشاف تشاد فى جميع تنوعاته الثقافية والفكرية.

وأشار إلى أن هذا المؤتمر الذى يتشرف بافتتاحه، يعتبر فرصة من أجل دراسة عميقة وموسعة لجميع الموضوعات التنموية المهمة، نتيجة للروابط الحضارية التاريخية والثقافية التى تربط تشاد بالعالم العربى والأفريقى.

فرحة الحديث بالعربية

وقد انطلقت جلسات المؤتمر العلمى الخامس بمقر وزارة الخارجية والتكامل الأفريقى والتعاون الدولى بالعاصمة انجامينا واستمرت ثلاثة أيام. وشهد المؤتمر حضوراً مكثفاً من المهتمين وطلاب العلم، الأمر الذى أثرى الجلسات بالحوار والمناقشات البناءة، حتى إننا على مدار إقامتنا كنا نلمح الفرحة فى عيون كل المتحدثين باللغة العربية، وكنا نشاهد فى شوارع العاصمة جموع المصلين الذين يؤدون الصلوات فى مواقيتها أمام منازلهم ومحالهم التجارية، فى ظاهرة تدعو لأن نهتم بهذه البلاد، ونقدم لها كل الدعم، ونكثف

من البعثات العلمية الأزهرية، فهم ظلوا يطالبوننا طوال وجودنا بتشاد بذلك، رغبة منهم فى تعلم اللغة العربية لغة القرآن الكريم، وحرصهم على التواصل مع مصر الأزهر.

دور الأزهر فى التنمية العلمية فى تشاد

هذا العنوان هو بحث للدكتور محمد الدسوقى أستاذ الدراسات العليا بقسم الشريعة بكلية دار العلوم جامعة القاهرة، واستحق الإشادة من المشاركين فى المؤتمر ولم لا؟ فالأزهر الشريف من أهم المؤسسات العلمية فى العالم كله، وقد كتب الله له أن يكون بمثابة الجامعة الإسلامية العلمية، تشد إليها الرحال من جميع الأقطار، وقد قامت برسالتها عبر تاريخها الطويل الذى تجاوز ألف عام على أحسن وجه.

وتناول الباحث دوره فى التنمية العلمية وتوجيه الحياة الفكرية فى العالم الإسلامى وإن تفاوت هذا الدور قوة وضعفا عبر تاريخه الطويل، على أن دوره فى العصر الحديث لم يكن مقصورا على الطلاب الوافدين، وإنما أخذ الأزهر سياسة جديدة تقوم على ابتعاث علماء الأزهر إلى الدول الإسلامية والأقليات الإسلامية فى كل دول العالم وكان هؤلاء سفراء الجامع العتيق فى تبصير الناس بجوهر دينها، ودرء الشبهات التى ينشرها الجاهلون والحاقدون والمتعصبون.

مكانة الأزهر

ويشير الدكتور إلى مكانة الأزهر العلمية والثقافية فى العالم الإسلامى، حيث تسعى كثير من الشعوب الإسلامية وبخاصة تلك التى تتكلم بغير العربية مثل الهند وإندونيسيا وماليزيا إلى الأزهر لإمدادها بالعلماء والوعاظ الأزهريين للاضطلاع بشرح تعاليم الإسلام على وجهها الصحيح، وتزويدهم بمصادر الثقافة الإسلامية.

إن أثر الأزهر فى العالم الإسلامى حمله الوافدون إليه والمبعوثون منه، وهؤلاء أكدوا أن الأزهر كان المنارة التى تشع النور فى العالم من سيبريا إلى نيجيريا، ومن مراكش إلى الصين قبل أن يسمع الناس بأمريكا ولا غرو أن الإسلام أصبح ينتشر اليوم فى كل دول العالم، ومرد ذلك إلى تلك الجهود العلمية التى ينهض بها الأزهر والوافدون إليه.

دور الأزهر فى تنمية تشاد

تناول الدكتور محمد الدسوقى فى بحثه الذى نال استحسان كل المشاركين فى المؤتمر رواق صليح وهو الرواق الخاص بمنطقة تشاد والذى ضم ستين طالباً تشادياً فى سنة ١٩٥٨م، فضلاً عن أن أحد عشر طالبا من تشاد التحقوا بالأزهر فى عام ١٩٦٤.

وعدد الطلاب التشاديين الذين درسوا فى الأزهر منذ عام ١٩٥٠ إلى عام ٢٠١٠ تجاوز ألف طالب وأنه فى العقدين الأخيرين كان يلتحق كل عام بالأزهر من تشاد نحو ٢٥ طالباً، ويقول د. الدسوقى: وإذا لم يكن لدينا إحصاء دقيق عن عدد الوافدين إلى الأزهر من تشاد قبل سنة ١٩٥٠ فإن بعض المصادر تذكر أنه فى سنة ١٩٠٢، كان الأزهر يضم من بين طلابه الوافدين ١١٨ من وسط أفريقيا، ولا خلاف فإن من بين هذا العدد طلابا من تشاد، ولا خلاف فى أن حركة الالتحاق بالأزهر من تشاد بعد هذا التاريخ لم تتوقف.

ويمكن القول: إن الأزهر قد عرف الطلاب الوافدين من تشاد وغيرها منذ أن غير صلاح الدين منهج الدراسة، وجعلها لا تخرج عن المذاهب السنية المشهورة، وإن كانت لا توجد أية إحصاءات تسجل ذلك. لأن شهرة الأزهر في العالم الإسلامي، وعراقته في الحفاظ على التراث وخدمة لغة القرآن، جعلت القلوب تهفوا إليه، وتشعر بالسعادة الغامرة حين تجلس في حلقاته وتأخذ العلم عن شيوخه مهما بعدت الشقة بين القاهرة والعواصم الإسلامية الأخرى.

فقد كانت الرحلة في طلب العلم وتحمل المشاق.. مشاق التنقل والسفر والغربة من خصائص العلماء الذين أخلصوا لله في البحث والدرس إخلاصاً نادراً سجلته كتب الرحالة والطبقات وتاريخ العلوم، ولهذا كان لهم الفضل في تنمية الفكر الإسلامي، ونشر العلم وحماية عقيدة الأمة حتى في أحلك عصور المحن التي تعرض لها الجامع العتيق.

نهضة في البلاد بفضل دور الأزهر التنويري

لقد أسهم التشاديون الذين تخرجوا في الأزهر في الحفاظ على الهوية الإسلامية للشعب التشادي، ونشر لغة القرآن بين أبناء هذا الشعب، كما أسهموا بصورة علمية في تطوير الحياة الثقافية والعلمية والحضارية، وذلك لأنهم توزعوا في مجالات متنوعة، وإن كانت كلها تتكامل في القيام بالرسالة على أحسن وجه وأكرم غاية.

فمنهم قضاة يقيمون العدل وينشرون الأمن، ومدرسون ينهضون بتربية الأجيال الصاعدة، وسفراء لوطنهم في شتى دول العالم يعبرون عن مكانته وأصالته وخصائصه، لأنهم لم يحصروا جهودهم في العمل السياسي، وإنما كانوا بحكم ثقافتهم دعاة خير وإصلاح، وتعريف بوطنهم وقاراتهم، ومنهم أئمة في المساجد يبصرون الناس بأحكام دينهم وآدابه، ومنهم الدعاة إلى الله الذين نذروا أنفسهم لنشر الدين والدفاع عنه، ومنهم جنود لتحفيظ القرآن للناشئة وهم بهذا يطبقون قول رسول الله ﷺ «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[1].

وإذا كان الرسول ﷺ يقول: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»،[2] فإن الأجيال التشادية التي عادت من الأزهر الشريف بالعلم والخلق، قاموا بنشر الفقه وأحكامه بين الناس، وتجولوا في القرى والقبائل من أجل تبليغ شرع الله، فهم ورثة الأنبياء والأنبياء لم يورثوا الناس مالا، وإنما أورثوهم الدين، وهي تركة ثقيلة، وأمانة أبت السموات والجبال والأرض أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً.

ولأن عهد الرئيس إدريس حظي بعدد كبير من الدارسين في الأزهر، كما أخبرني بذلك المستشار الثقافي بالقاهرة والذي قال: كان لهذا العهد بصمة خاصة في تأثير هؤلاء في الحياة، لأن المناخ العام في الأمة أتاح لهم أن يؤدوا واجبهم كاملاً، وأن يكون لهم دور إيجابي في التطوير والتغيير في مختلف المجالات.

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن.

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم.

وإذا كان الاستعمار قد خطط لنشر لغته وثقافته وعاداته من أجل أن يغير من أفكار الأمة، لكي تظل خاضعة لسلطانه وإن لم تكن له في البلاد جنود وأعلام.

إن الاستعمار في كل أمة إسلامية احتلها، كان يسعى لإضعاف اللغة العربية أو القضاء عليها، وإحلال القوانين الوضعية محل أحكام الشريعة الإسلامية، ثم نشر العادات والأعراف الفاسدة التي تجعل الأمة في غربة عن دينها.

فإن هؤلاء الأزهريين ثقافة والمسلمون عقيدة والتشاديون جنسية ووطنية، تصدوا لذلك التخطيط الآثم، الذي لا يريد للأمة خيراً، وحالوا بينه وبين أن يحقق مآربه وإن كان قد نجح في جعل لغته تقف نداً للغة الكتاب العزيز.

ويؤكد د. محمد الدسوقي: أن هؤلاء الأزهريين في تشاد بلدهم الغالي يستطيعون بجهدهم المتنوع الدفاع عن الوطن في كل المجالات التي عملوا بها، وهي كلها مجالات يصب العمل فيها نحو غاية واحدة وهي حماية اللغة والدين والأصالة ونشر الدين الذي أضاء طريق العودة إلى الاعتصام بحبل الله.

وهذا الاعتصام هو مناط التطوير والتغيير والتحديث والتجديد والنهضة الشاملة، وقد كانوا بهذا الجهد من ورثة الأنبياء في الدفاع عن الدين والعمل به.

وما نخلص إليه أن الأزهر أثر تأثيراً واضحاً في تشاد وبخاصة في العقدين الأخيرين عن طريق الطلاب الذين درسوا فيه، وأيضاً عن طريق العلماء الذين ابتعثهم الأزهر لأداء واجب الأخوة الإسلامية وكان هذا التأثير أكثر وضوحاً في مجال الثقافة الإسلامية والعلم الديني.

ومن ثم يمكن القول: بأن الأزهر كان له دوره الفعال في ثقافة الشعب التشادي الشقيق في الماضي والحاضر.

إشادة بدور الأزهر الشريف

وفي نفس الجلسة الثالثة للمؤتمر في اليوم الثالث لبحث دور المؤسسات الإسلامية العالمية ومن أهمها الأزهر والتي شارك فيها الوفد المصري ووفود من عدة دول أفريقية وعربية، أشاد رؤساء الجامعات الإسلامية والعربية بالدور المهم الذي يقوم به الأزهر الشريف لنشر تعاليم الدين الإسلامي الصحيحة، وفق منهجه الوسطي المعتدل وكذلك الحفاظ على اللغة العربية لغة القرآن الكريم في الدول الأفريقية ومواجهة دعاوى التطرف والغلو، مطالبين باستمرار هذا الدور وتعزيزه مستقبلاً.

كما طالب الدكتور نبيل السمالوطي أستاذ علم الاجتماع بجامعة الأزهر بضم تشاد إلى جامعة الدول العربية لحرصها على انتشار اللغة العربية بها فضلاً عن أن الغالبية العظمى بها مسلمون، وكذلك تعزيز وجودها بمنظمة المؤتمر الإسلامي، وأن تضعها مصر في بؤرة اهتمامها، من خلال مدها بالمهندسين والأطباء، وقيام رجال الأعمال في مصر بالتوجه إليها باستثماراتهم لدعم البنية التحتية بها، حيث تضم مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية، كما أنها تحتاج إلى عدد من المدارس والمعاهد الدينية والتي من الضروري أن نمدها بالمدرسين المؤهلين لهذه المهمة لتقوية اللغة العربية لديهم وتعليمهم الدين الإسلامي الصحيح.

بين الصحف و المجلات

إعداد

أ/ محمد جمعة

أ/ علاء عبد الرحمن

عاش الإمام الأكبر!

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ احمد بكير فى جريدة «الوفد» الصادرة فى ٢١/١٠/٢٠١٠م يقول:

لا أريد أن أقول إن الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر قد أعاد للأزهر مكانته وهيبته، فالأزهر مكانته محفوظة وهيبته مُصانة، رغم ما وُجه لبعض رجاله من انتقاد لا يخلو من تعمد التشويه. وأعجبنى كثيراً الحوار المميز الذى أجراه الزميل جهاد الزين لجريدة «النهار» اللبنانية مع شيخ الأزهر. وأكثر ما أعجبنى تلك التأكيدات التى ركز عليها الإمام، والتى أزالت غموضا كان لدى الكثيرين حول موقف الأزهر من بعض القضايا القومية والمعاصرة.

ولعل أهم ما ركز عليه الدكتور أحمد الطيب تلك المقولة المهمة التى أكد فيها أننا كُنْـنَّـة نُصلِّى وراء الشيعة، لأنه لا يوجد عندهم قرآن آخر، ولا يوجد خلاف بين السُّنى والشيعى يخرجه من الإسلام، إنما هى عملية استغلال السياسة للخلافات. ولشيخ الأزهر مقولة لاقت ترحيبا كبيراً لدى كل العراقيين، عندما أكد فى الحوار أنه إذا ذهب للعراق سيزور النجف «الأشرف»، لأن الأزهر واجبه الأول وحدة الأمة الإسلامية وتجميع المسلمين تحت رؤية واحدة.

ولم ينس الإمام الأكبر أن يظهر رأى الأزهر فى قضيتى الحجاب والنقاب، فأكد أن خلع الحجاب مخالف لنصوص إسلامية. ونصح بارتدائه، لأن خلعه معصية. أما النقاب فلا يوجد نص عليه فى القرآن.. وعن علاقة الأزهر بالكنيسة المصرية قال شيخ الأزهر: ليس هناك مانع من الحوار مع الكنيسة، والوحدة الوطنية فى الداخل هدفنا، وكذلك الوحدة العربية والإسلامية، ثم السلام العالمى، لأن هذه رسالة القرآن. والرسول ﷺ أُرسل للعالمين رحمة وسلاما حتى لغير المؤمنين بالله.

وأهم ما استوقفنى وأعجبنى فى الحوار ما أكده فضيلته فى قوله: إن الأزهر الشريف جامع وجامعة، ومعبر عن حكم الإسلام وضمير المسلمين، وهو ليس سُلطة سياسية، وإنما هو حامل رسالة ومكانة معنوية، ومن ثَمّ فالاعتبارات التى تحكم الأزهر الشريف ليست هى الاعتبارات التى تمليها الالتزامات الدولية على المسئولين السياسيين. فالأزهر الشريف ـ كما يقول شيخه وإمامه ـ بحكم مسئوليته الشرعية: لا يستطيع إلا أن يُعبِّر عن ضمير الجماهير الإسلامية تجاه العُدوان الإسرائيلى الغاشم، والاحتلال الآثم، وتدنيس المقدسات، وحصار غزة الصامدة، وما يعانيه إخواننا الفلسطينيون كل يوم.

وفى النهاية قال شيخ الأزهر مُشَدِّداً على أن لديه موقفاً ثابتاً، وهو أنه لن يُصافح مسئولاً إسرائيلياً، مادامت الحقوق الشرعية للفلسطينيين مسلوبة. وهذا لا يعنى موقفاً من اليهود كأصحاب ديانة نحترمها وكأهل كتاب...

سلمْتَ يا شيخنا، وسَلِمَ لسانك.

ولو أنى فى مظاهرة لهتفت: «عاش شيخ الأزهر، عاش الإمام الأكبر»..

معاداة السامية

تحت عنوان «بتهمة معاداة السامية.. فرنسا تحاكم برلمانييها» كتب الأستاذ حازم فودة مقاله المنشور بجريدة «الأهرام» الصادرة بتاريخ: ١٦/١٠/٢٠١٠م يقول فيه:

فى سابقة هى الأولى من نوعها.. مثلت السيناتوريس أليما بومدين «حليمة بومدين» عضو مجلس الشيوخ عن حزب الخضر.. يوم الخميس ١٤ أكتوبر ٢٠١٠م أمام محكمة ضاحية بونتواز.. بالقرب من باريس.. ومعها آخرون بتهمة «التمييز العنصرى ضد إسرائيل» والتحريض على «الكراهية العنصرية»، وذلك بناء على شكوى تقدم بها سامى غزلان رئيس المكتب الوطنى لليقظة ضد معاداة السامية... بسبب مشاركتها فى أبريل ٢٠٠٩م فى الدعوة إلى مقاطعة سلع الاحتلال الإسرائيلى.

الاتهام جاء نتيجة لمشاركة حليمة بومدين ومعها عشرات آخرون «خمسون شخصا» فى الدعوة لمقاطعة السلع الإسرائيلية.. وذلك فى إطار الحملة الدولية لمقاطعة إسرائيل ومنتجاتها.. التى أطلقها المجتمع المدنى الفلسطينى فى ٢٠٠٥م فى إطار المقاومة السلمية غير العنيفة من جانب المواطنين المطالبة بالمقاطعة ومنع الاستثمار وفرض العقوبات.. للتعبير عن رفضهم واستيائهم ضد سياسة القمع والاحتلال التى يعيشها الشعب الفلسطينى منذ ستين عاما، وفى نفس الوقت للتعبير عن إدانتهم لتواطؤ الحكومات على مستوى العالم فى عدم معاقبة إسرائيل التى تخنق حقوق الشعب الفلسطينى..

هؤلاء المناضلون الذين اشتركوا مع حليمة بومدين فى الحملة.. يمثُلون جميعا الآن أمام المحاكم الفرنسية بنفس التهمة.. تهمة «معاداة السامية»، هذه التهمة «الابتزازية» التى تسلط أسلحتها على رقاب كل من يجرؤ على انتقاد حكومة إسرائيل

وسياساتها وممارساتها..

في المؤتمر الصحفي الذي عقدته حليمة بومدين أخيرا بمقر مجلس الشيوخ الفرنسي وشاركت فيه العديد من الشخصيات البرلمانية من فرنسا وأوروبا وشخصيات سياسية وحزبية.. وجهت حليمة أصابع الاتهام إلى ما وصفته باللوبي الصهيوني، وقالت: إنها محاكمة سياسية ذات ظلال وخلفيات عنصرية..

وأكدت السيناتريس أن معاداة السامية شيء ومعاداة الصهيونية شيء آخر.. ويجب عدم الخلط بينهما لأن الخلط بين الأمرين أمام الرأي العام هو أمر خطير للغاية يمكن أن تكون له انعكاسات سلبية.. «الصهيونية اليوم هي سياسة استيطان، واحتلال للأرض، وطرد، وإسرائيل باسم الصهيونية ترتكب هذه الجرائم... كما في غزة ونابلس وجنين، وهو أمر غير مقبول»..

كاترين تاسكا نائب رئيس مجلس الشيوخ والوزيرة الاشتراكية المعارضة أكدت في المؤتمر الصحفي أن توجيه مثل هذا الاتهام إلى برلمانية هو أمر غير مقبول.. وطالبت بضرورة وضع حد لسياسة «اللاعقاب لإسرائيل».

ويقول الكاتب ـ أيضًا ـ:

إن الرئيس الفرنسي السابق نفسه.. جاك شيراك وحكومته تعرض لنفس الاتهام والابتزاز، حيث اتهمته إسرائيل واللوبي بمعاداة السامية.. عندما توترت العلاقات بينه وبين حكومتها قبل نحو ست سنوات بسبب مواقفه واعتراضهم على سياسة إسرائيل وتجاوزاتها.

وخرجت نداءات من إسرائيل.. ليهود فرنسا تطالبهم بمغادرتها والذهاب للإقامة في إسرائيل.. وقد لبى النداء نحو ثلاثين ألفا في هذه الفترة.. ولم تنصلح الأمور والعلاقات إلا بالزيارة التي قام بها شارون عام ٢٠٠٥م والتي حظيت بحفاوة وترحاب كبيرين.. بعد غيوم شابت العلاقات لبضع سنوات.

لماذا يهينوننا؟

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ داود الشريان في جريدة الحياة الصادرة في ٢١/١٠/٢٠١٠م يقول:

تجرأ المقدم التليفزيوني في قناة «فوكس نيوز» براين كيلميد وتحدث عن المسلمين بازدراء، أهان الدين الإسلامي، وعمم صفة الإرهاب على جميع المسلمين في شكل فظ. «ليس كل المسلمين إرهابيين، ولكن كل الإرهابيين مسلمون»، هكذا تكلم، ثم اعتذر، لكنه اعتذر ببساطة وكأنه سكب كوب ماء، قال: «حسنا أخطأت، لا أعتقد بأن كل الإرهابيين مسلمون، أنا آسف، إذا كنت أهنت أو آذيت مشاعر أي شخص، لكن هذا ما حصل».

إدارة فوكس نيوز حاولت تخفيف هذه الإهانة وقالت على لسان أحد مسئوليها لموقع «هفنجتون بوست» الأمريكي: إن كيلميد «كان يشير إلى المتطرفين الأصوليين الذين قتلوا الأمريكيين في

١١/ ٩، واضح أن ليس كل الإرهابيين مسلمين، وبراين سيوضح هذه النقطة عبر التليفزيون والإذاعة».

لكن الاعتذار ليس كافيا، المطلوب من فوكس نيوز إبعاد براين فوراً من عمله، لابد من طرده تماما مثلما أبعدت هيلين توماس بعد أن قالت جملة أغضبت يهود أمريكا، ومثلما أبعدت مقدمة «سي.إن.إن» الشهيرة أوكتافيا نصر التي عبّرت عن موقفها الشخصي من العلامة الراحل محمد حسين فضل الله.

على القنوات الغربية أن تطبق على نفسها القانون الذي تطالبنا بتطبيقه.

يجب أن يعامل الإعلام الغربي من يهين الإسلام، مثلما يعامل من يهين اليهودية والمسيحية.

ترك كل من يعتبر أن كل الإرهابيين مسلمون، تشجيع للأصوات الشاذة التي تحرض على التمييز والعنف ضد الشعوب.

الأكيد أن القس تيري جونز الذي دعا إلى حرق المصحف لا يمثل المسيحية، هو أحرج جميع المسيحيين في العالم، وشوه صورتهم، كما أن بعض المسلمين المتطرفين الذي يشتم الأديان والمذاهب يشوه صورة الإسلام، ووجود متطرفين على الجانبين يجب ألا يخلق حالاً من الاستنفار الكوني. في المقابل فإن ترك أصوات هؤلاء ترتفع دون موقف أخلاقي هو تشجيع للتطرف والحماقة.

لذلك فإن التسامح مع مذيع قناة «فوكس نيوز» ربما يشجع الأصوات الشاذة والمسكونة بالعنصرية والكراهية، فضلاً عن أن تجاهل خطورة فعلته سيدفع بعضنا إلى طرح سؤال: لماذا يهينوننا؟!. رغم أن ما فعله لا يستدعي سؤالاً على هذا المستوى من التعميم، لكن تركه يعبث سيجعل هذا السؤال أمرا مشروعا.

اطردوه كي تهدأ خواطرنا.

العنصرية الإسرائيلية

تحت عنوان «إسرائيل تستهلك الوقت.. والرصيد الفلسطيني المتبقي من الأرض» كتب الأستاذ/ إبراهيم قاعود كلمته المنشورة بمجلة «آخر ساعة» الصادرة بتاريخ ١٣/١٠/٢٠١٠م يقول فيها:

بعد ثلاث جولات من المفاوضات المباشرة بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي برعاية أمريكية لا يبدو أن هناك أي أمل يلوح في الأفق في حدوث أي تقدم ولو خطوة واحدة في طريق السلام؛ لأن إسرائيل تتحرك على قاعدة ومفهوم «أمنها أولاً»، وهذا في حد ذاته ينسف إمكانية قيام دولة فلسطينية وعودة اللاجئين وتقديم أي تنازلات، والدولة العبرية وهي تدعي أنها تقبل وترغب في التفاوض لا تقدّم على أرض الواقع ما يثبت أنها جادة في تحقيق السلام، فهي تمضي بخطى حثيثة لتهويد القدس وهدم المسجد الأقصى وتدنيس المقدسات الإسلامية على أرض فلسطين التاريخية..

جرب الفلسطينيون كافة أنواع المفاوضات مع إسرائيل منذ توقيع اتفاقيتي

أوسلو ولم ينجحوا فى اختراق جدار التعسف والتشدد الذى يميز هذا الكيان.. لكن إسرائيل ما كانت لتمضى فى صلفها دون غطاء ومباركة من الغرب الذى لن يبخل على هذا الكيان بالدعم على كافة الأصعدة، وآخر صور هذا الدعم توقيع صفقة طائرات الشبح إف-٣٥ الأمريكية الصنع «٢٠ طائرة قيمتها ٣ مليارات دولار» لضمان تفوق الدولة العبرية على دول المنطقة كما تحظى بغطاء غربى لاستمرار سياسة الغموض حول برنامجها النووى وحظر طرح القضية وهو ما حدث مؤخرا فى وكالة الطاقة الذرية فإسرائيل هى جزء مهم من المصالح الغربية وتهديد وجودها يضر بمصالح الغرب وأهدافه فى المنطقة.

تدخل إسرائيل هذه المفاوضات وهى تحمل عدة أهداف تريد تحقيقها من أهمها: استهلاك المزيد من الوقت لتنفيذ مخططاتها فى الاستيلاء على ما تبقى من الأرض الفلسطينية قبل الدخول فى التسوية النهائية، ومن أهم ما طرحه نتنياهو كأساس للتفاوض ضرورة الاعتراف بيهودية دولة إسرائيل وأمن إسرائيل أولاً، وفى النقطة الأولى لهذا الطرح يعنى تصفية الدولة العبرية من كل غير اليهود، مما يعنى التخلص من العرب الذين صاروا يشكلون حسب آخر إحصاء ٢٠٪ من سكانها وإغلاق الباب أمام عودة اللاجئين إلى ديارهم وتقديم الحكومة مشروع قانون يشترط الولاء للدولة كشرط للحصول على الجنسية وإلغاء كل المظاهر والمعالم الإسلامية والمسيحية وهو ما يحدث وبقوة فى القدس الشرقية التى يجرى فيها تنفيذ مخططات لنزع هويات سكانها العرب وترحيلهم والتضييق على حق لم الشمل للأسر الفلسطينية والاستيلاء على أملاك الغائبين وإنشاء أنفاق تحت شوارع القسم العربى من المدينة المقدسة وهدم مقبرة «مأمن الله» التاريخية التى تضم رفات الصحابة الذين استشهدوا أو عاشوا فى القدس خلال الفتح الإسلامى لإقامة حديقة ومتحف للتسامح!! والاستيلاء على المنازل فى الأحياء العربية بحجج شتى كعدم الترخيص أو تقديم ملكيات مزورة ليهود والمؤامرة تجرى على قدم وساق فى حى الشيخ جراح، فالهدف النهائى هو إخلاء القدس من سكانها العرب وتحويلها بشطريها الغربى والشرقى لعاصمة موحدة وأبدية للدولة العبرية.

أما ما يجرى حول المسجد الأقصى فهو الأسوأ فبعد إنشاء كنيس الخراب على مقربة من الحرم القدسى تتواصل الاقتحامات اليومية للمتطرفين اليهود بحماية الأمن الإسرائيلى، كما يجرى الآن العبث بأسوار الحرم من خلال مخطط لإقامة بوابة جديدة تؤدى لنفق يصل إلى حائط المبكى «البراق» والموافقة على إزالة الممر القديم لباب المغاربة وإنشاء باب جديد سيسهل من وصول المتطرفين والأمن لداخل الحرم بجانب الأنفاق التى تمر تحت ساحات الأقصى وتهدد بانهياره دون الحاجة لعملية تفجيره أو قصفه بالطائرات، كما فى بعض سيناريوهات المتطرفين اليهود، فإسرائيل تريد تسريع وتيرة محو هوية القدس العربية والإسلامية حتى يتم استبعادها من أى تفاوض حول مصيرها خاصة أن المفاوض الفلسطينى يطالب بالقدس عاصمة للدولة الجديدة - إن كُتب لها القيام - كما امتدت محاولات محو الهوية إلى المساجد بالضفة الغربية، حيث تم هدم مسجدين تحت الإنشاء بالضفة الغربية وتم إحراق مسجد ومحتوياته فى هجوم شنه المستوطنون فى قرية بيت فجار جنوب بيت لحم، ولا يتوقف المتطرفون من المستوطنين عن تدنيس المساجد بشعارات نجمة داود وإلقاء المخلفات على جدرانها والاعتداء على المواطنين العُزّل من سكان الضفة الغربية وصولاً لقتلهم ولا يتحرك الجيش الإسرائيلى إلا إذا تهددت حياة المستوطنين.

كما تسعى - إسرائيل - لفرض استمرار وجود المستوطنات فى الضفة وتزيد على مائة مستوطنة، وتضم أكثر من ٤٣٠ ألف مستوطن باعتبارها نقاطاً متقدمة للدفاع عن الدولة العبرية.

شهادة جندى أمريكى !!

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ خالد امين بجريدة «الجمهورية» الصادرة فى ٢٠١٠/١٠/١م يقول:

نقلت وسائل الإعلام العربية عن صحيفة «واشنطن بوست» الأمريكية عن قيام الجيش الأمريكى بفتح تحقيق مع خمسة جنود «للاشتباه» فى قيامهم بقتل ثلاثة «مدنيين» فى أفغانستان على سبيل «التسلية» وذلك خلال فترة عمل هؤلاء الجنود فى جنوب أفغانستان.

جاء فى تفاصيل هذه الأنباء المستقاة من «واشنطن بوست» أنه تم توجيه تهمة القتل لجندى يدعى «جيرمى موروك» ورقيب آخر يدعى «كالفين جيبس» ومعهما ثلاثة جنود آخرون.. وأن هؤلاء الجنود الخمسة وعددا آخر من زملائهم فى الجيش الأمريكى يواجهون اتهامات أخرى شملت تدخين مخدر الحشيش.. وتقطيع أطراف الجثث وتصويرها وتخزين عظام القتلى.

قالت الأنباء: إن هذه الجريمة تم الكشف عنها خلال شهادة أدلى بها الجندى موروك أمام لجنة تحقيق عسكرية فى إحدى القواعد العسكرية بواشنطن.. وجاء فى الشهادة أن الجندى أشار إلى أن الجنود كانوا يحتفظون بأجزاء من جثث وعظام القتلى المدنيين للعودة بها إلى بلادهم «كتذكار» لفترة عملهم فى أفغانستان!!!

ماذا يمكن أن يقوله أى «معلق» أو أى «متابع» أو أى «خبير نفسى» أو «عسكرى» أو «زعيم عصابة».. على هذه الجريمة التى ارتكبها واعترف بها جنود ينتمون إلى جيش أكبر دولة فى العالم تقول: إنها المدافعة عن الحرية والديمقراطية فى العالم؟!

لم يكن يعلم هؤلاء «المدنيون العزل» أن أطرافهم وعظامهم سيتم اللهو بها إلى هذه الدرجة.. وأنها ستصبح مثل «طوبة» أو «قطعة خشبية»..

أعود وأقول.. ليست هناك كلمات

يمكن أن تصف هذه الجريمة.. جندى محارب مقاتل يحمل شرف الجندية.. يقتل مدنيين عزل لا حول لهم ولا قوة على سبيل التسلية والاحتفاظ بأطرافهم وعظامهم «كتذكار»!!

السؤال هنا.. هذا ما تم الإعلان عنه أو الكشف عنه وكان عن طريق أمريكا نفسها.. فيا ترى ما هى طبيعة الجرائم الأخرى وعددها التى ارتكبها جنود الولايات المتحدة ولم يعرف بها أحد حتى الآن؟!

جرائم جديدة ومستحدثة.. تفاجئنا بها الصحف بين الحين والآخر.. مسرحها أفغانستان والعراق.. والفاعل جندى أمريكى.. وطالما أن المسرح مازال ممهداً.. فعلى المشاهدين أن يتوقعوا مزيداً من المفاجآت!!

هذه الجرائم التى تكتشف ولو بطريق الخطأ أو المصادفة ثوابت راسخة فى خلفية أساليب وأدوات «الحرب الأمريكية».. يبدو أن إسرائيل تعلمها وتدركها جيداً وبناء عليها تفعل إسرائيل ما تريده من صنوف التعذيب والإبادة وجرائم الحرب ضد الفلسطينيين.. تفعل إسرائيل ذلك وهى تعلم أنها لا تغرد خارج السرب فما تفعله كامن وراسخ فى النفس العسكرية الأمريكية.. وربما يكون فى ذلك إجابة للسؤال: لماذا تسكت أمريكا عن جرائم إسرائيل ضد الإنسانية؟!!

الغطرسة الغربية ضد المسلمين

الدانمارك تشتعل غضباً بعد الإعلان عن اعتذار وزيرتها

تحت هذا العنوان جاء التحقيق المنشور بجريدة «الجمهورية» بعددها الصادر فى تاريخ ٢١/١٠/٢٠١٠م بقلم الأستاذ/ عمر عبدالجواد؛ يتضمن ما يلى:

بعد نفيها تقديم أى اعتذار للمسلمين بسبب حادثة الرسوم المسيئة للرسول ﷺ فى لقائها بفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أثناء زيارتها القاهرة وسوريا مؤخرا بسبب الغضب الذى جاء كرد فعل للمجتمع الدانماركى على وزيرة خارجيته فإن السؤال الذى يفرض نفسه: إلى متى هذه الغطرسة الغربية تجاه الواقع الإسلامى؟!

علماء الدين أكدوا أن الغرب يثبت مع مرور الأيام عنصريته فى التعامل تجاه القضايا والمبادئ الإسلامية..

المفكر الإسلامى د.محمد كمال إمام قال: كثرت فى الآونة الأخيرة الأحداث التى تؤكد عنصرية الغرب تجاه العرب، دليل ذلك عدد من الحوادث المهمة التى تمحورت حول نظرة المواطن الغربى للإسلام، فكانت البداية بالرسوم المسيئة التى رسمها رسام دانمركى سنة ٢٠٠٦، والتى تنفى وزيرة خارجية الدانمارك أنها تعتذرعنها بما يقضى أنها لا تعنى إساءة أو إيذاء لمشاعر المسلمين، وانتهاء بما قامت به بعض الكنائس الأمريكية من حرق للمصحف الكريم فى ذكرى مرور ٩ سنوات على تفجيرات ١١ من سبتمبر، فالسؤال الذى يطرح نفسه فى تلك الإشكالية هو مدى جدية الحوار مع الغرب، وإمكانية التقدم من خلال جلسات النصح والإرشاد التى ينظمها المسئولون الغربيون مع ممثلين للإسلام فى لقاءات عامة يتعهدون فيها بحماية مبادئ وأركان العقائد من التشويه أو المساس بها، فلا نبالغ القول بأن الغرب مريض بعقدة التفوق ولا يعترف بالعنصرية الموجودة فيه، فكثير من الغربيين يعتقدون فى قرارة أنفسهم أن حياة الشخص الأوروبى أكثر قيمة من حياة المسلم، والحجة الجاهزة لديهم وصف المسلمين بالإرهاب والعنف والتطرف..

ورغم أن التاريخ يؤكد وجود ٤٥ دولة إسلامية موجودة فى عالم اليوم لم تشن واحدة منها هجوما ضد أى دولة غربية خلال القرنين الأخيرين، وأن الغرب هو الذى شن الحروب الدامية وأطلق شرارة الحملات الاستعمارية والحربين الكونيتين الأولى والثانية، ورغم ذلك المنكر السلوكى لدى الغربيين نجد أن إحدى استطلاعات الرأى فى ألمانيا تؤكد أن ٨٣٪ من الشعب الألمانى يرى أن المسلمين متعصبون.

كما أضاف: على المسلمين أن يدركوا حقيقة من يتعاملون معه، حتى يتم وضع حد لحسن النوايا الذى لم يعد يجدى مع الغربيين الذين يحسبون قدرتهم على تشكيل خريطة الوجود الإنسانى بتصرفات تحمل المعايير المزدوجة، فهل يمكن لكاتب أو مفكر أن يقترب بالحديث عن السامية أو ينكر وجود الهلوكوست إلا وقامت الدنيا ولم تقعد؟!.. فى حين يتم تشويه الرسول ﷺ برسومات بالغة الإساءة، ويستكثر المسئولون فى بلد الجريمة مجرد كلمات الاعتذار التى يمكنها أن تمتص الغضب الإسلامى، فرسول الإسلام الذى يبذلون قصارى جهدهم للإساءة إليه أول من دعا إلى التسامح مع أهل الكتاب، وحث أصحابه على ذلك لتنمية المفهوم الحضارى فى خطاب الآخرين والتعامل معهم نظريا وعمليا على أساس منهج موضوعى مرن..

المفكر الإسلامى د.عبدالمعطى بيومى عضو مجمع البحوث الإسلامية قال: الممارسات الغربية ضد الإسلام والمسلمين تثبت أن هناك حالة احتقان من الغربيين تجاه الأسس والمبادئ الإسلامية بما يسعى لاستفزاز مشاعر المسلمين وإثارة حقدهم.. والإسلام لا يناهض الحرية البشرية شرط أن تكون منظمة وعادلة باعتبارها تمثل قوام الحرية المنظمة لكل إنسان فهو قوام الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

انفجار وشيك

تحت هذا العنوان كتب «عربى اصيل» فى جريدة «المساء» الصادرة فى ١٣/١٠/٢٠١٠م يقول:

تؤكد التطورات المتلاحقة والمؤسفة التى يشهدها السودان فى الوقت الحالى والتى تجعله على وشك الانفجار ضرورة أن تمد الدول العربية يد المساعدة بقدر الإمكان إلى هذا القطر المسلم العربى الشقيق الذى

يشكل عمقًا استراتيجيًا للعالمين العربي والإسلامي.

فرغم إجبار السودان قبل خمس سنوات على توقيع اتفاق نيفاشا الجائر الذى يمهد لتقسيم أكبر دولة أفريقية من حيث المساحة، ورغم التزام حكومة الخرطوم ببنود هذا الاتفاق فإن الخونة والعملاء فى الجنوب المختفين تحت اسم الحركة الشعبية لم يلتزموا بأى من بنوده.. ومع ذلك لم يتعرضوا لأى ضغط دولى.. بل نالوا الدعم والتأييد من الغرب الذى حرضهم على التمرد ووفر لهم كافة أسباب القوة.

وكان أوضح مثال على ذلك محاولتهم تغيير التركيبة السكانية فى إقليم إبيى المتنازع عليه والغنى بالبترول بإحلال جنوبيين محل سكانه الأصليين ليصوتوا لصالح الانفصال.. هذا رغم أن الإقليم يتبع وسط السودان ولا علاقة له بالجنوب وتم إدخاله ظلمًا وجورًا فى المناطق التى سيشملها الاستفتاء.. وعندما تصدى الجيش السودانى لهم ولقنهم درسًا قاسيًا وقتل منهم المئات تحركت محكمة جرائم الحرب الدولية فى لاهاى وأصدرت أمر اعتقال بحق الرئيس السودانى عمر البشير بتهمة ارتكاب جرائم ضد الإنسانية!!

المشهد العلمى المصرى

تحت هذا العنوان كتب د/مغاورى شحاتة دياب بجريدة «أخبار اليوم» الصادرة فى ٢٣/١٠/٢٠١٠م يقول:

نقلت وسائل الإعلام عن الجهاز المركزى للمحاسبات أن مصر حصلت على «صفر» فى مجال نشر البحوث العلمية فى مجالات محددة وأن السبق كان لإسرائيل.

إن إنهاء جمود المشهد العلمى المصرى وتحريكه فى توجهات إيجابية يستلزم خطوات فعالة فى عدة مجالات وأصعدة أهمها:

■ اكتشاف حدود المعرفة المصرية فى جميع المجالات التخصصية والعمل على تقدمها وتدارك التقدم العلمى السريع من منظور استثمار البشر المؤهلين ونعنى بهم علماء مصر.

■ إعادة هيكلة البحث العلمى وتطوير نظم العلاقات العلمية والثقافية وتوجيه البعثات فى التخصصات الحديثة وتفعيل الاتفاقيات الثقافية والمشاركة فى المؤتمرات محليًا وعالميًا.

■ الاهتمام بالنشر العلمى على المستوى العالمى واعتماد موازنة للبحث فى حدود ٣٪ على الأقل من إجمالى الدخل القومى وإقناع رجال الأعمال ومؤسسات القطاع الخاص بأهمية البحث العلمى.

إن ذلك وغيره من المقترحات والآراء جدير بالارتقاء بالبحث العلمى والذى لايمكن صنع المستقبل بدونه، والوقت لم يعد فى صالحنا فى زمن من لا يصنع فيه التقدم يحكم على نفسه بالتخلف، وهو ما يجب أن نرفضه جميعًا حتى تحقق لمصر التقدم والنهضة.

سابقة خطيرة

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ عبدالمعطى عمران فى جريدة اللواء الإسلامى الصادرة فى ١٤/١٠/٢٠١٠م يقول:

أصدرت محكمة هندية، حكمًا هو الأول من نوعه فى تاريخ المسلمين، ويقضى بتقسيم أرض المسجد البابرى بين المسلمين والهندوس.. وعليه منحت محكمة «ألـه باد» العليا ثلثى أرض هذا المسجد التاريخى للهندوس، وتركت للمسلمين أصحاب الأرض والمسجد ثلث المساحة التى تزيد عن سبعين هكتارًا..

ومعروف أن هذا المسجد بناه الملك بابر أحد ملوك المغول المسلمين قبل أكثر من خمسمائة عام بمدينة أيوديا التابعة الآن لولاية أوتار براديس الهندية، التى يمثل المسلمون حوالى ثلثى سكانها.. وقد ظل هذا المسجد يؤدى دوره، وهو ملك خالص للمسلمين طوال أكثر من خمسة قرون.. ولكن بعد تفجر الصراعات بين المسلمين والهندوس، خاصة بعد استقلال باكستان عن الهند عام ١٩٤٧، بدأت أطماع الهندوس المتطرفين فى أملاك المسلمين ومقدساتهم، بعد أن صاروا أقلية فى الهند، فزعموا أن المسجد البابرى، قد أقيم فى مكان ميلاد الإله «رام» الذى يعبده الهندوس من بين معبوداتهم الكثيرة، وبدأت تحرشاتهم بالمسلمين ومحاولاتهم الاستيلاء على المسجد، حتى تم لهم ما أرادوا فى ديسمبر عام ١٩٩٢، حيث قام أكثر من ١٥ ألفاً من المتطرفين الهندوس، بهدم المسجد وتسويته بالأرض، بعد أن ارتكبوا مذبحة بشعة، راح ضحيتها أكثر من ألفى مسلم سقطوا شهداء دفاعًا عن دينهم ومقدساتهم، وقد تمت المجزرة تحت سمع وبصر العالم كله، وبتواطؤ وتشجيع الشرطة الهندية!.. ولم يكن أمام المسلمين هناك إلا اللجوء للقضاء لإنصافهم، ولكن جاء حكم المحكمة المتقدم صدمة لهم ولكل العقلاء والمنصفين، وبدلاً من أن تعيد المحكمة المسجد إلى المسلمين أرست مبدأ خطيرًا يضفى الشرعية على العدوان، ويمنح المعتدى الحق فيما اغتصبه من حقوق الآخرين.. والويل للمغلوب، لأننا فى عالم تحكمه شريعة الغاب، فمع أن المسلمين فى الهند يمثلون أكبر أقلية فى العالم، حيث يصل عددهم إلى ١٧٥ مليونًا، من بين نحو مليار ومائتى مليون نسمة، هم عدد سكان الهند إلا أنهم فى النهاية أقلية وسط بحر من الهندوس المتطرفين وهو ما يضعف فرصهم فى استعادة حقوقهم وتحرير مقدساتهم!!

ولكن تبقى خطورة هذا الحكم فى إمكانية تطبيقه فى أماكن أخرى، ضد مساجد المسلمين والخوف كل الخوف أن تحذو إسرائيل حذوه فى المسجد الأقصى، فتصدر حكمًا بتقسيمه بين المسلمين واليهود، كما فعلت بالحرم الإبراهيمى فى مدينة الخليل، وليس هذا بمستبعد!!

نهر النيل نموذجاً

للأستاذ الدكتور/ محمد الشحات الجندى
الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

مياه النيل: إطلالة إسلامية

مياه النيل فيض إلهى على مصر، به نعم شعبها وأرضها بالخصب والنماء، فكانت درّة فى جبين الزمان، ومركزًا للأمان والاستقرار، ومقصدًا للخير والعطاء، وحسب أهل هذا البلد الطيب أن يذكر القرآن مآثرها فى نصوص نورانية:

﴿ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾

(البقرة: ٦١)

وفى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾

(يوسف: ٩٩)

فأعطى لها هذا الشريان المائى قوة وحضارة على مر العصور، وجعلها مطمعًا للطامعين، وضمن لها الصدارة فى قارتها السمراء أفريقيا، مما يتوجب على شعبها أن يحافظ على النيل بكل غال ونفيس، بالاستهلاك الرشيد لمياه النيل، وحمايته من التلوث والأضرار، ولإقامة أوجه التعاون، والعلاقات الطيبة مع دول حوض النيل، وبوضع الخطط التى تضمن حقوقها فى مياه النيل، فإن ذلك من الواجبات الشرعية، «فإن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب».

ومن السلوكيات الخاطئة ما نراه من الإسراف فى استهلاك المياه، مع أن الإسلام ينهى عن الإسراف:

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾

(الأعراف: ٣١)

وقول الرسول ﷺ لسعد بن أبى وقاص، عندما رآه يسرف فى استعمال الماء فى الوضوء: «لا تسرف فى الماء ولو كنت على نهر جار»[1]، نقول ذلك لهؤلاء الذين لا يكفون عن رش

١ ـ سنن ابن ماجة ـ كتاب الطهارة وسننها ـ حديث رقم ٤٢٥.

الاعتداء على النيل بأدخنة المصانع

الشوارع، وغسيل السيارات، وري الحدائق بالماء الكثير الذى يزيد عن الحاجة، مع وجود أفواه عطشى، ونباتات تموت.

كذلك نجد تلويث مياه النيل بتبول البعض فيه، وقد نهى الرسول ﷺ أن يبال فى الماء الراكد، وثبت عنه ﷺ قوله: «اتقوا الملاعن الثلاث: البراز فى الموارد (مورد الماء)، وقارعة الطريق، والظل»[2].

وقد كثرت صور الاعتداء على النيل بإلقاء النفايات والمخلفات، فليعلم المسلم أنه مسئول عن هذا الضرر والإفساد لنعمة الماء.

أهاب الإسلام بالإنسان المحافظة على الماء أصل للحياة، حياة الإنسان، وحياة النبات، وحياة الحيوان، وحياة كل كائن حى، لذلك فإن وجود الماء سابق على وجود الحياة، وهو سر قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾

(الأنبياء: ٣٠)

فهو مصدر إرواء لكل الكائنات الحية:

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾

(الأنعام: ٩٩)

وبذلك يشكل الماء العنصر الأساسى فى بنية الكائنات الحية التى خلقها الله فى هذا الكون.

وقد ورد ذكر الماء فى القرآن ٦٣ مرة، ولا

٢ ـ سنن أبى داود ـ كتاب الطهارة ـ حديث رقم ٢٦.

يوجد كائن حي ليس في تكوينه نسبة من الماء. وإذا تعرض أي كائن لجفاف الماء فإنه يموت.

والماء شرط للعبادة: فالوضوء شرط للصلاة:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ﴾

(المائدة: ٦)

فالماء أصل الطهارة، كما هو أصل الحياة.

وعن النبي ﷺ أنه قال: «الطهور شطر الإيمان»[٣]

وقد احتفى القرآن الكريم بقصة السيدة هاجر مع وليدها إسماعيل الذي تفجر الماء في البقعة المباركة من بين قدميه، وجعلها شعيرة من شعائر الحج:

﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾

(البقرة: ١٥٨)

ومن ثم أصبح على كل من يحج البيت الحرام أن يسعى بين الصفا والمروة، ويستحب له أن يشرب من ماء زمزم، وأن يصلي ركعتين في حجر سيدنا إسماعيل في الكعبة المشرفة.

وجعلت الشريعة الحق في تملك الأرض الميتة لمن أحياها بالماء، استدلالاً بحديث الرسول ﷺ: «من أحيا أرضًا ميتة فهي له»[٤]. وذلك بإذن الإمام أو الحاكم العام.

ويصنف الماء ضمن الحقوق العامة، وكما أن الهواء لا يجوز حبسه ولا احتجازه لأحد أو لجماعة دون الآخرين فإن المياه كذلك لا يجوز احتكارها ولا الاستئثار بها دون سائر الناس أو الكائنات الحية الأخرى، النبات والحيوان.

لذلك دخل رجل الجنة بسبب أنه سقى كلبًا من شدة العطش، كما أخبر الرسول ﷺ وقال: «في كل كبد رطبة أجر»[٥].

واعتبر الماء من الملكية العامة، وجاء حديث الرسول ﷺ: «الناس شركاء في ثلاث: الماء والكلأ، والنار»[٦]. لأنه منحة إلهية ورزق من السماء لا يصح حرمان أحد منه، كل على قدر حاجته واستحقاقه، وقد عبَّر الحديث عن ذلك بلفظ الشركة، وهو يدل على الاشتراك فيه للناس كافة المسلمين وغير المسلمين فيه سواء[٧].

وتجري هذه القاعدة وهي الاشتراك في الماء في الأنهار العامة بين من يجري على أرضهم النهر العام، كل حسب احتياجات السكان،

٣ ـ صحيح مسلم ـ كتاب الطهارة ـ باب فضل الوضوء ـ حديث رقم ٥٥٦.

٤ ـ سنن أبي داود ـ كتاب الخراج ـ باب في إحياء الموات ـ حديث رقم ٣٠٧٣.

٥ ـ صحيح البخاري ـ كتاب المساقاة ـ باب فضل سقي الماء ـ حديث رقم ٢٣٦٣.

٦ ـ سنن أبي داود ـ كتاب الإجارة ـ حديث رقم ٣٤٧٧.

٧ ـ التراتيب الإدارية للكتاني، جـ ٢، ص ٣٥.


الصرف الصحي في مياه النيل!!

وإرواء الزرع والنبات والحيوان، حتى يحيا الناس والكائنات الحية الموجودة على الأرض التي يمر بها.

العناية بالنيل في العصر الإسلامي

مصر هبة النيل، كما قال هيرودوت، على نهرها الخالد عاشت أجيال وراء أجيال، من الجدود العظام، بناة الحضارة، ورواد الوديان الخضراء، حتى هذا العصر الذي نحيا فيه، وإلى أن يرث الله الأرض وما عليها.

كانت مصر عروس النيل، بمائه الذي يروي الأرض الميتة، فيجعلها حية، تنبت الحبوب والثمار يخرج نباتها بإذن ربها، فأحيا النيل الإنسان والحيوان والنبات، وظل النيل موضع اهتمام كل من أحب هذه الأرض الطيبة وأهلها، وعرفت دولة الخلافة الراشدة نهر النيل، وعرف الخليفة العادل عمر بن الخطاب لها هذا الحق، فلم ينس عمارة النيل والقيام على أمره، فقد أمر فاتح هذه البلاد عمرو بن العاص الوالي عليها أن يحفر خليجًا ليصل النيل ببحر القلزم، لتنقل فيه السلع والأطعمة بواسطة السفن، بعد أن اطمأن لجريان مائه من المنبع إلى المصب.. وسمي هذا الخليج بخليج أمير المؤمنين. كما خصص عمرو ثلث إيراد مصر لعمل الجسور والترع حفاظًا على مياهه لإرواء الأرض وإصلاح وسائل الري.

ومن هذا التفكير الخلاق إلى حدث كبير آخر في العصر الحديث هو ملحمة بناء السد العالي في العصر الحديث، حرصًا على قطرة المياه وتحريرًا لإرادة مصر، ووعيًا بحق شعبها في أعظم مورد من موارد الحياة: الماء.

والشخصية المصرية تجتمع فيها العروبة والإسلام والأفريقية

وتجدر الإشارة إلى أن أفريقيا هى القارة الوحيدة التى يشكل فيها المسلمون الأغلبية بنسبة ٦٠٪ من عدد سكانها، بها ٥٣ دولة مستقلة بعدد سكان يقرب من ٩٠٠ مليون نسمة حوالى ١٥٪ من سكان العالم، وهم يتكلمون ٧٠٠ لغة مختلفة. هذه المشاركة فى العقيدة لدى أغلبية السكان، تجعل الدور الإسلامى فى أفريقيا أساسيًا، إذ العقيدة لها تأثير كبير فى النفوس لا يمكن إنكاره.

من أجل ذلك تعى الدولة مسئوليتها، فتقوم وزارة الأوقاف من خلال إرسال الدعاة إلى هذه الدول، ويقوم المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بتقديم المنح للطلاب الوافدين من أفريقيا للدراسة فى جامعة الأزهر والجامعات المصرية. وتوجد بعض المراكز الإسلامية هناك، كما هو الحال فى تنزانيا.

أيضًا يقوم الأزهر الشريف بدوره التنويرى، ونفوذه فى إشعاع ثقافة الإسلام الوسطى المعتدل، ودور أئمته ودعاته، وإرسال البعثات التعليمية إلى معاهد الأزهر وجامعة الأزهر، هذه المناشط وغيرها، توثق الروابط مع دول وشعوب حوض النيل، والقارة الأفريقية.

وللكنيسة وبابا الإسكندرية دور مهم فى دعم التواصل والتعاون بين الكنيسة المصرية والكنيسة الأثيوبية. وقد كانت مناسبة طيبة أن يسلم رئيس الكنيسة الأثيوبية مفتاح الكنيسة إلى البابا شنودة فى أديس أبابا.

ولا يجوز أن نغفل الدور الحيوى الذى قامت به الحبشة الدولة التى يأتى من أرضها ٨٥٪ من مياه النيل، فى عهد النجاشى، واستقبالها للمهاجرين الأوائل هناك، بقيادة جعفر بن أبى طالب، مما ينبغى دعم العلاقات مع هذه الدولة فى المجالات الدينية والاقتصادية والاجتماعية.

وفى ذات الوقت التأكيد على حق المصريين فى مياه النيل على كل مستوى مع شقيقاتها العربيات وبخاصة السودان، ومع دول حوض النيل والاتحاد الأفريقى، والدفاع عن هذا الحق ولو باللجوء إلى محكمة العدل الدولية. ولن يضيع الله أجر من أحسن عملاً.

مطالب مصر ودول حوض النيل

تطالب مصر بزيادة حصتها من مياه النيل عن الكمية التى تحصل عليها، وهى ٥٥,٥ مليار متر مكعب، وفقاً لاحتياجات زيادة سكانها، والوفاء بكميات من المياه لحاجة الأراضى التى تستصلحها.

وفى المقابل تطالب دول حوض النيل السبع: أثيوبيا، وأوغندا، وكينيا، وتنزانيا، ورواندا، وبوروندى، والكونغو بدعم مشروعات التنمية بها، وتعمل على إنشاء خزانات وسدود على النيل تقلل من كميات المياه القادمة إلى مصر، وهى تطالب بمقابل عن ذلك باعتبارها دول المنبع التى بإمكانها التحكم فى المياه على أراضيها. كما تطالب بمشاركة فعالة فى تنمية مواردها ومشروعاتها التنموية.

ويوجد لديها شعور بأن دول المصب مصر والسودان تستأثر دونها بالنصيب الأكبر من المياه، وتثير مسألة توزيع المياه وفقًا لقاعدة العدالة والإنصاف.

وقد زادت تحركات دول حوض النيل، بغرض إبرام اتفاقية تحقق لها مطالبها، وحددت لها يوم ١٤ / ٥ / ٢٠١٠م للتوقيع عليها، على أن تترك الباب مفتوحًا للتوقيع عليها من دول المصب، وهى بذلك تخل بالحق فى حصص المياه المقررة لمصر والسودان.

ولئن مضت دول المنبع فى هذا الطريق، فإن ذلك سيلحق الضرر بمصر بدرجة كبيرة، مرده إلى أن مياه النيل بالنسبة لمصر هى قضية أمن قومى من الدرجة الأولى. فإن مياه نهر النيل مسألة حياة ووجود، باعتبار النيل هو المصدر الوحيد للمياه فيها، وعليها تتوقف حياة كل مصرى، كما أنها ضرورة للأمن الغذائى والمعاش فيها.

التآمر الإسرائيلى على حصة مصر من مياه النيل

لا تتوقف إسرائيل عن تحريض دول المنبع ضد مصر، واستئثار مصر دونها بمياه النيل وحرمانها من حقوقها فى مياهه، التى تسقط على أرضها، والنابعة منها.

ولا تكتفى إسرائيل بمجرد التحريض، وإنما تقوم بتنفيذ خططها الرامية إلى خنق الاقتصاد المصرى بواسطة تقليل حصتها فى المياه، عن طريق:

- أنها تقوم باستصلاح أراضى فى أثيوبيا، وتجهيزها للزراعة، مما يتطلب توفير المياه اللازمة لريها.
- كذلك تقوم إسرائيل وأمريكا بشراء أراضى من دول الحوض، بغرض إنتاج الوقود الحيوى.

بل إن المؤامرات التى تقوم بها إسرائيل، فى المنبع مشروع إنشاء شبكة أنابيب تأخذ المياه من الهضبة الأثيوبية ومنابع النيل، وتتجه بها عن طريق البحر الأحمر - تحت قاع البحر - إلى ميناء إيلات فى إسرائيل.

- تتطلع إسرائيل إلى الحصول على حصة من مياه نهر النيل، نسبة ١٪ من المياه التى تصل إلى مصر، وهو مطلب مرفوض.

وهو ما يجعل حروب المياه هى مصدر الصراعات القادمة فى الشرق الأوسط.

وقد كان لمصر نفوذًا كبيرًا لدى دول أفريقيا، فى القرن الماضى، لكنه تراجع فى الوقت الراهن، وسبّب هذا الفراغ المصرى فى دول حوض النيل التمدد الإسرائيلى هناك، ومن ثم فإنها تخطط للإضرار بها وتعمل على تطويق وحصار مصر فى مورد حيوى «المياه».

ومن المهم لمواجهة هذا التحرك الإسرائيلى، إقامة كيان عربى بتشكيل تجمع دولى أفريقى من مصر، والسودان، وليبيا، واستثمار الدور الليبى فى أفريقيا، وهو دور نشط، مع دول القارة، والاتحاد الأفريقى.

وثمة حقائق يجب على مصر أن تطرحها فى المفاوضات على دول حوض النيل، وهى من أسس النظام الدولى: مثل الوحدة الكاملة

للنهر، بمعنى عدم جواز الانفراد أو الاستئثار بالانتفاع أو استغلال المياه دون موافقة الدول التي يجرى النيل فيها، دول المصب والمنبع.

وأن اتفاقية المجارى المائية للأمم المتحدة تؤكد على:

عدم المساس بسلامة المجرى المائى من أى دولة باعتبار ذلك حقًا مشتركًا لكل الدول.

وقاعدة: العدالة والإنصاف في توزيع المياه، مما ينبغى أن يلاحظ فيه الحقوق المكتسبة، وزيادة عدد السكان، والاتفاقيات التي سبق إبرامها وأقرت حقوق كل طرف فيها، مما لا يجوز الإخلال بها ونقضها.

تدابير للمحافظة على حق مياه النيل

لا شك أن لمصر والسودان حقوقًا في مياه النيل، يتعين عليهما باعتبارهما دولتى مصب أن تتضافر جهودهما للحفاظ على المصالح المشتركة في مياه النهر، في ظل العلاقات الطيبة مع دول المنبع، هذه الحقوق تتطلب سلوك الوسائل الموصلة إلى بلوغها.

ومما ينبغى تقريره في هذا الصدد ألا تنفرد دول حوض النيل بالتوقيع وحدها على اتفاقية تلغى الاتفاقيات السابقة المقررة لحقوق دول الحوض مجتمعة، وألا تقوم بإعادة تقسيم حصص مياه النهر بما يؤثر سلبا على حق مصر والسودان، إذ أن إبرام مثل هذه الاتفاقية يجب أن يتم باتفاق الجميع دول المنبع والمصب على حد سواء. كذلك إجهاض المؤامرات الإسرائيلية لدى دول حوض النيل ضد المصلحة العربية، في استحقاقات مياه النيل.

وفيما يلى بعض هذه التدابير:

أولاً: تدابير على المستوى الداخلي:

١ - المحافظة على الماء:

ضبط الإسلام سلوك المسلم في المحافظة على كل قطرة ماء، فنجده ينهى عن الإسراف فيه عند الاستعمال، ولو كان استخدامه من أجل الإبقاء على حق الحياة، أو أداء العبادة. فمن قبيل الأول، قوله - تعالى -:

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾

(الأعراف: ٣١)

وفي الحديث الذى رواه سعد بن أبى وقاص: عن عبدالله بن عمرو - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ مر بسعد وهو يتوضأ فقال: «ما هذا السرف؟». فقال: أفى الوضوء إسراف؟. قال: «نعم، وإن كنت على نهر جار»[٨].

والثابت أن هناك مخاطر على المياه، والإسراف فيها تتمثل في زيادة استهلاك المياه في الاستخدام اليومى، رش الشوارع - رى الحدائق - غسيل السيارات - سوء استخدام المياه في الزراعة - شبكات توزيع المياه المتهالكة.

وهو يؤدى إلى إهدار هذا المورد المهم لحياة

٨ - سنن ابن ماجة - كتاب الطهارة وسننها - حديث رقم ٤٢٥.



الماشية تستحم وتقضى حاجتها في مياه النيل

الإنسان والكائنات الحية والمحصلة: أن الحفاظ على كل نقطة ماء، تعد مسئولية دينية، والتزام على المسلم في كل استخداماته للمياه. فإذا تعرض المسلم لأزمة مياه، فقد شرع الله من أجل طلب الماء عند الجدب والشدة: صلاة الاستسقاء، وهى سنة فعلية. يروى عن إسحاق، قال: أرسلنى الوليد بن عتبة أمير المدينة إلى ابن عباس أسأل عن صلاة رسول الله ﷺ في الاستسقاء، فقال: خرج رسول الله ﷺ متبذلا (أى في ثياب الخدمة لأنه ادعى للذل والانكسار) متواضعا متضرعا حتى أتى المصلى، فرقى المنبر، فلم يخطب خطبكم هذه، ولكن لم يزل في الدعاء والتضرع والتكبير، ثم صلى ركعتين، كما يصلى في العيد[٩].

وروى الدار قطنى عن ابن عباس: أنه يكبر فيهما سبعا، وخمسا كالعيد، ويقرأ فيهما: الأعلى، والغاشية[١٠].

٢ - حماية المياه من التلوث:

تتعرض المياه العذبة لأنواع من التلوث، والإفساد، وهذا محظور شرعا عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ: «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذى لا يجرى ثم يغتسل فيه.. وفى رواية: ثم يتوضأ منه»[١١].

وعنه ﷺ أنه: «نهى أن يبال في الماء الراكد»[١٢]. وعن النبى ﷺ «اتقوا الملاعن

٩ - سنن النسائى الكبرى ١/٥٥٦، كتاب الاستقصاء - باب الخروج إلى المصلى.

١٠ - انظر فتح البارى لابن حجر، ٢/٤٤٦ باب تحويل الرداء في الاستقصاء.

١١ - صحيح البخارى - كتاب الوضوء - حديث رقم ٢٣٩.

١٢ - صحيح مسلم - كتاب الطهارة - حديث رقم ٦٨١.

الثلاث: البراز فى الموارد «مورد المياه» وقارعة الطريق، والظل»[13].

والمتتبع لما يحدث لمياه النيل يجد أنه يتجاوز بكثير ما نهى عنه الحديث، فإلقاء النفايات والمخلفات من مخرجات المصانع، والعبث والإفساد وصل إلى حد تصريف المجارى، مما يجب حظره، والعقاب الرادع للقائمين به، لوقف الاعتداء على المياه شريان الحياة ومصدر وجودها.

١- تدابير ذات طبيعة تنموية:

■ يجب إيجاد شراكة حقيقية وفعالة مع دول حوض النيل فى المشروعات التنموية؛ لأن لمصر مصلحة حقيقية مع هذه الدول، زراعية، أو تجارية، أو صناعية.

■ إزالة سوء الفهم ودحض دعايات إسرائيل المغلوطة بأن مصر تستأثر بمياه النيل دون دول المنبع، ولا تشاركهم فى التغلب على حل مشاكلهم التنموية والنهوض ببلادهم.

■ عمل أسواق مشتركة مع دول حوض النيل على غرار الكوميسا: السوق المشتركة بين الشرق والجنوب الأفريقى (٢٠ دولة)، أو مثل سوق تجمع الساحل والصحراء (٢٨ دولة).

■ إنشاء مشروعات مشتركة تخدم دول حوض النيل.

■ ابتكار آليات تعمل على ربط دول المنبع بمصر والسودان. فإنه لما كانت مصر صاحبة مبادرة حوض نهر النيل عام ١٩٩٤م حتى تم التوقيع عليها عام ١٩٩٩م، فإن عليها أن تقوم بمبادرات جديدة تحافظ بها على حقوقها، وتنفيذ وتفعيل بنودها ومنها:

■ التواصل بين الشعوب ومنظمات المجتمع المدنى، فيما بين دول النهر، والعمل على التقارب فيما بينها، والمساهمة فى إحداث النمو لدول النهر جميعا، وعدم تركها يتفردها تقرر حصص دول المصب بإيعاز من أطراف تتربص بالحق العربى فى المياه.

٢- وسائل قانونية:

■ التفاوض مع دول المنبع للتوصل إلى حل مناسب يراعى احتياجات كل دولة، وبما لا ينقلب على الاتفاقيات السابقة ويفرض أمرا واقعا على دول المصب.

■ تشكيل فريق وطنى لبحث أمثل الطرق لإثبات حقوق مصر يضم قانونيين وفنيين وخبراء فى مجال المياه.

■ اللجوء إلى التحكيم إذا لم تأت المفاوضات بالنتائج المرجوة منها، واختيار المحكمين الأكفاء للقيام بالمهمة.

■ عرض الأمر على الاتحاد الأفريقى كمنظمة إقليمية معنية بتسوية النازعات بين دول القارة، فى ضوء الاتفاقيات المبرمة، والحقوق الثابتة لمصر والسودان.

.. وإذا لم تجد الوسائل المشار إليها، فيمكن عرض الموضوع على محكمة العدل الدولية باعتبارها الجهاز القضائى العالى المنبثق عن الأمم المتحدة.

١٣ ـ رواه أبو داود وابن ماجة.

شعبة العلوم الإسلامية

تقدم مجلة الأزهر للسادة القراء أضواء على شعبة العلوم الإسلامية التى أنشئت هذا العام بدءا من الصف الأول الثانوى. وقد التقى محرر المجلة كلا من فضيلة الأستاذ الدكتور عبدالدايم نصير مستشار فضيلة الإمام الأكبر، وفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى مقرر لجنة التعليم بالأزهر وفضيلة والأستاذ الدكتور زين العابدين درويش مدير مركز بحوث الموهوبين بجامعة القاهرة وكان لنا هذا اللقاء.

للأستاذين/ عبدالموجود أمين - يحيى سليمان


عبدالدايم نصير

بدأنا الحوار مع الأستاذ الدكتور عبدالدايم نصير مستشار شيخ الأزهر

● نرجو من سيادتكم إلقاء الضوء على شعبة الدراسات الإسلامية؟

●● بناء على توجيهات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب تم استحداث شعبة جديدة بمرحلة الثانوية الأزهرية يلتحق بها عدد محدود من الطلاب المتفوقين الحاصلين على الإعدادية الأزهرية بعد اجتياز الاختبارات النفسية وقياس القدرات والاتجاهات السلوكية ودرجة الاستعداد للتعليم.. إلخ.

لذلك يتميز البرنامج الدراسى لهذه الشعبة بالتركيز على دراسة كتب التراث وعلوم الدين بجانب بعض المقررات الأخرى التى تغطى جوانب المعرفة فى العلوم الطبيعية والإنسانية هذا فضلا عن دراسة اللغات الأجنبية واستخدامات الحاسب الآلى، وتكنولوجيا المعلومات.

● ما الأهداف المرجوة من تلك الشعبة؟

أولا: تخريج عدد من الطلاب دارسين للمنهج الأزهرى الذى يعتمد على كتب التراث فى المرحلة الثانوية تمهيدا للالتحاق بكليات العلوم الإسلامية فى برامج تعليمية خاصة لتخريج عالم متميز يستطيع حمل الرسالة العلمية للأزهر.

ثانياً: دعم الطلاب المتفوقين من أوائل الإعدادية الأزهرية ورعايتهم وإتاحة أفضل ظروف تعليمية لهم.

● ما الاستعدادات التى اتخذت لخروج تلك الشعبة إلى النور؟

أولاً: إعداد منهج متوازن يتضمن التراث الأصيل للأزهر بجانب العلوم العصرية، فالمستهدف تحصيل عميق لعلوم الدين واللغة العربية بجانب الإلمام الشامل بمعارف العصر وقضاياه.

ثانياً: إتاحة أفضل مصادر التعلم من الكتب والوسائل التعليمية.

ثالثاً: اختيار أفضل المدرسين مع تدريبهم المستمر لتنمية مهارة المدرس فى تدريس التراث الأزهرى.

رابعاً: اختيار معهد بكل محافظة تتوافر فيه الإمكانيات اللازمة للإقامة والدراسة.

خامساً: توفير الإقامة والتغذية الدعم المادى الكامل للطلاب الملحقين بالشعبة.

● ما أهم الإنجازات التى تمت حتى الآن؟

١- تنظيم دورات تدريبية للمدرسين.

٢- ترشيح عدد من الطلاب من كل محافظة من المتفوقين يتراوح ما بين ٥٠ - ٨٠ طالبا من كل منطقة للتقدم للاختبارات.

٣- عقد اختبارات للطلاب المرشحين لقياس القدرات والاتجاهات والسلامة النفسية ودرجات الذكاء.

٤- تكليف لجان متخصصة لإعداد المقررات والمناهج وتحديد الكتب الدراسية التى انتهت من أعمالها اللجنة.

***

ثم انتقلنا لمحاورة فضيلة الشيخ الطاهر محمد أحمد الطاهر الحامدى مقرر لجنة التعليم بالأزهر فكان هذا الحوار:

● فضيلة الشيخ الطاهر.. إذا كان ما يدرس الآن فى التعليم الثانوى بالأزهر فى مجمله لا يخرج عن كونه علوما إسلامية، فما الحاجة لإنشاء تلك الشعبة؟

●● بعد الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

نعم ما يُدرس الآن فى مجمله إسلامى ولكن فيه قصور.

● فما وجه القصور؟

●● ليس كل ما هو مطلوب يُدرس، إنما يُدرس بعضه ولا يتناسب مع دور ومكانة الأزهر الشريف، فالنظرة فيه ليست طموحة الآن، فالهدف يقف عند مجرد تخريج إمام أو واعظ، وهذا محلى.. إنما دور الأزهر عالمى، لهذا أنشئت شعبة العلوم الإسلامية؛ ليجيد الدارس فى تلك الشعبة التعامل الجيد مع أمهات الكتب والتراث القديم والحديث.

● ما هو المقصود من إنشاء شعبة جديدة للعلوم الإسلامية؟

●● المقصود نظرة شاملة لدور الأزهر وما تحتاجه الدعوة الإسلامية فى هذا العصر، وهذا ما نقوم به الآن وهو إعداد طالب أزهرى يتعامل مع الحياة العملية، مؤهل للدور العالمى للأزهر.

فمثلاً هناك مؤسسات دعوية عالمية لها دور عالمى فى حياة الناس على مستوى قارات العالم المختلفة، وللأزهر احتكاك بهذه المؤسسات فهل المبعوث أو الخريج عموما مؤهل للاحتكاك بهذه المؤسسات العالمية وكيفية التعامل معها؟!

نحن نصنع جيلا جديدا إن شاء الله ليكون على مستوى عالمى ودور قيادى والتعامل المباشر مع هذه المؤسسات المختلفة والمراكز الإسلامية المنتشرة فى مختلف بقاع الأرض.

هناك شعوب غير ناطقة بالعربية ولكنها تدين بالدين الإسلامى فتعرف العربية مثل باكستان وإيران وإندونيسيا وغيرها من الشعوب غير العربية فهل عندنا من يجيد لغات تلك الشعوب، وكيفية التعامل معها ومعرفة عاداتها وتقاليدها؟ بالطبع لا.

هذا سؤال طرحه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، لهذا كان التفكير فى إنشاء تلك الشعبة وهو إعداد الطالب الأزهرى للتواصل مع تلك الشعوب والعمل على دعمهم فى مجال الدعوة الإسلامية بالرجوع إلى كتب التراث الإسلامى التى ربما قريبا تصبح مثل «حجر رشيد»، إننا سوف نقوم بالتدريس فى تلك الشعبة بأمهات الكتب القديمة التى تزخر بأفضل ما وصل إليه علماؤنا الأجلاء، مع إدخال اللغات الأخرى لتلك الشعوب وخاصة اللغات الشرقية المنتشرة فى آسيا مثل الفارسية والهندية والأردية وغيرها، حتى اللغة العبرية لنكون على إلمام بما يدور داخل الكيان الإسرائيلى، هذا إلى جانب اللغات الحية الأخرى كالإنجليزية والفرنسية والألمانية.



الطاهر الحامدى

● لماذا كانت البداية بـ«عشرة فصول فقط»؟

●● أولاً: أى بداية لعمل أو مشروع جديد لابد أن تكون النواة صغيرة، ونحن عندما فكرنا فى تلك الشعبة استعنا بمركز إعداد الموهوبين للدراسات العلمية والاستكشافية التابع لكلية الآداب جامعة القاهرة، وسوف يقوم الأستاذ الدكتور/ زين العابدين بالتحدث عن تلك الدراسات الخاصة لاختيار النخبة المقترحة للدراسة فى تلك الشعبة.

فقد اقترح المركز اختيار الطلاب من المتفوقين علميا ومن حفظة القرآن الكريم وهذا شىء طبيعى عند اختيار مجموعة متميزة تكون واجهة مشرقة لأى مشروع.

ثانيا: يقوم مركز إعداد الموهوبين حاليا باختيار ما يسمى «نخبة النخبة» فليس المقصود اختيار كل طالب متفوق، بل هو الوصول إلى أعلى الدرجات من التفوق

وأظن أن هذا ليس متاحا لدى الجميع، فبدأنا بعشرة فصول فقط على مستوى الجمهورية.

● هل الدراسة فى تلك الشعبة ثلاث سنوات مثل غيرها أم أن هناك زيادة نظراً للكم الذى سوف يدرسه الطلاب؟

●● دعنا لا نسبق الأحداث بمعنى أننا لم نخطط لزيادة عدد سنوات الدراسة، فليس المقصود زيادة عدد سنوات الدراسة، إنما المقصود والهدف الأساسى من إنشاء تلك الشعبة دراسة موضوعات معينة من المواد الشرعية تتناسب مع دور وطموحات الأزهر الشريف كمؤسسة دينية عالمية ينتظر منها الكثير والكثير فى مجال الدعوة.

● هل تقتصر الدراسة على العلوم الشرعية فقط؟

●● بالعكس كان هناك إصرار من فضيلة الإمام الأكبر على أن يلم الطالب الأزهرى بعلوم عصره المختلفة إلى جانب العلوم الإسلامية، هناك الكيمياء والفيزياء وتاريخ العلوم الإنسانية المختلفة واللغات الشرقية واللغات الحية.

المقصود هو عالم أزهرى على مستوى دينى وثقافى عالٍ جداً، نحن لا نريد عالماً دينياً محدود الثقافة والعلم، يعيش على أطلال الماضى، إنما نحن نريد عالماً أزهرياً دارساً لكافة فروع علم التراث الإنسانى بداية من العلوم الشرعية الدينية والعلوم الإنسانية الأخرى كعلم النفس والاجتماع والإحصاء والتاريخ وغيرها من العلوم المعاصرة.

● على أى أساس تم اختيار تلك الفصول فى المحافظات المقترحة؟

●● أولاً: تم اختيار المحافظات المقترحة على أساس التوزيع الجغرافى بحيث لا يتم إرهاق الطالب أو ولى الأمر بالغربة أو الترحال، فكان نظام الإعاشة الكامل وتوفير سبل الإقامة مراعياً أن التوزيع عادل بين جميع المحافظات، ولا مانع أن يلتحق فى تلك الفصول الطالب الذى لا يوجد داخل محافظته معهد مخصص لدراسة تلك المواد، فمثلاً طالب سيناء الشمالية أو الجنوبية لا يوجد مانع أن يلتحق بالمعهد الذى سوف يكون فى الإسماعيلية، فالجميع يتمتع بنفس الحقوق.

● هل ترى أن مدة الدورة التدريبية التى عقدت للمدرسين كافية؟

●● مدة الدورة ربما تكون قصيرة ولكنها كافية، فالمدرس قد درس تلك المواد فى الكلية لمدة أربع سنوات، إنما كنا نعد المدرس ونؤهله فى تلك الدورة لتدريس النص القديم الذى درسه وابتعد عنه لفترة، وأذكر أننى فى أحد مقالاتى كتبت أن التراث القديم الآن أصبح مثل «حجر رشيد» بالنسبة للأزهرى المعاصر، وكل ما أخشاه أن يتحول إلى اللغة الهيروغليفية وحجر رشيد فلا يستطيع الطالب المعاصر أن يفك رموزه ولا يتعامل مع التراث القديم.

لذا كان العمل على إخراج تلك الشعبة إلى النور ضرورياً لفك الرموز كما كان سابقا.

● هل الزى الأزهرى الذى نراه الآن سوف يكون هو الزى الرسمى لطلاب تلك الشعبة؟

●● العبرة ليست بالزى إنما نحن بصدد أن يكون الأزهرى متميزا فى كل شىء وأذكر مقولة لأحد كبار الكُتَّاب أن هناك ما يميز الدين والعالم الإسلامى وهو مئذنة المسجد فهى رمز لدار العبادة الإسلامية.

ثانياً: الزى الأزهرى رمز للعالم الفقيه.

لذا كان الزى الأزهرى من أهم سمات فقهاء وعلماء الأزهر، الذى يضفى كثيراً من الإجلال والاحترام على من يرتديه، وعلى كل حال ليس المقصود المظهر الخارجى إنما المقصود الجوهر وما يحتويه عقل هذا العالم من علم يفيد غيره، ولا مانع أن يكون طلاب هذه الشعبة لهم زى خاص يميزهم عن غيرهم.

● هل الدراسة فى تلك الشعبة قاصرة على البنين فقط؟ ولماذا؟

●● حتى الآن الدراسة تقتصر على البنين فقط فنحن نؤهل الدارس ليكون داعياً فى مجالات ومؤسسات علمية عالمية تحتاج الترحال والتغرب من مكان لآخر وليس إماماً أو واعظاً محلياً فقط، واعتقد أن الرجل سوف تكون فرصته أقدر على تحمل تلك المسئولية الملقاة على عاتقه.

● هل الدراسة مقتصرة على المصريين فقط؟ أم أن الطالب الوافد له نصيب منها؟

●● حتى الآن هى للمصريين فقط، إننا نؤهل العالم المصرى الأزهرى لمهمة سامية مستقبلاً إن شاء الله، وأعتقد أن هناك أقساماً فى كلية الشريعة خاصة بالمبعوثين من الدول الأخرى.

● ما عمل هؤلاء بعد التخرج؟

●● كما قلت سابقاً: إن عمل هؤلاء الخريجين سوف يكون على نطاق واسع للعمل فى الخارج، أما إن عمل فى مصر فله جميع الحقوق التى يحصل عليها الطالب الآخر نفس المواد الدراسية التى يدرسها الطالب العادى يدرسها طالب تلك الشعبة مع زيادة بعض المواد الأخرى، أى أنه ربما سوف يكون له الأفضلية فى بعض المؤسسات أو المجالات التى تحتاج عالماً ملماً باللغات والدراسات المتخصصة.

● ما هى الطموحات المرجوة من هذا العمل؟ ولماذا كانت الاستعانة بمركز إعداد الموهوبين بجامعة القاهرة؟

●● إننا نلاحظ انحصار دور رجل الدين بشكل كبير، وهذا يرجع إلى ضعف المواد الدينية والعلمية التى يدرسها فى مختلف السنوات، لهذا نرجو أن يؤدى إعادة تدريس تلك المواد إلى أن يعود الخريج الأزهرى إلى سابق ما كان عليه فى الماضى من مستوى رفيع.

فقد كان قديماً يوجد واعظ فقط فى

القرية أو الحى ولكن كانت له من القوة ورجاحة الرأى ما لعشرين من رجال هذا الزمان، وهذا يرجع إلى أن المستوى الدينى والفكرى والثقافى والمادى أيضاً كان مرتفعا.

أما الآن فعلى سبيل المثال لا الحصر يمتهن رجل الدين مهنة بجانب عمله تعينه على أعباء المعيشة ربما لا تتناسب مع وضعه كرجل دين وتقلل من قدره فى نظر الناس ولا تجعله جديراً بثقتهم.

لذا نرجو بهذا العمل أن نعيد للأزهرى مكانته فى القرية أو الحى أو المدينة أو أى مكان يذهب إليه فى مجال الدعوة والتثقيف الإسلامى.

***

ثم تحدثنا مع الأستاذ الدكتور زين العابدين درويش أستاذ علم النفس ومدير مركز الموهوبين بجامعة القاهرة

● ما هو عمل المركز وما هو دوره فى تطوير التعليم الثانوى بالأزهر؟

●● بداية نحن نمثل مركز بحوث الموهوبين والإبداع بجامعة القاهرة، وهدف المركز مساعدة المؤسسات التى تحاول تطوير واكتشاف المواهب الواعدة بها وإعدادها الإعداد الأمثل للاستفادة من تلك المواهب.

أما كيفية الاستعانة بالمركز فهى كالآتى:

لقد كون فضيلة الأمام الأكبر شيخ الأزهر لجنة من المتخصصين والعلماء فى مختلف العلوم وكان من بينهم الأستاذ الدكتور أحمد زايد، عميد كلية الآداب بجامعة القاهرة، والأستاذ الدكتور إبراهيم بدران، والأستاذ الدكتور على السلمى، والأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا، والأستاذ الدكتور نبيل السملوطى.


زين العابدين درويش

هؤلاء العلماء الأفاضل عهد إليهم بمشروع شعبة العلوم الإسلامية.. لكى تواكب شعبتى العلمى والأدبى بالثانوية الأزهرية، كما عهد إليهم بإعداد المناهج التى سوف تدرس فى تلك الشعبة مثل الفيزياء والكيمياء والاقتصاد والإحصاء والإدارة وعلم النفس وغيرها من العلوم الإنسانية والمعلومات العامة.. ولأهمية المشروع وضخامة العمل اتجهت الآراء إلى الاستعانة بالمركز لاختيار أفضل العناصر التى سوف تنضم لتلك الشعبة.

● هل المركز تابع للحكومة أو هو اجتهادات شخصية للعلماء والباحثين بالمركز؟

●● أؤكد لك أن المركز مستقل تابع للجامعة به مجموعة متخصصة من العلماء المتخصصين فى اكتشاف الموهوبين وإعدادهم الإعداد الأمثل وكما تعلم رسالة الجامعة ليست مقتصرة على التلقين العلمى فقط ولكن هناك ثلاث اتجاهات للجامعة تتمثل فى:

(١) التعليم وتلقين المنضمين إليها العلم.

(٢) خدمة المجتمع.

(٣) اكتشاف الموهوبين والعمل على رعايتهم.

وقد قمنا من قبل بعمل دراسة ميدانية على طلبة الإعدادى والثانوى العام لحساب رئاسة مجلس الوزراء.

● كيف تم اختيار الطالب المنضم لتلك الشعبة الوليدة بالثانوى الأزهرى؟

●● من الطبيعى البحث عن الطلاب المتفوقين الواعدين أصحاب أكبر تحصيل علمى.. وقد وفرت اللجنة لنا هؤلاء الطلاب من الحاصلين على الإعدادية الأزهرية ونسبة تفوقهم والمجاميع تزيد عن ٩٠٪ وكذلك نسبة حفظ القرآن تزيد عن ٩٠٪.

ومن الطبيعى أن يكون الطالب المتفوق صاحب الحق فى الرعاية والاهتمام وتنمية قدراته.

لذا كان طلب الإمام أن يكون اختيار من ينضم لتلك الشعبة من المتفوقين طبقا لمعايير موضوعية حتى نأتى بالأفضل من هؤلاء، فليس المطلوب أن نختار كل المتفوقين فى الأزهر، بل المطلوب أن نختار مجموعة معينة من هؤلاء المتفوقين يتمتعون بنسبة معينة من الذكاء والفطنة، إنه مشروع كبير ليس بالهين ولا السهل.. لذا يجب أن يكون الإعداد له متميزا، وقد كان.

إنه مشروع لإعداد داعية مستنير يستطيع أن يتعامل مع العالم الغربى بحكمة وحنكة ويتحدث لغتهم بطلاقة.

● إذا فأفضل العناصر هى التى سوف تنضم لتلك الشعبة؟

●● نعم أفضلها كما قلت.

● ألا تتفق معى ربما يكون الحظ قد لعب دوره فى تفوق طالب أو أكثر من هؤلاء؟

●● سؤال جيد وهذا وارد جداً ومن أجل ذلك نحن كما ترى نقوم باختيار الأفضل منهم وبعيدا عما تسميه تفوق الحظ.

● ألا ترى أن السن ربما يكون عاملا من عوامل الإعاقة بالنسبة لطلاب تلك الشعبة؟

●● هناك عناصر كثيرة سوف تخدم طالب تلك الشعبة، مرعاة للسن والحالة النفسية به، ولتخفيف حدة الإحساس بالاغتراب عن المنزل كما يجب أن أنوه أن هذا السن سهل تثقيفه وتعليمه ليكون غدا المستقبل المشرق للأزهر ويستطيع حمل راية تصحيح الدين الإسلامى لدى الغرب عموما والعالم كله، من أجل ذلك كانت البداية مع هذه السن.

انتهى الحوار الذى فتح باب الأمل ونأمل أن يتحقق تطوير حقيقى للتعليم فى الأزهر الشريف يحقق آمال وطموحات المسلمين بوجه عام بل ويكون نواة لتطوير حقيقى للتعليم فى مصر كلها!!

طرائف.. ومواقف

لفضيلة الشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

الدنيا

• قيل: «من كانت الدنيا همه، طال في الآخرة غمه؛ ومَن خاف الوعيد، لها عما يريد؛ ومَن خاف ما بين يديه، ضاق ذرعًا بما في يده».

نقول: المراد من تجرد للدنيا دون عمل للآخرة.

• وقال أبو الحسين الوراق:

يا غافلاً ترنو بعيني راقد
ومشاهداً للأمر غير مشاهد
تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي
درك الجنان بها وفوز العابد
ونسيت أن الله أخرج آدمًا
منها إلى الدنيا بذنب واحد!

• وقال نابغة بني شيبان:

إنَّ مَن يركب الفواحش سرا
حين يخلو بسره غير خال
كيف يخلو وعنده كاتباه
شاهداه وربه ذو الجلال!

العقل والحمق

• جاء في الأثر: أن الله ـ عز وجل ـ لما خلق العقل قال له أقبل، فأقبل، ثم قال له أدبر، فأدبر؛ فقال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقًا أحب إليَّ منك، ولا وضعتك إلا في أحب الخلق إليَّ، ولما خلق الحمق قال له: أقبل، فأدبر، ثم قال له: أدبر، فأقبل؛ فقال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقًا أبغض إليَّ منك، ولا وضعتك إلا في أبغض الخلق إليَّ.

• وقال الأحنف بن قيس: أنا للعاقل المُدْبِر، أرجى مني للأحمق المُقْبِل.

• وقال شاعر:

يُعد رفيع القوم مَن كان عاقلاً
وإن لم يكن في قومه بحسيب
وإن حلَّ أرضًا عاش فيها بعقله
وما عاقل في بلدة بغريب

فإن لم يكن هو.. فكن أنت

• كان أبوهريرة ـ رضي الله عنه ـ إذا مر بجنازة قال: «روحي فإنا غادون»، «أو

اغدى فإنا رائحون»، «موعظة بليغة، وغفلة سريعة، يذهب الأول ويبقى الآخر».

• قال الحسن البصري، لرجل حضر جنازة: أتراه لو رجع إلى الدنيا لعمل صالحًا؟. قال: نعم.

قال: فإن لم يكن هو فكن أنت.

• قال الشاعر:

قدِّم لنفسك ما استطعت من التقى
إن المنيَّة نازل بك يا فتى
أصبحت ذا فرح كأنك لا ترى
أحباب قلبك في المقابر والبلى

الفخر بالموت

كان العرب يتمادحون بالموت في الحروب، ويتهاجون بالموت على الفراش.

قال السموءل مفتخراً:

وما مات منا سيد حتف أنفه
ولا طل منا حيث كان قتيل
تسيل على حد الظباة نفوسنا
وليس على غير السيوف تسيل

يقول ما مات سيد منا على فراشه قط، ولا ذهب دم قتيل لنا هدراً، ولم تر في تاريخ جاهلية قوما على هذا النحو من استساغة الموت والتباهي به، ولعل ذلك كان منهم مبالغة في التمدح بالشجاعة.

قالوا...

• أقل ما يلزمكم لله أن لا تستعينوا بنعمه على معاصيه.

• الثناء بأكثر من الاستحقاق مَلَق، والتقصير عن الاستحقاق عيّ أو حسد.

• كل وعاء يضيق بما جُعل فيه إلا وعاء العلم، فإنه يتسع.

• اتقوا ظنون المؤمنين، فإن الله جعل الحق على ألسنتهم.

• مَن كساه الحياء ثوبه، لم ير الناس عيبه.

• مرارة الدنيا حلاوة الآخرة، وحلاوة الدنيا مرارة الآخرة.

• الحدة ضرب من الجنون لأن صاحبها يندم، فإن لم يندم فجنونه مستحكم.

الحزم والعزم

• يُروى عن بزر جمهر الوزير الفارسي المشهور أنه قال: إن الحازم إذا أشكل عليه الرأي، بمنزلة من أضل لؤلؤة فجمع ما حول مسقطها من التراب ثم التمسها حتى وجدها؛ وكذلك الحازم يجمع وجوه الرأي في الأمر المشكل ثم يضرب بعضها ببعض حتى يخلص رأيه.

• وقال شهاب الدين: كُن ذا عزيمة فإن عزائم الرجال تُحرك الأسباب.

• وقال شاعر:

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة
فإن فساد الرأي أن يترددا

وأضاف إليه بعضهم:

إذا كنت ذا عزم فأنفذه عاجلاً
فإن فساد العزم أن يتقيدا

• ووصف أديب عضد الدولة الوزير فقال: وجه فيه ألف عين، وفم فيه ألف لسان، وصدر فيه ألف قلب.

• وقال شاعر يمدح ملكًا:

عزماته مثل السيوف صوارما
لو لم يكن للصارمات فلول

والعزيمة لا تستحق المدح إلا إذا كانت في نصرة حق وإلا كانت عدوانا.

قم .. قبحك الله

وقع بين الأعمش، وبين زوجته وحشة، فسأل بعض أصحابه أن يرضيها ويصلح بينهما، فدخل إليها، وقال: إن أبا محمد شيخ كبير، فلا يزهدنك فيه: عمش عينيه، ورقة ساقيه، وضعف ركبتيه، ونتن إبطيه، وبخر فيه، وجمود كفيه!!

فقال الأعمش: قُم قبحك الله، فقد أريتها من عيوبي ما لم تكن تعرفه.

كبر السن

قال العتبي: لما أسن أبوبراء عمرو بن مالك، الملقب بملاعب الأسنة، وكان في الجاهلية من أشجع الناس قلبًا، وأقواهم جسمًا، وأعلمهم بفنون القتال، ضعفه بنو أخيه واتهموه بالخرف، ولم يكن له ولد يدافع عنه، فأنشأ يقول:

دفعتكم عني وما دفع راحة
بشيء إذا لم يستعن بالأنامل
يضعفني حلمي وكثرة جهلكم
عليّ وأني لا أصول بجاهل



اللهم إني أسألك خير الصباح، وخير المساء، وخير القضاء، وخير القدر،

وأعوذ بك من شر الصباح، وشر المساء، وشر القضاء، وشر القدر.

***

قراءة في كتاب



للأستاذ/ عادل خفاجة

يقول الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي:


يوسف القرضاوي

كنا نقرأ على الكتب القديمة: تأليف العالم العلامة، الحبر البحر الفهامة، العالم النوراني، والمعلم الرباني، ناصر الحق، ومرشد الخلق، وحيد دهره، وفريد عصره، فلان بن فلان.

وكنا نعتبر هذه الكلمات من باب المبالغة في المدح، والإسراف في حب المشايخ الكبار، ولكني ـ في الواقع ـ عذرت هؤلاء الذين وصفوا مشايخهم، بما وصفوهم به، حتى وجدت أحد شيوخي أهلاً لأن يوصف بكل هذه الأوصاف، وأن تكال له هذه المدائح. ذلكم هو شيخنا الأستاذ الدكتور محمد عبدالله دراز، الذي كان في عصره ـ بحق ـ العالم العلامة، والحبر البحر الفهامة، إلى آخر تلك الأوصاف. فهذه الأوصاف كلها تطابق حياته وواقعه العلمي والعملي تمام المطابقة، وإن كانت تنطبق على غيره بصورة جزئية.

كان الشيخ محمد عبدالله دراز من العلماء الموسوعين، الذين جمعوا بين علوم الشريعة، وثقافة العصر، وأجاد الفرنسية إجادته لعلوم العربية، فهو ابن الأزهر، وابن السوربون. ولكن دراسته في السوربون لم

(١) أ.د. يوسف القرضاوي، من تقديمه لكتاب دراز المسلم الدين والحياة، للدكتور دراز، جمع وإعداد الشيخ أحمد مصطفى فضلية، دار القلم ط ٢، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

تخرجه عن أزهريته العريقة، حتى إنه من القليلين الذين بقوا على زيهم الأزهرى - الجبة والعمامة - بعد عودتهم من بعثتهم إلى الخارج[1].

ويقول الأستاذ الدكتور عبدالعظيم المطعني:

«الأستاذ الدكتور محمد عبدالله دراز واحد من عمالقة علماء الأزهر الشريف (العتيق) من الجيل الماضى. جمع - رحمه الله - بين الثقافتين: الإسلامية والأوروبية. وكان عالماً ورعاً وداعية لا يشق له غبار، قل أن تجد له مثيلاً بين العلماء. وقد تميزت كتاباته بالعمق وإصابة الهدف، فى كل ما قال وما أذاع وما حاضر»[2].

أما الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى فقال عنه:

«رزق الدكتور محمد عبدالله دراز نباهة ساطعة فى الدوائر العلمية العالمية، لأن الرجل كان طرازاً خاصاً من المفكرين، حيث لم يكن يكتب غير الجديد الطريف الذى لم يسمع به القارئ من قبل، مهما تنوعت ثقافته واتسع إدراكه، لقد كان يقدر تبعة القلم تقدير العالم الطامح المشرئب للكمال، فهو لا يدرس غير المفيد الناقع، ولا يؤلف فى غير المجهول الذى تتطلع الأنظار إلى كل كلمة من كلماته! لقد عهدنا أناساً


رجب البيومى — المطعني

من الكتاب يكثرون المؤلفات تباعاً، ولكنهم يجمعون ويلخصون، فقارئهم الدارس يرد كل جملة إلى موضعها، ويعرف خلاصة ما يقرأ قبل أن يلم به، وما أكثر هؤلاء فيمن تتردد أسماؤهم فى كل مناسبة!

لذلك كان محمد عبدالله دراز نمطاً نادراً فيما يكتب، إنه يؤثر البحث الهادئ دون عجلة. ويضع الخطة المحكمة دون تسرع، ولا يهمه طال الأمد فى بحثه أم قصر. إن الذى يهمه جداً أن يستخرج من المعلوم مجهولاً، وأن يكتب فى موضوع قد اشتهر بين الناس ليأتى بما يجهل الناس. لذلك عرفه الصفوة من الدارسين فتتبعوا آثاره فى اللغتين العربية والفرنسية، وتلمسوه فى مظان البحث، فإذا مر وقت ما دون أن ينفحهم ببعض آثاره تشوقوا إليه مستوحشين، وأخذوا يترقبون كلماته ارتقاب الغيث عند الظمأ. وهو رحمه الله دائماً يصدقهم الوعد فيشرق عليهم بما يمتع ويقنع ويشبع»[3].

(٢) أ.د. عبدالعظيم المطعني - من تقديمه لكتاب «دراسات إسلامية فى العلاقات الاجتماعية والدولية» للدكتور دراز - جمع وإعداد الشيخ أحمد مصطفى فضلية، دار القلم ط ٦ - ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

(٣) أ.د. محمد رجب البيومى - محمد عبدالله دراز - مجلة الأزهر عدد جمادى الآخر ٦-١٤٠هـ ١٩٨٦م.

وتعريفاً بهذا العالم الأزهرى الفذ نقول:

ولد الدكتور محمد عبدالله دراز فى ١٨ نوفمبر ١٨٩٤م بمحلة دياى مركز دسوق محافظة كفر الشيخ.

- حصل على شهادة العالمية النظامية بامتياز فى عام ١٩١٦م، وكان أول الناجحين فى الاختبار المشترك بين المعاهد.
- عين مدرساً بمعهد الإسكندرية عام ١٩١٦م عقب تخرجه، وفى الوقت نفسه بدأ يشتغل بتعلم اللغة الفرنسية فى المدارس الليلية حتى نال شهادة القسم العالى فيها ١٩١٩م وكان ترتيبه الأول فيها أيضاً - ولقد أفاد من معرفته باللغة الفرنسية فى الدفاع عن القضية الوطنية أمام السفارات الأجنبية عام ١٩١٩م، وفى الدفاع عن الحقائق الإسلامية بالرد على جريدة (الطان) الفرنسية وغيرها.
- انتقل إلى القاهرة فى عام ١٩٢٨م حيث اختاره المرحوم الإمام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر للتدريس فى القسم العالى بالأزهر عام ١٩٢٨م ثم فى قسم التخصص عام ١٩٢٩م، وفى مايو من عام ١٩٣٦م سافر إلى فرنسا فى بعثة أزهرية للدراسات الجامعية، فالتحق بكلية الآداب بجامعة السوربون وحصل على الليسانس عام ١٩٤٠م.
- ثم نال الدكتوراه من السوربون بمرتبة الشرف الأولى عام ١٩٤٧م.
- ثم عاد إلى مصر عام ١٩٤٨م فحصل على عضوية جماعة كبار العلماء فى ١٩٤٩م، وندب لتدريس تاريخ الأديان بكلية الآداب


محمد عبدالله دراز

جامعة القاهرة ثم لتدريس فلسفة الأخلاق فى كلية اللغة العربية، ثم لتدريس التفسير فى كلية دار العلوم.. وتفسير القرآن الكريم بكلية اللغة العربية.

مؤلفاته

أ) باللغة العربية: مدخل إلى القرآن الكريم مترجم - النبأ العظيم (مقدمة لتفسير القرآن الكريم) - المختار من كنوز السنة المحمدية - الميزان بين السنة والبدعة - الدين (مقدمة لتاريخ الأديان) - دراسات إسلامية - حصاد قلم - زاد المسلم فى الدين والحياة - رسائل لها تاريخ - الصوم تربية وجهاد - كلمات فى مبادئ فلسفة الأخلاق بالإضافة إلى البحوث الكثيرة المنشورة فى المجلات العربية (الأزهر - رسالة

الإسلام ـ لواء الإسلام ـ الهدى النبوى ـ الهداية الإسلامية ـ الشعب ـ المجلة).

ب) اللغة الفرنسية: تعريف بالقرآن ـ دستور الأخلاق فى القرآن، إضافة إلى بحوث كثيرة فى المجلات المصرية والفرنسية.

وله باللغتين معاً (مبادئ القانون الدولى العام فى الإسلام ـ الربا فى نظر القانون الإسلامى).

- الأزهر الجامعة القديمة الحديثة.

وتقديراً لهذا العملاق الأزهرى الفذ فقد نشط الأستاذ الدكتور أبو بكر سعد عبدالراضى القشيرى لعمل دراسة بعنوان (الجانب الاعتقادى والأخلاقى فى فكر الدكتور محمد عبدالله دراز) تناولت أعمال الدكتور دراز واستمرت لعدة سنوات انتهت بحصوله على درجة الدكتوراه ثم أضاف إليها عدداً من المباحث الإضافية ونشرها فى هذا الكتاب الذى نتناوله بالعرض.

وتعريفاً بمؤلف الكتاب نقول:

- هو الدكتور أبو بكر سعد عبدالراضى القشيرى.

- مدرس أول فلسفة ثانوى - معلم خبير بمدرسة محرم بك الثانوية بنات.

- حصل على ليسانس آداب (فلسفة) ١٩٧٦ بتقدير جيد من جامعة الإسكندرية.

- ثم على ماجستير فى العلوم الإسلامية (فلسفة إسلامية) فى موضوع (مناهج البحث فى العقيدة لدى علماء الكلام حتى القرن الخامس الهجرى) بتقدير ممتاز - من كلية دار العلوم جامعة القاهرة عام ١٩٩٠.


أبو بكر سعد

- ثم حصل سنة ٢٠٠٥ على دكتوراه مع مرتبة الشرف الثانية فى الآداب من كلية البنات جامعة عين شمس قسم الدراسات الفلسفية فى موضوع (الجانب الاعتقادى والأخلاقى فى فكر الدكتور محمد عبدالله دراز) وهو نفسه موضوع هذا الكتاب بعد أن أضاف إليه عدداً من المباحث الإضافية.

وللمؤلف أعمال أخرى تحت الطبع وهى:

١ ـ مناهج البحث فى العقيدة لدى علماء الإسلام.

٢ ـ المنهاج الفقهى للإمام محمد عبده.

٣ ـ علماء العقيدة بين الأصالة والتحديث (منهج مقترح فى دراسة العقيدة).

٤ ـ التحليل الدلالى للصفات الإلهية فى إطار النص القرآنى.

٥ ـ السلفية والمعاصرة فى فكر أ.د/ مصطفى بن محمد حلمى (الموقف والمنهاج).

الكتاب:

يقع الكتاب فى أربعمائة وأربع وعشرين صفحة مقاس ١٦ × ٢٤سم، صدر عن دار الحضرى للطباعة ـ محرم بك ـ الإسكندرية.

وقد اشتمل الكتاب على مقدمة وخاتمة وبينهما أربعة أبواب ثم النتائج وقائمة المراجع.

حياته وعصره

يفرد المؤلف هذا الباب للحديث عن حياة الدكتور دراز ونشأته وآثاره العلمية وأهم الأحداث فى عصره فأشار إلى وطنية الدكتور دراز ومشاركته فى بعض المسيرات والمظاهرات تعبيراً عن رفضه للاحتلال، مما تفتق عنه إعداده لنفسه وتخطيطه لمسيرة الكفاح.

وقد عرض لعصر الدكتور من خلال المساحة الزمنية التى شغلها، والمساحة المكانية التى حلق تحت سمائها مع رفاقه المجاهدين بالفكر والكلمة، وبيّن مدى الالتقاء الفكرى الذى حدث بينه وبين أنداده من العلماء على مدى العالم الإسلامى شرقاً وغرباً، كما أبرز أهم الأحداث الجسام التى وقعت فى عصره وإبان مرحلة شبابه، وكيف كانت جهود أبناء الأمة الإسلامية، فقام الدكتور دراز باستخراج النظرية الأخلاقية من القرآن.

جوانب منهجية فى فكر الدكتور محمد دراز

أما الباب الثانى فقد تحدث فيه عن الدكتور دراز: مفسراً، ومحدثاً، وفقيهاً أصولياً وأديباً لغوياً.

وقد عرض المؤلف فى هذا الباب إلى أهم خصائص منهج الدكتور دراز فى التفسير، وناقش إلى أى مدى تأثر بمنهج الإمام محمد عبده، وبين ما استقل به من سمات، وأن اشتغاله بالتفسير كان بمثابة القاعدة التى ارتكز عليها جل نشاطه العلمى فى المجالات الأخرى.

كما بين فى هذا الباب ـ أيضاً ـ أنه جمع بين علمى الرواية والدراية، وأحاط بمقاصد السنة وأنها المبينة والمفسرة للقرآن، كما أنه أسس لعلم أصول البدعة فى مقابل علم أصول السنة، وكل من العلمين قد ارتكز على أربعة قواعد، بيّن الشيخ هذه القواعد فى كتابه (الميزان بين السنة والبدعة)، مما دعا المؤلف يعدّه إماماً فى الحديث وإماماً فى السنة؛ حيث إنه استطاع أن يوظف الحديث النبوى فى عرض مسائل العقيدة عرضاً منهجياً ينطلق من إثبات ربانية الوحى النبوى.

الجانب الاعتقادى
عند الدكتور محمد دراز

وقد تناول المؤلف فى هذا الباب الذى قسمه إلى ستة فصول عدة قضايا هى على الترتيب:

المذهب والمنهج فى العقيدة ـ الدين والوحى ـ الإسلام والإيمان ـ وجود الله وصفاته تعالى ـ موقف الدكتور محمد دراز من القضاء والقدر.. وأخيراً: أثر العقيدة الإيمانية فى الأخلاق.

فناقش فطرية الدين وبين جهود الشيخ فى الدين والعقائد حيث قدم لنا دراسة مقارنة حول مفهوم الدين لدى مختلف الاتجاهات والمدارس الفكرية وأن كل الشعوب يمكن أن تستغنى عن أى شىء فى حياتها غير الدين، كما أوضح موقف الحضارة الأوروبية الحديثة فى معاداة الدين، ثم إنكاره، ثم الحرب عليه، والاستعاضة عنه بالإلحاد أو عبادة العلم؛ وأن بعض العلماء المشتغلين بالعلوم الطبيعية وغيرها قد هداهم الله إلى العودة إلى الدين الحق، وأن عودة أوروبا إلى الدين فى الحقبة الأخيرة قد تضمنت الانغلاق على المسيحية المشوهة مع استعداء الإسلام والاكتفاء بما

لديهم من عقائد دينية فاسدة.

ويذهب المؤلف إلى أن «الوحى مصدراً للمعرفة» تعد أهم المسائل التى انشغل بها الدكتور محمد دراز سواء فى كتابه (النبأ العظيم) حيث قدم البراهين القاطعة على ربانية الوحى القرآنى، وفى كتابه (المختار من كنوز السنة) قدم براهين مماثلة على ربانية الوحى النبوى، وقد شابه منهجه فى إثبات الوحى النبوى منهج الإمام البخارى، كما دعا إلى الاستفادة من العلم الحديث فى تفهم ظاهرة الوحى.

وبين المؤلف فى هذا الباب أيضاً العلاقة الوطيدة بين العقيدة الإيمانية والأخلاق وأوضح أنه فصل يقع فى مفصل بين بابين، تحدث فى أحدهما عن العقائد، وفى الآخر عن الأخلاق، واستعرض بعض النظريات الأحادية النظرة فى تفسير الإلزام الخلقى، وبين أوجه الانتقاد التى وجهت إليها، ثم انتهى إلى أن الأخلاق التى تعتمد الدين مصدراً لها هى الأخلاق الكاملة والجديرة بالاعتبار توطئه إلى إبراز جهود الدكتور دراز فى استخراج النظرية الأخلاقية من القرآن الكريم.

الجانب الأخلاقى فى فكر الدكتور محمد دراز

وجاء الباب الرابع والأخير تحت عنوان (الجانب الأخلاقى فى فكر الدكتور دراز) عرض فيه المؤلف لمنهجه فى صياغة النظرية الأخلاقية فى القرآن، وبيان عناصر كل من الأخلاق النظرية والأخلاق العملية، ثم إبراز كيفية الارتباط بينهما.

فبدأ هذا الباب بنظرة تاريخية موجزة تحدث فيها عن تاريخ علم الأخلاق بشكل موجز، وأشار إلى إسهامات بعض مفكرى الإسلام والتى لم ترق إلى الكشف عن النظرية الأخلاقية فى القرآن بشكلها المتكامل.

كما عرض فيه إلى منهج الشيخ فى البحث الخلقى وخطته التى استفادها من أساتذته فى فرنسا، وبين الفرق بين الأخلاق القرآنية والأخلاق الفلسفية.

وعند حديثه عن عناصر النظرية الأخلاقية فى القرآن (الأخلاق النظرية)، تناول معنى الإلزام الخلقى وأهميته، ثم معنى المسئولية فى الإسلام، وهى أساس الإرادة الحرة لما يتلوها من حساب. ثم تناول أنواع الجزاءات المادية والمعنوية فى الدنيا والآخرة وعلاقة ذلك بالإلزام وبالمسئولية.. ثم تكلم عن النية والدوافع وأثر ذلك فى تحقيق الفعل الخلقى. كما بين فيه الجهد المنوط بأى عمل خلقى، وأن شريعة الإسلام تقدر جهد الإنسان ظاهراً كان أم باطناً طالما كانت هناك نية توجه الجهد، ثم انتقل إلى عناصر النظرية الأخلاقية فى القرآن (الأخلاق العملية).. فأوضح أن الهدف الأساسى من عرض القرآن الكريم للأخلاق النظرية هو أن يؤسس عليها الأخلاق العملية وهى الشرائع التى سوف يمارسها المؤمنون والتى غطت جميع نواحى الحياة على المستوى الفردى والأسرى والجماعى ومستوى الدولة والأمة.

ثم يختتم هذا الباب بالكلام عن ارتباط الأخلاق النظرية بالأخلاق العملية. وقد أبرز العلاقة الوطيدة بين الأخلاق النظرية والأخلاق العملية، حيث جاءت الأولى بمثابة حجر الأساس لكى ترتكز عليها الأخرى.

ويخلص المؤلف إلى أن الشيخ كان صاحب نظريات فكرية واضحة فى مجالات متعددة، وفى الوقت نفسه شارك فى حقل الدعوة والعمل الإسلامى، فلم يقبع فى برج عاجى ويعتزل واقع الأمة مبتعداً عن مشكلاتها، بل انخرط فى هذا الواقع وتفاعل مع مشكلات المجتمع، وعبر عن هذا الانخراط فى الجمع بين النظر والتطبيق فى طرحه أو تعامله مع أهم محورين من محاور الفكر الإسلامى، وهما (الاعتقادى والأخلاقى)، فمارس النظر والتطبيق فى كلا المحورين.

وأوضح المؤلف أن الشيخ قد امتلك القدرة على فهم الخطاب الفلسفى الذى يناسب فلاسفة الغرب، ولكن فى الوقت نفسه لم تكن المهمة الرئيسية لبحثه هى مجرد نقد الفكر الفلسفى الأخلاقى الغربى، بل كانت معها مهام أخرى تزيد عليها فى الأهمية وهى إظهار العطاء الأخلاقى فى القرآن أو بالأحرى صياغة النظرية الأخلاقية القرآنية فى صورة متكاملة وفى قالب نسقى يجمع بين (النظرى والعملى)، ومن أساسيات هذا النسق الأخلاقى أن تكون له مصطلحاته الخاصة التى تنبع من داخله وتكون أفكاره أيضاً متسقة مع ما يريد أن يعطيه هذا النسق أو ذاك من مفاهيم، ويركز عليه من اتجاهات، خاصة إذا ما كان هذا النسق الأخلاقى (القرآنى) قد أتى إلينا فى لغة معجزة وفى سياق نظمى حكيم بلغ الكمال والشمول والإحاطة بكل ما يحتاج إليه الإنسان.

وبعد.. فإن أنس لا أنسى قول فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب فى الاحتفالية التى دعا إليها احتفاء بالدكتور دراز فى أول الأمسيات الثقافية لمكتبة الأزهر الشريف تحت عنوان «الدكتور محمد دراز سيرة ومسيرة» حيث قال فضيلته:


د. أحمد الطيب

«لقد تتلمذت مباشرة على كتب الشيخ دراز، وأنا لا أمل قراءة مؤلفات ودراسات الشيخ دراز؛ لأنه فى كل سطر وكل عبارة تجد الشيخ دراز وكأنه فارس يمسك بسيفه ويطيح بمن أمامه ممن يعترضون على القرآن، وبعد قراءتى للشيخ دراز وبعد قراءة العقاد لم أعد أهاب أحداً من الغرب أو من الشرق يتحدث عن الإسلام حديثاً سلبياً، وتستطيع المنازلة لأن الشيخ دراز أعطانا السلاح ودربنا على المنازلة ووضع أيدينا على نقاط الضعف الموجودة فى كتب المستشرقين؛ لأنه فى الحقيقة كان يعرف آراء المستشرقين المنصفين وغير المنصفين»

ثم أما بعد:

فالكتاب يعد واحة فيحاء وجنة غناء تعددت فيه الأفكار والمناقشات الجادة لأنها تدور حول شخصية فذة وعلم تفرد بالإبداع وتميز بإماطة اللثام عن نقاط كانت خافية فيما علمه كثير من الدارسين.. ولا شك أن السنوات التى قضاها المؤلف فى هذه الرحلة العلمية الطويلة أضافت للمكتبة العربية هذا الكتاب الجاد وأشارت إلى أعمال عملاق من عمالقة الفكر الإسلامى يجب أن تترجم كتبه إلى اللغات المختلفة، فهو صاحب فكر متجدد يناسب الظروف الراهنة التى تمر بها أمتنا الإسلامية.

وعلى الله قصد السبيل

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

علـــى جمعـــة

مفتى جمهورية مصر العربية

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

اطلعنا على الطلب المقدم من/ مجلة الأزهر - المتضمن لبعض الأسئلة وهي:

اقتنـــاء وتربيـــة الكـــلاب

الرجاء التكرم بالإجابة عن الأسئلة التالية. مع توضيح الأسباب والأدلة لكل إجابة عن كل سؤال، وكلها تتعلق بموضوع الكلاب فقط:

١ - متى وأين يجوز اقتناء وتربية الكلاب بصفة عامة، ومتى لا يجوز؟ ولأى غرض؟

٢ - هل يجوز اقتناء وتربية الكلاب، بصفة خاصة، داخل المدن، وفى شوارعها، وداخل المبانى السكنية؟

٣ - هل يجوز بيع أى كلب بثمن وشراؤه بثمن، ولأى غرض؟

٤ - هل الكلاب وأى أجزاء منها نجسة أم طاهرة؟

٥ - هل يجوز إنفاق مصروفات ونقود قليلة أو كثيرة على اقتناء وتربية الكلاب؟ وما هو قدر النفقات الجائزة على الكلاب؟ وهل يوجد أو لا يوجد مجال إنفاق أفضل وأولى من الإنفاق على الكلاب؟

٦ - هل لكل لون أو شكل أو نوع للكلاب تأثير فى إجابة كل سؤال من هذه الأسئلة؟

٧ - هل كل إجابة على كل سؤال مما سبق تتأثر أو تتغير بالحالة الاقتصادية والفقر والغنى والحالة الاجتماعية والحالة الصحية والحالة الدينية لسكان كل بلد؟

برجاء التفضل بتوضيح كل ما يلزم توضيحه أكثر من ذلك بشأن الكلاب.

الجـــواب

● أولاً وثانياً: ورد النهى فى الشرع الشريف عن ثمن الكلب، وجاء فى السنة النبوية الشريفة ترتيب نقص الأجر على اقتناء الكلاب واتخاذها ما لم يكن ذلك لغرض من أغراض الانتفاع التى أباحها الشرع، كالصيد والماشية والزرع، فقال النبى ﷺ: «من اتخذ كلبا إلا كلب ماشية أو صيد أو زرع انتقص من أجره كل يوم قيراط» متفق عليه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه، وفى رواية أخرى: «قيراطان» وقد قاس الفقهاء على هذه الأغراض غيرها من وجوه الانتفاع الصحيحة. كحفظ البيوت وحراسة الدروب وغيرهما مما يمكن أن ينتفع بالكلاب فيه، على اختلاف بينهم فى توسيع ذلك -نظرا للعلة المفهومة من الحديث وهى الحاجة- أو تضييقه -وقوفا عند مورد النص- قال الحافظ أبو عمر ابن عبدالبر المالكى فى «التمهيد»: (وكذلك ما كان مثل ذلك، كما يقتنى للصيد والماشية وما أشبه ذلك، وإنما كره من ذلك اقتناؤها لغير منفعة وحاجة وكيدة، فيكون حينئذ فيه ترويع الناس وامتناع دخول الملائكة فى البيت والموضع الذى فيه الكلب، فمن ههنا -والله أعلم- كُره اتخاذها، وأما اتخاذها للمنافع فما أظن شيئا من ذلك مكروها، لأن الناس يستعملون اتخاذها للمنافع ودفع المضرة قرنا بعد قرن فى كل مصر وبادية فيما بلغنا والله أعلم، وبالأمصار علماء ينكرون المنكر ويأمرون بالمعروف ويسمع السلطان منهم، فما بلغنا عنهم تغيير ذلك إلا عند أذى يحدث من عقر الكلب ونحوه) أهـ.

وقد اختلف العلماء فى حكم اقتناء الكلاب لغير منفعة هل هو التحريم أو الكراهة: فالجمهور على التحريم، والمالكية على الكراهة، بل منهم من يجعل محل الكراهة ترويع الآمنين والنباح على الضيف ويرى ما عدا ذلك جائزا، قال ابن عبدالبر فيما نقله عنه الحافظ ابن حجر فى «الفتح»: (وفى قوله «نقص من عمله» -أى من أجر عمله- ما يشير إلى أن اتخاذها ليس بمحرم، لأن ما كان اتخاذه محرما امتنع اتخاذه على كل حال سواء نقص الأجر أو لم ينقص، فدل ذلك على أن اتخاذها مكروه لا حرام، ووجه الحديث عندى أن المعانى المتعبد بها فى الكلاب من غسل الإناء سبعا لا يكاد يقوم بها المكلف ولا يتحفظ منها، فربما دخل عليه باتخاذها ما ينقص أجره من ذلك، ويروى أن المنصور سأل عمرو بن عبيد عن سبب هذا الحديث فلم يعرفه، فقال المنصور: لأنه ينبح الضيف ويروع السائل) أهـ.

وأجاب الجمهور القائلون بالحرمة بأن المراد بنقص الأجر أن الإثم الحاصل باتخاذ الكلب يوازى قدر قيراط أو قيراطين من أجر فينقص من ثواب عمل المتخذ قدر ما يترتب عليه من الإثم باتخاذه

وهو قيراط أو قيراطان.

وأما قوله ﷺ فيما رواه الشيخان - واللفظ للبخارى - من حديث أبى طلحة الأنصارى رضى الله عنه: «لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة تماثيل» فقد اتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس على ظاهر عمومه، وأنه يستثنى من ذلك الحفظة وملك الموت وغيرهم ممن لا يفارقون ابن آدم، ثم اختلفوا: هل هذا خاص بالكلاب التى لا يؤذن فى اقتنائها، أم أنه عام فى كل الكلاب: على قولين، أرجحهما الأول، بقرينة الإذن، على أن من العلماء من يخصص ذلك بملائكة الوحى، فيكون ذلك خاصا بالنبى ﷺ.

وذكر العلماء أن سبب نقصان الأجر هو امتناع الملائكة من دخول البيت بسبب الكلب، لأن رائحته كريهة والملائكة تكره الرائحة الخبيثة، أو لأن بعض الكلاب يسمى شيطانا - كما جاء فى الحديث - والملائكة ضد الشياطين، وقيل: لما يلحق المارين من الأذى من ترويع الكلب لهم، وقيل: عقوبة لاتخاذ ما نهى عن اتخاذه وعصيانه فى ذلك، وقيل: لما يبتلى به من ولوغه فى غفلة صاحبه ولا يغسله بالماء.

وبناء على ذلك وفى واقعة السؤال: فالشارع يسمح باقتناء الكلاب التى يحتاج إليها المكلف فى أمور حياته وعمله، بشرط ألا يكون فى ذلك ترويع للآمنين، أو إزعاج للجيران، وإذا اقتنى الكلب الذى يحتاج إليه فإن ذلك لا يمنع من دخول الملائكة، أما اقتناء الكلب فى البيت من غير حاجة فهو منهى عنه: إما على سبيل التحريم كما قال الجمهور، وإما على سبيل الكراهة كما قال المالكية.

● ثالثاً: ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه لا يجوز بيع الكلب، وذلك لما رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أبى مسعود الأنصارى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى عن ثمن الكلب ومهر البغى وحلوان الكاهن. وذكروا عند كلامهم على عقد البيع أن من شروط المبيع أن يكون طاهرا، والكلب نجس عند جمهور العلماء، ولكن الحيلة الشرعية للحصول على كلب أو بذله للغير لغرض من الأغراض الشرعية ألا يتم ذلك عن طريق البيع والشراء، وإنما عن طريق أن يأخذ من كان الكلب فى حوزته عوضا نظير أن يسمح لغيره أن يأخذ الكلب من اختصاصه ليدخله فى اختصاص نفسه، وهو ما يسميه الفقهاء برفع اليد عن الاختصاص، وهذا ليس شيئا صوريا؛ لأنه يخالف البيع فى ثبوت الضمان على المشترى بمجرد عقد رفع اليد عن الاختصاص ولو لم يحصل قبض، على حين أن الضمان يظل على البائع إلى أن يقبض المشترى السلعة. هذا على مذهب الجمهور، أما على مذهب من قال بجواز بيع الكلب المنتفع به وهم السادة الحنفية ومن وافقهم - محتجين بنحو ما أخرجه النسائى من حديث جابر بن عبدالله رضى الله عنهما قال: نهى رسول الله ﷺ عن ثمن الكلب إلا كلب صيد - فلا إشكال فى جواز التجارة والبيع والشراء فيه، والجمهور على تضعيف هذا الحديث وأشباهه.

قال الإمام النووى فى «المجموع»: (مذهبنا أنه لا يجوز بيع الكلب، سواء كان معلما أو غيره، وسواء كان جروا أو كبيرا، ولا قيمة على من أتلفه، وبهذا قال جماهير العلماء، وهو مذهب أبى هريرة والحسن البصرى والأوزاعى وربيعة والحكم وحماد وأحمد وداود وابن المنذر وغيرهم.

وقال أبوحنيفة: يصح بيع جميع الكلاب التى فيها نفع، وتجب القيمة على متلفه، وحكى ابن المنذر عن جابر وعطاء والنخعى جواز بيع الكلب للصيد دون غيره، وقال مالك: لا يجوز بيع الكلب، وتجب القيمة على متلفه وإن كان كلب صيد أو ماشية، وعنه رواية كمذهبنا، ورواية كمذهب أبى حنيفة) أهـ.

وقال الإمام القرطبى فيما نقله عنه الحافظ ابن حجر فى «فتح البارى»: (مشهور مذهب مالك جواز اتخاذ الكلب وكراهية بيعه ولا يفسخ إن وقع، وكأنه لما لم يكن عنده نجسا وأذن فى اتخاذه لمنافعه الجائزة كان حكمه حكم جميع المبيعات، لكن الشرع نهى عن بيعه تنزيها؛ لأنه ليس من مكارم الأخلاق... وأما تسويته فى النهى بينه وبين مهر البغى وحلوان الكاهن فمحمول على الكلب الذى لم يؤذن فى اتخاذه، وعلى تقدير العموم فى كل كلب فالنهى فى هذه الثلاثة فى القدر المشترك من الكراهة أعم من التنزيه والتحريم، إذ كان كل واحد منهما منهيا عنه ثم تؤخذ خصوصية كل واحد منهما من دليل آخر، فإنا عرفنا تحريم مهر البغى وحلوان الكاهن من الإجماع لا من مجرد النهى، ولا يلزم من الاشتراك فى العطف الاشتراك فى جميع الوجوه، إذ قد يعطف الأمر على النهى والإيجاب على النفى) أهـ.

● رابعاً: ذهب جمهور الفقهاء إلى نجاسة الكلب، وذلك لما رواه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب» قالوا: لو لم يكن الكلب نجسا لما أمر بإراقته، لأنه يكون حينئذ إتلافا للمال، والشرع قد نهى عن إضاعة المال وهؤلاء القائلون بنجاسة الكلب منهم من أوجب التسبيع والتتريب، ومنهم من جعل التسبيع والتتريب ندبا وجعل ولوغ الكلب كغيره من النجاسات، وهم الحنفية، واستدلوا على ذلك بأن راوى الحديث وهو أبوهريرة رضى الله عنه قال: «يغسل من ولوغه ثلاث مرات» أخرجه الطحاوى والدارقطنى.

وذهبت طائفة أخرى منهم الإمام مالك وغيره إلى أن الكلب طاهر، لأن كل حى طاهر عنده، وأن الأمر بإراقة ما ولغ فيه وغسل الإناء إنما هو أمر تعبدى غير معقول المعنى، لا لأجل أنه نجس، لأن النجاسات لا يشترط فيها العدد، ولذلك لم ير إراقة ما عدا الماء من الأشياء التى يلغ فيها الكلب، واستدل بقوله تعالى:

﴿ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ ﴾

(المائدة: ٤)

وأن الكلب لو كان نجس العين لتنجس الصيد بمماسته، قال الإمام ابن دقيق العيد فى «إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام»: (واستدل المالكية بجواز اتخاذها للصيد من غير ضرورة على طهارتها، فإن ملابستها - مع الاحتراز عن مس شىء منها - شاق، والإذن فى الشىء إذن فى مكملات مقصوده، كما أن المنع من لوازمه مناسب للمنع منه.

ومن أدلة المالكية على طهارة الكلب ما علقه البخارى فى صحيحه عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال: «كانت الكلاب تقبل وتدبر فى المسجد فى زمان رسول الله ﷺ فلم يكونوا يرشون شيئا من ذلك». قال ابن بطال: «لأن إقبالها وإدبارها فى الأغلب أن تجر فيه أنوفها وتلحس فيه الماء وفتات الطعام، لأنه كان مبيت الغرباء والوفود وكانوا يأكلون فيه، وكان مسكن أهل الصفة، ولو كان الكلب نجسا لمنع من دخول المسجد، لاتفاق المسلمين أن الأنجاس تجنب المساجد... وقوله: «تقبل وتدبر» يدل على تكررها على ذلك، وتركهم لها يدل على أنه لا نجاسة فيها، لأنه ليس فى حى

نجاسة».

والجمهور يحملون ذلك على أنه كان في أول الأمر. قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: «والأقرب أن يقال: إن ذلك كان في ابتداء الحال على أصل الإباحة، ثم ورد الأمر بتكريم المساجد وتطهيرها وجعل الأبواب عليها» أهـ.

ولم ير المالكية التتريب أصلا مع إيجابهم التسبيع على المشهور عندهم، لأن التتريب لم يرد في رواية الإمام مالك لهذا الحديث ،وهم يفرقون بين إناء الماء حيث يراق الماء ويغسل الإناء وبين إناء الطعام حيث يؤكل الطعام ثم يغسل الإناء تعبدا، وفي قول عندهم أن هذا الغسل مندوب وليس واجبا، وفي قول آخر أنه مخصوص بما لم يؤذن في اتخاذه من الكلاب، لأن إباحة المخالطة مع إيجاب الغسل فيه عسر وحرج، قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» عند شرحه لقول النبي ﷺ: «من اقتنى كلبا إلا كلب صيد أو ماشية نقص من أجره كل يوم قيراطان» (واستدل به على طهارة الكلب الجائز اتخاذه، لأن في ملابسته مع الاحتراز عنه مشقة شديدة، فالإذن في اتخاذه إذن في مكملات مقصوده، كما أن المنع من لوازمه مناسب للمنع منه، وهو استدلال قوى لا يعارضه إلا عموم الخبر الوارد في الأمر من غسل ما ولغ فيه الكلب من غير تفصيل، وتخصيص العموم غير مستنكر إذا سوغه الدليل). أهـ.

قال الإمام ابن الحاجب المالكي في «جامع الأمهات»: (ويغسل الإناء من ولوغ الكلب سبعا للحديث، فقيل: تعبد، وقيل: لقذارته، وقيل: لنجاسته، والسبع تعبد، وقيل: لتشديد المنع، وقيل: لأنهم نهوا فلم ينتهوا، وفي وجوبه وندبه روايتان، ولا يؤمر إلا عند قصد الاستعمال على المشهور، ولا يتعدد الغسل بتعدده على المشهور، وفي إلحاق الخنزير به روايتان، وفي تخصيصه بالمنهي عن اتخاذه قولان، وروى ابن القاسم في الماء خاصة، وروى ابن وهب وفي الطعام، وفيها ـ أي في المدونة عن الإمام مالك ـ: إن كان يغسل ففي الماء وحده، وكان يضعفه، وقيل: الحديث، وقيل: الوجوب، وقال: جاء هذا الحديث وما أدري ما حقيقته! وكان يرى الكلب كأنه من أهل البيت ليس كغيره من السباع، وفي إراقتهما مشهورهما (أي مشهور القولين في المسألة) الماء لا الطعام، وكان يستعظم أن يعمد إلى رزق الله فيراق لأنه ولغ فيه كلب، وفي غسله بالماء المولوغ فيه قولان، وفيها: لو توضأ وصلى فلا إعادة، وفيها: لا يعجبني إن كان قليلا) أهـ.

وقال الإمام شهاب الدين القرافي المالكي في «الذخيرة» في الكلام على قوله ﷺ: «إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعا»: (ومن هذا الحديث تتخرج فروع المذهب، فنذكرها في أثناء فقهه والكلام على ألفاظه، فنقول: قوله «إذا ولغ» هل يختص بالماء على الغالب، أو يعم الماء والطعام، لحصول السبب في الجميع؟ قولان، وقوله: «الكلب» هل يختص بالمنهي عن اتخاذه فتكون اللام للعهد، أو يعم الكلاب لعموم السبب؟ قولان، وإذا قلنا بالعموم فولغ في الإناء جماعة كلاب أو كلب مرارا هل تتداخل مسببات الأسباب كالأحداث أو يغسل لكل كلب سبعا وللكلب كذلك؟ قولان، وقوله «فليغسله» هل يحمل على الندب أو الوجوب؟ قولان، إما لأن الأمر للوجوب لكن ههنا قرائن صرفته عنه، وإما للخلاف في صيغة الأمر، وهل هذا الأمر تعبد لتقييده بالعدد كغسل الميت ودلالة الدليل على طهارة الحيوان كما

تقدم، أو هو معلل بدفع مفسدة الكلب عن بني آدم لأن الكلب في أول مباشرة الماء يعلق لعابه بالإناء وهو سم، ويؤكد ذلك أمره عليه السلام في بعض الطرق باستعمال التراب لزوال اللزوجة الحاملة للسم، وأما عدد السبع فمناسب بخصوصيته لدفع السموم والأسقام قال عليه الصلاة والسلام في مرضه: «أهريقوا عليّ من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن» وقال عليه الصلاة والسلام: «من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر» ولذلك أمر بالرقى سبعا في قوله: أعوذ بعزة الله وعظمته وقدرته من شر ما تجد وإذا جاء أمر الله سلام من الله والحمد لله، أو هو معلل بنجاسته لقوله عليه الصلاة والسلام: «طهور إناء أحدكم إذا ولغ الكلب فيه أن يغسله سبعا» والطهارة ظاهرة في النجاسة، ويخرج على هذا: هل يغسل بالماء الذي في الإناء لطهارته، أو لا يغسل لنجاسته؟ قولان، وهل يؤكل الطعام أو يطرح؟ قولان، وهل يمتنع القياس على الكلب لأنه تعبد، أو يلحق به الخنزير بجامع الاستقذار؟ قولان، وهل هذا الأمر على الفور لأنه تعبد والعبادات لا تؤخر، أو لا يتعين غسله إلا عند إرادة استعماله بناء على نجاسته؟ قولان، واختار عبدالحق وسند التأخير) أهـ.

وعلى ذلك فيمكن للشخص الذي اتخذ الكلب في بيته لمنفعة صحيحة مباحة ـ أو حتى من اتخذه لغير حاجة مقلدا القول بالكراهة ـ أن يقلد الإمام مالكا في القول بطهارة الكلب، وأن يجعله في حديقة الدار إن وجدت، فإن لم توجد فليكن في الدار مصلى لا يدخله الكلب، وكذلك الحال لمن تحتم عليه ظروفه أن يكثر التعامل مع الكلاب، كالأعمى الذي يستخدم الكلب كقائد له في الطريق أو من يدرب الكلاب في كليات الشرطة ونحوهما، فيمكن لمن كان هذا حاله أن يقلد مذهب الإمام مالك، لمشقة احترازه من الكلب ورطوباته، وقد نص العلماء على جواز تقليد المذهب المجيز تخلصا من المشقة والعنت، وكل مذاهب المجتهدين داخلة في دائرة الشريعة.

إلا أنه ينبغي أن ينتبه إلى أمور:

الأول: أن الأصل في الأشياء الطهارة عند الجميع، فليس مجرد وجود الكلب في مكان ما موجبا للحكم على هذا المكان بالنجاسة ما لم تحصل فيه نجاسة حقيقة.

الثاني: إن لمس أي جزء جاف من أجزاء الكلب بأي جزء جاف من البدن أو الثياب لا يوجب التنجس عند الجميع، لأن الجاف على الجاف طاهر بلا خلاف.

الثالث: يظن بعض الناس أن القول بنجاسة الكلب يعني أن لمسه ينقض الوضوء، وليس كذلك، ففرق بين التنجس الموجب لغسل الموضع المصاب بالصفة الشرعية المعلومة وبين الوضوء الذي له نواقض معلومة ليس منها مس النجاسة.

الرابع: أن إيجاب الغسل على مذهب من يوجبه لنجاسة الكلب إنما هو في الماء القليل دون الكثير، لقوله ﷺ: «إذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث» رواه الإمام الشافعي وأحمد والأربعة وابن خزيمة وابن حبان والحاكم من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

● خامساً: أمر الشرع الشريف برحمة الحيوان، وبين أن امرأة دخلت النار في هرة حبستها، وأن أخرى دخلت الجنة في كلب عطشان سقته، وقال رسول الله ﷺ: «في كل ذات كبد رطبة أجر» متفق عليه، وضرب الله لنا في كتابه قصة أهل الكهف، فجعل الكلب من عدتهم وأنه سار مسارهم ونام

نومتهم، قال تعالى:

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾

(الكهف: ٢٢)

ولا يخفى ما في تعلقهم به وتعلقه بهم من رحمة.

إلا أن الشرع حذر أيضا من التمادى في حب الكلاب حتى ترقى على الإنسان وأن يستغنى بها الإنسان عن ذويه أو أهله أو الولد كما هو حادث في كثير من البلدان، وكما هو دأب كثير من الثقافات التى تفضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب، وبين الشرع أن اقتناء الكلب والرحمة به لا تكون على حساب أشياء أخرى أهم وأولى، ومن هنا جاء في الحديث: «من اقتنى كلبا إلا كلب صيد أو ماشية نقص من أجره كل يوم قيراطان» متفق عليه، وجاء قوله ﷺ في علاقة الملائكة بالكلاب: «لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس» رواه مسلم، وجاء أيضا قوله ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة» متفق عليه.

يقول الإمام ابن عبدالبر المالكى في كتابه «الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار»: (وفى هذا الحديث دليل على أن اتخاذ الكلاب ليس بمحرم وإن كان ذلك الاتخاذ لغير الزرع والضرع والصيد، لأن المحرمات لا يقال فيها: من فعل هذا نقص من عمله أو من أجره كذا، بل ينهى عنه، لئلا يواقع المطيع شيئا منها، وإنما يدل ذلك اللفظ على الكراهة لا على التحريم) أهـ.

وعليه فالنفقة على الكلاب تكون متوازنة بحيث لا يطغى ذلك على قيام الإنسان بنفقاته الواجبة عليه، وألا يكون ذلك على حساب الإحسان إلى الفقراء والمساكين، فالمسلم متوازن في كل شأنه.

● سادساً: الصحيح أنه لا علاقة لهذه الأحكام بلون الكلب أو شكله أو نوعه، إلا ما كان منها ضارا مؤذيا أو عقورا مروعا للآمنين، إذ من المقرر شرعا أنه لا ضرر ولا ضرار، وما ذكره العلماء من جواز اتخاذ الكلب لحفظ البيوت وحراستها -قياسا على جواز اتخاذها للصيد والماشية- إنما هو مشروط بعدم الضرر، فأما إذا كان فيه ترويع للآمنين وإزعاج للجيران فيحرم اتخاذه شرعا حتى لو كان اتخاذه لمنفعة مباحة، لأن القاعدة الشرعية أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، والمصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة، فأما إذا كان اتخاذ هذا الكلب المؤذى لغير منفعة فإن الحرمة حينئذ تصير أشد، ولذلك جعل الشرع حقا للإنسان أن يدفع ضرر الحيوانات المؤذية عن نفسه ما استطاع ولو بقتلها إن لم يندفع ضررها إلا بقتلها، ونص النبى ﷺ على ذلك فقال: «خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم: الغراب، والحدأة، والعقرب، والفأرة، والكلب العقور» متفق عليه من حديث أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، ولا مفهوم هنا للعدد، بل غير الخمس يشترك معها في الحكم إن شاركها في علة الإيذاء، والضرر، فقد زاد مسلم «الحية» في رواية، وزاد أبوداود من حديث أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه «السبع العادى»، وزاد ابن خزيمة وابن المنذر من حديث أبي هريرة رضى الله عنه «الذئب، والنمر» وجعلهما بعض العلماء تفسيرا للكلب العقور، فهذه تسعة حيوانات وردت في روايات مختلفة

جاءت للتنبيه بذكرها على ما في معناها من الحيوانات المؤذية، والحكم يدور مع علته وجودا وعدما، فليس كل الحيوانات الضالة مؤذيا، والكلب المنهى عن اتخاذه إما أن يكون مؤذيا -بنباحه وتخويفه للمارة أو عدوانه أو إتلافه ما له قيمة أو غير ذلك- أو لا يكون كذلك، فإن كان مؤذيا فلا خلاف في جواز قتله إن لم يندفع ضرره إلا بذلك، وإن كان غير مؤذ فالصواب أنه لا يجوز قتل ما لا ضرر فيه حتى لو كان كلبا أسود، لما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن عبدالله بن المغفل رضى الله عنه قال: أمر رسول الله ﷺ بقتل الكلاب ثم قال: «ما بالهم وبال الكلاب!» ثم رخص في كلب الصيد وكلب الغنم، ولعموم الأدلة الشرعية الدالة على وجوب الإحسان إلى الحيوان وعدم أذيته، وسيأتى سرد بعضها قريبا.

قال الإمام ابن قدامة الحنبلى في «المغنى»: (وعلى قياس الكلب العقور كل ما آذى الناس وضرهم في أنفسهم وأموالهم يباح قتله، لأنه يؤذى بلا نفع، أشبه الذئب، وما لا مضرة فيه لا يباح قتله) أهـ.

وقال الإمام النووى في «شرح مسلم»: أجمع العلماء على قتل الكلب الكلب والكلب العقور، واختلفوا في قتل ما لا ضرر فيه، فقال إمام الحرمين من أصحابنا: أمر النبى ﷺ أولا بقتلها كلها، ثم نسخ ذلك ونهى عن قتلها إلا الأسود البهيم ثم استقر الشرع على النهى عن قتل جميع الكلاب التى لا ضرر فيها سواء الأسود وغيره، ويستدل لما ذكره بحديث ابن المغفل وقال القاضى عياض: ذهب كثير من العلماء إلى الأخذ بالحديث في قتل الكلاب إلا ما استثنى من كلب الصيد وغيره قال: وهذا مذهب مالك وأصحابه) أهـ.

وإذا قتلت الكلاب المؤذية فيجب مراعاة الإحسان في قتلها كما أمر بذلك النبى ﷺ في قوله: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته» رواه مسلم وغيره من حديث شداد بن أوس رضى الله عنه، فلا تقتل بطريقة فيها تعذيب لها، ولذلك نهى رسول الله ﷺ أن يقتل شيء من الدواب صبرا.

غير أننا ننبه هنا على أن قتل مثل هذه الكلاب المؤذية ليس هو الطريقة المثلى لدفع ضررها، بل الأولى في ذلك اللجوء إلى جمعها في أماكن ومحميات مخصصة لها كما فعله المسلمون في تعاملهم مع هذه الحيوانات وغيرها، حيث عملوا أوقافا على الكلاب الضالة: وهي أوقاف في عدة جهات، ينفق من ريعها على إطعام الكلاب التى ليس لها صاحب، استنقاذا لها من عذاب الجوع حتى تستريح بالموت أو الاقتناء، إلى غير ذلك من أنواع الأوقاف المختلفة، رحمة بهذه الحيوانات ودفعا لضررها، وحفاظا في الوقت ذاته على التوازن البيئى الذى قد يصاب بنوع من الاختلال عند الإسراف في قتل هذه الكلاب، وهذا يدل على مدى الرحمة التى نالت حتى الحيوانات في الحضارة الإسلامية.

● سابعاً: أما عن تأثر إجابات هذه الأسئلة بالحالة الاقتصادية أو الحالة الاجتماعية أو الحالة الصحية أو الحالة الدينية لسكان كل بلد: فهو أمر وارد في المختلف فيه دون المتفق عليه، وفى الثابت دون المتغير، ويرجع في ذلك إلى المتخصصين في هذه العلوم الذين أقامهم الله تعالى في بحثها ودراستها، وهذا كله تحت إطار الرحمة المتوازنة بالإنسان والحيوان والأكوان.

والله سبحانه وتعالى أعلم

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم

أحمد السيد تقى الدين

فريضة الحج .. وثلاثية الأخلاق الرفيعة

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الشيخ/ مصطفى الأزهرى - خطيب مسجد سوق الحمام - السيدة عائشة - القاهرة:

من دواعى فخرنا - نحن المسلمين - ثناء الله - تعالى - لرسولنا الكريم محمد بن عبدالله ﷺ ثناء على أخلاقه التى رباه ربه - جل وعلا - فى رياضها اليانعة، حيث قال له مولاه - جلا وعلا -:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

ولم تكن أخلاق النبى ﷺ سلوكا خاصا به، بل هى تعبير وتطبيق لما جاء به القرآن الكريم والسُّنة المطهرة والشريعة الغراء؛ كما هى مضمون رسالته وغايتها العظمى؛ إذ يقول ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، ومن ثم جاءت كليات الدين الحنيف وفروعه لبناء منظومة أخلاقية تبهر العقول وتدهشها إذا أحسن تطبيقها وصارت مثالا واقعيا يراه الناس فى سلوك أهل الإسلام ومعاملاتهم، ولا عجب - كذلك - أن تكون العبادات المحضة أحد أهم الدوافع الأخلاقية للمسلم الذى يجمع بين طهارة النفس وصدق الظاهر مع الله - تعالى - ومع النفس ومع الناس أجمعين.

● **الصلاة كضابط أخلاقى**: فالصلاة كفريضة من أهم الفرائض وركن ركين من أعمدة الإسلام ليس بإقامتها ظاهرا من حيث الشكل، بل فرضت الصلاة ومعها علة الفرضية وحكمة التشريع كقوله - تعالى -:

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾

وكقوله - عز وجل -:

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ ﴾

فالصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر، وهذا من حيث تكفير السيئات وهو من الغيب الذى لايعلمه إلا الله تعالى، أما المظنون فى المصلى الذى يقيم الصلاة ويؤديها بخشوعها ويغوص فى أنوار معانيها أن تكون له ضابطا وحائلا وحاجزا منيعا بينه وبين الفحشاء والمنكر.

● **والزكاة طهارة ونقاء**: وإذا نظرنا إلى تشريع الزكاة بأبعادها النفسية والروحية والاجتماعية، سواء زكاة الفطر أم المال أو سائر أنواع الزكوات فستجد الغاية واضحة من تكليف المسلم بها فى قول المولى سبحانه وتعالى:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾

«فالمال والطعام وغيره من المزكى (بكسر الكاف) أو آخذ الزكاة سيذهب ويفنى ولكن تبقى قيمة العطاء ووقاية النفس من بخلها»

﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

● **والصوم جنة**: أما الصوم فهو فريضة الإخلاص والمراقبة، وإن أحسن العبد الصيام فسوف يحصد ثمرته خلقا كريما رفيعا لانظير له، والذى يدفع من «فاتورة» صيامه حرمان النفس من شهواتها الحلال ابتغاء وجه الله تعالى حرى به أن يمسك لسانه الغيبة والنميمة وسوء القول والفعل؛ لذا كان هذا التوجيه النبوى الكريم لكل صائم «.. فإذا كان صوم يوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى امرؤ صائم»..

الحديث: فهل بعد ذلك من ضابط يحول بين الصائم وبين التردى فى مهاوى الفسق والرذيلة..

● **والحج الأكبر**: ثم نأتى إلى تلك الفريضة الجامعة بين الشعائر والمشاعر والتى تصهر حجاج بيت الله فى بوتقة الطهر وتغسل قلوبهم من أدران الحياة الدنيا وهمومها، إذ تخلع عنهم أثقالها وتجردهم محرمين متساوين نشيدهم جميعا: «لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك».. وتتحرك الأجساد الآتية من كل فج عميق حسب إشارات الشريعة الغراء طوفوا هنا سبعا، واسعوا هنا سبعا، وبيتوا بمنى وسيروا إلى مزدلفة وقفوا بعرفات وارموا الجمرات.

﴿ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾

كما قال - تعالى -:

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى الْحَجِّ ﴾

فمن التزم بما هو من لوازم تلك الفريضة الجليلة المقدسة ظاهرا وباطنا فله البشرى أن يعود وليدا ذا صفحة بيضاء لا ذنب فيها ولا تأثيما، فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه» رواه البخارى ومسلم وفى رواية الترمذى: «غفر له ما تقدم من ذنبه»، صححه الألبانى (صحيح الترمذى)

الحج رُكن ركين فى الإسلام

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ: السيد حسين العزازى - وكيل وزارة بالكهرباء والطاقة «سابقاً»:

بنى الإسلام على خمس أولها الشهادتين وخاتمها حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾

والربط بين التسليم وعين اليقين هو النهوض بالتكاليف من صلاة وزكاة وصوم، وفى إطار من حسن المعاملة ابتغاء مرضاة الله والتماسا للتقوى.

■ والحج آخر أركان الإسلام وأتمها وأشملها لأنه يتضمن قرارا يختاره المؤمن بمحض إرادته ويمضى فيه مستعينا بالله لتكريس متطلبات الرحلة المباركة من وقت وجهد ومال متحريا سبل الحلال، متحللا من الحرام أو الاستدانة أو تعطيل وتأجيل حقوق الآخرين وكأنما يقوم بتصفية أو تسوية لعلاقاته ومعاملاته إلى حد طلب العفو

والسماح ممن أساء إليهم ورجاء الدعاء ممن يحبهم ويحنو عليهم تاركا إياهم في معية الله ميمما وجهته إلى البيت العتيق:

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾

■ والحاج أو المعتمر مهاجراً إلى الله يجعل توجهه إلى الله على رأس أولوياته، ويعمل بحكم الله:

﴿ قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾

ولذلك يجب أن يكون الحج خالصاً لوجه الله مبرأ من هوى المحاكاة أو مغلباً مصالح الدنيا على قويم العبادة، وهذا يتفق والنص القرآني:

﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾

ولك أن تربط بين ما ينفقه أغلب الحجيج إلى حد التكلف وما يحملونه عائدين من أثقال مما يمس ويتعارض مع المرور الروحي للحج، وتقديم الماديات الحسية على التجليات النورانية التي يستشعرها الحاج، وقد جمعه المكان بأقوام وأجناس وألسنة رابطهم التوحيد وضابطهم التلبية بلسان عربي مبين: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك».

وهذا الجمع العظيم دليل على وحدة المسلمين وبرهان على أن نعمة الإسلام قد عمت الآفاق، وصدق قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

■ وحكمة الحج أن يتفهم المسلمون قاصيهم ودانيهم أنهم أصحاب رسالة وعليهم حمايتها والزود عنها والسمو بها بكل أدوات وآليات العطاء وأن يدعموا العقيدة بما هي أهل له من سماحة ورحمة وعزة تنتصر للحق ولا تقبل الضيم، وترفض الظلم جملة وتفصيلا. وأولى بالحجاج وقد اجتمعوا على صعيد واحد أن يتدارسوا شئونهم ويناقشوا همومهم ويتبينوا الأسباب، ويجدوا في طلب العلاج ليتخلصوا مما يعانون من فرقة تقتضي توحدهم أو فقر يستدعي تكافلهم، أو ضعف يتطلب عدم الرضوخ له، وتوظيف إمكانيات الصمود ومواجهة الأزمات.

■ ومن الحجيج من يكرر رحلة الحج لعدة مرات والأجدى وقد أدى الفريضة أن يوجه ما لديه من مال لذوي الحاجات ووجوه الخير دفعاً للمسغبة وحفظاً لماء وجه المسلمين وكفالة حق الفقراء والمعدمين في المأوى والغذاء والكساء والعلاج والتعليم والعمل:

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ﴾

وإذا كان لكل عبادة ظاهر ومضمون فإن ظاهر الحج التحلل من زخرف الدنيا بهدف الإقبال على الله تائبين طائعين مأجورين بالتخلية من الشهوات والتحلي بالبر والإحسان.

■ ومع الحجيج تهفو القلوب تتبعهم وتتابعهم وتتمنى أن يكون لها فضل الحج وإن عاقهم عدم القدرة أو افتقاد الفرصة، فالنية قائمة والعزم أكيد والرغبة عارمة تواقة وإلى بيت الله مشتاقة، ودعاء يتردد بين الضلوع: «اللهم بلغنا عرفات»... آمين

الحج الفريضة الخامسة .. بهجة النفوس المطمئنة

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ: محمد ربيع حكومة ـ مدير بالتربية والتعليم بالمعاش ـ أسوان:

الفريضة الجامعة في رحابها كل الفرائض، يحلق من يؤديها في شفافية الروح والوجدان، تتحرك لها قلوب المسلمين وجوانحهم في مشارق الأرض ومغاربها، يأتون من أكثر من خمسين دولة إسلامية ومن بقية العالم، حيث المسلمون أقليات.. من كل فج عميق، مشاة وركبانا، بشتى وسائل المواصلات، حديثها وقديمها تجمعهم روعة الوحدانية وقدسية المكان وعبق التراث والتاريخ.. يجتمعون وأجناسهم ولغاتهم شتى على قلب واحد يرجون ربهم التوبة والغفران والرضوان العظيم... وينشدون لأمتهم الإسلامية:

﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

الوحدة والأمن والسلام والنصر والتودد... متجردين بزي واحد يحمل المعاني الوضاءة: الخشوع والخضوع للمولى ـ عز وجل ـ في صفاء ومحبة... وفي الحج تتجلى روح التعاون والمساواة والتعاطف والتسامح في أبهى الصور.

فريضة واجبة مستحبة على كل مسلم عاقل حر مستطيع صحيا وماديا، في العمرة مرة مصداقا لقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾

ولقوله ﷺ: «الحج مرة واحدة، فما زاد تطوع».

وأركان الحج أربعة: «الإحرام والطواف والسعي بين الصفا والمروة والوقوف بعرفة».

ومن آداب الحج أن يلتزم بها كل حاج لكي يكون حجه مبرورا وأدعى للقبول وأعظم تزكية للنفس وغفرانا للذنوب والإخلاص للحج ويكون مقصده امتثالا لطاعة الله وابتغاء لمرضاته وأن يقدم على التوبة الصادقة ليظفر بالرحمات والنفحات وأن يتحلى في أداء المناسك بالخلق الإسلامي العظيم ولا يرتكب أي محرم التزاما بقوله ـ تعالى ـ:

﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾

ويتطهر بالدعاء في كل الشعائر طلبا للغفران والتوبة والرحمة والرضوان.

وزيارة المسجد النبوي الشريف قبل الحج أو بعده من السنة والرسول الكريم ﷺ يقول: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى».

فطوبى لمن يحجون ولو مرة واحدة وتقربوا إلى الله بالطاعات دوما.. وصدق معلم البشرية الأعظم ﷺ: «أفضل الجهاد حج مبرور».. وقال: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

وفي هذه الأيام المباركة ندعو الله مخلصين أن يوحد كلمة الأمة ويزيل عنها الغمة بالتوحيد والهداية.

وقال ـ عز وعلا ـ:

﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

وقال ـ عز وجل ـ:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾

الاحتفال بتخريج الطلاب الوافدين

للأستاذ/ عبدالموجود أمين موسى

تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر شهدت قاعة المؤتمرات بمدينة نصر الاحتفال الكبير الذى أقامته مدينة البعوث الإسلامية للخريجين من الطلاب الوافدين.

وقد أناب فضيلة الإمام الأكبر عنه فضيلة وكيل الأزهر الدكتور محمد عبدالعزيز واصل، وحضر الحفل فضيلة الشيخ على عبدالباقى أمين عام مجمع البحوث الإسلامية، وفضيلة الشيخ محمد الخزرجى، والأستاذ عبدالمنعم فودة.

فى البداية تحدث فضيلة وكيل الأزهر الدكتور محمد عبدالعزيز واصل فقال:

بالأصالة عن نفسى وبالإنابة عن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أتقدم إلى جميع الخريجين من أبنائى وبناتى من الطلاب الوافدين الذين أتموا اليوم دراستهم بالتهنئة القلبية على ما حصلوا عليه من شهادات فى مختلف علوم الأزهر نتيجة اجتهادهم وجدهم فى تحصيل العلوم المختلفة.

منذ إنشاء الأزهر الشريف وحتى هذه اللحظة منذ أكثر من ألف عام وهو يهتم بتعليم أبناء العالم العربى والإسلامى أو غيره من الدول التى لا تدين بالإسلام وفيها جاليات إسلامية.

لم نقصر يوماً من الأيام فى حق أحد من أبناء المسلمين، ولم يدخر الأزهر وسعاً فى إرسال البعثات لتلك البلاد لأبنائها الذين لم يستطيعوا أن يأتوا إلى الأزهر، هذا هو الأزهر.

بل إن هناك كثيراً من الدول التى يرسل لها الأزهر بعثات كاملة ويتحمل كل العبء سواء المادى أو العلمى من الكتب وغيره، أو عبء دراسة الوافد إلى الأزهر وإعاشته إعاشة كاملة من تعليم وكتب وإقامة كاملة ولعلكم لاحظتم ذلك.

واليوم تخرجتم فى الأزهر بعد إتمام دراستكم سوف تكونوا سفراء للأزهر فى بلادكم فعليكم بتقوى الله عز وجل إذا أردتم التوفيق فى حياتكم حيث قال الله تعالى

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾

إننا هنا فى الأزهر نتعامل مع الجميع على السواء بدون تفريق فى الجنس أو اللون ولا نتعالى كما قال الرسول ﷺ فى حجة الوداع: «أيها الناس إن ربكم واحد، وأباكم واحد، آدم أبو البشر جميعاً خلق من تراب ولا فضل لعربى على أعجمى ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح».

لقد عشتم بيننا ولم تجدوا منا من يفرق بينكم أو بينكم وبين إخوانكم من المصريين، بل أوليناكم مزيداً من الرعاية والاهتمام.

فكونوا كما نرجو لكم خير دعاة فى بلادكم فبكم يهتدون وأسأل الله لكم التوفيق والرشاد لما يحبه الله ويرضاه.



ثم تحدث فضيلة الشيخ على عبدالباقى الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية فقال: أبنائى وبناتى الطلبة الوافدين طلاب العلم، أهنئكم بالحصول على شهاداتكم الجامعية وانتهاء دراستكم بالأزهر الشريف، لقد كنتم بالأمس طلاباً تتلقون العلم، واليوم بانتهاء دراستكم أصبحت فى أعناقكم رسالة هذا العلم الذى درستموه.. وأصبحتم تحملون رسالة المدرس الذى يربى جيلاً جديداً فى بلادكم. رسالة جليلة وعظيمة الشأن ألا وهى رسالة الأزهر، رسالة الدين الحنيف ورسالة الدعوة عند رجوعكم إلى بلادكم متحصنين بالعلم، وما أجل ما تعلمتم وأعظم ما درستم فى الأزهر من علومه الدينية والفقهية.

إن رسالة الأزهر فى العالم الإسلامى تصحيح مفاهيم الدين والدعوة للوسطية التى ينادى بها منذ إنشائه حتى الآن. كنتم أمس تجلسون فى صفوف المتلقين للعلم واليوم أصبحتم مكلفين بتلقين هذا العلم الذى تعلمتموه إلى إخوانكم فى بلادكم. تذكروا كل ما تعلمتموه واستزيدوا باطلاعكم المستمر على أمهات الكتب من كتب الفقه والتفسير وعلوم الحديث وغيرها من العلوم الدينية بالإضافة إلى العلوم الحديثة. فرسالة الأزهر ليست فقط العلوم الدينية ولكن جميع فروع العلوم الأخرى، كونوا خير سفراء للصرح الكبير الذى درستم فيه ألا وهو الأزهر، كونوا أمناء على رسالته فهى من صميم الدين الإسلامى واعملوا على نشر تعاليمه السمحة التى نشرها الأزهر وسار على هداها كل تلك السنين من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فخيركم من تعلم العلم وعلمه. انشروا تعاليم الإسلام السمحة الوسطية بين جميع أبناء بلادكم مسلمين وغير مسلمين وتحلوا بمكارم الأخلاق والتقوى، فإن خير الزاد تقوى الله عز وجل.

كونوا على قدر تلك المسئولية التى حملتموها على أعناقكم، إنها أسمى وأعظم مسئولية حملتم بها إنها رسالة الإسلام إلى العالم أجمع.

إنكم تحملون إرث الرسل والأنبياء منذ أن خلق آدم عليه السلام حتى رسولنا الكريم ﷺ. لم يورث الرسل والأنبياء درهماً ولا ديناراً، إنما ورثوا العلم وما أعظمه من إرث فيه صالح الدنيا والآخرة. كونوا أمناء على ذلك الإرث العظيم والرسالة السامية، ليس معنى أنكم أنهيتم دراستكم أنه انتهى تعليمكم.. لا... انهلوا من كل ما يقع تحت



أيديكم من إرث الرسل والصحابة والتابعين والعلماء واطلبوا العلم من المهد إلى اللحد.

﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

تشبهوا بأعظم قدوة في الدنيا كلها تشبهوا برسولكم الكريم ﷺ فإنه جمع مكارم الأخلاق كلها.. تشبهوا بصحابته في السماحة والتقى والورع. بلغوا رسالة الأزهر وانشروها بدون تعصب ولا تحريف. بلغوها كما علمكم علماؤكم وأساتذتكم الأجلاء.

وفي نهاية حديثي أتمنى لكم التوفيق والهدى والسير على درب رسولكم ﷺ.

وتحدث فضيلة الشيخ محمد الخزرجي رئيس قطاع مدن البعوث الإسلامية فقال: بهذه المناسبة والحدث الجليل في حياتكم يوم تخرجكم في الأزهر لا يسعني إلا أن أقول إن مدينة البعوث الإسلامية ليسعدها أن تشارك أبناءها الوافدين يوم تخرجهم فرحتهم بعد أن نالوا الشهادات التي تركوا بلادهم من أجلها. إنه ليوم عظيم في حياتهم مليء بالسعادة والفخر لهم. وإننا في مدينة البعوث الإسلامية نتقدم بالتهنئة لهم حيث عاشوا معنا في فترة دراستهم كأبنائنا لم ندخر جهداً في تمهيد سبل تحصيل العلم لهم. عملنا على راحتهم ووفرنا الهدوء اللازم لهم ليساعدهم في تحصيل دروسهم. ووفرنا المناخ المناسب لهم حتى يقفوا اليوم والبسمة على شفاههم بالنجاح والتفوق والعودة إلى أوطانهم يحملون ما قد تركوا الأوطان من أجله يحملون العلم الذي أتوا من أجله. وإن مدينة البعوث الإسلامية والعاملين بها لهم نصيب ومشاركة بنسبة لا بأس بها في نجاح العملية التعليمية لهؤلاء الخريجين من الطلاب الوافدين حيث أولتهم اهتمامها ورعايتها كأبنائنا وأكثر.

لذا كانت فرحة للعاملين بالمدينة ربما تعادل فرحة الأهل وأكثر عند حصول هؤلاء الخريجين على شهاداتهم.

وندعو الله لهم بالتوفيق في أوطانهم.



ثم تقدم الطالب الباكستاني حافظ محمد إدريس «كلية أصول الدين» نيابة عن الطلاب الوافدين فقال:

إنه من أسعد أيام حياتنا.. لقد أصبح الحلم حقيقة، والخيال واقعاً ملموساً. هذه اللحظة التي ينتظرها كل طالب منذ أن وطئت قدماه الأزهر الشريف منذ سنوات، لحظة حصاد ما زرع، يجني ثمار مساعيه، يطوي صفحة من صفحات الدراسة. الآن أصبحنا سفراء الأزهر الشريف في بلادنا.

السادة العلماء الكرام:

أرى أني في مكان عظيم يعظم العلم، وما أجمل أن أجد نفسي بين هذه الكوكبة من أهل العلم والعلماء الأفاضل، إن الأزهر الشريف صرح شامخ وعريق هو الذي ضمنا واحتوانا، عشنا بين ربوعه، أجمل أيام عمرنا، حيث تعلمنا على أيد علماء الأزهر الشريف.

فهم أصحاب الفضل على العالم الإسلامي كله، إنه الأزهر، المؤسسة العلمية الكبرى التي تجمع بين الأصالة والمعاصرة بين الماضي والحاضر تنشر الوسطية والاعتدال.

أيها السادة الكرام:

باسم جميع الطلاب الوافدين أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى مصر بلد الأزهر الشريف وإلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب اعترافاً بما بذله لتوفير المنح الدراسية وزيادة المنح المالية المقدمة من الأزهر الشريف.. كما أتقدم بمزيد من الشكر والعرفان للمسئولين عن المدينة الجامعية للطلاب الوافدين على ما قدموه لنا من رعاية خلال دراستنا بالأزهر الشريف.

لقد ضمتنا المدينة الجامعية فكانت لنا وطناً نعيش فيه ولم نشعر بالاغتراب يوماً ما، لقد ساعدتنا على تكوين صداقات من مختلف البلاد الإسلامية وغير الإسلامية.

السادة الحضور إننا نعاهدكم أمام الله ونعاهد هذا الصرح الكبير الأزهر الشريف على العمل من أجل نشر المفاهيم والوسطية للدين الإسلامي كما تعلمناها وتوسيع وإرساء قيم وتعاليم الدين الإسلامي الحنيف.

جزاكم الله عنا خيراً والسلام عليكم ورحمة الله.

التعايش الدينى فى المدينة فى وقت الأزمات القاهـــرة نموذجـــاً

كلمة الأستاذ الدكتور/ **محمود عزب**

مستشار الامام الأكبر شيخ الأزهر للحوار فى الاجتماع الدولى من أجل السلام الذى نظمته مؤسسة سانت إيجيديو الايطالية فى مدينة بارشلونة - أسبانيا فى الفترة من ٢-٥ أكتوبر ٢٠١٠م

انطلاقاً من مبادئ وأسس علمية أكاديمية نرى أنه لا يمكن الكلام عن التعايش الدينى فى المدينة اليوم. القاهرة نموذجاً. بشكل مباشر ودون توضيح لخلفية حضارية وتاريخية. حتى يمكن أن نفهم طبيعة ما يحدث اليوم. فالتاريخ كامن فى الواقع ومؤثر فيه وتحليل محطات هذا التاريخ مفيد ولاشك لتحليل سليم للواقع المعاصر يلقى عليه أضواء تساعد فى النقد البناء والتحليل العلمى الموضوعى.

ولذا سنقسم هذه الدراسة الموجزة كما يلى:

١- مفهوم التعايش.

٢- التعايش بالمفهوم الإسلامى.

٣- مبادئ الرسول (ﷺ) للتعايش آتية من القرآن الكريم. عهد نصارى - نجران - التعايش فى المدينة المنورة بعد الهجرة بدايات الإسلام - عهد عمر لأهل بيت المقدس.

٤- بغداد وقرطبة تعايش دينى وتعاون علمى.

٥- القاهرة نموذجاً للتعايش.

٦- ماذا يحدث اليوم.

٧- ما دور الأزهر والكنيسة المصرية الأرثوذوكسية فى هذه الفترة؟

١- مفهوم التعايش

يقصد به تعايش طوائف وتيارات فكرية وعقائدية مختلفة وربما مجموعات عرقية متباينة تندرج فى نسيج شعب واحد على أرض جغرافية وحضارية وتاريخية واحدة.. تتقاسم القيم والأسس المشتركة التى تراكمت فيها عبر القرون.. وتنفرد كل طائفة وكل عرق وكل مذهب بخصوصيات ذات تفاصيل

عملية مختلفة.

ويتصاعد مفهوم التعايش والمشاركة من هذا المستوى إلى مستويات أوسع ليصل إلى تفاهم الشعوب والأمم والأنظمة والهيئات المختلفة جغرافياً وتاريخياً وحضارياً حتى يصل هذا المفهوم ليظل العالم كله فى وحدة إنسانية واحدة ذات قيم وهموم ومبادئ مشتركة، تهدف إلى الرقى بالإنسان من جهة كونه إنساناً بالدرجة الأولى مكرماً من الله مكلفاً بحمل الأمانة فى تعمير الأرض وإصلاحها وعدم الإفساد فيها. حينئذ يتحقق حلم الأنبياء والفلاسفة والمفكرين المثاليين ليكون العالم قرية واحدة آمنة مطمئنة.

٢- التعايش بالمفهوم الإسلامى

كل ما سبق يتطابق تماماً مع نظرة الإسلام للإنسانية ولتعايشها فى أمن ورغد وسلام. يتمثل ذلك فى نظرة فلاسفة الإسلام ومفكريه إلى العقل الإنسانى وإلى الفلاسفة السابقين على الإسلام فهم يعتقدون أن الوحى يتفق مع الفلسفة فى أن كليهما يهدف إلى سعادة الإنسان فى الدنيا والآخرة عن طريق عقيدة سليمة وعمل صالح.. ولذا اعتبر بعض علماء الإسلام أن أرسطاطاليس قد يكون من أنبياء الله حيث يقول القرآن الكريم:

﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾

(النساء: ١٦٤)

وقال كبار فقهاء الإسلام شرع من قبلنا هو شرعنا.

وقالوا: حيثما توجد المصلحة العامة فثم شرع الله.

ويضيف الإسلام أسساً وتفاصيل أشمل وأدق فى الوقت ذاته من جهة كونه آخر رسالة سماوية، مكملة ومتممة وموضحة ومفصلة.

وتتمثل أبعاد المفهوم الإسلامى لتعايش الإنسانية فيما يلى:

أولاً:

- إن القرآن الكريم وهو النص المؤسس الأول للإسلام قد أقر بحق الاختلاف.. فقد سمح الله سبحانه لإبليس وهو أحد مخلوقاته أن يختلف معه.. وحاوره فى أكثر من موضع من القرآن الكريم.

ثانياً:

- إن حق الاختلاف وارد صراحة فى أكثر من موضع فى القرآن. اختلاف البشر فى ألسنتهم وألوانهم وعقائدهم ومذاهبهم.

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾

(الروم: ٢٢)

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾

(التغابن: ٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

(الحجرات: ١٣)

﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾

(يونس: ٩٩)

والقرآن يحدد دور النبي بالدعوة والتبليغ والحكمة والموعظة الحسنة.

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾

(الغاشية: ٢١، ٢٢)

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾

(القصص: ٥٦)

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾

(المائدة: ٦٧)

﴿ مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾

(المائدة: ٩٩)

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

(النحل: ١٢٥)

وحق الاختلاف والاعتراف به كإرادة سماوية عليا يتولد منه واجب الحوار.. وللحوار مستويات في القرآن الكريم نركز هنا على مستوى خاص منه وهو الحوار مع أهل الكتاب أي اليهود والنصارى:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

(آل عمران: ٦٤)

وهو بعد ترسيخ حق الاختلاف وترسيخ واجب الحوار يدعو المؤمنين بالرسالة الأخيرة قائلا:

﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾

(البقرة: ١٣٦)

٣. مبادئ الرسول ﷺ للتعايش آتية من عمق القرآن الكريم:

كان الرسول المبلغ آيات الله مثالاً حياً للتعايش مع غير المؤمنين برسالته، وكل ما يمكن أن يدعى عليه مخالفاً لما في القرآن الكريم لابد أن يكون إساءة وجهلاً وكذباً عليه فهو ملتزم بالقرآن:

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾

(المائدة: ٦٧)

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾

(الحاقة: ٤٤-٤٦)

إنه قد يضيق صدره بما يقولون عنه، وبعصيانهم وإن القرآن يأمره بالصبر والتحمل والسير في طريق الحق.

-إنه يقف لمرور جنازة يهودي أمامه فيسأل في ذلك فيقول: أليست نفساً إنسانية؟!

-إنه ليستقر في يثرب (المدينة) بعد الهجرة فيكون أول عمله المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار والصلح بين قبيلتين متنازعتين هما الأوس والخزرج. ثم عهد المدينة: «أهل المدينة أمة على من سواهم».. والكل من مسلمين ويهود وغيرهم ملتزم بأمن المدينة وسلامتها والدفاع عنها ضد أي غاز أو مهاجم.

-وإنه يستقبل وفداً من نصارى نجران في مسجده ويعاهدهم على السلم والاحترام المتبادل ويسمح لهم بالصلاة في ركن من مسجده.

-وإنه قبل الهجرة، أي في مرحلة الإسلام المكي المستضعف والمضطهد ليأمر فريقا من أصحابه وأتباعه بالتوجه إلى الحبشة فإن فيها ملكا نصرانيا لا يضام عنده أحد، وإن هذا الوفد ليعرض شيئا من القرآن في بلاط هذا الملك الأبيسيني فيقرأون له أول سورة مريم وإنه ليستحسن ذلك ويحميهم ويرفض تسليمهم لأعدائهم من الوثنيين المكيين الذين جاءوا يطلبونهم.

-ثم إنه ليرسل رسلاً ورسائل إلى ملوك الأمم المجاورة ومنهم المصريون.. فيرد عليه عظيم القبط رداً طيباً ويهدي إليه طيباً وجاريتين.. والنبي يوصي بأهل مصر خيراً «فإن لكم فيها رحما، أو نسباً وصهراً»، والقرآن يصدق على خصوصية شعب مصر ويقول في سياق قصة يوسف وإخوته:

﴿ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾

(يوسف: ٩٩)

وبعد وفاته «ﷺ» حافظ خلفاؤه على سيرته وعهده ومبادئه.

فأبوبكر خليفته الأول يوصي قائد جيشه المتوجه إلى غزوة للدفاع عن شمال جزيرة العرب:

«ولا تقتلوا شيخاً ولا امرأة ولا طفلاً ولا مريضاً ولا غير محارب - ولا تقطعوا شجرة ولا تعقروا بعيرا ولا شاة إلا لطعام، وستجدون قوماً تفرغوا للعبادة في صوامعهم فاتركوهم وما تفرغوا له».

-ويأتي عمر بعد أبي بكر.. ويذهب لتسلم مفتاح بيت المقدس ويلقي خطبته أمام كبار رجال الدين النصارى في فلسطين:

«هذا ما عاهد عليه أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب أهل إيلياء «أي القدس» ألا تمس صلبانهم ولا بيعهم ولا كنائسهم، وألا يكرهوا في دينهم ولهم مالنا وعليهم ما علينا».

٤- بغداد وقرطبة

تعايش إنساني وتعاون علمي

بعد الاستقرار: في البلاد المفتوحة ترك الإسلام مساحات واسعة لثقافات الشعوب ولتقاليدهم العلمية والحضارية منها على وجه الخصوص فالأمير خالد بن يزيد يمارس الترجمة وينقل شيئا من علم الكيمياء إلى اللغة العربية، وها هو الخليفة الأموي العادل عمر بن عبدالعزيز، يكلف ستيفان العجوز العالم النصراني السكندري بترجمة كتاب جالينوس في الطب إلى العربية.

أما بغداد حاضرة الخلافة العباسية والتى كانت تسمى مدينة السلام، أو مدينة أبى جعفر، أو مدينة الخلفاء فقد كان بناؤها فى القرن الثانى الهجرى الثامن الميلادى فتحا حضارياً وعلمياً فريداً فى نوعه حيث ما لبثت أضواؤها أن جذبت بقايا أهل العلم من الإسكندرية وحران وجنديسابور وصهرت الأعراق والثقافات وأهل الأديان فى بوتقه واحدة لتنشأ تقاليد علمية، مزيجاً من كل ذلك تحت راية الإسلام وحضارته، وقد حفظ مؤرخو العلوم فى الإسلام مثل الشهرستانى وابن أبى أصيبعة والقفطى دور الرهبان النصارى فى المراحل الأولى لبيت الحكمة فى بغداد، وبدأت قرطبة الأموية فى إسبانيا الإسلامية تنافس بغداد وفتحت صدرها لليهود للتعلم والدراسة والبحث وضربت مثلا أعلى للتعايش الملموس لا النظرى لا الخيالى.. فازدهرت علوم اليهود الدينية والفلسفية فى ظل هذا التعايش.

وعندما بدأت أركان الخلافة فى العالم الإسلام تتهاوى، وسقطت بغداد وقرطبة بدأ نقل العلوم التجريبية والإنسانية من العربية إلى اللغات الأوروبية وكان لليهود دور الوساطة والترجمة فى طليطلة وبالرمو.

والحديث عن التفاصيل طويل وذو شجون ونحن هنا نحيل على المؤرخ الإسبانى الكبير خوان فيرنيه وكتابه العظيم: «ما تدين به الثقافة لعرب إسبانيا».

٥- القاهرة نموذج للتعايش


جمال حمدان

القاهرة مدينة الألف سنة والألف مئذنة عاصمة مصر الآتية من أعماق الحضارة الفرعونية فاليونانية فالقبطية المسيحية فالإسلامية.

يؤكد الجغرافى العملاق جمال حمدان على الأبعاد الأربعة التى تقوم عليها الهوية المصرية:

- البعد الإفريقى - البعد النيلى - البعد المتوسطى - البعد الآسيوى عن طريق سيناء.

واستدعاء هذه الأبعاد الأربعة ضرورى لفهم شيء من هوية القاهرة التى تحتل أكثر من عشرة قرون من تاريخ مصر والإسلام والحضارة فى الشرق.

مصر إذن أفريقية الجغرافية والجذور البعيدة، وهى نيلية التكوين والتراكم وشرايين الحياة، وهى تنفتح على المتوسط وتتمازج وتتفاعل مع جنوب أوروبا منذ آلاف السنين، وهى حلقة ضرورية وأساسية لفهم الإغريق وفلسفتهم، ثم على الساميين فى غرب آسيا، وعلى العرب وعلى الإسلام والمسلمين منذ ١٤٠٠ سنة على الأقل.

وهى لغوياً وحضارياً ودينياً وأدبياً تتكون من طبقات متراكمة بعضها فوق بعض، الطبقة الفرعونية القديمة التى أنتجت ضمن ما أنتجت رؤية التوحيد وعالم خلود الروح والأبدية، والتى أنتجت موسى عليه السلام والتوحيد فى اليهودية والتى استقبلت العائلة المقدسة واحتضنت العذراء وطفلها العظيم، والتى استجابت لدعوة الإسلام وفتحت أبوابها له وكانت بلداً كريماً متسامحاً محتضناً كل هذا التنوع الذى أثراها وأغناها وارتفع بها بلداً فريداً غنياً آمناً مطمئناً.

كانت مخزن القوت يمد المنطقة بطعامها فى أوقات الأزمات والمجاعات والكتاب المقدس شهيد على ذلك وكانت ملاذاً للفارين من الاضطهاد فى عصور كثيرة، وعندما دخلت فى الإسلام وبنى الفاطميون القاهرة عاصمة جديدة مع الجامع الأزهر مدرسة للمذهب الشيعى تقبلتهم ولكن طبيعتها الوسطية المتسامحة المعتدلة لم تلبث أن حولته إلى مدرسة للسنة الأغلبية الوسطية وهرب إليها اليهود عندما اضطهدوا فى أوروبا.. وقاومت جيوش أوروبا التى تسترت وراء الصليب، فوقف المسيحيون فى مصر والشرق مع المسلمين خلف صلاح الدين يدافعون عنها وعن الشرق ضد الغرب الغازى لا ضد المسيحية المؤمنة.

ومازالت آثار القاهرة القديمة، وحى الفسطاط أقدم أحيائها محتضنا أول مسجد فيها وفى أفريقيا جامع عمرو بن العاص، يقابله فى الحى ذاته معبد ابن عزرا اليهودى والجنيزة التى تحوى وثائق الحياة الدينية والمدنية اليهودية فى مصر وتقابله من النقطة الثالثة للمثلث المقدس الكنيسة المعلقة. ولو كانت القاهرة قد عرفت العنصرية أو العصبية البغيضة لكان بعض هذه المعالم قد بغى على بعض وطمسه.

وكيف ذلك وقد أبقى الفاتحون المسلمون على آثار الفراعنة ولم يمسوها بسوء ومازال مسجد أبى الحجاج فى الأقصر محاطاً بما اكتشف من معابد الفراعنة.

وكان الخليفة عمر بن الخطاب فى المدينة ينتظر موكب حجاج مصر كل عام ويتلقى منهم شكاوى وتظلمات وكان يعيد الأمور إلى نصابها ويرد إلى كل ذى حق حقه.

واستمرت القاهرة حتى القرن العشرين.. كانت تشهد أحياناً فى فترات الضعف شأنها شأن كل المدن فى كل الحضارات، ويسجل التاريخ من ذلك تضييقاً على المسيحيين فى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله ولكنها سرعان ما عادت كما كانت تعود دائماً إلى طبيعتها الأولى وإلى نظرتها الكامنة فيها.

وفى العصر الحديث وقد بدأ التأثير والضغط الأجنبى عليها لتفتيت وحدتها الوطنية للنيل من شعبها والسيطرة على مقدراتها.. وحاول الإنجليز ذلك فى خلال ثورة سعد زغلول سنة ١٩١٩ فوقف المسيحيون وبابا الكنيسة المصرية وقفتهم الوطنية التى لا تنسى وذهبوا إلى الجامع الأزهر.. ورفع شعار: «الدين لله والوطن للجميع.. يحيا الصليب مع الهلال»..

أما المعايشة اليهودية والمشاركة بين المسيحيين والمسلمين فى الشارع والمطعم والمقهى والحافلات والشارع والأراضى الزراعية والمشاركة فى الغنى وفى الفقر، وفى العلم وفى الجهل، وفى كل قطاع من قطاعات الحياة هى شواهد الوقائع اليومية. وتستطيع





أن تسأل أي مسلم وأي مسيحي عن شيء من تاريخ التعايش في القاهرة أو في غيرها من مدن الأقاليم أو قراها قديماً وحديثاً لن يقول لك إلا: كان جيراننا مسلمين، أو مسيحيين، وكنا نتبادل المودة، نتشارك في الطعام ونتزاور في الأعياد والمناسبات ويزور المسلمون والنساء على وجه الخصوص الهيكل في الكنائس والأديرة ويتجهن إلى السيدة العذراء تقرباً إلى الله كما يتقرب المسلمون عادة بأهل بيت النبي ليهبهن الله أطفالاً أو خيراً أو أمراً من الأمور.

٦- ماذا يحدث اليوم؟

مثل ما يحدث في الكثير من بلاد العالم.. نوع من التطرف الديني الإسلامي والمسيحي الذي يصاحب نوعا من الضغط الخارجي على مصر خصوصا وبعض التطرف يغذي بعضا، ويستدعي ردود فعل البعض على فعل الآخر.

- وتحاول وسائل الإعلام التي تميل عادة إلى الإثارة والتضخيم والتخويف أن تبرز الأمور على أنها على وشك الانفجار وهذه عادة الإعلام في عهد التطرف العالمي وفي عهد الإسلاموفوبيا.. ولكن الشعب المصري في أغلبيته الساحقة لا يلتفت إلى ذلك ولا يخافه ولا يستجيب له.. والمتطرفون من المسلمين والمسيحيين على السواء هم فئة بعيدة عن المعرفة وعن صحيح العلم كل منهم يجهل دينه، ويجهل دين الآخر من باب أولى!

- والمتطرفون بعيدون عن صحيح الإيمان وهو كما يعرفه الإسلام ولا تختلف المسيحية في مضمونه، ما وقر في القلب وصدقه العمل، وهو يستدعي سكينة وطمأنينة وتأملا وهدوءا ويدفع إلى العلم والبحث.

- والجهلاء من المسلمين والمسيحيين هم أولئك الذين يستجيبون لكل ناعق، ويسيرون عميانا خلف كل دعوة مشبوهة، ولا يتقصون حقائق الأشياء، ولا يسعون وراء التثبت قبل الحكم وقبل العمل.

وصحيح الدين يدعو إلى التثبت والتبين،

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾

(الحجرات: ٦)



سعد زغلول

ولكن مصر القاهرة الضاربة في أعماق تاريخ الإيمان والواعية بنفسها وبهويتها وبثقافتها ستظل دائماً متمسكة بروح شعبها الطيب المتسامح، وستظل دائما وطن التنوع والإيمان الصحيح والحوار القائم على الاعتراف المتبادل بالعقيدة، والالتفاف حول راية المبادئ والقيم العليا المشتركة وبينها وبين الإنسانية كلها.

إن ما يدور في بلاد الشرق الأوسط، من غزو وحروب واضطهادات للشعوب، في العراق، وفي أفغانستان، مع اضطهاد وحصار الشعب الفلسطيني وهو على حدود مصر، يشكل ضغوطاً ثقيلة ومؤلمة على شعوب المنطقة، وعلى الشعب المصري بالدرجة الأولى، فالاحتلال يمنع المصريين مسلمين ومسيحيين من الحج إلى المسجد الأقصى وإلى مهد السيد المسيح.

إن الخطر الكبير الذي تولده القوى الكبرى بجيوش احتلالها، وبانحيازها ضد الشعب الفلسطيني يولد العنف كرد فعل، والأخطر من ذلك أنه يضعف ثقة شباب الشرق العربي، من مسلمين ومسيحيين في القيم الإنسانية العليا، الحق والعدالة وحقوق الإنسان حين يشاهدون جيوش الولايات المتحدة وأوروبا تحتل بعض بلاد الشرق العربية والإسلامية.

أما القاهرة، فهي واعية بهوية مصر، وبحضارتها، وبأبعاد شخصية شعبها الأربعة، إفريقيا، والنيل، والمتوسط، وآسيا عبر سيناء منذ الأزل.

وقد حاول الاحتلال الانجليزى وقت الأزمات، أن يمس هذه الهوية، سنة ١٩١٩، وسنة ١٩٥٦.. وكان رد الشعب المصرى يخرج بمظاهراته من الأزهر مسلمين ومسيحيين يهتفون «يحيا الهلال مع الصليب» و«الدين لله والوطن للجميع».

ولن تستطيع أية قوة خارجية أو غيرها أن تنجح اليوم فى تفتيت هذه الشخصية لعدة أسباب، أهمها:

١ـ أن مصر شعب واحد وعرق واحد تكونت ثقافته عبر آلاف السنين من طبقات لغوية وحضارية ودينية. وفى النهاية أسلم بعضه وبقى بعضه مسيحياً، وبعضه يهودياً.. فليس فيه عنصر وارد على الآخر من خارج مصر.

٢ـ أنه شعب تطلع إلى الأبدية واكتشف وجود الإله الواحد قبل اليهودية، والمسيحية، والإسلام.. فهو شعب مؤمن يتمسك بطريقه إلى الله، وهو يعى ذلك، ويعى حقيقة هويته التاريخية، والمعاصرة.

٣ـ أنه شعب مسالم متسامح بطبيعته، لم يكن عنيفاً، ولا دموياً، وهو يجيد فنا أزلياً، هو الاستقرار والإبداع فى واديه الخالد.

٤ـ أنه كان دائماً ومازال مضيافاً وقد استقبل وفتح أبوابه لكثير من المضطهدين، وحماهم واحتضنهم.

٥ـ أنه مازال يحتفظ بحقائق مميزاته، ولذلك لم يعرف، ولن يعرف العنف فيما بينه ولا الحرب الأهلية، ولا الدينية، وتشهد بذلك الكتب السماوية، التى كان أول من قبلها وحماها واهتدى بهديها.

٧ـ ما دور الأزهر والكنيسة المصرية الأرثوذكسية فى هذه الفترة

ـ إن الأزهر بصفته المرجعية الأولى للإسلام وعلومه، وبصفته الضامن للوسطية المعتدلة التى تنبذ التطرف بكل أشكاله، وبوصفه واقعاً فى مصر ناشئاً ومتطوراً على أرضها، يبذل كل جهوده الآتية من قناعته التامة بمصر كياناً واحداً وشعباً قديما قام وسيظل يقوم بدوره فى ترسيخ الإيمان الصحيح القائم على أسس علمية وعقلانية.. وهو يرى أن الجهل بالدين وبالتاريخ والفكر أول عامل للهدم، وهو يتمسك بالمصادر الصحيحة للمعرفة ويدعو شباب المسلمين إلى أن ينهلوا من هذه المصادر وأن ينبذوا كل دعوات العنف والتطرف والتمزق أيا كان مصدرها. وهو يثق فى عقلانية كبار رجال الكنيسة المصرية ويعرف لهم حرصهم على سلامة الوطن وصيانة قيمه، وهو يضع يده فى يد كل عاقل عالم موضوعى مؤمن يقظ للمخططات الهدامة أياً كان مصدرها فى الخارج أو فى الداخل.. وهو يحارب دعوات التطرف وفى مقدمتها تطرف بعض المسلمين، لكنه كذلك يرصد التطرف فى كل الثقافات والأديان ويرى أن التطرف الدينى، واليمين المتطرف فى إسرائيل، ومن يقهرون الشعب الفلسطينى، ومن يزرعون العنف فى العراق من جيش الاحتلال أو من غيره، وفى أفغانستان من جيش الاحتلال أو من غيره وانحياز القوى الكبرى فى أمريكا وأوروبا الدائم ضد الحق الفلسطينى ونمو الإسلاموفوبيا فى الغرب كل ذلك يؤدى دائما إلى زيادة الضغط على المجتمعات الشرقية العربية الإسلامية والمسيحية ويؤدى إلى الاحتقان وانعدام الثقة.. وهذا فى رأينا أول العوامل التى أدت إلى ما نحن فيه الآن.



ـ وإن الكنيسة العربية والشرقية، وعلى رأسها الكنيسة المصرية على وجه الخصوص لها خصوصياتها وإيمانها الذى ميزها عن غيرها وحافظت عليه فطبعها بطابعه.. والكنيسة العربية قديمة فى الشرق عاشت تاريخه وتفاعلت معه، وهى ترفض التطرف والتمييز وتحافظ على سلامة الوطن ووحدته وتدرك ضرورة مقاومة التطرف فى المسيحية، وتدرك ضرورة التنوير ونشر العلم والمعرفة الصحيحة بالمسيحية القائمة على المحبة والتسامح.. ولابد أنها تدرك ضرورة إنشاء أقسام لتدريس أصول الإسلام من مصادره الصحيحة، موازاة للأزهر الذى يدرس اللغات السامية لغات الكتاب المقدس وعلومه من مصادرها الأساسية المتفق عليها عند أهل الكتاب. وتدرك ضرورة دعوة المسيحيين إلى اليقظة والحفاظ على سلامة الشعب المصرى الواحد ليظل كما كان دائماً خلال القرون الطويلة من تاريخه.

أنباء مكتب الإمام الأكبر

للأستاذ/ أحمد إبراهيم توفيق
مدير عام الإعلام بمكتب الإمام الأكبر

الإمام الأكبر يستقبل رئيس لجنة العلاقات الخارجية والأمن القومي بمجلس الشورى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر الدكتور/ مصطفى الفقى رئيس لجنة العلاقات الخارجية والأمن القومي بمجلس الشورى.

وأكد الدكتور مصطفى الفقى في المؤتمر الصحفي عقب اللقاء أن الأزهر سيشهد في عهد فضيلة الإمام الأكبر انفتاحا كبيرا يعيد للأزهر شموخه ومكانته لأنه شديد الحرص على سلامة الوطن فمواقفه عقلية وليست نقلية وأن الإمام الأكبر صاحب مدرسه هادئة في الرد على الإساءات المتكررة للإسلام عن طريق الردود المنطقية بدون انفعالات أو اندفاع وليس فيها تهرب من مواجهة هذه القضايا، فهو يحمل سماحة الصوفي الذى يمتص هذا الزخم.

وقال : لقد اتصل بي صديق مسيحي يريد لقاء شيخ الأزهر أثناء لقائي به فأعطاني موعدا في الحال يوم الأحد، فهذه الروح الطيبة هي أشد ما نحتاج إليها في مصر، فهي التطبيق العملي تجاه شركاء الوطن، وعهده سيشهد مزيدا من مظاهر الوحدة الوطنية التي يحرص عليها الرئيس مبارك، الذى يعد أفضل رؤساء مصر فيما يتصل بالوحدة الوطنية وينظر للجميع على أنهم مصريون دون النظر لدياناتهم. وقال: إن اللقاء تناول الحديث عن موقف الغرب من الإسلام وكيف أن سماحة الإسلام يجب أن تكون واضحة لدى الغربيين، وكذلك استعادة الأزهر لدوره الكبير لأنه الوحيد الذى يستطيع أن يؤدى دورا حقيقيا في التواصل بين الحضارة العربية والحضارة الغربية لمواجهة حرب الافتراءات الكبيرة التي يتعرض لها الإسلام، لأننا وقعنا تحت ظلم كبير بعد ربط الإسلام بالعنف والإرهاب، وأوضح أنه لا يوجد عالم لديه مكانته واحترامه في العالم الإسلامي إلا وكان خريجا من الأزهر وإن هناك شخصيات كبيرة في العالم من غير المسلمين كالأمير تشارلز تحمل احتراما كبيرا للإسلام وللأزهر والرئيس أوباما وجه خطابه للعالم الإسلامي من مصر بسبب وجود الأزهر. فالأزهر يؤدى دورا سياسيا، ويعد أحد القوى الداعمة عربيا ودوليا لمصر ولدى تصور بأن مدخلنا لأفريقيا عن طريق زيادة المنح للدراسة بالأزهر وهذا داعم لنا خاصة أن لدينا قصورا في العلاقات مع الدول الأفريقية وهو ما انعكس على ملف مياه النيل، ودور مصر الإسلامي يمكن توظيفه



سياسيا، فنحن قيادة العالم الإسلامي، فمكانة مصر الإسلامية كبيرة. وطلب من الأزهر دعم أهل السنة في لبنان، و تعزيز بعثة الأزهر فهويتهم مرتبطة بمصر، التي لا تفرق بين سني وشيعي.

وطالب الفقى خلال اللقاء بضرورة زيادة ميزانية الأزهر ورفض الدعوات التي تنادى بإنشاء صندوق دعم للأزهر الشريف لأن الأزهر لديه موارده وليس المؤسسة التي يمكن أن تطلب من الغير لكن المساعدات تأتي طواعية.

الإمام الأكبر لصحفيي الدانمارك:
المؤسسات الغربية غير قادرة على التفاهم والحوار الصحيح مع الإسلام والمسلمين

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر الشريف وفدا من الصحفيين الدانمركيين، حيث أجاب فضيلة الإمام الأكبر عن أسئلة الوفد والتي دارت حول دور الأزهر الشريف تاريخيا وحالياً وموقف الأزهر من التطرف والإرهاب والأفكار المتشددة وعن علاقات الإسلام والمسلمين والأزهر بغير المسلمين في الغرب والشرق وعن علاقة الأزهر وعلمائه بالمذاهب الإسلامية الأخرى وكذلك علاقة الإسلام بالسياسة وموقف الأزهر من ذلك، حيث أكد فضيلته على أن الأزهر مرجعية علمية ومعهد عتيق يعمل منذ أكثر من ألف سنه على الحفاظ على التراث الإسلامي الموثق والأزهر المؤسسة العلمية التي تتسم بالوسطية والاعتدال وتقاوم كل مغالاة وكل تطرف ويؤمن بالتعدد والاختلاف في كثير من الفروع بما لا يضر مع أسس العقيدة والذى فتح أبوابه للعالم الإسلامي كله وساهم في تخريج أجيال كان لها في

بلادها تأثير كبير فى الدين والفكر والسياسة ومازالت آثارها شاهدة على ذلك حتى اليوم ولكنه لم يكن معنيا بالتدخل فى الشأن السياسى إلا عندما كانت مصر تبحث عن استقلالها فكان رمزها الأول الذى يذهب إليه المسيحيون المصريون ليخرجوا مع المسلمين فى مظاهرات ضد الاحتلال .

كما أبرز فضيلة الإمام الأكبر دور الأزهر التاريخى كأكبر مصدر للعلم بالحضارة الإسلامية وبتاريخ الإسلام وبالفكر الإسلامى بجميع مذاهبه الصحيحة المتعارف عليها ونبذ الأزهر لكل أشكال العنف والتطرف والإقصاء والتهميش والاستيلاء على ارض الغير

ووجه فضيلته النقد للمؤسسات الغربية فى عدم عدالتها والكيل بمكيالين وعدم قدرتها على التفاهم والحوار الصحيح مع الإسلام والمسلمين، وأكد على دور الأزهر العلمى وأنه ليس قوة سياسية وإن كان يهتم بما يدور فى العالم ويدرسه لكنه ليس وصيا عليه .

وفى ختام اللقاء طرح الدكتور/ محمود عزب مستشار شيخ الأزهر للحوار سؤالا على الصحفيين قال فيه :إننا فى الأزهر نقاوم تطرف بعض المسلمين ولكننى وقد عشت أكثر من ربع قرن فى فرنسا وكنت مهتما بالحوار مع كل بلاد أوربا الغربية لم أجد أى نوع من النقد ولا من التحليل للتطرف اليهودى الذى يحدث فى إسرائيل من اليمين المتطرف والذى هو السبب الأول لمشاكل المنطقة ولما يسمى بالعنف ,وكذلك التطرف المسيحى الذى أتى من بعض الكنائس الأمريكية ويسير فى طريق الهيمنة على بعض كنائس أوربا، كما أنه لا توجد أى تحليلات ولا مقاومة لتطرف الإلحاد ولا تطرف العلمانية عندما تتجاوز حدودها ولهذا فإن العالم الإسلامى وعلى رأسه الأزهر يعلن قلقه ورفضه لهذا التوجه الأحادى الذى لا ينتقد إلا الإسلام والمسلمين .

ولهذا أمنحكم الوقت الكافى للرد على هذه الإشكالية وننتظركم فى مركز الحوار بالأزهر الشريف .

بيان توضيحى بشأن زيارة وزيرة خارجية الدانمارك للأزهر يوم ١٣/١٠/٢٠١٠

دعا فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر الشريف الحكومة الدانمركية بضرورة تفعيل المادتين (١٤٠ و٢٦٦ب) من قانون العقوبات الدنمركى والمخصصتان لحماية الأقليات والجماعات والأديان والمعتقدات بشكل عام مشيدا بما قامت به أيرلندا بإصدار قانون يمنع ازدراء الأديان والعقائد .

وأكد خلال استقباله السيدة / لين اسبرسن وزيرة خارجية الدانمارك أن المشكلة الحقيقية لدى الغربيين أنهم لا يفهمون قيمة الدين والحضارة عند الشرقيين لكنه لمس من وزيرة الخارجية الدانمركية تفهمها الكامل لمشاعر المسلمين وحرص حكومة وشعب الدانمارك بأن تسود بينهم وبين العالم الإسلامى علاقات قوية على جميع الأصعده السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية وقال إن هذه الخطوات من الحكومة الدنمركية تمثل خطوات متقدمة وواعدة فى سبيل تصحيح العلاقة بين المسلمين بشكل عام والمسلمين فى الدانمارك بشكل خاص .

وأشار إلى أن وزيرة الخارجية أكدت أن العمل الذى أساء للنبى (صلى الله عليه وسلم) هو عمل فردى وأن الحكومة الدانمركية حريصة كل الحرص على علاقة المودة مع المسلمين فى العالم وأن الحكومة الدنمركية ضد التجريح والتفرقة بين الشعوب على أساس عرقى أو دينى .

واوضحت الوزيرة الدانمركية أن حرية التعبير فى الدانمارك هى حرية تامة ، بحيث لا تستطيع الحكومة الدانمركية ان تتدخل لمنع أى فرد من التعبير عن رأية بأية صورة، وأشارت فى هذا الصدد إلى الأفلام التى صدرت فى بلادها وتضمنت إساءة للمسيح عليه السلام دون اتخاذ أى إجراء قانونى إزاءها، كما أوضحت أن بلادها تختلف عن معظم الدول الأوروبية فى أنها لا تحرم إنشاء أحزاب نازية وليست بها قوانين تحرم إنكار حدوث المحرقة لليهود الهولوكوست ومن ثم فإنها رغم استيائها لكل ما يمكن أن يسىء للإسلام والمسلمين لا تستطيع وضع قيود على ما ينشر أو يرسم أو يذاع فى بلادها .

ومن جانبه فقد أكد الإمام الأكبر على ضرورة ادراك ما للدين والمقدسات من أهمية كبرى فى الحضارة الشرقية بصفة عامة وفى العالم الإسلامى ، خاصة أن احترام مقدسات المسلمين وفى مقدمتها شخص الرسول صلى الله عليه وسلم أمر ضرورى لقيام علاقات تتسم بالاحترام المتبادل وقبول الآخر والتعاون من أجل الصالح المشترك للإنسانية جمعاء .

وقد وجهت وزيرة الخارجية الشكر لفضيلة الإمام الأكبر على هذا اللقاء وطلبت أن تتكرر الزيارة فى المستقبل وذلك لتدعيم الحوار وتدارك أى شىء يسئ للإسلام والمسلمين والاستفادة من الفكر العلمى المستنير لفضيلة الإمام الأكبر .

ويود الأزهر الشريف أن يوضح ان تعبير الوزيرة الدانمركية عن الأسف لما شعر به المسلمون من إساءة لا يعنى تقديم اعتذار رسمى وأن هناك خلطا بين الأسف والاعتذار ربما يكون ناتجا عن عدم دقة الترجمة .

الإمام الأكبر يستقبل وفد المحكمة العليا الأفغانية

دعا فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر الشريف القضاة فى العالم الإسلامى إلى ضرورة الالتزام بمنهج الإسلام الذى يتسم بالعدالة والتسامح واحترام حقوق الإنسان بما يؤدى إلى المساهمة فى تحقيق الأمن والسلام والاستقرار .

وأكد خلال استقباله وفدا من قضاة المحكمة العليا الأفغانية المشاركين فى الدورة التدريبية بالمركز القومى للدراسات القضائية ، أن الشريعة الإسلامية تقوم على مراعاة البعد الأخلاقى فى كل حكم وكذلك الرحمة التى تعتبر ركيزة أساسية فى الأحكام وطلب فضيلته من القضاة أن يعودوا إلى بلادهم ويطبقوا ما تعلموه، وأن ينعكس على أحكامهم ما تعلموه من وسطية الأزهر الشريف والفقه الإسلامى وسماحة الدين الإسلامى وأن يدرأوا الحدود بالشبهات وأن ييسروا على المسلمين وأن يكونوا بمثابة سفراء للأزهر فى أفغانستان يطبقون الأحكام الشرعية باعتدال وتوسط .



كما قام فضيلة الإمام الأكبر بشرح عدد من القضايا الشرعية حول نقل الأعضاء وحكم المفقود وكذلك الزكاة على الذهب والفضة والتلقيح الصناعي وبيان الرأى الشرعي فيها.

ومن جانبه نقل وفد القضاة التحية والشكر من قاضي قضاة أفغانستان إلى فضيلة الإمام الأكبر مؤكدين افتخارهم فى أفغانستان بصفة خاصة و الأمة الإسلامية بصفة عامة بالأزهر الشريف وما يقدمه لأبناء العالم الإسلامى من دراسة للعلوم الإسلامية والمذاهب الفقهية التى تتسم بالوسطية والاعتدال وبوجود فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / أحمد محمد الطيب شيخا للأزهر.

ابتعاث عشر وعاظ وأساتذة من الأزهر لدعم الشئون الإسلامية بماليزيا

وافق فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر الشريف على ابتعاث (١٠) من وعاظ وأساتذة الأزهر لدعم الشئون الإسلامية بدار القرآن بماليزيا فى مختلف التخصصات، وبحث فضيلة الإمام الأكبر وداتو سرى / جميل خير بن حاج مجروم وزير الشئون الدينية بماليزيا تفعيل التعاون بين الأزهر الشريف ووزارة الشئون الدينية بماليزيا وكذلك زيادة عدد المنح الدراسية للطلاب الماليزيين للدراسة بالأزهر، حيث أشار فضيلة الإمام الأكبر إلى أن عدد المنح التى قدمها الأزهر لطلاب ماليزيا تبلغ (٥٠) منحة بالإضافة إلى وجود (٥٤٩٥) طالباً يدرسون بغير منح.



الأزهر يؤكد حرصه علي وحدة العراق

أكد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر الشريف على حرص مصر حكومة وشعباً وحرص الأزهر الشريف على عودة العراق الثرى بدوره التاريخي والحضارى لممارسة دوره في خدمة الأمة.

كما أكد خلال استقباله سماحة السيد / عمار الحكيم رئيس المجلس الأعلى الإسلامى بالعراق والوفد المرافق لسيادته على رغبته فى زيارة العراق عندما تستقر الأوضاع الامنيه وشكر فضيلته للسيد الحكيم جهوده لتوحيد كلمة المسلمين ومعالجة ما حدث من مآس للشعب العراقى وضرورة الخروج منها بعراق واحد صلب عربيا وإسلامياً.

ومن جانبه أشاد رئيس المجلس الأعلى الإسلامي بالعراق بالأزهر الشريف وإمامه بوصفه رمزا لوحدة العالم الإسلامى وبوصفه أكبر مرجعية للإسلام الوسطى المعتدل المحافظ على التراث. وأكد على الدعوة التى وجهها رئيسا ديوانى الوقف السنى والشيعى بالعراق لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة العراق.

وقدم عرضا مفصلا لما يدور على الساحة العراقية مع إشارات إلى الفترات السابقة منذ الاحتلال حتى الآن وتكلم عن الجوانب السياسية والدينية والثقافية .وأكد حرصه على وحدة الصف العراقى ضد التدخلات الأجنبية.

حضر اللقاء الدكتور / محمود عزب مستشار شيخ الأزهر للحوار، والسفير / محمد رفاعة

الطهطاوى المتحدث الرسمى للأزهر الشريف، والسيد / محسن الحكيم شقيق رئيس المجلس الأعلى الإسلامى بالعراق المستشار السياسى له، والسيد / رضا جواد تقى عضو الشورى المركزية للمجلس، والسيد / أحمد الحكيم نجل رئيس المجلس الأعلى الإسلامى بالعراق

الإمام الأكبر يجتمع برؤساء المناطق الأزهرية

عقد فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر اجتماعا موسعا برؤساء المناطق الأزهرية وذلك للوقوف على ما اتخذته المناطق الأزهرية من إجراءات حيال توفير الكتب الدراسية بجميع أنواعها لطلاب المعاهد الأزهرية بالإضافة إلى المقاعد والأثاث والوسائل التعليمية والعملية ومتطلبات الأنشطة المختلفة، وما إذا كانت هناك معوقات تحول دون ذلك ومناقشة ما تم اتخاذه من إجراءات وتدابير تتعلق بفصول شعبة العلوم الإسلامية من حيث تدبير كافة متطلباتها من فصول وأماكن إقامة وإعاشة وثوابت أخرى ذات صلة بها مع تحديد دور قطاع المعاهد والإدارة المركزية لرعاية الطلاب والمناطق على النحو الذى يتواءم مع خصوصية هذه الشعبة وطموحاتها، وطالب فضيلة الإمام الأكبر رؤساء المناطق بضرورة اختيار أفضل العناصر التى تتولى مسؤولية شيخ المعهد بهذه الشعبة وعدم التردد فى نقل شيخ المعهد من منصبه إذا ثبت عدم صلاحيته والاستعانة بعدد من المشايخ أصحاب الخبرة فى إعطاء محاضرات للطلاب فى الفترة المسائية.

كما تم مناقشة أوضاع المعاهد الأزهرية التى حصلت على موافقات مبدئية بإنشائها ولم تبدأ الدراسة بها حتى تاريخه وتحديد مصير الطلاب الذين حصلوا على الابتدائية أو الإعدادية الأزهرية من المعاهد السابق حصولها على ترخيص بالتشغيل والمنتظر تدرجهم فى صفوف المرحلة الإعدادية أو الثانوية بها حيث أكد فضيلة الإمام على ضرورة الالتزام بالضوابط والمعايير الجديدة التى تم وضعها وعدم افتتاح أى معهد إلا إذا كانت الضوابط والمعايير مكتملة، وأصدر فضيلته قرار بعدم الموافقة على إنشاء معاهد خاصة جديدة وعدم إعطاء تراخيص خاصة بالتوسع فى المعاهد الحالية، وكذلك مناقشة ما ورد من استفسارات من بعض المناطق حول عدم توفر بعض الكوادر المنوط بها وضع أسئلة امتحانات النقل فى المرحلة الثانوية لبعض المواد وما إذا كان بالإمكان استكمال النصاب المقرر لوضع السؤال من كوادر قطاع المعاهد الأزهرية أو من المناطق المجاورة من عدمه، ومناقشة المناطق فى مدى استعداد مطابعها لطبع الأسئلة فى ضوء الإمكانات المتاحة وما يمكن توفيره من متطلبات أخرى تعينها بشكل متميز على أداء مهامها على الوجه الأكمل حيث طلب فضيلة الإمام الأكبر من رؤساء المناطق اختيار أكفأ العناصر وتدريبهم على وضع الأسئلة وتوفير كافة متطلبات الطباعة والأمان لمراكز طبع الأسئلة.

كما تم التأكيد على المناطق الأزهرية بأن ترتب جدول هيئة التدريس على النحو الذى يتواءم مع القرار الصادر بمنح طلاب المعاهد الأزهرية إجازة يوم السبت من كل أسبوع على أن يسرى ذلك على معاهد الفترة الواحدة واستمرار الدراسة طوال الأسبوع بالمعاهد التى تعمل بنظام الفترتين على أن يؤخذ فى الاعتبار توفيق أوضاع الحصص الدراسية لباقى أيام الأسبوع الخمسة على أن تأخذ كل منها وعاءها الزمنى المناسب لكل المواد.

أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذين:
محمود الفشنى - أحمد رضوان

رئيس جامعة الأزهر يؤكد:
مناهج الأزهر ليست «مفرخة» للإرهابيين


أ.د. عبدالله الحسينى

استنكر د. عبدالله الحسينى رئيس جامعة الأزهر ما أعلنته يوليا لاتينينا المعلقة السياسية بإذاعة صدى موسكو بأن الأزهر مفرخة للإرهابيين.

أوضح د. الحسينى أن الإذاعية الروسية لا تعرف بالتأكيد شيئا عن مقررات الدراسة بالأزهر وجامعته والتى تقوم على الوسطية والاعتدال وقبول التعدد، وإنكار ورفض الإرهاب إقرارا لأهمية حياة الإنسان.. مبينا أن جامعة الأزهر تدرس للطلاب احترام المخالفين فى العقائد وعدم الإساءة إليهم ولو باللفظ، وأكد رئيس جامعة الأزهر أن العلاقة بين الإسلام والغرب تمر بمرحلة مخاض ينتظر الجميع ما ستسفر عنه، خاصة فى ظل وجود أطراف تنفخ فى النيران كلما هدأت.. مؤكدا أنه لا يمكن فصل تصريحات المذيعة الروسية الأخيرة عن مساعى حرق القرآن أو الإساءة للرسول الكريم والصحابة.

هذا وقد أعرب الكثيرون من مسلمى موسكو عن احتجاجهم ضد تصريحات يوليا لاتينينا المعلقة السياسية لإذاعة «صدى موسكو» التى اتهمت جامعة الأزهر بأنها صارت «مفرخة» لتخريج الإرهابيين.

وكانت لاتينينا عضو اتحاد الكتاب الروس، الحائزة على جائزة جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل السابقة، زعمت أن المسلمين لا يتوقفون عن الإعراب عن سعادتهم بوقوع العمليات الإرهابية، فى الوقت الذى تواصل فيه جامعاتهم تخريج الإرهابيين، وتساءلت لاتينينا، فى محاولة لدعم وجهة نظرها: دلونى على اسم واحد فقط فاز بجائزة نوبل فى الطب أو الفيزياء من خريجى جامعة الأزهر فى القاهرة؟

واستطردت لاتينينا لتقول: إن أسماء الإرهابيين من خريجى هذه الجامعة «أكثر من الهم على القلب»،

وادعت لاتينينا ـ في حديثها الأسبوعي عبر أثير إذاعة «صدى موسكو» ـ أن المسلمين في مصر والبلدان الإسلامية الأخرى خرجوا يهللون فرحا بالانفجارات التي ضربت باكستان في سبتمبر الماضي، وراح ضحيتها المئات من المدنيين.

شراكة علمية بين روسيا والعالم الإسلامي

دعا المؤتمر الدولي حول التراث التربوي والعلمي والثقافي المكتوب بلغات المسلمين في روسيا وما جاورها في ختام أعماله في «قازان» عاصمة تتارستان، إحدى جمهوريات روسيا الاتحادية إلى تعميق قيم التنوع الثقافي بين المسلمين وغيرهم ممن ارتبط تاريخهم بالعالم الإسلامي وحضارته تجسيدا لمبادئ الإسلام، خاصة بين روسيا والعالم الإسلامي ودفعها قدما في سبيل التفاهم والتعاون والشراكة. وأشاد المؤتمر الذي عقد بالتعاون بين المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «إيسيسكو» واتحاد جامعات العالم الإسلامي والبنك الإسلامي للتنمية والجامعة الإسلامية الروسية والجامعة الحكومية التتارية للعلوم الإنسانية والتربية، ومعهد الحضارة الإسلامية ـ في موسكو بعلاقات الشراكة الوثيقة المتنامية والمزدهرة بين روسيا والعالم الإسلامي.

كما أشاد المؤتمر بالرؤية الحضارية الثقافية لكل من الجامعة الإسلامية الروسية والجامعة الحكومية التتارية للعلوم الإنسانية والتربوية المتمثلة في العناية بالمخطوطات المكتوبة بالعربية واللغات المحلية، وما تشتمل عليه من تراث أدبي وعلمي ودعا هاتين الجامعتين إلى إيلاء مزيد من الاهتمام بهذا التراث العلمي المكتوب باللغة العربية واللغات المحلية والسعي لجمعه واستنساخه وفهرسته، وحفظه وتوثيقه ودراسته وتحقيقه ونشره وترجمته وترقيمه وإطلاع الأجيال المعاصرة واللاحقة عليه وتوجيه الدراسات والبحوث الجامعية إلى العناية به وتشجيع الباحثين إلى التخصص فيه لما في ذلك من تواصل بين الأجيال وتنمية للإبداع وإحياء للتراث والذاكرة التاريخية، ودعا المؤتمر إلى ترجمة ونشر الآثار العلمية التي أنتجها العلماء المسلمون في روسيا وما حولها سعيا إلى تسليط مزيد من الضوء على دور هؤلاء العلماء الرواد في تطور الفكر الإسلامي والدراسات الإسلامية في الماضي والحاضر.

جامعات تركيا تفتح أبوابها أمام المحجبات

فتحت الجامعات التركية أبوابها أمام الطالبات المحجبات مجددا بعد أن كان الحجاب محظورا بالجامعات تطبيقا للعلمانية التي أقرها مصطفى كمال أتاتورك. ووصفت وكالات الأنباء العالمية دخول الطالبات المحجبات الجامعات بعد حرمانهن منها لسنوات طوال ـ بأنه «ثورة صغيرة» ضد العلمانية التي فرضها أتاتورك قبل ثمانين عاما تقريبا، وكان رئيس مجلس التعليم العالي قد أبلغ في مطلع أكتوبر جامعة إسطنبول بأنه لا يمكن طرد أي طالب بسبب ملبسه، وذلك بعد تلقيه شكوى من طالبة في الجامعة أبعدت عن الحصص الدراسية لأنها تضع قبعة لإخفاء شعرها، ومنذ ذلك الحين انتشر تطبيق القرار وفتحت عدة جامعات أبوابها مجددا أمام المحجبات بعد ١٢ سنة من حظر ارتداء الحجاب بقرار من مجلس التعليم. واستقبل هذا القرار بارتياح من قبل الطالبات المحجبات اللواتي ضقن ذرعا من اللجوء إلى خدعة الشعر المستعار أو القبعة للدخول إلى حرم الجامعة.

٥٠ معتنقا للإسلام من دول أوروبا يؤدون فريضة الحج

أعلن الشيخ خالد الرميح، الأمين العام للهيئة العالمية للمسلمين الجدد بأن الهيئة تستضيف في حج هذا العام عددا ممن اعتنقوا الإسلام حديثا من دول أوروبية، وأشار إلى أن برنامج الحج يعد من أبرز الأنشطة والبرامج السنوية المتعددة التي تنفذها الهيئة للمسلمين الجدد، وأوضح أن المنح توزعت على عدة دول منها بريطانيا وإيطاليا وبلجيكا والبرازيل وأوكرانيا بمعدل خمسون حاجا وستقوم الهيئة باستضافة عدد من العلماء والدعاة بالمملكة ليقوموا بإرشاد الحجاج ويجيبوا على استفساراتهم بشأن تأدية مناسكهم، كما ستنظم الندوات والمحاضرات التي تفقه الحجاج بما يجب عليهم القيام به، والامتناع عنه خلال أدائهم لفريضة الحج وتواجدهم بالمشاعر المقدسة، وقال: إن الهيئة تحرص على اختيار هؤلاء الحجيج عن طريق المراكز الإسلامية التي تتعامل معها بنسب محددة مسبقا بحيث تكون هناك فرصة أكبر لمشاركة المسلمين الجدد من أكبر عدد من الدول، إضافة لاختيار من تنطبق عليه الشروط ممن يدخلون بياناتهم عبر الموقع الإلكتروني للهيئة العالمية للمسلمين الجدد. وتشترط الهيئة أن يكون المستضاف لأداء فريضة الحج من المسلمين الجدد الذين لم يؤدوا فريضة الحج من قبل، حيث تتلقى الهيئة من المراكز الإسلامية استمارات الترشيح، إضافة لشهادة الدخول في الإسلام للمرشحين وتشترط أن يكون قد مضى على إسلام المتقدم من ستة أشهر إلى سنة يكون خلالها قد تعلم أركان الإسلام.

وزراء التعليم بالدول الإسلامية يعتمدون إعلان كوالالمبور لنهضة البحث العلمي

اعتمد المؤتمر الإسلامي الخامس لوزراء التعليم العالي والبحث العلمي لدول منظمة المؤتمر الإسلامي مشروع إعلان كوالالمبور حول ترشيح ثقافة الجودة في الميدان الأكاديمي والبحث والابتكار من أجل ازدهار الأمة، وذلك في ختام أعمال المؤتمر الذي استضافته ماليزيا، ودعا الإعلان الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي إلى الارتقاء بمستوى الأداء في ما يتعلق بترسيخ ثقافة الجودة، وحث على مواصلة العمل الجاد لتحقيق أفضل النتائج وتسخير مختلف الجوانب المتعلقة بالنهوض بثقافة الجودة في المجالات الأكاديمية والبحثية والابتكارية من أجل مواجهة التحديات المستجدة والتفاعل الإيجابي مع العولمة والمضي بالأمة قدما على درب الرقي ومواكبة التقدم الحاصل في العلوم والتكنولوجيا على المستوى العالمي، وحث الإعلان الدول الأعضاء على اتخاذ تدابير عاجلة من أجل وضع سياسات وقوانين كفيلة بالتعجيل بتمكينها من الاكتساب السريع للقدرات في مجال التكنولوجيات الناشئة والمتطورة، ودعا الإعلان الجامعات ومعاهد البحث إلى تعزيز التكوين في مجال العلوم الكفيلة بمعالجة الاحتياجات الاجتماعية والاقتصادية في الدول الأعضاء.

مؤتمر سنوي لمد الجسور بين العرب ومسلمي أمريكا اللاتينية

أقر العلماء والباحثون المشاركون في ختام مؤتمر «لقاء عالمين» بقرطبة بإسبانيا مشروعا لعقد مؤتمر سنوي لمد الجسور وتفعيل التعاون بين العالم العربي وأبناء أمريكا اللاتينية ذوي الأصول العربية والإسلامية، وأكد العلماء على أهمية تفعيل التعاون الفكري والثقافي مع دول أمريكا اللاتينية التي ترتبط بجذور ثقافية مشتركة مع العالم العربي، خاصة أن دول القارة تضم ١٨ مليونا من أصول عربية.

كما شدد العلماء على ضرورة العمل على تقديم صورة الإسلام الحقيقية التي تنطلق من الوسطية والاعتدال من أجل تحقيق التعايش السلمي بين أبناء الحضارات والثقافات من مختلف دول العالم.

وأكد المشاركون في المؤتمر على ضرورة قيام الأكاديميات العربية والإسلامية ببذل مزيد من الجهود لتقديم الحلول الإسلامية للأزمات الاقتصادية العالمية، حيث أثبتت الأزمة الاقتصادية الأخيرة مدى حاجة العالم إلى النظام الاقتصادي الإسلامي الذي يُحرِّم الربا ويضع ضوابط أخلاقية تقوم على العدل والإحسان في الممارسات الاقتصادية، وأكد الباحثون العرب والإسبان بالمؤتمر على عمق الروابط الثقافية والتاريخية بين العرب والإسبان، انطلاقًا من تجربة الأندلس في التعايش السلمي بين المختلفين في العقائد والثقافات مطالبين بنقاش فكري مشترك من أجل الاستفادة من التجربة الأندلسية وإعادة تقديمها إلى العالم كنموذج راسخ في التعايش والتسامح بين الثقافات والشعوب والأديان.

افتتاح مسجد السلام بزيورخ السويسرية

شهدت سويسرا افتتاح مسجد السلام بمدينة «زيورخ» والذي يضم مدرستين إحداهما للغة العربية والثانية لتحفيظ القرآن الكريم، ودعا الدكتور عادل الفلاح وكيل وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويتية خلال افتتاح المسجد أبناء الجالية المسلمة إلى الخروج من شرنقة الخوف على الهوية إلى الاندماج الإيجابي الفاعل في المجتمع لتكوين صورة مشرقة للإسلام وتمثيل الفكر الوسطي المعتدل وتحقيق المواطنة الصالحة، حيث يكون المسلم مسلما وسويسريا أو بريطانيا أو فرنسيا، وحثهم الفلاح على تقديم النموذج الإيجابي والقدوة الحسنة التي تمثل الأخلاق الإسلامية وتبرز إنجازات الإسلام من دفء اجتماعي واستقرار روحي وتكامل فكري تفتقده الكثير من المجتمعات المادية، وناشد الفلاح الدول الإسلامية المساهمة الفاعلة في نشر الوسطية وتحقيقها لدورها المؤثر في وقف التطرف وردع الإرهاب وتحقيق السلام عالميا، مبديا استعداد الكويت لتدريب الأئمة ومسئولي المراكز الإسلامية في أوروبا على الفكر الوسطي.

واعتبر الشيخ سليمان عبدالقادر مدير وإمام المسجد أن مسجد السلام يعد منارة للوسطية ومكانًا للصلاة وجسرا للتواصل مع المجتمع السويسري، مشيرا إلى أن المسجد وضع برنامجا يسهم من خلاله في حل المشكلات الاجتماعية المنتشرة في المجتمع السويسري مثل انتشار العنف والإدمان وارتفاع معدلات الطلاق.

أوغلو يستنكر عقد منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية مؤتمرها بالقدس

أعرب الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلو، الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي عن استنكاره الشديد لعقد منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية مؤتمرا في القدس حول السياحة!. وقال أوغلو: إن منظمة المؤتمر الإسلامي تنظر بقلق بالغ إلى هذه الخطوة التي تسعى إسرائيل من خلالها إلى تضليل الرأي العام العالمي والإيحاء بقبول المجتمع الدولي لادعاءات إسرائيل الباطلة حول مدينة القدس، وأكد الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي أن القدس الشرقية هي جزء لا يتجزأ من الأراضي الفلسطينية المحتلة وأن القانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة لا تعترف بالسيادة الإسرائيلية على القدس، كما طالب جميع دول العالم والمؤسسات والهيئات الدولية بالالتزام بالقرارات الدولية بشأن مدينة القدس باعتبارها جزء لا يتجزأ من الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧،

ودعاها كذلك إلى عدم المشاركة في أي اجتماع أو نشاط يخدم أهداف إسرائيل غير القانونية في تكريس احتلالها وضمها للمدينة المقدسة.

الكعبة ترتدي ثوبها الجديد ٩ ذي الحجة

يسلم الرئيس العام لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشيخ صالح الحصين، الأول من ذي الحجة ثوب الكعبة الجديد المصنوع من الحرير الخالص لكبير سدنة الكعبة عبدالعزيز الشعيبي تمهيدا لاستبداله بالثوب الحالي في التاسع من ذي الحجة متواكبا مع وقفة الحجيج على صعيد عرفة.

يجري العاملون في مصنع كسوة الكعبة بمكة المكرمة اللمسات الأخيرة على الثوب الجديد الذي تزيد تكلفته على عشرين مليون ريال ويشتمل على ستارة باب الكعبة، ويُطلق عليها البُرقُع، وهي من الحرير بارتفاع ستة أمتار ونصف المتر وبعرض ثلاثة أمتار ونصف المتر، مكتوب عليها آيات قرآنية محاطة بزخارف إسلامية، وتتكون الكسوة من خمس قطع تغطي كل قطعة وجها من أوجه الكعبة المشرفة، والقطعة الخامسة هي الستارة على باب الكعبة، حيث يتم توصيل هذه القطع بعضها ببعض لتبدو كأنها ثوب واحد يكسو الكعبة من كل الجهات.

إطلاق معرض الكتاب الإسلامي باللغة الإسبانية

شهد قصر المؤتمرات بمدينة قرطبة التاريخية إطلاق معرض الكتاب الإسلامي المترجم باللغة الإسبانية للتعريف بالإسلام وثقافته، حيث ضم المعرض نحو ٥٠ عنوانا قام بترجمتها مكتب الدعوة والثقافة الإسلامية بالأرجنتين بالتعاون مع كل من وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت، بالإضافة إلى بعض الترجمات من إنتاج مجمع الملك فهد بن عبدالعزيز لطباعة المصحف الشريف، وموسوعة الطارق لتعليم اللغة العربية للناطقين بالإسبانية وهي تضم كتبا مطبوعة وإسطوانات يتم إنتاجها على نفقة المغفور له بإذن الله الملك فهد بن عبدالعزيز، ضم المعرض ترجمات بالإسبانية لمعاني القرآن الكريم، ومختصر صحيح البخاري، وكتبا حول سير صحابة رسول الله ﷺ، وكتبا عن فقه العبادات في الإسلام، وسلوكيات المسلم، وحصن المسلم، وكتبا عن الصلاة والجنازة في الإسلام، وغيرها من الكتب التي تُعرِّف بالإسلام والدعوة الإسلامية، وتُعرِّف المسلمين الناطقين بالإسبانية بدينهم وتعاليمه، وقد حظي المعرض بإقبال كبير من أبناء قرطبة خاصة طلبة جامعة قرطبة الذين حضروا لمتابعة المؤتمر، وقد تم توزيع الكتب التي ضمها المعرض مجانا على الزوار.

انتخاب مسلم رئيسا لبلدية كبيرة في كندا وهامبورج قد تعترف بالإسلام رسميا

انتخب سكان مدينة كالغاري الكندية الأستاذ الجامعي ناهد نينشي رئيسا لبلديتهم، مما يجعله أول مسلم يرأس بلدية مدينة كبيرة في البلاد.

ونال نينشي (٣٨ سنة)، خريج جامعة «هارفارد» والأستاذ في جامعة «مونت رويال» نسبة ٤٠٪ من الأصوات، أي أكثر من ٧٢ ألف ناخب وتقدم على إعلامي بارز تمتع بفرص كبيرة للفوز باعتباره

أحد قدامى المحافظين، وخاض تينش حملته معتمداً في شكل أساسي على الإنترنت، إذ أعلن ترشيحه عبر موقع «تويتر» للمدونات القصيرة، ونشر رسائل على موقعي «يوتيوب» و«فايسبوك»، وقدم تطبيقاً لـ «الآيفون» استطاع مؤيدوه تحميله.

هل تعترف هامبورج بالإسلام رسميا؟!

د تصبح هامبورج قريباً أول ولاية ألمانية تعترف رسمياً بالمسلمين كطائفة دينية، وتمنحهم الحقوق القانونية ذاتها التي يتمتع بها المسيحيون واليهود في التعامل مع الإدارة المحلية، إذ تقترب مفاوضات تجرى في هدوء منذ أربع سنوات في شأن بناء مساجد وفتح مقابر للمسلمين وتدريس الإسلام في المدارس العامة من نهايتها، في وقت يدور جدل صاخب في ألمانيا في شأن الإسلام، واندماج المهاجرين المسلمين.

احتجاجات غاضبة في بريطانيا

اندلعت احتجاجات غاضبة في مدينة برمنجهام البريطانية، نظمها مئات المسلمين ومنظمات حقوق الإنسان احتجاجاً على نشر كاميرات مراقبة في الأحياء ذات الأغلبية المسلمة.

أكد المحتجون اعتزامهم إقامة دعاوى قضائية ضد الشرطة في حالة استمرار وجود كاميرات المراقبة المنتشرة في مناطق عديدة من مدينة برمنجهام، التي تسكنها أغلبية مسلمة.

وأعلنت منظمة ليبرتي للحقوق المدنية، رفع دعاوى قضائية إذا لم تسرع قوات الشرطة بإزالة هذه الكاميرات.

آلاف الإسرائيليين يتظاهرون احتجاجا على قانون الولاء للدولة اليهودية

تظاهر آلاف الإسرائيليين اليهود والعرب احتجاجاً على قانون الولاء للدولة اليهودية، مرددين «لا للعنصرية.. نعم للديمقراطية» ونظمت التظاهرة أحزاب المعارضة اليسارية ومنظمات للدفاع عن حقوق الإنسان رفضاً لموافقة حكومة بنيامين نتنياهو اليمينية على تعديل هذا القانون.

وسار المتظاهرون في وسط تل أبيب حتى مقر وزارة الدفاع، ورفعوا لافتات كتب عليها: «نحن اليهود والعرب ترفض أن تكون أعداء، ولا للكراهية».

وانتقد المتظاهرون رئيس الوزراء ووزير الخارجية الإسرائيلي أفيجدور ليبرمان الذي يقف حزبه «إسرائيل بيتنا» وراء هذا التعديل الذي يتطلب موافقة الكنيست ليدخل حيز التطبيق.

وكان حزب إسرائيل بيتنا قد فاز في الانتخابات التشريعية لعام ٢٠٠٩ بـ ١٥ مقعداً من أصل ١٢٠ في الكنيست بعد حملة انتخابية استهدفت الأقلية العربية تحت شعار: «لا مواطنة من دون إعلان الولاء للدولة».. ويشمل التعديل طالبي الجنسية من غير اليهود فقط، إذ يحق لليهود في أي مكان في العالم الحصول تلقائيا على الجنسية الإسرائيلية بموجب قانون العودة.

this Hajj for His sake alone. They stand disheveled, covered with dust, far from their family and children, and accompanying Allah Alone. Allah, Glory be to Him, reminds the angels in this day about the creation of Adam, and how they thought, according to their knowledge, that it is feared that this human being and his progeny may spoil the earth, while the angels glorify Allah.

At this time, Allah, the Knower of the Unseen, reminds the angels of their fears, and that he (Glory be to Him) knows what they do not know. On the mountain of `Arafa, the pilgrims came from every part of the earth glorifying Allah in this great crowd.

Allah (Glory be to Him) boasts about His matchless Knowledge and Extolment. Allah tells the angels in the awesome scene of `Arafat, pointing to the disheveled and dusty people who supplicate to Allah to forgive them "Bear witness My Angels, I forgive them."

Do these sublime meanings settle in the hearts of the pilgrims standing on the big stones, which the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) ascends topping his camel, addressing the whole nation till the Day of the Resurrection? Do they recall the situation of their forefathers whom the prophet Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon him) addressed? As they are the progeny of these forefathers. They must be share that the prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) still addresses Do they realize that the speech concerns every generation, everything is the same: his words, `Arafat and the rituals. The only thing that changes is the people themselves.

"To Allah belongs the Command ever before and ever after".

[Ar-Rum (The Romans): 4]

honored these rocks by ascending on them by his blessed she-camel "Al-Qaswa'a" while he was informing the Muslims with the Message of their Lord (Glory be to Him):

"Today I have completed your religion for you, and I have perfected My favor on you, and I am satisfied with Islam as a religion for you".

[Al-Ma'idah (The Table): 3]

Some of the people who stand in this huge crowd know the facts related to the Hereafter behind the worldly picture. Thus, their knowledge and faith increase and understand the lesson. In this way, they obey the Commands and Prohibitions of the Owner of this great situation, and reconsider their way of dealing with Allah, the people and himself.

Indeed, the pilgrim does not have sexual relation with his wife, commit a sin, or dispute unjustly during the rituals that Allah honored him or commanded him with, is it sufficient for him to return in the manner he was born (without sins). There are thin threads between having sexual relations with the wife and committing sins that are not known by the people, and he is the only one who knows it. Also, they are not hidden from the One Who knows the Secrets. Thus, it is the time to renew the promise with Allah.

This is the situation of the pilgrim with his soul on the day of `Arafat. He speaks to himself in the manner known in psychology by introspection[5]. He realizes that he analyses himself and his hidden secrets, and know that the Knower of the Unseen knows these secrets, as He knows everything starting from the creation of Adam till the Day of Resurrection.

"None will manifest it at its (proper) time except He". [Al-A`raf (The Battlements): 187]

The stance of the pilgrim with his soul should be the basis of this awesome Divine situation. He should call himself to account in this minor crowd before he is called into account on the Day of Resurrection. Otherwise, when will he call himself into account?

Some of the pilgrims come back to say that he will not forget the wonderful hotel in which he stayed, as it is beside the Inviolable Home, and its terraces overlook the Ka`bah. Others speak about their tours with the air-conditioned cars, and others boast their smartness with the traders near the Inviolable Mosque, as they buy gifts in the cheapest prices, while others speak about the hardship of this trip and his suffering during it.

We do not think that any of these people perform Hajj properly, as none of them speaks about the spirituality, and the reflected repentance, correction of behavior, refinement of feelings, to the extent that he comes back a different person deserving forgiveness and acceptance.

It is better for those who perform Hajj to inform their families about the scene at `Arafat. Also, when the people ask them how they are, they say: "We come back from the minor Resurrection, being prepared for the major one, if Allah wills."

[5] Observation or examination of one's own mental and emotional state, mental processes, etc.; the act of looking within oneself.

When the feelings resulting from the scene of `Arafat are exchanged between the one who stands on `Arafat and the one who hears about it, the real idea that Hajj is an universal Islamic conference that does not end by the end of farewell circumambulation comes true. It lives in the conscience of the Muslims generation after generation, as a creative charge and a fluttering banner shouting:

"You have been the most charitable nation brought out to mankind".

[Al-Imran (The House of Imran): 110]

If we compare this situation with what the prophet Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon him) said regarding Fast, as he said: "It may be that the fasting person gets nothing from his fast apart from hunger and thirsty." We may say "It may be that a pilgrim gets nothing from his Hajj except hardship and trip." It is said in the context of prayer: "Pray like a man bidding farewell." It may be said in the context of Hajj: "Perform hajj as a man bidding farewell."

We hope to address those who are called by Allah to perform Hajj, and to complete perfectly the pillars of Islam, which are overtopped by the testimony of Faith with this affectionate and truthful speech. We hope that this speech is received by those who performed Hajj or will perform it to exchange speech concerning this blessed trip, which is granted by the Creator to those who have the capacity, and to those with whom He is pleased and entrusted them with is obligation.

When the pilgrim realizes the meaning of his trip in the Cause of Allah, he becomes ready, especially if he forgets about money, children and relatives, having deep feeling of that fact that if Allah does not call him to this place, he is not to go to it. Thus, he responds to this call saying: Here I am, O Allah, here I am. Here I am, You have no partner; here I am. Verily, all praise and blessings are Yours, and all sovereignty, You have no partner.

He should follow in the footsteps of the leader of the pilgrims, Muhammad (May the blessings and peace be upon him), while he teaches his nation lessons about Hajj and its etiquettes throughout his farewell Hajj, although it is in fact the Hajj that the Muslims abide by year after year till the Last Day.

When we speak about "praise and grace", we realize that "praise" precedes everything, as we praise Allah not for the graces He gave us, but to everything including what we know and what we do not know of the Graces of Allah (Glory be to Him).

It is out of Allah's Bounty that He lets the rest of the Muslims take part in the reward of the sacred rituals, by prescribing to the Muslims, who are not allowed to perform Hajj, to fast the Day of `Arafat to receive the graces and rewards of this ritual, and to join their fellow Muslims in this joy. Also, they supplicate to Allah to accept their Hajj and to grant them this grace in the next year.

Thus, the Prophet of Islam (May the blessings and peace of Allah be upon him) says: "Fasting the Day of `Arafat expiates for the previous and the next year."[6]

It is sufficient for the honor and sacredness of the Day of `Arafat that it is the Day on which Allah boasts in front of the angels about the pure Hajjs who intend to perform

[6] Al-Tabarany in Al-Awsat – narrated from Abu Said – Al-Jami` Al-Saghir.

A Stance with the Soul in the standing of `Arafat[1]...!

By: Ustaz, Muhammad Mustapha Al-Basiouny

I was about to write the title of this essay as "A stance with the self", but the pen expresses the feelings in the heart and the mind. It prefers it to be "A stance with the soul" because this word means the entity that is closely related to the human being, but the "self"- in spite of its importance- refers to only one element of the human being. Thus, the word "soul" is preferable and has the priority.

In the blessed areas of `Arafat, everyone who received the call of Allah (Glory be to Him) attends this witnessed situation. All of the voices invocate and praise Allah saying "Here I am, O Allah, here I am. Here I am" in a harmonious voice. It is said out loud and with eyes shedding tears.

Perhaps, Allah (Glory be to Him) wanted from this great situation to draw closer to the minds the state of the people at the Day of the Resurrection to learn a lesson. One of the elements of the expressive picture is that this day is definite in place and time such as the Day of the Resurrection. Also, in the day of `Arafat, the people take off every precious thing and wear the clothing worn during the state of Ihram full of modesty in a state between despair and hope.

Also, they do not think about money or children in the manner the people will do in the Day of the Resurrection.

"On the Day when a person will flee from his brother, And his mother, and his father,, And the female companion, and his seeds, Upon that Day every (single) person of them will have an affair that will preoccupy him. (Some) faces upon that Day will be shining, laughing, (happy) at the glad tidings". [Abasa (He frowned): 34-39]

No doubt that many of them imitate the example of their predecessors of the pilgrims, as most of them writes their will before traveling to perform Hajj. They do not know whether they will come back or not in the manner that any Muslim does before his death.

Thus, it is a similar picture to the Day of Resurrection, or it is an educational means, by which the Great Creator (Glory be to Him) teaches us the situation that will happen.

"You will be returned to Allah". [Al-Baqarah (The Cow): 281]

Also, the students differ in their level of understanding the educational means, as there is the student who looks only at it without understanding anything from the lesson. Also, there is the intelligent student who tries to understand it deeply and analyses it to grasp its details.

This is the case of the members of the huge crowd, as they differ in their degree of understanding what is going on around them. This is a wide desert land, amidst which there is a hill called "The Mountain of Mercy" on which there are some rocks called "The Big Rocks". The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him)

---

(1) An article published (in Arabic) at Al-Azhar Magazin.

She was a truthful believer like her husband, but the feelings of a mother affected her when she found her son crying in need of water. She walked to and fro between Safa and Marwa until Allah willed that Jibril squirted Zamzam spring to drink from it.[1]

What do we understand from this? We understand that when the human being depends on Allah, then, he depends on the Source of Power, Bounty and Goodness. When the faith of the person becomes truthful, he trusts Allah more, and his relation to materialism decreases. This does not mean carelessness, as Hagar run to and fro untill Allah gave her what she needed.

This is the aim behind Hajj, as this is revealed by the verses that are about Hajj. The first is the saying of Allah:

"The Pilgrimage is (in) months well-known; so, whoever ordains (upon himself) the Pilgrimage in them, then there shall be no lying with (womenfolk), nor evident immorality, nor disputing in the Pilgrimage. And whatever charity you perform, Allah knows it. And sustain yourselves; so, the most charitable sustenance is pity; and be pious to Me, O (you) endowed with intellects!".

[Al-Baqarah (The Cow): 197]

Allah is Independent of all others, and able to give anyone whatever he wants simply without any effort. However, He tells the human beings that they are poor and miser, but He is the Generous and Forgiver:

"It is no fault in you that you constantly seek Grace from your Lord; so when you press on from `Arafat then remember Allah at the Inviolable Emblem, and remember Him as He has guided you, and decidedly you were even before it indeed of the erring".

[Al-Baqarah (The Cow): 198]

He says: "As for every nation We have made a ritual that they may mention the Name of Allah over such brute cattle as He has provided them. So your God is One God; then to Him surrender and give good tidings to the venerating ones".

[Al-Hajj (Pilgrimage): 34]

Remembering Allah is the basis of all of the rituals, and the silent meaning that exist in the conscience turns into loud shouting. Thus, it is prescribed for the pilgrims to say out loud: Here I am, O Allah, here I am. Here I am, You have no partner; here I am. Verily, all praise and blessings are Yours, and all sovereignty. You have no partner.[2]

In a Hadith: "There is no one who says Talbiyyah, every stone and tree to his right and to his left until all the earth says it."[3] Everything in the universe glorifies and remembers Allah. Hajj is not a useless trip, as some people perform Hajj, and come back satisfied with the title of a pilgrim only. Thus, our nation should wake up and perform its obligation towards Allah and the Sunnah of the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him).

---

[1] The story of the immigration of Ibrahim, his son Ismail and his wife hagar to Makkah, and the squirting of Zamzam.

[2] For th narration of Abdullah Ibn `Umar (may Allah be pleased with them) about the Talbiyah said by the Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him): Here I am, O Allah, here I am. Here I am, You have no partner; here I am. Verily, all praise and blessings are Yours, and all sovereignty, You have no partner. Related by Al-Bukhari about Hajj, chapter on Talbiyah 2/170 and Muslim in Hajj, chapter on Talbiyah, its description and time 4/7.

[3] It is said in Al-Jami` Al-Saghir: Narreted by At-Tarmadhy, Ibn Magah, Al-Hakim, and he is sumbolized by Al-Hassan. It is said in Fath Al-Qadir: Ismail Ibn `Ayyash and the rest of his men were trustworthy 5/499.

Contemplations Concerning Hajj Rituals[1]...!

By: The Late Honorable Sheikh Muhammad Al-Ghazaly

Prepared by: The Honorable Sheikh Ali Hamed Abdul-Rahim

Hajj is the fifth pillar of the pillars of Islam, and Allah enjoined this pillar on His Servants saying: "And it is a duty upon mankind towards Allah (to come) to the Home on Pilgrimage, for whomever is able to make a way to it. And (as for) him who has disbelieved, then surely Allah is Ever-Affluent, (dispensing) with the worlds".

[Al-Imran (The House of Imran): 97]

We mention the rituals of Hajj, as mentioned along with the wisdom relating to it and for which it is prescribed, to inform the ignorant with the religious and worldly benefits. Also, these rituals are not ambiguous matters or acts.

Hajj is regarded as good traveling and a trip for the places visited by the prophet and to which the revelation was sent down. Also, these places are the cradle of Islam and the location where the predecessors of righteous people meet. Islam strives to transform belief from mental picture that settles in the mind to emotional meanings to which the heart clings. Also, it affects the human being, as he lives his lifetime abiding by it.

When Islam prescribed Hajj, it aimed at transferring actually belief from theoretical meanings taught in books and received by the human being as form facts to sentimental meanings that links the human being with the emergence of Islam and those who spare no effort to let it emerge. Also, it links the human being with the earlier places of the revelation and the heralds who convey this trust and strive for it to present it ripe and mature to the people.

This is Hajj trip and Hajj wisdom. Allah (Glory be to Him) wants the believers - with the difference of time and places - to be linked to the religion they embrace, which is the religion on monotheism. He wants to command the capable people to come to the places in which their religion emerged to be psychologically tied to it.

We will deal with each meaning step by step.

Islam and the mission of Muhammad (My the blessings and peace of Allah be upon him) are a response to the supplication of his father Ibrahim and his son Ismail (May the peace of Allah be upon them), when they establish the Home.

"And as Ibrahim raised up the foundations of the Home and Ismail (with him), (saying), "Our Lord, (graciously) accept (this) from us. Surely you, Ever You, are The Ever-Hearing, The Ever-Knowing. Our Lord, and make us (both) Muslims to You, and of our offspring a nation Muslim to You, and show us our rituals and relent towards us; surely You Ever You are The Superbly Relenting, The Ever-Merciful. Our Lord, and sent forth among them a Messenger, (one) of them, who (will) recite to them your ayat and teach them the Book, and (the) Wisdom, and cleanse them; surely You, Ever You, are The Ever-Mighty, The Ever-Wise". [Al-Baqarah (the cow): 127-129]

[1] An Article published (in Arabic) at Al Azhar magazine.

A messenger came to us as a response to the great grandfather Ibrahim and his son Ismail (May the peace of Allah be upon them). Is it the right of the sons and the followers to come to this place to remember the way the Message emerged from it, and how the honorable Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) was a response to the supplication of Ibrahim, with its walls becoming high, and foundations established?

Is it the right of the first established mosque to be followed by every mosque on earth, and the praying persons in the mosques direct themselves during Prayer? The honoring of the first mosque is normal, and this is the secret behind the saying of Allah (Glory be to Him):

"And from where you go out, then turn your face towards the Inviolable Mosque; and surely it is indeed the Truth from your Lord; and in no way is Allah ever heedless of whatever you do. And from where you go out, then turn your face towards the Inviolable Mosque, and wherever you are, then turn your faces towards it, lest that mankind should have an argument against you, excepting (the ones) of them that do injustice. So do not be apprehensive of them, and be apprehensive of Me, and that I may perfect My favor on you and that possibly you would be guided".

[Al-Baqarah (The Cow): 149-150]

These reasons lead the Muslims to send their delegates every year to the first mosque, the honorable Ka'bah:

"Allah has made the Ka'bah, the Inviolable Home, an upright (ingathering) for mankind". [Al-Ma'idah (The Table): 97]

One of the rituals of greeting it is to circumambulate it seven times. It is prescribed for those who circumambulate to glorify, praise and supplicate to Allah during their circumambulation. Circumambulation is a kind of prayer, as it starts from the Black Stone. It is a mere black stone; we may suppose that it was sent down from any of the burning aerolite. We may suppose that it came from heaven. The Ka'bah is a mere stone that neither harms not benefits. The person who thinks that it benefits or harms is ignorant, because the One who harms and benefits is Allah, Who is the Abaser and the Exalter, and the Giver, the Withholder.

Circumambulation is a kind of prayer during which the tongue of the human being glorifies and praises Allah. Some ignorant people claim that kissing the Black Stone is a kind of idolatry. Thus, the act of kissing the flags by the kings and presidents is a kind of idolatry and cloth worshipping. Who said so? It is merely translation of the feelings of sincerity to Allah. There is nothing wrong with that, and we abide by the prescribed teachings in this regard.

After circumambulations, the Muslims walk between Safa and Marwa. The Muslims are in a dire need for this act. It is known that prophet Ibrahim brought his wife, Hagar and her infant Ismail to this place. It was a barren desert that contains no sign of life. It was a strange act, and Hagar said to Ibrahim: Where will you go? He was not able to reply, as Allah revealed to him to do that, and he obeyed the Commands of Allah without knowing the wisdom behind it. When she asked him continuously and he did not answer, she asked him: Did Allah order you? He said: Yes. She said: Then, He will not cause us to be lost.

He told them they will meet Allah, and they are responsible for their deeds, and are commanded to return the trust to its owners. Moreover, all of the matters related to the pre-Islamic era such as usury and blood shedding are under his feet. He warned them against Satan, who despairs of being followed on this land. He told them about the Inviolable months and the other months. Also, he commands men to treat women kindly, and to hold fast to the Qur'an and the Sunnah. At last, he commanded them to obey Allah, and that the Muslims are like brothers, and that what a Muslim gives his fellow Muslim something by free will is lawful. He ordered them to avoid transgression.

We find all of these principle, teachings, advices and guidelines which are included in this speech. It deserves to be called an important Islamic document, as it included many rulings regarding the world and religion.

The one who follows the Sunnah mentioned in the Farewell pilgrimage (Hajj)will find that the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) does not only mention all his commands in this speech, but he spoke about the sacredness and virtue of the Day of Slaughter, and the sacredness of Mecca. He commanded them to obey the rulers who led them according to the Qur'an and Sunnah to enter Paradise. He told the immigrants to stay to the right of the Qiblah and the Ansar to stay to the left of the Qiblah. Allah granted the people success in listening to the speech, to the extent that the inhabitants of Mina listened to it while they were in their houses.

It is called Farewell pilgrimage (Hajj) because the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) said farewell to the people, and it was the last pilgrimage (Hajj) performed by the Prophet.

It was called the Informing pilgrimage (Hajj) because the Prophet informed the people of the Shari`ah in words and in deed. Also, it is called the pilgrimage (Hajj)of perfection, because Allah completed the religion for the people, and perfected His Favor for them. Allah said:

"Today I have completed your religion for you, and I have perfected My favor on you, and I am satisfied with Islam as a religion". [Al-Ma'idah (The Table): 3]

He recited it, and Abu Bakr wept, because he understood that the Prophet completed his Message and his death was approaching.

This speech reveals the prohibition of blood shedding and taking money in unlawful way, and likened it to the Day of Slaughter, Dhul-Hejjah and Mecca, because they thought that they are sacred and Inviolable, because their blood and money in the pre-Islamic era were violated in months other than Inviolable months. He said: Your blood, your honor and your wealth are sacred to you as this day of yours in this month of yours in this land of yours is sacred.

The, he said that "everything related to the pre-Islamic era is under my feet" to nullify the acts of the pre-Islamic era. He started with blood shedding, the first of which is the blood of Rabi`ah Ibn Al-Harith Ibn Abu Taleb, who was an infant that was crawling amidst the homes. He was killed in the war that was between Bani Sa`d and Bani Laith.

Then, he mentioned the usury, and the first of which is the usury of his uncle Al-`Abbas. This exceeds the capital. Allah (Glory be to Him) said:

"You will have the capitals of your riches". [Al-Baqarah (The Cow): 279]

There is wisdom behind this act, because Allah calls for reformation. Thus, he commanded himself and his family to avoid it because it is nearer to the acceptance of his call. Also, he did not forget about women, as he urged the people to take care of their rights. He commanded the people to treat them kindly, and commanded their husbands to sustain them and to clothe them properly. He revealed all of the duties of the woman's husband towards her. Moreover, she should perform her duties towards her husband, to be chaste, and to avoid the reasons for suspicions that make her husband suspicious towards her.

She should not stay with men in a closed place; permit any person he hates to enter his house whether this person is a man, woman or any unmarried relatives of the wife. Because the base in this matter is that a person should not enter a house except he is permitted to do that. Thus, if the husband does not permit a certain person to enter his house, she should not permit him. Allah permitted the husband to beat his wife but not toughly.

After this speech, the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) revealed to them that he left to them the Qur'an, which does not bring any null and void matters. If they adhered to the Qur'an, they will never be misguided. Also, he commanded them to hold fast the Rope of Allah, and to obey His rulings and Shari`ah to be guided and to raise their word. Also, they will be away from the sects and delusions.

At the end of his speech, he asked them about their attitude towards him, and their testification concerning him. They said that they bear witness that he conveyed the Message, and carried out the Trustiness. He looked at the sky and pointed to them and said "O Allah, bear witness" three times. He commanded them to inform the absent people.

Pilgrimage (Hajj) Unites the Muslims…!

-2-

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Pilgrimage (Hajj) reminds the Muslims always that they are one nation, as they meet at the Inviolable mosque, ascend `Arafat Mountain, and meet at these sacred places to be acquainted with each other and to exchange ideas in a way that unifies their word and rows to become just like the structured building. Also, they should make an honorable life for themselves that satisfy the believers. "And might belongs to Allah, and to His Messenger, and to the believers".[Al-Munafiqun (The Hypocrites): 8]

Pilgrimage (Hajj) is regarded as Jihad (strife in the cause of Allah), not only because the pilgrim should resist his desires during it, but also to establish and protect the Islamic unity from any mischief. This is the aim behind the Jihad, as it does not aim at taking control and plundering the wealth of the peoples, but it aims at protecting and advocating the Truth, and deterring any person who intends to attack or transgress against the Muslims. "Today I have completed your religion for you, and I am satisfied with Islam as a religion".[Al-Ma'idah (The Table): 3]

There is no dispute among the scholars that the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) performed pilgrimage (Hajj) only once after his Hijra from Mecca to Medina, which is the Farewell pilgrimage (Hajj)), and that this pilgrimage (Hajj) was performed in year 10 A.H. When the Prophet stayed in Medina nine years, during which he did not perform pilgrimage (Hajj), he decided to go to Mecca to perform Hajj (pilgrimage). He informed the people with that to be prepared and to learn the rituals and rulings of pilgrimage (Hajj) to spread the Islamic Da`wah in every place.

On Saturday, six days before the end of Dhul Qa`edah, according to the most correct opinion maintained by the scholars, The Prophet came out of Medina in the morning after offering the Zhuhr Prayer. Then, he addressed the people to teach them the way of performing Ihram (ritual state of Hajj) and its obligations. He came out with people in crowd, who were ninety thousand persons, and others said that they were one hundred thousand and fourteen. They walked until they reached Dhul Halifah, in which they resided and performed Ihram.

On the fourth day of Dhul Hejjah, the pilgrims reached Mecca, and the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) entered from a high place, which overlooks Al-Hijun. When he entered the mosque, he kissed the Black Stone, and circumambulated the Ka`bah. Then, on the eighth day of Dhul Hejjah, they headed to Mina, and spend their night there.

When the sun rises, they went to `Arafat and found the dome, out of which he ordered to be erected at Namerah. It is a village at the east of `Arafat. He resided there, and after the midday, he put his baggage out of his camel. He walked until he reached the valley of `Araft. He delivered a great speech to the people, in which he established the bases of Islam, and destroyed the bases of disbelief and the Pre-Islamic era.

Imam Muslim related that Jabir Ibn Abdullah narrated that the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) addressed the people in the Farewell Speech saying: "Your blood, your honor and your wealth are sacred to you as this day of yours in this month of yours in this land of yours is sacred. Every practice of the jaahiliyyah is beneath my feet and the blood feuds of the jaahiliyyah are cancelled. The first claim of blood that I abolish is that of Ibn Rabee'ah Ibn al-Haarith, who was suckled among the tribe of Bani Sa'd and was killed by Hudhayl. The riba (usury) of the jaahiliyyah is abolished, and the first riba that I abolish is that of 'Al-Abbaas Ibn 'Abd al-Muttalib. It is abolished completely.

Fear Allah concerning women, for you have taken them on the security of Allah and have made their bodies lawful to you by the words of Allah. Your right over them is that they should not allow anyone whom you dislike to sit on your bed. If they do that, then hit them, but not severely. Their rights over you are that you should be kind to them and clothe them properly.

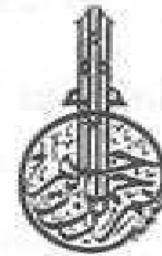
I have left you with something which, if you adhere to it, you will not go astray after my going: the Book of Allah. If you were asked about me, what would you say?" They said: "We would bear witness that you have conveyed (the message), fulfilled (the trust) and advised us sincerely." Then he pointed with his index finger towards the sky and then towards the people, and said, "O Allah, bear witness, O Allah bear witness," three times.

An-Nawawy narrate that this Hadith includes many benefits and the rules of Islam. Also, it is related by Muslim and not by Al-Bukhary in his Sahih. Also, Abu Dawud related it as Muslim did.

Al-Qady `Iyad said: The people found in it many rulings on jurisprudence, and Abu Bakr Ibn (son of) Al-Mundhir authored more than one hundred and fifty rulings.

In fact, this speech, especially the text related by Ishaq, does not include branches of jurisprudence only, but it included many rulings and bases, types of reform, matters regarding politics and sociology. Also, it dealt with all that is related to the Muslims' affairs. It prohibited all the matters prohibited in all of the religions such as blood, money and honor, and assimilated them to the sacredness of their day, month and land.

AL-AZHAR MAGAZINE	ENGLISH SECTION
Dhul-Hejjah, 1431 A. H.	November. 2010



﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

> *"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."*
>
> (Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

الفهرس السنوى لعام ١٤٣١هـ

المحرم

صفر

ربيع الأول

ربيع الآخر

جمادى الأولى

جمادى الآخرة

رجب

شعبان

رمضان

شــــــوال

ذو القعــــدة

ذوالحجة

استبانة

تحقيقا للتواصل الفكرى تقوم مجلة الأزهر بنشر هذه الاستبانة للوقوف على رأى القراء فى المادة المنشورة بالمجلة والشكل الفنى لها والتعرف على آرائهم ومقترحاتهم.

وفى هذا العدد تستمر المجلة فى نهجها على أمل أن تتلقى خطابات قرائها تحمل الأفكار المتنوعة التى تساعد على التطوير، وستسعى إدارة المجلة جاهدة لتلبية ما تتضمنه هذه المقترحات إن شاء الله.

«مجلة الأزهر»

الاسم: ____________________

العنوان: ____________________

ما طريقة حصولك على مجلة الأزهر؟

• اشتراك • من البائع

هل تحرص على اقتناء مجلة الأزهر بصفة مستمرة؟

(١) نعم (٢) لا (٣) إلى حد ما

هل تجد صعوبة فى الحصول على المجلة؟

(١) نعم (٢) لا (٣) إلى حد ما

هل تصل إليك المجلة فى وقت مناسب؟

(١) نعم (٢) لا (٣) إلى حد ما

ما أكثر المجلات الإسلامية التى تحظى باهتمامك؟ مع ذكر الأسباب

____

- ما رأيك فى طباعة المجلة؟

(١) جيدة (٢) مقبولة (٣) رديئة

- ما رأيك فى غلاف المجلة؟

(١) مناسب (٢) غير مناسب (٣) إلى حد ما

- ما رأيك فى عدد المقالات التى تنشر داخل المجلة؟

(١) كاف (٢) غير كاف (٣) إلى حد ما

- ما رأيك فى حجم الخط المستخدم فى المجلة؟

(١) جيد (٢) مقبول (٣) ردىء

- ما رأيك فى استخدام الألوان داخل المجلة؟

(١) جيد (٢) مقبول (٣) ردىء

- ما رأيك فى استخدام الصور (شخصية - أحداث) داخل المجلة؟

(١) جيد (٢) مقبول (٣) ردىء

- هل ترى أن المساحة المخصصة للقراء:

(١) كافية (٢) غير كافية

- ما رأيك فى ملحق المجلة (الهدية)؟

(١) جيد (٢) مقبول (٣) ردىء

- ما أكثر المقالات التى حظيت باهتمامك هذا العام؟

- ما أكثر الملاحق التى حظيت باهتمامك؟

- من الكاتب المفضل الذى يحظى باهتمامك داخل المجلة؟